سلسلة شرح متون الاعتقاد عند أئمة السلف

النفحات الإيمانيّة في شرح العقيدة الواسطية

اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ

أ د. محمد بن خليفة التميمي

سلسلة شرح متون الاعتقاد عند أئمة السلف



سلسلة شرح متون الاعتقاد عند أئمة السلف

النفحات الإيمانيّة في شرح العقيدة الواسطية

اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ

أ د. محمد بن خليفة التميمي

مقدمة الشارح

الحمد لله نحمده، ونَستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيِّئات أعمالنا، مَن يَهده الله فلا مضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحْده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: الآية: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا *يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: الآيتان: ٧٠ – ٧١].

أمَّا بعدُ:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسنَ الهَدْي هدي محمدٍ، وشرَّ الأُمُور مُحدثاتها، وكلَّ مُحدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

فهذا شرح اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ والمشهور بالعقيدة الواسطية، وقمت–بفضل من الله وعون– في شرح عدد من رسائل شيخ الإسلام وكان منها:

١. التحفة البهية في شرح رسالة العبودية
٢. المنحة الإلهية في شرح الفتوى الحموية
٣. شرح التدمرية.

وقد سبق لي أن شرحت متن العقيدة الواسطية شرحًا مختصرًا سميته "التعليقات السنية على العقيدة الواسطية"، وقدطلب مني بعض طلبة العلم أن أشرح هذا المتن شرحًا موسعًا على طريقتي المعتادة في شرح متون الاعتقاد، وبناء على ذلك قمت بإعادة هذا الشرح الموسع وأسميته "النفحات الإيمانيّة في شرح العقيدة الواسطية".

وقبل أن نشرع في بيان ما احتوت عليه هذه «**العقيدة الواسطية**» من مسائل ومباحث عقدية- أُحِبُّ أن أُقَدِّم ببعض المقدمات.

المقدمة الأولى: مفهوم العقيدة:

أولى تلك المقدمات: هي ما يتعلق بشأن هذا العلم؛ علم العقيدة، فإن كثيرًا من طلبة العلم قد يدرس جزئيات هذه العقيدة دون أن يستوعب كيفية الربط بينها وبين ما يَعنيه هذا العلم؛ لذا لا بد من وضع مقدمة هنا تتعلق بأمر هذه العقيدة؛ لكي يستطيع طالب العلم أن يربط بين جزئيات المسائل وبين كلياتها.

فعلم العقيدة علم يُعنى بباطن الإنسان، فنحن إذا ما تأملنا حديث جبريل المعروف، والذي بَيَّن فيه النبي ﷺ أركان الإسلام وأركان الإيمان والإحسان، نرى أنَّ النبي ﷺ جعل أركان الإسلام هي الأمور الظاهرة، وجعل أركان الإيمان هي الأمور الباطنة، ثم ذكر الإحسان، والإحسان مجموع الأمرين؛ لأن الإحسان هو إتقان الظاهر والباطن، فإذا ما أتقن الإنسان الظاهر والباطن- فإنه بذلك يكون من أهل الإحسان.

فإذا قلنا: إن العقيدة أمر يُعنى بالباطن، فالسؤال الذي يفرض نفسه ما هو الباطن؟

والجواب: أن الباطن هو مجموع أمرين: أمر الفكر والنَّظر. وأمر الإرادة والعمل.

ونحن لو تأملنا في عِدَّة نصوص من كتاب الله-عز وجل-وسنة نبيه ﷺ؛ لأرشدتنا إلى مفهوم هذا الباطن؛ وذلك كقول الله عز وجل في تزكيته لنبيه ﷺ حيث قال: ﴿ما ضَلَّ صاحبكم وما غوى﴾؛ فقد زَكَّاه الله سبحانه وتعالى في جانبين، وكذا تزكية النبي ﷺ للخلفاء من بعده؛ كقوله: «**عَليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**»[(١)].

قال الراغب الأصفهاني: «**والرُّشد: خلاف الغَي، يستعمل استعمال الهداية؛ يقال: رَشَدَ يَرْشُدُ، ورَشِدَ يَرْشَدُ؛ قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: الآية: ١٨٦]، وقال: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ**

---

(١) أخرجه الترمذي «٢٦٧٦»، وأبو داود «٤٦٠٧»، والدارمي «٩٦» من العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» «٩٣٧».

الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٦]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: الآية: ٦] ، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنبياء: الآية: ٥١]، وبين الرُّشدين– أعني: الرُّشد المؤنس من اليتيم، والرُّشد الذي أوتي إبراهيم عليه السلام– بونٌ بعيدٌ»[١].

وإذا ما جمعنا بين الآية والحديث نجد أن لكل لفظ ما يقابله؛ فالرشد ضد الغواية، والهدى ضده الضلال، فإذًا أخبر الله تعالى بكمال الهدى والرشد للنبي ﷺ، وزكى النبي ﷺ الخلفاء وأخبر بأنهم راشدون مهديون.

والرشد مكانه العقل، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى في شأن اليتامى: ﴿فإن آنستم منهم رشدًا فادفعوا إليهم أموالهم﴾؛ فلا يدفع المال إلى اليتيم إلا إذا بلغ رشده، وليس ببلوغه سن التكليف، فإذا أحسن التصرف في ماله فعند ذلك يُدفع إليه، وأما إذا لم يحسن ذلك فلا يدفع إليه هذا المال حتى يرشد.

فالرشد مكانه العقل، والهدى مكانه الإرادة أو القلب بمفهومه الخاص؛ لأن القلب في الحقيقة هو الباطن، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة في القلب. والعقل يُراد به العلم، ويراد به العمل؛ فالعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة، وأصل الإرادة في القلب، والمريد لا يكون مريدًا إلا بعد تصور المراد؛ فلا بد أن يكون القلب متصورًا، فيكون منه هذا وهذا، ويبتدئ ذلك من الدماغ، وآثاره صاعدة إلى الدماغ؛ فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء**»[٢].

وإن كان في بعض النصوص قد يُطلق القلب ويراد به أحد الجانبين، كما في قول النبي ﷺ: «**ألا وإنَّ في الجسد مُضغة إذا صَلَحت صَلَح الجسد كله، وإذا فَسَدت فسد الجسد كله،**

---

(١) «المفردات في غريب القرآن» «ص ٣٥٤».

(٢) «مجموع الفتاوى» «٩/ ٣٠٤».

ألا وهي القلب»[(١)].

وقد كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم ألهمني رُشدي، وأَعِذني من شَرِّ نفسي**»[(٢)]؛ فدعا هنا بكمال الأمرين: بكمال الإرادة والعمل، وبكمال الفكر والنظر.

ولو تأملنا قول النبي ﷺ: «**أصدق الأسماء: حارثٌ وهَمَّام**»[(٣)].

فهذان الاسمان أصدق وسمٍ على الإنسان؛ لأنه في إرادة دائمة وكسب دائم؛ إمَّا إلى خير وإما إلى شر، وفي همٍّ وتفكير دائم؛ إمَّا إلى خير وإما إلى شَرٍّ؛ فهذان الاسمان أصدق وصف للإنسان.

والوحي قد جاء يخاطبك أيها الإنسان من داخلك، وهذه العقيدة جاءت لتعنى بك من داخلك، وداخلك هما هذان الأمران، ولذلك تأمل قول الله سبحانه وتعالى حيث قال: ﴿إنه إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ «٤٠» وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ «٤١» وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: الآيتان ٤٠- ٤٢]، لماذا ذكر الشعراء؟ ولماذا ذكر الكُهَّان هنا؟ وما وجه هذا الذكر في باب الثناء على الوحي؟

والجواب: لتعلم أن هذا الوحي جاء يخاطبك أيها الإنسان، وليس هذا الوحي مجرد قول شاعر يتلاعب بمشاعر الإنسان وإرادته، ويحاول في بعض الأحيان أن يقلب الحق باطلًا والباطل حقًّا، فقد يُزَيِّن الزنا باسم الحب والغرام وغير ذلك، وهذا ما يفعله كثير من الشعراء، وكذلك قال: ﴿ولا بقول كاهن﴾؛ لأن الكاهن يتلاعب بالحقائق العلمية.

فإذًا نزه الله هذا الوحي عن أن يكون من هذا أو من ذاك.

وتأمل كذلك هذا النص في سورة الشعراء: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على

---

(١) أخرجه البخاري «٥٢» ومسلم «١٥٩٩» من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد «٣٣/ ١٩٧» برقم «١٩٩٩٢»، والترمذي «٣٤٨٣» واللفظ له من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وإسناده عند أحمد صحيح على شرط مسلم، كما قال محققو «المسند».

(٣) أخرجه أبو داود «٤٩٥٠» و أحمد في «المسند» «١٩٠٣٢»، والبخاري في «الأدب المفرد» «٨١٤» من حديث أبي وهب الجشمي رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» «١٠٤٠».

كل أفاك أثيم﴾؛ فذكر الكهان، ثم قال: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾؛ فذكر الصنفين، وأعاد ذكر هذين الصنفين، والشيطان عدو الإنسان لا يدخل عليه إلا من أحد هذين البابين؛ إمَّا باب الشهوات المحرمة، وهذه تتسلط على الإرادة. وإما من باب شبهات الضلال، وهذه تتسلط على الفكر والنَّظر.

فإذًا نخلص من هذه النصوص إلى أن الباطل مجموع الأمرين: مجموع الفكر والنظر ومجموع الإرادة والعمل.

وقد لخَّص لك السلف هذه الحقائق بقولهم: «**الإيمان قول وعمل**».

ومعنى قولهم: «**قول**» أي علم وعمل؛ فعلم يجعل الإنسان يُميز بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبالتالي يعرف الإيمان؛ فيقوم به، ويعرف الكفر ليجتنبه. وعمل وهو الجانب الإرادي.

ولذلك وأنت تدرس العقيدة يجب أن تعلم أنها تقوم على مجموع الأمرين، وهذا ما تميز به منهج السلف؛ فقد اعتنى بكلا الجانبين «**العلم والعمل**»؛ فاعتنى بمجموع الأمرين في هذا الباطن الذي هو في الحقيقة بصلاحه يصلح أمر الإنسان كله؛ لأنه متى ما صلح الباطن صلح الظاهر، واستقامت الجوارح بناءً على استقامة هذا الباطن؛ فضلًا عن أن هذا هو المقصود بعلم العقيدة.

وهاك بعض الأمثلة كتطبيقات على ما تقدم: كيف تكون مؤمنًا بالله تعالى؟

لا تكون مؤمنًا بالله تعالى حتى تعرف الله، وهذا جانب علمي. وحتى تعبد الله، وهذا جانب عملي.

وإيمانك بالنبي ﷺ لا يصح حتى تصدق به، وهذا جانب علمي. وحتى تتبعه، وهذا جانب عملي.

وكذلك القرآن وهو إما أخبار وإما أوامر؛ فحق الأخبار أن تُصدق، وحق الأوامر أن تُتَّبع، إذًا ما جاء هذا الوحي إلا ليُصلح هذا الباطن.

فهذا هو علم العقيدة إذا درسته وتعمقت فيه فبقدر هذا التعمق يجب أن تصلح من

باطنك، وإذا أصلحت هذا الباطن استقام هذا الفكر؛ فرأيت الحق حقًّا والباطل باطلًا، وعندها تستقيم عندك أمور النظر، وتستقيم بهذا الوحي الذي هو كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وتستقيم كذلك باتباع الأوامر؛ فمن هنا قدمت بهذه المقدمة المختصرة.

فالجانب العلمي هو أنك عرفت الله سبحانه وتعالى، ومَيَّزت بين هذا الإله الحق وبين هذه الآلهة الباطلة، وعرفت ما يستحقه سبحانه وتعالى من أسماء حسنى وصفات عُلَا.. إلى غير ذلك من هذه الجوانب العلمية، وهكذا إذا درست أعمال القلوب من خوف ورجاء وتوكل وغير ذلك.. فهذه جوانب عملية، وطبعًا كلا الأمرين لا بد منه، فعندما يقول السلف: «**الإيمان- أي: العقيدة- قولٌ وعملٌ**»، فإنما يعنون مجموع الأمرين؛ فلا ينفع العلم وحده، ولا ينفع العمل وحده.

ونحن لا نكتفي بباب العلم بالله سبحانه وتعالى، فهذا العلم لا بد أن يتبعه العمل، لذا بوب البخاري بابًا سماه: «**باب العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد:الآية: ١٩] فبدأ بالعلم**»[(١)].

فلعل في هذه المقدمة المختصرة بيان لمفهوم العقيدة وهو أن اعتقاد الأنسان في باطنه بمجموع الأمرين؛ فيؤمن بجانب العلم، ويؤمن بجانب العمل.

وبالتالي دراسة هذه العقيدة تصلح هذين الجانبين، وبصلاحهما يَصلح الإنسان في جميع أحواله بإذن الله سبحانه وتعالى؛ فمتى ما ازداد علمًا بها وتعمُّقًا فيها فإنه بذلك يصلح من أمر هذا الباطن، وهذا سبب في سَدِّ منافذ الشيطان من شبهات الضلال وشهوات الحرام.. فنحن متى ما استقام فكرنا ونظرنا وعلمنا واستقامت كذلك إرادتنا صلح حالنا، ومن هنا يجب أن نُعنى بهذا الجانب أعظم العناية؛ فنأخذه من منبعه الصافي، لأننا أمناء على ما نتعلم ونعتقد وما نعمل، وسنسأل عما نعلم وعما نعمل؛ لذا يجب أن يكون ما نعلمه وما نعمله وفق ما أمر الله سبحانه وتعالى به ووفق ما أمر به رسوله ﷺ.

---

(١) «صحيح البخاري» «١/ ٢٤، ٢٥».

فهذا مفهوم العقيدة، والعقيدة- بحمد الله تعالى- سهلة ميسرة ومحببة إلى النفس، لكن متى ما أحسن الإنسان أخذها من معينها الصافي، ومتى ما أحسن استيعابها وأخذها على الوجه الذي ينبغي، أما إذا حصل خلل من جهة المأخذ أو من جهة التطبيق؛ فهذا الخلل يعود إلى المتلقي.

المقدمة الثانية: فهم الأوليات والأولويات:

هناك أوليات وأولويات للعقيدة؛ لأن النبي ﷺ قد قال لمعاذ عندما بعثه إلى اليمن: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله**»[١]، وفي رواية: «**فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى**»[٢].

فينبغي أن تتأمل في ترتيب هذه الأولويات؛ كيف رتبها المصنف؟

وهذا هو ترتيب أهل السنة والجماعة؛ وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع مَن خلف؛ فأول ما يبدأون به: الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ثم بقية أركان الإيمان.

وقد يأتي وقت من الأوقات مَن يحاول أن يغير هذا الترتيب، وأن يقدم بعض الأمور التي جاءت في آخر العقيدة؛ فهل ننساق وراء رغباته؟ أو وراء هذا المنهج الذي قد يسلكه البعض؟

لا، بل يرجى أن يتم التمكن لهذه المسألة؛ لأننا أصحاب العقيدة، وفيها أوليات وفيها أولويات، ولسنا بحاجة إلى مَن يعيد لنا ترتيب هذه الأمور، فلا يأتي إنسان فيجعل من مسائل الأحكام أو مسائل الأسماء أولية، أو يجعل من مسائل الخلافة والإمامة أول هذه المسائل ويرجئ مسائل الإيمان بالله.. إلى آخر ذلك، فمثلًا إذا جاء إنسان يريد أن يحيد عن منهج أهل السنة والجماعة ومنهج أهل السلف؛ فيجب أن نعلم أن هذا هو سبيلنا؛ فأمورنا مرتبة بحمد الله تعالى.

---

(١) أخرجه أبو داود «١٥٨٤» بلفظ: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب؛ فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله...»، وأخرجه البخاري «١٤٥٨» ومسلم «١٩» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم...».

(٢) أخرجه البخاري «٧٣٧١» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ونحن- بحمد الله تعالى- نتميز بأمرين:

أولًا: ثبات العقيدة؛ فما كان عليه النبي ﷺ وما كان عليه أصحابه فنحن عليه إلى هذا اليوم، ووالله ما نرضى أن نحيد عن هذا قدر أنملة، وإن حدنا عن هذا المنهج فنحن- والله- في ضلال، والعقيدة منا براء.

ثانيًا: اتصال العقيدة؛ فعقيدتنا ليست منقطعة، ولا شك أن العقيدة التي تركها النبي ﷺ واستقام عليها أصحابه رضوان الله عليهم محفوظة؛ قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أُمَّتي على الحق ظاهرين**»[(١)]، وعندما سُئل النبي ﷺ عن الفرقة الناجية قال: «**مَن كان على مِثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[(٢)].

فإذا كنا على هذه العقيدة التي كان عليها النبي ﷺ وكان عليها أصحابه فنحن على الحق بإذن الله تعالى، وإذا حُدنا فضلالنا على أنفسنا.

فلنعلم أننا أمام عقيدة ثابتة متصلة سندها إلى النبي ﷺ، ولذلك تميز أهل السنة- أهل الحديث- بالإسناد. هذا ما أردتُ أن أُقَدِّم به بين يدي شرح هذه العقيدة.

وأقر بتقصيري وضعفي إن كان في هذا الشرح خلل، أو قصور، أو نقص، أو خطأ، فهذا شأن طبيعة العمل البشري، فالكمال عزيز.

والله وحده أسأل أن ينفع بهذا الشرح، وأن يجعله عملًا صالحًا ولوجهه خالصًا وألا يجعل لأحد فيه شركًا.

أمَّا عن سبب تأليف العقيدة الواسطية؛ فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: «**كان سبب كتابتها: أنه قدم عليَّ من أرض واسط بعض قُضاة نواحيها- شيخ يقال له: رضي**

---

(١) أخرجه البخاري «٧٣١١» ومسلم «١٥٦» من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي «٢٦٤١» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال: «هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، قال الحافظ العراقي في «المغني» «٣/ ٢٨٤»: «أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه، ولأبي داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك: «وهي الجماعة»، وأسانيدها جياد، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» «٣٢٢٧».



الدين الواسطي من أصحاب الشافعي -رحمه الله- قدم علينا حاجًا، وكان من أهل الخير والدين، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد وفي دولة التَّتَر من غلبة الجهل، والظلم، ودروس الدين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته، فاستعفيت من ذلك، وقلت: قد كتب الناس عقائد متعددة، فخذ بعض عقائد أئمة السنة، فألحَّ في السؤال، وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت، فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر». [١]

---

(١) «مجموع الفتاوى» «٢/١٦٤».



ترجمة موجزة للإمام ابن تيمية[١]

اسمه ونسبه:

هو: أحمد بنُ عبد الحليم بنِ عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن تيمية، النميري نسبًا، الحرَّاني مولدًا، ثم الدمشقي منشأً، الحنبلي مذهبًا، المكْني بأبي العباس، والملقب بـ «**شيخ الإسلام**»، وتقيِّ الدين، والمعروف بـ «**ابن تيمية**».

مولده ونشأته وطلبه للعلم:

وُلِدَ ابن تيمية رحمه الله بحَرَّان يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ، ونشأ بها، ثم هاجر مع أسرته إلى دمشق عام ٦٦٧ هـ فرارًا من ظلم التتار.

وقد نشأ رحمه الله في أسرة علمٍ ودين وفضل، فآباؤه وأجداده وإخوانه كانوا من العلماء المعروفين.

حفظ القرآن الكريم في صغره، وأخذ العلم عن عددٍ من العلماء، فأتقن التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية وغيرها من العلوم في سِنٍّ مُبَكِّرة، وناظر واستدل وهو دون البلوغ، وأفتى وألَّفَ في سن السابعة عشرة، ودرَّس في الحادية والعشرين من عمره، بعد وفاة والده.

شيوخه:

أخذ ابن تيمية -رحمه الله- عن أكثرَ مِن مائتي شيخ، منهم:

١ - أبو محمد عفيف الدين عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس العلثي ثم البغدادي «**ت: ٦٨٥ هـ**».

٢ - أبو إسحاق تقي الدين إبراهيم بن علي بن أحمد الصالحي الواسطي الحنبلي «**ت: ٦٩٢ هـ**».

٣ - شرف الدين المقدسي أحمد بن كمال الدين أحمد بن نعمة الشافعي «**ت: ٦٩٤ هـ**».

---

(١) من التحفة الندية شرح العقيدة الواسطية للشيخ عبد الرحمن العقل.

٤ – أبو البركات زين الدين المنجا بن عثمان بن أسـعد التنوخي الدمشـقي «**ت:٦٩٥ هـ**».

٥ – أبو عبـد الله شمس الـدين محمـد بن عبـد القوي بن بـدران المقـدسـي، المـداوي «**ت:٦٩٩ هـ**».

٦ – أبو عبـد الله شمس الـدين محمـد بن إسماعيل بن أبي سـعـد الشـيباني الآمـدي «**ت:٧٠٤ هـ**».

تلاميذه:

أخذ عن شيخ الإسلام عددٌ كبير من العلماء، منهم:

١ – أبو عبد الله شـرف الدين محمد بن المنجا بن عثمان بن أسـعد بن المنجا التنوخي، الدمشقي «**ت:٧٢٤ هـ**».

٢ – جمال الدين يوسـف بن عبد المحمود بن عبد السـلام البتي الحنبلي البغدادي، المقرئ الفقيه «**ت:٧٢٦ هـ**».

٣ – يوسـف بن عبد الرحمن بن يوسـف، أبو الحجاج جمال الدين القضـاعي الكلبي المزي «**ت:٧٤٢ هـ**».

٤ – أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الصالحي الحنبلي «**ت:٧٤٤ هـ**».

٥ – أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، الذهبي التركماني، ثم الدمشقي «**ت:٧٤٨ هـ**».

٦ – أبو حفص سـراج الدين عمر بن علي بن موسـى بن خليل البغدادي الأزجي البزار «**ت:٧٤٩ هـ**».

٧ – أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشـقي الحنبلي؛ ابن قيمِ الجَوْزية «**ت:٧٥١ هـ**».

٨ - أبو العباس شـرف الدين أحمد بن حسـن بن عبد الله بن عمر الصـالحي الدمشـقي الحنبلي، المعروف بابن قاضي الجبل «**ت: ٧٧١ هـ**».

٩ - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضـوء بن كثير، البصـري ثم الدمشـقي الشافعي «**ت: ٧٧٤ هـ**».

عقيدته ومذهبه:

شـيخ الإسـلام ابن تيمية-رحمه الله-من أئمة المنهج السـلفي، الذين نشـروا معتقد أهل السـنة والجماعة، ودافعوا عنه، وخيرُ شـاهد على ذلك كتبُه في العقيدة التي تلقَّاها العلماء سلفًا وخلفًا بالقبول.

وأما مذهبه الفقهي فهو ينتسـب إلى مذهب الحنابلة في الجملة، لكنه لم يتعصـب له، بل خالفه في كثير من اختياراته، ويؤكد ذلك قولُه في مجموع الفتاوى[(١)]: «**مع أني في عمري إلى سـاعتي هذه لم أَدْعُ أحدًا قط في أصـول الدين إلى مذهب حنبلي وغير حنبلي، ولا انتصرتُ لذلك، ولا أذكره في كلامي، ولا أذكر إلا ما اتفق عليه سلفُ الأمة وأئمتُها**».

مؤلفاته وآثاره العلمية:

ترك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ثروة علمية كبيرة قيمة، ضَمَّنَهَا مؤلفاتِه وآثارَه، منها ما وصـل إلينا ومنها ما لم يصـل، ولكن المصـادر التي ترجمت له، والعلماء الذين نقلوا عنه في كتبهم احتفظوا لنا بأسماء بعضها، وفيما يلي ذكر لأهمها وأشهرها:

١» الإخنائية، أو الرد على الإخنائي.

٢» الاستقامة.

٣» إقامة الدليل على إبطال التحليل.

٤» اقتضاءُ الصراط المستقيم مخالفةَ أصحاب الجحيم.

٥» الإيمان.

٦» بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية.

٧» بيان تلبيس الجهمية.

٨» التحفة العراقية.

٩» التدمرية.

---

(١) «٣/ ٢٢٩»

١٠» التسعينية.

١١» الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

١٢» الحسبة في الإسلام.

١٣» درء تعارض العقل والنقل.

١٤» الرد على المنطقيين.

١٥» الرسالة العرشية.

١٦» رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

١٧» شرح العقيدة الأصفهانية.

١٨» شرح حديث النزول.

١٩» شرح عمدة الفقه.

٢٠» الصارم المسلول على شاتم الرسول.

٢١» الصفدية.

٢٢» العبودية.

٢٣» العقيدة الواسطية.

٢٤» الفتاوى الكبرى.

٢٥» الفتاوى المصرية.

٢٦» الفتوى الحموية الكبرى.

٢٧» الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

٢٨» قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة.

٢٩» القواعد النورانية الفقهية.

٣٠» مجموع الفتاوى.

٣١» منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية.

٣٢» النبوات.

٣٣» نقد مراتب الإجماع.

٣٤» نقض المنطق.

٣٥» الواسطة بين الحق والخلق.

مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:

لشـيخ الإسـلام ابن تيمية –رحمه الله– مكانة عظيمة عند الناس؛ ولهذا لهِج العلماء –قديمًا وحديثًا– بالثناء عليه، وفيما يلي ذكر لبعض أقوالهم:

قال ابن دقيق العيد «ت: ٧٠٢ هـ»: **«لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلًا العلومُ كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد»**[١].

وقال المزّي «ت: ٧٤٢ هـ»: **«ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثلَ نفسه، وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبعَ لهما منه»**[٢].

وقال الذهبي «ت: ٧٤٨ هـ»: **«ما رأيت أحدًا أسـرعَ انتزاعًا للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشدَّ استحضارًا لمتون الأحاديث وعزوِها إلى الصحيح أو المسند أو إلى السنن منه، كأن الكتاب والسنن نصب عينيه وعلى طرف لسانه، بعبارة رشيقة، وعين مفتوحة، وإفحام للمخالف»**[٣].

وقال ابن كثير «ت: ٧٧٤ هـ»: **«قلَّ أن سمع شيئًا إلا حفظه ... وما قُطِع في مجلس، ولا تكلم معه فاضـلٌ في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فنه، ورآه عارفًا به متقنًا له»**[٤]

وقال أبو البقاء السبكي «ت: ٨٤٢ هـ»: **«ما يبغض ابنَ تيمية إلا جاهل أو صاحب**

---

(١) الرد الوافر ص «٥٩».

(٢) العقود الدرية ص «٢٣».

(٣) ذيل تاريخ الإسلام للذهبي ص «٢١ – ٢٣».

(٤) البداية والنهاية «١٤/ ١٥٧».

هوى»[(١)].

محنته:

لقد نال شيخَ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– صنوفٌ من الأذى، وأنواعٌ من المحن كغيره من المصلحين الذين أوذوا في ذات الله من العلماء والأئمة، وقبلهم الأنبياء والرسل، وهذه سنة جارية.

فمنزلة شيخ الإسلام العالية، وشهرته الكبيرة؛ دفعت خصومه والناقمين عليه إلى إلصاق التهم به، وتأليب الحكام عليه، حسدًا من عند أنفسهم؛ فكانت النتيجة سجنه –رحمه الله– سبع مرَّات، كانت الأخيرة منها بقلعة دمشق لمدة عامين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يومًا؛ بسبب فتوى له في مسألة شد الرحال إلى قبر النبي – ﷺ – زاعمين أنه ينتقص جناب الأنبياء والأولياء، وحاشاه من ذلك.

وفاته:

توفي شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– ليلة الاثنين ٢٠ من ذي القعدة سنة «**٧٢٨ هـ**» بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوسًا بها[(٢)].

---

(١) الرد الوافر ص «٢٤».

(٢) ينظر: العقود الدرية ص «٣٨٥»، وتاريخ الإسلام «٤٩/ ٩٢»، وسير أعلام النبلاء «٢٢/ ٢٨٩»، وتاريخ ابن الوردي «٢/ ٢٧٥»، والأعلام العلية ص «١٦ – ٢٩»، والبداية والنهاية «١٤/ ١٥٦»، والرد الوافر ص «٥٩»، والبدر الطالع «١/ ٦٣»، والجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون ص «٥ – ٧٤٥».

محتويات الرسالة

٣٤) إثبات صفة العزة لله

٣٥) نفي السمي والند لله

٣٦) إثبات استواء الله على عرشه

٣٧) السُّنة مفسرة للقرآن

٣٨) إثبات صفة النزول لله تعالى

٣٩) إثبات الفرح لله

٤٠) إثبات العَجب والضحك لله

٤١) إثبات القدم لله عز وجل

٤٢) إثبات الصوت لله

٤٣) إثبات صفة المعية

٤٤) رؤية الله

٤٥) وسطية أهل السنة بين الفِرق في باب الصفات

٤٦) وسطية أهل السُّنة بين الفِرق في أفعال الله

٤٧) وسطية أهل السُّنة بين الفِرق في باب الوعيد

٤٨) وسطية أهل السُّنة بين الفِرق في أسماء الإيمان والدين.

٤٩) وسطية أهل السُّنة بين الفِرق في الصحابة رضي الله عنهم

٥٠) إثبات علو الله وأنه على عرشه

٥١) لا يلزم من معيته سبحانه اختلاطه بخلقه

٥٢) إثبات صفة القرب

٥٣) القرآن كلام الله

٥٤) الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

٥٥) تعلق الروح بالجسد

٥٦) القيامة

٥٧) حال الناس في يوم القيامة

٥٨) الميزان

٥٩) نشر الدواوين

٦٠) الحساب

٦١) الحوض

٦٢) الصراط

٦٣) القصاص بين المؤمنين قبل دخول الجنة

٦٤) الشفاعة

٦٥) كفاية الوحيين في تفاصيل اليوم الآخر.

٦٦) الإيمان بالقدر



١-شهادة أن لا إله إلا الله

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: معنى الإقرار.

المسألة الثانية: بيان معنى كلمة «**إله**» في اللغة.

المسألة الثالثة: معنى الإله في الشرع.

المسألة الرابعة: معنى لا إله إلا الله.

المسألة الخامسة: العمل بمقتضاها.

المسألة السادسة: أركان لا إله إلا الله.

المسألة السابعة: شروط لا إله إلا الله.

المسألة الثامنة: متي ينفع الإنسان قول لا إله إلا الله.

المسألة التاسعة: بما يتحقق توحيد الله.

[١] قال المصنف رحمه الله: «**الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليُظهره على الدين كُله، وكفى بالله شهيدًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ إقرارًا به وتوحيدًا**».

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: معنى الإقرار:

قال ابن تيمية –رحمه الله–: الإقرار: متضمن لمعنيين هما: قول القلب الذي هو التصديق. وعمل القلب الذي هو الانقياد(١)

وأما المقصود من قول القلب: فهو إقراره ومعرفته وتصديقه.

وأما عمله: فهو انقياده لما صدق به.

فإذا جئت إلى قول القلب فهذا هو العلم الذي هو التصديق فعليه أن يعلم ما أخبر الله به ورسوله ويصدق به، هذا الواجب الأول على القلب، والقلب هو الباطن، والباطن مجموع الأمرين وهذه هي العقيدة.

والجانب الثاني: هو انقياد القلب، فهذه الإرادة لا بد أن تنقاد لما أخبر وأمر به الله ورسوله، ولذلك يأتي عمل القلب، والقلب أعماله كثيرة، منها مثلاً الإخلاص، والمحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والخشية، والتقوى.

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر التقوى: قال: «**التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، وأشار بيده على صدره**».(٢)، فهذه أعمال القلوب، وهي التي تنطلق إلى سائر الجوارح.

(١) مجموع الفتاوى «٧/ ٦٣٨-٦٣٩».

(٢) انظر صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم «٢٥٦٥»، وأحمد «٧٦٧٠».

المسألة الثانية: بيان معنى كلمة «**إله**» في اللغة:

أ-أصل الكلمة:

قال ابن فارس: الهمزة واللام والهاء أصل واحد وهو التعبد فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل إذا تعبد.[١]

ب-تصريفها:

قال الفيروزأبادي: أله يأله ألهة وتالها كعبد يعبد عبادة وتعبدا.[٢]

ج-معناها:

فقد ذكرت له عدة معان:

أولًا: الإله فعال بمعنى مألوه، أي: معبود، كإمام بمعنى مؤتم به، وأله إلهة: عبد عبادة، والتأليه: التعبيد، والآلهة: المعبودون من الأصنام وغيرها، والتأله: التعبد والتنسك.[٣]

فالإله: هو المعبود وهو الله سبحانه، وهو على وزن فعال بمعنى مفعول، مثل كتاب معنى مكتوب وبساط بمعنى مبسوط، فالإله إذن على معنى ما روي عن ابن عباس: "هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق، والله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين".[٤]

ثانيًا: الإله مأخوذ من أله: إذا تحير، وأصله وله يوله ولها، على وزن تعب يتعب تعبا، فإن الإله هو الله سبحانه تتحير الألباب والفكر في حقائق صفاته ومعرفته، وعلى هذا، فأصل كلمة

---

(١) معجم مقاييس اللغة «١/ ١٢٧».

(٢) بصائر ذوي التمييز «٢/ ١٤».

(٣) تهذيب اللغة: «١/ ٤٢٢،٤٢٤»، معجم مقاييس اللغة «١/ ١٢٧»، مجمل اللغة: «١/ ١٠١»، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية «٦/ ٢٢٢٣،٢٢٢٤»، المفردات «٢١-٢٢»، أساس البلاغة «٩»، لسان العرب: «١/ ١٨٨،١٩١»، القاموس: «٤-٢٨٢»، وتاج العروس «٩/ ٣٧٤-٣٨٥».

(٤) الطبري في تفسيره «١/ ٥٤».

إله: ولاه، وأن الهمزة مبدلة من واو.[١] وقد أنكر بعض أصحاب المعاجم هذا المعنى.[٢]

ثالثًا: أن الإله مأخوذ من أله إلى كذا: أي لجأ إليه، فروي عن الضحاك أنه قال: إنما سمي الله إلها؛ لأن الخلق يتضرعون إليه في حوائجهم ويتضرعون إليه عند شدائدهم[٣] فيكون المعنى: هو من يفزع إليه في النوائب لأنه المجير لجميع الخلائق من كل المضار.

رابعًا: أن الإله مشتق من «**لاه يليه ويلوه لياها**» إذا احتجب[٤]، فلفظ الجلالة يتضمن معنى الاحتجاب كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. [الأنعام: الآية: ١٠٣].

خامسًا: أنه مشتق من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه، فالقلوب لا تسكن إلا بذكره، فمن خاف الله تقرب إليه فيحصل له الاطمئنان والسكون.[٥]

سادسًا: أنه مشتق من أله الرجل إلى الرجل إذا اتجه إليه لشدة شوقه إليه، ومنه: "أله الفصيل بأمه إذا أولع بأمه، وعلى هذا معناه: أن العباد يتوجهون إليه وحده".

والمعنى: "أن العباد مألوهون: أي مولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال".[٦]

سابعًا: أنه مشتق من الارتفاع، فكانت العرب تقول لكل شيء مرتفع: الاها، وإذا طلعت الشمس تقول: لاهت، وعلى هذا يتضمن لفظ الجلالة معنى العلو والارتفاع.

فهذه كما ترى معاني اشتقاقات هذا اللفظ، وليس في شيء منها أن معناه القادر على الاختراع أو أنه الصانع المالك.

---

(١) لسان العرب: «١/ ١٨٨،١٩١»، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي «١/ ١٠٣»، وتفسير ابن كثير «١/ ١٩».

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: «١/ ١٢٧».

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي «١/ ١٠٣»، وتفسير ابن كثير «١/ ١٩».

(٤) تفسير ابن كثير «١/ ١٩».

(٥) انظر ما ذكره ابن كثير في التفسير «١/ ١٩».

(٦) انظر ما ذكره ابن كثير في التفسير «١/ ١٩».

وقد رجح جماعة من العلماء القول الأول، وأن لفظ الجلالة «**الله**» مشتق من أله يأله: إذا عبد، فهو إله بمعنى مألوه أي معبود، وكل الاشتقاقات والمعاني الأخرى تدخل تحت هذا المعنى الأول، فهو متضمن لها، وسأذكر فيما يأتي من قال بهذا من أئمة اللغة:

قال الراغب الأصفهاني: و«**إله**» جعلوه اسما لكل معبود لهم.(١)

قال ابن منظور: الإله «**الله**»-عز وجل-، وكل ما اتخذ من دون الله معبودا «**إله**» عند متخذه، والجمع «**آلهة**».(٢)

وقال المجد الفيروزآبادي: «**إله**» كفعال، بمعنى مألوه، وكل ما اتخذ معبودا «**إله**» عند متخذه.(٣)

وقال الزبيدي: فإذا قيل: «**الإله**» أطلق على الله سبحانه، وعلى ما يعبد من الأصنام، وإذا قلت: «**الله**» لم يطلق إلا عليه سبحانه وتعالى".(٤)

المسألة الثالثة: معنى الإله في الشرع.

الإله في القرآن وفي فهم السلف والمفسرين:

أ.الإله في القرآن:

الألوهية والإله في لغة القرآن وما حكى الله-سبحانه وتعالى-عن مشركي العرب لم يختلف عن معناها الذي ذكرناه عن معاجم اللغة. فالإله يطلق على كل معبود حقًا كان أم باطلًا، والأدلة عليها كثيرة، منها:

١- أن الله سبحانه وتعالى سمى معبودات المشركين «**آلهة**» وأبطل كونها آلهة حقا؛ قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا

---

(١) المفردات «٢١».

(٢) لسان العرب «١/ ١٨٨- ١٩١».

(٣) القاموس المحيط «١٦٠٣».

(٤) تاج العروس: «٩/ ٣٧٥».



وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾. [الفرقان: الآية: ٣].

وهكذا كان مشركو العرب يسمون معبوداتهم «**آلهة**» مع اعتقادهم أنها ليست خالقة لهذا الكون ولا مالكة؛ كما حكى عنهم:

﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾. [ص: الآية: ٥]

وقال عنهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَ﴾. [الفرقان: الآية: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: الآية: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: الآية ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: الآية: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾. [طه: الآية: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾. [الأعراف: الآية: ١٣٨].

فأنت ترى في هذه الآيات أن المشركين سموا معبوداتهم «**آلهة**» مع أن المشركين لم يعتقدوا فيها أنها خالقة لهذا الكون وأرباب للعالم؛ قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: الآية: ٦١].

وهكذا ترى اللغة القرآنية لكلمة «**الإله**» تتفق مع معاني أهل اللغة لهذه الكلمة، كما أن هذا ما كان عليه فهم السلف والمفسرين.

ب. الإله في فهم السلف والمفسرين:

قال ابن عباس: "الله: ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين، ومنه قوله في ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٢٧]، يذرك وإلاهتك، أي عبادتك".[١] وهو قول مجاهد أيضا.[٢]

---

(١) الطبري، ابن جرير: جامع البيان «١/ ٤١».

(٢) جامع البيان «١/ ٤١».

قال الطبري: "ولا شك أن الإلهة على ما فسره ابن عباس ومجاهد مصدر من قول القائل: أله الله فلان إلهة: كما يقال: عبد الله فلانٌ عبادة وعبر الرؤيا عبارة، فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا: أن أله عبد وأن الإلاهة مصدره".(١)

وقال أيضا: "فالإله: هو المعبود وهو الله سبحانه، وهو على وزن فعال بمعنى مفعول مثل كتاب بمعنى مكتوب وبساط بمعنى مبسوط، فالإله إذن على معنى ما روي عن ابن عباس: هو الذي يأله كل شيء ويعبده كل خلق".(٢)

قال الزجاجي: "«**إله**» فعال بمعنى مفعول، كأنه مألوه، أي معبود مستحق للعبادة يعبده الخلق ويولهونه".(٣)

وقال الزمخشري: "«**الإله**» من أسماء الأجناس، كالرجل والفرس، يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم على المعبود بحق".(٤)

قال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره: لا إله إلا الله: "معناه: لا معبود إلا الله".(٥)

والصحيح: لا معبود بحق إلا الله، ومعنى ذلك أن كل المعبودات إنما عبدت بغير الحق، قال جل وعلا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: الآية: ٣٠].

فهذه بعض أقوال المفسرين في معنى الإله.

وقال ابن تيمية: "فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع

(١) جامع البيان «١/ ٤٢».
(٢) جامع البيان «١/ ٤٢».
(٣) اشتقاق أسماء الله الحسنى «٢٤».
(٤) الزمخشري: الكشاف: «١/ ٦».
(٥) الجامع لأحكام القرآن «١/ ١٧٥»، والصحيح: لا معبود بحق إلا هو.



له غاية الخضوع". [(١)]

وقال ابن القيم: "الإله: هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالًا وإنابة وإكرامًا وتعظيمًا وذلًا وخضوعًا وخوفًا ورجاءً وتوكلًا". [(٢)]

وقال ابن رجب: "الإله: هو الذي يطاع فلا يعصي، هيبة له وإجلالا، ومحبة وخوفا ورجاء، وتوكلا عليه، وسؤالا منه ودعاء له، ولا يصلح هذا كله إلا الله عز وجل". [(٣)]

وقال البقاعي: "لا إله إلا الله: أي انتفاء عظيمًا أن يكون معبود بحق غير الملك العظيم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهل صرف". [(٤)]

وقال الطيبي: "الإله: فعال بمعنى مفعول، كالكتاب بمعنى المكتوب، من أنه إلهة: أي عبد عبادة". [(٥)]

قال الشوكاني: "لفظ «**إله**» إنما هو لبيان استحقاق الله للألوهية التي هي حقيقة العبودية، ولهذا جاء في كتاب الله ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٤]، أي: مألوه معبود فيها، قال قتادة: يعبد في السماء والأرض". [(٦)]

بهذا يتضح لنا أن لفظة «**إله**» مأخوذة من التأله وهو التعبد ومعناه المعبود المطاع سواء كان بحق أو بغير حق، فكل ما عبد بأي نوع من أنواع العبادات ولو كان المعبود جمادًا فهو إله عند عابده كما قال تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ

---

(١) مجموع الفتاوى «١٠/ ٢٩».

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين «٣/ ٤٩٠».

(٣) تحقيق كلمة الإخلاص «٢٣، ٢٤».

(٤) فتح المجيد «١/ ٥٣٣».

(٥) انظر ما نقله عنه الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد «١/ ٥٣٣».

(٦) فتح القدير «٤/ ٥٩٧».

أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: الآية: ١٠١].

ولكن هذا اللفظ غلب على المعبود بحق وهو الله سبحانه وتعالى يقول الزمخشري: "والإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق...".[(١)]

وأما لفظ الجلالة «**الله**» فلا يطلق إلا على المعبود بحق وهو الله سبحانه وتعالى، فهو مختص به عز وجل ولا يطلق على غيره.[(٢)]

الرد على من فسر الإله بالقادر على الاختراع:

المتكلمون ومن سار على نهجهم يفسرون الإله بأنه الخالق والقادر على الاختراع، أو شبه ذلك من معاني الربوبية فجعلوا الألوهية بمعنى الربوبية.

وقد عَرَّف كثير من الأشعرية كلمة «**إله**» بأنه القادر على الاختراع، فمن ذلك ما نسبه البغدادي إلى أبي الحسن الأشعري فقال: "واختلف أصحابنا في معنى الإله: فمنهم من قال إنه مشتق من الألهية، وهي: قدرته على اختراع الأعيان، وهو اختيار أبي الحسن الأشعري" [(٣)]، ثم اختار البغدادي القول بأنه غير مشتق!

وقد حكى الرازي هذا القول ذاكرًا دليله دون أن يسمي قائله، فقال في صدد حكاية مذاهب الناس في أصل اشتقاق اسم الله تعالى «**الله**» قال: "القول السابع: الإله من له الإلهية، وهي القدرة على الاختراع، والدليل عليه أن فرعون لما قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: الآية: ٢٣]، قال موسى في الجواب: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشعراء: الآية: ٢٤] فذكر في الجواب عن السؤال الطالب لماهية الإله: القدرة على الاختراع، ولولا أن حقيقة الإلهية هي

---

(١) الكشاف «١/ ٣٦».

(٢) انظر: لسان العرب «١٣/ ٤٦٩».

(٣) «أصول الدين للبغدادي» «ص: ١٢٣».

القدرة على الاختراع لم يكن هذا الجواب مطابقًا لذلك السؤال".[١]

وهذا التفسير لا شك أنه تفسير خاطئ مخالف للغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، هذا القول غير معروف عند أهل اللغة، ولذلك لم يحتج من قال بهذا القول بشاهد من شواهد لغة العرب ولا بنقل إمام معتبر من أئمة اللغة ، كما أنه يؤدي إلى إغفال حقيقة التوحيد الذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وخلق الله الخلق ألا وهو توحيد العبادة الذي ضل فيه كثير من الناس خصوصًا في هذا العصر.

ليس المراد «**بالإله**» هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع دون غيره وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا هو.[٢]

ولو كان هذا معنى لا إله إلا الله؛ لما أنكرت قريش على النبي–صلى الله عليه وسلم–دعوته ولآمنت به وصدقت؛ لأن قريشًا تقول: لا خالق إلا الله، ولا خالق أبلغ من كلمة لا قادر، لأن القادر قد يفعل وقد لا يفعل، أما الخالق؛ فقد فعل وحقق بقدرة منه، فصار فهم المشركين خيرًا من فهم هؤلاء المتكلمين، والمنتسبين للإسلام.

قال ابن تيمية–رحمه الله–: "فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية، وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه؛ لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: الآية: ١٠٦]، قال طائفة من السلف: تسألهم من خلق السماوات والأرض؟

---

(١) «شرح أسماء الله الحسنى للرازي» «ص ١٢٤».

(٢) الرسالة التدمرية – مجمل اعتقاد السلف لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية – ص ١٠٨.

فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره".[١]

قال ابن تيمية-رحمه الله-: "وليس المراد "بالإله" هو القادر على الاختراع، كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أنه لا إله إلا هو، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه. بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد فهو إله بمعنى مألوه، لا إله بمعنى آله. والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له، والإشراك أن يجعل مع الله إلها آخر".[٢]

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله تعالى-بعد أن ذكر أن معنى الإله هو المعبود المطاع: "وهذا كثير جدًا في كلام العلماء، وهو إجماع منهم أن الإله هو المعبود خلافا لما يعتقده عباد القبور وأشباههم في معنى الإله أنه الخالق أو القادر على الاختراع أو نحو هذه العبارات، ويظنون أنهم إذا قالوها بهذا المعنى، فقد أتوا من التوحيد بالغاية القصوى، ولو فعلوا ما فعلوا من عبادة غير الله... وما شعروا أن إخوانهم من كفار العرب يشاركونهم في هذا الإقرار، ويعرفون أن الله هو الخالق القادر على الاختراع، ويعبدونه بأنواع من العبادات...فإن قيل: فما الجواب عن قول من قال: بأن معنى الإله القادر على الاختراع ونحو هذه العبارة؟ قيل الجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة، وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا كما تقدم فيكون هذا القول باطلا.

الثاني: على تقدير تسليمه، فهو تفسير باللازم للإله الحق، فإن اللازم له أن يكون خالقا قادرا على الاختراع، ومتى لم يكن كذلك، فليس بإله حتى وإن سمي إلها، وليس مراده أن من عرف أن الإله هو القادر على الاختراع فقد دخل في الإسلام وأتى بتحقيق المرام من مفتاح

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٣٣٧٧-٣٧٨.

(٢) شرح التدمرية «٢/ ١١٣٧».

دار السلام، فإن هذا لا يقوله أحد، لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين، ولو قدر أن بعض المتأخرين أراد ذلك فهو مخطئ يرد عليه بالدلائل السمعية والعقلية".[١].[٢]

المسألة الرابعة: معنى لا إله إلا الله.

«**لا إله إلا الله**» تعني إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وحده لا شريك له، والبراءة من كل معبود سواه، فهي كلمة الإخلاص وعنوان التوحيد ولا يتم إيمان أي عبد بدون تحقيق معناها والعمل بمدلولها.

فهي تعني الإيمان بالقلب والإقرار باللسان أنه لا معبود بحق إلا الله تعالى؛ فلا يستحق العبادة أحدٌ غير الله تعالى؛ فإنه وإن كانت هناك معبودات تعبد من دون الله تعالى إلا أنها معبودات باطلة؛ وأما المعبود بحق فهو الله تعالى وحده؛ كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: الآية: ٦٢].

قال ابن تيميه «**ت: ٧٢٨ هـ**»-رحمه الله-: "تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، أن ينفي عن قلبه ألوهية ما سوى الله، ويثبت في قلبه ألوهية الله، فيكون نافياً لألوهية كل شيء من المخلوقات مثبتا لألوهية رب العالمين رب الأرض والسماوات؛ وذلك يتضمن اجتماع القلب على الله وعلى مفارقة ما سواه".[٣]

قال ابن حجر الهيتمي-رحمه الله-«**ت: ٩٧٤ هـ**»: "لا إله إلا الله... معناها: لا معبود بحق إلا ذلك الواحد الحق".[٤]

قال الصنعاني-رحمه الله-«**ت: ١١٨٢ هـ**»: "إن رسل الله وأنبياءه من أولهم إلى آخرهم بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة... وهذا الذي تضمنه قول: «**لا إله إلا الله**»

---

(١) تيسير العزيز الحميد «ص ٧٦ - ٨١».

(٢) المصدر: كتاب ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف «ص: ٣٠٢-٣٠٧»، بتصرف.

(٣) مجموع الفتاوى «١٠/ ٢٥٥».

(٤) انظر: الإيعاب «١/ ٦».

فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة، واعتقاد معناها، لا مجرد قولها باللسان.

ومعناها: هو إفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه.

وهذا الأصل لا مرية فيما تضمنه، ولا شك فيه، وفي أنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه ويحققه". [(١)]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله- «**ت: ١٢٠٦ هـ**»: "فإن هذه الكلمة "لا إله إلا الله" نفي وإثبات؛ نفي الإلهية عما سوى الله-سبحانه وتعالى-من المخلوقات، حتى من المرسلين البشر وخاتمهم محمد-صلى الله عليه وسلم-، وحتى من الملائكة وجبريل-عليهم وعلى جميع المرسلين الصلاة والسلام-، فضلا عن غيرهم من الأنبياء والصالحين وسائر المخلوقات؛ وإثباتها بجميع أنواعها كلها لله عز وجل وحده لا شريك له". [(٢)]

قال الشيخ صالح الفوزان: "معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا إله واحد وهو الله وحده لا شريك له، لأنه المستحق للعبادة فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله من سائر المعبودات ليس بإله حق وأنه باطل، لأنه لا يستحق العبادة.

ولهذا كثيرًا ما يرد الأمر بعبادة الله مقرونًا ينفي عبادة ما سواه، لأن عبادة الله لا تصح مع إشراك غيره معه قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: الآية: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: الآية: ٣٦].

وقال-صلى الله عليه وسلم-: «**ومن قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم**

(١) تطهير الاعتقاد «ص: ٥-٦».

(٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول-العقيدة: تفسير كلمة التوحيد- «ص: ٣٦٣-٣٦٤».

دمه وماله».[(١)]

وكل رسول يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: الآية: ٨٤].

إلى غير ذلك من الأدلة".[(٢)]

المسألة الخامسة: العمل بمقتضاها:

من قال هذه الكلمة عارفًا لمعناها عاملًا بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا من نفى الشرك وإثبات العبادة لله مع الإعتقاد الجازم لما تضمنته والعمل به فهو المسلم حقًا، ومن قالها وعمل بها وبمقتضاها ظاهرًا من غير اعتقاد لما دلت عليه فهو منافق، ومن قالها بلسانه وعمل بخلافها من الشرك المنافي لها فهو المشرك المتناقض فلابد مع النطق بهذه الكلمة من معرفة معناها، لأن ذلك وسيلة للعمل بمقتضاها قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٦].

والعمل بمقتضاها: هو عبادة الله والكفر بعبادة ما سواه وهو الغاية المقصود من هذه الكلمة؛ ومن مقتضى لا إله إلا الله قبول تشريع الله في العبادات والمعاملات والتحليل والتحريم، ورفض تشريع من سواه قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: الآية: ٢١].

فلابد من قبول تشريع الله في العبادات والمعاملات والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه في الأحوال الشخصية وغيرها رفض القوانين الوضيعة، ومعنى ذلك رفض جميع البدع والخرافات التي يبتدعها ويروجها شياطين الإنس والجن في العبادات ومن تقبل شيئًا من ذلك فهو مشرك كما قال في هذه الآية: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: الآية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: الآية: ١٢١].

---

(١) أخرجه مسلم «٢٣».

(٢) معنى لا اله إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع «ص: ٢٠-٢١».

وقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: الآية: ٣١].

وفي الحديث الصحيح أن النبي–صلى الله عليه وسلم–: تلى هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي–رضي الله عنه–فقال: "يا رسول الله لسنا نعبدهم"، قال: «**أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه**»، قال: "بلى"، قال النبي–صلى الله عليه وسلم–: «**فتلك عبادتهم**».[١]

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن–رحمه الله–: "فصارت طاعتهم في المعصية عبادة لغير الله وبها اتخذوهم أربابًا المنافي للتوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله... فتبين أن كلمة الإخلاص نفت هذا كله لمنافاته لمدلول هذه الكلمة"[٢] [٣].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في معنى قوله–عليه السلام–: "من شهد أنه لا إله إلا الله": "أي: من تكلم بهذه الكلمة عارفًا لمعناها، عاملًا بمقتضاها، باطنًا وظاهرًا كما دل عليه قوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: الآية: ١٩]، وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٦]، أما النطق بها من غير معرفة لمعناها، ولا عمل بمقتضاها فإن ذلك غير نافع بالإجماع، وفي الحديث ما يدل على هذا وهو قوله: «**من شهد**»؛ إذ كيف يشهد وهو لا يعلم[٤]، ومجرد النطق بشيء لا يسمى شهادة به".[٥]

قال الشـــيخ عبد اللطيف آل الشـــيخ: "وكل من عقل عن الله يعلم علمًا ضـــروريًا: أن المقصـود من الشـهادتين ما دلتا عليه من الحقيقة والمعنى، وما اشـتملتا عليه من العلم والعمل،

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» «١٧/ ٩٢»، واللفظ له، والترمذي «٣٠٩٥»، والبيهقي في «الكبرى» «٢٠٣٥٠» باختلاف يسير.

(٢) فتح المجيد «ص: ١٠٧».

(٣) معنى لا إله إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع «ص: ٢٤–٢٧».

(٤) روى الإمام الخلال في كتاب السنة: عن أبي بكر بن حماد المقري أنه سأل أبا عبد الله في هذه المسألة –أي: الشهادة للعشرة بالجنة– قال: تفرق بين العلم وبين الشهادة؟ قال: لا؛ إذا قلت أعلم فأنا أشهد، قال الله: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٦]، وقال: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يوسف: الآية: ٨١] إسناده صحيح. [السنة للخلال «٢/ ٣٥٦»، رقم «٤٧٨»].

(٥) تيسير العزيز الحميد «ص: ٥٦».

وأما مجرد اللفظ من غير علم بمعناها، ولا اعتقاد لحقيقتهما فهذا لا يفيد العبد شـــيئًا، ولا يخلصه من شعب الشرك وفروعه...

فالإيمان بمعناها، والانقياد له لا يتصور ولا يتحقق إلا بعد العلم، والحكم على الشيء فرع عن تصوره؛ فإذا لم يعلم، ولم يتصور فهو كالهاذي، وكالنائم، وأمثالهما ممن لا يعقل ما يقول، بل لو حصل له العلم، وفاته الصدق لم يكن شاهدا، بل هو كاذب، وإن أتى بهما صورة".(١)

المسألة السادسة: أركان لا إله إلا الله:

لها ركنان:

الركن الأول: النفي: أي: نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى؛ بقولك: «**لا إله**».

الركن الثاني: الإثبات: أي: إثبات الإلهية لله وحده؛ بقولك: «**إلا الله**».

"لا إله إلا الله" لها نوعان من الأركان؛ نوع لفظي، ونوع معنوي.

أما النوع اللفظي: وهو ما تضمنه لفظ الشهادة "لا إله إلا الله": فركناه نفي وإثبات؛ "لا إله": نفي، "وإلا الله": إثبات.

وأما النوع المعنوي، وهو ما تضمنه معنى الشهادة "لا معبود بحق إلا الله": فركناه نفي وإثبات أيضا؛ فـ "لا معبود بحق": نفي، و"إلا الله": إثبات.

والنفي: مصدر نفيت الشيء أنفيه نفيا، وأصله من الفعل الثلاثي «**نفى**»، فالنون والفاء والحرف المعتل: أصيل يدل على تعرية شيء من شيء وإبعاده منه، تقول: نفيت الشيء أنفيه نفيا ونفاية: إذا رددته، وأزلته، وجحدته.(٢)

وأما الإثبات: فهو ضد النفي، وهو مصدر للفعل الرباعي «**أثبت**» وأصله «**ثبت**» صحيح سالم، قال أهل اللغة: الثاء والباء والتاء كلمة واحدة، وهي دوام الشيء، وثبت الشيء يثبت

---

(١) مصباح الظلام للشيخ عبد اللطيف آل الشيخ «ص: ١٦١».

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة «٥/ ٤٥٦»، والمحكم والمحيط الأعظم «١٠/ ٤٩٥»، والأفعال «٣/ ٢٨١»، وجمهرة اللغة «٢/ ٩٧٢»، وتهذيب اللغة «١٥/ ٣٤١»، وتاج العروس «٤٠/ ١١٧»، ولسان العرب «١٥/ ٣٣٧».

ثبوتا دام واستقر فهو ثابت، وثبت الأمر صح، ويتعدى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أثبته وثبته والاسم الثبات.[١]

وقال المناوي في معناه: "الإثبات: ضد الإزالة؛ ثم تارة يقال بالفعل، فيقال لما يخرج من العدم نحو: أثبت الله كذا، وتارة لما ثبت بالحكم، فيقال: أثبت الحاكم كذا، وتارة لما يكون بالقول؛ سواء كان صدقا أم كذبا، فيقال: أثبت التوحيد، وصدق النبوة، وفلان أثبت مع الله إلها آخر".[٢]

فشهادة أن لا إله إلا الله اشتمالت على معنيين عظيمين، بل على أصلين كبيرين لا تقوم الشهادة إلا عليهما؛ وهما النفي والإثبات؛ فالنفي في شقها الأول: «**لا إله**»، والإثبات في الشق الثاني: «**إلا الله**»، والمقصود بالنفي: نفي جميع الآلهة المعبودة من دون الله تعالى، ونفيها يستلزم إبطالها، والكفر بها، وبغضها، وإزالتها عند القدرة، وبيان ضعفها وحقارتها، وأنها لا تستحق مثقال ذرة من العبادة ولا أدنى من ذلك.

قال ابن القيم-رحمه الله-: "طريقة القرآن في مثل هذا أن يقرن النفي بالإثبات، فينفي عبادة ما سوى الله، ويثبت عبادته، وهذا هو حقيقة التوحيد، والنفي المحض ليس بتوحيد".[٣]

والمقصود بالإثبات هو إثبات الألوهية لله تعالى وحده دون ما سواه، ثم إفراده عز وجل بأنواع العبادة.

يقول الصنعاني: "قوله: «**لا إله إلا الله**» للتوحيد؛ أي: وضع لإفادته، ومعناه: النفي والإثبات، فلو كان تكلما بالباقي لكان نفيا لغيره؛ أي: نفيا لما سوى الله تعالى؛ لأنه هو الباقي

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة «١/ ٣٩٩»، وتهذيب اللغة «١٤/ ١٩٠»، وتاج العروس «٤/ ٤٧٢»، والمصباح المنير «١/ ٨٠»، والمعجم الوسيط «١/ ٩٣»، ومعجم تصريف الأفعال العربية للدحداح «ص: ٢٧٤»، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف «ص: ٢٧».

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي «ص: ٣٣».

(٣) إجابة السائل شرح بغية الأمل «ص: ٢٦٥».



بعد الاستثناء؛ لإثباته للألوهية لله، فيصح من كونها كلمة التوحيد بالإجماع". [(١)]

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن: "والمقصود أن نفي الأوثان الذي دلت عليه كلمة الإخلاص يحصل بتركها، والرغبة عنها، والبراءة منها، والكفر بها وبمن يعبدها، واعتزالها واعتزال عابديها، وبغضها وعداوتها، وكل هذا في القرآن مبينا، وقد انتفت عبادة كل ما عبد من دون الله مما هو موجود في الخارج مما يعبده المشركون سلفا وخلفا بهذه الكلمة كما تقدم". [(٢)]

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: "لأن «**لا إله إلا الله**»: نفي وإثبات؛ فمعنى النفي منها هو البراءة من جميع المعبودات غير الله في جميع أنواع العبادات، وهذا المعنى جاء موضحا في قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٢٦]، ومعنى الإثبات منها: هو إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله، وهذا المعنى جاء موضحا في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: الآية: ٢٧]". [(٣)]

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: "فقولك: «**لا إله إلا الله**»: فـ «**لا**»: نافية للجنس، و «**الإله**» هو: المألوه بالعبادة، وهو الذي تألهه القلوب، وتقصده رغبة إليه في حصول نفع، أو دفع ضر، كحال من عبد الأموات، والغائبين، والأصنام، فكل معبود مألوه بالعبادة، والخبر المرفوع محذوف تقديره: حق، وقوله: «**إلا الله**»: استثناء من الخبر المرفوع، فالله سبحانه هو الحق، وعبادته وحده هي الحق، وعبادة غيره منتفية بلا في هذه الكلمة.

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان: الآية:٣٠]، فإلهية ما سواه باطلة، فدلت الآية على أن صرف الدعاء الذي هو مخ العبادة عنه لغيره باطل؛ فتبين أن الإلهية هي العبادة؛ لأن الدعاء من أفرادها، فمن صرف منها شيئا

---

(١) "البدائع" «١/ ١٤١».

(٢) بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبد المحمود للشيخ عبد الرحمن بن حسن مطبوع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية «٤/ ٣٤٣».

(٣) أضواء البيان «٧/ ١٠٢».

لغيره تعالى فهو باطل".[١]

يقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين: فلا إله إلا الله" اشتملت على نفي وإثبات؛ فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى؛ فكل ما سواه من الملائكة، والأنبياء، فضلا عن غيرهم؛ فليس بإله، ولا له من العبادة شيء. وأثبتت الإلهية لله وحده؛ بمعنى أن العبد لا يأله غيره؛ أي لا يقصده بشيء من التأله؛ وهو تعلق القلب الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة؛ كالدعاء، والذبح، والنذر، وغير ذلك.[٢]

فالنفي إذا: نفي الإلهية واستحقاق العبادة عن كل ما سوى الله-عز وجل-.

والإثبات: إثبات الإلهية واستحقاق العبادة عن كل ما سو الله-عز وجل-.

والإثبات: إثبات الإلهية واستحقاق العبادة لله عز وجل وحده، لا شريك له.[٣]

وهو معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: الآيات: ١٦٢-١٦٣].

المسألة السابعة: شروط لا إله إلا الله:

شروط جمع، مفردها شرط، والشرط: إلزام الشيء، والتزامه؛ يقال: شرط له أمرا: التزمه، وشرط عليه أمرا: ألزمه إياه".[٤]

يراد بشروط "لا إله إلا الله": الأمور التي يجب على الإنسان أن يلزمها، حتى يحقق "لا إله إلا الله"، أو: ما لا تصح شهادة "لا إله إلا الله" إلا بوجودها، ويجب اجتماعها.

منزلة هذه الشروط من شهادة "لا إله إلا الله":

هذه الشروط بمثابة الأسنان للمفتاح، فلا يفتح إلا بوجودها.

---

(١) أضواء البيان «٧/ ١٠٢».

(٢) الشهادتان: معناهما، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين «ص: ٢٢». وانظر الدين الخالص لصديق حسن خان «١/ ١٨٩».

(٣) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي «ص: ٣٩».

(٤) انظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي «ص: ٨٦٩». والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين «ص: ٤٧٨».

وقد أشار إلى ذلك عدد من علماء الأمة؛ منهم الإمام الحسن البصري–رحمه الله–، حين قال للشاعر الفرزدق–وهو يدفن امرأته–: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال الفرزدق: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. فقال الحسن: نعم العدة، إن لـ "لا إله إلا الله شروطا"؛ فإياك وقذف المحصنات.(١)

وقيل لوهب بن منبه–رحمه الله–: أليس "لا إله إلا الله" مفتاح الجنة؟ فقال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك.(٢)

للشهادة شروط لا بد من توفرها فيهما، إذ لا يمكن لقائلهما أن ينتفع بهما إلا بعد اجتماعها فيهما، وهذه الشروط مطلوبة فالعبد لا يدخل في الدين إلا بها.

وباستقراء أهل العلم لنصوص الكتاب والسنة تبين أن لا إله إلا الله لا تقبل إلا بشروط وهي سبعة شروط:

الشرط الأول: العلم:

إذ العلم بالشيء شرط عند الشهادة به.

والدليل على ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٦].

وقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: الآية: ١٩].

وقول النبي–صلى الله عليه وسلم–: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**».(٣)

والعلم المراد به هنا هو معرفة معنى الشهادتين ومقتضاهما واللوازم المترتبة على ذلك.

فلا إله إلا الله:

---

(١) انظر: كتاب التوحيد لابن رجب الحنبلي «ص: ٣٩». والدين الخالص لصديق حسن خان «١/ ١٥٧».

(٢) أخرجه البخاري تعليقًا في صحيحه، كتاب الجنائز، باب في الجنائز، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله. وقد وصله في تاريخ ١/ ٩٥، وأبو نعيم في حيلة الأولياء ١/ ٦٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار. انظر «١/ ٤١».

معناها: لا معبود بحق إلا الله.

ومقتضـــاها ولازمها: نفي الشــرك وإثبات الوحدانية لله تعالى وإفراده بالعبادة مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به.(١)

"فكلمة الإخلاص لا إله إلا الله لا تنفع قائلها إلا بمعرفة معناها، وهو نفي الإلهية عما سوى الله، والبراءة من الشرك في العبادة، وإفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: الآية: ٦٤].

ومعنى: ﴿سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: الآية: ٦٤]، أي: نستوي نحن وأنتم في قصر العبادة على الله، وترك الشرك كله.

وقال الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٢٦]. ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: الآية: ٢٧]. ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: الآية: ٢٨]. فهذا، هو حقيقة معنى: لا إله إلا الله; وهو البراءة من كل ما يعبد من دون الله، وإخلاص العبادة لله وحده وهذا هو معناها الذي دلت عليه هذه الآيات وما في معناها; فمن تحقق ذلك وعلمه، فقد حصل له العلم بها، المنافي لما عليه أكثر الناس، حتى من ينتسب إلى العلم، من الجهل بمعناها".(٢)

الشرط الثاني: اليقين:

أي استيقان القلب بالشهادتين، وذلك بأن يعتقدهما اعتقادا جازما لا يصاحبه شك أو ارتياب، لأن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن.

والدليل على ذلك:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: الآية: ١٥].

---

(١) تيسير العزيز الحميد صـ ٥٨.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ٢٥٢-٢٥٣.

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله، كونهم لم يرتابوا؛ أي: لم يشكوا.

فأمَّا المرتاب فهو من المنافقين والعياذ بالله الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: الآية: ٤٥].

وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال له: «**من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستقينا بها قلبه فبشره بالجنة**». الحديث.(١)

وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**».(٢)

"فلا بد لقائل هذه الكلمة من اليقين بمعناها، المنافي للشك والريب، كما في الحديث الصحيح: «**مستيقنا بها قلبه، غير شاك فيها**»، ومن لم يكن كذلك فإنها لا تنفعه، كما دل عليه حديث: سؤال الميت في قبره".(٣)

قال أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي-رحمه الله-«**ت: ٦٥٦ هـ**»: "باب لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين، بل لابدَّ من استيقان القلب" هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كافٍ في الإيمان، وأحاديث هذا الباب تدل على فساده، بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها؛ ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح ، وهو باطل قطعاً ا.هـ".(٤)

الشرط الثالث: الإخلاص:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار «١/ ٤٤».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار «١/ ٤١-٤٢».

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية «٢/ ٢٥٥».

(٤) المفهم على صحيح مسلم «١/ ٢٠٤».

"وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك".[١]

والدليل على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: الآية: ٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: الآية: ٣] "أي لا يقبل الله من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له".

وقال قتادة في قوله تبارك وتعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله".[٢]

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: الآية: ١١-١٢] ، إلى قوله: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾[سورة الزمر آية: ١٤-١٥]

وعن عتبان بن مالك-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**».[٣]

وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه**».[٤]

عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**ما قال عبدٌ قط لا إله إلا الله مخلصًا؛ إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر**».[٥]

---

(١) معارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد حكمي «١/ ٣٨٢».

(٢) تفسير ابن كثير «٤/ ٤٥».

(٣) أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، انظر: فتح الباري «١/ ٥١٩» «ح: ٤٢٥»، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر «٢/ ١٢٦».

(٤) أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، انظر: فتح الباري «١١/ ٤١٨» «ح: ٦٥٧٠».

(٥) أخرجه الترمذي «٣٥٩٠»، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه؛ وقال العلامة الألباني: في "صحيح وضعيف الترمذي": حسن".

وللنسائي في "اليوم والليلة" من حديث رجلين من الصحابة-رضي الله عنهما-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، مخلصًا له بها قلبه، يصدق بها لسانه، إلا فتق الله لها السماء فتقًا، حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله**».(١)

"فلا بد من الإخلاص المنافي للشرك".(٢)

الشرط الرابع: "الصدق فيها المنافي للكذب.

وهو أن يقولها صدقا من قلبه يواطئ قلبه لسانه".(٣)

والدليل على ذلك:

قال تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: الآيات: ١-٣]، "أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه، والله-سبحانه وتعالى-يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة".(٤)

وقال في شـأن المنافقين الذين قالوها كذباً ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: الآيات: ٨ – ١٠].

وعن أنس بن مالك-رضي الله عنه-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، ومعاذ رديفه على الرحل-قال: "يا معاذ بن جبل" قال: لبيك يا رســول الله وســعديك. قال: "يا معاذ" قال لبيك يا رسـول الله وسـعديك ثلاثا.قال: «**ما من أحد يشـهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا**

(١) أخرجه النسائي في اليوم والليلة «ص: ٢٨»، قال العلامة الألباني: في تخريج "كلمة الإخلاص" «ص: ٦١»: إسناده صحيح.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية «٢/ ٢٥٣-٢٥٤».

(٣) معارج القبول «١/ ٣٨١».

(٤) تفسير ابن كثير «٣/ ٤٠٤».

رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار». الحديث.[(١)]

"فلا بد من الصدق المنافي للكذب، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: الآية: ١١] ، فالصادق يعرف معنى هذه الكلمة، ويقبله، ويعمل بما تقتضيه، وما يلزم قائلها من واجبات الدين، فيصدق قلبه لسانه".[(٢)]

الشرط الخامس: المحبة:

"لهذه الكلمة ولما اقتضــته ودلت عليه ولأهلها والعاملين بها الملتزمين لشــروطها وبغض ما ناقض ذلك".[(٣)]

والدليل على ذلك:

قـال تعـالى: ﴿قُـلْ إِن كَـانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَـاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِــيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَـوْنَ كَسَـادَهَا وَمَسَـاكِنُ تَرْضَـوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُـولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَـبِيلِهِ فَتَرَبَّصُـوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِـقِينَ﴾ [التوبة: الآية: ٢٣٤]، ففي الآية دليل على وجوب محبة الله ورســوله ولا خلاف في ذلك بين الأمة وأن ذلك مقدم على كل محبوب".[(٤)]

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: الآية: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَــوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: الآية: ٥٤].

وعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورســوله أحب إليه مما ســواهما، وأن يحب**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحها واللفظ له، كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا. انظر فتح الباري «١/ ٢٢٦» «ح: ١٢٨».

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية «٢/ ٢٥٥».

(٣) معارج القبول «١/ ٣٨٣».

(٤) تفسير القرطبي «٨/ ٩٥».

المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»(١)

"فلا بد من المحبة المنافية لضدها، فلا يحصل لقائلها معرفة وقبول إلا بمحبة ما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك؛ فمن أحب الله أحب دينه، ومن لا فلا، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: الآية: ١٦٥]، فصارت محبتهم لله ولدينه خاصة، فأحبوا لله ولدينه، ووالوا لله ولدينه، فأحبوا من أحبه الله، وأبغضوا من أبغضه الله.

وفي الحديث: «**وهل الدين إلا الحب والبغض**»(٢)، ولهذا وجب أن يكون الرسول أحب إلى العبد من نفسه، وولده، ووالده، والناس أجمعين فإن شهادة ألا إله إلا الله تستلزم شهادة أن محمدا رسول الله، وتقتضي متابعته، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: الآية: ٣١]".(٣)

الشرط السادس: الانقياد:

«**الانقياد**» لما دلت عليه المنافي لترك ذلك، أي الانقياد والاستسلام ظاهرا وباطنا لأوامر الله وما أنزله من الشرع على لسان نبيه–صلى الله عليه وسلم–.

والدليل على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: الآية: ٢٢]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان. انظر: فتح الباري «١/ ٧٢» «ح: ٢١». وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، واللفظ له. انظر: «١/ ٤٨».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم «٣٣٩٩» واللفظ له، والحاكم «٣١٤٨»، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» «٨/ ٣٦٨»، بلفظه في آخر حديث طويل. والحديث فيه عبد الأعلى قال أبو زرعة: "منكر الحديث".

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية «٢/ ٢٥٤».

ففي هذه الآية: "يقول تعالى مخبرا عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه،ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي في عمله: باتباع ما به أمر، وترك ما عنه زجر ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ أي فقد أخذ موثقا من الله متينا أنه لا يعذبه ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾".(١)

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٣٦].

والآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسـوله بشـيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هنا ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَـجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِـهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَـيْتَ وَيُسَـلِّمُوا تَسْـلِيمًا﴾ [النساء: الآية: ٦٥]".(٢)

ولا بد أيضـا من الانقياد لحقوق لا إله إلا الله، بالعمل بما فرضـه الله وترك ما حرمه الله، والتزام ذلك، وهو ينافي الشرك، فإن كثيرا ممن يدعي الدين يستخف بالأمر والنهي، ولا يبالي بذلك.

والإسلام حقيقته أن يسلم العبد بقلبه وجوارحه لله تعالى، وينقاد له بالتوحيد والطاعة، كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: الآية: ١١٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: الآية: ٢٢]، وإحسان العمل لا بد فيه من الإخلاص، ومتابعة ما شرعه الله ورسوله".(٣)

الشرط السابع: القبول:

---

(١) تفسير ابن كثير «٣/ ٤٥٠».

(٢) تفسير ابن كثير «٣/ ٤٩٠».

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية «٢/ ٢٥٤-٢٥٥».



أي قبول الشهادتين والالتزام بمقتضياتها ولوازمها.

والدليل على ذلك:

قال تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٥]،

وقال تعالى في شأن من لم يقبلها: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: الآيات: ٣٥-٣٦].

وقد قص الله-عز وجل-علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قَبِلها وانتقامه ممن ردها وأباها، قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾[الصافات: الآيات: ٢٢ – ٣٦].

فجعل الله علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله، وتكذيبهم من جاء بها، فلم ينفوا ما نفته ولم يثبتوا ما أثبتته، بل قالوا إنكاراً واستكباراً ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص: الآيات: ٥-٧].

فكذبهم الله-عز وجل-ورد ذلك عليهم على لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-فقال: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: الآية: ٣٧]... ثم قال في شأن من قبلها: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الصافات: الآيات: ٤٠ – ٤٣].

وعن أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: «**مثل**

ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية [(١)]، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب [(٢)]، أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان [(٣)]، لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». [(٤)]

"فلا بد له من القبول لما دلت عليه، وذلك ينافي الرد، لأن كثيرا ممن يقولها ويعرف معناها، لا يقبلها، كحال مشـركي قريش، والعرب، وأمثالهم، فإنهم عرفوا ما دلت عليه، لكن لم يقبلوا، فصارت دماؤهم، وأموالهم، حلالا لأهل التوحيد، فإنهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: الآية: ٣٥] ، ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات آية: ٣٦]. عرفوا أن لا إله إلا الله توجب ترك ما كانوا يعبدونه من دون الله". [(٥)]

فهذه هي شروط الشهادتين يجب على المسلم تحقيقها والإتيان بها على الوجه المطلوب حتى يكون من أهلها.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن-رحمه الله-"وسرنا ما ذكرت من معرفتك جهل أكثر الناس بمعنى لا إله إلا الله، وإن تكلموا بها لفظا، فقد أنكروها معنى، فانتبه لأمور ستة أو سبعة، لا يسلم العبد من الكفر والنفاق إلا باجتماعها، وباجتماعها والعمل بمقتضاها، يكون العبد مسلما؛ إذ لا بد من مطابقة القلب للسان، علما، وعملا، واعتقادا، وقبولا، ومحبة،

---

(١) هي مستنقع الماء في الجبال والصخور. فتح الباري «١/ ١٧٦».

(٢) هي الأرض الصلبة التي لا ينضب منها الماء. فتح الباري «١/ ١٧٦».

(٣) بكسر القاف جمع قاع وهو الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت. فتح الباري «١/ ١٧٧».

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم: باب فضل من علم وعلم واللفظ له. انظر فتح الباري «١/ ١٧٥» «ح: ٧٩». وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب بيان مثل ما بعث النبي-صلى الله عليه وسلم-من الهدى والعلم. انظر: «٧/ ٦٣».

(٥) الدرر السنية في الأجوبة النجدية «٢/ ٢٥٣».

وانقيادا.

فلا بد من العلم بها المنافي للجهل، ولا بد من الإخلاص المنافي للشـــرك؛ ولا بد من الصدق المنافي للكذب، بخلاف المشركين والمنافقين؛ ولا بد من اليقين المنافي للشك والريب؛ فقد يقولها وهو شـــاك في مدلولها ومقتضـــاها؛ ولا بد من المحبة المنافية للكراهة؛ ولا بد من القبول المنافي للرد، فقد يعرف معناها ولا يقبله، كحال مشركي العرب.

ولا بد أيضا من الانقياد المنافي للشرك، لترك مقتضياتها، ولوازمها، وحقوقها، المصححة للإسلام والإيمان؛ فمن تحقق ما ذكرته، ووقع منه موقعا، صرف الهمة إلى تعلم معنى: لا إله إلا الله؛ وصار على بصيرة من دينه، وفرقان، ونور، وهدى، واستقامة. وبالله التوفيق". (١)

زاد الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ إلي هذه الشروط السبعة المتقدم ذكرها شرطًا ثامنًا، "وهو الكفر بما يعبد من دون الله". (٢) أي: الكفر بالطاغوت.

ونظمه بعض أهل العلم في قوله:

وزِيدَ ثَامِنُها الكُفْرَانُ مِنْكَ وبِمَا * سوى الإله مِنْ الأَنْدَادِ قَدْ أُلِهَا (٣)

وهذا الشرط قد استحسنه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز–رحمه الله–، وعبّر عنه بالبراءة. أي: البراءة من الشرك. (٤)

وممن عده في الشروط أيضاً: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم النجدي–رحمه الله–، وعبّر عنه بشرط الكفر بما سوى الله تعالى. (٥)

"شروط «**لا إله إلا الله**» شروط صحة لا شروط كمال؛ لأن الإنسان لا يحصل منه الإيمان

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية «٣/ ٢٥٥–٢٥٦».

(٢) قرة عيون الموحدين «ص: ٥٣».

(٣) انظر: الشهادتان وما يستلزم كل منهما لابن جبرين «ص: ١٠٣»، والبيت منسوب إلى سعد بن عتيق.

(٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز «٣/ ٤٩–٥٠».

(٥) حاشية الثلاثة الأصول «ص: ٥٢».

إلا بها كلها، مثل: القبول المنافي للرد واليقين المنافي للشك، فإذا حصل الرد أو حصل الشك أو حصل التكذيب فهذا يدل على عدم حصول الإيمان".[(١)]

المسألة الثامنة: متى ينفع الإنسان قول لا إله إلا الله؟

قول لا إله إلا الله لا بد أن يكون مصحوبا بمعرفة معناها والعمل بمقتضاها، ولكن لما كان هناك نصوص قد يتوهم منها أن مجرد التلفظ بها يكفي وقد تعلق بهذا الوهم بعض الناس، فاقتضى الأمر إيضاح ذلك لإزالة هذا الوهم عمن يريد الحق، قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله على حديث عتبان.. الذي فيه: «**فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**».[(٢)] قال: اعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أنه من أتى بالشهادتين حرم على النار كهذا الحديث وحديث أنس قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل، فقال: يا معاذ. قال: لبيك رسول الله وسعديك. قال: «**ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا حرمه الله على النار**»[(٣)]، ولمسلم عن عبادة مرفوعا: «**ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله حرمه الله على النار**»[(٤)]، ووردت أحاديث فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة، وليس فيها أن يحرم على النار، منها حديث عبادة الذي تقدم قريبا وحديث أبي هريرة "أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك" [(٥)] الحديث وفيه: فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «**أشهد أن لا إله إلا الله**

(١) شرح سنن أبي داود للعباد «٥٥/ ٢٥».

(٢) رواه البخاري «١١/ ٢٠٦»، ومسلم رقم: «٣٣».

(٣) رواه البخاري «١/ ١٩٩»، ورواه مسلم في الإيمان.

(٤) صحيح مسلم «١/ ٢٢٨-٢٢٩» بشرح النووي.

(٥) سنن أبو داود البيوع «٣٣٥٧»، مسند أحمد بن حنبل «٢/ ١٧١».

وأني رسول الله؟ لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة».[(١)] رواه مسلم.[(٢)]

قال: وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها-كما جاءت مقيدة-وقالها خالصا من قلبه مستيقنا بها قلبه غير شاك فيها، بصدق ويقين، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصا من قلبه دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذرة. وتواترت بأن كثيرا ممن يقول: لا إله إلا الله، يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرم النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال: لا إله إلا الله، ومن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها يقولها تقليدا وعادة، لم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث: «**سمعت الناس يقولون شيئا فقلته**»[(٣)] وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٢٢]، وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصرا على ذنب أصلا، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهية لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإن هذا

---

(١) صحيح مسلم الإيمان «٢٧»، مسند أحمد بن حنبل «٢/ ٤٢١».

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي «١/ ٢٢٤».

(٣) أخرجه البخاري «٨٦»، ومسلم «٩٠٥» .

الإيمان وهذه التوبة وهذا الإخلاص وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنبا إلا يمحى كما يمحى الليل بالنهار".[١]

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كشف الشبهات:[٢] "ولهم مشبهة أخرى، يقولون: إن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله. وقال: «**أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله**».[٣] وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل، فيقال لهؤلاء الجهال معلوم أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئًا من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه، ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

وقال–رحمه الله–: فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: الآية: ٩٤]، أي «**فتثبتوا**» فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت فإن تبين بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل؛ لقوله: فتبينوا ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه من أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلا إن تبين منه ما يناقض ذلك.

---

(١) تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد «ص: ٦٦-٦٧».

(٢) انظر مجموعة التوحيد «ص: ١٢٠-١٢١».

(٣) صحيح البخاري «٦٨٧٢».

والدليل على هذا أن الرسول–صلى الله عليه وسلم–الذي قال: «**أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله**»[١]، وقال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»[٢] هو الذي قال في الخوارج: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[٣] مع كونهم من أكثر الناس تهليلًا حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة.

وقال الحافظ ابن رجب على قوله–صلى الله عليه وسلم–: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله**».[٤] قال: ففهم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا لمجرد ذلك، فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة، وفهم الصديق أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها لقوله صلى الله عليه وسلم: «**فإذا فعلوا ذلك منعوا مني دمائها إلا بحقها وحسابهم على الله**».[٥] وقال: "الزكاة حق المال" [٦] وهذا الذي فهمه الصديق قد رواه عن النبي–صلى الله عليه وسلم–صريحا غير واحد من الصحابة منهم ابن عمر وأنس وغيرهما وأنه قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**»[٧] وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية: ٥]، كما دل قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

---

(١) أخرجه البخاري «٤٢٦٩».

(٢) أخرجه البخاري «٢٥»، ومسلم «٢٢».

(٣) أخرجه البخاري «٣٣٤٤»، ومسلم «١٠٦٤».

(٤) أخرجه البخاري «٢٥»، ومسلم «٢٢».

(٥) أخرجه البخاري «٢٥»، ومسلم «٢٢».

(٦) أخرجه البخاري «١٤٠٠»، ومسلم «٢٠».

(٧) أخرجه البخاري «٢٩٤٦»، ومسلم «٢١».

يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: الآية: ١١]، على أن الأخوة في الدين لا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد، فإن التوبة من الشرك لا تحصل إلا بالتوحيد، فلما قرر أبو بكر هذا للصحابة رجعوا إلى قوله ورأوه صوابا، فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقا، بل يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام، فكذلك عقوبة الآخرة".[١]

وقال أيضا: "وقالت طائفة من العلماء المراد من هذه الأحاديث أن التلفظ بلا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتضى لذلك، ولكن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع، وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو الأظهر. ثم ذكر عن الحسن البصري أنه قال للفرزدق وهو يدفن امراته: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: نعم العدة، لكن للا إله إلا الله شروط، فإياك وقذف المحصنات. وقيل للحسن: إن أناسا يقولون: من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة. فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة. وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك" [٢] [٣].

المسألة التاسعة: بما يتحقق توحيد الله.

أولًا: التعريف اللغوي لكلمة التوحيد عند أهل السنة.

أ-أصلها: أصل هذه الكلمة من "وحد".

قال ابن فارس «**ت: ٣٩٥ هـ**»: "«**وحد**» الواو، والحاء، والدال: أصل واحد يدل على

(١) كلمة الإخلاص لابن رجب «ص: ١٣-١٤».

(٢) كلمة الإخلاص لابن رجب «ص: ٩-١١».

(٣) المصدر: بحث بعنوان حقيقة لا إله إلا الله، ضمن مجلة البحوث الإسلامية «١٣/ ١٢٣-١٢٧».

الانفراد".[١]

ب-تصريفها: التوحيد: مصدر خماسي مشتق من الفعل الثلاثي المزيد بتضعيف عينه«**وحد**»، فالحاء هنا مشددة، فهو ثلاثي لكنه من حيث عد الأحرف أربعة أحرف، فيقال: وحد يوحد توحيدًا، والتوحيد مصدر تفعيل، فعل يفعل تفعيلا، مثل علم يعلم تعليما، خرج يخرج تخريجا، إذا التفعيل يكون مصدرا للفعل الماضي الثلاثي المضعف العين.[٢]

فهي على وزن تفعيل، ويعني: الحكم والعلم بأن الشيء واحد.

قال ابن منظور-رحمه الله-«**ت: ٧١١ هـ**»: "التوحيد: مصدر من: وحد يوحد توحيدًا؛ إذا أفرده وجعله واحدًا".[٣]

وقال أبو القاسم التيمي-رحمه الله-«**ت: ٥٣٥ هـ**»: "التوحيد على وزن التفعيل، وهو مصدر وحّدته توحيدًا...، ومعنى وحدته: جعلته منفردا عما يشاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته...، فالله تعالى واحد، أَي: منفرد عن الأنداد والأشكال في جميع الأحوال".[٤]

ت-اشتقاقها: التوحيد مشتق من وحد الشيء أي: جعل الشيء واحداً.

ث-معناها: مادة "وحد" في اللغة مدارها على انفراد الشـــيء، فإذا قلت: توحيد الله: فالمعنى إفراد الله.

المقصود من التفعيل: النسبة كالتصديق لا للجعل، فمعنى وحدت الله: نسبته إلى الوحدانية لا جعلته واحدًا.[٥]

لأن وحدانيته: صفته، وليست بجعل جاعل، أما التوحيد فهو فعل المكلف، ولذلك جاء

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس «٦/ ٩٠».

(٢) شرح كتاب التوحيد للحازمي «٢/ ٨».

(٣) لسان العرب لابن منظور «٣/ ٤٤٨».

(٤) الحجة في بيان المحجة «١/ ٣٣٢».

(٥) انظر: لوامع الأنوار للسفاريني «١/ ٥٦-٥٧».

في القاموس: "التوحيد: إيمان بالله وحده".[(١)]

وقال الشريف الجرجاني «**ت: ٨١٦ هـ**»: "التوحيد في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد".[(٢)]

ثانيًا: التعريف الشرعي للتوحيد عند أهل السنة.

فهو: إفراد الله -تعالى- بما يختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات".[(٣)]

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي-رحمه الله-«**ت: ١٧٠ هـ**»: "التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو التوحد والوحدانية".[(٤)]

وقال ابن منظور-رحمه الله-«**ت: ٧١١ هـ**»: "التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له. والله الواحد الأحد: ذو الوحدانية والتوحد".[(٥)]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**» عن توحيد الرسل إنه "يتضمن إثبات الإلهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا هو، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات".[(٦)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨هـ**»: "التوحيد الذي بعث الله به رسله هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وذلك يتضمن التوحيد بالقول والاعتقاد

---

(١) القاموس المحيط «ص: ٤١٤» مادة: «وحد».

(٢) التعريفات للجرجاني «ص: ٦٩».

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح بن عثيمين «١/١١».

(٤) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي «٣/ ٢٨١».

(٥) لسان العرب لابن منظور «٣/ ٤٥٠».

(٦) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية «١/٢٢٤»، وانظر: الصفدية لابن تيمية «٢/ ٢٢٨».

وبالإرادة والقصد". (١)

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨هـ**»: "والتوحيد الذي جاء به الرسول يتناول:

١-التوحيد في العلم والقول وهو وصفه بما يوجب أنه في نفسه أحد صمد لا يتبعض ويتفرق فيكون شيئين وهو واحد متصف بصفات تختص به ليس له فيها شبيه ولا كفؤ.

٢-والتوحيد في الإرادة والعمل وهو عبادته وحده لا شريك له". (٢)

وقال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "توحيد الرسل: إثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل، وعبادته وحده لا شريك له، فلا يجعل له ندًا في قصد ولا حب ولا خوف ولا رجاء ولا لفظ ولا حلف ولا نذر، بل يرفع العبد الأنداد له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته". (٣)

وقال محمد بن أحمد السفاريني-رحمه الله-«**ت: ١١٨٨هـ**»: التوحيد:"إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتًا وصفاتٍ وأفعالًا". (٤) والمعبود هو الله وحده.

وقال محمد بن صالح بن عثيمين-رحمه الله-«**ت: ١٤٢١ هـ**»: "التوحيد: إفراد الله-سبحانه-بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات". (٥)

وقال صديق حسن خان-رحمه الله-: "التوحيد: إفراد الله بما تفرد به، وبما أمر أن يفرد به؛ فنفرده في ملكه وأفعاله فلا رب سواه ولا شريك له، ونفرده في ألوهيته فلا يستحق العبادة إلا هو، ونفرده في أسمائه وصفاته فلا مثيل له في كماله ولا نظير له". (٦)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية «٤/ ١٢٣».

(٢) بيان تلبيس الجهمية «٣/ ١٤٠-١٤١».

(٣) الروح لابن قيم الجوزية «ص: ٣٨٦»، وانظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية «٣/ ٩٣٣»، مدارج السالكين إلى منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية «٣/ ٤٥٩».

(٤) لوامع الأنوار «١/ ٥٧».

(٥) القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح بن عثيمين «١/ ١١».

(٦) الدين الخالص لصديق حسن خان «١/ ٥٦»؛ وانظر: الأسئلة والأجوبة الأصولية للسلمان «ص: ٤١».

ثالثًا: الأدلة من القرآن والسنة على التوحيد:

١- الأدلة من القرآن:

القرآن كله دعوة للتوحيد ويوضح ذلك قول ابن القيم-رحمه الله-«**٧٥١هـ**»: "كل سورة في القرآن هي متضـــمنة للتوحيد، بل نقول قولاً كليا: إن كل آية في القرآن فهي متضـــمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه.

فإن القرآن:

ا-إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري.

٢-وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شـــريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

٣-وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته.

٤-وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

٥-وإما خبر عن أهل الشـــرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم توحيده.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم".[(١)]

والآيات الدالة على التوحيد في القرآن كثيرة ومنها:

ما جاء في إثبات الألوهية:

قال-تعالى-: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُـــهَدَاءَ إِذْ حَضَـــرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ١٣٣]

وقال-تعالى-: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ

(١) مدارج السالكين «٣/٤٤٩-٤٥٠».

يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: الآية: ٧٣]

وقال –تعالى–: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: الآية: ٥١].

قال محمد بن جرير الطبري –رحمه الله– «ت: **٣١٠ هـ**»: "إلها واحدا أي نخلص له العبادة، ونوحد له الربوبية، فلا نشرك به شيئا، ولا نتخذ دونه ربا".(١)

قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي –رحمه الله– «**ت ٧١٦ هـ**»: "قال –تعالى–: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: الآية: ٥١]، هذا نهي عن الشرك، وإثبات للتوحيد يتضمن الأمر به".(٢)

ومنها ما جاء في إثبات الأسماء والصفات لله –تعالى–:

قال –تعالى–: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: الآية: ١٦٣]

وقوله –تعالى–: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآيات: ١–٤].

ومنها ما جاء في إثبات الربوبية:

قال –تعالى–: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: الآية: ١٦].

وقال –تعالى–: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [الصافات: الآيات: ٤–٥].

٢– الأدلة من السنة:

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري «٥٦٢/١».

(٢) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية للطوفي «ص: ٣٨٠».

قوله–صلى الله عليه وسلم–لمعاذ «**ت: ١٨ هـ**»، لما بعثه إلى اليمن: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله–تعالى–**».[١]

ولفظ مصنف عبد الرزاق: «**إنك ستأتي على ناس من أهل الكتاب فادعهم إلى التوحيد**».[٢]

عن ابن عمر–رضي الله عنهما–«**ت: ٧٣ هـ**» عن النبي–صلى الله عليه وسلم–: «**بني الإسلام على خمسة على أن يوحدوا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج**».[٣]

وعنه –صلى الله عليه وسلم–أنه قال: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**».[٤] وفي رواية: «**من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله..**».[٥]

عن أبي أمامة–رضي الله عنه–، قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت رجلًا بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، مستخفيًا جرءاء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت؟ قال: «**أنا نبي**». فقلت: وما نبي؟ قال: «**أرسلني الله**». فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «**أرسلني**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى «٤/ ٣٧٨»، «ح: ٧٣٧٢».

(٢) مصنف عبد الرزاق، باب دعاء العدو «٥/ ٢١٥» «ح: ٩٤٢٠».

(٣) رواه مسلم «١/ ٣٤» «ح: ١٢٠».

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: الآية: ٥] «١/٢٤»، «ح: ٢٥»، ومسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. «١/ ٥٣»، «ح: ٣٧».

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. «١/٥٣»، «ح: ٣٨».

بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله ولا يشرك به شيء». الحديث....[١]

٣- من أقوال السلف:

قول جابر-رضي الله عنه- «**ت: ٧٨ هـ**»: عند قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في حديث صفة حج النبي-صلى الله عليه وسلم-، حيث قال: "فأهل بالتوحيد، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك".[٢]

قول ابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨هـ**» في معنى قوله –تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: الآية: ٢١] قال "وحدوا".[٣]

وقال-رضي الله عنه-: "كل عبادة في القرآن فهو التوحيد".[٤] وفسر-رضي الله عنه- قوله-تعالى-: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: الآية: ٣٩] بقوله: "يخلص له التوحيد".[٥]

فالدين عنده هو التوحيد.

قول عطاء بن أبي رباح-رحمه الله-«**ت: ١١٤هـ**» في قوله-تعالى-: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ [المائدة: ٥] قال: "الإيمان التوحيد".[٦]

ثالثًا: أقسام التوحيد عند أهل السنة.

الأمر الأول: هل تقسيم التوحيد استقرائي أم اصطلاحي.

أولًا: تعريف التقسيم لغة واصطلاحًا.

أ-لغة

---

(١) أخرجه مسلم «٢/ ٢٠٨» «ح: ١٩٦٧».

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي-صلى الله عليه وسلم-«٢/ ٨٨٦-٨٨٧»، «ح: ١٢١٨».

(٣) الدر المنثور للسيوطي «١/٨٥»، وانظر: حقيقة التوحيد للدكتور العلياني «ص: ٥٥».

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي «١٩٣/١٨»، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي «١/ ١٤»، «٤/ ٧٥»، البحر الرايق لابن نجيم «١/ ٢٩١».

(٥) زاد المسير «١/ ٢٠٠»، وانظر: جامع البيان «٩/ ٢٤٩».

(٦) جامع البيان للطبري «٦/ ١٠٩».

أصل الكلمة مأخوذ من قولهم: قَسَمَ الشيء يقسمه قسماً فانقسم، ومعناه إفراز النصيب.

والتقسيم هو مصدر قَسَّمه تَقْسِيما وهي القِسْمة، أي جزاه وفرقه تفريقاً، يقال قسم فلان المال أي فرقه قسما ههنا وقسما ههنا.

والقسم النصيب والحظ، والجمع أقسام وهو القسيم وحقيقته: أنه جزء يقبل التقسيم، يقال: هذا ينقسم قسمين بالكسر إذا أريد به الجزء من الشيء المقسوم، والقسيم هو شطر الشيء.

فالتقسيم معناه في اللغة: من المقسوم فهو قسم له هو عملية الفرز والتفريق بين الأجزاء لشيء معين، وكل جزء من المقسوم فهو قسم له.[(١)]

ب-اصطلاحًا:

وأما اصطلاحا: "فالتقسيم: هو أن يتتبع المستقري جزئيات فيتوصل إلى أنها لا تدخل تحت نوع واحد، ولكنها أقسام تحت أمر كلي، بشرط أن يستقصي الأنواع حتى يعلم أنه لم يبق قسم في الخارج غير ما ذكر".[(٢)]

ثانيًا: تعريف الاستقراء لغة واصطلاحًا:

وأما الاستقراء فهو أحد أنواع الاستدلال، وللاستدلال أنواع كثيرة عند الأصوليين منها:

الاستقراء: وهو: استدلال على الكلي بالجزئي.

القياس: وهو: استدلال على الجزئي بالكلي.

والتمثيل: وهو: استدلال على الجزئي بالجزئي.

التمثيل أو قياس: وهو: استدلال على الكلي بالكلي.

الاستقراء لغة: "مأخوذ من الفعل الثلاثي "قرأ"، الذي من معانيه الجمع والضم.

---

(١) انظر الصحاح للجوهري «٥/ ٢٠١٠»، والمفردات للأصفهاني «ص: ٦٧٠»، وتاج العروس للزبيدي «٩/ ٢٥»، ولسان العرب «١١/ ١٦٢-١٦٤».

(٢) أدب البحث والمناظرة «٢/ ١٠-١١».

قال ابن منظور: "قرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض".[١]

واصطلاحًا: قال الغزالي: الاستقراء "أن تتصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معنى كل، حتى إذا وجدت حكما في تلك الجزئيات، حكم على ذلك الكلي به".[٢]

من الجوانب التي يظهر فيها الاستقراء علم العقيدة، والقواعد الكلية المتعلقة به، ذلك أن كل علم توجد فيه قواعد كلية تحكم جزئياته، وحيث تكون القواعد الكلية يكون الاستقراء موجوداً، ولذا كانت قواعد علم العقيدة منها ما بني على الاستقراء؛ إلا أن الاستقراء هنا مقصور–في الغالب–على استقراء النصوص الشرعية: دلالاتها ومعانيها واستعمالاتها".[٣]

وتقسيمات التوحيد استقرائية وليست اصطلاحية، وذلك باعتبار أنها ترجع إلى النصوص فهي مصـــدرها، فتقســـيم العلماء للتوحيد ناتج من اســـتقراء الآيات والأحاديث الواردة في التوحيد؛ لأن المصدر في تلقي العقيدة هو القرآن والسنة، وبهذا يعلم أنها من الحقائق الشرعية المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه–صلى الله عليه وسلم–وليست أمرًا اصطلاحيًا أنشأه بعض العلماء.

ثالثًا: الفرق بين التقسيم الاستقرائي والتقسيم الاصطلاحي:

الفرق بين النوعين:

أن التقسـيم الشـرعي: هو التقسـيم الذي تنبني الأحكام عليه بمجرد التقسـيم، وهذا النوع من التقسيم يحتاج إلى دليل؛ لأن الحكم لا يكون إلا بدليل.

ومثاله: تقسيم الكفر إلى نوعين أكبر وأصغر، فالأول مخرج من الملة دون الثاني.

والاستقراء نوع من أنواع الأدلة اليقينية في منهج البحث والتحري.

---

(١) لسان العرب «١/ ١٢٨».

(٢) معيار العلم «ص: ١٤٨».

(٣) المصدر: بحث بعنوان "الاستقراء ومجالاته في العلوم الشرعية" للباحث محمد أيمن الزهر، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية–المجلد ٢٩–العدد الأول–٢٠١٣م. «ص: ٤٧٧»

وأما التقسيم الاصطلاحي: فهو تقسيم المتشابهات إلى أقسام بوصفٍ جامع بينها دون بناء الأحكام عليها بمجرد التقسيم، فهذا لا يحتاج إلى دليل؛ إذ لا مشاحة في الاصطلاح.

فالاصطلاح فمعناه كما عرفه الجرجاني بعدة تعريفات بقوله:

"الاصطلاح: عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول.

الاصطلاح: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر، لمناسبة بينهما.

وقيل: الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى.

وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر؛ لبيان المراد.

وقيل: الاصطلاح: لفظ معين بين قوم معينين". (١)

وقال الزبيدي: "والاصطلاح: اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص؛ قاله الخفاجي". (٢)

وهذه المناسبة لا تكون دائما في المصطلحات لذا يقال "لا مشاحة في الاصطلاح" إذا كانت لا توجد مناسبة بين الكلمة والمصطلح، قال ابن القيم-رحمه الله: "والاصطلاحات لا مشاحة فيها إذا لم تتضمن مفسدة ". (٣)

وبهذه التعريفات التي أوردها الجرجاني «**ت: ٨١٦ هـ**» والزبيدي وغيرهما يتبين أن مقولة إن تقسيمات التوحيد اصطلاحية لا تنطبق على تقسيمات التوحيد فهي استقرائية كما صرح بذلك بعض أهل العلم.

رابعًا: أقوال من ذكر من العلماء أن تقسيمات التوحيد استقرائية:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-«**ت: ١٣٩٣ هـ**»: "وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيته.

---

(١) التعريفات للجرجاني «ص: ٢٨».

(٢) تاج العروس «٦/ ٥٥١».

(٣) مدارج السالكين «٣ / ٣٠٦».

الثاني: توحيده جل وعلا في عبوديته.

النوع الثالث: توحيده–جل وعلا–في أسمائه وصفاته". (١)

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي «**ت: ١٣٩٣هـ**»: "اعلم أن التوحيد ينقسم ثلاثة أقسام، وأن هذه القسمة استقرائية؛ والاستقراء: هو تتبع النصوص؛ كما أن النحو علم بالاستقراء بتتبع لغة العرب؛ إما اسم، أو فعل، أو حرف، فكذلك علمنا أقسام التوحيد من تتبع القرآن؛ فالله–تعالى–قسم التوحيد ثلاثة أقسام في سورة الفاتحة؛ فقال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: الآية: ٢]، والله هو المعبود بحق، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: الآية: ٢]، والرب هو الذي يربي الأشياء، وهذا توحيد الربوبية. ثم قال: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: الآيات: ٣–٤]، وهذا توحيد الأسماء والصفات. وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: الآية: ٥]، دل على توحيد الألوهية. وتوحيد الألوهية أن تكون جميع أعمالك خالصة لله؛ من صلاة وصيام وزكاة ونذر وخوف ورجاء وغير ذلك مما لا يجوز صرفه إلا لله". (٢)

قال عبد العزيز بن باز–رحمه الله–«**ت: ١٤٢٠ هـ**»: "هذا التقسيم مأخوذ من الاستقراء والتأمل، لأن العلماء لما استقرأوا ما جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة رسوله–صلى الله عليه وسلم–ظهر لهم هذا، وزاد بعضهم نوعا رابعا هو توحيد المتابعة، وهذا كله بالاستقراء". (٣)

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين–رحمه الله–«**ت: ١٤٢١ هـ**»: "وعلموا [أي العلماء الذين قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام] ذلك بالتتبع والاستقراء والنظر في الآيات والحديث، فوجدوا زن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة فنوهوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع". (٤)

وقال الشيخ بكر أبو زيد–رحمه الله–«**ت: ١٤٢٩ هـ**»: "هذا التقسيم الاستقرائي لدى

---

(١) أضواء البيان «٣/ ٤١٠–٤١١» وانظر: المعين والزاد «ص: ٦٤–٦٥».

(٢) كتاب جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف «١/ ٩٥».

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لعبد العزيز بن عبد الله بن باز «٦/ ٢١٥».

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين «١/ ١٧–١٨».

متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن مندة وابن جرير الطبري-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**»، وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين-رحم الله الجميع-، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء".(١)

وقال الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد: "وهذا التقسيم لأنواع التوحيد عرف بالاستقراء من نصوص الكتاب والسنة".(٢)

خامسًا: أقوال من ذكر أن تقسيمان التوحيد اصطلاحية

وهناك من يقول إن تقسيمات التوحيد اصطلاحية كما ذكر ذلك كل من:

الدكتور صلاح الصاوي حيث قال: "التقسيم المعهود للتوحيد، إلى توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فإن هذا التقسيم اصطلاحي، والهدف منه تقريب القضية وتنظيم دراستها، كما اصطلح أهل العلم على أسماء اصطلاحية للعلوم؛ كعلم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث، وعلم النحو والصرف، وعلم البلاغة ونحوه..." إلى أن قال: "وعلى هذا لا مشاحة في الاصطلاح، وليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الربوبية، وبين ما يدخل في توحيد الألوهية، وبين ما يدخل في توحيد الأسماء والصفات، بل إن هذا التقسيم ابتداء على هذا النحو لم يرد به-فيما نعلم-آية محكمة أو سنة متبعة، والعبرة كما يقولون بالمقاصد والمعاني، وليس بالألفاظ والمباني".(٣)

وقال الشيخ محمد إسماعيل المقدم: "وهذا التقسيم ما جاء به النبي-صلى الله عليه وسلم-، ولم يستعمل هذه الاصطلاحات: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات" إلى أن قال: "والنبي-

---

(١) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير» «ص: ٣٠».

(٢) مقدمة تحقيق كتاب تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني «ص: ١٠».

(٣) كتاب الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر «ص: ١٥١».

صلى الله عليه وسلم-قد أتى بمضمون هذه الأقسام الثلاثة، ولا مشاحة في الاصطلاح، فلا نختلف في الاصطلاح، لكن المهم ما وراء هذا الاصطلاح".(١)

قال الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق-رحمه الله-«**ت: ١٤٤٢ هـ**»: "وتقسيم معاني توحيده إلى اثنين علمي خبري، وقصدي طلبي؛ أو ثلاثة ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات، إنما هو عمل تعليمي إرشادي اصطلاحي لم يأت هذا التقسيم بهذه القسمة الثنائية أو الثلاثية في الكتاب والسنة ولا في أقوال الصحابة والتابعين، وإنما هذا التقسيم مستفاد من معاني أسمائه وصفاته وتوحيده سبحانه وتعالى".(٢)

وقال الدكتور ناصر العقل: "فتقسيم التوحيد تقسيم اصطلاحي علمي فني، وهو نتيجة لاستقراء نصوص التوحيد".(٣)

قال الدكتور عبد الرحيم السلمي: "وهذا التقسيم وإن لم يرد في الكتاب والسنة بألفاظه إلا أن معناه صحيح وحق لا شك فيه.

لأن الاصطلاح هو استخدام ألفاظ معينة، وترتيب أقسام معينة المعاني معينة، فإن كانت هذه المعاني صحيحة فالتقسيم والاصطلاح صحيح، وإن كانت المعاني باطلة فالتقسيم والاصطلاح باطل. فالاصطلاحات ليست كلها حقا، وليست كلها باطة، بل هي بحسب المعاني الداخلة ضمن دلالة اللفظ الاصطلاحي.

ولهذا لم يختلف أهل العلم في أن مصطلحات النحو والصرف وأصول الفقه -في الجملة- ونحوها صحيحة لصحة المعاني الدالة عليها، ولم يعترض أحد من العلماء على هذه الاصطلاحات بأنها لم ترد في الكتاب والسنة.

وهذا المعنى مجمع عليه، لا أعلم فيه خلافا عند من عرف العلم، بينما اعترض علماء أهل

---

(١) دروس الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم «٦٠/ ١٣».

(٢) انظر: «كتاب أقسام التوحيد الاصطلاح والمضمون» وانظر مقال بعنوان: «أقسام التوحيد» منشور بموقع طريق الإسلام.

(٣) كتاب شرح باب توحيد الألوهية من فتاوى ابن تيمية «٣/ ١٩».

السنة على مصطلحات أهل الكلام وتقسيماتهم إما لدلالتها على معنى باطل أو لإجمالها وغموضها وذلك الاحتمال دخول المعنى الباطل في هذا الإجمال".[١]

ولكنه ذكر بعد ذلك أن هذا التقسيم استقرائي فقال: "يتلخص مما تقدم أن تقسيم التوحيد موجود في القرآن والسنة، وقد دل التبغ والاستقراء على أن التوحيد له ثلاثة أقسام باعتبار وقسمين باعتبار آخر.

وهذا الاستقراء الاستقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى «**اسم، وفعل، وحرف**» والعرب لم ته بهذا ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء.[٢]

وهذا يشير إلى عدم تفريقه بين الاستقراء والاصطلاح.

الأمر الثاني: تقسيمات التوحيد عند أهل السنة.

تنوعت عبارات علماء أهل السنة في التعبير عن أنواع التوحيد، ولكنها مع ذلك التنوع متفقة في المضمون، ولعل السبب في ذلك هو أن تلك التقسيمات مأخوذة من استقراء النصوص ولم يُنص عليها باللفظ مباشرة.

١-تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

فمن العلماء من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، هي:[٣]

ا-توحيد الربوبية: وهو إفراد الله بأفعاله كالخلق والرزق.

٢-توحيد الأسماء والصفات: وقد تقدم ذكر تعريفه.

٣-توحيد الألوهية: وهو إفراد الله بأفعال العباد التعبدية؟ كالصلاة والصوم والدعاء.

---

(١) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين «ص: ٨٩».

(٢) وعزا هذا النقل إلى التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير «ص ٣٠» حاشية «٢».

(٣) انظر: طريق الهجرتين «ص: ٣٠»، وشرح الطحاوية «ص: ٧٦»، ولوامع الأنوار للسفاريني «١/ ١٢٨»، وتيسير العزيز الحميد «ص: ١٧-١٩».

قال الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري–رحمه الله–«**ت: ٣٨٧ هـ**»: "وذلك أن أصل الإيمان الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته [(١)]؛ ليكون مبايناً بذلك لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

الثاني: أن يعتقد وحدانيته، ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

الثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه؛ إذ قد علمنا أن كثيراً ممن يقربه ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته؛ فيكون إلحاده في صفاته قادحاً في توحيده". [(٢)]

قال أبو جعفر الطحاوي–رحمه الله–«**ت: ٣٢١ هـ**»: "نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له ولاشيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره". [(٣)]

وقال الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إســـحاق بن يحيي بن منده–رحمه الله–«**ت: ٣٩٥ هـ**»، حيث فصل وبوب في كتابه القيم: «**كتاب التوحيد**» في الأقسام الثلاثة للتوحيد فمن تبويباته:

١. ذكر ما وصـف الله عز وجل به نفسـه ودل على وحدانيته عز وجل وأنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

٢.ذكر معرفة بدأ الخلق.

٣.ذكر معرفة أسماء الله عز وجل الحســنة التي تســمى بها وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء والذكر–وأبواب أخرى كثيرة فمن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى الكتاب المذكور.

---

(١) أي: إثبات وجود الرب تبارك وتعالى.

(٢) الإبانة الكبرى [الرد على الجهمية] «٢/ ١٧٢–١٧٣».

(٣) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز الحنفي «ص: ٧٧».

ولذلك وصف الكتاب ومباحثه محققه الدكتور علي الفقيهي بقوله:

"قسـم المؤلف التوحيد إلى أربعة أقسـام حيث جعل أسماء الله الحسـنى قسـما مسـتقلا ثم أتبعها بالصفات، وأقسام التوحيد الذي ذكرها هي:

الوحدانية في الربوبية.

توحيد الألوهية وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

توحيد أسماء الله الحسنى.

الصفات". [(١)] [(٢)]

قال الإمام أبي عمرو عثمان الداني «**ت: ٤٤٤ هـ**»: "والإيمان بالله-تعالى-: يتضمن التوحيد له سبحانه، والوصف له بصفاته،...والتوحيد له: هو الإقرار بأنه ثابتٌ موجود، وواحدٌ معبود". [(٣)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "والكلام في التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات.

والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله خالق كل شيء.

والثالث: توحيد الإلهية؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له". [(٤)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "فصل في اشتمال هذه السورة على أنواع التوحيد الثلاثة التي اتفقت عليها الرسل-صلوات الله وسلامه عليهم-.

التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويسمى الأول: التوحيد العلمي، والثاني: التوحيد القصدي الإرادي، لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد

---

(١) التوحيد ابن مندة «١/ ٣٣» تحقيق علي بن ناصر الفقيهي ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

(٢) انظر في ذلك: «القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد»، عبد الرزاق البدر، دار ابن عفان.

(٣) الرسالة الوافية، لأبي عمرو الداني «ص: ١٢٠».

(٤) شرح العقيدة الأصبهانية «ص: ١٠٧». تحقيق: محمد بن عودة السعوي، ط: مكتبة دار المنهاج. الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ.

والإرادة، وهذا الثاني أيضا نوعان: توحيد في الربوبية، وتوحيد في الإلهية، فهذه ثلاثة أنواع.

فأما توحيد العلم: فمداره على إثبات صفات الكمال، وعلى نفي التشبيه والمثال، والتنزيه عن العيوب والنقائص، وقد دل على هذا شيئان: مجمل، ومفصل.

أما المجمل: فإثبات الحمد له سبحانه، وأما المفصل: فذكر صفة الإلهية والربوبية، والرحمة والملك، وعلى هذه الأربع مدار الأسماء والصفات".[(١)]

قال ابن أبي العز «**ت: ٧٩٢هـ**»: "فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات.

والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء.

والثالث: توحيد الإلهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له".[(٢)]

قال سليمان بن عبد الله آل الشيخ «**ت: ١٢٣٣هـ**»: "وسمي دين الإسلام توحيدا؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء، والمرسلين الذين جاؤوا به من عند الله، وهي متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر، فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب".[(٣)]

وقال الشـــيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي-رحمه الله-«**ت: ١٤٠٧هـ**»: "واعلم أنه يجب على كل مســـلم أن يوحد الله في ربوبيته وفي عبادته وفي أسمائه وصـــفاته فهذه أنواع التوحيد الثلاثة من أخل بها أو بشيء منها فهو كافر.

أما توحيد الربوبية: فهو أن يوحد الله تعالى بأفعاله بأن تعتقد أنه الموجد الممد فهو الذي يخلق وهو الـذي يرزق وهو الـذي يحيي ويميـت ويعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويعز ويـذل

---

(١) مدارج السالكين «١/ ٣٧-٣٨».

(٢) شرح العقيدة الطحاوية «١/ ٧٨».

(٣) تيسير العزيز الحميد «ص: ١٧».

ويتصرف في الخلق ويحفظ على كل مخلوق وجوده.

وأما توحيد العبادة ويســـمى أيضـــا توحيد الإلهية: فهو أن توحد الله بأفعالك فلا تتوجه بقلبك ولســـانك إلى غيره بدعائك واســـتغاثتك واســـتعادتك واســـتمدادك واســـتشـــفائك واستعانتك وغير ذلك من حاجاتك التي لا يقدر عليها إلا الله.

وأما توحيد الأسماء والصفات: فهو ألا تسمي الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في حديثه، وكل اسم سميت الله به لا تسم به أحدا من خلقه، وكل صفة وصفت الله بها لا تصف بها أحدا من خلقه". [١]

وقال الشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي -رحمه الله- «**ت: ١٤٣٢هـ**»: "ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات". [٢]

وقال الشـــيخ حماد بن محمد الأنصـــاري «**ت: ١٤١٨هـ**»: "التوحيد قد بينه الله في أول سورة الفاتحة،

فبدأ بتوحيد الربوبية، وهو توحيد الله بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة، وهلم جرا.

وذكر توحيد الأسماء والصفات، وقد تقدم التفصيل فيه.

وذكر توحيد الألوهية، وأنه توحيد الله بأفعال العباد كالصلاة والزكاة وهلم جرا". [٣]

وقال الشـــيخ حماد بن محمد الأنصـــاري -رحمه الله- «**ت: ١٤١٨هـ**»: "وأما كونها -أي ســـورة الفاتحة- اشـــتملت على التوحيد: فإنك حينما تقرأ هذه الســـورة أول ما يواجهك فيها التوحيد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: الآية:]، هذا توحيد الربوبية الذي يســـميه

---

(١) كتاب الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية «١/ ٥٢-٥٣».

(٢) العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية «١/ ٢٤».

(٣) تفسير سورة الفاتحة بيان ما تضمنته من أنواع التوحيد «ص: ٥٨-٥٩».

علماء التوحيد الصحيح: بتوحيد السيادة، وبتوحيد الخلق، وبتوحيد الملك، وبتوحيد الإحياء والإماتة، وهلم جرا.

وهذا النوع من التوحيد هو: توحيد الله بأفعاله، فنوحده بأنه: الخالق، السيد، المالك، المحيي المميت، النافع الضار، وغير ذلك من أسمائه التسعة والتسعين اسمًا، نوحده بتلك الأسماء.

وأما النوع الثاني: وهو توحيد الأسماء والصفات: الذي ثنى الله -عز وجل- به في هذه السورة في قوله: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾....ذكر الله -عز وجل- هنا ثلاثة أسماء من أسمائه التسعة والتسعين اسمًا التي من أحصاها دخل الجنة، والتي سردها الترمذي في جامعه.

ذكر منها ثلاثة أسماء: الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين.

ذكرها مثالًا لتوحيد الأسماء والصفات....

وتوحيد الألوهية وهو النوع الثالث من أنواع التوحيد الذي نص الله -عز وجل- في هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: الآية: ٥]: هو الغاية والمقصد الأعظم.. وهو معنى: لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله".[(١)]

٢- تقسيم التوحيد إلى أربعة أقسام:

ومن المتأخرين من زاد قسمًا رابعًا على الأقسام الثلاثة السابقة وسماه:

٤-توحيد الاتباع أو توحيد الحاكمية «**أي التحاكم إلى الكتاب والسنة**»، ولكن يلاحظ على من ذكر هذا القسم أن هذا القسم في الحقيقة داخل ضمن توحيد الألوهية، لأن العبادة لا تقبل شرعًا إلا بشرطين هما:

١-الإخلاص.

٢-الاتباع.

كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ

---

(١) تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أنواع التوحيد «ص: ٢٥-٣٩».

أَحَداً﴾ [الكهف: الآية: ١١٠].

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ «**ت: ١٣٨٩هـ**»: "الهام هو النظر في الأصول العظام التي الإخلال بها هادم للدين من أساس، وذلك مسائل:

ب- توحيد الله تعالى بإثبات ما أثبت لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات: إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل.

ت- وكذلك توحيد الألوهية،

ث- وتوحيد الربوبية.

ج- وكذا توحيد الاتباع، والحكم بين الناس عند النزاع: بأن لا يحاكم إلا إلى الكتاب والسنة، ولا يحكم إلا بهما".(١)

وقد ألف الشيخ تقي الدين الهلالي-رحمه الله-«**ت: ١٤٠٧هـ**»: مؤلفاً على هذا التقسيم وهو «**سبيل الرشاد**»، وقال عنه: "خطر ببالي منذ مدة أن أؤلف كتابًا لنفسي ولمن شاء الله بعدي، أشرح فيه أنواع التوحيد الأربعة، التي أولها توحيد الربوبية، وثانيها توحيد العبادة، وثالثها توحيد الاتباع، (٢) ورابعها توحيد الأسماء والصفات".

علَّق الشيخ على كلامه السابق مبينًا سبب تقسيمه التوحيد إلى أربعة أقسام فقال: "أنواع التوحيد في الحقيقة ثلاثة لأن الثالث الاتباع داخل في الثاني، ولكنني جعلته قسماً لكثرة خلاف

(١) كتاب فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ «٤/ ١٥٦».

(٢) علق الباحث عبد الرحمن بن محمد عميسان في رسالته «جهود العلامة محمد تقي الدين الهلالي في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين» «ص: ١٠٠» فقال: "بيَّن الشيخ-رحمه الله- قصده في تقسيمه التوحيد إلى أربعة، وجعله القسم الرابع: توحيد الاتباع، وهو في الحقيقة داخلٌ في توحيد الألوهية؛ وذلك لكون توحيد الألوهية هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ومعنى لا إله إلا الله لا معبود بحقٍ إلا الله، ومعنى محمد رسول الله أي لا متبوع بحق إلا رسول الله، وهذا معنى الاتباع، وقول الشيخ-رحمه الله-إن سبب هذا التقسيم هو كثرة خلاف المقلدين، أقول: لو فتح هذا الباب لما أغلق؛ لكون الخلاف وجد في أشياء كثيرة فهذا سيقول توحيد المشيئة؛راداً على القدرية، وهذا سيقول توحيد التوكل؛ ليرد على الصوفية، ويأتي آخر بتوحيد الحاكمية ليكفروا بذلك المسلمين، مع أن الشيخ الهلالي قد نص أن جعل الحكم لله داخلٌ في توحيد الألوهية فقال: "اعلم أن دين الرسل واحد في أصوله وهي أربعة:-الأول:- توحيد الله في ربوبيته وعبادته-أي: الألوهية- وأسمائه وصفاته، ومن توحيده في عبادته جعل الحكم له-ثم ساق الثاني والثالث والرابع فيما تتفق عليه الرُسل-"[سبيل الرشاد«٤/ ٦٠»].

المقلدين لما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم". [(١)]

وقال أيضًا في بيان الواجب على المسلمين تجاه أقسام التوحيد قائلًا:"فاتباع توحيد الله تعالى بأنواعه الأربعة فرض على كل مسلم، والإعراض عن المشركين بمخالفتهم والبراءة منهم واجب حتم". [(٢)]

وعرَّف الشيخ بالإجمال والاختصار هذه الأنواع الأربعة بقوله: "فتوحيد الربوبية: أن تعلم وتعتقد بأن الذي أوجدك من العدم، وأفاض عليك النعم، وحفظ عليك وجودك، وأمدك بكل ما تحتاج إليه، وبيده حياتك، وموتك، وضرك، ونفعك، وفلاحك، وإخفاقك، هو الله رب العالمين لا شريك له لا من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من الصالحين.

وتوحيد الألوهية: ويسمى أيضاً توحيد العبادة، وهو القسم الثاني: ألا تدعو لجلب خير، أو دفع شر إلا الله، ولا تستغيث في الشدائد إلا بالله، ولا تذبح بقصد التعظيم إلا لله...ثم قال: النوع الثالث: من أنواع التوحيد توحيد الأسماء والصفات، وهو أن تصف الله بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم... النوع الرابع: توحيد الاتباع...". [(٣)]

وقال الشيخ حماد بن محمد الأنصاري «**ت: ١٤١٨هـ**»: "وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: الآية: ٥]، دل على توحيدين:

التوحيد الأول: توحيد الألوهية.

التوحيد الثاني: توحيد المتابعة.

ومعنى توحيد الألوهية: توحيد العبادة لله عز وجل بجميع أنواعها....

ومعنى توحيد المتابعة: إفراد هذا النبي الكريم-عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-بالمتابعة

---

(١) سبيل الرشاد «١/ ١٩». «١/ ٦٧»

(٢) سبيل الرشاد «١/ ١٩١».

(٣) السراج المنير «ص: ٩١-٩٢».

دون غيره من المخلوقات...

وكثير من المؤلفين والمصـــنفين، وكثير من طلبة العلم يقتصـــرون على أنواع التوحيد الثلاثة «**توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصـــفات**»، وليس معنى ذلك أنه لم يكن هناك توحيد رابع، كما ظن بعض الناس، بل التوحيد أربع أقسـام، سـواء ذكرنا الرابع أم لم نذكره، فهو موجود ضمنًا.

فالرابع هو توحيد المتابعة، أي توحيد النبي-صـلى الله عليه وسـلم-بالمتابعة دون غيره من المخلوقات، لأنه لم يرسل إلينا غيره.

والدليل على هذا التوحيد آيات كثيرة تقدم ذكر بعضـها، ويكفي دليلًا عليه كلمة شـهادة الإخلاص، وشهادة الإخلاص ذات شقين:

الشق الأول: لا إله إلا الله.

والشق الثاني: محمد رسول الله.

فالشق الأول: توحيد الألوهية، أي العبادة.

والشق الثاني: توحيد المتابعة، أي إفراد النبي-صلى الله عليه وسلم-دون غيره من المخلوقات بالمتابعة، كما قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾".[(١)]

قال الشيخ عبد العزيز بن باز «**ت: ١٤٢٠ هـ**»: "هذا التقسيم مأخوذ من الاستقراء والتأمل، لأن العلماء لما استقرأوا ما جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ظهر لهم هذا، وزاد بعضهم نوعا رابعا هو توحيد المتابعة، وهذا كله بالاستقراء".[(٢)]

ومن العلماء من قسم التوحيد إلى قسمين، وهذا هو الأغلب في كلام أهل العلم المتقدمين لأنهم يجمعون بين توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وذلك بالنظر إلى أنهما يشكلان بمجموعهما جانب العلم بالله ومعرفته عز وجل، فجمعوا بينهما لذلك، بينما توحيد الألوهية

---

(١) تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أنواع التوحيد «ص: ٤٣-٤٤».

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لعبد العزيز بن عبد الله بن باز «٦/ ٢١٥».

يشكل جانب العمل لله.

وتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام راجع إلى اعتبار متعلق التوحيد، وتقسيمه إلى قسمين راجع إلى اعتبار ما يجب على الموحد.

٣- تقسيم العلماء التوحيد إلى قسمين:

فمن العلماء من يقول: التوحيد قسمان: [١]

القسم الأول: توحيد المعرفة والإثبات:

ويريد به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وسمي بتوحيد المعرفة، لأن معرفة الله-عز وجل-إنما تكون بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

والإثبات: أي إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال.

القسم الثاني: توحيد القصد والطلب:

ويراد به الألوهية، وسمي بتوحيد القصد والطلب لأن العبد يتوجه بقلبه ولسانه وجوارحه بالعبادة لله وحده رغبة ورهبة، ويقصد بذلك وجه الله وابتغاء مرضاته.

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين هما: [٢]

القسم الأول: التوحيد العلمي الخبري:

والمقصود به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

وسمي بالتوحيد العلمي: لأنه يعتني بجانب معرفة الله، فالعلمي أي "العلم بالله".

والخبري: لأنه يتوقف على الخبر أي: "الكتاب والسنة".

القسم الثاني: التوحيد الإرادي الطلبي:

والمقصود به توحيد الألوهية، وسمي بالتوحيد الإرادي لأن العبد له في العبادات إرادة، فهو إما أن يقوم بتلك العبادة أو لا يقوم بها، وسمي بالطلبي، لأن العبد يطلب بتلك العبادات

---

(١) ممن ذكر ابن القيم في كتابه مدارج السالكين «٣/٤٤٩».

(٢) ممن ذكر ذلك ابن القيم في كتابه مدارج السالكين «٣/٤٥٠»، وابن تيمية في الصفدية «٢/ ٢٢٨»

وجه الله ويقصده عز وجل بذلك.

قال ابن تيمية «**ت: ٧٢٨هـ**»: "التوحيد الذي بعث الله به رسله هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وذلك يتضمن التوحيد بالقول والاعتقاد وبالإرادة والقصد". [(١)]

وقال ابن تيمية «**ت: ٧٢٨هـ**»: "والتوحيد الذي جاء به الرسول يتناول التوحيد في العلم والقول وهو وصفه بما يوجب أنه في نفسه أحد صمد لا يتبعض ويتفرق فيكون شيئين وهو واحد متصف بصفات تختص به ليسله فيها شبيه ولاكفؤ والتوحيد في الإرادة والعمل وهو عبادته وحده لا شريك له". [(٢)]

وقال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله، ونزلت به كتبه: فوراء ذلك كله وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في المطلب والقصد.

فالأول: هو حقيقة ذات الرب تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعلوه فوق سماواته على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمه، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح.

كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة " تنزيل " السجدة، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك.

النوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: الآية: ١] وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: الآية: ٦٤]، -الآية وأول سورة "تنزيل الكتاب" وآخرها، وأول سورة يونس ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي

(١) بيان تلبيس الجهمية «٤/ ١٢٣».

(٢) بيان تلبيس الجهمية «٣/ ١٤٠-١٤١».

التوحيد.

بل نقول قولا كليًا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيدالعلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد". (١)

وقال ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: "فالأول: تسليم منازعات الأسباب لتجريد التوحيد العملي القصدي الإرادي. وهذا تجريد منازعات الأوهام المخالفة للخبر لتجريد التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي. وهذا حقيقة التسليم". (٢)

وقال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي–رحمه الله–«**ت: ١٣٧٧هـ**»: "التوحيد نوعان:

الأول: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، المتضمن إثبات صفات الكمال لله عز وجل، وتنزيهه عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

والثاني: التوحيد الطلبي القصدي الإرادي، وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه، والتوكل عليه والرضا به ربا وإلها ووليا، وأن لا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء، وهو توحيد الإلهية". (٣)

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول: (٤)

---

(١) مدارج السالكين «٣/ ٤١٧–٤١٨».

(٢) مدارج السالكين «٢/ ١٤٨».

(٣) معارج القبول «١/ ٥٤».

(٤) ممن ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: مجموع الفتاوى «١/ ٣٦٧»، «١٩/ ١٧١»

القسم الأول: التوحيد القولي:

والمراد به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وسمي بالقولي لأنه في مقابل توحيد الألوهية الذي يشكل الجانب العلمي من التوحيد، وأما هذا الجانب فهو مختص بالجانب القولي العلمي.

القسم الثاني: التوحيد العملي:

والمراد به توحيد الألوهية، وسمي بالعملي، لأنه يشمل كلاً من عمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح التي تشكل بمجموعها جانب العمل من التوحيد، فالتوحيد له جانبان: جانب تصديقي علمي، وجانب انقيادي عملي.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨هـ**»: "فأما ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: الآية: ١]، فهي متضمنة للتوحيد العملي الإرادي وهو إخلاص الدين لله بالقصد والإرادة وهو الذي يتكلم به مشايخ التصوف غالبا.

وأما سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، أحد فمتضمنة للتوحيد القولي العلمي".[(١)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨هـ**»: "فلا بد للعبد أن يثبت لله ما يجب إثباته له من صفات الكمال وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يضاد هذه الحال ولا بد له في أحكامهمن أن يثبت خلقه وأمره فيؤمن بخلقه المتضمن كمال قدرته وعموم مشيئته ويثبت أمره المتضمن بيان ما يحبه ويرضاه: من القول والعمل، ويؤمن بشرعه وقدره إيمانا خاليا من الزلل وهذا يتضمن «**التوحيد في عبادته وحده لا شريك له**»: وهو التوحيد في القصد والإرادة والعمل.

والأول يتضمن «**التوحيد في العلم والقول**» كما دل على ذلك سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١].

ودل على الآخر سورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: الآية: ١] وهما سورتا

---

(١) مجموع الفتاوى «١٥/ ٥٤».

الإخلاص وبهما كان النبي-صلى الله عليه وسلم-يقرأ بعد الفاتحة في ركعتي الفجر وركعتي الطواف وغير ذلك.

فأما الأول وهو-التوحيد في الصفات-فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله: نفيًا وإثباتًا؛ فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه". [١]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨هـ**»: "التوحيد الذي بعث الله به رسوله قولًا وعملًا فالتوحيد القولي مثل سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١].

والتوحيد العملي ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: الآية: ١]". [٢]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨هـ**»: "وكان النبي-صلى الله عليه وسلم-يقرأ في ركعتي الفجر تارة «**سورة الإخلاص**» و «**قل يا أيها الكافرون**» ففي ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: الآية: ١] عبادة الله وحده وهو دين الإسلام؛ وفي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، صفة الرحمن وأن يقال فيه ويخبر عنه بما يستحقه وهو الإيمان هذا هو التوحيد القولي، وذلك هو التوحيد العملي". [٣]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨هـ**»: "و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١] اشتملت على التوحيد العلمي القولي نصا وهي دالة على التوحيد العملي لزوما". [٤]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨هـ**»: "وقد بسط الكلام في التوحيد وأنه نوعان:

علمي قولي

وعملي قصدي.

---

(١) مجموع الفتاوى «٣/ ٣».

(٢) مجموع الفتاوى «١/ ٣٦٧».

(٣) مجموع الفتاوى «١٩/ ١٧١».

(٤) مجموع الفتاوى «١٧/ ١٠٨».

فقل يا أيها الكافرون اشتملت على التوحيد العملي نصا وهي دالة على العلميلزوما. و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١] اشتملت على التوحيد العلمي القولي نصا وهي دالة على التوحيد العملي لزوما". [(١)]

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول:

القسم الأول: توحيد السيادة:

ويعنى بذلك توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وسمي بذلك لأن تفرد الله بأفعاله وأسمائه وصفاته يوجب له القيادة المطلقة والتصرف التام في هذا الكون خلقا ورزقا وإحياء وإماتة وتصرفا وتدبيرًا، سبحانه وتعالى. فمن واجب الموحد أن يفرد الله بذلك.

والقسم الثاني: توحيد العبادة:

المراد به توحيد الألوهية، وتسميته بذلك واضحة لا تحتاج إلى مزيد تفصيل.

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول:

التوحيد توحيدان:

القسم الأول: توحيد الربوبية.

والقسم الثاني: توحيد الإلهية.

قال أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي-رحمه الله-«**ت: ٤٠٤هـ**»: "فالإيمان بالله-تعالى جده-إثباته والاعتراف بوجوده، والإيمان له القبول عنه والطاعة له.

والإيمان بالنبي إثباته والاعتراف بثبوته، والإيمان للنبي موافقته والطاعة له. ويدل على افتراق الصلتين أن إحداهما تصلح حيث لا تصلح الأخرى، فإن بني يعقوب عليه السلام لو قالوا لأبيهم: "وما أنت بمؤمن بنا" لما صلح لذلك. ولو قال كفار العرب: "ولا تؤمنوا إلا بمن اتبع دينكم" لما أدى ذلك لما أرادوه من المعنى. وأمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمنافقين: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ [التوبة: الآية: ٩٤]، أي لن نقبل منكم عذركم، ولو كان

(١) مجموع الفتاوى «١٧/ ١٠٧-١٠٨».

مكانه: "لن نؤمن بكم"، ما جاز ولا حسن. وقال-جل ثناؤه-: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية: ٦١]، ولو كان مكان ذلك: "ويؤمن بالمؤمنين" لما جاز ولا صلح. فثبت بما اقتصصنا أن الصلتين موضوعان لمعنيين متغايرين لا لمعنى واحد. ويدل على صحة ما ذكرت أن اسم التصديق الذي هو حقيقة الإيمان قد يحتمل صلتين: إحداهما الباء والأخرى الهاء.

فأما الباء فإنه يليق بالتصديق وبما يتصرف عنه من فعل ونعت.

وأما الهاء فإنه يلزم ما ينصرف عنه من فعل، فإذا جاء النعت جازت اللام مكان الهاء، فيقال: "صدقت فلانا وصدقت به"، فمعنى صدقته أثبت قوله وخبره ووثقت بصحته ومعنى صدقت به: أثبت وجوده وكونه. ثم يقال: صدقت به وأنا مصدق. وإذا قيل صدقته، جاز أن يقال: "وأنا مصدقه ومصدق له، قال الله-تعالى-: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: الآية: ٤٨]، ولا يصلح مكانه ومصدقا بما بين يديه لأن الغرض، أن هذا الكتاب مثبت من وحدانية الله تعالى وقدسه ووجوب طاعته وتحسين العدل، وتقبيح الظلم والشهادة للذين جاؤوا بالكتب المقدمة، بأنهم جاؤوا بها من عند الله-تعالى-ما أثبتته تلك الكتب أنفسها. ولو قيل: "مصدقا لما بين يديه من الكتاب"، لصلح، فعلم أن اللام قائمة مقام الهاء في صدقته. ولو قيل: "ومصدقا بما يديه"، لم يدلك على أكثر من أنه أثبت أن كتبا كانت قبله، فثبت بهذا افتراق الصلتين، وتغاير ما يراد بهما، والله أعلم وما ينبغي لأحد أن يستنكر هذا الفرق، فإن الوجود منه هو الموافق للصواب والحكمة إذ كان الاعتراف بالله-جل جلاله-، لابد من أن يسبق حتى يصح القبول عنه وطاعته وعبادته من بعد، والاعتراف بالنبي كذلك لأنه يسبق، ثم تكون متابعته والقبول عنه، ولو تجردت المتابعة بفعل ما يأمر به، والانتهاء عما ينهي عنه عن الاعتراف بالنبوة لما سلمت، ولا سلمت نفعت، فكان حقا أن يعود الأصل من هاتين الخصلتين بإحدى هاتين اللفظتين والتابع منهما بالأخرى. فيكون التصديق بالله إثباته والاعتراف بوجوده، والتصديق له قبول شرائعه، وإتباع فرائضه على أنها صواب وحكمة وعدل، والطاعة فيها لازمة، والمحافظة على حدوده، والثقة بوعده ووعيده.

وكذلك التصديق بالنبي، غير التصديق له.

فالتصديق به: هو الاعتراف بوجوده وكونه وإثباته نبيا في الجملة.

والتصديق له: إتباعه وطاعته وقبول ما جاء عنه.

وكذلك الإيمان بالله: هو الاعتراف به وإثباته.

والإيمان له: طاعته وإتباع أمره.

وعلى هذا الإيمان بالله أو النبي، إيمان بالدلائل التي دلت عليه، لأنه قبول لدلالتها عنها، وانقياد لموجبها". [(١)]

وقال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي-رحمه الله-«**ت: ٨١٧هـ**»: "والتوحيد توحيدان: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، فصاحب توحيد الربوبية يشهد قيومية الرب فوق عرشه يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق ولا رازق، ولا معطى ولا مانع ولا مميت ولا محي ولا مدبر لأمر المملكة ظاهرا وباطنا غيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجرى حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وقد أحصاها علمه وأحاطت بها قدرته، ونفذت فيها مشيئته، واقتضتها حكمته.

وأما توحيد الإلهية فهو أن يجمع همه وقلبه وعزمه وإرادته وحركاته على أداء حقه والقيام بعبوديته". [(٢)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨هـ**»: "التوحيد: "توحيد الربوبية" و "توحيد الإلهية". [(٣)]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨هـ**»: "وهذه المعاني تدل على توحيد الربوبية وعلى

---

(١) شعب الإيمان للحليمي «١/ ٢١-٢٢».

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز «٥/ ١٧٢».

(٣) مجموع الفتاوى «١٥/ ٣٣١».

توحيد الإلهية وهو التوحيد الواجب الكامل الذي جاء به القرآن...فإثبات الإلهية يوجب إثبات الربوبية ونفي الربوية يوجب نفي الإلهية؛ إذ الإلهية هي الغاية وهي مستلزمة للبداية كاستلزام العلة الغائية للفاعلية. وكل واحد من وحدانية الربوبية والإلهية -وإن كان معلوما بالفطرة الضرورية البديهية وبالشرعية النبوية الإلهية-فهو أيضا معلوم بالأمثال الضرورية التي هي المقاييس العقلية". (١)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨هـ**»-في معرض كلامه عن غلط بعض العامة والسالكين-: "وذلك أن هذا الموضع غلط فيه كثير من العامة؛ بل ومن السالكين فمنهم من يشهد القدر فقط ويشهد الحقيقة الكونية دون الدينية فيرى أن الله خالق كل شيء وربه ولا يفرق بين ما يحبه الله ويرضاه وبين ما يسخطه ويبغضه وإن قدره وقضاه ولا يميز بين توحيد الألوهية وبين توحيد الربوبية". (٢)

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨هـ**»: "وهذه المعاني تدل على توحيد الربوبية؛ وعلى توحيد الإلهية؛ وهو: التوحيد الواجب الكامل الذي جاء به القرآن". (٣)

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨هـ**»: "وكثير من المتوجهين السالكين يشهد في سلوكه الربوبية والقيومية الكاملة الشاملة لكل مخلوق؛ من الأعيان والصفات. وهذه الأمور قائمة بكلمات الله الكونية التي كان النبي-صلى الله تعالى عليه وسلم-يستعيذ بها فيقول: «**أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن**». فيغيب ويفنى بهذا التوحيد الرباني عما هو مأمور به أيضا ومطلوب منه وهو محبوب الحق ومرضيه من التوحيد

---

(١) مجموع الفتاوى «٢/ ٣٧».

(٢) مجموع الفتاوى «١٥/ ٦٦٨». وانظر: «١٥/ ٤٩٧».

(٣) مجموع الفتاوى «٢٠/ ١٨٣».

الإلهي؛ الذي هو عبادته وحده لا شريك له وطاعته وطاعة رسوله والأمر بما أمر به والنهي عما نهى عنه والحب فيه والبغض فيه".[(١)]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨هـ**»: "وأما ما يظنه طوائف من أهل الكلام أن الألوهية هي نفس الربوبية وأن ما ذكر في القرآن من نفي إله آخر والأمثال المضـــروبة البينة فالمقصـــود به نفي رب يشـــركه في خلق العالم كما هو عادتهم في كتب الكلام فهذا قصـــور وتقصـــير منهم في فهم القرآن وما فيه من الحجج والأمثال أتوا فيه من جهة أن مبلغ علمهم هو ما ســـلكوه من الطريقة الكلامية فاعتقدوا أن المقصـــودين واحد وليس كذلك بل القرآن ينفي أن يعبد غير الله أو أن يتخذه إلها فيحبه ويخضع له محبة الإله وخضوعه كما بينت ذلك عامة آيات القرآن مثل قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: الآية: ٦٥]، ولهذا قال الخليل ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: الآية: ٧٦]

ومن المعلوم أن كل حي فله إرادة وعمل بحسبه وكل متحرك فأصل حركته المحبة والإرادة ولا صلاح للموجودات إلا أن يكون كمال محبتها وحركتها لله تعالى كما لا وجود لها إلا أن يبدعها الله ولهذا قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٢]، ولم يقل لعدمتا إذ هو قادر على أن يبقيها على وجهة الفساد لكن لا يمكن أن تكون صالحة إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له فإن صلاح الحي إنما هو صلاح مقصوده ومراده وصلاح الأعمال والحركات بصلاح إرادتها ونياتها".[(٢)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨هـ**»: "فمتكلمة أهل الإثبات يثبتون لله صـــفات الكمال كالحياة والعلم والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر.

وهؤلاء يثبتون ذلك لكن قصروا في بعض صفات الكمال، وقصروا في التوحيد، فظنوا أن كمال التوحيد هو توحيد الربوبية، ولم يصـــعدوا إلى توحيد الإلهية الذي جاءت به الرســـل

---

(١) مجموع الفتاوى «٢/ ٤٥٧».

(٢) قاعدة في المحبة «ص: ١٤-١٥».



ونزلت به الكتب.

وذلك أن كثيرا من كلامهم أخذوه من كلام المعتزلة، والمعتزلة مقصـــرون في هذا الباب، فإنهم لم يوفوا توحيد الربوبية حقه، فكيف بتوحيد الإلهية.

ومع هذا فأئمة المعتزلة وشيوخهم وأئمة الأشعرية والكرامية ونحوهم خير في تقرير توحيد الربوبية من متفلسفة الأشعرية كالرازي والآمدي وأمثال هؤلاء، فإن هؤلاء خلطوا ذلك بتوحيد الفلاسفة كابن سينا «**ت: ٤٢٨ هـ**»، وأمثاله، وهو أبعد الكلام عن التحقيق في التوحيد، وإن كان خيرا من كلام قدمائهم أرسطو وذويه". (١)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨هـ**»: "حتى أن كثيرا منهم يظنون أن التوحيد المفروض هو الإقرار والتصديق بأن الله خالق كل شيء وربه ولا يميزون بين الإقرار بتوحيد الربوبية الذي أقر به مشركو العرب وبين توحيد الإلهية الذي دعاهم إليه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–". (٢)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨هـ**»: "فقوله: «**لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت**» توحيد الربوبية الذي يقتضي: أنه سبحانه: هو الذي يسأل ويدعى ويتوكل عليه. وهو سبب لتوحيد الإلهية ودليل عليه". (٣)

وقال أحمد بن علي المقريزي–رحمه الله–«**ت: ٨٤٥هـ**»: "ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم، وخالق السموات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة". (٤)

وقال المقريزي–رحمه الله–«**ت: ٨٤٥هـ**»: "فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق

---

(١) منهاج السنة «٣/ ٢٩٤-٢٩٥».

(٢) مجموع الفتاوى «١٥/ ٢٦٤».

(٣) مجموع الفتاوى «١٤/ ٣٧٧».

(٤) تجريد التوحيد المفيد «ص: ٧».

مؤمنها وكافرها، وتوحيد الإلهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين".[(١)]

وقال الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني-رحمه الله-«**ت: ١١٨٢هـ**»: "الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد".[(٢)]

وقال الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني-رحمه الله-«**ت: ١١٨٢هـ**»: "التوحيد قسمان:

القسم الأول: توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها، ومعناه: أن الله وحده هو الخالق للعالم، وهو الرب لهم والرازق لهم، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكا، بل هم مقرون به.

والقسم الثاني: توحيد العبادة، ومعناه: إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها، فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء، ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى".[(٣)]

وقال المرتضى الزبيدي-رحمه الله-صاحب تاج العروس في شرح القاموس «**ت: ١٢٠٥هـ**»: "التوحيد توحيدان:

توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية.

فصاحب توحيد الربانية يشهد قيومية الرب فرق عرشه يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق ولا رازق ولا معطي ولا مانع ولا محيي ولا مميت ولا مدبر لأمر المملكة ظاهرًا وباطنًا غيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجوز حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وقد أحصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت فيها مشيئته، واقتضتها حكمته.

وأما توحيد الإلهية: فهو أن يجمع همته وقلب وعزمه وإرادته وحركاته على أداء حقه، والقيام

---

(١) تجريد التوحيد المفيد «ص: ٨».

(٢) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد «ص: ٤٧».

(٣) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد «ص: ٥٠».

بعبوديته". [١]

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي-رحمه الله-«**ت ١٢٠٦هـ**»: "وهو نوعان: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية:

أما توحيد الربوبية فيقر به الكافر والمسلم،

وأما توحيد الألوهية فهو الفارق بين الكفر والإسلام". [٢]

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي-رحمه الله-«**ت ١٢٠٦هـ**»: "التوحيد نوعان: توحيد الربوبية: وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم. وهذا حق لا بد منه، لكن لا يدخل الرجل في الإسلام؛ بل أكثر الناس مقرون به، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: الآية: ٣١]، وأن الذي يدخل الرجل في الإسلام هو توحيد الإلهية، وهو: ألا يعبد إلا الله، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا". [٣]

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي-رحمه الله-«**ت ١٢٠٦هـ**»: "واعلم، أرشدك الله، أن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب لمسألة واحدة، هي: توحيد الله وحده، والكفر بالطاغوت، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: الآية: ٣٦]، والطاغوت هو الذي يسمى: "السيد"، الذي ينخى وينذر له، ويطلب منه تفريج الكربات غير الله-تعالى-. وهذا يتبين بأمرين عظيمين:

الأول: توحيد الربوبية، وهو الشهادة بأنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا يحيي، ولا يميت، ولا يدبر

---

(١) تاج العروس «٩/ ٢٧٦».

(٢) كتاب الجواهر المضية «ص: ٣٧».

(٣) كتاب الرسائل الشخصية «ص: ١٥١».

الأمور إلا هو؛ وهذا حق، ولكن أعظم الكفار كفرا، الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يشهدون به ولم يدخلهم في الإسلام، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: الآية: ٣١].

الأمر الثاني: وهو توحيد الإلهية، وهو أنه لا يسجد إلا لله، ولا يركع إلا له، ولا يدعى في الرخاء والشدائد إلا هو، ولا يذبح إلا له، ولا يعبد بجميع العبادات إلا الله وحده لا شريك له، وأن من فعل ذلك في نبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء فقد أشرك بالله". (١)

وقال الشيخ محمد رشيد رضا-رحمه الله-«**ت: ١٣٥٤هـ**»: "أقول: المراد بهذا تقرير وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية، وكلاهما متفق عليه بين الأنبياء... ". (٢)

ويقول في موضع آخر مصرحا بهذه القسمة: "ولما كان التوحيد الذي هو لباب الدين وروحه نوعين: توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية بين كلا منهما بالآيات والبراهين... ". (٣)

وهناك من يقسم التوحيد إلى قسمين:

القسم الأول: توحيد المرسل.

القسم الثاني: توحيد متابعة الرسول.

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "توحيدان. لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما:

توحيد المرسل.

وتوحيد متابعة الرسول. فلا يحاكم إلى غيره. ولا يرضى بحكم غيره". (٤)

---

(١) الرسائل الشخصية «ص: ١٤٦-١٤٧».

(٢) تفسير المنار «٣/ ٣٢٥».

(٣) تفسير المنار «٨/ ٢٧٢».

(٤) مدارج السالكين «٢/ ٣٦٦».

وقال ابن أبي العز-رحمه الله-«**ت: ٧٩٢هـ**»: "فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا نحاكم إلى غيره، ولا نرضى بحكم غيره". [١]

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين:

القسم الأول: التوحيد الإجمالي.

القسم الثاني: التوحيد التفصيلي.

قال الشيخ حماد بن محمد الأنصاري-رحمه الله-«**ت: ١٤١٨هـ**»: "والتوحيد ينقسم باعتبار آخر إلى قسمين:

أولًا: توحيد إجمالي.

ثانيًا: توحيد تفصيلي.

التوحيد الإجمالي: هو الذي يدرك بالآيات الفعلية.

والتوحيد التفصيلي: هو الذي يدرك بالآيات القولية.

والتوحيد الإجمالي الذي يدرك بالآيات الفعلية هو توحيد الربوبية.

والآيات الفعلية: هي السموات والأرض وما بينهما، وبالنظر إلى الخلق نستنتج أن لهذا الخلق ربًا عظيمًا متصفًا بجميع صفات الجمال والكمال.

وهذا في الإمكان أن يدركه كل أحد لأنه فطري.

أما التوحيد التفصيلي الذي بينه الله عز وجل في سورة الفاتحة فلا يمكن إدراكه إلا بالآيات القولية، وهي القرآن والسنة". [٢]

وقد قسم بعض العلماء التوحيد إلى قسمين:

الأول: توحيد عامي

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية «١/ ٢٠٠».

(٢) تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أقسام التوحيد «ص: ٤٧».

الثاني: توحيد خاصي.

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "فإن التوحيد نوعان: عامي وخاصـــي، كما أن الصلاة نوعان، والذكر نوعان، وسائر القرب كذلك خاصية وعامية.

فالخاصية: ما بذل فيها العامل نصحه وقصده بحيث يوقعها على أحسن الوجوه وأكملها.

والعامية: ما لم يكن كذلك.

فالمســـلمون كلهم مشـــتركون في إتيانهم بشـــهادة أن لا إله إلا الله، وتفاوتهم في معرفتهم بمضمون هذه الشهادة وقيامهم بحقها باطنا وظاهرا أمر لا يحصيه إلا الله عز وجل".[١]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "من كان توكله على الله ودعاؤه له هـــو في حصـول مباحات فهو من العامة، وإن كان في حصـول مستحبات وواجبات فهو الخاصـة".

".[٢]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "قوم ينظرون إلى جانب الأمر والنهي والعبادة والطاعة شـاهدين لإلهية الرب سـبحانه الذي أمروا أن يعبدوه ولا ينظرون إلى جانب القضـاء والقدر والتوكل والاســتعانة، وهو حال كثير من المتفقهة والمتعبدة، فهم مع حســن قصــدهم وتعظيمهم لحرمات الله ولشعائره يغلب عليهم الضعف والعجز والخــذلان لأن الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجوء إليه والدعاء له هي التي تقوي العبد وتيسـر عليـه".[٣]

فالتوحيد الخاصي هو الذي حقق التوحيد معرفة بكل معانيه وعمـــلا بـه وبلوازمه، وأما العامي ما نقص من ذلك إما معرفة وعلما أو عملا وطاعة، والله أعلم.

وهذا ما وقفت عليه من تقسيمات العلماء للتوحيد وهي واحدة من حيث مضـمونها كما سـبق إيضـاح ذلك من خلال ربطها بالتقسـيم الأول، ولذا فإن الاختلاف بينها منحصـر في

---

(١) طريق الهجرتين «ص: ٥٩».

(٢) مجموع الفتاوى «١٠/ ٣٦».

(٣) مجموع الفتاوى «١٠/ ٣٢».

الألفاظ فقط. والله أعلم.

الأمر الثالث: الرد على شبهة من أنكر تقسيم التوحيد.

هناك من حاول إنكار تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام بدعوى:

أولًا: أن هذا التقسيم لا يعرف عند السلف البتة، وأن هذا التقسيم إنما انتشر بعد القرن السابع الهجري.

ومن ذلك قول حسن السقاف: "وخصوصًا أن هذا التقسيم لا يُعرف عند السَّلَف البتَّة، وإنما اختُرِع هذا التقسيم وانتشر بعد القرن السابع الهجري".[(١)]

وقال: "ولم يَذكر الله تعالى في كتابه ولا النبيُّ –صلى الله عليه وسلم– في سنته أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيدِ ربوبية، وتوحيدِ ألوهية، وتوحيدِ أسماءِ وصفات، بل لم ينطق بهذا التقسيم أحدٌ من الصحابة، بل ولا أحدٌ من التابعين، بل ولا أحدٌ من السَّلَف الصالح– رضي الله عن الجميع–، بل إن هذا التقسيم بدعة خَلَفية مذمومة حَدَثت في القرن الثامن الهجري، أي بعد زمن النبي –صلى الله عليه وسلم– بنحو ثمان مئة سنة، ولم يقل بهذا التقسيم أحدٌ من قبل".[(٢)]

وقال: "ابن تيمية الذي اختَرَع تقسيمَ التوحيدِ إلى ألوهية وربوبية".[(٣)]

وقال أبو حامد بن مرزوق: "إن تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، والقول بأنَّ المشركين كانوا مؤمنين بالأول دون الثاني ولم يُدخلهم في الإسلام أنَّ ذلك بدعة ابتدعها ابن تيمية وقلَّده فيها محمد بن عبد الوهاب".[(٤)]

ثانيًا: أن ذلك دعوة إلى التثليث،

---

(١) التنديد بمن عدَّد التوحيد «ص: ٣».

(٢) التنديد بمن عدَّد التوحيد «ص: ٦».

(٣) التنديد بمن عدَّد التوحيد «ص: ١٠».

(٤) كتاب التوسل بالنبي وجهالة الوهابيين.

والرد على هذه الدعوى بأن يقال هذه الدعوى مقصودها التشغيب وإثارة الشكوك والبلبلة ومردودة على قائليها:

أولًا: هذا التقسيم مأخوذ من التتبع والاستقراء لنصوص الكتاب والسنة فوجد العلماء أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأقسام وكل قسم من هذه الأقسام له أدلته من القرآن والسنة، وكل قسم له مميزاته وخصائصه.

ثم إن هذا التقسيم من جنس تقسيمات العلماء الأخرى المتعلقة بالأمور الشرعية مثل تقسيم العلماء الأمر الشرعي إلى واجب ومندوب أو تقسيم النواهي الشرعية إلى محرم ومكروه، أو قولهم إن الإيمان قول واعتقاد وعمل، أو تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية. فسائر هذه التقسيمات وغيرها كثير لم ترد في الشارع منصوصاً عليها وإنما استنبطها العلماء من خلال استقراء كلام الشارع.(١)

وقال الشيخ بكر أبو زيد:"هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن مندة وابن جرير الطبري-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**» ، وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين-رحم الله الجميع-، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء".(٢)

وقال الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد: "وهذا التقسيم لأنواع التوحيد عرف بالاستقراء من نصوص الكتاب والسنة".(٣)

ثانيًا: هذا التقسيم موجود مع بداية التصنيف والتدوين لمسائل العقيدة ومن الأدلة على

---

(١) أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة «ص: ٩١».

(٢) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير» «ص: ٣٠».

(٣) مقدمة تحقيق كتاب تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني «ص: ١٠».

ذلك بعض النصوص الواردة عن السلف في بيان ذلك:

النص الأول: للإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري-رحمه الله-«**ت: ٣٨٧ هـ**» حيث قال في كتابه «**الإبانة**» ما نصه: «... **وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:**

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مباينا لمذاهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعا.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون مباينا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه..» [(١)]

وكلامه هذا صريح في أن أصل الإيمان بالله وتوحيده مبني على هذه الأمور الثلاثة فسمى الأول اعتقاد الربانية والثاني اعتقاد الوحدانية والثالث اعتقاد اتصافه بالصفات العلى اللازمة لكمال الله سبحانه وتعالى.

والنص الثاني: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيي بن منده-رحمه الله-«**ت: ٣٩٥ هـ**» حيث فصل وبوب في كتابه القيم: «**كتاب التوحيد**» في الأقسام الثلاثة للتوحيد فمن تبوبياته:

١.ذكر ما وصف الله عز وجل به نفسه ودل على وحدانيته عز وجل وأنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

٢.ذكر معرفة بدأ الخلق.

٣.ذكر معرفة أسماء الله عز وجل الحسنى التي تسمى بها وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء والذكر-وأبواب أخرى كثيرة فمن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى الكتاب المذكور.

---

(١) الإبانة «٢/ ١٧٢-١٧٣».

ولذلك وصف الكتاب ومباحثه محققه الدكتور علي الفقيهي بقوله:

"قسم المؤلف التوحيد إلى أربعة أقسام حيث جعل أسماء الله الحسنى قسما مستقلا ثم أتبعها بالصفات، وأقسام التوحيد الذي ذكرها هي:

الوحدانية في الربوبية.

توحيد الألوهية وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

توحيد أسماء الله الحسنى.

الصفات". [١]. [٢]

ثالثًا: أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام أمر مقرر عند المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية على خلل في التقسيم لديهم بعدم ذكرهم لتوحيد الألوهية ومن قولهم في ذلك ما قاله الشهرستاني «**ت: ٥٤٨ هـ**»: "وأما التوحيد فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له". [٣]

وقال الرازي «**ت: ٦٠٦ هـ**»: "اعلم أنه تعالى واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، أما أنه واحد في ذاته فلأن ذاته منزهة عن جهات التركيبات، لا من التركيبات المقدارية الحسية كما في الجسم، ولا من التركيبات العقلية كما في النوع المركب من الجنس والفصل.

وأما أنه واحد في صفاته فهو أنه ليس في الوجود مواد آخر يساويه في الوجود بالذات، وفي العلم بكل المعلومات، وفي القدرة على كل الممكنات، وفي الغني عن كل ما سواه.

وأما إنه واحد في أفعاله فهو أنه ليس في الوجود موجود بكون مبدئا لجميع الممكنات إما

---

(١) التوحيد ابن مندة «١/ ٣٣» تحقيق علي بن ناصر الفقيهي ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

(٢) انظر في ذلك: «القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد»، عبد الرزاق البدر، دار ابن عفان.

(٣) الملل والنحل «١/ ٤٢».

بغير واسطة، وإما بواسطة إلا هو".[١]

وقال أبو منصور الماتريدي-رحمه الله-«**ت: ٣٣٣ هـ**»: "الإيمان بالله: هو أن تجعله رب كل شيء، وأن له الخلق والأمر، والإيمان برسوله: هو أن تصدقه في كل ما يخبر عن الله تعالى وفي كل قول وفعل، وأنه صادق، وأنه محق، وتعلم أنه بأمر الله تعالى ونهيه يأمر وينهى ويفعل لا من ذات نفسه؛ هذا هو الإيمان بالله تعالى ورسوله-صلى الله عليه وسلم-".[٢]

قال الجرجاني «**ت: ٤٧١ هـ**» في تعريف التوحيد: "التوحيد ثلاثة أشياء: معرفة الله-تعالى-بالربوبية، والإقرار له بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة".[٣]

وقال كمال الدين ابن أبي شريف «**ت: ٩٠٦ هـ**»:"التوحيد هو اعتقاد الوحدانية في الذات والصفات والأفعال".[٤]

فلماذا لم يسقط هذا المنكر لتقسيم التوحيد دعواه على هذا القول بأن يقول عنه ما قاله عن تقسيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصفات، بحيث يقال هذا التقسيم مبتدع وفيه مشابهة لدعوى النصارى بالتثليث، فهلا أخبرونا عن دليلهم الذي استدلوا به لهذا التقسيم؟! فما كان جوابًا لهم فهو جوابٌ لنا.

رابعًا: أن دعوى كون هذا التقسيم هو دعوة لعقيدة التثليث فهذه الدعوى فاسدة وميتة وهي دعوى ادعاها قدماء الجهمية

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وضربنا لهم مثلا في ذلك فقلنا أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرب وليف وسعفوخوص وجمار واسمها اسم شيء واحد وسميت نخلة بجميع صفاتها فكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد لانقول إنه قد كان في

---

(١) المطالب العالية «١/ ١٦٣».

(٢) تفسير الماتريدي «تأويلات أهل السنة» «٩/ ٥١٥-٥١٦».

(٣) التعريفات للجرجاني «ص: ٩٩».

(٤) المسامرة شرح المسايرة: «ص: ٤٣».

وقت من الأوقات ولا قدرة حتى خلق قدرته والذي ليس له قدرة هو عاجز ولا نقول قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق له علما فعلم والذي لا يعلم هو جاهل، ولكن نقول لم يزل الله عالما قادرا مالكا لا متى ولا كيف.

قال وسمى الله رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: الآية: ١١] وقد كان الذي سماه وحيدا له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة وقد سماه وحيدا بجميع صفاته فكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد". [١]

ثم إن التمييز بين الربوبية والألوهية ومن ثم تقسيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية، لم ينفرد به ابن تيمية،بل قال به العديد من العلماء، وعلى سبيل المثال لا الحصر يقول أبو حاتم محمد بن حبان البستي «**ت: ٣٥٤هـ**»:"الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية، المتعزز بعظمة الربوبية، القائم على نفوس العالم بآجالها، والعالم بتقلبها وأحوالها، المانِّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نعمائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير، فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بعزته إرادته". [٢]

كما أراد بلا شبيه ولا نظير، فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بعزته إرادته".

قال الشيخ أحمد بن حجر آل طامي «**ت: ١٤٣٢هـ**»: "أورد بعض المتعصبين: إن ذلك التقسيم لم يقل به النبي؟.

الجواب:

أولًا: أن يقال له: إن ترد أن النبي–صلى الله عليه وسلم–لم يقل به لا لفظًا ولا معنى فباطل، فإنه قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله** »[٣]

---

(١) بيان تلبيس الجهمية «٣/ ٩٦-٩٧».

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء «ص: ١٤».

(٣) أخرجه البخاري «٢٥»، ومسلم «٢٢».

وهذا هو توحيد الألوهية، والنبي-صلى الله عليه وسلم-وأصحابه علموا الداخلين في الإسلام بأن لا يعبدوا إلا الله، وهو ما نريده.

وأكثر القوم كانوا معترفين بالربوبية، فكانوا عارفين بمعاني الألفاظ، لا يحتاجون إلى تفرقة.

فإذا قيل لهم: لا إله إلا الله، ولا خالق ولا رازق إلا الله، عرفوا ما تدل عليه الجملة الأولى والثانية، وأنت حين توازن بين قوله تعالى إخبارًا عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٧]، وقوله-تعالى-: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: الآية: ٥]، يظهر لك ما قلناه بجلاء ووضوح.

على أنه لا يضرنا أن النبي-صلى الله عليه وسلم-وصحبه لم يصطلحوا هذا الاصطلاح، لأننا نقول: تؤخذ الأشياء بمعانيها، ولا يلزم أن يكون النبي-صلى الله عليه وسلم-وصحابته-رضي الله عنهم-يمشون على هذا النهج المصطلح عليه.

وغاية قولنا: إن معنى الرب في اللغة غير معنى الإله، يدل الأول على الإحاطة والخلق والإيجاد والتربية، والثاني: على المعبود بحق أو باطل.

ونقول في الجواب ثانيًا: إن لم يقسم النبي التوحيد إلى أقسام ثلاثة، فلم يحصره في قسم واحد-كما تزعم-، ومعنى الألفاظ الواردة في القرآن والسنة واللغة تساعدنا على ذلك، وليس معك ما ينصرك على دعواك". (١)

رابعًا: أن إخراج توحيد الألوهية من تقسيم التوحيد مرده إلى عدم تفريقهم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وزعمهم بأنهما بمعنى واحد.

والذي دلت عليه النصوص وأقوال المفسرين والعلماء هو التفريق بين هذين النوعين من التوحيد.

عن مجاهد بن جبر-رحمه الله-«**ت: ١٠٤ هـ**»: "﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: الآية: ١٠٦]، إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع

---

(١) العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية «١/ ٦٦-٦٧».

شرك عبادتهم غيره".[١]

وعن قتادة بن دعامة السدوسي-رحمه الله-«**ت: ١١٨هـ**»، قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: الآية: ١٠٦]، في إيمانهم هذا. إنك لست تلقى أحدًا منهم إلا أنبأك أن الله ربه، وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشرك في عبادته".[٢]

قال محمد بن جرير الطبري-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**»: "يقول تعالى ذكره: وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف عز وجل صفتهم بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: الآية: ١٠٥]، بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾، في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أربابا، وزعمهم أن له ولدا، تعالى الله عما يقولون".[٣] وقول هنا فيه تفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

قال الشيخ حماد بن محمد الأنصاري-رحمه الله-«**ت: ١٤١٨ هـ**»: "توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية ليسا بمعنى واحد، كما ظنه الأشعرية الكلابية، والحنفية الماتريدية، والكرامية السجستانية، والجهمية الجعدية.

وهكذا كل هؤلاء الطوائف من المتكلمين المتفلسفين، الذين أعرضوا عن القرآن وعن السنة النبوية، واشتغلوا بالفلسفة والكلام، وبمجرد آراء يبدونها حول قضايا جوفاء لا نتيجة لها صحيحة".[٤]

خامسًا: أن إخراج توحيد الألوهية من تقسيم التوحيد مرده إلى قول طوائف المتكلمين من إخراجهم العمل عن مسمى الإيمان وأنه التصديق فقط.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: «**الوجه الثاني من غلط**

---

(١) تفسير الطبري «١٦/ ٢٨٧».

(٢) تفسير الطبري «١٦/ ٢٨٨».

(٣) تفسير الطبري «١٦/ ٢٨٦».

(٤) تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أنواع التوحيد «ص: ٣٠».

المرجئة: ظنهم أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط دون أعمال القلوب، كما تقدم عن جهمية المرجئة، الثالث: ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون شيء من الأعمال، ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه بمنزلة السبب مع المسبب، ولا يجعلونها لازمة له، والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر».[١]

الأمر الرابع: العلاقة بين أقسام التوحيد

أقسام التوحيد تُشكل بمجموعها جانب الإيمان بالله الذي نُسميه التوحيد، فلا يكمل لأحد توحيده إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة، فهي متكافلة متلازمة يكمل بعضها بعضًا، ولا يمكن الاستغناء ببعضها عن الآخر، فلا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية، وكذلك لا يصح-ولا يقوم-توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الله في ربوبيته وألوهيته لا يستقيم بدون توحيد الله في أسمائه وصفاته، فالخلل والانحراف في أيِّ نوع منها هو خلل في التوحيد كله، "فمعرفة الله لا تكون بدون عبادته، والعبادة لا تكون بدون معرفة الله، فهما متلازمان".[٢]

وقد أوضح بعضُ أهل العلم العلاقة بين أنواع التوحيد بقوله: "هي علاقة تلازم وتضمن وشمول".

فتوحيد الربوبية مُستلزم لتوحيد الألوهية.

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية.

وتوحيد الأسماء والصفات شامل للنوعين معًا.

بيان ذلك: أنَّ مَن أقرَّ بتوحيد الربوبية، وعلم أنَّ الله سبحانه هو الرب وحده لا شريك له

---

(١) مجموع الفتاوى «٧/ ٢٠٤».

(٢) «تحذير أهل الإيمان» «١/ ١٤٠»، «ضمن مجموعة الرسائل المنيرية».

في ربوبيته لَزمه [(١)] من ذلك الإقرار أن يُفرد الله بالعبادة وحده سبحانه وتعالى؛ لأنه لا يصلح أن يعبد إلا من كان ربًّا خالقًا مالكًا مدبرًا، وما دام كله لله وحده وجب أن يكون هو المعبود وحده.

ولهذا جَرَت سُنَّة القرآن الكريم على سوق آيات الربوبية مَقرونة بآيات الدعوة إلى توحيد الألوهية، ومن أمثلة ذلك:

قوله-تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٢١].

وأمَّا توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية؛ لأنَّ مَن عبد الله ولم يُشرك به شيئًا فهذا يدل ضمنًا على أنه قد اعتقد بأن الله هو ربه ومالكه الذي لا ربَّ غيره.

وهذا أمر يشاهده الموحد من نفسه، فكونه قد أفرد الله بالعبادة ولم يَصرف شيئًا منها لغير الله، ما هو إلا لإقراره بتوحيد الربوبية، وأنه لا ربَّ ولا مالك ولا متصرف إلا الله وحده.

وأمَّا توحيد الأسماء والصفات فهو شامل للنَّوعين معًا، وذلك لأنه يقوم على إفراد الله تعالى بكلِّ ما له من الأسماء الحسنى والصفات العُلى التي لا تنبغي إلا له سبحانه وتعالى، والتي من جملتها: الرَّب-الخالق-الرازق-الملك، وهذا هو توحيد الربوبية.

ومن جملتها: الله-الغفور-الرحيم-التَّواب، وهذا هو توحيد الألوهية.[(٢)]

---

(١) اللازم هنا قد يتخلف، كما هو الحال في كفار قريش؛ فهم يُقرون بتوحيد الربوبية، كما دَلَّت على ذلك النصوص، ولكنهم لم يُحققوا اللازم مِن إقرارهم بتوحيد الربوبية.

(٢) انظر: «الكواشف الجلية عن معاني الواسطية» للشيخ عبد العزيز السلمان «ص: ٤٢١، ٤٢٢».

٢-شهادة أن محمداً رسول الله

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: معنى شهادة أن محمدًا رسول الله.

المسألة الثانية: معنى النبوة والرسالة.

المسألة الثالثة: الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الإيمان به ﷺ

المسألة الرابعة: حقوق النبي ﷺ.

[٢] قال المصنف رحمه الله: «وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه. صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسَلَّم تسليمًا مزيدًا».

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: معنى شهادة أن محمدًا رسول الله.

معناها:

"معنى شهادة أن محمدا رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع"[(١)]

وهذه الشهادة هي الشطر الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة، كما أن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل في الركن الرابع من أركان الإيمان الستة، ويشهد لذلك حديث جبريل المشهور. ويلاحظ أننا عرفنا الشهادة والإيمان به بتعريف واحد، وهذا الأمر يصح في حالة الإفراد كما سبق وأن ذكرت في لفظ الإسلام والإيمان، أما في حالة الاقتران فالإيمان به يختص بتصديق القلب وإقراره، والشهادة يراد بها نطق اللسان واعترافه، ويجب تحقيق هذه الشهادة معرفة وإقرارا وانقيادا وطاعة[(٢)]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما الإيمان بالرسول فهو المهم، إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه، إذ هو الطريق إلى الله سبحانه، ولهذا كان ركنا الإسلام: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله"[(٣)]

المسألة الثانية: معنى النبوة والرسالة.

جمع الله لنبيه محمد–صلى الله عليه وسلم–بين النبوة والرسالة قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ

(١) الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب «ص: ٩» ضمن مجموعة الرسائل المفيدة.

(٢) زاد المعاد «١/ ٣٤».

(٣) مجموع الفتاوى «٨/ ٦٣٨-٦٣٩».

أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٠].

معنى النبي لغة وشرعا:

لغة:

النبوة في اللغة العربية مشتقة إما من «**النبأ**» أو «**النباوة**» أو «**النبوة**» أو «**النبي**» فإذا كانت مأخوذة من «**النبأ**» فتكون بمعنى الإخبار، لأن النبأ هو الخبر.

٢- وإذا كانت مأخوذة من «**النباوة أو النبوة**» فتكون بمعنى الرفعة والعلو، لأن «**النباوة أو النبوة: هي الشيء المرتفع**»

٣- أما إذا كانت مأخوذة من «**النبي**» بدون همز، فيكون معناها الطريق إلى الله-عز وجل-لأن معنى "النبي" الطريق.

ولو نظرنا إلى النبوة الشرعية لوجدنا أنها تشمل كل هذه المعاني إذ النبوة إخبار عن الله-عز وجل-، وهي رفعة لصاحبها لما فيها من التشريف والتكريم، وهى الطريق الموصلة إلى الله سبحانه.

شرعًا:

أما النبوة في اصطلاح الشرع: "فهي خبر خاص يكرم الله عز وجل به أحدًا من عباده فيميزه عن غيره بإيحائه إليه ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعيد"(١)

أما النبي فقد اختلف العلماء في تعريفه:

-فمنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه بشرع(٢) ليعمل به ولم يؤمر بتبليغه.

-فمنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله(٣)

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي، «ص: ٢٧٥».

(٢) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ١٦٧».

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي «٥/ ٧٣٥».

-ومنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين[(١)] وهذا هو الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية ولعله هو أرجح الأقوال وأسلمها من الاعتراض فقد اعترض على القول الأول بأنه غير صحيح لأن قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: الآية:: ٥٢]، يدل على أن كلا منهما مرسل وأنهما مع ذلك بينهما تغاير [(٢)] وكذلك مما يؤكد كون الأنبياء مأمورين بتبليغ قومهم ما أوحي إليهم والحكم بينهم بذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «**كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي** ...».الحديث[(٣)]

"أي تتولى أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية، والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه"[(٤)]

وقد اعترض على القول الثاني بأن الضابط الذي ذكروه لا يستقيم فيوسف عليه السلام كان رسولا وكان على شريعة إبراهيم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [غافر: الآية: ٣٤].

وكذلك داود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَۦ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۦ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:

---

(١) النبوات لابن تيمية «ص: ٢٥٥».

(٢) أضواء البيان «٥/ ٧٣٥».

(٣) أخرجه البخاري «٣٤٥٥»، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول «٦/ ١٧».

(٤) النهاية في غريب الحديث «٢/ ٤٢١».

الآيات: ١٦٣-١٦٤].

معنى الرسول لغة وشرعًا:

لغة:

الرسول لغة: إما مأخوذ من الرسل.

والرسل: هو الانبعاث على تؤدة.يقال: ناقة رسله: أي سهلة السير، وإبل مراسيل: منبعثة انبعاثا سهلا.ولفظ الرسل متضمن لمعنى الرفق ومعنى الانبعاث.فإذا تصور منه معنى الرفق يقال على رسلك إذا أمرته بالرفق.وإذا تصور منه معنى الانبعاث يقال إبل مراسيل أي منبعثة.

ولفظ الرسول اشتق من المعنى الثاني أي الانبعاث.

فالرسول على هذا الاشتقاق هو المنبعث(١)

وإما مأخوذ من الرسل وهو التتابع فيقال جاءت الإبل رسلا أي متتابعة، ويقال جاءوا أرسالًا: أي متتابعين.

ومعنى الرسول على هذا الاشتقاق: هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه(٢)

ولو نظرنا إلى كلا الاشتقاقين فإنا نجد أن لفظ الرسول في اصطلاح الشرع يدل عليهما فالرسول مبعوث من قبل الله، وهو كذلك يتابع أخبار الوحي المنزل إليه من الله تعالى.

ولفظ الرسول تارة يقال للقول المتحمل كقول الشاعر:

ألا بلغ أبا حفص رسولا

وتارة لمتحمل القول والرسالة(٣)

شرعًا:

والرسول في الشرع: عرف بعدة تعريفات:

---

(١) المفردات في غريب القرآن «ص: ١٩٥»، مادة "رسل".

(٢) المفردات في غريب القرآن «ص: ١٩٥»، مادة "رسل"، ولسان العرب مادة "رسل" «١١/ ٢٨٤».

(٣) المفردات في غريب القرآن «ص: ١٩٥» مادة "رسل"، ولسان العرب مادة "رسل" «١١/ ٢٨٤».

فمن العلماء من عرفه بقوله: هو الذي أوحى الله إليه بخبر وأمره بتبليغه للناس، وهؤلاء فرقوا بينه وبين النبي بأن النبي أوحي إليه بخبر ولم يؤمر بتبليغه[١]

ومنهم من عرفه بقوله: هو الذي أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي تثبت بها نبوته.

وقالوا: إن النبي هو الذي لم ينزل إليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله[٢]

ومنهم من قال: إن الرسول هو الذي ينبئه الله ثم يأمره أن يبلغ رسالته إلى من خالف أمره أي إلى قوم كافرين.

أما النبي فهو من أوحى الله إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين بهما.

وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، واستشهد لذلك بأن نوحا عليه السلام كان هو أول رسول بعث إلى أهل الأرض وكان أول شرك بالله قد وقع في قومه.

وقد كان قبل نوح أنبياء كشيث وإدريس -عليهما السلام- وقبلهما آدم كان نبيًا مكلمًا، وقد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام وكان المبعوثون في هذه القرون أنبياء فقط[٣][٤]

وهذا القول الثالث هو أرجح الأقوال.

أما القول الأول فهو غير مسلم كما سبق وإن وضحت في الكلام على معنى النبي.وكذا الأمر بالنسبة للقول للثاني فليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة كما تقدم ذكر

(١) شعب الإيمان للبيهقي «ص: ٢٧٥-٢٧٦» بتحقيق فلاح بن ثاني، وشرح العقيدة الطحاوية «ص: ١٦٧».

(٢) أضواء البيان «٥/ ٧٣٥».

(٣) أضواء البيان «٥/ ٧٣٥».

(٤) النبوات «ص: ٢٥٥-٢٥٦».

ذلك.

المسألة الثالثة: الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الإيمان به ﷺ

الأدلة من القرآن:

أوجب الله سبحانه وتعالى على الثقلين–الإنس والجن–الذين أدركتهم رسالة النبي–صلى الله عليه وسلم–أن يؤمنوا بالنبي–صلى الله عليه وسلم–وبما جاء به كما شهدت بذلك نصوص الكتاب العزيز.

كما أكد الله وجوب الإيمان بأن جعله مقترنا بالإيمان به سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها:

قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ * وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۙ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: الآيات: ٧–٨]، وقال تعالى:﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: الآية: ٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: الآية: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: الآية: ٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: الآية: ١٥].

والإيمان به–صلى الله عليه وسلم–واحد من ثلاثة حقوق اقترن بها حقه–صلى الله عليه وسلم–مع حق الله تعالى في القرآن الكريم.

أما الحق الثاني له: فهو طاعته قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل

عمران: الآية: ١٣٢].

والحق الثالث هو: محبته قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: الآية: ٢٤].

"كما أن الإيمان به واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه".[١]

وقال تعالى في حق من لم يؤمن: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: الآية: ١٣].

الأدلة من السنة على وجوب الإيمان به صلى الله عليه وسلم:

وردت في السنة أحاديث كثيرة جدًا تدل على وجوب الإيمان به-صلى الله عليه وسلم- على الجن والإنس الذين أدركتهم رسالته، سواء كانوا أهل كتاب، أم ليسوا بأهل كتاب، ويستوي في ذلك عربهم وعجمهم، وذكرهم وأنثاهم، فلا يسع أحدا من هؤلاء الخروج عن شريعته أو التعبد لله بغير ما جاء به.لأن الله لا يقبل من أحد عملا يخالف شرع نبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية: ٨٥]، ومن الأحاديث الواردة في هذا الشأن:

١-عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: «**أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**».[٢]

٢- وعن ابن عمر-رضي الله عنهما-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: «**أمرت**

---

(١) الشفا للقاضي عياض «٢/ ٥٣٨» بتصرف.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله «١/ ٣٩» .

أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله».[(١)]

٣- عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع لي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**».[(٢)]

٤- وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-، في حديث وفد عبد القيس أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال لهم: «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم.قال: «**شهادة أن لا إله إلا ال له وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس....**».الحديث.[(٣)]

٥- وعن معاذ بن جبل-رضي الله عنه-، قال: بعثني رسول الله فقال: «**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم**».[(٤)]

وبما تقدم من آيات وأحاديث يعلم وجوب الإيمان بالرسول-صلى الله عليه وسلم-وأهميته وأنه لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، كما لا تحصل نجاة ولا سعادة بدون الإيمان به لأنه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان: باب ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ ، انظر: فتح الباري «١/ ٧٥» «ح: ٢٥».وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، انظر «١/ ٣٩».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته «١/ ٩٣».

(٣) أخرجه البخاري «٥٢٣»، ومسلم «١٧».

(٤) أخرجه البخاري«١٤٩٦»، ومسلم «١٩».

هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك كان أول أركان الإسلام "شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله".

المسألة الرابعة: حقوق النبي–صلى الله عليه وسلم–.

فقد أوجب الله لنبيه–صلى الله عليه وسلم–على هذه الأمة جملة من الحقوق والواجبات تنظم العلاقة التي تربطهم به تنظيمًا دقيقًا لا لبس فيه ولا اشتباه.

وقد وردت في شأن تلك الحقوق نصوص كثيرة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه–صلى الله عليه وسلم–وضحت وفصلت وبينت جوانب تلك الحقوق.

وهذه الحقوق في جملتها هي الأصل الثاني من أصلي الدين كما يدل عليه قولنا "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله".

ولذا فقد كان لزاما على كل من ينطق بهذه الشهادة، ويدين الله بهذا الدين أن يحيط بتلك الحقوق معرفة، ويلتزم بها اعتقادا وقولا وعملا، فذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يحصل إيمان العبد إلا به.

ومما يؤسف له أن كثيرا من المسلمين اليوم هم على درجة كبيرة من الجهل بهذه الحقوق فتراهم لذلك على طرفي نقيض هذا المقام:

- فإما مقصر عن القيام بهذه الحقوق التي أوجبها الله على الأمة فتراه لا يقيم لها وزنا ولا يلقي لها بالا.

- وإما غال مبتدع منكب على ما ابتدعه، يظن أنه بما يفعله من أمور مبتدعة في هذا المقام قد أحسن صنعا وأنه مؤد لما أوجبه الله من حق لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكلا الطرفين صاحب حال مذموم غير محمود.فلما كان عامة أصحاب هذين الطرفين إنما أوقعهم فيما هم فيه، جهلهم بمعرفة تلك الحقوق على الوجه المطلوب شرعا.

وهذه الحقوق:

الحقوق التي تتصل بجانب الرسالة التي بعث بها.

١–وجوب الإيمان بنبوته ورسالته.وقد تقدم بيان الأدلة على ذلك.

٢-وجوب الإيمان بأن رسالته خاتمة الرسالات وأنه خاتم النبيين.

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ .[الأحزاب: الآية: ٤٠].

والآية نص صريح واضح على ختم النبوة بمحمد-صلى الله عليه وسلم-وكونه خاتم الأنبياء وآخرهم مبعثًا فلا نبي بعده ولا رسول.

عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: "أتي رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بلحم، فرفع إليه الذراع – وكانت تعجبه – فنهس منها نهسة ثم قال «**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مما ذلك؟** »، ثم ذكر-صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وما يحدث فيه من استشفاع الناس بالأنبياء للحساب حتى يصلوا إليه-صلى الله عليه وسلم-، فذكر-صلى الله عليه وسلم-أنهم يقولون: "أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، تشفع لنا إلى ربك ..." الحديث [(١)]

٣-وجوب الإيمان بأن رسالته عامة للإنس والجن وأنه لا يسع أحدًا الخروج عنها.

وأما الأدلة من القرآن على ذلك فمنها:

١-قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُـــولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٨].

٢-وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: الآية: ٢٨].

٣-وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: الآية: ٧٩].

٤-قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية: ١٠٧].

٥-وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: الآية: ١].

وأما الأدلة من السنة على ذلك فمنها:

---

(١) أخرجه البخاري«٤٧١٢»، ومسلم «١٩٤».

١-عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: «**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**».(١)

٢-وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: «**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**».(٢)

٣-وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار**».(٣)

وذكر اليهود والنصارى تنبيها على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى.(٤)

٤- وعن أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، أنه قال: «**من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني ثم لم يؤمن بي دخل النار**».(٥)

٤-وجوب الإيمان بعصمته فيما بلغه عن ربه.

وأما الأدلة من القرآن على ذلك فمنها:

١-قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: الآيات: ٣-

---

(١) أخرجه البخاري «٣٣٥»، ومسلم «٥٢١».

(٢) أخرجه مسلم «٥٢٣».

(٣) أخرجه مسلم «١٥٣».

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووي «٢/ ١٨٨».

(٥) أخرجه أحمد في مسنده «٤/ ٣٩٦- ٣٩٨».

٤]، فالآية نص في عصمة لسانه–صلى الله عليه وسلم–من كل هوى وغرض فهو لا ينطق إلا بما يوحى إليه من ربه ولا يقول إلا ما أمر به فيبلغه إلى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان.

وهذه الآية شهادة وتزكية من الله لنبيه ورسوله محمد–صلى الله عليه وسلم–في كل ما بلغه للناس من شرع الله.

٢- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: الآيات: ٤٤-٤٧]، فالآيات نصت على أن الله سبحانه وتعالى لا يؤيد من يكذب عليه بل لابد أن يظهر كذبه وأن ينتقم منه

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا «٧٣» وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا «٧٤» إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥] .وهذه الآيات دالة على عصمة الله وتثبيته لنبيه–صلى الله عليه وسلم–في تبليغ ما أوحى إليه، ومعناها مقارب لمعنى الآيات التي ذكرناها قبلها "فقد أخبر تعالى عن تأييده لرسوله–صلوات الله عليه وسلامه–وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه في مشارق الأرض ومغاربها".(١)

وأما الأدلة من السنة على ذلك فمنها:

حديث طلحة بن عبيد الله، وجاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم: «**ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله**».(٢)

والحديث نص على عصمته–صلى الله عليه وسلم–من الكذب فيما يخبر به عن الله.

---

(١) تفسير ابن كثير «٣/ ٥٣».

(٢) أخرجه مسلم «٢٣٦١».

٢- حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-، قال: "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أريد حفظه، فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، ورسول الله-صلى الله عليه وسلم-بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقال: «**اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق**».[(١)]

٣- حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، أنه قال: «**إني لا أقول إلا حقًا**»، قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله.قال: «**إني لا أقول إلا حقا**».[(٢)]

٥-الإيمان بأن النبي بلغ الرسالة وأكملها.

من تمام نعمة الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة أن أكمل لهم دينهم فلا ينقصه أبدا، ولا يحتاج إلى زيادة أبدا، واقترن هذا الإكمال برضاه سبحانه بأن يكون هذا الدين الكامل دينا نتعبده به، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية: ٣].

وهذه الآية دليل على كمال الدين وحيا من الله، وتبليغا من رسوله-صلى الله عليه وسلم-، ولقد نزلت هذه الآية الكريمة والنبي-صلى الله عليه وسلم-واقف بعرفات في حجة الوداع، وعاش النبي-صلى الله عليه وسلم-بعد نزولها إحدى وثمانين ليلة.

وهي شهادة من الله تعالى لنبيه-صلى الله عليه وسلم-على تبليغه لما أرسله به أتم تبليغ وأكمله وبذلك جعله الله خاتم النبيين، لأن الخلق بعد هذا لن يحتاجوا إلى نبي غير نبيهم-صلى الله عليه وسلم-ليكمل لهم دينهم، كما أنهم لا يحتاجون إلى دين آخر وذلك لكمال دينهم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسـنده «٢/ ١٦٢، ١٩٢» ، وأبو داود في سـننه، كتاب العلم: باب في كتاب العلم «٤/ ٦٠» «ح: ٣٦٤٦»، والحاكم في المستدرك «١/١٠٤، ١٠٥» وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد في مسـنده «٢/٣٤٠، ٣٦٠».والترمذي في سـننه، كتاب البر والصـلاة: باب ما جاء في المزاح «٤/ ٣٥٧» «ح: ١٩٩٠»، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ووجه الدلالة من الآية على ذلك "أن الله أخبر في هذه الآية بأنه قد أكمل الدين، وإنما كمل بما بلغه، إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه، فعلم من ذلك أنه-صلى الله عليه وسلم-قد بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده"[(١)]

وما كان من النبي-صلى الله عليه وسلم-بعد نزول هذه الآية الكريمة إلا أن استشهد الناس على ذلك في نفس المناسبة التي نزلت فيها الآية.

فعن جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟**».

قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «**اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات** ...».الحديث[(٢)]

فشهد له خير قرون هذه الأمة وهم صحابته-رضوان الله عليهم-، وكانوا في ذلك الموقف نحوا من أربعين ألفًا".[(٣)]

ولقد أمر الله تبارك وتعالى رسوله-صلى الله عليه وسلم-في مواطن متعددة من كتابه العزيز بأن يبلغ أمور هذا الدين البلاغ المبين الواضح فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: الآية: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: الآية: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: الآية: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: الآية: ٤٨].

وهذا الأمر والحث من الله لرسوله-صلى الله عليه وسلم-على البلاغ لشرع الله والدين الذي

---

(١) مجموع الفتاوى «٥/ ١٥٥، ١٥٦» بتصرف.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم «٤/ ٤١».

(٣) تفسير ابن كثير «٢/ ٧٧».

أوحاه إليه نابع من كون الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو الطريق الوحيد الذي يعرف بواسطة ما شرعه من دين يدين العباد له به، فليس ثمت طريق آخر إلى معرفة شرع الله وأوامره ونواهيه إلا طريقه بها فهو المبلغ عن الله تعالى، وهذه هي سنة الله في خلقه حيث جعل طريق معرفته وعبادته عن طريق من أرسله من الرسل "فلا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدارين إلا على أيدي الرسل، كما أنه لا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث والحلال من الحرام إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير" [(١)] وبهذا وبغيره نلمس عظم الحاجة إلى تبليغ الرسل.

٦-وجوب طاعته واتباعه ولزوم سنته والمحافظة عليها.

وأما الأدلة من القرآن على ذلك فمنها:

قال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى-: "نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في ثلاثة وثلاثين موضعا". [(٢)]

جعل الرب طاعته طاعة له في مثل قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: الآية: ٨٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: الآية: ٦٥].

وهو الذي لا سبيل لأحد إلى النجاة إلا بطاعته، ولا يسأل الناس يوم القيامة إلا عن الإيمان به واتباعه وطاعته، وبه يمتحنون في القبور، قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ٦].

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم «١/ ٦٩».

(٢) الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية «ص: ٥٦» .

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: الآية: ٦٤].

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: الآية: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٨].

وأما الأدلة من السنة على ذلك فمنها:

عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يارسول الله ومن يأبى؟، قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**».[1]

وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله** ...» الحديث.[2]

وعن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**والذي نفسي بيده لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد على الله كشراد البعير**».قال: يارسول الله ومن يأبى أن يدخل الجنة؟، قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[3]

وعن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ومن**

---

(١) أخرجه البخاري «٧٢٨٥».

(٢) أخرجه البخاري «٧١٣٧»، ومسلم «١٨٣٥».

(٣) أخرجه ابن حبان في صـــحيحه «١/ ١٥٣» وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد «١٠/ ٨٠» ، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.وله شاهد من طريق أبي هريرة بنحوه أخرجه الحاكم في مستدركه «٤/ ٢٤٧» وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي.وله شاهد آخر من طريق أبي أمامة بنحوه.أخرجه الحاكم في المستدرك «٤/ ٢٤٧» وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي.

جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».[(١)]

الحقوق التي تتعلق بخاصة شخص الرسول-صلى الله عليه وسلم-تفضيلًا وتكريمًا من الله له.

١-وجوب محبته-صلى الله عليه وسلم-.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: الآية: ٢٤].

عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه؛ كما يكره أن يلقى في النار**».[(٢)]

ما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي-صلى الله عليه وسلم-: "يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي.

فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «**لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك**"».فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي".فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «**الآن ياعمر**».[(٣)]

فالحديث نص على وجوب تقديم محبة الرسول-صلى الله عليه وسلم-على محبة النفس.

وأما الدليل على وجوب تقديم محبته على محبة الوالد والولد والناس أجمعين:

---

(١) أخرجه مسلم «٥٠».

(٢) أخرجه البخاري «١٦»، ومسلم «٤٣».

(٣) أخرجه البخاري «٦٦٣٢».

ثانيا: فعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: «**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**".[(١)]

ثالثا: وعن أنس–رضي الله عنه–، قال: قال النبي–صلى الله عليه وسلم–: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».[(٢)]

٢–وجوب تعزيره وتعظيمه وتوقيره–صلى الله عليه وسلم–.

قال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: الآية: ٩].

وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٧].

أما التعزير في اللغة:

فيقول صاحب معجم مقاييس اللغة عن أصل هذه الكلمة: "عزر" العين والزاء.والراء: كلمتان

أحدهما: التعظيم والنصر.والكلمة الأخرى: جنس من الضرب.فالأولى: النصر والتوقير كقوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: الآية: ٩]

والأصل الآخر: التعزير وهو الضرب دون الحد".[(٣)]

وفي النهاية في غريب الحديث "أصل التعزير: المنع والرد.فكأن من نصرته قد رددت عنه أعداءه ومنعتهم من أذاه.ولهذا قيل للتأديب الذي هو دون الحد تعزير، لأنه يمنع الجاني أن يعاود الذنب، يقال عزرته، وعزرته.فهو من الأضداد".[(٤)]

وجاء في تهذيب اللغة: "عزر" قال الله عز وجل: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: الآية: ٩].

---

(١) أخرجه البخاري «١٤».

(٢) أخرجه البخاري «١٥».

(٣) مقاييس اللغة «٤/ ٣١١».

(٤) النهاية «٣/ ٢٢٨».

جاء في التفسير في قوله تعالى ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي لتنصروه بالسيف ﴿وعزرتموهم﴾ عظمتموهم.وقيل: نصرتموهم.

واللفظة تستعمل لعدة معان هي:

١- التعزير: النصر باللسان والسيف.

٢- التعزير: التوقير.

٣- التعزير: التأديب دون الحد.

٤- التعزير: التوقيف على الفرائض والأحكام".[(١)]

وأما عن المعنى الشرعي المراد هنا:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وعزروه﴾ يقول: "حموه ووقروه".[(٢)]

وعن مجاهد قال: "عزروه: سددوا أمره، وأعانوا رسوله ونصروه".[(٣)]

وعن قتادة في قوله: ﴿وتعزروه﴾ قال ينصروه".[(٤)]

وقال ابن جرر الطبري: ﴿وعزروه﴾ "وقروه وعظموه وحموه من الناس".[(٥)]

وقال أيضا بعد أن نقل قول ابن عباس ومجاهد وقتادة "وهذه الأقوال متقاربات المعنى، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصر والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال".[(٦)]

---

(١) تهذيب اللغة «٢/ ١٢٩- ١٣٠» بتصرف.

(٢) تفسير الطبري «٩/ ٨٥».

(٣) تفسير الطبري «٩/ ٨٥».

(٤) تفسير الطبري «٢٦/ ٧٥».

(٥) تفسير الطبري «٩/ ٨٥».

(٦) تفسير الطبري «٢٦/ ٧٥».

وقال شيخ الإسلام: "التعزير: اسم جامع لنصره و تأييده ومنعه من كل ما يؤذيه".[١]

وأما عن التوقير في اللغة:

ففي معجم مقاييس اللغة: "وقر" الواو.والقاف.والراء: أصل يدل على ثقل في الشيء ...ومنه الوقار: الحلم والرزانه".[٢]

وجاء في تهذيب اللغة "وقر الرجل من الوقار، يقر، فهو وقور.ووقرت الرجل: إذا عظمته ومنه قوله عز وجل: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: الآية: ٩].

وفي لسان العرب: "وقر الرجل: بجله، والتوقير: التعظيم والترزين".[٣]

وأما المعنى الشرعي المراد هنا:

فقال ابن عباس: ﴿وَتُوَقِّرُوه﴾ يعني التعظيم.[٤]

وقال قتادة: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أمر الله بتسويده وتفخيمه".[٥]

وقال أيضا: "﴿وَتُوَقِّرُوه﴾ أي ليعظموه".[٦]

وقال ابن جرير الطبري: "فأما التوقير فهو التعظيم والإجلال والتفخيم".[٧]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "التوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن

(١) الصارم المسلول «ص: ٤٢٢».

(٢) معجم مقاييس اللغة «٦/ ١٣٢».

(٣) تهذيب اللغة «٩/ ٢٨٠».

(٤) لسان العرب «٥/ ٢٩١».

(٥) تفسير الطبري «٢٦/ ٧٤».

(٦) تفسير الطبري «٢٦/ ٧٤».

(٧) تفسير الطبري «٢٦/ ٧٥».

حد الوقار".[١]

قال ابن كثير: "التوقير: هو الإحترام والإجلال والإعظام".[٢]

وأما التعظيم في اللغة:

ففي لسان العرب "التعظيم: التبجيل: يقال لفلان عظمة عند الناس: أي حرمة يعظم لها".[٣]

ولفظ "التعظيم" لا يرد في خطاب الشارع كما ورد لفظ "التعزير" و"التوقير" لكن العلماء استعملوه في كلامهم عند هذه المسألة وذلك لقربه في المعنى إلى ذهن السامع، ولتأديته للمعنى المراد من لفظتي "التعزير" و"التوقير".

تعظيم النبي-صلى الله عليه وسلم-، وإجلاله، وتوقيره، شعبة عظيمة من شعب الإيمان، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة [٤] بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة.ذلك لأنه ليس كل محب معظما، ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه.

والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم.والسيد قد يحب مماليكه ولكنه لا يعظمهم.والمماليك يحبون ساداتهم ويعظموهم.

فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة.[٥]

فمن حق النبي-صلى الله عليه وسلم-على أمته أن يهاب ويعظم ويوقر ويجل أكثر من كل

---

(١) الصارم المسلول «ص: ٤٢٢».

(٢) تفسير ابن كثير «٤/ ١٨٥».

(٣) لسان العرب «١٢/ ٤١٠-٤١١».

(٤) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «٢/ ١٢٤» الشعبة الخامسة عشرة.وكذلك الجامع في شعب الإيمان للبيهقي «١/ ٣٠٠» الشعبة الخامسة عشرة..

(٥) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «٢/ ١٢٤».

ولد لوالده ومن كل عبد لسيده، فهذا حق من حقوقه الواجبة له مما يزيد على لوازم الرسالة.(١)

وهو ما أمر الله به في كتابه العزيز قال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: الآية: ٩].

وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٧].

فأبان أن حق الرسول صلى الله عليه وسلم في أمته أن يكون معززًا موقرًا مهيبًا.

وأخبر سبحانه أن الفلاح إنما يكون لمن جمع بين الإيمان به وتعزيره ولا خلاف في أن التعزير ها هنا التعظيم.(٢)

وفي الجمع الحاصل في الآيتين بين الإيمان به وتعظيمه، تنبيه وإرشاد إلى أن القيام بحقوقه-صلى الله عليه وسلم-يعد من الإيمان الواجب الذي لا يتم إيمان العبد إلا به.

قال الحليمي: "فمعلوم أن حقوق رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أجل وأعظم وأكرم وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم والآباء على أولادهم لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة، فهدانا به لما إذا أطعناه فيه أدانا إلى جنات النعيم.فأية نعمة توازي هذه النعم وأية منة تداني هذه المنن.ثم إنه جل ثناؤه ألزمنا طاعته، وتوعدنا على معصيته بالنار.ووعدنا باتباعه الجنة.فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة، وأي درجة تساوي في العلا هذه الدرجة.فحق علينا أن نحبه ونجله ونعظمه ونهابه أكثر من إجلال كل عبد سيده وكل ولد والده.وبمثل هذا نطق القرآن ووردت أوامر الله جل ثناؤه".(٣)

ففي القرآن الكريم آيات كثيرة جاء فيها التأكيد على هذا الحق من حقوقه-صلى الله عليه

---

(١) المعنى المقصود هنا: أنه يجوز أن يبعث الله رسولا ولا يوجب له هذا الحق بخلاف الإيمان والاتباع فإنهما من لوازم الرسالة.

(٢) المنهاج في شعب الإيمان «٢/ ١٢٥» "بتصرف".

(٣) المنهاج في شعب الإيمان «ص: ١٢٤- ١٢٥» والجامع لشعب الإيمان «ص: ٣٠٢- ٣٠٣».

وسلم-وبخاصة في جوانب معينة من جوانب تعظيمه ومن تلك الآيات ما يلي:

قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: الآية: ٦٣]، "ففي هذه الآية نهي من الله أن يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلظ وجفاء، وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع".(١)

وروى الطبري بسنده عن مجاهد في تفسيرها فقال: "أمرهم أن يدعوه يارسول الله في لين وتواضع، ولا يقولوا: يامحمد، في تجهم".(٢)

وعن قتادة قال: "أمرهم أن يفخموه ويشرفوه".(٣)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-في تفسيرها "خص الله نبيه في هذه الآية بالمخاطبة بما يليق به، فنهي أن يقولوا: يامحمد أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يارسول الله، يانبي الله وكيف لا يخاطبونه بذلك، والله سبحانه أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحدا من الأنبياء، فلم يدعه باسمه في القرآن قط، بل يقول ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الأحزاب: الآية: ٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٠] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: الآية: ١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: الآية: ١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: الآية: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: الآية: ٦٧]، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: الآيات: ١-٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: الآيات: ١-٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية: ٦٤].

مع أنه سبحانه قال: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: الآية:

---

(١) تفسير الطبري «١٨/ ١٧٧».

(٢) تفسير الطبري «١٨/ ١٧٧».

(٣) تفسير الطبري «١٨/ ١٧٧».

٣٥]، ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة: الآية: ٣٣] ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: الآية: ٤٦]، ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [هود: الآية: ٧٦] ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٤]، ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: الآية: ٢٦]، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ [المائدة: الآية: ١١٠]. (١)

وقال رحمه الله: "وإذا كنا في باب العبارة عن النبي–صلى الله عليه وسلم–علينا أن نفرق بين مخاطبته والإخبار عنه.فإذا خاطبناه كان علينا أن نتأدب بآداب الله تعالى حيث قال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: الآية: ٦٣]، فلا تقول يا محمد يا أحمد، كما يدعو بعضنا بعضا بل نقول: يارسول الله، يانبي الله.والله سبحانه وتعالى خاطب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم فقال: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: الآية: ٣٥]، ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ [هود: الآية: ٤٨]، ﴿يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: الآيات: ١١–١٢] ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: الآية: ٥٥]

ولما خاطبه صلى الله عليه وسلم قال ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأنفال: الآية: ٦٤]، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: الآية: ٤١]، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: الآية: ٦٧] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: الآية: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: الآية: ١]، فنحن أحق أن نتأدب في دعائه وخطابه.

وأما إذا كنا في مقام الإخبار عنه قلنا: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله" وقلنا محمد رسول الله وخاتم النبيين، فنخبر عنه باسمه كما أخبر الله سبحانه لما أخبر عنه–صلى الله عليه وسلم–: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٠]، وقال ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ

(١) الصارم المسلول «ص: ٤٢٢–٤٢٣».

تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: الآية: ٢٩] وقال ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٤٤]، وقال ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [محمد: الآية: ٢].

فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل".

٢- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ* إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: الآيات: ١-٥].

فهذه الآيات اشتملت على جملة من الآداب التي أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يجب أن يعاملوا به الرسول-صلى الله عليه وسلم-من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام وهذه الآداب هي:

أولًا: أنه حرم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: الآية: ١].

قال ابن كثير في معناها: "أي لا تسارعوا في الأشياء بين يديه أي قبله بل كونوا تبعا له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن «**بم تحكم؟** ».قال: بكتاب الله تعالى.قال - صلى الله عليه وسلم-: «**فإن لم تجد؟**».قال بسنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.قال- صلى الله عليه وسلم-: «**فإن لم تجد؟**».قال-رضي الله عنه-: أجتهد رأي، فضرب في صدره وقال: «**الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لما يرضي رسول**

الله–صلى الله عليه وسلم–».[١]

فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقدم بين يدي الله ورسوله".[٢]

وقال الحليمي عند تعليقه على هذه الآية: "والمعنى لا تقدموا قولًا أو فعلًا بين يدي قول رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر دين أو دنيا، بل أخروا أقوالكم وأفعالكم إلى أن يأمر رسول الله–صلى الله عليه وسلم–في ذلك بما يراه فإنكم إذا قدمتم بين يديه كنتم مقدمين بين يدي الله–عز وجل–إذ كان رسوله لا يقضي إلا عنه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾! أي احذروا عقابه بتقديمكم يين يدي رسول الله ومعاملته بما يوهم الاستخفاف به ومخالفة شيء مما يأمركم به عن الله بوحي متلو أو بوحي غير متلو ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي سميع لما تقدمونه بين يدي رسوله صلى الله عليه وسلم، أو تأتونه اقتداء به واتباعا له، عليم بما يكون منكم من إجلاله أو خلاف ذلك فهو يجزيكم بما سمعه ويعلمه منكم".[٣]

ولقد تأدب الصحابة مع ربهم ومع رسولهم، فما عاد بعد نزول هذه الآية مقترح منهم يقترح على الله ورسوله، وما عاد واحد منهم يدلي برأي لم يطلب منه رسول الله–صلى الله عليه وسلم– أن يدلي به، وما عاد أحد يقضي برأيه في أمر أو حكم إلا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله وقول النبي–صلى الله عليه وسلم–.

حتى كان الرسول–صلى الله عليه وسلم–يسألهم عن اليوم الذي هم فيه والمكان الذي هم فيه وهم يعلمونه حق العلم،فيتحرجون أن يجيبوا إلا بقولهم: الله ورسوله أعلم.خشية أن يكون

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده «٥/ ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٢» .وأبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء «٤/ ١٨» «ح: ٣٥٩٢».والترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب القاضي كيف يقضي «٣/ ٦١٦» «ح: ١٣٢٧».وابن ماجة في سننه، المقدمة، باب اجتناب الرأي والقياس بنحوه «١/ ٢١».

(٢) تفسير ابن كثير «٤/ ٢٠٥».

(٣) المنهاج في شعب الإيمان «٢/ ١٢٧».

في قولهم تقدم بين يدي الله ورسوله.ومن ذلك ما جاء في حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي–رضي الله عنه–، أن النبي–صلى الله عليه وسلم–سأل في حجة الوداع «**أي شهر هذا؟**».قلنا: الله ورسوله أعلم.فسكت حتى ظننا أن سيسميه بغير اسمه، قال: «**أليس ذو الحجة؟**».قلنا: بلى.قال: «**فأي بلد هذا؟**».قلنا: الله ورسوله أعلم.فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير أسمه، قال: «**أليس البلدة؟**».قلنا بلى.قال «**فأي يوم هذا؟**».قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.قال: «**أليس يوم النحر؟**».قلنا بلى ..." الحديث.[(١)]

فهذه صورة من الأدب، ومن التحرج، ومن التقوى التي انتهى إليها الصحابة بعد سماعهم ذلك النداء، وذلك التوجيه، وتلك الإشارة إلى التقوى تقوى الله السميع العليم.

ثانيا: أنه حرم رفع الصوت فوق صوت النبي–صلى الله عليه وسلم–وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل، وهذا من باب الأدب مع النبي–صلى الله عليه وسلم–في الحديث والخطاب ومن التوقير الذي يجب له، ذلك التوقير الذي ينعكس على نبرات أصوات الصحابة ليتميز بذلك شخص الرسول–صلى الله عليه وسلم بينهم ويميز مجلسه فيهم فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: الآية: ٢].

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: "هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم يين يدي النبي–صلى الله عليه وسلم–فوق صوته، وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر–رضي الله عنهما–، فعن ابن أبي مليكة قال: "كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي–صلى الله عليه وسلم–حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس–رضي الله عنه–أخي بن مجاشع وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر–رضي الله عنهما–ما أردت إلا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع واللفظ له.انظر فتح الباري «٨/ ١٠٨» «ح: ٤٤٠٦».

خلافي، قال: مما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ [الحجرات: الآية: ٢].

قال ابن الزبير–رضي الله عنه–: "فما كان عمر رضي الله عنه يسمع رسول الله–صلى الله عليه وسلم–بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر".[١]

فقد نهى الله–عز وجل–عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–، أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي–صلى الله عليه وسلم–قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا".[٢]

وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره–صلى الله عليه وسلم–كما كان يكره في حياته–عليه الصلاة والسلام–لأنه محترم حيًا وفي قبره صلى الله عليه وسلم دائمًا.

ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبة ممن عداه، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: الآية: ٢]، كما قال ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: الآية: ٣].

وقوله–عز وجل–: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: الآية: ٢]، أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالا يكتب له بها الجنة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، تفسير سورة الحجرات. انظر: فتح الباري «٨/ ٥٩٠» «ح: ٤٨٤٥».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المسجد. انظر: فتح الباري «١/ ٥٦٠» «ح: ٤٧٠».

تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض».[(١)]

ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وأرشد إليه ورغب فيه فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: الآية: ٣] أي أخلصها لها وجعلها أهلا ومحلا ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: الآية: ٣]".[(٢)]

وجاء في الكشاف عند تفسير هذه الآيات قوله: "أعاد النداء عليهم- أي في قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وتطرية الإنصات لكل حكم نازل، وتحريك هممهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم.

وذلك لأن في إعظام صاحب الشرع إعظام ما ورد به، ومستعظم الحق لايدعه استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه عليه، وارتداعا بما يصده عنه، وانتهاء إلى كل خير.

والمراد بقوله: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: الآية: ٢]، أنه إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم، وجهره باهرا لجهركم، حتى تكون ميزته عليكم لائحة، وسابقته واضحة، وامتيازه عن جمهوركم كشية الأبلق غير خاف، لا أن تغمروا صوته بلغطكم، وتبهروا منطقه بصخبكم.

وبقوله ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ [الحجرات: الآية: ٢]، أنكم إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت، بل عليهم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم، وأن تتعمدوا في مخاطبته القول البين المقرب من الهمس الذي لا يضاهي الجهر، كما تكون

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان. فتح الباري «١١/ ٣٠٨» «ح: ٦٤٧٨».

(٢) تفسير ابن كثير «٤/ ٢٠٥- ٢٠٦».

مخاطبة المهيب المعظم، عاملين بقوله عز شأنه: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: الآية: ٩]، وليس الغرض من رفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة، لأن ذلك كفر، والمخاطبون مؤمنون وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء، ويوقر الكبراء، فيتكلف الغض منه، ورده إلى حد يميل به إلى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير.

ولم يتناول النهي أيضا رفع الصوت الذي لا يتأتى به رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وهو ما كان منهم في حرب، أو مجادلة معاند، أو إرهاب عدو أو ما أشبهه، فلم ينهوا عن الجهر مطلقًا حتى لا يسوغ لهم أن يكلموه إلا بالهمس والمخافتة، وإنما نهوا عن جهر مقيد بصفة أعلى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم، وهو الخلو عن مراعاة أبهة النبوة، وجلالة مقدارها، وانحطاط سائر الرتب وإن جلت عن رتبتها". (١)

"ومن البداهة أن هذه الآيات وأمثالها في تأديب الأمة وتعليمها إنما جاءت بأسلوبها المعجز لتفخيم شأن النبي صلى الله عليه وسلم وإظهار رفعة قدره المنيف، وسمو منزلته–صلى الله عليه وسلم–فوق كل منزلة أحد من الخلق، وهي مسوقة في مواضعها من القرآن الكريم لتعليم الأمة أفرادا وجماعات الأدب الأكمل مع النبي–صلى الله عليه وسلم–في كل ما يتصل بمخاطبته والتحدث إليه، والإصغاء إلى حديثه، ومجالسته حتى يستشعر المؤمن بقلبه وروحه وكافة إحساساته ومشاعره ما أوجبه الله تعالى من توقيره–صلى الله عليه وسلم–توقيرا يجلي رفيع قدره، وعظيم مقامه، ويظهر تشريف الله تعالى له بما ميزه به على سائر الخلق، وقد اتفق أهل العلم من أئمة أعلام الأمة على أن حرمته–صلى الله عليه وسلم–بعد وفاته كحرمته في حياته". (٢)

ثالثا: أن الله تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه فقال ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: الآية: ٤]، ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك

---

(١) الكشاف «٣/ ٥٥٤–٥٥٥».

(٢) كتاب محمد رسول الله–صلى الله عليه وسلم–منهج ورسالة تأليف محمد الصادق إبراهيم عرجون «٤/ ٣٣٣».

فقال ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الحجرات: الآية: ٥]، أي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة فكره إليهم النداء على هذه الصفة المنافية للأدب والتوقير اللائق بشخص النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لهم ما يجب عليهم وهو الصبر والانتظار حتى يخرج إليهم وحبب إليهم التوبة والإنابة، ورغبهم في المغفرة والرحمة.(١)

قال الحليمي "في هذه الآية يسلى الله نبيه–صلى الله عليه وسلم–بما أخبره من أن الذين يصيحون خارج منزله ولا يصبرون حتى يخرج إليهم إنما حملهم على ذاك جهلهم وقلة عقلهم وأكثرهم لا يهتدون إلى ما يلزمهم من تعظيمك في حال مخاطبتك".(٢)

٣– وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ [التوبة: الآية: ١٢٠].

قال الحليمي: "فأعلمهم أن نفس الرسول–صلى الله عليه وسلم–أكرم وأشرف وأزكى وأجمل من أنفسهم، فلا يسعهم من ذلك أن يصرفوا أنفسهم عمالا يصرف نفسه عنه فيتخلفوا عنه إذا خرج لجهاد أعداء الله معتذرين من شدة حر، أو طول طريق، أو عوز ماء، أو قلة زاد، بل يلزمهم متابعته ومشايعته على أي حال رضيها لنفسه، وفي هذا أعظم البيان لمن عقل، وأبين الدلالة على وجوب تعظيمه وإجلاله وتوقيره".(٣)

٤– وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٣].

فنهاهم سبحانه وتعالى عن أن يعاملوا رسول الله–صلى الله عليه وسلم–بالتوسع في الانبساط

---

(١) تفسير ابن كثير «٤/ ٢٠٨».

(٢) المنهاج في شعب الإيمان «٢/ ١٢٨».

(٣) المنهاج في شعب الإيمان «٢/ ١٢٦».

والإسترسال كما يعامل من لا يهاب ولا يتقى، فيدخل بيته بغير إذنه إذا دعاهم إلى طعام لم ينضج، وأحاطوا به منتظرين إدراكه وإذا حضر الطعام ودخلوا وطعموا لزموا مجالسهم مستأنسين بالمحادثة، وأخبرهم أن ذلك منهي عنه، إذ كان النبي –صلى الله عليه وسلم– قد تأذى منه ويستحى أن يكلمهم، كما أدبهم فيما ينبغي عليهم تجاه معاملتهم مع أزواجه –صلى الله عليه وسلم– وهذا كله مما يدل على ماله –صلى الله عليه وسلم– من التعظيم والاحترام.

٥- وقد جاء بعد هذه الآيات الأمر بالصلاة والسلام عليه –صلى الله عليه وسلم–، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦].

ووجه إيصال هذه الآية بما قبلها هو أنه لما كان من الواجب على المكلفين تعظيم النبي –صلى الله عليه وسلم– برفع الأذى عنه وإظهار شرفه وكرامته فذكر الله تعالى القسم الأول – أي رفع الأذى – في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٣]، إلى آخرها وذكر القسم الثاني – أي إظهار شرفه وكرامته – في هذه الآية الثانية، وبدأ بالأول لأن دفع المفاسد أهم.

وأيضا لما أرشد الله تعالى المؤمنين إلى تعظيمه –صلى الله عليه وسلم– بتعلم سلوك طريق الأدب معه في أشياء كثيرة تتعلق بحياته وموته إظهارا لشرفه وتعظيما له، عقبه بما يدل على أنه تعالى أيضا معظم لشأنه أيضا، وكذلك ملائكته المقربون حملة العرش وحفظته الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وفيه بيان لمنقبة عظيمة له –صلى الله عليه وسلم–، فإن الملك قد يأمر بإكرام شخص ولا يكون عنده بمكان فأزيل هذا التوهم وبين أنه أكرم الخلق على ربه تعالى.

وأيضا لما أرشد الله المؤمنين إلى الحال التي يجب أن يكونوا عليها مع نبيه –صلى الله عليه وسلم– من التعظيم والتوقير –ولهم معه حالتان:

أ. حالة الخلوة: والواجب هناك عدم إزعاجه – بين ذلك بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٣]

٢- وحالة الملأ: والواجب هناك إظهار التعظيم، بين ذلك بقوله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦].

وأيضًا لما أمر الله سبحانه وتعالى بالاستئذان في بيوته، وعدم النظر إلى وجوه زوجاته، وغير ذلك من الآداب إكراما وتبجيلا، كمل سبحانه بيان حرمته بقوله ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ .

وأيضًا لما بين الأدب معه في حال الخلوة، وكان حاله في الملأ نوعين، لأنه يكون أعلى وأسفل، فبين أنه في الأعلى محترم في غاية الاحترام ثم بين ما يجب على الملأ الأسفل من ذلك التعظيم بقوله ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦].[١]

٦- وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: الآيات: ٥٧-٥٨].

فالله تعالى من تعظيمه لنبيه-صلى الله عليه وسلم-حفظ له كرامته وصان له حقه ففرق بين

أذاه وأذى المؤمنين، فأوجب على من آذى النبي-صلى الله عليه وسلم-اللعن والطرد من رحمته وهذا حكم على من آذاه بالكفر وفي الآخرة له العذاب المهين ومصيره إلى جهنم وبئس المصير. بينما حكم على من آذى المؤمنين بالبهتان والإثم والفرق بين الحكمين ناتج عن الفرق بين حق النبي صلى الله عليه وسلم وحق غيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في استدلاله بهذه الآية على وجوب قتل من أذى النبي-صلى الله عليه وسلم-: "ودلالتها من وجوه:

أحدها: أنه قرن أذاه بأذاه كما قرن طاعته بطاعته، فمن آذاه فقد آذى الله تعالى، وقد جاء ذلك منصوصا عنه، ومن آذى الله فهو كافر حلال الدم. بين ذلك أن الله تعالى جعل محبة الله ورسوله، وإرضاء الله ورسوله وطاعة الله ورسوله شيئا واحدا فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ

---

(١) الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر «ص: ١٩-٢٠».

وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: الآية: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: الآية: ١٣٢]، في مواضع متعددة، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: الآية: ٦٢]، فوحد الضمير، وفي ذلك إشارة إلى أن إرضاء الله إرضاء للرسول وإرضاء الرسول فيه إرضاء لله، وقال أيضا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: الآية: ١٠]، وقال أيضا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: الآية: ١].

وجعل شقاق الله ورسوله ومحادة الله ورسوله وأذى الله ورسوله ومعصية الله ورسوله شيئا واحدا، فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: الآية: ١٣]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: الآية: ٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: الآية: ٦٣]، وقال: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: الآية: ٤].

وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين، وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة، فمن آذى الرسول فقد آذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول، ليس لأحد منهم طريق غيره، ولا سبب سواه وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه، فلا يجوز أن يفرق بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور.

وثانيها: أنه فرق بين أذى الله ورسوله وبين أذى المؤمنين والمؤمنات، فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتانا وإثما مبينا وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة وأعد له العذاب المهين، ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم وفيه الجلد، وليس فوق ذلك إلا الكفر والقتل.

الثالث: أنه ذكر أنه لعنهم في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا، واللعن: الإبعاد عن الرحمة، ومن طرده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافرا فإن المؤمن يقرب إليها بعض

الأوقات ولا يكون مباح الدم، لأن حقن الدم رحمة عظيمة من الله، فلا تثبت في حقه ...".[١]

ومما يوضح ذلك أن سب النبي–صلى الله عليه وسلم–قد تعلق به عدة حقوق:

ب. حق الله سبحانه من حيث كفر برسوله وعادى أفضل أوليائه وبارزه بالمحاربة ومن حيث طعن في كتابه ودينه، فإن صحتهما موقوفة على صحة الرسالة، ومن حيث طعن في ألوهيته، فإن الطعن في الرسول طعن في المرسل، وتكذيبه تكذيب لله تبارك وتعالى وإنكار لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته.

وتعلق به حق جميع المؤمنين من هذه الأمة ومن غيرها من الأمم، فإن جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصا أمته فإن قيام أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم به بل عامة الخير الذي يصيبهم في الدنيا والآخرة بوساطته وسفارته، فالسب له أعظم عندهم من سب أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وسب جميعهم، كما أنه أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم وآبائهم والناس أجمعين.

ج. وتعلق به حق رسول الله كلها من حيث خصوص نفسه فإن الإنسان تؤذيه الوقيعة في عرضه أكثر مما يؤذيه أخذ ماله، وأكثر مما يؤذيه الضرب، بل ربما كانت عنده أعظم من الجرح ونحوه، خصوصا من يجب عليه أن يظهر للناس كمال عرضه وعلو قدره لينتفعوا بذلك في الدنيا والآخرة".[٢]

٣–الصلاة والسلام عليه–صلى الله عليه وسلم–.

فقد أمرنا الباري تبارك وتعالى أن نصلي ونسلم على نبينا–محمد صلى الله عليه وسلم–، وذلك تشريف منه عز وجل لنبيه ورسوله–صلى الله عليه وسلم–وإظهار للاحترام والتعظيم الذي شرعه في حقه فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦]، فهذه الآية فيها من تعظيم النبي–صلى الله عليه وسلم–والتنويه به ما ليس في غيرها، وذلك بسبب ما فيها من تمييز للنبي–صلى الله

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول «ص: ٤٠-٤١».

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول «ص: ٣٩٣-٣٩٤».

عليه وسلم-عند ذكره ولا شك أن ذلك فيه رفع لقدره وإعلاء لمكانته في حياته وبعد موته.

ولذلك فإن من أعظم شعب الإيمان الصلاة والسلام على النبي-صلى الله عليه وسلم-محبة له وأداء لحقه وتعظيما لقدره، والمواظبة عليها من باب أداء شكره-صلى الله عليه وسلم-، وشكره واجب لعظمة الإنعام به، فقد جعله الله سببا لنجاتنا من الجحيم، ودخولنا في دار النعيم، وإدراكنا الفوز بأيسر الأسباب، ونيلنا السعادة من كل الأبواب.

وليست صلاتنا على النبي-صلى الله عليه وسلم-شفاعة منا له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا وأنعم علينا، فإن عجزنا عنها كافيناه بالدعاء فأرشدنا الله- لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا-إلى الصلاة عليه لتكون صلاتنا عليه مكافأة بإحسانه إلينا وإفضاله علينا إذ لا إحسان لمخلوق أفضل من إحسانه-صلى الله عليه وسلم-، وكذلك فإن المقصود بصلاتنا على النبي-صلى الله عليه وسلم-هو التقرب إلى الله تعالى بامتثال ما أمر به، وقضاء لحق من حقوق المصطفى-صلى الله عليه وسلم-التي أوجبها الله علينا فحق على هذه الأمة أن تعظم قدر نبيها وذلك بأن تكثر من الصلاة والسلام عليه-صلى الله عليه وسلم- اتباعا لأمر ربها تبارك وتعالى وقياما بما لنبيها-صلى الله عليه وسلم-من الحق عليها.وقد اعتنى العلماء بهذه الخصيصة العظيمة فأفردوها بالتأليف وتناولوا في مؤلفاتهم تلك جوانب هذا الموضوع، من أشهر تلك المؤلفات وأجمعها كتاب "جلاء الأفهام" في الصلاة والسلام على خير الأنام للعلامة ابن القيم، بل هو أشهرها وأحسنها.

ومن تلك المؤلفات كتاب القول البديل في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي «**ت: ٩٠٢ هـ**». وقد ختم كتابه هذا ببيان الكتب المصنفة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر جملة كبيرة من هذه الكتب مرتبة.[١]

الأدلة:

من القرآن:

---

(١) انظر: القول البديع «ص: ٢٥٨-٢٥٩».

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦].

وهذه الآية هي الأصل في هذا الباب [١] والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها.[٢]

وهي مدنية النزول وقد جاءت بعد جملة من الآيات في سورة الأحزاب ذكر الله فيها عددا من حقوق نبيه–صلى الله عليه وسلم–وما خصه به دون أمته، من حل نكاحه لمن تهب نفسها له، ومن تحريم نكاح أزواجه على الأمة من بعده، ومن سائر ما ذكر بعد ذلك من حقوقه وتعظيمه وتبجيله.

ثم ذكر رفع الجناح عن أزواجه في تكليمهن آباءهن وأبناءهن ودخولهم عليهن، وخلوتهم بهن.

ثم عقب ذلك بما هو حق من حقوقه الأكيدة على أمته، وهو أمرهم بصلاتهم عليه وسلامهم، مستفتحا ذلك الأمر بإخباره بأنه هو وملائكته يصلون عليه". [٣]

قال ابن كثير–رحمه الله تعالى–: "والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا". [٤]

"فهذه الآية شرف الله بها رسوله–صلى الله عليه وسلم–في حياته وبعد موته". [٥] "وفيها

---

(١) المنهاج للحليمي «٢/ ١٤٣».

(٢) انظر: القول البديع «ص: ٢١».

(٣) جلاء الأفهام «ص: ١٧٤-١٧٥».

(٤) تفسير ابن كثير «٣/ ٥٠٧».

(٥) تفسير القرطبي «١٤/ ٢٣٢» بتصرف.

تنبيه على كمال الرسول-صلى الله عليه وسلم-ورفعة درجته وعلو منزلته عند الله وعند خلقه ورفع ذكره، فقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ أي يثني الله عليه بين الملائكة وفي الملأ الأعلى لمحبته تعالى، ويثني عليه الملائكة المقربون ويدعون له ويتضرعون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦].اقتداء بالله وملائكته وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلا لإيمانكم، وتعظيما له-صلى الله عليه وسلم-ومحبة وإكراما وزيادة في حسناتكم وتكفيرا من سيئاتكم". (١)

قال الحليمي: "وقد أمر الله تعالى في كتابه بالصلاة والتسليم عليه جملة فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦]، فأمر الله عباده أن يصلوا عليه ويسلموا، وقدم قبل أمرهم بذلك إخبارهم بأن ملائكته يصلون عليه، لينبئهم بذلك على ما في الصلاة عليه من الفضل، إذ كانت الملائكة مع انفكاكهم من شريعته تتقرب إلى الله بالصلاة والتسليم عليه ليعلموا أنهم بالصلاة والتسليم عليه أولى وأحق". (٢)

ب- من السنة النبوية:

ورد في شأن الصلاة على النبي-صلى الله عليه وسلم-كثير من الأحاديث التي وضحت وبينت ما يتعلق بشأن هذه الصلاة من جهة مشروعيتها وكيفيتها ومواطنها وفضلها إلى غير ذلك من الجوانب المتعلقة بها.

وقد روى هذه الأحاديث ما جمع من الصحابة رضوان الله عليهم عدهم ابن القيم في كتابه "جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام" فبلغوا اثنين وأربعين صحابيا.

وقد جمع ابن القيم هذه الأحاديث وبين طرقها وصحيحها من حسنها ومعلولها، وما في معلولها من العلل بيانا شافيا.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي «٦/ ١٢٠-١٢١».

(٢) المنهاج للحليمي «٢/ ١٣١».

قال ابن القيم: "إن طلب الصلاة من الله على رسوله-صلى الله عليه وسلم-هو من أجل أدعية العبد وأنفعها له في دنياه وآخرته".[١] يدلك على ذلك ما جاء في فضلها من الأحاديث.

فعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "من صلى علي واحدة صلى عليه عشرا".[٢]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-، أنه سمع النبي-صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**».[٣]

وعن أبي بن كعب-رضي الله عنه-، قال: قلت: "يارسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال☹«**ما شئت**». "قلت: الربع؟" قال: «**ما شئت، وإن زدت فهو خير**». قلت: النصف؟ قال: «**ما شئت، وإن زدت فهو خير**». قلت: الثلثين؟ قال: «**ما شئت وإن زدت فهو خير**». قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «**إذا تكفي همك ويغفر لك ذنبك**».[٤]

وللحديث طريق آخر عن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**أتاني آت من ربي فقال: ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشرا**». فقام إليه رجل فقال: يارسول الله أجعل نصف دعائي لك؟ قال: «**إن**

---

(١) بدائع الفوائد «٢/ ١٩٠».

(٢) رواه مسلم «٤٠٨».

(٣) رواه مسلم «٣٨٤».

(٤) رواه الترمذي «٢٤٥٧» وأحمد «٢٠٧٣٦» وابن أبي شـــيبة في "المصـــنف" «٨٧٠٦» وعبد بن حميد في "المســـند" «١٧٠» والبيهقي في "الشعب" «١٥٧٩». قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وحسنه المنذري في «الترغيب والترهيب»، وكذا حسنه الحافظ في "الفتح" «١١/ ١٦٨»، وأشار البيهقي في "الشعب" «٢/ ٢١٥» إلى تقويته، وصححه الألباني في "صحيح الترغيب" «١٦٧٠» وغيره.

شئت». قال: ألا أجعل ثلثي دعائي لك؟ قال: «**إن شئت**».قال: ألا أجعل دعائي كله؟ قال: «**إذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة**».[(١)]

وعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–، أن النبي–صلى الله عليه وسلم–، قال: «**من ذكرت عنده فليصل علي ومن صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا**».[(٢)]

وفي رواية: "من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات".[(٣)]

وفي رواية: «**من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات**».[(٤)]

وقد ورد كذلك في فضل السلام على النبي–صلى الله عليه وسلم–ومواطنها عدد من

---

(١) أخرجه اسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم «ص: ٨٧» «ح: ١٣»، وقال: قال شيخ كان بمكة يقال له منيع لسفيان: عمن أسنده؟ قال: لا أدري، وقال الألباني في تعليقه: هذا مرسل صحيح الإسناد، ويشهد له الحديث الذي بعده– يعني الحديث الذي تقدم ذكره.

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة «ص: ١٦٥» «ح: ٦١»، باب ثواب الصلاة على النبي–صلى الله عليه وسلم–وابن السني في عمل اليوم والليلة «ص: ١٣٥–١٣٦» «ح: ٣٨٠».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند «٣/ ١٠٢، ٢٦١» .والبخاري في الأدب المفرد «ص: ٩٤، ٩٥» باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.والنسائي في عمل اليوم والليلة «ص: ١٦٦» «ح: ٦٣»، باب ثواب الصلاة على النبي–صلى الله عليه وسلم–.وأخرجه ابن حبان في صحيحه.انظر موارد الظمآن «٢٣٩٥».

(٤) أخرجه النسائي في السنن «٣/ ٥٠» باب الفضل في الصلاة على النبي–صلى الله عليه وسلم وكذلك في عمل اليوم والليلة «ص ١٦٥، ١٦٦» «ح: ٦٢»، ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم–، وأخرجه الحاكم في المستدرك «١/ ٥٥٠» وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وكل من رواية "صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات".ورواية "صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه بها عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات" جاءت من طريق بريد بن أبي مريم وقد جاء في بعض الروايات عن بريد بن أبي مريم عن الحسن عن أنس وفي بعضها عن بريد بن أبي مريم عن أنس، وقد ذكر ابن القيم أن هذه العلة لا تقدح فيه شيئًا، لأن الحسن لا شك في سماعه من أنس، وقد صح سماع بريد بن أبي مريم من أنس أيضًا هذا الحديث، فرواه ابن حبان في صحيحه موارد ٢٣٩٠ والحاكم في المستدرك «١/ ٥٥٠» من حديث يونس بن أبي إسحاق، عن بريد بن أبي مريم، قال سمعت أنس بن مالك ...نذكره.ولعل بريدا سمعه من الحسن ثم سمعه من أنس، فحدث به على الوجهين، فإنه قال: كنت أزامل الحسن بن محمد، فقال حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فذكره، ثم إنه حدثه به أنس فرواه عنه كما تقدم".جلاء الأفهام «ص: ٥٦» .

الأحاديث أورد بعضا منها هنا:.

فالسلام على النبي-صلى الله عليه وسلم-مشروع في التشهد عند كل صلاة ففي الصحيحين عن ابن مسعود-رضي الله عنه-، قال: "كنا إذا كنا مع النبي-صلى الله عليه وسلم-في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده السلام على فلان وفلان.

فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله الصلوات الطيبات، والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء أو بين السماء والأرض أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو**».[(١)]

وشرع السلام كذلك عند دخول المسجد والخروج منه.

فعن فاطمة بنت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ورضي الله عنها-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: «**إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج قال: بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك** ».[(٢)]

وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي-صلى الله عليه وسلم-، وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي-صلى الله عليه وسلم-، وليقل: اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم**».[(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد.وليس بواجب.فتح الباري «٢/ ٣٢٠» «ح: ٨٣٥».وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة «٢/ ١٣».

(٢) رواه ابن ماجه «٧٧١» وغيره، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه «٦٢٥».

(٣) رواه ابن ماجه «٧٦٥»، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه «٦٢٧».

وعن عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–، أنه قال: «**إن لله في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام**».[١]

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «**ما من أحد يسلم علي إلا رد الله–عز وجل–إلى روحي حتى أرد عليه السلام**».[٢]

ومما تقدم من نصوص يعلم أن السلام هو حق من الحقوق التي للنبي–صلى الله عليه وسلم–على أمته، والمسلم مأمور بالقيام بهذا الحق حيث كان إما مطلقا، وإما عند الأسباب المؤكدة لذلك كما في التشهد وعند الدخول إلى المسجد أو الخروج منه.وهذا السلام فيه من الخاصية للنبي صلى الله عليه وسلم والفضل على هذه الأمة ما فيه.أما الخاصية التي فيه للنبي–صلى الله عليه وسلم–.

قال ابن تيمية: "فالأمر بالسلام عليه–صلى الله عليه وسلم–، مع الغيبة من خصائصه التي خصه الله بها، فلم يرد في الشرع الأمر بالسلام على معين مع مغيبه إلا عليه–صلى الله عليه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند «١/ ٣٨٧، ١ ٤٤، ٤٥٢».وأخرجه النسائي ني السنن،كتاب السهو، باب السلام على النبي–صلى الله عليه وسلم– «٣/ ٤٣» .وأخرجه أيضًا في اليوم الليلة، فضل السلام على النبي–صلى الله عليه وسلم–، «ح: ٦٦».وأخرجه الدارمي في السنن،كتاب الرقائق، باب فضل الصلاة على النبي–صلى الله عليه وسلم–، «٢/ ٣١٧» «ح: ٢٧٧٧»، وأخرجه ابن حبان في صحيحه،كتاب الأدعية، باب الصلاة على النبي–صلى الله عليه وسلم–.انظر: موارد الضمآن «ح: ٢٣٩٣» .وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي–صلى الله عليه وسلم–، «ص: ١١» «ح: ٢١»، وقال ابن القيم في جلاء الأفهام «ص: ٥٤» : إسناده صحيح..

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند «٢/ ٥٢٧».وأخرجه أبو داود في سننه،كتاب المناسك، باب زيارة القبور «٢/ ٥٣٤» «ح: ٤١ ٠ ٢»، وعزاه السخاوي في القول البديع «ص: ١٦١» إلى الطبراني والبيهقي أيضا والحديث لا يسلم من مقال في إسناده.قال ابن عبد الهادى: أما المقال في إسناه فمن جهة تفرد أبي صخر به عن ابن قسيط عن أبي هريرة.ولم يتابع ابن قسيط أحد في روايته عن أبي هريرة ولا تابع أبا صخر أحد في روايته عن ابن قسيط.الصارم المنكي «ص: ٢٥٠» وحميد بن زياد أبو صخر، ويزيد بن عبد الله بن قسيط فيهما كلام قال ابن عبد الهادي: وأبو صخر حميد بن زياد قد اختلف الأئمة في عدالته والاحتجاج بخبره مع الاضطراب في اسمه وكنيته واسم أبيه، فما تفرد به من الحديث ولم يتابعه عليه أحد لا ينهض الى درجة الصحة بل يستشهد به ويعتبر به.انتهي كلامه.وهذا الحديث مما تفرد به كما سبق بيانه من كلام ابن عبد الهادى.وقد ذكر ابن عبد الهادي أقوال أئمة الجرح والتعديل في كل من حميد بن زياد أبي صخر ويزيد بن عبد الله بن قسيط وقال في نهاية نقله والحديث إسناده مقارب وهو صالح أن يكون متابعا لغيره عاضدا له والله أعلم.الصارم المنكى «ص: ٢٥٩» ..

وسلم-، وذلك كما في التشهد فليس فيه سلام على معين إلا عليه، وكذلك عند دخول المسجد والخروج منه".[١]

وأما الفضل الذي جعله الله لهذه الأمة بهذا السلام فهو جعله سبحانه وتعالى هذا السلام مطلقا لا يتكلف فيه المرء قطع المسافة ولا يشترط فيه اللقاء به في حياته أو المجيء إلى قبره بعد وفاته.

فالمسلم يسلم على النبي-صلى الله عليه وسلم-في أي مكان في هذه الدنيا وفي أي وقت وزمان يشاء وهذا من الفضل والنعمة التي امتن الله بها علينا.

٤-الإقرار ببشريته وعدم الغلو في حقه-صلى الله عليه وسلم-.

أما المعنى اللغوي للغلو:

جاء في مقاييس اللغة: الغين –واللام- والحرف المعتل -أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر. يقال: غلا السعر يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه. وغلا الرجل في الأمر غلوا، إذا جاوز حده. وغلا بسهمه غلوا، إذا رمى به سهما أقصى غايته. وتغالى النبت ارتفع وطال. وتغالى لحم الدابة: إذا انحسر عنه وبره، وذلك لا يكون إلا عن قوة وسمن وعلو ...الخ [٢]

جاء في اللسان: ... "أصل الغلاء: الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء. وغلا في الدين والأمر يغلو غلوا: جاوز حده. وفي التنزيل: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: الآية: ١٧١].[٣]

وفي التهذيب " ...غلا السعر غلاء ممدود. وغلا في الدين يغلو غلوا: إذا تجاوز الحد ...".[٤]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الغلو: هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على

---

(١) مجموع الفتاوى «٢٧/ ٤١٢».

(٢) معجم مقاييس اللغة «٤/ ٣٨٧، ٣٨٨».

(٣) لسان العرب «١٥/ ١٣١، ١٣٢» مادة «غلا».

(٤) تهذيب اللغة «٨/ ١٩٥، ١٩٢».

ما يستحق ونحو ذلك".[١]

الغلو في الشرع:

هو مجاوزة حدود ما شرع الله سواء كان ذلك التجاوز في جانب الاعتقاد أو القول أو العمل.

وقد جاء ذكر لفظ الغلو في القرآن الكريم في موضعين وكان الخطاب فيهما للنصارى باعتبارهم أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف وأما الموضعان:

فأحدهما: في قوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: الآية: ١٧١].

والموضع الثاني: قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: الآية: ٧٧].

قال ابن جرير الطبري: "يعني جل ثناؤه بقوله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: يا أهل الإنجيل من النصارى ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ يقول: " لا تتجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه، ولا تقولوا في عيسى غير الحق فإن قيلكم في عيسى إنه ابن الله قول منكم على الله غير الحق، لأن الله لم يتخذ ولدا، فيكون عيسى أو غيره من خلقه ابنا ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ .

وأصل الغلو في كل شيء: مجاوزة حده الذي حده، ويقال منه في الدين قد غلا فهو يغلو غلؤا ".[٢]

وقال في تفسير آية المائدة: وهذا خطاب من الله تعالى ذكره، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء الغالية من النصارى في المسيح ﴿يَا أَهْلَ

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم «ص: ١٠٦».

(٢) تفسير الطبري «٦/ ٣٤».

الْكِتَابِ﴾ يعني بالكتاب الإنجيل ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ يقول لا تفرطوا في القول فيما تدينون به في أمر المسيح، فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل فتقولوا فيه: هو الله أو هو ابنه، ولكن قولوا: هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ يقول لا تتبعوا أيضا في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى في القول فيه كما قالوا وتبهتوا أمه كما يبهتونها بالفرية ...".(١)

وقال ابن كثير في تفسيره للآية الواردة في سورة النساء: "ينهي تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا، أو ضلالا أو رشادا، أو صحيحا أو كذبا ولهذا قال الله تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: الآية: ٣١]".(٢)

وقال عند تفسير آية سورة المائدة: "أي لا تتجاوزوا الحد في إتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلها من دون الله وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديما ...".(٣)

والمتأمل للنصوص القرآنية يجد أن النصارى لم يكتفوا بالغلو في المسيح ورفعه إلى درجة الألوهية بل غلوا أيضا في حق أحبارهم ورهبانهم فأعطوهم حق التشريع والطاعة المطلقة والإتباع حتى فيما يخالف شرع الله وأحكامه.فكان الأحبار والرهبان يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله ويقررون شرائع وأحكاما ما أنزل الله بها من سلطان فتلقى النصارى ذلك كله بالقبول

(١) تفسير الطبري «٦/ ٣١٦».

(٢) تفسير ابن كثير «١/ ٥٨٩».

(٣) تفسير ابن كثير «٢/ ٨٢».

والطاعة.

قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: الآية: ٣١]، فهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾أي الذي إذا حرم شيئا فهو الحرام وما حلله فهو الحلال وما شرعه اتبع، وما حكم به نفذ ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأنداد والأولاد لا إله إلا هو ولا رب سواه". [(١)]

ولم يقتصر غلو النصارى عند الحد، بل قدسوهم أمواتا كما قدسوهم أحياء فأقاموا على قبورهم الأضرحة وقدموا لهم القرابين فكان ذلك سببا في لعنهم قال صلى الله عليه وسلم «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». [(٢)].يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والنصارى أشد غلوا في ذلك من اليهود كما في الصحيحين: " أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت له أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما كنيسة بأرض الحبشة، وذكرتا من حسنها وتصاوير فيها.فقال: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات بنو على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**». [(٣)]

والنصارى كثيرا ما يعظمون آثار القديسين منهم، فلا يستبعد أنهم ألقوا إلى بعض جهال المسلمين أن هذا قبر بعض من يعظمه المسلمون ليوافقوهم على تعظيمه.

فالذين يعظمون القبور والمشاهد لهم شبه شديد بالنصارى". [(٤)]

فالنصارى أمة ضلت وهلكت وكان سبب ضلالها وهلاكها غلوها وقد تجلى غلوها في عدة

---

(١) تفسير ابن كثير «٢/ ٣٤٩».

(٢) أخرجه البخاري «٤٤٤١»، ومسلم «٥٢٩».

(٣) أخرجه البخاري «٤٢٧»، ومسلم «٥٢٨».

(٤) مجموع الفتاوى «٢٧/ ٤٦٠-٤٦١».

أمور منها:

د. غلوهم في نبي الله عيسى ورفعه إلى مكانة الألوهية.

٢- غلوهم في رهباهم وصالحيهم وذلك بإعطائهم حق التشريع في التحليل والتحريم، والعكوف على قبورهم وتقديسها بعد موتهم.

٣- ابتداعهم الرهبانية.

والله سبحانه وتعالى بذكره لأحوالهم في كتابه العزيز يحذرنا من الوقوع فيما وقعوا فيه، وفي هذا دعوة للاعتبار بالأمم السابقة ومعرفة سبب هلاكها وضرورة اجتنابه قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: الآية: ١١١].

والغلو عند النصارى هدم أصلي الدين: ١- التوحيد، ٢- الإتباع.

فهم هدموا الأصل الأول بجعلهم عيسى في مقام الألوهية.وهدموا الأصل الثاني بأن جعلوا لرهباهم حق التشريع والتحليل والتحريم.

فانظر كيف كان الغلو سببا لهدم الدين.

فإن المسيح قال لهم ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: الآية: ١١٧]، وقال ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: الآية: ٦]، فلو امتثلوا أمره كانوا مطعين لرسول الله موحدين لله، ونالوا بذلك السعادة من الله في الدنيا والآخرة، ولكنهم غلوا فيه واتخذوه وأمه إلهين من دون الله، يستغيثون به وبغيره من الأنبياء والصالحين ويطلبون منهم ويشركون بهم، وكذبوا بالرسول الذي بشر به، وحرفوا التوراة التي صدق بها وظنوا في ذلك أنهم معظمون للمسيح وكان هذا من جهلهم وضلالهم، فإنهم لو أطاعوه فيما دعاهم إليه لكان له مثل أجورهم، وكانت طاعتهم له والإقرار بعبوديته وبما بشر به فيه له ولهم من الأجر ما لا يحصيه إلا الله، ففوتوا هذا الأجر والثواب عليهم وعليه وله ولهم فيه الخير المستطاب واعتاضوا عن ذلك بما ضرهم في الدنيا والآخرة.

وإذا بين لهم قدر المسيح فقيل لهم ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: الآية: ٧٥].

قالوا: إن هذا تنقص بالمسيح وسب له واستخفاف بدرجته وسوء أدب معه، بل قالوا هذا كفر وجحد لحقه، وسلب لصفات الكمال الثابتة له.

وهذا في الحقيقة إنما هو نقص لما في نفوسهم من الغلو فيه لا نقص لنفس المسيح الموجود في نفس الأمر.

وفي ذلك من الحمد له والمدح وإعظامه والإيمان به وإعطائه الدرجة العلية ما ليس في الغلو فيه.

لأن في تقرير كمال عبوديته التي هي كمال الخلوق، وهذا هو الكمال فأما الغلو فيه إلى حد الربوبية فذاك خيال باطل لا كمال حاصل وفي إثبات العبودية له، إيمان به وموافقة لخبره وأمره، فيحصل له بذلك من الخير والرحمة ما لا يحصل له بالغلو فيه، الذي هو كذب فيه مكذوب عليه ومعصية له وإشراك بالله، وليس في ذلك ما ينفعه ولا ما يرفعه بل في ذلك ضرر على المشركين المفترين ". (١)

ولم يقتصر الغلو على النصارى وحدهم بل كان واقعا في الأمم قبلهم فالغلو كان أول خطوات الإنحراف عن الدين القويم والوقوع في الشرك.

فقد روى الطبري بسنده عن عكرمة قال: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ". (٢)

فكان مبدأ الشرك في قوم نوح، وكان سببه غلوهم في الصالحين فقد روى البخاري في كتاب التفسير من صحيحه باب قوله تعالى ﴿ولا تذرن وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ [نوح: الآية: ٢٣]، عن ابن عباس أنه قال: " أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا،

---

(١) الرد على البكري «ص: ١٠٤- ١٠٥».

(٢) تفسير الطبري «٢٩/ ٩٩».

فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت ".[١]

فالغلو في الصالحين هو الطامة الكبرى والبلية العظمى التي جنحت بالبشرية عن جادة الحق والصواب إلى ظلمات الشرك والضلال باتخاذ أنداد لله من خلقه واعتقاد أنها تملك شيئًا من خصائص الإلهية.

قال ابن القيم: "ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطائه فوق منزلته، حتى جعل فيه حظ من الإلهية، وشبهوه بالله سبحانه.

وهذا التشبيه الواقع في الأمم هو الذي أبطله الله سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله".[٢]

ولهذا نهي الشارع الحكيم عن الغلو بشتى صوره وأشكاله وحذر منه وذلك لما له من آثار سيئة على الدين ولما فيه من منافاة لعقيدة التوحيد وهدم لأصلي الدين: التوحيد، والإتباع.

ولقد حذر النبي-صلى الله عليه وسلم-أمته من الغلو في الدين وأخبر أنه سببا لهلاك من قبلنا

من الأمم.

فعن ابن عباس-رضي الله عنهما-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: «**إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**».[٣]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقوله "إياكم والغلو في الدين عام في جميع أنواع الغلو في

---

(١) انظر: فتح الباري «٨/ ٦٦٧».

(٢) إغاثة اللهفان «٢/ ٢٢٦».

(٣) أخرجه الأمام أحمد في المسند «١/ ٢١٥، ٣٤٧» .والنسائي في السنن «٥/ ٢٠١٨» كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى.وابن ماجه في سننه، أبراب المناسك، باب قدر حصى الرمي «٢/ ١٨٣» «ح: ٣٠٦٤».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: رواه أحمد والنسائي وابن ماجة من حديث عوف بن أبي جميلة عن زيادة بن حصين عن أبي العالية عنه وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.اقتضاء الصراط المستقيم «ص: ١٠٦» .وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة «٣/ ٢٧٨» «ح: ١٢٨٣»، وقال في تخريج السنة لابن أبي عاصم «١/ ٤٦» إسناده صحيح.وقد صححه ابن خزيمة والحاكم «١/ ٤٦٦» والذهبي والنووي وابن تيمية.

الاعتقادات والأعمال".[١]

وسبب قول النبي-صلى الله عليه وسلم-لهذه العبارة أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال لابن عباس غداة العقبة وهو على ناقته "القط لي حصى، فلقطت له سبع حصيات مثل حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول أمثال هؤلاء فارموا، ثم قال: أيها الناس إياكم والغلو في الدين ..." الحديث.

فسبب ورود الحديث ينبهنا إلى أمر هام جدا وهو أن الغلو قد يبدأ بشيء صغير ثم تتسع دائرته فتهلك بذلك أمم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه فالغلو فيه: مثل رمي الحجارة ونحو ذلك، بناء على أنه بالغ في الحصى الصغار، ثم علل ذلك بأن ما أهلك.كان قبلنا إلا الغلو في الدين كما تراه في النصارى".[٢]

ولو لم يرد في السنة إلا هذا الحديث لكفى به زاجرا ورادعا للأمة عن الوقوع في الغلو، كيف والسنة مليئة بالأحاديث التي تحذر من الغلو وتبين خطره وهلاكه.

فعن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**هلك المتنطعون**»: قالها ثلاثا.[٣]

قال النووي: "هلك المتنطعون": أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم".[٤]

وقال أيضا: "المتنطعون: المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد".[٥]، فهذا الحديث

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم «ص: ١٥٦».

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم «ص: ١٠٦».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون «٨/ ٥٨».

(٤) شرح النووي «١٦/ ٢٢٠».

(٥) رياض الصالحين باب الاقتصاد في الطاعة «ص: ٨٨».

موافق لما جاء في الحديث السابق من الإخبار بهلاك أصحاب الغلو.

وهناك أحاديث كثيرة نهي فيها النبي–صلى الله عليه وسلم–أصحابه–رضوان الله عليهم– عن الغلو في جوانب معينة من الدين نذكر اثنين منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

فعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–، قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي–صلى الله عليه وسلم–فلما أخبروا كأنهم تقالوها.فقالوا: وأين نحن من النبي–صلى الله عليه وسلم–وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدا.وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.فجاء رسول الله ال فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**».[١]

فسمى النبي–صلى الله عليه وسلم–الغلو في جانب العبادات والسنن التي سنها لهم رغبة عن الشرع الذي جاء به، وتبرأ ممن هذه حاله، حتى وإن كان الدافع لذلك التقرب إلى الله تعالى ذلك لأن هذا الغلو فيه هدم للأصل الثاني من أصول هذا الدين ألا وهو الإتباع فنحن مأمورون بالاقتداء به–صلى الله عليه وسلم–والأخذ بسنته.والغلو في هذا الجانب مناقض تماما لهذا الأصل، ولذلك فلا غرابة أن يتبرأ النبي–صلى الله عليه وسلم–ممن غلا في جانب ما سنه وشرعه للأمة.

لأنه لو فتح هذا الباب وولجته الأمة لأصبحت عبادة الله مجالا لأهواء الناس وعقولهم وبذلك يتلاشى دينها وتنطمس معالمه فتستحق بذلك غضب الله ومقته فتهلك كما هلكت الأمم السابقة.

وعن أنس–رضي الله عنه–، قال: دخل رسول الله–صلى الله عليه وسلم–المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: «**ما هذا الحبل؟**».قالوا: هذا حبل زينب فإذا فترت تعلقت به.فقال

(١) أخرجه البخاري «٥٠٦٣»، ومسلم «١٤٠١».

النبي–صلى الله عليه وسلم-: «**حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد**» [(١)] وعند مسلم " حبل لزينب تصلي ".

قال ابن حجر: "وفيه الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها ...". [(٢)]

وقد حذر النبي–صلى الله عليه وسلم–أمته كذلك من الغلو في حقه–صلى الله عليه وسلم–.

وذلك لما ينطوي عليه الغلو من الشر العظيم، ولما يعلمه–صلى الله عليه وسلم–من منزلته في قلوب المؤمنين.

فقد خشي–صلى الله عليه وسلم–أن يدفعهم حبهم وتعظيمهم له إلى رفعه فوق منزلته التي جعلها الله له وتشريكه مع الله في بعض ما هو حق لله.

فحذرهم من الغلو في شخصه بأساليب مختلفة وذلك حماية منه لجناب التوحيد وقطعا لذريعة الشرك.

وقد جاء تحذره تارة بأسلوب النهي الصريح.

وتارة بالتجائه إلى ربه ودعائه بأن لا يتحول قبره إلى وثن يعبد.

وتارة بلعنة الغلاة الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

فمما ورد عنه قوله–صلى الله عليه وسلم-: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فانما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله**». [(٣)]

قال ابن حجر: "الإطراء: المدح بالباطل تقول أطربت فلانا: مدحته فأفرطت في مدحه". [(٤)]

فمعنى الحديث: أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة.انظر: فتح الباري «٣٦١٣» «ح: ١١٥٠».وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومراجع الصلاة، باب أمر من نعس في صلاته ...«٢/ ١٨٩».

(٢) فتح الباري «٣/ ٣٧».

(٣) أخرجه البخاري «٣٤٤٥».

(٤) فتح الباري «٦/ ٤٩٠».

الربوبية، وإنما أنا عبد الله فصفوني بذلك كما وصفني به ربي، وقولوا عبد الله ورسوله.

فأبى عباد القبور إلا مخالفة لأمره، وارتكابا لنهيه، وناقضوه أعظم المناقضة وظنوا أنهم إذا وصفوه بأنه عبد الله ورسوله، وأنه لا يدعى ولا يستغاث به، ولا ينذر له، ولا يطاف بحجرته، وأنه ليس له من الأمر شيء، ولا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، أن في ذلك هضمًا لجنابه وغضًا من قدره، فرفعوه فوق منزلته، وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب وغير ذلك من الأمور.(١)

وقد ذكر شيخ الإسلام في كتاب تلخيص الاستغاثة (٢) عن بعض أهل زمانه أنه جوز الاستغاثة بالرسول–صلى الله عليه وسلم–في كل ما يستغاث فيه بالله، وصنف فيه مصنفا.وكان يقول أن النبي–صلى الله عليه وسلم–يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله.وحكي عن آخر من جنسه يباشر التدريس وينسب إلى الفتيا أنه كان يقول إن النبي–صلى الله عليه وسلم–يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر الله عليه.

ومن هؤلاء من يقول في قول الله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٢]، إن الرسول–صلى الله عليه وسلم–هو الذي يسبح بكرة وأصيلا.

ومنهم من يقول: نحن نعبد الله ورسوله فيجعلون الرسول معبودا ويقول قائلهم:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فجعل الدنيا والآخرة من جوده، وجزم بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ".(٣)

فانظر إلى ما أدى إليه هذا الإطراء من صرف أمور قد اختص بها الرب عز وجل فصرفت للنبي–صلى الله عليه وسلم–.

ولكن ما على الرسول إلا البلاغ فقد سد النبي–صلى الله عليه وسلم– كل ذريعة مؤدية

---

(١) تيسير العزيز الحميد «ص: ٢٧٢-٢٧٣».

(٢) الرد على البكري «ص: ٢١٨».

(٣) تيسير العزيز الحميد «ص: ٢٧٣».

إلى الغلو والشرك حتى يبقى هذا الدين وسطًا صافيًا لا كدر فيه، وتبقى عقيدة التوحيد نقية قوية خالدة.

فلقد نهي الرسول الكريم عن المبالغة في مدحه لعلمه بأن هذه المبالغة بريد إلى الغلو ومدعاة للشرك والانحراف عن الطريق السوي.

وهذا من الحرص الكامل للرسول –صلى الله عليه وسلم– على حماية التوحيد، فبهذا النهي الشديد سد الرسول –صلى الله عليه وسلم– طريق الغلو.

والنهي عن المبالغة في الإطراء لا يعني التقليل من قدره وتوقيره فإن للتوقير والتعظيم وسائله المشروعة والتي سبق ذكرها.

ولكن هناك أناس شق عليهم التوقير المشروع فلجأوا إلى التوقير الممنوع فنسجوا قصائد مطولة أغرقوا فيها بالمديح المجاوز للحد والمنافي لقواعد التوحيد والذي لا يرضى به الله ورسوله بل جاء التحذير منه بنص القرآن والسنة المطهرة.

"ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أحرص الخلق على تجريد التوحيد حتى قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال: «**اجعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده**».[١]

ونهى أن يحلف بغير الله، وأخبر أن ذلك شرك.

ونهي أن يصلى إلى القبر أو يتخذ مسجدا أو عيدا أو يوقد عليه سراج، بل مدار دينه على هذا الأصل –أي تجريد التوحيد– الذي هو قطب رحا النجاة، ولم يقرر أحد ما قرره –صلى الله عليه وسلم– بقوله وفعله وسد الذرائع المنافية له، فتعظيمه –صلى الله عليه وسلم– بموافقته على ذلك لا مناقضته فيه".[٢]

والغلو بشتى صوره وأشكاله مناف لأصلي التوحيد ويكفيك أن تعلم أن سبب عبادة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد «١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧» ، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة «ص: ٥٤٥» «ح: ٩٨٧».

(٢) تيسير العزيز الحميد «ص: ٢٧٤».

الأصنام هو الغلو في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلته، حتى جعل فيه حظ من الإلهية، وشبهوه بالله سبحانه، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطه الله سبحانه، وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله.فهو سبحانه ينفي، وينهي، أن يجعل غيره مثلا له، وندا له وشبها له.لا أن يشبه هو بغيره إذ ليس في الأمم المعروفة أمة جعلته سبحانه مثلا لشيء من مخلوقاته، فجعلت المخلوق أصلا وشبهت به الخالق، فهذا لا يعرف في طائفة من طوائف بني آدم.

وإنما الأول هو المعروف في طوائف أهل الشرك، غلوا فيمن يعظمونه، ويحبونه، حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الإلهية، بل صرحوا أنه إله، وأنكروا جعل الألهة إلهًا واحدًا وقالوا: ﴿وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ [ص: الآية: ٦]وصرحوا بأنه إله معبود، يرجى، ويخاف، ويعظم، ويسجد له ويحلف باسمه، وتقرب له القرابين إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغي إلا لله تعالى.فكل مشرك فهو مشبه لإلهه ومعبوده بالله سبحانه، وإن لم يشبه من كل وجه.(١)

فحقيقة الشرك هو التشبه بالخالق أو التشبيه للمخلوق به فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية.

فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده.

فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق، وجعل ما لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا –فضلا عن غيره– شبيها لمن له الأمر كله، فأزمة الأمور كلها بيديه، ومرجعها إليه فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد.

فمن أقبح التشبيه: تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات.ومن خصائص الإلهية: الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

---

(١) إغاثة اللهفان «٢/ ٢٢٦».

وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب، كل ذلك عقلا وشرعا وفطرة أن يكون له وحده، ويمنع عقلا وشرعا وفطرة أن يكون لغيره.فمن جعل شيئا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل له ولا ند له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله.

ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة.

ومن خصائص الإلهية: العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب، مع غاية الذل، هذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين.

فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه في خالص حقه وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل، ولكن غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقولهم، وأفسدتها عليهم واجتالتهم عنها.ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله الحسنى فأرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه بما يوفق فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورا على نور ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: الآية: ٣٥].

إذا عرف هذا فمن خصائص الإلهية السجود، فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به.

ومنها المتوكل، فمن توكل على غيره فقد شبهه به.

ومنها التوبة، فمن تاب لغيره فقد شبهه به.

ومنها الحلف باسمه تعظيما وإجلالا له، فمن حلف بغيره فقد شبهه به.هذا في جانب التشبيه.

وأما في جانب التشبه به: فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء، وتعليق القلب به خوفا ورجاء والتجاء واستعانة فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وإلهيته، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان، ويذله غاية الذل، ويجعله تحت أقدام خلقه.

وفي الصحيح عنه–صلى الله عليه وسلم–قال: «**يقول الله عز وجل: العظمة إزاري،**

والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدا منهما عذبته».[(١)]

وإذا كان المصور الذي يصنع الصورة بيده من أشد الناس عذابا يوم القيامة لتشبهه بالله في مجرد الصنعة، فما الظن بالتشبه بالله في الربوبية والإلهية؟ ففي الصحيحين عنه–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: «**قال الله–عز وجل–: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي، فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة».**[(٢)] فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منها وأكبر وقال–صلى الله عليه وسلم–: «**أشد الناس عذابا ئرم القيامة المصورون يقال لهم أحيوا ما خلقتم**»[(٣)]".[(٤)]

الفرق بين ها هو حق لله وحده لا يشركه فيه غيره وبين ما هو حق للرسول

بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والنهي عن دعاء ما سواه –لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة–.قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: الآية: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الكبر «٨/ ٣٦».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ فتح الباري «١٣/ ٥٢٨» ح ٧٥٥٩.وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة «٦/ ١٦٢».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة. فتح الباري «١٠/ ٨٢–٨٣» «ح: ٤٩٥٠–٤٩٥١»، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولاصورة «١٦١١٦».

(٤) الجواب الكافي «ص: ١٥٩–١٦١».

أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآيتان: ٧٩-٨٠].

فدين الحق دين الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسله كما يدل عليه قولنا: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله".

فهذان الأصلان:

١-توحيد الرب بالعبادة، ٢- الإيمان برسله.

لابد منهما، ولهذا لا يدخل أحد في الإسلام حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ذلك لأن دين الإسلام مبني على هذين الأصلين ومن خرج عن واحد منهما فلا عمل له ولا دين.

فلا إله إلا الله معناها أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئًا.

فإن الإله: هو الذي تألهه القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً وإجلالًا وإكرامًا.

وهو سبحانه له حق لا يشركه فيه غيره، فلا يعبد إلا الله ولا يدعى إلا الله ولا يخاف إلا الله ولا يطاع إلا الله.

وأما شهادة أن محمدا رسول الله فهي تعني ألا نعبد الله إلا بما شرعه على لسان رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فهو المبلغ عن الله طاعته وأمره ونهيه وتحليله وتحريمه، فهو الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده.

وليس للرسول واسطة في إجابة الدعاء، وكشف البلاء، والهداية، والإغناء ونحو ذلك.

فالله تعالى هو المتفرد بذلك فهو سبحانه الذي يسمع ويرى ويعلم السر والنجوى وهو القادر على إنزال النعم وإزالة الضر من غير احتياج منه إلى أن يعرفه أحد أحوال عباده أو يعينه على قضاء حوائجهم.

والأسباب التي بها يحصل ذلك هو خلقها ويسرها، فهو مسبب الأسباب التي يحصل بها

ذلك ولهذا فرض سبحانه على المصلى أن يقول في صلاته ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: الآية: ٥].

فالله سبحانه أجل وأعظم وأغني وأعلى من أن يفتقر إلى شيء، بل هو الأحد الصمد وكل ما سواه مفتقر إليه، وهو مستغن عن كل ما سواه.وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: " قام فينا النبي-صلى الله عليه وسلم-فذكر الغلول وعظم أمره قال: «**لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، يقول: يارسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، وعلى رقبته بعير له ركاء، يقول يارسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك**» الحديث.[1]

فهؤلاء الذين بلغهم أخبر أنهم إذا استغاثوا به يوم القيامة وسألوه الشفاعة يقول لهم لا أملك لكم من الله شيئا قد أبلغتكم.[2]

فعلى المسلم أن يفرق لأن ما هو حق لله وحده وبين ما هو حق لرسله.

فالله أمرنا أن نؤمن بالأنبياء وما جاؤا به وفرض علينا طاعة الرسول الذي بعث إلينا ومحبته وتعزيره وتوقيره والتسليم لحكمه.

وأمرنا أيضا أن لا نعبد إلا الله وحده لا نشرك به شيئا ولا نتخذ الملائكة والنبيين أربابا.

وفرق بين حقه الذي يختص به الذي لا يشركه فيه لا ملك ولا نبي.

وبين الحق الذي أوجبه علينا لملائكته وأنبيائه عموما ولمحمد-صلى الله عليه وسلم-خاتم الرسل

وخير مرسل الذي جاءه بالوحي خصوصا، فإن الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس، فاصطفي من الملائكة جبريل لرسالته واصطفي من البشر محمدا-صلى الله عليه وسلم-، وأخبر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الغلول.انظر: فتح الباري «٦/ ١٨٥» «ح: ٣٠٧٣».
وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول «٦/ ١٠».

(٢) انظر: الرد على البكري «ص: ٥٢-٥٤» بتصرف.

أن هذا القرآن الذي نزل به هذا الرسول إلى هذا الرسول مبلغا له عن الله قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: الآية: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: الآيات: ١٩٢-١٩٥].

فالله أوجب علينا الإيمان بمحمد-صلى الله عليه وسلم-خصوصا وبالملك الذي جاءه بالقرآن.وأمرنا بالإيمان بالأنبياء كلهم وبجميع ما أوتوا كما قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ [البقرة: الآية: ١٧٧].

وقال تعالى ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: الآية: ١٣٦].

فالأنبياء وسائط بين الله-عز وجل-وبين عباده في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده، وما أخبر به عن نفسه وملائكته وغير ذلك مما كان وسيكون.وسائر الأنبياء علينا أن نؤمن بهم، مجملًا وذلك بأن كل ما أخبروا به عن الله فهو حق وأن طاعتهم فرض على من أرسلوا إليهم.

أما محمد-صلى الله عليه وسلم-فهو الذي أرسل إلينا وإلى جميع الخلق وقد ختم الله به الأنبياء وآتاه من الفضائل ما فضله به على غيره وجعله سيد ولد آدم وخصائصه وفضائله كثيرة وعظيمة لا يسعها هذا الموضع.

وقد أوجب الله علينا أن نطيعه في كل ما أوجبه وأمر به وأن نصدقه في كل ما أخبر به،

كما سبق ذكر ذلك في الباب الأول من هذه الرسالة.

وهو سبحانه مع هذا كله نهانا عن الشرك بهم والغلو فيهم، وميز بين حقه تعالى وحقهم.

فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآيتان: ٧٩-٨٠].فهذا بيان أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر مع وجوب الإيمان بهم ما لم يحصل بعبادة الأوثان، فإن الأوثان تستحق الإهانة وأن تكسر كما كسر إبراهيم الأصنام وكما حرق موسى العجل ونسفه وكما كان نبينا صلى الله عليه وسلم يكسر الأصنام ويهدم صوتها وقد قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٩٨].فإهانتها من تمام التوحيد والإيمان.

والملائكة والأنبياء بل الصالحون يستحقون المحبة والموالاة والتكريم والثناء.مع أنه يحرم الغلو فيهم والشرك بهم، فلهذا صار بعض الناس يزيد في التعظيم على ما يستحقونه فيصير شركا، وبعضهم يقصر عما يجب لهم من الحق فيصير فيه نوع من الكفر.

والصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو القيام بما أمر الله به ورسله في هذا وهذا.

والله تعالى يميز حقه من حق غيره ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «**يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد**».

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «**أن يعبدوه ولا شركوا به شيئا، أتدرى يا معاذ ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك؟**».قلت: الله ورسوله أعلم.قال: «**أن لا يعذبهم**».(١)

(١) أخرجه البخاري «٢٨٥٦»، ومسلم «٣٠» باختلاف يسير.

وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [القصص: الآيتان: ٧٤-٧٥].

فالرسل كلهم نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم يبينون أن العبادة والتقوى حق لله وحده، وحق الرسل طاعتهم.

قال نوح عليه السلام ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: الآيتان: ٢-٣].

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: الآيات: ٦٥- ٧٣- ٨٥].

وقال تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.[الشعراء: الآيات: ١٠٥-١٠٨].

وكذلك قال سائر الرسل هود وصالح وشعيب كل يقول ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء الآيات: ١٢٦-١٣١-١٤٤-١٦٣-١٧٩].

وكذلك في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: الآية: ٥٢].

فجعل الطاعة لله والرسول. وجعل الخشية والتقوى لله وحده.

وقال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: الآية: ٩].

فالإيمان بالله والرسول، والتعزير والتوقير للرسول، وتعزيره، نصره ومنعه.

والتسبيح بكرة وأصيلا لله وحده، فإن ذلك من العبادة لله وحده والعبادة هي لله وحده.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [النحل: الآيتان: ٥١-٥٢]. فأنكر سبحانه أن يتقى غيره كما أمر أن لا يرهب إلا إياه.

وقال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: الآية: ١٥٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.[التوبة: الآية: ١٨].فقد أمر الله تعالى في غير موضع بأن يخشى ويخاف ولا يخشى ويخاف غيره.وقال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾.[التوبة: الآية: ٥٩].

ففي الإيتاء قال ﴿مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ كما قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: الآية: ٧]، لأن الحلال ما حلله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله.

فما أعطاه الرسول للناس فهو حقهم بالقول والعمل كالفرائض التي قسمها الله وأعطى كل ذي حق حقه وكذلك من الفيء والصدقات ما أعطى فهو حقه، وما أباحه له فهو مباح، وما نهاه عنه فهو حرام عليه فلهذا قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ [التوبة: الآية: ٥٩]، ولم يقل هنا ورسوله لأن الله تعالى وحده حسب عبده أي كافيه.لا يحتاج الرب في كفايته إلى أحد لا رسول ولا نبي، ولهذا لا تجئ هذه الكلمة إلا الله وحده كقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: الآية: ١٢٩].

وقال تعالى ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: الآية: ٦٢].إلى قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: الآية: ٦٤].أي حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين كما قاله جمهور أهل العلم.ومن قال إن الله ومن اتبعك حسبك فقد غلط، ولم يجعل الله وحده حسبه بل جعله وبعض المخلوقين حسبه، وهذا مخالف لسائر آيات القرآن.

وقال تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: الآية: ٣٦].فهو وحده كاف عبده، وقال تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: الآية: ٣].

فلهذا قال تعالى ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ [التوبة: الآية: ٥٩]، ولم يقل ورسوله ثم قال ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: الآية: ٥٩]، ولم يقل ورسوله بل جعل الرغبة إلى الله وحده كما قال ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: الآيتان: ٧-٨].

فالرغبة تتضمن التوكل وقد أمر ألا نتوكل إلا عليه كقوله ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ [المائدة: الآية: ١١١]، وقوله ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: الآية: ٩٩].

فالتوكل على الله وحده، والرغبة إليه وحده، والرهبة منه وحده.

ليس لمخلوق لا الملائكة ولا الأنبياء في هذا حق كما ليس لهم حق في العبادة ولا يجوز أن نعبد إلا الله وحده ولا نخشى ولا نتقى إلا الله وحده كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: الآية: ٢].

فإذا قال القائل لا يجوز التوكل إلا على الله وحده، ولا العبادة إلا لله وحده ولا يتقى ولا يخشى إلا الله وحده لا الملائك ولا الأنبياء ولا غيرهم كان هذا تحقيقا للتوحيد.

ولم يكن، هذا سبا لهم ولا تنقصا بهم ولا عيبا لهم وإن كان فيه بيان نقص درجتهم عن درجة الربوبية فنقص المخلوق عن الخالق من لوازم كل مخلوق. ويمتنع أن يكون المخلوق مثل الخالق.

والملائكة والأنبياء كلهم عباد الله يعبدونه كما قال تعالى ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: الآية: ١٧٢].

وقال تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي

الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: الآيات: ٢٦-٢٩].

فإذا نفي عن مخلوق ملك أو نبي أو غيرهما ما كان من خصائص الربوبية وبين أنه عبد الله كان هذا حقا واجب القبول، وكان إثباته إطراء للمخلوق فإن دفعه عن ذلك كان عاصيا بل مشركا.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله**».[1]

فالله تعالى قد وصفه بالعبودية حين أرسله، وحين تحدى، وحين أسرى به فقال تعالى ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ [الجن: الآية: ١٩].

وقال تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: الآية: ٢٣].

وقال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: الآية: ١].

وأهل الباطل يقولون لمن وصفهم بالعبودية إنه عابهم وسبهم ونحو ذلك.

ولهذا لما سأل النجاشي جعفر بن أبي طالب –رضي الله عنه– ما تقول في المسيح عيسى؟ فقال: هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه رفع النجاشي عودًا وقال: ما زاد المسيح على ما قلت هذا العود فنخرت بطارقته.[2] فقال: "وإن نخرتم".[3]

فهم يجعلون قول الحق في المخلوق سبا له، وهم يسبون الله ويصفونه بالنقائص والعيوب كما في الحديث عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، قال: «**يقول الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك.أما تكذيبه إياي أن يقول: إني لن أعيده كما بدأته، وأما شتمه إياي أن يقول: اتخذ الله ولدا، وأنا الصمد الذي**

---

(١) أخرجه البخاري «٣٤٤٥».

(٢) أي تكلمت، وكأنه كلام مع غضب ونفور.النهاية «٥/ ٣٢».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند «١/ ٢٠١-٢٠٣» «٥/ ٢٩٠-٢٩٢» .قال الهيثمي في مجمع الزوائد «٦/ ٢٤-٢٧» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة «٢/ ٢٩٣-٢٩٥».وهو في سيرة ابن هشام «١/ ٢٨٩-٢٩١».

لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد».[(١)]

فقد أخبر سبحانه أن هؤلاء يسبونه، وقد كان معاذ بن جبل يقول عن النصارى: "لا ترحموهم فقد سبوا الله سبة ما سبه إياها أحد من البشر".وهذا نظير ما ذكره الله تعالى عن المشركين بقوله ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٣٦].

فكانوا ينكرون على محمد عليه السلام أن يذكر آلهتهم بما تستحقه وهم يكفرون بذكر الرحمن ولا ينكرون ذلك كما قال تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٨].

وهكذا من فيه شبهه من اليهود والنصارى والمشركين تجده يغلو في بعض المخلوقين من المشايخ والأئمة والأنبياء وغيرهم وإذا ذكروا بما يستحقونه أنكر ذلك ونفر منه وعادى من فعل ذلك وهو وأصحابه يستخفون بعبادة الله وحده وبحقه وبحرماته وشعائره ولا ينكر ذلك.ويحلف أحدهم بالله ويكذب ويحلف بمن يعظمه ويصدق ولا يستجيز الكذب إذا حلف به.وهؤلاء من جنس النصارى والمشركين وكذلك قد يعيبون من نهي عن شركهم كالحج إلى القبور التي يحجون إليها عادة وهم يستخفون بحرمة الحج إلى بيت الله ويجعلون الحج إلى القبور أفضل منه.وقد ينهون عن الحج اعتياضا إلى القبور ويقولون هذا الحج الأكبر.

ويرون النهي عن الحج إلى قبور الأنبياء والصالحين إخلالا بحقهم ومعاداة لهم ونحو ذلك.

وهم لا يرون الشرك بالله ودعاء غيره واتخاذ عباده من دونه أولياء إخلالا بحقه ومعاداة له.

ومعلوم أن المشركين من أعظم أعداء الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ...﴾ الآية «٢٨٧/٦» «ح: ٣١٩٣»، وكذلك في كتاب التفسير، تفسير سورة الإخلاص.انظر فتح الباري «٧٣٩/٨» «ح: ٤٩٧٤، ٤٩٧٥».

إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: الآيات: ١-٤] فأمر بالتأسي بإبراهيم ومن معه لما تبرءوا من المشركين وما يعبده المشركون، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء حتى يؤمنوا بالله وحده.فالمشرك والآمر بالشرك والراضي به معاد لله، ومن عادى الله فقد عادى أنبياءه وأولياءه.

وأما من أمر بما جاءت به الرسل فلم يعادهم ولم يعاندهم قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: الآيات: ١-٦].

وهنا موضع يشكل على بعض الناس وذلك أنه قال عليه السلام في الحديث الصحيح: " أصدق كلمة قد قالها شاعر كلمة لبيد

ألا كل شيء ما خلا الله باطل.(١)

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: الآية: ٦٢].

فالمراد بالباطل: ما لا ينفع، وكل ما سوى الله لا تنفع عبادته، وهذا يدخل فيه كل ما عبد من دون الله من الملائكة والأنبياء وهؤلاء قد سبقت لهم من الله الحسني فكيف يدخلون في الباطل؟.

وكذلك قوله: ﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية فتح الباري «٧/ ١٤٩» «ح: ٣٨٤١».وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الشعر «٧/ ٤٩».

تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: الآية: ٣٢]..

فيقال: إن المراد عبادتهم والعمل لهم باطل، وقد يقال عن الشيء أنه لا شيء لانتفاء المقصود منه ليس بشيء وكما قال صلى الله عليه وسلم عن الكهان لما سئل عنهم فقال: "ليسوا بشيء" فقالوا إنهم يحدثون أحيانا الشيء يكون حقا، فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة**».[١] فهم ليسوا بشيء: أي لا ينتفع بهم فيما يقصد منهم، وهو الاستخبار عن الأمور الغائبة لأنهم يكذبون كثيرا فلا يدرى ما قالوه أهو صدق أم كذب.وهم مع ذلك موجودون يضلون ويضلون.

فقوله: "ليس بشيء" مثل قوله: "ألا كل شيء ما خلا الله باطل" وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: الآية: ٦٢]، فهو من جهة كونه معبودا باطل لا ينتفع به ولا يحصل لعابده مقصود العبادة وإن كان من جهة أخرى هو شمس وقمر ينتفع بضيائه ونوره وهو يسجد لله ويسبحه.وكذلك الملائكة والأنبياء إذا نفي عنهم كونهم آلهة معبودين وتبين أن عبادتهم عمل باطل لا ينتفع به، لم ينف ذلك ما يستحقونه من الإجلال والإكرام وعلو قدرهم عند الله تعالى.

والتبري من عبادتهم وكونهم معبودين، لا من موالاتهم والإيمان بهم وقولهم ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الممتحنة: الآية: ٤]، أي ومن عبادتهم ومن كونهم معبودين كما قال الخليل عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: الآية: ٧٨]، فهو بريء من كل شريك لله من جهة كونه جعل شريكا وندا لله ولم يبرأ منه من جهات أخرى.

فإبراهيم لم يبرأ من الشمس والقمر والكواكب من جهة كونها مسخرة لمنافع العباد وكونها تسجد لله وتسبحه وكونها من آياته العظيمة بل من جهة كونها

شركاء لله.أما الأوثان ونحوها فتعادى مطلقا.والشمس والقمر والملائكة والكواكب تعادى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان «٧/ ٣٦».

عبادتها وكونها آلهة معبودة فتبغض من هذه الجهات وتعادى، مع وجوب الإيمان بالملائكة وإذا قيل للنصارى نحن براء من شرككم ومما تعبدون من دون الله.وقد قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: الآية: ٧٦].هذا بعد قوله: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: الآية: ٧٥].

فالبراءة من كل معبود سوى الله كالبراءة من كل إله سوى الله، وذلك براءة من الشرك ومن كل ما سوى الله معبودا، وليس هو براءة من المسيح من جهة كونه رسولا كريما وجيها عند الله، بل براءة مما قيل فيه من الباطل لا من الحق.والمسيح والملائكة وغيرهم يتبرؤن ممن عبدوهم ويعادوهم ولا يوالوهم قال الله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾.[سبأ: الآيات: ٤٠-٤١].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: الآيات: ١٧-١٨].

وقال تعالى ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ [الكهف: الآية: ١٠٢]، وقال تعالى ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: الآية: ٩].

وقال تعالى ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: الآية: ١٤].

وهو سبحانه لم ينه عن موالاتهم فمن أحبهم ووالاهم فهو موحد ومن جعلهم أندادا أحبهم كما يحب الله فهو مشرك كافر.فالحب لله توحيد وإيمان.والحب كما يحب الله شرك وكفر.

وكذلك الشفاعة قال تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: الآية: ٤].وقال تعالى ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥].

فتبين أنه لا تنفع شفاعة الملائكة والأنبياء ولا غيرهم إلا لمن أذن له حتى «**إذا قضى بالأمر**

ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله تعالى كأنه سلسلة على صفوان» [١] وصعقوا فلا يعلمون ما قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُوا الْحَقَّۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: الآية: ٢٣]، فحينئذ يعلمون ما قضى به، فكيف يضفعون بدودت إذنه؟

قال الله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآيتان: ٢٦-٢٧]، وقال تعالى ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: الآية: ٤٣].

وأوجه الشفعاء وأول شافع يوم القيامة محمد-صلى الله عليه وسلم-وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أحاديث الشفاعة أن الناس يوم القيامة إذا ذهبوا إلى آدم ليشفع لهم يردهم إلى نوح ونوح إلى إبراهيم وإبراهيم إلى موسى وموسى إلى المسيح والمسيح إلى محمد-صلى الله عليهم وسلم أجمعين-فيقول اذهبوا إلى محمد فإنه عبد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال صلى الله عليه وسلم «**فيأتوني فأذهب إلى ربي فإذا رأيت ربي خررت ساجدا وأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن وحينئذ فيقول الله تعالى "أي محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه واشفع تشفع" قال فأقول: أي رب أمتي فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة**» وكذلك ذكر في الثانية والثالثة.[٢]

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قلت: يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ " الحديث إلى أن قال-صلى الله عليه وسلم-: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه**».[٣]

فقد بين أوجه الشفعاء أنه إذا أتى يبدأ بالسجود لله والحمد لله لا يبدأ بالشفاعة حتى يؤذن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، تفسير سورة سبأ، باب «حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير» .فتح الباري «٨/ ٥٣٧-٥٣٨» «ح: ٤٨٠٠».

(٢) أخرجه البخاري «٧٥١٠».

(٣) أخرجه البخاري «٩٩».

له فإن أذن له فحينئذ يشفع، فإذا شفع حد له حدا فيدخلهم الجنة، وبين أن أولى الناس بشفاعته من كان أعظم إخلاصا وتوحيدا لا من كان سائلا وطالبا منه أو من غيره.فالأمر كله لله وحده لا شريك له هو الذي يأذن في الشفاعة وهو الذي يقبل شفاعة الشفيع فيمن يختار قال تعالى ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: الآية: ٦٨].

فالذين يخالفون شريعة الأنبياء ويغلون فيهم ويقولون إنهم يحبونهم ويوالونهم ويعظمونهم بذلك، فالأنبياء يتبرءون منهم، ومحمد صلى الله عليه وسلم بريء من عمل يخالف أمره وسنته قال الله تعالى ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: الآية: ٢١٦].

ولا ينفع من عصى الرسول أن يقول قصدي تعظيمهم فإنه إنما أمر بطاعتهم ولم يأمر أن يعبد الله بالظن وما تهوى الأنفس، قال الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: الآيتان: ١١٦-١١٧].

فقد أخبر أنه لم يقل لهم إلا ما أمره الله به أن يعبدوا الله وحده وكذلك سائر الانبياء قال الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٥].

وهو سبحانه انما يعبد بما شرع من الدين، لا يعبد بما شرع من الدين بغير إذنه فإن ذلك شرك قال الله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: الآية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: الآية: ١٣].والدين الذي شرعه إما واجب أو مستحب فكل من عبد عبادة ليست واجبة في شرع الرسول ولا مستحبة كانخا من الشرك والبدع، وكلما تدبر الإنسان ما أمر به

وشرعه تبين له أنه جمع في شرعه بين كمال توحيد الرب وإخلاص الدين له.

وبين كمال طاعة الرسل وتعزيرهم ومحبتهم وموالاتهم ومتابعتهم فأسعد الناس في الدنيا والآخرة أتبعهم للرسول باطنا وظاهرا صلى الله عليه وسلم تسليما.(١)

فهذا هو صراط الله المستقيم قال تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: الآية: ١٥٣].

ولما أمرنا الله أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين المغايرين للمغضوب عليهم وللضالين. كان ذلك مما لحين أن العبد يخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين.(٢) والمغضوب عليهم هم اليهود والضالون هم النصارى.(٣)

وقد افترق اليهود والنصارى في شأن الأنبياء، فاليهود جفوا عنهم فكذبوهم وقتلوهم كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٨٧]، والنصارى غلوا فيهم فأشركوا بهم حتى كفروا بالله تعالى قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: الآية: ١٧١].

فبالإيمان بهم وتصديقهم وطاعتهم يخرج المسلم عن مشابهة اليهود وبعبادة الله وحده والاعتراف بأنهم عباد الله لا يجوز اتخاذهم أربابا إلا اك ك بهم والغلو فيهم يخرج عن مشابهة

(١) الرد على الأخنائي «ص: ٣٣٣- ٣٨٨» بتصرف.

(٢) مجموع الفتاوى «١/ ٦٥».

(٣) كتاب الله يدل على ذلك فقد قال الله في حق اليهود ﴿فباءوا بغضب على غضب﴾، وقال في النصارى ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ .

النصارى.

فإن اتخاذهم أربابا كفر تال الله تعالى ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية: ٨٠]، والنصارى يشركون بمن دون المسيح من الأحبار والرهبان قال تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: الآية: ٣١]، فمن غلا فيهم واتخذهم أربابا فهو كافر.

ومن كذب شيئا مما جاؤا به أو سبهم أو عابهم أو عاداهم فهو كافر.

فلابد من رعاية هذا الأصل.(١)

وكان السلف يرون أن من انحرف من العلماء عن الصراط المستقيم ففيه شبه من اليهود كما ئرى في أحوال منحرفة أهل العلم من تحريف الكلم عن مواضعه، وقسوة القلوب، والبخل بالعلم وغير ذلك.

ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى كما ئرى في منحرفة أهل العبادة من الغلو في الأنبياء والصالحين وغير ذلك.(٢)

والغلو في هذه الأمة وقع في طائفتين:

الطائفة الأولى: طائفة من ضلال الشيعة الذين يعتقدون في الأنبياء والأئمة من أهل البيت الألوهية.

الطائفة الثانية: طائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك في الأنبياء والصالحين.(٣)

فمن توهم في نبينا أو غيره من الأنبياء شيئا من الألوهية والربوبية فهو من جنس النصارى.

وإنما حقوق الأنبياء ما جاء به الكتاب والسنة عنهم قال تعالى في خطابه لبني إسرائيل ﴿وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ

---

(١) الرد على الأخنائي «ص: ٣٢٤-٣٢٥».

(٢) مجموع الفتاوى «١/ ٦٥» بتصرف.

(٣) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح «١/ ٩٢» والرد على البكري «ص: ١٠٥، ١٠٦».

وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [المائدة: الآية: ١٢].

والتعزير: النصر والتوقير والتأييد.

وقال تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: الآيتان: ٨-٩].فهذا في حق الرسول، ثم قال في حق الله تعالى ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: الآية: ٩].

وقال تعالى ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٧].

وقال تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية: ٣١].

وقال تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: الآية: ٣٢]، وذكر طاعة الرسول في أكثر من ثلاثين موضعا.

وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦].

وقال تعالى ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ [التوبة: الآية: ٢٤]، فقد بين الله في كتابه حقوق الرسول من الطاعة له، ومحبته، وتعزيره، وتوقيره، ونصره، وتحكيمه، والرضى بحكمه، والتسليم له واتباعه والصلاة والتسليم عليه، وتقديمه على النفس والأهل والمال، ورد ما يتنازع فيه إليه وغير ذلك من الحقوق.

وأخبر أن طاعته طاعته فقال: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: الآية: ٨٠]، ومبايعته مبايعته فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: الآية: ١٠].

وقرن بين اسمه واسمه في المحبة فقال ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: الآية: ٢٤]، وفي الأذى فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٧]، وفي الطاعة والمعصية فقال ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: الآية: ١٣]، ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: الآية: ١٤]، وفي الرضا فقال ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: الآية: ٦٢].

فهذا ونحوه هو الذي يستحقه رسول الله بأبي هو وأمي.

فأما العبادة والاستعانة فلله وحده لا شريك له كما قال ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: الآية: ٣٦].

نماذج من الغلو في حق النبي-صلى الله عليه وسلم-.

ما يسمى بـ «**الحقيقة المحمدية**»:

وهي أسطورة من أساطير الصوفية، نسجها خيالهم المريض، وأوهامهم الفاسدة، فهي كذبة ليس لها رصيد من الواقع، بل هي مناقضة تماما لما أخبر به الله تعالى وقرره في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.أما عن فحوى هذه الأسطورة فيقول قائلهم:"اعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها ...ثم انبخست منه-صلى الله عليه وسلم-عيون الأرواح فهو الجنس العالي على جميع الأجناس والأب الأكبر لجميع الموجودات".[١]

ويقول آخر: "اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأراضين وجنات وحجبا وما فوقها وما تحتها إذا اجتمعت كلها وجدت بعضا من نور النبي، وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقطت".[٢]

وفي هذا يقول شاعرهم:

أنشاك نورا ساطعا قبل الورى ...فردا لفرد، والبرية في عدم

ثم استمد جميع مخلوقاته ...من نورك السامي، فيا عظم الكرم

فلذا إليك الخلق تفزع كلهم ...في هذه الدنيا، وفي اليوم الأهم

---

(١) الأنوار المحمدية «ص: ٩».

(٢) هذه هي الصوفية «ص: ٨٧».

وإذا دعتهم كربة فرجتها ...حتى سوى العقلاء في ذاك انتظم.[١]

وهذا الزعم الباطل تضمن ثلاث دعاوى كلها كذب وافتراء.

الدعوى الأولى: دعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم خلق من نور رب العالمين.

الدعوى الثانية: أنه وجد قبل خلق آدم.

الدعوى الثالثة: أن الأشياء خلقت منه.

وكل دعوى من هذه الدعاوى هي أكذب من أختها، وقد قال بها جميعا بعض الغلاة المنتسبين إلى الإسلام مضاهاة لقول النصارى في عيسى، ويروون في ذلك أحاديث، وكلها كذب، فمن هؤلاء الغلاة من يروى عن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: "من قال إني كلى بشر فقد كفر، ومن قال لست ببشر فقد كفر" وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث.[٢]

ومنهم من يروى عن جابر بن عبد الله–رضي الله عنه–، قال: "قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي، فلما أراد أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السموات، ومن الثاني الأراضين، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربع أجزاء، فخلق من الأول أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله

---

(١) الأبيات لأحمد بن عبد المنعم الحلواني من قصيدته المستجيرة «نقلا عن كتاب هذه الصوفية» «ص: ٨٧».

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح «٢/ ٢٠٠– ٢٠١» بتصرف.

تعالى، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله".[١]

وهذا الحديث باطل قال عنه السيوطي: "ليس له إسناد يعتمد عليه".[٢]

ولا يخفي على من له أدني معرفة بنصوص القرآن والسنة ما في هذا الخبر المكذوب من المخالفات والمغالطات، ولا يشك طالب علم في وضعه واختلاقه. وكذلك مما يرونه "كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذا مما لا أصل له لا من نقل ولا من عقل فإن أحدًا من المحدثين لم يذكره، ومعناه باطل فإن آدم لم يكن بين الماء والطين قط فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.

ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي–صلى الله عليه وسلم–كان حينئذ موجودا وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة مثل حديث فيه "أنه كان نورًا حول العرش، فقال: يا جبريل أنا كنت ذلك النور".[٣]

ومن العجيب أن كثيرًا من الناس صاروا يتناقلون مثل هذه الأخبار المفتراة حتى أصبحت عندهم عقيدة راسخة في قلوبهم.

ومما يبين كذب هذه الدعاوى ويظهر زيفها مخالفتها لنصوص الكتاب والسنة.

فقد أخبرنا عز وجل عن أصل ما خلق منه الإنس والجن فقال تعالى ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾.[الرحمن: الآيتان: ١٤–١٥].

والنبي صلى الله عليه وسلم بشر خلق مما خلق منه باقي البشر فلا ميزة له في هذا الشأن عن باقي البشر قال تعالى ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: الآية: ٩٣].

(١) الرد على البكري «ص: ٨–٩».

(٢) الحاوي للفتاوى «١/ ٣٢٥».

(٣) الأنوار المحمدية «ص: ١٣».

وقال تعالى ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾.[الأحقاف: الآية: ٩].

والآيات في هذا الشأن، وفي شأن خلق السموات والأرض وكذا الأحاديث الثابتة كثيرة وكلها تخالف هذا الخبر المذكور وتبين زيفه وبطلانه.[(١)]

دعوى أن الدنيا خلقت من أجل النبي–صلى الله عليه وسلم–:

وفي هذا يقول قائلهم

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة * من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم [(٢)]

وقول الآخر ممن هو من نقطة وشكله

لولاه ما خلقت شمس ولا قمر * ولا نجوم ولا لوح ولا قلم [(٣)]

ويستند هؤلاء على أحاديث موضوعة وأخبار مكذوبة منها حدثا "لولاك ما خلقت الأفلاك" وهو موضوع.[(٤)]

وعن ابن عباس–رضي الله عنهما–، قال: أوحى الله إلى عيسى يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت جنة ولا نار ...".[(٥)]

وهذه الأحاديث الموضوعة وأمثالها لا يمكن أن يعول عليها في إثبات أمر شرعي كهذا.

---

(١) انظر في هذا الشأن رسالة تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق.

(٢) ديوان البوصيري «ص: ٢٤٠» .تنبيه الحذاق «ص: ٢٧».

(٣) تنبيه الحذاق «ص: ٢٧».

(٤) لا أصل له مرفوعًا إنما أخرجه الحاكم في المستدرك «٢/ ٦١٤، ٦١٥» من طريق عمرو بن أوس الأنصاري ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: فذكره موقوفًا وقال: "صحيح الإسناد" وتعقبه الذهبي بقوله "أظنه موضوعًا على سعيد". وقد قال الذهبي في الميزان «٣/ ٢٤٦» عند ترجمته لعمرو بن أوس الذي روى هذا الحديث عن سعيد ما نصه: "عمرو بن أوس يجهل حاله أتى بخبر منكر، أخرجه الحاكم في مستدركه، وأظنه موضوعًا من طريق جندل بن والق" ثم ذكر نص هذا الحديث.ووافقه ابن حجر في اللسان «٤/ ٣٥٤» ..

(٥) .قاله الصغاني في الأحاديث الموضوعة «ص: ٧» ، وانظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني «ص: ٣٢٦» وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم: «٢٨٢».

أضف إلى ذلك مخالفتها للشرع فالذي تدل عليه النصوص الشرعية أن الله عز وجل إنما خلق الجن والإنس لغاية ذكرها في القرآن الكريم حيث قال عز وجل ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.[الذاريات: الآية: ٥٦].

قال ابن كثير: "ومعني الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب".[١] وقال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.[هود: الآية: ٧].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.[الملك: الآية: ٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.[الكهف: الآية: ٧].

فصرح–جل وعلا–في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق هي اختبارهم وابتلاؤهم ليجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

فهذه هي الحكمة من خلقهم أولًا وبعثهم ثانيًا.[٢]

والنصوص من آيات وأحاديث كلها تؤكد هذا الأمر وتدل عليه، وفي الوقت نفسه تبطل ما زعمه الغلاة من أن الغاية من خلق الخلق هي من أجل محمد–صلى الله عليه وسلم–.

فهذه الدعاوى يعرف بطلانها من له أدنى بصيرة في نصوص الشرع؛ والنبي–صلى الله عليه وسلم–قد أعطاه الله خصائص وفضائل كثيرة تدل على فضله ومكانته، فليس هو بحاجة إلى أن ترفع مكانته ويبين شرفة بمثل هذه الأخبار الباطلة الموضوعة.

دعوى الغلاة: جواز صرف بعض جوانب العبادة له–صلى الله عليه وسلم–:

---

(١) تفسير ابن كثير «٤/ ٢٣٨».

(٢) انظر: أضواء البيان «٧/ ٦٧٣- ٦٧٧».

وقد تفنن الغلاة في هذا

"فمن قائل يقول إنه يستغاث به في كل يستغاث فيه بالخالق بمعني أنه يطلب منه كما يطلب من الخالق.

فهؤلاء جعلوا الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه الناس ما يطلبونه من الله تعالى.

فآذوا الرسول وأساؤوا في حقه إذ سألوه ما لا يقدر عليه مخلوق وسووه برب العالمين وسلطوا عليه العامة، فهذا يطلب منه إنزال المطر، وهذا يطلب منه غفران الذنوب، وهذا يطب منه النصر على الأعداء، وهذا يطلب منه أن يتزوج، وهذا يطلب منه الولد.

وهذا يطلب منه المعيشة وهذا يطلب منه الملك، وهذا يطلب منه الولاية، وهذا يطلب منه قضاء دينه، وهذا يطلب منه شفاء مريضه إلى غير ذلك من الأمور فنزلوا المخلوق منزلة الإله وطلبوا منه من جلب المنافع ودفع المضار ما لا يقدر عليه إلا الله".[١]

ومن نظم بعضهم في هذا قوله:

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تحلى باسم منتقم

فإن لي ذمة منه بتسميتي ... محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم

إن لم يكن في معادى آخذا بيدي ... فضلا وإلا فقل يا زلة القدم.[٢]

فنفى أن يكون له ملاذ إذا حلت به الحوادث، إلا النبي–صلى الله عليه وسلم–وليس ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملاذ إلا إياه سبحانه وتعالى.

ودعاه وناداه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه وسأل منه هذه المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وذلك الشرك في الإلهية.[٣]

---

(١) الرد على البكري «ص: ٣٣٥-٣٣٦» بتصرف.

(٢) ديوان البوصيري «ص: ٢٤٨».

(٣) تيسير العزيز الحميد «ص: ١٨٧».

ومن شعر بعضهم قوله:

مــاذا تعــامــل يا شمس النبوة من ... أضحى إليك من الأشواق في كبدي
فامنع جناب صـــريع لا صـــريخ له ... نائي المزار غريــب الــدار مبتعــدي
حليف ودك واه الصـــبر منتظر ... لغـارة منـك يا ركني ويا عضــــدي
أســـــير ذنــبي وزلاتي ولا عــمــل ... أرجو النجــاة بــه إن أمــا لم تجــد

وجرى في شركه وإلى أن قال:

وحــل عقــدة كربي يا محمــد من ... هم على خطرات القلــب مطرد
أرجوك في ســكرات الموت تشــهدني ... كيما يهون إذ الأنفاس في صــــعد
وإن نزلــت ضـــريحـا لا أنيس بــه ... فـكـن أنيس وحيــد فيــه منفـرد
وارحم مؤلفهــا عبــد الرحيم ومن ... يليــه من أجلـه وانعشــــه وافتقـد
وإن دعــا فــأجبــه واحم جــانبــه ... من حاســـد شـــامت أو ظالم نكد

وقوله من أخرى:

يا رســـول الله يا ذا الفضــــل يا ... بهجــة الحشـــر جــاهــا ومقــامــا
عــد على عبــد الرحيم الملتجى ... بحـمـى عـزك يا غـوث الـيـتـامـى
وأقــلــني عــثــرتي يا ســــيــدي ... في اكتساب الذنب في خمسين عاما

وقوله:

يا ســـيدي يا رســـول الله يا أملي ... ويا موئلي يا ملاذي يوم يلقــاني
هبني بجـاهــك مــا قــدت من زلــل ... جودا أو رجح بفضــــل منك ميزاني
واسمع دعائي واكشــف ما يســاورني ... من الخطوب ونفســـه كـل أحزاني

فـأنــت أقرب من ترجى عواطفـه   عنـدي وإن بعـدت دارى وأوطـاني
إني دعـوتـك مـن نـيـابـتي بـرع   وأنـت اسمع من يـدعوه ذو شــأن
فامنع جنابي وأكرمني وصـل نسـبي   بـرحمـة وكـرامــات وغـفــران

لقد أنسانا هذا ما قبله، وهذا بعينه هو الذي ادعته النصارى في عيسى عليه السلام، إلا أن أولئك أطلقوا عليه اسم الإله، وهذا لم يطلقه ولكن أتى بلباب دعواهم وخلاصتها، وترك الاسم، إذ في الاسم نوع تمييز، فرأى الشيطان أن الإتيان بالمعني دون الاسم أقرب إلى ترويج الباطل، وقبوله عند ذوى العقول السخيفة، إذ كان من المتقرر عند الأمة المحمدية أن دعوى النصارى في عيسى عليه السلام كفر، فلو أتاهم بدعوى النصارى اسما ومعنى لردوه وأنكروه، فأخذ المعنى وأعطاه البرعى وإضرابه، وترك الاسم للنصارى وإلا فما ندرى ماذا أبقى هذا المتكلم الخبيث للخالق تعالى وتقدس من سؤال مطلب أو تحصيل مأرب، فالله المستعان.(١)

ويقول صاحب المواهب اللدنية: وينبغي للزائر -لقبره- أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل والتوجه به لا فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه فإن كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه للنبي-صلى الله عليه وسلم-واقع في كل حال كل خلقه وبعده في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة.(٢)

ومن هؤلاء من يرى أن زيارة قبر النبي-صلى الله عليه وسلم-أفضل من الحج إلى الكعبة وأن دعاء النبي-صلى الله عليه وسلم-والاستغاثة به أفضل من الاستغاثة بالله تعالى ودعائه.(٣)

ومنهم من يظن أن الرسول يعلم ذنوبه وحوائجه وإن لم يذكرها وأنه يقدر على غفرانها وقضاء

---

(١) تيسير العزيز الحميد «ص: ١٨٩-١٩٠».

(٢) انظر الأنوار المحمدية «ص: ٦٠٤».

(٣) الرد على البكري «ص: ٣٤٩».

حوائجه ويقدر على ما يقدر عليه الله ويعلم ما يعلمه الله".(١)

ومنهم من يقول "إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخلو منه زمان ولا مكان" يريدون بذلك أنه ما من زمان إلا وهو فيه موجود، ولا من مكان إلا هو فيه موجود.(٢)

ومنهم من يقول: "إنه يحضر في كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه وأنه يتصرف حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته".(٣)

ومنهم من يقول في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: الآيتان: ٨-٩].

يقول: إن الرسول هو الذي يسبح بكرة وأصيلا.

ومنهم من يقول: اسقط الربوبية وقل في الرسول ما شئت.

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له ... حد فيعرب عنه ناطق بفم

لو ناسبت قدره آياته عظما ... أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم.(٤)

ومنهم من يقول نحن نعبد لله ورسوله فيجعلون الرسول معبودًا.(٥)

بل لم يكتف غلاة الصوفية بهذا القدر حتى اعتقدوا أنه هو الله سبحانه ذاتًا وصفة.(٦)

وكتب أصحاب البدع وعباد القبور مملؤة بالكثير من أنواع هذا الغلو وألوانه والذي لا

---

(١) الرد على البكري «ص: ٣٠».

(٢) غاية الأماني «١/ ٤٨».

(٣) هذه هي الصوفية «ص: ٨١».

(٤) ديوان البوصيري «ص: ٢٤١».

(٥) الرد على البكري «ص: ٢١٩».

(٦) هذه هي الصرفية «ص: ٧٤- ٧٥».

يشك الموحد بكذبه وبطلانه.

٣-ألقاب أهل السنة والجماعة

أولًا: المقدمة.

ثانيًا: سبب ظهور ألقاب أهل السنة.

ثالثًا: ألقاب أهل السنة.

ربعًا: الجمع بين ألقاب أهل السنة.

خامسًا: ضوابط مهمة.

[٣] قال المصنف رحمه الله: «**أمَّا بعد: فهذا اعتقاد الفرقة النَّاجية المنصورة إلى قيام الساعة؛ أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة**».

الشرح

أولاً: المقدمة.

ذكر المصنف رحمه الله؛ أنه سيذكر اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، وهم أهل السنة والجماعة.

والفرقة الناجية لها ألقاب: «**أهل السنة والجماعة– الطائفة المنصورة– أهل الحديث– الغرباء**»؛ فهذه المسميات جاءت بها النصوص، وبحمد الله تعالى عُرف أهل السنة بأنهم هم أهل السنة، فهذا هو اسمهم ثم كما جاء في الحديث: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين**»؛ فهم الطائفة الناجية والطائفة المنصورة التي استقامت على هذا المنهج الذي جاء به الوحي؛ فلزمته علمًا وعملًا ودعوة.

هناك ألقابٌ وأسماءٌ لأهل السُّنة والجماعة يُعْرَفون بها، ويُفارِقون بها أهلَ البدع والفُرقة، ويتميَّزون بها عنهم، ومع ذلك فإنَّ أهل السنة والجماعة ليس لهم اسمٌ يُعرَفون به، ولا لقبٌ، ولا رمزٌ يُميِّزهم عن غيرِهم إلاَّ الإسلام وما دلَّ عليه، بل لا ينتمون لأيِّ شخص مهما علت رتبتُه، ويجعلون قدوتهم في كلِّ شؤونهم رسولَ الله–صلى الله عليه وسلم–".[١]

يقول مالك بن مغول–رحمه الله–«**ت: ١٥٨ هـ**»: "إذا تسمَّى الرجلُ بغير الإسلام والسُّنة؛ فأَلْحِقْه بأيِّ دِينٍ شِئت".[٢]

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»، فيمَن تسمَّى بأسماء ليست من الإسلام في شيء: "هذه أسماءٌ باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله–صلى الله عليه وسلم–، ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأئمة. والواجب على المسلم إذا سُئل عن

---

(١) انظر: أهل السنة والجماعة، «ص٧٥».

(٢) انظر: الإبانة الصغرى، لابن بطة «ص١٣٧».

ذلك يقول: أنا مسلمٌ مُتَّبع لكتاب الله، وسنة رسوله... واللهُ تعالى قد سمَّانا في القرآن؛ المسلمين، المؤمنين، عباد الله، فلا نعدل عن الأسماء التي سمَّانا الله بها إلى أسماءٍ أحدَثَها قوم، وسمَّوها هم وآباؤهم، ما أنزل الله بها من سلطان". [١]

ثانيًا: سبب ظهور ألقاب أهل السنة.

وسبب ظهور ألقاب أهل السنة والجماعة: أنه لَمَّا انتسبَ إلى الإسلام من أهل البدع، وانتسب إليه مَنْ يُخالف تعاليمَه، ظهرت هذه الألقاب والمسمَّيات للتفريق بين الانتساب الشرعي الصحيح، والانتساب الباطل، وهي في حقيقتها أوصافٌ تدلُّ على موصوف، ولكنها لا تُعبِّر بحال من الأحوال عن استقلالٍ عن الإسلام، فإذا أُطلِق وصفٌ منها يكون أوَّل ما يتبادر إلى ذهن السامع أنَّ المقصود هو المسلِم المتَّبع لكتاب ربِّه، والمقتدي بسنَّة نبيِّه. أمَّا غيرها من الألقاب فإطلاقها يُحدِث مُفارقةً ومباينةً بينه وبين الإسلام، من وجه أو وجوه، أو مفارقةً كلية.

ثالثًا: ألقاب أهل السنة.

والألقاب المشهورة لأهل السنة ما يلي:

١-أهل الجماعة:

وأصل هذا المسمَّى ورد في قول النبي-صلى الله عليه وسلم-وهو يصف الفرقة الناجية: **«إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلاَّ وَاحِدَةً وَهِيَ: الْجَمَاعَةَ»**. [٢]

قال ابن تيمية-رحمه الله-: "وسُمُّوا أهلَ الجماعة؛ لأنَّ الجماعة هي الاجتماع، وضِدُّها الفُرقة". [٣]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، «٣/ ٤١٥» بتصرف يسير.

(٢) رواه ابن ماجه، «٢/ ١٣٢٢»، «ح: ٣٩٩٣». وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»، «٣/ ٣٠٨»، «ح: ٣٢٤٢».

(٣) انظر: العقيدة الواسطية، «ص: ٤٦».

٢-السلف الصالح:

"السلف: جمع سالف، وهو لفظ يدل على السَّبق والتَّقدم".[١]

قال ابن الأثير-رحمه الله-: "وسـلف الإنسـان: مَنْ تقدَّمه بالموت من آبائه وذوي قرابته؛ ولهذا سُمِّيَ الصدر الأوَّل من التابعين السلف الصالح".[٢]

و«**السلف**» في الاصطلاح: "هم الصحابة، والتابعون، وتابعو التابعين، وهو قول جمهور العلماء".[٣]

ويدلُّ عليه: قول النبيِّ-صلى الله عليه وسلم-: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**».[٤]

قال النووي-رحمه الله-:"الصـحيح: أنَّ قرنه-صـلى الله عليه وسـلم-الصـحابة، والثاني التابعون، والثالث تابعوهم".[٥]

وقال السفاريني-رحمه الله-وهو يبين من هم القدوة بقوله: "المراد بمذهب السلف: ما كان عليه الصحابةُ الكرام-رضوان الله عليهم-وأعيانُ التابعين لهم بإحسان، وأتباعُهم، وأئمة الدِّين مِمَّنْ شُـهِدَ له بالإمامة، وعُرِفَ عِظَمُ شـأنه في الدِّين، وتلقَّى الناسُ كلامَهم خلفًا عن سـلف، دون مَنْ رُمِيَ ببدعة، أو شُهِرَ بلقب غير مرضي".[٦]

---

(١) انظر: الزاهر، «ص: ١٤٨»؛ لسان العرب، «٩/ ١٥٨».

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، «٢/ ٣٩٠».

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي «١/ ٩».

(٤) رواه البخاري، واللفظ له، «٢/ ٩٣٨»، «ح: ٢٥٠٩»؛ ومسلم، «٤/ ١٩٦٣»، «ح: ٢٥٣٣».

(٥) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، «١٦/ ٨٥».

(٦) لوامع الأنوار البهية، «١/ ٢٠».

السلفية لها معنيان: تُطلق السلفية ويراد بها أحد معنيين:[١]

الأوَّل: حِقبة تاريخية معينة، تختص بأهل القرون الثلاثة المتقدِّمة؛ كما يشهد له حديث: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي...**».[٢]

فالسَّلفية بهذا الإطلاق مرحلة تاريخية قد انتهت بموت رجالها.

الثاني: طريقة الصحابة والتابعين، ومَنْ تبعهم بإحسان؛ من التمسُّك بالكتاب والسُّنة وتقديمهما على ما سواهما، والعمل بهما على مُقتضى فهم الصحابة والسلف الصالح؛ ويدلُّ عليه قوله-صلى الله عليه وسلم-: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ؛ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**».[٣]

والسلفية بهذا الإطلاق تكون منهاجًا باقيًا إلى قيام الساعة، يصح الانتساب إليها متى الْتُزِمَت شروطُه وقواعدُه.

قال ابن تيمية-رحمه الله -: "لا عيب على مَنْ أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، واعْتَزَى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ فإنَّ مذهب السلف لا يكون إلاَّ حقًّا".[٤]

وبناءً عليه: فكلُّ متأخِّرٍ عن زمن السلف الصالح، وهو على مذهبهم في الاعتقاد، والتَّلقي والاستدلال، والعمل والتطبيق، والسلوك والأخلاق؛ فهو سلفيٌّ بالإطلاق الثاني، لا الأوَّل؛ فابن تيمية-مثلًا-سلفيٌّ بالإطلاق الثاني، لا الأوَّل، وهكذا.[٥]

٣-أهل الحديث:

من الألقاب التي أُطلقت على أهل السنة لقب أهل الحديث. والحديث لغة: ضدُّ القديم،

---

(١) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، «ص: ٣٥».

(٢) رواه البخاري، واللفظ له، «٢/ ٩٣٨»، «ح: ٢٥٠٩»؛ ومسلم، «٤/ ١٩٦٣»، «ح: ٢٥٣٣»..

(٣) رواه مسلم، «٣/ ١٥٢٤»، «ح: ١٠٣٧».

(٤) مجموع الفتاوى، «٤/ ١٤٩».

(٥) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، «ص: ٣٦».

والحديث: الجديد، [(١)]

و«**الحديث**» في الاصطلاح: ما أُضيف إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-من قول أو فعل، أو تقرير، أو وصف خُلقي أو خَلقي. [(٢)]

و«**أهل الحديث**» في الاصطلاح: هم العاملون بحديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، المتَّبعون لرسول الله-صلى الله عليه وسل-ظاهرًا وباطنًا عِلمًا وعَمَلًا.

ومن الذين تحدَّثوا عن هذا الاصطلاح: اللالكائي-رحمه الله-حيث قال: "فلم نجد في كتابِ الله، وسنةِ رسوله، وآثارِ صحابته إلاَّ الحث على الاتباع، وذم التكلف والاختراع، فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتَّبعين، وكان أولاهم بهذا الاسم، وأحقَّهم بهذا الوَسْم، وأخصَّهم بهذا الرَّسْم أصحابُ الحديث؛ لاختصاصهم برسول الله-صلى الله عليه وسلم-، واتباعِهم لقوله، وطولِ ملازمتهم له، وتحمُّلِهم عِلْمَه". [(٣)]

٤-أهل الأثر:

ويُطلق الأَثَرُ في اللغة على بقِيَّةِ الشَّيْءِ وعلامتِه، وجمعُه آثارٌ. [(٤)]

وفي الاصطلاح: "فإنَّه مرادف للخبر، فيُطلق على المرفوع والموقوف، وفقهاء خراسان يُسمُّون الموقوفَ بالأثر، والمرفوعَ بالخبر". [(٥)]

ولقب "أهل الأثر" مرادف للقب "أهل الحديث" ويقول السفاريني-رحمه الله-في وصف أهل الأثر بأنهم: "الذين إنما يأخذون عقيدتَهم من المأثور عن الله-جل شأنه-في كتابه، أو في سُنَّة النبي-صلى الله عليه وسلم-، أو ما ثبت وصحَّ عن السلف الصالح من الصحابة الكرام،

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، «١/ ٣٥٠»؛ لسان العرب، «٢/ ١٣٣».

(٢) انظر: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، لابن جماعة «ص: ٤٠».

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة، «١/ ٢٢».

(٤) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، «١٠/ ١٧٣».

(٥) توجيه النظر إلى أصول الأثر، لطاهر الجزائري «١/ ٤٠». وانظر: تدريب الراوي، «١/ ١٨٤».

والتابعين لهم الفخام".[(١)]

٥-الفرقة الناجية:

وأصـل اللقب مأخوذ من حديث الافتراق؛ كما في قوله صـلى الله عليه وسـلم: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ هُمْ؟ قال: «**الْجَمَاعَةُ**».[(٢)]

وقد سـئل الإمام أحمد-رحمه الله-عن الفرقة الناجية في حديث الافتراق، فقال: "إنْ لم يكونوا أصحابَ الحديث؛ فلا أدري مَنْ هم؟!".[(٣)]

٦-الطائفة المنصورة:

وأصل اللقب مأخوذ من قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**».[(٤)]

رابعًا: الجمع بين ألقاب أهل السنة والجماعة:

ويُمكن الجمع بين هذه الألقاب المتنوعة تنوع اختلاف لا تضاد؛ بأنَّ أهل السنة تميَّزوا عن غيرهم من الفِرق الضـالة بهذه الألقاب، رائدهم في ذلك اتِّباعُ الحق، والابتعادُ والتَّمايز عن أهل الباطل والمبتدعة، وكل مَنْ أمعن النظر جيدًا في هذه الألقاب يلحظ أنها ألقاب دالة على الإسـلام الصـحيح الخالص من الشـوائب والبدع والمحدثات والأباطيل، فبعض هذه الألقاب ثابت بنصِّ كلام رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وبعضها لُقِّبوا به بسبب اتِّباعهم

---

(١) لوامع الأنوار البهية، «١/ ٦٤».

(٢) رواه ابن ماجه، «٢/ ١٣٢٢»، «ح: ٣٩٩٢». وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»، «٣/ ٣٠٧»، «ح: ٣٢٤١».

(٣) شرف أصحاب الحديث، «ص: ٢٥».

(٤) رواه أحمد في «المسند»، «٥/ ٣٤»، «ح: ٢٠٣٧٧»؛ وابن ماجه، «١/ ٤»، «ح: ٦»؛ والترمذي، «٤/ ٤٨٥»، «ح: ٢١٩٢» وقال: «حسن صحيح»؛ وابن حبان في «صحيحه»، «١/ ٢٦١»، «ح: ٦١». وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، «٢/ ٤٧١»، «ح: ٢١٩٢». قال الترمذي-رحمه الله-: "قال محمد بن إسماعيل: قال عَلِيُّ بن الْمَدِينِيِّ: هُمْ أَصْحَابُ الحديث". سنن الترمذي، «٤/ ٤٨٥».

وتحقيقهم للإسلام الصحيح ظاهرًا وباطنًا، والقاسِم المشتَرَكُ بين هذه الألقاب المباركة لأهل السنة والجماعة أنهم تميَّزوا بها عن ألقاب أهل الباطل، والبدع، والأهواء، والضلال.

وجميع هذه الألقاب كلُّها تُطلق على السلف الصالح، وهؤلاء السلف الصالح: هم أهل السنة؛ لاتّباعهم سُنَّة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهم الجماعة؛ لاجتماعهم على الحق، وهم أهل الحديث والأثر؛ لاتّباعهم حديثَ رسول الله، وتطبيقه ظاهرًا وباطنًا، وهم الفِرقة الناجية والطائفة المنصورة، الذين استثناهم رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- من فرق أهل النار الهالكة،

وهذا الوصف الوارد في النصوص لا ينطبق إلاَّ عليهم، وعلى مَن اتَّبع منهجَهم، واقتفى أثرَهم، نسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يجعلنا داخلين في زُمرتهم". [(١)]

خامسًا: ضوابط مهمة.

ومن الأهمية بمكان أن تكون هناك ضوابط تضبط هذه الألقاب المختلفة لأهل السنة والجماعة؛ لتتباين عن منهج أهل الأهواء والبدع والضلالات ومُسمَّياتهم وألقابهم المحدَثة، وتلخيص ذلك فيما يلي: [(٢)]

١» ألقاب أهل السنة والجماعة لم تنفصل -ولا لحظة واحدة -عن الأمة الإسلامية منذ تكوينها على منهاج النبوة، فهي تشمل المسلمين كلَّهم على طريقة الرعيل الأول، ومَنْ يُقتدى بهم في تلقِّي العلم وطريقة فهمه، وطبيعة الدعوة إليه.

٢» هذه الألقاب تشمل جميعَ الإسلام -كتابًا وسُنَّة- فهي لا تختصُّ برسمٍ يُخالف الكتاب والسُّنة زيادةً أو نقصًا.

٣» هذه الألقاب منها ما هو ثابت بالسنة الصحيحة؛ كما تقدَّم، ومنها ما بَرَزَ وظَهَرَ في مواجهة مناهج أهل الأهواء والبدع، والفرق الضالة؛ لردِّ بدعتهم والتَّمايزِ عنهم.

---

(١) انظر: أهل السنة والجماعة، «ص: ٩٧».

(٢) انظر: حكم الانتماء، د. بكر أبو زيد «ص٣١-٣٧».

٤» عقد الولاء والبراء، والموالاة والمعاداة، لدى أهل السنة والجماعة إنما هو على الكتاب والسنة قُربًا وبُعدًا، لا على شيء آخر، ولا على رسم باسمٍ معين، ولا على رسم محدد، إنما هو الإسلام بحسب؛ المتمثل في الكتاب والسنة.

٥» هذه الألقاب لم تكن داعية لهم للتعصُّب لشخصٍ دون رسول الله-صلى الله عليه وسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله، يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخص انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-؛ ولا لطائفة انتصارا مطلقا عامًا، إلا للصحابة-رضي الله عنهم أجمعين-. فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا؛ فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم من العلماء، فإنهم قد يجمعون على خطأ، بل كل قول قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون إلا خطأ؛ فإن الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مسلمًا إلى عالم واحد وأصحابه، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيرًا لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-وهو شبيه بقول الرافضة في الإمام المعصوم....".[١]

٦» هذه الألقاب لا تُفضي إلى بدعة ولا معصية، ولا عصبية لشخص معيَّن، ولا لطائفة معيَّنة، فإذا قيل: «**أهل السنة والجماعة**» انتظم هذا اللقب هذه الخواص، وهذا لا يكون لأحد من الفِرق بأسمائهم ورسومهم التي انشقُّوا بها عن جماعة المسلمين، وهكذا بقيَّة ألقاب أهل السنة.

٧» كما أنَّ هذا اللقب «**أهل السنة والجماعة**» يرتبط بالمنهج لا بالأشخاص".[٢]

---

(١) منهاج السنة «٥/ ٢٥٤-٢٥٥».

(٢) انظر بتصرف: بحث الدكتور/ محمد الدوسري ألقاب أهل السنة والجماعة مقال نشر في موقع الألوكة.



٤-الإيمان بالله

[٤] قال المصنف رحمه الله: «**وهو الإيمانُ بالله**»

الشرح

فأول ما بدأ به المصنف هنا أنه ذكر أركان الإيمان فقال: «**الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر؛ خيره وشره**»، فهذه أركان الإيمان التي جاء بها حديث جبريل[(١)].

ولفظ الإيمان تارة يُطلق ويراد به: مجموع الدين، وتارة يطلق ويراد به: الأمور الباطنة.

ولفظ الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا؛ فحديث: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**»[(٢)]- شمل جميع أمور الدين؛ فالإيمان يشمل جميع أمور الدين أحيانًا، وتارة يراد بالإيمان الجانب الباطن من الإنسان، كما في حديث جبريل عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال: «**الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، وبالقدر؛ خيره وشره**». فهنا يراد به الأمور الباطنة.

وهكذا الإسلام تارة يُطلق ويراد به جميع الدين، كما قوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾، وتارة يطلق ويراد به: الأمور الظاهرة، كما في حديث جبريل المتقدم، وفيه: «**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وتُقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**».

فمن هذا نعلم أن هذه الألفاظ أحيانًا تعم جميع الدين، وأحيانًا تختص ببعض أموره، ومراد المصنف هنا: ما يتعلق بالأمور الباطنة.

تعريف الإيمان

---

(١) حديث جبريل الطويل، وفيه بيّن النبي ﷺ أركان الإسلام وأركان الإيمان وعرَّف الإحسان، وذكر بعض علامات الساعة، أخرجه البخاري مختصرًا «٤٨» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم بطوله «٩» من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري «٩» ومسلم «٣٥» واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هذه المسألة يوردها العلماء ضمن مسائل الأسماء، ويحسن تناول هذه المسألة من خلال الجوانب الآتية:

الجانب الأول: المعنى اللغوي للإيمان.

أ-المعنى اللغوي لكلمة "آمن":

الإيمان مصدر آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن

أ-فيرى جمع من أهل اللغة أن الإيمان في اللغة معناه: التصـــديق وقد حكوا الإجماع على ذلك قال الأزهري-رحمه الله-«**ت: ٣٧٠ هـ**»: "واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق"(١).

واستدلوا لذلك بقوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف لأبيهم ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: الآية: ١٧]، فقالوا: معناه ما أنت بمصدق لنا.(٢)

٢-أما علماء السلف(٣) فيقولون إن الإيمان يأتي في اللغة لمعنيين هما:

أ-بمعنى صدق به وذلك إذا عدي بالباء كما في قوله تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ...﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٥]، أي صدق الرسول.(٤)

ب-وبمعنى أقر له وذلك إذا عدي باللام كما في قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: الآية: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوط﴾ [العنكبوت: الآية: ٦].

وقد اعترض السلف على حصر بعض أهل اللغة لمعنى الإيمان بالتصديق فقط وقالوا: "إن الإيمان وإن كان يتضـــمن التصـــديق فليس هو مجرد التصـــديق، وإنما هو الإقرار(٥) والطمأنينة

(١) تهذيب اللغة «٥/ ٥١٣».

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة آمن «١٣/ ٢٣».

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية «ص: ١٤٣».

(٤) تفسير القرطبي «٣/ ٤٢٥».

(٥) الإقرار: متضـــمن لمعنيين هما: قول القلب الذي هو التصـــديق. وعمل القلب الذي هو الانقياد. مجموع الفتاوى «٧/ ٦٣٨-٦٣٩».

أيضا"[١] واستدل السلف لقولهم بالأمور التالية:

: إن الترادف التام ممتنع بين التصديق والإيمان من عدة وجوه،

١-إن كلمة آمن تتعدى بالباء وباللام وقد تقدم التمثيل لذلك.

-أما كلمة "صدق" فلا تتعدى باللام فلا يقال "صدق له" إنما يقال "صدق به" فهي تتعدى بالباء وبنفسها فيقال صدقه.

٢-إن كلمة آمن تتضمن ثلاثة معان هي: الأمن، والتصديق، والأمانة.

-أما كلمة صدق فلا تتضمن معنى الأمن والأمانة.

٣-إن لفظ الإيمان لا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب لأن فيه أصل معنى الأمن والائتمان وهذا إنما يكون في الخبر عن الغائب، فلا يقال لمن قال طلعت الشمس آمنا له وإنما يقال صدقناه ولهذا لم يأت في القرآن وغيره لفظ آمن له إلا في الخبر عن الغائب.

-أما لفظ التصديق فيستعمل في كل مخبر عن مشاهد أو غيب، فمن قال السماء فوقنا، قيل له: صدقت.

٤-إن لفظ الإيمان ضده الكفر، والكفر لا يختص بالتكذيب فقط، بل هو أعم منه، إذ يمكن أن يكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب ومع ذلك يسمى كفرا كما لو قال شخص: أنا أعلم أنك صادق، ولكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك، فهذا كفر أعظم.

---

(١) الصارم المسلول لابن تيمية «ص: ٥١٩». ومن الأقوال الواردة في تفسير الإيمان بمعنى الطمأنينة ما يلي: يقول الفيروزآبادي-رحمه الله-«ت: ٨١٧ هـ»: "آمَنَ بِهِ: صَدَّقَهُ، وبه: وثِقَ بِهِ وأَمِنَ عليهِ"القاموس المحيط، «١/ ٧٨». وقال الراغب الأصفهاني-رحمه الله-«ت: ٥٠٢ هـ»: "الإيمان: هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان... وأصل الكلمة من الأمن الذي هو الطمأنينة"المفردات في غريب القرآن، «ص: ٢٤». وقال الفيومي-رحمه الله-«ت: ٧٧٠ هـ»: "آمن به: صدقه، وبه: وثق به واطمأن إليه"المصباح المنير، «١/ ٢٩». وقال الجوهري-رحمه الله-«ت: ٣٩٣ هـ»: "آمن به: صدقه، وأمن به: وثق به واطمأن إليه"الصحاح في اللغة، «١/ ٧٨». وقال الأزهري-رحمه الله-«ت: ٣٧٠ هـ»: "آمن يؤمن إيمانًا: صدق، والطمأنينة التي تصحب التصديق"تهذيب اللغة، «١/ ١٣٤». وقال الزمخشري «ت: ٥٣٨ هـ»: "الإيمان في اللغة هو التصديق والاطمئنان"الكشاف، «١/ ٢٥». وقال الزبيدي-رحمه الله-«ت: ١٢٠٥ هـ»: "الإيمان: التصديق... وهو مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة." تاج العروس، «١/ ٢٥». قال نشوان الحميري-رحمه الله-«ت: ٥٧٣ هـ»: "آمن به: صدقه، وأمن به: وثق به واطمأن إليه"شمس العلوم، «١/ ٧٨». وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي-رحمه الله-«ت: ١٧٤ هـ»: "الإيمان: التصديق بالقلب، والاطمئنان"العين، «١/ ٢٥».

-أما لفظ التصديق ضده التكذيب فقط.

وبهذا يتبين عدم الترادف التام بين اللفظين، وأن الإيمان ليس التصـــديق فقط[(١)] كما أن الكفر ليس التكذيب فقط.

ثانيًا: من المعلوم أن كلام الله وشرعه إنما هو خبر وأمر.

فالخبر: يستوجب تصديق الخبر.

والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام، وهو عمل في القلب، جماعه: الخضوع والانقياد للأمر، وإن لم يفعل المأمور به.

فإذا قوبل الخبر بالتصـــديق، والأمر بالانقياد، فقد حصـــل أصـــل الإيمان في القلب وهو "الطمأنينة والإقرار" فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد. فلو فُسِّر الإيمان بالتصديق فقط، كما قال أهل اللغة، فإن التصديق إنما يعرض للجزء الأول من الشرع فقط الذي هو الخبر، ولا يعرض للجزء الثاني وهو الأمر، لأن الأمر ليس فيه تصديق من حيث هو أمر.

ومن المعلوم أن إبليس لم يكفر بسبب عدم تصديقه، فإنه سمع أمر الله فلم يكذب رسولا، ولكن لم ينقد للأمر ولم يخضع له، واستكبر عن الطاعة فصار كافرا، قال تعالى: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٣٤]، فسماه الله كافرا وسلب عنه وصف الإيمان لاستكباره وعدم انقياده لأمر الله له بالسجود لآدم.

لازم القول بأن الإيمان مجرد التصديق فقط.

وهذا موضع زاغ فيه خلق من الخلف تخيل لهم أن الإيمان ليس في الأصل إلا التصديق، ثم يرون مثل إبليس وفرعون مما لم يصدر عنه تكذيب أو صدر عنه تكذيب باللسان لا بالقلب وكفره من أغلظ الكفر فيتحيرون.

ومثل هؤلاء القوم لو أنهم هُدوا لما هُدي إليه السلف الصالح لعلموا أن الإيمان قول وعمل

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣٨٠-٣٨١».

أعني في الأصل قولا في القلب، وعملا في القلب، فإن الإيمان بحسب كلام الله ورسالته- وكلام الله ورسالته يتضمن أخباره وأوامره-فيصدق القلب أخباره تصديقا يوجب حالا في القلب بحسب المصدق به، والتصديق هو من نوع العلم والقول، وينقاد لأمره ويستسلم، وهذا الانقياد والاستسلام هو من نوع الإرادة والعمل، ولا يكون مؤمنا إلا بمجموع الأمرين فمتى ترك الانقياد كان مستكبرا فصار من الكافرين وإن كان مصدقا، لأن الكفر أعم من التكذيب، فالكفر يكون تكذيبا وجهلا، ويكون استكبارا وظلما، ولهذا لم يوصف إبليس إلا بالكفر والاستكبار دون التكذيب، ولهذا كان كفر من يعلم مثل اليهود ونحوهم من جنس كفر إبليس، وكان كفر من يجهل مثل النصارى ونحوهم ضلالا وهو "الجهل" ألا ترى أن نفرا من اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ وسألوه عن أشياء، فأخبرهم، فقالوا: نشهد أنك نبي، ولم يتبعوه، وكذلك هرقل وغيره، فلم ينفعهم هذا العلم وهذا التصديق.

ألا ترى أن من صدق الرسول بأن ما جاء به هو رسالة الله، وقد تضمنت خبرا وأمرا، فإنه يحتاج إلى مقام ثان، وهو تصديق خبر الله وانقياده لأمر الله، فإذا قال: "أشهد أن لا إله إلا الله" فهذه الشهادة تتضمن تصديق خبره والانقياد لأمره. "وأشهد أن محمدا رسول الله" تضمنت تصديق الرسول فيما جاء به من عند الله.

فبمجموع هاتين الشهادتين يتم الإقرار.

فلما كان التصديق لا بد منه في كلا الشهادتين-وهو الذي يتلقى الرسالة بالقبول-ظن من ظن أنه أصل لجميع الإيمان وغفل عن أن الأصل الآخر لا بد منه وهو الانقياد، وإلا فقد يصدق الرسول، ظاهرا وباطنا ثم يمتنع من الانقياد للأمر، إذ غايته في تصديق الرسول أن يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله سبحانه كإبليس"[(١)]

ثالثًا: ما استدل به أهل اللغة على أن معنى الإيمان في قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: الآية: ١٧]، هو التصديق غير مسلم.

---

(١) الصارم المسلول «ص: ٥١٩-٥٢٠» بتصرف.

إذ يرى علماء السلف أن تفسيرها بـــ "أقررت" أقرب من تفسيرها بـــ " صدقت " وذلك لأن لفظ "آمن" متى عُدّي باللام يكون بمعنى "أقر" وليس بمعنى "صـــدق"، إذ لا يكون بمعنى صدق إلا إذا عُدّي بالباء أو بنفسه.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وأصـــل الإيمان في اللغة: التصـــديق، والطمأنينة، كما يقول العرب: أمن الرجل أمانة وأمناً: إذا صار ذا أمن"[١]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فإن الإيمان في لغة العرب مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة، كما قال أهل العلم باللغة"[٢]

وقال أيضًا: "وأصل الإيمان في اللغة: التصديق والطمأنينة"[٣]

الجانب الثاني: المعنى الشرعي للإيمان:

تتحدد دلالة اسم "الإيمان" في الشرع بحسب سياق الكلام الذي تستعمل فيه هذه اللفظة فلفظ "الإيمان" إما أن يستعمل:

أ–مطلقا: أي يذكر مطلقا عن لفظ "العمل" و"الإسلام".

٢–أو مقيدا: فتارة يقرن بالعمل الصالح، وتارة يقرن بالإسلام.

الحال الأول: فإذا اســتعمل مطلقا: "فجميع ما يحبه الله ورســوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة، يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة–من الصحابة والتابعين وتابعيهم–الذين يجعلون الإيمان قولا وعملا، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصـــية، ويدخلون جميع الطاعات–فرضها ونفلها–في مسماه"[٤]

ويلاحظ هنا أن لفظ "الإيمان" على هذا الاستعمال يكون مرادفا للفظ "العبادة" والعبادة

---

(١) كتاب الإيمان، «ص: ٢٢» بتصرف.

(٢) مجموع الفتاوى، «٧/ ٦٣٣». بتصرف.

(٣) مجموع الفتاوى، «٧/ ٦٤٢». بتصرف.

(٤) مجموع الفتاوى «٧/ ٦٤٢».

كما هو معروف هي: اســـم جامع لكل ما يحبه الله ويرضـــاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

ومن اســـتعمال الشـــارع للفظ الإيمان بهذا المعنى ما جاء في الصـــحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شـعبة، فأفضـلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شـعبة من الإيمان**».[١]

فالإيمان في هذا الحديث شمل جميع أمور الدين بما في ذلك أمور الإســـلام. ومن هذا الاسـتعمال أيضًـا ما جاء في حديث عبد الله بن عباس-رضـي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**»: أن وفـد عبـد القيس لما أتوا النبي-ﷺ-أمرهم بأربع ونهـاهم عن أربع: «**أمرهم بالإيمـان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟، قالوا: الله ورسـوله أعلم. قال: شـهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رســول الله، وإقام الصــلاة، وإيتاء الزكاة، وصــيام رمضــان، وأن تعطوا من المغنم خمس...**». الحديث[٢]

فلفظ الإيمان اســـتعمل في الحديث مطلقا فدخل فيه الأمور الظاهرة مع أنها من أمور الإسلام كما جاء في حديث جبريل المشهور.

قال الطحاوي-رحمه الله-«**ت: ٣٢١ هـ**»: "الإيمان والإســـلام هما دين الله تعالى، وكل منهما إذا ذكر منفردًا دخل فيه الآخر"[٣]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فإن الإســـلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، وكذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإســـلام؛ فإذا اجتمعا كان الإســـلام الأعمال الظاهرة

---

(١) أخرجه البخاري في صـحيحه، كتاب الإيمان، باب أمور الدين. انظر: فتح الباري «١/ ٥١» «ح: ٩»، وأخرجه مسـلم-واللفظ له-كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان «١/ ٤٦».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له: كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان. انظر: فتح الباري «١/ ١٢٩» «ح: ٥٣»، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه «١/ ٣٥-٣٦».

(٣) العقيدة الطحاوية «ص: ٥٥».

والإيمان الأعمال الباطنة"[١]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "الإســـلام إذا أطلق شمل الدين كله، وإذا اجتمع مع الإيمان افترقا، فيكون الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة"[٢]

قال النووي-رحمه الله-«ت: ٦٧٦ هـ»: "الإســـلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، وكذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام. فإذا اجتمعا كان لكل واحد منهما معنى يخصه"[٣]

قال ابن حجر العســقلاني-رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ»: "إذا ذكر الإســلام وحده دخل فيه الإيمان، وإذا ذكر الإيمان وحده دخل فيه الإسـلام. وإذا اجتمعا افترقا، فيكون الإيمان هو التصديق القلبي والإسلام هو الأعمال الظاهرة"[٤]

قال الشـاطبي-رحمه الله-«ت: ٥٩٠ هـ»: "إذا أطلق لفظ الإسلام شمل الدين كله، وإذا قرن بالإيمان تميز عنه، فكان الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة"[٥]

قال القرطبي-رحمه الله-«ت: ٦٧١ هـ»: "الإســلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، وكذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام؛ فإذا اجتمعا كان لكل واحد منهما معنى يخصه"[٦]

قال البيضــاوي-رحمه الله-«ت: ٦٨٥ أو ٦٩١ هـ»: "إذا أطلق لفظ الإســلام وحده شمل الدين كله من اعتقادات وأعمال، وإذا قرن بالإيمان تميز عنه"[٧]

قال السعدي-رحمه الله-«ت: ١٣٧٦ هـ»: "إذا ذكر الإسـلام وحده شمل كل ما يتعلق

---

(١) مجموع الفتاوى، «٧/ ٦٢١».

(٢) مدارج السالكين، «١/ ٣٣٧».

(٣) شرح صحيح مسلم، «١/ ١٤٦».

(٤) فتح الباري، «١/ ٩٠».

(٥) الموافقات، «١/ ١٠٦».

(٦) الجامع لأحكام القرآن، «١/ ١١٨».

(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، «١/ ١١٠».

بالدين من تصديق بالقلب وأعمال الجوارح، وإذا قرن بالإيمان تميز عنه"(١)

الحال الثاني: وأما إذا استعمل اسم الإيمان مقيدا: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: الآية: ٧٧]، وقوله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: الآية: ٦٣].

وقول النبي -ﷺ- في حديث جبريل المشهور: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**».(٢)

فهنا قد يقال: إنه متناول لذلك وإن عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام كقوله تعالى: ﴿وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٨]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: الآية: ٧].

وقد يقال إن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران كلفظ الفقير والمسكين، فإن أحدهما إذا أفرد تناول الآخر، وإذا جمع بينهما كانا صنفين: كما في آية الصدقة، ولا ريب أن فروع الإيمان مع أصوله كالمعطوفين، وهي مع جميعه كالبعض مع الكل"(٣)

قلت: إن القول بأن عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام ينطبق على الآية وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: الآية: ٧٧]، وقوله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: الآية: ٦٣]..

والقول بأن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران ينطبق على حديث جبريل حيث ذكر الإسلام والإيمان فأصبح كل واحد منهما يختص بأمور معينة فالإسلام اختص بالأمور

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، «١/ ٩٥».

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله «١/ ٢٩». والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل بلفظ: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث"انظر: فتح الباري «١/ ١١٤»، «ح: ٥٠».

(٣) الفتاوى «٧/ ٦٤٧ - ٦٤٨».

الظاهرية، والإيمان اختص بالأمور الاعتقادية الباطنية.

"فلفظ الإسلام والإيمان إذا أفرد كل واحد من الاسمين دخل في مسمى الآخر إما تضمنا وإما لزوما، ودخوله فيه تضمنا أظهر، وكون أحدهما لا يدخل في الآخر عند الاقتران لا يدل على أنه لا يدخل فيه عند انفراد الآخر، وهذه قاعدة جليلة من أحاط بها زالت عنه إشكالات كثيرة أشكلت على كثير من الناس"(١)

خلاصة القول:

إن اسم الإيمان إذا أفرد: تناول جميع أمور الدين الظاهرة والباطنة كما في حديث الشعب.

وإذا اقترن اسم الإيمان مع الإسلام دل الإيمان على الأمور الباطنة ودل الإسلام على أمور الدين الظاهرة كما في حديث جبريل.

وإذا اقترن العمل مع الإيمان: فهو من باب عطف الخاص على العام(٢) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: الآية: ٧٧].

قال ابن تيمية -رحمه الله- «**ت: ٧٢٨ هـ**»: "الإيمان والإســـلام إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. فالإيمان إذا أطلق دخل فيه الإســـلام، وكذلك الإســـلام إذا أطلق دخل فيه

(١) مجموع الفتاوى «٧/ ٦٤٧ -٦٤٨».

(٢) قال شـارح الطحاوية: "اعلم أن عطف الشـيء على الشـيء يقتضـي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشـتراك في الحكم الذي ذكر لهما، والمغايرة على مراتب: ١-أعلاها: أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر، ولا جزءا منه، ولا بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّـــمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: الآية: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: الآية: ٣]، وهذا هو الغالب. ٢-ويليه: أن يكون منهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿وَلا تَلْبِسُـوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـولَ﴾ [المائدة: الآية: ٩٢]. ٣-الثالث: عطف بعض الشـيء عليه كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: الآية: ٢٣٨]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ﴾ [الأحزاب: الآية: ٧]، وفي مثل هذا وجهان: أحدهما: أن يكون داخلا في الأول، فيكون مذكورا مرتين. والثاني: أن عطفه عليه يقتضـي أنه ليس داخلا فيه هنا وإن كان داخلا فيه منفردا كما قيل في لفظ "الفقراء والمسـاكين" ونحوهما، تتنوع دلالته بالإفراد والاقتران. ٤-الرابع: عطف الشـيء على الشـيء لاختلاف الصفتين، كقوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: الآية: ٣]"شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣٨٧-٣٨٨».

الإيمان"[١]

٢. قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "الإســـلام هو الاســـتســـلام والانقياد، والإيمان تصـــديق وإقرار، فإذا اجتمعا كان الإســـلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة"[٢]

٣. قال النووي-رحمه الله-«ت: ٦٧٦ هـ»: "الإسلام هو الاستسلام والانقياد الظاهري، والإيمان هو التصـديق القلبي، فإذا اجتمعا كان لكل واحد منهما معنى يخصـه، وإذا افترقا دل أحدهما على الآخر"[٣]

٤. قال ابن حجر العسـقلاني-رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ»: "الإسـلام والإيمان يجتمعان ويفترقـان، فـإذا اجتمعـا في الـذكر افترقـا في المعنى، وإذا انفرد أحـدهمـا في الـذكر دخـل فيـه الآخر"[٤]

٥. قال الشـاطبي-رحمه الله-«ت: ٥٩٠ هـ»: "الإسـلام في الظاهر هو الاسـتسـلام للأحكام، والإيمان في الباطن هو التصديق والإقرار"[٥]

٦. قال الفيروزآبادي-رحمه الله-«ت: ٨١٧ هـ»: "الإسلام هو الانقياد الظاهر للأحكام الشرعية، والإيمان هو التصديق الباطني"[٦]

أركان الإيمان:

ذكر المصنف أركان الإيمان السِّتة، وسنتحدث عنها بشيء من التفصيل.

---

(١) مجموع الفتاوى، «٧/ ٦٢١».
(٢) مدارج السالكين، «١/ ٣٣٧».
(٣) شرح صحيح مسلم، «١/ ١٤٦».
(٤) فتح الباري، «١/ ٩٠».
(٥) الموافقات، «١/ ١٠٦».
(٦) بصائر ذوي التمييز، «١/ ٣٤».

قال العلامة السّعْدي رحمه الله في رسالته النافعة «التنبيهات اللطيفة»: «**وأصلها الذي عليه تُبنى: أي: أصل هذه العقيدة هو الإيمان بهذه الأصول السِّتَّة التي صرَّح بها الكتاب والسنة في مواضع كثيرة جملة وتفصيلًا وتفريعًا، وهي المذكورة في حديث جبريل المشهور حيث قال جبريل للنبي ﷺ: ما الإيمان؟ فأجابه.**

فهذه الرسالة من أولها إلى آخرها تفصيل لهذه الأصول الستة»[١].

ومن المواضع التي ذكر اللهُ فيها هذه الأركانَ السِّتَّةَ العظيمة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة : ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء : ١٣٦].

فهذه خمسة أركان، والسَّادس بيَّنه اللهُ في قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر : ٤٩].

وذكرها النبي ﷺ في سُنَّتِه في حديث جبريل المشهور، عندما سأله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الإيمان، فقال رسول الله ﷺ: «**الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيرِه وشرِّه**».

الركن الأول: الإيمان بالله:

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله هو الرَّبُّ الخالق المدبِّر المتصف بصفات الكمال والجلال، المنزَّه عن كل نقص وعيب، المستحق للألوهية وحده لا شريك له، وهو أصل الأصول وأعظمها وأهمها، وعليه تُبنى العقيدة كلها.

ثمرات الإيمان بالله عز وجل:

ذكر العلامة ابن عثيمين رحمه الله: أن «**الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته يثمر للعبد محبةَ**

---

(١) «التنبيهات اللطيفة» «ص١٣».

الله وتعظيمَه الموجبةَ للقيامِ بأمرِه واجتنابِ نَهْيِهِ، ويحصل بهما كمال السَّعادة في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع؛ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل : ٩٧]»[١].

(١) «مجموع رسائل وفتاوى العثيمين"«٣/٢٥٩».



٥-الإيمان بالملائكة

المسألة الأولى: التعريف اللغوي.

المسألة الثانية: التعريف بالملائكة.

المسألة الثالثة: حكم الإيمان بالملائكة.

المسألة الرابعة: ثمرات الإيمان بالملائكة.

المسألة الخامسة: صفات الملائكة وقدراتهم.

المسألة السادسة: مكانة الملائكة.

المسألة السابعة: نماذج من عبادة الملائكة.

المسألة الثامنة: علاقة الملائكة بالإنسان.

المسألة التاسعة: التفاضل بين الملائكة والبشر.



[٥] -قال المصنف رحمه الله: «**وملائكته**»

الشرح

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة:

المسألة الأولى: التعريف اللغوي:

الملائكة: جمع، مفرده: ملك، واختلف أهل العربية: هل هي كلمة مشتقة، أو غير مشتقة ؟؛ على قولين: [١]

القول الأول: أنها غير مشتقة، قال النضر بن شميل-رحمه الله-«**ت: ٢٠٣ هـ**»: "لا اشتقاق للمَلَكَ عند العرب". [٢]

وهذا-والله أعلم-فيه نظر: فإنه إن أراد أن الكلمة جامدة فكثرة تصاريف الكلمة إفرادًا، وتثنيةً، وجمعًا، وفعل ماض، وأمر... نثرًا، وشعرًا؛ كلها مما يدل على الاشتقاق.

وإن أراد أنها منقولة للعربية فليس مجرد التقارب في اللفظ دليلا على النقل، يقول ابن عاشور-رحمه الله-«**ت: ١٣٩٣ هـ**»: "نقل القرطبي-رحمه الله-«**ت: ٦٥٦ هـ**» عن النضر بن شميل أنه قال: لا اشتقاق للملك عند العرب، يريد: أنهم عربوه من اللغة العبرانية، ويؤيده: أن التوراة سمت الملك: ملاكا-بالتخفيف-، وليس وجود كلمة متقاربة اللفظ والمعنى في لغتين يدل على أنها منقولة من إحداهما إلى الأخرى إلا بأدلة أخرى". [٣]

القول الثاني: أنها مشتقة، ويمكن تقسيم هؤلاء إلى قسمين:

---

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب «١/ ٤٩٥»، واللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري «٢/ ٢٥٨» ، والزاهر في معاني كلمات الناس «٢/ ٢٥٦ - ٢٥٤»، والمغرب في ترتيب المعرب «ص: ٥٤٢» ، والتبيان في إعراب القرآن «ص: ٢٢». وجاء في تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم «١/ ٤٢»: "ربما تتداخل أصول ثلاثة، فتتوارد على كلمة واحدة، فكلمة الملائكة يتوارد عليها ثلاثة أصول: "ل أك" وَ "أل ك" وَ "م ل ك""..

(٢) ذكره عنه القرطبي في المفهم «١/ ١٤٧».

(٣) التحرير والتنوير «١/ ٣٩٨» ، وتتميما للفائدة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى «٤/ ١١٠»: "الألفاظ العبرية تقارب العربية بعض المقاربة ، كما تتقارب الأسماء في الاشتقاق الأكبر ، وقد سمعت ألفاظ التوراة بالعبرية من مسلمة أهل الكتاب ، فوجدت اللغتين متقاربتين غاية التقارب ، حتى صرت أفهم كثيرا من كلامهم العبري بمجرد المعرفة بالعربية ".

القسم الأول: من قال: إن الميم في "ملك" أصلية ، وهؤلاء لهم ثلاثة أقوال:

الأول: أن ملك–على وزن: فعل–من: الملك بفتح الميم؛ من: القوة.

وهذا–والله أعلم–فيه نظر؛ يقول الشنقيطي–رحمه الله–«**ت: ١٣٩٣ هـ**»: "من يقول: إن أصله من: الملك؛ قول ضعيف". [(١)]

وهذا لمجيء الهمزة في المفرد كثيرًا، نثرًا، وشعرًا، ولمجيء الجمع ملائك على وزن مفاعل، لا أفعال، يقول أبو البقاء العكبري–رحمه الله–«**ت: ٦١٦ هـ**»: "قال قوم: الميم أصل، مأخوذ من: الملكة، وهي: القوة، وهذا بعيد؛ لأن الجمع يبطله إذ لو إذ كان جمع فعل لا يكون مفاعل، فإن قيل: فقد جاء فيه أملاك ؟، قيل: هو شاذ، على أنه يحتمل أن يكون جمع على اللفظ، لا على الأصل". [(٢)]

ويقول العيني–رحمه الله–«**ت: ٨٥٥ هـ**»: "قيل: هو مأخوذ من الملك–بفتح الميم، وسكون اللام–، وهو: الأخذ بقوة، وقيل: من الملك، بالكسر؛ لأن الله–تعالى–قد جعل لكل مَلَك مِلْكا، فمِلْك مَلَك الموت قبض الأرواح، ومِلْك إسرافيل الصور، وكذا سائرهم، ويفسد هذا قولهم: ملائكة بالهمزة، ولا أصل له على هذا القول في الهمزة". [(٣)]

الثاني: أنه من: الملك، بمعنى: الولاية، وهو جمع: مليك، لا ملك، فهو على وزن: فعائلة، والتاء للنقل من الاسمية إلى الوصفية.

يقول محمد أنور شاه الكشميري–رحمه الله–«**ت: ١٣٥٢هـ**»: "اختلفوا في اشتقاقه، فقيل: من الألوكة، وقيل: من لأك، والمختار عندي: أنه من: الملك، بمعنى: الولاية، وهو جمع: مليك، لا ملك، فهو على وزن:

---

(١) العذب النمير «١/ ٢٩٤».

(٢) اللباب في علل البناء والإعراب «٢/ ٢٥٨».

(٣) عمدة القاري «١٥/ ١٨٣».

فعائلة عندي، وعندهم على وزن: معافلة، والتاء للنقل من الاسمية إلى الوصفية". [١]

وفي هذا–والله أعلم–نظر، فلم يسمع: مليكي في واحد الملائكة، ولا فعائلة في جمع: فعيلي، وإنما يقال: فعيلة، وتصاريف الكلمة تدل على أن الهمزة أصل. [٢]

الثالث: أن أصل ملك: ملأك، والهمزة فيه زائدة مثل: شمأل، ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام، وحذفت الهمزة تخفيفا، والجمع جاء على أصل الزيادة.

يقول أبو عبيد–رحمه الله–«**ت: ٢٢٤ هـ**»: "الهمزة في ملائكة مجتلبة ؛ لأن واحدها: ملك". [٣]

ويقول ابن كيسان–رحمه الله–«**ت: ٢٩٩ هـ**»: "هو من: ملك ، يملك، والهمزة فيه زائدة ، كما زيدت في شمأل ، من:

شمل، فوزنه: فعأل، ووزن جمعه: فعائلة". [٤]

وفي هذا–والله أعلم–نظر؛ لأن "حمل ملأك على فعأل بعيد؛ لأن فعأل قليل لا يرتكب مثله إلا بظهور اشتقاق: كما في شمأل". [٥]

وأيضا تصاريف الكلمة تدل على أن الهمزة أصلية، لا زائدة، يقول ابن دريد: "الملائكة: أصله الهمز، لأنهم قالوا في واحده: ملأك". [٦]

القسم الثاني: أن الميم في "ملك" زائدة ، وهؤلاء لهم ثلاثة أقوال:

---

(١) فيض الباري «٤/ ٣١١ ».

(٢) انظر: تفسير الرازي «٢٨/ ٢٨٧» ، فقد نصر القول بأنها جمع: مليكي ، وذكر هذه الاعتراضات ، ورد عليها.

(٣) تفسير ابن عطية «ص: ٧٠».

(٤) تفسير ابن عطية «ص: ٧٠».

(٥) تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم «١/ ٥٠٦».

(٦) الاشتقاق «ص: ٢٦» ، وانظر: إصلاح المنطق لابن السكيت «ص: ٥٩».

الأول: أنها من: لاك ، يلوك [١]، من قولهم: لاك الفرس لجامه، يلوكه، إذا أداره في فيه، ثم سميت به الرسالة، لأن المرسل يرددها في فيه، ويناجي بها نفسه، لئلا ينساها. [٢]

فأصل ملك على هذا: ملْوَك، فنقلت حركة الواو إلى اللام الساكنة قبلها، فتحرك الواو- وهو حرف علة-، وانفتح ما قبله، فقلب ألفا، فصار: ملاكا، مثل: مقام، ثم حذفت الألف تخفيفًا، فوزنه: مفل، بحذف العين، وأصل ملائكة: ملاوكة، فقلبت الواو همزة، فقيل: ملائكة.

وفي هذا-والله أعلم-نظر؛ فمجيء الهمزة في المفرد والجمع من المرجح لكونها أصلية، لا مبدلة عن الواو، وللقول بالقلب في أحرف الكلمة والأصل خلوها منه.

الثاني: أنها من: ألك، بمعنى: أرسل، ويألك: يرسل، وألوك: رسول، ومنه: قول لبيد:

وغلام أرسلته أمه بألوك فبذلنا ما سأل. [٣]

وعلى هذا أصل ملك: مألك، ثم قلبت اللام إلى موضع الهمزة، والهمزة إلى موضع اللام، ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام، وحذفت الهمزة تخفيفًا، ثم ردت الهمزة في الجمع، فقيل: ملائكة، على وزن معافلة، بالقلب.

وفي هذا-والله أعلم-نظر؛ للقول بالقلب، والأصل عدمه، ولظهر في بعض تصاريفه، فقد جاء هذا اللفظ في القرآن سبعين مرة، ولمجئ الجمع: ملائك؛ لا مآلك، [٤]

يقول ابن جرير-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**» متعقبًا هذا القول: "غير أن الذي يجب إذا سمي واحدهم: مألك؛ أن يجمع إذا جمع على ذلك: مآلك، ولست أحفظ جمعهم كذلك سماعا، ولكنهم قد يجمعون: ملائك، وملائكة، كما يجمع: أشعث: أشاعث ، وأشاعثة،

---

(١) اللوك: أهون المضغ، وقيل: هو مضغ الشيء الصلب الممضغة تديره في فيك ، انظر: القاموس المحيط «ص: ٩٥٢»، ولسان العرب «١٢/ ٣٥٩».

(٢) إيضاح شواهد الإيضاح «١/ ٤٠٣».

(٣) ديوان لبيد «ص: ٩١».

(٤) تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم «١/ ٥٠٦-٥٠٧».

ومسمع: مسامع ، ومسامعة". [(١)]

الثالث: أنها من: لأك، أي: أرسل أيضا، ففاؤه لام، وعينه همزة، ثم نقلت حركة الهمزة، وحذفت كما تقدم أيضًا، ويدل على ذلك أنه قد نطق بهذا الأصل قال الشاعر:

فلست لإنسي ولكن لملأك // تنزل من جو السماء يصوب [(٢)]

ثم ردت الهمزة في الجمع، فقيل: ملائكة، على وزن مفاعلة.

وهذا–والله أعلم–أجود الأقوال، بناءً، وتصريفًا، فهو أسلمها من حيث بناء الكلمة، وعدم وجود تقديم وتأخير فيها، ومجيء تصاريف الكلمة بتقديم اللام على الهمزة يرد القول بالقلب. [(٣)]

وعلى هذا يكون تعريف الملائكة في اللغة: من: لأك، بمعنى: أرسل.

يقول ابن دريد–رحمه الله–«**ت: ٣٢١ هـ**»: "الملائكة: أصله الهمز، لأنهم قالوا في واحده: ملأك... واشتقاق الملأك من: المالكة، والألوكة، وهي: الرسالة". [(٤)]

ويقول الطبري–رحمه الله–«**ت: ٣١٠ هـ**»: "سميت الملائكة ملائكة بالرسالة ؛ لأنها رسل

---

(١) تفسير ابن جرير «١/ ٢٣٥».

(٢) البيت تكرر ذكره في عامة الكتب التي تتكلم عن اشتقاق الملائكة ، واختلف في قائله ، جاء في تاج العروس «٣/ ٢١٢»: " قال ابن بري: البيت لرجل من عبد القيس يمدح النعمان، وقيل: هو لأبي وجزة يمدح عبد الله بن الزبير، وقيل: هو لعلقمة بن عبدة "ا.هـ ، وانظر: لسان العرب «١٣/ ١٨٥–١٨٦»

يقول السهيلي في الروض الأنف «٥/ ٢٨٣» في البيت أعلاه: " همز مألكا، وهو واحد ، والبيت مجهول قائله ، وقد نسبه ابن سيده إلى علقمة ، وأنكر ذلك عليه ، ومع هذا فقد وصف مألكا بالرسالة ، لقوله:

تنزل من جو السماء يصوب

فحسن الهمزة لتضمنه معنى: الألوك، كما حسن في جملة الملائكة ، إذ للجملة بعض هم إرسال ، والكل من ملكوت الله سبحانه وليس في الواحد إلا معنى الملكوتية فقط حتى يتخصص بالرسالة ، كما في هذا البيت المذكور فيتضمن حينئذ المعنيين ، فتطلع الهمزة في اللفظ ؛ لما في ضمنه معنى: الألوك ، وهي: الرسالة "ا.هـ.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية «٥٢٧ / ١٧» ، وتداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم «١/ ٥٠٦ – ٥٠٧»، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي «٢/ ١١٨»، وإعراب القرآن للأصبهاني «ص: ٢٦».

(٤) الاشتقاق «ص: ٢٦» ، وانظر: إصلاح المنطق لابن السكيت «ص: ٥٩».

الله بينه وبين أنبيائه ومن أرسلت إليه من عباده".[١]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "الملك في اللغة: هو حامل الألوكة؛ وهي: الرسالة".[٢] و "الملائكة: رسل الله، ولفظ الملك يتضمن معنى: الرسالة".[٣]

ويقول ابن القيم –رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: "لفظ الملك يشعر بأنه رسول، منفذ لأمر غيره، فليس لهم من الأمر شي، بل الأمر كله لله الواحد القهار ...".[٤]

ويقول ابن القيم –رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: "سموا ملائكة من: الألوكة، وهي : الرسالة، فهم رسل الله في تنفيذ أوامره". «[٥]»

ويقول الصغاني –رحمه الله–«**ت: ٦٥٠ هـ**»: "التركيب يدل على تحمل الرسالة".[٦]

وقال بعضهم: اجتمعت العرب على ترك الهمزة في مفرد الملائكة، إلا في الشعر للحاجة، وقيل: بل الأكثر الحذف، وقد ينطق به على التتميم.[٧]

"والهاء في: ملائكة لتأنيث الجمع، نحو: صلادمة ، وقيل: للمبالغة كعلامة ، ونسابة، وليس بشيء".[٨]، يشير إليه أن أغلب آيات القرآن الكريم التي فيها ذكر الملائكة بالجمع جاءت بتأنيث الفعل، والله أعلم.

يقول ابن عطية –رحمه الله–«**ت: ٥٤١ هـ**»: "الهاء في: ملائكة لتأنيث الجموع غير

---

(١) تفسير ابن جرير «١/ ٢٣٥».

(٢) النبوات «٢/ ٧٢٠».

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية «١٧/ ٥٢٧».

(٤) إغاثة اللهفان «٢/ ٥٤٧».

« (٥) » روضة المحبين ص « ٤٤ ».

(٦) عمدة القاري «١/ ٨٨».

(٧) انظر: العين «٥/ ٣٨٠»، والمخصص لابن سيده «٣/ ٤١٧»، وتاج العروس «٢٧/ ٥١».

(٨) اللباب في علوم الكتاب «١/ ٤٩٦».

حقيقي، وقيل: هي للمبالغة ، كعلامة، ونسابة، والأول أبين" [(١)]

وقد تحذف الهاء في الملائكة شذوذا، [(٢)] قال الشاعر:

أبا خالد صلت عليك الملائك". [(٣)] . [(٤)]

المسألة الثانية: التعريف بالملائكة.

تعددت أقوال العلماء في تعريفهم:

أ-"الملائكة عالم غير عالم الإنس وعالم الجن، وهو عالم كريم، كله طهر وصفاء ونقاء، وهم كرام أتقياء، يعبدون الله حق العبادة، ويقومون بتنفيذ ما يأمرهم به، ولا يعصون الله أبداً."[(٥)]

والعالمين: هم أصناف الخلائق، كل صنف منهم عالم؛ وهم:

١-الملائكة،

٢-والإنس،

٣-والجن". [(٦)]

ب-الملائكة: خلق من خلق الله تعالى، خلقهم الله عز وجل من نور، وهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، لا يوصوفون بالذكورة ولا بالأنوثة، ولا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتناكحون، ولا يملون، ولا يتعبون، ولا يعلم عددهم إلا الله سبحانه، وقد

---

(١) تفسير ابن عطية «ص: ٧٠».

(٢) اللباب في علوم الكتاب «١/ ٤٩٦».

(٣) البيت لأبي الطيب المتنبي، انظر: ديوانه بشرح العكبري «٢/ ١٣٠».

(٤) المصدر: بحث بعنوان الملائكةالكاتبون في ضوء نصوص الكتاب والسنة للباحث الدكتور: ذياب بن مدخل العلوي ، بحث منشور في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد الرابع من العدد الثالث والثلاثين «ص: ٩٧٥-٩٧٩».

(٥) عالم الملائكة الأبرار «ص: ٨».

(٦) من كنوز القرآن «٣/ ٢٠».

حجبهم الله عنا فلا نراهم، وربما كشفهم لبعض عباده، وهم قادرون على التشكل والتمثل، ولهم قوى عظيمة وقدرة كبيرة على التنقل وغيره. (١)

قال ابن حزم-رحمه الله-«ت: **٤٥٦ هـ**»: "مسألة: وأن الملائكة حق، وهم من خلق الله-عز وجل-، مكرمون". (٢)

ج-قال ابن قتيبة-رحمه الله-«ت: **٢٧٦ هـ**»: "أَنَّهَا أَرْوَاحٌ لَطِيفَةٌ، تَجْرِي مَجْرَى الدَّمِ، وَتَصِلُ إِلَى الْقُلُوبِ، وَتَدْخُلُ فِي الثَّرَى، وَتَرَى وَلَا تُرَى". (٣)

د-قال ابن حزم-رحمه الله-«ت: **٤٥٦ هـ**»: "الملائكة بنص القرآن والسنن وإجماع جميع من يقر بالملائكة من أهل الأديان المختلفة: عقلاء متعبدون، منهيون مأمورون". (٤)

هـ-وقال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: **٧٢٨ هـ**»: "إن اسم الملائكة والملك يتضمن أنهم رسل الله، كما قال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: الآية: ١]، وكما قال: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات الآية: ١]؛ فالملائكة رسل الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يدبر به السموات والأرض... وأمره الديني الذي تنزل به الملائكة". (٥)

ويقول الإمام ابن تيمية-رحمه الله-«ت: **٧٢٨ هـ**»: "الملائكة: رسل الله في تنفيذ أمره الكوني، الذي يدبر به السموات والأرض، وأمره الديني الذي تنزل به الملائكة". (٦)

وقال أيضًا: "من المعلوم بالاضطرار أن الرسل أخبرت بالملائكة والجن، وأنها أحياء ناطقة قائمة بأنفسها ليست أعراضا قائمة بغيرها... وأيضًا فإن الله وصف الملائكة بصفات تقتضي

---

(١) يُنظر: «اللباب في علوم الكتاب» لابن عادل «١/٤٩٧»، «عمدة القاري» للعيني «١٥/١٢٣»، «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني «١/٤٤٧»، «أعلام السنة المنشورة» لحافظ الحكمي «ص: ٤١».

(٢) المحلى بالآثار لابن حزم «١/ ٣٣».

(٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة «ص: ٢٧٨».

(٤) الفصل لابن حزم «٦/ ١٩٦».

(٥) مجموع الفتاوى" « ٤/١١٩».

(٦) مجموع الفتاوى «٤/ ١١٩».

أنهم أحياء ناطقون خارجون عن قوى البشر وعن العقول والنفوس التي تثبتها الفلاسفة؛ فعلم أن الملائكة التي أخبرت عنها الأنبياء ليسوا مطابقين لما يقوله هؤلاء". (١)

وقال أيضًا: "الملائكة من الأعيان لا من الأعراض، فهي من المخلوقات باتفاق المسلمين، وليس بين أهل الملل خلاف في أن الملائكة جميعهم مخلوقون". (٢)

ز–وقال السفاريني–رحمه الله–«**ت: ١١٨٨ هـ**»: "الحق أن الملائكة عليها السلام ذوات قائمة بأنفسها، قادرة على التشكل بالقدرة الإلهية، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي–صلى الله عليه وسلم–". (٣)

ك–وقال ابن عثيمين–رحمه الله–«**ت: ١٤٢١ هـ**»: "الملائكة: عالم غيبي مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه... وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى". (٤)

قال الشيخ صالح الفوزان–حفظه الله–: "الملائكة خلق من خلق الله في عالم الغيب، خلقهم الله لعبادته، ولتنفيذ أوامره سبحانه وتعالى في ملكه، وهم أصناف، كل صنف له عمل موكل به ويقوم به، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون". (٥)

وأما عن استعمال لفظ أنهم "أجسام":

فقد ورد هذا الاستعمال في بعض كلام أهل السنة

قال الألوسي–رحمه الله–«**ت: ١٢٧٠ هـ**»: "اختلف الناس في حقيقتها بعد اتفاقهم على أنها موجودة سمعًا أو عقلًا، فذهب أكثر المسلمين إلى أنها أجسام نورانية، وقيل: هوائية قادرة

---

(١) الصفدية لابن تيمية، «١/ ١٩٣».

(٢) بغية المرتاد لابن تيمية، «ص: ٢٣٢».

(٣) لوامع الأنوار البهية «١/ ٤٤٦».

(٤) كتاب شرح الثلاثة الأصول لابن عثيمين «ص: ٩٠».

(٥) كتاب شرح الثلاثة الأصول، صالح الفوزان، «ص: ٩٠».

على التشكل والظهور بأشكال مختلفة بإذن الله تعالى". [(١)]

وقال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله-«**ت: ١٤٢١ هـ**»: "وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجسامًا، وقالوا إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-وإجماع المسلمين ... ثم ذكر الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وقال: وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون". [(٢)]

وقيل: "هم أجسام علوية قائمة بأنفسها، قادرة علىٰ التشكيل بالقدرة الإلهية، ذوو قدرات خارقة لا حصر لهم، لا يأكلون، ولا يشربون ولا ينكحون، مقربون طائعون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وليس لهم من خصائص الربوبية، والألوهية شيء". [(٣)]

وورد استعمال هذا اللفظ عند أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة كذلك.

قال الزمخشري «**ت: ٥٣٨ هـ**» من المعتزلة "الملائكة أجسام". [(٤)]

قال الفخر الرازي-رحمه الله-«**ت: ٦٠٦ هـ**»: "والملائكة أجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل بأشكال مختلفة مسكنها السموات، وهذا قول أكثر المسلمين". [(٥)]

وقال التفتازاني-رحمه الله-«**ت: ٧٩٢ هـ**» من الأشاعرة: "فالملائكة: "أجسام لطيفة نورانية، قادرة على التشكلات بأفكار مختلفة، كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشاقة، شأنها الطاعات، ومسكنها السموات، هم رسل الله تعالى إلى أنبيائه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ

---

(١) روح المعاني للألوسي «تفسير سورة البقرة: الآية: ٣٠».

(٢) شرح الأصول الثلاثة من مجموع فتاوى ابن عثيمين «٦/ ٩٠».

(٣) الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفيهم، المرابط بن محمد يسلم الشنقيطي، «ص: ١٥٠».

(٤) الكشاف للزمخشري «٤/ ٢٦١».

(٥) تفسير الرازي «٢/ ١٦٠».

وأمناؤه على وحيه". [١]

وقال علي بن محمد الجرجاني-رحمه الله-«**ت: ٨١٦ هـ**»: "الملك: جسم لطيف نوراني، يتشكل بأشكال مختلفة". [٢]

قال حسن بن محمد العطار-رحمه الله-«**ت: ١٢٥٠ هـ**»: "الملائكة أجسام لطيفة نورانية، أعطوا قدرة على التشكل، وعلى الأعمال الشاقة، مواظبون على الطاعات، معصومون عن المخالفة والفسق، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، ولا يأكلون ولا يشربون". [٣]

وقال الكرماني-رحمه الله-«**ت: ٧٨٦ هـ**»: "هم أجسام علوية نورانية متشكلة بما شاءت من الأشكال". [٤]

ويقول العيني-رحمه الله-«**ت: ٨٥٥ هـ**»: "الملائكة أجسام لطيفة هوائية، تقدر على التشكل بأشكال مختلفة، مسكنها السموات، ويقال: جوهر بسيط، ذو نطق وعقل، مقدس عن ظلمة الشهوة، وكدورة الغضب، ﴿لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ يَفْعَلُونَ مَايُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٦]، طعامهم التسبيح، وشرابهم التقديس، وأنسهم بذكر الله-تعالى-، خلقوا على صور مختلفة، وأقدار متفاوتة؛ لإصلاح مصنوعاته، وإسكان سمواته". [٥]

عرفها ابن عاشور-رحمه الله-«**ت: ١٣٩٣ هـ**» بأنها: «**أجسام لطيفة نورانية أخيار ذوو قوة عظيمة، ومن خصائصهم القدرة على التشكل بأشكال مختلفة، والعلم بما تتوقف عليه أعمالهم، ومقرهم السماوات ما لم يرسلوا إلى جهة من الأرض**» «٨». [٦].

ويشكل على هذا التعبير استخدام لفظ "أجسام"، ولفظ "لطيفة":

---

(١) شرح المقاصد للتفتازاني «٢/ ٥٤».

(٢) التعريفات للجرجاني «١/ ١٠١».

(٣) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع «٢/ ٤٧٤».

(٤) الكواكب الدراري «١/ ١٩٤».

(٥) عمدة القاري «١٥/ ١٨٣».

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور «٢٢/ ٢٥٠».

أما لفظ "أجسام" فيشكل عليه:

أولًا: أن إطلاق لفظ الجسم على الملائكة بدعة، لم يأت في الكتاب والسنة، ولم ينطق به أحد من سلف الأمة، بل هو مخالف لما ثبت في النصوص الشرعية من أنهم أرواح.

ثانيًا: أن لفظ الجسم لفظ مجمل، فالجسم في اللغة هو الجسد الغليظ المكون من لحم ودم ونحوه، وليس هو الجسم في اصطلاح المتكلمين.

والروح ليست مثل البدن في الغلظ والكثافة، ولذلك لا تُسَمَّىٰ جِسمًا، فمن جعل الملائكة ليست أجسامًا بالمعنى اللغوي فقد أصاب في ذلك.

فإن الملائكة أرواح كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: الآية: ١٧].

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**» في تقرير رده علىٰ من جعل الملائكة أجسامًا بالمعنىٰ اللغوي: «**لفظ الجسم في اللغة ليس هو الجسم في اصطلاح المتكلمين، بل الجسم هو الجسد كما تقدم، وهو الجسم الغليظ أو غِلَظُه، والروح ليست مثل البدن في الغِلَظِ والكثافة، ولذلك لا تسمَّىٰ جسمًا، فمن جعل الملائكة والأرواح ونحو ذلك ليست أجسامًا بالمعنىٰ اللغوي فقد أصاب في ذلك**". [١]

وأما قولهم "لطيفة" فيشكل عليه

أولًا: قولهم: «**لطيفة**» إن كان مقصودهم باللطافة: الشفافية، فهذا الوصف لم تأت به نصوص الكتاب والسنة، فالقول فيه القول في الجسم.

ثانيًا: يلزم على هذا الوصف لوازم باطلة، مثل نفي القوة عنهم، ونفي رؤية النبي–صلى الله عليه وسلم–لجبريل". [٢]

ومع هذا فلفظ "لطيفة" ورد في كلام ابن قتيبة–رحمه الله–«**ت: ٢٧٦ هـ**»المتقدم ذكره.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ «١٧/ ٣٤٢».

(٢) المصدر: كتاب حقيقة الملائكة «٢٧-٢٩».

الفرق بين الملائكة والجن.

مسألة هل الشيطان من الملائكة؟ وهل الجن عمومًا من الملائكة؟ مسألة خلافية بين أهل العلم، وذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الملائكة من الجن.

قال الحليمي-رحمه الله-«**ت: ٤٠٣ هـ**»: "من الناس من ذهبوا إلى أن: الأحياء العقلاء الناطقون فريقان: إنس وجان، وكل واحد من الفريقين صنفان: أخيار وأشرار. فأخيار الإنس أبرارهم، ثم ينقسمون إلى رسل وغير رسل، وأشرارهم يدعون فجارًا، ثم ينقسمون إلى كفار وغير كفار.

وأخيار الجن يسمون الملائكة، ثم ينقسمون إلى رسل وغير رسل، وأشرارهم بدعون شياطين، ثم قد يستعار هذا الإسم لفجار الإنس تشبيها لهم بفجار الجن،

وقد يحتمل هذا القسم وجها آخر: وهو أن الجن منهم سكان الأرض، ومنهم سكان السماء، فالذين هم سكان السماء يدعون بالملائكة الأعلى ويدعون بالملائكة. والذين هم سكان الأرض هم الجن بالإطلاق، وينقسمون إلى أخيار وفجار، ومسلمين وكفار.

وإنما قيل الملأ الأعلى ملائكة، لأنهم مستصلحون للرسالة، وأنه قيل لواحد من الملائكة ملاك بمعنى أنه موضع للرسالة لكونه مصطفى مختار للسماء أن يسكنها، أو كانت الرسالة منها تأتي سكان الأرض. [1]

أدلتهم:

١-أخبر الله عز وجل أنه أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس، ولم يكن من الملائكة، لم يكن لاستثنائه منهم معنى، ثم قال في آية أخرى: ﴿إلا إبليس كان من الجن، ففسق عن أمر ربه﴾.

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٥».

فأخبر أنه لعنه ورجمه وأخرجه من السموات، وإبان أن المأمورين بالسجود كانوا طبقة واحدة، إلا أن إبليس لما عصى ولعنه صار من الجن الذين يسكنون الأرض، ولا سبيل لهم إلى مخالطة الملأ، فكان العدل من الإنس يفسق أو يرتد فيعصى وينفذ ويدعى فاسقًا وخبيثًا وفاجرًا، بعد أن كان يسمى عدلًا وبرًا وتقيًا، والله أعلم.(١)

٢-وأيضا فإن الله عز وجل حكى عن الكفار أنهم قالوا: ولد الله وإن الملائكة بناته، وجعلوا بينه وبين الجن نسبا، فدل ذلك على أن الملائكة من الجن، وأن النسب الذي جعلوه بين الله وبين الجن، إنما هو قولهم: الملائكة بنات الله، تعالى عما قالوا علوا كثيرا.(٢)

٣-وأيضًا فإن الإنس منهم الظاهرون والجن هم المختبئون، والملائكة مختبئون، فينبغي أن يكون إسم الجن لاحقا إياهم، وأيضا فإن الله تعالى لما صنف الخلائق قال: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار﴾.

فلو كانت الملائكة صنفا ثالثًا سوى الإنس والجن لما كان يدع أشرف الخلائق، فلم يتمدح بالقدرة على خلقه، ويذكر ما دونه فيمتدح بالقدرة على خلقه، هذا وقد نبهت أن الجان خلق من مارج من نار، وأن إبليس مخلوق من النار، والظاهر دخوله في جملة الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم، وفي هذا رجوت أن تكون الملائكة من الجن والله أعلم.(٣)

الرد عليهم:

أ-ومن خالف هذا القول قال: إن سكان الأرض ينقسمون إلى إنس وجن، فأما من خرج عن هذا الحد لم يلحقه إسم الإنس، وإن كان مرئيا، ولا إسم الجن وإن كان غير مرئي، ويدل على هذا أن الجن سموا جنا لأن الإنس لا يرونهم، وإلا فإن بعضهم يرى بعضا، والناس سموا إنسا لأن الجن يرونهم، وإنما وجب هذا التمييز بينهم، لأن البقعة الواحدة من الأرض، كالدار

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٥».

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٥-٣٠٦».

(٣) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٦».

الواحدةن والفضاء الواحد، وقد تجمع الفريقين، فيرى الجن الإنس، ولا يرى الإنس الجن، وأما الملائكة فإنهم بأشد البعد من الناس، فلا يلحقهم إسم الجن، لأنهم لا يرونهم، كما لا يلحق المشرقي اسم الجن، لأن المغربي لا يراه، ولا المغربي اسم الجن، لأن المشرقي لا يراه والله أعلم". (١)

ب–وأما قول الله عز وجل: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾. فإن الناس لم يتفقوا على أن الإشارة به واقعة إلى قولهم:الملائكة بنات الله، لكن ذلك قد قيل، وقيل غيره: وهو أن مشركي العرب كانوا يقولون للأصنام أنها بنات الله، وسمتها لذلك آلهة، ويزعم أن عبادتهم لها تقربهم إلى الله عز وجل، ولذلك كانت تسميها اللات والعزى ومناة.

وإنما وقع لهم من حيث أن الشياطين كانت تدخل أجوافها، فيكلمهم منها، فكانوا ينسبون ذلك الكلام إلى الله تعالى:﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: الآية: ٥٨] لأنهم سموا الأصنام لمكان تكليم الجنة إياهم من أجوافها آلهة، وادعوا أنها بنات الله وأثبتوا بين الله تعالى وبين الجنة نسبا، جهلا منهم، بأن الكلام الذي يسمعونه، إنما هو كلام الشياطين، لا كلام الله جل ثناؤه، وليس هذا في الظهور دون الوجه الآخر، والله أعلم. (٢)

ج–وأما قوله عز وجل: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: الآيتان: ١٤–١٥]. فإنما هو بيان ما ركبه من خلق متقدم، فلم تدخل الملائكة في ذلك لأنهم مخترعون. قال الله–عز وجل–لهم "كانوا فكانوا" كما قال للأرض التي خلق منه الجن، والأصل الذي خلق من الإنسان وهو التراب والماء النار والهواء كن فكان، فكانت الملائكة في الإختراع كأصول الإنس والجن، لا كأعيانهم، فكذلك لم يذكروا معهم". (٣)

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٦».

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٧».

(٣) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٧–٣٠٨».

القول الثاني: إبليس من حيّ من أحياء الملائكة يقال لهم: الجن، خُلقوا من نار السموم من بين الملائكة.

نُسِب إلى ابن عباس [(١)]، وقتادة [(٢)]، وسعيد بن المسيب [(٣)]، واختاره الطبري [(٤)]، والبغوي. [(٥)]

واحتجوا علىٰ أنه من الملائكة: بقوله تعالى: ﴿وَإِذْقُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الكهف: الآية: ٥٠]. أنه لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود.

قالوا: والاستثناء في الآية متصل.

قالوا: ولا حجة فيمن استدل بالآية ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾؛ فإن من إطلاق الجن على الملائكة قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبَاً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: الآية:١٥٨]، عند من يقول: بأن المراد بذلك قولهم: الملائكة بنات الله–سبحانه وتعالى–عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله علوًا كبيرًا". [(٦)]

وأجيب على استدلالهم بآية الكهف بأن الاستثناء في الآية منقطع وليس بمتصل، وأن الفاء للتسبيب أيضًا، فجعل كونه من الجن سببًا في فسقه؛ لأنه لو كان ملكًا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله، لأنَّ الملائكة معصومون ألبتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس، كما قال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٧]. [(٧)]

القول الثالث: أن الملائكة غير الجن.

---

(١) «تفسير الطبري» «١٨/ ٣٩».

(٢) ««تفسير الطبري» «١٨/ ٤١».

(٣) ««تفسير الطبري» «١/ ٥٠٤».

(٤) ««تفسير الطبري» «١/ ٥٠٨».

(٥) ««تفسير البغوي» «١/ ٨٢».

(٦) تفسير الطبري «١/ ٥٠٥»، وأضواء البيان «٣/ ٢٩٠–٢٩١».

(٧) الكشاف للزمخشري «٢/ ٧٢٨».

ذهب إليه الحسن، وابن زيد، واختاره ابن تيمية، وابن القيم.

قال الحسن البصري-رحمه الله-«**ت: ١١٠ هـ**»: "ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجنِّ، كما أن آدم-عليه السلام-أصل الإنس". [١]

وقال عبد الرحمن بن زيد-رحمه الله-«**ت: ١٨٢ هـ**»: "إبليس أبو الجن، كما آدم أبو الإنس". [٢]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "والتحقيق: أنه كان منهم باعتبار صورته وليس منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله". [٣]

أدلتهم:

أ-ويدل على أن الملائكة غير الجن، إن الله عز وجل لما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، فسجدوا إلا إبليس، أخبر الله عز وجل عن سبب مفارقة الملائكة: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: الآية: ٥٠]. فلو كانوا كلهم جنًا لاشتركوا في الإمتناع من السجود ولم يكن في أن إبليس كان من جملة الجن ما يحمله على أن لا يسجد، وفي هذا ما إبان أن الملائكة غير والجن غير وأنهما فريقان شتى.

فإن قال: ما معنى دخول إبليس في الأمر الذي خوطبت الملائكة به إن لم يكن منهم؟

قيل: معنى ذلك أنه كان من الجنه خلقوا من النار، وكان في الأرض غير أن الله عز وجل أذن له في مساكنة الملائكة ومجاورتهم لحسن عبادته وشدة إجتهاده، وقد وردت الأخبار ببيان ذلك من حاله، فلما أسكن السماء وطال اختلاطه بالملائكة ومباينته لجنسه جرى في عداد الملائكة، وصار يواجدهم كالأعجمي يختلط بالعرب ويسكن بلادهم، فتعلم لساهم وتخلق بأخلاقهم، فيكون أعجميا مبعوثا، ويدعى بذلك من العرب المستعربة كلهم هكذا.

(١) «تفسير الطبري» «١٨/ ٤١»، قال ابن كثير في «تفسيره» «٥/ ١٦٧»: "رواه ابن جرير بإسناد صحيح".

(٢) «تفسير الطبري» «١/ ٥٠٧».

(٣) «مجموع الفتاوى» «٤/ ٣٤٦».

فلما أمرت الملائكة بالسجود لآدم دخل في الجملة الملك الأصيل والملحق بالملائكة، غير أن مفارقته الملائكة في أصل جملته على مفارقتهم في الطاعة، قال الله–عز وجل–: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: الآية: ٥٠]، كما يكون الأعجمي المبعوث بين قوم فإذا همت العرب بأمر وأجمعت عليه، حمل الأعجمي أصله المخالف لأصل العرب على خلافهم، فيقال أنه كان من الأعاجم، فكذلك لم يواطئ العرب، فرده الله بعد ذلك إلى مساكن جنسه، وأخرجه من السموات، فصار عند الاقصاء شيطانًا كما كان عند الأدنى ملكًا. (١)

ب–ومما يدل على مفارقة الجن الملائكة أن الله عز وجل أخبر أنه: تسأل الملائكة يوم القيامة عن المشركين، فيقول لهم: ﴿أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾؟ فتقول الملائكة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ [سبأ: الآية: ٤١] فتشهد أن الملائكة غير الجن إذ لو كانت الملائكة جنا لم يخل عباد من أن يكونوا عباد الملائكة فلم يكن لقول الملائكة أنهم كانوا يعبدون الجن ولا يعبدوننا معنى". (٢)

ج–أن لله خلق إبليس من نار السموم ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: الآية: ٢٧]، ومن مارج من نار، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: الآية: ١٥].

وجاء في الحديث عن عائشة–رضي الله عنها–، وعن أبيها: أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**». (٣)

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٦–٣٠٧».

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٨–٣٠٩».

(٣) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٩٤. ورقمه: ٢٩٩٦. وأما ما جاء عن عبد الله بن عمرو صينه قال: «خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر».

قال البيهقي في كتابه ««الأسماء والصفات» «٢/ ١٧٨»: "فإن صح ذلك، فعبد الله بن عمرو وقد كان ينظر في كتب الأوائل، فما لا يرفعه إلى النبي–صلى الله عليه وسلم–يحتمل أن يكون مما رآه فيما وقع بيده من تلك الكتب".

=

ولم يخبر عن الملائكة أنه خلقها من شيء من ذلك، وأن الله أخبر أن إبليس من الجن، وغير جائز أن ينسب إلى غير ما نسبه الله إليه.

د–أن الملائكة لا تأكل، ولا تشرب، ولا تنكح، ولا تَنسِلُ.

قال سعيد بن المسيب–رحمه الله–: "الملائكة ليسوا ذكورًا ولا إناثًا، ولا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتناكحون، ولا يتوالدون". [(١)]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فإن الإنس والجن مشتركون مع كونهم أحياء ناطقين مأمورين منهيين؛ فإنهم يأكلون، ويشربون، وينكحون، وينسلون، ويتغذون، وينمون بالأكل والشرب، وهذه الأمور مشتركة بينهم.

وهم يتميزون بها عن الملائكة؛ فإن الملائكة لا تأكل، ولا تشرب، ولا تنكح، ولا تَنسِلُ". [(٢)]

فكونهم لا يتناكحون ولا يتناسلون، وليسو ذكورًا ولا إناثًا مما يميز الله به الملائكة عن غيرهم، وهذا يدل على أن حقيقتهم مغايرة لحقيقة الجن والإنس، وهذا فيه بيانٌ لعظمة الله سبحانه، فهو سبحانه يخلق ما يريد، علىٰ الحقيقة التي يريد. فتبارك الله أحسن الخالقين.

ومعلوم أن لإبليس نسل وذرية". [(٣)]

قال ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: "أن الشيطان ضد للملك وعدو له، فكيف يكون منهم، كما في قوله: «**ومنها**» [(٤)]»: أن الملائكة تدنو من قارىء القرآن، وتستمع لقراءته، كما في حديث أسيد بن حضير لما كان يقرأ ورأى مثل الظلة، فيها مثل المصابيح، فقال النبي–

وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» «١/ ٨٢٠»: "وأما ما رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» «ص: ١٥١» عن عكرمة قال: «خلقت الملائكة من نور العزة، وخلق إبليس من نار العزة»، وعن عبد الله بن عمرو قال: «خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر». فهذا كله من الإسرائيليات التي لا يجوز الأخذ بها، لأنها لم ترد عن الصادق المصدوق ﷺ".

(١) فتح الباري لابن حجر، «٦/ ٣٠٦».

(٢) مجموع الفتاوى «١٦/ ١٩٢».

(٣) تفسير الطبري ، «١/ ٥٠٧».

« (٤) » أي : من فوائد الاستعاذة المأمور بها في قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: الآية: ٩٨].

صلى الله عليه. وسلم-: «**تلك الملائكة**». «[١]»

والشيطان ضد الملك وعدوه، فأمر القارىء أن يطلب من الله-تعالى-مباعدة عدوه عنه، حتى يحصل خاصته وملائكته، فهذه وليمة لا يجتمع فيها الملائكة والشياطين". «[٢]» .

قال محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-«**ت: ١٣٩٣ هـ**»: "وحجة من قال: إن أصله ليس من الملائكة أمران:

أحدهما: عصمة الملائكة من ارتكاب الكفر الذي ارتكبه إبليس. كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٦]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٧].

والثاني: أن الله صرح في هذه الآية الكريمة بأنه من الجن، والجن غير الملائكة ...

وأظهر الحجج في المسألة حجة من قال: إنه غيرُ مَلَكٍ؛ لأن قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: الآية: ٥٠]. وهو أظهر شيء في الموضوع من نصوص الوحي، والعلم عند الله تعالىٰ.

وقوله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾؛ أي: خرج عن طاعة أمر ربه". [٣]

القول الراجح:

والذي يترجح: أن إبليس من الجن وليس من الملائكة؛ وذلك أن جنس الملائكة مغاير لجنس إبليس من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن مادة خلق الملائكة مغايرة لمادة خلق إبليس؛ فقد جاء عن عائشة ينعها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ «**خُلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار**».

«[١]» أخرجه البخاري «٣٦١٤»، ومسلم، «٧٩٥» .

«[٢]» إغاثة اللهفان «١/ ١٠٧».

[٣] أضواء البيان، «٣/ ٢٩٠-٢٩١».

(١)

وقال تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص: الآية: ٧٦].

الوجه الثاني: أن الملائكة لا يتناكحون ولا يتناسلون، وأما إبليس فقد أثبت الله أن له ذرية؛ قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ» وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوا﴾ [الكهف: الآية: ٥٠].

الوجه الثالث: أن الملائكة لا يعصون الله؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٦].

وأما إبليس، فقد أخبر الله عنه: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾.

الوجه الرابع: أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، أما إبليس فيأكل ويشرب.

الوجه الخامس: أن الاستثناء من اللفظ العام إخراج له من الاسم والحكم(٢)، فإبليس لما استُثني في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: الآية: ٣٠]. خرج بهذا الاستثناء من أن يكون من الملائكة.

فإن قيل: كيف أمره بالسجود مع الملائكة؟

والجواب: أمره بالسجود مع الملائكة؛ باعتبار حضوره معهم.

الوجه السادس: أن إبليس في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: الآية: ٣٠] دخل تحت الأمر، فرجع الاستثناء إليه، لا أنه مِنَ الملائكة.

الوجه السابع: جواز الاستثناء من غير الجنس بدليل(٣)، فقد استثني إبليس مع أنه ليس من جنس الملائكة؛ لجواز الاستثناء من غير الجنس، وقد دلَّ الدليل على أنّ إبليس ليس مِن الملائكة كما تقدم.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» «٢٩٩٦».

(٢) انظر: «البحر المحيط في أصول الفقه» للزركشي «٣/ ٢٧٦».

(٣) انظر: «البحر المحيط في أصول الفقه» للزركشي «٣/ ٢٧٨».

الوجه الثامن: أنَّ الآية وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِرَبِّهِ﴾ [الكهف: الآية: ٥٠]، ظاهرة في الدلالة على أنَّ إبليس من الجن، ولا يجوز العدول عنها إلَّا بدليل.[١]

المسألة الثالثة: حكم الإيمان بالملائكة:

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول الإيمان، لا يصح إيمان عبد ما لم يؤمن بهم، قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٥].

- والإيمان بالملائكة: يكون على درجتين:

الدرجة الأولى: الإيمان المجمل.

فيجب أن يكون إيمانًا مُجملًا بجميعهم؛ مَن علمنا منهم ومَن لم نعلم، وأن الله خلقهم من نور، وأنهم عباد مُكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولا يأكلون ولا يشربون، ولا يتناكحون ولا يتناسلون،

الدرجة الثانية: الإيمان المفصل.

فيجب أن يكون إيمانًا مُفَصَّلًا بمن ذُكر منهم باسمه؛ كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، وبصفة مَن ذُكر منهم بوصفٍ؛ كحملة العرش وخزنة النار وجبريل، وبعدد مَن ذُكِر منهم بعددٍ كخزنَة النار وحملة العرش.

وبعمل مَن ذُكِر منهم بعملٍ؛ فمنهم الموكَّل بالجبال، ومنهم الموكَّل بالقَطر، ومنهم الموكَّل بفتنة القبر، ومنهم الموكَّل بالنفخ في الصور وغير ذلك.

نقل السيوطي عن البيهقي في كتابه «**شعب الإيمان**»: "أن الإيمان بالملائكة ينتظم في

---

(١) المصدر: حقيقة الملائكة «ص: ٦٣-٦٥».

معانٍ:

أحدها: التصديق بوجودهم.

الثاني: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه، كالإنس والجن مأمورون مكلفون، لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، والموت عليهم جائز، ولكنّ الله تعالى جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى، ولا يدعون آلهة كما دعتهم الأوائل.

الثالث: الاعتراف بأنّ منهم رسلاً يرسلهم الله إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأنّ منهم حملة العرش، ومنهم الصافّون، ومنهم خزنة الجنّة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، فقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره".[(١)]

والإيمان بالملائكة ثابت بالقرآن الكريم، والسُّنة النبوية، والإجماع، ولذلك فإن منكر وجود الملائكة كافر بالإجماع، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: الآية: ١٣٦].

قال بعض العلماء: وكل آية وحديث فيه ذكر الملائكة دليل على وجوب الإيمان بهم.

الأدلة من القرآن:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٥].

فأخبر أن الإيمان بالملائكة مع بقية أركان الإيمان مما أنزله على رسوله وأوجبه عليه وعلى أمته وأنهم امتثلوا ذلك.

- وَقَالَ: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: الآية: ١٧٧].

---

(١) الحبائك في أخبار الملائك، للسيوطي: ص ١٠. وانظر مختصر شعب الإيمان: ١/ ٤٠٥-٤٠٦.

فجعل الإيمان بهذه الخصال دليل البر–والبر اسم جامع للخير–وذلك أن هذه الأشياء المذكورة هي أصول الأعمال الصالحة، وأركان الإيمان التي تتفرع منها سائر شعبه.

- وَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَومِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: الآية: ١١٣].

فأخبر الله–عز وجل–أن من كفر بهذه الأركان فقد كفر بالله، فأطلق الكفر على من أنكر هذه الأركان.

- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فَاطِرٍ: الآية: ١].
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٧].
- وَقَالَ: ﴿وما يَعلَمُ جُنودَ رَبك إلاّ هُو﴾ [المدثر: الآية: ٣١].

وسيأتي مزيد تفصيل للآيات الواردة في ذكر الملائكة في المطلب الثالث.

الأدلة من السنة:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رضي الله عنه–، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلي الله عليه وسلم كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ**».. (١)
- وَعَنْ عَائِشَةَ–رضي الله عنها–، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ–صلى الله عليه وسلم–: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**». (٢)

(١) أخرجه البخاري «٥٠»، ومسلم «٩».

(٢) أخرجه مسلم «٢٩٩٦».

▪ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رضي الله عنه-، عَنْ النَّبِي صلى الله عليه وسلم -فِي قِصَةِ المِعْرَاجِ- أَنَّهُ قَالَ: «**ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [(١)]

دليل الإجماع:

وقد أجمع العلماء على أن الملائكة حق، واتفقوا على أنهم كلهم مؤمنون فضلاء. [(٢)]، وأنهم مجبولون على طاعة الله عز وجل، معصومون من الغلط. [(٣)]

قال ابن حزم-رحمه الله-«**ت: ٤٥٦ هـ**»: "الملائكة بنص القرآن والسنن وإجماع جميع من يقر بالملائكة من أهل الأديان المختلفة: عقلاء متعبدون، منهيون مأمورون". [(٤)]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "الملائكة من الأعيان لا من الأعراض، فهي من المخلوقات باتفاق المسلمين، وليس بين أهل الملل خلاف في أن الملائكة جميعهم مخلوقون". [(٥)]

المسألة الرابعة: ثمرات الإيمان بالملائكة:

من ثمرات الإيمان بالملائكة:

أولًا: العلم بعظمة خالقهم تبارك وتعالى وقدرته وسلطانه:

---

(١) أخرجه مسلم «١٦٢».

(٢) مراتب الإجماع لابن حزم «ص: ١٧٤».

(٣) الإقناع في مسائل الإجماع لابن القطان «١/ ٤٨».

(٤) الفصل لابن حزم «٦/ ١٩٦».

(٥) بغية المرتاد لابن تيمية، «ص: ٢٣٢».

قال اللهُ تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاء قَدِيرٌ﴾ [الشورى: الآية: ٢٩].

قال مجاهِدٌ في قَولِه: ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ﴾: "يدخُلُ في هذا الملائِكةُ والنَّاسُ". [(١)]

وقال ابنُ كَثيرٍ-رحمه الله-«**ت: ٧٧٤ هـ**»: "هذا يَشمَلُ الملائِكةَ والجِنَّ والإنسَ وسائِرَ الحيواناتِ؛ على اختِلافِ أشكالِهم وألوانِهم ولُغاتِهم، وطباعِهم وأجناسِهم وأنواعِهم، وقد فَرَّقهم في أرجاءِ أقطارِ السَّمَواتِ والأرضِ". [(٢)]

فمن أعظم ما يثمره الإيمان بالملائكة في نفوس المؤمنين تعظيم الله-عز وجل-، لأن العلم بعظمة المخلوق يدل على عظمة الخالق، وذلك يزيد من استشعار القلب البشري لعظمة القدرة الإلهية المعجزة التي تخلق من النور ملائكة ذوي أجنحة مثنى وثلاث وربا ع.

فالملائكة من أعظم مخلوقات الله-عز وجل-، فقد روى جابر بن عبد الله، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش: إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام**». [(٣)]

«**وقد رأى النبي-صلى الله عليه وسلم-جبريل وله ستمائة جناح**». [(٤)] وفي رواية لأحمد في المسند: «**كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه التهاويل من الدرر واليواقيت**». [(٥)] [(٦)]

فمن تمام عظمة الله أن له جندًا يعملون بأمره، وعندما ترى عِظَمَ خلقِ الملائكةِ، وما هم

---

(١) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «٢٠/ ٥١٢»، «تفسير القرطبي» «١٦/ ٢٩».

(٢) يُنظر: «تفسير ابن كثير» «٧/ ٢٠٧».

(٣) رواه أبو داود، في سننه، برقم «٤٧٢٧»، وقال ابن حجر في فتح الباري «٨/٦٦٥»: "إسناده على شرط الصحيح".

(٤) أخرجه البخاري، «٤٨٥٦».

(٥) انظر: مسند أحمد، حديث رقم «٣٧٨٤». وقال ابن كثير في البداية والنهاية «١/ ١٠٠»:

(٦) انظر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٨٤».

عليه من القوةِ الخارقةِ، يتردَّدُ في ذهنِك هذا السؤالُ: إذا كان هؤلاءِ بهذه القوة، فكيف بخالِقِهم ومالِكِهم سبحانَه وتعالى؟

ثانيًا: محبة الله وشكره على عنايته بعباده:

فالإيمان بالملائكة يورث حبُّ الله عزَّ وجلَّ، وذلك أنَّ الله عزَّ وجلَّ وكَّلَ ملائكةً لحفظِ الكونِ والكائناتِ؛ فملائكةٌ بالسماءِ، وملائكةٌ بالأرضِ، وملائكةٌ بالجبالِ، وملائكةٌ بالسحابِ، وكلُّ ذلك من أجلِ الإنسانِ وراحتِه وسعادتِه

كما أن الشكر من أعظم المقامات القلبية التي يحبها الله–عز وجل–، والإيمان بالملائكة والتفكر فيه يحقق هذا المقام القلبي العظيم وذلك من خلال "شكر الله لعنايته ببني آدم، حيث وكَّل بهم مِن هؤلاء الملائكة مَن يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم. (١)

بل إن عناية الله ببني آدم وهو في الرحم، وهذا من جملة النعم التي أنعم الله تعالى بها عليه، حيث أوكل به ملك يرعاه وهو في الرحم، روى أنس بن مالك–رضي الله عنه–، أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «**إن الله وكل في الرحم ملكًا فيقول يارب نطفة، يرب علقة يا رب مضغة، فإذا أراد أن يخلقها قال: يا رب أذكر أم أنثى، يا رب شقي أم سعيد، فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه**». (٢)

ومن عناية الله ببني آدم–أيضًا–أن جعل الله له ملائكة تحفظه وتحرسه قال الله سبحانه: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: الآية: ١١] .

قال ابن كثير–رحمه الله–«**ت: ٧٧٤ هـ**»: "أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات". (٣)

---

(١) يُنظر: «نبذة في العقيدة» «ضمن مجموع فتاوى ابن عثيمين» «٥/ ١١٨».

(٢) أخرجه البخاري، «٣٣٣٣».

(٣) تفسير ابن كثير «٤/ ٤٣٧».

فإذا علم المسلم أن الله سخّر له هذه المخلوقات الكريمة، تحفظه وتحوطه بالعناية،، وتدافع عنه، وتكتب عمله وتستغفر له؛ كان ذلك من أعظم الأسباب المفضية به إلى شكر الله وحفل. (١)

ثالثًا: محبة الملائكة على ما يقومون به:

محبَّة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله على الوجه الأكمل واستغفارهم للمؤمنين. (٢) الموصوفون بقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآيتان: ٢٦-٢٧]،

وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٦].

قال أبو حيان الأندلسي «**ت: ٧٤٥ هـ**»: "وينبغي أن يقال: أنصح العباد للعباد الأنبياء والملائكة". (٣)

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "ما رواه أبو داود، والترمذي، من حديث أبي الدرداء-رضي الله عنه-، قال : سمعت رسول الله-صلى الله عاليه وسلم-يقول: «**من سلك طريقا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات، ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**». « (٤) » ... والطريق التي يسلكها إلى الجنة جزاء على سلوكه في الدنيا طريق العلم

---

(١) انظر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٠-١٩١».

(٢) انظر: «مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله» «٣/ ٢٥٩».

(٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي «سورة غافر الآية: ٧».

(٤) رواه ابن ماجة في المقدمة «٢٢٣»، وأبو داود «٣٦٤١» و «٣٦٤٢»، والترمذي «٢٦٨٢»، وصححه الألباني في صحيح الترمذي «٣/ ٧١».

الموصلة إلى رضا ربه، ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعًا له، وتوقيرًا، وإكرامًا لما يحمله من ميراث النبوة، ويطلبه، وهو يدل على المحبة والتعظيم، فمن محبة الملائكة له وتعظيمه تضع أجنحتها له، لأنه طالب لما به حياة العالم ونجاته، ففيه شبه من الملائكة، وبينه وبينهم تناسب، فإن الملائكة أنصح خلق الله وأنفعهم لبني آدم، وعلى أيديهم حصل لهم كل سعادة وعلم وهدى، ومن نفعهم لبني آدم ونصحهم أنهم يستغفرون لمسيئهم، ويثنون على مؤمنيهم، ويعينونهم على أعدائهم من الشياطين، ويحرصون على مصالح العبد أضعاف حرصه على مصلحة نفسه، بل يريدون له من خير الدنيا والآخرة ما لا يريده العبد، ولا يخطر بباله، كما قال بعض التابعين: وجدنا الملائكة أنصح خلق الله لعباده، ووجدنا الشياطين أغش الخلق للعباد.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: الآيات: ٧-٩].

فأي نصح للعباد مثل هذا إلا نصح الأنبياء، فإذا طلب العبد العلم فقد سعى في أعظم ما ينصح به عباد الله، فلذلك تحبه الملائكة وتعظمه حتى تضع أجنحتها له، رضا، ومحبة، وتعظيما". (١)

قال مطرف بن عبد الله الشخير «**ت: ٩٥ هـ**»: "أنصح عباد الله للمؤمنين هم الملائكة، وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين". (٢)

ويتبين ذلك من خلال ذكر بعض أوجه الاختلاف بين عمل الملائكة وعمل الشياطين،

(١) مفتاح دار السعادة «١/ ٢٥٢-٢٥٧».

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي «سورة غافر: الآية: ٧».

ومنها:

الوجه الأول: الملائكة يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون لمن في الأرض، فهم أنصح الخلق لبني آدم، والشيطان أغش الخلق لبني آدم لأن الشيطان تعهد بإضلال بني آدم، وإغوائهم وإهلاكهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

قال -عزّ وجل-: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ٢٧].

الوجه الثاني: والملائكة تأمر العباد بالخير، والشياطين تحثهم على الشر، وتأمرهم به، ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: الآية: ٣٦] . فالذي يعرض عن القرآن الكريم يعاقبه الله سبحانه، بأن يقيض له شيطانًا يكون قرينًا له. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: الآيتان: ٣٧، ٣٨]. ولا يعصم الإنسان من الشيطان إلا ذكر الله.

الوجه الثالث: أن ذكر الله يطرد الشياطين عن الإنسان ويحضر الملائكة عنده.

ولذلك سُمِّيَ الشيطان بالوسواس الخنّاس، فإذا ترك الإنسان ذِكْرَ الله جاءه الشيطان، وإذا ذكر الله حفّت به الملائكة كما في الحديث: «**ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**». [(١)]

قال ابن مسكويه: "العبادة هي تعظيم الله تعالى وتمجيده وطاعته وإكرام أوليائه من الملائكة والأنبياء والأئمة والعمل بما توجبه الشريعة، وتقوى الله تعالى تتم هذه الأشياء وتكملها". [(٢)]

قال فخر الدين الرازي «**ت: ٦٠٦هـ**»: "وجد المؤمن بهذه الشهادة «**أي التوحيد**»:

١-أبوة إبراهيم، وهو قوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: الآية: ٧٨].

---

(١) أخرجه مسلم، «٢٦٩٩».

(٢) تهذيب الأخلاق «ص: ٣٣».

٢-وأمومة أزواج النبي-صلى الله عليه وسلم-﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: الآية: ٦].

٣-وأخوة المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: الآية: ١٠].

٤-واستغفار الأنبياء: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: الآية: ١٩].

٥-واستغفار الملائكة: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: الآية: ٧].

٦-وشفيعًا مثل محمد-صلى الله عليه وسلم-: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي**». [(١)]

رابعًا: مراقبة الله في السر والعلن:

بأن يحاسب المرء نفسه على كل فعل أو قول صغيرًا كان أو كبيرًا، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: الآية: ١٨]، وقال تعالى: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: الآيتان: ١١-١٢].

فمرتبة الإحسان هي أعلى مراتب الدين، "وهي لبُّ الإيمان وروحه وكماله، وهذه المنزلة تجمع جميعَ المنازل-منازل إياك نعبد وإياك نستعين-، فجميعها منطويةٌ فيها". [(٢)] والإحسان فسره النبي-صلى الله عليه وسلم-بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». [(٣)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "وهو مشهد المراقبة، وهو أن يعبد الله كأنه يراه، وهذا المشهد إنما ينشأ من كمال الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، حتى كأنه يرى الله-سبحانه-فوق سماواته، مستويًا على عرشه، .... ومشهد الإحسان أصل أعمال القلوب كلها، فإنه يوجب الحياء، والإجلال والتعظيم والخشية والمحبة والإنابة، والتوكل والخضوع لله -سبحانه-، والذل له؛ ويقطع الوساوس وحديث النفس، ويجمع القلب والهم على الله، فحظ العبد من

---

(١) عجائب القرآن «ص: ٣٦-٣٧».

(٢) مدارج السالكين «٣/ ٢٦٣».

(٣) أخرجه مسلم، «٨».

القرب من الله على قدر حظه من مقام الإحسان". [(١)]

والإيمان بالملائكة خير معين على مرتبة الإحسان والمراقبة، فالملائكة هم الموكلون بكتابة أعمال بني آدم، من خير أو شر، قال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ * كِرَامًا كَٰتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: الآيات: ١٠ -١٢]. وقال-عز وجل-: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: الآية: ١٨]، فإذا غُرِسَ في نفس المسلم أن معه ملائكة لا يفارقونه طرفة عين، ويكتبون جميع ما يصدر منه من أعمال وأقوال؛ قاده ذلك إلى مراقبة الله-عز وجل-، وبلوغ مرتبة الإحسان التي هي أعلى مراتب الدين، وأعانه ذلك على الاستقامة على طاعة الله، فمن آمن بأن هناك ملائكة تكتب أعماله كلها فإن هذا يوجب خوفه من الله، وسيبادر إلى فعل الطاعات وترك المحرمات. [(٢)]

خامسًا: الحياء من الملائكة:

الحياء من الخصال العظيمة التي حثّت عليها الشريعة ونوّهت بها، والإيمان بالملائكة يعين على التحقق بهاتين الخصلة الكريمة، فالملائكة دائمًا مع الإنسان لا تفارقه قال الله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: الآيتان: ١٠-١١].

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: " أي: استحيوا هؤلاء الحافظين الكرام، وأكرموهم، وأجلوهم أن يروا منكم ما تستحيوا أن يراكم عليه من هو مثلكم". [(٣)]

والحياء من خصال الملائكة، فهي تستحي من بعض المؤمنين، كما قال النبي ﷺ عن عثمان: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**». [(٤)] فإذا غُرس في نفس المسلم أن معه من لا يفارقه طرفة عين، كان ذلك سببًا لتخلّقه بخلق الحياء الذي هو بوابة الخير وشعبة عظيمة

---

(١) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، «ص: ٤٥».

(٢) انظر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٨٧-١٨٨».

(٣) الداء والدواء «ص: ٢٥٦».

(٤) أخرجه مسلم، « ٢٤٠١».

من شُعب الإيمان.

سادسًا: الاجتهاد في الأعمال الصالحة:

فإن الملائكة يرفعون إلى الله أعمال بني آدم، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: الآية: ١٠].

وعن رفاعة بن رافع الزرقي–رضي الله عنه–، قال: "كنا يوماً نصلي وراء النبي–صلى الله عليه وسلم–، فلما رفع رأسه من الركعة قال:«**سمع الله لمن حمده**» قال: رجل وراءه: ربنا ولك الحمد، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف قال: «**من المتكلم؟**» قال: أنا، قال: «**رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها، أيهم يكتبها أول؟!**» .[١]

فعلى المؤمن الإقبال على عمل الحسنات والبعد عن عمل السيئات حين يستشعر الإنسان وجود الملكين اللذين يسجلان عليه أعماله.

كما أن الإيمان بالملائكة يزيد من رغبة الإنسان في التقرب إلى الله بالعبادة والعمل الصالح تشبهاً بالملائكة الذين لا يفترون عن عبادة الله

سابعًا: حفظ حرمتهم وعدم إيذاء هؤلاء الملائكة:

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «**من أكل من هذه البقلة، الثوم**»، وقال مرة: «**من أكل البصل والثوم والكُرَّاث، فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**».[٢] [٣]

---

(١) أخرجه البخاري «٧٩٩».

(٢) أخرجه البخاري «٨٥٥».

(٣) المصدر: الإيمان بالكرام الكاتبين – د. أمين بن عبدالله الشقاوي، شبكة الألوكة.

ثامنًا: موالاتهم وعدواة من يعاديهم:

فإنه إذا علم العبد المؤمن أن جبريل هو الذي جاء بالوحي فإنه يواليه ويحبه، ويعادي من يبغضه، فلا يُفَرِّقُ في ذلك بين مَلَكٍ ومَلَكٍ؛ لأنهم جميعًا عبادٌ لله، عامِلون بأمْرِه، تاركون لنَهْيِه. وقد زعم اليهودُ أنَّ لهم أولياءَ وأعداءً من الملائِكةِ، فزعموا أنَّ جبريلَ عَدُوٌّ لهم، وأنَّ مِيكائيلَ وَلِيٌّ لهم، فأكذَبَ اللهُ تعالى دعواهم، فقال: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: الآيتان: ٩٧-٩٨].

قال ابنُ كثيرٍ -رحمه الله- «**ت: ٧٧٤ هـ**»: "من عادى جِبريلَ فلْيَعلَمْ أنَّه الرُّوحُ الأمينُ الذي نزل بالذِّكرِ الحكيمِ على قَلْبِك من اللهِ بإذنِه له في ذلك، فهو رَسولٌ مِن رُسُلِ اللهِ، مَلَكيٌّ، عليه وعلى سائِرِ إخوانِه من الملائِكةِ السَّلامُ، ومن عادى رسولًا فقد عادى جميعَ الرُّسُلِ، كما أنَّ من آمن برَسولٍ فإنَّه يَلزَمُه الإيمانُ بجميعِ الرُّسُلِ، وكما أنَّ من كَفَر برَسولٍ فإنَّه يَلزَمُه الكُفْرُ بجميعِ الرُّسُلِ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: الآيتان: ١٥٠-١٥١]، فحَكَم عليهم بالكُفْرِ المحَقَّقِ؛ إذ آمنوا ببَعضِ الرُّسُلِ وكَفَروا ببعضِهم، وكذلك من عادى جبريلَ فإنَّه عَدُوٌّ للهِ؛ لأنَّ جِبريلَ لا يَنزِلُ بالأمرِ من تِلقاءِ نَفْسِه، وإنما ينزِلُ بأمرِ رَبِّه، كما قال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ [مريم: الآية: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ * عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: الآيات: ١٩٢-١٩٤]، وقد روى البخاريُّ في صحيحِه عن أبي هُرَيرةَ -رضي الله عنه-، قال: قال رَسولُ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: «**من**

عادى لي وَلِيًّا فقد بارزني بالحَرْبِ»[١]؛ ولهذا غَضِبَ اللهُ لجبريلَ على من عاداه". [٢]

تاسعًا: إبطال دعوى عبادة غير الله:

فإن العبد إذا اعتقد وأقر بوجود الملائكة، وأنهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ويخافون الله ويعبدونه، فإن هذا الاعتقاد يثمر إبطال دعوى عبادة غير الله؛ وذلك أنه إذا بطلت عبادة الملائكة المقربين فغيرهم من باب أولى". [٣]

عاشرًا: الاقتداء بهم:

فإن العبد إذا آمن بالملائكة فإنه سيقتدي بهم في أعمالهم وعباداتهم، ومن تلك الأعمال ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: الآية: ٧].

وعن جابر بن سمرة–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم: «**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها**» قال: قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربها قال: «**يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف**». [٤]

قال الإمام المعافى بن زكريا النهرواني الجريري«**ت: ٣٩٠ هـ**»–نسبة إلى مذهب ابن جرير الطبري–رحمه الله–«**ت: ٣١٠ هـ**»–: "وقد كان بعض من كان له في الدنيا صيت ومكانة عاتبني على ملازمة المنزل، وإغبابي زيارته، وإقلالي ما عودته من الإلمام به وغشيان حضرته،

---

(١) أخرجه البخاري «٦٥٠٢» بلفظ: "آذَنْتُه بالحربِ" بدلًا من "بارزني بالحربِ".

(٢) يُنظر: «تفسير ابن كثير» «١/ ٣٤١».

(٣) حقيقة الملائكة «ص: ٤٣».

(٤) أخرجه مسلم «٤٣٠».

فقال لي: أما تستوحش الوحدة؟ ونحو هذا من المقالة.

فقلت له: أنا في منزلي إذا خلوت من جليس يقصد مجالستي، ويؤثر مساجلتي، في أحسن أنس وأجمله، وأعلاه وأنبله، لأنني أنظر في آثار الملائكة والأنبياء، والأئمة والعلماء، وخواص الأعلام الحكماء، وإلى غيرهم من الخلفاء والوزراء، والملوك والعظماء، والفلاسفة والأدباء، والكتاب والبلغاء، والرجاز والشعراء، وكأنني مجالس لهم، ومستأنس بهم، وغير ناء عن محاضرتهم، لوقوفي على أنبائهم، ونظري فيما انتهى إلي من حكمهم وآرائهم". [(١)]

الحادي عشر: تحقيق التوحيد والعبودية لله–عز وجل–:

من ثمرات الإيمان بالملائكة وآثاره تحقيق التوحيد والعبودية لله–عز وجل–، فهذه المخلوقات العظيمة كلّها خاضعة لله، ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٦]، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٠]، وهم أصحاب خشية عظيمة من الله–عز وجل–، قال سبحانه ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٨]. ولا يستغنون عن الله–عز وجل– طرفة عين، فإذا حقّق المؤمن الإيمان بالملائكة، وغُرس في نفسه أثر ذلك عنده العبودية والتوحيد لله–عز وجل–، فهؤلاء الملائكة من أعظم مخلوقات الله–سبحانه–ومع ذلك هم في غاية الافتقار والخوف والتعبد لله سبحانه والله–سبحانه–غني عن العباد إذا استكبروا واستنكفوا عن عبادته قال سبحانه ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: الآية:٣٨] فاستحضار هذه المعاني أعظم معين للمؤمن على إفراد الله بالعبادة والقصد. فإذا كان الرب – سبحانه– بهذه العظمة وهذا الكبرياء وهذا الغنى والجبروت؛ كان هو المستحق للتذلل والتعظيم وقصده وحده دون ما سواه بالعبادة. [(٢)]

---

(١) كتاب الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي «١/ ١٦٤».

(٢) انظر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٨٥».

الثاني عشر: بث الشعور بالطمأنينة

السكينة والطمأنينة من أهم ما يحتاجه العبد في هذه الدنيا، فهذه الدنيا لا تخلو من منغصات وحوادث ومُزعجات، ولذا عُظمت الحاجة للطمأنينة والسكينة، "وأصل السّكينة هي الطُّمأنينة والوقار، والسُكون الذي يُنزله الله في قلب عبده، عند اضطرابه من شدّة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرِد عليه، ويوجب له زيادةَ الإيمان وقوّةَ اليقين والثبات". [(١)]

ومن آثار الإيمان بالملائكة حصول السكينة والطمأنينة، فالله-عز وجل-سخّر هؤلاء الملائكة لحفظ المؤمنين، وتثبيتهم وتسديدهم والدعاء لهم والاستغفار والصلاة عليهم، قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "فليس أحد أنفعَ للعبد من صحبة الملك له، وهو وليّه في يقظته ومنامه، وحياته، وعند موته، وفي قبره، ومؤنسُه في وحشته، وصاحبُه في خلوته، ومحدّثُه في سرّه. يحارب عنه عدوَّه، ويدافعه عنه، ويعينه عليه، ويعِدُه بالخير، ويبشّره به، ويحثّه على التصديق بالحقّ". [(٢)] "فإدراك المسلم لهذه الحقيقة وهي تسخير المولى وجبال الملائكة لحفظ الإنسان.... يحقق له الأمن والطمأنينة والصحة النفسية، ويدفع عنه القلق والاضطراب والخوف وكثير من الوساوس؛ لأنه في حفظ الملائكة، ومن كان في حفظ الملائكة تباعد عنه الشيطان، وعلى المسلم أن يكون على يقين بأن الله قد وكّل به من الملائكة من يحفظه ويرعاه". [(٣)]

فالمسلم يطمئن لحماية الله له، فقد جعل الله له حافظًا يحفظه بأمر الله من الشياطين ومن كل شر، قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: الآية: ١١].

والإيمان بالملائكة يملأ قلب الإنسان أنسًا بهذا الكون الرحيب من حوله إذ يعلم أنه معمور

---

(١) مدارج السالكين «٣/ ٣٣٢».

(٢) الداء والدواء «ص: ٢٥١».

(٣) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٣-١٩٤».

بتلك الأرواح النورانية، وأنها تتنزل على المؤمنين بالسكينة والطمأنينة

الثالث عشر: العزة عند الملائكة

مما يزيد من عزة الإنسان وكرامته، ومعرفته لمنزلته عند الله، أن الله سخر له الملائكة يحفظونه ويستغفرون له، ويطلبون له من ربه أن يحفظه من العذاب

قال السَّمرقَنديُّ: "فهؤلاء أصحابُ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان خُلُقُهم التَّواضُعَ، وكانوا أعزَّاءَ

١-عِندَ الخَلقِ،

٢-وعند الملائكةِ،

٣-وعندَ اللَّهِ سُبحانَه وتعالى". [(١)]

الرابع عشر: التسليم للنصوص الشرعية:

التسليم للنصوص الشرعية هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن الشهادة لله بالوحدانية؛ مبناها على التسليم التام لأمره ونهيه وخبره، ومقتضى الشهادة للنبي -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة؛ طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع، فهو أصل عظيم يُبنى عليه الدين كله، وغرس مبدأ التسليم للنصوص الشرعية في النفوس صمام أمان ضد كثير من الانحرافات الفكرية المعاصرة والشبهات.
والإيمان بالملائكة يُربّي المسلم على هذا الأصل العظيم، فالإنسان لا يرى الملائكة بعينه، ومع ذلك يؤمن بوجودهم، ويوقن بقربهم، وأنهم حاضرون معه شاهدون على عمله، ويؤمن بكل ما جاءت به الشريعة عنهم، كل ذلك مبنيٌ على تسليمه بالنصوص الشرعية وانقياده لها. [(٢)]

---

(١) "تنبيه الغافلين" «ص: ١٨٨».

(٢) انظر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٨٦».

فيتعلَّمَ المسلمُ التَّسليمَ والإيمانَ بما أخبرَ به ربُّه سبحانَه، ونبيُّه محمدٌ –صلى الله عليه وسلم– ؛ وذلك أنه يؤمنُ بمخلوقاتٍ غيبيةٍ عنه، لم يَرَها قط، وهذا ابتلاءٌ من الله سبحانه لعبَادِهِ لينظُرَ من يُسلم ويؤمنُ، ومن يجحدُ ويكفرُ.

الخامس عشر: زيادة أعمال القلوب كالخوف والخشية، والرجاء والإنابة:

وصف الله–عز وجل–الملائكة بالخوف والخشية، وهذا الخوف هو خوف إجلال وتعظيم، وإن كانوا آمنين من عذاب الله، وهذا الخوف والإجلال منشؤه علمهم بالله وعظيم حقه عليهم [(١)]، قال سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: الآية: ٥٠]. وقال سبحانه: ﴿وَهُم مِنْ خَشْيَتِهِ، مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٨]. ومما يبين شدة خوفهم من الله–عز وجل–أنهم إذا سمعوا كلام الله ارتعدوا وخافوا وأصابتهم الرهبة يقول الله–عز وجل–: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: الآية: ٢٣] قال رسول–صلى الله عليه وسلم–: «**إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كالسلسلة على صفوان فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير**» ". [(٢)] وعن أبي ذر قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «**إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله**». [(٣)]

فإذا عرف المسلم أن هؤلاء الملائكة الكرام، مع عظيم خلقهم وقوتهم يخافون من الله هذا الخوف الكبير، ويخشونه هذه الخشية العظيمة، نما في قلبه الخوف والخشية من الله. كذلك يزيد في قلبه الرجاء والإنابة إذا علم أن هؤلاء الملائكة الكرام تستغفر للمؤمنين، كما قال الله–عز

(١) انظر: أهمية الإيمان بالملائكة وعلاماته النفسية والاجتماعية، لمحمود سعدات «ص: ١٩».

(٢) أخرجه البخاري، «٤٧٠١».

(٣) أخرجه الترمذي، في سننه برقم: «٢٣١٢». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة «٤/ ٣٠٠».

وجل-:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: الآية: ٧]، ويصلون عليهم كما أخبر سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٣].

وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: «**الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**»، [(١)] و"الصلاة من الملائكة، فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار". [(٢)] فإذا استقر هذا في قلب المسلم كان سببًا معينًا على زيادة هذه الأعمال القلبية العظيمة في النفوس. [(٣)]

السادس عشر: إجابة الدعاء:

من الآثار المباركة لركن الإيمان بالملائكة حصول إجابة الدعاء، فإذا أيقن المسلم بهذا الركن العظيم وتغلغل في قلوبهم؛ سمت نفسه إلى تلمّس دعوات الملائكة، فقد ثبت أن الملائكة تدعو للمؤمن إذا دعا لأخيه بظهر الغيب، فقد جاء عن أبي الدرداء أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «**ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك، بمثل**». [(٤)] فإذا أمّنت الملائكة على أدعية المؤمنين، كان الدعاء مجابًا بإذن الله، ومن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر الله له ذنبه، قال «**إذا أَمَّنَ الإمام فأمّنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له**

(١) أخرجه البخاري «٤٤٥».

(٢) تفسير ابن كثير «٦/ ٤٣٦». وانظر: تفسير الطبري «١٩/ ١٢٣».

(٣) انظر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٨٩-١٩٠».

(٤) أخرجه مسلم «٢٧٣٢».

ما تقدم من ذنبه».[(١)] [(٢)]

السابع عشر: معرفة حقيقة الدنيا وزوالها:

الدنيا دار فناء وزوال، والآخرة هي دار القرار، وهذا المبدأ مبدأ عظيم، جاء ذكره في القرآن كثيرًا، فإذا غُرس هذا المبدأ في المسلم أعانه على التوازن في حياته، وإعطاء كل ذي حق حقه من الاهتمام، فتكون الآخرة والعمل لها من القضايا المهمة في حياته، والإيمان بالملائكة خير معين على تحقيق هذا المبدأ، فالله –عز وجل– جعل ختام هذه الدنيا بالموت، وأوكل مهمة قبض الأرواح ونزعها إلى هؤلاء الملائكة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: الآية: ١١].

وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: الآية: ٦١].

وفي حديث البراء بن عازب –رضي الله عنه–، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: **«إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة؛ نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت تليسَلِهم حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان.. الحديث»**.[(٣)]

فإيمان المسلم بملك الموت، والملائكة التي تصعد بأرواح العباد، كل ذلك سيوضّح له حقيقة الدنيا وأنها زائلة، فيدعوه ذلك إلى أهمية اغتنام هذا العمر والعمل للآخرة.[(٤)]

---

(١) أخرجه البخاري «٧٨٠»، ومسلم «٤١٠».

(٢) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩١».

(٣) أخرجه أحمد «٥٧٣٩، وأبو داود «٤٧٥٣».

(٤) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩١-١٩٢».

فعلى الإنسان الانتباه إلى أن هذه الحياة الدنيا فانية لا تدوم، حين يتذكر ملك الموت المأمور بقبض الأرواح حين يتوفاها الله ، ومن ثَمَّ فلا تستحق هذه الحياة الدنيا أن يُشْغَل بها الإنسان عن الآخرة ، ويكفيه منها المتاع الطيب الحلال الذي أباحه الله

وعلى المؤمن أن يعمل حسابًا للآخرة حين يتذكر الإنسان ترحيب الملائكة بالمؤمنين في الجنة وتعذيبهم للكفار في النار، فيجب أن يكون ممن أنعم الله عليهم بجنته ورضوانه ووقاهم عذاب السموم.

الثامن عشر: إضعاف كيد الشيطان وسلطانه على النفس:

الشيطان هو العدو الأول للإنسان، قال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: الآية: ٦]، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ومن آثار إيمان المؤمنين بالملائكة واستشعارهم ملازمة الملك لهم؛ إضعاف كيد الشيطان عليهم ووسوسته، خاصة إذا أتى بالأذكار الشرعية التي توجب الحفظ، كقراءة آية الكرسي قبل النوم، كقصة أبي هريرة مع الشيطان وقول الشيطان له: «**إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تُصبح، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-«صدقك وهو كذوب»**.[(١)]

وقول: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات على بعد صلاة المغرب، فمن قالها «**بعث الله له مسلحة يحفظونه من الشيطان حتى يصبح**».[(٢)] كذلك المبيت على طهارة لقول النبي : «**من بات طاهرًا بات في شعاره ملك، فلم يستيقظ إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان، فإنه بات**

---

(١) انظر: أخرجه البخاري، « ٣٢٧٥».

(٢) أخرجه الترمذي، «٣٥٣٤»، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة «٢٥٦٣».

طاهرًا». [(١)]

فالإتيان بهذه الأذكار وغيرها سبب لملازمة الملائكة وحفظها للعبد، فإذا حفظته الملائكة وأحاطت به؛ بعُد عنه الشيطان وضعُف نفوذه عليه. [(٢)]

التاسع عشر: بعث الأمل والتفاؤل في النفوس:

من الآثار العظيمة التي يثمرها الإيمان بالملائكة بعث الأمل والتفاؤل في النفوس، "فالملائكة يبشرون المسلم في مواطن كثيرة، ويدخلون على نفسه السعادة والطمأنينة والسرور، وينصرونه ويؤيدونه، ويزيحون عنه أشباح اليأس من خلال إلهام الخير، وتزيين المعروف". [(٣)]

فالملائكة قد بشرت زكريا-عليه السلام-قال الله: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: الآية: ٣٩].

وبشرت مريم: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ] [آل عمران: الآية: ٤٥]. والملائكة تنصر المسلمين في ساحات القتال قال الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: الآية: ٩]، ويبشرونهم عند الموت كما قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: الآية: ٣٠].

فهذا كله إذا استقر في نفس المسلم كان سببًا لبعث الأمل والقوة والتفاؤل في نفسه، لعلمه

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه «١/ ٢٢٧»، برقم «١٨٩»، والطبراني في الكبير «١٢/ ٤٤٦» برقم «١٣٦٢٠»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة «٦/ ٨٩»، برقم «٢٥٣٩».

(٢) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٤-١٩٥».

(٣) الآثار التربوية للإيمان بالملائكة «ص: ٢١٢».

أن الله سخّر له هؤلاء الملائكة، يبشرونه وينصرونه ويؤيدونه. [(١)]

العشرون: الحث على السخاء والجود:

السخاء والجود من الخصال الجليلة التي ينبغي أن يُنشَّأَ عليها النشء المسلم، والإيمان بالملائكة وغرسه في نفوس النشء معين على التحقق بهذه الخصلة العظيمة، فقد «**كان النبي وله أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله وأجود بالخير من الريح المرسلة**». [(٢)]

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «**ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**». [(٣)] فهذان الحديثان فيهما أثر ملاقاة جبريل على النبي–صلى الله عليه وسلم–وكيف يكون حال النبي–صلى الله عليه وسلم–بعد هذه الملاقاة في السخاء والجود، وفيها دعاء الملائكة كل صباح للمنفقين ودعاءهم على الممسكين، فمن خلال هذه الأحاديث نستطيع أن نغرس خلق الجود في النشء من خلال حثهم على اغتنام دعوات الملائكة بالإنفاق، والحذر من الإمساك والتقتير الذي هو سبب جالب لدعاء الملائكة بالتلف للممسك. [(٤)]

الحادي والعشرون: زيادة الألفة والمحبة للمؤمنين:

من آثار الإيمان بالملائكة؛ زيادة الألفة والمحبة بين المؤمنين، فقد ثبتت أحاديث كثيرة فيها دعاء الملائكة لمن يزور مريضًا، أو أخًا له في الله، ولمن دعا لأخيه بظهر الغيب، فعن علي بن أبي طالب–رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–يقول: «**ما من مسلم**

---

(١) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٥-١٩٦».

(٢) أخرجه البخاري، «٣٥٥٤».

(٣) أخرجه البخاري، «١٤٤٢».

(٤) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٦-١٩٧».

يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة». [(١)]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله، ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلًا**». [(٢)]

كذلك الدعاء للمسلم بظهر الغيب، سبب لقول الملك: «**ولك بمثل**». [(٣)]

فإذا استشعر المسلم أن الملائكة تدعو له وتستغفر له إذا عاد مريضًا، أو زار أخًا له في الله، أو دعا لإخوانه بظهر الغيب، كان ذلك سببًا لقيامه بهذه الأعمال الجليلة، ولا يخفى أن هذه الأعمال من عيادة المرضى وزيارة الإخوان في الله والدعاء للمسلمين بظهر الغيب سبب من أسباب شيوع الألفة والمحبة بين المؤمنين. [(٤)]

الثاني والعشرون: إحياء خلق التواضع:

من ثمرات الإيمان بالملائكة خلق التواضع، فإذا آمن المسلم بالملائكة وتحقق به هذا الإيمان، ورأى أن هؤلاء الملائكة مع قوتهم وعظيم خلقهم خاضعون لله منيبون إليه، متذللون له غاية التذلل، كما قال الله: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: الآيتان: ١٩-٢٠] قاده ذلك إلى التخلق بهذا الخلق والاقتداء بهؤلاء الملائكة الكرام. [(٥)]

---

(١) أخرجه الترمذي، في سننه برقم «٩٦٩»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، «٣/ ٣٥٨»، برقم « ٣٤٧٥».

(٢) أخرجه الترمذي، في سننه برقم «٢٠٠٨»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، «٢/٦٨٩»، برقم «٢٥٧٧».

(٣) أخرجه مسلم « ٢٧٣٢».

(٤) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٧-١٩٨».

(٥) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٨-١٩٩».

الثالث والعشرون: الإتقان والنظام وحسن الترتيب:

الإتقان والنظام والترتيب سمات حسنة، له أثر كبير على من تحلّى بها، ومن المعينات على ذلك وجود القدوة، والملائكة خير من يُقتدى بهم في ذلك، وقد أمرنا النبي–صلى الله عليه وسلم–بالاقتداء بهم فقال: «**ألا تصفّون كما تصف الملائكة عند ربّها**»، فقال الصحابة: وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «**يُتمّون الصفوف الأُوَل، ويتراصُّون في الصف**».[(١)]

قال الشوكاني: "قوله–صلى الله عليه وسلم–: « **كما تصف الملائكة**» فيه الاقتداء بأفعال الملائكة في صلاتهم وتعبداتهم".[(٢)]

والنظام وحسن الترتيب والإتقان من الآثار التربوية في حياة المسلم التي ينبغي أن يتعلمها من الملائكة من خلال "فعل الملائكة في الاصطفاف وغيره من أفعالهم الأخرى، فكل أفعالهم مبنية على النظام والترتيب، فكل ملك من الملائكة له وظيفة ومهمة محددة يقوم بها لا يتعدّاها إلى غيرها، وهذا السلوك يقود المسلم إلى غرس حب النظام وكراهية الفوضى في النفس".[(٣)].
[(٤)]

وهذا يُرَبِّي في النفس النظام والطاعة، وترتيب الأمور، فالله القادر على كل شيء، قد نظم شئون الكون، ووكل ببعضها بعض ملائكته، فأطاعوه، وعملوا بأمره

الرابع والعشرون: اغتنام الوقت:

الوقت هو رأس مال الإنسان، "فوقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته

---

(١) أخرجه مسلم، «٤٣٠».

(٢) نيل الأوطار للشوكاني «٣/ ٢٢٥».

(٣) انظر: الآثار التربوية للإيمان بالملائكة «ص: ١٠٦».

(٤) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٩».

الأبدية في النعيم المقيم". [(١)] وإيمان المسلم بهذا الأمر أعظم معين له على اغتنام وقته وعمره، فالإيمان بملازمة الملائكة للإنسان ومراقبته لأفعاله وكتابتها لأفعاله من أكبر الدوافع على استغلال الوقت واغتنام أوقات العمر بما ينفع عند الله. فإذا علِم أن الملائكة تكتب وتسجل كل ما يصدر منه، وكل قول أو فعل أو عمل مكتوب له أو عليه، كان ذلك أعظم محفزٍ له على ملء هذا الوقت بالطاعات والعبادات، وحفظه من الضياع، لأن كل دقيقة محسوبة من عمره، والعمل فيها مكتوب ومحفوظ عليه. [(٢)]

الخامس والعشرون: حث المؤمن على الصبر:

حثُّ المؤمنِ على الصبر، ومواصلةِ الجهادِ في سبيل الله، وعدم اليأسِ، وذلك أنه يعلمُ أن الملائكة جنودُ الله معه وأنه ليس وحدَه.

السادس والعشرون: إظهار عظم النبوة والرسالة باختيار خيرة الملائكة ليكونوا وسطاء في تبليغها:

إظهارُ عِظَمِ النبوةِ والرسالةِ، ورِفْعةِ منزلةِ الشرائعِ الإلهيةِ وشرفِ العلومِ الربانيةِ الموحَاةِ إلى الأنبياءِ والمرسلين عليهم السلام، وذلك أنَّ الله سبحانه قد اختارَ من خِيرَةِ الملائكة وُسَطاء بينه وبين الرسل عليهم السلام، يبلِّغونهم شرائعَ ربِّهم وأوامرَه ونواهيه.

المسألة الخامسة: صفات الملائكة وقدراتهم:

- مادة خلقهم ووقته.

إنّ المادة التي خلقوا منها هي النور؛ ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها وعن

---

(١) الداء والدواء «ص: ٣٥٨».

(٢) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٩-٢٠٠».

أبيها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**».[(١)]

"ولم يبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي نور هذا الذي خلقوا منه، ولذلك فإننا لا نستطيع أن نخوض في هذا الأمر لمزيد من التحديد؛ لأنه غيب لم يرد فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث".[(٢)]

ولا ندري متى خُلقوا، فالله–سبحانه–لم يخبرنا بذلك، ولكننا نعلم أنّ خلقهم سابق على خلق آدم أبي البشر، فقد أخبرنا الله أنه أعلم ملائكته أنه جاعل في الأرض خليقة: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠]، والمراد بالخليفة آدم عليه السلام، وأمرهم بالسجود له حين خلقه: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [الحجر: ٢٩].[(٣)]

- عِظَم خلقهم.[(٤)]

قال الله تعالى في ملائكة النار: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظٌ شدادٌ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [التحريم: ٦].

ومن الأمثلة عظم خلقهم ما ورد في الأحاديث التي تتحدث عن ملكين كريمين هما:

١–عِظم خلق جبريل عليه السلام:

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها مرتين، هما المذكورتان في قوله تعالى: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾» [التكوير: ٢٣]، وفي قوله:

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٩٤. ورقمه: ٢٩٩٦.

(٢) عالم الملائكة الأبرار ص ٩.

(٣) عالم الملائكة الأبرار ص ١٠.

(٤) المصدر: عالم الملائكة الأبرار ص ١٠،١١

﴿ولقد رآه نزلةً أخرى-عند سدرة المنتهى-عندها جنة المأوى﴾» [النجم: ١٣-١٥]، عندما عرج به إلى السماوات العلا.

وقد ورد في صحيح مسلم: أن عائشة رضي الله عنها سألت الرسول صلى الله عليه وسلم عن هاتين الآيتين فقال صلى الله عليه وسلم: «**إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين.**

رأيته منهبطاً من السماء، سادّاً عِظَمُ خَلْقه ما بين السماء إلى الأرض».[١]

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿ثم دنا فتدلَّى﴾ [النجم: ٨]، فقالت: " إنما ذلك جبريل عليه السلام، كان يأتيه في صورة الرجال، وإنه أتاه في هذه المرة في صورته، التي هي صورته، فسدّ أفق السماء".[٢]

وورد في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود أنه قال: " رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل له ستمائة جناح".[٣]

وقال ابن مسعود أيضاً في قوله تعالى: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾» [النجم: ١٨] " أي رفرفاً أخضر قد سدّ الأفق"[٤] وهذا الرفرف الذي سدّ الأفق هو ما كان عليه جبريل، فقد ذكر ابن حجر أن النسائي والحاكم رويا من طريقهما عن ابن مسعود قال: " أبصر نبي الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض ".[٥]

وذكر ابن حجر أن ابن مسعود قال في رواية النسائي: " رأى محمد صلى الله عليه وسلم

(١) صحيح مسلم: ١/ ١٥٩. ورقم الحديث: ١٧٧.

(٢) صحيح مسلم: ١/ ١٦٠. ورقمه: ١٧٧.

(٣) صحيح البخاري: ٨/ ٦١٠. ورقمه: ٤٨٥٦، ٤٨٥٧.

(٤) صحيح البخاري: ٨/ ٦١١. ورقمه: ٤٨٥٨.

(٥) فتح الباري: ٨/ ٦١١.

جبريل له ستمائة جناح قد سدّ الأفق ".[١]

وفي مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: " رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سدّ الأفق. يسقط من جناحه التهاويل[٢] من الدرر واليواقيت ".

قال ابن كثير في هذا الحديث: " إسناده جيد".[٣]

وقال في وصف جبريل: ﴿إنه لقول رسولٍ كريمٍ-ذي قوةٍ عند ذي العرش مكينٍ-مُّطاعٍ ثم أمينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١]، والمراد بالرسول الكريم هنا: جبريل، وذي العرش: رب العزة سبحانه.

٢-عِظم خلقة حَمَلة العرش:

روى أبو داود عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما-أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أُذن لي أن أحدِّث عن ملك من ملائكة الله، من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**».[٤]

ورواه ابن أبي حاتم وقال: «**تخفق الطير**». قال محقق مشكاة المصابيح: "إسناده صحيح".[٥]

وروى الطبراني في معجمه الأوسط بإسناد صحيح عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش، رجلاه في الأرض السفلى، وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام، يقول ذلك**

---

(١) فتح الباري: ٨/ ٦١١.

(٢) التهاويل: الأشياء المختلفة الألوان.

(٣) البداية والنهاية: ١/ ٤٧.

(٤) صحيح سنن أبي داود: ٣/ ٨٩٥. ورقمه: ٩٣٥٣.

(٥) مشكاة المصابيح: ٣/ ١٢١. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم: ١٥١.

الملك: سبحانك حيث كنت».[١]

- **أهم الصفات الخَلقِية.**

يمكن تقسيم صفاتهم الخَلقِية إلى قسمين رئيسيين هما:

أولًا: صفاتهم الثبوتية:

كثرتهم:

يؤمن أهل الإسلام بأن الملائكة خلق كثير، لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد دلت النصوص على تلك الكثرة، ومنها:

- قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: الآية: ٣١].

▪ عن أبي ذر-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**إني أرى ما لا ترون، أطّتِ**[٢] **السماءُ وحُق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله تعالى**».[٣]

▪ وعن مالك بن صعصعة-رضي الله عنه-، في قصة الإسراء: قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «... **ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم**».[٤]

▪ وعن أنس بن مالك-رضي الله عنه-، في قصة الإسراء: قال-صلى الله عليه وسلم-: «**ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم-صلى الله عليه وسلم-مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا**

---

(١) صحيح الجامع الصغير. الطبعة الثالثة: ١/ ٢٠٨. ورقمه: ٨٥٣.

« (٢) » أطت: الأطيط: صوت الأقتاب، والمعنى: أن كثرة ما في السماء من الملائكة قد أثقلها حتى أطت" انظر: النهاية في غريب الحديث «ص: ٤٣».

(٣) أخرجه الترمذي، باب في قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا»، «٤/ ٥٥٦»، رقم: «٢٣١٢»، وصححه الألباني في السلسلة، رقم: «١٧٢٢».

(٤) رواه البخاري «٣٢٠٧» ومسلم «١٦٤» واللَّفظُ له.

هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه». (١)

■ وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-«**ليلة القدر ليلة السابعة، أو التاسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة أكثر من عدد الحصى»**. (٢)

■ وعن عائشة-رضي الله عنها-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «**ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم، فذلك قول الملائكة ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: الآيات: ١٦٤-١٦٦]**». (٣)

■ عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**يؤتى بجهنم يومئذ لا سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»**. (٤)

■ وعن سعيد بن المسيب-رحمه الله-أنه كان يقول: «**من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك، فإذا أذن وأقام الصلاة أو قام صلى وراءه من الملائكة أمثال الجبال»**. (٥)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وهم كثيرون كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: الآية: ٣١]". (٦)

---

(١) رواه مسلم «١٦٢» مطولًا.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه «٣/ ٣٣٢»، برقم: «٢١٩٤».

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة «١/ ٢٦٠»، وحسنه الألباني في الصحيحة «٣/٤٩».

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه «٧٣٤٣».

(٥) أخرجه مالك في الموطأ «١/ ٧٤» برقم: «١٦٠»، وعبد الرزاق في المصنف، «١/ ٥١٠» برقم: «١٩٥٤»، وجميع رجال الإسناد ثقات، والسند فيه إسقاط الصحابي، إلا أن عادة الإمام مالك إرسال الأحاديث وإسقاط رجل، وقال الشافعي وأحمد وغير واحد مراسيل ابن المسيب صحاح. انظر: إسعاف الموطأ «١/ ١٢».

(٦) رسالة الفرقان «١/ ٦٧».

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "قد أطت بهم السماوات، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم، أو راكع، أو ساجد، ويدخل البيت المعمور كل يوم منهم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخر ما عليهم". [١]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "ملء-عز وجل-سماواته من ملائكته". « [٢]

«

قال أبو العباس القرطبي-رحمه الله-«**ت: ٦٥٦ هـ**»: "البيت المعمور سمي بذلك؛ لكثرة عمارته بدخول الملائكة فيه وتعبدهم عنده". [٣]

وقال النووي-رحمه الله-«**ت: ٦٧٦ هـ**»: "وفي هذا أعظم دليل على كثرة الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم. والله أعلم". [٤]

ومن هذا يعلم أن النصوص دلت على كثرتهم ولم تحدد عددهم بالضبط فذلك مما استأثر الله بعلمه فلا يعلم عدتهم إلا الله وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: الآية: ٣١].

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وملائكة الله لا يحصي عددهم إلا الله ..."، وقال: "إن الذي في الكتاب والسنة من ذكر الملائكة وكثرتهم أمر لا يحصر". [٥]

روحانيون

الملائكة أرواح، لهم ما يناسبهم من الصفات؛ فقد سمى الله جبريل-عليه السلام-روحًا، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَبِّكَ﴾ [النحل: الآية: ١٠٢].

---

(١) إغاثة اللهفان «٢/ ٨٤٩».

« (٢) » طريق الهجرتين «ص: ٣٠٢».

(٣) يُنظر: المفهم «١/ ٣٨٩».

(٤) يُنظر: شرح مسلم «٢/ ٢٢٥».

(٥) مجموع الفتاوى «٤/ ١٩٩-١٢٠».

وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: الآية: ١٩٣].

وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: الآية: ١٧].

قال ابن بطة-رحمه الله-«**ت: ٣٨٧ هـ**»: "قد أخبرنا أن الملائكة صمد روحانيون، لا أجواف لهم". [١]

وقال ابن قتيبة-رحمه الله-«**ت: ٢٧٦ هـ**»: "والذي نذهب إليه فيه أن ملائكة الله تعالىٰ روحانيون، والروحاني منسوب إلىٰ الروح، نسبة الخلقة، فكأنهم أرواح لا جثث لهم، فتلحقها الأبصار، ولا عيون لها كعيوننا، ولا أبشار كأبشارنا.

ولسنا نعلم كيف هيأهم الله تعالى: لأنا لا نعرف من الأشياء إلا ما شاهدنا، وإلا ما رأينا له مثالًا، وكذلك الجن، والشياطين، والغيلان هي أرواح، ولا نعلم كيفيتها.

وإنما تنتهي في صفاتها إلى حيث ما وصف الله-جل وعز- لنا، ورسوله-صلى الله عليه وسلم-". [٢]

قال الحليمي-رحمه الله-«**ت: ٤٠٣ هـ**»: "ثم أن الملائكة يسمون روحانيين، بضم الراء، على معنى أنهم أرواح لا شيء معها من ماء أو نار أو تراب.

وقال بعض الناس: إن الملائكة روحانية بفتح الراء، بمعنى أنهم ليسوا محصورين في الأبنية والطلل، ولكنهم في فسحة وبساطة، وقد قيل: إن ملائكة الرحمة هم الروحانيين-بفتح الراء-، وملائكة العذاب هم الكريبيون فهذا من الكرب، وذاك من الروح والله أعلم". [٣]

وقال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "ومن تمام ظهور آيات الرب تعالى وكمال اقتداره وحكمته أن يخلق مثل جبريل-صلوات الله وسلامه عليه-الذي هو أطيب الأرواح

---

(١) الإبانة لابن بطة «٦/ ٣٠٣».

(٢) تأويل مختلف الحديث «ص: ٤٠١».

(٣) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، «١/ ٣٠٨».

العلوية، وأزكاها، وأطهرها، وأشرفها، وهو السفير في كل خير". [١]

وقال ابن حجر-رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**»: "وقد وقع الاتفاق علىٰ أن الملائكة مخلوقون، وهم أرواح". [٢]

فإن قيل: ألم يسم الله عيسىٰ روحًا، مع أنه جسد.

والجواب: أن الله لم يسم عيسىٰ روحًا، وإنما قال سبحانه «**وروح منه**»؛ أي: نفخت فيه الروح بإذن الله.

فالجسد مغاير للروح.

والملائكة أعيان قائمة بأنفسها متميزة، وليسوا أعراضًا، ولا يلزم من ذلك أن يكونوا أجسادًا، بل هم أرواح كما تقدم، ولا نعلم حقيقة كنههم.

ومما يدل علىٰ أنهم أعيان: «**أن النبي-صلى الله عليه وسلم-رأىٰ جبريل في صورته له ستمائة جناح**». [٣]

وهاهنا أمر، وهو: أن من الناس من أراد أن يجعل العقول والنفوس التي عند الفلاسفة هي الملائكة التي عند الأنبياء، وقالوا: إن في السماء أرواحًا، ويقصدون بذلك العقول العشرة التي يثبتها الفلاسفة، وهي عندهم أرواح مجردة عن المادة.

فما يثبتونه ليست هي الملائكة، فالملائكة الذين ذكروا في القرآن ليست حقيقتهم كما يتصوره هؤلاء". [٤]. [٥]

وعن اللطافة في الخلقة: قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» خلال كلامه عن سؤال الملكين للميت في القبر، وتوسعة القبر له، أو تضييقه عليه: "من أعظم الجهل استبعاد

---

(١) شفاء العليل «ص: ٢٢٤».

(٢) فتح الباري «١٣/ ٤٤٤».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه «١/ ١٥٨» «ح: ١٧٤».

(٤) مجموع الفتاوى «٤/ ١١٩».

(٥) المصدر: بحث بعنوان "حقيقة الملائكة" لأحمد بن محمد النجار، «ص: ١٤-١٧».

شَقَّ الْمَلَكِ الأرضَ , والحَجَرَ، وقد جعلهما الله–سبحانه – له كالهواء للطير". «[(١)]»

ناطقون:

فقد دلت النصوص علىٰ أن الملائكة عَلَيْهِم السَّلامُ يتكلمون وكلامهم يسمع، وصفة الكلام ملازمة لهم حتى في حال تمثلهم بصورة بني آدم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةٌ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٣٠]. فمن صفات الملائكة الجسدية الكلام وهي صفة كمال ولا شك فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به ووصفهم عَلَيْهِم السَّلَامُ بذلك". [(٢)]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "إن الملائكة التي أخبرت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله تعالى". [(٣)]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "أجاب الملائكة لما قال لهم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةٌ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٣٠].

ولو كان فعله مجردًا عن الحكم والغايات والمصـــالح لكان الملائكة أعلم به أن ســـألوا هذا السـؤال، ولم يصــح جوابهم بتفرده بعلم مالا يعلمونه من الحكم والمصـلحة التي في خلق هذه الخليفة.

ولهذا كان سؤالهم إنما وقع عن وجه الحكمة، لم يكن اعتراضا على الرب–تعالى–.

ولو قدر أنه على وجه الاعتراض فهو دليل على علمهم أنه لا يفعل شيئًا إلا لحكمة , فلما

«(١)» الروح ص « ٩٨ » .

(٢) معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، محمد بن عبد الوهاب العقيل، «ص: ٧٥».

(٣) رسالة الفرقان «١/ ٦٧».

رأوا أن خلق هذا الخليقة مناف للحكمة في الظاهر سألوه عن ذلك". [١]

جمال الملائكة:

يذكر ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» أن عموم الملائكة موصوفون بالجمال، والحسن، والبهاء، وهذا في قوله : "أما دلالة : ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات : ٤]، وهم: الملائكة، فلأن ما يشاهد من تدبير العالم العلوي والسفلي، وما لا يشاهد؛ إنما هو على أيدي الملائكة ...

هذا مع ما في خلق الملائكة من البهاء، والحسن، وما فيهم من القوة، والشدة، ولطافة الجسم، وحسن الخلقة، وكمال الانقياد لأمره، والقيام في خدمته، وتنفيذ أوامره، في أقطار العالم". [٢]

فقد خلقهم الله على صور جميلة كريمة قال تعالى في جبريل: ﴿علَّمه شديد القوى * ذو مرةٍ فاستوى﴾ [النجم: الآيتان: ٥-٦].

وقال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "قال تعالى في وصفه : ﴿علَّمه شديد القوى * ذو مرةٍ فاستوى﴾ [النجم: الآيتان: ٥-٦].

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**»: ذو منظر حسن .

وقال قتادة-رحمه الله-«**ت: ١١٧ هـ**»: ذو خلق حسن .

وقال ابن جرير-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**»: عنى بالمِرَّة: صحة الجسم، وسلامته؛ من: الآفات، والعاهات، والجسم إذا كان كذلك من الإنسان كان قويًا". [٣]

« [١] » شفاء العليل «ص: ٣٤٠-٣٤٢».

« [٢] » التبيان في أقسام القرآن «ص: ١٦٦-١٦٧» .

« [٣] » انظر كل هذه الأقوال في الآية في: تفسير ابن جرير الطبري «١١/ ٥٠٤ »، وتفسير البغوي ص «١٢٤٢».

والمِرَّة: واحدة: المرر، وإنما أريد به: ذو مرة سوية«[١]» .

ومنه قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: «**لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوي**».
[٢]
.

وقيل: ذو مرة: ذو قوة. ولا منافاة بين القولين، فهو قوي وحسن المنظر.

والمرة: القوة والشدة في الخلق، وقيل ذو صحة جسم وسلامة من الآفات، وقيل: حسن الخلق وهو جبريل عليه السلام. [٣]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: عن جمال جبريل-عليه السلام-خاصة: " قال تعالى : ﴿علَّمه شديد القوى * ذو مرةٍ فاستوى﴾ [النجم: الآيتان: ٥-٦].

وهو: جبريل-عليه الصلاة والسلام-، والمرة : المنظر البهي الجميل، فأعطاه كمال القوة في باطنه، وجمال المنظر في ظاهره". «[٤]»

وقد تقرر عند الناس وصف الملائكة بالجمال، كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقبح، ولذلك تراهم يشبهون الجميل من البشر بالملك، انظر إلى ما قالته النسوة في يوسف الصديق عندما رأينه: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: الآية: ٣١].

وذكرت السنة أجمل شباب العرب الصحابي الجليل دحية-رضي الله عنه-، وكان أجمل

«[١]» انظر : المفردات في غريب القرآن ص « ٤٦٨ » , والنهاية في غريب الحديث ص « ٨٥٠ » , ولسان العرب « ١٣ / ٧١ » .

«[٢]» رواه أحمد في المسند «١١/ ٨٤ »، رقم: «٦٥٣٠»، وقال محققوا المسند: "إسناده قوي"، وابن ماجة، «١٨٤٠»، وأبو داود، «١٦٣٤»، والحاكم في مستدركه «١/ ٥٦٥»، وقال : "على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، وصححه الألباني في الإرواء رقم: «٨٧٠».

[٣] أصول الإيمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب «ص: ٩١»، وفتح القدير للشوكاني «٥/ ١٤٩».

[٤] الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة «٤/ ١٣٧٧».

الصحابة الموجودين بالمدينة. [(١)]

وكان جبريل عليه السلام يأتي بصورة دحية الكلبي -رضي الله عنه-، وهو من المشهورين بالجمال.

- عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: "أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام أَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- لِأُمِّ سَلَمَةَ: مَنْ هَذَا؟ أَوْ كَمَا قَالَ: قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أيم اللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُخْبِرُ جبْريلَ أَوْ كَمَا قَالَ". [(٢)]
- عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قَالَ: رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ سَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ ". [(٣)]

والمراد بالرفرف أنه حلة ويؤيده قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: الآية: ٧٦]، وأصل الرفرف ما كان من الديباج رقيقاً حسن الصنعة، ثم اشتهر استعماله في الستر ، وكل ما فضل من شيء فعطف وثني فهو رفرف، ويقال رفرف الطائر بجناحيه إذا بسطهما. [(٤)] [(٥)].

هل بين الملائكة والبشر شبه في الشكل والصورة.

روى مسلم في صحيحه، والترمذي في سننه عن جابر -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: «**عُرِض عليَّ الأنبياء، فإذا موسى ضرب من الرجال**[(٦)]**، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى ابن مريم، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود،**

---

(١) سير أعلام النبلاء «٢/ ٥٥٤»، والإصابة لابن حجر «٢/ ٣٨٥».

(٢) أخرجه البخاري «٣٤٣٥»، ومسلم «٦٤٦٩».

(٣) أخرجه البخاري «٤٨٥٨»، ومسلم «٤٥٢».

(٤) فتح الباري لابن رجب «٨/ ٦١١»، وعمدة القاري للعيني «١٩/ ٢٠٠».

(٥) المصدر: علم الملائكة في ضوء السنة النبوية للباحث نبيل محمد أبو العمرين «ص: ١٦».

(٦) الضرب من الرجال: هو الرجل المتوسط في كثرة اللحم وقلته. وقيل: الخفيف اللحم.

ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه، فإذا أقرب من رأيت به شبهًا صاحبُكم، «يعني نفسه» ورأيت جبريل عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبهًا «**دحية**»(١) وفي رواية: «**دحية بن خليفة**» "(٢)

فهل هذا الشبه كائن بين صورة جبريل الحقيقية وصورة دحية الكلبي، أم هو بين الصورة التي يكون بها جبريل عندما يتمثل في صورة بشر؟! الأرجح هذا الأخير؛ لأن جبريل كان يتمثل في صورة دحية كثيراً. (٣)

وتشكل الملائكة على صورة أحدٍ من البشر ثبت في القرآن وصحيح السنَّة، وهذا الشبه بين صورة جبريل وصورة دحية الكلبي إنما هو في الصورة التي يكون بها جبريل عندما يتمثل في صورة دحية؛ لأن أصل خلقة الملائكة تختلف عن أصل خلقة الآدميين، والملائكة في أصل خلقتهم ليس بينهم وبين البشر شبه، فهم لا يشبهون بني آدم قط، وإنما يشبهونهم إذا تمثلوا في صورة آدميين.

فجبريل عليه السلام لا تتغير صورته ولا تتبدل ولكن يمثل في أعين يومئذ من رآه على شكل دحية الكلبي.

وهنا يفصل المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**» وهو بصدد الرد على بشر المريسي:

«أن رؤيتهم تلك أنَّهم يعلمون يومئذ أن لهم ربا لا يعتريهم في ذلك شك كأنهم في دعواك أيها المريسي لم يعلموا في الدنيا أنَّه ربهم حتى يستيقنوا به في الآخرة فهذا التفسير إلى

(١) ودحية الكلبي: هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي القضاعي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسوله بكتابه إلى عظيم بُصرى ليُوصله إلى هرقل. أسلم دحية قبل بدر، ولم يشهدها، وكان يتشبّه به جبريل عليه السلام، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على صورته، وكان من أجمل الناس وجهاً. شهد اليرموك، وسكن المزة من قرى دمشق، وبقي إلى زمن معاوية. انظر سير أعلام النبلاء ٢٥٥٠. والإصابة لابن حجر ١٤٦٣.

(٢) صحيح مسلم: ١/ ١٥٣. ورقمه: ١٦٧.

(٣) عالم الملائكة الأبرار ص ١٣.

الشك أقرب مما ادعيت في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشك والشرك لا بل هو الكفر لأن الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم يعلمون يومئذ أن الله ربهم ألا ترى أنه يقول: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: الآية: ١٢] فالشك في الله هذا الذي تأولته أنت في الرؤية لا ما قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، ويلك إن الله لا تتغير صورته ولا تتبدل ولكن يمثل في أعينهم يومئذ أولم تقرأ كتاب الله ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: الآية: ٤٤] وهو الفعال لما يشاء كما مثل جبريل عليه السلام مع عظم صورته وجلالة خلقه في عين رسول الله–صلى الله عليه وسلم–في صورة دحية الكلبي، وكما مثله لمريم بشرًا". [(١)]

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ» عن قول النبي–صلى الله عليه وسلم–: **«ورأيت جبريل عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً «دحية».»**، وفي رواية: **«دحية بن خليفة»** [(٢)].

فهل هذا الشبه كائن بين صورة جبريل الحقيقية وصورة دحية الكلبي، أم لا؟

قال–رحمه الله تعالى–: "فلا نعتقد أن ما تخيله الإنسان في منامه أو يقظته من الصور أن الله في نفسه مثل ذلك، فإنه ليس هو في نفسه مثل ذلك، بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان ويتخيلها على حقيقتها بل هي على خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته وإن كان ما رآه مناسبا مشابها لها، فالله تعالى أجل وأعظم". [(٣)]

قال ابن القيم–رحمه الله–**«ت: ٧٥١ هـ»**: "ذكر ابن أبي داود في تفسيره عن وهب بن منبه، قال: إن الملائكة حين دخلوا على لوط ظن أنهم أضياف ضافوه، فاحتفل لهم، وحرص

(١) انظر بيان تلبيس الجهمية «٧/ ١٣٨».

(٢) صحيح مسلم: ١/ ١٥٣.

(٣) "بيان تلبيس الجهمية" «١/ ٣٢٥» [ط. مجمع الملك فهد».

على كرامتهم، وخالفته امرأته إلى فساق قومه، فأخبرتهم أنه ضاف لوطا أحسن الناس وجهًا، وأنضرهم جمالًا، وأطيبهم ريحًا، فكانت هذه خيانتها التي ذكر الله-عز وجل-في كتابه". (١)

القوة، والشدة:

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» في عموم الملائكة : "أما دلالة : ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات : ٤]، وهم: الملائكة، فلأن ما يشاهد من تدبير العالم العلوي والسفلي، وما لا يشاهد؛ إنما هو على أيدي الملائكة ...

هذا مع ما في خلق الملائكة من البهاء , والحسن، وما فيهم من القوة، والشدة، ولطافة الجسم، وحسن الخلقة، وكمال الانقياد لأمره، والقيام في خدمته، وتنفيذ أوامره، في أقطار العالم". «(٢)»

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» في قوة جبريل-عليه السلام-خاصة: "قال تعالى: ﴿علَّمه شديد القوى * ذو مرةٍ فاستوى﴾ [النجم: الآيتان: ٥-٦].

وهو جبريل-عليه الصلاة والسلام-، والمرة : المنظر البهي الجميل، فأعطاه كمال القوة في باطنه، وجمال المنظر في ظاهره". (٣)

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "قد أثنى الله-سبحانه-على عبده جبريل في القرآن أحسن الثناء، ووصفه بأجمل الصفات، فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: الآيات: ١٩-٢١]، فهذا: جبريل، فوصفه بأنه رسوله، وأنه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه-سبحانه-، وأنه مطاع في

---

(١) روى نحوه ابن جرير في تفسيره «٧/ ٨٩»، وقال السيوطي في الدر المنثور «٨/ ٩٣»: "أخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن وهب بن منبه"، ثم ذكر نحوه.

« (٢) » التبيان في أقسام القرآن «ص: ١٦٦-١٦٧».

« (٣) » الصواعق المرسلة «٤/ ١٣٧٧».

السموات، وأنه أمين على الوحي ...

ومن قوته: أنه رفع مدائن قوم لوط على جناحه، ثم قلبها عليهم، فهو قوي على تنفيذ ما يؤمر به، غير عاجز عنه، إذ تطيعه أملاك السموات فيما يأمرهم به عن الله–تعالى–". [(١)]

لها أجنحة

للملائكة أجنحة كما أخبرنا الله تعالى، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، أو أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك:قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: الآية: ١].

والمعنى أن الله جعلهم أصحاب أجنحة، بعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة أو أربعة، أو أكثر من ذلك.

قال الطبري–رحمه الله–«**ت: ٣١٠ هـ**»: "أصحاب أجنحة يعني ملائكة، فمنهم من له اثنان من الأجنحة، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة–رحمه الله–«**ت: ١١٧ هـ**» ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ قال: بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثة وبعضهم أربعة". [(٢)]

- وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «**إذا قضى الله أمرًا في السماء، ضربت الملائكة أجنحتها خضعانًا لقوله**». [(٣)]
- عن عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–، أنه قال: "رأى محمد صلى الله عليه وسلم

« (١) » إغاثة اللهفان «٢/ ٥٤٨»، وانظر : مفتاح دار السعادة «١/ ٤١٥».

« (٢) » تفسير الطبري، تفسير سورة فاطر: الآية: ١».

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه «١/ ٦٩»، برقم: «١٩»، وصححه الألباني.

جبريل له ستمائة جناح". (١)

■ وعن أبي الدرداء-رضي اله عنه-، قال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يقول: «**من سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**». (٢)

■ جَابِرَ بنَ عبدِ اللَّهِ-رَضِيَ اللهُ عنهمَا-، قالَ: لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عن وجْهِهِ أَبْكِي، ويَنْهَوْنِي عنْه، والنبيُّ-صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ-لا يَنْهانِي، فَجَعَلَتْ عَمَّتي فاطِمَةُ تَبْكِي، فَقالَ النبيُّ-صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ-: «**تَبْكِينَ أَوْ لا تَبْكِينَ ما زَالَتِ المَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بأَجْنِحَتِهَا حتَّى رَفَعْتُمُوهُ**». (٣)

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "الملائكة الصافات أجنحتها في الهواء". (٤)

قال ابن حجر-رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**»: "قال العلماء في أجنحة الملائكة أنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة فقد ثبت أن لجبريل ستمائة جناح". (٥)

وذكر المناوي-رحمه الله-«**ت: ١٠٣١ هـ**»: "عن السهيلي-رحمه الله-«**ت: ٥٨١ هـ**» أنها صفات ملكية لا تدرك بالعين، فإنه تعالى أخبر بأنها مثنى وثلاث ورباع، ولم ير لطائر ثلاثة

---

(١) صحيح البخاري: «٨/ ٦١٠»، برقم: «٤٨٥٦، ٤٨٥٧».

(٢) أخرجه أبو داود «٣٦٤١»، والترمذي «٢٦٨٢»، وابن ماجه «٢٢٣»، وأحمد «٢١٧١٥» باختلاف يسير، وصححه الألباني في صحيح أبي داود «٣٦٤١».

(٣) أخرجه البخاري «١٢٤٤» واللفظ له، ومسلم «٢٤٧١».

(٤) « التبيان في أقسام القرآن «ص: ٢٥٢».

(٥) فيض القدير «٤/ ٨».

أو أربعة أجنحة، فكيف بستمائة فدل على أنها صفات لا تضبط بالفكر، ولا ورد ببيانها خبر فيجب الإيمان بها إجمالا". [(١)]

الملائكة لها أيدي

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: الآية: ٩] :

"فيها ... بسط الملائكة أيديهم لتناولها؛ [(٢)] أي: تناول الملائكة للنفس بأيديها، فوصف الملائكة بأن لها أيدي.

- أهم الصفات الخُلُقية:

ذكر عبد الجليل القصري-رحمه الله-«**ت: ٦٠٨ هـ**» أوصافهم، وقال: "واعلم أن أوصافهم ستة أوصاف، هي جامعة كل فضيلة:

١ . العلم الكامل

٢ . العفة الكاملة عن الشهوات.

٣ . الاجتناب للمعصية.

٤ . الطاعة الكاملة والامتثال الكامل في كل ما أمر به المعبود-جل جلاله-.

٥ . الذكر الدائم المتصل الذي لا يدخله فتور ولا غفلة، ولا يقطعه سهو ولا نوم.

---

(١) أخرجه البخاري «١٢٤٤» واللفظ له، ومسلم «٢٤٧١».

« (٢) » الروح ص « ٢٢٩ ».

٦ ـ الأخلاق الحسنة الكاملة". [(١)] . [(٢)]

أولاً: أن لهم عقول:

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "قوى الإنسان ثلاث:

١–قوة العقل٢–وقوة الغضب ٣–وقوة الشهوة.

فأعلاها القوة العقلية التي يختص بها الإنسان دون سائر الدواب وتشركه فيها الملائكة كما قال أبو بكر عبد العزيز من أصحابنا وغيره: خلق للملائكة عقول بلا شهوة، وخلق للبهائم شهوة بلا عقل، وخلق للإنسان عقل وشهوة.

فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه.

ثم القوة الغضبية: التي فيها دفع المضرة.

ثم القوة الشهوية: التي فيها جلب المنفعة". [(٣)]

قال ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: "قال بعض السلف:

١–خلق الله الملائكة عقولا بلا شهوة.

٢–وخلق البهائم شهوة بلا عقول.

٣–وخلق ابن آدم، وركب فيه العقل والشهوة.

فمن غلب عقله شهوته: التحق بالملائكة.

ومن غلبت شهوته عقله: التحق بالبهائم". [(٤)]

قال ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: "إن الله–سبحانه–خلق خلقه أطوارا:

فخلق الملائكة عقولًا، لا شهوات لها، ولا طبيعة، تتقاضى منها خلاف ما يراد، من مادة

---

(١) شعب الإيمان للقصري «ص: ٣٣٩».

(٢) المصدر: حقيقة الملائكة «ص: ٦٦-٦٩.

(٣) مجموع الفتاوى «١٥/ ٤٢٨-٤٢٩».

(٤) مدارج السالكين «٢/ ٣٣٤».

نورية لا تقتضي شيئا من الآثار والطبائع المذمومة .

وخلق الحيوانات ذوات شهوات لا عقول لها.

وخلق الثقلين الجن والإنس، وركب فيهم العقول والشـــــهوات، والطبائع المختلفة لآثار مختلفة، بحسب موادها، وصورها، وتركيبها.

وهؤلاء هم أهل الامتحان، والابتلاء، وهم المعرضون للثواب، والعقاب". «[١]» .

قال ابن أبي العز الحنفي–رحمه الله–«**ت: ٧٩٢ هـ**»: "إن الملائكة لهم عقول وليست لهم شهوات . والأنبياء من البشر لهم عقول وشهوات". [٢]

قال الرازي–رحمه الله–«**ت: ٦٠٦ هـ**»: "إن الله تعالى خلق الملائكة عقولًا بلا شهوة ، وخلق البهائم شهوات بلا عقل، وخلق الآدمى وجمع فيه بين الأمرين . الخ". [٣]

وقال الآلوسى–رحمه الله–«**ت: ١٢٧٠ هـ**»: "إن الملائكة–عليهم السلام–لهم صفات سلبية وصفات إضافية . أما الأولى فهى أنهم مبرأون عن الشهوة والغضب والأخلاق الذميمة، وهم جواهر روحانية . وأما صفاتهم الاضافية فهي قوتهم العاقلة وبيان حالهم في معرفة الله تعالى ومعرفة ملك الله تعالى وملكوته سبحانه، فهم النازعات والناشطات والمدبرات أمرأ. والتدبير لا يتم إلا بعد العلم والقوة العاقلة والقوة العاملة الخ". [٤]

وقال محمد رشيد رضا–رحمه الله–«**ت: ١٣٥٤ هـ**»: "أما الملائكة فيقول السلف فيهم إنهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وببعض أعمالهم ، فيجب علينا الإيمان بهم . ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم فشفوض علمها الى الله تمالى.. والصواب الاكتفاء بالايمان بعالم

«[١]» طريق الهجرتين «ص: ١١٦».

[٢] شرح العقيدة الطحاوية «١/ ٢٣٦».

[٣] التفسير الكبير للرازي «١/ ٢٩٥».

[٤] تفسير روح المعاني «٣٠/ ٢٤».

الغيب من غير بحث عن حقيقته . وقد اتفقوا – أي السلف والخلف – على أنهم يدركون ويعلمون . والملائكة أعلم منا بشأن الله تعالى في أفعاله. وأنه العليم الحكيم، الخ". [(١)]

وقال محمد رشيد رضا–رحمه الله–«**ت: ١٣٥٤ هـ**»: "«**وأحياناً يتمثل لى الملك رجلًا فيكلمنى**» الخ ، أى يظهر بصفة رجل ومثاله، وذلك أن الملك روح عاقل مريد له قوة التصرف في المادة الخ". [(٢)]

ثانيًا: العلم.

والملائكة عندهم علم وفير علّمهم الله إيّاه، ولكن ليس عندهم القدرة التي أعطيت للإنسان في التعرف على الأشياء: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: الآيتان: ٣١–٣٢].

وعلم الملائكة يكون بالتلقي المباشر عن الله سبحانه وتعالى، والذي علمهم الله إياه أكثر مما يعرفه الإنسان، ومن العلم الذي أعطوه علم الكتابة: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: الآيات: ١٠–١٢]. [(٣)]

قال فخر الدين الرازي–رحمه الله–«**ت: ٦٠٦ هـ**» عند تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]:. "التوحيد أمر

١–شهد الله بصحته،

٢–وشهد به الملائكة

---

(١) تفسير المنار «١/ ٢٥٤».

(٢) كتاب الوحى المحمدى «ص: ٨٠».

(٣) انظر عالم الملائكة الأبرار لعمر سليمان الأشقر «١/ ٢٢».

٣-وأولوا العلم". [١]

وقال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي «**ت: ١٣٧٦ هـ**»-رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]

"هذه أجل الشهادات على الإطلاق؛ فإنها صدرت من

١-الملك العظيم،

٢-ومن ملائكته،

٣-وأنبيائه وأهل العلم، على أجل مشهود عليه؛ وهو توحيد الله وقيامه بالقسط". [٢]

قال ابن الجوزي-رحمه الله-«**ت: ٥٩٧ هـ**»: "ولا خصيصة أشرف من العلم، بزيادته صار آدم مسجودا له، وبنقصانه صارت الملائكة ساجدة، فأقرب الخلق من الله العلماء". [٣]

أما مسألة هل يعلمون الغيب

فالغيب على قسمين:

القسم الأول: الغيب المطلق.

وهو المقصود بقوله-عز وجل-: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: الآية: ٦٥]، والاستثناء هنا متصل لا منقطع، فهذا الغيب لا يعلمه إلا الله-عز وجل-

.

القسم الثاني: الغيب المقيد.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "والغيب المقيد: ما علمه بعض المخلوقات من الملائكة أو الجن أو الإنس وشهدوه، فإنما هو غيب عمن غاب عنه ليس هو غيبًا عمن

(١) تفسير الرازي مفاتيح الغيب «سورة آل عمران: الآية: ١٩».

(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن لابن سعدي «١/ ١٩».

(٣) صيد الخاطر «ص: ١٧٢».

شهده.

والناس كلهم قد يغيب عن هذا ما يشهده هذا، فيكون غيبًا مقيدًا، أي: غيبًا عمن غاب عنه من المخلوقين، لا عمن شهده ليس غيبًا مطلقًا غاب عن المخلوقين قاطبة". [١]

ومن ذلك الغيب المقيد اطلاع الملك على ما في قلب العبد، ويستدل على ذلك بما يلي:

- فعن ابن عباس–رضي الله عنهما–، عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها، كتبها الله له عنده عشر حسنات، إلى سبع مائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها، كتبها الله له سيئة واحدة**». [٢]
- عن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «**قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به، فقال: أرقبوه، فإن عملها فاكتبوها**». [٣]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**» جوابا على سؤال: "عن قوله صلى الله عليه وسلم «**إذا هم العبد بالحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة**». الحديث، فإذا كان الهم سرًا بين العبد وبين ربه فكيف تطلع الملائكة عليه؟ "

فقال: "قد روي عن سفيان بن عيينة في جواب هذه المسألة قال : "إنه إذا هم بحسنة شم الملك رائحة طيبة وإذا هم بسيئة شم رائحة خبيثة".

والتحقيق: أن الله قادر أن يعلم الملائكة بما في نفس العبد كيف شاء، كما هو قادر على أن يطلع بعض البشر على ما في الإنسان.

---

(١) مجموع الفتاوى «١٦/ ١١٠».

(٢) أخرجه البخاري «٦٤٩١»، ومسلم «١٣١».

(٣) أخرجه مسلم «١٢٩».

فإذا كان بعض البشر قد يجعل الله له من الكشف ما يعلم به أحيانا ما في قلب الإنسان : فالملك الموكل بالعبد أولى بأن يعرفه الله ذلك .

وقد قيل في قوله تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: الآية: ١٦]، أن المراد به الملائكة: والله قد جعل الملائكة تلقي في نفس العبد الخواطر، كما قال عبد الله ابن مسعود: "إن للملك لمة فلمة الملك تصديق بالحق ووعد بالخير، ولمة الشيطان تكذيب بالحق وإبعاد بالشر.

وقد ثبت عنه في الصحيح: أنه قال: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن قالوا: وإياك يا رسول الله ؟ قال: وأنا، إلا أن الله قد أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير**».

فالسيئة التي يهم بها العبد إذا كانت من إلقاء الشيطان علم بها الشيطان، والحسنة التي يهم بها العبد إذا كانت من إلقاء الملك علم بها الملك أيضا بطريق الأولى، وإذا علم بها هذا الملك أمكن علم الملائكة الحفظة لأعمال بني آدم". (١)

وقال–رحمه الله–أيضا : "وهم وإن شموا رائحة طيبة ورائحة خبيثة ، فعلمهم لا يفتقر إلى ذلك ، بل ما فى قلب ابن آدم يعلمونه ، بل ويبصرونه ويسمعون وسوسة نفسه ، بل الشيطان يلتقم قلبه ؛ فاذا ذكر الله خنس ، وإذا غفل قلبه عن ذكره وسوس ، ويعلم هل ذكر الله أم غفل عن ذكره ، ويعلم ما تهواه نفسه من شهوات الغى فيزينها له !! وقد ثبت فى الصحيح عن النبي فى حديث ذكر صفية رضى الله عنها «**إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم**»، (٢) وقرب الملائكة والشيطان من قلب ابن آدم مما تواترت به الآثار ، سواء كان العبد مؤمنا أو كافرا". (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى «٤/ ٢٥٣».

(٢) أخرجه أحمد «١٤٣٢٤»، والترمذي «١١٧٢»، والدارمي «٢٨٢٤».

(٣) مجموع الفتاوى «٥/ ٥٠٨».

وقال ابن أبي العز-رحمه الله-«**ت: ٧٩٢ هـ**»: " ... ثم قد ثبت بالنصوص المذكورة أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية؛ لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم ﴿يعلمون ما تفعلون﴾". [(١)]

وقال السفاريني-رحمه الله-«**ت: ١١٨٨ هـ**»: "وظاهر النص: أنهما يكتبان أفعال العباد من خير، أو شر، أو غيرهما، قولا كان أو عملا أو اعتقادا، هما كانت أو عزما أو تقريرا، فلا يهملان من أفعال العباد شيئا في كل حال وعلى كل حال". [(٢)]

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**»: "وفيه دليل على أن الملك يطَّلع على ما في قلب الآدمي؛ إما بإطلاع الله إياه، أو بأن يخلق له علما يدرك به ذلك.

ويؤيد الأول: ما أخرجه بن أبي الدنيا عن أبي عمران الجوني، قال: ينادى الملك اكتب لفلان كذا وكذا، فيقول يا رب : إنه لم يعمله ، فيقول: إنه نواه.

وقيل: بل يجد الملك للهم بالسيئة رائحة خبيثة، وبالحسنة رائحة طيبة وأخرج ذلك الطبري عن أبي معشر المدني، وجاء مثله عن سفيان بن عيينة". [(٣)]

ثالثًا: أنهم معصومون:

طبيعة الملائكة الطاعة التامة لله، والخضوع لجبروته، والقيام باوامره، وهم يتصرفون في شئون العالم بإرادة الله ومشيئته، وهو سبحانه يدبر بهم ملكه وهم لا يقدرون على شيء من تلقاء أنفسهم:

- قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: الآية: ٥٠]
- وقال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآيتان: ٢٦-٢٧]

---

(١) شرح الطحاوية «٢/ ٥٦١».

(٢) لوامع الأنوار البهية «١/ ٤٥٠».

(٣) فتح الباري «١١/ ٣٢٥».

- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٦].

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "فلفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره قال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: الآيتان: ٢٧–٢٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: الآية: ٥٠]، ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٦]، لا تتنزل إلا بأمره، ولا تفعل شيئًا إلا من بعد إذنه، فهم عباد له مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس فيهم إلا من له مقام معلوم لا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه، ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده سبحانه: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: الآيتان: ١٩، ٢٠]". (١)

قال أبو حيان–رحمه الله–«ت: ٧٤٥ هـ»: "إن عصمة الملائكة من المعاصي والاعتراض تعد من القواعد الشرعية والعقائد الإسلامية، وأنها مسألة من المسائل الخاصة بأصول الدين". (٢)

وقال علي القاري–رحمه الله–: "﴿عبادٌ مُكرَمون، لا يَسبِقونَه بالقَولِ وهم بأمْرِهِ يَعمَلون﴾، وأنَّهم معصومون ولا يَعصُون اللهَ". (٣)

رابعًا: الكرم:

قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٦].

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم «٢/ ٨٤٣».

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان «١/ ١٤٣».

(٣) يُنظر: «شرح الفقه الأكبر» «ص: ٢٧».

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: الآية: ١٩]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» في وصـــف الله - تعالى - للملائكة بقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُـــبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٦]: "إنهم مكرمون عند الله". «(١)»

وقال في كرم جبريل-عليه السـلام-خاصـة: "ثم ذكر-سـبحانه-المقسـم عليه«(٢)»، وهو القرآن، وأخبر أنه قول رســول كريم، وهو ههنا: جبريل قطعًا، لأنه ذكر صــفته بعد ذلك بما يعينه به ". «(٣)»

ويذكر ابن القيم أن من كرم جبريل-عليه السلام-أن كل خير في الأرض من هدى، وإيمان، وعلم، ومعرفة؛ إنما جرى على يد جبريل-عليه السلام-بإذن الله-عزوجل-، يقول ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "وصف رسوله الْمَلَكِي في هذه السورة«(٤)» بأنه كريم، قوي، مكين عند الرب-تعالى-، مطاع في السموات، أمين، فهذه خمس صفات". «(٥)»

خامسًا: العبادة:

والملائكة مطبوعون على طاعة الله، ليس لديهم القدرة على العصيان: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٦].

فتركهم للمعصية، وفعلهم للطاعة جبلّة، لا يكلفهم أدنى مجاهدة؛ لأنه لا شهوة لهم.

ولعلّ هذا هو السبب الذي دعا فريقاً من العلماء إلى القول: إن الملائكة ليسوا بمكلفين،

«(١)» الرسالة التبوكية «ص: ٢٠٨»، وانظر: جلاء الأفهام «ص: ٣٩٤».

«(٢)» أي في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: الآية: ١٩].

«(٣)» التبيان في أقسام القرآن «ص: ٧١».

«(٤)» أي: سورة التكوير.

«(٥)» مفتاح دار السعادة «١ / ٢٥٢».

وإنهم ليسوا بداخلين في الوعد والوعيد(١).

قال عز الدين بن جماعة–رحمه الله–: "المكلفون على **ثلاثة** أقسام:

١–قسم كلف من أول الفطرة قطعًا وهم الملائكة وآدم وحواء.

٢–وقسم لم يكلف من أول الفطرة قطعًا، وهم أولاد آدم.

٣–وقسم فيهم نزاع والظاهر أنهم مكلفون من أول الفطرة وهم الجان". (٢)

ويمكن أن نقول: إن الملائكة ليسوا بمكلفين بالتكاليف نفسها التي كلف بها أبناء آدم. أما القول بعدم تكليفهم مطلقاً، فهو قول مردود، فهم مأمورون بالعبادة والطاعة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: الآية: ٥٠]. وفي الآية أنهم يخافون ربهم، والخوف نوع من التكاليف الشرعية، بل هو من أعلى أنواع العبودية، كما قال فيهم: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٨].

وخير ما يوصف به الملائكة أنهم عباد الله، ولكنهم عباد مكرمون، وقد أبطل الله دعوى المشركين حينما زعموا أنّ الملائكة–بنات الله–وبين أنها دعوى باطلة، لا نصيب لها من الصحة، وقد أكذب الله القائلين بهذا القول، وبين حقيقة الملائكة ومكانتهم في أكثر من موضع، قال تعالى:﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: الآيات: ٢٦-٢٩].

الملائكة عباد يتصفون بكل صفات العبودية، قائمون بما أوكل إليهم، منفذون للتعاليم، وعلم الله بهم محيط، لا يستطيعون أن يتجاوزوا الأوامر، ولا أن يخالفوا التعليمات الملقاة إليهم، خائفون وجلون...

---

(١) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ٤٠٩.

(٢) "الحبائك في أخبار الملائك" للسيوطي «٢٥٥/١».

ومن تمام عبودية الملائكة أنهم لا يتقدمون بين يدي ربهم مقترحين، ولا يعترضون على ما أمر من أوامره، بل هم عاملون بأمره، مسارعون مجيبون ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٧]، وهم لا يفعلون إلا ما يؤمرون به، فالأمر يحركهم، والأمر يوقفهم، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: الآية: ٦٤]**». (١)

يذكر ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» أن للملائكة أعمالا صـــالحة، فيقول في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: الآية: ٧]: "تأمل ما تضـــمنه هذا الخبر عن الملائكة من مدحهم بالإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى المؤمنين بالاستغفار لهم، وقدموا بين يدي استغفارهم توسلهم إلى الله-سبحانه-بسعة علمه، وسعة رحمته". (٢)

ويبين ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» أن محل هذه العبادة الجليلة، ومكان هذه الأعمال الصالحة؛ هو السماء، وذلك بقوله: "السماء متعبد الملائكة". «(٣)»

ويذكر ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» -رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» أن عبادات الملائكة ليســت كعبادة الإنس، لأن العبادة بالنســبة للملائكة كالنفس لبني آدم، يقول مقررًا هذا: "إنه سبحانه لما قال للملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أجابهم بقوله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٣٠].

---

(١) صحيح البخاري: ٦/ ٣٠٥. ورقمه: ٣٢١٨.

«(٢)» الداء والدواء «ص: ١٧٩».

«(٣)» الوابل الصيب من الكلم الطيب «ص: ٣٦».

ثم أظهر –سبحانه– علمه لعباده ولملائكته بما جعله في الأرض من خواص خلقه ورسله وأنبيائه وأوليائه، ومن يتقرب إليه، ويبذل نفسه في محبته ومرضاته، مع مجاهدة شهوته وهواه، فيترك محبوباته تقربًا إلي، ويترك شهواته ابتغاء مرضاتي، ويبذل دمه ونفسه في محبتي، وأخصه بعلم لا تعلمونه، يسبح بحمدي آناء الليل وأطراف النهار، ويعبدني مع معارضات الهوى والشهوة والنفس والعدو، إذ تعبدوني أنتم من غير معارض يعارضكم، ولا شهوة تعتريكم، ولا عدو أسلطه عليكم، بل عبادتكم لي بمنزلة النفس لأحدهم". [(١)]

٥– وقد يفصلون بين متخاصمين ولو كانوا ملائكة:

وقد حدثنا الرسول صلى الله عليه وسلم من حديث أبي سعيد الخدري عن الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، وأنه لما هاجر تائبًا جاءه الموت في منتصف الطريق إلى الأرض التي هاجر إليها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فحكّموا فيه ملكاً جاءَهم في صورة آدمي، يقول عليه السلام: «**فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ**». [(٢)]

٦– سَفَرَة:

وصف الله الملائكة بأنهم كرام بررة: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: الآيتان: ١٥-١٦]؛ أي القرآن بأيدي سفرة، أي: الملائكة؛ لأنهم سفراء الله إلى رسله وأنبيائه، قال البخاري: "سفرة: الملائكة واحدهم سافر، سفرتُ: أصلحت بينهم، وجعلت الملائكة –إذا نزلت بوحي

« (١) » مفتاح دار السعادة « ١ / ١٠٨ – ١٠٩ » , وانظر : طريق الهجرتين ص « ٢١٧ » .

(٢) أخرجه مسلم «٤/ ٢١١٨» برقم «٢٧٦٦».

الله تعالى وتأديته-كالسفير الذي يصلح بين القوم". [(١)]

٧- كرام بَرَرَة:

قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: الآيتان: ١٥-١٦].

أي القرآن بأيدي سفرة، أي الملائكة، وقيل: هم الكتبة من الملائكة، لأنهم سفراء الله إلى رسله". [(٢)]

وقد وصف الله تعالى هؤلاء الملائكة بأنهم ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾؛ أي: خلقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة ظاهرة كاملة، ومن هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد.

قال البيضاوي-رحمه الله-: "الكرام لأنهم أعزاء على الله، أو متعطفون على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم، أتقياء". [(٣)]

وقال أبو حامد الغزالي-رحمه الله-: "وقد وصف الله تعالى هؤلاء الملائكة بأنهم كِرَامٍ بَرَرَةٍ: "أما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهم ولأن الملائكة كلهم كرام بررة". [(٤)]

وقال عمر الأشقر: "وخلقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة، ومن هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد". [(٥)]

روى البخاري عن عائشة-رضي الله عنها-قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده، وهو عليه شديد، فله أجران».** [(٦)]

---

(١) أخرجه البخاري: ٨/ ٦٩١.

(٢) تفسير الطبري «١٢/ ٤٤٥»، والدر المنثور «٨/ ٤١٨».

(٣) تفسير البيضاوي «٥/ ٥٥٢-٥٥٣».

(٤) إحياء علوم الدين «٤/ ٦٤».

(٥) عالم الملائكة الأبرار «ص: ٢٤».

(٦) أخرجه البخاري: ٨/ ٦٩١. ورقمه: ٤٩٣٧. ومسلم: ١/ ٥٤٩. ورقمه: ٧٩٨، واللفظ للبخاري.

٨- الحياء واستحياء الملائكة:

من أخلاق الملائكة التي أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بها: الحياء؛ فعن عائشة-رضي الله عنها-: أن الرسول-صلى الله عليه وسلم-كان مضطجعًا في بيتها، كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثمّ استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وسوّى ثيابه، فدخل، فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر، فلم تهتش له، ولم تُبَالِهِ، ثم دخل عمر، فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان، فجلست، وسويت ثيابك، فقال: «**ألا استحيي من رجل تستحيي منه الملائكة**». [(١)]

سئل الشعبي عن شيء، فقال: "لا أدري"، فقيل له أما تستحي من قولك لا أدري، وأنت فقيه أهل العراقين؟ قال: "لكن الملائكة لم تستحي حين قالت: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ [البقرة: الآية: ٣٢]". [(٢)]

٩-التواضع لله-عز وجل-:

قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: الآية: ١٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ٢٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ١٩].

يذكر ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» أن من تواضـع الملائكة وضـعها أجنحتها

---

(١) رواه مسلم: «٤/ ١٨٦٦». برقم: «٢٤٠١».

(٢) الفقيه والمتفقه «٢/ ٣٧٠».

لطالب العلم، وهذا في قوله: "في السـنن والمسـانيد من حديث صـفوان ابن عسـال، قال: قلت: يا رسـول الله! إني جئت أطلب العلم، قال: «**مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم لتحف به الملائكة، وتظله بأجنحتها، فيركب بعضهم بعضًا، حتى تبلغ السماء الدنيا من حبهم لما يطلب** ...».[(١)] ... ففي هذا الحديث حَفُّ الملائكة له بأجنحتها إلى السـماء، وفي الأول«[(٢)]» وضـعها أجنحتها له، فالوضـع تواضـع، وتوقير، وتبجيل، والحف بالأجنحة حفظ، وحماية، وصيانة، فتضمن الحديثان تعظيم الملائكة له، وحبها إياه، وحياطته، وحفظه، فلو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظ الجزيل لكفى به شرفا وفضلًا ...". [(٣)]

٩- يحبون ويبغضون:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ. فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فَلَانا فَأَبْغِضُوهُ. قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ. ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ**». [(٤)]

- عَن أبي هُرَيْرَة–رَضِي الله عَنهُ–، عَن النَّبِي–صلى الله عَلَيْهِ وَسلم–قَالَ: «**قَالَ لي جِبْرِيل: مَا كَانَ على الأَرْض شَيْء أبْغض إِلَيّ من فِرْعَوْن فَلَمَّا آمن جعلت احشو فَاه حمأة وَأَنا**

(١) رواه أحمد في المسند «١٨٠٨٩»، وقال محققوا المسند: "إسناده حسن"، والطبراني في المعجم الكبير «٨/ ٥٤» , وقال الهيثمي في المجمع «١/ ١٣١»: "رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح"، والحاكم في المستدرك «١/ ١٨٠»، وقال: "هذا إسناد صحيح"، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة «٨ / ٤٦».

(٢) يقصد حديث: «إن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم».

(٣) مفتاح دار السعادة «١/ ٢٥٧».

(٤) رَوَاهُ مُسلم «٤/ ٢٠٣٠» برقم «٢٦٣٧»

أغطه خشيَة أَن تُدْرِكهُ الرَّحْمَة». [(١)]

١٠- يضحكون ويتأثرون.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام: «**ما لي لم أر ميكائيل ضاحكا قط؟ قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار**». [(٢)] يقتضي أن الملائكة يضحكون وفيه دليل على أنهم يتأثرون.

سادسًا: منظمون في كل شؤونهم:

قال تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [الصافات: الآية: ١].

عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-، أنه قال: ﴿والصافات صفا﴾ وهي : الملائكة". [(٣)]

قال الطبري-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**»: "الصافات: فإنها الملائكة الصافات لربها في السماء وهي جمع صافّة، فالصافات: جَمْعُ جَمْعٍ". [(٤)]

وقال البغوي-رحمه الله-«**ت: ٥١٦ هـ**»: "تصف في السماء كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة . وقيل : تصف أجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يأمرها الله بما يريد . وهذا كما تقوم العبيد بين أيدي ملوكهم صفوفا . وقال الحسن : صفا لصفوفهم عند ربهم في صلاتهم". [(٥)]

وفي القرآن عن الملائكة: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ [الصافات: الآية: ١٦٥].

وهم يقومون، ويركعون، ويسجدون، ففي مشكل الآثار للطحاوي، وفي المعجم الكبير للطبراني عن حكيم بن حزام قال: «**بينما رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في أصحابه إذ قال لهم:**

---

(١) أخرج ابن جرير، والبيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعا نحوه. وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر مرفوعا نحوه أيضا. وأخرج أبو الشيخ عن أبي أمامة مرفوعا نحوه أيضا، قال الشوكاني: وفي إسناد حديث أبي هريرة رجل مجهول، وباقي رجاله ثقات انظر فتح القدير للشوكاني:

(٢) أخرجه الروياني في " مسنده " «ق ٢٤٧/ ٢» قال الألباني وهذا إسناد صحيح انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة «٦/ ٤٢».

(٣) تفسير ابن كثير «تفسير سورة الصافات: الآية:١».

(٤) تفسير الطبري «تفسير سورة الصافات: الآية:١».

(٥) تفسير البغوي «تفسير سورة الصافات: الآية:١».

أتسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء، قال: إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، ما فيها موضع شبر إلا عليه ملك ساجد أو قائم». (١)

وفي يوم القيامة يأتون صفوفاً منتظمة: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: الآية: ٢٢]، ويقفون صفوفًا بين يدي الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: الآية: ٣٨]، والروح: جبريل.

والاصطفاف: جاء في الحديث فعن جابر بن سمرة–رضي الله عنه–، قال: "خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**ما لي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خيل شمس؟ اسكنوا في الصلاة قال: ثم خرج علينا فرآنا حلقا فقال: مالي أراكم عزين قال: ثم خرج علينا فقال: ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ فقلنا يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف**». (٢)

وعن حذيفة بن اليمان–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صي الله عليه وسلم–: «**فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا، وجعلت تربتها لنا طهورا، إذا لم نجد الماء وذكر خصلة أخرى**». (٣)

وقد فضل الله تعالى هذه الأمة المحمدية، بأنواع من الفضائل، "ومن ذلك أن نتشبه بالملائكة في صلاتهم لربهم، وأن تقوم في صلاتها مثل قيام الملائكة صفوفا". (٤)

قال ابن العربي–رحمه الله–: "إنما شرعت الصفوف في الصلاة ليتذكر الإنسان بها وقوفه بين يدي الله تعالى يوم القيامة في ذلك الموطن المهول، والشفعاء من الأنبياء والملائكة والمؤمنين بمنزلة الأئمة في الصلاة يتقدمون الصفوف وصفوفهم في الصلاة كصفوف الملائكة

(١) قال فيه الألباني: «صحيح على شرط مسلم». سلسلة الأحاديث الصحيحة: حديث رقم: «٨٥٢».
(٢) أخرجه مسلم «٤٣٠».
(٣) أخرجه مسلم «٥٢٢».
(٤) الإيمان بالملائكة عليهم السلام، صفاتهم،أصنافهم، وظائفهم، بقلم عبد الله سراج الدين «ص: ٥٢».

عند الله، وقد أمرنا الحق تعالى أن نصطف في الصلاة كما تصف الملائكة، وإن كانت الملائكة لا يلزم من خلل صفها، لو اتفق أن يدخلها خلل، أعني ملائكة السماء، دخول الشياطين، لأن السماء ليست بمحل لهم، وإنما يتراصون لتناسب الأنوار حتى يتصل بعضها ببعض فتنزل متصلة إلى صفوف المصلين فتعمهم تلك الأنوار، فإن كان في صف المصلين خلل دخلت فيه الشياطين أحرقتهم تلك الأنوار". (١)

وانظر إلى دقة تنفيذهم للأوامر، ففي صحيح مسلم، ومسند أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**». (٢)

سابعًا: عدالتهم:

قال ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**» في قوله تعالى: ﴿شَـــهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْـــطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]: "اســـتشـــهد الله–عز وجل–بأهل العلم على أجل مشـــهود به، وهو التوحيد، وقرن شهادتهم بشهادته، وشهادة ملائكته، وفي ضمن ذلك تعديلهم، فإنه–عز وجل–لا يستشهد بمجروح". (٣)

المسألة السادسة: مكانة الملائكة:

منزلة الملائكة عند أهل الإسلام منزلة كبيرة؛ فربُنا–سبحانه–قد أكرَمَهم وبوَّأهم مكانًا عاليًا، وهم مع هذه المنزلة عبيدٌ لله؛ يقول ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**» مبيّنًا منزلة الملائكة أنهم: "أعلى الخلق، وأفضلُهم، وأكرمهم عندَه هم: الرسل، والملائكة المقرَّبون، وهم عبيد محض،

---

(١) فيض القدير «٢/ ٧٥».

(٢) صحيح مسلم: «١/ ١٨٨»، برقم: «١٩٧».

« (٣) » مدارج السالكين «٢/ ٤٤١-٤٤٢».

لا يسبقونه بالقول، ولا يتقدَّمون بين يديه، ولا يفعلون شيئًا إلّا بعد إذنه لهم، وأمرهم، ولا سيَّما يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا، فهم مملوكون مربوبون، أفعالهم مقيَّدة بأمره، وإذنه". [(١)]

وخير ما يوصف به الملائكة أنهم عباد الله، ولكنهم عباد مكرمون، وقد أبطل الله دعوى المشركين حينما زعموا أنّ الملائكة-بنات الله-وبين أنها دعوى باطلة، لا نصيب لها من الصحة، وقد أكذب الله القائلين بهذا القول، وبين حقيقة الملائكة ومكانتهم في أكثر من موضع، قال تعالى:﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

الملائكة عباد يتصفون بكل صفات العبودية، قائمون بما أوكل إليهم، منفذون للتعاليم، وعلم الله بهم محيط، لا يستطيعون أن يتجاوزوا الأوامر، ولا أن يخالفوا التعليمات الملقاة إليهم، خائفون وجلون...

ومن تمام عبودية الملائكة أنهم لا يتقدمون بين يدي ربهم مقترحين، ولا يعترضون على ما أمر من أوامره، بل هم عاملون بأمره، مسارعون مجيبون ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، وهم لا يفعلون إلا ما يؤمرون به، فالأمر يحركهم، والأمر يوقفهم، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]**». [(٢)]

المَلائِكةُ مُتفاضِلون؛ فبعضُهم أفضَلُ من بعضٍ. [(٣)]

قال السيوطي-رحمه الله-«**ت: ٩١١ هـ**»: "أما الأصناف:

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم، «١/ ٢٥١».

(٢) صحيح البخاري: ٦/ ٣٠٥. ورقمه: ٣٢١٨.

(٣) يُنظر: «مباحث المفاضلة في العقيدة» لمحمد الشظيفي «ص: ٣٥٠».

فأعلاهم درجة: حملة العرش.

والمرتبة الثانية: الحافون بالعرش.

والمرتبة الثالثة: أكابر الملائكة: منهم جبريل وإسرافيل وعزرائيل.

القسم الرابع: ملائكة الجنة.

القسم الخامس: الموكلون ببني آدم.

القسم السادس: الملائكة لتخصيصهما بالذكر في قوله تعالى: ﴿مَن كانَ عَدواً لِلهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبريلَ وَميكائيل﴾ [البقرة: الآية: ٩٨]". [١]

ذكر فخر الدين الرازي-رحمه الله-«**ت: ٦٠٦ هـ**» أنهم ثمانية أصناف:

- حَمَلَةُ الْعَرْشِ
- الْحَافُونَ حَوْلَ الْعَرْشِ
- أَكَابِرُ الْمَلَائِكَةِ
- مَلَائِكَةُ الْجَنَّةِ
- مَلَائِكَةُ النَّارِ
- الْمُوَكَّلُونَ بِبَنِي آدَمَ
- كَتَبَةُ الْأَعْمَالِ
- الْمُوَكّلُونَ بِأَحْوَالِ هَذَا الْعَالَمِ".

وقد أغفل جلال الدين السيوطي-رحمه الله-«**ت: ٩١١ هـ**» القسم الخامس «**ملائكة النار**» و القسم السابع «**كتبة الأعمال**» ربما لأن القسم الخامس يمكن دمجه مع القسم الرابع فيكون ملائكة النعيم والعذاب ، كما يمكن دمج القسم السابع مع الموكلون ببني ادم". [٢]

وأفضَلُهم المقرَّبون الذين قال اللهُ تعالى فيهم: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا

(١) الحبائك في أخبار الملائك «ص: ٢٧٧».

(٢) الملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام «ص: ١٥٠».

الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: الآية: ١٧٢].

قال الرازي-رحمه الله-«ت: ٦٠٦ هـ»: "قَولُه: ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ يدُلُّ على أنَّ طَبَقاتِ الملائِكةِ مُختَلِفةٌ في الدَّرَجةِ والفضيلةِ، فالأكابِرُ منهم مِثلُ جِبريلَ، وميكائيلَ، وإسرافيلَ، وعِزرائيلَ، وحَمَلةِ العَرشِ". (١)

وعن عائِشةَ-رَضِيَ اللهُ عنها-، أنَّ النَّبيَّ-صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-كان يفتَتِحُ صَلاتَه إذا قام من اللَّيلِ فيقولُ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطِرَ السَّمَوَاتِ والأرضِ، عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ، أنت تحكُمُ بين عبادِك فيما كانوا فيه يختَلِفون، اهدِني لما اختُلِف فيه من الحَقِّ بإذنِك، إنَّك تهدي من تشاءُ إلى صراطٍ مُستقيمٍ**». (٢)

قال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "فذَكَر هؤلاء الثَّلاثةَ مِن الملائِكةِ؛ لكَمالِ اختِصاصِهم واصطِفائِهم وقُربِهم من اللهِ، وكم من مَلَكٍ غيرِهم في السَّمَواتِ، فلم يُسَمِّ إلَّا هؤلاءِ الثَّلاثةَ". (٣)

وقد خَصَّ اللهُ جِبريلَ وميكائيلَ في كتابِه بالذِّكرِ، وعَطَف ذِكْرَهما على ذِكرِ الملائِكةِ، فقال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٨]. فقيل: إنما خَصَّهما بالذِّكرِ تشريفًا لهما". (٤)

وأما مسألة المفاضلة بين أكابر الملائكة

وأفضَلُ الملائكةِ ومُقَدَّمُهم جبريلُ عليه السَّلامُ.

قال اللهُ-عَزَّ وجَلَّ-فيه: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا

---

(١) يُنظر: «تفسير الرازي» «١١/ ٢٧٣».

(٢) أخرجه مسلم «٧٧٠».

(٣) يُنظر: «زاد المعاد» «١/٤٤».

(٤) يُنظر: «تفسير القرطبي» «٢/٣٦».

لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٧].

فشَرَّفه اللهُ-عَزَّ وجَلَّ بذِكْرِه، وذَمَّ مُعادِيَه، وذكر سُبحانَه دليلَ فَضْلِه وتشريفِه، وهو وظيفتُه الشَّريفةُ الكريمةُ؛ تبليغُ الوَحي للرُّسُلِ مِنَ اللهِ، فهو الواسِطةُ بين اللهِ ورُسُلِه.

قال الرازي-رحمه الله-«**ت: ٦٠٦ هـ**»: "ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَصَفَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأُمُورٍ

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ صَاحِبُ الْوَحْيِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ قَالَ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: الآيتان: ١٩٣، ١٩٤]

الثَّانِي: أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ قَبْلَ سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ فِي الْقُرْآنِ ﴿قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ [الْبَقَرَةِ: الآية: ٩٧] وَلِأَنَّ جِبْرِيلَ صَاحِبُ الْوَحْيِ وَالْعِلْمِ، وَمِيكَائِيلَ صَاحِبُ الْأَرْزَاقِ وَالْأَغْذِيَةِ، وَالْعِلْمُ الَّذِي هُوَ الْغِذَاءُ الرُّوحَانِيُّ أَشْرَفُ مِنَ الْغِذَاءِ الْجُسْمَانِيِّ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشْرَفَ مِنْ مِيكَائِيلَ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهُ ثَانِيَ نَفْسِهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التَّحْرِيمِ: ٤].

الرَّابِعُ: سَمَّاهُ رُوحَ الْقُدُسِ قَالَ فِي حَقِّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [الْمَائِدَةِ: الآية: ١١٠]

الْخَامِسُ: يَنْصُرُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَيَقْهَرُ أَعْدَاءَهُ مَعَ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ.

السَّادِسُ: أَنَّهُ تَعَالَى مَدَحَهُ بِصِفَاتٍ سِتٍّ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التَّكْوِيرِ: الآيات: ١٩- ٢٠] فَرِسَالَتُهُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، فَجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ أُمَّتُهُ وَكَرَمُهُ عَلَى رَبِّهِ أَنَّهُ جَعَلَهُ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَشْرَفِ عِبَادِهِ وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، وَقُوَّتُهُ أَنَّهُ رَفَعَ مَدَائِنَ قَوْمِ لُوطٍ إِلَى السَّمَاءِ وَقَلَبَهَا، وَمَكَانَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ أَنَّهُ جَعَلَهُ ثَانِيَ نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَكَوْنُهُ مُطَاعًا أَنَّهُ إِمَامُ الْمَلَائِكَةِ وَمُقْتَدَاهُمْ، وَأَمَّا كَوْنُهُ أَمِينًا فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ

عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: الآية: ١٩٣]". [(١)]

وقال السيوطي-رحمه الله-«**ت: ٩١١ هـ**»: "وأن جبريل أفضل من ميكائيل، لأن الله قدمه في الذكر على ميكائيل وسببه أنه صاحب الوحي إلى الأنبياء والعلم، وميكائيل صاحب الأرزاق؛ والخيرات النفسانية أفضل من الخيرات الجسمانية، ولأنه سمى روح القدس، ولأنه ينصر أولياء الله ويقهر أعداء الله". [(٢)]

وقال الشوكاني-رحمه الله-«**ت: ١٢٥٠ هـ**»: "وَصَف الرَّسولَ المذكورَ بأوصافٍ محمودةٍ، فقال: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أي: ذي قُوَّةٍ شديدةٍ في القيامِ بما كُلِّفَ به، كما في قَولِه: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾، ومعنى: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أنَّه ذو رِفعةٍ عاليةٍ ومَكانةٍ مَكِينةٍ عند اللهِ سُبحانَه... ومعنى: ﴿مُطَاعٍ﴾ أنَّه مُطاعٌ بين الملائكةِ يَرجِعون إليه ويطيعونَه، ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾ قرأ الجمهورُ بفَتحِ «**ثَمَّ**» على أنها ظرفُ مكانٍ للبعيدِ، والعامِلُ فيه «**مُطَاعٍ**» أو ما بَعْدَه، والمعنى: أنَّه مُطاعٌ في السَّمَواتِ، أو أَمِينٌ فيها، أي: مُؤتَمَنٌ على الوَحيِ وغَيرِه". [(٣)]

وقد خَصَّه اللهُ بالذِّكرِ في مواضِعَ مِن كتابِه؛ قال سُبحانَه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: الآية: ٤]. فذكره سُبحانَه بعد ذِكرِ نَفْسِه، ولم يذكُرْ سِواه من الملائكةِ.

وقال سُبحانَه: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: الآية: ٤]. وفي هذا تخصيصٌ مِنَ اللهِ له بالذِّكرِ.

وعن أبي هُرَيرةَ-رَضِيَ اللهُ عنه-، عن النَّبيِّ-صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-قال: «**إذا أحبَّ اللهُ عبدًا نادى جبريلَ: إنَّ اللهَ يحِبُّ فُلانًا فأحِبَّه، فيُحِبُّه جِبريلُ. فينادي جِبريلُ في أهلِ السَّماءِ:**

---

(١) تفسير الفخر الرزي المسمى بمفاتيح الغيب «٢/ ٣٨٦».

(٢) الحبائك في أخبار الملائك «ص: ٢٧٧».

(٣) يُنظر: «تفسير الشوكاني» «٥/ ٤٧٣».

إنَّ اللهَ يحِبُّ فلانًا فأحِبُّوه، فيُحِبُّه أهلُ السَّماءِ، ثمَّ يُوضَعُ له القَبولُ في أهلِ الأرضِ». [(١)]

ففي هذا الحديثِ بيانُ فَضلِ جِبريلَ عليه السَّلامُ، وأنَّه ليس فقط مُبَلِّغَ كَلامِ اللهِ إلى الرُّسُلِ، بل وإلى الملائِكةِ أيضًا.

ومن أفضَلِ الملائِكةِ من شَهِدَ منهم مَعركةَ بَدرٍ.

فعن رفاعةَ بنِ رافعٍ–رَضِيَ اللهُ عنه–، أنَّ جِبريلَ جاء للنَّبيّ–صلَّى اللهُ عليه وسلَّم–فقال: ما تَعُدُّونَ أهلَ بدرٍ فيكم؟ قال: «**مِن أفضَلِ المُسلِمين**» –أو كَلِمةً نَحوَها– قال: وكذلك مَن شَهِدَ بَدرًا من الملائِكةِ[(٢)].

المسألة السابعة: نماذج من عبادة الملائكة:

نماذج من عبادتهم:

الملائكة عباد الله، مكلفون بطاعته، وهم يقومون بالعبادة والتكاليف بيسر وسهولة. وسنورد–هنا–بعض العبادات التي حدثنا الله، أو رسوله صلى الله عليه وسلم أنهم يقومون بها.

١–التسبيح:

الملائكة يذكرون الله تعالى، وأعظم ذكره التسبيح، يسبحه تعالى حملة عرشه: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر: الآية: ٧]، كما يسبحه عموم ملائكته: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: الآية: ٥].

وتسبيحهم لله دائم لا ينقطع، لا في الليل، ولا في النهار:﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٠].

ولكثرة تسبيحهم فإنهم هم المسبّحون في الحقيقة، وحق لهم أن يفخروا بذلك: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: الآيتان: ١٦٥–١٦٦].

---

(١) أخرجه البخاري «٣٢٠٩»، ومسلم «٢٦٣٧».

(٢) رواه البخاري «٣٩٩٢».

وما كثرة تسبيحهم إلا لأن التسبيح أفضل الذكر، روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر، قال: «**سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذكر أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده**»[(١)].

وقال عبد الله بن مسعود: "إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور السماوات والأرض من نور وجهه، وإن مقدار كل يوم من أيامكم عنده اثنتا عشرة ساعة،

١-فتعرض عليه أعمالكم بالأمس أول النهار فينظر فيها **ثلاث** ساعات،

٢-ويسبحه حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة، ثم ينفخ جبريل بالقرن فلا يبقى شيء إلا سمع صوته، فيسبحون الرحمن **ثلاث** ساعات حتى يمتلئ الرحمن رحمة، فتلك ست ساعات،

٣-ثم يؤتى بالأرحام فينظر فيها **ثلاث** ساعات، وهو قوله في كتابه: ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦]، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: الآية: ٤٩] ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: الآية: ٥٠]، فتلك التسع ساعات، ثم يؤتى بالأرزاق فينظر فيها **ثلاث** ساعات وهو قوله:﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: الآية: ٢٦]، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: الآية: ٢٩] ، قال: هذا من شأنكم وشأن ربكم عز وجل". [(٢)]

ويذكر ابن القيم أن الصلاة، والتسبيح، والتقديس؛ من عبادات الملائكة، قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "قد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه-سبحانه-وكل بالجبال ملائكة ... وملائكة قد وكلوا بعمارة السموات بالصلاة، والتسبيح، والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة؛ التي لا يحصيها

---

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٠٩٣. ورقمه: ٢٧٣١.

(٢) "حلية الأولياء" «١/ ١٣٧».

إلا الله–تعالى–". « [(١)] »

٢–الحج:

للملائكة كعبة في السماء السابعة يحجون إليها، هذه الكعبة هي التي أسماها الله تعالى: البيت المعمور، وأقسم به في سورة الطور: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: الآية: ٤].

قال ابن كثير–رحمه الله–«**ت: ٧٧٤ هـ**» عند تفسير هذه الآية: "ثبت في الصحيحين: أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال في حديث الإسراء، بعد مجاوزته السماء السابعة: «**ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً، لا يعودون إليه آخر ما عليهم**». [(٢)]؛ يعني يتعبدون فيه، ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، والبيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة، ولهذا وَجَد إبراهيمَ الخليل–عليه الصلاة والسلام–مسنداً ظهره إلى البيت المعمور؛ لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل".

وذكر ابن كثير–رحمه الله–«**ت: ٧٧٤ هـ**» أن البيت المعمور بحيال الكعبة، أي فوقها، لو وقع لوقع عليها، وذكر أن في كل سماء بيتاً يتعبد فيه أهلها، ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقال له: بيت العزة[(٣)].

وهذا الذي ذكره ابن كثير–رحمه الله–«**ت: ٧٧٤ هـ**» من أن البيت المعمور بحيال الكعبة مروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد أخرج ابن جرير من طريق خالد بن عرعرة: "أن رجلاً قال لعلي–رضي الله عنه–: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء بحيال البيت، حرمة هذا في السماء كحرمة هذا في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ولا يعودون

« (١) » إغاثة اللهفان «٢/ ٥٤٦–٥٤٧».

(٢) صحيح البخاري: ٦/ ١٠٣. ورقمه: ٣٢٠٧. وصحيح مسلم: ١/ ١٤٦. ورقمه: ١٦٢. وفي اللفظ بعض الاختلاف عما هو في الصحيحين.

(٣) انظر تفسير ابن كثير «٧/ ٤٢٨ و٤٢٩»

إليه". [(١)]

٣-خوفهم من الله وخشيتهم له:

ولما كانت معرفة الملائكة بربهم كبيرة، كان تعظيمهم له، وخشيتهم له عظيمة، قال الله فيهم: وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: الآية: ٥٠]. هذا وصف للملائكة.

وقال تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٨] ،وقد وصفهم سبحانه بخوفه، وخشيته، فالخوف في هذه الآية والخشية

ووصفهم بخوف العذاب في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: الآية: ٥٧]، وهم خواص خلقه". [(٢)]

ويبين شدة خوفهم من ربهم ما رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ**». [(٣)]

قال علي، وقال غيره: "صفوان ينفذهم ذلك. فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير". [(٤)]

وفي معجم الطبراني الأوسط بإسناد حسن عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى، وَجِبْرِيلُ كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**».

---

(١) نقله عن الطبري وإسحاق: ابن حجر في فتح الباري: ٦/ ٣٠٨، وأطال في الكلام على إسناده وطرقه. وقال فيه الشيخ ناصر الدين الألباني: «ورجاله ثقات غير خالد بن عرعرة، وهو مستور... ثم ذكر أن له شاهداً مرسلاً صحيحاً من رواية قتادة، قال: ذكر لنا «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه: هل تدرون ما البيت المعمور؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه مسجد في السماء، تحته الكعبة، لو خرّ لخر عليها...» انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة «١/ ٨٥٩».

« (٢) » طريق الهجرتين ص « ٣٢٦ - ٣٢٧ » .

(٣) صحيح البخاري «٦/ ٨٠» «٤٧٠١»

(٤) صحيح البخاري: «٣/ ٣٨٠». برقم: «٤٧٠١».

(١)

عن جابر بن عبد الله–رضي الله عنهما–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: **«ما في السَّماواتِ السَّبعِ موضِعُ قدمٍ ، ولا شبرٌ ، ولا كفٌّ إلَّا وفيهِ ملَكٌ قائمٌ، أوَ ملَكٌ ساجدٌ ، أو ملَكٌ راكعٌ، فإذا كانَ يومُ القيامةِ، قالوا جميعًا: ما عبَدناكَ حقَّ عبادتِكَ إلَّا أنَّا لم نُشرِكْ بِكَ شيئًا»**. (٢)

قال ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: "إن قيل: فما وجه خوف الملائكة وهم معصومون من الذنوب التي هي أسباب المخافة، وشدة خوف النبي–صلى الله عليه وسلم– مع علمه بأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، وأنه أقرب الخلق إلى الله؟.

قيل: عن هذا أربعة أجوبة"، وحاصلها:

أولًا: أن العبد كلما كان بالله أعرف كان له أكثر خوفا، وأشد خشية، ولهذا قال النبي–صلى الله عليه وسلم–: «**إني أعلمكم بالله وأشدكم له خشية**». « (٣) »

ثانيًا: أن العبد لا يفعل كل ما يستطيعه من العبادة، فلا بد أن يعتريه تقصير من فتور، ونحوه، ولو فرضنا أنه فعل كل ما يستطيعه من العبادة فالذي يستحقه الله أكثر، وأعظم، وأجل، وأكبر.

ثالثًا: أن العبد لا يأمن من أن يزيغ قلبه , ويحول الله بينه وبين العبادة بسببه , ولهذا كان من دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: الآية: ٨].

رابعا : أن العبد محتاج في كل فعل يفعله إلى هداية خاصة من الله–عز وجل–، والعبد ليس

(١) رواه الطبراني في الأوسط «٥/ ٦٤» برقم «٤٦٧٩» قال الألباني حسن انظر الأحاديث الصحيحة «٢٢٨٩»، السنة «٨٢١».

(٢) أخرجه الطبراني «١٨٤/٢» «١٧٥١»، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» «١٤٠٣».

« (٣) » رواه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرك « ١ / ٦٤٧ » , وأصله في صحيح مسلم من حديث جابر ﷺ في حجة الوداع رواه مسلم في ك الحج , ب حجة النبي ﷺ , ص « ٧٦٩ » , رقم : « ١٢١٨ » .

على يقين أن الله يلهمه رشده دائما، ويوفقه أبدا".«[١]»

٣- المحبة لله والرجاء له:

من عبادات الملائكة: المحبة والرجاء، قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: الآيتان: ٥٦-٥٧].

فجمع بين المقامات الثلاثة، فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه، وفعل ما يحبه، ثم يقول : ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ فذكر الحب, والخوف، والرجاء.

والمعنى: أن الذين تدعونهم من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين يتقربون إلى ربهم, ويخافونه، ويرجونه، فهم عبيده، كما أنكم عبيده، فلماذا تعبدونهم من دونه، وأنتم وهم عبيد له؟ ...

وقد أثنى سبحانه على أقرب عباده إليه بالخوف منه، فقال عن أنبيائه بعد أن أثنى عليهم، ومدحهم: ف﴿اسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٩٠]، فالرغب: الرجاء، والرغبة، والرهب: الخوف، والخشية.

وقال عن ملائكته الذين قد أمنهم من عذابه : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:: الآية: ٥٠]".[٢]

سجودهم وركوعهم

ويذكر ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» أن السجود والركوع الدائمين من عبادات الملائكة , وهذا في قوله : « **ونظير انقسام العبودية إلى : خاصة , وعامة انقسام القنوت**

«[١]» طريق الهجرتين ص « ٢٧١ » .

«[٢]» طريق الهجرتين ص « ٢٦٨ – ٢٦٩ ».

إلى : خاص , وعام , والســـجود كذلك ... قال في الســـجود الخاص: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ٢٠٦]". « (١) »

وقوله : "ما يســتحقه-ســبحانه-من عباده أمر لا تناله قدرتهم، ولا إرادتهم، ولا تتصــوره عقولهم، ولا يمكن أحد من خلقه قط أن يعبده حق عبادته، ولا يوفيه حقه، من المحبة، والحمد.

ولهذا قال أفضــل خلقه، وأكملهم، وأعرفهم به، وأحبهم إليه، وأطوعهم له: «**لا أحصــى ثناء عليك**». « (٢) » .

وأخبر أن عمله-صلى الله عليه وسلم-لا يستقل بالنجاة، فقال: «**لن ينجى أحدًا منكم عمله**».

قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟

قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه، وفضـــل**». « (٣) »،-عليه صـــلوات الله وسلامه، عدد ما خلق في السماء، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما بينهما، وعدد ما هو خالق-.

وفي الحديث المرفوع المشـــهور: «**إن من الملائكة من هو ســـاجد لله لا يرفع رأســـه منذ خلق، ومنهم راكع لا يرفع رأســـه من الركوع منذ خلق إلى يوم القيامة، وأنهم يقولون يوم**

« (١) » مدارج السالكين «١/ ١٢٧».

« (٢) » أخرجه مسلم، « ٤٨٦ ».

« (٣) » أخرجه البخاري « ٦٤٦٣ »، ومسلم، « ٢٧١٨ ».

القيامة : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك». «[١]» ". «[٢]»

وذكر ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» -رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» أن الملائكة في حال عبادتها للرب تكون في صـــفوف منتظمة بين يديه، فقال: "قوله تعالى: ﴿وَالصَّــافَّاتِ صَفًّا﴾ [الصافات: الآية: ١]، أقسم-سبحانه- بملائكته الصافات للعبودية بين يديه , كما قال النبي-صـلى الله عليه وسـلم-لأصـحابه: «**ألا تصـفون كما تصـف الملائكة عند ربها، تتمون الصفوف الأول، وتراصون في الصف**». «[٣]» .

وكما قالوا عن أنفسهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ [الصافات: الآية: ١٦٥].

والملائكة الصافات أجنحتها في الهواء.

والزاجرات: الملائكة التي تزجر السـحاب وغيره بأمر الله؛ ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصـافات: الآية: ٣]: التي تتلو لكلام الله". «[٤]» .

سادسا سَفَرَة:

وصف الله الملائكة بأنهم ﴿كرام بررة: بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥-١٦]؛ أي القرآن بأيدي سفرة، أي: الملائكة؛ لأنهم سفراء الله إلى رسله وأنبيائه، قال البخاري: «**سفرة: الملائكة واحدهم سافر، سفرتُ: أصلحت بينهم، وجعلت الملائكة-إذا نزلت بوحي الله تعالى وتأديته-كالسفير الذي يصلح بين القوم**».[٥]

«[١]» رواه ابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة «١/ ٢٦٣»، والطبراني في المعجم الأوسط «٤/ ٤٤»، وقال الهيثمي في المجمع «١٠/ ٣٥٨»: "رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عروة بن مروان، قال الدارقطني: ليس بقوي في الحديث، وبقية رجاله رجال الصحيح"، وفي الكبير «٢/ ١٨٤»، وقال الهيثمي في المجمع «١/ ٥٢»: "رواه الطبراني في الكبير، وفيه عروة بن مروان"، وأبو الشـــيخ في العظمة «٣/ ٩٩٤»، والحاكم في المستدرك «٣/ ٩٣».

«[٢]» مفتاح دار السعادة «٢/ ٥٠٧-٥٠٨».

«[٣]» أخرجه مسلم، «٤٣٠».

«[٤]» التبيان في أقسام القرآن ص « ٢٥٢ » .

[٥] صحيح البخاري: ٨/ ٦٩١.

سابعا بَرَرَة:

وقد وصف الله تعالى هؤلاء الملائكة بأنهم كِرَامٍ بَرَرَةٍ؛ أي: خلقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة ظاهرة كاملة، ومن هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد.

روى البخاري عن عائشة–رضي الله عنهما–قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده، وهو عليه شديد، فله أجران»**.[١]

ثامنا الحياء واستحياء الملائكة:

من أخلاق الملائكة التي أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بها: الحياء؛ ففي الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه عن عائشة: **«أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مضطجعاً في بيتها، كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثمّ استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وسوّى ثيابه، فدخل، فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر، فلم تهتش له، ولم تُبَالِه، ثم دخل عمر، فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان، فجلست، وسويت ثيابك، فقال: ألا استحيي من رجل تستحيي منه الملائكة»**.[٢]

التاسع: يحبون ويبغضون:

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ. فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ

---

(١) صحيح البخاري: ٨/ ٦٩١. ورقمه: ٤٩٣٧. ورواه مسلم: ١/ ٥٤٩. ورقمه: ٧٩٨، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه مسلم: ٤/ ١٨٦٦. ورقمه: ٢٤٠١.

يُبْغِضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُوهُ. قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ. ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ". (١)

عَن أبي هُرَيْرَة رَضِي الله عَنهُ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ قَالَ لي جِبْرِيل: مَا كَانَ على الأَرْض شَيْء أبْغض إِلَيّ من فِرْعَوْن فَلَمَّا آمن جعلت احشو فَاه حمأة وَأَنا أغطه خشيَة أَن تُدْرِكهُ الرَّحْمَة". (٢)

العاشر: يضحكون ويتأثرون.

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام: ما لي لم أر ميكائيل ضاحكا قط؟ قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار". (٣) يقتضي أن الملائكة يضحكون وفيه دليل على أنهم يتأثرون.

الحادي عشر: منظمون في كل شؤونهم.

الاصطفاف: جاء في الحديث الذي يحث الرسول صلى الله عليه وسلم فيه أصحابه على الاقتداء بالملائكة في الاصطفاف للصلاة: **«ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ وعندما سئل عن كيفية اصطفافهم قال: يتمون الصفوف، ويتراصون في الصف»**. (٤)

وفي القرآن عن الملائكة: قوله تعالى: **«وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ»** [الصافات: ١٦٥]. وهم يقومون، ويركعون، ويسجدون، ففي مشكل الآثار للطحاوي، وفي المعجم الكبير للطبراني عن حكيم بن حزام قال: **«بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه إذ قال لهم: أتسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء، قال: إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، ما فيها موضع شبر إلا عليه ملك ساجد أو قائم»**. (٥)

---

(١) رَوَاهُ مُسلم «٤/ ٢٠٣٠» برقم «٢٦٣٧»

(٢) أخرج ابن جرير، والبيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعا نحوه. وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر مرفوعا نحوه أيضا. وأخرج أبو الشيخ عن أبي أمامة مرفوعا نحوه أيضا، قال الشوكاني: وفي إسناد حديث أبي هريرة رجل مجهول، وباقي رجاله ثقات انظر فتح القدير للشوكاني.

(٣) أخرجه الروياني في " مسنده "«ق ٢٤٧/ ٢» قال الألباني وهذا إسناد صحيح انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة «٦/ ٤٢».

(٤) رواه مسلم: ١/ ٣٢٢. ورقمه: ٤٣٠.

(٥) قال فيه الألباني: «صحيح على شرط مسلم». سلسلة الأحاديث الصحيحة: حديث رقم ٨٥٢.

وفي يوم القيامة يأتون صفوفاً منتظمة: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، ويقفون صفوفاً بين يدي الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، والروح: جبريل.

وانظر إلى دقة تنفيذهم للأوامر، ففي صحيح مسلم، ومسند أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ ".(١)

الثالث عشر: تفتقده إذا غاب عن المسجد وتعوده إذا مرض:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" إنَّ للمساجدِ أوتادًا؛ الملائكةُ جلساؤهم، إن غابوا يفتقدونهم، وإن مرِضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجةٍ أعانوهم ".(٢)

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"المسجِدُ بيتُ كلِّ تقيٍّ وتَكفَّلَ اللَّهُ لِمَن كانَ المسجِدُ بيتَهُ بالرَّوحِ والرَّحمةِ والجوازِ على الصِّراطِ إلى رِضوانِ اللَّهِ إلى الجنَّةِ".(٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ما تَوطَّنَ رجلٌ مسلمٌ المساجدَ للصلاةِ والذكْرِ، إلّا تَبَشْبَشَ اللهُ لَهُ منْ حينِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ، كَما يتَبَشْبَشُ أهلُ الغائِبِ بغائِبِهِمْ، إذا قدِمَ علَيْهِم ".(٤)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:

" الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ؛ تَقُولُ: اللَّهُمَّ

---

(١) صحيح مسلم: ١/ ١٨٨. ورقمه: ١٩٧.

(٢) حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم ٣٢٩.

(٣) حسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب رقم ٣٣٠

(٤) حسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٦٠٤

اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ". [(١)]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

" أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟

قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ". [(٢)]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ:

"صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمغْرِبَ فَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ وَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْرِعًا قَدْ حَفَزَهُ النَّفسُ، وَقَدْ حَسَرَ عَنْ رُكْبَتَيْهِ،

فَقَالَ: " أَبْشِرُوا؛ هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ، يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي قَدْ قَضَوْا فَرِيضَةً وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى". [(٣)]

ثالثاً: هل بين الملائكة والبشر شبه في الشكل والصورة:

روى مسلم في صحيحه، والترمذي في سننه عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**عُرض عليَّ الأنبياء، فإذا موسى ضرب من الرجال ، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى ابن مريم، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبُكم**، «**يعني نفسه**» ورأيت جبريل عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً «**دحية**»[(٤)] وفي رواية: «**دحية بن**

---

(١) صحيح البخاري رقم ٤٤٥

(٢) صحيح مسلم رقم ٢٥١

(٣) رواه ابن ماجه ٨٠١ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ٦٦٠

(٤) ودحية الكلبي: هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي القضاعي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسوله بكتابه إلى عظيم بُصرى ليُوصله إلى هرقل. أسلم دحية قبل بدر، ولم يشهدها، وكان يتشبّه به جبريل عليه السلام، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على صورته، وكان من أجمل الناس وجهاً. شهد اليرموك، وسكن المزة من قرى دمشق، وبقي إلى زمن معاوية. انظر سير أعلام النبلاء ٢٥٥٠. والإصابة لابن حجر ١٤٦٣.

خليفة».[(١)]

فهل هذا الشبه كائن بين صورة جبريل الحقيقية وصورة دحية الكلبي، أم هو بين الصورة التي يكون بها جبريل عندما يتمثل في صورة بشر؟! الأرجح هذا الأخير؛ لأن جبريل كان يتمثل في صورة دحية كثيراً.[(٢)]

وتشكل الملائكة على صورة أحدٍ من البشر ثبت في القرآن وصحيح السنَّة، وهذا الشبه بين صورة جبريل وصورة دحية الكلبي إنما هو في الصورة التي يكون بها جبريل عندما يتمثل في صورة دحية؛ لأن أصل خلقة الملائكة تختلف عن أصل خلقة الآدميين، والملائكة في أصل خلقتهم ليس بينهم وبين البشر شبه، فهم لا يشبهون بني آدم قط، وإنما يشبهونهم إذا تمثلوا في صورة آدميين.

إن جبريل عليه السلام لا تتغير صورته ولا تتبدل ولكن يمثل في أعين يومئذ من رآه على شكل دحية الكلبي.

وهنا يفصل المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية وهو بصدد الرد على بشر المريسي:

«أن رؤيتهم تلك أنَّهم يعلمون يومئذ أن لهم ربا لا يعتريهم في ذلك شك كأنهم في دعواك أيها المريسي لم يعلموا في الدنيا أنَّه ربهم حتى يستيقنوا به في الآخرة فهذا التفسير إلى الشك أقرب مما ادعيت في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشك والشرك لا بل هو الكفر لأن الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم يعلمون يومئذ أن الله ربهم ألا ترى أنه يقول: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة ١٢] فالشك في الله هذا الذي تأولته أنت في الرؤية لا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك إن الله لا تتغير صورته ولا تتبدل ولكن يمثل في أعينهم يومئذ أولم تقرأ كتاب الله ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال ٤٤]

---

(١) صحيح مسلم: ١/ ١٥٣. ورقمه: ١٦٧.

(٢) عالم الملائكة الأبرار ص ١٣.

وهو الفعال لما يشاء كما مثل جبريل عليه السلام مع عظم صورته وجلالة خلقه في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكما مثله لمريم بشرًا»(١)

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**ورأيت جبريل عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً «دحية».»**، وفي رواية: «**دحية بن خليفة**».(٢)

فهل هذا الشبه كائن بين صورة جبريل الحقيقية وصورة دحية الكلبي، أم لا؟

قال رحمه الله تعالى: "فلا نعتقد أن ما تخيله الإنسان في منامه أو يقظته من الصور أن الله في نفسه مثل ذلك، فإنه ليس هو في نفسه مثل ذلك، بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان ويتخيلها على حقيقتها بل هي على خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته وإن كان ما رآه مناسبا مشابها لها، فالله تعالى أجل وأعظم". (٣)

المسألة الثامنة: علاقة الملائكة بالإنسان:

الملائكة عليهم سلام خلقهم الله من نور، وهم من عالم الغيب أطلعنا الله على شيء من أخبارهم بالقدر الذي أراده سبحانه وتعالى، ولا عِلْم لنا بعالَم الملائكة إلا في حدود ما أخبرنا عنهم ربنا سبحانه في قرآنه الكريم، أو ما جاء وصح عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وأيُّ خبر عن الملائكة خارج عن هذين الأصلين يعتبر رجمًا بالغيب.

- بدأت علاقة الملائكة بآدم عليه السلام قبل خلقه:

حينما قال الله تعالى للملائكة ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، وجاء الرد من الملائكة: ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]

- وحينما أراد الله أن يخلق آدم عليه السلام من تراب الأرض

(١) انظر بيان تلبيس الجهمية «٧/ ١٣٨».

(٢) صحيح مسلم: ١/ ١٥٣.

(٣) "بيان تلبيس الجهمية"«١/ ٣٢٥» [ط. مجمع الملك فهد».

أرسل ملكًا ليقبض قبضة من التراب [(١)] ثم خلق آدم، وظلّ بين الماء والطين حينًا من الدهر، ثم أوحى الله سبحانه إلى الملائكة: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

فسجدت الملائكة بمجرد صدور الأمر الإلهي؛ تعظيمًا لأمر الله سبحانه.

- آدم عليه السلام يسلم على الملائكة بتحية الإسلام وترد عليه الملائكة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ المَلَائِكَةِ، إِلَى مَلَإٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ، فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ، بَيْنَهُمْ". [(٢)]

- دعاء الملائكة لآدم: "يرحمك الله".

فقد ثبت أنه عندما نفخ الله سبحانه الروحَ في آدم عليه السلام عطس آدم وقال: "الحمد لله"، فقالت له الملائكة: "يرحمك الله"

عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: " ذَلِكَ خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ فَسَارَ فِيهِ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى، فَاسْتَوَى جَالِسًا فَعَطَسَ فَأَلْقَى اللَّهُ عَلَى لِسَانِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَحِمَكَ اللَّهُ". [(٣)]

- نزول آدم عليه السلام إلى الأرض:

وبعد أن نزل آدم إلى الأرض لعمارتها، جعل الله سبحانه من الملائكة رُسُلاً إلى بني آدم، فكانت الكتب السماوية التي نزلت إلى الأنبياء والمرسلين، من أول صحف إبراهيم إلى ختام الأنبياء المرسلين.

---

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي «٢/ ٢١٠» برقم «٧٧٣»

(٢) أخرجه الترمذي في سننه «٥/ ٤٥٣» «٣٣٦٨» وهو صحيح انظر مشكاة المصابيح «١٣٢١/ ٣» «٤٦٦٢»

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه «٣/ ٢٥٩» «٥٥٦٩».

- العلاقة المباشرة بين البشر وبين الملائكة:

أمَّا بالنسبة للعلاقة المباشرة بين البشر وبين الملائكة، فإن بدايتها من يوم إرسال الملك لينفخ الروح في الجنين في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وشقي أم سعيد، ومن بعد ذلك مع مولده، ثم هم معه في طفولته، وتستمرُّ هذه العلاقة في حياته كلها، وأشد ما تكون هذه العلاقة عند الشدائد، وبالذات يوم وفاته ويوم بعثه، ثم بعد ذلك عند الحساب، وبعدها إما في الجنة بإذن الله، أو في النار التي عليها ملائكة غلاظ شِداد.

- الملائكة حُرَّاسًا على السموات المسلحة بالشهب:

وعاش الإنسان يتأرجح بين الهدى والضلال؛ تارةً يأخذ زمام الأمور بيده، وتارةً تستهويه الشياطين في الأرض حيرانَ، وكلما أغلق الإنسان بابًا من أبواب الضلال، أتاه الشيطان من باب آخر، فجاءتْه الشياطين، ووصل الأمر إلى أن استرَقَ الشياطينُ السمعَ في السماء الدنيا، ويوحون إلى أوليائهم زخرفَ القول، فكانت النجدة من عند الله سبحانه وتعالى للبشر أن جعل حُرَّاسًا على السموات من الملائكة المسلحة ضمنًا بالشهب لمنع الشياطين من استراق السمع لتضليل الناس، واعترفت الشياطين بذلك كما جاء في سورة الجن: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨].

- الملائكة شهودًا على أفعال بني آدم:

ومن قبل ذلك ومن بعده جعل الله سبحانه من الملائكة شهودًا على أفعال بني آدم بأن جعل منهم الكرام الكاتبين، كل هذا بإذن الله تعالى كما قالت الملائكة فيما ورد في القرآن الكريم: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

- ملك الأرحام عليه السلام:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَرَفَعَ الْحَدِيثَ، أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا قَالَ: قَالَ الْمَلَكُ: أَيْ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي

بَطْنِ أُمِّهِ". [(١)]

● علاقة الملائكة بالأطفال:

وبعد الولادة مباشرة تبدأ رسالة الوالدين برعاية الوليد في طعامه وشرابه، لا يأكلان حتى يأكل، ولا ينامان حتى ينام؛ لأنه ليس له سن يقطع، ولا يد تبطش، وهذه هي رعاية المادة أو الجسم، فمن يرعى الروح في عالم جديد؟ أو من يستطيع أن يتعامل مع سرٍّ من أسرار الله؟ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦] إِلَى ﴿عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] قَالَ: «**جَعَلَ اللَّهُ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَافِظَيْنِ فِي اللَّيْلِ، وَحَافِظَيْنِ فِي النَّهَارِ، يَحْفَظَانِ عَلَيْهِ عَمَلَهُ، وَيَكْتُبَانِ أَثَرَهُ** »[(٢)]

علاقة الملائكة بني آدم إذا بلغ سن التكليف:

وينمو الوليد على ذلك، إلى أن يصل إلى سن التكليف، فتبدأ علاقة من نوع جديد بينه وبين الملائكة، فيجعل الله عن يمينه ملكًا يدوّن له حسناته، وعن شماله ملكًا يسجّل عليه سيئاته، كما يقول-سبحانه وتعالى-في سورة «**ق**»: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨].

● علاقة الملائكة لمن راح إلى المسجد ولمنتظر الصلاة

كما ثبت أن الملائكة تستغفر لمنتظر الصلاة ومن في حكمه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " المَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ ". [(٣)]

قال ابن بطال: قوله عليه السلام: «**الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه**»، تفسير لقوله: «**ويستغفرون للذين آمنوا**» [غافر: ٧]، يريد المصلين، والمنتظرين للصلاة

---

(١) أخرج مسلم «٤/ ٢٠٣٨» برقم «٢٦٤٦»

(٢) انظر تفسير الطبري «٢١/ ٤٢٥».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه «١/ ٩٦» «٤٤٥» و «١/ ١٣٢» «٦٥٩».

ويدخل في ذلك من أشبههم في المعنى، ممن حبس نفسه على أفعال البرِّ كلها، والله أعلم. انتهى[(١)]

ومن كان في طريقه للمسجد، فكأنه في صلاة؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلَاةِ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ**».[(٢)]

وعلى هذا، فإنه يرجى له أن يكون ممن تستغفر لهم الملائكة.

فالذهاب إلى المسجد ثوابه عظيم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**"[(٣)]

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة».

- الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم:

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فهم يتأذون من الرائحة الكريهة، والأقذار، والأوساخ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، الثُّومِ وقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال «٢/ ٢٨٤».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه «١/ ٤٢١» «٦٠٢».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه «١/ ٢١٩» «٢٥١».

يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ"[١]

- البصاق عن اليمين في الصلاة تَتَأَذَّى منه الملائكة:

نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن البصاق عن اليمين في أثناء الصلاة؛ لأن المصلي إذا قام يصلي يقف عن يمينه ملك، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة، فلا يبصق أمامه، فإنما يناجي الله ما دام في مصلاه، ولا عن يمينه؛ فإن عن يمينه ملكاً، وليبصق عن يساره، أو تحت قدمه فيدفنها**».[٢]

- لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة، ولا كلب، ولا جُنب

قال ابن كثير: «**ثبت في الحديث المروي في الصحاح والمسانيد والسنن من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة، ولا كلب، ولا جُنب»**[٣] [٤].

- حفظ الملائكة العبد عموما من أمر الله:

كما يدل أن الملائكة لا تحفظ العبد مما يأتي من قضاء الله وقدره، قوله تعالى:

«**وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ**» ﴿الرعد: ١١﴾

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ وَالْمُعَقِّبَاتُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَهِيَ الْمَلَائِكَةُ.

وَقَالَ عِكْرِمة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قَالَ: مَلَائِكَةٌ يَحْفَظُونَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفِهِ، فَإِذَا جَاءَ قَدَرُ اللَّهِ خَلَّوا عَنْهُ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه «١/ ٣٩٥» «٥٦٤».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه «٤١٦».

(٣) رواه أبو داود «٢٢٧»، والنسائي «٧/ ١٨٥»، وابن حبان «٤/ ٥»، «١٢٠٥»، والحاكم « ١ / ٢٧٨». من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الحاكم: صحيح، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» «١/ ٤٦»: ثابت، وحسنه ابن حجر في «تخريج مشكاة المصابيح» «١/ ٢٤٢» كما قال ذلك في المقدمة.

(٤) البداية لابن كثير «١/ ٥٥».

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا لَهُ مَلَك مُوَكَّلٌ، يَحْفَظُهُ فِي نَوْمِهِ وَيَقَظَتِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْهَوَامِّ، فَمَا مِنْهَا شَيْءٌ يَأْتِيهِ يُرِيدُهُ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَرَاءَكَ إِلَّا شَيْءٌ يَأْذَنُ اللَّهُ فِيهِ فَيُصِيبُهُ [(١)]

قال البغوي: في التفسير: يحفظونه من أمر الله، يعني: بأمر الله، أي: يحفظونه بإذن الله تعالى ما لم يجئ المقدور، فإذا جاء المقدور خلوا عنه.

وقيل: يحفظونه من أمر الله: أي مما أمر الله به من الحفظ عنه.[(٢)]

وقال القرطبي: في التفسير: يحتمل أن يكون توكيل الملائكة بهم لحفظهم من الوحوش والهوام والأشياء المضرة، لطفاً منه به، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه.[(٣)]

وقال ابن رجب: في جامع العلوم والحكم: وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان أحدهما حفظه له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله ويحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه.[(٤)]

علاقة الملائكة بالمسلم في حياته اليومية:

وهذه العلاقة تستمر معك بطول الحياة وعرضها، فإذا ذهبتَ إلى المسجد للصلاة، يقول ملك بجوارك: "اللهم اغفر له، اللهم احفظه [(٥)]، لا يتركك حتى تنصرف، وإذا أنفقتَ مما آتاك الله شيئًا لوجه الله، يدعو لك ملك من قِبل الله تعالى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا "[(٦)] وهكذا كلما هممت بطاعة

---

(١) انظر تفسير ابن كثير «٤/ ٤٣٨».

(٢) انظر: تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل في تفسير القرآن «٣/ ٩».

(٣) انظر تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن «٩٢٩١»

(٤) انظر جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم «١/ ٤٦٥»

(٥) انظر صفحة «١٩٧» علاقة الملائكة لمن راح إلى المسجد ولمنتظر الصلاة

(٦) صحيح البخاري «٢/ ١١٥» «١٤٤٢»

ابتغاءَ وجه الله تعالى.

- علاقة الملائكة على من يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]

- قعود الملائكة يوم الجمعة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول

عن أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَوُا الصُّحُفَ، وَجَاءُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ**».[1]

- علاقة حملة العرش للذين آمنوا بالله تعالى:

وهم قد يقتصرون بصالح دعواتهم وصلواتهم للمؤمنين فقط وبالدعوات التي تشرح صدر هذا الإنسان، وتثلج قلب كل مؤمن قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

ولكن في استغفارهم يستغفرون لكل من في الأرض، فيقول تعالى مبيّنًا ذلك: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥].

- علاقة الملائكة بالمستقيمين:

وهؤلاء الذين آمنوا بالله سبحانه وساروا على نهج الله تعالى واهتدَوْا إلى الصراط المستقيم، وسلكوا سبيل الرشد؛ أملاً في الاستقامة، فالملائكة لتدعوا لهم بالتوفيق، فيطمئنوهم ويبشّروهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

فالملائكة يساهمون في الدعوات والصلوات في ثبات المؤمن على الاستقامة، قال تعالى: ﴿

---

(١) رواه مسلم «٢/ ٥٨٧».

هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

- علاقة الملائكة بالإنسان عند الموت

وفي نهاية مطافك في الحياة الدنيا، فإن الإنسان إذا احتضره الموت، انقطع رزقه، فقد صح عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ**"[1]

فحين إذن، يتوقف عن التنفس فيقوم ملك الموت بنزع الروح، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

- **علاقة الملائكة بالميت المؤمن:**

فينادون الذين سبقتْ لهم الحسنى من الله مبشرين برضوان الله ومذكّرين بحسن الثواب ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وفي هذا المشهد العظيم الحمد كله لله سبحانه وتعالى ونعم أجر العاملين: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

- **علاقة الملائكة بالميت الكافر:**

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧]. وعندما تأتيه المنيَّةُ يقول: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء «١٠/ ٢٦» وصححه الشيخ الألباني انظر صحيح الجامع الصغير وزياداته «١/ ٤١٩».

١١].

ومن مات من الكفار لعنتهم الملائكة لكفرهم قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

- **علاقة الملائكة ببني آدم في القبر:**

وفي القبر صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ملكًان يأتيان إلى الميت فيسألانه ويريه مقعده في الجنة أو النار، وذلك في نهاية سؤال القبر.

عَن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دِينِي الْإِسْلَام فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ قَالَ فَيَقُول هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولَانِ وَمَا يُدْرِيكَ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ زَاد فِي حَدِيث جرير فَذَلِك قَول الله عز وَجل «يثبت الله الَّذين آمنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِت» الْآيَة ثمَّ اتفقَا قَالَ فينادي مُنَاد من السَّمَاء أَن قد صدق عَبدِي فأفرشوه مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ وألبسوه من الْجنَّة قَالَ فيأتيه من روحها وطيبها قَالَ ويفتح لَهُ فِيهَا مد بَصَره عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ «**هَاهُنَا**» وَقَالَ: " وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ " قَالَ هَنَّادٌ: قَالَ: " وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ " قَالَ: " فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ص:٢٤٠]، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ «**زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ**» فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [إبراهيم: ٢٧] " الْآيَةُ–ثُمَّ

اتَّفَقَا–قَالَ: " فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ " قَالَ: «**فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا**» قَالَ: «**وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ**» قَالَ: «**وَإِنَّ الْكَافِرَ**» فَذَكَرَ مَوْتَهُ قَالَ: " وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ " قَالَ: «**فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا**» قَالَ: «**وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ**» زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: «**ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا**» قَالَ: «**فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا**» قَالَ: «**ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ**»(١)

- علاقة الإنسان يوم البعث:

ويوم البعث ستخرج من قبرك فتجد ملكًا من قِبَل الله يأخذك ويوقفك في المكان الذي يريده الله لك، أو يسوقك إلى موقفك المناسب، قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

عن ابن عباس، قوله «**وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ**» قال: السائق من الملائكة، والشهيد: شاهد عليه من نفسه.(٢)

علاقة الملائكة يوم الحساب:

ثم عند الحساب يوم ينفع الصادقين صدقهم، تأتي الملائكة شفعاء بإذن الله ولكنَّهم كما قال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾

(١) رواه أبو داود في سننه «٤/ ٢٣٩» «٤٧٥٣» وصححه الشيخ الألباني انظر «١/ ٤٧».

(٢) انظر تفسير الطبري «٢٢/ ٣٤٨».

[النجم: ٢٦].

- علاقة الملائكة بعد الحساب:

وبعد الحساب، إما جنة وإما نار،

١-فبالنسبة لأهل الجنة: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣]،

٢-أما أهل النار، فسيجدون التوبيخ اللائق بهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الزمر: ٧١]،

ثم بعد ذلك يتلفتون في النار لعلهم يجدون مخرجًا منها، فينادون على خازن جهنم: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦].

- علاقة الملائكة لمن دخل الجنة:

ثم يباركونهم ويهنئونهم بعدما يزفونهم إلى الجنة؛ قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

والموضع الصحيح لهذا الحبِّ الذي وهبه لنا-سبحانه وتعالى-﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

المسألة التاسعة: التفاضل بين الملائكة والبشر:

تنبيهات مهمة:

وهذه المسألة قد قال فيها ابن تيمية رحمه الله: «**المسألة على هذا الوجه لست أعلم فيها مقالة سابقة مفسرة، وربما ناظر بعض الناس على تفضيل الملك، وبعضهم على تفضيل البشر، وربما اشتبهت هذه المسألة بمسألة التفضيل بين الصالح وغيره**».[١]

وقال ابن كثير: «**أكثر ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلمين والخلاف فيها مع المعتزلة**

---

(١) الفتاوى «٤/ ٣٥٤».

ومن وافقهم»

قال: «**أقدم كلام رأيته في هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن سعيد بن العاص أنه حضر مجلساً لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة فقال عمر: ما أحد أكرم على الله من كريم بني آدم**» وذكر بقية الواقعة وفيها معارضة أحدهم بتفضيل الملائكة واستدلال كل». [(١)]

ولقد نزع جماعة من أهل العلم إلى أن هذه من فضول المسائل، قال البيهقي في التفاضل بين الملائكة والبشر: «**والأمر فيه سهل، وليس فيه من الفائدة إلا معرفة الشيء على ما هو به**». [(٢)]

وقال شارح الطحاوية: «**وكنت ترددت في الكلام على هذه المسألة لقلة ثمرتها، وأنها قريب مما لا يعني، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**». [(٣)]

وقال: «**وحاصل الكلام أن هذه المسألة من فضول المسائل ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول**». [(٤)]

ونقل عن تاج الدين الفزاري من كتاب له في تفضيل البشر على الملك ما نصه: «**اعلم أن هذه المسألة من بدع الكلام التي لم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة ولا من بعدهم من أعلام الأئمة، ولا يتوقف عليها أصل من أصول العقائد، ولا يتعلق بها من الأمور الدينية كبير المقاصد، ولهذا خلا عنها طائفة من مصنفات هذا الشأن، وامتنع عن الكلام فيها جماعة من الأعيان، وكل متكلم فيها من علماء الظاهر بعلمه لم يخل كلامه من ضعف**

---

(١) البداية والنهاية «١/ ٥٤» تهذيب تاريخ دمشق «٣/ ١٣٦»

(٢) شعب الإيمان «١/ ١٨٢»

(٣) شرح الطحاوية «٢٧٨»

(٤) شرح الطحاوية «٢٨٨».

واضطراب».[(١)]

ولم تكن المسألة عند السلف موضع نظر وأخذ ورد، ولم تكن لهم بها عناية فائقة بحيث ينصبونها موضوعاً للنظر والاستدلال، ولم يقع بينهم فيها كلام وخلاف.

وقد رويت عن الصحابة أحاديث موقوفة ومرفوعة فيها ذكر لهذه المسألة في بعضها تفضيل المؤمن على الملائكة، وبعضها تفضيل المؤمن على بعض الملائك، وبعضها تفضيل بني آدم على الملائكة، ولكنها أحاديث إما ضعيفة أو موضوعة مثل:

حديث: «**المؤمن أكرم على الله عز وجل من بعض الملائكة**»[(٢)]

وحديث: «**أن الملائكة قالت: يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ولا نأكل ولا نلهو، فكما جعلت لهم الدنيا فأجعل لنا الآخرة فقال: لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان**»[(٣)]

وحديث: «**ما من شيء أكرم على الله يوم القيامة من بني آدم، قيل: يا رسول الله، ولا الملائكة؟ قال: الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر**»[(٤)] وكلها ضعيف وموضوع.

فهذه مسألة كثر الكلام فيها في كتب المتأخرين من أهل العلم أخذاً ورداً، وطال طولاً أخرجها عن فائدتها وحدها.

---

(١) شرح الطحاوية ٢٩٧.

(٢) رواه ابن ماجه «٧٨٦» والبيهقي في «شعب الإيمان» «١/ ١٣٧» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه [فيه أبو المهزم] قال البيهقي: متروك، وقال الزيلعي في «تخريج الكشاف» «٢/ ٢٧٨»: [فيه] أبو المهزم تركه شعبة وقال البيهقي: متروك وقد روى موقوفا.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» «٦/ ١٩٦» «٦١٧٣» من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال ابن تيمية في «بغية المرتاد» «٢٢٤»: ثابت بالإسناد على شرط الصحيح، وقال ابن القيم في «مختصر الصواعق المرسلة» «٤٠٥»: إسناده صحيح روي مرسلا، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» «١/ ٤٩»: مرفوع وهو أصح.

(٤) رواه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» «١/ ٨٧» والبيهقي «١/ ١٧٤» «١٥٣» من حديث ابن عمرو رضي الله عنه. قال البيهقي: تفرد به عبيد الله بن تمام، قال البخاري: عنده عجائب، ورواه غيره عن خالد الحذاء موقوفا، على عبد الله بن عمرو، وهو الصحيح، وقال ابن كثير في تفسيره «٥/ ٩٨»: هذا حديث غريب جدا، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه عبيد الله بن تمام وهو ضعيف، وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» «٤٩٨١»: منكر مرفوع.

خلاصة ما قيل فيها أن الناس فيها على أربعة أقوال: [(١)]

القول الأول: تفضيل الملائكة على البشر مطلقاً:

القائلون به:

وإليه ذهبت المعتزلة، وبعض الأشعرية، وابن حزم، ومال إليه بعض أهل السنة، وبعض الصوفية.

أدلتهم:

استدلوا بأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لها وجهها في الدلالة على قولهم منها:

كقوله سبحانه في بني آدم: وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً [الإسراء: ٧٠].

وجه الدلالة: فقال «**على كثير**» ولم يقل على كل، ومن عساه أن يكون الخارج من هذا الكثير إلا الملائكة.

وبقوله سبحانه: لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ [النساء: ١٧٢].

وجه الدلالة: ومثل هذا دال لغة على أن المعطوف أفضل من المعطوف عليه.

وبقوله سبحانه: قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ [الأنعام: ٥٠].

وجه الدلالة: والمعنى عندهم أني لا أدعي فوق منزلتي.

وبقوله صلى الله عليه وسلم: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**» [(٢)]

---

(١) مقالات الإسلاميين، «ص٤٨، ٢٢٦، ٤٣٩»، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة «٧/ ٢٣٥» والفصل، «٥/ ٢٠ وما بعدها»، «المحلى، «١/ ١٣» و«أصول الدين» «١٦٦» والمواقف، «٣٦٧» وفتح الباري، «١٣/ ٣٨٦» وشرح الطحاوية «٢٧٧» ولوامع الأنوار البهية ن «٢/ ٣٩٨» والمواهب اللدنية «٢/ ٤٤» وغيرها..

(٢) رواه البخاري «٧٤٠٥»، ومسلم «٢٦٧٥» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



وجه الدلالة: وهو نص في الأفضلية.

وهي أدلة على ما ترى من الدلالة، إلا أن المخالفين ردوا على الاستدلال بها ورد هؤلاء على ردودهم.

القول الثاني: تفضيل الأنبياء وصالحي البشر على الملائكة.

القائلون به:

وهو مذهب جمهور أهل السنة والجماعة وكذا جمهور أصحاب الأشعري.

أدلتهم:

واستدلوا بأدلة ظاهرة الدلالة على قولهم، ففي الأنبياء:

كقوله سبحانه: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ»

وجه الدلالة: والفاضل لا يسجد للمفضول.

وقوله سبحانه: وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ [الدخان: ٣٢].

وقوله: إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ [آل عمران: ٣٣].

أما في صالح البشر

فكقوله سبحانه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ [البينة: ٧].

وقال ابن تيمية بعد ذكر بعض هذه الأحاديث: «**وأقل ما في هذه الآثار أن السلف الأولين كانوا يتناقلون بينهم أن صالحي البشر أفضل من الملائكة من غير نكير منهم لذلك، ولم يخالف أحد منهم في ذلك، إنما ظهر الخلاف بعد تشتت الأهواء بأهلها، وتفرق الآراء، فقد كان ذلك المستقر عندهم**».[(١)]

وقال: «**قد كان السلف يحدثون الأحاديث المتضمنة فضل صالح البشر على الملائكة،**

(١) الفتاوى «٤/ ٣٦٩».

وتروى على رؤوس الناس ولو كان هذا منكراً لأنكروه فدل على اعتقادهم ذلك».[(١)]

وقد جاء عن الإمام أحمد أنه كان يفضل صالحي المؤمنين على الملائكة، ويخطئ من يفضل الملائكة على بني آدم.[(٢)]

وقد فصل ابن تيمية في هذه المسألة تفصيلاً طويلاً، قرر فيه مذهب أهل السنة تفضيل صالحي البشر على الملائكة.[(٣)]

وقد فصل ابن تيمية في هذه المسألة تفصيلاً طويلاً، قرر فيه مذهب أهل السنة تفضيل صالحي البشر على الملائكة.

وهي أدلة في القوة على ما ترى، إلا أن المخالفين ردوا على الاستدلال بها وعلى الرد رد، وإنا إن ذهبنا نتتبع الأدلة والردود ورد الردود لخرج بنا الموضوع عن حده وطال طولاً لا نستطيع الوقوف عند حد له.

القول الثالث: أن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية.

فقد نقل ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية: «**أنه سئل عن صالحي بني آدم والملائكة أيهما أفضل؟ فأجاب بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهين عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة**» قال: «**وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل، وتتفق أدلة الفريقين، ويصالح كل منهم على حقه**».[(٤)]

---

(١) الفتاوى «٤/ ٣٧١».

(٢) طبقات الحنابلة «٢/ ٢٧٩، ٣٠٦».

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية «٤/ ٣٥٢».

(٤) بدائع الفوائد «٣/ ١٦٣».

رأى قوم أن الأدلة متكافئة، وأنه كثر فيها الاختلاف، وتشعبت فيها الاستدلالات، وتشابكت وعظم فيها الجدال حتى خرج بها بعضهم مخرج المنافرة والمفاخرة فأخذ يقول: منا الأنبياء ومنا الأولياء، فرد عليه بأن للملائكة أن تقول: أليس منكم فرعون وهامان؟ أليس منكم من ادعى الربوبية؟ [١] وأساء بعضهم الأدب فقال: كان الملك خادماً للنبي صلى الله عليه وسلم، أو أن بعض الملائكة خدموا بني آدم.[٢]

---

(١) طبقات الحنابلة «٤/ ٢٠٧»

(٢) شرح الطحاوية «٢٧٩».



٦- الإيمان بالكتب

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالكتب لغة وشرعًا.

المسألة الثانية: الأدلة على وجوب الإيمان بالكتب.

المسألة الثالثة: الكتب السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه.

المسألة الرابعة: ثمرات الإيمان بالكتب.

المسألة الخامسة: مواضع الاتفاق والاختلاف بين الكتب المنزلة.

المسألة السادسة: حكم الشرائع التي جاءت بها تلك الكتب.

[٦] - قال المصنف رحمه الله: «**وكتبه**»

الشرح

الرُّكن الثالث: الإيمان بالكتب:

هو الاعتقادُ الجازمُ أن الله تعالى أنزل على رسله كتبًا حجة على العالمين، ومحجة للعاملين؛ يعلمونهم بها الحكمة، ويزكونهم.

ونؤمن بأن الله تعالى أنزل مع كل رسول كتابًا؛ لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.

المسألة الأولى: التعريف بالكتب لغة وشرعًا:

التعريف بالكتب لغة:

الكُتُبُ: جَمعُ كِتابٍ، والكِتابُ مَصْـدرُ كَتَب يَكتُبُ، ثمَّ سُمِّيَ به المكتوبُ، ويُطلَقُ الكِتابُ على المنَزَّلِ وعلى ما يَكتُبُه الشَّـخصُ ويُرسِـلُه، وأصـلُ «**كتب**»: يدُلُّ على جَمعِ شَـيءٍ إلى شَيءٍ". (١)

التعريف بالكتب شرعًا:

المراد بالكتب في الشرع: الكتب والصحف التي حوت كلام الله تعالى الذي أوحاه إلى رسله عليهم السلام، سواء ما ألقاه مكتوبا كالتوراة، أو أنزله عن طريق الملك مشافهة فكتب بعد ذلك. (٢)

قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [النساء: الآية: ١٥٣].

(١) يُنظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس «٥/ ١٥٨»، «النهاية» لابن الأثير «٤/ ١٤٧»، «المصباح المنير» للفيومي «٢/ ٥٢٤».

(٢) يُنظر: «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» لمجموعة من العلماء «ص: ١٢٧». ويُنظر: «تعظيم قدر الصلاة» لمحمد بن نصر المروزي «١/٣٩٣»، «الجامع لشعب الإيمان» للبيهقي «١/٣٤٥»، «أعلام السنة المنشورة» لحافظ الحكمي «ص: ٤٣».

قال القرطبي: "سألت اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم أن يصعد إلى السماء وهم يرونه، فينزل عليهم كتابا مكتوبا فيما يدعيه على صدقه دفعة واحدة، كما أتى موسى بالتوراة». [(١)]

وقال الله سبحانه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: الآية: ١٧٧] .

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: **والكتاب**: "هو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، حتى ختمت بأشرفها، وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب، الذي انتهى إليه كل خير، واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة، ونسخ الله به كل ما سواه من الكتب قبله". [(٢)] [(٣)]

المسألة الثانية: الأدلة على وجوب الإيمان بالكتب:

الإيمان بكتب الله التي أنزلها على رسله عليهم السلام ركن عظيم من أركان الإيمان، فلا يتحقق الإيمان من دونه.

قال عياض: "إن جحد التوراة والإنجيل وكتب الله المنزلة، أو كفر بها أو لعنها أو سبها أو استخف بها؛ فهو كافر". [(٤)]

وقال ابن تيمية: "لو آمن بجميع الكتب وكفر بكتاب، كان كافرا حتى يؤمن بذلك الكتاب". [(٥)]

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

أولًا: الأدلة من الكتاب:

---

(١) يُنظر: «تفسير القرطبي» «٦/ ٦».

(٢) يُنظر: «تفسير ابن كثير» «١/٤٨٦».

(٣) المصدر الموسوعة العقدية الكتاب الرابع: الإيمان بالكتب المنزلة.

(٤) يُنظر: «الشفا» «٢/ ٣٠٤».

(٥) يُنظر: «مجموع الفتاوى» «١/٣٧١».

فمن أركان الإيمان السِّتة: الإيمانُ بالكُتُبِ التي أنزلها اللهُ، كما دلَّ على ذلك قولُه سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: الآية: ١٣٦]، وكذلك جاء في حديث جبريل عليه السلام، وفيه: الإيمان، قال: «**أن تُؤمن باللهِ، ومَلائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِرِ، وتُؤمن بالقَدَرِ؛ خَيْرِه وشَرِّه**»[(١)].

والإيمان بالكتب هو الاعتقادُ الجازمُ أن الله تعالى أنزل على رسله كتبًا حجة على العالمين، ومحجة للعاملين؛ يعلمونهم بها الحكمة، ويزكونهم.

ونؤمن بأن الله تعالى أنزل مع كل رسول كتابًا؛ لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: الآية: ٢٥].

فأخْبَرَ تعالى أنه أنْزَلَ الكُتُبَ: القرآنَ، والتَّوراةَ والإنجيلَ، وإنَّما ذلك بلُغاتِ الرُّسل الذين أنْزَلَ عَلَيهم، وبلُغات أقوامِهم، لأجْلِ أن تقومَ الحُجَّةُ عليهم به، إذ لوكانَ بغيرِ لُغتهم ما فَقِهُوهُ.

قال تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: الآيتان: ١-٢].

وقال تعالى: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: الآيات: ١ - ٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: الآية: ١٠٣].

وقال جَلَّ وَعَزَّ ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: الآيات: ١٩٢ - ١٩٩].

---

(١) أخرجه البخاري «٥٠» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم «٨» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: الآيتان: ٢٧ - ٢٨].

وقالَ سُبحانه: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: الآيات: ١ - ٤].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى...﴾ [فصلت: الآية: ٤٤].

قال السعدي: "فيه الإيمان بجميع الكتب المنزلة على جميع الأنبياء، والإيمان بالأنبياء عموما وخصوصا، ما نص عليه في الآية؛ لشرفهم ولإتيانهم بالشرائع الكبار؛ فالواجب في الإيمان بالأنبياء والكتب أن يؤمن بهم على وجه العموم والشمول، ثم ما عرف منهم بالتفصيل وجب الإيمان به مفصلا". (١)

قول الله سبحانه: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ [البقرة: الآية: ١٧٧] .

قال ابن باز في تفسير الكتاب: «**المراد به الكتب المنزلة من السماء، وأعظمها القرآن الكريم؛ فأهل الإيمان يؤمنون بجميع الكتب المنزلة على الأنبياء الماضين، وآخرها وأعظمها وأشرفها القرآن العظيم المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم**»". (٢)

ثانيًا: الأدلة من السنة:

١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، فقال: «**أن تؤمن بالله،وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن**

(١) يُنظر: «تفسير السعدي» «ص: ٦٨».

(٢) يُنظر: «مجموع فتاوى ابن باز» «٤/ ٤٦».

بالقدر خيره وشره».[١]

قال أبو العباس القرطبي عن الإيمان بكتب الله: «**هو التصديق بأنها كلام الله، ومن عنده، وأن ما تضمنته حق، وأن الله تعالى تعبد خلقه بأحكامها وفهم معانيها**» .[٢]

٢- عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، أنه كان من دعاء النبي-صلى الله عليه وسلم-عند النوم: «**اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر**» .[٣]

٣- قال الطيبي: "عقب ذلك كله بقوله: «**منزل التوراة**»؛ ليؤذن بأن لم يكن إخراج الأشياء من كتم العدم إلى فضاء الوجود إلا ليعلم ويعبد، ولا يحصل ذلك إلا بكتاب ينزله، ورسول يبعثه، كأنه قيل: يا مالك، يا مدبر، يا خالق، يا هادي" .[٤]

ثالثًا: الإجماع:

والإيمان بالكتب المنزلة أمر متفق على وجوبه وكفر تاركه.

قال ابن بطة: "كذلك وجوب الإيمان والتصديق بجميع ما جاءت به الرسل من عند الله، وبجميع ما قال الله عز وجل، فهو حق لازم، فلو أن رجلا آمن بجميع ما جاءت به الرسل إلا شيئا واحدا، كان برد ذلك الشيء كافرا عند جميع العلماء" .[٥]

---

(١) رواه مسلم «٨» مطولاً.

(٢) يُنظر: «المفهم» «١/ ١٤٥».

(٣) رواه مسلم «٢٧١٣».

(٤) يُنظر: «شرح المشكاة» «٦/ ١٨٨٧».

(٥) يُنظر: «الإبانة الصغرى» «ص: ٢٣٢».

وقال ابن تيمية: "قد اتفق المسلمون على ما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وبجميع ما أنزله الله من الكتب". [(١)]

رابعًا: الأدلة العقلية:

ومن الأدلة العقلية على وجوب الإيمان بالكتب:

١- ضعف الإنسان واحتياجه إلى ربه في إصلاح جسمه وروحه يقتضي إنزال كتب تتضمن التشريعات والقوانين المحققة للإنسان كمالاته، وما تتطلبه حياتاه الأولى والأخرى.

٢ - لما كان الرسل هم الواسطة بين الله تعالى الخالق وبين عباده المخلوقين، وكان الرسل كغيرهم من البشر يعيشون زمنًا ثم يموتون، فلو لم تكن رسالاتهم قد تضمنتها كتب خاصة لكانت تضيع بموتهم، ويبقى الناس بعدهم بلا رسالة، فيضيع الغرض الأصلي من الوحي والرسالة؛ فكانت هذه حالا تقتضي إنزال الكتب الإلهية.

٣ - إذا لم يكن الرسول الداعي إلى الله تعالى يحمل كتابا من عند ربه فيه التشريع والهداية والخير، سهل على الناس تكذيبه وإنكار رسالته؛ فكانت هذه حالا تقتضي بإنزال الكتب الإلهية، لإقامة الحجة على الناس. [(٢)] [(٣)]

المسألة الثالثة: الكتب السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه:

١-التوراة: التي أنزلها الله تعالى على موسى ﷺ، وهي أعظم كتب بني إسرائيل؛ قال عز وجل: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾.

٢ -الإنجيل: الذي أنزله الله تعالى على عيسى ﷺ، وهو مصدق للتوراة، ومتمم لها؛ قال

(١) يُنظر: «الجواب الصحيح» «٢/٣٧١».

(٢) يُنظر: «منهاج المسلم» لأبي بكر الجزائري «ص: ٢١».

(٣) المصدر الموسوعة العقدية الكتاب الرابع: الإيمان بالكتب المنزلة.

جل وعلا: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾. ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

٣-الزَّبور: الذي آتاه الله تعالى داود ﷺ.

٤ -صُحف إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام.

٥-القرآن العظيم: الذي أنزله الله على نبيه، محمد خاتم النبيين ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ فكان ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾؛ فنسخ الله به جميع الكتب السابقة، وتكفل بحفظه عن عبث العابثين، وزيغ المحرفين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾؛ لأنه سيبقى حجة على الخلق أجمعين إلى يوم القيامة [(١)].

وقال ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-«**ت: ٧٩٢ هـ**»: "والحق أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة، وكلام الله تعالى لا يتناهى؛ فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك... كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف" [(٢)].

المسألة الرابعة: ثمرات الإيمان بالكتب:

أولًا: العلم برحمة الله وعنايته بخلقه، حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به.

ثانيًا: ظُهُور حِكمته تعالى؛ حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، وكان خاتم هذه الكتب القرآن العظيم مُناسبًا لِجَميع الخَلْقِ في كلِّ عَصر ومكانٍ إلى يوم القيامة.

ثالثًا: قوة الإيمان بالله تعالى ومعرفة شرائعه وكيفيات أدائها. [(٣)]

رابعًا: السير على طريق مستقيمة واضحة لا اضطراب فيها ولا اعوجاج. [(٤)]

---

(١) انظر: «مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ العثيمين"«٣/ ٢٤١».

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٢.

(٣) يُنظر: «عقيدة المؤمن» لأبي بكر الجزائري «ص: ٢٧٦».

(٤) يُنظر: «عقيدة أهل السنة والجماعة» «ضمن مجموع فتاوى ابن عثيمين» «٣/٢٥٩».

خامسًا: شكر الله تعالى على لطفه بخلقه وعنايته بهم؛ حيث أنزل إليهم الكتب المتضمنة إرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة، والفرح بذلك الخير العظيم.(١)

قال الله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ [يونس: الآية: ٥٨]

قال ابن القيم: "أوامره سبحانه، وحقه الذي أوجبه على عباده، وشرائعه التي شرعها لهم: هي قرة العيون ولذة القلوب، ونعيم الأرواح وسرورها، وبه سعادتها وفلاحها، وكمالها في معاشها ومعادها، بل لا سرور لها ولا فرح، ولا لذة ولا نعيم في الحقيقة إلا بذلك، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ [يونس: الآيتان: ٥٧-٥٨]".(٢)

سادسًا: إثبات صفة الكلام لله تعالى وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين، وعجز المخلوقين عن الإتيان بمثل كلامه.(٣)

سابعًا: إثبات علو الله تعالى على خلقه؛ فهو منزل الكتب على الأنبياء عليهم السلام.(٤)

المسألة الخامسة: مواضع الاتفاق والاختلاف بين الكتب المنزلة.

أولًا: مواضع الاتفاق:

أ- وحدة المصدر:

الكُتُبُ السَّماويةُ مَصدَرُها واحِدٌ؛ فكُلُّها مُنَزَّلةٌ مِن عِندِ اللهِ تعالى.

قال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿الم اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: الآيات:

(١) يُنظر: «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» لمجموعة من العلماء «ص: ١٢٩».

(٢) يُنظر: «إغاثة اللهفان» «١/٤٧».

(٣) يُنظر: «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» لمجموعة من العلماء «ص: ١٢٩».

(٤) يُنظر: «موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة» لمجموعة باحثين «٥/ ٢٤٦٥».

١-٤] .

قال ابنُ جَريرٍ: "مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يعني بذلك القُرْآنَ أنَّه مُصَدِّقٌ لِما كان قَبْلَه من كُتُبِ اللهِ التي أنزلها على أنبيائِه ورُسُلِه، ومحقِّقٌ ما جاءت به رُسُلُ اللهِ مِن عِندِه؛ لأنَّ مُنزِلَ جميعِ ذلك واحِدٌ". (١)

ب-وحدة الغاية:

الكُتُبُ السَّماويةُ غايتُها واحِدةٌ؛ فكُلُّها تدعو إلى عبادةِ اللهِ وَحْدَه لا شريكَ له، وإلى دينِ الإسلامِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: الآية: ٣٦] .

قال ابنُ تيميَّةَ: "إنَّ اللهَ تعالى أخبر في كِتابِه أنَّ الإسلامَ دينُ الأنبياءِ؛ كنُوحٍ وإبراهيمَ ويَعقوبَ وأتباعِهم إلى الحواريِّين، وهذا تحقيقٌ لقولِه تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: الآية: ٨٥] و ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٩] في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ.

قال تعالى عن نوحٍ أوَّلِ رَسولٍ بعثه إلى الأرضِ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ * فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: الآيتان: ٧١، ٧٢]، فهذا نوحٌ الذي غَرِق أهلُ الأرضِ بدَعوتِه، وجعل جميعَ الآدميِّين مِن ذريَّتِه يَذكُرُ أنَّه أُمِرَ أن يكونَ من المسلِمين. وأمَّا الخليلُ فقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: الآيتان: ١٢٧، ١٢٨] ، ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ

(١) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «٥/ ١٨٠».

إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: الآيات: ١٣٠ - ١٣٢].

فقد أخبر تعالى أنَّه أمر الخليلَ بالإسلامِ، وأنَّه قال: أسلَمْتُ لرَبِّ العالَمين، وأنَّ إبراهيمَ وَصَّى بَنِيه ويعقوبَ وَصَّى بَنِيه ألَّا يَموتُنَّ إلَّا وهم مُسلِمون، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: الآيتان: ٦٧، ٦٨].

وقال تعالى عن يُوسُفَ الصِّدِّيقِ بنِ يَعقوبَ إنَّه قال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: الآية: ١٠١]، وقد قال تعالى عن موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: الآية: ٨٤] .

وقال عن السَّحَرةِ الذين آمنوا بموسى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: الآيتان: ٥٠، ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٢٦].

وقال تعالى في قِصَّةِ سُلَيمان ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: الآيتان: ٣٠، ٣١]، ﴿وقَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: الآية: ٣٨]، وقال: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: الآية: ٤٢] .

وقال تعالى عن بِلقِيسَ التي آمنت بسُلَيمانَ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: الآية: ٤٤] ، وقال عن أنبياءِ بني إسرائيلَ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: الآية: ٤٤]، وقال تعالى عن الحوارِيِّينَ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا

مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: الآية: ١١١]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: الآية: ٥٣].

فهؤلاء الأنبياءُ كُلُّهم وأتباعُهم كُلُّهم يذكُرُ اللهُ تعالى أنَّهم كانوا مُسلِمين، وهذا ممَّا يُبَيِّنُ أنَّ قَولَه تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية: ٨٥]، وقولَه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٩]، لا يختصُّ بمن بُعِث إليه مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، بل هو حُكمٌ عامٌّ في الأوَّلين والآخِرينَ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: الآية: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: الآيتان: ١١١، ١١٢]." [(١)]

وقال ابنُ رجب: "إنَّ اللهَ تعالى كان يتعاهَدُ الخَلْقَ بالأنبياءِ والرُّسُلِ، كُلَّما بَعُدَ عَهدُ نُبُوَّةٍ ورسالةٍ أتبَعَها بأُخرى.

وكان الذي اتَّفقت عليه دعوةُ جميعِ الأنبياءِ والرُّسُلِ هو دينَ الإسلامِ، كما قال نوحٌ أوَّلُ الرُّسُلِ: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: الآية: ٧٢]. وقال الحواريُّون للمَسيحِ وهو آخِرُ أنبياءِ بني إسرائيلَ: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: الآية: ٥٢].

والإسلامُ هو الاستسلامُ والانقيادُ، وهو متضَمِّنٌ لعبادةِ اللهِ وَحْدَه لا شَريكَ له. والعِبادةُ تجمَعُ كمالَ الحُبِّ، وكمالَ الخُضوعِ والذُّلِّ. وعبادةُ اللهِ هي الغايةُ التي لأجْلِها خَلَق الخَلْقَ، وبها سَعِد من سَعِد منهم في الدُّنيا والآخِرةِ... والمقصودُ هاهنا أنَّ جميعَ الرُّسُلِ كان دينُهم الإسلامَ؛ ولهذا ثبت في «**الصَّحيحِ**» عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه قال: «**إنَّا –مَعاشِرَ الأنبياءِ–**

---

(١) الجواب الصحيح لمن بالدين المسيح «٢/ ١٢٨-١٣٢».

دينُنا واحِدٌ». [(١)] [(٢)]

ج- مسائل العقيدة:

الكُتُبُ المنزَّلةُ من اللهِ تعالى قد اشتملت واتَّفَقت على مسائِلِ العقيدةِ.

ومن ذلك: الإيمانُ باللهِ ورُسُلِه، والبَعثِ والنُّشورِ، والجَنَّةِ والنَّارِ، وغيرِ ذلك.

وهذه المسائِلُ من بابِ الأخبارِ التي لا تُنسَخُ في أيِّ كِتابٍ مِن اللهِ عَزَّ وجَلَّ.

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**». [(٣)]

قال أبو العبَّاسِ القُرطبيُّ: "وفي لَفظٍ آخَرَ: «**أولادُ عَلَّاتٍ**» [(٤)]. وفي الصِّحاحِ: بنو العَلَّاتِ: هم أولادُ الرَّجُلِ مِن نسوةٍ شَتَّى... و«**قَولُه: ودينُهم واحِدٌ**» أي: في توحيدِهم، وأصولِ أديانِهم، وطاعتِهم لله تعالى، واتِّباعِهم لشرائعِه، والقِيامِ بالحَقِّ، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: الآية: ١٣] الآية". [(٥)]

وقال ابنُ تيميَّةَ: "الرُّسُلُ مُتَّفِقون في الدِّينِ الجامعِ للأُصولِ الاعتقاديَّةِ والعَمَليَّةِ؛ فالاعتقاديَّةُ كالإيمانِ باللهِ وبرُسُلِه وباليومِ الآخِرِ". [(٦)]

وقال ابنُ رجَبٍ: "إنَّ جميعَ الرُّسُلِ كان دينُهم الإسلامَ؛ ولهذا ثبت في «**الصَّحيح**» عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه قال: «**إنَّا -مَعاشِرَ الأنبياءِ- دينُنا واحِدٌ**» ؛ فإنَّهم كُلَّهم مُتَّفِقون

---

(١) أخرجه البخاري «٣٤٤٣»، ومسلم «٢٣٦٥» بنحوه من حَديثِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه. ولفظ البخاري: « ..والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

(٢) يُنظر: «مجموع رسائل ابن رجب» «٢/ ٥٥٦».

(٣) أخرجه البخاري «٣٤٤٣» واللَّفظُ له، ومسلم «٢٣٦٥».

(٤) أخرجه البخاري «٣٤٤٢»، ومسلم «٢٣٦٥» مُطوَّلًا.

(٥) يُنظر: «المفهم» «٦/ ١٧٦».

(٦) يُنظر: «مجموع الفتاوى» «١٥/ ١٥٩».

على أصولِ التوحيدِ وتوابِعِه". (١)

د- القواعد العامة

الكُتُبُ المنزَّلةُ مُتَّفِقةٌ على تقريرِ القواعدِ العامَّةِ التي لا بُدَّ أن تَعِيَها البَشَرِيَّةُ.

ومن ذلك: قاعِدةُ الثَّوابِ والعِقابِ، وهي أنَّ الإنسانَ يحاسَبُ بعَمَلِه، فيُعاقَبُ بذُنوبِه، ولا يؤاخَذُ بذُنوبِ غيرِه، ويُثابُ بسَعْيِه لا بسَعْيِ غَيرِه.

قال اللهُ تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ [النجم: الآيات: ٣٦-٤١].

قال النَّسفيُّ: "أعلَمَ بما في صُحُفِ موسى وإبراهيمَ، فقال: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾... والمعنى أنَّه لا تَزِرُ... أي: أنْ لا تحمِلُ نَفسٌ ذَنْبَ نَفسٍ ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ إلَّا سَعْيُه، وهذه أيضًا ممَّا في ﴿صُحُفِ إبراهيمَ وموسى﴾... ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ أي: يَرى هو سَعْيَه يومَ القيامةِ في ميزانِه ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ﴾ ثمَّ يُجزى العَبدُ سَعْيَه... ثمَّ فَسَّره بقَولِه: ﴿الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ أو أبدَلَه عنه ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ هذا كُلُّه في الصُّحُفِ الأُولى". (٢)

وقال ابنُ تيميَّةَ: "قَولُه تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: الآية: ٤٦] يدُلُّ الكلامُ على أنَّه لا يَظلِمُ مُحسِنًا فيَنقُصَه من إحسانِه، أو يجعَلَه لغَيرِه، ولا يَظلِمُ مُسيئًا فيَجعَلَ عليه سَيِّئاتِ غَيرِه، بل لها ما كَسَبت وعليها ما اكتَسَبت. وهذا كقَولِه: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ فأخبر أنَّه ليس على أحَدٍ مِن وِزْرِ غَيرِه شَيءٌ، وأنَّه لا يَستَحِقُّ إلَّا ما سعاه". (٣)

---

(١) يُنظر: «مجموع رسائل ابن رجب» «٢/ ٥٥٧».

(٢) يُنظر: «تفسير النسفي» «٣/ ٣٩٦»..

(٣) يُنظر: «مجموع الفتاوى» «١٨/ ١٤٢».

ومن ذلك: الحَثُّ على تزكيةِ النَّفسِ، وبيانُ أنَّ الفلاحَ الحقيقيَّ لا يتحقَّقُ إلَّا بتزكيتِها بالطَّاعةِ، والعُبوديَّةِ للهِ تعالى، وإيثارِ الآجِلِ على العاجِلِ.

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: الآيات: ١٤-١٩].

قال قَتادةُ: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [الأعلى: الآية: ١٨] تتابَعَت كُتُبُ اللهِ-كما تَسمَعون-أنَّ الآخِرةَ خَيرٌ وأبقى". (١)

وقال السَّعديُّ: "إِنَّ هَذَا المذكورَ لكم في هذه السُّورةِ المباركةِ من الأوامِرِ الحَسَنةِ، والأخبارِ المستَحْسَنةِ لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَاللَّذِينِ هما أشرَفُ المرسَلينَ سِوى النَّبيِّ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

فهذه أوامِرُ في كُلِّ شريعةٍ؛ لكَونِها عائدةً إلى مصالحِ الدَّارَينِ، وهي مصالحُ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ". (٢)

وقال ابنُ عاشورٍ: "الإشارةُ بكَلِمةِ هَذَا إلى مجموعِ قَولِه: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّاإلى قَولِه: وَأَبْقَى فإنَّ ما قبل ذلك من أوَّلِ السُّورةِ إلى قَولِه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ليس ممَّا ثبت معناه في صُحُفِ إبراهيمَ وموسى عليهما السَّلامُ". (٣)

ومن تلك القواعِدِ: أنَّ الذي يستحِقُّ وِراثةَ الأرضِ هم عِبادُ اللهِ الصَّالِحونَ. قال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ١٠٥].

قال ابنُ كثيرٍ: "يقولُ تعالى مخبرًا عمَّا حَتَّمه وقضاه لعبادِه الصَّالحينَ من السَّعادةِ في الدُّنيا

---

(١) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «٢٤/ ٣٢٤»، «تفسير ابن أبي حاتم» «١٠/ ٣٤١٩».

(٢) يُنظر: «تفسير السعدي» «ص: ٩٢١».

(٣) يُنظر: «تفسير ابن عاشور» «٣٠/ ٢٩١».

والآخِرةِ، ووراثةِ الأرضِ في الدُّنيا والآخرةِ، كقَولِه تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٢٨] ... وأخبر تعالى أنَّ هذا مكتوبٌ مسطورٌ في الكُتُبِ الشَّرعيةِ والقَدَريةِ، فهو كائِنٌ لا محالةَ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: الآية: ١٠٥]، قال الأعمَشُ: سألتُ سَعيدَ بنَ جُبَيرٍ عن قَولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: الآية: ١٠٥] ، فقال: الزَّبُورُ: التوراةُ والإنجيلُ والقُرآنُ. وقال مجاهِدٌ: الزَّبورُ: الكِتابُ... وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: الذِّكرُ: الذي في السَّماءِ". [1]

وقال السَّعديُّ: "﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ وهو الكِتابُ المزبورُ، والمرادُ: الكُتُبُ المنَزَّلةُ، كالتوراةِ ونحوِها مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أي: كتَبْناه في الكُتُبِ المنَزَّلةِ بَعْدَ ما كتبنا في الكِتابِ السَّابِقِ، الذي هو اللَّوحُ المحفوظُ، وأمُّ الكِتابِ الذي توافِقُه جميعُ التقاديرِ المتأخِّرةِ عنه، والمكتوبُ في ذلك: أَنَّ الْأَرْضَ أي: أرضَ الجنَّةِ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ الذين قاموا بالمأموراتِ واجتَنَبوا المنهيَّاتِ، فهم الذين يُورِثُهم اللهُ الجنَّاتِ، كقَولِ أهلِ الجَنَّةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: الآية: ٧٤] ، ويحتَمِلُ أنَّ المرادَ الاستِخلافُ في الأرضِ، وأنَّ الصَّالحينَ يمكِّنُ اللهُ لهم في الأرضِ، ويُوَلِّيهم عليها، كقَولِه تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: الآية: ٥٥] الآية". [2]

ومن ذلك: أنَّ العاقِبةَ للمُتَّقِين.

قال اللهُ تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٢٨] .

قال ابنُ رَجَبٍ: "لَمَّا افترق بنو آدم وصاروا فِرَقًا شَتَّى بين مُؤمِنٍ وكافِرٍ وبَرٍّ وفاجِرٍ، أرسل

---

(١) يُنظر: «تفسير ابن كثير» «٥/ ٣٨٤».

(٢) يُنظر: «تفسير السعدي» «ص: ٥٣١».

اللهُ الرُّسُلَ وأنزل معهم الكُتُبَ، وأقام بهم الحُجَجَ؛ لئلّا يكونَ للنَّاسِ على اللهِ حُجَّةٌ بعد الرُّسُلِ، وأمَرَ عِبادَه المؤمنين بدعوةِ الكافِرينَ، وشرع جهادَهم بالسَّيفِ والسِّنانِ، وبإقامةِ الحُجَجِ والبراهينِ، وجعل العاقِبةَ لأهلِ التقوى وأتباعِ المرسَلين، وسَلَّط على من استنكف عن عبادتِه واستكبر عنها جُنْدَه الغالِبين، حتى صاروا عبيدًا للعبيدِ عُقوبةً على امتناعِهم من عبادةِ رَبِّ العالَمين، وأورث المؤمنين ما كان خَوَّلهم من الأموالِ والأولادِ والدِّيارِ والأرَضِينَ، كما قال تعالى حاكيًا عن نبيِّه موسى عليه السَّلامُ؛ حيث قال لقَومِه: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٢٨] ، وقال تعالى مخاطبًا أمَّةَ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: الآية: ٥٥]. (١)

هـ- العدل والقسط:

فجميعُ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ حملوا ميزانَ العَدْلِ والقِسطِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاس بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: الآية: ٢٥] .

قال ابنُ جَريرٍ: "يقولُ تعالى ذِكْرُه: لقد أرسَلْنا رُسُلَنا بالمفَصَّلاتِ من البيانِ والدَّلائِلِ، وأنزَلْنا معهم الكِتابَ بالأحكامِ والشَّرائعِ، والميزانَ بالعَدْلِ... وقَولُه: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ يقولُ تعالى ذِكْرُه: لِيَعمَلَ النَّاسُ بينهم بالعَدْلِ". (٢)

وقال ابنُ كثيرٍ في قَولِه تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: الآية: ١٧] ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ يعني: الكُتُبَ المنَزَّلةَ من عِندِه على أنبيائِه ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ وهو: العَدلُ والإنصافُ، قاله مجاهِدٌ وقتادةُ. وهذه كقَولِه تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ

(١) يُنظر: «الاستخراج لأحكام الخراج» «ص: ٦»..

(٢) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «٢٢/ ٤٢٤».

وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: الآية: ٢٥] . [١] . [٢]

ثانيًا: مواضع الاختلاف:

تختلف الكتب المنزلة فيما بينها في تفاصيل بعض الشرائع، فمثلا شريعة عيسى تخالف شريعة موسى عليهما السلام في أمور، وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم تخالف شريعة موسى وعيسى عليهما السلام في أمور. [٣]

قال الله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ [المائدة: الآية: ٤٨].

قال قتادة: "يقول: سبيلا وسنة. والسنن مختلفة؛ للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء بلاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره التوحيد والإخلاص لله، الذي جاءت به الرسل". [٤]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الأنبياء إخوة لعلات؛ أمهاتهم شتى، ودينهم واحد**». [٥]

قال أبو العباس القرطبي: "وفي لفظ آخر: «**أولاد علات**». [٦] وفي الصحاح: بنو العلات: هم أولاد الرجل من نسوة شتى... و«**قوله: ودينهم واحد**» أي: في توحيدهم، وأصول أديانهم، وطاعتهم لله تعالى، واتباعهم لشرائعه، والقيام بالحق، كما قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا﴾ [الشعراء: الآية: ١٣] الآية، ولم يرد فروع الشرائع، فإنهم مختلفون فيها، كما

---

(١) يُنظر: «تفسير ابن كثير» «٧/ ١٩٦».

(٢) المصدر الموسوعة العقدية الكتاب الرابع: الإيمان بالكتب المنزلة.

(٣) يُنظر: «الرسل والرسالات» لعمر الأشقر «ص: ٢٥٠»، «رسائل في العقيدة» للحمد «ص: ٢٩٠».

(٤) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «٨/٤٩٤»، «تفسير ابن أبي حاتم» «٤/ ١١٥٢».

(٥) أخرجه مطولاً البخاري «٣٤٤٣» واللَّفظُ له، ومسلم «٢٣٦٥».

(٦) أخرجه البخاري «٣٤٤٢»، ومسلم «٢٣٦٥» مُطَوَّلًا.

قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ [المائدة: الآية: ٨٤] ". [١]

وقال علي القاري: "المعنى: أن حاصل أمر النبوة، والغاية القصوى من البعثة التي بعثوا جميعا لأجلها دعوة الخلق إلى معرفة الحق، وإرشادهم إلى ما به ينتظم معاشهم، ويحسن معادهم، فهم متفقون في هذا الأصل، وإن اختلفوا في تفاريع الشرع التي هي كالوصلة المؤدية، والأوعية الحافظة له؛ فعبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عما هو الأصل المشترك بين جميع الأنبياء بالأب، ونسبهم إليه، وعبر عما يختلفون فيه من الأحكام والشرائع المتفاوتة بالصورة المتقاربة في الفرض -يعني: بحسب الأزمنة والمصالح المتعلقة بالأشخاص المختلفة طبعا- بالأمهات". [٢]

ولا يعني ذلك أن الشرائع مختلفة اختلافا كليا، بل هي متفقة في المسائل الأساسية، وإنما يقع الاختلاف في تفاصيلها؛ فعدد الصلوات وأركانها وشروطها، ومقادير الزكاة، ومواضع النسك، ونحو ذلك؛ قد يختلف من شريعة إلى أخرى، وقد يحل الله أمرا في شريعة لحكمة، ويحرمه في شريعة أخرى لحكمة يعلمها الله عز وجل. [٣]

قال ابن تيمية: "الذي أنزله الله هو دين واحد اتفقت عليه الكتب والرسل وهم متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة وإن تنوعوا في الشرعة والمنهاج بين ناسخ ومنسوخ، فهو شبيه بتنوع حال الكتاب الواحد؛ فإن المسلمين كانوا أولا مأمورين بالصلاة لبيت المقدس، ثم أمروا أن يصلوا إلى المسجد الحرام، وفي كلا الأمرين إنما اتبعوا ما أنزل الله عز وجل.

وكذلك موسى عليه السلام كان مأمورا بالسبت محرما عليه ما حرمه الله في التوراة، وهو متبع ما أنزله الله عز وجل، والمسيح أحل بعض ما حرمه الله في التوراة، وهو متبع ما أنزل الله عز وجل؛ فليس في أمر الله لأهل التوراة والإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله أمر بما نسخ، كما أنه

---

(١) يُنظر: «المفهم» «٦/ ١٧٦».

(٢) يُنظر: «مرقاة المفاتيح» «٩/ ٣٦٥٧».

(٣) يُنظر: «شرح مسلم» للنووي «١٥/ ١٢٠»، «مجموع الفتاوى» لابن تيمية «٢٧/ ١٥٠» «٣٥/ ٣٦٤».

ليس في أمر أهل القرآن أن يحكموا بما أنزل الله أمر بما نسخ". [(١)]

وقال ابن رجب: "إن جميع الرسل كان دينهم الإسلام؛ ولهذا ثبت في «**الصحيح**» عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إنا –معاشر الأنبياء– ديننا واحد**» [(٢)]؛ فإنهم كلهم متفقون على أصول التوحيد وتوابعه، وإنما تختلف شرائعهم في الأحكام العملية التي يسميها كثير من الناس الفروع، وتنوع الشرائع في ذلك كتنوع الشريعة الواحدة التي فيها ناسخ ومنسوخ، كما كانت القبلة في أول الإسلام إلى صخرة بيت المقدس، ثم صارت إلى الكعبة. والدين واحد، ثم ختم الله الشرائع والملل بالشريعة العامة الكاملة؛ الحنيفية المحمدية المحتوية على جميع محاسن الشرائع، المتضمنة لجميع مصالح العباد في المعاش والمعاد". [(٣)]

ومن الأمثلة على ذلك:

١– أن الله تعالى أحل لآدم عليه السلام تزويج بناته من بنيه، ثم حرم الله هذا بعد ذلك . [(٤)]

قال الله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [المائدة: الآية: ٢٧] .

قال ابن كثير: "كان من خبرهما فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف، أن الله تعالى قد شرع لآدم، عليه السلام، أن يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال، ولكن قالوا: كان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى، فكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر، وكانت أخت هابيل دميمة، وأخت قابيل وضيئة، فأراد أن يستأثر بها على أخيه، فأبى آدم ذلك إلا أن يقربا قربانا، فمن تقبل منه فهي له، فقربا فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل؛ فكان من أمرهما ما قص

---

(١) يُنظر: «الجواب الصحيح» «٢/ ٤٣٨».

(٢) أخرجه البخاري «٣٤٤٣»، ومسلم «٢٣٦٥» بنحوه من حَديثِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه. ولفظ البخاري: « ..والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

(٣) يُنظر: «مجموع رسائل ابن رجب» «٢/ ٥٥٧».

(٤) يُنظر: «تفسير ابن كثير» «٢/٧٦»، «البداية والنهاية» لابن كثير «١/٢١٥».

الله في كتابه... وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني ابن خثيم قال: أقبلت مع سعيد بن جبير، فحدثني عن ابن عباس قال: نهي أن تنكح المرأة أخاها توأمها، وأمر أن ينكحها غيره من إخوتها، وكان يولد له في كل بطن رجل وامرأة، فبينما هم كذلك ولد له امرأة وضيئة، وولد له أخرى قبيحة دميمة، فقال أخو الدميمة: أنكحني أختك وأنكحك أختي. قال: لا، أنا أحق بأختي، فقربا قربانا، فتقبل من صاحب الكبش، ولم يتقبل من صاحب الزرع، فقتله. إسناد جيد". (١)

وقال ابن القيم: "لا ريب أن الشيء يكون مصلحة في وقت دون وقت، وفي شريعة دون أخرى، كما كان تزويج الأخ بالأخت مصلحة في شريعة آدم عليه السلام، ثم صار مفسدة في سائر الشرائع". (٢)

٢- كان كل الطعام حلالًا ليعقوب عليه السلام، فحرم على نفسه أشياء. قال الله تعالى: ﴿كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة﴾ [آل عمران: الآية: ٦٣] .

قال ابن جرير: "يعني بذلك جل ثناؤه أنه لم يكن حرم على بني إسرائيل وهم ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن شيئا من الأطعمة من قبل أن تنزل التوراة، بل كان ذلك كله لهم حلالا، إلا ما كان يعقوب حرمه على نفسه، فإن ولده حرموه استنانا بأبيهم يعقوب من غير تحريم الله ذلك عليهم في وحي ولا تنزيل ولا على لسان رسول له إليهم من قبل نزول التوراة". (٣)

وقال السمعاني: "قوله تعالى: ﴿كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل﴾ [آل عمران: الآية: ٩٣] سبب نزول الآية: أن اليهود قالوا لرسول الله: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان لا

---

(١) يُنظر: «تفسير ابن كثير» «٣/ ٨٢».

(٢) يُنظر: «إغاثة اللهفان» «٢/ ١١٠٢».

(٣) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «٥/ ٥٧٧».

يأكل لحوم الإبل وألبانها، وأنت تأكلها، فلست على ملة إبراهيم؛ فنزلت الآية ﴿كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة﴾ [آل عمران: ٩٣] ، يعني: ليس الأمر على ما قالوا من حرمة لحوم الإبل وألبانها على إبراهيم، بل كان الكل حلالا له ولبني إسرائيل، وإنما حرمها يعقوب على نفسه قبل نزول التوراة، يعني: أن حرمتها ليست في التوراة، ولا في شرع إبراهيم، وإنما هو شيء حرمه إسرائيل على نفسه،... ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ [آل عمران: الآية: ٩٣] طالبهم بالإتيان بالتوراة حجة على ما ادعوا، فلم يأتوا بها؛ إذ لم يكن تحريمها في التوراة، فعجزوا عن الإتيان بالتوراة، وكان ذلك كالمعجزة للرسول عليهم". (١)

٣- حرم الله على اليهود أمورا ثم جاء عيسى عليه السلام فأحل لهم بعض ما حرم عليهم.

قال الله تعالى: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ [النساء: الآية:١٦٠] .

قال ابن جرير: "يعني بذلك جل ثناؤه: فحرمنا على اليهود -الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا ربهم، وكفروا بآيات الله، وقتلوا أنبياءهم، وقالوا البهتان على مريم، وفعلوا ما وصفهم الله في كتابه- طيبات من المآكل وغيرها كانت لهم حلالا؛ عقوبة لهم بظلمهم الذي أخبر الله عنهم في كتابه". (٢)

وقال السعدي: "أخبر تعالى أنه حرم على أهل الكتاب كثيرا من الطيبات التي كانت حلالا عليهم، وهذا تحريم عقوبة بسبب ظلمهم واعتدائهم، وصدهم الناس عن سبيل الله، ومنعهم إياهم من الهدى، وبأخذهم الربا وقد نهوا عنه، فمنعوا المحتاجين ممن يبايعونه عن العدل، فعاقبهم الله من جنس فعلهم، فمنعهم من كثير من الطيبات التي كانوا بصدد حلها؛ لكونها طيبة، وأما التحريم الذي على هذه الأمة فإنه تحريم تنزيه لهم عن الخبائث التي تضرهم في دينهم ودنياهم".

(١) يُنظر: «تفسير السمعاني» «١/ ٣٤٠»..

(٢) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «٧/ ٦٧٦».

(١)

وقال الشنقيطي: "لم يبين هنا ما هذه الطيبات التي حرمها عليهم بسبب ظلمهم، ولكنه بينها في سورة «**الأنعام**» بقوله: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾ [الأنعام: الآية: ١٤٦]". (٢)

وقال الله سبحانه حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾ [آل عمران: الآية: ٥٠] .

عن الربيع قال: "كان الذي جاء به عيسى ألين من الذي جاء به موسى... في أشياء حرمها عليهم، وشددها عليهم؛ فجاءهم عيسى بالتخفيف منه في الإنجيل". (٣)

وقال السعدي: "أخبر عيسى عليه السلام أن شريعة الإنجيل شريعة فيها سهولة ويسر، فقال ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾ [آل عمران: الآية: ٥٠]". (٤)

ثم جاءت الشريعة الإسلامية الخاتمة لتكون القاعدة العامة: إحلال الطيبات وتحريم الخبائث.

قال الله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٧] .

قال البيضاوي: " ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير، أو كالربا والرشوة. ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة؛ كتعيين القصاص في العمد والخطأ، وقطع الأعضاء الخاطئة،

---

(١) يُنظر: «تفسير السعدي» «ص: ٢١٤».

(٢) يُنظر: «أضواء البيان» «١/ ٣٢١»..

(٣) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «٥/ ٤٣٢»، «تفسير ابن أبي حاتم» «٢/ ٦٥٧».

(٤) يُنظر: «تفسير السعدي» «ص: ١٣٢».

وقرض موضع النجاسة. وأصل الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه، أي: يحبسه من الحراك لثقله".[١]

وقال ابن كثير: "قوله: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾ أي: يحل لهم ما كانوا حرموه على أنفسهم من البحائر، والسوائب، والوصائل، والحام، ونحو ذلك، مما كانوا ضيقوا به على أنفسهم، ويحرم عليهم الخبائث.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: كلحم الخنزير والربا، وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التي حرمها الله تعالى. وقال بعض العلماء: كل ما أحل الله تعالى، فهو طيب نافع في البدن والدين، وكل ما حرمه، فهو خبيث ضار في البدن والدين... وقوله: **ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم** أي: إنه جاء بالتيسير والسماحة، كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**بعثت بالحنيفية السمحة**».[٢] وقال لأميريه معاذ وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن: «**بشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا**».[٣] وقال صاحبه أبو برزة الأسلمي: إني صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت تيسيره.[٤] وقد كانت الأمم الذين كانوا قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم؛ فوسع الله على هذه الأمة أمورها، وسهلها لهم".[٥]

وقد ذكر بعض العلماء أمثلة أخرى.

---

(١) يُنظر: «تفسير البيضاوي» «٣/ ٣٧».

(٢) رُوِيَ الحديثُ بلفظ: «إنّي أُرسِلتُ بحَنيفيَّةٍ سَمْحةٍ» من حَديثِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها. أخرجه أحمد «٢٤٨٥٥»، والسراج في «حديثهِ» «٢١٤٨»، والديلمي كما في «كنز العمال» للمتقي الهندي «١٥/ ٢١٤». صَحَّحه بشواهده شعيب الأرناؤوط في تخريج «العواصم والقواصم» «١/ ١٧٥»، وصَحَّح إسناده أحمد شاكر في «عمدة التفسير» «١/ ٣٤٨»، وحَسَّنه ابن حجر في «تغليق التعليق» «٢/٤٣»، والسخاوي في «المقاصد الحسنة» «١٣٦»، والألباني في الشواهد في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» «٦/ ١٠٢٣».

(٣) أخرجه البخاري «٣٠٣٨»، ومسلم «١٧٣٣» باختلاف يسير من حَديثِ أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عنه.

(٤) أخرجه البخاري «١٢١١» مُطَوَّلًا باختلافٍ يسيرٍ.

(٥) يُنظر: «تفسير ابن كثير» «٣/ ٤٨٨».

قال ابن القيم: "وكذلك إباحة العمل يوم السبت؛ كان مصلحة في شريعة إبراهيم عليه السلام ومن قبله، مفسدة في شريعة موسى عليه السلام. وأمثال ذلك كثيرة". [(١)]

وقال ابن كثير: "كان التسري على الزوجة مباحًا في شريعة إبراهيم، وقد فعله الخليل إبراهيم في هاجر لما تسرى بها على سارة، وقد حرم مثل هذا في التوراة عليهم. وكذلك كان الجمع بين الأختين شائعًا وقد فعله يعقوب عليه السلام، جمع بين الأختين، ثم حرم ذلك عليهم في التوراة. وهذا كله منصوص عليه في التوراة عندهم". [(٢)] [(٣)].

المسألة السادسة: حكم الشرائع التي جاءت بها تلك الكتب.

وذكر الإمام البربهاري في "شرح السنة" أصول أهل السنة والجماعة، وذكر منها: "والإيمان بالشرائع كلها".

وقوله هنا يحتمل ثلاثة احتمالات:

الاحتمال الأول: أن يراد بالشرائع شرائع الأنبياء عمومًا كما قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ [المائدة: الآية: ٤٨].

وقال الحافظ ابن حجر: "وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾: سَبِيلًا وَسُنَّةً... قوله: "وقال ابن عباس"، وصل هذا التعليق عبد الرزاق في تفسيره بسند صحيح. والمنهاج: السبيل: أي: الطريق الواضح. والشرعة والشريعة بمعنى، وقد شرع أي: سن، فعلى هذا فيه لف ونشر غير مرتب". [(٤)]

الاحتمال الثاني: أن يراد بها شرائع الدين الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) يُنظر: «إغاثة اللهفان» «٢/ ١١٠٢».

(٢) يُنظر: «تفسير ابن كثير» «٢/ ٧٦».

(٣) المصدر الموسوعة العقدية الكتاب الرابع: الإيمان بالكتب المنزلة.

(٤) فتح الباري «١ /٩٤-٩٩، طيبة»

الاحتمال الثالث: أن يراد بالعبارة الأمرين جميعًا.

والمسلم مأمور بأن يؤمن بالرسل جميعًا وبكل ما جاؤا به على وجه العموم، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة، الآية: ٢٨٥].

ومأمور بأن يؤمن بما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على وجه التحديد، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: الآية: ٧].

ويمكن تقسيم الشرائع ثلاثة أنواع:

النوع الأول: شريعة منزَّلة: وهي ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة، وهي السنة.

النوع الثاني: شريعة مؤوَّلة: وهي الاجتهاد المشروع على وَفْق النصوص والأصول التي جاءت بها الرسالات، وهذه الأصول هي في شريعتنا أصول الفقه المستفادَة من تصرفات الشارع في أحكامه، وتصرفات العرب في كلامها.

النوع الثالث: شريعة مبدَّلة: وهي الشرائع المكافِحة لما جاءت به الرسالة؛ كشرائع ملزِمة وقانون عام مبدَّل وُضع للناس بديلًا ملزِمًا عما أنزل الله".[1]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فدين الأنبياء واحد؛ وهو دين الإسلام، كلُّهم مسلمون مؤمنون، كما قد بيَّن الله في غير موضع من القرآن، لكن بعض الشرائع تتنوَّع؛ فقد يُشرّع في وقتٍ أمرًا لحكمة، ثم يشرع في وقت آخر أمرًا آخر لحكمة؛ كما شرع في أول الإسلام الصلاة إلى بيت المقدس، ثم نسخ ذلك وأمر بالصلاة إلى الكعبة؛ فتنوعت الشريعة والدين واحدُ، وكان استقبال الشام ذلك الوقت من دين الإسلام، وكذلك السبت لموسى من دين الإسلام، ثم لما نسخ صار دينُ الإسلام هو الناسخَ، وهو الصلاة إلى الكعبة، فمن تمسَّك بالمنسوخ دون الناسخ، فليس هو على دين الإسلام، ولا هو متبع لأحد من الأنبياء".[2]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى «٣/ ٢٦٨»، و «٣٥/ ٣٩٥-٣٩٦».

(٢) مجموع الفتاوى «٣٥/ ٣٦٤ – ٣٦٥».

يقول شيخ الإسلام: "ومَن بدَّل شرع الأنبياء وابتدع شرعًا، فشرعُه باطل لا يجوز اتِّباعه، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، ولهذا كفر اليهود والنصارى؛ لأنهم تمسكوا بشرع مبدَّل منسوخ".[١]

وقال أيضًا: "ومعلوم أن من أسقط الأمرَ والنهي الذي بعث الله به رسلَه، فهو كافر باتِّفاق المسلمين واليهود والنصارى".[٢]

وأما المسلم، فهو يصدق بما أنزل الله من خبر، ويقبل ما أنزل من تكليفٍ ويلتزمه دون ما سواه، واثقًا مُطمئِنًّا لحكم ربه وشريعته، وعلمه تعالى وحِكمته، وعدله ورحمته.

وأهل السنة يؤمنون بالشرائع كلها بفرضها ونفلها وهذه الشرائع بحمد الله تعالى عُلمت وضُبطت أحكامها وبينت كما هو معلوم في كتب الفقه فهي واضحة جلية بحمد الله تعالى.

ويتفرع عن هذه المسألة هل شرع من قبلنا شرع لنا

قال محمد الأمين بن المختار الشنقيطي: "شرع من قبلنا إذا لم يصرح شرعنا بنسخه هل هو شرع لنا؟ وهل كان النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا قبل البعثة باتباع شريعة من قبله؟ فيه روايتان:

إحداهما: أنه شرع لنا اختارها التميمي وهو قول الحنفية.

الثانية: ليس شرعا لنا، وعن الشافعي كالمذهبين.

اعلم أولًا كونه متعبدًا بعد البعثة بشرع من قبلنا أو غير متعبد به متفرع على الاختلاف في شرع من قبلنا، فعلى أنه شرع لنا بعد وروده في شرعنا فهو مُتَعَبِّدٌ به وعلى العكس فلا.

وحاصل ما ذكره المؤلف في هذا الأصل أن فيه قولين، ورجح أنه شرع لنا إن ثبت بشرعنا أنه كان شرعًا لمن قبلنا ولم ينسخ في شرعنا، وهو مشهور مذهب مالك وأبي حنيفة.

ومشهور مذهب الشافعي: أنه ليس شرعًا لنا.

---

(١) مجموع الفتاوى «٣٥/ ٣٦٥».

(٢) مجموع الفتاوى «٨/ ١٠٦».

وحاصل تحرير هذه المسألة أن لها واسطة وطرفين:

طرف يكون فيه شرعًا إجماعًا.

وطرف يكون فيه غير شرع لنا إجماعًا.

وواسطة هي محل الخلاف المذكور.

– أما الطرف الذي يكون فيه شرعا لنا إجماعا فهو ما ثبت بشرعنا أنه كان شرعا لمن قبلنا ثم ثبت بشرعنا أنه شرع لنا كالقصاص فإنه ثبت بشرعنا أنه كان شرعا لمن قبلنا في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: الآية: ٤٥].

ثم صرح لنا في شرعنا بأنه شرع لنا في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: الآية: ١٧٨].

– أما الطرف الثاني الذي يكون فيه غير شرع لنا إجماعا فهو أمران:

أحدهما: ما لم يثبت بشرعنا أصلا كالمأخوذ من الإسرائيليات.

الثاني: ما ثبت بشرعنا أنه كان شرعًا لهم وصرح في شرعنا بنسخه كالأصر والأغلال التي كانت عليهم كما في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٧].

وقد ثبت في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم لما قرأ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٦].«**قال –الله– قد فعلت**»

الواسطة هي ما ثبت بشرعنا أنه شرع لمن قبلنا ولم يصرح بنسخه في شرعنا.

وحجة الجمهور أنه ما ذكر لنا في شرعنا إلا لنعمل به سواء علينا أكان شرعا لمن قبلنا أم لا.

وقد دلت على ذلك آيات كثيرة: كتوبيخه تعالى لمن لم يعقل وقائع الأمم الماضية كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: الآية: ١٣٧] وقد صرح تعالى بأن الحكمة في قص أخبارهم إنما هي الاعتبار بأحوالهم في قوله تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف: الآية: ١١١]، وقال تعالى: ﴿أولئك

الذين هداهم الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: الآية: ٩٠].

وحجة الشافعي رحمه الله قوله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ [المائدة: الآية: ٤٨] وحمل رحمه الله الهدى في قوله تعالى: ﴿فبهداهم اقتده﴾، والدين في قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين﴾ الآية، على خصوص التوحيد دون فروعه العملية، وقال: إن الخطاب الخاص به صلى الله عليه وسلم في نحو قوله: «**فبهداهم اقتده**»، لا يشمل حكمه الأمة إلا بدليل منفصل لأنه لا يشملها في الوضع اللغوي فإدخالها فيه صرف للفظ اللغوي عن ظاهره فيحتاج إلى دليله.

وأجيب عن استدلال الشافعي بأن النصوص دالة على شمول الهدى والدين في الآيتين للأمور العملية.[١]

---

(١) مذكرة في أصول الفقه على روضة الناظر، ص: ١٦١-١٦٢.

٧-الإيمان بالرسل

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: معنى النبوة والرسالة.

أ-معنى النبي لغة.

معنى النبوة شرعا:

ب-معنى الرسول لغة.

معنى الرسول شرعا.

المسألة الثانية: حكم الإيمان بالأنبياء.

المسألة الثالثة: تعريف الإيمان بالنبي-صلى الله عليه وسلم-.

المسألة الرابعة: دعوة الرسل إلى عبادة الله وحده وطاعتهم فيما جاءوا به.

المسألة الخامسة: من ثمرات الإيمان بالرسل.



[٧]- قال المصنف رحمه الله: «**ورسله**»

الشرح

الركن الرابع: الإيمان بالرسل:

والرسول: هو رجلٌ من بني آدم بَعَثَه اللهُ بشرعٍ، وأَمَرَه بتبليغه.

والإيمان بالرسل مُجْمَلٌ، وذلك بجميع رسل الله؛ مَن علمنا منهم ومَن لم نعلم؛ قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: الآية: ١٦٤]، وإيمانٌ مفصَّلٌ، وذلك بجميع من ذُكر منهم باسمه في كتاب الله، أو في سنة رسول الله ﷺ الصحيحة.

الإيمان بالأنبياء والرسل أصل من أصول الدين، وأصل من أصول الإيمان، والإيمان، فلا يصح الإيمان إلا به، ومن آمن بالأنبياء كلهم وأنكر واحدًا منهم فقط كفر وكذلك الأمر في الرسل.

-قال الله تعالى في آية البر: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: الآية: ١٧٧]، هذه خمسة أصول، والأصل السادس جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: الآية: ٤٩].

-وفي حديث جبرائيل المشهور عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ**»(١).

المسألة الأولى: معنى النبوة والرسالة:

جمع الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بين النبوة والرسالة قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٠].

أ-معنى النبي لغة:

(١) رواه البخاري في صحيحه «١/ ١٩»

- النبوة في اللغة العربية [١]: مشتقة إما من:
- «**النبأ**»
- أو «**النباوة**»
- أو «**النبوة**»
- أو «**النبي**»

١-فإذا كانت مأخوذة من «**النبأ**»: فتكون بمعنى الإخبار، لأن النبأ هو الخبر.

٢-وإذا كانت مأخوذة من «**النباوة أو النبوة**»: فتكون بمعنى الرفعة والعلو، لأن «**النباوة أو النبوة: هي الشيء المرتفع**».

٣-أما إذا كانت مأخوذة من «**النبي**» بدون همز: فيكون معناها الطريق إلى الله عز وجل لأن معنى "النبي" الطريق.

ولو نظرنا إلى النبوة الشرعية لوجدنا أنها تشمل كل هذه المعاني إذ النبوة إخبار عن الله عز وجل، وهي رفعة لصاحبها لما فيها من التشريف والتكريم، وهي الطريق الموصلة إلى الله سبحانه.

معنى النبوة شرعا:

" فهي خبر خاص يكرم الله عز وجل به أحدا من عباده فيميزه عن غيره بإيحائه إليه ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعيد". [٢]

أما النبي فقد اختلف العلماء في تعريفه:

-فمنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه بشرع [٣] ليعمل به ولم يؤمر بتبليغه.

-فمنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبل. [٤]

---

(١) انظر: لسان العرب مادة "نبأ"«١/ ١٦٢-١٦٣»، ومعجم مقاييس اللغة «٥/ ٣٨٤، ٣٨٥».

(٢) شعب الإيمان للبيهقي، الباب الثاني من شعب الإيمان «ص ٢٧٥» رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بتحقيق فالح بن ثاني.

(٣) المصدر السابق «ص ٢٧٥»، وشرح العقيدة الطحاوية «ص ١٦٧».

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي «٥/ ٧٣٥».

-ومنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين.[(١)]

وهذا هو الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية ولعله هو أرجح الأقوال وأسلمها من الاعتراض.

فقد اعترض على القول الأول بأنه غير صحيح لأن قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]. يدل على أن كلا منهما مرسل وأنهما مع ذلك بينهما تغاير [(٢)] وكذلك مما يؤكد كون الأنبياء مأمورين بتبليغ قومهم ما أوحي إليهم والحكم بينهم بذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي... " الحديث.[(٣)]

أي تتولى أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية. والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه.[(٤)]

وقد اعترض على القول الثاني بأن الضابط الذي ذكروه لا يستقيم فيوسف عليه السلام كان رسولا وكان على شريعة إبراهيم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾ [غافر: ٣٤]. وكذلك داود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً، وَرُسُلاً قَدْ

---

(١) كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية «ص ٢٥٥».

(٢) أضواء البيان «٥/ ٧٣٥».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل. انظر: فتح الباري «٦/ ٤٩٥» ح ٣٤٥٥. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول «٦/ ١٧».

(٤) النهاية في غريب الحديث «٢/ ٤٢١».

قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ [النساء: الآيتان: ١٦٣-١٦٤].

ب-معنى الرسول لغة:

-إما مأخوذ من الرِّسل.

والرِّسل: هو الانبعاث على تؤدة. يقال: ناقة رسله: أي سهلة السير، وإبل مراسيل: منبعثة انبعاثا سهلا. ولفظ الرسل متضمن لمعنى الرفق ومعنى الانبعاث. فإذا تصور منه معنى الرفق يقال على رسلك إذا أمرته بالرفق. وإذا تصور منه معنى الانبعاث يقال إبل مراسيل أي منبعثة.

ولفظ الرسول اشتق من المعنى الثاني أي الانبعاث.

فالرسول على هذا الاشتقاق هو المنبعث [(١)]

-وإما مأخوذ من الرَّسْل

وهو التتابع فيقال جاءت الإبل رَسْلا أي متتابعة، ويقال جاءوا أرْسَالأ: أي متتابعين.

ومعنى الرسول على هذا الاشتقاق: هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه.[(٢)]

ولو نظرنا إلى كلا الاشتقاقين فإنا نجد أن لفظ الرسول في اصطلاح الشرع يدل عليهما فالرسول مبعوث من قبل الله، وهو كذلك يتابع أخبار الوحي المنزل إليه من الله تعالى.

ولفظ الرسول تارة يقال للقول المتَحَمَّل كقول الشاعر:

ألا بلّغ أبا حفص رسولا

وتارة لمتَحَمِّل القول والرسالة.[(٣)]

معنى الرسول شرعا:

الرسول في الشرع: عرف بعدة تعريفات:

---

(١) المفردات في غريب القرآن تأليف أبي القاسم حسين محمد المعروف بالراغب الأصفهاني «ص ١٩٥» مادة "رسل".

(٢) المصدر السابق «ص ١٩٥» ولسان العرب مادة "رسل"«١١/ ٢٨٤».

(٣) المصدر السابق «ص ١٩٥» ولسان العرب مادة "رسل"«١١/ ٢٨٤».

-فمن العلماء من عرفه بقوله: هو الذي أوحى الله إليه بخبر وأمره بتبليغه للناس، وهؤلاء فرقوا بينه وبين النبي بأن النبي أوحي إليه بخبر ولم يؤمر بتبليغه .

-ومنهم من عرفه بقوله: هو الذي أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي تثبت بها نبوته.

وقالوا: إن النبي هو الذي لم ينزل إليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله.(١)

-ومنهم من قال: إن الرسول هو الذي ينبئه الله ثم يأمره أن يبلغ رسالته إلى من خالف أمره أي إلى قوم كافرين.

أما النبي فهو من أوحى الله إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين بهما.

وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، واستشهد لذلك بأن نوحا عليه السلام كان هو أول رسول بعث إلى أهل الأرض وكان أول شرك بالله قد وقع في قومه.

وقد كان قبل نوح أنبياء كشيث وإدريس عليهما السلام وقبلهما آدم كان نبيا مكلما، وقد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام وكان المبعوثون في هذه القرون أنبياء فقط.(٢)

وهذا القول الثالث هو أرجح الأقوال.

أما القول الأول فهو غير مسلم كما سبق وإن وضحت في الكلام على معنى النبي. وكذا الأمر بالنسبة للقول للثاني فليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة كما تقدم ذكر ذلك.

المسألة الثانية: حكم الإيمان بالأنبياء:

وأما الأنبياء والمرسلون، فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى: في كتابه من رسله، والإيمان بأن

(١) أضواء البيان «٥/ ٧٣٥».

(٢) النبوات «ص ٢٥٥-٢٥٦».

الله تعالى: أرسل رسلاً سواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم. فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت في عددهم نص.

-وقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: الآية: ١٦٤].

-وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: الآية: ٧٨].

وأمرنا بالإيمان بالأنبياء كلهم وبجميع ما أوتوا كما قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ [البقرة: الآية: ١٧٧].

وقال تعالى ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: الآية: ١٣٦].

فالأنبياء وسائط بين الله عز وجل وبين عباده في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده، وما أخبر به عن نفسه وملائكته وغير ذلك مما كان وسيكون. وسائر الأنبياء علينا أن نؤمن بهم، مجملا وذلك بأن كل ما أخبروا به عن الله فهو حق وأن طاعتهم فرض على من أرسلوا إليهم.

وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه.

-قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: الآية: ٣٥].

-قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: الآية: ٨٢]

-قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: الآية: ٥٤].

-قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: الآية: ١٢].

وأما أولو العزم من الرسل. فقد قيل فيهم أقوال أحسنها: ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة أنهم: "نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم. قال: وهم المذكورون في قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ [الأحزاب:٧].

وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: الآية: ١٣]".[(١)]

المسألة الثالثة: تعريف الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم:

"الإيمان بالرسول: هو تصديقه وطاعته واتباع شريعته".[(٢)]

وهذه الأمور هي الركائز التي يقوم عليها الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وعن بيان هذه الأمور مطلوبة عند الإيمان به بالنبي صلى الله عليه وسلم.

قال العلماء:

أ-أما تصديقه صلى الله عليه وسلم فيتعلق به أمران عظيمان:

أحدهما: إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله، وهذا مختص به صلى الله عليه وسلم.[(٣)]

ويندرج تحت هذا الإثبات والتصديق عدة أمور منها:

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٧/ ٢٧٢

(٢) كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم «ص ٩٢».

(٣) مجموع الفتاوى «١٥/ ٩١».

١-الإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين إنسهم وجنهم.

٢-الإيمان بكونه خاتم النبيين ورسالته خاتمة الرسالات.

٣-الإيمان بكون رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع.

٤-الإيمان بأنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة وأكملها وأدى الأمانة ونصح لأمته حتى تركهم على البيضاء ليلها كنهارها.

٥-الإيمان بعصمته صلى الله عليه وسلم.

٦-الإيمان بماله من حقوق خلاف ما تقدم ذكره كمحبته وتعظيمه صلى الله عليه وسلم.[١]

الثاني: "تصديقه فيما جاء به، وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه. وهذا يجب عليه صلى الله عليه وسلم وعلى كل أحد".[٢]

فيجب تصديق النبي صلى الله عليه وسلم جميع ما أخبر به عن الله عز وجل، من أنباء ما قد سبق وأخبار ما سيأتي، وفيما أحل من حلال وحرّم من حرام، والإيمان بأن ذلك كله من عند الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: الآيتان: ٣، ٤].

قال شارح العقيدة الطحاوية: "يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانا عامًا، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم على التفصيل فرض على الكفاية".[٣]

ب-طاعته واتباع شريعته:

إن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم كما يتضمن تصديقه فيما جاء به فهو يتضمن كذلك العزم على العمل بما جاء به وهذه هي الركيزة الثانية من ركائز الإيمان به صلى الله عليه وسلم.

---

(١) لمعرفة تفاصيل هذه الحقوق انظر كتاب: حقوق النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) مجموع الفتاوى «١٥/ ٩١».

(٣) شرح العقيدة الطحاوية «ص ٦٦».

وهي تعني: الانقياد له صلى الله عليه وسلم وذلك بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وزجر امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: الآية: ٧]. فيجب على الخلق اتباع شريعته والالتزام بسنته مع الرضا بما قضاه والتسليم له، والاعتقاد الجازم أن طاعته هي طاعة لله وأن معصيته معصية لله لأنه هو الواسطة بين الله وبين الثقلين في التبليغ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "يجب على الخلق الإقرار [(١)] بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصيلًا عند العلم بالتفصيل، فلا يكون الرجل مؤمنًا حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة". [(٢)]

فهو الذي أرسل إلينا وإلى جميع الخلق وقد ختم الله به الأنبياء وآتاه من الفضائل ما فضله به على غيره وجعله سيد ولد آدم وخصائصه وفضائله كثيرة وعظيمة لا يسعها هذا الموضع.

وقد أوجب الله علينا أن نطيعه في كل ما أوجبه وأمر به وأن نصدقه في كل ما أخبر به.

المسألة الرابعة: دعوة الرسل إلى عبادة الله وحده وطاعتهم فيما جاءوا به:

الرسل كلهم نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم يبينون أن العبادة والتقوى حق لله وحده، وحق الرسل طاعتهم.

قال نوح عليه السلام ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: الآيتان: ٢-٣].

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾

(١) يقول ابن تيمية في بيان معنى الإقرار: "إن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد". مجموع الفتاوى «٧/ ٦٣٨، ٦٣٩».

(٢) مجموع الفتاوى «٥/ ١٥٤».

[الأعراف: الآيات: «٦٥- ٧٣- ٨٥»].

وقال تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾. [الشعراء: الآيات: ١٠٥-١٠٨].

وكذلك قال سائر الرسل هود وصالح وشعيب كل يقول ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء الآيات: ١٢٦-١٣١-١٤٤-١٦٣-١٧٩].

وكذلك في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: الآية: ٥٢].

المسألة الخامسة: مِن ثمرات الإيمان بالرسل:

أولًا: العلم برحمة الله وعنايته بخلقه، حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد.
[١]

ثانيًا: إثبات حكمة الله عز وجل في إرسال الرسل. [٢]

ثالثًا: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى وهي إرسالُ الرسل لهداية الناس إلى عِبادة الله تعالى التي هي سببُ السعادة في الدارين: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ١٥١].
[٣]

رابعًا: مَحَبَّة الرُّسل وتوقيرهم، والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله تعالى وخلاصة عبيده، قاموا لله بعبادته وتبليغ رسالته والنصح لعباده والصبر على أذاهم". [٤]

خامسًا: العمل لله تعالى على بصيرةٍ عملاً بالكتاب المنزل، ومتابعة للنبي المرسَل.

---

(١) «مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين» «٣/٢٦٠».

(٢) تفسير السعدي «ص: ٢٦٤».

(٣) «مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين» «٣/٢٦٠».

(٤) «مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين» «٣/٢٦٠».

سادسًا: التأسِّي بهم في الدعوة إلى الله تعالى في حُسن بَيانهم وعظم حِلمهم وكَمال صَبرهم على أذى قومهم ونُصحهم لهم في سائر الأحوال.

سابعًا: اليقين بحُسن العاقبة للمتَّقين وجزيل المثوبة للصابرين المحسنين، كما تبيَّن ذلك من قصص دَعوتهم وما آلَ إليه أمرُهم وأتْباعهم وأمر خُصومهم.

ثامنًا: الاغتباط بأنْ خصَّ الله تبارك وتعالى هذه الأمَّة بأشرف رسله وخاتمهم وسيِّدهم وأنْ هدَى الله المسلم للدُّخول في دِينه على شَريعته، فجعَلَه بذلك من خير أمَّة أُخرِجتْ للناس، قال ابن المبارك رحمه الله:

ومما زادني شرفًا وتيهًا // وكدت بأخمصي أطأ الثريا.

دخولي تحت قولك يا عبادي // وأن صيّرت أحمد لي نبيًا.

تاسعًا: أن من أطاع رسل الله عليهم السلام سعد في الدنيا، وفاز بالنجاة من عذاب الله في الآخرة.

عاشرًا: الإيمان بأن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل وخاتمهم، وشريعته ناسخة لجميع الرسالات السابقة.

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفًا وَتِيهًا
وَكِدْتُ بِأَخْمُصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي
وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفًا وَتِيهًا
وَكِدْتُ بِأَخْمُصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي
وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفًا وَتِيهًا
وَكِدْتُ بِأَخْمُصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا

دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي
وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفًا وَتِيهًا
وَكِدْتُ بِأَخْمُصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي
وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا



٨-الإيمان بالبعث

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الأدلة على إثبات البعث.

المسألة الثانية: ثمرات الإيمان بالبعث واليوم الآخر.

المسألة الثالثة: الذين خالفوا في مسألة البعث.

المسألة الرابعة: حكم من أنكر البعث.



[٨]-قال المصنف رحمه الله: «**والبَعث بعد الموت، والإيمان بالقدَر؛ خَيره وشَرِّه**».

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الأدلة على إثبات البعث.

أول مراحل الحياة الآخرة حياة البرزخ وعذاب القبر ونعيمه، ثم بعد ذلك يأتي البعث، ويسبق البعث النفخ.

البعث بعد الموت: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله سيبعث الناس بعد موتهم، ويُعيد إليهم أرواحهم، وذلك للحساب والجزاء.

دلَّ على ذلك الأدلة المتوافرة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين، بل واليهود والنصارى وكل الشرائع السماوية السابقة.

عظم الله أمر الإيمان باليوم الآخر وقرنه بالإيمان به، فقال تعالى: «**يؤمنون بالله وباليوم الآخر**»، فجمع بين الإيمان به عز وجل والإيمان باليوم الآخر لعظيم حقه وهو ركن من أركان الإيمان فنؤمن باليوم الآخر بجميع ما يتعلق به

ومن الأدلة على إثبات البعث

أولًا: من القرآن.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: الآية: ١٧٧].

قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: الآية: ٢٩]

قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ «**٢**»﴾ [الرعد: ٢].

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم: ١١]،

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ [النور: ٦٤].

ثانيًا: من السنة:

ما جاء في حديث جبريل-عليه السلام-؛ أنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال: «**أن تُؤمن باللهِ، ومَلائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِر، وتُؤمن بالقَدَرِ؛ خَيْرِه وشَرِّه**».[(١)]، وفي رواية: «**والبَعْث بعدَ الموْتِ**».[(٢)]

عن ابنِ عبَّاس-رضي الله عنهما-، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أيُّها النَّاس، إنَّكم مَحْشُورُونَ إلى الله حُفَاة عُرَاة غُرْلًا، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: الآية: ١٠٤]، ثُمَّ إنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكسى يوم القيامة إبراهيمُ**».[(٣)]

ويوم البعث يخرج الإنسان من قبره فيجد ملكًا من قِبَل الله يأخذه ويوقفه في المكان الذي يريده الله له، أو يسوقه إلى موقفه المناسب قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: الآية: ٢١].

عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ قال: "السائق من الملائكة، والشهيد: شاهد عليه من نفسه" .[(٤)]

وروي عن الإمام سفيان بن عيينة في اعتقاده قوله: السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة: إثبات القدر وتقديم أبي بكر وعمر والحوض والشفاعة والميزان والصراط والإيمان قول وعمل والقرآن كلام الله وعذاب القبر والبعث يوم القيامة ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم.[(٥)]

ثالثًا: الإجماع.

---

(١) أخرجه البخاري «٥٠» من حديث أبي هريرة، ومسلم «٨» من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجها ابن حبان في صحيحه «١/ ٣٨٩» «١٦٨» وابن أبي شيبة في مصنفه «٦/ ١٧٢» «٣٠٤٤٥»، وصححها الألباني في التعليقات الحسان «١٦٨».

(٣) أخرجه البخاري «٤٧٤٠» ومسلم «٢٨٦٠».

(٤) انظر تفسير الطبري «٢٢/ ٣٤٨».

(٥) رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «١/ ١٥٦»

روي عن الإمام سفيان بن عيينة في اعتقاده قوله: السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة: إثبات القدر وتقديم أبي بكر وعمر والحوض والشفاعة والميزان والصراط والإيمان قول وعمل والقرآن كلام الله وعذاب القبر والبعث يوم القيامة ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم.(١)

قال ابن حزم: "اتفقوا أن البعث حق، وأن الناس كلهم يبعثون في وقت تنقطع فيه سكناهم في الدنيا"(٢)

وقال: "البعث حق، والحساب حق،... يجمع الله تعالى يوم القيامة بين الأرواح والأجساد، كل هذا إجماع من جميع أهل الإسلام، من خرج عنه خرج عن الإسلام"(٣)

وقال ابن حزم: "اتفق جميع أهل القبلة –على تنابذ فرقهم– على القول بالبعث في القيامة، وعلى تكفير من أنكر ذلك"(٤)

المسألة الثانية: ثمرات الإيمان بالبعث واليوم الآخر:

أولًا: الحرص على طاعة الله تعالى؛ رغبة في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته، خوفًا من عقاب ذلك اليوم. وذلك بالتزام بما يحبّه الله–تعالى–من الأعمال والأقوال والأحوال وتجنّب ما يُبغضه.

ثانيًا: تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا، ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.(٥)

ثالثًا: عِظَم الأجر والثواب، فإنّ الإيمان بالبعث والحساب من الإيمان بالأمور الغيبيّة، والتي وعد الله أهلها بالاهتداء والرزق الكريم وحسن العاقبة يوم القيامة. الاجتهاد في فعل الطاعات،

---

(١) رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «١/ ١٥٦»

(٢) ينظر: «مراتب الإجماع» «ص: ١٧٥».

(٣) ينظر: «الدرة» «ص: ٣١١».

(٤) ينظر: «الفصل» «٤/٦٦».

(٥) «مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين» «٣/ ٢٦٠».

والرغبة في ملازمة ما يحبّه الله ويرضاه، وامتثال أمره طمعًا بالأجر والثواب وحُسن العاقبة.

رابعًا: الحَذر من المعاصي والنواهي وما أبغضه الله، والحرص على تجنّب ما حذّر منه خوفًا من العقاب والعذاب.

خامسًا: الصبر على الابتلاءات، والرضا بقضاء الله وقدره.

سادسًا: الأخذ بأسباب حُسن الخاتمة، ومن أهمّها: ملازمة الأعمال الصالحة وتجنّب الأعمال السيئة المخالفة للشريعة، وسؤال الله -تعالى- حُسن الخاتمة والموت على ما يحبّه من الأعمال.[١]

المسألة الثالثة: الذين خالفوا في مسألة البعث:

قال ابن تيمية: "طوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح ولا الأجساد، وقد بين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك بيانا في غاية التمام والكمال.

وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة؛ فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون: هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة، ... وهؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان؛ فإن محمدا صلى الله عليه وسلم قد بين ذلك بيانا شافيا قاطعا للعذر"[٢]

فالقرامطة الباطنية والفلاسفة أتباع المشائين، ونحوهم من الملاحدة ينكرون حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر"[٣]

فهذه الطوائف نفت ما دلت عليه نصوص المعاد، من البعث والنشور والجزاء على الأعمال، كما نفت ما دلت عليه نصوص الصفات من نعوت الجلال وأوصاف الكمال، وهذا ضلال

(١) ثمرات الإيمان باليوم الآخر، للشيخ عبدالله بن صالح القصيِّر، المصدر: موقع الألوكة. بتصرّف.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى «٤/ ٣١٣»..

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى «٤/ ٣١٣».

صراح وكفر بواح، وهؤلاء هم الغلاة، من القرامطة والباطنية الإسماعيلية، والفلاسفة المشائين.

فالقرامطة معتقدهم في اليوم الآخر: أنهم كلهم أنكروا القيامة، وقالوا: هذا النظام، وتعاقب الليل والنهار، وتولد الحيوانات لا ينقضي أبدا. وأولوا القيامة بأنها رمز إلى خروج الإمام، ولم يثبتوا الحشر ولا النشر ولا الجنة ولا النار.[١]

أما الجهمية والمعتزلة فهم يؤمنون بالبعث مع خلل في بعض مسائل المعاد كمسائل عذاب القبر، وكذلك الشفاعة، وفناء الجنة والنار، وغيرها من المسائل التي تتعلق باليوم الآخر.

وقال الإيجي: "أجمع أهل الملل عن آخرهم على جواز حشر الأجساد ووقوعه، وأنكرهما الفلاسفة"[٢]

المسألة الرابعة: حكم من أنكر البعث.

قال ابن حزم: "فمن قال: إن الأرواح أعراض فانية، أو قال: إنها تنتقل إلى أجسام أخر؛ فهو منسلخ من إجماع أهل الإسلام؛ لخلافه القرآن والسنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم والإجماع، ... وهو قول أهل التناسخ، وهو كفر بلا خلاف، وكذلك من أنكر إحياء العظام والأجساد يوم القيامة، أو أنكر البعث؛ فخارج عن دين الإسلام بلا خلاف من أحد من الأئمة"[٣]

وقال ابن عبد البر: "قد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث، فلا إيمان له ولا شهادة، وفي ذلك ما يغني ويكفي، مع ما في القرآن من تأكيد الإقرار بالبعث بعد الموت؛ فلا وجه للإنكار في ذلك"[٤]

وقال الغزالي: "فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع؛ كالذي ينكر حشر

---

(١) القرامطة لابن الجوزي «ص: ٦٠».

(٢) المواقف في علم الكلام «٣/ ٤٧٤».

(٣) ينظر: «الدرة» «ص: ٣١٥».

(٤) ينظر: «التمهيد» «٩/ ١١٦».

الأجساد، وينكر العقوبات الحسية في الآخرة بظنون وأوهام، واستبعادات من غير برهان قاطع، فيجب تكفيره قطعيا؛ إذ لا برهان على استحالة رد الأرواح إلى الأجساد، وذكر ذلك عظيم الضرر في الدين؛ فيجب تكفير كل من تعلق"(١)

وقال عياض: "وكذلك نقطع على كفر من قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص، وتعذيبها أو تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها"(٢)

وقال أيضا: "كذلك من أنكر الجنة أو النار، أو البعث أو الحساب أو القيامة؛ فهو كافر بإجماع؛ للنص عليه، وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا، وكذلك من اعترف بذلك، ولكنه قال: إن المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره، وأنها لذات روحانية، ومعان باطنة، كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة، وزعم أن معنى القيامة الموت أو فناء محض وانتقاض هيئة الأفلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة"(٣)

وأما قول المصنف: **"والإيمان بالقدَر؛ خَيره وشَرّه"**.

فسيأتي شرح تفاصيل هذه العبارة في الفقرة «**٦٦**» بإذن الله تعالى بشكل موسع.

---

(١) ينظر: «مجموعة رسائل الإمام الغزالي» «ص: ٢٤٦».

(٢) ينظر: «الشفا» «٢/ ٢٨٣».

(٣) ينظر: «الشفا» «٢/ ٢٩٠».



٩-توحيد بالأسماء والصفات

المسألة الأولى: الإيمان بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ

المسألة الثانية: أهمية توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة والجماعة.

المسألة الثالثة: بيان مجمل الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته.

المسألة الرابعة: الأبواب الثلاثة التي يشتمل عليها توحيد الأسماء والصفات.

المسألة الخامسة: الألفاظ المجملة وحكم دخولها في باب الصفات وموقف أهل السنة من استعمالها.



[٩] – قال المصنف رحمه الله: «ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسَه في كتابه، وبما وصفه به رسوله مُحمد ﷺ؛ من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ».

الشرح

المسألة الأولى: الإيمان بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ

بعد أن ذكر المصنف رحمه الله أركان الإيمان إجمالًا- بدأ في بيان تفصيلِها؛ فبدأ بالأصلِ الأولِ، وهو الإيمان بالله عز وجل؛ فقال: «**من الإيمان بالله: الإيمانُ بما وصف به نفسَه في كتابه، وبما وصفه به رسوله مُحمد ﷺ؛ من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ**».

فعقيدة أهل السنة والجماعة: الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى، وأنه الأول بلا ابتداء، والآخِر بلا انتهاء، وأنَّه الرب الخالق الرازق المدَبِّر، الإله الحق، المستحق للعبادة وحده، وأن من الإيمان به سبحانه: الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العُلَى، وذلك بأن نثبت له ما أثبته لنفسه في كتابه، وما أثبته له رسوله محمد ﷺ؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

فأهل السنة يؤمنون أن الله ليس كمثله شيء؛ فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسمائه وآياته، ولا يكيفون ولا يُمَثِّلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سَمِيَّ له، ولا كُفء له، ولا نِدَّ له، ولا يقاس جل وعلا بخلقه.

وهذا ما دلَّت عليه أدلة الكتاب والسُّنَّة وإجماع سَلَف الأمة؛ قال الإمام أحمد رحمه الله: «**لا يُوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ، لا يُتجاوز القرآن والحديث**»[١].

وقال ابن عبد البر رحمه الله: «**أهل السُّنَّة مجتمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز؛ إلا أنهم لا يكيفون شيئًا**

---

(١) انظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد» «ص ١١٦».

من ذلك، وأما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والخوارج فيُنكرونها ولا يحملونها على الحقيقة، ويزعمون أنَّ مَن أقَرَّ بها مُشَبِّه، وهم عند من أقَرَّ بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به الكتاب والسنة وهم أئمة الجماعة»[(١)].

وقال الحافظ ابن رجب: «**والصواب: ما عليه السلف الصالح من إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت؛ مِن غير تفسير لها، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا يصح عن أحد منهم خلاف ذلك البتة»**[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**القول الشامل في جميع هذا الباب: أن يُوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، وبما وصفه به السَّابقون الأولون لا يُتَجاوز القرآن والحديث»**[(٣)].

فالسلف يعتقدون أن الواجب في نصوص القرآن والسنة بما في ذلك نصوص الأسماء والصفات هو إجراؤها على ظاهرها، وذلك بأن تُفهم وَفق ما يقتضيه اللسان العربي، وأن لا يُتعرض لها بتحريف أو تعطيل كما فعل المعطلة، الذين تلاعبوا بظواهر النصوص لمجرد أنَّها خالفت باطلهم ومناهجهم الفاسدة[(٤)].

وأما معاني هذه الكلمات:

فقد قال العلَّامة ابن القيم رحمه الله: «**التَّحْرِيف: هو العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره، وهو نوعان:**

تحريف لفظه، وتحريف معناه:

والنوعان مأخوذان من الأصل عن اليهود، فهم الراسخون فيها، وهم شيوخ المحرِّفين

(١) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر «٧/ ١٤٥».

(٢) انظر: «فضل علم السلف على الخلف» لابن رجب ص «٢٢».

(٣) «الفتوى الحموية» «ص ٦١».

(٤) «درء تعارض العقل والنقل» «٢/ ٣٠١».

وسلفهم؛ فإنهم حرَّفوا كثيرًا من ألفاظ التوراة، ولما غُلبوا عن تحريف لفظه حَرَّفوا معناه؛ ولهذا وُصِفُوا بالتَّحْرِيف في القرآن دون غيرهم من الأمم، ودرج على آثارهم الرافضةُ، فهم أشبه بهم من القُذَّة بالقُذَّة، والجهمية؛ فإنهم سلكوا في تحريف النصوص الواردة في الصفات مسالك إخوانهم من اليهود، ولمَّا لم يتمكنوا من تحريف نصوص القرآن حرَّفوا معانيه وسَطَوْا عليها، وفتحوا باب التَّأْوِيل لكل مُلْحِدٍ يكيد الدين، فإنه جاء فوجد بابًا مفتوحًا وطريقًا مسلوكًا، ولم يمكنهم أن يخرجوه من بابٍ أو يردوه من طريقٍ قد شاركوه فيها، وإن كان الملحد قد وسَّع بابًا هم فتحوه وطريقًا هم اشتقوه، فهما بمنزلة رجلين ائتُمِنا على مالٍ فتأول أحدهما وأكل منه دينارًا، وتأول الأخر وأكل منه عشرةً، فإذا أنكر عليه صاحبه قال: إن حلَّ أكل الدينار بالتَّأْوِيل حلَّ أكل العشرة به، ولا سيما إذا زعم آكل الدينار أن الذي ائتمنه إنما أراد منه التَّأْوِيل، وأن المتأول أعلم بمراده من المالك، فيقول له صاحبه: أنا أسعد منك، وأولى بأكل هذا المال.

والمقصود أن التَّأْوِيل يتجاذبه أصلان: التفسير، والتَّحْرِيف.

فتأويل التفسير هو الحق، وتأويل التَّحْرِيف هو الباطل.

فتأويل التَّحْرِيف مِن جنس الإلحاد؛ فإنه هو الميلُ بالنصوصِ عما هي عليه، إما بالطعن فيها أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها، وكذلك الإلحاد في أسماء الله يكون بجحد معانيها وحقائقها، وتارةً يكون بإنكار المسمَّى بها، وتارة يكون بالتشريك بينه وبين غيره فيها.

فالتَّأْوِيل الباطل هو إلحادٌ وتحريفٌ، وإن سماه أصحابه تحقيقًا وعرفانًا وتأويلًا.

فمِن تأويل التَّحْرِيف والإلحادِ تأويلُ الجهمية قولَه تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: الآية: ١٦٤] ، أي: جَرَحَ قلبَه بالحِكم والمعارف تجريحًا.

ومن تحريف اللفظ إعراب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ﴾ [النساء: الآية: ١٦٤] من الرفع إلى النصب، وقال: «وكلَّم اللهَ» أي: موسى كلم اللهَ، ولم يكلمه اللهُ، وهذا من جنس تحريف

اليهود، بل أقبح منه، واليهود في هذا الموضع أولى بالحق منهم.

ولما حرَّفها بعضُ الجهمية هذا التَّحْرِيف قال له بعض أهل التوحيد: فكيف تصنعُ بقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] ؟! فَبُهِتَ المحرِّف.

ومن هذا أنَّ بعض الفرعونيَّة سأل بعضَ أئمة العربية هل يمكن أن يُقرأ العرش بالرفع في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]؟ وقصد الفرعونيُّ بهذا التَّحْرِيف أن يكون الاستواء صفة للمخلوق، لا للخالق.

ولو تَيَسَّر لهذا الفرعوني هذا التَّحْرِيف في هذا الموضع لم يتيسر له في سائر الصفات»[(١)].

وأما التَّعْطِيل فهو في اللغة مأخوذ من العَطَل، وهو الخلو والفراغ.

والمعطِّلة: هم نفاة الصفات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «**ولهذا كان السلف والأئمة يُسَمُّون نُفاة الصفات: معطلة؛ لأن حقيقة قولهم تعطيل ذات الله تعالى، وإن كانوا هم قد لا يعلمون أن قولَهم مستلزمٌ للتعطيل**»[(٢)].

وقال العلَّامة ابن عثيمين رحمه الله: «**والمراد بالتَّعْطِيل: إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات، سواءً كان كليًّا أو جزئيًّا، وسواء كان ذلك بتحريف أو بجحود، هذا كله يسمى تعطيلًا.**

فأَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة لا يعطِّلون أيَّ اسمٍ من أسماء الله، أو أي صفةٍ من صفاته، ولا يجحدونها، بل يقرون بها إقرارًا كاملًا.

فإن قلت: ما الفرق بين التَّعْطِيل والتَّحْرِيف؟

قلنا: التَّحْرِيف في الدليل، والتَّعْطِيل في المدلول فمثلًا:

إذا قال قائل: معنى قول تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: الآية: ٦٤]، أي:

(١) «الصواعق المرسلة» «١/٢١٥- ٢١٨».

(٢) «مجموع الفتاوى» «٥/٣٢٦».

بل قوّتاه، هذا محرف للدليل ومعطل للمراد الصحيح؛ لأن المراد اليد الحقيقية، فقد عطَّل المعنى المراد، وأثبت معنًى غير المراد.

وإذا قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: الآية: ٦٤] لا أدري، أفوّض الأمر إلى الله، لا أثبت اليد الحقيقية ولا اليد المحرف إليها اللفظ، نقول: هذا معطِّل، وليس بمحرِّف؛ لأنه لم يغير معنى اللفظ ولم يفسِّره بغير مراده، لكن عطَّل معناه الذي يراد به، وهو إثبات اليد لله عز وجل

أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة يتبرءون من الطريقتين:

الطريقة الأولى: التي هي تحريف اللفظ بتعطيل معناه الحقيقي المراد إلى معنى غير مراد.

والطريقة الثانية: هي طريقة أهل التفويض، فهم لا يفوضون المعنى كما يقول المفوِّضة، بل يقولون: نحن نقول: ﴿بل يداه﴾ أي: يداه الحقيقيتان ﴿مبسوطتان﴾ وهما غير القوة والنعمة.

فعقيدة أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة بريئة من التَّحْرِيف ومن التَّعْطِيل [١].

وأمَّا الفرق بين التحريف والتعطيل فقد بينه العلامة السِّعْدي بقوله: «التَّعْطِيل نفيٌ للمعنى الحق الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة، والتَّحْرِيف: تفسير للنصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها بوجه من الوجوه.

فالتَّحْرِيف والتَّعْطِيل قد يكونان متلازمَيْن إذا أُثبت المعنى الباطل ونفي المعنى الحق، وقد يوجد التَّعْطِيل بلا تحريف كما هو قول النافين للصفات الذين ينفون الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ويقولون: ظاهرها غير مراد ولكنهم لا يعيّنونَ معنًى آخرَ، ويسمُّون أنفسهم: مفوّضة، ويظنون أن هذا مذهب السلف، وهو غلط فاحش؛ فإن السلف يثبتون الصفات، وإنما يفوِّضون علم كيفيتها إلى الله، فيقولون: الوصف المذكور معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، وإثباته واجب، والسؤال عن كيفيته بدعة، كما قال الإمام

---

(١) «شرح الواسطية» «ص٧٢-٧٣».

مالك وغيره في الاستواء»[١].

وأمَّا التكييف والتمثيل:

فالتكييف: هو جعل الشيء على حقيقة مُعَيَّنة من غير أن يُقَيِّدها بمماثل.

والتمثيل: هو الاعتقاد في صفات الخالق: أنَّها مِثل صفات المخلوقين.

فمنه قول المِمَثِّل: له يدٌ كيدي وسَمع كسمعي. تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

فالتكييف: ليس فيه تقيد بمماثل، وأما التمثيل فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين.

والحق: أن التكييف أعم من التمثيل؛ فكل تمثيل تكييف؛ لأن مَن مَثَّل صفات الخالق بصفات المخلوقين فقد كَيَّف تلك الصفة، أي: جعل لها حقيقة معينة مشاهدة.

وليس كل تكييف تمثيلًا؛ لأن مِن التكييف ما ليس فيه تمثيل بصفات المخلوقين؛ كقولهم: «**طوله كعرضه**».

وقد وقع في التمثيل والتكييف «**المُشَبِّهة**» الذين بالغوا في إثبات الصفات إلى درجة تشبيه الخالق بالمخلوق.

قال العلَّامة ابن عثيمين رحمه الله: ««**تكييف**» لم ترد في الكتاب والسنة، ولكن ورد ما يدل على النهي عنها.

والتَّكْيِيف هو أن تذكر كيفيَّة الصفة، ولهذا تقول: كَيَّفَ يُكَيِّفُ تَكْيِيفًا، أي: ذَكَرَ كيفية الصفة.

التَّكْيِيف يُسأل عنه بكيف، فإذا قلت مثلًا: كيف جاء زيد؟ تقول: راكبًا.

إذًا كيفت مجيئه. كيف لون السيارة. أبيض، فذكرت اللون.

أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة لا يكيِّفون صفات الله؛ مُستندين في ذلك إلى الدليل السمعي، والدليل العقلي.

فأما الدليل السَّمعي: فمثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

---

(١) «التنبيهات اللطيفة» «ص١٧».

وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ٣٣].

فإذا جاء رجل وقال: إن الله استوى على العرش على هذه الكيفية، ووصف كيفيةً معينةً، نقول: هذا قد قال على الله ما لا يعلم، هل أخبرك اللهُ بأنه استوى على هذه الكيفية؟ لا، أخبرنا الله بأنه استوى، ولم يخبرنا كيف استوى، فنقول: هذا تكييف وقول على الله بغير علم.

ولهذا قال بعض السلف: إذا قال لك الجهمي: إن الله حين ينزل إلى السماء كيف ينزل؟

فقل: إن الله أخبرنا أنه ينزل، ولم يخبرنا كيف ينزل؟

وهذه قاعدةٌ مُفيدة.

دليل آخر من السَّمع: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: الآية: ٣٦]: لا تتَّبع ما ليس لك به علم. ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: الآية: ٣٦].

وأما الدليل العقلي: فكيفيةُ الشَّيءِ لا تُدرك إلا بواحد من أمور ثلاثة:

مشاهدته، أو مشاهدة نظيره، أو خبر الصادق عنه.

إما أن تكون شاهدته أنت وعرفت كيفيته، أو شاهدت نظيره، كما لو قال لك واحد: إن فلانًا اشترى سيارة «**داتسون**»، «**موديل ثمان وثمانين**»، رقم «**ألفين**»، فتعرف كيفيتها؛ لأن عندك مثلها.

أو خبر صادق عنه، أتاك رجل صادق وقال: إن سيارة فلان صفتها كذا وكذا، ووصفها تمامًا فتدرك الكيفية الآن.

ولهذا قال بعض العلماء جوابًا لطيفًا: إن معنى قولنا: «**بدون تكييف**» ليس معناه ألا نعتقد لها كيفية، بل نعتقد لها كيفية، لكن المنفي علمنا بالكيفية؛ لأن استواء الله على العرش لا شك أن له كيفيةً، لكن لا تُعلم؛ لأنه ما من موجود إلا وله كيفية، لكنها قد تكون معلومة، وقد تكون مجهولة.

سئل الإمام مالك رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]

، كيف استوى؟ فأطرق برأسه حتى علاه العرق، ثم رفع رأسه وقال: «**الاستواء غير مجهول**»، أي: من حيث المعنى معلوم؛ لأن اللغة العربية بين أيدينا، كل المواضع التي وردت فيها «**استوى**» مُعَدَّاة بـ «**على**» معناه العلو، فقال: «**الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول**»؛ لأن العقل لا يدرك الكيف، فإذا انتفى الدليل السمعي والعقلي عن الكيفية وجب الكفُّ عنها.

«**والإيمان به واجب**»؛ لأن الله أخبرنا عن نفسه، فوجب تصديقه.

«**والسؤال عنه بدعة**» السؤال عن الكيفية بدعة؛ لأنَّ مَن هم أحرصُ مِنَّا على العلم ما سألوا عنها، وهم الصحابة، لما قال الله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤] ، عرفوا عظمة الله عز وجل، ومعنى الاستواء على العرش، وأنه لا يمكن أن تسأل: كيف استوى؟ لأنك لا تدرك ذلك، فنحن إذا سئلنا فنقول: هذا السؤال بدعة.

وكلامُ مالكٍ رحمه الله ميزانٌ لجميعِ الصفاتِ.

فإن قيل لك- مثلًا-: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف ينزل؟ فالنزول غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة...».

إلى أن قال رحمه الله: «**وهنالك كلام للسلف يدلُّ على أنهم يفهمون معاني ما أنزل الله على رسوله من الصفات، كما نُقل عن الأوزاعي وغيره أنهم قالوا في آيات الصفات وأحاديثها:** «**أَمِرُّوها كما جاءت، بلا كيفٍ**» وهذا يدل على أنهم يثبتون لها معنًى من وجهين:

أولًا: أنهم قالوا «**أَمِرُّوها كما جاءت**»، ومعلوم أنها ألفاظ جاءت لمعانٍ، ولم تأت عبثًا، فإذا أمررناها كما جاءت لزم من ذلك أن نثبت لها معنًى.

ثانيًا: قولهم «**بلا كيف**»؛ لأن نفي الكيفية يدل على وجود أصل المعنى؛ لأن نفي الكيفية عن شيء لا يوجد لغوًا وعبثًا، إذًا فهذا الكلام المشهور عند السلف يدل على أنهم يثبتون لهذا النصوص معنًى»[1].

المسألة الثانية: أهمية توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة والجماعة.

---

(١) «شرح الواسطية» «ص٧٧- ٧٨».

تتجلى أهمية توحيد الأسماء الحُسنى والصِّفات العُلى في الأمور الآتية:

الأمر الأول: هذا التوحيد شَطر باب الإيمان بالله تعالى:

لا يخفى على المسلم أهمية الإيمان بالله، فهو أول أركان الإيمان، بل هو أعظمها، فما بقية الأركان إلا تَبَع له وفرع عنه، وهو أهم ما خُلق لها الخلق، وأُرسلت به الرسل، وأُنزلت به الكتب، وأُسِّست عليه الملة؛ فالإيمان بالله هو أساس كل خير، ومصدر كل هداية، وسبب كل فلاح، ذلك لأنَّ الإنسان لما كان مخلوقًا مَربوبًا عاد في علمه وعمله إلى خالقه وبارئه؛ فبه يهتدي، وله يعمل، وإليه يصير، فلا غِنى له عنه، وانصرافه إلى غيره هو عين هلاكه وفساده، والإنسان له بالله عن كل شيء عِوض، وليس لكل شيء عن الله عوض؛ فليس للعبد صلاح ولا فلاح إلا بمعرفة ربِّه وعبادته، فإذا حصل له ذلك فهو الغاية المرادة له والتي خُلق من أجلها، فما سوى ذلك إما فضل نافع، أو فُضول غير نافعة، أو فضول ضارة، ولهذا صارت دعوة الرسل لأممهم إلى الإيمان بالله وعبادته؛ فكل رسول يبدأ دعوته بذلك كما يُعلم من تَتبع دعوات الرسل في القرآن.

وملاك السعادة والنجاة والفوز يكون بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما يقوم الإيمان بالله تعالى، وبتحقيقهما بَعث الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم، وإليه دَعت الرسل-صلوات الله وسلامه عليهم-من أولهم إلى آخرهم.

وأحدهما: التوحيد العِلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى، وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

قال الإمامُ ابنُ القَيّم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "ولا ريبَ أنَّ العِلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أَجَلُّ العلوم وأَفضلها، ونِسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات، وكما أنَّ العلمَ به أَجَلُّ العلوم وأشرفُها، فهو أصلها كلها، كما أنَّ كل موجود فهو مستند في وجوده إلى الملك الحق المبين ومفتقر اليه في تحقق ذاته وأينيته، وكل علم فهو تابع للعلم به مُفتقر في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم، كما أنَّه-سبحانه-ربُّ كل شيء ومليكه ومُوجده..."، إلى أن قال: "فالعِلم بذاته-سبحانه-وصفاته وأفعاله يستلزم العلم بما سواه فهو-في ذاته-ربُّ

كل شيء ومليكه، والعلم به أصل كل علم ومَنشؤه؛ فمَن عَرف الله عرف ما سواه، ومَن جهل ربَّه فهو لما سواه أجهل".[(١)]

والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه، والرضا به ربًّا وإلهًا ووليًّا، وأن لا يَجعل له عدلًا في شيء من الأشياء.

وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين في سورتي الإخلاص، وهما سورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: الآية: ١]، المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي.

وسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، المتضمنة للتوحيد العلمي الخبري.

فسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، فيها بيانُ ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، وبيان ما يجب تنزيهه عنه من النقائص والأمثال.

وسورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: الآية: ١]، فيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له، والتبري من عبادة كل ما سواه.

ولا يتمُّ أحدُ التوحيدين إلا بالآخر، ولهذا كان النبي-صلى الله عليه وسلم-يقرأ بهاتين السورتين في سُنَّة الفجر والوتر والمغرب، وقد ورد كذلك في سُنَّة المغرب القراءة بهاتين السورتين؛[(٢)] ليكون فاتحة العمل وخاتمته توحيدًا؛ إذ مبدأ النهار توحيدًا وخاتمته توحيدًا".[(٣)]

فالتوحيد المطلوب من العبد شَطره هو توحيد الأسماء والصفات.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» «١/ ٨٦»، دار الكتب العلمية -بيروت.

(٢) قد ثبت في «صحيح مسلم» «٧٢٦» عن أبي هريرة-رضي الله عنه-: «أنَّ رسول الله ﷺ قَرَأَ فِي رَكعَتَي الفَجرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾». وأخرج الترمذي «٤٦٢» عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في الوتر: بـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في ركعة ركعة»، وأخرجه الدارمي بنحوه «١٦٣٠»، وصححه الألباني في «صلاة التراويح» «ص ١٠٨». وأخرج النسائي «٩٢٢» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «رَمَقتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِشرين مَرَّةً يقرأ في الرَّكعَتَينِ بعد المغرب، وفي الرَّكعَتَين قبل الفجرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»، وقال النووي في «المجموع» «٣/ ٣٨٥»: «إسناده جيد»، وصححه الشيخ أحمد شاكر في «تحقيق المسند» «٨/ ٨٩»، والألباني في «السلسلة الصحيحة» «٣٣٢٨».

(٣) انظر «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة الجهمية» لابن القيم «ص: ٣٥، ٣٦».

الأمر الثاني: توحيد الأسماء والصِّفات أشرف العلوم وأهمها على الإطلاق:

إنَّ شرف العلم تابع لشرف معلومه؛ لوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه، ولشدة الحاجة إلى معرفته وعِظم النفع بها.

ولا ريب أن أَجَلَّ مَعلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو ربُّ العالمين، وقَيُّوم السموات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله.

فلا ريب أن العلمَ به و بأسمائه وصفاته وأفعاله أَجَلُّ العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات.(١)

قال أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي-رحمه الله-«**ت: ٤٠٤هـ**»: "الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته، والدلالة على عظمته وقدسه أفضل أو خير، بمعنى أن يتعين أنها أسنى وأجل قدرا".(٢)

قال العز بن عبد السلام-رحمه الله-«**ت: ٦٣٩ هـ**»: "تعليم ما يجب تعليمه، وتفهيم ما يجب تفهيمه، يختلف باختلاف رتبه وهذان قسمان: أحدهما: وسيلة إلى ما هو مقصود في نفسه، كتعريف التوحيد وصفات الإله؛ فإن معرفة ذلك من أفضل المقاصد والتوسل إليه من أفضل الوسائل.

القسم الثاني: ما هو وسيلة إلى وسيلة كتعليم أحكام الشرع، فإنه وسيلة إلى العلم بالأحكام التي هي وسيلة إلى إقامه الطاعات، التي هي وسائل إلى المثوبة والرضوان، وكلاهما من أفضل المقاصد".(٣)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨هـ**»: "وإنما العلم الأعلى هو العلم بالله، والله هو

---

(١) «مفتاح دار السعادة» «١/ ٨٦».

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/ ٢٤٤.

(٣) تفسير الرازي ٧/ ٢٢١.

الأعلى على كل شيء من كل وجه، كما قال-سبحانه-: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: الآية: ١]، فالعلم به أعلى العلوم، وإرادة وجهه أفضل الإرادات، ومحبته أفضل المحبات". (١)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "ولهذا ورد في فضل هذه الكلمة شهادة أن لا إله إلا الله من الدلائل ما يضيق هذا الموضع عن ذكره وهي أفضل الكلام وما فيها من العلم والمحبة أفضل العلوم والمحبات كالحديث الذي في السنن «**أفضل الذكر لا إله ألا الله**» (٢) (٣).

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "معرفة رب العالمين غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية". (٤)

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "لما كان العلم للعمل قرينا وشافعًا، وشرفه لشرف معلومه تابعًا، كان أشرف العلوم على الإطلاق علم التوحيد". (٥)

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "إن شرف العلم تابع لشرف معلومه، لوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه ولشدة الحاجة إلى معرفته وعظم النفع بها.

ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السموات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله.

فلا ريب أن العلم به و بأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم

---

(١) الرد على الشاذلي بن حزبية ١/ ٢٤٢.

(٢) قاعدة في المحبة صـ ١٣.

(٣) سنن الترمذي «٣٣٨٣» وحسنه، وابن ماجة «٣٨٠٠»، وابن حبان «٨٤٦»، والحاكم «١٨٣٤»، والنسائي في "السنن الكبرى" «١٠٥٩٩»،وحسنه الألباني في "صحيح الترمذي".

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ١٣.

(٥) إعلام الموقعين ١/ ٤.

كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات".[١]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "والعلمُ الأعلى، هو العلمُ بالأعلى".[٢]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وهذا بخلاف العلم الأعلى عند المسلمين فإنه العلم بالله، الذي هو في نفسه أعلى من غيره من كل وجه، والعلم به أعلى العلوم من كل وجه، والعلم به أصل لكل علم".[٣]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وإنما العلم الأعلى هو العلم بالله، والله هو الأعلى على كل شيء من كل وجه، كما قال-سبحانه-: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: الآية: ١]، فالعلم به أعلى العلوم، وإرادة وجهه أفضل الإرادات، ومحبته أفضل المحبات".[٤]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "فإن قيل: فالعلم إنما هو وسيلة إلى العمل ومراد له، والعمل هو الغاية، ومعلوم أن الغاية أشرف من الوسيلة، فكيف تفضل الوسائل على غاياتها؟

قيل: كل من العلم والعمل ينقسم إلى قسمين، منه ما يكون وسيلة، ومنه ما يكون غاية، فليس العلم كله وسيلة مرادة لغيرها، فإن العلم بالله وأسمائه وصفاته هو أشرف العلوم على الإطلاق وهو مطلوب لنفسه مراد لذاته، قال الله-تعالى-: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: الآية: ١٢] فقد أخبر سبحانه أنه خلق السموات والأرض ونزل الأمر بينهن ليعلم عباده أنه بكل شي عليم، وعلى كل شي قدير فهذا العلم هو غاية الخلق المطلوبة،

---

(١) مفتاح دار. السعادة ١/ ٨٦.

(٢) جامع الرسائل «٢/ ٦٨٥».

(٣) الرد على المنطقيين صـ ١١١.

(٤) الرد على الشاذلي بن حزبية وما صنفه في آداب الطريق ١/ ٢٤٢.

وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: الآية: ١٩] فالعلم بوحدانيته-تعالى-، وأنه لا إله إلا هو مطلوب لذاته وإن كان لا يكتفى به وحده، بل لابد معه من عبادته وحده لا شريك له، فهما أمران مطلوبان لأنفسهما.

الأمر الأول: أن يعرف الرب تعالى بأسمائه، وصفاته وأفعاله وأحكامه.

والأمر الثاني: أن يعبد بموجبها ومقتضاها.

فكما أن عبادته مطلوبة مرادة لذاتها، فكذلك العلم به ومعرفته أيضا، فإن العلم من أفضل العبادات". [(١)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "مراتب العلمُ به سبحانه خمس مراتب:

١-العلم بذاته، ٢-وصفاته، ٣-وأفعاله، ٤-وأسمائه، ٥-وتنزيهه عما لا يليق به". [(٢)]

قال ابن رجب-رحمه الله-«**ت: ٧٩٥ هـ**»: "فأفضل العلم العلم بالله وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته والتبتل إليه والتوكل عليه والصبر والرضا عنه والاشتغال به دون خلقه.

وتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك والعلم بأوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكامه، وما يحبه من عباده من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ومن جمع هذه العلوم فهو من العلماء الربانيين، العلماء بالله العلماء بأمره وهم أكمل ممن قصر علمه على العلم بالله دون العلم بأمره، وبالعكس". [(٣)]

قال محمد بن يعقوب الفيروز أبادي-رحمه الله-«**ت: ٨١٧ هـ**»: "فإن لكل علم حدا لا يتجاوزه، ولكل عالم ناموسا لا يخل به؛ فمن الوجوه المغلطة أن يظن في العلم فوق غايته؛ كما يظن بالطب أنه يبرئ جميع الأمراض؛ وليس كذلك، فإن كثيرًا من الأمراض لا يبرأ بالمعالجة.

---

(١) مفتاح دار. السعادة ١/ ١٧٨.

(٢) مدارج السالكين ١/ ١٢٨.

(٣) شرح حديث أبي الدرداء لابن رجب «ص: ٤١».

ومنها أن يظن بالعلم فوق مرتبته في الشرف؛ كما يظن بالفقه أنه أشرف العلوم على الإطلاق؛ وليس كذلك؛ فإن التوحيد والعلم الإلهى أشرف منه قطعا". (١)

قال الملا علي القاري-رحمه الله-«**ت: ١٠١٤ هـ**»: "علم التوحيد أفضل العلوم وأكملها، وعالم هذا العلم. أفضل العلماء، وبهذا السبب خصهم الله بالذكر في أجل المراتب فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]". (٢)

الأمر الثالث: توحيد الأسماء والصفات هو أصل العلوم الدينية:

كما أن العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأشرفها وأعظمها فهو أصلها كلها، فكل علم هو تابع للعلم به، مفتقر في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم ومَنشؤه؛ فمَن عرف الله عَرف ما سواه، ومَن جهل ربَّه فهو لما سواه أجهل؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: الآية: ١٩]، فتأمل هذه الآية: تجد تحتها معنى شريفًا عظيمًا، وهو: أنَّ مَن نسي ربَّه أنساه ذاته ونفسه، فلم يَعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نَسي ما به صلاحه وفلاحه في معاشه ومعاده؛ لأنَّه خرج عن فطرته التي خلق عليها، فنسي ربَّه فأنساه نفسه وصفاتها وما تكمل به وتزكو به وتسعد به في معاشها ومعادها؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ [الكهف: الآية: ٢٨]، فغفل عن ذكر ربه؛ فانفرط عليه أمره وقلبه، فلا التفات له إلى مصالحه وكماله وما تزكو به نفسه وقلبه، بل هو مُشتت القلب مُضيعه، مفرط الأمر حيران لا يهتدي سبيلًا.

فالعِلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مُستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ٤٥.

(٢) شرح الفقه الأكبر ص: ٣٨.

العبد والجهل به أصل شقاوته".[١]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فإن النفس خلقت بفطرتها تقتضي معرفة الله ومحبته. وقد هديت إلى علوم وأعمال تعينها على ذلك. وهذا كله من فضل الله وإحسانه".[٢]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "معرفة الله والشهادة له بالتوحيد، وإثبات أسمائه وصفاته، ورسالة رسله، والبعث للجزاء مسطورة مثبتة في الفطرة".

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "مراتب العلمُ به سبحانه خمس مراتب:

١-العلم بذاته، ٢-وصفاته، ٣-وأفعاله، ٤-وأسمائه، ٥-وتنزيهه عما لا يليق به".[٣]

قال ابن رجب-رحمه الله-«**ت: ٧٩٥ هـ**»: "فأفضل العلم العلم بالله وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته والتبتل إليه والتوكل عليه والصبر والرضا عنه والاشتغال به دون خلقه.

وتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك والعلم بأوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكامه، وما يحبه من عباده من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ومن جمع هذه العلوم فهو من العلماء الربانيين، العلماء بالله العلماء بأمره وهم أكمل ممن قصر علمه على العلم بالله دون العلم بأمره، وبالعكس".[٤]

قال محمد بن يعقوب الفيروز أبادي-رحمه الله-«**ت: ٨١٧ هـ**»: "فإن لكل علم حدا لا يتجاوزه، ولكل عالم ناموسا لا يخل به؛ فمن الوجوه المغلطة أن يظن في العلم فوق غايته؛ كما يظن بالطب أنه يبرئ جميع الأمراض؛ وليس كذلك، فإن كثيرًا من الأمراض لا يبرأ بالمعالجة.

ومنها أن يظن بالعلم فوق مرتبته في الشرف؛ كما يظن بالفقه أنه أشرف العلوم على

---

(١) «مفتاح دار السعادة» «١/ ٨٦».

(٢) «مفتاح دار السعادة» «١/ ٨٦».

(٣) مدارج السالكين ١/ ١٢٨.

(٤) شرح حديث أبي الدرداء لابن رجب «ص: ٤١».

الإطلاق؛ وليس كذلك؛ فإن التوحيد والعلم الإلهي أشرف منه قطعا". (١)

قال الملا علي القاري-رحمه الله-«**ت: ١٠١٤ هـ**»: "علم التوحيد أفضل العلوم وأكملها، وعالم هذا العلم. أفضل العلماء، وبهذا السبب خصهم الله بالذكر في أجل المراتب فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]". (٢)

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي-رحمه الله-«**ت: ١٣٧٦ هـ**»: "هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم". (٣)

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي-رحمه الله-«**ت: ١٣٧٦ هـ**» ، عند تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]: "وفي هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد لأن الله شهد به بنفسه وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم ويقين، بمنزلة المشاهدة للبصر، ففيه دليل على أن من لم يصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم". (٤)

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي «**ت: ١٣٧٦ هـ**» -رحمه الله-: "علم العقائد وأصول التوحيد؛ هو أشرف العلوم على الإطلاق، وأفضلها وأكملها، وبه تستقيم القلوب على

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ٤٥.

(٢) شرح الفقه الأكبر ص: ٣٨.

(٣) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي، «تفسير سورة الذاريات الآية: ٥٦».

(٤) تفسير ابن سعدي «سورة آل عمران الآية: ١٨».

العقائد الصحيحة، وبه تزكو الأخلاق وتنمو، وبه تصح الأعمال وتكمل".(١)

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي–رحمه الله–«**ت: ١٣٧٦ هـ**»: "وزبدة دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [النحل: الآية: ٢]. أي: على معرفة الله–تعالى–وتوحده، في صفات العظمة، التي هي صفات الألوهية، وعبادته وحده لا شريك له، فهي التي أنزل بها كتبه، وأرسل بها رسله، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها، وتحث وتجاهد من حاربها، وقام بضدها".(٢)

الأمر الرابع: معرفة أسماء الله وصفاته أصل عظيم في منهج السلف:

معرفة أسماء الله وصفاته هي الأساس الذي يَنبني عليه عمل العبد، ومن خلالها تتحدد العلاقة التي تربط العبد بربه، وعلى ضوئها يَعبد المسلم ربَّه، ويتقرب إليه.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وأصلُ الإيمان: قولُ القلب الذي هو التَّصديق. وعمل القلب الذي هو المحبة على سبيل الخضوع؛ إذ لا مُلائمة لأرواح العباد أتم من ملاءمة إلهها؛ الذي هو الله الذي لا إله إلا هو".

ولذلك كان منهج السلف يقوم على أمرين؛ هما:

١–العلم بالله.

٢–والعمل لله.

فجمعوا بذلك بين التصديق العِلمي والعَمل الحُبِّي، وبذلك تميز منهج أهل السنة والجماعة «**السلف**» عن المناهج الأخرى.

وحققوا كِلا الأمرين؛ من القول التصديقي المعتمد على معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله الواردة في الكتاب والسنة. والعمل الإرادي، وذلك باتباع الأوامر واجتناب النواهي وفق ما شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) فتح الرحيم الملك العلام ص ٢١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٤٣٥.

ولذلك كان كلامهم وعملهم باطنًا وظاهرًا بعلم، وكان كل واحد من قولهم وعملهم مقرونًا بالآخر، وهؤلاء هم المسلمون حقًّا؛ الذين سَلِموا من آفات منحرفة المتكلمة والمتصوفة.

فوقعت كل طائفة من هاتين الطائفتين المنحرفتين في مفسدتين:

إحداهما: القول بلا علم إن كان متكلمًا، والعمل بلا علم إن كان متصوفًا.

والمفسدة الثانية: فوت المتكلم العمل، وفوت المتصوف القول والكلام".(١)

وهو ما وقع من البدع الكلامية والعملية المخالفة للكتاب والسنة.

فالكلاميون: غالب نظرهم وقولهم في الثبوت والانتفاء، والوجود والعدم، والقضايا التصديقية؛ فغايتهم مجرد التصديق والعلم والخبر؛ فاعتنوا بجانب علمي لم يَنْبَنِ على الكتاب والسنة؛ لذلك عَطَّلوا أسماء الله -تعالى-، وعَطَّلوا صفاتِه عز وجل.

وعندما عَرَّفوا التوحيد؛ قالوا: "واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله". وأهملوا جانب توحيد العبادة: "واحد في ذاته" قالوا: "لا شريكَ له". و"واحد في صفاته": "لا نظير له". و"واحد في أفعاله": "لا نِدَّ له". فهذا تقسيمهم للتوحيد.(٢)

ويُلاحظ أنه قد خلا في هذه الثلاثة من الجانب العملي، فلا يوجد عمل، ثم إذا تحدثوا عن ذات الله تعالى تحدثوا بالتعطيل؛ فقالوا بما قالوا: "ليس في جهة، ولا في عُلو، ولا في مكان، ولا في حيز" ولا إلى غير ذلك؛ فجعلوه والعدم سواء، وإذا تحدثوا عن صفات الله تعالى تحدثوا عن سبع صفات فقط، وإذا تحدثوا عن أفعال الله تعالى هذا هو الذي سَلِم لهم: "توحيد الربوبية"؛ فلم يَسلم لهم إلا توحيد الربوبية، ونحن نعلم أن كفار قريش كانوا مُقِرِّين بتوحيد الربوبية: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: الآية: ٣٨]؛ فهذا حاصل توحيد هؤلاء.

(١) «مجموع الفتاوى» «٢/ ٤١» بتصرف.

(٢) انظر: «المِلل والنِّحَل» للشهرستاني «١/ ٤٢»، مؤسسة الحلبي.

وأمَّا الصُّوفيون: فغالب طلبهم وعملهم في المحبة والبغضة، والإرادة والكراهة، والحركات العملية؛ فاعتنوا بجانب العمل، وأهملوا جانب العلم، وكذلك عملهم لم ينبنِ على السنة، وإنَّما انبنى على البدعة؛ إذ غايتهم المحبة والانقياد والعمل والإرادة.

وهكذا إذا جئنا إلى أهل التصوف لم نجد عندهم من حقيقة التوحيد شيء.

أمَّا توحيدُ أهل السُّنَّة فيقوم على هذين الأصلين العظيمين: أن تَعرف اللهَ، وذاك بمعرفة أسمائه وصفاته التي وردت في الكتاب والسُّنَّة. وأن تعبد الله، وهذا باتِّباع شرع الله ۵ على لسان رسوله ﷺ.

فالسلف وأتباعهم جعلوا من توحيد الأسماء والصفات إحدى الرَّكيزتين التي قام عليها منهجهم المعتمد على نصوص الكتاب والسنة، وذلك لما لهذا التوحيد من أهمية ومنزلة، وهذا ما تشهد له كثرة النصوص الشرعية الواردة في هذا الشأن.

فلذلك لا بد لصاحب السُّنَّة أن يدرس هذا الباب، وأن يَبني هذه الدراسة على الكتاب والسنة؛ ليعرف الله عز وجل، فلن تكون من أصحاب السنة ولن تكون من أتباع السلف حتى تُعنى بهذا الباب، وطبعًا العلم بهذا الباب-كما ذكر العلماء مطلوب لذاته، ليس وسيلة للعمل كما يزعم البعض؛ فكلٌّ من العِلم بالله والعمل لله مطلوب لذاته؛ فقد يكون منه ما هو وسيلة، ومنه ما هو غاية؛ فيجب أن نعلم أنه لا بد من معرفة هذا الباب وتعلمه؛ باعتبار أنه أمر مطلوب لذاته، وإن كان لا يُكتفى به وحده، بل لا بد وأن يجتمع معه عبادة الله عز وجل، وإلا فإن العبد لا يكون مؤمنًا، وبهذا نعلم أن من أهمية هذا الباب أنه أصلٌ عظيمٌ في منهج أهل السنة والجماعة؛ فبالتالي لا بد من الاعتناء به، ولا بد من الاهتمام به، ولا بد من تعلُّمِه، وكذلك لوقوع الاختلاف والافتراق في هذا الباب بين الفِرَق والطوائف لا بد من مزيد جهد وعناية بفهمه وتوضيحه ودراسته وتعلمه وتطبيقه.

والله تعالى ليس له مَثيل حتى يُقاس عليه، وعقول البشر لا يمكن أن تستقلَّ بمعرفة الله تعالى استقلالًا؛ لأنها قاصرة عاجزة، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: الآية: ٨٥]؛ فالله-تعالى-تَعَرَّف إليك! فضلًا منه

ومِنَّة عليك عَرَّفك بأسمائه وصفاته، عَرَّفك بأنه العليم، وأنه السميع، وأنه البصير، وأنه القدير، وأنه الغفور، وأنه الرحيم، وأنه الجبَّار، وأنه المتكبر. إلى غير ذلك مِن أسماء الله–تعالى–وصفاتِه الواردة في الكتاب والسُّنَّة؛ فمِنَّةٌ عُظمى فتحها الله عليك! بالله عليك كيف تُغلقها على نفسِك؟! بل إن الله رَغَّبك في هذه المعرفة فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: الآية:١٨٠]، وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: الآية: ٢٤]، وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: الآية: ٨].. إلى غير ذلك من المواطن التي ذُكرت فيها أسماء الله عز وجل؛ إمَّا جملة وإما تفصيلًا.

فافتح بابَ معرفة الله تعالى! لا تُغلقه على نفسك! لا تحرم هذا القلب من أن يَعرف ربَّه، ويَعرف معبودَه!

قال الإمام الشافعي–رحمه الله–«**ت: ٢٠٤ هـ**»: "لا يدرك خيرٌ إلا بعونه. فإن مَن أدرك علم أحكام الله في كتابه نصاً واستدلالاً، ووفقه الله للقول والعمل بما علم منه؛ فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الريَب، ونُوِّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة".[(١)]

قال أبو الفرج ابن الجوزي–رحمه الله–«**ت: ٥٩٧ هـ**»: "إبليس إنما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم فكلما قل علم الإنسان كثر تمكن إبليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه"[(٢)].

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فإذا كان القلب مشغولاً بالله، عاقلاً للحق، متفكراً في العلم، فقد وُضِع في موضعه"[(٣)].

---

(١) الرسالة ص١٩، وأحكام القرآن جمع البيهقي ١/ ٢١.

(٢) تلبيس إبليس ١/ ٣٣٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٩/٣١٢.

الأمر الخامس: العلم بأسماء الله وصفاته يَفتح للعبد باب معرفة الله:

إنَّ محبة الشيء فرع عن الشعور به، وأعرف الخلق بالله أشدهم حُبًّا له، فكل من عرف الله أحبه، والعلم يَفتح هذا الباب العظيم الذي هو سِرُّ الخَلق والأمر؛ [(١)] فمن أعظم أصول الدين: المحبة، بل هي قاعدة العبادة، فكيف يكون حبٌّ في قلب العبد المؤمن وهو لم يعرف الله-تعالى-؛ فالله تعالى فتح لنا باب معرفته من هذا الطريق، فإن شأت فادخل وتعَرَّف على أسماء الله وصفاته وأفعاله، وإلا فإنك محروم مِن ضِمن مَن حُرم مِن هذا الخير العظيم؛ فطمأنينة القلب وحياته هي في هذا الأمر العظيم: في معرفة الله عز وجل، ولا سبيل للحصول على هذه المعرفة إلا من باب العلم بأسماء الله وصفاته، فلا تَستقر للعبد قَدَم في معرفة الله إلا بالتعرف على أسمائه وصفاته الواردة في القرآن والسنة؛ فالعلم بأسماء الله وصفاته يَفتح للعبد هذا البابَ العظيمَ، فالله عز وجل لم يجعل السبيل إلى معرفته من طريق الاطلاع على ذاته، فهذا الباب موصود إلى قيام الساعة، كما أخبرنا بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: «**تَعَلَّمُوا أنَّه لن يَرى أحدٌ مِنكم ربَّه عز وجل حتى يَموت**". [(٢)]

وكذلك فإنَّ من المحال أن تَستقل العقول البشرية بمعرفة ذلك وإدراكه على وجه التفصيل، فهي عاجزة عن ذلك لكونه من المُغيبات التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من طريق الوحي، والله-عز وجل-يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: الآية: ٥]، فهذه الآية: تُبين محدودية علم الإنسان.

وقد اقتضت رحمة العزيز الحكيم أن بَعث الرسل به مُعَرِّفين وإليه داعين، وجعل معرفته سبحانه بأسمائه وصفاته، أفعاله هي مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم، فأساس دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم والأصل الأول فيها: معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله. ثم يتبع هذا الأصل أصلان عظيمان هما:

---

(١) «مفتاح دار السعادة» «١/ ٨٧».

(٢) أخرجه مسلم «٢٩٣١» من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

١-تعريف الناس الطريق الموصلة إلى الله، وهي: «شريعته المتضمنة لأمره ونهيه».

٢-تعريفهم مآلهم في الآخرة.

وهذان الأصلان تابعان للأصل الأول مَبنيان عليه، فأعرف الناس بالله أتبعهم للطريق الموصلة إليه، وأعرفهم بحال الناس عند القدوم عليه.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "الله سبحانه أرسل الرسل بأنه لا إله إلا هو؛ فتَخلو القلوب عن محبة ما سواه بِمَحَبَّته، وعن رجاء ما سواه برجائه، وعن سؤال ما سواه بسؤاله، وعن العمل لما سواه بالعمل له، وعن الاستعانة بما سواه بالاستعانة به".(١)

قال العز بن عبد السلام-رحمه الله-«**ت: ٦٣٩ هـ**»: "التوحيد وصفات الإله؛ فإن معرفة ذلك من أفضل المقاصد والتوسل إليه من أفضل الوسائل".(٢)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فالعلوم بعضها أفضل من بعض فالعلم بالله أفضل من العلم بخلقه، ولهذا كانت آية الكرسي أفضل آية في القرآن؛ لأنها صفة الله تعالى. وكانت: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، تعدل ثلث القرآن؛ لأن القرآن " ثلاثة أثلاث ": ثلث توحيد، وثلث قصص، وثلث أمر ونهي. وثلث التوحيد أفضل من غيره".(٣)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض أو جلس مجلسا يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقهاً؛ فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله".(٤)

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "شجرة الإسلام في القلب، إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح، والعود بالتذكر على التفكر، وبالتفكر

---

(١) «مجموع الفتاوى» «١١/ ٥٢٣، ٥٢٤».

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ١٢٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٩/ ٣٠٦.

(٤) مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٦١.

على التذكر، وإلا أوشك أن تيبس".[(١)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب، فروعها الأعمال، وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة. وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك".[(٢)]

قال الإمام ابن رجب-رحمه الله-«**ت: ٧٩٥ هـ**»: "ومن الأنس بالله-عز وجل-، الأنس بكلامه وذكره، والأنس بالعلم النافع، الَّذِي بلغه رسوله ﷺ عنه".[(٣)]

الأمر السادس: أساس العلم الصحيح هو الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته:

على أساس العلم الصحيح بالله وبأسمائه وصفاته يقوم الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص، وتنبني مطالب الرسالة جميعها؛ فهذا التوحيد هو أساس الهداية والإيمان، وهو أصل الدين الذي يقوم عليه، ولذلك فإنه لا يتصور إيمان صحيح ممن لا يعرف ربه، فهذه المعرفة لازمة لانعقاد أصل الإيمان، وهي مهمة جدًّا للمؤمن لشدة حاجته إليها؛ لسلامة قلبه، وصلاح معتقده، واستقامة عمله، فهذه المعرفة لأسماء الله وصفاته وأفعاله تُوجب للعبد التمييز بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، والإقرار والتعطيل، وتنزيه الرب عما لا يَليق به، ووصفه بما هو أهله من الجلال والإكرام.

وذلك يتم بتدبر كلام الله تعالى، وما تعَرَّف به سبحانه إلى عباده على ألسنة رسله من أسمائه وصفاته وأفعاله، وما نَزَّه نفسه عنه مما لا ينبغي له ولا يليق به سبحانه.

والجدير ذِكره أن معرفة الله نوعان:

النوع الأول: المعرفة الإجمالية:

وهي التي تَلزم العبد المؤمن؛ لينعقد بها أصلُ الإيمان، وهي تتحقق بالقدر الذي يميز العبد

---

(١) التفسير القيم ص: ٣٤١.

(٢) الفوائد ص١٦٤.

(٣) مجموع الرسائل ٣/٣٣٩.

به بين ربه وبين سائر الآلهة الباطلة، ويتحقق بها الإيمان المجمل، وتجعله في سلامة من الكفر والشرك المخرجين من الإيمان، وتُخرجه من حدِّ الجهل بربه وما يجب له.

وهذه المعرفة يتحصل عليها من قراءة سورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرها من الآيات، ومعرفة معانيها.

ولكن هذه المعرفة لا تُوجب قوة الإيمان والرسوخ فيه.

النوع الثاني: المعرفة التفصيلية:

وهذه تكون بمعرفة الأدلة التفصيلية الواردة في هذا الباب، وتعلمها واعتقاد اتصاف الله بها، ومعرفة معانيها، والعمل بمقتضياتها وأحكامها.

وهذه المعرفة هي التي يحصل بها زيادة الإيمان ورسوخه، فكلما ازداد العبد علمًا بالله زاد إيمانه وخشيته ومحبته لربِّه وتَعلقه به؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: الآية: ٢٨]، كما تجلب للعبد النور والبصيرة التي تُحَصِّنه من الشبهات المضللة والشهوات المحرمة.

"والعلم بالله يُراد به في الأصل نوعان:

أحدهما: العلم به نفسه، أي: بما هو متصف به مِن نُعوت الجلال والإكرام، وما دَلَّت عليه أسماؤه الحسنى.

وهذا العلم إذا رَسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة، فإنه لابد أن يعلم أن الله يُثيب على طاعته، ويعاقب على معصيته.

والنوع الثاني: يُراد بالعلم بالله: العلم بالأحكام الشرعية من الأوامر والنواهي والحلال والحرام.

ولهذا قال بعض السلف: العلماء ثلاثة:

١-عالم بالله ليس عالما بأمر الله.

٢-عالم بأمر الله ليس عالما بالله.

٣-عالم بالله وبأمر الله.

فالعالم بالله: الذي يخشى الله. والعالم بأمر الله: الذي يعرف الحلال والحرام".[(١)]

قال أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني-رحمه الله-«**ت: ٣٢٢ هـ**»: "العلم بالله أعلى وأولى من العبادة له".[(٢)]

قال ابن شاهين-رحمه الله-«**ت: ٣٨٥ هـ**»: "فمن لزم الحق لم يضره قلة العمل، ومن لم يعرف الحق لم ينفعه كثرة العمل؛ لأن العمل بلا علم لا يضر ولا ينفع".[(٣)]

قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال-رحمه الله-«**ت: ٤٤٩ هـ**»: "تمام الإيمان وتمام العلم إنما هو المعرفة بالله ورسله، ومعرفة الدلالة على ذلك".[(٤)]

قال أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي-رحمه الله-«**ت: ٤٠٤ هـ**»: "الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته، والدلالة على عظمته وقدسه أفضل أو خير، بمعنى أن يتعين أنها أسنى وأجل قدرا".[(٥)]

قال فخر الدين الرازي-رحمه الله-«**ت: ٦٠٦ هـ**»: "الآيات المشتملة على دلائل علم الأصول أشرف من الآيات المشتملة على دلائل علم الفروع، بدليل أنه قد جاء في فضيلة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]. و ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٥]، وآية الكرسي، و ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]، ما لم يجيء في فضيلة قوله-تعالى-: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: الآية: ٢٢٢]، ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٧٥]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٢] الآية. ولذلك فإن الزهاد والعباد يواظبون في شرائف الأوقات على قراءة هذه الآيات المشتملة على الإلهيات،

---

(١) «مجموع الفتاوى» «٣/ ٣٣٣» بتصرف بسير.

(٢) حلية الأولياء ١٥/ ٣٥٨.

(٣) كتاب شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن ص: ٣٥.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/ ٤٤-٤٥.

(٥) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/ ٢٤٤.

دون الآيات المشتملة على الأحكام.

والآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستمائة آية، وأما اللواتي في بيان التوحيد والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين، وفي إثبات النبوات والمعاد، ومسألة القضاء والقدر فكثيرة." (١)

قال أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي–رحمه الله–«**ت: ٥٤٣ هـ**»: "القرآن توحيد وأحكام ووعظ و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، فيها التوحيد كله. وبهذه المعاني وقع البيان في قوله – صلى الله عليه وسلم – لأبي بن كعب: «**أي آية في القرآن أعظم؟**» قال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]. قال: «**ليهنك العلم يا أبا المنذر**».(٢) وإنما كانت أعظم؟ لأنها توحيد كلها، كما صار قوله: «**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله**» الحديث.(٣) أفضل الذكر؛ لأنها كلمة حوت علوم جميع التوحيد، والفاتحة تضمنت التوحيد كله والعبادة والوعظ والتذكير، ولا يستبعد ذلك في قدرة الله، فإن الله جمع التوحيد كله في آية الكرسي، ثم جمعه في أقل حروفا منها التوحيد، وهو: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]. ثم جمعه لرسوله في كلمات يوم عرفة المتقدمة. ثم جمع ذلك في آية واحدة، وهي قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأحقاف: الآية: ٣]. وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: الآية: ١١٥]" (٤)

قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي «**ت: ٧١٦**»–رحمه الله–: "قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾

---

(١) أخرجه مسلم «٨١٠».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ «٥٧٢» رواية يحيى، وأحمد: ٢/ ٢١٠، والترمذي «٣٥٨٥» من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. قال الترمذي: "هذا حديث غريب من هذا الوجه". وصححه من المعاصرين الألباني في سلسلته الصحيحة «١٥٠٠».

(٣) كتاب المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي المالكي ٢/ ٣٧٠.

(٤) عجائب القرآن صـ ١٧–١٨.

[محمد: الآية: ١٩] يحتج به على تقديم أصول الدين كالتوحيد على فروعه كالاستغفار وغيره؛ لتقديمه التوحيد ها هنا، ولأن رتبة الأصل قبل رتبة الفرع، وعلى أن المعتبر في الأصول العلم لا غيره". [١]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "ولهذا كانت سورة "الأنعام" أفضل من غيرها، وكذلك سورة "يس" ونحوها من السور التي فيها أصول الدين التي اتفق عليها الرسل كلهم صلوات الله عليهم. ولهذا كانت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، مع قلة حروفها تعدل ثلث القرآن؛ لأن فيها التوحيد فعلم أن آيات التوحيد أفضل من غيرها﴾" [٢]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "كلمة التوحيد أفضل الكلام، وأعظمه فأعظم آية في القرآن آية الكرسي ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]. وقال–صلى الله عليه وسلم–: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**». [٣] . [٤]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "النبي–صلى الله عليه وسلم–، سأل أبيًا «**أي آية في كتاب الله أعظم؟**» فأجابه أبيّ بأنها آية الكرسي، فضرب بيده في صدره وقال «**ليهنك العلم**»، ولم يستشكل أبيّ ولا غيره السؤال عن كون بعض القرآن أعظم من بعض، بل شهد النبي بالعلم لمن عرف فضل بعضه على بعض؛ وعرف أفضل الآيات". [٥]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨هـ**»: "والقرآن فيه من ذِكْر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذِكر الأكل والشُّرب والنكاح في الجنة، والآياتُ المتضمنة لذكر

---

(١) كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص: ٥٨٤.

(٢) مجموع الفتاوى «١٧/ ١٩٠».

(٣) رواه أحمد «٢١٥٢٩» وأبو داود «٣١١٦» وحسنه الألباني في "إرواء الغليل" «٦٨٧» .

(٤) مجموع الفتاوى «٣/ ٤٠٠».

(٥) مجموع الفتاوى «٥/ ١٩٩».

أسماء الله وصفاته أعظمُ قدرًا من آيات المعاد؛ فأعظمُ آيةٍ في القرآن آيةُ الكرسي المتضمنة لذلك...، وأعظم سورةٍ سورةُ أمِّ القرآن..".[١]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "من أَرَادَ علو بُنْيَانه فَعَلَيهِ بتوثيق أساسه وإحكامه وَشدَّة الاعتناء بِهِ، فَإِن علو الْبُنيان على قدر تَوْثِيق الأساس وإحكامه، فالأعمال والدرجات بُنيان وأساسها الْإِيمَان وَمَتى كَانَ الأساس وثيقا حمل الْبُنيان واعتلى عَلَيْهِ".[٢]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "العلم به-تعالى-أصل للعلم بكل ما سواه، فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم".[٣]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "والإيمان به أصل الإيمان بما عداه".[٤]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم، إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها. وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى؛ ولهذا لا تجد فيها خللا ولا تفاوتا؛ لأن الخلل الواقع فيما يأمر في العبد أو يفعله؛ إما أن يكون لجهله به، أو لعدم حكمته. وأما الرب تعالى فهو العليم الحكيم، فلا يلحق فعله ولا أمره خلل ولا تفاوت ولا تناقض".[٥]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "من كمال رحمته أن يعرف عباده نفسه وصفاته، ويدلهم على ما يقربهم إليه، ويباعدهم منه، ويثيبهم على طاعته، ويجزيهم بالحسنى،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، «٣/٦١».

(٢) الفوائد ص ١٥٥.

(٣) بدائع الفوائد ١/ ٢٨٧.

(٤) الصواعق المرسلة ١/ ٣٦٥.

(٥) كتاب فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى لابن القيم ص: ٢٨-٢٩.

وذلك لا يتم إلا بالرسالة والنبوة، فكانت رحمته مقتضية لها".[(١)]

قال برهان الدين البقاعي-رحمه الله- «**ت: ٨٨٥هـ**»: "التوحيد هو الأساس الذي ينبني عليه كل خير، والمنتهى الذي هو غاية السير، والعالي على كل غير".[(٢)]

قال برهان الدين البقاعي-رحمه الله-«**ت: ٨٨٥ هـ**»: "التوحيد هو الأمر الذي لا يقوم بناء إلا عليه".[(٣)]

قال أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى-رحمه الله-«**ت: ٨٩٨ هـ**»: " قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: الآية: ٣٠]،

أي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم، والاستقامة في أمور الدين التي هي منتهى العمل؛ وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد".[(٤)]

قال أبو حيان الأندلسي-رحمه الله-«**ت: ٧٤٥ هـ**»: "وقال تعالى وتقدس: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: الآية: ١٤]. فذكر العبادة عقيب التوحيد، لأن التوحيد هو الأصل، والعبادة فرعه".[(٥)]

قال برهان الدين البقاعي-رحمه الله-«**ت: ٨٨٥هـ**»: "والتوحيد هو الأساس الذي لا تصح عبادة إلا به، وتحقيقه هو العلم الذي لا علم يعدله".[(٦)]

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي-رحمه الله-«**ت: ١٣٧٦ هـ**»: "فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي

---

(١) بدائع التفسير: ١/ ١٧١.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/ ٥٧.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/ ١٩٦.

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم «سورة الأحقاف: الآية: ١٣»، ٨/ ٨٢.

(٥) البحر المحيط في التفسير ١/ ٤٤.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/ ١٩٦.

خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم".[(١)]

قال حافظ بن أحمد حكمي-رحمه الله-«**ت: ١٣٧٧ هـ**»: "وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه, وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها, ومتشعبة منها مكملات لها مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها".[(٢)]

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين-رحمه الله-«**ت: ١٢٨٢ هـ**»: "أفرض العلوم معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته؛ ومعرفة حقه على عباده الذي خلق الجن والإنس لأجله؛ وهو توحيد الألوهية".[(٣)]

قال عبد الرحمن بن قاسم-رحمه الله-«**ت: ١٣٩٢ هـ**»: "التوحيد أوجب الواجبات، ومعرفته أفرض الفرائض".[(٤)]

الأمر السابع: العلم بأسماء الله وصفاته هو حياة القلوب:

يجب أن نعلم أنَّ معرفة الله تعالى هي حياة قلوبنا؛ فلا حياة للقلوب ولا نعيم ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تَعرف ربها ومعبودها وفاطرها، ويكون أحب إليها مما سواه، ولا يمكن أن تنجو وأن تَسعد في الآخرة إلَّا بهذه المعرفة والمحبة.

والإنسان بدون الإيمان بالله لا يمكنه أن ينال معرفة ولا هداية، وبدون اهتدائه إلى ربِّه لا يكون إلا شقيًّا مُعذَّبًا كما هو حال الكافرين.

فالله-تبارك وتعالى-خلق هذا الإنسان ورَكَّبه من الجسد والروح، وشاء أن يكون قَوَام هذا الجسد من هذه الأرض؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: الآية: ٥]، وجعل حياة هذا الجسد من التراب؛ فهو يأكل ويشرب

(١) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي، «تفسير سورة الذاريات الآية: ٥٦».

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ الحكمي. ص: ٢٢١.

(٣) الرد على البردة ص: ٣٧٥.

(٤) حاشية الأصول الثلاثة ص: ١٣٧.

ويكتسي من الأرض وما فيها.

وجعل في هذا الجسد الروح؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: الآية:٢٩].

أمَّا أصل هذه الروح ومادتها فهذا لا علم لنا به: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: الآية: ٨٥]؛ فأمرٌ استأثر الله تعالى به في علم الغيب عنده.

لكن الله عز وجل شاء أن يكون قِوام هذه الروح وحياتها في معرفة الله وعبادته؛ قال-عز وجل-: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: الآية: ٢٨]؛ فلا شيء أطيب للعبد ولا ألذ ولا أهنأ ولا أنعم لقلبه وعيشه من محبَّة فاطره وبارئه، ودوام ذِكره، والسعي في مرضاته، لذلك فإنَّ مَن في قلبه أدنى حياة أو محبة لربه وإرادة لوجهه وشوق إلى لقائه، فطلبه لهذا الباب وحرصه على معرفته وازدياده من التَّبَصُّر فيه وسؤاله واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده وأعظم مطالبه وأجل غاياته، فهذا هو الكمال الذي لا كمال للعبد بدونه، وله خُلق الخلق، ولأجله نزل الوحي، وأُرسلت الرسل، وقامت السموات والأرض، ووُجدت الجنة والنار، ولأجله شُرعت الشرائع، وأُسِّست الملة، ونُصبت القِبلة، وهو قطب رحى الخلق والأمر الذي مدارهما عليه.

وهو بحقٍّ أفضل ما اكتسبته القلوب، وحصَّلته النفوس، وأدركته العقول، وليست القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، ولا فرحها بشيء أعظم من فرحها بالظفر بمعرفة الحق فيه.(١)

قال الحافظ عبيد الله بن أبي جعفر-رحمه الله-«**ت: ١٣٤ هـ**»: "ما استعان عبد على دينه بمثل الخشية من الله".(٢)

---

(١) انظر: «الفتوى الحموية الكبرى» «ص٢٨، ٢٩».

(٢) سير أعلام النبلاء، «٦/٩».

قال محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي-رحمه الله-«**ت: ٣٢٠ هـ**»: "فمن نور الله قلبه بالإيمان قويت معرفته، واستنارت بنور اليقين، فاستقام به قلبه، واطمأنت به نفسه، وسكنت ووثقت وأيقنت، وأتمنته على نفسها، فرضيت لها به وكيلا، وتركت التدبير عليه".(١)

سئل محمد بن عبد الله الفرغاني-رحمه الله-«**ت: ٣٦٢ هـ**» عن الافتقار إلى الله تعالى والاستغناء به أيهما أكمل؟ فقال: "إذا صح الافتقار إلى الله تعالى صح الاستغناء به، واذا صح الاستغناء به صح الافتقار إليه، فلا يقال أيهما أكمل لأنه لا يتم أحدهما إلا بالآخر".(٢)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "الجمال الذي للخُلُق، من العلم والإيمان والتقوى أعظم من الجمال الذي للخَلْق، وهو الصورة الظاهرة".(٣)

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "وما أحسن ما قال أبو الفرج ابن الجوزي-رحمه الله-«**ت: ٥٩٧ هـ**»، في بعض وعظه: "قبيح بالعبد أن يقول بلسانه الله أكبر وقد امتلأ قلبه بغير الله".(٤)

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "الشوق إلى الله ولقائه نسيمٌ يهب على القلب؛ يروح عنه وهج الدنيا".(٥)

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: عند تفسير قوله-تعالى-: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: الآية: ١١]، "جمع لهم بين النضرة والسرور وهذا جمال ظواهرهم وهذا

(١) كتاب آداب النفس للحكيم الترمذي ص: ١٦.
(٢) طريق الهجرتين ١/ ٩٧.
(٣) الاستقامة، لابن تيمية ١/ ٤٤١.
(٤) بدائع الفوائد ٢ / ٦٩٦.
(٥) الفوائد لابن القيم ص٩٨.

حال بواطنهم كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام وبواطنهم بحقائق الإيمان".[(١)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "فالغاية الحميدة التي يحصل بها كمال بني آدم وسعادتهم ونجاحهم هي معرفة الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له وهي حقيقة قول العبد لا اله إلا الله وبها بعث الرسل ونزلت جميع الكتب ولا تصلح النفس ولا تزكو ولا تكمل إلا بذلك".[(٢)].

وإذا تأملت أعمال القلوب وجدت-مثلًا-أن كل حبٍّ هو تَبَعٌ لحبِّ الله عز وجل؛ وكذلك الخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والإخلاص، والرغبة، والرهبة.. إلى غير ذلك.

فلا يمكن أن تتحرك أعمال القلوب في القلب ولا أن تقوم بواجبها ما لم تكن على معرفة بالله عز وجل!

إذًا، كيف تتحقق في القلب أعمال القلوب؟

فمثلًا إذا علمت أن الله هو الخالق، وهو الرازق، وهو المحيي، وهو المميت، وهو النَّافع، وهو الضَّار، وهو القابض، وهو الباسط. إذا علمت هذا أَثْمَر في قلبك توكلًا على الله عز وجل. هذه المعرفة تُوَلِّدُ التوكل. ممن تخاف ومَن ترجو والرزق بيد الواحد الأحد عز وجل؟! يرزق من يشاء بغير حساب. وكيف ترجو ما في يد الناس؟ أو حتى كيف تحسد فلانًا من الناس: أن أعطاه الله تعالى من فضله؛ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: الآية:٢٦]؛ فالخير بيد الله-عز وجل-، والله يختص برحمته مَن يشاء؛ فكيف لقلبٍ أن يحسد لو كان على إيمان؟! ويحسد مَن؟! كأنما يعترض على حكم الله عز وجل: أن أعطى فلانًا ومنع فلانًا!

فصلاح قلوبنا وحمايتها من تلك الأمراض التي تضرها، وتفسد على الإنسان حياته مِن غِلٍّ

(١) حادي الأرواح ص: ١٨٥.

(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ١٢٠.

وحسد وحقد وغِيبة ونميمة. إلى غير ذلك من أمراض–سببها هو: أن الإنسان ما عرف الله تعالى حقَّ المعرفة، ومثلًا الله–عز وجل–أخبرك بأنه عليم، وأنَّه سميع، وأنه بصير؛ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ومُطَّلِع على عملك وعلى فعلك؛ أفَلَا يحملُك هذا على الحياء منه؟!

فيجب أن يحمل هذا العبدَ على خوف الله–تعالى–، على مراقبته، على خشيته؛ فلو أن النفوس استحضرت هذه المعاني لَمَا أَقْدَمَت على فِعل معصية، ولذلك يقول النبي ﷺ: «**لا يَزنِي الزَّانِي حين يَزنِي وهو مؤمن، ولا يَشرب الخمرَ حين يَشرب وهو مُؤمنٌ، ولا يَسرق السارق حين يَسرق وهو مؤمن...**»، الحديث.[1] لأنه لو قام الإيمان كما يجب–وكما ينبغي– في نفسِه في تلك اللحظات لَمَا أقدم على فَعلته.

أنت لو لَمَحت أحدًا من الناس وأنت على معصية لربما استحييت منه، ولربما خِفت أن يُفشي سِرَّك! فكيف وأنت أمام عالم الغيب والشَّهادة، المطَّلِع على جميع أحوالك وعلى جميع أمورك وعلى جميع سكناتك وعلى جميع حركاتك؛ ألا تستحي مِن الله عز وجل؟! وكما يذكرون أنَّ رجلًا لقي أعرابية فأرادها على نفسها فأَبَت وقالت: أي ثكلتك أمك، أَمَا لك زاجر من كرم؟ أما لك ناهٍ مِن دين؟ قال: قلت: واللهِ إنَّه لا يَرانا إلا الكواكب، قالت: ها بأبي أنت، وأين مُكوكبها".[2] فأراد أن يُطمأنها أنَّه لا يراهم أحد إلا هذه الكواكب! فقالت له: "وأين مُكوكبُها؟!"؛ فذكَّرَته بالله–عز وجل–في تلك اللحظة؛ فقام عنها، وكان ذلك سببًا في هدايته.

فنحن لو استحضرنا معاني أسماء الله وصفاته لكان هذا سببًا في حياة قلوبنا، ولكنَّ قلوبَنا مُلئت بالغفلة عن الله عز وجل والإعراض عن معرفة أسمائه وصفاته؛ فأصابها ما أصابها من أمراض أثقلت كواهلنا، وأفسدت علينا أمر ديننا، وأفسدت علينا أمر دنيانا، بل إن الواحد منا يقف في الصلاة ويسمع آيات الله سبحانه تُتلى عليه، ومع ذلك قلبه قاسٍ، وأصبح قلبًا

(١) أخرجه البخاري «٢٤٧٥» ومسلم «٥٧» من حديث أبي هريرة .

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» «٢/ ٢٦٥» عن العتبي.

متحجرًا مهما ذُكِّر بآية عذاب أو وعيد لا يهتز لها، ولا يتحرك لها شعور في قلبه من ذِكر شيء من آيات الله عز وجل؛ فأصابنا ما أصابنا من أمراض في قلوبنا وفي نفوسنا بسبب أننا غفلنا عن معرفة الله-عز وجل-.

فليتنا نعودُ إلى أسماء الله وصفاته! ليتنا نتدبر ما جاء فيها من معانٍ، وما تُثمره من ثمرات! أنت إذا أثمرت هذه المعرفة في قلبك التوكل حصلت عِزَّة للمؤمن، وحصلت طمأنينة للنفس، وكذلك إذا حصل حياء وإذا حصل خوف وإذا حصلت خشية-منعك هذا مِن أن تقترف معصية؛ لا في السر ولا في العلن. إذا حصلت هذه المعرفة قامت بك محبةٌ لله تعالى وتعظيم وإجلال.

هذه المعرفة وهذه المحبة وهذا التعظيم وهذا الإجلال يحملك على أن تُراقب الله-عز وجل- في جميع أحوالك، وأن يكون اللهُ تعالى أحبَّ إليك مِن كل شيء وأعظم وأكبر وأجَل من كل شيء، لكن للأسف حَرمنا قلوبنا من ذلك، فلربما استحقت وعيدَ الله عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: الآية: ٢٢]؛ فقست القلوب، والقلوب تقسو، بل وتمرض وتموت، والله تعالى قد قال: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: الآية: ١٤]؛ فالران: هو الصدأ؛ يعلو على هذه القلوب حتى تصبح هذه القلوب صَدِأَة، هذه القلوب قاسية مُبتعدة عن ذكر الله عز وجل.

فأين النفس المطمئنة التي ستنادى كما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي *﴾ [الفجر: الآيات: ٢٧-٢٨]

فمعرفةُ الله-عز وجل-حياةٌ لقلوبنا، وستثمر لنا من أنواع الإيمان وأنواع العمل ما يكون-بإذن الله تعالى-سببًا في صلاحنا وصلاح أحوالنا وصلاح مَعاشنا وصلاح معادنا؛ لو أننا عرفنا ذلك وعملنا به!

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وأحق الناس برحمته: هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص "لا إله إلا الله" علما وعقيدة وعملا



وبراءة وموالاة ومعاداة: كان أحق بالرحمة".[١]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "ومن أعظم البلاء إعراض القلب عن الله، فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له؛ لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أطيب".[٢]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»:"فمن تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل بهم الشدة والضر وما يلجئهم إلى توحيده فيدعونه مخلصين له الدين ويرجونه ولا يرجون أحدا سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم التوكل عليه والإنابة إليه".[٣]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وأما التوحيد أن يكون الله أحب إليه من كل ما سواه، فلا يحب شيئا مثل ما يحب الله، ولا يخافه كما يخاف الله، ولا يرجوه كما يرجوه، ولا يجله ويكرمه مثل ما يجل الله ويكرمه".[٤]

الأمر الثامن: ثمرة معرفة أسماء الله وصفاته:

مما يدلل ويؤكد أهمية هذا التوحيد هو ما تُثمره معرفة أسماء الله وصفاته في قلب المؤمن من زيادة في الإيمان ورسوخ في اليقين، وما تَجلبه له من النور والبصيرة التي تحصنه من الشبهات المضللة والشهوات المحرمة.

فهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشيةَ الله لا محالة؛ فلكلِّ اسم من أسماء الله تأثير معين في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك-تجاوب مع هذه المعاني، وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه.

ولكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها؛ فالأسماء الحسنى والصفات العُلى

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ٤١٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٨٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٥/ ١٩٣.

(٤) جامع المسائل ٢/ ٢٧٩.

مقتضية لآثارها من العبودية، وهذا مُطَّرِد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح؛ فمثلًا: علم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يُثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا.

وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنَّه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يُرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه؛ فيثمر له ذلك الحياء باطنًا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح.

ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبرِّه وإحسانه ورحمته تُوجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه. وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعِزِّه تُثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة هي موجباتها.

وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العُلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية.

فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها".[(١)]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يلتذ ولا يسر ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه.

ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه".[(٢)]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "الإيمان بالله وعبادته ومحبته وإجلاله هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه كما عليه أهل الإيمان، وكما دل عليه القرآن، ....مع أن غالبها قرة العيون وسرور القلوب؛ ولذات الأرواح وكمال النعيم، وذلك لإرادة وجه الله والإنابة إليه، وذكره وتوجه الوجه إليه، فهو الإله الحق الذي تطمئن إليه القلوب، ولا يقوم غيره مقامه

---

(١) «مفتاح دار السعادة» «٢/ ٩٠».

(٢) منهاج السنة النبوية ٥/ ٤٣٠.

في ذلك أبدا. قال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: الآية: ٦٥]".[(١)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "من وطَّن قلبه عند ربه سكن واستراح، ومن أرسله في الناس اضطرب، واشتد به القلق".[(٢)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقهَا بهَا. فالقلوب آنِية الله فِي أرضه فأحبها إلَيه أرقها وأصلبها وأصفاها".[(٣)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "فما كبر النفوس وشرفها، ورفعها، وأعزها مثل طاعة الله، وما صغر النفوس وأذلها، وحقرها مثل معصية الله-عز وجل-".[(٤)]

قال ابن مسعود-ضي الله عنه-«**ت: ٣٢ هـ**»: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا".[(٥)]

قال ابن حجر-رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**»: عند تعليقه على هذا الأثر: "المؤمن يغلب عليه الخوف لقوة ما عنده من الإيمان فلا يأمن العقوبة بسببها وهذا شأن المسلم أنه دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح ويخشى من صغير عمله السيء، قوله" "وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب" في رواية أبي الربيع الزهراني عن أبي شهاب عند الإسماعيلي "يرى ذنوبه كأنها ذباب مر على أنفه" أي ذنبه سهل عنده لا يعتقد أنه يحصل له بسببه كبير ضرر كما أن ضرر الذباب عنده سهل وكذا دفعه عنه، والذباب بضم المعجمة وموحدتين الأولى خفيفة بينهما ألف جمع ذبابة وهي الطير المعروف قوله: "فقال به هكذا" أي نحاه بيده أو دفعه هو من

(١) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ص: ٣٦-٣٧.

(٢) الفوائد لابن القيم ص: ٩٨.

(٣) الفوائد، ١/ ٢٦٢.

(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص: ١٤٩.

(٥) فتح الباري لابن حجر ١١/ ١٠٥.

إطلاق القول على الفعل قالوا وهو أبلغ قوله قال أبو شهاب هو موصول بالسند المذكور قوله: "بيده على أنفه" هو تفسير منه لقوله: "فقال به" قال المحب الطبري-رحمه الله-«**ت: ٦٩٤ هـ**»: إنما كانت هذه صفة المؤمن لشدة خوفه من الله ومن عقوبته لأنه على يقين من الذنب وليس على يقين من المغفرة، والفاجر قليل المعرفة بالله فلذلك قل خوفه واستهان بالمعصية وقال ابن أبي جمرة السبب في ذلك أن قلب الفاجر مظلم فوقوع الذنب خفيف عنده ولهذا تجد من يقع في المعصية إذا وعظ يقول هذا سهل قال ويستفاد من الحديث أن قلة خوف المؤمن ذنوبه وخفته عليه يدل على فجوره".[١]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "من خاف من الله خاف منه كل شيء، ومن خاف من غير الله خاف من كل شيء".[٢]

وبهذا يتبين أنَّ معرفة العبد لأسماء الله وصفاته على الوجه الذي أخبر الله عز وجل به في كتابه وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-تُوجب على العبد القيام بعبودية الله على الوجه الأكمل، فكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان الحب والإخلاص والتعبد أقوى، وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر؛ إذ كل اسم من أسمائه-عز وجل-له تَعَبُّد مُختص به؛ علمًا ومعرفة وحالًا.

«**علمًا ومعرفة**»: أي: إنَّ مَن عَلِم أنَّ الله مسمى بهذا الاسم، وعرف ما يتضمنه من الصفة، ثم اعتقد ذلك-فهذه عبادة.

و«**حالًا**» أي: إن لكل اسم من أسماء الله مدلولًا خاصًّا وتأثيرًا معينًا في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك-تجاوب مع هذه المعاني، وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه.

وهذه الطريقة مُشتقة من قلب القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص: ١٤٩.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ٢/ ٢٧٤.

[الأعراف: الآية: ١٨٠].

والدعاء بها يتناول: دعاء المسألة. ودعاء الثناء. ودعاء التعبد.

وهو-سبحانه-يدعو عباده إلى أن يَعرفوه بأسمائه وصفاته، ويُثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظِّهم من عبوديتها.(١)

قال الفضيل بن عياض-رحمه الله-«**ت: ١٨٧ هـ**»: "أحق الناس بالرضا عن الله، أهل المعرفة بالله".(٢)

قال الحكيم الترمذي-رحمه الله-«**ت: ٣٢٠ هـ**»: "إذا استقر في قلب المؤمن توحيد رب كريم ودود ظهر له وداده وكرمه وبره فقد وجد حلاوة التوحيد ونزاهته؛ فإذا جاءت شهوات النفس سبيلا إلى القلب فخالطته وكدرته ومازجت حلاوته فدنست وكدرت فأي خسران أعظم من هذا".(٣)

قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال-رحمه الله-«**ت: ٤٤٩ هـ**»: "وقد سئل بعض الصالحين عن المحبة ما هي؟

فقال: مواطأة القلب لمراد الرب، أن توافق الله-عز وجل-، فتحب ما أحب وتكره ما كره".(٤)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه ويطمئن به، ويتنعم بالتوجه إليه؛ إلا الله-سبحانه-؛ ومن عبد غير الله وإن أحبه وحصل له به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة أكل الطعام

---

(١) «مدارج السالكين» «١/ ٤٢٠».

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٠٤.

(٣) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ٣/ ٥١.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ٦٧.

المسموم". [(١)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "ومن أعز أنواع المعرفة معرفة الرب سبحانه بالجمال وهي معرفة خواص الخلق وكلهم عرفه بصفة من صفاته وأتمهم معرفة من عرفه بكماله وجلاله وجماله سبحانه ليس كمثله شيء في سائر صفاته". [(٢)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "المحب الصادق: إن نطق نطق لله وبالله، وإن سكت سكت لله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فسكونه استعانة على مرضاة الله، فهو لله وبالله ومع الله". [(٣)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "إذا كان العبد ليس له من صلاته إلا ما عقل منها، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله ولله". [(٤)]

قال ابن القيم «**ت: ٧٥١ هـ**»-رحمه الله-: "فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد يقتضي تعظيم حرماته وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب والمتجرئون على معاصيه ما قدروه حق قدره". [(٥)]

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي-رحمه الله-«**ت: ١٣٧٦ هـ**»: عند تفسير قوله تعالى: ﴿والله يَرزُق من يَشَاء بغَير حِسَاب﴾ [النور: الآية: ٣٨]، "فالرزق الدنيوي يحصل للمؤمن والكافر، وأما رزق القلوب من العلم والإيمان، ومحبة الله وخشيته ورجائه، ونحو ذلك، فلا يعطيها إلا من يحب". [(٦)]

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٢٣.

(٢) الفوائد ١٨١.

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٤٥٣.

(٤) الجواب الكافي ص ٢١٣.

(٥) الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٣٤.

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص٩٥.

الأمر التاسع: ومن ثمرات هذا العلم حسن الأدب مع الله:

قال ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: "لا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحب وما يكره. ونفس مستعدة قابلة لينة، متهيئة لقبول الحق علمًا وعملًا وحالًا". (١)

قال الخطابي–رحمه الله–«**ت: ٣٨٨ هـ**»: "وقد روينا عن عون بن عبد الله، أنه كان يقول: "ليعظم أحدكم ربه، أن يذكر اسمه في كل شيء، حتى يقول: أخزى الله الكلب، وفعل الله به كذا". وكان بعض من أدركناه من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله–جل وعز–إلا فيما يتصل بطاعة، أو قربة، وكان يقول للرجل إذا جزاه خيرا: جزيت خيرا، وقل ما يقول: جزاك الله خيرا، إعظاما للاسم أن يمتهن في غير قربة، أو عبادة". (٢)

الأمر العاشر: أسماء الله وصفاته تورث محبة الله عز وجل.

قال ابن تيمية–رحمه الله–: «**ت: ٧٢٨ هـ**»: "كلما قويت محبة العبد لمولاه صغرت عنده المحبوبات وقلت، وكلما ضعفت كثرت محبوباته وانتشرت. وكذا الخوف والرجاء وما أشبه ذلك فإن كمل خوف العبد من ربه لم يخف شيئا سواه قال الله–تعالى–: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٣٩]، وإذا نقص خوفه خاف من المخلوق وعلى قدر نقص الخوف وزيادته يكون الخوف". (٣)

الأمر الحادي عشر: أسماء الله وصفاته هي مادة ذكر الله–عز وجل–.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**» في بيان فضل ذكر الله تعالى: "...وأما ما سألت عنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض؛ فإنه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه وما يناسب أوقاتهم، فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد.

---

(١) «مدارج السالكين» «٢/ ٣٦٥».

(٢) شأن الدعاء ص: ١٨–١٩.

(٣) مجموع الفتاوى ١/ ٩٤.

لكن مما هو كالإجماع بين العلماء بالله وأمره: أن ملازمة ذكر الله دائما هو أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة، وعلى ذلك دل حديث أبي هريرة: «**سبق المفردون قالوا يا رسول الله ومن المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات**» [(١)] وعن أبي الدرداء-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: ذكر الله**».[(٢)]

والدلائل القرآنية والإيمانية بصرًا وخبرًا ونظرًا على ذلك كثيرة، وأقل ذلك أن يلازم العبد الأذكار المأثورة عن معلم الخير وإمام المتقين-صلى الله عليه وسلم-، كالأذكار المؤقتة في أول النهار وآخره، وعند أخذ المضجع وعند الاستيقاظ من المنام وأدبار الصلوات والأذكار المقيدة مثل ما يقال عند الأكل والشرب واللباس والجماع ودخول المنزل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك وعند المطر والرعد إلى غير ذلك، وقد صنفت له الكتب المسماة بعمل اليوم والليلة.

ثم ملازمة الذكر مطلقا، وأفضله لا إله إلا الله. وقد تعرض أحوال يكون بقية الذكر مثل: «**سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله**» أفضل منه.

ثم يعلم أن كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله، ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض، أو جلس مجلسا يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقها فهذا أيضا من أفضل ذكر الله، وعلى ذلك إذا تدبرت لم تجد بين الأولين في كلماتهم في أفضل الأعمال كبير اختلاف".[(٣)]

---

(١) رواه مسلم «٢٦٧٦».

(٢) أخرجه الترمذي «٣٣٧٧» واللفظ له، وابن ماجه «٣٧٩٠»، وأحمد «٦/ ٤٤٧». وقال الألباني في تخريج مشـــكاة المصــــابيح «٢٢٠٩» إسناده صحيح

(٣) مجموع الفتاوى «١٠/ ٦٦٠-٦٦١».

قال ابن القيم «**ت: ٧٥١ هـ**» -رحمه الله-: "إن التوسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته أحب إليه، وأنفع للعبد من التوسل إليه بمخلوقاته، وكذلك سائر الأحاديث، كما في حديث الاسم الأعظم: «**اللهم إني أسألك بأن: الحمد لا إله إلا أنت، المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي ياقيوم**».[(١)]

وفي الحديث الآخر: «**أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد**».[(٢)]

وفي الحديث الآخر: «**اللهم إني أسألك بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق**».[(٣)]

وكلها أحاديث صحاح رواها ابن حبان والإمام أحمد والحاكم. وهذا تحقيق لقوله ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية: ١٨٠]".[(٤)]

الأمر الثاني عشر: معرفة الله تنتج للعبد فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته.

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "الفقر فقران:

فقر اضطراري، وهو فقر عام لاخروج لبرّ ولا فاجر عنه، وهذا لا يقتضى مدحاً ولا ذماً ولا ثواباً ولا عقاباً ، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقاً ومصنوعاً.

والفقر الثاني فقر اختياري، هو نتيجة علمين شريفين:

أَحدهما : معرفة العبد بربه ، والثاني : معرفته بنفسه .

فمتى حصلت له هاتان المعرفتان، أَنتجتا له فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته".[(٥)]

---

(١) أخرجه أبو داود «١٩٩٠»، والترمذي «٣٥٤٤» وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه «٣٨٠٨»، وأحمد «٣/ ١٢٠، ١٠٨، ٢٦٥، ٢٩١».

(٢) أخرجه أبو داود «١٩٩٣»، والترمذي «٣٤٧٣»، وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه «٣٨٠٧»، وأحمد «٥/ ٣٤٩، ٣٦٠».

(٣) أخرجه أحمد «٤/ ٢٦٤»، والحاكم «١/ ٥٢٤»، وابن حبان «٣/ ٢١٣».

(٤) أسماء الله الحسنى : «٥٠».

(٥) طريق الهجرتين «ص: ٩».

الأمر الثالث عشر: ضرورة تجنُّب الباطل، وعدم مخالفة طريق الحق في هذا الباب.

قد وقع الخلاف في هذا الباب، وكَثُر كلام أهل الباطل فيه؛ لما عرفوا من أهميته، فبالتالي ازداد تسلطهم عليه، وأرادوا أن يَحجبوا الناس عن معرفة الله-تعالى-؛ لأنهم بهذا سيوصدون الباب، وإذا أُوصد الباب لم يمكن الدخول! فَكَثُرَ الخلاف والافتراق، فكان لا بد مِن مَعرفة تَنبني على الكتاب والسنة، وكان لا بد من فهم للحقِّ حتى يُتَّبع، ولا بد من معرفة للباطل حتى يُجتنب.

فباب الأسماء والصفات من أكثر الأبواب خطورة ومَزلة؛ من جهة كونه محل خلافات شديدة ومعقدة دارت رحاها بين علماء السلف من جهة والفلاسفة وأهل الكلام والمشبهة من جهة أخرى.

فمن واجب طالب العلم: أن يَتعمق في فهم الحق المبني على الكتاب والسنة؛ قال-تعالى-: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: الآية: ٥٩]، فالرد إلى الله يكون بالرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول بعد وفاته يكون بالرد إلى سنته صلى الله عليه وسلم، وقد قال-تعالى-: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية: ١٤٠]، فالله أعلم بنفسه، وهو الذي أخبر بأسمائه وصفاته في كتابه وعلى لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-، وكذلك فإن النبي-صلى الله عليه وسلم-أعلم الناس بربِّه وأصدقهم خبرًا، وقد قال الله في حقه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: الآيات: ٣-٤].

فمن الواجب على المسلم: أن يدرس هذا الباب وأن يتعمق في فهمه وفق ما ورد في الكتاب والسنة، وأن يحذر من التيارات الفلسفية التي أضَرَّت أصحابها، وأدخلتهم في دوامة الانحراف والضياع، فحالت بين قلوبهم وبين معرفة ربهم، فأصبحت قلوبهم مظلمة جاهلة بحقائق الإيمان، فترتب على ذلك إعراضهم عن الله وعن ذكره ومحبته والثناء عليه بأوصاف كماله، ونعوت جلاله، فانصرفت قُوى حُبِّهم وشوقهم وأنسهم إلى سواه.

ومعلوم: أنه لا يستقر للعبد قَدَمٌ في المعرفة-بل ولا في الإيمان-حتى يؤمن بأسماء وصفات الربِّ جل جلاله، ويَعرفها معرفة تُخرجه عن حدِّ الجهل بربه، فالإيمان بالأسماء والصفات وتَعَرُّفها

هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان وثمرة شجرة الإحسان؛ فمَن جَحدها فقد هدم أساس الإسلام والإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فضلًا عن أن يكون من أهل العرفان.

فينبغي للمؤمن أن يَبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات، وأن تكون معرفته سالمة من داء التعطيل وداء التمثيل اللذين ابتُلي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فالمعرفة الصحيحة هي المتلقاة من الكتاب والسنة، وما رُوي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه هي المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة إيمانه وقوة يقينه، وطمأنينة أحواله.

مجمل معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته.

معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته هو: أنهم يؤمنون بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة إثباتًا ونفيًا، فهم بذلك:

١-يسمون الله بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-، لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون منه.

٢-ويثبتون لله عز وجل ويصفونه بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

٣-وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله محمد-صلى الله عليه وسلم-، مع اعتقاد أن الله موصوف بكمال ضد ذلك الأمر المنفي.

فأهل السنة سلكوا في هذا الباب منهج القرآن والسنة الصحيحة فكل اسم أو صفة لله سبحانه وردت في الكتاب والسنة الصحيحة فهي من قبيل الإثبات فيجب بذلك إثباتها.

وأما النفي فهو أن ينفى عن الله عز وجل كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص، مع وجوب اعتقاد ثبوت كمال ضد ذلك المنفي.

قال الإمام أحمد-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»: "لا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله بلا حد ولا غاية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]. ولا يبلغ الواصفون صفته، وصفاته منه، ولا نتعدى القرآن والحديث،

فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، نؤمن بالقرآن كله؛ محكمه ومتشابهه".[(١)]

وقال عبد الرحمن بن القاسم-رحمه الله-«**ت: ١٩١ هـ**»: "لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يشبه يديه بشيء، ولا وجهه بشيء، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه، يقف عند ما وصف به نفسه في الكتاب؛ فإنه-تبارك وتعالى-لا مثل له ولا شبيه، ولكن هو الله لا إله إلا الله كما وصف نفسه، ويداه مبسوطتان كما وصفها: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: الآية: ٦٧] ، كما وصف نفسه".[(٢)]

وقال ابن خزيمة-رحمه الله-«**ت: ٣١١ هـ**»: "إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى، نقلها الخلف عن السلف قرنا بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا، على سبيل الصفات لله تعالى، والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله-تعالى-في تنزيله، ونبيه الرسول-صلى الله عليه وسلم-عن كتابه، مع اجتناب التأويل والجحود، وترك التمثيل والتكييف".[(٣)]

وقال الكلاباذي-رحمه الله-«**ت: ٣٨٤ هـ**»: "أجمعوا على أن لله صفات على الحقيقة هو بها موصوف؛ من العلم، والقدرة، والقوة، والعز، والحلم، والحكمة، والكبرياء، والجبروت، والقدم، والحياة، والإرادة، والمشيئة، والكلام... وأن له سمعا وبصرا ووجها ويدا على الحقيقة، ليس كالأسماع والأبصار والأيدي والوجوه".[(٤)]

وقال ابن عبد البر-رحمه الله-«**ت: ٤٦٣ هـ**»: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات

---

(١) يُنظر: «ذم التأويل» لابن قدامة «ص: ٢٢».

(٢) ينظر: «أصول السنة» لابن أبي زمنين «ص: ٧٥».

(٣) ينظر: «ذم التأويل» لابن قدامة «ص: ١٨».

(٤) ينظر: «التعرف لمذهب أهل التصوف» «ص: ٣٥».

الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة، والحمد لله".(١)

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فلا ينفون عنه ما أثبته لنفسه من الصفات، ولا يمثلون صفاته بصفات المخلوقين؛ فالنافي معطل، والمعطل يعبد عدما، والمشبه ممثل، والممثل يعبد صنما، ومذهب السلف إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وهذا رد على الممثلة. وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، رد على المعطلة».(٢)

وقال أيضًا-رحمه الله-: "جماع القول في إثبات الصفات هو القول بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، ويصان ذلك عن التحريف والتمثيل، والتكييف والتعطيل؛ فإن الله ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. فمن نفى صفاته كان معطلا، ومن مثل صفاته بصفات مخلوقاته كان ممثلا، والواجب إثبات الصفات، ونفي مماثلتها لصفات المخلوقات؛ إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، فهذا رد على الممثلة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، رد على المعطلة، فالممثل يعبد صنما، والمعطل يعبد عدما".(٣)

---

(١) ينظر: «التمهيد» «٧/ ١٤٥».

(٢) ينظر: «مجموع الفتاوى» «٨/ ٤٣٢».

(٣) ينظر: «مجموع الفتاوى» «٦/ ٥١٥».

فقولهم في الصفات مبني على أصلين:

أحدهما: أن الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص مطلقًا كالسنة والنوم والعجز والجهل وغير ذلك.

والثاني: أنه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها على وجه الاختصاص بما له من الصفات، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات".(١)

ومن النصوص التي توضح ذلك ما يلي:

أ-قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١].

ففي مقام النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وفي مقام ا لإثبات: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

ب-قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: الآية: ٥٨].

ففي مقام الإثبات: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ﴾.

وفي مقام النفي: ﴿الَّذِي لا يَمُوتُ﴾.

ج-قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥].

ففي مقام الإثبات: ﴿اللَّهُ﴾، و ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

وفي مقام النفي: ﴿لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، و﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾.

وأما من السنة، ففي مقام الإثبات قوله-صلى الله عليه وسلم-: «**ينزل ربنا-عز وجل- حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى سماء الدنيا**». متفق عليه.(٢)

وقوله-صلى الله عليه وسلم-: «**لما قضى الله عز وجل الخلق كتب في كتاب فهو عنده**

---

(١) منهاج السنة «٢/٥٢٣».

(٢) البخاري «٣/٢٢٩»، ومسلم «١/٥٢١ ح ١٦٨».



فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي». متفق عليه.[١]

وفي مقام النفي قوله–صلى الله عليه وسلم–: «**أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً»**.[٢]

وقوله–صلى الله عليه وسلم–: «**إن الله تعالى ليس بأعور»**.[٣]

وقوله–صلى الله عليه وسلم–: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام»**.[٤]

المسألة الثالثة: بيان مجمل الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته.

ارتكز معتقد أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته على ثلاثة أسس رئيسية، هي:[٥]

الأساس الأول: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتًا ونفيًا.

الأساس الثاني: تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات.

وهذه الأسس الثلاثة هي التي تفضل وتميز عقيدة أهل السنة في هذا الباب عن عقيدة أهل التعطيل «**من الفلاسفة وأهل الكلام**» من جهة.

وعن عقيدة أهل التمثيل «**من الكرامية والهشامية وغيرهم**» من جهة أخرى.

فالأساس الأول: فيه تمييز لعقيدة أهل، السنة عن عقيدة المعطلة، فأهل السنة يجعلون

---

(١) البخاري «٦/٢٨٧، ح ١٩٤»، ومسلم «٤/٢١٠٧ ح ١٤».

(٢) البخاري «١٣/٣٧٢ ح ٧٣٨٦».

(٣) متفق عليه، البخاري «١٣/٩٠»، ومسلم «١٨/٥٩».

(٤) مسلم في صحيحه «١/١١١».

(٥) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص: ٢٥

الأصل في إثبات الأسماء والصفات أو نفيها عن الله تعالى هو كتاب الله وسنة نبيه–صلى الله عليه وسلم–، ولا يتجاوزونها، فما ورد إثباته من الأسماء والصفات في القرآن والسنة الصحيحة فيجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما فيجب نفيه.

"وأما ما لم يرد إثباته ونفيه فلا يصح استعماله في باب الأسماء وباب الصفات إطلاقًا، وأما في باب الأخبار فمن السلف من يمنع ذلك، ومنهم من يجيزه بشرط أن يستفصل عن مراد المتكلم فيه، فإن أراد به حقًّا يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أراد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب رده". (١)

ومجمل القول إن في الأمر ثلاثة أبواب:

١–باب الأسماء: وهذا يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط.

٢–باب الصفات: وهذا كذلك يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط.

٣–باب الأخبار: وهذا لا يشترط فيه ورود النص الشرعي، ولكن يشترط أن يكون معنى اللفظ المستعمل ليس بسيء.

أما أهل التعطيل: فقد جعلوا "العقل" وحده هو أصل علمهم، فالشبه العقلية هي الأصول الكلية الأولية عندهم، وهي التي تثبت وتنفي، ثم يعرضون الكتاب والسنة على تلك الشبه العقلية، فإن وافقتها قبلت اعتضادًا لا اعتمادًا، وإن عارضتها ردت تلك النصوص الشرعية وطرحت، وفي هذا يقول قائلهم: "كل ما ورد السمع به ينظر فإن كان العقل مجوزا له وجب التصديق به.

وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول.

وظواهر أحاديث التشبيه–يعني بها أحاديث الصفات–أكثرها غير صحيحة، والصحيح

---

(١) رسالة في العقل والروح ٢/ ٤٦–٤٧ لابن تيمية «ضمن مجموعة الرسائل المنيرية»

منها ليس بقاطع، بل هو قابل للتأويل".[(١)]

فهذا النقل يبين لك مدى تقديم هؤلاء لشبههم العقلية وتعصبهم لها، وكيف أنهم يجعلونها هي الأصول والسمع معروضا عليها، فما أجازته عقولهم قبلوه، وما لم تجزه عقولهم شككوا فيه وانتقصوه، ومن ثم سعوا في تأويله وتحريفه، ومن يلقي نظرةً على كتب الأشاعرة مثلاً يجد أن القوم يقسمون أبواب العقيدة إلى إلهيات–ونبوَّات–وسمعيات، وهم في باب الإلهيات والنبوات لا يقبلون نصوص الكتاب والسنة، ولذلك لن تجد في هذين البابين إلا الشبه العقلية المركبة وفق القواعد المنطقية، ويا عجبا أنأخذ ديننا من كلام الله ورسوله، أم من ملاحدة اليونان وتلاميذهم!

وأما باب السمعيات–أي البعث والحشر والجنة والنار والوعد والوعيد–فهم يقبلون فيه النصوص الشرعية، وبالتالي سموا هذا الباب بالسمعيات. في مقابل باب الإلهيات والنبوات، إذ إنهم يعتمدون فيهما على العقليات، وهؤلاء شابهوا حال من قال الله تعالى فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٨٥]

وأما الأساس الثاني: وهو تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين، ففيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المعطلة من جهة، وعن عقيدة المشبهة من جهة أخرى.

فأهل السنة: يعتقدون أن ما اتصف الله به من الصفات لا يماثله فيها أحد من خلقه، فالله عز وجل قد أخبرنا بذلك بنص كتابه العزيز حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، فإذا ورد النص بصفة من صفات الله تعالى في الكتاب أو السنة فيجب الإيمان به والاعتقاد الجازم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو مما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فالشر كل الشر في

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي ص: ١٣٢–١٣٣. وقال في كتابه المستصفى ٢/ ١٣٧–١٣٨: "كل ما دل العقل فيه على أحد الجانبين فليس للتعارض فيه مجال، إذ الأدلة العقلية يستعجل نسخها وتكاذبها، فإن ورد دليل سمعي على خلاف العقل، فإما أن لا يكون متواترًا فيعلم أنه غير صحيح، وإما أن يكون متواترًا فيكون مؤولاً ولا يكون متعارضًا".

عدم تعظيم الله، وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فعلى القلب المؤمن المصدق بصفات الله التي تمدح بها أو أثنى عليه بها نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يكون معظمًا لله جل وعلا غير متنجس بأقذار التشبيه، لتكون أرض قلبه طيبة طاهرة قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنزيه، أخذا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]

أما أهل التعطيل: فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات التي لا وجود لها إلا في أفهامهم الفاسدة، فعقيدة هؤلاء المعطلة جمعت بين التمثيل والتعطيل، وهذا الشر إنما جاء من تنجس قلوبهم وتدنسها بأقذار التشبيه، فإذا سمعوا صفة من صفات الكمال التي أثنى الله بها على نفسه كاستوائه على عرشه ومجيئه يوم القيامة وغير ذلك من صفات الجلال والكمال، فإن أول ما يخطر في أذهانهم أن هذه الصفة تشبه صفات الخلق، فيتلطخ القلب بأقذار التشبيه لم يقدر الله حق قدره ولم يعظم الله حق عظمته حيث سبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فيكون أولاً نجس القلب بأقذار التشبيه ثم دعاه ذلك إلى أن ينفي صفة الخالق جلَّ وعلا عنه بادعاء أنها تشبه صفات المخلوق، فيكون فيها أولاً مشبهًا، وثانيًا معطلاً ضالاً ابتداءً وانتهاءً متهجمًا على رب العالمين ينفي صفاته عنه بادعاء أن تلك الصفة لا تليق.[١]

وأما عقيدة أهل التمثيل: فهي تقوم على دعواهم أن الله عز وجل لا يخاطبنا إلا بما نعقل، فإذا أخبرنا عن اليد فنحن لا نعقل إلا هذه اليد الجارحة، فشبهوا صفات الخالق بصفات المخلوقين، فقالوا: له يد كيدي، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وأمَّا العارفون به، المصدقون لرسله، المقرون بكماله فهم يثبتون لله جميع صفاته، وينفون عنه مشابهة المخلوقات، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه، وبين التنزيه وعدم التعطيل، فمذهبهم حسنة بين سيئتين، وهدًى بين ضلالتين.

---

(١) انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص: ١٩-٢٠

وأما الأساس الثالث: ففيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المشبهة، فأهل السنة يفوضون علم كيفية اتصاف الباري عز وجل بتلك الصفات إلى الله عز وجل، فلا علم للبشر بكيفية ذات الله–تبارك وتعالى "ولا تفسير كنه شيء من صفات ربنا تعالى كأن يقال استوى على هيئة كذا، وكل من تجرأ على شيء من ذلك فقوله من الغلو في الدين والافتراء على الله عز وجل، واعتقاد ما لم يأذن به الله ولا يليق بجلاله وعظمته ولم ينطق به كتاب ولا سنة، ولو كان ذلك مطلوبًا من العباد في الشريعة لبينه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهو لم يدع ما بالمسلمين إليه حاجة إلا بينه ووضحه، والعباد لا يعلمون عن الله تعالى إلا ما علمهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]، فليؤمن العبد بما علمه الله تعالى وليقف معه، وليمسك عما جهله وليكل معناه إلى عالمه".(١)

وأما المشبهة فقد تعمقوا في شأن كيفيات صفات الله وتقولوا على الله بغير علم، فقالوا: له بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا، وسيأتي توضيح الأسس الثلاثة في المطالب الآتية.

بيان الأساس الأول من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات

وهو: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتا ونفيا.

وهذا الأساس لابد فيه من مراعاة ما يلي:

أولاً: إن طلب العلم في المطالب الإلهية إنما يكون عن طريق الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة.

فالذي يجب اعتقاده هو أن معرفة هذا النوع من أنواع التوحيد تتوقف على دراسة الكتاب

(١) انظر: معارج القبول ١/ ٣٢٦-٣٢٧

والسنة، لأن هذا التوحيد يتطلب، أسماء وصفات معينة، وهذه لا سبيل إلى معرفتها والحصول عليها إلا من طريق الكتاب والسنة «**فنحن نؤمن بالله تعالى وبما أخبر به عن نفسه سبحانه على ألسنة رسله من أسمائه الحسنى وصفاته العلى بلا تكييف ولا تمثيل، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه مما لا يليق بجلاله وعظمته، فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأبين دليلاً من غيره**».[(١)] ولذلك كان معتقد أهل السنة هو الإيمان بما سمى ووصف الله به نفسه إثباتًا ونفيًا، لأنه لا يسمي الله أعلم بالله من الله، قال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية: ١٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: الآية: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: الآية:١٤]، وقال تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان: الآية: ٥٩]، فالله–عز وجل–، هو الذي سمى ووصف نفسه بما جاء في نص كلامه الذي هو القرآن.

ولا يسمي ويصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، الذي قال الله في حقه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: الآيات: ٣-٤]، ولقد جاءت رسالة النبي–صلى الله عليه وسلم–بإثبات الصفات إثباتًا مفصلاً على وجه ثلجت به الصدور واطمأنت به القلوب، واستقر الإيمان في نصابه، وفصلت ذلك أعظم من تفصيل الأمر والنهي، وقررته أكمل تقرير في أبلغ لفظ، ولذلك كان لزامًا على كل مسلم أن يؤمن بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان.

قال ابن خزيمة–رحمه الله–«**ت: ٣١١ هـ**»: "نحن نثبت لخالقنا جل وعلا صفاته التي وصف الله عز وجل بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه المصطفى، مما ثبت بنقل العدل عن العدل موصولا إليه".[(٢)]

وقال أيضًا: "لا نصف معبودنا إلا بما وصف به نفسه إما في كتاب الله أو على لسان نبيه بنقل العدل عن العدل موصولا إليه لا نحتج بالمراسيل ولا بالأخبار الواهية ولا نحتج أيضا في

(١) معارج القبول ١/٣٣٠-٣٣١

(٢) التوحيد «١/ ٥٧» وينظر «١/ ٥١، ٦٥».

صفات معبودنا بالآراء والمقاييس شيء منها أبدا مخالفا لكتاب الله، أو الشيء منه، فمن ادعى من الجهلة أن شيئا من سنن النبي إذا ثبت من جهة النقل مخالف لشيء من كتاب الله فأنا الضامن بتثبيت صحة مذهبنا على ما أبوح به منذ أكثر من أربعين سنة".[١]

قال الحافظ أبو نصر الوائلي البكري السجزي -رحمه الله-«**ت: ٤٤٤ هـ**»: "وقبل كل شيء ينبغي أن يعلم أن اعتمادنا في المعتقدات أجمع على السمع فإذا ورد السمع بشيء قلنا به، ولم نلتفت إلى شبهة يدعيها مخالف".[٢]

ثانيًا: تقديم الشرع على العقل، فالأصل في الدين الاتباع والمعقول تبع. فمعتقد أهل السنة في هذا الباب وفي غيره من أبواب العقائد والأحكام أن العقل المجرد ليس له إثبات شيء من العقائد والأحكام، وإنما المرجع في ذلك إلى القرآن والسنة.

فالعقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات فوجب الوقوف في ذلك على النص، لأن العقل يقصر عن إدراك حقيقة المغيبات حتى وإن كانت تلك المغيبات أقرب شيء إليه، فهو قاصر عن أن يحيط علمًا بحقيقة روحه التي بين جنبيه لما أخفى الله أمرها عنه، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: الآية: ٨٥]، فإذا كان الإنسان يجهل أمر روحه فكيف يحيط علمًا بذات الله وما يصلح وما لا يصلح لذاته من الأسماء والصفات، والله قد أخفى عن الخلق كيفية ذاته؟!.

"ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر صفات الله، وما تعبد الناس باعتقاده من ذكر عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والحوض، والميزان، والصراط، وصفة الجنة وصفة النار، وجدناها أمورًا لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئا من أمور الذين، وعقلناه، وفهمناه، فلله الحمد في ذلك، والشكر ومنه التوفيق، وما لم يمكنَّا إدراكه ولم تبلغه عقولنا آمنا به، وصدقناه، واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته،

---

(١) التوحيد «١/٣٧».

(٢) الرد على من أنكر الحرف والصوت ص: ١٥٣.

واكتفينا في ذلك بعلمه، ومشيئته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]".[١]

"واعلم أن فصل ما بيننا وبين المعطلة هو "مسألة العقل"، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعًا للمعقول.

وأما أهل السنة فقالوا: الأصل في الدين الإتباع، والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء".[٢]

فالتقرير بأن النقل مقدم على العقل لا ينبغي أن يفهم منه أن أهل السنة ينكرون العقل والتوصل به إلى المعارف والتفكير به في خلق السموات والأرض، وفي الآيات الكونية الكثيرة، فأهل السنة لا ينكرون استعمال العقل، ولكنهم توسطوا في شأن "العقل" بين طائفتين ضلتا في هذا الباب، هما:

أهل الكلام: الذين يجعلون العقل وحده أصل علمهم، ويفردونه، ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له، والمعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية، المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن.

فهؤلاء جعلوا عقولهم هي التي تثبت وتنفي والسمع معروضا عليها، فإن وافقها قيل اعتضادًا لا اعتمادًا، وإن عارضها رُدَّ وطُرِحَ، وهذا من أعظم أسباب الضلال التي دخلت على هذه الأمة.

وأهل التصوف: الذين يذمون العقل ويعيبونه، ويرون أن الأحوال العالية، والمقامات الرفيعة، لا تحصل إلا مع عدمه، ويقرون من الأمور بما يكذب صريح العقل.

ويمدحون السكر والجنون والوله، وأمورًا من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز، كما يصدقون بأمور يعلم بالعقل الصريح بطلانها.

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١/٣٢١ بتصرف

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٢٠

وكلا الطرفين مذموم.

وأما أهل السنة: فيرون أن العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلاً بذلك.

فالعقل غريزة في النفس، وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين.

فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس أو النار.

وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها.

وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورًا حيوانية.

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، ولم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه.[١]

رابعًا: رفض التحريف والتعطيل لنصوص الأسماء والصفات.

فالسلف يعتقدون أن الواجب في نصوص القرآن والسنة بما في ذلك نصوص الأسماء والصفات هو إجراؤها على ظاهرها، وذلك بأن تُفهتم وفق ما يقتضيه اللسان العربي، وأن لا يتعرض لها بتحريف أو تعطيل كما فعل المعطلة، الذين تلاعبوا بظواهر النصوص! لمجرد أنها خالفت باطلهم ومناهجهم الفاسدة.[٢]

فنصوص الصفات ألفاظ شرعية يجب أن تحفظ لها حرمتها، وذلك بأن نفهمها وفق مراد الشارع، فلا نتلاعب بمعانيها لنصرفها عن مراد الشارع.

فمن الأصول الكلية عند السلف أن الألفاظ الشرعية لها حرمتها، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد الله ورسوله بها ليثبت ما أثبته الله ورسوله من المعاني، وينفى ما نفاه الله ورسوله من المعاني.[٣]

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٣٣٨-٣٣٩ بتصرف

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٢/٣٠١

(٣) مجموع الفتاوى ١٢/١١٣-١١٤ بتصرف

وبحمد الله وفضله نجد أن نصوص الصفات الواردة في القرآن والسنة هي من الوضوح والكثرة بمكان، بحيث يستحيل تأويلها والتلاعب بنصوصها، فلقد جاءت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بإثبات الصفات إثباتًا مفصَّلاً على وجه أزال الشبهة وكشف الغطاء، وحصل به العلم اليقيني، ورفع الشك والريب، فثلجت به الصدور، واطمأنت به القلوب، واستقر الإيمان في نصابه، فلقد فصلت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الأسماء والصفات والأفعال أعظم من تفصيل الأمر والنهي، وقررت إثباتها أكمل تقرير في أبلغ لفظ.

فالمطلع على نصوص القرآن والسنة الخبير بهما، لا يزيده تحريف المعطلة لتلك النصوص إلا احتقارًا لهم، ويقينًا بفساد معتقدهم وبطلانه.

ولا تروج تحريفات المعطلة إلا على الجاهل بمعرفة تلك النصوص قليل البضاعة فيها، فهذا الصنف! أتي من جهة جهله لا من قلة النصوص الواردة في هذا الباب، والله أعلم.

قال المقريزي–رحمه الله–«**ت: ٨٤٥ هـ**» في كلامه على افتراق الناس في نصوص الصفات: "فصار للمسلمين في ذلك خمسة أقوال:

أحدها: اعتقاد ما يفهم مثله من اللغة.

وثانيها: السكوت عنها مطلقا،

وثالثها: السكوت عنها بعد نفي إرادة الظاهر،

ورابعها: حملها على المجاز،

وخامسها: حملها على الاشتراك".[(١)]

وقال الشيخ أحمد بن إبراهيم الواسطي الشافعي «**ت: ٦٩٤ هـ**»[(٢)]: "وكنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك: من تأويل الصفات وتحريفها، أو

(١) الخطط المقريزية ٣/ ٣١٩.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عماد الدين الواسطي، البغدادي، فقيه كان شافعا، قدم دمشق فتتلمذ على ابن تيمية وانتقل إلى المذهب الحنبلي ورد على المبتدعة الذين خالطهم. من كتبه اختصار دلائل النبوة»، و «شرح منازل السائرين وغيرها. الأعلام ١/ ٨٩، الدرر الكامنة ١/ ١١، الشذرات ٩/ ٢٩.

إمرارها، أو الوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل".[(١)]

ومن أقوال العلماء في تقرير هذا الأساس:

قول عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون-رحمه الله-«**ت: ١٦٤ هـ**»- وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب-. "وقد سئل فيما جحدت به الجهمية:

أما بعد: فقد فهمت ما سألت عنه فيما تتابعت الجهمية ومن خالفها في صفة الرب [العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير وكَلَّت الألسن عن] تفسير صفته، وانحسرت العقول دون معرفة قدره ردت عظمته العقول فلم تجد مساغًا فرجعت خاسئة وهي حسيرة، وإنما أُمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير، وإنما يقال «**كيف**»؟ لمن لم يكن ثم كان، فأما الذي لا يحول ولا يزول، ولم يَزَلْ، وليس له مثل، فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو، وكيف يعرف قدر من لم يبد ومن لم يمت، ولا يبلى، وكيف [يكون] لصفة شيء منه حد أو منتهى؟ يعرفه عارف أو يحد قدره واصف على أنه الحق المبين، لا حق أحق منه، ولا شيء، أبين منه. الدليل على عجز العقول في تحقيق صفته، عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه، لا تكاد تراه صغرًا يحول ويزول، ولا يرى له سمع ولا بصر، لما يتقلب به ويحتال من عقله، أعضل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين، وخالقهم وسيد السادات، وربهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١].

اعرف ـ رحمك الله ـ غناك عن تَكلُّف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها، إذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف، هل تستدل بذلك على شيء من طاعته، أو تنزجر به عن شيء من معصيته؟

فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقًا وتكلفًا، فقد ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: الآية: ٧١] فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى

---

(١) النصيحة في صفات الرب جل وعلا ص ٩.

من نفسه بأن [قال]: لا بد إن كان له كذا من أن يكون له كذا فعمي عن البَيِّن بالخفي، وجحد ما سمى الرب من نفسه بصمت الرب عما لم يسم منها، فلم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول الرب ـ عز وجل ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣] فقال: لا يراه أحد يوم القيامة، فجحد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه، ونضرته إياهم ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: الآية: ٥٥] ، "وقد قضى أنهم لا يموتون، فهم بالنظر إليه ينظرون.

إلى أن قال: وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة؛ لأنه قد عرف إذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحدًا.

وقال المسلمون: يا رسول الله، هل نرى ربنا؟

فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «**هل تُضَارُّون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**فإنكم ترون ربكم كذلك**».

وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «**لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه، فتقول: قط قط، وينزوي بعضها إلى بعض**».

وقال لثابت بن قيس –رضي الله عنه–: «**لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة**».

وقال فيما بلغنا: «**إن الله ليضحك من أزلِكم وقنوطكم وسرعة إجابتكم**»، فقال له رجل من العرب: إن ربنا ليضحك؟ [قال: «**نعم**». قال: لا نعدم من رب يضحك خيرًا" في أشباه لهذا مما لم نحصه.

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: الآية: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: الآية: ٣٩]، وقال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: الآية: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: الآية:

٦٧]. فوالله ما دلَّهُم على عِظَم ما وصفه من نفسه، وما تحيط به قبضته إلا صغر [نظيرها منهم عندهم، إن ذلك الذي] ألقى في روعهم، وخلق على معرفة [قلوبهم]، فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-سميناه كما أسماه، ولم نتكلف منه صفة ما سواه ـ لا هذا ولا هذا ـ لا نجحد ما وصف، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف.

اعلم-رحمك الله-أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهي بك ولا تجاوز ما حد لك، فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر، فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارث علمه الأمة، فلا تخافنّ في ذكره وصفته من ربك ما وصفه من نفسه عيبًا، ولا تتكلفنّ لما وصف لك من ذلك قدرًا.

وما أنكرته نفسك، ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك ـ من ذكر ربك ـ فلا تتكلفن علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه، فإن تكلفك [معرفة] ما لم يصف من نفسه كإنكارك ما وصف منها، فكما أعظمت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعظم [تكلف] ما وصف الواصفون مما لم يصف منها.

فقد ـ والله عَزّ المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يُعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم يُنكر، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه، وما بلغهم مثله من نبيه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلبُ مسلم، ولا تكلَّف صفة قدرة ولا تسمية غيره من الرب مؤمن.

وما ذكر عن الرسول-صلى الله عليه وسلم-أنه سماه من صفة ربه، فهو بمنزلة ما سمى وما وصف الرب من نفسه.

والراسخون في العلم ـ الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها ـ لا ينكرون صفة ما سمى منها جحدًا، ولا يتكلَّفون وصفه بما لم يُسم تعمُّقًا، لأن الحقَّ تركُ ما ترك وتسميةُ ما سمَّى ومن يتبع ﴿غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: الآية: ١١٥]، وَهَبَ اللهُ لنا ولكم حُكْمًا، وألحَقَنا بالصالحين اهـ.

وقد تضمن كلامه رحمه الله عدداً من المسائل منها:

أن هناك أربعة أمور لابد من مراعاتها في باب الصفات:

أولًا: الإثبات في قوله: "فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم سميناه كما أسماه" أي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: عدم الزيادة في قوله: "ولم نتكلف منه صفة ما سواه ـ لا هذا ولا هذا". أي: لا نزيد على ما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه في قوله: "ولا نتكلف معرفة ما لم يصف" أي لا نخوض ونتكلف في معرفة ما لم يرد به النص.

رابعاً: عدم النقص في قوله: "لا نجحد ما وصف" أي: لا ننقص مما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله–صلى الله عليه وسلم–.

وقوله: "اعلم ـ رحمك الله ـ أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهي بك ولا تجاوز ما حد لك"، هذه قاعدة لو التزمها العبد لسلِم ونجا، قف عند ما أخبرك الله من الغيب ولا تتجاوز ذلك الحد، "فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر ": أي: من إقامة الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر.

"فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارث علمه الأمة، فلا تخافنّ في ذكره" يعني: اصدع به، وقل ربنا يضحك، وربنا يغضب، وربنا يرضى، لماذا تجبن في هذه المواقف؟ مع أن عندك كلام الله تعالى وكلام رسوله صلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم؟

"وصفته من ربك ما وصفه من نفسه عيبًا"، يعني: لا تخف عيب أن يُعاب عليك فيُقال لك مشبِّه، أو يُقال لك مجسِّم، أو يُقال لك حشوي، أو يُقال وهَّابي، وغير ذلك من العبارات التي تسمعها، ومعك من ذلك دليلٌ من كلام الله–تعالى–وكلام رسوله–صلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم–؟

فلا بُدَّ من إقامة المعروف ولا بُدَّ من إنكار المنكر، أمة تعطِّل وتجحد، وأنت على الحق

تعرف الحق وعندك دليله، لماذا لا تصدع بالحق؟ ولماذا لا تنكر المنكر الذي هو في هذا الباب هو التعطيل؟ "ولا تتكلفنّ لما وصف لك من ذلك قدرًا" يعني: لا تخض في الكيفية كما وقع المشبه في هذا.

"وما أنكرته نفسك، ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك، فلا تكلفن علمه بعقلك"، هذا الباب ليس فيه رأي وليس فيه اجتهاد، فيه نص فقط، فإن جاء النص فبها، وإلا فاسكت ولا تخض فيما لا علم لك بك.

ليس الأمر كمسائل الفروع مثلًا، أو مسائل ما يتعلق بأمور الفقه، فأمور الفقه تخضع لاجتهاد في حال عدم النص، لكن أمور الاعتقاد لا بُدَّ فيها من نص.

"ولا تصفه بلسانك" يعني: هذا في حق ما لم يرد، نصيحة غالية من أحد أئمة السلف: لا تتجاوز الحدَّ الذي يُحدُّ لك، فما جاء به النص فآمن وسلم، وما لم يأت به النص فعندنا هنا في هذا الباب ثلاثة أمور:

- أمورٌ أثبتها الله لنفسه فنثبت ما أثبته لنفسه.
- أمورٌ نفاها عن نفسه فننفي ما نفاه عن نفسه.
- وأمورٌ لم يرِد بها نفيٌ ولا إثبات فنتوقف فيها ولا نخوض فيها.

هذه ثلاثة أمور: نثبت ما أثبته لنفسه، وننفي ما نفاه عن نفسه، وما لم يرد إثباته أو نفيه نسكت عنه ولا نخوض فيه.

"فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه كإنكارك ما وصف منها" يعني: يستوي، فهذا محظور وهذا محظور، التعطيل محظور وكذلك التقول على الله بغير علمٍ محظور، "فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعظِم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها".

إذًا كما أنت تكبر وتعظم ما فعله المعطِّلة من جحد الصفات، فكذلك أكبر وأعظم التقول على الله بغير علم، وقلنا إن هذا من سبيل الشيطان؛ لأن الله تعالى عندما ذكر الشيطان ذكره بذلك، ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية:١٦٩]

فهذا من سبيل الشيطان.

فإذًا من القول على الله-عزَّ وجلَّ-بغير علم: أن تصفه بما لم يصف به نفسه، فهل هناك أسلم من هذا المنهج؟! منهجٌ يقف مع النص ولا يتجاوز النص، فبالتالي ما أثبته الله لنفسه يُثبت، وما نفاه عن نفسه يُنفى، وما لم يثبته أو ينفه فنقف فيه فلا نخوض فيه لا نفيًّا ولا إثباتًا.

"فقد-والله-عز المسلمون" يعني: قل الذين على المعتقد الصحيح، "الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يُعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم يُنكر، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه، وما بلغهم مثله عن نبيه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم، ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن" فهذا حال المؤمن.

فهذه نصوص واضحة لو أن الإنسان نظر لها النظرة السليمة، ولكن كما قال الشاعر:

وكَمْ من عائِبٍ قوْلًا صَحيحًا   وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السّقيمِ

فالسبب في هذا: أفهام سقيمة، وإن النصوص واضحة وثابتة، فالخلل هنا إما أن يكون في النصوص، أو يكون في عقول هؤلاء، وحاشا أن يكون في النصوص، فالنصوص ثابتة والله تعالى أخبر عن استوائه ونبيه -صلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم-أخبر عن نزوله، وهكذا في سائر صفاته بين الكتاب والسُنَّة نصوص ثابتة صريحة صحيحة.

لكن الخلل من أفهامٍ تنظر إلى هذه الأمور بنظرةٍ غير صحيحة وغير سليمة، فهذه النصوص فلذلك عزَّ والله من يعرف المعروف وينكر المنكر، وهذه النصوص واضحة وصريحة وامتلأت بها الكتب التي حوت هذا الأمر.

"وما ذُكر عن رسول الله-صلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم-أنه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمى وما وصف الرب تعالى من نفسه" يعني: ما جاء في السُنَّة مثل ما جاء في القرآن لا نفرق بين هذا وبين هذا، فهذا وحيٌ متلو، وهذا وحيٌ غير متلو، وكلٌ نحن متعبدون به، الإيمان به والتصديق به والإقرار به كما أخبر الله تعالى، والله تعالى قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر: الآية: ٧].

"والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه،

التاركون لما ترك من ذكرها، لا ينكرون صفة ما سمى منها جحدها، ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقًا" فانظر المنهج الصحيح: يثبتون ما أثبته لنفسه ولا يجحدون، وكذلك ما أثبتوه لا يخوضون في كيفيات، "لأن الحق ترك ما ترك، وتسمية ما سمى".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية «**ت: ٧٢٨ هـ**»-رحمه الله-: "وهذا كله كلام ابن الماجشون «**ت: ١٦٤ هـ**» الإمام فتدبره، وانظر كيف أثبت الصفات ونفى علم الكيفية موافقة لغيره من الأئمة، وكيف أنكر على من نفى الصفات بأنه يلزم من إثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية: أنه يلزم أن يكون جسمًا أو [عَرَضًا فيكون]."

قول عبد الرحمن بن قاسم العُتَقي من كبار فقهاء المالكية، صحب مالكاً -رحمه الله-«**ت: ١٩١ هـ**»: "لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن".(١)

وقال الإمام الشافعي-رحمه الله-«**ت: ٢٠٤ هـ**»: "حرامٌ على العقول أن تُمَثِّل الله تعالى، وعلى الأوهام أن تحدَّه، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تفكِّر، وعلى الضمائر أن تعمَّق، وعلى الخواطر أن تحيط، وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم".(٢)

قال الشافعي-رحمه الله-«**ت: ٢٠٤ هـ**»: "هذه المعاني التي وصف الله-عز وجل-بها نفسه، ووصفه بها رسوله-صلى الله عليه وسلم-، لا يدرك حقيقة ذلك بالفكر والرؤية".(٣)

قال الشافعي-رحمه الله-«**ت: ٢٠٤ هـ**»: "نثبت هذه الصفات، وننفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه-تعالى-ذكره، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:

---

(١) انظر: رياض الجنة بتخريج أصول السنة ص «٧٥» برقم «٢٥»، والصفات أيضاً تؤخذ من السنة الصحيحة، ولعل قول عبد الرحمن بن القاسم جاء على الغالب، والله أعلم.

(٢) انظر: ذم التأويل لابن قدامة ص: «٢٣٤-٢٣٥» برقم «٣٤».

(٣) اعتقاد الإمام الشافعي، رواية أبي طالب العشاري «١٨».

الآية: ١١]".[1]

وقال الإمام أحمد «**ت: ٢٤١ هـ**»-رحمه الله-: "ولا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله بلا حد ولا غاية، ... ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه ولا نتعدى ذلك، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنِّعت".[2]

وقال سحنون «**ت: ٢٥٦ هـ**»-رحمه الله-: "من العلم بالله السكوت عن غير ما وصف به نفسه".[3]

وقال ابن قتيبة-رحمه الله-«**ت: ٢٧٦ هـ**» عن نصوص الصفات: "نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها ... من غير أن نقول في ذلك بكيفية، أو بحد، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت، فنرجوا أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غدا، إن شاء الله تعالى".[4]

وقال الدارمي-رحمه الله-«**ت: ٢٨٠ هـ**»: "لا نكيف مجيئه وإتيانه أكثر مما وصف الناطق من كتابه ثم ما وصف رسوله".[5]

وقال الدارمي «**ت: ٢٨٠ هـ**» -رحمه الله-:"ليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه فعلًا، أو صفة، بفعالهم، وصفتهم".[6]

وقال الطبري-رحمه الله- «**ت: ٣١٠ هـ**» عن الصفات: "الصواب من هذا القول عندنا: أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات، ونفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه

---

(١) اعتقاد الإمام الشافعي، رواية أبي طالب العشاري «١٨».

(٢) انظر: ذم التأويل لابن قدامة ص «٢٣٤» برقم «٣٣».

(٣) انظر: التمهيد «١٤٦/٧»، ذم التأويل لابن قدامة ص «٢٣٦» برقم «٣٨».

(٤) الاختلاف في اللفظ «٢٤٣» مطبوع ضمن كتاب عقائد السلف للنشار.

(٥) نقض الدارمي «٢/ ٦٨٠».

(٦) الرد على الجهمية «٩٣».

جل ثناؤه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]".(١)

وقال ابن خزيمة–رحمه الله–«**ت: ٣١١ هـ**»، عن أحاديث نزول الرب–جَّل وعلا–: "رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي–صلى الله عليه وسلم–في نزول الرب–جل وعلا–إلى السماء الدنيا كل ليلة نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله–جل وعلا–لم يترك ولا نبيه–عليه السلام–بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي لم يصف لنا كيفية النزول".(٢)

وقال ابن خزيمة «**ت: ٣١١ هـ**»–رحمه الله–: "نحن نثبت لخالقنا–جل وعلا–صفاته التي وصف الله–عز وجل–بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، مما ثبت بنقل العدل عن العدل موصولا إليه".(٣)

وقال البربهاري–رحمه الله–«**ت: ٣٢٩ هـ**» "ولا يقول في صفات الرب–تعالى–: كيف؟ ولِمَ؟ إلا شاك في الله".(٤)

وقال أبو بكر الإسماعيلي–رحمه الله–«**ت: ٣٧٠ هـ**»: "اعلموا–رحمنا الله وإياكم–أن مذهب أهل الحديث–أهل السنة والجماعة–: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقبول ما نطق به كتاب الله–تعالى–، وما صحت به الرواية عن رسول الله–صلى الله عليه وآله وسلم–، لا معدل عما وردا به، ولا سبيل إلى رده... ويعتقدون أن الله تعالى مدعو بأسمائه الحسنى،

---

(١) التبصير في معالم الدين «١٤٠» وينظر: «١٤٢،١٤٤».

(٢) التوحيد «١/ ٢٨٩–٢٩٠».

(٣) التوحيد «١/ ٥٧».

(٤) شرح السنة «٤١».

موصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم".[(١)]

وقال الإمام الخطابي-رحمه الله-«**ت: ٣٨٨ هـ**»: "إن صفات الله-تعالى-لا تؤخذ إلا من كتاب أو من قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-دون قول أحد من الناس كائناً من كان علت درجته أو نزلت تقدم زمانه أو تأخر لأنها لا تدرك من طريق القياس والاجتهاد فيكون فيها لقائل مقال ولناظر مجال".[(٢)]

وقال أيضاً: "ومن علم هذا الباب -أعني الأسماء والصفات-ومما يدخل في أحكامه، ويتعلق به من شرائط، أنه لا يتجاوز فيها التوقيف، ولا يستعمل فيها القياس، فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر وضع اللغة ومتعارض الكلام".[(٣)]

قال ابن عقيل-رحمه الله-«**ت: ٥١٣ هـ**» في الكفاية[(٤)] «**فصل عجيب يخفى على كثير من الأصوليين: وذلك أنه لا يجوز الإغراق في الإثبات مجاوزة لما أثبته الشرع ودلَّ عليه، كذلك لا يجوز الإغراق في النفي ولا الإقدام على نفي شيء عن الله إلا بدليل؛ لأن النفي أيضا لا يؤمن معه إزالة ما وجب له سبحانه، فالنفي يحتاج إلى دليل كما أن الإثبات يحتاج إلى دليل، كما أن إثبات ما لا يجب له كفر، فنفي ما جُوِّزَ عليه خطأ وفسق، ومثال ذلك: أن يغرق هؤلاء الخطباء والقصاص في نفي النقائص، ثم يدرجون فيها ما وردت به السنن ويقولون ليس بفوق ولا تحت ولا يدرك ولا يعلم ولا يعرف ولا ولا، فربما ساقوا في نفيهم نفي صفة وردت بها السنن**».[(٥)]

---

(١) اعتقاد أهل السنة «٣٢-٣١» وأورده الذهبي بإسناده في العلو «٢٢٩» وفي السير «١٦/ ٢٩٥» وانظر: مختصر العلو للألباني «٢٤٨».

(٢) نقلاً عن بيان تلبيس الجهمية «٤٤٢/١».

(٣) شأن الدعاء ص «١١١».

(٤) "كفاية المفتي" في عشر مجلدات، ويسمى أيضاً: "الفصول"، معظمه مفقود، وتوجد منه قطعتان مخطوطتان، إحداهما: بدار الكتب المصرية، والأخرى بالمكتبة الظاهرية بدمشق، انظر: مقدمة تحقيق كتاب "الواضح في أصول الفقه" «١٩/١».

(٥) نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في بيان تلبيس الجهمية «٧٩/١».

وعلق عليه شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: «**وهذا هو الصواب عند السلف والأئمة وجماهير المسلمين أنه لا يجوز النفي إلا بدليل كالإثبات، فكيف ينفى بلا دليل ما دل عليه دليل إما قطعي وإما ظاهري، بل كيف يقال: ما لم يقم دليل قطعي على ثبوته من الصفات يجب نفيه أو يجب القطع بنفيه، ثم يقال في القطعي إنه ليس بقطعي، فهذه المقدمات الفاسدة هي وسائل الجهل والتعطيل وتكذيب المرسلين**».(١)

وقال الإمام السجزي-رحمه الله-«**ت: ٤٤٤ هـ**»: "وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفًا، وكذلك شرحها لا يجوز إلا بتوقيف ... ولا يجوز أن يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله-صلى الله عليه وسلم-".(٢)

وقال الإمام ابن عبد البر-رحمه الله-«**ت: ٤٦٣ هـ**»: «... **ما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله-تعالى-إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم**»(٣)

وقال قوام السنة الأصبهاني-رحمه الله-«**ت: ٥٣٢ هـ**»: "قال علماء السلف: جاءت الأخبار عن النبي-صلى الله عليه وسلم-متواترة في صفات الله تعالى، موافقة لكتاب الله-تعالى-، نقلها السلف على سبيل الإثبات والمعرفة، والإيمان به والتسليم، وترك التمثيل والتكييف، وأنه-عز وجل-أزلي بصفاته وأسمائه، التي وصف بها نفسه، أو وصفه الرسول-صلى الله عليه وسلم-بها، فمن جحد صفة من صفاته بعد الثبوت كان بذلك جاحدا، ومن زعم أنها محدثة لم تكن ثم كانت دخل في حكم التشبيه في الصفات التي هي محدثة في المخلوق، زائلة بفنائه غير باقية، وذلك أن الله-تعالى-امتدح نفسه بصفاته، ودعا عباده إلى مدحه بذلك، وصدق به المصطفى-صلى الله عليه وسلم-، وبين مراد الله فيما أظهر الله لعباده من ذكر نفسه

(١) بيان تلبيس الجهمية «١/٧٩».

(٢) الردّ على من أنكر الحرف والصوت ص «١٢١».

(٣) التمهيد «٧/١٤٥».

وأسمائه وصفاته، وكان ذلك مفهومًا عند العرب غير محتاج إلى تأويله".[(١)]

وقال الإمام ابن قدامة المقدسي-رحمه الله-«**ت: ٦٢٠ هـ**»: "فإن صفات الله تعالى لا تُثبت ولا تُنفى إلا بالتوقيف".[(٢)]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- «**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وباب الأسماء والصفات يُتَّبَع فيها الألفاظ الشرعية، فلا نطلق إلا ما يرد به الأثر".[(٣)]

وقال أيضاً: "ومن الوجوه الصحيحة أن معرفة الله بأسمائه وصفاته على وجه التفصيل لا تعلم إلا من جهة الرسول-عليه الصلاة والسلام-، إما بخبره وإما بخبره وتنبيهه ودلالته على الأدلة العقلية، ولهذا يقولون لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله-صلى الله عليه وسلم-قال الله-تعالى-: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: الآيات: ١٨١-١٨٢]".[(٤)]

وقال-رحمه الله-: "ومعلوم أن الوصف بالنفي كالوصف بالإثبات".[(٥)] أي يحتاج فيهما إلى دليل من الكتاب والسنة.

وقال أيضاً: "فالأصل في هذا الباب-أي باب توحيد الأسماء واصفات-، أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله: نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه".[(٦)]

وقال شيخ الإسلام أيضاً: "فنثبت ما علمنا ثبوته، وننفي ما علمنا نفيه، ونسكت عما لا

(١) الحجة في بيان المحجة «١/ ١٨٣» و «٢/ ٥٤٩».

(٢) ذم التأويل لابن قدامة ص: «١٢١».

(٣) قاعدة في المحبة، ضمن جامع الرسائل «٢/ ٢٣٩».

(٤) بيان تلبيس الجهمية «١/ ٢٤٨».

(٥) بيان تلبيس الجهمية «١/٤٤٤».

(٦) التدمرية ص «٦-٧».

نعلم نفيه ولا إثباته".[(١)]

وقال أيضاً: "بل النافي عليه الدليل على نفي ما نفاه، كما على المثبت الدليل على ثبوت ما أثبته، ومن ليس عنده دليل على النفي والإثبات، فعليه أن لا ينفي ولا يثبت فغاية ما عنده التوقف في نفي ذلك وإثباته".[(٢)]

وقال أيضاً: "وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه وبما وصفته به رسله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، ويتبعون في ذلك أقوال رسله، ويجتنبون ما خالف أقوال الرسل، كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الصافات: الآية: ١٨٠]، أي: عما يصفه الكفار المخالفون للرسل، ﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: الآية: ١٨١]، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: الآية: ١٨٢]، فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال، ونزهوه عن أن يكون له مثل في شيء من صفات الكمال، وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل، ونفوا عنه التمثيل، فأتوا بإثبات مفصّل ونفي مجمل، فمن نفى عنه ما أثبته لنفسه من الصفات كان معطلاً، ومن جعلها مثل صفات المخلوقين كان ممثلاً، والمعطِّل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وهو ردٌّ على الممثلة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وهو ردٌّ على المعطِّلة".[(٣)]

وقال أيضاً: "فالواجب أن ينظر في هذا الباب فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبتته

---

(١) التدمرية ص «١٤٦».

(٢) درء تعارض العقل والنقل «٥/٤٤».

(٣) الجواب الصحيح «٤/ ٤٠٥».

النصوص من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته النصوص من الألفاظ والمعاني".[(١)]

وقال الإمام ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "إن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي".[(٢)]

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-«**ت: ٧٩٢ هـ**»: "فالواجب أن ينظر في هذا الباب، أعني باب الصفات، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يُعتصم بها في الإثبات والنفي، فنُثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني".[(٣)]

وقال ابن الوزير اليمني-رحمه الله-«**ت: ٨٤٠ هـ**»: "وأيضا فأسماء الله وصفاته توقيفية شرعية وهو أعز من أن يطلق عليه عبيده الجهلة ما رأوا من ذلك".[(٤)]

وقال الملا علي القاري-رحمه الله-«**ت: ١٠١٤ هـ**»: "حيث إن أوصاف الله تعالى توقيفية"[(٥)]

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين-رحمه الله-«**ت: ١٤٢١ هـ**»: "إذا قال قائل: هل الصفات توقيفية كالأسماء، أو هي اجتهادية؛ بمعنى أنه يصح لنا أن نصف الله-تعالى-بشيء لم يصف به نفسه؟

فالجواب أن نقول: إن الصفات توقيفية على المشهور عند أهل العلم، كالأسماء، فلا نصف الله إلا بما وصف به نفسه".[(٦)]

---

(١) منهاج السنة النبوية «٢/ ٥٥٤».

(٢) بدائع الفوائد «١/ ١٤٧».

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص: «٢٦١».

(٤) إيثار الحق على الخلق ص: «٣٠٨».

(٥) الردّ على القائلين بوحدة الوجود ص: «١١٣».

(٦) شرح العقيدة الواسطية «١/١٤٢».

هذه بعض النقول من بعض الأئمة فيها بيان أن توحيد الأسماء والصفات عموماً وباب الصفات منه، توقيفيٌ لا يؤخذ إلا من الكتاب والسنة، وهذا شاملٌ للنفي والإثبات، فكما أننا لا نثبت لله–عز وجل–شيئاً إلا إذا ورد في الكتاب والسنة، فكذلك لا ننفي عن الله–عز وجل–شيئاً إلا إذا ورد نفيه في الكتاب والسنة.

فكلام هؤلاء الأئمة صريح في أن هذا الباب توقيفي؛ لأنه من باب الغيب الذي لا يُعْلَم إلا بخبر من الله–عز وجل– على لسان رسوله–صلى الله عليه وسلم–، في كتابه–عز وجل–أو سنة نبيه–صلى الله عليه وسلم–الصحيحة، والكلام فيه دون توقيف من أعظم الافتراء على الله–عز وجل–، وهو من الأبواب التي لا يصلح معها النظر العقلي الصِّرف؛ لأن الله–عز وجل–قرر بأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وإذا كان كذلك، كان لابد من اعتماد على النصوص الشرعية.

بيان الأساس الثاني من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات

وهو: تنزيه الله جل وعلا أن يماثل شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

فتوضيحه يكون وفق ما يلي:

أولاً: ا لأدلة الشرعية الواردة في تنزيه، الله عن مشابهة المخلوقين:

١–قال–تعالى–: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. [الشورى: الآية: ١١]

٢–وقال–تعالى–: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾. [النحل: الآية: ٧٤]

٣–وقال–تعالى–: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾. [النحل: الآية: ٦٠]

٤–وقال–تعالى–: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾. [الروم: الآية: ٢٧]

٥–وقال–تعالى–: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾. [مريم: الآية: ٦٥]

٦–وقال–تعالى–: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. [الإخلاص: الآية: ١]

٧–وقال–تعالى–: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾. [الإخلاص: الآية: ٤]

وجه دلالة الآيات:

١-قوله-عز وجل-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. [الشورى: الآية: ١١]: دليل على أن الله منزه عن أن يكون له مثل في شيء مما يوصف به من صفات كماله.[١]

والآية: في تفسيرها وجهان:

الأول: أن يكون معناه: ليس هو كشيء، وأدخل "المثل" في الكلام توكيدًا للكلام.

والثاني: أن يكون معناها: ليس مثله شيء، فتكون "الكاف" هي المدخلة في الكلام توكيدًا[٢] وهذا وجه قوي حسن وهو الأظهر.[٣]

وقد اتفق أهل السنة على أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.[٤]

٢-وقوله-تعالى-: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾. [النحل: الآية: ٧٤]:

قال ابن جرير الطبري-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**» في تفسيرها: "فلا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبهوا له الأشباه، فإنه لا مثل ولا شبه".[٥]

وقال ابن كثير-رحمه الله-«**ت: ٧٧٤ هـ**»: "أي لا تجعلوا له أندادًا وأشباهًا وأمثالاً".[٦]

٣-وقوله-تعالى-: ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾. [النحل: الآية: ٦٠].

٤-وقوله-تعالى-: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. [الروم: الآية: ٢٧]

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/٩٨

(٢) تفسير الطبري ٢٥/١٢-١٣

(٣) شرح الطحاوية ص: ١٤٦

(٤) شرح الطحاوية ص: ٩٩

(٥) تفسير الطبري ١٤/ ١٤٨.

(٦) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٧٨.

"فالله تعالى وصف نفسه بأن له المثل الأعلى، وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية، التي كلَّما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان بها أكمل وأعلى من غيره.

ولما كانت صفات الرب سبحانه وتعالى أكثر وأكمل، كان له المثل الأعلى وكان أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق اثنان، لأنهما إن تكافآ من كل وجه، لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافآ، فالموصوف به أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير، وهذا برهان قاطع على استحالة التمثيل والتشبيه، فتأمله فإنه في غاية الظهور والقوة". [(١)]

٥-وقوله-تعالى-: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾. [مريم: الآية: ٦٥]: روي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-في تفسيرها قوله: "هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً". [(٢)]

وكذلك قال مجاهد «**ت: ١٠٤ هـ**» وسعيد بن جبير «**ت: ٩٥ هـ**» وقتادة «**ت: ١١٨ هـ**» وابن جريج «**ت: ١٥٠ هـ**»، وغيرهم. [(٣)]

٦-وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، فالأحد يقتضي أنه لا مثل له ولا نظير.

٧-وكذا قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ٤]، فالوحدانية تقتضي الكمال، والشركة تقتضي النقص. [(٤)]

ثانيًا: دلالة العقل على بطلان شبيه صفات الخالق بصفات المخلوقين:

ا-القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شي لا في ذاته، ولا في صفاته،

---

(١) الصواعق المنزلة ٣/ ١٠٣٢، وشرح الطحاوية ص: ١٤٤.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ١٠٦.

(٣) تفسير الطبري ١٦/ ١٠٦، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٣١.

(٤) مجموع الفتاوى ١٦/ ٩٩.

ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات.[(١)]

فقد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينًا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به كما هو ظاهر من صفات المخلوقين المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكهما في الإمكان والحدوث، فظهور التباين بينهما وبين الخالق أجلى وأقوى.[(٢)]

وبهذا نعلم أن الله لا مثل له، ولا تضرب له الأمثال، التي فيها مماثلة لخلقه، بل له المثل الأعلى.

٢-أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهًا في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصًا.[(٣)]

٣- "إذا كان المخلوق منزهًا عن مماثلة المخلوق، مع الموافقة في الاسم، فالخالق أولى أن ينزه عن مماثلة المخلوق وإن حصلت موافقة في الاسم".[(٤)]

"فإن الله سبحانه وتعالى أخبرنا عما في الجنة من المخلوقات، من أصناف المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والمساكن، فأخبرنا أن فيها لبنًا وعسلاً وخمرًا وماءً ولحمًا وفاكهةً وحريرًا وذهبًا وفضةً وحورًا وقصورًا.

---

(١) الرسالة التدمرية ص: ٤٣

(٢) القواعد المثلى ص: ٢٦

(٣) القواعد المثلى ص: ٢٦

(٤) الرسالة التدمرية ص ٥٠

وقد قال ابن عباس–رضي الله عنهما–: "ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء". (١)

فإذا كانت تلك الحقائق التي أخبر الله عنها، هي موافقة في الأسماء للحقائق الموجودة في الدنيا، وليست مماثلة لها بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فالخالق سبحانه وتعالى أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق، ومباينته لمخلوقاته أعظم من مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا، إذ المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق إلى المخلوق، وهذا بين واضح. (٢)

ثالثًا: فصل ما بين معتقد أهل السنة في هذا الأساس ومعتقد أهل التعطيل وأهل التمثيل:

قال شارح الطحاوية: " اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

ولكن لفظ "التشبيه" قد صار في كلام الناس لفظًا مجملاً يراد به:

١–المعنى الصحيح: من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته، وهذا ما دل عليه القرآن، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى الآية: ١١]، فهذا رد على الممثلة المشبهة.

فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوقين فهو المشبه المبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق فهو نظير النصارى في كفرهم.

٢–المعنى المردود: أن يراد به أنه لا يثبت لله شيء من الصفات فلا يقال: له قدرة، ولا علم، ولا حياة، لأن العبد موصوف بهذه الصفات ولازم هذا القول إنه لا يقال له: حي، عليم، قدير، لأن العبد يسمى بهذه الأسماء، وكذلك كلامه وسمعه وبصره وإرادته وغير ذلك. (٣)

---

(١) أخرجه مسدد في مسنده كما عند ابن حجر في المطالب العالية «١٨/ ٦٩٦» من طريق يحيى بن سعيد القطان، والطبري في تفسيره ت شاكر «١/ ٣٩١–٣٩٢» أخرجه هناد بن السري في الزهد «١/ ٤٩» ومن طريقه أبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة «١/ ١٤٧» وأخرجه البيهقي في البعث والنشور «ص: ٢١٠» وابن عساكر في معجمه «٢/ ٩٣٨».

(٢) المصدر السابق ص ٤٧

(٣) شرح الطحاوية ص: ٩٩ بتصرف

وأصل الخطأ والغلط توهمهم أن هذه الأسماء العامة الكلية يكون مسماها المطلق الكلي هو بعينه ثابتا في هذا المعين وهذا المعين، وليس كذلك، فإن ما يوجد في الخارج لا يوجد مطلقًا كليًّا، بل لا يوجد إلا معينًا مختصًّا.

وهذه الأسماء إذا سُمي الله بها كان مسمَّاها معينا مختصا به.

فإذا سُمي بها العبد كان مسماها مختصًّا به.

فوجود الله وحياته لا يشاركه فيها غيره، بل وجود هذا الموجود المعين لا يشركه فيه غيره، فكيف بوجود الخالق؟

وبهذا ومثله يتبين لك أن المشبهة أخذوا هذا المعنى فزادوا فيه على الحق فضلوا.

وأن المعطلة أخذوا نفي المماثلة بوجه من الوجوه وزادوا فيه على الحق حتى ضلوا.

وأن كتاب الله دل على الحق المحض الذي تعقله العقول السليمة الصحيحة، وهو الحق المعتدل الذي لا انحراف فيه.(١)

ومن أقوال العلماء في تقرير هذا الأساس:

قال أبو عبد الله بن أبي زَمِنين–رحمه الله–«**ت: ٣٩٩ هـ**»: "فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه–صلى الله عليه وسلم–ليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لم تره العيون فتَحُدُّه كيف هو كينونته، لكن رأته القلوب في حقائق الإيمان به".(٢)

وقال الإمام ابن عبد البر–رحمه الله–«**ت: ٤٦٣ هـ**»: "الذي عليه أهل السنة، وأئمة الفقه والأثر، في هذه المسألة–أي مسألة الصفات–وما أشبهها، الإيمان بما جاء عن النبي–صلى الله عليه وسلم–فيها، والتصديق بذلك، وترك التحديد والكيفية في شيء منه".(٣)

---

(١) شرح الطحاوية ص ١٠٤ بتصرف

(٢) رياض الجنة بتخريج أصول السنة «ص: ٧٤».

(٣) التمهيد لابن عبد البر «٧/ ١٤٨».

بيان الأساس الثالث من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات:

وهو: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بصفاته:

وتوضيح هذا الأساس يتم بما يلي:

أولاً: إن الله لم يطلع الخلق على ذاته ولم يكلفهم معرفة ذاته.

لم يشأ الله-عز وجل-أن يجعل للعباد من سبيل إلى معرفة كيفية وكنه صفاته، فقد سد سبحانه الطرق الموصلة إلى ذلك، فهو من جهة لم يطلع الخلق على ذاته، فهذا باب موصود إلى قيام الساعة كما جاء في الحديث: "اعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا".(١)

ومن جهة ثانية لم يخبرنا الله-عز وجل-بكيفية وكنه صفاته في كتابه، أو على لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-، فما وردت به النصوص إنما هو إثبات وجود لتلك الصفات لا إثبات كيفية.

ومن جهة ثالثة فإن الله لم يكلف العباد معرفة كيفية صفاته، ولم يتعبدهم بذلك ولا أراده منهم، بل قصرهم على الإيمان بما أخبرهم به، فالواجب عليهم أن يؤمنوا الإيمان الصحيح بما كلفوا به، وأن لا يتجاوزوا حدود ذلك.

وقد ورد النص في وجوب قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله، فإدراك ذلك مستحيل، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ [طه: الآية: ١١٠].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-«**ت: ١٣٩٣ هـ**»: "إدراك حقيقة الكيفية مستحيل، وهذا ما نص عليه في هذه الآية: من سورة طه، فقوله: ﴿يُحِيطُونَ بِهِ﴾ [طه: الآية: ١١٠]، فعل مضارع منفي، والفعل الصناعي الذي يسمى «**بالفعل المضارع، وفعل الأمر، والفعل الماضي**» ينحل عند النحويين عن مصدر وزمن، فالمصدر كامن في مفهومه إجماعًا،

(١) أخرجه أبو داود «٤٣٢٠»، والنسائي في «السنن الكبرى» «٧٧٦٤»، وأحمد «٢٢٧٦٤» باختلاف يسير.

فيحيطون في مفهومها «**الإحاطة**» فيتسلط النفي على المصدر الكامن في الفعل فيكون معه كالنكرة المبنية على الفتح، فيصير المعنى: لا إحاطة للعلم البشري برب السموات والأرض، فينفي جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها، فالإحاطة المسندة منفية «**للخلق**» عن رب العالمين".[١]

ثانيًا: قصور العقل عن معرفة كيفية صفات الله.

إن على العقل أن ييأس من تعرف كنه الصفات وكيفياتها لعجزه عن معرفة ذلك، لأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله، فوجب بطلان تكييفها.

وعلم الإنسان محدود كما أخبر الله بذلك، حيث قال: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: الآية: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥].

وإذا كانت نفس الإنسان التي هي أقرب الأشياء إليه بل هي هويته، لا يعرف الإنسان كيفيتها ولا يحيط علمًا بحقيقتها، فالخالق جل جلاله أولى أن لا يعلم العبد كيفيته ولا يحيط علمًا بحقيقته.[٢]

وقد أدب الله عباده المؤمنين ووجههم بأن لا يخوضوا في أمور لا علم لهم بها، فقال: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: الآية: ٣٦].

وقال-تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ٣٣].

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٢٤

(٢) رسالة في الحقل والروح لابن تيمية ٢/ ٤٤ "مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية"

ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفاته عز وجل، لأنه تعالى أخبرنا عنها، ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تعمقنا، في أمر الكيفية قفوًا لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به، ومخالفة لما نهانا الله وحذرنا منه، وحرمه علينا.

فيجب الكف عن التكييف تقديرًا بالجنان أو تقريرًا باللسان، أو تحريرًا بالبنان، لأن أية كيفية تقدرها الأذهان فالله أعظم وأجل من ذلك، ثم هي في الوقت ذاته ستكون كذبًا، لأنه لا علم لقائلها بذلك [(١)]. ولهذا نقل أصحاب المقالات عن بعض المشبهة-الذين خاضوا في كيفية صفات الله-أنه قال في ربه في عام واحد خمسة أقاويل [(٢)]، وصدق الله إذ قال في كتابه العزيز: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ [النساء: الآية: ٨٢].

فعلى المسلم أن يحذر من التكييف أو محاولته، فإن من فعل ذلك فقد وقع في مفاوز لا يستطيع الخلاص منها، فالخوض في ذلك هو مما يلقيه الشيطان في القلوب، وهو نزغة من نزغاته، فلذلك يجب على المؤمن أن يلجأ إلى ربه ويستعيذ به من نزغات الشيطان، قال-تعالى-: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. [الأعراف: الآية: ٢٠٠].

قال الطحاوي-رحمه الله-«**ت: ٣٢١ هـ**»: "ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهرالتسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسًا تائهًا زائغًا شاكًا، لا مؤمنا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذبا". [(٣)]

ثالثاً: معنى قول السلف: "بلا كيف".

---

(١) القواعد المثلى ص ٢٧-٢٨

(٢) مقالات الإسلاميين ص ٣٣

(٣) العقيدة الطحاوية ص: ٩-١٠

إن معنى قول السلف "بلا كيف" أي بلا كيف يعقله البشر، فليس المراد من قولهم "بلا كيف" هو نفي الكيف مطلقًا، فإن كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد هو نفي العلم بالكيف، إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه [(١)]، فهذا مما استأثر الله بعلمه فلا سبيل إلى الوصول إليه، فكما أن ذات الله لا يمكن للبشر معرفة كيفيتها، فكذلك صفاته سبحانه لا نعلم كيفيتها. ولهذا لما سئل الإمام مالك-رحمه الله-«**ت: ١٧٩ هـ**»، فقيل له: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]، كيف استوى؟

قال-رحمه الله-: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم قال للسائل: وما أراك إلا رجل سوء، وأمر بإخراجه من مجلسه". [(٢)]

وقد روى عن شيخه ربيعة بن عبد الرحمن-رحمه الله-«**ت: ١٣٦ هـ**» قوله: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول". [(٣)] أي لا تعقله العقول ولا تحيط به.

وهذا يقال في سائر الصفات، وقد مشى أهل العلم على هذا الميزان واعتبروا ذلك قاعدة

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للهراس.

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية «٦٦» واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «٣/٤٤١» والصابوني-من ثلاثة طرق-في عقيدة السلف «١٨٠-١٨٥» والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/٣٠٥» ح «٨٦٧» وفي الاعتقاد «٥٦». وقال الذهبي في العلو «١٣٩»: "هذا ثابت عن مالك "

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أ صول اعتقاد أهل السنة والجماعة «٣/٤٤٢» والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/٣٠٦» ح «٨٦٨» وساقه الذهبي في العلو «١٢٩» بإسناده إلى ربيعة، وصححه الألباني في مختصر العلو «١٣٢».

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى «٥/ ٤٠»: "وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة، قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن..." فذكره. وقال أيضًا في مجموع الفتاوى «٥/ ٣٦٥»: "ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك". - وروي نحوه عن أم سلمة-رضي الله عنها-، [أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «٣/ ٤٤٠» والصابوني في عقيدة السلف «١٧٨-١٧٩»] لكنه غير ثابت عنها من طريق صحيح.

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى «٥/ ٣٦٥»: "وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة-رضي الله عنها-، موقوفًا ومرفوعا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه".

وقال الذهبي في العلو «٨١»: "هذا القول محفوظ عن جماعة،كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح". وللدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر كتاب بعنوان: الأثر المشهور عن الإمام مالك-رحمه الله-في صفة الاستواء، دراسة تحليلية

من قواعد الصفات.

فقول الإمام مالك «**الاستواء معلوم**»: أي معلوم المعنى في لغة العرب، فاستوى هنا عديت بعلى فهي هنا بمعنى علا وارتفع، وهكذا الأمر في سائر نصوص الصفات، فإن معانيها معروفة في لغة العرب، وليست مجهولة.

«**والكيف مجهول**»: أي مع إثباتهم لمعنى الاستواء واعتقادهم بأن الله مستوٍ على عرشه ومرتفع عليه، إلا أنهم يكلون علم كيفية ذلك الاستواء إلى الله عز وجل، لأنه مما استأثر الله بعلمه.

«**والإيمان به واجب**»: أي الإيمان باستواء الله على عرشه حقيقة واجب لوروده في النصوص الشرعية.

«**والسؤال عنه بدعة**»: أي السؤال عن كيفية الاستواء، لأن السائل قال: كيف استوى؟

قال الوليد بن مسلم -رحمه الله- «**ت: ١٩٥ هـ**»: "سألت الأوزاعي «**ت: ١٥٧ هـ**»، والثوري «**ت: ١٦١ هـ**»، ومالك بن أنس «**ت: ١٧٩ هـ**»، والليث بن سعد «**ت: ١٧٥ هـ**»، عن الأحاديث التي فيها الصفات، فكلهم قال: أمروها كما جاءت بلا تفسير[١]".[٢]

وسئل عبد الله بن المبارك -رحمه الله- «**ت: ١٨١ هـ**»، عن أحاديث الصفات فقال: "تمر كما جاءت بلا كيف".[٣]

وجاء عن وكيع بن الجراح -رحمه الله- «**ت: ١٩٧ هـ**»، أنه قال عن أحاديث الصفات: "نسلم هذه الأحاديث كما جاءت، ولا نقول: كيف هذا، ولِمَ جاء هذا".[٤]

---

(١) أي: تفسير الكيفية، كما في الرواية الأخرى عن الوليد أنهم قالوا: "امضها بلا كيف".

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة «٣/ ١١٤٦»، والدارقطني في الصفات «٧٥»، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السبنة والجماعة «٣/ ٥٥٨»، وأورده أبو يعلى في إبطال التأويلات «١/ ٤٧»، وابن تيمية في مجموع الفتاوى «٥/ ٣٩» وعزاه إلى الخلال في السنة، وأورده الذهبي في العلو «١٤٠-١٣٩».

(٣) إبطال التأويلات «١/ ٥٣».

(٤) أخرجه الدارقطني في الصفات «٧١».

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام-رحمه الله- «ت: ٢٢٤ هـ»، -وقد ذكر بعض أحاديث الصفات-: "هذه الأحاديث صحاح، حملها أصحاب الحدبث والفقهاء، بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها، ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمه ؟ وكيف ضحك ؟ قلنا: لا يفسر هذا، ولا سمعنا أحدًا يفسره".[(١)]

وقال أبو زرعة الرازي-رحمه الله-«ت: ٢٦٤ هـ»، عن أحاديث الصفات: "هذه أحاديث متواترة عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، أمروها كما جاءت بلا كيف".[(٢)]

قال أبو يعلى-رحمه الله-«ت: ٤٥٨ هـ»: "روي عن شيخنا وإمامنا أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ» وغيره من أئمة أصحاب الحديث أنهم قالوا: أمروها كما جاءت، فحملوها على ظاهرها في أنها صفات لله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين".[(٣)]

قال قوام السنة الأصبهاني-رحمه الله-«ت: ٥٣٥ هـ»: "الكلام في صفات الله عز وجل، ما جاء منها في كتاب الله، أو روي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، فمذهب السلف-رحمة الله عليهم أجمعين-: إثباتها وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها".[(٤)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "ومثل هذا يوجد كثيرًا في كلام السلف والأئمة، ينفون علم العباد بكيفية صفات الله، وأنه لا يعلم كيف الله إلا الله، فلا يعلم ما هو إلا هو".[(٥)]

وقال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "العقل قد يئس من تعرف كنه الصفة

---

(١) أخرجه الدارقطني في الصفات «٦٨-٦٩» وانظر: إبطال التأويلات «١/ ٤٨».

(٢) إبطال التأويلات «١/ ٥٣».

(٣) إبطال التأويلات «١/ ٤٣-٤٤».

(٤) الحجة في بيان المحجة «١/ ١٨٨» وبنحوه قال الخطيب البغدادي، كما في السببير للذهبي «١٨/ ٢٨٤».

(٥) مجموع الفتاوى «٣/ ٥٨».

وكيفيتها، فإنه لا يعلم كيف الله إلا الله، وهذا معنى قول السلف: «**بلا كيف**» أي: بلا كيف يعقله البشر، فإن من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته، كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته؟ ولا يقدح ذلك في الإيمان بها، ومعرفة معانيها، فالكيفية وراء ذلك، كما أنا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر، ولا نعرف حقيقة كيفيته، مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق، فعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم.

فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله، والجمال كله، والعلم كله، والقدرة كلها، والعظمة كلها، والكبرياء كلها ؟..." .[(١)]

رابعًا: عدم معرفة الكيفية لا يقدح في الإيمان بالصفات ومعرفة معانيها.

إن عدم العلم بكيفية صفات الله لا يقدح في الإيمان بتلك الصفات ومعرفة معانيها، لأن الكيفية وراء ذلك، فالسلف يثبتون لله ما أثبته لنفسه من صفات الكمال ويفهمون معاني تلك الصفات، ويفسرونها، فإذا أثبتوا لله السمع والبصر أثبتوهما حقيقية وفهموا معناهما، وهكذا سائر الصفات يجب أن تجري هذا المجرى، وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فإن الله سبحانه لم يكلف العباد ذلك ولا أراده منهم ولم يجعل لهم إليه سبيلاً.

وكثير من المخلوقات لم يجعل الله للعباد سبيلاً إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فهذه أرواح الخلائق التي هي أدنى إليهم من كل دان قد حجب عنهم معرفة كنهها وكيفيتها، وقد أخبرنا الله عن تفاصيل يوم القيامة وما في الجنة والنار، فقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان وشاهدته عقولهم ولم يعرفوا كيفيته وكنهه، فلا يشك المسلمون أن في الجنة أنهارًا من خمر وأنهارًا من عسل، ولكن لا يعرفون كنه ذلك ومادته وكيفيته كما قال ابن عباس: "ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء".

فكذا الأسماء والصفات لا يمنع انتفاء نظيرها في الدنيا من فهم معانيها وحقائقها والإيمان

---

(١) مدارج السالكين «٣/ ٣٧٦»

بذلك واعتقاد اتصاف الله بها.[(١)]

فإيماننا صحيح بحق ما كلفنا به، وإن لم نعرف حقيقة ماهيته وكيفيته، والله أعلم.

وهذه الأسس الثلاثة يجب الأخذ بها جميعًا، ولا يجوز الإخلال بشيء منها، فهذا ما كان عليه معتقد السلف من هذه الأمة ومن سار على نهجهم.

وهم بهذا توسطوا في هذا الباب بين طائفتين ضلتا في هذا الباب هما:

١-المعطلة.

٢-المشبهة.

فمعتقد السلف هو الإثبات بلا تشبيه، والتنزيه بلا تعطيل، فهم لا ينفون عن الله ما سمى أو وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العلى ويحرفوا الكلم عن مواضعه، ويلحدوا في أسمائه وآياته كما فعل المعطلة.

كما أنهم لا يشبهون صفات الله بصفات خلقه كما فعل المشبهة.

المسألة الرابعة: الأبواب الثلاثة التي يشتمل عليها توحيد الأسماء والصفات.

يجب أن يُعْلَم أن توحيد الأسماء والصفات يشتمل على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: باب الأسماء

الباب الثاني: باب الصفات

الباب الثالث: باب الإخبار

فنحن إذا وقفنا وقفةَ تأمل عند نصوص الكتاب والسنة الواردة في هذا الشأن نجد الحقائق التالية: أن الله أطلق على نفسه أسماء كـ «**السَّميع**» و«**البصير**»، وأوصافاً كـ «**السمع**» و«**البصر**»، وهكذا أخبر عن نفسه بأفعالها فقال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: الآية: ١]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: الآية: ١٥]. فاستعملها في تصاريفها المتنوعة، مما يدل على أن مثل ذلك يجوز إطلاقه عليه في أي صورة ورد.

---

(١) مدارج السالكين ٣/٣٥٨

وأطلق على نفسه أفعالاً كـ «**الصُّنع**» و«**الصِّبغة**» و«**الفعل**» ونحوها. قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: الآية: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: الآية: ١٣٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: الآية: ١٠٧]، لكنه لم يَتَسَمَّ ولم يصف نفسه بها ولكن أخبر بها عن نفسه، ممَّا يدل على أنَّها تخالف الأوَّل في الحكم فوجب الوقوف فيها على ما ورد

ووصف نفسه بأفعال في سياق المدح كـ «**يريد**» و«**يشاء**» فقال جلَّ شأنه:

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [الأنعام: الآية: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: الآية: ٢٩] إلا أنه لم يشتق له منها أسماء فدل على أن هذا النوع مخالف للقسمين الأولين، فوجب رده إلى الكتاب والسنة وذلك بالوقوف حيث أوقفنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

ووصف نفسه بأفعال أخرى على سبيل المقابلة بالعقاب والجزاء فقال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُم﴾ [النساء: الآية: ١٤٢] وقال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية: ٣٠]. ولم يشتق منها أسماء له تعالى فدل ذلك على أن مثل هذه الأفعال لها حكمٌ خاصٌ فوجب الوقوف على ما ورد

فهذه الحقائق السابقة قررت عند العلماء النتائج التالية:

١. أن النصوص جاءت بثلاثة أبواب هي «**باب الأسماء**» و«**باب الصفات**» و«**باب الإخبار**»

٢. أن باب الأسماء هو أخص تلك الأبواب، فما صح اسماً صحَّ صفة وصحَّ خبراً وليس العكس

٣. باب الصفات أوسع من باب الأسماء، فما صحَّ صفة فليس شرطاً أن يصحَّ اسماً، فقد يصحُّ وقد لا يصح، مع أن الأسماء جميعها مشتقة من صفاته

٤. أن ما يدخل في باب الإخبار عنه–تعالى–أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، فالله

يُخْبَرُ عنه بالاسم وبالصفة وبما ليس باسم ولا صفة كألفاظ «**الشيء**» و«**الموجود**» و«**القائم بنفسه**» و«**المعلوم**»، فإنه يخبر بهذه الألفاظ عنه ولا تدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا

إن باب الأسماء والصفات توقيفيان.

فالأصل في إثبات الأسماء والصفات أو نفيهما عن الله تعالى هو كتاب الله وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم-، فما ورد إثباته من الأسماء والصفات في القرآن والسنة الصحيحة فيجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما فيجب نفيه

وأما ما لم يرد إثباته ونفيه فلا يصح استعماله في باب الأسماء والصفات إطلاقاً.[١]

قال الإمام أحمد-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا نتجاوز القرآن والسنة".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله-صلى الله عليه وسلم-".[٢]

أما باب الإخبار فالسلف لهم فيه قولان:

القول الأول: أن باب الإخبار توقيفي، فإن الله لا يُخْبَرُ عنه إلا بما ورد به النص، وهذا يشمل الأسماء والصفات، وما ليس باسم ولا صفة مما ورد به النص كـ «**الشيء**» و«**الصنع**» ونحوها

وأما مالم يرد به النص فإنهم يمنعون استعماله.[٣]

القول الثاني: إن باب الإخبار لا يشترط فيه التوقيف، فما يدخل في الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كـ «**الشيء**» و«**الموجود**» و«**القائم بنفسه**»، فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فالإخبار عنه قد يكون باسم حسن،

---

(١) رسالة في العقل والروح لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية «٢/ ٤٦-٤٧».

(٢) منهاج السنة «٢/ ٥٢٣».

(٣) انظر رسالة في العقل والروح «٢/ ٤٦-٤٧».

أو باسم ليس بسيِّئ، أي باسم لا ينافي الحسن، ولا يجب أن يكون حسناً، ولا يجوز أن يخبر عن الله باسم سيِّئ فيخبر عن الله بما لم يرد إثباته ونفيه بشرط أن يستفصل عن مراد المتكلم فيه، فإن أراد به حَقًّا يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أراد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب رده.[١]

المسألة الخامسة: الألفاظ المجملة وحكم دخولها في باب الصفات وموقف أهل السنة من استعمالها.

يمكن تقسيم الألفاظ المجملة-أي التي لم يرد استعمالها في النصوص-على النحو التالي:

أولاً: ألفاظ ورد استعمالها ابتداءً في بعض كلام السلف.

ومن أمثلة ذلك لفظ «**الذات**» و«**بائن**»

وهذه الألفاظ تحمل معاني صحيحة دلت عليها النصوص

وهذا النوع من الألفاظ يجيز جمهور أهل السنة استعمالها

وهناك من يمنع ذلك بحجة أن باب الإخبار توقيفي كسائر الأبواب

والصواب أنه ما دام المعنى المقصود من ذلك اللفظ يوافق ما دلت عليه النصوص، واستعمل اللفظ لتأكيد ذلك فلا مانع

كقول أهل السنة: "إن الله استوى على العرش بذاته"

فلفظة «**بذاته**» مراد بها أن الله مستو على العرش حقيقة وأن الاستواء صفة له.

وكقولهم: "إن الله عالٍ على خلقه بائن منهم"

فلفظة «**بائن**» يراد بها إثبات العلو حقيقة، والرد على زعم من قال إن الله في كل مكان بذاته

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "والمقصود هنا أن الأئمة الكبار كانوا يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة، لما فيها من لبس الحق بالباطل، مع ما تُوقعه

(١) رسالة في العقل والروح «٢/٤٦-٤٧».

من الاشتباه والاختلاف والفتنة، بخلاف الألفاظ المأثورة، والألفاظ التي بينت معانيها، فإن ما كان مأثوراً حصلت به الألفة، وما كان معروفاً حصلت به المعرفة". [١]

وقال أيضاً: "فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل

ويراعون أيضاً الألفاظ الشرعية، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا

ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه

ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً نسبوه إلى البدعة، وقالوا إنما قابل البدعة ببدعة ورد باطلاً بباطل". [٢]

فيستفاد من كلام شيخ الإسلام المتقدم أن الألفاظ على أربعة أقسام:

القسم الأول: الألفاظ المأثورة وهي التي وردت بها النصوص

القسم الثاني: الألفاظ المعروفة وهي التي بُيِّنَت معانيها

القسم الثالث: الألفاظ المبتدعة التي تدل على معنى باطل

القسم الرابع: الألفاظ المبتدعة التي تحتمل الحق والباطل

فلفظ «**الذات**» و«**بائن**» هي من القسم الثاني

وهذه الألفاظ كما أسلفنا إنما تستعمل في باب الإخبار ولا تستعمل في باب الأسماء والصفات، ولذلك لما اعترض الخطابي «**ت: ٣٨٨ هـ**» على استعمالها بقوله: "وزعم بعضهم أنه جائز أن يقال له تعالى حد لا كالحدود كما نقول يد لا كالأيدي فيقال له: إنما أُحْوِجْنَا إلى أن نقول يد لا كالأيدي لأن اليد قد جاء ذكرها في القرآن وفي السنة فلزم قبولها ولم يجز رَدُّها. فأين ذكر الحد في الكتاب والسنة حتى نقول حد لا كالحدود، كما نقول يد لا كالأيدي؟!". [٣]

---

(١) درء تعارض العقل والنقل «١/٢٧١».

(٢) درء تعارض العقل والنقل «١/ ٢٥٤».

(٣) نقض تأسيس الجهمية «١/٤٤٢».

فرد شيخ الإسلام ابن تيمية على قول الخطابي «**ت: ٣٨٨ هـ**» من وجوه منها: "أن هذا الكلام الذي ذكره إنما يتوجه لو قالوا: إن له صفة هي الحد، كما توهمه هذا الراد عليهم. وهذا لم يقله أحد، ولا يقوله عاقل؛ فإن هذا الكلام لا حقيقة له إذ ليس في الصفات التي يوصف بها شييء من الموصوفات-كما وصف باليد والعلم-صفة معينة يقال لها الحد، وإنما الحد ما يتميز به الشييء عن غيره من صفته وقدره".[١]

فأهل السنة لم يثبتوا بهذه الألفاظ صفة زائدة على ما في الكتاب والسنة، بل بينوا بها ما عطله المبطلون من وجود الرب تعالى ومباينته من خلقه وثبوت حقيقته".[٢]

ثانياً: ألفاظ ورد استعمالها في كلام بعض السلف تارة لإثباتها وتارة لنفيها.

ومن أمثلة ذلك: لفظ «**الحد**» ولفظ «**المماسة**»، فإطلاق السلف لها ليس من باب الصفات وإنما هو من باب الإخبار، ولهم في حال الإثبات والنفي توجيه ليس هذا محل بسطه

ثالثاً: ألفاظ ورد استعمالها في كلام بعض السلف وفي كلام خصومهم.

ومن أمثلة ذلك: لفظة «**الجهة**»

رابعاً: ألفاظ ورد استعمالها في كلام الخصوم ولم يرد استعمالها في كلام السلف.

ومن أمثلة ذلك: لفظ «**الجسم**» و«**الحيز**» و«**واجب الوجود**» و«**الجوهر**» و«**العرض**»

وأما النوعان الثالث والرابع فالجواب عن ذلك أن نقول الأصل في هذا الباب أن الألفاظ نوعان:

النوع الأول: نوع مذكور في كتاب الله وسنة رسوله وكلام أهل الإجماع.

فهذا يجب اعتبار معناه، وتعليق الحكم به، فإن كان المذكور به مدحاً استحق صاحبه المدح، وإن كان ذماً استحق الذم، وإن أثبت شيئا وجب إثباته، وإن نفى شيئا وجب نفيه، لأن كلام الله حق، وكلام رسوله حق، وكلام أهل الإجماع حق

(١) نقض تأسيس الجهمية «١/ ٤٤٢-٤٤٣».

(٢) نقض تأسيس الجهمية «١/ ٤٤٥».

وهذا كقوله–تعالى–: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآيات: ١–٤]، وقوله–تعالى–: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِن﴾ [الحشر ٢٢–٢٣]، ونحو ذلك من أسماء الله وصفاته

وكذلك قوله–تعالى–: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وقوله–تعالى–: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَار﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، وقوله–تعالى–: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢–٢٣]، وأمثال ذلك مما ذكره الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهذا كله حق.

النوع الثاني: الألفاظ التي ليس لها أصل في الشرع

فتلك لا يجوز تعليق المدح والذم والإثبات والنفي على معناها، إلا أن يبين أنه يوافق الشرع، والألفاظ التي تعارض بها النصوص هي من هذا الضرب، كلفظ «**الجسم**» و«**الحيز**» و«**الجهة**» و«**الجوهر**» و«**العرض**» [(١)] فإن هذه الألفاظ يدخلون في مسماها الذي ينفونه أموراً مما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله، فيدخلون فيها نفي علمه وقدرته وكلامه، ويقولون إن القرآن مخلوق، ولم يتكلم الله به، وينفون رؤيته لأن رؤيته على اصطلاحهم لا تكون إلا لمتحيز في جهة وهو جسم، ثم يقولون: والله منزه عن ذلك فلا تجوز رؤيته. وكذلك يقولون إن المتكلم لا يكون إلا جسماً متحيزاً، والله ليس بجسم متحيز فلا يكون متكلماً، ويقولون: لو كان فوق العرش لكان جسماً متحيزاً، والله ليس بجسم متحيز، فلا يكون متكلماً فوق العرش وأمثال ذلك.[(٢)]

الموقف من هذا النوع: "إذا كانت هذه الألفاظ مجملة–كما ذُكر–فالمخاطب لهم إما:

١–أن يفصل لهم ويقول: ما تريدون بهذه الألفاظ؟ فإن فسروها بالمعنى الذي يوافق القرآن قُبلت. وإن فسروها بخلاف ذلك رُدَّت

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل «١/ ٢٤١–٢٤١»

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل «١/ ٢٢٨».

٢-وأما أن يمتنع عن موافقتهم في التكلم بهذه الألفاظ نفياً وإثباتاً. ولكن يلاحظ أن الإنسان إذا امتنع عن التكلم بها معهم فقد ينسبونه إلى الجهل والانقطاع

وأن الإنسان إذا تكلم بها معهم نسبوه إلى أنه أطلق تلك الألفاظ التي تحتمل حقاً وباطلاً، وأوهموا الجهال باصطلاحهم أن إطلاق تلك الألفاظ يتناول المعاني الباطلة التي ينزه الله عنها". (١)

ولعل الراجح في المسألة أن الأمر يختلف باختلاف المِصْلَحَةِ

١-فإن كان الخصم في مقام دعوة الناس إلى قوله وإلزام الناس بها أمكن أن يقال له: لا يجب على أحد أن يجيب داعياً إلا إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما لم يثبت أن الرسول دعا الخلق إليه لم يكن على الناس إجابة من دعا إليه، ولا له دعوة الناس إلى ذلك، ولو قدر أن ذلك المعنى حق

وهذه الطريق تكون أصلح إذا لَبَّسَ مُلَبِّسٌ منهم على ولاة الأمور، وأدخلوه في بدعتهم، كما فعلت الجهمية بمن لبسوا عليه من الخلفاء حتى أدخلوه في بدعتهم من القول بخلق القرآن وغير ذلك، فكان من أحسن مناظرتهم أن يقال: إئتونا بكتاب أو سنة حتى نجيبكم إلى ذلك وإلا فلسنا نجيبكم إلى ما لم يدل عليه الكتاب والسنة

وهذا لأن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل، وهؤلاء المختلفون يدعي أحدهم أن العقل أدَّاه إلى علم ضروري ينازعه فيه الآخر، فلهذا لا يجوز أن يجعل الحاكم بين الأمة في موارد النزاع إلا الكتاب والسنة

وبهذا ناظر الإمام أحمد الجهمية لما دعوه إلى المحنة، وصار يطالبهم بدلالة الكتاب والسنة على قولهم

فلما ذكروا حججهم كقوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٢]، وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢]، وقول النبي-صلى الله عليه وسلم- : «**تجيء البقرة وآل عمران**»، وأمثال ذلك من الأحاديث.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل «١/ ٢٢٨».

أجابهم عن هذه الحجج بما بين به أنها لا تدل على مطلوبهم

ولما قالوا: ما تقول في القرآن أهو الله أو غير الله؟ عارضهم بالعلم فقال: ما تقولون في العلم أهو الله أو غير الله؟ ولما ناظره أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث–وكان من أحذقهم بالكلام– ألزمه التجسيم، وأنه إذا أثبت لله كلاماً غير مخلوق لزم أن يكون جسماً

فأجابه الإمام أحمد: بأن هذا اللفظ لا يُدرى مقصود المتكلم به، وليس له أصل في الكتاب والسنة والإجماع، فليس لأحد أن يلزم الناس أن ينطقوا به ولا بمدلوله

وأخبره أني أقول: هو أحد، صمد، لم يلد ولم يلد، ولم يكن له كفواً أحد، فبين أني لا أقول هو جسم ولا ليس بجسم، لأن كلا الأمرين بدعة محدثة في الإسلام، فليست هذه من الحجج الشرعية التي يجب على الناس إجابة من دعا إلى موجبها، فإن الناس إنما عليهم إجابة الرسول فيما دعاهم إليه وإجابة من دعاهم إليه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، لا إجابة من دعاهم إلى قول مبتدع، ومقصود المتكلم بها مجمل لا يُعرف إلا بعد الاستفصال والاستفسار، فلا هي معروفة في الشرع، ولا معروفة بالعقل إن لم يستفسر المتكلم بها

فهذه المناظرة ونحوها هي التي تصلح إذا كان المناظر داعياً

٢–وأما إذا كان المناظر معارضاً للشرع بما يذكره، أو ممن لا يمكن أن يرد إلى الشريعة

مثل من لا يلتزم الإسلام ويدعو الناس إلى ما يزعمه من العقليات أو ممن يدَّعي أن الشرع خاطب الجمهور، وأن المعقول الصريح يدل على باطن يخالف الشرع، ونحو ذلك.

أو كان الرجل ممن عرضت له شبهة من كلام هؤلاء

فهؤلاء لابد في مخاطبتهم من الكلام على المعاني التي يدعونها إما:

١–بألفاظهم

٢–وإما بألفاظ يوافقون على أنها تقوم مقام ألفاظهم، وحينئذ يقال لهم الكلام إما:

أ–أن يكون في الألفاظ.

ب–وإما أن يكون في المعاني.

ج–وإما أن يكون فيهما.

فإن كان الكلام في المعاني المجردة من غير تقييد بلفظ كما تسلكه المتفلسفة ونحوهم ممن لا يتقيد في أسماء الله وصفاته بالشرائع بل يسميه علة وعاشقاً ومعشوقاً ونحو ذلك

فهؤلاء إن أمكن نقل معانيهم إلى العبارة الشرعية كان حسناً

وإن لم يمكن مخاطبتهم إلا بلغتهم، فبيان ضلالهم ودفع صيالهم عن الإسلام بلغتهم أولى من الإمساك عن ذلك لأجل مجرد اللفظ. كما لو جاء جيش كفار ولا يمكن دفع شرهم عن المسلمين إلا بلبس ثيابهم، فدفعهم بلبس ثيابهم خير من ترك الكفار يجولون في خلال الديار خوفاً من التشبه بهم في الثياب

وأما إذا كان الكلام مع من قد يتقيد بالشريعة

فإنه يقال له: إطلاق هذه الألفاظ نفياً وإثباتاً بدعة، وفي كل منها تلبيس وإيهام، فلابد من الاستفسار والاستفصال؛ أو الامتناع عن إطلاق كلا الأمرين في النفي والإثبات.

وقد ظن طائفة من الناس أن ذم السلف والأئمة للكلام إنما لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المحدثة كلفظ «**الجوهر**» و«**الجسم**» و«**العرض**»، وقالوا: إن مثل هذا لا يقتضي الذم، كما لو أحدث الناس آنية يحتاجون إليها، أو سلاحاً يحتاجون إليه لمقاتلة العدو، وقد ذكر هذا صاحب الإحياء وغيره

وليس الأمر كذلك: بل ذمهم للكلام لفساد معناه أعظم من ذمهم لحدوث الألفاظ، فذموه لاشتماله على معان باطلة مخالفة للكتاب والسنة، ومخالفته للعقل الصريح، ولكن علامة بطلانها مخالفتها للكتاب والسنة، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل قطعاً. ثم من الناس من يعلم بطلانه بعقله، ومنهم من لا يعلم ذلك

وأيضاً: فإن المناظرة بالألفاظ المحدثة المجملة المبتدعة المحتملة للحق والباطل إذا أثبتها أحد المتناظرين ونفاها الآخر كان كلاهما مخطئاً، وأكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وفي ذلك من فساد العقل والدين ما لا يعلمه إلا الله

فإذا رد الناس ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة فالمعاني الصحيحة ثابتة فيهما، والمحق يمكنه

بيان ما يقوله من الحق بالكتاب والسنة.[(١)]

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل «١/٢٢٨-٢٣٣».

١٠-الإيمان بأن الله ليس كمثله شيء

[١٠]-قال المصنف رحمه الله: «**بل يؤمنون بأن اللهَ تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١]. فلا ينفون عنه: ما وصف به نفسَه، ولا يحرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه، ولا يُلْحِدُونَ في أسمائه وآياته، ولا يُكَيِّفُونَ، ولا يُمَثِّلُونَ صفاتِه بصفاتِ خلقِه. لأنه- سبحانه- لا سَمِيَّ له، ولا كُفْءَ له، ولا نِدَّ له. ولا يُقاس بخلقه؛ فإنه- سبحانه- أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وبغيرِه، وأصدق قِيلًا، وأَحْسَنُ حديثًا من خلقه**».

الشرح

لما بيَّن شيخُ الإسلام أن مِن الإيمان بالله الإيمانَ بما وصف به نفسَه أو وصفه به رسولُه ﷺ، من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، بَيَّنَ أن الله جل وعلا قد «**هدى الله أصحاب سواء السَّبيل للطريقة المُثلى؛ فأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات، ونفوا عنه مماثلة المخلوقات؛ فكان مذهبهم مذهبًا بين مذهبين وهديًا بين ضلالتين.**

فقالوا: نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكييف.

بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات، ونفي مشابهة المخلوقات، فلا نعطل ولا نُؤول ولا نُمَثِّل ولا نجهل.

ولا نقول: ليس له يدان، ولا وجه، ولا سمع، ولا بصر، ولا حياة، ولا قدرة، ولا استوى على عرشه.

ولا نقول: له يدان كأيدي المخلوقين، ووجه كوجوههم وسمع وبصر وحياة وقدرة واستواء، كأسماعهم وأبصارهم وقدرتهم واستوائهم.

بل نقول: له ذات حقيقة ليست كذوات المخلوقين.

وله صفات حقيقة ليست كصفات المخلوقين.

وكذلك قولنا في وجهه تبارك وتعالى، ويديه، وسمعه، وبصره، وكلامه، واستوائه.

ولا يمنعنا ذلك أن نفهم المراد من تلك الصفات وحقائقها، كما لم يمنع ذلك مَن أثبت لله شيئًا من صفات الكمال من فهم معنى الصفة وتحقيقها، فإن من أثبت له سبحانه السمع والبصر أثبتهما حقيقة وفهم معناهما، فهكذا سائر الصفات المقدسة، يجب أن تجري هذا المجرى، وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فإن الله سبحانه لم يُكَلِّف العباد ذلك، ولا أراده منهم، ولم يجعل لهم إليه سبيلًا»[1].

لأن الصفة هي: ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من أمور ذاتية، أو معنوية، أو فعلية.

وقد تنوعت تقسيمات أهل السنة للصفات، وذلك بحسب الاعتبارات التي يرجع لها كل تقسيم، ومن تلك التقسيمات: أقسام الصفات عمومًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**الصفات نوعان:**

أحدهما: صفات نقص؛ فهذه يجب تنزيه الله عنها مطلقًا؛ كالموت، والعجز، والجهل.

والثاني: صفات كمال؛ فهذه يمتنع أن يماثله فيها شيء»[2].

ومعتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته هو: أنهم يؤمنون بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة إثباتًا ونفيًا، فهم بذلك:

١- يُسَمُّون الله بما سمَّى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون منه.

٢- ويُثبتون لله عز وجل ويصفونه بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

٣- وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ، مع اعتقاد أنَّ الله موصوف بكمال ضد ذلك الأمر المنفي.

فأهل السنة سلكوا في هذا الباب منهج القرآن والسنة الصحيحة فكل اسم أو صفة لله

---

(١) «الصواعق المرسلة» «٢/ ٤٢٥- ٤٢٧».

(٢) «الصفدية» «١/ ١٠٢».

سبحانه وردت في الكتاب والسنة الصحيحة فهي من قبيل الإثبات؛ فيجب بذلك إثباتها.

وأمَّا النفي فهو أن ينفى عن الله عز وجل كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص، مع وجوب اعتقاد ثبوت كمال ضد ذلك المنفي.

فقول المصنِّف رحمه الله: «**فلا يَنْفُونَ عَنْهُ ما وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ**»- معناه: أنهم مع إيمانهم بأن الله ليس كمثله شيءٌ، لا يحملهم ذلك على نفي صفة من صفاته جل وعلا؛ لأنهم يؤمنون بالكتاب كله، لأن القائل: ﴿ليس كمثله شيء﴾ هو نفسه عز وجل القائل: ﴿وهو السميع البصير﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وهو الذي أثبت لنفسه صفات الكمال ونعوت الجلال الدَّالَّة على عظمته وجماله وجلاله.

وأمَّا قوله رحمه الله: «**ولا يُلْحِدُونَ في أسمائه وآياته**»- فقد أشار به إلى أن أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة من تمام وكمال إيمانهم بالله: أنهم لا يلحدون في أسمائه ولا في آياته.

والإلحاد مأخوذ من الميل، كما يدل عليه مادته «**ل- ح- د**»؛ فمنه: اللحد، وهو الشَّق في جانب القبر الذي قد مال عن الوَسط.

ومنه الملحد في الدين: المائل عن الحقِّ إلى الباطل؛ قال ابن السِّكِّيت: «**الملحد: المائل عن الحقِّ المُدخِلُ فيه ما ليس فيه**»[(١)].

وقد ذكر المصنف هنا قسمين من الإلحاد:

القسم الأول: الإلحاد في أسماء الله جل جلاله: هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحقِّ الثابت لها؛ قال تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائه سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾- قال الإمام البغوي: «قال أهل المعاني: الإلحاد في أسماء الله: تسميته بما لم يَتَسَمَّ به، ولم ينطق به كتابُ الله ولا سُنَّة رسوله ﷺ»[(٢)].

وقال ابن حجر: «**قال أهل التفسير: مِن الإلحاد في أسمائه: تسميته بما لم يَرِد في الكتاب**

(١) «بدائع الفوائد» «١/ ١٦٩».

(٢) «معالم التنزيل» «٣/ ٣٥٧».

أو السنة الصحيحة»[١].

والإلحاد في أسمائه تعالى أنواع.

أحدها: أن يسمى الأصنام بها؛ كتَسميتهم اللات من الإلهيَّة، والعُزَّى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهًا، وهذا إلحاد حقيقة؛ فإنهم عَدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة[٢].

قال ابن عباس ومجاهد: «**عدلوا بأسماء الله تعالى عما هى عليه، فسموا بها أوثانهم؛ فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من الله، والعُزَّى من العزيز، ومَناة من المنَّان»**[٣].

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله؛ كتسمية النصارى له أبًا، وتسمية الفلاسفة له: مُوجبًا بذاته أو علَّةً فاعلةً بالطبع، ونحو ذلك[٤]؛ وذلك لأنَّ أسماء الله- تعالى- توقيفية، فتسميته تعالى بما لم يُسَم به نفسه ميلٌ بها عما يجب فيها، كما أنَّ هذه الأسماء التي سَموه بها نفسها باطلة يُنزه الله تعالى عنها.

قال ابن حزم: «**مَنع تعالى أن يُسَمَّى إلا بأسمائه الحسنى، وأخبر أنَّ مَن سَمَّاه بغيرها فقد ألحد»**[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**ومَن جعله تسبيحًا للاسم يقول: المعنى: إنَّك لا تسم به غير الله، ولا تُلحد في أسمائه، فهذا ما يستحقُّه اسم الله»**[٦].

القسم الثاني: الإلحاد في آيات الله تبارك وتعالى:

---

(١) «فتح الباري» «١١/ ٢٢١».

(٢) «بدائع الفوائد» «١/ ١٦٩».

(٣) «مدارج السالكين» «١/ ٣٠».

(٤) «بدائع الفوائد» «١/ ١٦٩».

(٥) «المحلى» «١/ ٢٩».

(٦) «مجموع الفتاوى» «٦/ ١٩٩».

قال العلَّامة ابن عثيمين رحمه الله: «**وأما الإلحاد في آيات الله تعالى فالآيات جمع آية، وهي العلامة المميِّزة للشيء عن غيره، والله عز وجل بعث الرسل بالآيات، لا بالمعجزات؛ لهذا كان التعبيرُ بالآيات أحسنَ من التعبير بالمعجزات:**

أولًا: لأن الآيات هي التي يعبَّر بها في الكتاب والسنة.

ثانيًا: أن المعجزات قد تقع من ساحرٍ ومشعوذٍ وما أشبه ذلك، تعجِز غيرَه.

ثالثًا: أن كلمةَ «**آيات**» أدلُّ على المعنى المقصود من كلمة معجزات، فآيات الله هي العلامات الدالة على الله عز وجل، وحينئذ تكون خاصَّة به، ولولا أنها خاصة ما صارت آيةً له.

وآيات الله عز وجل تنقسم إلى قسمين: آيات كونية، وآيات شرعية:

القسم الأول: الآيات الكونيَّة: ما يتعلق بالخلق والتكوين، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [فصلت: الآية: ٣٧] ، وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: الآية: ٢٠] ، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ «**٢٣**» وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ «**٢٤**» وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ «**٢٥**»﴾ [الروم: الآيات: ٢٣ - ٢٥]، فهذه آياتٌ كونيَّةٌ، وإن شئت فقل: كونيَّة قدريَّة، وكانت آيةَ الله؛ لأنه لا يستطيع الخلقُ أن يفعلوها، فمثلًا:

لا يستطيع أحدٌ أن يخلق مثل الشمس والقمر، ولا يستطيع أن يأتي بالليل إذا جاء النهار، ولا بالنهار إذا جاء الليل، فهذه الآيات كونيَّة.

والإلحاد فيها: أن ينسبها إلى غير الله استقلالًا، أو مشاركةً، أو إعانةً، فيقول: هذا من الولي الفلاني، أو من النبي الفلاني، أو شارك فيه النبي الفلاني، أو الولي الفلاني، أو أعان اللهَ فيه، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا

فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: الآية: ٢٢].

فنفى كل شيء يتعلق به المشركون بكون معبوداتهم لا تملك شيئًا في السموات والأرض استقلالًا أو مشاركةً ولا معينة لله عز وجل، ثم جاء بالرابع: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ : ٢٣] ، لما كان المشركون قد يقولون: نعم هذه الأصنام لا تملك ولا تشارك، ولم تعاون، لكنها شفعاء؛ قال: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: الآية: ٢٣] فَقَطَعَ كُلَّ سَبَبٍ يَتَعلَّقُ به المشركون.

القسم الثاني من الآيات: الآيات الشرعية:

وهي ما جاءت به الرُّسل من الوحي؛ كالقرآن العظيم، وهو آيات؛ لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٢]، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ «٥٠» أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: الآيتان: ٥٠-٥١] ، فجعله آياتٍ.

ويكون الإلحادُ فيها إما بتكذيبها، أو تحريفها، أو مخالفتها، فتكذيبها أن يقول: ليست من عند الله، فيكذِّب بها أصلًا، أو يكذِّب بما جاء فيها من الخبر مع تصديقه بالأصل، فيقول مثلًا: قصة أصحاب الكهف ليست صحيحة، وقصة أصحاب الفيل ليست صحيحة، والله لم يرسل عليهم طيرًا أبابيل.

وأما التَّحْرِيف: فهو تغيير لفظها أو صرف معناها عما أراد الله بها ورسوله، مثل أن يقول: الله استوى على العرش، أي: استولى، أو ينزل إلى السماء الدنيا، أي: ينزل أمره.

وأما مخالفتها: فبترك الأوامر أو فعل النواهي.

قال تعالى- في المسجد الحرام-: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: الآية: ٢٥]؛ فكلُّ المعاصي إلحادٌ في الآيات الشرعية؛ لأنه خروجٌ بها عما يجب لها؛ إذ الواجب علينا أن نمتثل الأوامر، وأن نجتنب النواهي؛ فإن لم نقم بذلك فهذا إلحاد»(١).

---

(١) «شرح الواسطية» «ص١٠٠- ١٠٣».

وقد تَقَدَّم الكلام عن التكييف والتمثيل في صفاته جل وعلا.

ثم بَيَّن المصنف رحمه الله السبب في أنَّ أهل السنة لا يُكَيِّفُونَ ولا يُمَثِّلُونَ صفاته بصفات خلقه، فقال: «**لأنه- سبحانه- لا سَمِيَّ له، ولا كُفْءَ له، ولا نِدَّ له**».

ومعنى تسبيح الله: تَنْزِيهه عن النَّقَائِصِ والعيوب في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وقوله: «**لا سَمِيَّ له، ولا كُفْءَ له، ولا نِدَّ له**» هذه الأسماء الثلاثة معناها متقارب، لكن كل اسم منها له اختصاص بمورد أكثر من الآخر؛ فينزه الله جل وعلا عن السَّمِيِّ والكفء والمثل؛ لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾.

ومعنى: «**لا سَمِيَّ له**»: أنه لا يُساميه أحدٌ في ذاته ولا في أسمائه صفاته ولا في أفعاله، أو أنه لا يستحق أحد من الخلق مثل اسمه؛ قال العَلَّامة محمد بن إبراهيم: «**المعنى: لا يُساميه أحدٌ، أو لا يستحق مثل اسمه، وكلا المعنيين راجع إلى الآخر؛ لكون اسمِه تعالى دالًّا على الكمال، والخلقُ- وإن كان لهم نوعُ كمالٍ- فإن الله هو الذي أكسبهم إيَّاه**»[(١)].

والكفءُ: هو المكافئُ ، والله سبحانه وتعالى يقول عن نفسه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ٤] و﴿كفوًا﴾ نَكِرَةٌ في سياق النفي، فتفيد العموم.

والنِّدُّ: هو النظير؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٢]

قال العلامة السِّعْدي رحمه الله في تفسيره: «﴿**فلا تجعلوا لله أندادًا**﴾ **أي: أشباهًا ونُظَرَاءَ من المخلوقين، فتعبدونهم كما تعبدون الله، وتُحِبُّونَهُم كما تحبونه، وهم مثلكم مخلوقون ومرزوقون مدبَّرون، لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا ينفعونكم ولا يضرون.**

﴿وأنتم تعلمون﴾ اللهَ ليس له شريكٌ ولا نظيرٌ، لا في الخلق والرزق والتدبير، ولا في ألوهيته والكمال، فكيف تعبدون معه آلهةً أخرى مع علمكم بذلك؟! هذا من أعجب

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية «ص٣٠».

العجب وأَسْفَهِ السَّفَه»[(١)].

ثم قال المصنف رحمه الله: «**ولا يُقاس بخلقه سبحانه وتعالى؛ فإنه سبحانه أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وبغيرِه، وأصدق قِيلًا، وأَحْسَنُ حديثًا من خلقه**».

لأنَّ الله- جل جلاله- ليس له مَثيل حتى يُقاس عليه، وعقول البشر لا يمكن أن تستقلَّ بمعرفة الله تعالى استقلالًا؛ لأنها قاصرة عاجزة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: الآية: ٨٥] لذا وجب الوقوف على ما جاء في القرآن وصحَّ في السنة من أسماء الله وصفاته، وإثبات ذلك له- جل جلاله- على ما يليق بذاته.

وقول المصنف رحمه الله: «**فإنه سبحانه أعلمُ بنفسه وبغيرِه، وأصدقُ قِيلًا، وأحسنُ حَدِيثًا مِن خَلْقِه**»- بيان لعلة وجوب إثبات ما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال ومنع قياسه بخلقه؛ لأنه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ولا ندَّ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ٤]

وقد بَيَّن العلَّامةُ ابنُ عُثيمين رحمه الله أنواع القياس، وأوضح فساد قياس الله بخلقه في نوعين منها، وجوازه في الثالث؛ فقال: «**القياسُ ينقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: قياس شمولٍ، وقياس تمثيلٍ، وقياس أولويَّة.**

فهو سبحانه وتعالى لا يُقاس بخلقه لا قياسَ تمثيلٍ ولا قياسَ شمولٍ:

١- قياس الشمول: هو ما يُعرفُ بالعامِّ الشاملِ لجميع أفراده، بحيث يكون كلُّ فردٍ منه داخلًا في مسمَّى ذلك اللفظ ومعناه، فمثلًا إذا قلنا: الحياة؛ فإنه لا تقاس حياة الله بحياة الخلق؛ من أجل أن الكُلَّ يشمله اسمُ «حي».

٢- وقياس التَّمْثِيل: هو أن يلحق الشيء بمثيله، فيجعل ما ثبت للخالق مثل ما ثبت للمخلوق.

٣- وقياس الأَوْلَوِيَّة: هو أن يكون الفرعُ أولى بالحكم من الأصل؛ وهذا يقول العلماء: إنه مُسْتَعْمَلٌ في حق الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، بمعنى: كل صفة

(١) «تفسير السعدي» «ص ٤٤».

كمال؛ فَلِلَّهِ تعالى أعلاها، والسمع والعلم والقدرة والحياة والحكمة وما أشبهها موجودة في المخلوق، لكن لله أعلاها وأكملها.

ولهذا- أحيانًا- نستدل بالدلالة العقلية من زاوية القياس بالأولى، فمثلًا:

نقول: العلو صفة كمال في المخلوق، فإذا كانت صفةَ كمالٍ في المخلوق فهي في الخالق من باب أولى، وهذا- دائمًا- نجده في كلام العلماء.

فقول المؤلف رحمه الله: «**ولا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ**» بعد قوله: «**لا سَمِيَّ ولا كُفْءَ له ولا نِدَّ لَهُ**» يعني: القياس المقتضي للمساواة، وهو قياس الشُّمول، وقياس التَّمْثِيل.

إذًا؛ يمتنع القياس بين الله وبين الخلق للتباين بينهما، وإذا كنا في الأحكام لا نقيس الواجب على الجائز أو الجائز على الواجب، ففي باب الصفات بين الخالق والمخلوق من باب أولى.

لو قال لك قائل: الله موجود، والإنسان موجود، ووجود الله كوجود الإنسان بالقياس.

فنقول: لا يصح؛ لأن وجود الخالق واجب، ووجود الإنسان ممكن.

فلو قال: أَقِيسُ سَمْع الخالق على سمع المخلوق.

نقول: لا يمكن؛ سمع الخالق واجبٌ له، لا يعتريه نقصٌ، وهو شامل لكل شيء، وسمع الإنسان ممكنٌ؛ إذ يجوز أن يُولد الإنسانُ أَصَمَّ، والمولود سميعًا يلحقه نقص السمع، وسمعه محدود.

إذًا؛ لا يمكن أن يقاس الله بخلقه، فكل صفات الله لا يمكن أن تقاس بصفات خلقه؛ لظهور التباين العظيم بين الخالق والمخلوق»[1].

---

(١) «شرح الواسطية» «ص١٠٥-١٠٦».

١١-تنزيه الله سبحانه نفسه عما وصفه به المخالفون

[١١] - قال المصنف رحمه الله: «**ثم رسلُه صادقون مصدَّقون، بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون؛ ولهذا قال** سبحانه وتعالى: ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ** «**١٨٠**» وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ «**١٨١**» وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: الآيات: ١٨٠-١٨٢] فَسَبَّح نفسَه عمَّا وصفه به المخَالِفون للرسُّل، وسَلَّم على المرسلين؛ لسلامة ما قالوه من النَّقْص والعَيب».

الشرح

أي: قد أخبرت الرسل أن لله تعالى أسماءً حسنى وصفاتٍ عُلَا وأفعالًا جليلة؛ فأثبتوا له كل كمال على وجه التفصيل، ونفوا عنه كل نقص على وجه الإجمال.

واقتضت رحمة العزيز الحكيم أن بعث الرسل به مُعَرِّفين، وإليه داعين، وجعل معرفته- سبحانه- بأسمائه وصفاته وأفعاله هي مفتاح دعوتهم وزُبدة رسالتهم؛ فأساس دعوة الرسل- صلوات الله وسلامه عليهم- والأصل الأول فيها: معرفة الله- سبحانه- بأسمائه وصفاته وأفعاله. ثم يتبع هذا الأصل أصلان عظيمان هما:

الأصل الأول: تعريف الناس الطريق الموصلة إلى الله، وهي: «**شريعته المتضمنة لأمره ونهيه**».

الأصل الثاني: تعريفهم مآلهم في الآخرة.

وهذان الأصلان تابعان للأصل الأول مَبنيان عليه؛ فأعرف الناس بالله أتبعهم للطريق الموصلة إليه، وأعرفهم بحال الناس عند القدوم عليه.

وأساس العلم الصَّحيح هو الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، وعليه يقوم الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص، وتَبنِي مطالب الرسالة جميعها، فهذا التوحيد هو أساس الهداية والإيمان، وهو أصل الدِّين الذي يقوم عليه، ولذلك فإنه لا يُتصور إيمان صحيح ممن لا يعرف ربَّه، فهذا العلم لازم لانعقاد أصل الإيمان، وهو مهم جدًّا للمؤمن لشدة حاجته إليه؛ لسلامة قلبه وصلاح

معتقده واستقامة عمله.

فهذا العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله يُوجب للعبد التمييز بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك والإقرار والتعطيل، وتنزيه الرب عما لا يليق به ووصفه بما هو أهله من الجلال والإكرام.

وذلك يتمُّ عن طريق تدبر كلام الله تعالى وما تعَرَّف به- سبحانه- إلى عباده على ألسنة رسله من أسمائه وصفاته وأفعاله؛ لذا سَبَّح نفسَه عمَّا وصفه به المخَالِفون للرُّسل، وسَلَّم على المرسلين؛ لسلامة ما قالوه من النَّقْص والعَيب؛ فقال جل وعلا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ «١٨٠» وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ «١٨١» وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: الآيات: ١٨٠-١٨٢]

«والعلم بالله يُراد به في الأصل نوعان:

أحدهما: العلم به نفسه، أي بما هو متصف به من نعوت الجلال والإكرام وما دلت عليه أسماؤه الحسنى.

وهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة، فإنه لابد أن يَعلم أن الله يُثيب على طاعته، ويُعاقب على معصيته.

والنوع الثاني: يُراد بالعلم بالله: العلم بالأحكام الشرعية من الأوامر والنواهي والحلال والحرام»[(١)].

وقول المصنف: «**ثم رُسُلُه صَادقون مُصَدَّقون**» عطفٌ على قوله: «**فإنَّه أَعْلَمُ بنفسِه...**»؛ وذلك لأن رسلَ الله صادقون فيما بَلَّغوه عنه؛ لأنَّهم بَلَّغوا ما عَلَّمهم الله إيَّاه وما أمرهم بتبليغه؛ وحاشاهم من الكذب؛ فهم اختيار الله؛ قال جل وعلا: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقد صدَّقهم- سبحانه وتعالى- وأيدهم بالمعجزات الدَّالة على صدقهم.

لذا يجب على الناس تصديقُهم، ومَن كَذَّبَهم أو كَذَّبَ واحدًا منهم فهو مُكَذِّبٌ بهم جميعًا، كافرٌ بِمَن أرسلهم؛ قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: الآية: ١٠٥]،

---

(١) «مجموع الفتاوى» «٣/ ٣٣٣» بتصرف بسير.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: الآية: ١٤١]، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: الآية: ١٦٠].

وأمَّا قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ «١٨٠» وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ «١٨١» وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: الآيات: ١٨٠-١٨٢] ؛ فقد قال الحافظُ ابنُ كثير رحمه الله في تفسيرها: «**يُنزِّه تعالى نفسَه ويُقَدِّسها ويبرِّئها عما يقوله الظَّالمون المُكَذِّبون المعتدون؛ تعالى وتَنَزَّه وتقدَّس عن قَولهم علوًّا كبيرًا؛ ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ أي: ذي العزَّة التي لا تُرَامُ. ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: عن قول هؤلاء المُعتدين المُفترين. ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة؛ لسلامة ما قالوه في ربهم وصحته وحقِّيَّتِه، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: له الحمد في الأولى والآخرة في كل حال.**

ولما كان التَّسبيح يَتَضَمَّن التنزيه والتبرئة من النَّقص بدلالة المطابقة ويستلزم إثبات الكمال، كما أنَّ الحمد يدلُّ على إثبات صفات الكمال مطابقة ويستلزم التنزيه من النقص قُرن بينهما في هذا الموضع، وفي مواضع كثيرة من القرآن»[(١)].

وقد بَيَّن المصَنِّف رحمه الله معنى تسبيح الله تعالى، وذكر أنَّ «**تسبيح الرَّبِّ نفسَه يتضمن تنزيهَه وتعظيمَه جميعًا، فقول العبد: «سبحان الله»** يتضمن تنزيهَ الله وبراءته من السوء»[(٢)].

والمخالفون للرُّسل هم الذين حَرَّفوا أو عَطَّلوا أو كَيَّفوا أو مَثَّلُوا صفات الخالق جلَّ وعلا بالمخلوق؛ لأن الرسل عليهم السَّلام ما جاءوا بشيء من هذا.

قول أهل السنة في الصفات مبنيٌّ على أصلين:

أحدهما: أنَّ الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص مطلقًا؛ كالسِّنَة والنوم والعجز والجهل وغير ذلك.

(١) «تفسير ابن كثير» «٧/ ٤٦».

(٢) «مجموع الفتاوى» «١٧/ ١٤٤».

والثاني: أنه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها على وجه الاختصاص بما له من الصفات، فلا يُماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات»[١].

«وأما ما لم يرد إثباته ونفيه فلا يصح استعماله في باب الأسماء وباب الصفات إطلاقًا، وأما في باب الأخبار فمن السلف من يمنع ذلك، ومنهم من يجيزه بشرط أن يستفصل عن مراد المتكلم فيه، فإن أراد به حقًّا يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أراد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب ردُّه»[٢].

---

(١) «منهاج السنة» «٢/ ٥٢٣».

(٢) «رسالة في العقل والروح» «٢/ ٤٦، ٤٧» لابن تيمية، «ضمن مجموعة الرسائل المنيرية».

١٢- صفاته سبحانه بين النفي والإثبات

[١٢] - قال المصنف رحمه الله: «**وهو سبحانه قد جَمَع فيما وَصَفَ وسَمَّى به نفسَه بين: النفي والإثبات**».

الشرح

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «**فالربُّ- تعالى- مُستحقٌّ للكمال على وجهِ التَّفصيل، كما أخبرت به الرسل، فإن الله تعالى أخبر أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، وأنه عليم قدير عزيز حكيم غفور رحيم ودود مجيد، وأنه يحب المتقين والمُحسنين والصَّابرين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، وأنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، وأنه كلَّم موسى تكليمًا، وناداه وناجاه، إلى غير ذلك مِمَّا جاء به الكتاب والسُّنَّة.**

وقال في التنزيه: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: الآية: ١١]، ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ [النحل: الآية: ٧٤]، ﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾ [الإخلاص: الآية: ٤]، ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون﴾ [البقرة: الآية: ٢٢]، فنزَّه نفسه عن النظير باسم الكفء والمثل والنِّد والسَّمِيّ.

فهذه طريقة الرسل وأتباعهم من سلف الأمة وأئمتها: إثباتٌ مفصَّلٌ، ونفيٌ مجملٌ.

إثبات الكمال على وجه التفصيل ونفي النَّقص والتَّمْثِيل مُجملًا، كما ورد ذلك في سورة ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد﴾ [الإخلاص: الآيتان: ١-٢]، وهي تَعْدِل ثُلُث القرآن، كما ثبت ذلك في الحديث الصَّحيح.

فاسمه «الصَّمَدُ» يتضمَّنُ صفاتِ الكمالِ، كما روى الواليُّ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: «**هو العليم الذي كَمُلَ في علمه، والقدير الذي كَمُلَ في قُدرته، والسيّدُ الذي كَمُلَ في سُؤْدَدِهِ، والشريفُ الذي كَمُلَ في شَرَفِهِ، والعظيم الذي كَمُلَ في عظمته، والحليم**

الذي كَمُلَ في حلمه، والحكيم الذي كَمُلَ في حكمته، وهو الذي كَمُلَ في أنواع الشرف والسُّؤْدَدِ، هو الله سبحانه وتعالى، هذه صفته لا تنبغي إلا له».

و«**الأحد**» يتضمن نفي المِثْل عنه.

والتنزيه الذي يستحقه الرَّبُّ يَجمعه نوعان:

أحدهما: نَفْيُ النَّقْصِ عنه.

الثاني: نَفْيُ مماثلة شيء من الأشياء فيما يستحقه من صفات الكمال.

فإثباتُ صفات الكمال له مع نفي مماثلة غيره له يجمعُ ذلك، كما دلت عليه هذه السورة.

فطريقة التنزيه عند سلف الأمة وأئمتها أنهم ينزهون الله تعالى عما لا يليق به من صفات النقص على سبيل الإجمال، وكل ما نفاه الله عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده، لا لمجرد نفيه.

وثبوت كمال الضد يراد به هنا: «**دلالة معنى الصفة السلبية لزوماً على إثبات صفة مدح وجودية**»[(١)]؛ لأن «**النفي ليس فيه مدحٌ ولا كمالٌ، إلا إذا تضمن إثباتاً، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدحٌ ولا كمالٌ؛ لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء، فهو كما قيل: ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً؛ ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال، فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمناً لإثبات مدح**»[(٢)].

---

(١) القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ص «٥٦».

(٢) التدمرية ص «٥٧-٥٨»، وانظر: درء تعارض العقل والنقل «١٧٦/٦-١٧٧، ٣٥١، ٢٩١/١٠»، منهاج السنة النبوية «٣٩/٨»، الصفدية «١٢١/١، ٦٣/٢، ٦٦»، بيان تلبيس الجهمية «٩٧/١، ٣٦٠/٢»، الجواب الصحيح «٢٠٩/٣»، الفتاوى الكبرى «٣١١/٢- =

وقال شيخ الإسلام-رحمه الله-في موضع آخر: «**فالأمور العدمية لا تكون كمالاً إلا إذا تضمنت أموراً وجوديةً، إذ العدم المحض ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً؛ فإن الله سبحانه إذا ذَكر ما يذكره من تنزيهه ونفي النقائص عنه، ذكر ذلك في سياق إثبات صفات الكمال له كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [(١)]، فنفي السِّنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيُّومية، وهذه من صفات الكمال.**

وكذلك قوله: ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ﴾ [(٢)]؛ فإن نفي عزوب ذلك عنه يتضمن علمه به، وعلمه به من صفات الكمال.

وكذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [(٣)]؛ فتنزيهه لنفسه عن مسِّ اللغوب يقتضي كمال قدرته، والقدرة من صفات الكمال، فتنزيهه يتضمن كمال حياته وقيامه وعلمه وقدرته وهكذا نظائر ذلك» [(٤)].

وقال الإمام ابن القيم-رحمه الله-: «**إن الله سبحانه إنما نفى عن نفسه ما يناقض**

٣١٢»، شرح العقيدة الأصفهانية ص «١١٧»، تفسير سورة الإخلاص، ضمن مجموع الفتاوى «١٧/١٠٩»، الجواب الفاصل بتمييز الحق من الباطل، ضمن مجلة البحوث الإسلامية ص «٣١١»، العدد «٢٩»، الصواعق المرسلة «٣/١٠٢٠-١٠٢١، ٤/١٣٦٧، ١٤٤٣، ١٤٥٢»، بدائع الفوائد «١/١٤٤»، حادي الأرواح ص «٣٣٤»، شرح العقيدة الطحاوية «١/٦٨»، لوامع الأنوار البهية «١/٢٦٣»، توضيح المقاصد «٢/١٩٨»، شرح القصيدة النونية «٢/٦٠-٦٢»، القواعد المثلى ص «٣٠».

(١) الآية [٢٥٥] من سورة البقرة.

(٢) الآية [٣] من سورة سبأ.

(٣) الآية [٣٨] من سورة ق.

(٤) منهاج السنة النبوية «٢/١٨٣»، وانظر: «٢/٣١٩».

الإثبات، ويضاد ثبوت الصفات والأفعال، فلم ينف إلا أمراً عدمياً، أو ما يستلزم العدم، فنفى السِّنة والنوم، المستلزم لعدم كمال الحياة والقيومية، ونفى العزوب والخفاء، المستلزم لنفي كمال العلم، ونفى اللغوب، المستلزم نفي كمال القدرة، ونفى الظلم، المستلزم لنفي كمال الغنى والعدل، ونفى العبث، المستلزم لنفي كمال الحكمة والعلم، ونفى الصاحبة والولد، المستلزمين لعدم كمال الغنى، وكذلك نفى الشريك والظهير والشفيع المقدم بالشفاعة، المستلزم لعدم كمال الغنى والقهر والملك، ونفى الشبيه والمثيل والكفؤ، المستلزم لعدم التفرد بالكمال المطلق، ونفى إدراك الأبصار له وإحاطة العلم به، المستلزمين لعدم كمال عظمته وكبريائه وسعته وإحاطته، وكذلك نفى الحاجة والأكل والشرب عنه سبحانه، لاستلزام ذلك عدم غناه الكامل، وإذا كان إنما نفى عن نفسه العدم، أو ما يستلزم العدم، عُلم أنه أحق بكل وجود وثبوت، وكل أمر وجودي لا يستلزم عدماً ولا نقصاً ولا عيباً، وهذا هو الذي دلَّ عليه صريح العقل؛ فإنه سبحانه له الوجود الدائم، القديم، الواجب لنفسه الذي لم يستفده من غيره، ووجود كل موجود مفتقر إليه، ومتوقف في تحقيقه عليه، والكمال وجودٌ كله[١]، والعدم نقصٌ كله؛ فإن العدم كاسمه لا شيء، فعاد النفي الصحيح إلى نفي النقائص والعيوب، ونفي المماثلة في الكمال، وعاد الأمران إلى نفي النقص، وحقيقة ذلك نفي العدم، وما يستلزم العدم، فتأمل هل نفى القرآن والسنة عنه سبحانه سوى ذلك، وتأمل هل ينفي العقل الصحيح الذي لم يفسد بشبه هؤلاء الضلال

---

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: "والوجود كمال كله"، بدليل العبارة التي بعدها.

الحيارى غير ذلك، فالرسل جاءوا بإثبات ما يضاده»[١].

وأمَّا المخالفون لهم من المشركين والصَّابِئَةِ ومَن اتَّبَعَهُمْ من الجهمية والفلاسفة والمعتزلة ونحوهم، فطريقتهم: نفيٌ مفصَّلٌ، وإثباتٌ مجمَلٌ.

ينفون صفات الكمال، ويثبتون ما لا يُوجد إلا في الخيال، فيقولون: ليس بكذا ولا كذا، فمنهم من يقول: ليس له صفة ثبوتية، بل إمَّا سلبية، وإمَّا إضافية، وإمَّا مركبة منهما، كما يقوله من يقول من الصابئة والفلاسفة، كابن سينا وأمثاله، ويقول: هو وجود مطلق بشرط سلب الأمور الثبوتية عنه، ومنهم من يقول: وجود مطلق بشرط الإطلاق.

وقد قرَّروا في منطقهم ما هو معلوم في العقل الصريح: أن المطلق بشرط الإطلاق إنما وجوده في الأذهان لا في الأعيان، فلا يُتصور في الخارج حيوانٌ مطلق بشرط الإطلاق، ولا إنسانٌ مطلَق بشرط الإطلاق، ولا جسمٌ مطلق بشرط الإطلاق، فيبقى واجب الوجود ممتنع الوجود في الخارج، وهذا مع أنه تعطيلٌ وجهلٌ وكفرٌ، فهو جمعٌ بين النقيضين»[٢].

وقد أشار العلامة السّعْدي رحمه الله إلى ضابط مهم في كلام شيخ الإسلام فقال: «**وهذا الذي ذكره المصنف ضابطٌ نافعٌ في كيفية الإيمان بالله وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وأنه مبني على أصلين: أحدهما: النفي، وثانيهما: الإثبات.**

أما النفي: فإنه ينفي عن الله ما يضاد الكمال من أنواع العيوب والنقائص، وينفي عنه أيضًا أن يكون له شريك، أو نديد، أو شبيه في شيء من صفاته، أو في حَقٍّ من حقوقه الخاصة، فكلُّ ما يُنافي صفات الكمال فإن اللهَ منزَّهٌ عنه مقدَّس.

والنَّفي مقصود لغيره، والقصد منه إثبات ما لم يرد نفي شيء منه في الكتاب والسنة عن الله إلا بقصد إثبات ضده، فنفيُ الشَّريكِ والنَّديدِ عن الله لكمال عظمته وتفرُّده

(١) الصواعق المرسلة «٣/١٠٢٣-١٠٢٤».

(٢) «منهاج السُّنَّة» «٢/١٨٤- ١٨٧».



بالكمال، ونفي السِّنَةِ والنَّوْمِ والموتِ لكمال حياته.

ونفي عُزوب شيء عنه لعلمه وقدرته.

ولهذا كان التنزيه والنفي لأمور مجملة عامة.

وأمَّا الإثبات: فإنه يجمع الأمرين: إثبات المجملات كالحمد المطلق والكمال المطلق والمجد المطلق ونحوها، وإثبات المفصَّلَات كتفضيل علم الله وقدرته وحكمته ورحمته، ونحو ذلك من صفاته»[١].

قال الإمام ابن القيم «ت: **٧٥١ هـ**»–رحمه الله–: «**فينبغي أن تُعلم في هذا قاعدةٌ نافعةٌ جداً وهي: أن نفي الشبه والمثل والنظير ليس في نفسه صفة مدح ولا كمال، ولا يُحمد به المنفي عنه ذلك بمجرده، فإن العدم المحض الذي هو أخس المعلومات وأنقصها يُنفى عنه الشبه والمثل والنظير، ولا يكون ذلك كمالاً ومدحاً إلا إذا تضمن كون من نفى عنه ذلك قد اختص من صفات الكمال ونعوت الجلال بأوصاف بَايَن بها غيره، وخرج بها عن أن يكون له نظيرٌ أو شبهٌ، فهو لتفرده بها عن غيره صحَّ أن يُنفى عنه الشبه والمثل والنظير والكفؤ، فلا يُقال لمن لا سمع له ولا بصر ولا حياة ولا علم ولا كلام ولا فعل، ليس له شبهٌ ولا مثلٌ ولا نظيرٌ، اللَّهم إلا في باب الذم والعيب، أي: قد سُلب صفات الكمال كلها بحيث صار لا شبه له في النقص، هذا الذي عليه فِطَرُ الناس وعقولهم واستعمالهم في المدح والذم»** [٢].

من خلال هذا النص الذي ذكره الإمام ابن القيم–رحمه الله–يمكن الدخول في توضيح هذه القاعدة المهمة، فمن الأمور المقررة في منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب، أن معرفة الله–عز وجل–لا تكون بمعرفة صفات النفي، بل الأصل في هذه المعرفة هي صفات الإثبات، والنفي تابعٌ لها، والمقصود منها هو تكميل الإثبات، لهذا نجد أن كل صفة

---

(١) «التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة» للسعدي «ص٢٠».

(٢) الصواعق المرسلة «٤/١٣٦٧».

من الصفات التي جاءت لنفي نقصٍ من النقائص أو العيوب عن الله–عز وجل–متضمنة للإثبات، فالله–عز وجل–لا يُمدح ولا يُثنى عليه بالنفي المجرد، بل لا بد أن يتضمن هذا النفي إثبات كمال ضد الأمر المنفي عن الله–عز وجل–؛ لأن المدح يكون بالأمور الثبوتية، لا بالأمور العدمية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية «**ت: ٧٢٨ هـ**»–رحمه الله–: «**فمعرفة الله ليست بمعرفة صفات السلب بل الأصل فيها صفات الإثبات والسلب تابعٌ، ومقصوده تكميل الإثبات، كما أشرنا إليه من أن كل تنزيه مُدح به الرب ففيه إثبات، و لهذا كان قول "سبحان الله" متضمناً تنزيه الرب و تعظيمه، ففيها تنزيهه من العيوب والنقائص، وفيها تعظيمه–عز وجل–**»[(١)].

ويفهم من هذه النقول أن صفات الإثبات هي الأصل في معرفة الله–عز وجل–

وذلك للوجوه التالية:

الوجه الأول: أن جانب الإثبات للصفات في القرآن الكريم والسنة النبوية أكثر وروداً من جانب النفي.

الوجه الثاني: أن تفاضل الموصوفات فيما بينها بقدر ما لها من الصفات الثبوتية الوجودية.

الوجه الثالث: أن ما لا صفات وجودية له، لا حقيقة له في الوجود الخارج عن الذهن.

الوجه الرابع: أن الله حمد نفسه، والحمد لا يكون إلا على أمرٍ وجودي في الموصوف.

الوجه الخامس: أن الذي جاء به الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة أن كل نفي فهو متضمن لإثبات كمال ضد ذلك المنفي.

الوجه السادس: أن صفات الكمال في الأمور الموجودة، والصفات المنفية إنما تكون كمالاً

---

(١) تفسير سورة الإخلاص، ضمن مجموع الفتاوى «١١٢/١٧».

إذا تضمنت أموراً وجودية [(١)].

(١) انظر في هذه الأوجه: الصفدية «١/١٢٠، ٢/٦٣، ٦٦»، تفسير سورة الإخلاص، ضمن مجموع الفتاوى «١٧/١٤٠، ١٤٢-١٤٤»، درء تعارض العقل والنقل «٦/١٧٦-١٧٧»، التدمرية ص «٥٧»، بيان تلبيس الجهمية «٢/٥٠٩»، الصواعق المرسلة «٤/١٤٤٣»، حادي الأرواح ص «٣٣٤»، الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية ص «٥»، التحفة المهدية ص «١٤٦»، تقريب التدمرية ص «٣٣»، القواعد الكلية ص «١٦٠».

١٣- لا عدول لأهل السنة عن صراط المرسلين

[١٣]- قال المصنف رحمه الله: «**فلا عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّة والجَمَاعَة عما جاء به المرسلون؛ فإنه الصِّراطُ المستقيمُ؛ صراطُ الذين أَنْعَمَ اللهُ عَليهم من النَّبيين والصِّديقين والشُّهداء والصَّالحين**».

الشرح

أي: لا ميل لأهل السنة ولا انحراف عما جاءت به الرسل من الإيمان، بل هم مُقْتَفُونَ آثارهم، مُسْتَضِيئُونَ بأنوارهم، ومن ذلك إثبات صفات الكمال لله وتنزيهه عما لا يليق به؛ فإن الرسل قد قرَّرُوا ذلك الأصل العظيم، وأما أعداء الرسل فإنهم قد عدلوا عن ذلك.

وقوله: «**فإنه الصراط المستقيم**» تعليلٌ لقوله: «**فلا عدول لأَهْل السُّنَّة**» أي: لأن ما جاء به المرسلون هو الصراط المستقيم، والصراط المستقيم هو الطريق المعتدل الذي لا تعدُّد فيه ولا انقسام، وهو المذكور في قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة : ٦]، وقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: الآية: ١٥٣]، وهو الذي ندعو الله في كل ركعة من صلواتنا أن يهدينا إليه(١).

ولا يُوَفَّق لهذا الصِّراط المستقيم ولا يَثبت عليه إلا مَن أطاع الله ورسوله؛ قال الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: الآية: ٦٩]

قال العلامة السِّعْدي رحمه الله: «**﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾، أي: النعمة العظيمة التي تقتضي الكمال والفلاح والسعادة. ﴿من النبيين﴾ الذين فضَّلهم اللهُ بوحيه، واختصهم بتفضيلهم بإرسالهم إلى الخلق ودعوتهم إلى الله تعالى. ﴿والصدِّيقين﴾، وهم: الذين كَمُلَ تصديقهم بما جاءت به الرسل، فعلموا الحق، وصدَّقوه بيقينهم، وبالقيام به قولًا**

(١) انظر: «شرح الواسطية» للفوزان «ص٢٢».

وعملًا وحالًا ودعوة إلى الله ﴿والشهداء﴾الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله فَقُتِلُوا.﴿والصالحين﴾ الذين صَلُحَ ظاهرُهم وباطنُهم، فصلحت أعمالهم، فكل مَن أطاع الله تعالى كان مع هؤلاء في صحبته.﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾بالاجتماع بهم في جنَّات النعيم والأُنْس بقربهم في جِوَار ربِّ العَالمين.

﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ﴾ الذي نالوه ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ فهو الذي وَفَّقهم لذلك، وأعانهم عليه، وأعطاهم من الثواب ما لا تبلغه أعمالهم.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ يعلم أحوال عباده ومَن يستحق منهم الثواب الجزيل، بما قام به من الأعمال الصالحة التي تَواطأ عليها القلبُ والجوارحُ»[(١)].

فأَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ هداهم الله لمعرفة هذا الطريق الذي هو الصِّراطُ المستقيمُ صراطُ الذين أنعم الله عليهم، ووفَّقَهم للثبات عليه، وبلزومهم لهذا الطريق النَّافع تَمَّت لهم النعمة، وصحَّت عقائدُهم، وكَمُلَتْ أخلاقُهم، أمَّا مَن سلك غير هذا السبيل فإنه مُنحرفٌ في عقيدته وأخلاقه وآدابه[(٢)].

---

(١) «تفسير السعدي» «ص ١٨٥».

(٢) انظر «التنبيهات اللطيفة» للسعدي «ص٢١».

١٤- تفسير سورة الإخلاص

[١٤]- قال المصنف رحمه الله: «**وقد دَخَلَ في هذه الجُملة: ما وصف اللهُ به نفسَه في سورة الإخلاص، التي تَعدل ثلثَ القرآن، حيث يقول:** ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ «١» اللَّهُ الصَّمَدُ «٢» لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ «٣» وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ «٤»﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

الشرح

ذكر العلَّامةُ ابنُ عثيمين في بيان المراد بقول المصنف: «**وقد دخل في هذه الجملة**»- احتمالين فقال: «**يحتمل أنه يريد بها قوله: «وهو قد جمع فيما وَصَفَ وسَمَّى به نفسَه بين النفي والإثبات**»، ويحتمل أن يريد ما سبق مِن أنَّ أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة يصفون الله تعالى بما وصف به نفسَه وما وصفه به رسولُه، وأيًا كان فإن هذه السورة وما بعدها داخلةٌ في ضمن ما سبق من أنَّ اللهَ- تعالى- جَمَع فيما وَصَفَ وسَمَّى به نفسَه بين النفي والإثبات، وأن أَهْل السُّنَّة يؤمنون بذلك»[(١)].

ولعلَّ سورةَ الإخلاص قد سُمِّيت بهذا الاسم؛ لأنَّها تخلص الإخبار عن الله، أي: تُمَحِّضه وتُبَيِّنه. وبها يُخلص قارئها التوحيد ويتخلى عن الشرك. وتخلص السورة صاحبها يوم القيامة من العذاب أو من الخلود في النار.

وقد ذكر الحافظ ابنُ حجر رحمه الله سببَ تسميتها بسورة الإخلاص، وبَيَّن لماذا تعدل ثلث القرآن؟ فقال: «**عادَلَت ثُلُثَ القرآن؛ لأن القرآن خبر وإنشاء، والإنشاء: أمر ونهي وإباحة. والخبر خبر عن الخالق، وخبر عن خلقه؛ فَأَخْلَصَت سورةُ الإخلاص الخبرَ عن الله، وخلَّصَتْ قارئَها من الشِّرك الاعتقادي**»[(٢)].

وكذلك قال العلَّامة ابن القَيِّم رحمه الله «**ولهذا كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؛**

---

(١) «شرح الواسطية» لابن عثيمين «ص١٢٧».

(٢) «فتح الباري» «٩/ ٦١».

لأنها أخلصت الإخبارَ عن الرب تعالى وصفاته، دون خلقه وأحكامه وثوابه وعقابه»[(١)].

ودليل ذلك: ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلًا سمع رجلًا يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ رِدّدها، فلما أصبح جاء إلى الرسول ﷺ، فذكر ذلك له– وكأن الرجل يتقالُّها– فقال رسول الله ﷺ: «**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنها لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن**»[(٢)].

وروى أبو الدَّرْدَاء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَيَعْجِزُ أحدُكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟**». قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: ﴿قل هو الله أحد﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن»[(٣)].

وروي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سَرِيَّةٍ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته، فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ١] فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «**سَلُوهُ لأي شيءٍ يصنع ذلك؟**». فسألوه، فقال: لأنَّها صِفَةُ الرَّحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أنَّ اللهَ يُحِبُّه**»[(٤)].

فلما أحبَّ هذا الرجل المبارك هذه السورة المباركة؛ لأنها تشتمل على صفة الرحمن وتفرده بالوحدانية في الأسماء والصفات والأفعال– كان الجزاء أن أَحَبَّه الله تعالى، وتلك الغاية العظمى والأمنية التي ليس بعدها أُمنية.

وقد بَيَّن العلامةُ ابن القيم رحمه الله بعضَ ما اشتملت عليه هذه السورة العظيمة؛ فقال: «**سورةُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]: متضمنَّةٌ لتوحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباتُه للرب تعالى من الأَحَدِيَّةِ المنافية لمطلق المشاركة بوجه من الوجوه، والصَّمِدِيَّة المثبتة له جميع صفات الكمال التي لا يلحقها نقص بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد**

(١) «مختصر الصواعق» «ص١٢٥».

(٢) أخرجه البخاري في مواضع: «٥٠١٣»، و«٦٦٤٣»، و«٧٣٧٤».

(٣) أخرجه مسلم «٨١١».

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري «٧٣٧٥» ومسلم «٨١٣».

الذي هو من لوازم الصَّمَدِيَّة، وغِنَاهُ وأَحَدِيَّتَهُ، ونفي الكفءِ المتضمِّن لنفي التشبيه والتَّمْثِيل والتَّنْظِير.

فتضمَّنت هذه السورةُ إثباتَ كلِّ كمالٍ له، ونفي كل نقص عنه، ونفي إثبات شبيه أو مثيل له في كماله، ونفي مطلقِ الشَّريك عنه، وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يباين صاحبُه جميعَ فِرَقِ الضَّلَالِ والشِّرْكِ؛ ولذلك كانت تعدلُ ثُلُثَ القرآنِ»(١).

وأمَّا عن تفسير هذه السورة الكريمة فقد قال الحافظُ ابنُ كثير:

«قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١] «يعني: هو الواحد الأحد الذي لا نظير له، ولا وَزِيرَ، ولا نَدِيد، ولا شَبِيه، ولا عديل، ولا يُطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

وقوله: ﴿الله الصمد﴾.

قال عكرمة، عن ابن عباس: يعني: الذي يَصمد الخلائقُ إليه في حوائجهم ومسائلهم.

قال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو السَّيد الذي قد كَمُل في سؤدده، والشريف الذي قد كَمُل في شرفه، والعظيم الذي قد كَمُل في عظمته، والحليم الذي قد كَمُل في حِلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كَمُل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشَّرف والسُّؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صِفته لا تَنبغي إلا له، ليس له كفءٌ، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار.

وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ «٣» وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ «٤»﴾ [الإخلاص: الآيتان: ٣ - ٤].

أي: ليس له ولدٌ ولا والدٌ ولا صاحبةٌ.

قال مجاهد: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ٤] يعني: لا صاحبةَ له.

(١) «زاد المعاد» «١/ ٣١٦».

وهذا كما قال تعالى: ﴿بديع السماوات والأرض أنَّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠١]، أي: هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له مِن خلقه نَظير يُساميه، أو قريب يُدانيه، تعالى وتقدس وتنزه؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا «**٨٨**» لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا «**٨٩**» تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا «**٩٠**» أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا «**٩١**» وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا «**٩٢**» إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا «**٩٣**» لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا «**٩٤**» وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا «**٩٥**»﴾ [مريم: الآيات: ٨٨ - ٩٥]، وقال تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ [الأنبياء: الآيتان: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون﴾ [الصافات: الآيتان: ١٥٨، ١٥٩].

وفي «صحيح البُخاري»: «**لا أحدَ أصبرُ على أذى سَمِعه من الله؛ إنَّهم يجعلون له ولدًا، وهو يَرزقهم ويُعافيهم**»[(١)].

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: كَذبني ابنُ آدم ولم يكن له ذلك، وشَتمني ولم يكن له ذلك؛ فأمَّا تَكذيبه إيَّاي فقوله: لَن يُعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ مِن إعادته. وأمَّا شتمه إيَّاي فقوله: اتَّخذ الله ولدًا. وأنا الأحدُ الصَّمَدُ الَّذي لم يَلد ولم يُولد ولم يكن له كفوًا أحدٌ**»[(٢)][(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري «٦٠٩٩» من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم «٣١٩٣»، وبرقم «٤٩٧٤» .

(٣) «تفسير ابن كثير» بتصرف واختصار «٨/٥٢٩».

١٥- تفسير آية الكرسي

[١٥]- قال المصنف رحمه الله: وما وَصَفَ به نَفْسَهُ في أعظم آية في كتابه؛ حيث يقول: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ولهذا كان مَن قَرأ هذه الآية في ليلةٍ- لَم يَزل عليه من الله حافظٌ، ولا يَقربه شيطانٌ حتَّى يُصبح».

الشرح

ثم قال المِصَنِّفُ: «**وما وَصَفَ به نَفْسَهُ في أعظم آية في كتابه**»، يعني: آية الكرسي، والدَّليلُ على أنَّها أعظمُ آية في كتاب الله: هو ما رواه أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المُنْذِر، أَتَدْرِي أيَّ آيةٍ مِن كتاب الله معك أعظم؟**». قال: قلت: اللهُ ورسوله أعلم، قال: «**يا أبا المُنْذِر، أَتَدْرِي أيَّ آيةٍ من كتاب الله معك أعظم؟**». قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة : ٢٥٥] قال: فضرب في صدري، وقال: «**واللهِ، لِيَهْنِكَ العلمُ أبا المُنْذِرِ**»[١].

وسُمِّيَت آية الكرسي؛ لأنَّ الله جل جلاله ذَكَر صفة كُرسيّه فيه.

وقد تضَمَّنت هذه الآيةُ الجليلةُ أسماءً حُسنى وصفاتٍ عُلاَ لله تَباركت أسماؤه وتقدست صفاته؛ بَيَّنها بالتفصيل العَلَّامة ابنُ عُثيمين رحمه الله؛ فقال: «**وهذه الآية تتضمَّن من أسماء الله خمسة، وهي: «الله، الحي، القيوم، العَلِي، العظيم»**.

وتتضمن من صفات الله ستًّا وعشرين صفة، منها خمس صفات تتضمنها هذه الأسماء.

والسادسة: انفراده بالألوهية.

السابعة: انتفاء السِّنَة والنَّوم في حقِّه؛ لكمال حياته وقَيُّومِيَّتِهِ.

---

(١) أخرجه مسلم «٨١٠».

الثامنة: عموم ملكه؛ لقوله: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة : ٢٥٥]

التاسعة: انفراد الله عز وجل بالملك، ونَأْخُذُهُ مِن تقديم الخبر.

العاشرة: قوَّة السلطان وكماله؛ لقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٥]

الحادية عشرة: إثبات العِنْدِيَّة، وهذا يدلُّ على أنه ليس في كلِّ مكان، ففيه الردُّ على الحلولية.

الثانية عشرة: إثبات الإذن من قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

الثالثة عشرة: عموم علم الله تعالى؛ لقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥].

الرابعة عشرة والخامسة عشرة: أنه سبحانه وتعالى لا يَنسى ما مضى؛ لقوله: ﴿وما خلفهم﴾، ولا يَجهل ما يستقبل؛ لقوله ﴿ما بين أيديهم﴾

السادسة عشرة: كمال عظمة الله؛ لعجز الخلق عن الإحاطة به.

السابعة عشرة: إثبات المشيئة؛ لقوله ﴿إلا بما شاء﴾

الثامنة عشرة: إثبات الكرسي، وهو موضع القدمين.

التاسعة عشرة والعشرون والحادية والعشرون: إثبات العظمة والقوة والقدرة؛ لقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥] لأن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق.

الثانية والثالثة والرابعة والعشرون: كمال علمه ورحمته وحفظه، من قوله: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة : ٢٥٥]

الخامسة والعشرون: إثبات علو الله؛ لقوله: ﴿وهو العلي﴾...

«**السادسة والعشرون: إثبات العظمة لله عز وجل؛ لقوله: ﴿العظيم﴾**»[١].

---

(١) «شرح الواسطية لابن عثيمين «ص١٤١- ١٤٦».

وأمَّا تفسير آية الكرسي فقد جاء في «تفسير ابن كثير»: أنَّ هذه الآية مشتملةٌ على عشر جُمَلٍ مستقلَّة، فقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥] إخبارٌ بأنه المتفرِّد بالإلهيةِ لجميع الخلائق.

﴿الحي القيوم﴾ أي: الحيُّ في نفسه الذي لا يموت أبدًا، القَيّمُ لغيره.

وكان عُمَرُ يقرأ «**القَيَّام**»، فجميع الموجودات مفتقرة إليه، وهو غني عنها، لا قوام لها بدون أمره، كقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: الآية: ٢٥]

وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]، أي: لا يعتريه نقصٌ ولا غَفلة ولا ذُهول عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية، ومن تمام القَيُّومِيَّة أنه لا يَعْتَرِيهِ سِنَةٌ ولا نومٌ، فقوله ﴿لا تأخذه﴾ أي: لا تغلبه سِنَةٌ، وهي الوَسَنُ والنُّعَاسُ، ولهذا قال: ولا نومٌ؛ لأنه أقوى مِن السِّنَةِ.

وفي الصَّحيح عن أبي مُوسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات، فقال: «**إن الله لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إليه عملُ النهار قبل عمل الليل، وعملُ الليل قبل عمل النهار، حِجَابُهُ النورُ– أو النارُ– لو كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(١).

وقوله: ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾: إخبارٌ بأن الجميعَ عبيدُه وفي مُلكه وتحت قهره وسلطانه، كقوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا «**٩٣**» لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا «**٩٤**» وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا «**٩٥**»﴾ [مريم: الآيات: ٩٣ – ٩٥]

وقوله: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٥] كقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: الآية:

---

(١) أخرجه مسلم «١٧٩».

٢٦]، وكقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٨] وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل أنه لا يَتَجَاسَرَ أحدٌ على أن يشفع لأحدٍ عنده إلا بإذنه له في الشَّفَاعة، كما في حديث الشفاعة: «**آتي تحت العرش فَأَخِرُّ سَاجِدًا، فيدعني ما شاء الله أن يَدَعَني، ثم يُقَالُ: ارفع رأسَك، وَقُلْ تُسْمَع، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ- قال-: فيحدُّ لي حَدًا فأُدخلهم الجنةَ**»(١).

وقوله: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾: دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها، كقوله- إخبارًا عن الملائكة-: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: الآية: ٦٤]

وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]، أي: لا يطَّلِعُ أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه، كقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]، ثم ذكر الأقوال الواردة في ذلك، وصَحَّحَ أنَّ الكرسي موضع القدمين، وأنَّه غير العرش، وأنَّ العرش أكبر منه، كما دَلَّت على ذلك الآثار والأخبار.

وقوله ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]، أي: لا يُثْقِلُهُ ولا يُكْرِثُهُ حفظُ السماوات والأرض ومَن فيهما، ومَن بينهما، بل ذلك سهلٌ عليه يسيرٌ لديه، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيبُ على جميع الأشياء، فلا يَعْزُبُ عنه شيءٌ ولا يغيب عنه شيءٌ.

والأشياءُ كلُّها حقيرةٌ بين يديه، الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وهو القاهر لكل شيءٍ، الحسيب على كل شيءٍ، الرَّقيبُ العليُّ العظيمُ، لا إله غيرُه، ولا رَبَّ سِوَاهُ، فقوله: ﴿وهو العلي العظيم﴾ كقوله: ﴿الكبير المتعال﴾ [الرعد: الآية: ٩]، وهذه الآيات وما في

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في مواضع: «٤٤٧٦»، و«٤٧١٢»، و«٦٥٦٥»، و«٧٤١٠»، و«٧٤٤٠»، و«٧٥١٠»، وأخرجه مسلم «١٩٣» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

معناها من الأحاديث الصحاح الأَجْوَدُ فيها طريقةُ السَّلَفِ الصالحِ: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ ولا تَشْبِيهٍ[(١)].

ثم ذكر المصنفُ رحمه الله أنَّ فضائل آية الكرسي: أنَّ مَن قرأها كل ليلة «**لَمْ يَزل عليه من الله حافظٌ، ولا يَقربه شيطانٌ حتَّى يُصبح**»، ويشير بهذا إلى ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: «**وَكَّلني رسول الله ﷺ بحفظِ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ؛ فجعل يَحثو من الطعام فأخذتُه، وقلتُ: والله لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج، وعليَّ عيال، ولي حاجة شديدة! قال: فخَلَّيت عنه، فأصبحتُ، فقال النبي ﷺ**: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرُك البارحة؟**». قال: قلتُ: يا رسول الله، شَكَا حاجة شديدة وعيالًا؛ فَرَحِمتُه، فخَلَّيت سبيله. قال: «**أَمَا إنَّه قَد كَذَبك، وسيعودُ**»، فعرفتُ أنه سيعود؛ لقول رسول الله ﷺ: إنَّه سيعود، فرصدتُه، فجاء يحثو من الطعام، فأخذتُه، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ! قال: دعني؛ فإني محتاجٌ وعليَّ عيال، لا أعود! فرحمتُه، فخَلَّيت سبيله، فأصبحتُ، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرُك؟**»، قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالًا؛ فرحمتُه، فخَلَّيت سبيله، قال: «**أما إنَّه قد كذبك وسيعود**»، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنَّك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات، أنك تزعم لا تعود، ثم تعود! قال: دعني أُعَلِّمْك كلمات يَنفعك اللهُ بها! قلت: ما هو؟ قال: إذا أَوَيت إلى فراشك، فاقرأ آيةَ الكرسي: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حتى تَختم الآية، فإنَّك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يَقرَبَنَّك شيطانٌ حتى تُصبح. فخَلَّيت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فعلَ أسيرُك البارحة؟**». قلت: يا رسول الله، زعم أنه يَعلمني كلمات يَنفعني الله بها، فخَلَّيت سبيله، قال: «**ما هي؟**». قلت: قال لي: إذا أَوَيت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تَختم الآية: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال لي: لن يزال عليك مِن الله حافظ، ولا يَقربك شيطانٌ حتى تصبح -وكانوا أحرصَ شيء على الخير- فقال

(١) «تفسير ابن كثير» «١/ ٦٧٨- ٦٨٢» بتصرف واختصار.

النبي ﷺ: «**أَمَا إنَّه قَد صَدَقك وهو كذوبٌ، تَعلم مَن تُخاطب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة؟**». قال: لا. قال: «**ذاكَ شَيطانٌ**»[١].

الأقوال في الكرسي

جاء ذكر الكرسي في موضع واحد في القرآن الكريم وهو قوله تعالى ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ [البقرة ٢٥٥].

وهذه الآية هي أفضل الآي، وقد سميت بآية الكرسي، وقد تضمنت العديد من المعاني، قال ابن القيم في شرحها: «**ففي آية الكرسي ذكر الحياة التي هي أصل جميع الصفات، وذكر معها قيوميته المقتضية لدوامه وبقائه وانتفاء الآفات جميعها عنه، ومنها النوم والسنة والعجز وغيرها، ثم ذكر كمال ملكه، ثم عقبه بذكر وحدانيته في ملكه وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ثم ذكر سعة علمه وإحاطته، ثم عقبه بأنه لا سبيل للخلق إلى علم شيء من الأشياء إلا بعد مشيئته لهم أن يعلموه، ثم ذكر سعة كرسيه منبهاً على سعته سبحانه وعظمته وعلوه، وذلك توطئة بين يدي علوه وعظمته، ثم أخبر عن كمال اقتداره وحفظه للعالم العلوي والسفلي من غير اكتراث ولا مشقة ولا تعب**»[٢].

وأما الأحاديث والآثار الواردة في الكرسي فهي كثيرة جداً.

وقد تعددت الأقوال واختلفت في الكرسي كما تعددت واختلفت من قبل في العرش.

والأقوال في الكرسي هي:

القول الأول: أن المراد بالكرسي: العلم.

---

(١) أخرجه البخاري «٢٣١١».

(٢) انظر مختصر الصواعق «١/٢٨٨».

وهذا القول هو قول الجهمية [١]، فقد أولوا الكرسي بمعنى العلم كما أولوا العرش بمعنى الملك، وكل ذلك فراراً منهم عن إثبات علو الله واستوائه على عرشه وقد استدلوا بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾، قال: «**كرسيه علمه**» [٢].

وهذا القول قد رجحه الطبري بقوله: «**وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن، فقول ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد ابن جبير عنه أنه قال: هو علمه**» [٣].

القول الثاني: أن المراد بالكرسي هو العرش نفسه.

وهذا القول مروي عن الحسن البصري، فقد روى ابن جرير بسنده عن جويبر عن الضحاك قال: كان الحسن يقول: «**الكرسي هو العرش**»، وقد مال ابن جرير إلى هذا القول [٤]، واعتمد في ذلك على حديث عبد الله بن خليفة قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: أدع الله أن يدخلني الجنة، فعظم الرب تعالى ذكره، ثم قال: «**إن كرسيه وسع السماوات والأرض وإنه**

---

(١) انظر التنبيه والرد «ص١٠٤»، والكشاف «١/٣٨٥-٣٨٦»، ومجموع الفتاوى «٥/٦٠»، والرد على بشر المريسي «ص٧١»، وتفسير روح المعاني «٣/١٠».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره «٣/٩».

وعبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة «٢/١٦٧».

وابن منده في الرد على الجهمية «ص٤٥».

وأورده ابن كثير في تفسيره «١/٣٠٩»، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وجميعهم من طريق مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه، وهو حديث غير صحيح.

وقال الدارمي: «هو من رواية جعفر الأحمر، وليس جعفر ممن يعتمد على روايته إذا قد خالفه الرواة المتقنون».

وقال ابن منده: «لم يتابع عليه جعفر وليس هو بالقوي في سعيد بن جبير».

(٣) تفسير الطبري «٣/١١».

(٤) في كلام ابن جرير في هذه المســـألة تناقض، فقد ذكر أولاً أن هذا القول هو أولى بتأويل الآية، ثم نقض كلامه فقال: «أما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس أنه علم الله سبحانه»، وقد تكلم محمود شاكر في تعليقه على تفسير الطبري على هذا التناقض وبين عدم أرجحية كلا القولين. انظر تفسير الطبري «٥/٤٠١» طبعة دار المعارف المصرية.

ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع، ثم قال بأصابعه فجمعها: وإن له أطيط كأطيط الرحل الجديد إذا ركب من ثقله" [(١)].

---

(١) أخرجه الدارمي في الرد على المريسي «ص٧٤»، مرسلا. وابن أبي عاصم في السنة «١/٢٥١-٢٥٢، برقم ٥٧٤». وعبد الله بن أحمد في السنة «١/٣٠١، ح٥٨٥» موقوفا من قول عمر. وابن جرير في تفسيره «٣/١١» من طريق عبد الله بن أبي الزناد، قال: ثنا يحي بن أبي بكير، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة الهمداني، عن عمر. وقد أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد «١/٢٤٤، ٢٤٥ برقم ١٥٠» وقال: "وقد روى إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة أظنه عن عمر "-وذكره. وقال: حدثنا، يعقوب بن إبراهيم الدورقي، قال حدثنا يحي بن أبي بكير، قال: ثنا إسرائيل، قال أبو بكر: ما أدري، الشك والظن أنه عن عمر، هو من يحي بن أبي بكير، أم من إسرائيل. قد رواه وكيع بن الجراح مرسلاً ليس فيه ذكر عمر لا بيقين ولا ظن، وليس هذا الخبر من شرطنا، لأنه غير متصل الإسناد، لسنا نحتج في هذا الجنس من العلم بالمراسيل المنقطعات" اهـ. والبزار في مسنده «١/٤٥٧، برقم ٣٢٥». وأخرجه الدارقطني في الصفات «ص٤٨» موقوفا. وابن بطة في الإبانة «كتاب الرد على الجهمية» «٣/١٧٨-١٨٠». والخطيب في تاريخه «٨/٥٢» مرسلا. وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية «١/٥» وقال بعد سياقه للحديث: "هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناده مضطرب جدًا، وعبد الله بن خليفة ليس من الصحابة، فتارة يرويه ابن خليفة عن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتارة يقفه على عمر، وتارة يوقف على ابن خليفة" اهـ. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد «١/٨٤» وقال: "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح". وأورده ابن كثير في تفسيره «١/٣١٠» وعزاه للبزار في مسنده، وعبد بن حميد، وابن جرير في تفسيرهما، والطبراني، وابن أبي عاصم في كتاب السنة لهما، والحافظ الضياء في كتاب المختارة. وقال ابن كثير: "من حديث أبي إسحاق السبيعي، عن عبد الله بن خليفة وليس بذاك المشهور، وفي سماعه من عمر نظر، ثم منهم من يرويه عن عمر موقوفاً، ومنهم من يرويه عن عمر مرسلاً، ومنهم من يزيد في متنه زيادة غريبة ومنهم من يحذفها" اهـ. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "حديث عبد الله بن خليفة المشهور الذي يروى عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي في "مختاره". وطائفة من أهل الحديث ترده لاضطرابه، كما فعل ذلك أبو بكر الإسماعيلي، وابن الجوزي، وغيرهم. لكن أكثر أهل السنة قبلوه. وفيه قال "إن عرشه" أو "كرسيه" "وسع السموات والأرض، وإنه يجلس عليه فما يفضل منه قدر أربع أصابع" أو "فما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع" "وإنه ليئط به أطيط الرحل الجديد براكبه". ولفظ «الأطيط» قد جاء في حديث جبير بن مطعم. الذي رواه أبو داود في السنن. وابن عساكر عمل فيه جزءاً، وجعل عمدة الطعن في ابن إسحاق. والحديث قد رواه علماء السنة كأحمد، وأبي داود، وغيرهما، وليس فيه إلا ما له شاهد من رواية أخرى. ولفظ "الأطيط" قد جاء في غيره. وحديث ابن خليفة رواه الإمام أحمد وغيره مختصراً، وذكر أنه حدث به وكيع. لكن كثيراً ممن رواه رووه بقوله: "إنه ما يفضل منه إلا أربع أصابع"، فجعل العرش يفضل منه أربعة أصابع. واعتقد القاضي، وابن الزاغوني، ونحوهما، صحة هذا اللفظ، فأمروه وتكلموا على معناه بأن ذلك القدر لا يحصل عليه الاستواء. وذكر عن ابن العايذ أنه قال: "هو موضع جلوس محمد صلى الله عليه وسلم". والحديث قد رواه ابن جرير الطبري في تفسيره وغيره، ولفظه "وإنه ليجلس عليه، فما يفضل منه قدر أربع أصابع" بالنفي. فلو لم يكن في الحديث إلا اختلاف الروايتين -هذه تنفي ما أثبتت هذه-. ولا يمكن مع ذلك الجزم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الإثبات، وأنه يفضل من العرش أربع أصابع لا يستوي عليها الرب. وهذا معنى غريب ليس له قط شاهد في شيء من الروايات. بل هو يقتضي أن يكون العرش أعظم من الرب وأكبر. وهذا باطل، مخالف =

القول الثالث: أن المراد بالكرسي قدرته التي يمسك بها السماوات والأرض(١)

ويقول هؤلاء: إن العرب تسمي أصل كل شيء الكرسي، كقولك: اجعل لهذا الحائط

للكتاب والسنة، وللعقل. ويقتضي أيضاً أنه إنما عرف عظمة الرب بتعظيم العرش المخلوق وقد جعل العرش أعظم منه. فما عظم الرب إلا بالمقايسة بمخلوق وهو أعظم من الرب. وهذا معنى فاسد، مخالف لما علم من الكتاب والسنة والعقل. فإن طريقة القرآن في ذلك أن يبين عظمة الرب، فإنه أعظم من كل ما يعلم عظمته. فيذكر عظمة المخلوقات ويبين أن الرب أعظم منها. كما في الحديث الآخر الذي في سنن أبي داود، والترمذي، وغيرهما «حديث الأطيط» لما قال الأعرابي: "إنا نستشفع بالله عليك، ونستشفع بك على الله تعالى، فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال: "ويحك! أتدري ما تقول؟ أتدري ما الله؟ شأن الله أعظم من ذلك. إن عرشه على سمواته هكذا" -وقال بيده مثل القبة-"وإنه ليأط به أطيط الرحل الجديد براكبه". فبين عظمة العرش، وأنه فوق السموات مثل القبة. ثم بين تصاغره لعظمة الله، وأنه يأط به أطيط الرحل الجديد براكبه، فهذا فيه تعظيم العرش، وفيه أن الرب أعظم من ذلك كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أتعجبون من غيرة سعد! لأنا أغير منه، والله أغير مني". وقال: "لا أحد أغير من الله. من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن". ومثل هذا كثير. وهذا وغيره يدل على أن الصواب في روايته النفي، وأنه ذكر عظمة العرش، وأنه مع هذه العظمة فالرب مستوٍ عليه كله لا يفضل منه قدر أربعة أصابع. وهذه غاية ما يقدر به في المساحة من أعضاء الإنسان، كما يقدر في الميزان قدره فيقال: «ما في السماء قدر كف سحاباً». فإن الناس يقدرون الممسوح بالباع والذراع، وأصغر ما عندهم الكف. فإذا أرادوا نفي القليل والكثير قدروا به، فقالوا: «ما في السماء قدر كف سحاباً»، كما يقولون في النفي العام ﴿إِنَّ الله لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ و ﴿لاَ يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾، ونحو ذلك. فبين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يفضل من العرش شيء ولا هذا القدر اليسير الذي هو أيسر ما يقدر به وهو أربعة أصابع. وهذا معنى صحيح موافق للغة العرب، وموافق لما دل عليه الكتاب والسنة، موافق لطريقة بيان الرسول صلى الله عليه وسلم، له شواهد. فهو الذي يجزم بأنه في الحديث. ومن قال: «ما يفضل إلا مقدار أربع أصابع» فما فهموا هذا المعنى، فظنوا أنه استثنى، فاستثنوا، فغلطوا. وإنما هو توكيد للنفي وتحقيق للنفي العام. وإلا فأي حكمة في كون العرش يبقى منه قدر أربع أصابع خالية، وتلك الأصابع أصابع من الناس، والمفهوم من هذا أصابع الإنسان. فما بال هذا القدر اليسير لم يستو الرب عليه؟ والعرش صغير في عظمة الله تعالى. وقد جاء حديث رواه ابن أبي حاتم في قوله ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَار﴾ لمعناه شواهد تدل على هذا فينبغي أن نعتبر الحديث، فنطابق بين الكتاب والسنة. فهذا هذا والله أعلم. قال حدثنا أبو زرعة، ثنا منجاب بن الحارث، أنبأ بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾، قال: "لو أن الجن والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا، صفوا صفاً واحداً ما أحاطوا بالله أبداً". وهذا له شواهد، مثل ما في الصحاح في تفسير قوله تعالى ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، قال ابن عباس: "ما السموات السبع والأراضون السبع ومن فيهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم". ومعلوم أن العرش لا يبلغ هذا، فإن له حملة وله حول. قال تعالى ﴿الَذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ ". اهـ. مجموع الفتاوى «١٦/٤٣٤-٤٣٩». وانظر المسألة كذلك في منهاج السنة «٢/٦٢٨-٦٣١».

(١) انظر تفسير القرطبي «٣/٢٧٦»، تهذيب اللغة «١٠/٥٣»، أقاويل الثقات في تأويل آيات الأسماء والصفات «ص١١٦»، لسان العرب «٦/١٩٤».

كرسياً، أي اجعل له ما يعمده ويمسكه [(١)].

القول الرابع: أن الكرسي هو الفلك الثامن، أو ما يسمونه فلك البروج، أو فلك الكواكب الثوابت [(٢)].

وقد قال بهذا القول بعض المتكلمين في علم الهيئة من الفلاسفة المنسوبين للمسلمين كابن سينا وغيره وهؤلاء هم الذين قالوا أن العرش هو الفلك التاسع.

القول الخامس: إن الكرسي جسم عظيم مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه، وهو موضع القدمين للبارئ عز وجل [(٣)].

وهذا القول هو مذهب السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم واقتدى بسنتهم، وهذا هو ما دل عليه القرآن والسنة والإجماع ولغة العرب التي نزل القرآن بها.

فالأحاديث والآثار الثابتة على هذا وبينته بياناً واضحاً لا يدعو إلى الشك أو الارتياب، ومن تلك الأحاديث والآثار:

حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت رسول الله ﷺ وحده فجلست إليه، فقلت يا رسول الله: أيما أنزل عليك أفضل؟ قال: «آية الكرسي، وما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة" [(٤)].

وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة «رقم١٠٩» بعد أن سرد الطرق لهذا الحديث: «وجملة القول إن الحديث بهذه الطرق صحيح، والحديث خرج مخرج التفسير

---

(١) تفسير القرطبي «٣/٢٧٦»، غرائب القرآن ورغائب الفرقان «٣/١٨»

(٢) كتاب الكليات «٤/١٢٢»، البداية والنهاية «١/١٤»، تفسير ابن كثير «١/٣١٠».

(٣) الفتاوى «٥/٥٤»، تفسير ابن كثير «١/٣٠٩»، أقاويل الثقات «١١٦»، الأسماء والصفات «٥١٠»، شرح العقيدة الطحاوية «ص٣١٣».

(٤) تقدم تخريجه ص٢٤٦.

لقوله تعالى ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ وهو صريح في كون الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه قائم بنفسه وليس شيئاً معنوياً وفيه رد على من تأوله بمعنى الملك وسعة السلطان».

وأيضاً ما جاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾، قال: «**الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره أحد**» [(١)].

وهذا ثابت عن ابن عباس في تفسير معنى الكرسي الوارد في الآية، وهذا القول في الكرسي نقل عن كثير من الصحابة والتابعين منهم ابن مسعود [(٢)]، وأبو موسى الأشعري [(٣)]، ومجاهد [(٤)]، وغيرهم، ولذلك فقد ذكر كثير من العلماء أن هذا القول في الكرسي قد حصل عليه إجماع السلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**الكرسي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف**» [(٥)]، وقال شارح العقيدة الطحاوية: «**وإنما هو –الكرسي– كما قال غير واحد من السلف بين يدي العرش كالمرقاة إليه**» [(٦)].

وقال محمد بن عبد الله بن زمنين: «**ومن قول أهل السنة أن الكرسي بين يدي العرش**

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) تقدم تخريج الأثر الوارد عنه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش برقم «٦٠». وعبد الله بن أحمد في السنة «ص١٤٣، ٧٠» عن أبيه. وابن جرير في تفسيره «٩/٣» عن علي بن مسلم الطوسي. وابن منده في الرد على الجهمية «ص٤٦» عن علي بن مسلم. والبيهقي في الأسماء والصفات «ص٥٠٩-٥١٠» عن هارون بن عبد الله. كلهم عن عبد الصمد بن عبد الوارث به. وأورده الذهبي في العلو «ص٨٤». وقال الألباني في مختصر العلو «ص١٢٣-١٢٤»: «رجاله كلهم ثقات معروفون».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش برقم «٤٥». والدارمي في الرد على بشر المريسي «ص٧٤». وعبد الله بن أحمد في السنة «ص٧١». والبيهقي في الأسماء والصفات «ص٥١١». وأورده الذهبي في العلو «ص٩٤». وأورده ابن حجر في فتح الباري «٤١١/١٣» وقال: «أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره بسند صحيح عنه.

(٥) الفتاوى «٥٨٤/٦».

(٦) شرح العقيدة الطحاوية «ص٣١٣».

وأنه موضع القدمين» [(١)].

وقال القرطبي: «**والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه»** [(٢)].

كما أن أهل اللغة لا يعرفون معنى الكرسي غير هذا المعنى، قال الزجاج: «**والذي نعرفه من الكرسي في اللغة: الشيء الذي يعتمد ويجلس عليه، فهذا يدل على أن الكرسي عظيم دونه السماوات والأرض»** [(٣)].

وقال ثعلب: «**الكرسي ما تعرفه العرب من كراسي الملوك»** [(٤)].

ومن هذا كله يتبين لنا مدى صحة هذا القول وموافقته للكتاب والسنة وإجماع الأمة ومطابقته لما جاء في لغة العرب وأما الأقوال الأخرى فهي أقوال باطلة ومخالفة لما عليه جمهور أهل السنة من سلف الأمة وخلفها.

وأما ما استدل به أهل القول الأول من قول ابن عباس، فهو غير صحيح كما بيناه في تخريجه، والصحيح عن ابن عباس هو قوله: «**الكرسي موضع القدمين**. ...»، وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها.

وأما القول الثاني: إن الكرسي هو العرش نفسه، فلم يثبت عن الحسن البصري، لأن في إسناده جويبر وهو متفق على ضعفه، وقال فيه الحافظ ابن حجر: «**ضعيف جداً**».

وقال ابن كثير: «**رواه ابن جرير من طريق جويبر، وهو ضعيف، وهذا لا يصح عن الحسن بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره»** [(٥)].

---

(١) أصول السنة «ص٩٦».

(٢) تفسير القرطبي «٣/٢٧٦».

(٣) تهذيب اللغة «١٠/٥٣».

(٤) تهذيب اللغة «١٠/٥٣».

(٥) البداية والنهاية «١/١٣».

وقال البيهقي عند الكلام على هذا القول: «**هذا ليس بمرضي، والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه**» [(١)].

ومساندة ابن جرير الطبري لهذا القول غير صحيحة، لأن حديث عبد الله ابن خليفة ضعيف كما تقدم.

أما القول الثالث: فهو قول مخالف لما دلت عليه الأحاديث والآثار، ومخالف لما عليه الجمهور من أهل السنة والجماعة ومخالف للغة العربية، وهو تأويل باطل ترده الأحاديث، وهو أيضاً تكذيب بالكرسي، وتكذيب للأحاديث الصحيحة التي دلت على وجود الكرسي.

وأما القول الرابع: فيكفي في إثبات بطلانه أن جماعة من أنفسهم ردوا عليهم هذا القول كما ذكره ابن كثير وبالإضافة إلى ذلك فإن أصحاب هذا القول ليس لديهم أي دليل على قولهم هذا.

---

(١) الأسماء والصفات.

١٦- إثبات اسم الحي لله

[١٧]- قال المصنف رحمه الله: وقوله سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]،

الشرح

قال ابن عثيمين رحمه الله: وقوله: ﴿عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾: يقولون: إن الحكم إذا علق بوصف، دل على عليه ذلك الوصف.

لو قال قائل: لماذا لم تكن الآية: وتوكل على القوي العزيز، لأن القوة والعزة أنسب فيما يبدو؟!

فالجواب: أنه لما كانت الأصنام التي يعتمد عليها هؤلاء بمنزلة الأموات: كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠ - ٢١]، فقال توكل على من ليس صفته كصفة هذه الأصنام وهو الحي الذي لا يموت، على أنه قال في آية أخرى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: الآية: ٢١٧]، لأن العزة أنسب في هذا السياق.

ووجه آخر: أن الحي اسم يتضمن جميع الصفات الكاملة في الحياة، ومن كمال حياته عز وجل أنه أهل لأن يعتمد عليه.

وقوله ﴿لا يَمُوتُ﴾، يعني لكمال حياته لا يموت فيكون تعلقها بما قبلها المقصود به إفادة أن هذه الحياة كاملة لا يحلقها فناء.

في هذه الآية من أسماء الله: الحي، وفيها من صفاته: الحياة، وانتفاء الموت المتضمن لكمال الحياة، ففيها صفتان واسم[(١)].

ذهب بعض أهل العلم إلى أن اسم الله الحي مقرونا مع القيوم هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى. مستدلين بحديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١/ ١٨٧

الله عليه وسلم قال: «**إن اسم الله الأعظم لفي سور من القرآن ثلاث، البقرة وآل عمران وطه**»[١]. قال القاسم: -الراوي عن أبي أمامة- التمسته منها فعرفت أنه الحي القيوم. قال ابن تيمية رحمه الله: «**ولهذا كان أعظم آية في القرآن: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]، وهو الاسم الأعظم؛ لأنه استلزم جميع الصفات فلو اكتفى في الصفات بالتلازم لاكتفى بالحي**»[٢].. وقال ابن القيم رحمه الله: «**كان اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: آية الكرسي، وفاتحة آل عمران لاشتمالهما على صفة الحياة المصححة لجميع الصفات، وصفة القيومية المتضمنة لجميع الأفعال، ولهذا كانت سيدة آي القرآن وأفضلها**»[٣] وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «**وإنما كان الاسم الأعظم في اجتماع هذين الاسمين؛ لأنهما تضمنا جميع الأسماء الحسنى؛ فصفة الكمال في ﴿الحي﴾؛ وصفة الإحسان، والسلطان في ﴿القيوم﴾**»[٤] ولم يقترن اسم الله الحي إلا باسمه القيوم وذلك في ثلاثة مواضع: قول الله -عز وجل-: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]. وقوله -عز وجل-: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [آل عمران: الآية: ٢]. وقال -عز وجل-: ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما﴾ [طه: الآية: ١١١].

وقد بين ابن القيم رحمه الله وجه اقترانهما بقوله: «**عليهما مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما مرجع معانيها جميعها، فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفي كمال الحياة وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته،**

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم «٣٨٥٦» والطحاوي في مشـــكل الآثار برقم«١٧٧» والطبراني في الكبير برقم «٧٧٥٨»، والحاكم في المستدرك «١/ ٥٠٥»، والحديث حسنه المناوي كما في تحفة الذاكرين «ص ٧٠»، والألباني في السلسلة الصحيحة برقم«٧٤٦».

(٢) مجموع الفتاوى «٣١١/١٨»

(٣) مختصر الصواعق «١٢٧/١».

(٤) «تفسير: الفاتحة والبقرة» «٣/ ٢٥٧-٢٥٨».

فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة»[(١)] وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «**واعلم أن هذين الاسمين، أعني: الحي القيوم مذكوران في القرآن معا في ثلاث سور كما تقدم، وهما من أعظم أسماء الله الحسنى، حتى قيل: إنهما الاسم الأعظم، فإنهما يتضمنان إثبات صفات الكمال أكمل تضمن وأصدقه.... واقترانه بالحي يستلزم سائر صفات الكمال، ويدل على بقائها ودوامها، وانتفاء النقص والعدم عنها أزلا وأبدا. ولهذا كان قوله: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]. أعظم آية في القرآن، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم»**[(٢)] وقال السعدي رحمه الله:«**ف «الحي»**: الجامع لصفات الذات، و«**القيوم**» الجامع لصفات الأفعال»[(٣)]. وقال ابن عثيمين رحمه الله: «**وفي الجمع بين الاسمين الكريمين «الحي القيوم»** استغراق لجميع ما يوصف الله به بجميع الكمالات؛ ففي الحي: كمال الصفات، وفي القيوم: كمال الأفعال، وفيهما جميعا كمال الذات، فهو كامل الصفات والأفعال والذات» «**تفسير: آل عمران**» «**١/ ٧**».

الأدلة على الاسم من القرآن

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة آل عمران: الآية: ٢]

قال تعالى:: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥].

---

(١) بدائع الفوائد «٢/٤١٠».

(٢) «شرح الطحاوية» «١/ ٩٠-٩١».

(٣) «التفسير» ص«٩٤٨».

قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ سورة طه: ١١١

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: الآية: ٥٨].

قال تعالى: ﴿هو الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: الآية: ٦٥]

الأدلة على الاسم من السنة

عن أنس بن مالك: «**أنَّهُ كانَ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ جالسًا ورجلٌ يصلِّي ثمَّ دعا اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ بأنَّ لَكَ الحمدُ لا إلَهَ إلَّا أنتَ المنَّانُ بديعُ السَّمواتِ والأرضِ يا ذا الجلالِ والإِكرامِ يا حيُّ يا قيُّومُ فقالَ النَّبيُّ ﷺ لقد دعا اللَّهَ باسمِهِ العظيمِ الَّذي إذا دعيَ بِهِ أجابَ وإذا سئلَ بِهِ أعطى**»(١)

عن أنس بن مالك قال: «**قال رسولُ اللهِ ﷺ لفاطمةَ ما يمنعُكِ أن تسمعي ما أوصيكِ به أن تقولي إذا أصبَحْتِ وإذا أمسَيْتِ يا حَيُّ يا قيُّومُ برحمتِك أستغيثُ أصلِحْ لي شأني كلَّه ولا تكِلْني إلى نفسي طَرْفةَ عينٍ**»(٢)، قال الهيثمي: «**رجاله رجال الصحيح غير عثمان بن موهب وهو ثقة**»

عن زيد بن حارثة أن رسول الله قال: «**من قالَ: استَغفرُ اللَّهَ الَّذي لا إلَهَ إلَّا هوَ الحيَّ القيُّومَ، وأتوبُ إليهِ، غُفِرَ لَهُ، وإن كانَ قد فرَّ منَ الزَّحفِ**»(٣)

عن أسماء بنت يزيد عن النبي قال: «**اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**»(٤)

---

(١) سنن أبي داود «١٤٩٥»

(٢) مجمع الزوائد «١٠/١٢٠»

(٣) سنن أبي داود «١٥١٧»

(٤) سنن أبي داود «١٤٩٦»، سنن الترمذي «٣٤٧٨»

عن عبد الله بن عباس: «**أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يقول: اللهمَّ لك أسلمتُ. وبك آمنتُ. وعليك توكلتُ. وإليك أنبتُ. وبك خاصمتُ. اللهمَّ إني أعوذ بعزَّتِك، لا إله إلا أنت، أن تُضِلَّني. أنت الحيُّ الذي لا يموتُ. والجنُّ والإنسُ يموتون**»(١)

(١) صحيح مسلم «٢٧١٧»

١٧- إثبات صفة العلم لله

قال المصنف رحمه الله: وقوله سبحانه ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وقوله سبحانه: ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢] ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١]، ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]

الشرح

سيأتي الكلام على علم الله في الكلام على القدر في المسألة الخامسة: أركان الإيمان بالقدر

١٨- إثبات صفة القوة واسم الرزاق لله

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]

الشرح

قال ابن عثيمين رحمه الله: وفي هذه الآية إثبات صفة القوة لله عز وجل.

جاءت هذه الآية بعد قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: الآيتان: ٥٦ - ٥٧]، فالناس يحتاجون إلى رزق الله، أما الله تعالى، فإنه لا يريد منهم رزقًا ولا أن يطعموه.

﴿الرَّزَّاقُ﴾: صيغة مبالغة من الرزق، وهو العطاء، قال تعالى ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النساء: الآية: ٨]، أي: أعطوهم[(١)]

وقال محمد خليل هراس: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ ...﴾ إِلَخْ؛ تضـــمَّنَتْ إِثْبَاتَ اسْمِهِ الرَّزَّاق، وَهُوَ مُبَالَغَةٌ مِنَ الرِّزْقِ، وَمَعْنَاهُ: الَّذِي يَرْزُقُ عِبَادَهُ رِزْقًا بَعْدَ رِزْقٍ فِي إِكْثَارٍ وَسَعَةٍ.

وَكُلُّ مَا وَصَــلَ مِنْهُ سُــبْحَانَهُ مِنْ نفعٍ إِلَى عِبَادِهِ فَهُوَ رزقٌ؛ مُبَاحًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُبَاحٍ، عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ قَدْ جَعَلَهُ لَهُمْ قُوتًا وَمَعَاشًــا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِــقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِــيدٌ﴾ [ق: الآية: ١٠] وَقَالَ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: الآية: ٢٢].

إِلَّا أَنَّ الشَّــيْءَ إِذَا كَانَ مَأْذُونًا فِي تَنَاوُلِهِ؛ فَهُوَ حلالٌ حُكْمًا، وَإِلَّا كَانَ حَرَامًا، وَجَمِيعُ ذَلِكَ رزقٌ.

وَتَعْرِيفُ الْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ وَالْإِتْيَانُ فِيهَا بِضَمِيرِ الْفَصْلِ؛ لِإِفَادَةِ اخْتِصَاصِهِ سُبْحَانَهُ بِإِيصَالِ الرِّزْقِ إِلَى عِبَادِهِ[(٢)].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين ١/ ٢٠٢

(٢) شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص٩٥

١٩- إثبات صفتي السمع والبصر

[١٩]- قال المصنف رحمه الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]

الشرح

السمع والبصر صفتان دل عليهما الكتاب والسنة:

فمن الكتاب: قال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقال تعالى:﴿إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ [النساء: ٥٨].

ومن السنة:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يا أيها الناس! أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، ولكن تدعون سميعاً بَصيراً، إنَّ الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**».(١)

قالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ: «**السَّمْعُ والبَصَرُ يُطلَقُ بمَعْنى ما به يُسمَعُ ويُبصَرُ، وليس اللهُ عنْدَهم سَميعًا بَصيرًا بِهذا الاعْتِبارِ، وإن كانَ أهْلُ الإثْباتِ يَقولونَ بذلك، وإنَّما هو عنْدَهم مُجَرَّدُ الإدْراكِ فقط! فكيف يُقالُ: كانَ ثابِتًا في العَدَمِ غَيْرَ مُتَعلِّقٍ، وأنَّه لا يَتعلَّقُ إلَّا بالمَوْجودِ، وأنَّ تَعلُّقَه بالمَوْجودِ عَدَمٌ مَحْضٌ؟! هذه أقْوالٌ مَعْلومةُ الفَسادِ بالضَّرورةِ**»(٢).

وقالَ أيضًا: «**قد دَلَّ الكِتابُ والسُّنَّةُ واتِّفاقُ سَلَفِ الأُمَّةِ ودَلائِلُ العَقْلِ على أنَّه سَميعٌ بَصيرٌ، والسَّمْعُ والبَصَرُ لا يَتَعلَّقُ بالمَعْدومِ، فإذا خَلَقَ الأشْياءَ رَآها سُبْحانَه، وإذا دَعاه عِبادُه سَمِعَ دُعاءَهم وسَمِعَ نَجْواهم، كما قالَ تَعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: الآية: ١] أي: تَشْتَكي إليه، وهو يَسمَعُ التَّحاوُرَ، والتَّحاوُرُ تَراجُعُ الكَلامِ بَيْنَها وبَيْنَ الرَّسولِ، قالَتْ عائِشةُ: «سُبْحانَ**

---

(١) رواه البخاري: ٦٣٨٤

(٢) «التسعينية» «٣/ ٧٧٩».

الَّذي وَسِعَ سَمْعُه الأصْواتَ! لقد كانَتِ المُجادِلةُ تَشْتَكي إلى النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في جانِبِ البَيْتِ، وإنه ليخْفى عليَّ بَعْضُ كَلامِها، فأَنزَلَ اللهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: الآية: ١] »، وكما قالَ تَعالى لموسى وهارونَ: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦] ، وقالَ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٠][(١)] «.

وقال: «العَقْلُ الصَّريحُ يَدُلُّ على ذلك؛ فإنَّ المَعْدومَ لا يَرى ولا يَسمَعُ بصَريحِ العَقْلِ واتِّفاقِ العُقَلاءِ...، فإذا خَلَقَ العِبادَ وعَمِلوا وقالوا؛ فإمَّا أن نَقولَ: إنَّه يَسمَعُ أقْوالَهم ويَرى أعْمالَهم، وإمَّا لا يَرى ولا يَسمَعُ، فإنَّ نَفْيَ ذلك تَعْطيلٌ لهاتَينِ الصِّفتَينِ، وتَكْذيبٌ للقُرْآنِ، وهُما صِفتا كَمالٍ لا نَقْصَ فيه، فمَن يَسمَعُ ويُبصِرُ أَكمَلُ ممَّن لا يَسمَعُ ولا يُبصِرُ، والمَخْلوقُ يَتَّصِفُ بأنَّه يَسمَعُ ويُبصِرُ، فيَمْتنِعُ اتِّصافُ المَخْلوقِ بصِفاتِ الكَمالِ دونَ الخالِقِ سُبْحانَه وتَعالى! وقد عابَ اللهُ تعالى مَن يَعبُدُ مَن لا يَسمَعُ ولا يُبصِرُ في غَيْرِ مَوضِعٍ؛ ولأنَّه حَيٌّ، والحَيُّ إذا لم يَتَّصِفْ بالسَّمْعِ والبَصَرِ اتَّصَفَ بضِدِّ ذلك، وهو العَمى والصَّمَمُ، وذلك مُمْتنِعٌ...، إذا كانَ يَسمَعُ ويُبصِرُ الأقْوالَ والأعْمالَ بَعْدَ أن وُجِدَتْ فإمَّا أن يُقالَ: إنَّه تَجَدُّدُ شيءٍ، وإمَّا أن يُقالَ: لم يَتَجَدَّدْ شيءٌ، فإن كانَ لم يَتَجَدَّدْ، وكانَ لا يَسمَعُها ولا يُبصِرُها، فهو بَعْدَ أن خَلَقَها لا يَسمَعُها ولا يُبصِرُها! وإن تَجَدَّدَ شيءٌ؛ فإمَّا أن يكونَ وُجودًا أو عَدَمًا، فإن كانَ عَدَمًا فلم يَتَجَدَّدْ شيءٌ، وإن كانَ وُجودًا فإمَّا أن يكونَ قائِمًا بذاتِ اللهِ أو قائِمًا بذاتِ غَيْرِه، والثَّاني يَسْتَلْزِمُ أن يكونَ ذلك الغَيْرُ هو الَّذي يَسمَعُ ويَرى، فيَتَعيَّنُ أنَّ ذلك السَّمْعَ والرُّؤْيةَ المَوْجودَينِ قائِمٌ بذاتِ اللهِ، وهذا لا حيلةَ فيه. والكُلَّابيَّةُ يَقولونَ في جَميعِ هذا البابِ: المُتَجَدِّدُ هو تَعلُّقٌ بَيْنَ الأمْرِ والمَأمورِ، وبَيْنَ الإرادةِ والمُرادِ، وبَيْنَ السَّمْعِ والبَصَرِ، والمَسْموعِ والمَرْئِيِّ، فيُقالُ لهم: هذا التَّعلُّقُ إمَّا

(١) «الرد على المنطقيين» «ص: ٤٦٥».

أن يكونَ وُجودًا، وإمَّا أن يكونَ عَدَمًا، فإن كانَ عَدَمًا فلم يَتَجَدَّدْ شــيءٌ، فإنَّ العَدَمَ لا شــيءَ، وإن كانَ وُجودًا بَطَلَ قَوْلُهم. وأيضًــا فحُدوثُ تَعلُّقٍ هو نِسْــبةٌ وإضــافةٌ مِن غَيْرِ حُدوثِ ما يوجِبُ ذلك مُمْتَنِعٌ، فلا يَحْدُثُ نِسْبةٌ وإضافةٌ إلَّا بحُدوثِ أمْرٍ وُجودِيٍّ يَقْتَضي ذلك، وطائفةٌ -مِنهم ابنُ عَقيلٍ- يُسَمُّونَ هذه النِّسَبَ أحْوالًا، والطَّوائِفُ مُتَّفِقونَ على حُدوثِ نِسَبٍ وإضافاتٍ وتَعَلُّقاتٍ، لكنَّ حُدوثَ النِّسَبِ بدونِ حُدوثِ ما يوجِبُها مُمْتَنِعٌ، فلا تكونُ نِسْــبةٌ وإضــافةٌ إلَّا تابِعةً لصِــفةٍ ثُبوتيَّةٍ، كالأُبُوَّةِ والبُنُوَّةِ والفَوْقيَّةِ والتَّحْتيَّةِ والتَّيامُنِ والتَّياسُرِ؛ فإنَّها لا بُدَّ أن تَسْتَلْزِمَ أمورًا ثُبُوتيَّةً". (١)

قال ابن القيم: "ومعرفة العبد لأسماء الله وصفاته على الوجه الذي أخبر الله عز وجل به في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم-تُوجب على العبد القيام بعبودية الله على الوجه الأكمل، فكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان الحب والإخلاص والتعبد أقوى، وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصــفات التي يطلع عليها البشــر؛ إذ كل اسم من أسمائه عز وجل له تَعَبُّد مُختص به؛ علمًا ومعرفة وحالًا.

«**علمًا ومعرفة**»: أي: إنَّ مَن عَلِم أنَّ الله مســمى بهذا الاســم، وعرف ما يتضــمنه من الصفة، ثم اعتقد ذلك-فهذه عبادة.

و«**حالًا**» أي: إن لكل اسم من أسماء الله مدلولًا خاصًّا وتأثيرًا معينًا في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك-تجاوب مع هذه المعاني، وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه.

وهذه الطريقة مُشتقة من قلب القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

والدعاء بها يتناول: دعاء المسألة. ودعاء الثناء. ودعاء التعبد.

وهو-سبحانه-يدعو عباده إلى أن يَعرفوه بأسمائه وصفاته، ويُثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظِّهم

(١) «جامع الرسائل لابن تَيْمِيَّة» «٢/ ١٧».

من عبوديتها [(١)].

وقال ابن القيم: "فهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشيةَ الله لا محالة؛ فلكلِّ اسم من أسماء الله تأثير معين في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك-تجاوب مع هذه المعاني، وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه.

ولكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها؛ فالأسماء الحسنى والصفات العُلى مقتضية لآثارها من العبودية، وهذا مُطَّرِد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح؛ فمثلًا: علم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يُثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا.

وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنَّه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يُرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه؛ فيثمر له ذلك الحياء باطنًا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح"[(٢)].

فالله سبحانه وتعالى بصير عليم بأحوالنا مطلع عليها لا يخفى عليه خافية، ومثل هذه المعرفة لأسماء الله تعالى توجب على الواحد منا أن ينظر في ثمراتها ما تثمره في القلب.

فإذا كنت قد علمت أن من أسمائه السميع والبصير والعليم مثلاً فهذا العلم عقيدة، وذكرك لهذه الأسماء عقيدة وتثاب عليها، لكن أيضاً من العقيدة أنك إذا كنت قد علمت أنه عليم سميع بصير أن تراقبه أن تتقيه أن تخشاه أن تخافه، أن ترجوه أن تدعوه، فهذه الأسماء تدلك على أن الله سبحانه وتعالى إذا كنت في حاجة فاطلب السميع البصير العليم بحالك، مالك تلجأ إلى الخلق، وتترك مالك الملك أن يفرج كربتك أن يعنيك على ما أنت فيه، أن يشفيك من مرضك أو نحو ذلك، أين صدق اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى؟

---

(١) «مدارج السالكين» «١/ ٤٢٠».

(٢) «مفتاح دار السعادة» «٢/ ٩٠».

أيضاً إذا كنت على حال معصية لماذا لا تراقب الله عز وجل أين خشية الله عز وجل في قلبك أين تقواه؟ أين مخافة عقابه ومخافة انتقامه سبحانه وتعالى أليس الله سبحانه وتعالى أغير حتى من النبي صلى الله عليه وسلم، أغير من الخلق أجمعين، يغار سبحانه وتعالى على حرماته كما جاء في الحديث: «**أتعجبون من غيرة سعد، فو الله لأنا أغير منه، والله أغير مني، من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن**» [(١)] وقال صلى الله عليه وسلم: «**لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن**». [(٢)]، فأين مراقبة الله عز وجل في هذه الأمور؟

---

(١) أخرجه البخاري: «٧٤١٦»، وأخرجه مسلم «١٤٩٩» واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري: ٤٦٣٧، ومسلم: ٢٧٦٠ واللفظ له.

٢٠- الإرادة

[٢٠]- قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٣]، وقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: الآية: ١]، وقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: الآية: ١٢٥]

الشرح

قال ابن القيم –رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: "المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر، وهي مرتبة المشيئة:

وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والبيان، وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به.

والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد حتى وإن كان مخالفا لأمره الشرعي، فهو سبحانه وتعالى أراد أن يمتحن عباده، فجعل لهم إرادة وقدرة؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملا؛ فمن آمن واستقام فاز، ومن كفر وعاند فقد خسر خسرانا مبينا؛ فتجزى كل نفس بما عملت، فالعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: الآيتان: ٢٨، ٢٩]، وقد يريد العبد الشر، ولكن الله لا يمكنه منه؛ فكل شيء داخل تحت إرادته ومشيئته، ولا يخرج العباد أبدا في كل أمورهم عن تلك الإرادة والمشيئة؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا

يُرِيدُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٣]، وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: الآية: ٤٠]، وقال جل وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[الأنعام: الآية: ١١٢]".(١)

أنواع الإرادة:

لله- جل وعلا- إرادتان: كونية قدرية، ودينية شرعية.

قال ابن القيم -رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "وها هنا أمر يجب التنبيه عليه، وبمعرفته تزول إشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط به علما، وهو أن الله- سبحانه- له الخلق والأمر، وأمره- سبحانه- نوعان: أمر كوني قدري، وأمر ديني شرعي.

فمشيئته- سبحانه- متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكره، كله داخل تحت مشيئته، كما خلق إبليس وهو يبغضه، وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها، فمشيئته- سبحانه- شاملة لذلك كله.

وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسله، فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعا فهو محبوب للرب، واقع بمشيئته؛ كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني، ولم تتعلق به مشيئته، وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقت به مشيئته، ولم تتعلق به محبته، ولا رضاه ولا أمره الديني، و ما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته، فلفظ المشيئة كوني، ولفظ المحبة ديني شرعي، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية؛ فتكون هي المشيئة، وإرادة دينية؛ فتكون هي المحبة.

وإذا عرفت هذا فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: الآية: ٧]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٠٥]، وقوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: الآية: ١٨٥]، لا يناقض نصوص القدر والمشيئة العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره؛

(١) انظر: «شفاء العليل» «ص ٩٣» بتصرف واختصار.

فإن المحبة غير المشيئة، والأمر غير الخلق، ونظير هذا: الأمر؛ فإنه نوعان: أمر تكوين، وأمر تشريع، والثاني قد يعصى ويخالف بخلاف الأول".

إلى أن قال رحمه الله: "فسبحانه أن يكون في مملكته ما لا يشاء أو أن يشاء شيئا فلا يكون، وإن كان فيها ما لا يحبه ولا يرضاه، وإن كان يحب الشيء فلا يكون لعدم مشيئته له، ولو شاءه لوجد"[١]

(١) «شفاء العليل» «ص ١٠٥، ١٠٦».

٢١- إثبات المحبة لله

[٢١]- قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة : ١٩٥]، ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات : ٩]، ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة : ٧] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة : ٢٢٢]، ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة : ٥٤] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف : ٤] ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران : ٣١]

الشرح

الحب والمحبة صِفةٌ فِعليَّةٌ ثابتةٌ للهِ عزَّ وجلَّ بالكِتابِ والسُّنَّةِ(١).

الدَّليلُ مِن الكِتابِ:

١- قولُه تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: الآية: ١٩٥] .

٢ - قَولُه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: الآية: ٥٤] .

الدَّليلُ من السُّنَّةِ:

١- حديثُ سَهلِ بنِ سعدٍ رَضِيَ اللهُ عنه مرفوعًا: «... **لَأُعطِيَنَّ الرَّايةَ غدًا رجُلًا يفتَحُ اللهُ على يدَيه، يُحِبُّ اللهَ ورسولَه، ويُحِبُّه اللهُ ورسولُه...** »(٢) .

٢- حديثُ سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عنه مرفوعًا: «**إنَّ اللهَ يُحِبُّ العبدَ التَّقيَّ، الغَنيَّ، الخَفيَّ**»(٣).

فأهلُ السُّنَّة والجماعةِ يُثبتونَ صفةَ الحُبِّ والمحبَّةِ للهِ عزَّ وجلَّ، على ما يَليقُ به، وليس هي

---

(١) الموســـوعة العقدية الكِتابُ الثَّاني: الإيمانُ باللهِ: «توحيدُ الرُّبوبيَّةِ، والأُلوهيَّةِ، والأسماءِ والصِّـــفاتِ»البابُ الثَّالِثُ: توحيدُ الأسماءِ والصِّفاتِ الفَصْلُ الثَّالِثُ: المسائِلُ المتعَلِّقةُ بالصِّفاتِ المبحَثُ الثَّالثُ: صِفاتُ اللهِ الواردةُ في الكِتابِ والسُّنَّةِ المطلَبُ الأوَّلُ: الصِّفاتُ الثَّابتةُ بالكِتاب أو السُّنَّةِ الحُبُّ والمحَبَّةُ

(٢) أخرجه البخاري «٣٠٠٩»، ومسلم «٢٤٠٥».

(٣) أخرجه مسلم «٢٩٦٥».

إرادةَ الثَّوابِ، كما يَقولُ المؤوّلةُ، وكذلِك يُثبِتُ أهلُ السُّنَّةِ لازِمَ المحبَّةِ وأثَرَها، وهو إرادةُ الثَّوابِ، وإكرامُ مَن يُحبُّه سُبحانَه.

قال عبدُ الغنيّ المقدِسيُّ: "نُثبتُ له الصِّفةَ مِن غيرِ تحديدٍ ولا تشبيهٍ... وكُلُّ ما قال اللهُ عَزَّ وجَلَّ في كِتابِه، وصَحَّ عن رَسولِه بنَقلِ العَدْلِ عن العَدْلِ، مِثلُ المحبَّةِ... وسائِرُ ما صَحَّ عن اللهِ ورَسولِه، وإنْ نَبَت عنها أسماعُ بعضِ الجاهِلينَ، واستوحَشَت منها نفوسُ المعطِّلينَ". (١)

وقال ابنُ تَيميَّةَ: "إنَّ الكِتابَ والسُّنَّةَ وإجماعَ المسلِمينَ أثبتَتْ محبَّةَ اللهِ لعبادِه المؤمنينَ، ومحبَّتَهم له، كقَولِه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] ، وقَولِه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] ، وقَولِه: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٢٤] ... وقد أجمَع سلَفُ الأمَّةِ وأئمَّتُها على إثباتِ محبَّةِ اللهِ تعالى لعبادِه المؤمنينَ، ومحبَّتِهم له، وهذا أصلُ دِينِ الخليلِ إمامِ الحُنَفاءِ عليه السَّلامُ". (٢)

وقال ابنُ الوزيرِ: "أهلُ السُّنَّةِ يَصِفونَ اللهَ تعالى بما وَصَف به نَفْسَه من محبَّةِ الطَّاعاتِ وأهلِها، دونَ سائِرِ الفِرَقِ؛ لِما مَرَّ تقريرُه في الصِّفاتِ. فقَولُه تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٠٥] لا يُلائِمُ مَذهَبَ المعتزِلةِ. إنَّ مَفهومَه أنَّ صِفةَ المحبَّةِ جائِزةٌ على اللهِ تعالى، وإنَّما لم يُعَلِّقْ بالفَسادِ لقُبحِه، ومفهومُه أنَّه تعالى يُحِبُّ الصَّلاحَ والصَّالحينَ كما صَرَّح به القُرآنُ، لكِنَّ المعتزِلةَ لا تُجيزُ صِفةَ المحبَّةِ على اللهِ تعالى، ويقولُونَ: إنَّها صِفةُ نَقصٍ، وإنَّه يجِبُ تأويلُها بالإرادةِ. وكذلك قَولُه تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: الآية: ٧] متى كان الرِّضا بمعنى المحبَّةِ، وأمَّا قَولُه: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: الآية: ٣٨] ؛ فإنَّ المعتزِلةَ وافقَت أهلَ السُّنَّةِ على تقريرِ الكراهةِ على ظاهِرِها، وهذا يُلزِمُهم الموافقةَ على تقريرِ المحبَّةِ مِن غيرِ تأويلٍ، وهم ظَنُّوا أنَّ المحبَّةَ تَستلزِمُ الشَّهوةَ، وأنَّ الكراهةَ لا تَستلزِمُ النُّفرةَ، وهذا كُلُّه تحكُّمٌ؛ فإنَّهم إن رَجَعوا إلى قياسِ الخالِقِ على المخلوقينَ، لَزِمَهم مَنْعُ

(١) يُنظر: «الاقتصاد في الاعتقاد» «ص: ١١٨ - ١٢٣».

(٢) يُنظر: «مجموع الفتاوى» «٢/٣٥٤».

الكراهةِ؛ لأنَّها في المخلوقينَ تَستلزِمُ النُّفرةَ". [(١)]

وقال عبدُ الرَّحمنِ بنُ حســن آل الشَّــيخِ في قولِه تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: الآية: ١٠٨] : «**فيه إثباتُ صِفةِ المحبَّةِ، خِلافًا للأشاعرةِ ونَحوِهم**". [(٢)]

وقال ابنُ عُثَيمين: "في الحديثِ: إثباتُ أنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يتَّصِفُ بالمحبَّةِ؛ لقَولِه: «**إنَّ اللهَ يُحِبُّ**»، ونصـوصُ إثباتِ المحبَّةِ للهِ عَزَّ وجَلَّ في القُرآنِ والسُّـنَّةِ كثيرةٌ، وقد أجمع السَّـلَفُ وأئمَّةُ الخَلَفِ ومَن سَلَك سَبيلَهم على أنَّ اللهَ تعالى موصوفٌ بالمحبَّةِ على الوَجهِ اللَّائِقِ به، وأنَّه يُحِبُّ ويُحَبُّ، وهذا ظاهِرٌ في القرآنِ والسُّنَّةِ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَـــوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: الآية: ٥٤] ، ففيه إثباتُ المحبَّةِ مِن الجانِبَينِ أنَّ اللهَ يحِبُّ ويحَبُّ سُبحانَه وتعالى، وهي محبَّةٌ حقيقيَّةٌ كسائِرِ صِفاتِه، ولا يجوزُ لنا أن نُؤَوِّلَها تأويلَ تحريفٍ بأن نُخرِجَها عن معناها الذي أراد اللهُ بها؛ فإنَّ هذا مِنَ القَولِ على اللهِ بلا عِلمٍ، ومِنَ الجنـايـةِ على كلامِـه، ومن تحريفِ الكَلِمِ عن مواضِـــعِـه، وهو من دَأْبِ اليَهودِ والنَّصارى الذين حَرَّفوا كلامَ اللهِ وأخرَجوه عن ظاهِرِه". [(٣)]

---

(١) يُنظر: «العواصم والقواصم» «٥/ ٤٠١».

(٢) يُنظر: «فتح المجيد» «ص: ٢٨٤».

(٣) يُنظر: «فتح ذي الجلال والإكرام» «٢/ ٤٨٨».

٢٢- إثبات الرضا لله

[٢٢]- قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة : ١١٩]

الشرح

الرضا صفةٌ مِن صِفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ الفِعليَّةِ الثَّابتةِ بالكِتابِ والسُّنَّةِ(١).

الدَّليلُ مِن الكِتابِ:

١- قولُه تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: الآية: ١٠٠] .

٢- قولُه سُبحانَه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: الآية: ١٨]

الدَّليلُ من السُّنَّةِ:

١- حديثُ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها مرفوعًا: «**اللَّهمَّ أعُوذُ بِرِضَاكَ مِن سَخَطِكَ، وبمُعافاتِكَ مِن عقوبتِكَ**... »(٢).

٢- حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا: «**إنَّ اللهَ يَرْضَى لكم ثلاثًا، ويكرَهُ لكم ثلاثًا**...»(٣).

قال عبدُ الواحِدِ بنُ عبدِ العزيزِ التميميُّ الحَنبليُّ ضِمنَ ذِكْرِه لجُملةِ اعتقادِ أحمدَ بنِ حَنبَلٍ: "وذهب أحمَدُ بنُ حَنبَلٍ رَضِيَ اللهُ عنه إلى أنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ يَغضَبُ ويَرضى، وأنَّ له غَضَبًا ورِضًا" .(٤).

---

(١) منقول من الموسوعة العقدية الكِتابُ الثَّاني: الإيمانُ باللهِ: «توحيدُ الرُّبوبيَّةِ، والأُلوهيَّةِ، والأسماءِ والصِّفاتِ»البابُ الثَّالِثُ: توحيدُ الأسماءِ والصِّفاتِ الفَصْلُ الثَّالِثُ: المسائِلُ المتعَلِّقةُ بالصِّفاتِ المبحَثُ الثَّالثُ: صِفاتُ اللهِ الواردةُ في الكِتابِ والسُّنَّةِ المطلَبُ الأوَّلُ: الصِّفاتُ الثَّابتةُ بالكِتابِ أو السُّنَّةِ الرِّضَا

(٢) أخرجه مسلم «٤٨٦».

(٣) أخرجه مسلم «١٧١٥».

(٤) يُنظر: «اعتقاد الإمام المبجَّل أحمد بن حنبَل» «ص: ٤٢».

وقال الدَّارمي: "عارَضَ المعارِضُ أيضًا أشياءَ مِن صِفاتِ اللهِ تعالى التي هي مذكورةٌ في كتابِ اللهِ، ونازعَ في الآياتِ التي ذُكِرَت فيها ليغالِطَ النَّاسَ في تفسيرِها؛ فذكَرَ منها: الحُبَّ والبُغضَ، والغَضَبَ والرِّضا، والفَرَحَ والكُرهَ، والعَجَبَ والسَّخَطَ، والإرادةَ والمشيئةَ؛ ليُدخِلَ عليها من الأغلوطاتِ ما أدخل على غيرِها ممَّا حكَيناه عنه» إلى أن قال: «**وقال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: الآية: ١١٩، والتوبة: الآية: ١٠٠، والمجادلة: الآية: ٢٢]، ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: الآية: ٤٦] ، فهذا النَّاطِقُ من كتابِ اللهِ يُستغنى فيه بظاهِرِ التنزيلِ عن التفسيرِ، وتعرِفُه العامَّةُ والخاصَّةُ، غيرُ هؤلاء الملْحِدين في آياتِ اللهِ الذين غالَطوا فيها الضُّعَفاءَ**". [1]

وقال ابنُ أبي زيدٍ القيروانيُّ: "ممَّا أجمعت عليه الأئِمَّةُ مِن أُمورِ الدِّيانةِ، ومن السُّنَنِ التي خلافُها بِدعةٌ وضلالةٌ... أنَّه يرضى عن الطَّائعين ويحِبُّ التَّوَّابين، ويَسخَطُ على من كَفَر به ويغضَبُ فلا يقومُ شيءٌ لغَضَبِه... وكُلُّ ما قَدَّمْنا ذِكْرَه فهو قَولُ أهلِ السُّنَّةِ وأئمَّةِ النَّاسِ في الفِقهِ والحديثِ على ما بَيَّنَّاه، وكُلُّه قولُ مالِكٍ؛ فمنه منصوصٌ مِن قَولِه، ومنه معلومٌ مِن مَذهَبِه". [2]

وقال أبو نصرٍ السِّجزي بعد أن ذَكَر جملةً من أحاديثِ الصِّفاتِ: "ومن ذلك الغَضَبُ، والرِّضا، وغيرُ ذلك، وقد نطق القرآنُ بأكثَرِها، وعند أهلِ الأثَرِ أنَّها صِفاتُ ذاتِه، لا يُفَسَّرُ منها إلَّا ما فَسَّره النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أو الصَّحابيُّ، بل نُمِرُّ هذه الأحاديثَ على ما جاءت، بعد قَبولِها والإيمانِ بها والاعتِقادِ بما فيها، بلا كيفيَّةٍ". [3]

وقال أبو إسماعيلَ الصَّابونيُّ: «وكذلك يَقولُونَ «أي: بالإثباتِ» في جميعِ الصِّفاتِ الَّتي نزَل بذِكرِها القُرآنُ، ووردَتْ بها الأخبارُ الصِّحاحُ؛ مِن: السَّمعِ، والبصَرِ، والعينِ... والرِّضا،

---

(١) يُنظر: «نقض الإمام الدارمي على بشر المريسي» «٢/ ٨٦٣-٨٦٦».

(٢) يُنظر: «الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ» «ص: ١٠٧-١١٧».

(٣) يُنظر: «رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت» «ص: ٢٦٧».

والسَّخَطِ، والحياةِ...". [١]

وقال عبد الغني المقدسيُّ: "فمِن صِفاتِ اللهِ تعالى التي وَصَف بها نَفْسَه، ونَطَق بها كِتابُه، وأخبَرَ بها نَبيُّه... »، ثمَّ عَدَّد كثيرًا من الصِّفاتِ الثَّابتةِ إلى أن قال: «**والرِّضا، وسائِرُ ما صَحَّ عن اللهِ ورَسولِه، وإن نَبَتْ عنها أسماعُ بعضِ الجاهِلينَ، واستوحَشَت منها نفوسُ المعَطِّلين**". [٢]

وقد استشهَدَ ابنُ تيميَّةَ [٣] ببعضِ ما مضى على إثباتِ صفةِ الرِّضا للهِ تعالى، على ما يَليقُ به.

وقال ابنُ القيِّمِ: "إنَّ ما وصَفَ اللهُ سُبحانَه به نَفْسَه مِن المحبَّةِ والرِّضا والفَرَحِ والغضَبِ والبُغْضِ والسَّخَطِ: مِن أعظَمِ صِفاتِ الكمالِ". [٤]

وقال ابنُ أَبي العِزِّ: "مذهبُ السَّلَفِ وسائرِ الأئمَّةِ إثباتُ صِفةِ الغَضبِ والرِّضا، والعَداوةِ والوَلايةِ، والحُبِّ والبُغضِ، ونحوِ ذلك من الصِّفاتِ التي ورَدَ بها الكِتابُ والسُّنَّةُ". [٥]

وقال الشوكانيُّ: "الرِّضا منه سُبحانَه هو أرفَعُ درَجاتِ النَّعيمِ وأعلى مَنازِلِ الكرامةِ". [٦]

وقال الشنقيطيُّ: "الرِّضا صِفةٌ مِن صِفاتِ اللهِ جَلَّ وعلا أثبَتَ لنَفْسِه الاتِّصافَ بها إذا

---

(١) يُنظر: «عقيدة السلف أصحاب الحديث» «ص: ٥».

(٢) يُنظر: «الاقتصاد في الاعتقاد» «ص: ٨٠، ١٢١ - ١٢٣».

(٣) يُنظر: «العقيدة الواسطية» «ص: ١٠٨»، «العقيدة التَّدمُريَّة» «ص: ٢٦».

(٤) يُنظر: «الصواعق المرسلة» «٤/١٤٥١».

(٥) يُنظر: «شرح الطحاوية» «ص: ٤٦٣».

(٦) يُنظر: «تفسير الشوكاني» «٢/ ١٠٩».

امتُثِلَت أوامِرُه واجتُنِبَت نواهيه". [(١)]

(١) يُنظر: «العذب النمير» «٥/ ٣٤٥».

٢٣- إثبات الرحمة لله

[٢٣]- قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: الآية: ١] ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر : ٧]، ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٣] ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: الاية: ١٥٦] ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: الآية: ٥٤] ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: الآية: ١٠٧] ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: الآية: ٦٤]

الشرح

قال ابن عثيمين رحمه الله: «**الرحمن**»، فهو ذو الرحمة الواسعة، لأن «**فعلان**» في اللغة العربية تدل على السعة والامتلاء، كما يقال: رجل غضبان: إذا امتلأ غضبًا.

«**الرحيم**»: اسم يدل على الفعل، لأنه فعيل بمعنى فاعل فهو دال على الفعل.

فيجتمع من «**الرحمن الرحيم**»: أن رحمة الله واسعة وأنها واصلة إلى الخلق. وهذا هو ما أومأ إليه بعضهم بقوله: الرحمن رحمة عامة والرحيم رحمة خاصة بالمؤمنين، ولما كانت رحمة الله للكافر رحمة خاصة في الدنيا فقط فكأنها لا رحمة لهم، لأنهم في الآخرة يقول تعالى لهم إذا سألوا الله أن يخرجهم من النار وتوسلوا إلى الله تعالى بربوبيته واعترافهم على أنفسهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: الآية: ١٠٧]، فلا تدركهم الرحمة، بل يدركهم العدل، فيقول الله عز وجل لهم: ﴿اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: الآية: ١٠٨][(١)].

قال محمد خليل هراس: وَقَدْ أَنْكَرَتِ الْأَشَــاعِرَةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ صِــفَةَ الرَّحْمَةِ بِدَعْوَى أَنَّهَا فِي الْمَخْلُوقِ ضَــعفٌ وخَوَرٌ وتأَلُّم لِلْمَرْحُومِ، وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْجَهْلِ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ إِنَّمَا تَكُونُ مِنَ الْأَقْوِيَاءِ لِلضُّعَفَاءِ، فلَا تَسْتَلْزِمُ ضَعْفًا وَلَا خَوَرًا؛ بَلْ قَدْ تَكُونُ مَعَ غَايَةِ الْعِزَّةِ وَالْقُدْرَةِ، فَالْإِنْسَانُ الْقَوِيُّ يَرْحَمُ وَلَدَهُ الصَّغِيرَ وَأَبَوَيْهِ الْكَبِيرَيْنِ ومَن هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُ، وَأَيْنَ الضَّعْفُ وَالْخَوَرُ - وَهُمَا مِنْ أَذَمِّ الصِّفَاتِ - مِنَ الرَّحْمَةِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ نَفْسَهُ بِهَا، وَأَثْنَى عَلَى أَوْلِيَائِهِ الْمُتَصِّفِينَ بِهَا،

(١) شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين ١/ ٣٨-٣٩

وَأَمَرَهُمْ أَنْ يتواصَوْا بِهَا؟![1]

(١) شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس، ص١٠٦

٢٤- إثبات الغضب لله

[٢٤]- قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء : ٩٣]،

الشرح

الْغَضَبُ صِفةٌ فعليَّةٌ ثابتةٌ للهِ عزَّ وجلَّ بالكِتابِ والسُّنَّةِ(١).

الدَّليلُ مِن الكِتابِ:

١- قولُه تَعالَى: ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: الآية: ٩]

٢- قَولُه: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: الآية: ٨١] .

٣- قَولُه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: الآية: ١٣]

.

الدَّليلُ من السُّنَّةِ:

١- حديثُ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه مرفوعًا: «**إنَّ رَحمَتي غلَبَتْ غَضَبي**»(٢) .

٢- حديثُ الشَّفاعةِ الطَّويلُ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه مرفوعًا وفيه: «**إنَّ ربِّي قد غضِبَ اليومَ غَضبًا لم يَغضَبْ قَبلَه مِثلَه، ولنْ يَغضبَ بَعدَه مِثلَه** ... »(٣).

فأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ يُثبِتونَ صِفةَ الغَضبِ للهِ عزَّ وجلَّ على الوَجهِ الَّذي يَليقُ بجَلالِه وعَظمتِه؛ لا يُكيِّفونَ ولا يُشبِّهونَ ولا يُحرِّفونَ ولا يُؤوِّلون؛ كمَن يَقولُ: الغضبُ إرادةُ العِقابِ،

---

(١) الموســـوعة العقدية الكِتابُ الثَّاني: الإيمانُ باللهِ: «توحيدُ الرُّبوبيَّةِ، والأُلوهيَّةِ، والأسماءِ والصِّـــفاتِ»الباب الثَّالِثُ: توحيدُ الأسماءِ والصِّفاتِ الفَصْلُ الثَّالِثُ: المسائِلُ المتعَلِّقةُ بالصِّفاتِ المبحَثُ الثَّالثُ: صِفاتُ اللهِ الواردةُ في الكِتابِ والسُّنَّةِ المطلَبُ الأوَّلُ: الصِّفاتُ الثَّابتةُ بالكِتابِ أو السُّنَّةِ الْغَضَبُ

(٢) أخرجه مطولاً البخاري «٣١٩٤» واللفظ له، ومسلم «٢٧٥١».

(٣) أخرجه البخاري «٤٧١٢»، ومسلم «١٩٤».

ولا يُعطِّلون، بل يَقولُونَ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

قال عبدُ الواحدِ بنُ عبدِ العزيز التميمي الحنبلي ضِمنَ ذِكرِه لجُملةِ اعتقادِ أحمدَ بنِ حَنبَلٍ: ذهب أحمدُ بنُ حَنبَلٍ رَضِيَ اللهُ عنه إلى أنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ يغضَبُ ويرضى، وأنَّ له غَضَبًا ورضًا، وقرأ أحمدُ قَولَه عزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: ٨١] (١).

وقال الدَّارمي: "عارَضَ المعارِضُ أيضًا أشياءَ مِن صفاتِ اللهِ تعالى التي هي مذكورةٌ في كتابِ اللهِ، ونازع في الآياتِ التي ذُكِرَت فيها؛ ليغالِطَ النَّاسَ في تفسيرِها؛ فذكر منها: الحُبَّ والبُغضَ، والغَضَبَ، والرِّضا، والفَرَحَ والكُرْهَ، والعَجَبَ والسَّخَطَ، والإرادةَ والمشيئةَ؛ ليُدخِلَ عليها من الأغلوطاتِ ما أدخل على غيرِها ممَّا حكَيناه عنه» إلى أن قال: «**وقال: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ [الفتح: الآية: ٦]، ثمَّ ذكر إغضابَ الخَلْقِ إيَّاه، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: الآية: ٥٥] يقول: أغضَبونا، فذكر أنَّه يَغضَبُ ويُغضَبُ... فهذا النَّاطِقُ من كتابِ اللهِ يُستغنى فيه بظاهِرِ التنزيلِ عن التفسيرِ، وتَعرِفُه العامَّةُ والخاصَّةُ، غيرُ هؤلاء الملْحِدين في آياتِ اللهِ الذين غالَطوا فيها الضُّعَفاءَ**» (٢).

وقال الطَّحاويُّ: "واللهُ يَغضَبُ ويَرْضَى لا كَأَحدٍ مِن الوَرَى" (٣).

وقال أبو القاسِمِ الأصبهانيُّ: "قال عُلماؤُنا: يُوصَفُ اللهُ بالغَضبِ" (٤).

وقال عبدُ الوهَّابِ بنُ عبدِ الواحِدِ بن الحنبلي: "إنَّنا نَصِفُ اللهَ تعالى بالغَضَبِ، ولا نَصِفُه بالحَرَدِ، وهما واحِدٌ؛ لأنَّ الغَضَبَ نَطَق به القرآنُ، فقُلْنا كما قال، والحَرَدُ ليس ينطِقُ به القرآنُ،

---

(١) يُنظر: «اعتقاد الإمام المبجَّل أحمد بن حنبَل» «ص: ٤٢».

(٢) يُنظر: «نقض الإمام الدارمي على بشر المريسي» «٢/ ٨٦٣-٨٦٦».

(٣) يُنظر: «متن الطحاوية» «ص: ٨٠».

(٤) يُنظر: «الحجة في بيان المحجة» «٢/٤٥٧».

ولم يذكُرْه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ فلهذا لم يجُزْ أن يُوصَفَ اللهُ تعالى به". [(١)]

وقال ابنُ أَبي العِزِّ الحَنفيُّ: "مَذهَبُ السَّلَفِ وسائرِ الأئمَّةِ إثباتُ صِفةِ الغَضبِ والرِّضا، والعَداوةِ والوَلايةِ، والحُبِّ والبُغضِ، ونحوِ ذلك من الصِّفاتِ التي ورَدَ بها الكِتابُ والسُّنَّةُ". [(٢)]

وقال ابنُ القَيِّمِ: "والعذابُ إنَّما يَنشأُ مِن صِفة غَضبِه، وما سُعِّرتِ النارُ إلَّا بغَضبِه". [(٣)]

وقال أيضًا: "إنَّ ما وصَفَ اللهُ سُبحانَه به نَفْسَه؛ مِن المحبَّةِ والرِّضا، والفَرَحِ والغضَبِ، والبُغْضِ والسَّخَطِ: مِن أعظَمِ صِفاتِ الكَمالِ". [(٤)]

وقال محمود الألوسي: "أنا أقولُ كما قال سَلَفُ الأُمَّةِ: وهو أي: الغَضَبُ صفةٌ لله تعالى لائقةٌ بجلالِ ذاتِه، لا أعلَمُ حقيقتَها، ولا كيف هي، والعَجزُ عن دَرَكِ الإدراكِ إدراكٌ، والكلامُ فيه كالكلامِ في الرَّحمةِ حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ". [(٥)]

وقال ابنُ عُثَيمين: "غضَبُ اللهِ عزَّ وجلَّ صِفةٌ من صِفاتِه الفِعليَّةِ؛ لأنَّه يَتعلَّقُ بمشيئتِه، وقد سبَق لنا القولُ بأنَّ كُلَّ صفةٍ ذاتِ سببٍ فإنَّها مِن الصِّفاتِ الفِعليَّةِ، وهو حَقيقيٌّ". [(٦)]

---

(١) يُنظر: «الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة» «٢/٥١٢».

(٢) يُنظر: «شرح الطحاوية» «ص: ٤٦٣».

(٣) يُنظر: «حادي الأرواح» «ص: ٤٠٩».

(٤) يُنظر: «الصواعق المرسلة» «٤/١٤٥١».

(٥) يُنظر: «تفسير الألوسي» «١/ ٩٨».

(٦) يُنظر: «شرح صحيح البخاري» «٨/٤٣١».

٢٥- إثبات السخط لله

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد : ٢٨]، وقوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف : ٥٥]

الشرح

السَّخَطُ أو السُّخْطُ صِفةٌ من صِفات اللهِ الفِعْليَّةِ، ثابتَةٌ بالكِتابِ والسُّنَّةِ[١].

الدَّليلُ مِن الكِتابِ:

١- قولُه تعالَى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: الآية: ٨٠]

٢- قولُه عَزَّ وجَلَّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد: الآية: ٢٨]

الدَّليلُ من السُّنَّةِ:

حديثُ أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه مرفوعًا: «**إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَقولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يا أَهْلَ الجَنَّةِ، فيَقولُون: لبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ...-إلى أنْ قال فيه:- فيَقولُ: ألَا أُعْطِيكُمْ أفضَلَ من ذلك؟ فيَقولُون: وأيُّ شَيْءٍ أفضلُ من ذلك؟! فيَقولُ: أُحِلُّ عليكم رِضْوانِي؛ فلا أَسْخَطُ عَلَيكم بعدَه أبدًا**»[٢].

معنى السَّخَطِ:

قال ابنُ دُرَيدٍ: "السَّخَطُ: خِلافُ الرِّضا، وتَسَخَّطَ الرَّجلُ تَسَخُّطًا: إذا تغَضَّبَ وتَكَرَّهَ الشَّيءَ، والشَّيءُ مَسخوطٌ، أي: مَكروهٌ".

وقال العَسكريُّ: "الفَرقُ بيْن الغَضَبِ والسخط: أنَّ الغضَبَ يكونُ من الصَّغيرِ على الكَبيرِ ومِنَ الكَبيرِ على الصَّغيرِ، والسَّخَطَ لا يكونُ إلَّا مِن الكَبيرِ على الصَّغيرِ؛ يُقالُ: سَخِطَ الأميرُ

---

(١) الموســـوعة العقدية الكِتابُ الثَّاني: الإيمانُ باللهِ: «توحيدُ الرُّبوبيَّةِ، والأُلُوهيَّةِ، والأسماءِ والصِّـــفاتِ» البابُ الثَّالِثُ: توحيدُ الأسماءِ والصِّفاتِالفَصْلُ الثَّالِثُ: المسائِلُ المتعَلِّقةُ بالصِّفاتِ المبحَثُ الثَّالثُ: صِفاتُ اللهِ الواردةُ في الكِتابِ والسُّنَّةِالمطلَبُ الأوَّلُ: الصِّفاتُ الثَّابتةُ بالكِتابِ أو السُّنَّةِ السَّخَطُ أو السُّخْطُ

(٢) أخرجه البخاري «٧٥١٨»، ومسلم «٢٨٢٩»

على الحاجِبِ، ولا يقالُ: سَخِطَ الحاجِبُ على الأميرِ، ويُستعمَلُ الغضَبُ فيهما. والسَّخَطُ إذا عَدَّيتَه بنَفْسِه فهو خِلافُ الرِّضا؛ يُقالُ: رَضِيَه وسَخِطَه، وإذا عَدَّيتَه بعلى فهو بمعنى الغَضَبِ" . [(١)]

وقال الثعالبيُّ: "أوَّلُ مراتبِ الغَضَبِ السَّخَطُ، وهو خِلافُ الرِّضا". [(٢)]

وقال الرَّاغِبُ: "السُّخْطُ والسَّخَطُ: الغَضَبُ الشَّديدُ المقتَضِي للعُقوبةِ". [(٣)]

وقال البَغَويُّ: ﴿سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: الآية: ٨٠]، غَضِبَ اللهُ عليهم[(٤)] .

وقال الشِّنقيطيُّ: ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ [محمد: الآية: ٢٨] أي: أغضَبَه؛ مِنَ الكُفرِ به، وطاعةِ الكُفَّارِ الكارهينَ لِما نَزَّله.

والإسخاطُ: استِجلابُ السَّخَطِ، وهو الغَضَبُ هنا"[(٥)] .

وقول المصنف: وقوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: الآية: ٥٥]

قال ابن عثيمين رحمه الله: "مسألة: بقي أن يقال: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾: نحن نعرف أن الأسف هو الحزن والندم على شيء مضى على النادم لا يستطيع رفعه، فهل يوصف الله بالحزن والندم؟ الجواب: لا، ونجيب عن الآية بأن الأسف في اللغة له معنيان:

المعنى الأول: الأسف بمعنى الحزن، مثل قول الله تعالى عن يعقوب: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ [يوسف: الآية: ٨٤].

الثاني: الأسف بمعنى الغضب، فيقال: أسف عليه باسم، بمعنى: غضب عليه.

والمعنى الأول: ممتنع بالنسبة لله عز وجل.

---

(١) يُنظر: «الفروق اللغوية» «ص: ١٣٠».

(٢) يُنظر: «فقه اللغة وسر العربية» «ص: ١٣٠» بتصرف يسير.

(٣) يُنظر: «المفردات في غريب القرآن» «ص: ٤٠٢».

(٤) يُنظر: «تفسير البغوي» «٢/ ٧٣».

(٥) يُنظر: «أضواء البيان» «٧/ ٣٨٢».

والثاني: مثبت لله، لأن الله تعالى وصـــف به نفســـه، فقال: ﴿فَلَمَّا آسَـــفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[1].

(1) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١/ ٢٧١

٢٦- إثبات صفة الكره لله تعالى

[٢٦]- قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: الآية: ٤٦].

الشرح

الكره صِفةٌ فعليَّةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ بالكِتابِ والسُّنَّةِ.

الدَّليلُ مِن الكِتابِ:

قَولُه تَعالَى: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦] .

الدَّليلُ من السُّنَّةِ:

١- حديثُ المغيرةِ بنِ شُعبةَ رَضِيَ اللهُ عنه مرفوعًا: «**إنَّ اللهَ حَرَّمَ عليكم: عقوقَ الأُمَّهات، ومَنعًا وهَات، ووَأْدَ البَنات، وكَرِهَ لكم: قِيل وقالَ، وكثرةَ السُّؤالِ، وإضاعةَ المالِ**»(١).

٢- حديثُ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها مرفوعًا: «**وإنَّ الكافرَ إذا بُشِّرَ بعذابِ اللهِ وسَخَطِه، كَرِهَ لقاءَ اللهِ، وكَرِهَ اللهُ لِقاءَه**»(٢).

قال ابن عثيمين رحمه الله: فالكراهة ثابتة بالكتاب والسنة، أن الله تعالى يكره.

وكراهة الله سبحانه وتعالى للشيء تكون للعمل، كما في قوله: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: الآية: ٤٦]، وكما في قوله: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: الآية: ٣٨].

وتكون أيضًا للعامل، كما جاء في الحديث: «**إن الله تعالى إذا أبغض عبدًا، نادى جبريل، إني أبغض فلانًا، فأبغضه**»(٣)(٤)

(١) أخرجه البخاري «٥٩٧٥» واللفظ له، ومسلم «٥٩٣».

(٢) أخرجه البخاري بصيغة الجزم بعد حديث «٦٥٠٧»، وأخرجه موصولاً مسلم «٢٦٨٤» واللفظ له.

(٣) رواه مسلم «٢٦٣٧» عن أبي هريرة

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١/ ٢٧٣

٢٧- إثبات صفة المقت

[٢٧]- قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: الآية: ٣]

الشرح

المقت صِفةٌ فعليَّةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ بالكِتابِ والسُّنَّةِ.

أولًا: الأدلة من القرآن على إثبات صفة المقت: قولُه تَعالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [غافر: الآية: ١٠]. وقولُه سُبحانَه: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣] .وقولُه عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: الآية: ٢٢] .

ثانيًا: الأدلة من السُّنَّةِ على إثبات صفة المقت: حديثُ عِياضِ بنِ حمارٍ رَضِيَ اللهُ عنه مرفوعًا: «**وإنَّ اللهَ نظَرَ إلى أهلِ الأرضِ، فمَقَتَهم؛ عرَبَهم وعجَمَهم إلَّا بَقايَا مِن أهلِ الكِتاب**»[(١)]

ثالثا: تعريف المقت في اللغة: قال الزَّجَّاجُ: «**المَقْتُ: أشدُّ البُغْضِ**» وقال الشِّنقيطيُّ في أضواء البيان ٦/١٠٧: «**المقتُ في لُغةِ العَرَبِ: البُغضُ الشَّديدُ**»

وقد استشهدَ المصنف لإثباتِ صِفةِ «**المَقْت**» بقَولِه تَعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: الآية: ٣] .

قال ابنُ تيميَّةَ: «**وكذلِك وصَفَ نفْسَه بأنَّه يَمقُتُ الكفَّارَ، ووصفَهم بالمَقْتِ، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾...، وليس المقتُ مِثلَ المقتِ**». [(٢)]

وقال محمَّد خليل هرَّاس: "تَضمَّنتْ هذه الآياتُ بعضَ صِفاتِ الفِعلِ؛ مِن الرِّضا لله

(١) أخرجه مسلم «٢٨٦٥».

(٢) التدمرية «ص: ٢٦».

والغَضبِ... والمقْتِ والْأَسَفِ، وهي عندَ أهلِ الحقِّ صِفاتٌ حقيقيَّةٌ للهِ عزَّ وجلَّ، على ما يَليقُ به". [1]

(١) شرح العقيدة الواسطية «ص: ١٠٨».

٢٨- إثبات صفة المجيء والإتيان

[٢٨]- قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا «٢١» وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١-٢٢]، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]

الشرح

الإتيان والمجيء صفتانِ فِعليَّتانِ ثابتتانِ بالكِتابِ والسُّنَّةِ.

أولًا: الأدلة من القرآن على إثبات صـــفتي الإتيان والمجيء: قَولُه تعالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: الآية: ١٥٨] وقولُه تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: الآية: ٢١٠] وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: الآية: ٢٢]

ثانيًا: الأدلة مِن السُّــنَّةِ: حديثُ أبي هُرَيرةَ رَضِــيَ اللهُ عنه مرفوعًا: «**وإنْ تقرَّبَ إليَّ ذِراعًا تقرَّبْتُ إليه باعًا، وإنْ أتاني يمشي أتَيْتُه هَرْولةً**»[(١)] وحديثُ أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عنه في الرُّؤيةِ: «**قال: فيأتيهم الجبَّارُ في صـورةٍ غيرِ صـورتِه الَّتي رأَوْه فيها أوَّلَ مرَّةٍ، فيَقولُ: أنا ربُّكم**»[(٢)].

ثالثًا: إثبات علماء أهل السنة لصفتي المجيء والإتيان:

قال حمَّادُ بنُ أبي حنيفة: قُلْنا لهؤلاء أي: نفاةِ الصِّـــفـاتِ مِن الجَهميَّةِ ونَحوِهم: أرأيتُم قَولَ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَــفًّا صَــفًّا﴾ [الفجر: الآية: ٢٢] ، وقَولَه عَزَّ وجَلَّ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: الآية: ٢١٠] فهل

---

(١) أخرجه البخاري «٧٤٠٥» واللفظ له، ومسلم «٢٦٧٥».

(٢) أخرجه البخاري «٧٤٣٩»، ومسلم «١٨٣».

يجيءُ ربُّنا كما قال؟ وهل يجيءُ الملائكةُ صَفًّا صَفًّا؟

قالوا: أمَّا الملائكةُ فيَجيئون صفًّا صفًّا، وأمَّا الرَّبُّ تعالى فإنَّا لا ندري ما عنى بذلك؟ ولا ندري كيف جِيئتُه؟

فقُلْنا لهم: إنَّا لم نُكَلِّفْكم أن تَعلَموا كيف جيئتُه، ولكِنَّا نُكَلِّفُكم أن تؤمنوا بمجيئِه، أرأيتُم من أنكر أن المِلَكَ لا يجيءُ صفًّا صفًّا، ما هو عندكم؟ قالوا: كافِرٌ مُكَذِّبٌ، قلنا: فكذلك من أنكر أنَّ اللهَ سُبحانَه لا يجيءُ، فهو كافِرٌ مُكَذِّبٌ(١).

وقال أبو الحسَنِ الأشعريُّ: أجمَعوا على أنَّه عزَّ وجلَّ يجيءُ يومَ القيامةِ والمِلَكُ صَفًّا صَفًّا(٢)

وقال ابنُ أبي زيدٍ القيرواني: «**ممَّا أجمعت عليه الأئمَّةُ مِن أمورِ الدِّيانةِ، ومن السُّنَنِ التي خلافُها بِدعةٌ وضَلالةٌ... أنَّه يجيءُ يومَ القيامةِ بَعْدَ أن لم يكُنْ جائيًا، والمَلَكُ صَفًّا صفًّا؛ لعَرضِ الأُمَمِ وحِسابِها وعُقوبتِها وثوابِها... وكُلُّ ما قدَّمْنا ذِكْرَه فهو قَولُ أهلِ السُّنَّةِ وأئمَّةِ النَّاسِ في الفِقهِ والحديثِ على ما بيَّنَّاه، وكُلُّه قَولُ مالكٍ؛ فمنه منصوصٌ مِن قَولِه، ومنه معلومٌ مِن مَذهَبِه**»(٣).

قال أبو يعلى: قَولُه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: الآية: ٢٢]، معناه: مجيءُ ذاتِه؛ لأنَّ حَمْلَه على مجيءِ الأمرِ والمِلَكِ يُسقِطُ فائدةَ التَّخصيصِ بذلك اليومِ؛ لأنَّ أَمْرَه سابِقٌ، ولأنَّ هذا يوجِبُ تأويلَ «**تَرَونَ رَبَّكم**»(٤).

وقال أبو عُثمانَ الصَّابونيُّ: وكذلك يُثبِتون ما أنزله اللهُ عزَّ اسمُه في كِتابه؛ مِن ذِكرِ المجيءِ والإتيانِ المذكورينِ في قَولِه عزَّ وجَلَّ: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ [البقرة: ٢١٠]، وقَولِه عزَّ اسمُهُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:

(١) يُنظر: «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» للصابوني «ص: ٢٣٣».

(٢) يُنظر: «رسالة إلى أهل الثغر» «ص: ١٢٨».

(٣) يُنظر: «الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ» «ص: ١٠٧-١١٧».

(٤) يُنظر: «إبطال التأويلات» «ص: ١٣١».

الآية: ٢٢]

قد دل القرآن والسنة والإجماع على أنه سبحانه يجيء يوم القيامة، وينزل لفصل القضاء بين عباده، ويأتي في ظلل من الغمام والملائكة، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وينزل عشية عرفة، وينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، وينزل إلى أهل الجنة. وهذه أفعال يفعلها بنفسه في هذه الأمكنة فلا يجوز نفيها عنه بنفي الحركة والنقلة المختصة بالمخلوقين، فإنها ليست من لوازم أفعاله المختصة به، فما كان من لوازم أفعاله لم يجز نفيه عنه، وما كان من خصائص الخلق لم يجز إثباته له.

وحركة الحي من لوازم ذاته، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالحركة والشعور، فكل حي متحرك بالإرادة وله شعور فنفي الحركة عنه كنفي الشعور، وذلك يستلزم نفي الحياة"« (١)

(١) مختصر الصواعق «٢/ ٢٥٧ - ٢٥٨».

٢٩- إثبات صفة الوجه لله

[٢٩]- قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]

الشرح

الوجه صفةٌ ذاتيةٌ خبريَّة لله عَزَّ وجَلَّ ثابتة بالكتاب والسنة.

أولًا: الأدلة من القرآن على إثبات صفة الوجه: قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: الآية: ٢٢]

ثانيًا: الأدلة من السُّنة على إثبات صفة الوجه: عن ابن مسعود رضي الله عنه: «لما قسَّم النبي ﷺ الغنائم يوم حنين، وقال رجل: والله إنَّ هذه قسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وَجْه الله»[١] وحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الثلاثة الذين حُبِسُوا في الغار، فقال كل واحد منهم: «**اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ ففرج عنا ما نحن فيه**»[٢] وعن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنك لن تخلَّف فتعمل عملاً تبتغي به وَجْه الله؛ إلا ازددت به درجة ورفعة**»[٣]

ثالثًا: إثبات علماء أهل السنة لصفة الوجه:

قال إمام الأئمة ابن خزيمة في «**كتاب التوحيد**» بعد أن أورد جملة من الآيات تثبت صفة الوَجْه لله تعالى: "فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر؛ مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا؛ من غير أن نشبه وَجْه خالقنا بوَجْه أحد من المخلوقين، عز ربنا أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة

---

(١) رواه البخاري «٣١٥٠»، ومسلم «١٠٦٢».

(٢) رواه البخاري «٢٢١٥»، ومسلم «٢٧٤٣».

(٣) رواه البخاري «١٢٩٥»، ومسلم «١٦٢٨».

المعطلين". [(١)]

وقال الحافظ ابن منده: "ومن صفات الله عَزَّ وجَلَّ التي وصف بها نفسه قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، وقال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وكان النبي ﷺ يستعيذ بوَجْه الله من النار والفتن كلها، ويسأل به»، ثم سرد أحاديث بسنده، ثم قال: «**بيان آخر يدل على أنَّ العباد ينظرون إلى وَجْه ربهم عَزَّ وجَلَّ، وسرد بسنده ما يدل على ذلك**". [(٢)]

وقال قَوَّام السُّنَّة الأصفهاني: ذكر إثبات وَجْه الله عَزَّ وجَلَّ الذي وصفه بالجلال والإكرام والبقاء في قوله عَزَّ وجَلَّ: وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَام اهـ [(٣)]

(١) «التوحيد» «١/ ٢٥».

(٢) «التوحيد» «٣/ ٣٦».

(٣) «الحجة» «١/ ١٩٩».



٣٠- إثبات صفة اليدين

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قول أهل السنة والجماعة في إثبات صفة اليد لله تعالى.

المسألة الثانية: أقوال المخالفين في صفة اليد لله عز وجل.

[٣٠]- قال المصنف رحمه الله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: الآية: ٧٥]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: الآية: ٦٤]،

الشرح

المسألة الأولى: قول أهل السنة والجماعة في إثبات صفة اليد لله تعالى.

أ-معتقد أهل السنة والجماعة في صفة اليد.

اليدان صــفة ثبوتية ذاتية خبرية لله-عز وجل-، نثبتها كما نثبت باقي صــفاته؛ على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وهي ثابتة بالكتاب والسنة

والمقصود هنا بعبارة «صفة اليدين من الصفات:

١-الثبوتية.

٢-الذاتية.

٣-الخبرية».

١-«**الثبوتية**»: فهي من الصـــفات ثبوتية الصـــفات الثبوتية، وتعريفها: هي ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.[١]

٢-«**الذاتية**»: وهي صـــفة ذاتية باعتبار أنها لا تنفك عن الذات، والصـــفات الذاتية ضـــابطها: هي التي لا تنفك عن الذات.[٢]، أو: التي لم يزل ولا يزال الله متصـــفا بها. أو: الملازمة لذات الله تعالى.[٣]، ومنها: الوجه - اليدين - العينين[٤]

---

(١) الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها «ص: ٥٧».

(٢) الكواشف الجلية «ص: ٤٢٩».

(٣) التعريفات للجرجاني «ص: ١٣٣».

(٤) مجموع الفتاوى «٦/ ٦٨».

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "لله تعالى يدين مختصتان به، ذاتيتان له، كما يليق بجلاله"..[١]

٣-«**الخبرية**»: باعتبار أدلتها حيث تنقسم الصفات الثبوتية باعتبار أدلتها إلى قسمين:

القسم الأول: صفات شرعية عقلية، وهي ما اشترك في إثباتها الدليل العقلي مع الدليل الشرعي.

القسم الثاني: الصفات الخبرية وهي ما اقتصر في إثباتها على الدليل الشرعي فقط"[٢]

فصفة اليدين من القسم الثاني، وهي ما اقتصر في إثباتها على الدليل الشرعي فقط.

قال ابن القيم-رحمه الله-: "وَرَدَ لفظ اليد في القرآن، والسنة، وكلام الصحابة والتابعين، في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوِّعًا، متصرفًا فيه، مقرونًا بما يدل على أنها يدٌ حقيقية، من الإمساك، والطي، والقبض، والبسط، والمصافحة، والحثيات، والنضح باليد، والخلق باليدين، والمباشرة بهما، وكتب التوراة بيده، وغَرس جنة عدن بيده، وتخمير طينة آدم بيده، ووقوف العبد بين يديه، وكون المقسطين عن يمينه، وقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة عن يمينه، وتخيير آدم بين ما في يديه، فقال: «**اخترتُ يمينَ ربي**»، وأخذ الصدقة بيمينه يربِّيها لصاحبها، وكتابته بيده على نفسه أن رحمته تغلب غضبه، وأنه مَسَحَ ظهرَ آدم بيده، ثم قال له - ويداه مقبوضتان -: "اختر"، فقال: «**اخترتُ يمين ربي**»، وكلتا يديه يمين مباركة، وأن يمينه ملأى، لا يغيضها نفقة، سَحَّاء الليل والنهار، وبيده الأخرى القسط، يرفع ويخفض، وأنه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، وأنه يطوي السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهنَّ بيده اليُمْنَى، ثم يطوي الأرض باليد الأخرى، وأنه خَطَّ الألواحَ التي كتبها لموسى بيده"[٣]

---

(١) الرسالة المدنية «ص: ٩».

(٢) الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها «ص: ٨٩».

(٣) مختصر الصواعق المرسلة «ص: ٣٤٨».

ب-الأدلة على إثبات صفة اليد لله عز وجل.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع: مفردًا ومثنى ومجموعًا،

١-فالمفرد كقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: الآية: ١].

٢-والمثنى كقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: الآية: ٧٥].

٣-والمجموع ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس: الآية: ٧١].

فحيث ذكر اليد مثناة أضــاف الفعل إلى نفســه بضــمير الإفراد وعدى الفعل بالباء إليها فقال ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: الآية: ٧٥]، وحيث ذكرها مجموعة أضـــاف العمل إليها ولم يعد الفعل بالباء"[(١)].

١-قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: الآية: ٦٤].

٢-قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْـــجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْـــتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: الآية: ٧٥].

قال ابن جرير-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**»: "﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، يقول لخلق يديّ؛ يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه"[(٢)]

٤-قال تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: الآية: ٢٦].

٥-قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَـــتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّـــمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: الآية: ٦٧].

٦-قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة «ص: ٤٠».

(٢) تفسير الطبري «تفسير سورة ص: الآية: ٧٥».

يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: الآية: ١٠].

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: **٧٥١ هـ**»: "ووجه الدلالة أن الله أضاف اليد إلى نفسه، فنثبتها صفة كمال كما يليق بجلاله وعظمته.

ولا يلزم من ظاهر اللفظ حصول المماسة بين يد الله تعالى وأيديهم، بل إن من المتقرر شرعًا وعقلًا علو الله تعالى على خلقه، فيد الله تعالى حقيقة فوق أيديهم، فجاء ذكر اليد تأكيداً للمبايعة وتشديداً عليها، فلما كانوا يبايعون رسول الله بأيديهم، ويضرب بيده على أيديهم، وكان رسول الله هو السفير بينه وبينهم، كانت مبايعتهم له مبايعة الله تعالى، ولما كان سبحانه فوق سماواته على عرشه، وفوق الخلائق كلهم، كانت يده فوق أيديهم، كما أنه سبحانه فوقهم"[(١)]

فالسياق وإن كان دالاً على تأكيد المبايعة، إلا أنه لما أضاف اليد إلى نفسه دل على اتصافه بها، فلو كانت نقصاً لم يضفها - تعالى - إلى نفسه.

٧-قال تعالى: ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: الآية: ٨٨].

٨-قال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: الآية: ٨٣].

٩-قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: الآية: ٧١].

١٠-قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: الآية: ٦٧].

١١-قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: الآية: ١].

الأدلة من السنة على إثبات صفة اليدين لله عز وجل.

(١) مختصر الصواعق المرسلة «ص: ٣٣٤».

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: **٧٢٨ هـ**»: "وقد تواتر في الســـنة مجيء اليد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم"[(١)].

عن أبي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللهُ عنه-«ت: **٥٩ هـ**» أنَّ النَّبيَّ-صلى الله عليه وسلم-قال: «**يمينُ الرحمن ملأى ســـحَّاءُ لا يغيضُـــها اللَّيلَ والنَّهارَ**»، قالَ: «**أرأيتُم ما أنفقَ منذُ خلقَ السَّـــماواتِ، فإنَّهُ لم يغِضْ ما في يمينِهِ، وعرشُـــهُ على الماءِ، وبيدِهِ الأخرى الميزانُ يخفِضُ ويرفعُ**».[(٢)].

عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ-رضِيَ اللهُ عنه-«ت: **٧٤ هـ**» قَالَ النَّبِيُّ-صلى الله عليه وسلم-: «**تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ**».[(٣)]

عن أبي هُرَيْرَةَ-رضِيَ اللهُ عنه-«ت: **٥٩ هـ**» قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم» :مَا تَصَـدَّقَ أَحَدٌ بِصَـدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً».[(٤)]

عن أبي هُرَيْرَةَ-رضِـــيَ اللهُ عنه-«ت: **٥٩ هـ**» أنَّ النَّبيَّ-صـــلى الله عليه وســـلم-قال: «**احتجَّ آدمُ وموسى، فقال موسى: يا آدمُ، أنتَ أبونا، خيَّبْتَنا وأخرجْتَنا منَ الجنَّةِ، فقالَ لَهُ آدمُ: أنتَ موسَى، اصطفاكَ اللهُ بِكَلامِهِ، وخطَّ لَكَ بيدِه**».[(٥)]

عن أَبِي مُوسَـى-رضِـيَ اللهُ عنه-«ت: **٤٤ هـ**»: قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ-صـلى الله عليه وسـلم-: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُـطُ يَدَهُ بِاللَيْلِ لِيَتُوبَ مُسِـيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُـطُ يَدَهُ بِالنهَارِ**

(١) الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله «ص: ٩».

(٢) رواه البخاري «٤٦٨٤»، ومسلم «٩٩٣»، والترمذي «٣٠٤٥» واللفظ له.

(٣) رواه البخاري «٦٥٢٠»، ومسلم «٢٧٩٢».

(٤) رواه البخاري «١٤١٠»، ومسلم «١٠١٤» واللفظ له.

(٥) رواه مسلم «٢٦٥٢».

لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».[(١)]

عن أبي هُرَيْرَةَ-رضِيَ اللهُ عنه-«**ت: ٥٩ هـ**»، أنَّ النَّبيَّ-صلى الله عليه وسلم-في حديث الشفاعة: قال: »«**فيأتونَ آدمَ فيقولونَ: أنتَ أبو البشرِ، خلقَكَ اللَّهُ بيدِهِ ونفخَ فيكَ من روحِهِ، وأمرَ الملائِكةَ فسجدوا لَكَ، اشفع لنا إلى ربِّكَ»**.[(٢)]

عن عَبْدِاللَّهِ بن مسعود-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-«**ت: ٣٢ هـ**» قال: جاء حَبْرٌ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقال: «**يا محمدُ، إنَّ اللهَ يَضَعُ السماءَ على إِصبَعٍ، والأرضَ على إصبَعٍ، والجبالَ على إِصبَعٍ، والشجرَ والأنهارَ على إِصبَعٍ، وسائرَ الخلقِ على إِصبَعٍ، ثم يقولُ بيدِه: أنا الملِكُ، فضحِك رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وقال: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ»**.[(٣)]

عن أبي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللهُ عنه-«**ت: ٥٩ هـ**»، أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «**يقبِضُ اللهُ الأرضَ، ويَطوي السَّماواتِ بيَمينِه، ثمَّ يقولُ: أنا الملِكُ، أين مُلوكُ الأرضِ؟»**[(٤)]

عن عمر-رضِيَ اللهُ عنه-«**ت: ٢٣ هـ**»، أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ اللهَ عز وجل خلق آدمَ، ثم مسح ظهرَه بيمينِه، فاستخرج منه ذريةً»**.[(٥)]

عن عبد الله بن عمرو-رضِيَ اللهُ عنهما-«**ت: ٦٥ هـ**»: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»**.[(٦)]

---

(١) رواه مسلم «٢٧٥٩».

(٢) رواه البخاري «٤٧١٢»، ومسلم «١٩٤».

(٣) رواه البخاري «٧٤٥١» واللفظ له، ومسلم «٢٧٨٦».

(٤) رواه البخاري «٤٨١٢» واللفظ له، ومسلم «٢٧٨٧».

(٥) رواه أبوداود «٤٧٠٣»، والترمذي «٣٠٧٥»، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» «٣٠٧٦».

(٦) رواه مسلم «١٨٢٧».

عن ابْنِ عباس -رضِيَ اللهُ عنهما- «ت: ٦٨ هـ»، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «**إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ، وَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**».(١)

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- «ت: ٧٤ هـ»، قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك**»(٢)

عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- «ت: ٦٥ هـ»، قال: رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على المنبر وهو يقول: «**يأخذ الجبار عز وجل، سماوته وأرضيه بيديه**».(٣)

الأدلة النقلية على إثبات الكف والأصابع والأنامل لله عز وجل:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رضِيَ اللهُ عنه- «ت: ٥٩ هـ»: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «**مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ**»(٤)

عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- «ت: ٦٥ هـ»، قال: جاء حَبرٌ إلى رسولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- فقال: «**يا محمدُ، إنَّ اللهَ يَضَعُ السماءَ على إِصبَعٍ، والأرضَ على إِصبَعٍ، والجبالَ على إِصبَعٍ، والشجرَ والأنهارَ على إِصبَعٍ، وسائرَ الخلقِ على إِصبَعٍ، ثم يقولُ بيدِه: أنا الملِكُ، فضحِك رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ**

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» «٥٤٢» «٢/ ٩٤٧» بهذا السياق، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» «٣١٣٦»: إسناده صحيح، وله شواهد متفرقة.

(٢) رواه البخاري «٧٥١٨»، ومسلم «٩».

(٣) رواه مسلم «٢٦».

(٤) رواه مسلم «١٦٩٠».

حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾».[(١)]

عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٥ هـ**»، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**».[(٢)]

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ-رضِيَ اللهُ عنه-«**ت: ١٨ هـ**»، قَالَ: احْتَبَسَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى قَرْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَرِيعًا، فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، وَصَلَّى وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ، قَالَ: «**كَمَا أَنْتُمْ عَلَى مَصَافِّكُمْ كما أنتم**»، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: «**إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةَ، إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي، فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي يَا رَبِّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي رَبِّ، فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ صَدْرِي، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ، قَالَ: وَمَا الْكَفَّارَاتُ؟ قُلْتُ: نَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ، وَجُلُوسٌ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْكَرِيهَاتِ، قَالَ: وَمَا الدَّرَجَاتُ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الْكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، قَالَ: سَلْ، قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ**

---

(١) رواه البخاري «٧٤٥١»، ومسلم «٢٧٨٦».

(٢) رواه مسلم «٢٦٥٤».

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا وَتَعَلَّمُوهَا».[(١)]

أقوال السلف في إثبات صفة اليدين لله -عزو جل-.

لفظ اليد ورد متواترًا في القرآن، والسنة، وفي كلام الصحابة والتابعين:

قال الإمام الشافعي -رحمه الله- «**ت: ٢٠٤ هـ**»: "لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه صلى الله عليه وسلم أمَّته...، وأن له يدين بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: الآية: ٦٤]، وأن له يمينًا بقوله: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: الآية: ٦٧]"[(٢)]

قال أبو الحسَن الأشعَري -رحمه الله- «**ت: ٣٢٤ هـ**»: "وأجمعوا على أنه عزَّ وجلَّ يَسْمَعُ ويَرَى، وأن له تعالى يدين مبسوطتَيْن". [(٣)]

قال أبو عيسى الترمذي -رحمه الله- «**ت: ٢٧٩ هـ**»: "قال أهل العلم في أحاديث الصفات مثل حديث النزول، وذكر الرجل، والقدم، واليدين: نؤمن بهذا كله ولا يقال: كيف، ولا لم، مع اعتقاد التمجيد ونفي التشبيه والتمثيل، وينسبون من أنكرها إلى الجهمية، والصحيح إمرارها كما جاءت، وبه قال مالك والشافعي، والثوري، وابن عيينة، وابن المبارك وجميع المحدثين وأهل العلم من السنة والجماعة، وأما الجهمية فقالوا: هذا تشبيه ثم تأولوه". [(٤)]

قال ابن خزيمة -رحمه الله- «**ت: ٣١١ هـ**»: "باب ذكر إثبات اليد للخالق البارئ جل وعلا والبيان أنَّ الله -تعالى- له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله ...".

ثم قال: باب ذكر البيان من سنة النبي صلى الله عليه وسلم: على إثبات يد الله -جل وعلا-، موافقاً لما تلونا من تنزيل ربنا لا مخالفاً"، ثم ذكر عدداً من النصوص الدالة على

(١) رواه أحمد «٥ /٢٤٣»، والترمذي «٣٢٣٥»، وصححه والألباني.

(٢) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى «١/ ٢٨٢».

(٣) انظر: «رسالته إلى أهل الثغر»، «ص: ٢٢٥».

(٤) انظر الجامع للترمذي «٣/ ٥٠-٥١»، مستخرج الطوسي «٣/ ٣٦٧»، وراجع العلو رقم «٤٧٧».

ذلك[(١)]

وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع، والبصر، والعين، والوجه، والعلم، والقوة، والقدرة، والعزة، والعظمة، والإرادة، والمشيئة، والقول والكلام، والرضا والسخط، والحياة، واليقظة، والفرح، والضحك، وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله–تعالى–، وقاله رسوله–صلى الله عليه وآله وسلم–من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه، ولا تكييف له ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه بتأويل منكر، ويجرونه على الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله–تعالى–: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: الآية: ٧].

وقال أبو الحسن الأشعري–رحمه الله–«**ت: ٣٢٤ هـ**»: "وأجمعوا على أنه عزَّ وجلَّ يسمع ويرى، وأنَّ له تعالى يدين مبسوطتين"[(٢)].

وقال أبو بكر الإسماعيلي–رحمه الله–«**ت: ٣٧٠ هـ**»، –فيما ذكره عن اعتقاد أئمة الحديث–: "ويعتقدون أنَّ الله –تعالى–مدعو بأسمائه الحسنى، وموصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه–صلى الله عليه وسلم–، خلق آدم بيده، ويداه مبسوطتان ينفق، كيف يشاء، بلا اعتقاد كيف يداه إذ لم ينطق كتاب الله– تعالى–فيه بكيف"[(٣)]

وقال أبو بكر الإسماعيلي–رحمه الله–«**ت: ٣٧٠ هـ**»: "وخلق آدم عليه السلام بيده، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، بلا اعتقاد كيف يداه، إذ لم ينطق كتاب الله تعالى فيه

(١) كتاب التوحيد «١/ ١١٨–١٢٥».

(٢) «رسالة إلى أهل الثغر» «ص: ٢٢٥».

(٣) اعتقاد أئمة الحديث «ص: ٤٩–٥١».

بكيف"[(١)]

وقال السمعاني–رحمه الله–«**ت: ٤٨٩ هـ**»: "وأما اليد: صفة الله–تعالى–بلا كيف، وله يدان ..."[(٢)]

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي–رحمه الله–«**ت: ٣٩٢ هـ**»: "وأما الكلام في الصفات؛ فما روي في السنن الصحاح؛ فمذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، والأصل في هذا أن الكلام في صفات فرع على الكلام في الذات، وإذا كان معلوما أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته فإنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: يد وسمع وبصر؛ فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول: إن معنى اليد: القدرة، ولا نقول: إن معنى السمع والبصر: العلم، ولا نقول: إنها جوارح وأدوات الفعل"[(٣)]

وقال البغوي–رحمه الله–«**ت: ٥١٦ هـ**»: "... وكذلك كل ما جاء من هذا القبيل في الكتاب والسنة كاليد، والإصبع ... فالإيمان بها فرض، والامتناع عن الخوض فيها واجب، فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر معطل، والمكيف مُشبه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ..."[(٤)]

وقال الأصبهاني–رحمه الله–«**ت: ٥٣٥ هـ**»: "والإيمان بما ورد في القرآن من صفات الله–تعالى–، كاليد وإمرارها على ما جاءت لا تكيّف، ولا تتأول"[(٥)]

وقرر ابن قدامة المقدسي–رحمه الله–«**ت: ٦٠٠ هـ**» ثبوت صفة اليد لله، فقال: "ومن

---

(١) «اعتقاد أئمة الحديث» «ص: ٥١».

(٢) تفسير القرآن «٢/ ٥١».

(٣) انظر رسالته في الصفات «ص: ٦٤-٦٥»، ونقله عنه ابن قدامه في ذم التأويل «ص: ١٥».

(٤) شرح السنة «١٥/ ٢٥٧-٢٥٨».

(٥) الحجة في بيان المحجة «٢/ ٣١١».

صفاته- سبحانه- الواردة في كتابه العزيز، الثابتة عن رسوله المصطفى الأمين اليدان فلا نقول يدكيد ولا نكيف ولا نشبه"[(١)]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "إنَّ لله تعالى يدين مختصتين به، ذاتيتين له، كما يليق بجلاله". [(٢)]

وقال الذهبي-رحمه الله-«**ت: ٧٤٨ هـ**»: "فإن قيل: لا تكون اليد حقيقة إلا جارحة وجسمًا.

قيل: فما تقولون في يدي الله تعالى؟ فإن قالوا: نقول: بمعنى القدرة.

قيل: فالقدرة لا تكون [إلا] عرضا، ولا تُعقل إلا عرضًا.

فإن قالوا: إنما تكون عرضًا فينا.

قلنا: إنما تكون جارحة فينا ...

ولِمَ قلتم أيضًا: إن اليد إنما تكون حقيقة هذه الجارحة، بل إنما اليد لفظ مشترك، وهي بحسب ما تضاف إليه ومن جنس ما توصف بها، فإن كان الموصوف بها حيواناً كانت جارحة، وإن كان تمثالاً من صفراء وحجر كانت صفراء وحجر، وإن كان تمثالاً عرضاً في حائط كانت عرضاً في حائط، وإن كان ليس كمثله شيء وليس بجسم كانت ليس كمثلها شيء وليست بجسم ...

فنقول: لله تعالى يد حقيقة تليق به، ولا يلزم من ذلك محذور من تشبيه أو تجسيم"[(٣)]

وصف إحدى يدي الله جل وعلا بالشمال على قولَيْن لأهل العلم:

١-القائلون بأنَّ كلتا يدي الله يَمِين لا شمال ولا يسار فيهما، ومنهم: الإمام ابن خزيمة-رحمه الله-«**ت: ٣١١ هـ**» في «**كتاب التوحيد**»، والإمام أحمد-رحمه الله-«**ت: ٢٤١**

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد «ص: ١١٢-١١٧».

(٢) «مجموع الفتاوى» «٦/ ٢٦٣».

(٣) رسالة في إثبات صفة اليد «ص: ٤٢، ٤٦» [ضمن مجموع رسائل بتحقيق: عبد الله البراك].

هـ»، والبيهقي-رحمه الله-«**ت: ٤٥٨ هـ**».

واستدلوا بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٥ هـ**»، مرفوعًا: «**إنَّ المقسطين عند الله على منابر من نور عن يَمِين الرحمن عزَّ وجلَّ، وكلتا يديه يَمِين...**». [(١)]

وأهل السنة والجماعة يُثبتون صفة الأصابع لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل:

قال الإمام الشافعي-رحمه الله-«**ت: ٢٠٤ هـ**»: "لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيُّه-صلى الله عليه وسلم-أمته ... وأن له إصبعًا بقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: «**ما من قلبٍ إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن عزَّ وجلّ**».[(٢)]

قال إمام الأئمة ابن خزيمة-رحمه الله-«**ت: ٣١١ هـ**» في كتاب «**التوحيد**»: «**باب إثبات الأصابع لله عَزَّ وجَلّ**»، وذكر بأسانيده ما يثبت ذلك.

وقال أبو بكر الآجري-رحمه الله-«**ت: ٣٦٠ هـ**» في كتاب «**الشريعة**»: «**باب الإيمان بأن قلوب الخلائق بين إصبعين من أصابع الرب-عَزَّ وجَلَّ-، بلا كيف**».

وقال البغوي-رحمه الله-«**ت: ٥١٦ هـ**»: "والإصْبع المذكورة في الحديث صفةٌ من صفات الله عَزَّ وجَلّ، وكذلك كلُّ ما جاء به الكتاب أو السنَّة من هذا القبيل من صفات الله تعالى؛ كالنَّفس، والوجه، والعين، واليد، والرِّجل، والإتيان، والمجيء، والنُّزُول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك، والفرح"[(٣)]

وأهل السنة والجماعة يُثْبِتُون صفة الكف لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غَيْر تكْييف ولا تمثيل:

---

(١) رواه مسلم «١٨٢٧».

(٢) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى «١/ ٢٨٢».

(٣) «شرح السنة» «١/ ١٦٨».

قال قَوَّام السُّنَّة الأصبهاني -رحمه الله- «**ت: ٥٣٥ هـ**» بعد سرده لجملة من أحاديث الصفات: "وقوله: «**إنَّ أحدكم يأتي بصدقته فيضعها في كف الرحمن**»، وقوله: «**يضع السماوات على إصبع والأرضين على إصبع**».. وأمثال هذه الأحاديث، فإذا تدبَّره متدبر، ولم يتعصب بانَ له صحة ذلك، وأنَّ الإيمان به واجب، وأنَّ البحث عن كيفية ذلك باطل"[(١)]

وقال رحمه الله: "وللكف معانٍ، وليس يحتمل الحديث شيئًا من ذلك، إلا ما هو معروف في كلام العرب، فهو معلوم بالحديث، مجهول الكيفية"[(٢)]

وقال صديق حسن خان -رحمه الله- «**ت: ١٣٠٧ هـ**»: "ومن صفاته سبحانه: اليد والإصبع والكف"[(٣)]

وأهل السنة والجماعة يُثبتون صفة الأنامل لله تعالى كما يَلِيق بجلاله، من غَيْر تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل:

ويدل على هذه الصفة حديث معاذ بن جبل -حديث اختصام الملأ الأعلى- وفيه: «**أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي يَا رَبِّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي رَبِّ، فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ صَدْرِي**»[(٤)]

واستدل رحمه الله بهذا الحديث على إثبات صفة الأنامل لله تعالى على الوجه الذي يليق بجلاله وعظيم سلطانه[(٥)]

المسألة الثانية: أقوال المخالفين في صفة اليد لله -عز وجل-.

---

(١) «الحجة» «٢/ ٢٥٩».

(٢) «الحجة» «٢/ ٢٦٢».

(٣) «قطف الثمر» «ص: ٦٦».

(٤) رواه أحمد «٥/ ٢٤٣»، والترمذي «٣٢٣٥»، وصحَّحه والألباني.

(٥) انظر: «نقض أساس التقديس» «ص: ٥٢٤-٥٢٦».

انقسم المبتدعة المخالفون لمنهج السلف في إثبات صفة اليد الله وعمل إلى طائفتين: [(١)]

الطائفة الأولى: المعطلة النفاة:

أنكر المعطلة ثبوت صـــفة اليد الله-عز وجل-حقيقة واحتجوا بأنَّ وصـــفه بذلك يعني وصفه-عز وجل-بالجوارح، والأعضاء، والأدوات والأبعاض، وهذا يقتضي كونه جسماً مركباً متبعضـاً متجزئاً محدوداً، وهذا يسـتلزم تشـبيه الخالق-عز وجل-بالمخلوق، والله-تعالى-منزه عن ذلك، ولا يشبه المخلوق[(٢)]

وما ذهب إليه هؤلاء المعطلة غير صحيح والجواب عنه من وجوه:

الأول: أنَّ ظاهر هذا اللفظ ونحوه إذا أطلق على المخلوق كان عرضـاً وجسـماً؛ لأنَّ ذات المخلوق كذلك، لكن إذا أطلق على الله-عز وجل-فلا يكون ظاهره إلا ما يليق بجلاله-عز وجل-ويناسب نفسه[(٣)]

الثاني: أنَّ إثبات هذه الصـفة الله-عز وجل-وإنما يمتنع لو كانت اليد التي وصـف الله بها أيدي المخلوقين، أما إذا كانت يداً تناســـب ذاته عز وجل، وتليق بعظمته، فإنَّ هذا لا يمتنع[(٤)]، والسـلف-رحمهم الله-يثبتون اليد الله وعلى وجه يليق بجلاله وعظمته دون تشـبيه بيد المخلوق.

الثالث: أنَّ هؤلاء المعطلة قد فروا من إثبات تلك الصـفة الله-عز وجل-حقيقة، خشـية التشبيه والتمثيل، والتجسيم، والتركيب، وهذا المحذور لازم لهم فيما أثبتوه من صفات، فيلزمهم

---

(١) المصـدر: بحث صـفة اليد لله تعالى والرد على المخالفين، نوره بنت محمد الجاسـر، مجلة الدراسـات الإسـلامية والبحوث الأكاديمية العدد «٨٣» من ص: ٢٤٠-٢٤٧.

(٢) ينظر: متشـابه القرآن: عبد الجبار الهمذاني، «١/ ٢٣٠- ٢٣١»، أصـول الدين: البغدادي، «ص: ١١١»، الأسماء والصـفات: البيهقي، «٢/ ١٧٢»، العقيدة النظامية: الجويني، «ص: ١٠٥»، التفسير الكبير: الرازي، «٢٦/ ٢٠١».

(٣) ينظر الفتاوى الكبرى ابن تيمية، «٦/ ٤٧٢».

(٤) ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: الغنيمان، «١/ ٣٢٩».



لذلك أن ينفوا ما أثبتوه من الصفات، خشية الوقوع في المحذور.(١)

الرابع: أن لفظ التجسيم، والتركيب، والتحديد ... إلخ من الألفاظ المجملة، التي تحتمل معنى حقًا ومعنى باطلاً، ومنهج السلف فيها، التفصيل في معناها، فإن أريد بها معنى حق قبلت، وإن أريد بها معنى باطل ردت.(٢)

فإن كان المراد بالجسم المنفي الجسد أو البدن الكثيف، الذي لا يسمى في اللغة جسم سواه، فقولهم حق.

وإن كان المراد به الجسم المركب من الجواهر المفردة، أو من المادة والصورة، فهذا أيضاً حق.

أما إذا كان المراد به ما يقوم به-عز وجل-من الصفات، فقولهم باطل، فإنَّ هذه المعاني ثابتة الله-عز وجل-وهو موصوف بها.(٣)

ومثل لفظ الجسم بقية الألفاظ يستفصل في معناها، فإن أريد بها معنى حق قبلت، وإن أريد بها معنى باطل ردت.

ولما رأى المعطلة استحالة وصف الله-عز وجل-باليد حقيقة، قاموا بتأويل هذه الصفة لله-عز وجل-بجملة من التأويلات، من أشهرها ما يلي:

التأويل الأول: قيل المراد باليد النعمة..

لأنَّ اليد تطلق في اللغة بمعنى النعمة، يقال: لفلان علي يد، أي: نعمة ومنة.(٤)

وأجابوا عن معنى التثنية الوارد في بعض النصوص بما يأتي:

الأول: أنّ الله إنما ثنى اليد مبالغة في الرد على اليهود ونفي البخل عنه، وإثباتاً لغاية الجود

(١) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، «٢/ ٤٠٩».

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى شيخ الإسلام، «١/ ١١٠»، «١٢/ ١١٤».

(٣) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، «١/ ١٣٢»، «٢/ ٤٠٩».

(٤) ينظر التمهيد الباقلاني «ص: ٢٩٦ – ٢٩٧»، تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي، «ص: ٤٠»، شرح الأصول الخمسة: عبد الجبار الهمذاني، «ص: ٢٢٨».

والسخاء، فإنَّ غاية ما يبذل السخي من ماله أن يعطيه بيديه جميعاً.(١)

الثاني: أنَّها تثنية جنس لا تثنية واحد مفرد، فيدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع لا نهاية لها.(٢)

فقد يكون المراد بالتثنية باعتبار نعمة الدنيا ونعمة الآخرة (٣)، أو نعمة النفع ونعمة الدفع(٤)، أو نعمة الشدة ونعمة الرخاء (٥)، أو نعمة المطر والنبات (٦)، أو نعمة الظاهر ونعمة الباطن.(٧)

الثالث: أنَّ من عادة العرب أن تضع المثنى مكان المفرد.(٨)

التأويل الثاني: قيل المراد باليد القوة والقدرة؛ لأنَّ اليد يعبر بها في اللغة عن القوة والقدرة، يقال: هذا الشـيء في يد فلان وتحت يد فلان، أي: تحت قدرته وقوته(٩)، واحتج على ذلك بقوله–تعالى–: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيدٍ﴾ [الذاريات: الآية: ٤٧]، أي بقوة(١٠)

وأجابوا عن معنى التثنية الوارد في بعض النصوص بما يأتي:

---

(١) ينظر: متشـابه القرآن عبد الجبار الهمذاني، «١/ ٢٣٢»، البحر المحيط: أبو حيان، «٣/ ٥٢٤»، التفسـير الكبير: الرازي، «١٢/ ٣٧».

(٢) ينظر: التفسير الكبير: الرازي، «١٢/ ٣٧»، الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، «٦/ ٢٢٦».

(٣) ينظر: متشابه القرآن عبد الجبار المعتزلي «١/ ٢٣»، التفسير الكبير: الرازي، «١٢/ ٣٧»، «٢٦/ ٢٠١».

(٤) ينظر: التفسير الكبير: الرازي «١٢/ ٣٧».

(٥) ينظر: التفسير الكبير: الرازي «١٢/ ٣٧».

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن القرطبي؛ «٦/ ٢٢٦»، البحر المحيط: أبو حيان، «٣/ ٥٢٤».

(٧) ينظر متشابه القرآن عبد الجبار الهمذاني، «١/ ٢٣١»، التفسير الكبير: الرازي، «١٢/ ٣٧»، «٢٦/ ٢٠١».

(٨) ينظر: شرح الأصول الخمسة: عبد الجبار الهمذاني، «ص: ٢٢٨»، إكمال المعلم: القاضي عياض، «١/ ٥٦٨».

(٩) ينظر: التمهيد الباقلاني، «ص: ٢٩٦-٢٩٧»، مشكل الحديث ابن فورك «ص: ١٨٤،١٨٨، ١٨٩، ٢٢٤».

(١٠) ينظر: الإبانة: الأشعري: «ص: ٥٥»، دفع شبه التشبيه: ابن الجوزي، «ص: ٣٣».

- الأول: أنَّ الله-عز وجل-وإنما ثنى اليد باعتبار قوة الثواب وقوة العقاب[(١)]

- الثاني: أنَّ من عادة العرب أن تأتي بالمثنى بمعنى الواحد[(٢)]

وما ذهب إليه هؤلاء المعطلة من تأويل اليد بمعنى النعمة أو القدرة والقوة يعد تأويلاً باطلاً، والجواب عنه من وجوه:

الأول: أنَّ الأصل في الكلام الحقيقة، ولا ينصرف عنها إلى المجاز إلا بقرينة، ولا قرينة هنا، فدعوى المجاز مخالفة للأصل[(٣)]، وقد تكرر التصريح بذكر اليد لله-عز وجل-في العديد من النصوص، وهي لا تحتمل التأويل بحال، ولا يمكن حمل اليد فيها إلا على الحقيقة، ومن لم يحملها على الحقيقة فهو معطل لها.[(٤)]

الثاني: أنّ هذا التأويل مخالف لإجماع السلف وطريقتهم-رحمهم الله-؛ حيث إنّهم مجمعون على إثبات اليد لله-عز وجل-حقيقة على الوجه اللائق به دون تعطيل وتأويل.[(٥)]

الثالث: أنَّ هذه المعاني اللغوية لليد إذا جازت في حق المخلوق، فإنَّها لا تجوز في حق الخالق-عز وجل-؛ لأن هذا لا يليق بصفاته-عز وجل-.

الرابع: أنَّ هذه الصفة الله-عز وجل-قد تصرفت تصرفاً يمنع هذا التأويل.[(٦)]

الخامس: أنَّ هذا التأويل مخالف للغة العرب التي نزل بها القرآن، إذ لا يوجد في كلام العرب، ولا العجم أيضاً، أنَّ فصيحاً يقول: فعلت هذا بيدي إلا يكون قد فعله بيديه حقيقة،

---

(١) ينظر النكت والعيون الماوردي، «١/ ٥١»، الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، «٦/ ٢٢٦».

(٢) ينظر: إكمال المعلم: القاضي عياض، «١/ ٥٦٨».

(٣) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، «٢/٤٠١».

(٤) ينظر: شرح لمعة الاعتقاد: ابن عثيمين، «ص: ٥٠».

(٥) ينظر: شرح لمعة الاعتقاد: ابن عثيمين، «ص: ٥٠»، شرح العقيدة الواسطية: ابن عثيمين، «١/ ٢٤٣، ٣٠٦».

(٦) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، «٢/ ٤١٥».

ولا يصح أن يكون لا يد له أو أن يكون له يد، والفعل يقع بغيرها.(١)

السـادس: أنَّ مثل هذا التأويل لا يستعمل إلا مفرداً أو مجموعاً، كقولك: له عندي يد يجزيه الله بها، وله عندي آياد، أما إذا جاء بلفظ التثنية، لم يعرف استعماله قط إلا في اليد الحقيقية.(٢)

السابع: أنَّ لفظ «**اليدين**» بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة؛ لأنَّ من لغة القوم استعمال الواحد في الجمع، كقوله – تعالى –: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: الآية: ٢]، ولفظ الجمع في الواحد، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاس﴾ [آل عمران: الآية: ١٧٣]، ولفظ الجمع في الاثنين، كقوله تعالى: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُما﴾ [التحريم: الآية: ٤]، أمَّا استعمال لفظ الواحد في الاثنين، أو الاثنين في الواحد فلا أصل له؛ لأن هذه الألفاظ عدد، وهي نصوص في معناها لا يتجوز بها.(٣)

الثامن: أنَّ هؤلاء المعطلة لما رأوا أنَّ اليد قد تطلق في بعض المواضع على النعمة والقدرة، ظنوا أنَّ كل سياق وتركيب صالح لذلك، فوهموا وأوهموا.(٤)

التاسع: أنَّ هذا التركيب المذكور في قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَى﴾ [ص: الآية: ٧٥] يأبى حمل الكلام على القدرة؛ لأنه نسب الخلق إلى نفسه سبحانه، ثم عدى الفعل إلى اليد، ثم ثناها، ثم أدخل عليها الباء التي تدخل على قولك: كتبت بالقلم، ومثل هذا النص صريح لا يحتمل المجاز.(٥)

العاشر: أنه لو صح تأويل اليد بالنّعمة لاستلزم ذلك أن تكون النعمة من الله ول نعمتين

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، «٦/ ٣٦٦».

(٢) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، «٢/ ٤٠٣».

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، «٦/ ٣٦٥».

(٤) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، «٢/ ٤٠٢- ٤٠٣».

(٥) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، «٢/ ٤٠٤».

فقط، وهذا باطل؛ لأنَّ نعم الله وعمل أكثر من أن تحصـــى، قال - تعالى-: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: الآية: ٣٤].[١]

الحادي عشــر: أنَّ نعم الله وحادثة مخلوقة؛ لذلك لايصــح تأويل اليد بالنعمة، لاســتحالة خلق المخلوق بمخلوق مثله.[٢]

الثاني عشـــر: لو كان المراد باليد القوة أو القدرة لاســـتلزم ذلك أن تكون القوة قوتان، والقدرة قدرتان، والقدرة والقوة عند الســـلف-رحمهم الله-صـــفة واحدة لا تتعدد، والنفاة لا يثبتون قدرة واحدة فكيف يثبتون قدرتين.[٣]

الثالث عشــر: الاســتدلال بقوله-تعالى-: ﴿وَالسَّـــمَاءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِـــعُونَ﴾ [الذاريات: الآية: ٤٧]، أي: بقوة، لا حجة فيه؛ لأنَّ لفظ «**أييد**» هنا ليس جمع يد، وإنما مصدر أدَّ الرجل يئيد أيداً، أي قوي وعلى هذا فإنَّ الآية ليست صفة الله-عز وجل-.[٤]

التأويل الثالث: قيل المراد باليد: الرزق.[٥]

وقد أبطل الدارمي-رحمه الله-«**ت: ٢٨٠ هـــ**» هذا التأويل، وبيَّن أنَّه يُعَدُّ كذباً محالاً، فضـــلاً عن أن يكون كفراً، وذكر أنَّ القائلين بذلك قد خرجوا بهذا التأويل من لغات العرب والعجم، ثم استدل-رحمه الله-بعدد من النصوص التي ورد فيها ذكر اليد لله-عز وجل-، وبين أنها تدل دلالة واضـــحة على ثبوت اليد لله-عز وجل-حقيقة، وأنها لا تصـــح أن تفســـر

---

(١) ينظر: كتاب التوحيد ابن خزيمة، «١/ ١٩٨-١٩٧»، الاقتصـــاد في الاعتقاد المقدســـي، «ص: ١١٨»، مجموع فتاوى شـــيخ الإسلام، «٦/ ٣٦٥».

(٢) ينظر: شرح صحيح البخاري: ابن بطال، «١٠/ ٤٣٧»، فتح الباري: ابن حجر، «١٣/ ٣٩٤».

(٣) ينظر: الإبانة: الأشـعري، «ص: ٥٥»، شـرح صـحيح البخاري: ابن بطال «١٠/ ٤٣٦»، مجموع فتاوى شـيخ الإسـلام، «٦/ ٣٦٥».

(٤) ينظر: كتاب التوحيد: لابن خزيمة «١/ ١٩٩»، الكليات: الكفوي «ص: ٩٨٤».

(٥) ينظر: نقض الدارمي على المريسي، «١/ ٢٤١-٢٩٩»، الرد على الجهمية: الدارمي، «ص: ٢٠١».

بالرزق[(١)]

التأويل الرابع: قيل المراد باليد: الملك، بكسر الميم.[(٢)]

وهذا التأويل باطل أيضـاً، ولا يجوز؛ لتثنية اليد والله–عز وجل–ليس له ملكان[(٣)]. التأويل الخامس: قيل: قد يكون المراد باليد في قوله–تعالى–: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَى﴾ [ص: الآية: ٧٥] التأكيد والصلة، والمعنى: أنَّه خلق آدم فحسب[(٤)]

وهذا التأويل أيضـــاً باطل؛ لأنَّ اليد لو كانت بمعنى الصـــلة، لكان لإبليس أن يقول: إن كنت قد خلقته فقد خلقتني"، [(٥)] فتبين مما ســـبق بطلان قول المعطلة النفاة، وبطلان التأويلات التي ذكروها.

الطائفة الثانية المشبهة والممثلة..

أثبت المشـبهة صـفة اليد لله–عز وجل–حقيقة، لكن على وجه يماثل يد المخلوق؛ حيث قالوا: يد الله –عز وجل–كيد المخلوق.[(٦)] وهؤلاء لم يوفقوا للصواب في قولهم؛ حيث إنهم غلوا في إثبات هذه الصـــفة لله، فجعلوا يد الله–عز وجل–كيد المخلوق، والله–عز وجل–يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَـيْءٌ وَهُوَ السَّـمِيعُ البَصِـيرُ﴾ [الشـورى: الآية: ١١]، فنفى الله–عز وجل–في هذه الآية مشابهته لخلقه.

وبناءً على ما ســـبق يتبيّن بطلان قول كلتا الطائفتين ومدى مخالفتهم لإجماع الســـلف وطريقتهم–رحمهم الله–الذين نصـوا على إثبات هذه الصـفة لله–عز وجل–، حقيقة، من غير

---

(١) ينظر: النقض على المريسي، «١/ ٢٤٢–٢٥٥، ٢٩٩»، الرد على الجهمية، «ص: ٢٠١».

(٢) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن الشـريف الرضـي، «ص: ٢٨١، ٢٩٦»، إكمال المعلم: القاضـي عياض، «١/ ٥٦٧»، التفسير الكبير: الرازي، «١٢/ ٣٧».

(٣) ينظر الحجة في بيان المحجة: الأصبهاني، «٢/ ٢٧٦».

(٤) ينظر: أصول الدين: البغدادي، «ص: ١١١»، الأسماء والصفات: البيهقي، «٢/ ١٢٧».

(٥) ينظر: الإتقان السيوطي، «٢/ ٧–٨».

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى «٤/ ٣٦٦».



تمثيل ولا تشبيه بيد المخلوق، ومن غير تعرض لتأويلها بما يخالف الظاهر والحقيقة.

٣١- إثبات العينين لله

[٣١]- قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] وقوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ «١٣» تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٣-١٤] وقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]

الشرح

العينان صِفةٌ ذاتيَّةٌ ثابتةٌ للهِ عزَّ وجلَّ بالكِتابِ والسُّنَّةِ.

أولًا: الأدلة من القرآن على إثبات صفة العينين:

قولُه تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: الآية: ٣٧].

وقَولُه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: الآية: ٣٩].

وقَولُه: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: الآية: ٤٨].

ثانيًا: الأدلة من السُّنَّةِ:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عنه: «**أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قَرأَ هذه الآيةَ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، فَوضَعَ إبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِه، والتي تَلِيها على عَينَيهِ**»[(١)].

وعن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما مرفوعًا: «**إنَّ اللهَ لا يَخفَى عليكُم، إنَّ اللهَ ليس بأعورَ** «**وأشارَ إلى عَيْنِه**»، وإنَّ المسيحَ الدَّجَّالَ أعورُ العَينِ اليُمنَى، كأنَّ عَينَه عِنَبةٌ طافيةٌ»[(٢)].

ثالثًا: إثبات السلف الصالح لصفة العيين لله:

قال الشَّافعيُّ: "لله تبارك وتعالى أسماءٌ وصِفاتٌ جاء بها كتابُه وأخبر بها نبيُّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أمَّتَه... وأنَّه ليس بأعوَرَ؛ بقَولِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذْ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فقال: «**إنَّه**

---

(١) أخرجه أبو داود «٤٧٢٨»، وابن حبان «٢٦٥»، والطبراني في «المعجم الأوسط» «٩٣٣٤». صححه ابن حبان، والوادعي على شرط مسلم في «الصحيح المسند» «١٢٦٧»، وصحح إسناده الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود» «٤٧٢٨»، وشعيب الأرناؤوط في تخريج «سنن أبي داود» «٤٧٢٨»، وقواه على شرط مسلم ابنُ حجر في «فتح الباري» «١٣/٣٨٥».

(٢) أخرجه البخاري «٧٤٠٧» واللفظ له، ومسلم «١٦٩».

أعوَرُ، وإنَّ رَبَّكم ليس بأعوَرَ»". [(١)]

وقال ابنُ خُزيمةَ -بعدَ أنْ ذَكَرَ جُملةً مِن الآياتِ تُثبِتُ صِفةَ العَينِ-: "فواجبٌ على كُلِّ مُؤمنٍ أنْ يُثبِتَ لخالقِه وبارئِه ما ثَبَّتَ الخالِقُ البارئُ لنَفْسِه من العينِ، وغَيرُ مؤمنٍ مَن يَنفي عنِ اللهِ تَبارَك وتَعالَى ما قدْ ثبَّتَه اللهُ في مُحكَمِ تَنْزيلِه، ببيانِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الذي جَعَلَه اللهُ مُبيِّنًا عنه عزَّ وجلَّ في قَولِه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: الآية: ٤٤] ، فبَيَّن النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّ للهِ عَينَينِ؛ فكان بيانُه مُوافقًا لبيانِ مُحكَمِ التَّنْزيلِ، الذي هو مَسطورٌ بينَ الدَّفَّتينِ، مقروءٌ في المحاريبِ والكتاتيبِ". [(٢)]

وقال أيضًا: "نحنُ نقولُ: لربِّنا الخالقِ عَينانِ يُبصِرُ بهما ما تحتَ الثَّرى وتحتَ الأرضِ السَّابعةِ السُّفلى، وما في السَّمواتِ العُلا...". [(٣)]

وبوَّبَ اللَّالَكَائيُّ بقَولِه: "سِياقُ ما دلَّ مِن كِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ وسُنَّةِ رسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على أنَّ مِن صِفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ: الوَجهَ، والعَينَينِ، واليَدينِ". [(٤)]

وقال أبو عَمرٍو الدَّاني: "الأعْيُنُ: كما أفصَحَ القُرآنُ بإثباتِها مِن صِفاتِه، فقال عزَّ وجَلَّ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: الآية: ٤٨]... وقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حين ذَكَر الدَّجَّالَ: «**وإنَّه أعوَرُ**»، وقال: «**وإنَّ رَبَّكم ليس بأعوَرَ**»، فأثبَتَ له العَينينِ". [(٥)]

وقال البزدوي الحنفي: "للهِ تعالى اليَدُ، والعَينُ، والوَجهُ، وهي صفاتٌ له عزَّ وجَلَّ". [(٦)]

---

(١) » يُنظر: «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى «١/ ٢٨٣».

(٢) يُنظر: «كتاب التوحيد» «١/٩٧».

(٣) يُنظر: «المصدر السابق» «١/١١٤».

(٤) يُنظر: «أصول الاعتقاد» «٣/٤١٢».

(٥) يُنظر: «الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات» «ص: ١٢٣».

(٦) يُنظر: «أصول الدين» «ص: ٢٥١».

وقال البَغَويُّ: "كُلُّ ما جاء من هذا القَبيلِ في الكِتابِ أو السُّنَّة -كاليدِ، والإصبَعِ، والعينِ، والمجيءِ، والإتيانِ- فالإيمانُ بها فرضٌ، والامتناعُ عن الخَوضِ فيها واجِبٌ، فالمهتدي من سَلَك فيها طريقَ التسليمِ، والخائِضُ فيها زائِغٌ، والمنكِرُ مُعَطِّلٌ، والمكَيِّفُ مُشَبِّهٌ، تعالى اللهُ عما يَقولُ الظَّالِمون عُلُوًّا كبيرًا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾". [(١)]

وقال ابنُ رُشدٍ: "لا اختِلافَ بينهم أيضًا في جوازِ إطلاقِ القَولِ بأنَّ لله يدَينِ ووَجهًا وعينينِ؛ لأنَّ اللهَ وصَفَ بذلك نَفْسَه بكتابِه، فوجب إطلاقُ القَولِ بذلك، والاعتقادُ بأنَّها صِفاتُ ذاتِه، من غيرِ تكييفٍ ولا تشبيهٍ ولا تحديدٍ؛ إذ لا يُشبِهُه شيءٌ مِن المخلوقاتِ، هذا قَولُ المحقِّقين من المتكَلِّمين، وتوقَّف كثيرٌ من الشُّيوخِ عن إثباتِ هذه الصِّفاتِ الخَمسِ، وقالوا: لا يجوزُ أن يَثبُتَ في صفاتِ اللهِ ما لم يُعلَمْ بضَرورةِ العَقلِ ولا بدَليلِه، وتأوَّلوها على غيرِ ظاهِرِها، فقالوا: المرادُ بالوَجهِ الذَّاتُ، كما يقالُ: وَجهُ الطَّريقِ، ووَجهُ الأمرِ: ذاتُه ونَفْسُه، والمرادُ بالعينينِ: إدراكُ المرئيَّاتِ، والمرادُ باليَدَينِ النِّعمتان، وقَولُه تعالى: «**بِيَدَيَّ**»، أي: لِيَدَيَّ؛ لأنَّ حُروفَ الخَفضِ يُبدَلُ بَعضُها من بعضٍ. والصَّوابُ قولُ المحقِّقين الذين أثبَتوها صِفاتٍ لذاتِه تعالى، وهو الذي قاله مالِكٌ في هذه الرِّوايةِ". [(٢)]

وقال ابنُ عُثَيمين: "أجمَعَ أهلُ السُّنَّةِ على أنَّ العينينِ اثنتانِ، ويُؤيِّدُه قولُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في الدَّجَّالِ: «**إنَّه أعورُ، وإنَّ ربَّكُم ليس بأعورَ**»". [(٣)]

وقال الغُنيمان: "قَولُه: «**إنَّ اللهَ ليسَ بأعورَ**»: هذه الجملةُ هي المقصودةُ من الحديثِ في هذا البابِ؛ فهذا يدلُّ على أنَّ للهِ عَينَينِ حقيقةً؛ لأنَّ العَورَ فَقْدُ أحدِ العينينِ أو ذَهابُ نُورِها". [(٤)]

---

(١) يُنظر: «شرح السنة» «١٥/ ٢٥٧».

(٢) يُنظر: «البيان والتحصيل» «١٦/ ٤٠١».

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة «ص: ١٢».

(٤) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري «١/ ٢٨٥».

وقول المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: الآية: ١] وقوله ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨١] وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٠]، وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: الآية: ٤٦]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: الآية: ١٤] وقوله: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ «**٢١٨**» وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: الآيتان: ٢١٨-٢١٩]، وقوله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: الآية: ١٠٥]

الشرح

تقدم الكلام على إثبات صفتي السمع والبصر في الفقرة «**١٩**»

٣٢- إثبات صفات شدة المحال والمكر والكيد لله على الوجه اللائق به

[٣٢]- قال المصنف رحمه الله: وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: الآية: ١٣]وقوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية: ٥٤] وقوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: الآية: ٥٠] وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا «١٥» وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: الآيتان: ١٥-١٦]

الشرح

هذه الآيات ساقها المصنف-رحمه الله-لإثبات هذه المعاني لله عز وجل، ففيها إثبات شدة المحال لله سبحانه وتعالى، وفيها إثبات المكر، وفيها إثبات الكيد له جل وعلا، لكن اعلم أن هذه المعاني وهذه الصفات لم يصف الله سبحانه وتعالى نفسه بها إلا على وصف الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، فهو سبحانه وتعالى يمكر بمن مكر مكراً باطلاً، ويكيد بمن كاد كيداً باطلاً، فهي من الأفعال والصفات التي لم يصف الله عز وجل بها نفسه إلا في جزاء من استحق ذلك، وبه نعلم أن هذه الصفات منها ما هو محمود، ومنها ما هو مذموم؛ ولذلك لم ترد في كتاب الله عز وجل في إضافاتها إلى الله سبحانه وتعالى -يعني: في وصف الله بها سبحانه وتعالى- إلا مقيدة من حيث الفعل، ومن حيث الوصف، أما من حيث ثبوت المعنى فقد ورد بدون تقييد، وذلك في قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: الآية:١٣] ، فالمحال فسره السلف بالكيد والمكر، أي: وهو شديد المكر والكيد، وهذا المعنى يثبت له على وجه الإطلاق لا في مقابلة كيد أو مكر، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ٩٩] ، ففيه ثبوت المكر دون ذكر مقابل، وقوله: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: الآية: ١٨٣] فيه ثبوت معنى الكيد له سبحانه وتعالى دون ذكر مقابل.
لكن اعلم أن هذه المعاني من حيث إطلاق الفعل أو الوصف لله جل وعلا لم ترد إلا مقيدة، أما من حيث ثبوت أصل المعنى فإنها وردت مطلقة دون قيد لفظي، وإن كان هناك قيد معنوي، حيث إنها لم تذكر إلا في سياق كيد الكائدين أو مكر الماكرين عن الله عز وجل، فهي من حيث المعنى لم ترد إلا مقيدة بمعنى، وإن كان ثبت أصل اللفظ دون ذكر مقابل، لكن من

حيث المعنى لا تستعمل هذه الصفات إلا في مقابل فعل من يستحق أن يفعل به ذلك، وتنبه لهذا.

فوصف نفسه بأفعال على سبيل المقابلة بالعقاب والجزاء فقال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: الآية: ١٤٢] وقال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية: ٣٠]. ولم يشتق منها أسماء له تعالى فدل ذلك على أن مثل هذه الأفعال لها حكمٌ خاصٌ فوجب الوقوف على ما ورد.

واعلم أن سبب تعطيل من عطل هذه الصفات وقال: إنها لا تطلق على الله عز وجل إلا من باب المشاكلة، وإلا فليس لها حقيقة، أو من باب المقابلة ولا حقيقة لها، كقول المحرفين للصفات؛ فإنهم توهموا أن هذه المعاني لا يثبت منها إلا المعاني المذمومة، فلما كان في أذهانهم أن الكيد لا يكون إلا مذموماً، والمكر لا يكون إلا مذموماً، والمحال لا يكون إلا مذموماً، قالوا: لا نثبت ذلك لله عز وجل، وكذلك الخداع قالوا: لا يكون إلا مذموماً، فلم يثبتوه له سبحانه وتعالى، فلما لم يستقر في أذهانهم إلا المعنى المذموم لهذه الصفات عطلوا الله جل وعلا منها، وقالوا: إنها لم تذكر في الكتاب إلى على وجه المشاكلة والمقابلة دون إرادة المعنى، وهذا غلط وعدم فهم لما دلت عليه النصوص. ومن حيث الواقع المكر ليس مذموماً على كل حال، وكذلك الكيد ليس مذموماً على كل حال، وكذلك الخداع ليس مذموماً على كل حال، بل هو في مقابل كيد الكائدين، ومكر الماكرين، وخداع المخادعين المبطلين؛ صفة كمال؛ ولذلك يتصف الله بها سبحانه وتعالى في مثل هذه المواضع. (١)

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح ٨/ ٣

٣٣- إثبات صفتي العفو والمغفرة لله

[٣٣]- قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: الآية: ١٤٩] وقوله: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: الآية: ٢٢]،

الشرح

العَفُوُّ الَّذِي هُوَ اسْمُهُ تَعَالَى؛ مَعْنَاهُ: الْمُتَجَاوِزُ عَنْ عُقُوبَةِ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ تَابُوا إِلَيْهِ وَأَنَابُوا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ وَلَمَّا كَانَ أَكْمَلُ الْعَفْوِ هُوَ مَا كَانَ عَنْ قُدْرَةٍ تامَّة عَلَى الِانْتِقَامِ وَالْمُؤَاخَذَةِ؛ جَاءَ هَذَانِ الِاسْمَانِ الْكَرِيمَانِ: العَفُوُّ وَالْقَدِيرُ مُقْتَرِنَيْنِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَفِي غَيْرِهَا(١).

(١) شرح العقيدة الواسطية للهراس ص ١٢٥

٣٤- إثبات صفة العزة لله

[٣٤]- قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: ٨] وقوله عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]

الشرح

العزة صِفةٌ ذاتيَّةٌ ثابتةٌ للهِ تعالى بالكِتابِ والسُّنَّةِ، و«**العزيز**» من أسماءِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

أولًا: الأدلة مِن الكِتابِ على إثبات صفة العزة:

قولُه تَعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: الاية: ١٢٩].

وقولُه: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: الآية: ٢٦].

وقولُه: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: الآية: ١٣٩].

وقَولُه: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: الآية: ٦٥].

وقَولُه: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: الآية: ١٠].

وقَولُه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: الآية: ٨].

ثانيًا: الأدلة من السُّنَّةِ:

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «**العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته**»(١) وحديثُ عبدِ اللهِ بن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما مرفوعًا: «**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بعزَّتك**»(٢) وعن أنس رَضِيَ اللهُ عنه مرفوعًا: «**لا تزالُ جهنَّمُ تقولُ: هل مِنْ مزيدٍ؟ حتى يَضعَ ربُّ العِزَّةِ فيها قَدَمَه، فتقول: قَطْ قَطْ وعِزَّتِكَ، ويُزْوَى بعضُها إلى بعضٍ**»(٣)

ثالثًا: معنى العزة في اللغة:

---

(١) أخرجه مسلم «٢٦٢٠»

(٢) أخرجه مطولاً البخاري «٧٣٨٣»، ومسلم «٢٧١٧» واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري «٦٦٦١» واللفظ له، ومسلم «٢٨٤٨».

«**العِزَّة**»: المَنَعَةُ والغَلَبَةُ، ومنه قَولُه تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: الآية: ٢٣] أي: غَلَبني وقَهَرني، ومِن أمثالِ العَرَبِ: «**مَنْ عزَّ بزَّ**»، أي: مَن غلَبَ استَلَب[(١)].

وقال الخَطَّابيُّ: "العزيزُ: هو المنيعُ الذي لا يُغلَبُ. والعِزُّ في كلامِ العَرَبِ على ثلاثةِ أوجُهٍ:

أحَدُها: بمعنى الغَلَبةِ، ومنه قَولُهم: "من عَزَّ بَزَّ"، أي: من غَلَب سَلَب، يُقالُ منه: عَزَّ يَعُزُّ -بضَمِّ العينِ من يَعُزُّ-، ومنه قَولُ اللهِ سُبحانَه: وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ.

والثَّاني: بمعنى الشِّدَّةِ والقُوَّةِ، يقالُ منه: عَزَّ يَعَزُّ -بفتح العين من يَعَزُّ- كقَولِ الهُذَليّ يَصِفُ العُقابَ:

حتى انتَهَيتُ إلى فِراشِ عَزيزةٍ... سوداءَ رَوثةُ أنْفِها كالمِخصَفِ

جعَلَها عزيزةً؛ لأنَّها مِن أقوى جوارحِ الطَّيرِ.

والوَجهُ الثَّالثُ: أن يكونَ بمعنى نَفاسةِ القَدْرِ. يُقالُ منه: عَزَّ الشَّيءُ يَعِزُّ -بكَسرِ العَينِ مِن يَعِزُّ- فيُتأوَّلُ معنى العزيزِ على هذا أنَّه الذي لا يُعادِلُه شيءٌ، وأنَّه لا مِثلَ له، ولا نظيرَ. واللهُ أعلَمُ"[(٢)].

وقال البَيهقيُّ: "العزيزُ: هو الغالِبُ الذي لا يُغلَبُ، والمنِيعُ الذي لا يُوصَلُ إليه، وقيل: هو القادِرُ القويُّ. وقيل: هو الذي لا مِثْلَ له، وهو مِن صِفاتِ الذَّاتِ"[(٣)].

رابعًا: أقسام العزة:

قال ابنُ عُثَيمين: "ذَكَر أهلُ العِلمِ أنَّ العِزَّةَ تنقَسِمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: عِزَّةُ القَدْرِ، وعِزَّةُ القَهرِ، وعِزَّةُ الامتناعِ:

١ - فعِزَّةُ القَدْرِ: معناه أنَّ اللهَ تعالى ذو قَدْرٍ عزيزٍ، يعني: لا نظيرَ له.

٢ - وعِزَّةُ القَهرِ: هي عِزَّةُ الغَلَبةِ، يعني: أنَّه غالِبٌ كُلَّ شَيءٍ، قاهِرٌ كُلَّ شيءٍ، ومنه قَولُه

---

(١) يُنظر: «معاني القرآن الكريم» للنحاس «٢/٢١٩».

(٢) يُنظر: «شأن الدعاء» «ص: ٤٧».

(٣) يُنظر: «الاعتقاد» «ص: ٥٩».

تعالى: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: الآية: ٢٣] ، يعني: غَلَبَني في الخِطابِ، فاللهُ سُبحانَه عزيزٌ له، بل هو غالِبٌ كُلَّ شيءٍ.

٣ - وعِزَّةُ الامتناعِ: وهي أنَّ اللهَ تعالى يمتَنِعُ أن ينالَه سوءٌ أو نقصٌ، فهو مأخوذٌ مِن القُوَّةِ والصَّلابةِ، ومنه قَولُهم: أرضٌ عَزازٌ، يعني: قَوِيَّةٌ شَديدةٌ.

هذه معاني العِزَّةِ التي أثبَتَها اللهُ تعالى لنَفْسِه، وهي تدُلُّ على كَمالِ قَهْرِه وسُلطانِه، وعلى كَمالِ صِفاتِه، وعلى تمامِ تنَزُّهِه عن النَّقصِ؛ تدُلُّ على كَمالِ قَهْرِه وسُلْطانِه في عِزَّةِ القَهرِ، وعلى تمامِ صِفاتِه وكَمالِها وأنَّه لا مَثيلَ لها في عِزَّةِ القَدْرِ، وعلى تمامِ تنَزُّهِه عن العَيبِ والنَّقصِ في عِزَّةِ الامتِناعِ". [١]

---

[١] يُنظر: «شرح العقيدة الواسطية» «١/ ٣٤٥».

٣٥- نفي السمي والند لله

[٣٥]- قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: الآية: ٧٨] وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: الآية: ٦٥] وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ٤]، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٢] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: الآية: ١٦٥] ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: الآية: ١١١] وقوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: الآية: ١] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا «١» الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: الآيتان: ١-٢] ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ «٩١» عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: الآيتان: ٩١-٩٢] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: الآية: ٧٤] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ٣٣]

الشرح

جميع هذه الآيات مقصودها وموضوعها واحد، وهو إثبات الكمال لله عز وجل في صفاته وأفعاله وأسمائه وما يجب له، وتنزيهه ســـبحانه وتعالى عن النقائص والعيوب، وقد نزه الله سبحانه وتعالى نفسه في كتابه عن العيوب: تارة بنفيها، وتارة بإثبات أضدادها(١)

وانظر الفقرة «١» معنى شـــهادة أن لا إله إلا الله، المســـألة الرابعة: معنى لا إله إلا الله.

---

(١) شرح الواسطية لخالد المصلح ٨/٥

والفقرة «**١٤**» تفسير سورة الإخلاص.

٣٦- إثبات استواء الله على عرشه

وفيه مسائلتان:

المسألة الأولى: صفة الاستواء والأقوال فيها.

المسألة الثانية: التعريف بالعرش والأقوال فيه.



[٣٦]- قال المصنف رحمه الله: وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥] في سبعة مواضع في سورة الأعراف، قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤] وقال في سورة يونس عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: الآية: ٣] وقال في سورة الرعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: الآية: ٢]وقال في سورة طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥] وقال في سورة الفرقان: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: الآية: ٥٩] وقال في سورة «الم» السجدة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: الآية: ٤] وقال في سورة الحديد: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: الآية: ٤]

الشرح

المسألة الأولى: صفة الاستواء والأقوال فيها

أولًا: مذهب السلف في صفة الاستواء

أ-معتقد السلف في صفة الاستواء.

والمقصود بالسلف هم الصحابة والتابعون ومن سار على نهجهم.

ولقد كان قولهم في الاستواء كقولهم في سائر صفات الله فهم وسط بين طائفتين هم المعطلة والمشبهة.

فهم لا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، ولا ذاته بذوات خلقه كما يفعل المشبهة.

وكذلك لا ينفون عن الله ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله-صلى الله عليه وسلم-، فيعطلون أسماءه وصفاته، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسمائه وآياته كما فعل المعطلة.

بل كان مذهبهم في سائر الصفات -بما في ذلك الاستواء-أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-نفياً وإثباتاً.

وطريقتهم في الإثبات أنهم يثبتون ما أثبته الله من الصفات من غير تكييف لها، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تعطيل.

وطريقتهم في النفي أنهم ينفون عن الله ما نفاه عن نفسه مع إثبات كمال ضد ذلك المنفي.

فطريقة السلف هي إثبات أسماء الله وصفاته مع نفي مماثلة المخلوقين، إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، ففي قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وفي قوله ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد والتعطيل. [١]

ولقد كانت هذه طريقة السلف في جميع الصفات دون تفريق بين صفة وصفة، وفي ذلك يقول الإمام أحمد-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله-صلى الله عليه وسلم-لا نتجاوز القرآن والسنة"[٢]

وبناءً على هذه القاعدة كان مذهب السلف في صفة الاستواء أنهم يثبتون استواء الله على عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته ويناسب كبريائه وهو بائن من خلقه وخلقه بائنون منه.

فأهل السنة والجماعة أثبتوا تلك الأسماء والصفات التي جاء ذكرها في كلام الله عز وجل وكلام رسوله-صلى الله عليه وسلم-، فإذا قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]، فإن هذا النص خبر، أخبر الله فيه أنه استوى على عرشه، فأهل السنة والجماعة يعتقدون: إن الله استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله وكماله، لا يماثله فيه أحدٌ من خلقه والله أعلم بكيفيته.

وذلك الإيمان يتضمن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إثبات صفة الاستواء لله عز وجل.

---

(١) انظر الرسالة التدمرية «ص: ٤-٧»، الفتوى الحموية الكبرى «ص: ١٦-١٧».

(٢) مجموع الفتاوى «٥/ ٢٦».

الأمر الثاني: نفي مماثلة صفات الله عز وجل لصفات المخلوقين.

الأمر الثالث: عدم الخوض في كيفية صفات الله عز وجل.

فما أخبر الله به في هذه الآية يجب أن يُثبت لله تعالى، فإذا قال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: الآية: ٥]، فإن هذا يوجب على المؤمن أن يصدق به، لأن نصوص القرآن والسنة تدور حول حالين:

إما إخبارٌ أو أمر، إما أن يُخبر الله تعالى بشـــيء، وإما أن يأمر بشـــيء، فقوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: الآية: ٥]، هذا إخبارٌ، والأمر مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٤٣]، فهنا أمر من الله لعباده بأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.

فالخبر يجب على المؤمن تجاهه التصديق، فإذا أخبرك الله تعالى بأنه استوى على عرشه، فإن عليك أن تصـــدق بأن الله تعالى اســـتوى على عرشـــه، وإذا جاءك الأمر مثل: وأقيموا الصـــلاة وأتوا الزكاة، فيجب عليك الامتثال والانقياد، فإن كان أمر إيجاب يجب عليك أن تقوم به، وإن كان أمر نهيٍ فيجب عليك أن تنتهي.

فالواجب على الموحد إذا أخبر الله تعالى باستوائه على عرشه أن يعتقد ثلاثة أمور:

أولاً: يجب عليه أن يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه استواءً حقيقة كما أخبر في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: أن يثبت لله اســـتواءً يليق بجلاله وكماله تعالى؛ لِأن الله تعالى قد قال في آية أخرى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، فمعنى هذا أن الله في استوائه على عرشه لا يماثله في ذلك أحدٌ من خلقه، نعني بذلك أن الله تعالى لا يحتاج إلى العرش ولا يفتقر إليه.

ثالثاً: يجب علينا ألا نخوض في كيفية اســـتوائه، هذا أمرٌ لا ينبغي ولا يجوز للمســـلم أن يخوض فيه.

فإذاً تُثبتُ ما أثبته الله لنفســـه؛ لأن الله أخبر بذلك، ومع إثبات ذلك يجب أن تعتقد أن الله تعالى لا يماثله ولا يساويه في ذلك أحدٌ من خلقه، مع عدم الخوض في كيفية الاستواء.

فالمقصـود والمراد من نفي المماثلة أن لله خصـائص، أي أمورٌ يختص بها لا يماثله في ذلك أحدٌ من خلقه، ثم بعد ذلك فالله تعالى ما أطلعك ولا أخبرك ولا تعبدك بمعرفة كيفية استوائه، وكلنا يعلم جواب الإمام مالك-رحمه الله-«**ت: ١٧٩ هـ**» إذ سـأله السـائل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]، كيف استوى؟ فغضـب الإمام مالك من سـؤال السـائل وقال: "الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"[١]

فإذاً الكيف مجهول، كيف اسـتوى؟ كيف ينزل؟ كيف يداه؟ كيف قدماه؟ إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى لا نعلم كيفيتها وهذا سيأتي جوابه إن شاء الله تعالى.

والسـلف يقولون إن معنى هذا الاستواء الوارد في الكتاب والسـنة معلوم في اللغة العربية، كما قال ربيعة بن عبد الرحمن-رحمه الله-«**ت: ١٣٦ وقيل: ١٤٢ هـ**»، والإمام مالك-رحمه الله-«**ت: ١٧٩ هـ**»: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة". فقولهم: «**الاسـتواء معلوم**»: أي أن معنى الاسـتواء معلوم في اللغة وهو ههنا بمعنى العلو والارتفاع.

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "إن لفظ الاسـتواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله بلغتهم وأنزل به كلامه نوعان: مطلق، ومقيد.

فالمطلق مالم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾ [القصص: الآية: ١٤]، وهذا معناه: كمل وتم، ويقال: استوى النبات، واستوى الطعام.

وأما المقيد فثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد "بإلى" كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [فصلت: الآية: ١١]، واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى المعدى بإلى في موضعين من كتابه، الأول في سورة البقرة في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: الآية: ٢٩]، والثاني في سورة فصلت ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ

«١» انظر الموطأ للإمام مالك «١/ ٢٥٣».

دُخَانٌ﴾ [فصلت: الآية: ١١]، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

الثاني: المقيد "بعلى" كقوله تعالى: ﴿لِتَسْـتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: الآية: ١٣]، وقوله: ﴿وَاسْـتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: الآية: ٤٤]، وقوله: ﴿فَاسْـتَوَىٰ عَلَىٰ سُـوقِهِ﴾ [الفتح: الآية: ٢٩]، وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون "بواو مع" التي تعدى الفعل إلى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبة، بمعنى ساواها وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم.[1]

ومما يؤكد أيضاً أن السلف يعلمون معنى الاستواء قول ابن عبد البر-رحمه الله-«**ت: ٤٦٣ هـ**»: "والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه".

قال أبو عبيدة-رحمه الله-«**ت: ٢٠٩ هـ**» في قوله ﴿اسـتوى﴾ قال: علا، قال: وتقول العرب: استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت، وقال غيره: استوى أي انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد، والاستواء والاستقرار في العلو، وبهذا خاطبنا الله عز وجل فقال: ﴿لِتَسْـتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْـتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: الآية: ١٣]، وقال: ﴿وَاسْـتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: الآية: ٤٤]، وقال: ﴿فَإِذَا اسْـتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: الآية: ٢٨].

وقال الشاعر:

فأوردتهم ماء بضبضاء قفرة   وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد: استولى لأن النجم لا يستولى.

وقد ذكر النضر بن شميل-رحمه الله-«**ت: ٢٠٣ هـ**»-وكان ثقة مأموناً جليلاً في علم الديانة واللغة-قال: "حدثني الخليل-رحمه الله-«**ت: ١٧٤ هـ**»-وحسبك بالخليل-قال:

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة «٢/ ١٢٦-١٢٧».

أتيت أبا ربيعة الأعرابي–رحمه الله–«**ت: ١٧٠ هـ تقريبًا**» وكان من أعلم من رأيت فغذا هو على سطح، فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا: استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال؟ فقال لنا أعرابي إلى جنبه: إنه أمركم أن ترتفعوا، قال الخليل–رحمه الله–«**ت: ١٧٤ هـ**»: هو من قول الله عز وجل ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: الآية: ١١]، فصعدنا إليه"[(١)]

وقال ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: "إن ظاهر الاستواء وحقيقته هو العلو والارتفاع كما نص عليه جميع أهل اللغة والتفسير المقبول"[(٢)]

ولما كان هذا هو معنى الاستواء في لغة العرب فقد تكلم السلف والمفسرون بهذا المعنى عند تفسير هذه الآية فقد روى عن مجاهد–رحمه الله–«**ت: ١٠٤ هـ**» في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، قال: علا على العرش. [(٣)]

وقد روى ابن ابي حاتم–رحمه الله–«**ت: ٣٢٧ هـ**» في تفسيره بسنده عن أبي العالية–رحمه الله–«**ت: ٩٠ أو٩٣ هـ**» في تفسير الآية السابقة الذكر قال: ارتفع. [(٤)]

وقد روى عن الحسن البصري–رحمه الله–«**ت: ١١٠ هـ**»، والربيع بن أنس–رحمه الله–«**ت: ١٣٩ هـ**» مثله [(٥)].

وقد روى اللالكائي–رحمه الله–«**ت: ٤١٨ هـ**» بسنده عن بشر بن عمر–رحمه الله–«**ت: ٢٠٧ هـ**» قال: "سمعت غير واحد من المفسرين يقولون: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ

(١) التمهيد «٧/ ١٣١-١٣٢».

(٢) انظر: مختصر الصواعق «٢/ ١٤٥».

(٣) انظر: فتح الباري «١٣/ ٤٠٣».

(٤) مجموع الفتاوى «٥/ ٥١٩».

اسْتَوَىٰ﴾ [طه: الآية: ٥]، قال: على العرش استوى: ارتفع"[(١)]

وفي هذا التفسير لمعنى الاستواء من قبل السلف رد على من زعم أن مذهب السلف هو التقيد باللفظ مع تفويض المعنى المراد وأنهم كانوا لا يفسرون الاستواء ولا يتكلمون فيه، فمن خلال ما تقدم من الأقوال التي نقلت عن السلف يتضح كذب هؤلاء وزيف ادعائهم.

ومما ينبغي معرفته أن السلف مع إثباتهم لمعنى الاستواء واعتقادهم بأن الله مستو على عرشه ومرتفع عليه، إلا أنهم يكلون علم كيفية ذلك الاستواء إلى الله عز وجل لأن أمره هو مما استأثر الله بعلمه وفي ذلك يقول القرطبي-رحمه الله-«**ت: ٦٧١ هـ**»: "ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته كما قال الإمام مالك: "الاستواء معلوم -يعني في اللغة-والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة"[(٢)]

وقال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "إن العقل قد يئس من تعرف كنه صفات الله وكيفيتها، فإنه لا يعلم كيف الله إلا الله، وهذا معنى قول السلف «**بلا كيف**» أي بلا كيف يعقله البشر، فإنه من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته، كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته؟ ولا يقدح ذلك في الإيمان بها، ومعرفة معانيها، فالكيفية وراء ذلك، كما أنا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر، ولا نعرف كيفيتها مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق، فعجزنا من معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم"[(٣)]

واستواءه-سبحانه وتعالى-على العرش بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام إنما هذا الاستواء هو-علو خاص-، ذلك لأن من المعلوم أن كل مستو على شيء هو عال عليه، وليس كل عال على شيء مستويا عليه، ولهذا لا يقال لكل ما كان عاليا على غيره أنه

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «٣/ ٣٩٧».

(٢) تفسير القرطبي.

(٣) مدارج السالكين «٣/ ٣٥٩».

مستو عليه، ولكن كل ما قيل فيه: إنه استوى على غيره، فإنه عال عليه.

والذي أخبر الله أنه كان بعد خلق السماوات والأرض "الاستواء" لا مطلق العلو، مع أنه يجوز أنه كان مستويا على العرش قبل خلق السماوات والأرض لما كان عرشه على الماء، ثم لما خلق هذا العالم كان عاليا عليه ولم يكن مستويا عليه، وبعد الانتهاء من خلق هذا العالم استوى على العرش.

فالأصل أن علوه على المخلوقات وصف لازم له، كما أن عظمته وكبرياءه وقدرته كذلك، وأما الاستواء فهو فعل يفعله سبحانه وتعالى بمشيئته وقدرته، ولهذا قال فيها ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ ومن أجل ذلك كان الاستواء من الصفات السمعية المعلومة بالخبر، وأما علوه على المخلوقات فهو عند أئمة أهل الإثبات من الصفات العقلية المعلومة بالعقل مع السمع"[(١)]

فالاستواء صفة ثابتة في القرآن والسنة وقد أجمع سلف الأمة على إثباتها.

ب-: الأدلة من القرآن على إثبات صفة الاستواء.

جاء ذكر الاستواء في سبع آيات، وهذه الآيات السبع التي جاء فيه ذكر الاستواء على العرش قد جاءت مصحوبة بما يبهر العقول من صفات الله وجلاله وكماله، [(٢)] وسنذكر تلك الآيات وما اقترن بها.

ا-الموضع الأول: فأول سورة ذكر الله فيها صفة الاستواء حسب ترتيب المصحف سورة الأعراف: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بأمره أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤].

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال[(٣)]

---

(١) انظر: "الفتاوى": «٥/ ٥٢١-٥٢٣» بتصرف.

(٢) "منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات": «ص: ١٥».

(٣) "منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات": «ص: ١٥».

٢-والموضع الثاني: في سورة يونس قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ما مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِما كَانُوا يَكْفُرُونَ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ما خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَما خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: الآيات: ٣-٦].

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الكمال والجلال.

٣-الموضع الثالث: في سورة الرعد في قوله جل وعلا: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمّىً يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِماءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: الآيات: ٢-٤].

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال.

٤-الموضع الرابع: في سوره طه قال تعالى: ﴿طه * ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّماوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ ما فِي السَّماوَاتِ وَما فِي الأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْماءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: الآيات: ١-٨].

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال.

٥-الموضع الخامس: في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً * الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي

سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان: الآيات: ٥٨-٥٩].

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الكمال والجلال.

وقال محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-«**ت: ١٣٩٣ هـ**»: "إنه ينبغي للمؤولين أن يتأملوا هذه الآية من سورة الفرقان وهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان: الآية: ٥٨]، ويتأملوا معها قوله تعالى: ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: الآية: ١٤]، فإن قوله في الفرقان: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ بعد قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ يدل دلالة واضحة أن الله الذي وصف نفسه بالاستواء خبير بما يصف به نفسه، ولا تخفى عليه الصفة اللائقة من غيرها ويفهم منه أن الذي ينفي عنه صفة الاستواء ليس بخبير، نعم هو والله ليس بخبير"[(١)]

٦- الموضع السادس: في سورة السجدة في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْما ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِما تَعُدُّونَ * ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة، الآيات: ٣-٩].

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال.

٧-الموضع السابع: في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْهَا وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَما يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد، الآيتان: ٣-٤].

(١) "منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات": «ص: ٢٦».

فالله سبحانه وتعالى مع استوائه على عرشه لا يخفى عنه شيء من أمور مخلوقاته، فهو يعلم جميع ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وجميع ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، فسبحان من لا يعزب عن علمه مثقال حبة من خردل لا في السماء ولا في الأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم.

فالشاهد من ذكر آيات الاستواء على العرش وذكر ما اقترن بها من صفات العظمة والجلال بيان أن هذه الصفة التي ظن الجاهلون أنها صفة نقص، ويتهجمون على رب السماوات والأرض بأنه وصف نفسه بصفة نقص، ثم يسببون عن هذا أن ينفوها ويؤولوها، مع أن الله–جل وعلا–تمدح بها، وجعلها من صفات الجلال والكمال مقرونة بما يبهر العقول من صفات الجلال والكمال، وهذا يدل على جهل وهوس من ينفي بعض صفات الله جل وعلا بالتأويل. [١]

ج–الأدلة من السنة على إثبات صفة الاستواء.

كما أن السنة مليئة بالأحاديث الثابتة الصحيحة الدالة على استواء الله على عرشه.

عن أبي هريرة–رضي الله عنه–«**ت: ٥٧ هـ**»، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–: «**إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه، إن رحمتي سبقت غضبي**». متفق عليه. [٢]

وعن أبي رزين العقيلي–رضي الله عنه– قال: "قلت يا رسول الله: أين كان ربنا قبل أن يخلق السماء والأرض؟" قال: «**كان في عما[٣] ما فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خلق العرش،**

(١) "كتاب منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات": «ص: ١٧».

(٢) أخرجه البخاري «ح: ٧٤٠٤». وانظر «ح: ٣١٩٤، ٧٤٥٣، ٧٥٥٣، ٧٥٥٤». وأخرجه مسلم في صحيحه، التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه «٨/٩٥».

(٣) العما: السحاب الأبيض، كذا فسره الأصمعي. انظر كتاب العظمة لأبي الشيخ «١/ ٣٦٥-٣٦٦»، والعرش لابن أبي شيبة«رقم: ٨»، والحد للدشتي «ق١٥/ب».

ثم استوى عليه». وفي لفظ آخر: «**ثم كان على العرش فارتفع على عرشه»**.[(١)]

وعن جبير بن مطعم–رضي الله عنه–«**ت: ٥٩ هـ**»، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة هود «٥/ ٢٨٨، رقم: ٣١٠٩». والإمام أحمد في مسنده «٤/ ١١–١٢». وابن أبي شيبة في العرش «ح: ٧». وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية «١/ ٦٤». وابن أبي عاصم في السنة «١/ ٢٧١». وابن جرير الطبري في تفسيره «٤/ ١٢»، وفي تاريخه «١/ ١٩». والحكيم الترمذي في الرد على المعطلة «ق١٠٦/ أ». وأبو الشيخ في كتاب العظمة «١/ ٣٦٣–٣٦٤، ح٨٣». وابن بطة في الإبانة «تتمة الرد على الجهمية، «٣/ ١٦٨، ح١٢٥». وابن أبي زمنين في أصول السنة «ص: ٨٩»، «ح: ٣١». والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/ ٢٣٥–٢٣٦، ح: ٨٠١ و٢/٣٠٣، ح: ٨٦٤». قال الترمذي: حديث حسن. وقال الذهبي في العلو «ص١٩» إسناده حسن. وقال في كتاب العرش حديث رقم «١٥» "وهذا حديث حسن رواه الترمذي وغيره"؛ وقال الألباني: "في تصحيحه نظر، فإن مداره على وكيع بن عدس ويقال حدس، وهو مجهول، لم يرو عنه غير يعلى بن عطاء، ولا وثقه غير ابن حبان".

التعليق: اختلف في لفظة "عما" من حيث الشكل ومن حيث المعنى المراد بها.

فالأصمعي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والأزهري وغيرهم يرون أن لفظة "عما" هي من حيث الشكل بالمد، وليست بالقصر، وأن معناها المراد في الحديث السحاب الأبيض، لأنه هذا هو معنى الكلمة في كلام العرب المنقول عنهم. ومما يشهد لذلك قول الحارث بن حلزة اليشكري:

وكأن المنون تردي بنا.... أعصم ينجاب عنه العما

ومعنى البيت: أن الشاعر يقول هو في ارتفاعه، قد بلغ السحاب ينشق عنه، ويقول نحن في عزنا مثل الأعصم، فالمنون إذا أرادتنا فكأنما تريد أعصم «أي الجبل الشاهق».

وقال الأزهري: "ولا يدرى كيف ذلك العما بصفة تحصره ولا نعت يحده، ويقوي هذا القول قول الله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ الآية ٢١٠ من سورة البقرة، فالغمام معروف في كلام العرب، إلا أنا لا ندري كيف الغمام الذي يأتي الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة في ظلل منه، فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته، وكذلك سائر صفات الله عز وجل". تهذيب اللغة «٣/ ٢٤٦».

وهذا القول ليس فيه دليل، على قول الفلاسفة الدهرية القائلين بقدم العالم، وأن مادة السموات والأرض ليست مبتدعة، وذلك أن الله سبحانه أخبرنا في كتابه بابتداء الخلق الذي يعيده، وأخبر بخلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام في غير موضع، وجاءت بذلك الأحاديث الكثيرة، وأخبر أيضاً أنه يغير هذه المخلوقات.

ويرى يزيد بن هارون، وأقره على ذلك الترمذي أن لفظة "عما" هي من حيث الشكل بالمد، ولكن معناها في هذه الحديث هو: "أي ليس مع الله شيء" وعلى هذا يكون معنى الحديث أن الله كان ولم يكن شيء معه، ويشهد لهذا المعنى ما جاء في حديث عمران بن حصين من قوله صلى الله عليه وسلم: "كان الله ولم يكن شيء معه".

وهناك رأي ثالث في المسألة، يخالف القولين الأولين من حيث الشكل والمعنى: فمن حيث اللفظ يرى أنه بالقصر، وليس بالمد.

وعلى هذا يكون المعنى: أنه كان حيث لا تدركه عقول بني آدم، ولا يبلغ كنهه وصف، وذلك لأن كل أمر لا يدركه القلوب بالعقول فهو عمى.

انظر: غريب الحديث لأبي عبيد «٢/ ٨–٩»، تهذيب اللغة «٣/ ٢٤٦»، نقص تأسيس الجهمية «١/ ٥٩١».

قال للأعرابي في حديث الاستسقاء: «**ويحك أتدري ما الله؟ إن شأنه أعظم من أن يستشفع به على أحد، إنه لفوق عرشه على سمواته**».

رواه أبو داود، وغيره، في الرد على الجهمية.[(١)] بإسناد حسن عنده من حديث محمد بن إسحاق بن يسار.

وعن العباس بن عبد المطلب –رحمه الله–«**ت: ٣٢ هـ**» قال: كنا بالبطحاء فمرت سحابة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟**»، قالوا: لا، قال: «**إما واحدة، وإما اثنتان، أو ثلاث وسبعون سنة**»، ثم عد سبع سموات، ثم قال: «**فوق السابعة بحر بين أسفله، وأعلاه كما بين السماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال**[(٢)] **بين أظلافهم، وركبهم كما بين سماء، إلى سماء ثم على ظهورهم العرش، ثم الله فوق ذلك، وهو يعلم ما أنتم عليه**». رواه أبو داود بإسناد حسن وفوق الحسن.[(٣)]

وعن زينب بنت جحش –رضي الله عنها–«**ت: ٢٠ أو ٢١ هـ**» أنها كانت تقول للنبي

(١) سنن أبي داود «٥/ ٩٤-٩٦، ح: ٤٧٢٦».

(٢) الأوعال جمع وعل بكسر العين، وهو تيس الجبل. النهاية «٥/ ٢٠٧».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند «١/ ٢٠٧». وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الجهمية «٥/ ٩٣، برقم ٤٧٢٣». وأخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية «١/ ٦٩». وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة الحاقة «٥/ ٤٢٤-٤٢٥، برقم: ٣٣٢٠». والدارمي في الرد على بشر المريسي «ص: ٤٤٨». وابن أبي عاصم في السنة «١/ ٢٥٣». وابن خزيمة في كتاب التوحيد «١/ ٢٣٤-٢٣٥، ح: ١٤٤». والآجري في الشريعة «٣/ ١٠٨٩-١٠٩٠، ح: ٦٦٥». وابن منده في التوحيد «١/ ١١٧». واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٣/٣٩٠». والذهبي في العلو «ص: ٤٩». ومدار الحديث من جميع طرقه على "عبد الله بن عميرة" وعبد الله فيه جهالة، ولذلك قال الألباني في تخريج السنة «١/ ٢٥٤»: "إسناده ضعيف، وعبد الله بن عميرة، قال الذهبي: فيه جهالة، وقال البخاري: لا نعلم له سماعاً من الأحنف بن قيس". انتهى كلامه. ولكن الجوزقاني صرح في الأباطيل «١/ ٧٩» بصحة الحديث. وكذلك ابن تيمية في الفتاوى «٣/ ١٩٢» حيث قال: "إن هذا الحديث قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولاً إلى النبي–صلى الله عليه وسلم–، والإثبات مقدم على النفي، والبخاري إنما نفى معرفة سماعه من الأحنف، ولم ينف معرفة الناس بهذا، فإذا عرف غيره كإمام الأئمة ابن خزيمة ما ثبت به الإسناد، كانت معرفته وإثباته مقدماً على نفي غيره وعدم معرفته". انتهى كلامه. وكذلك مال تلميذه ابن القيم إلى تصحيحه. انظر تهذيب السنن «٧/ ٩٢-٩٣».

صلى الله عليه وسلم: "زوجنيك الرحمن من فوق عرشه"[١]

وفي لفظ للبخاري كانت تقول: "إن الله أنكحني من فوق سبع سموات"[٢]

د-دليل الإجماع على إثبات صفة الاستواء.

إجماع السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم منعقد على إثبات علو الله، واستوائه على عرشه وقد نقل غير واحد من السلف هذا الإجماع عنهم، ومن ذلك ما رواه البيهقي-رحمه الله-«**ت: ٤٥٨ هـ**»، بإسناد صحيح عن الأوزاعي-رحمه الله-«**ت: ١٥٧ هـ**» أنه قال: "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله-تعالى-ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته"[٣]

وقال أبو نصر السجزي-رحمه الله-«**ت: ٤٤٤ هـ**»: " فأئمتنا كسفيان الثوري-رحمه الله-«**ت: ١٦١ هـ**»، ومالك-رحمه الله-«**ت: ١٧٩ هـ**»، وسفيان ابن عيينة-رحمه الله-«**ت: ١٩٨ هـ**»، وحماد بن سلمة-رحمه الله-«**ت: ١٦٧ هـ**»، وحماد بن زيد-رحمه الله-«**ت: ١٧٩ هـ**»، وعبد الله بن المبارك-رحمه الله-«**ت: ١٨١ هـ**»، وفضيل بن عياض-رحمه الله-«**ت: ١٨٧ هـ**»، وأحمد بن حنبل-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي-رحمه الله-«**ت: ٢٣٨ هـ**»: متفقون على أن الله-سبحانه-بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش"[٤]

---

(١) رواه الطبري بلفظ مقارب في التفسير «٢٢/ ١٤». وأخرجه الحاكم في المستدرك «٤/ ٢٥». وابن قدامة في إثبات صفة العلو «ص: ٦١، برقم: ٣١». وابن كثير في تفسيره «٣/ ٤٩٢». والذهبي في العلو«ص: ٤٠» و«ص: ٢٠»، وفي كتاب العرش برقم: «٢٦». وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «١/ ١٢٥». وابن حجر في الفتح «١٣/ ٤١٢» وقال: "وفي مرسل الشعبي قالت زينب... فذكره، ثم قال: أخرجه الطبري وأبو القاسم الطحاوي في كتاب الحجة والتبيان له". وقال الذهبي: "وهذا مرسل" أي أنه منقطع بين الشعبي وزينب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب «٢٢» ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ﴾ «ح: ٧٤٢١، ص: ١٥٥٥» ولفظه "إن الله أنكحني في السماء".

(٣) الأسماء والصفات": «ص: ٥١٥».

(٤) درء تعارض العقل والنقل": «٦/ ٢٥٠».

وقال أبو نعيم الأصـــبهاني -رحمه الله- «**ت: ٤٣٠ هـ**» في عقيدته المشـــهورة: "وطريقتنا طريقة الســـلف المتبعين للكتاب والســـنة وإجماع ســـلف الأمة، فما اعتقدوه اعتقدناه، فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي تثبت عن النبي صـــلى الله عليه وســـلم في العرش والاســـتواء عليه يقولون بها، ويثبتونها من غير تكييف ولا تشـــبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم، ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمواته من دون أرضه"[١]

ثانيًا: أقوال المخالفين في صفة الاستواء.

أ-الفريق الأول: نفاة الاستواء.

سبق أن ذكرنا أن المعطلة من الفلاسفة، والجهمية، والأشاعرة، والماتريدية، على الرغم من أن لكل واحد منهم منهجًا مســـتقلًا في مســـألة الصـــفات إلا أنهم يتفقون جميعًا على إنكار الصـــفات الاختبارية بما فيها صـــفة الاســـتواء، ويذهبون إلى تأويل الآيات القرآنية الواردة في إثباتها إلى ما أدت إليه عقولهم من المعاني الفاســـــدة التي يزعمون أن في ذلك تنزيهاً لله عن مشابهة المخلوقين.

وإن ســـبب ذلك التأويل الباطل هو اعتقاد هؤلاء المعطلة أنه ليس في نفس الأمر صـــفة دلت عليها النصـــوص، وذلك بســـبب الشـــبهات الفاســـدة التي شـــاركوا فيها إخوانهم من الفلاسـفة، فلما اعتقدوا انتفاء الصـفات في نفس الأمر -وكان مع ذلك لابد للنصـوص من معنى- بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى، وهي التي يسميها هؤلاء المعطلة طريقة السـلف، وبين صـرف اللفظ إلى معان بنوع من التكلف، وهي التي يسـموها طريقة الخلف. وبهذا يتبين لنا أن هذا الباطل الذي ذهب إليه هؤلاء المعطلة إنما هو مركب من فســـاد العقل والكفر بالســـمع، وذلك لأنهم إنما اعتمدوا في نفي تلك الصـــفات على شـــبه عقلية ظنوها بينات وهي في الحقيقة شبهات.

وبناء على المســـلك الثاني الذي ســـلكه هؤلاء المعطلة من تأويل تلك النصـــوص، فقد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل": «٦/ ٢٥٠».

تعددت أقوالهم واختلفت في المعنى الذي يجب أن يؤول إليه لفظ الاســـتواء الوارد في الآيات إلى عدة أقوال منها:

القول الأول:

من هؤلاء المعطلة من يؤول معنى الاستواء في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]، على الاستيلاء والقهر والغلبة.

وهـذا القول يـذهـب إليـه كثير من الجهميـة [١]، والمعتزلـة [٢]، والحروريـة [٣]، وكثير من متأخري الأشــاعرة [٤]، كسـيف الدين الآمدي «**ت: ٦٣١ هـ**» [٥]، والغزالي «**ت: ٥٠٥ هـ**» [٦]، والبغدادي «**ت: ٤٢٩ هـ**» [٧]، وغيرهم.

وقد اســـتدل هؤلاء المعطلة على صـــحة زعمهم هذا بأن هذا التأويل الذي هو تأويل الاستواء بالاستيلاء هو أمر مشهور في لغة العرب من ذلك:

قول الشاعر:

قد اســـتوى بشـــر على العراق ... من غير ســـيف ولا دم مهراق

وقال الآخر:

هما استويا بفضلهما جميعًا ... على عرش الملوك بغير زور

وقال الآخر:

---

(١) انظر مجموع الفتاوى «٥/ ٩٦»، ومختصر الصواعق «٢/ ١٤٤».

(٢) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار «١/ ٧٣، ٣٥١».

(٣) انظر مجموع الفتاوى «٥/ ٦٦»، ومختصر الصواعق «٢/ ١٤٤».

(٤) انظر تحفة المريد على شرح جوهرة التوحيد «ص: ٥٤».

(٥) انظر غاية المرام «ص: ١٤١».

(٦) انظر الاقتصاد في الاعتقاد «ص: ١٠٤».

(٧) شرح الأصول الخمسة «ص: ٢٢٦».

فلما علونا واستـــــــوينا عليهم   تركناهم صـــرعى لنسـر كاسر

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر -رحمه الله- «**ت: ٤٦٣ هـ**» أن بعضهم قد احتج بما رواه عبد الله بن داود الواسطي عن إبراهيم بن عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، في تفسير قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]، قال: "استولى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان"(١)

ومن هؤلاء المعطلة من يبقي كلمة العرش الواردة في الآية على معناها الحقيقي الثابت، ويقول إنما خصـــص العرش بالذكر من بين جميع المخلوقات لكونه أعظم المخلوقات وأرفعها وأوسطها فخصص بالذكر تنبيهاً على ما دونه.

ومنهم من يؤول العرش الوارد في الآية بمعنى الملك (٢)، ويزعم أن معنى الآية اســـتولى واســـتعلى على الملك، ويقول أصـــحاب هذا القول إن الله قد عبر بالعرش كناية على الملك، لأنه يخاطب الناس على الوجه الذي ألفوه من ملوكهم، واستقر في قلوبهم، ذلك أن العرش في كلامهم هو الســـرير الذي يجلس عليه الملوك، فجعل العرش كناية عن نفس الملك، ويســـتدل هؤلاء بأن هذا الأمر مشهور في اللغة، وكذلك بقوله تعالى في سورة يونس: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: الآية: ٣]، فقالوا: إن قوله يدبر الأمر جرى مجرى التفســـير لقوله: ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (٣).

الرد عليهم:

---

(١) التمهيد «٧/ ١٣٢».

وقد أجاب ابن عبد البر على اســـتدلالهم هذا بقوله: "إن هذا الحديث منكر على ابن عباس -رضـــي الله عنهما-، ونقلته مجهولون وضعفاء، فأما عبد الله بن داود الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان، وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف، وهم لا يقبلون أخبار الأحاد العدول، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا وأنصفوا". اهـ.

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة «ص: ٢٢٦»، تفسير الرازي «١٤/ ١٥»، وأصول الدين للبغدادي «ص: ١١٢».

(٣) تفسير الرازي «١٤/ ١١٥».

لقد أجمع السلف على أن هذا التأويل الذي ذهب إليه هؤلاء الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، ومتأخرو الأشاعرة، هو تأويل باطل ترده نصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة، وهو قول لا أصل له في لغة العرب، بل هو تفسير لكلام الله بالرأي المجرد، لم يذهب إليه صاحب ولا تابع، ولا قاله إمام من أئمة المسلمين، ولا أحد من أهل التفسير الذين يحكون قول السلف.

ولبيان فساد هذا القول على وجه التفصيل نقول:

أولاً: أنه من المعلوم أن لفظ الاستواء قد ورد في القرآن الكريم في سبعة مواضع، وهذه المواضع جميعها قد اطرد فيها لفظ الاستواء دون الاستيلاء، وكذلك الأمر بالنسبة لما ورد في السنة، فلو كان معناه استولى -كما يزعم هؤلاء- لكان استعماله في أكثر موارده كذلك، فإذا جاء في موضع أو موضعين بلفظ استوى حمل على معنى استولى لأنه المألوف المعهود.

أما أن يُؤتى إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد فيدعى صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه، فهذا أمر في غاية الفساد ولم يقصده ويفعله من قصد البيان، هذا لو لم يكن في السياق ما يأبى حمله على غير معناه الذي اطرد استعماله فيه، فكيف وفي السياق ما يأبى ذلك. (١)

ثانياً: ومما يرد هذا التأويل الباطل أن كلمة استوى قد جاءت بعد "ثم" التي حقها الترتيب والمهلة، فلو كان المعنى القدرة على العرش والاستيلاء عليه لم يتأخر ذلك إلى ما بعد خلق السماوات والأرض، فإن العرش كان موجوداً قبل خلق السماوات والأرض بخمسين الف عام كما ثبت في صحيح مسلم عنه-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء**». (٢)

وقال تعالى ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾.

وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين-رضي الله عنه-«**ت: ٥٢ هـ**» عن النبي-

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة «٢/ ١٢٨-١٢٩».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر «٨/ ٥١».

صلى الله عليه وسلم-قال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السماوات والأرض**».(١)

فالآيات والحديثان يدلان دلالة واضحة على أن العرش كان موجوداً قبل خلق السماوات والأرض فكيف يجوز أن يكون غير قادر ولا مســـتولٍ على العرش إلى أن خلق الســـماوات والأرض.(٢)

ثالثاً: أن الاســـتيلاء ســـواء كان بمعنى القدرة أو القهر أو نحو ذلك عام في المخلوقات كالربوبية.، والعرش وإن كان أعظم المخلوقات ونســـبة الربوبية إليه لا تنفي نســـبتها إلى غيره كما في قوله تعالى ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّـــمَاوَاتِ السَّـــبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: الآية: ٨٦]، فلو كان استوى بمعنى استولى كما هو عام في المخلوقات كلها لجاز مع إضافته للعرش أن يقال: اسـتوى على السـماء وعلى الهواء وعلى البحار والأرض، وعليها ودونها ونحوها إذ هو مسـتو على العرش، فلما اتفق المسـلمون على أن يقال: اسـتوى على العرش، ولا يقال استوى على هذه الأشياء مع أنه يقال: استولى على العرش والأشياء، علم أن معنى استوى خاص بالعرش وليس عاما كعموم الأشياء.(٣)

رابعاً: أنه إذا فســـر الاســـتواء بالغلبة والقهر عاد معنى الآيات كلها إلى أن الله تعالى أعلم عباده بأنه خلق الســـماوات والأرض ثم غلب على العرش بعد ذلك وقهره وحكم عليه! أفلا يســـتحي من الله من في قلبه أدنى وقار لله ولكلامه أن ينســـب ذلك إليه وأنه أراد بقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْـــتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]: أي اعلموا يا عبادي أني بعد فراغي من خلق السماوات والأرض غلبت عرشي وقهرته واستوليت عليه.(٤)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب التوحيد، ﴿وكان عرشه على الماء﴾ «ح: ٧٤١٨».

(٢) مجموع الفتاوى «٥/ ١٤٥».

(٣) مجموع الفتاوى «٥/ ١٤٤».

(٤) مختصر الصواعق «٢/ ١٤٠-١٤١».

خامســاً: أن ما يســتند إليه هؤلاء المعطلة في زعمهم هذا من قولهم إن تفســير اســتوى باسـتولى أمر مشـهور في اللغة، هو قول باطل مردود لأنه لم يثبت عند أحد من أهل اللغة أن لفظة استوى يصح استعمالها بمعنى استولى، بل إن هذا القول منكر عند اللغويين.

فهذا ابن الأعرابي –رحمه الله–«**ت: ٢٣١ هـ**» أحد علماء اللغة أتاه رجل فقال له: ما معنى قول الله عز وجل ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْــتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]؟ فقال: «**هو كما أخبر عز وجل**»، فقال: يا أبا عبد الله ليس هذا معناه، إنما معناه استولى، قال: «**اسكت ما أنت وهذا، لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاداً فإذا غلب أحدهما قيل استولى، أما سمعت النابغة:**

ألا لمثلـك أو من أنـت سابقة سبق الجواد إذا استولى على الأمد(١)

"**وقد سئل الخليل بن أحمد–رحمه الله–«ت: ١٧٤ هـ»**: هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟

فقال: "هذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها". والخليل إمام في اللغة على ما عرف من حاله، فحينئذ حمله على ما لا نعرف في اللغة هو قول باطل"(٢).

وكذلك فإنه قد روي عن جماعة من أهل اللغة قالوا: لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر، والله سبحانه لا يعجزه شيء والعرش لا يغالبه في حال، فامتنع أن يكون بمعنى استولى.

وقد روي عن أبي العباس ثعلب–رحمه الله–«**ت: ٢٩١ هـ**» أنه قال: "استوى: أقبل عليه وإن لم يكن معوجاً، ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ [البقرة ٢٩]، و﴿استوى على العرش﴾: علا، واستوى الوجه: اتصل، واستوى القمر: امتلأ، واستوى زيد وعمرو: تشابها واستوى فعلاهما

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي «٢/ ٣٩٩».

(٢) مجموع الفتاوى «٥/ ١٤٤، ١٤٩»

وإن لم تتشابه شخوصهما، هذا الذي نعرفه من كلام العرب"[١]

فبما تقدم من أقوال علماء اللغة يتضح لنا فساد زعم هؤلاء المعطلة وكذب ادعائهم بأن هذا القول مشهور في اللغة.

وأما ما استدل به هؤلاء من أبيات، كقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ولادم مهراق

وقول آخر:

هما استويا بفضلهما جميعًا   على عرش الملوك بغير زور

فهذان البيتان لم يثبت نقل صحيح على أنهما شعر عربي وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروهما.

قال ابن فارس-رحمه الله-٣٩٥ هـ»: "هذان البيتان لا يعرف قائلهما"[٢]

فهما على هذا بيتان مصنوعان، ومعلوم أنه لو احتج بحديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لاحتاج إلى صحته، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده وقد طعن فيه أئمة اللغة.

قال أبو عمر بن عبد البر-رحمه الله-«**ت: ٤٦٣ هـ**»: "وأما ادعائهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى: استولى، فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لا يغالبه أحد ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى إتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، وجل الله عز وجل أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطبتها، مما يصح معناه عند السامعين،

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي «٢/ ٣٩٩-٤٠٠».

(٢) زاد المسير لابن الجوزي «٢/ ١٢٨».

والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه، قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿استوى﴾ قال: وتقول العرب استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت، وقال غيره: استوى: أي انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد"[(١)]

وأما ما استدل به المعطلة من قول ابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**» فقد بين ابن عبد البر أنه مكذوب على ابن عباس ورواته مجهولون وضعفاء كما تقدم ذكره.

القول الثاني:

أن معنى استوى: أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه كقوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: الآية: ١١]، أي عمد إلى خلق السماء.

وهذا هو قول بعض الجهمية [(٢)]، وإليه ذهب الفراء «**ت: ٢٠٧ هـ**»، والأشعري «**ت: ٣٢٤ هـ**»، وابن الضرير «**ت: ٢٠٩ هـ**»، واختاره الثعلبي «**ت: ٤٢٧ هـ**» [(٣)].

الرد عليهم:

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وهذا الوجه من أضعف الوجوه، فإنه قد أخبر أن العرش على الماء قبل خلق السماوات والأرض.

وكذلك ثبت في صحيح البخاري عن عمران-رضي الله عنهما-«**ت: ٥٢ هـ**» عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء** ...»، فإذا كان العرش مخلوقاً قبل خلق السماوات والأرض، فكيف يكون استواؤه عمده إلى خلقه له؟!

هذا لو كان يعرف في اللغة أن استوى على كذا، بمعنى أنه عمد إلى فعله، فكيف إذا كان لا يعرف قط في اللغة لا حقيقة ولا مجازاً ولا في نظم ولا في نثر.

---

(١) التمهيد «٧/ ١٣١».

(٢) مختصر الصواعق «٢/ ١٢٦».

(٣) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي «٢/ ٨-٩».

ومن قال استوى بمعنى عمد ذكره في قوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: الآية: ١١] لأنه عدى بحرف الغاية، كما يقال: عمدت إلى كذا وقصدت إلى كذا، ولا يقال عمدت على كذا ولا قصدت عليه، مع أن ما ذكر في تلك الآية لا يعرف في اللغة أيضاً ولا هو قول أحد من مفسري السلف، بل المفسرون من السلف بخلاف ذلك"[١]

وقال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "إن قولهم هذا يتضمن أن يكون خلقه بعد خلق السماوات والأرض، وهذ بخلاف إجماع الأمة، وخلاف ما دل عليه القرآن والسنة، وإن ادعى بعض الجهمية المتأخرين أنه خلق بعد خلق السـماوات والأرض وادعى الإجماع على ذلك، وليس العجيب من جهله، بل من إقدامه على حكاية الإجماع على ما لم يقله مسلم"[٢]

القول الثالث:

أن استوى بمعنى علا في هذه الآية، ولكن ليس المراد علو المسافة والمكان، وإنما المراد علو المكانة والقهر، وقد ذهب إلى هذا القول جماعة من الأشـاعرة منهم أبو بكر بن فورك «**ت: ٤٠٦ هـ**» [٣]، وهم بهذا القول جعلوا الاستواء صفة ذات وليست صفة فعل.

الرد عليهم:

أن الآيات والأحاديث قد أثبتت استـواء الله على العرش حقيقة، ولو كان معنى الاستـواء ههنا المراد به علو المكانة فإن الله لم يزل متعالياً على الأشـياء قبل خلق العرش، فلما أضـاف الاستواء على العرش فيجب على ذلك أن يكون لهذا التخصيص فائدة. [٤]

القول الرابع:

---

(١) مجموع الفتاوى «٥/ ٥٢٠-٥٢١».

(٢) مختصر الصواعق المرسلة «٢/ ١٤٣».

(٣) كتاب مشكل الحديث لابن فورك «ص: ١٩٣»، والأسماء والصفات للبيهقي «ص: ٥١٨».

(٤) المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى «ص: ٥٤».

وهو قول من يثبت الاستواء على أنه صفة للعرش وليس صفة لله تعالى.

وأصحاب هذا القول يقولون: أن الاستواء فعل يفعله الرب في العرش بمعنى أنه يحدث في العرش قرباً فيصير مستوياً عليه من غير أن يقوم به -أي بالله-فعل اختياري.

وهذا القول هو ما يقول به ابن كلاب «**ت: بعد ٢٤٠ هـ**»، والأشعري «**ت: ٣٢٤ هـ**» [(١)]، وأئمة أصحابه المتقدمين كالباقلاني «**ت: ٤٠٣ هـ**» وغيره، وهو أيضاً قول القلانسي «**ت: ٥٥٥ هـ**»، ومن وافق هؤلاء من أتباع الأئمة وغيرهم من أصحاب الإمام أحمد كالقاضي أبي يعلى «**ت: ٤٥٨ هـ**» وابن الزاغوني «**٥٢٧ هـ**» وابن عقيل «**ت: ٥١٣ هـ**» في كثير من أقواله [(٢)].

والسبب الذي جعل هؤلاء القوم يمنعون جعل الاستواء صفة لله تعالى هو قولهم بنفي قيام الأفعال الاختيارية بذاته سبحانه وتعالى ولذلك يجعلون أفعاله اللازمة لذاته -كالنزول والاستواء-كأفعاله المتعدية -كالخلق والإحسان-، وقولهم في نفي الأفعال الاختيارية راجع إلى قولهم في صفات الله.

وهم يقولون: "إن الله هو الموصوف بالصفات، لكن ليست الصفات أعراضاً، إذ هي قديمة أزلية"[(٣)]

وحجتهم في منع قيام الحوادث بذات الله تعالى أنهم يقولون: "إن كل ما صح قيامه بالباري تعالى فإما أن يكون صفة كمال أو لا يكون فإن كان صفة كمال استحال أن يكون حادثاً، وإلا كانت ذاته قبل اتصافه بتلك الصفة خالية من صفة الكمال، والخالي من الكمال الذي هو ممكن الاتصاف به ناقص، والنقص على الله محال بإجماع الأمة.

---

(١) هذا القول لأبي الحسن الأشعري قاله عندما كان على قول ابن كلاب من نفي الأفعال الاختيارية عن الله تعالى.

(٢) مجموع الفتاوى «٥/ ٤٢٦،٤٣٧،٣٨٦»، «١٦/ ٣٩٣».

الأسماء والصفات «ص: ٥١٧».

اجتماع الجيوش الإسلامية «ص: ٦٤،٦٥».

(٣) مجموع الفتاوى «٦/ ٣٦».

وإن لم يكن صـفة كمال اسـتحال اتصـاف الباري بها لأن إجماع الأمة على أن صـفات الباري بأسـرها صـفات كمال، فإثبات صـفة لا من صـفات الكمال خرق للإجماع وهو أمر غير جائز"[١]

الرد عليهم:

لقد اعتمد أصـحاب هذا القول في منعهم كون الاسـتواء صـفة لله تعالى على حجة منع قيام الحوادث بذاته تعالى، وهي حجة واهية وقد رد عليها ابن تيمية بقوله: "إن المقدمة التي اعتمد عليها هؤلاء وهي قولهم: إن الخالي من الكمال الذي يمكن الاتصاف به ناقص. فيقال لهم: معلوم أن الحوادث المتعاقبة لا يمكن الاتصـــاف بها في الأزل، كما لا يمكن وجودها في الأزل، وعلى هذا فالخلو عنه في الأزل لا يكون خلواً عما يمكن الاتصاف به في الأزل.

ثم إنه لم يثبت امتناع ما ذكر من النقص بدليل عقلي ولا بنص من كتاب ولا سنة، بل بما ادعوه من إجماع، وإذاً فمعلوم أن المنازعين في اتصافه بذلك هم من أهل الإجماع فكيف يحتج بالإجماع في مسألة النزاع.

وقولهم بإجماع الأمة على أن صفاته صفات كمال، فإن قصد بذلك صفاته اللازمة لم يكن في هذا حجة لهم، وإن قصـد بذلك ما يحدث بمشـيئته وقدرته لم يكن هذا إجماعاً فإن أهل الكلام يقولون إن صفة الفعل ليست صفة كمال ولا نقص والله موصوف بها بعد أن لم يكن موصوفاً.

ثم إن هذ الإجماع الذي ادعوه حجة عليهم فإنا إذا عرضنا على العقول موجودين: أحدهما يمكنه أن يتكلم ويفعل بمشـــيئته كلاماً وفعلاً، والآخر لا يمكنه ذلك، بل لا يكون كلامه إلا غير مقدور ولا مراد أو يكون بائناً عنه، لكانت العقول تقضي بأن الأول أكمل من الثاني.

وكذلك إذا عرضـــنا على العقول موجودين من المخلوقين أو مطلقاً أحدهما يقدر على الذهاب والمجيء والتصـرف بنفسـه والآخر لا يمكنه ذلك لكانت العقول تقصـي بأن الأول

---

(١) انظر كتاب ابن تيمية السلفي «ص: ١٣٠».

أكمل

فنفس ما به يعلم أن اتصافه بالحياة والقدرة صفات كمال، به يعلم أن اتصافه بالأفعال والأقوال الاختيارية التي تقوم به والتي يفعل بها المفعولات المباينة له صفات كمال"[١]

وكذلك مما يرد به على هذا القول ما قاله ابن القيم: «**إنه لو كان الاستواء عائداً على العرش لكانت القراءة برفع العرش، ولم تكن بخفضه، فلما كانت بخفض العرش دل على أن الاستواء عائد إلى الله تعالى**"[٢]

ب-الفريق الثاني: القول بالتفويض.

ويذهب أصحاب هذا القول إلى إثبات لفظ الاستواء فقط مع التوقف في المعنى المراد، فهم يقولون: إن الاستواء ثابت في القرآن حيث إنه قد ورد في سبع آيات، وكذلك قد وردت به الأخبار الصحيحة وقبوله من جهة التوقف واجب، والبحث عنه وطلب الكيفية غير جائز وهو استواء لا نعلمه. [٣]

وقد ذهب إلى هذا القول البيهقي-رحمه الله-«ت: ٤٥٨ هـ» في كتابه الاعتقاد. [٤]

وهو أحد قولي الرازي-رحمه الله-«**ت: ٦٠٦ هـ**». [٥]

وهؤلاء في الحقيقة ينفون صفة الاستواء، ولكن يتوقفون في المعنى الذي على زعمهم يجب تأويل اللفظ إليه.

---

(١) الموافقة بين صريح العقل وصحيح النقل «٢/ ٧٣-١٧٥»، ط: دار الكتب.

(٢) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية «ص: ٦٤-٦٥».

(٣) الاعتقاد للبيهقي «ص: ١١٥».

(٤) المصدر السابق.

(٥) تلخيص المحصل «ص: ١١٤».

وقد زعم كثير من الأشاعرة أن القول بالتفويض هو قول السلف. [(١)]

ويستدلون على نسبة هذا القول إلى السلف بعبارات نقلت عن السلف ظنوا أنها ترمي إلى القول بالتفويض كقول الأوزاعي-رحمه الله-«**ت: ١٥٧ هـ**»: "كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته جل وعلا".

وقول ربيعة بن عبد الرحمن-رحمه الله-«**ت: ١٣٦ هـ**»، والإمام مالك-رحمه الله-«**ت: ١٧٩ هـ**»: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب".

والقول بالتفويض هو مقصود هؤلاء القوم في قولهم: «**إن طريقة السلف أسلم**»، حيث إنهم ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: الآية: ٧٨].

الرد عليهم:

معلوم أن نسبة هذا القول إلى السلف إنما هي محض كذب وافتراء ومن نسب هذا القول إلى السلف فإنما هو جاهل بطريقة السلف الذين لم يقولوا بهذا القول، ولم يرد عن واحد منهم أنه فوض معنى الاستواء، بل أن الوارد عنهم جميعاً أنهم يفسرون الاستواء بالمعنى المراد وهو العلو والارتفاع على العرش ويؤمنون بأن الله مستو على العرش حقيقة.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف، أما في كثير من الصفات فقطعاً مثل أن الله فوق العرش فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما قصدوا خلاف هذا قط، وكثير منهم صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك"[(٢)]

---

(١) الاعتقاد للبيهقي «ص: ١١٧»، الإتقان في علوم القرآن «٢/ ٦»، مناهل العرفان «٢/ ١٨٣-١٨٣»، تحفة المريد «ص: ٩١-٩٢»، شرح الخريدة البهية «ص: ٧٥»، الأسماء والصفات «ص: ٥١٧».

(٢) الفتوى الحموية «ص: ٦٤».

وقال في موضع آخر: "وقد فسر الإمام أحمد النصوص التي نسميها متشابهات فبين معانيها آية آية، وحديثاً حديثاً ولم يتوقف فيها هو والأئمة قبله مما يدل على أن التوقف عن بيان معاني آيات الصفات وصرف الألفاظ عن ظواهرها لم يكن مذهباً لأهل السنة وهم أعرف بمذهب السلف، وإنما مذهب السلف إجراء معاني آيات الصفات على ظاهرها بإثبات الصفات له حقيقة وعندهم قراءة الآية والحديث تفسيرها وتمر كما جاءت دالة على المعاني لا تحرف ولا يلحد فيها"[١]

ويقول ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: "تنازع الناس في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها، أعني فهم أصل المعنى لا فهم الكنة والكيفية"[٢]

وأما بالنسبة إلى ما استدل به أصحاب هذا القول على أن القول بالتفويض هو مذهب السلف وذكرهم لقول الإمام مالك–رحمه الله–«**ت: ١٧٩ هـ**»: "الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"، فليس المراد ههنا تفويض معنى الاستواء ولا نفي حقيقة الصفة، ولو كان المراد الإيمان بمجرد اللفظ من غير فهم على ما يليق بالله لما قال «**الكيف مجهول**»، لأنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى.[٣]

والاستواء على هذا المعنى لا يكون معلومًا، بل هو مجهول بمنزلة حروف المعجم، لكن الأمر على عكس ذلك، فنفي علم الكيفية لأنه أثبت الصفة وأراد بقوله الاستواء معلوم معناه في اللغة التي نزل بها القرآن فعلى هذا يكون معلوماً في القرآن.

ومعلوم أن ادعاء هؤلاء أن مذهب السلف إنما هو القول بالتفويض سببه اعتقاد هؤلاء أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس

---

(١) مجموع الفتاوى «١٧/ ٤١٤».

(٢) مختصر الصواعق «١/ ١٥».

(٣) الفتوى الحموية «ص: ٢٥».

الأمر -كان مع ذلك لا بد للنصـــوص من معنى-فبقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى وبين صــرف اللفظ إلى معان بنوع من التكلف، وهذا التردد هو الذي وقع فيه من قال بالتفويض من هؤلاء كالبيهقي والرازي، فهم لم يلتزموا بهذا القول مطلقاً، بل غالباً ما يخالفونه كما فعل الرازي في تأسيسه حيث جنح إلى التأويل وترك القول بالتفويض.

ج-الفريق الثالث: قول المشبهة.

والمقصود بهم الهشامية [(١)] من الروافض، والكرامية [(٢)]، وغيرهم.

وهؤلاء يثبتون استـواء الله وارتفاعه فوق عرشـه، إلا أنهم تعمقوا في الكلام على كيفية ذلك الاستواء.

فالهشـامية مثلاً يقولون إن الله تعالى مماس لعرشـه لا يفضـل منه شـيء في العرش ولا يفضل عن العرش شيء منه. [(٣)]

وأما الكرامية فقد تعددت أقوالهم في كيفية استوائه:

فمنهم من يقول: إنه على بعض أجزاء العرش.

ومنهم من يقول: إن العرش مكان له وأن العرش امتلأ به.

ومنهم من يقول: إنه لو خلق بإزاء العرش عروشــاً موازية لعرشـــه لصـــارت العروش كلها مكاناً له لأنه أكبر منها كلها.

ومنهم من يقول: أن بينه وبين العرش من البعد والمســـافة ما لو قدر مشـــغولا بالجواهر لاتصلت به. [(٤)]

---

(١) هم أصحاب هشام بن عبد الحكم الرافضي من الإمامية، وتنسب إليه وإلى هشام بن سالم الجواليقي أحياناً، من الإمامية المشبهة. انظر المقالات «١/ ٣١-٣٤»، الملل والنحل «١/ ١٤٤-١٤٧».

(٢) هم أصحاب محمد بن كرام وهم طوائف يبلغ عددهم اثنتي عشرة فرقة وأصولها ستة هي: العابدية، والنونية، والزرينية، والإسحاقية، والواحدية، وأقربهم الهيصمية. انظر الملل والنحل «١/ ١٤٤-١٤٧».

(٣) الملل والنحل «٢/ ٢٢».

(٤) الملل والنحل «١/ ١٤٤-١٤٧».

وقول هؤلاء المشبهة إنما هو نتيجة لازمة لأقوالهم في صفات الله وكلامهم في ذاته.

فالهشامية يقولون: "إن الله جسم ذو أبعاض له قدر من الأقدار، ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات، ولا يشبهه شيء".

ونقل عنهم أنهم قالوا إنه سبعة أشبار بشبر نفسه، وأن له مكاناً مخصوصاً ووجهة مخصوصة وأنه يتحرك وحركته فعله، وليست من مكان إلى مكان وهو متناه بالذات غير متناه بالقدرة، وأنه مماس لعرشه ولا يفضل منه شيء من العرش ولا يفضل عن العرش شيء منه"[(١)]

وأما الكرامية فيقول ابن كرام «**ت: ٢٥٥ هـ**»: "إن معبوده مستقر على العرش استقراراً وأنه بجهة فوقَ ذاتاً وأنه أُحدي الذات أُحدي الجوهر وأنه مماس للعرش من الصفحة العليا".

ولهم في معنى العظم خلاف فقال بعضهم: "إنه مع وحدته على جميع أجزاء العرش والعرش تحته وهو فوقه كله على الوجه الذي هو فوق جزء منه.

وقال بعضهم: أنه يلاقى مع وحدته من جهة واحدة أكثر من واحد، وهو يلاقى جميع أجزاء العرش وهو العلي العظيم.

وقالت المهاجرية منهم: إنه لا يزيد على عرشه في جهة المماسة ولا يفضل منه شيء على العرش، وهذا يقتضي أن يكون عرضه كعرض العرش.

وصار المتأخرون منهم إلى أنه تعالى بجهة فوق وأنه محاذ للعرش"[(٢)]

الرد عليهم:

هذا القول للمشبهة يتضمن حقًا وباطلًا.

فالحق فيه هو: اعترافهم بعلو الله واستوائه على عرشه وأنه بائن من خلقه والخلق بائنون عنه.

وأما الباطل فهو: كلامهم في ذات الله والتعرض لكيفية استوائه، وهو كلام باطل وفاسد

---

(١) الملل والنحل «٢/ ٢٢».

(٢) انظر كتاب التجسيم عند المسلمين «ص: ٢٠٥».

ليس لهم به دليل من القرآن أو السـنة، بل هو قول على الله بغير علم فالله سـبحانه وتعالى لم يطلعنا على كيفية ذاته فأنّى لنا أن نعلم كيفية صـفاته، وأمر الكيفية هو مما اسـتئثر الله بعلمه قال تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥].

ومما يدلنا على فساد هذا القول وعدم وجود دليل لأصحابه على ما يقولون هو اختلاف أرائهم وأقوالهم عند الحديث عن ذات الله وكيفية اسـتواءه، فمن خلال عرض أقوالهم يتضـح اختلافهم وتناقضهم، وما ذاك إلا أنهم يفترون على الله الكذب قال تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: الآية: ٨٢].

والسـؤال الذي ينبغي أن يوجه إلى هؤلاء المشـبهة في هذا المقام هو: أين الدليل من الكتاب أو السنة على ما تزعمون؟

والجواب معروف وهو أنه لا دليل لهم على ذلك لا من القرآن ولا من السنة.

ومما ينبغي معرفته أن الكلام على كيفية ذات الله أو كيفية اسـتوائه أو غيرها من الصـفات هو أمر غير جائز عند السـلف ويحرم الخوض فيه، بل يبدعون السـائل عن ذلك ولذلك بدع الإمام مالك السائل الذي سأله عن كيفية استواء الباري عز وجل، حيث قال له: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسـؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، وما أراك إلا رجل سـوء، وأمر بإخراجه"، وما قاله الإمام مالك هو الذي جاءت به النصـوص وهو الذي سـار عليه السلف جميعاً.

المسألة الثانية: التعريف بالعرش والأقوال فيه.

أولًا: التعريف بالعرش.

المعنى اللغوي لكلمة العرش، قال ابن فارس-رحمه الله-«**ت:٣٩٥ هـ**» ""عرش" العين، والراء، والشين أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك»[(١)].

(١) معجم مقاييس اللغة «٤/ ٢٦٤».

والعرش في كلام العرب يطلق على عدة معاني:

١-سرير الملك:

قال الخليل-رحمه الله-«**ت: ١٧٤ هـ**»: "العرش: السرير للملك"[(١)].

وقال الأزهري-رحمه الله-«**ت: ٣٧٠ هـ**»: "والعرش في كلام العرب: سرير الملك، يدلك على ذلك سرير ملكة سبأ، سماه الله جل وعز عرشاً فقال ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: الآية ٢٣]"[(٢)]

٢-سقف البيت:

قال الخليل-رحمه الله-«**ت: ١٧٤ هـ**»، والجوهري-رحمه الله-«**ت: ٣٩٣ هـ**»: "عرش البيت: سقفه"[(٣)].

وقال الزبيدي-رحمه الله-«**ت: ١٢٠٥ هـ**»: "والعرش من البيت سقفه ومنه الحديث «**أو كالقنديل المعلق بالعرش**» يعني: السقف، وفي حديث آخر: «**كنت أسمع قراءة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-على عرشي**»[(٤)] أي: سقف بيتي، وبه فسر قوله تعالى ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٩]، أي: صارت على سقوفها كما قال عز من قائل: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [الحجر: الآية: ٧٤]، أراد أن حيطانها قائمة وقد تهدمت سقوفها فصارت في قرارها وانقعرت الحيطان من قواعدها فتساقطت على السقوف المتهدمة قبلها، ومعنى الخاوية والمنقعرة واحد وهي المنقلعة من أصولها"[(٥)]

٣-ركن الشيء:

---

(١) كتاب العين «١/ ٢٩١».

(٢) تهذيب اللغة «١/ ٤١٣».

(٣) كتاب العين «١/ ٢٩١»، الصحاح «ص: ٧٢٢».

(٤) أخرجه النسائي «١٠١٣» باختلاف يسير، وابن ماجه «١٣٤٩»، وأحمد «٢٦٩٠٥» واللفظ لهما.

(٥) تاج العروس «٤/ ٣٢١».

وقال الزبيدي-رحمه الله-«ت: ١٢٠٥ هـ»: "والعرش ركن الشيء، قاله الزجاج والكسائي، وبه فسر قوله تعالى ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾، أي وخرت على أركانها"[١]

٤-الملك:

وقال الأزهري-رحمه الله-«ت: ٣٧٠ هـ»: "قال: والعرش الملك، يقال: ثل عرشه، أي زال ملكه وعزه.

قال زهير:

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل".[٢]

وقال الزبيدي-رحمه الله-«ت: ١٢٠٥ هـ»: "قال ابن الأعرابي-رحمه الله-«ت: ٢٣١ هـ»: العرش الملك، بضم الميم، وهو كناية..."[٣]

٥-قوام أمر الرجل:

قال ابن فارس-رحمه الله-«ت:٣٩٥ هـ»: "استعيرت كلمة عرش هنا، فقيل لأمر الرجل وقوامه: عرش، وإذا زال عنه ذلك، قيل: ثل عرشه.

قال زهير:

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل".[٤].

وقال الزبيدي-رحمه الله-«ت: ١٢٠٥ هـ»: "قولهم: ثل عرشه أي: عدم ما هو عليه من قوام أمره، وقيل: وهي أمره، وقيل: ذهب عزه، ومنه حديث عمر رضي الله عنه أنه رُئي في المنام، فقيل له: ما فعل بك ربك؟ قال: لولا أن تداركني لثل عرشي"[٥]

---

(١) تاج العروس «٤/ ٣٢١».

(٢) تهذيب اللغة «١/ ٤١٤».

(٣) تاج العروس «٤/ ٣٢١».

(٤) معجم مقاييس اللغة «٤/ ٢٦٤» -بتصرف-.

(٥) تاج العروس «٤/ ٣٢١».

٦-عرش السماك:

قال ابن فارس-رحمه الله-«**ت:٣٩٥ هـ**»: "ويقال: أن عرش السماك، أربعة كواكب، أسفل من العواء على صورة النعش، ويقال: هي عجز الأسد، قال ابن أحمر:

باتت عليه ليلة عرشية شربت وبات إلى نقا متهدم". [(١)]

٧-عرش البئر:

وقال الأزهري-رحمه الله-«**ت: ٣٧٠ هـ**»: "وقال أبو عبيد: قال أبو زيد: بئر معروشة، وهي التي تطوى قدر قامة من أسفلها بالحجارة ثم يطوى سائرها بالخشب وحده، فذلك الخشب هو العرش، يقال منه: عرشت البئر، أعرشها، فإذا كانت كلها بالحجارة فهي مطوية وليست بمعروشة.

وقال غيره: المثاب: مقام الساقي فوق العروش، ومنه قول الشاعر:

وما لم ثابات العروش بقية إذا استل من تحت العروش الدعائم

وقال ابن الأعرابي-رحمه الله-«**ت: ٢٣١ هـ**»: العرش بناء فوق البئر يقوم عليه الساقي، وأنشد -أكل يوم عرشها مقيل-"[(٢)]

٨-عرش القدم:

قال الخليل-رحمه الله-«**ت: ١٧٤ هـ**»: "العرش في القدم، ما بين الحمار والأصابع من ظهر القدم، والحمار: المرتفع من ظهر القدم، وجمعه: عرشه وأعراش"[(٣)]

وقال ابن الأعرابي-رحمه الله-«**ت: ٢٣١ هـ**»: «**ظهر القدم: العرش، وباطنه: الأخمص**"[(٤)]

---

(١) معجم مقاييس اللغة «٤/ ٢٦٧»

(٢) تهذيب اللغة «١/ ٤١٦».

(٣) كتاب العين «١/ ٢٩٣».

(٤) لسان العرب «٤/ ٢٨٨٢».

قلت: ومن المعلوم أن معرفة كل معنى من تلك المعاني إنما يتحدد بحسب ما أضيف إلى الكلمة، والمعنى المقصود في عرش الرحمن من تلك المعاني السابقة، هو سرير الملك، ذلك لأن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة قد جاءت معينة لهذا المعنى وحده دون غيره من المعاني، وهذا ما سيأتي بيانه.

أما زعم الجهمية بأن معنى العرش في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]، يحتمل عدة معاني، فلا يعرف أي هذه المعاني هو المراد؟

فقد أجاب عنه ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» بقوله: "هذا تلبيس منك على الجهال، وكذب ظاهر، فإنه ليس لعرش الرحمن الذي استوى عليه إلا معنى واحد، وإن كان للعرش من حيث الجملة عدة معانٍ، فاللام للعهد وقد صار بها العرش معيناً، وهو عرش الرب تعالى الذي هو سرير ملكه، التي اتفقت عليه الرسل، وأقرت به الأمم، إلا من نابذ الرسل..."(١)

ثانيًا: تعريف العرش شرعًا:

وأما تعريف العرش شرعًا فقد اختلف فيه إلى مذاهب

أولاً: مذهب السلف:

قال الطبري-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**» عند قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر: الآية: ٧٥] «**يعني بالعرش: السرير**»، ثم ذكر بسنده عن السدي في تفسير هذه الآية قوله: "محدقين حول العرش قال: العرش: السرير"(٢)

قال الطبري-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**» في موضع آخر ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر ١٥] يقول: "ذو السرير المحيط بما دونه"(٣)

وقال البيهقي-رحمه الله-«**ت: ٤٥٨ هـ**»: "وأقاويل أهل التفسير على أن العرش هو

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة «١/ ١٧-١٨».

(٢) تفسير الطبري «٢٤/ ٣٧-٣٨».

(٣) تفسير الطبري «٢٤/ ٤٩».

السرير وأنه جسم مجسم خلقه الله وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق في الأرض بيتاً وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة، وفي الآيات والأحاديث والأثار دلالة واضحة على ما ذهبوا إليه"[(١)]

وقال أيضاً: «**العرش هو السرير المشهور فيما بين العقلاء**»[(٢)].

وقال ابن كثير–رحمه الله–«**ت: ٧٧٤ هـ**»: "هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات"[(٣)]

وقال الذهبي–رحمه الله–«**ت: ٧٤٨ هـ**»، –بعد أن ذكر سرر أهل الجنة–: "فما الظن بالعرش العظيم الذي اتخذه العلي العظيم لنفسه في ارتفاعه وسعته، وقوائمه وماهيته وحملته، والكروبيين الحافين من حوله، وحسنه ورونقه وقيمته، فقد ورد أنه من ياقوتة حمراء"[(٤)]

قلت: وهذا الذي ذكره الطبري والبيهقي وابن كثير والذهبي في تعريف العرش، هو الذي جاءت به الآيات والأحاديث والآثار، وهو ما ذهب إليه سلف الأمة وأئمتها في عرش الله، فهم يعتقدون أن عرش الرحمن هو:

❃ سرير:

قال ابن قتيبة–رحمه الله–٢٧٦ هـ»: "وطلبوا للعرش معنى غير السرير، والعلماء في اللغة لا يعرفون للعرش معنى إلا السرير، وما عرش من السقوف وأشباهها، قال أمية بن أبي الصلت:

مجدوا الله وهو للمجد أهل ... ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء الأعلى الذي سبق النـ ... ـاس وسوى فوق السماء سريرا

---

(١) الأسماء والصفات «٢/ ٢٧٢».

(٢) الاعتقاد «ص: ١١٢».

(٣) البداية «١/ ١٢».

(٤) العلو «ص: ٥٧».

شرجعاً لا يناله بصـر العيـ ـن ترى دونه الملائك صورا"[١]

قال ابن كثير-رحمه الله-«**ت: ٧٧٤ هـ**»: "العرش في اللغة عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: الآية: ٢٣]. وليس هو فلكًا ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو سرير ذو قوائم..."[٢]

❃ وأنه ذو قوائم:

قال شارح الطحاوية «**ت: ٧٩٢ هـ**»: "قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة، كما قال-صلى الله عليه وسلم-: «**فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور**». [٣]

[٤].

❃ وأنه مخلوق:

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**»: "قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: الآية: ١٢٩]، إشارة إلى أن العرش مربوب، وكل مربوب مخلوق... وفي إثبات القوائم للعرش دلالة على أنه جسم مركب له أبعاض وأجزاء، والجسم المؤلف محدث مخلوق"[٥].

❃ وأن الله سبحانه قد أمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر: الآية: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: الآية: ١٧].

---

(١) الاختلاف في اللفظ «ص: ٢٤٠».

(٢) البداية «١/ ١١-١٢».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي. انظر فتح الباري «٥/ ٧٠». ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل «٤/ ١٠١-١٠٢».

(٤) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣١٠-٣١١».

(٥) فتح الباري «١٣/ ٤٠٥».

وعن جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما-«**ت: مابين ٧٣ و٧٧ هـ**» عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**». [(١)]

❋ وهو أعلى المخلوقات، وأعظمها، وسقفها، وهو كالقبة على العالم وما تحته بالنسبة إليه كحلقة في فلاة:

وقال ابن أبي زمنين-رحمه الله-«**ت: ٣٩٩ هـ**» في كتابه "أصول السنة": "ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق...". [(٢)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: «**واما العرش فإنه مقبب، لما روي في السنن لأبي داود عن جبير بن مطعم قال: «أتى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أعرابي فقال: يا رسول جهدت الأنفس، وجاع العيال -وذكر الحديث إلى أن قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: إن الله على عرشه وإن عرشه على سمواته وأرضه كهكذا**». [(٣)] وقال بأصابعه

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الجهمية «٥/ ٩٦، ح: ٤٧٢٧».
أورده ابن كثير في تفسير «٤/ ٤١٤» وعزاه لابن أبي حاتم وقال: «إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات».

(٢) أصول السنة «ص: ٨٨».

(٣) الحديث أخرجه كذلك الدارمي في الرد على بشر المريسي «ص: ٤٤٧». وابن أبي عاصم في السنة «١/ ٢٥٢». وابن خزيمة في التوحيد «١/ ٢٣٩-٢٤٠، ح: ١٤٧». والطبراني في المعجم الكبير «٢/ ١٣٢، برقم ١٥٤٧». وأبو الشيخ في العظمة «٢/ ٥٥٤-٥٥٦، ح: ١٩٨». والدارقطني في الصفات «ص: ٥١، ح: ٣٨». وابن منده في التوحيد «١/ ١٨٨، برقم: ٦٤٣». واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٣/ ٣٩٤». والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/ ٣١٧-٣١٨، ح: ٨٨٣».
وقد تكلم بعض الأئمة على هذا الحديث: فقال الذهبي في العلو «ص: ٣٩»: "هذا الحديث غريب جداً فرد، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم أقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أم لا؟ وأما الله فليس كمثله شيء جل جلاله، وتقدست أسماؤه ولا إله غيره" انتهى كلامه. واستغربه الحافظ ابن كثير في تفسير آية الكرسي من تفسيره «١/ ٣١٠». ثم إن في إسناده اختلافاً.
هذا وقد تكلم ابن القيم في تهذيب السنن «٧/ ٩٥-١١٧» بكلام طويل نصر فيه تصحيح الحديث، ورد المطاعن التي طعن بها هذا الحديث، وبخاصة عن ابن إسحاق.

=

مثل القبة... وفي علوه قوله–صلى الله عليه وسلم–: «**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلاها وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**». [(١)]

فقد تبين بهذه الأحاديث أنه أعلى المخلوقات، وسقفها، وأنه مقبب...". [(٢)]

وفي حديث أبي ذر–رضي الله عنه–«**ت: ٣١ أو ٣٢ هـ**» المشهور قال: قلت يا رسول الله أيما أنزل عليك أعظم؟ قال: «**آية الكرسي، ثم قال: يا أبا ذر ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة**». [(٣)]

وهذا القول للسلف في عرش الله هو ما جاءت به الآيات والأحاديث الصحيحة، وقد كان سلف الأمة وأئمتها دائماً يصرحون بذلك في كتبهم عند الحديث عن هذه المسألة.

وقد وافقهم في هذا القول في عرش الله الكلابية، والكرامية، ومتقدمو الأشاعرة، وبعض

والصواب أن هذا الحديث بهذا الإسناد ضعيف، ولا سيما أن جبير بن محمد قال فيه الحافظ ابن حجر: "مقبول" يعني إذا توبع ولم يتابع هنا.

التعليق: منهج السلف في إيراد مثل هذه الأحاديث التي في إسنادها مقال إنما هو من باب التأكيد لا من باب التأييد، وهذا الحديث إنما ساقه الكثير من السلف لما فيه من تواتر علو الله تعالى فوق عرشه مما يوافق آيات القرآن والأحاديث الصحيحة".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ﴿وكان عرشه على الماء﴾. انظر فتح الباري «١٣/ ٤٠٤».

(٢) الفتاوى «٥/ ١٥١».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش رقم «٥٨».

وابن حبان في صحيحه «١/ ٧٦-٧٩».

وأبو الشيخ في العظمة «٢/ ٦٤٨-٦٤٩، ح: ٢٥٩».

وأبو نعيم في الحلية «١/ ١٦٦».

والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/ ٣٠٠-٣٠١، ح: ٨٦٢».

وللحديث أيضاً طرق أخرى ذكرها الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: «١٠٩»، وقال: "وجملة القول إن الحديث بهذه الطرق صحيح"، وصححه أيضاً في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣١٢»، وتخريجه لأحاديث كتاب "ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان" للألوسي «ص: ١٤٠».

وقد نقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري «١٣/ ٤١١» عن ابن حبان تصحيح الحديث وقال: "وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره بسند صحيح عنه".

الجهمية، والمعتزلة.[١]

ثانياً: أقوال المخالفين

القول الأول:

ما زعمه طائفة من الجهمية، والمعتزلة، والماتريدية[٢]، وعامة متأخري الأشاعرة[٣]، من أن معنى العرش في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]، هو الملك.

قال الدارمي-رحمه الله-«ت: ٢٨٠ هـ» في كتابه "الرد على الجهمية": «**باب الإيمان بالعرش وهو أحد ما أنكرته المعطلة. فادعت هذه العصابة أنهم يؤمنون بالعرش ويقرون به، فقلت لبعضهم: ما إيمانكم به إلا كإيمان ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: الآية: ٤١]، وكالذين ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: الآية: ١٤]، أتقرون أن لله عرشاً معلوماً، موصوفاً فوق السماء السابعة، تحمله الملائكة، والله فوقه كما وصف نفسه، بائن من خلقه! فأبى أن يقر به كذلك، وتردد في الجواب وخلط ولم يصرح.**

قال أبو سعيد: فقال لي زعيم منهم كبير: لا، ولكن لما خلق الله الخلق يعني السماوات والأرض وما فيهن سمى ذلك كله عرشاً له، واستوى على جميع ذلك كله"[٤].

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»، -في سياق كلامه على حملة العرش-: "ثم إن قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ [غافر: الآية: ٧]، وقوله ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: الآية: ١٧]، يوجب أن لله عرشاً يحمل، يوجب أن ذلك

(١) شرح أصول الخمسة «ص: ٢٢٦»، أصول الدين للبغدادي «ص: ١١٢»، الفرق بين الفرق «ص: ٢١٥-٢١٦»، شرح جوهرة التوحيد «ص: ١٨١»، نقض التأسيس «١/ ٣٩٦، ٢/ ١٤-١٥».

(٢) هم أتباع أبو منصور، محمد بن محمد الماتريدي، السمرقندي.

انظر قولهم في هذه المسألة في "تأويلات أهل السنة" للماتريدي «١/ ٨٥».

(٣) التبصير في الدين للإسفراييني «١٥٨».

(٤) الرد على الجهمية «ص: ١٢-١٣».

العرش ليس هو الملك، كما تقوله طائفة من الجهمية"(١)

وقال الزمخشري «**ت: ٥٣٨ هـ**»: "إنه لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك، فقالو: استوى فلان على العرش يريدون ملك، وإن لم يقعد على السرير البتة، وقالوه أيضاً في شهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه، وإن كان أشرح، وأبسط، وأدل، على صورة الأمر"(٢)

وقال البغدادي، «**ت: ٤٢٩ هـ**»: "والصحيح عندنا تأويل العرش في هذه الآية على معنى الملك، كأنه أراد أن الملك ما استوى لأحد غيره، وهذا التأويل مأخوذ من قول العرب: ثُلَ عرش فلان، إذا ذهب ملكه، قال متمم بن نويرة في هذا المعنى:

عروشٌ تفانوا بعد عز وأمة ... هووا بعد ما نالوا السلامة والبقا

وأراد بالعروش، ملوكاً انقرضوا.

وقال سعيد بن زائدة الخزاعي في النعمان بن المنذر:

قد نال عرشاً لم ينله حائل ... جن ولا إنس ولا ديـار

وأراد بالعرش، الملك والسلطان.

وقال النابغة:

بعد ابن جفنة وابن هاتك عرشه ... والحارثين يؤمنون فلاحـا

وأراد بهاتك عرش ابن جفنة سالب ملكه، فصح بهذا تأويل العرش على الملك في آية الاستواء على ما بيناه"(٣)

الرد عليهم:

ما ذهب إليه هؤلاء المخالفون من تفسير معنى العرش الوارد في الآيات بمعنى الملك، إنما هو

---

(١) نقض تأسيس الجهمية «٣/ ٢٧٨».

(٢) الكشاف «٢/ ٥٣٠».

(٣) أصول الدين «ص: ١١٢». وانظر أيضاً التفسير الكبير للرازي «١٤/ ١١٥»، وروح المعاني «١١/ ٦٥».

تأويل باطلٌ، وصرف للفظ عن معناه إلى معنى آخر لا يحتمله.

والمتأمل لهذا القول يرى ما فيه من التلبيس والمخالفة.

فقد سبق أن ذكرنا في المبحث اللغوي لكلمة «**عرش**»، أن لهذه الكلمة عدة معاني في اللغة العربية، ومن المعلوم أن معرفة المعنى المراد من تلك المعاني لهذه الكلمة أو غيرها، إنما يتحدد بحسب سياق الكلمة وبحسب ما أضيفت إليه، وليس في سياق الآيات ما يثبت صحة ما ذهبوا إليه، كما أن ما استدل به هؤلاء المخالفون من الأبيات الشعرية ليس إلا دليلا على أن الملك هو من المعاني اللغوية لكلمة «**عرش**»، وهذا أمر لا خلاف فيه، وهذا الاستدلال يماثل ما لو استدللنا على أن من معاني كلمة العرش: السقف، بقوله تعالى ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٩]، فليس في هذه الأبيات أي إشارة لا من قريب ولا من بعيد على أن الملك هو المعنى المراد في الآيات الواردة في العرش، بل إن المتأمل للآيات والأحاديث الواردة في هذه المسألة يرى أنها تدل دلالة واضحة وصريحة على أن المراد بالعرش هو ذلك المخلوق العظيم الذي خلقه الله تعالى فوق العالم كله، ثم استوى عليه بعد أن خلق السماوات والأرض، وكذلك ترد على هؤلاء المخالفين زعمهم الباطل الذي هو في الحقيقة تحريف لكلام الله.

فيا ترى ماذا يصنع ذلك المخالف الذي يزعم أن العرش إنما هو كناية عن الملك والسلطان بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: الآية: ٧]، هل يزعم أن الملك كان على الماء؟

وكذلك ماذا يصنع بقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: الآية: ١٧]، أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟

وقوله–صلى الله عليه وسلم-: «**فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش**"[(١)] **أيقول آخذ بقائمة من قوائم الملك؟ وكذا قوله–صلى الله عليه وسلم-: «اهتز عرش الرحمن»**.

(١) تقدم تخريجه في «ص: ٧».

[١]، أيقول: اهتز ملكه وسلطانه؟

القول الثاني:

زعم طائفة من الفلاسفة أن العرش فلك مستدير من جميع الجوانب محيط بالعالم من كل جهة، وهو محدود الجهات، وربما سموه الفلك الأطلس، أو الفلك التاسع، أو الأثير، أو الفلك الأعلى. [٢]

وفي ذلك يقول ابن سينا «**ت: ٤٢٧ هـ**» في رسالته " إثبات النبوات وتأويل رموزهم وأمثالهم": "ومن السهل عليك أن تفهم كيف أن العرش بنص القرآن يحمله ثمانية، فهذه الثمانية هي: الثمانية أفلاك التي تحت هذا الفلك المحيط". [٣]

الرد عليهم:

إن المتأمل لكلام هؤلاء الفلاسفة كابن سينا وأمثاله يرى مدى انحرافهم، حتى أنهم وصلوا إلى درجة اعتقادهم أنه لا موجود إلا ما علموه.

ولهذا كان هؤلاء الذين عرفوا ما عرفته الفلاسفة إذا سمعوا إخبار الأنبياء بالملائكة والعرش والكرسي والجنة والنار، صاروا حائرين ومتأولين لكلام الأنبياء على ما عرفوه وعلى ما تعلموه، وإن كان هذا التأويل لا دليل لهم عليه سوى ظنهم الفاسد بأنه لا موجود إلا ما عرفوه، فقالوا العرش هو: الفلك التاسع، والكرسي هو: الفلك الثامن، فنفوا ما ليس لهم به علم [٤] فانطبق

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه «٢/ ٣٧١».
وأحمد في المسند «٣/ ٣١٦»، وفي فضائل الصحابة «٢/ ٨١٨».
والبخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، مثله. فتح الباري «٧/ ١٢٢-١٢٣».
ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة «٧/ ١٥٠».
وابن ماجة في سننه، المقدمة «١/ ٥٦».

(٢) البداية «١/ ١١»، الرسالة العرشية «ص: ٢»، مفردات «ص: ٣٢٩»، روح المعاني «٢٤/ ٤٥».

(٣) نقلاً عن كتاب "ابن سينا بين الدين والفلسفة" «ص: ١٣٧-١٣٩».

(٤) الفتاوى «١٧/ ٣٣٥-٣٣٦».

عليهم قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: الآية: ٣٩].

وقد ثبت أنه ليس لهؤلاء دليل يتمسكون به لا من الشرع ولا من العقل، وأن الذي دفعهم إلى هذا القول هو أنهم نظروا في علم الهيئة وعلوم الفلسفة فرأوا أن الأفلاك تسعة، وأن التاسع وهو الأطلس محيط بها ومستدير كاستدارتها وهو الذي يحركها الحركة الشوقية، وأن لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة، ثم سمعوا في أخبار الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذكر عرش الله، وذكر السماوات السبع، فقالوا بطريق الظن أن العرش هو الفلك التاسع، لاعتقادهم أنه ليس وراء التاسع شيء، إما مطلقاً وإما أنه ليس وراءه مخلوق.[(١)]

وهم معترفون بأنه لم يقم لديهم دليل عقلي على صحة قولهم هذا، وفي ذلك يقول ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "إن أئمة الفلاسفة مصرحون بأنه لم يقم عندهم دليل على أن الأفلاك هي تسعة فقط، بل يجوز أن تكون أكثر من ذلك، ولكن دلتهم الحركات المختلفة والكسوفات ونحو ذلك على ما ذكروه، ومالم يكن لهم دليل على ثبوته فهم لا يعلمون ثبوته ولا انتفاءه.

مثال ذلك: أنهم علموا أن هذا الكوكب تحت هذا بأن السفلي يكسف العلوي من غير عكس، فاستدلوا بذلك على أنه من فلك فوقه، كما استدلوا بالحركات المختلفة على أن الأفلاك مختلفة حتى جعلوا في الفلك الواحد عدة أفلاك، كفلك التدوير وغيره، فأما ما كان موجوداً فوق هذا ولم يكن لهم ما يستدلون به على ثبوته، فهم لا يعلمون نفيه ولا إثباته بطريقهم... وإذا كان هؤلاء ليس عندهم ما ينفي وجود شيء أخر فوق الأفلاك التسعة، كان الجزم بأن ما أخبرت به الرسل من أن العرش هو الفلك التاسع رجماً بالغيب وقولاً بلا علم"[(٢)]

ومع عدم وجود الدليل العقلي عند هؤلاء على صحة زعمهم فكذلك الأدلة الشرعية ترد زعمهم هذا وتبطله.

---

(١) الرسالة العرشية «ص: ٢–٣».

(٢) الرسالة العرشية «ص: ٢».

وقد ذكر ابن تيمية في معرض رده على هؤلاء الفلاسفة المتكلمين في رسالته العرشية أن الآيات والأحاديث قد دلت على أن العرش مباين لغيره من المخلوقات وأن الله قد اختصه وميزه بأمور كثيرة منها، أن له حملة يحملونه اليوم ويوم القيامة، وأن الله قد أخبر بوجوده قبل خلق السماوات والأرض وقبل وجود الأفلاك وأن الله سبحانه تمدح نفسه بأنه ذو العرش، ووصف العرش بأنه مجيد، وعظيم، وكريم، فكل هذه الميزات والخصائص تبطل قول المنازع لأنه يقول بأن نسبة الفلك الأعلى إلى ما دونه كنسبة الآخر إلى ما دونه، ذلك لأنه لو كان العرش من جنس الأفلاك لكان إلى ما دونه كنسبة الآخر إلى ما دونه، وهذا لا يوجب خروجه عن الجنس وتخصيصه بالذكر؛. [(١)]

كما أن مما يدل على فساد قولهم ما ثبت في الشرع من أن للعرش قوائم وأنه يهتز، ومعلوم أن الأفلاك مستديرة وليس لها قوائم، كما أنها متحركة دائماً بحركة متشابهة لا تتغير، كما ثبت أيضاً أن العرش أثقل الأوزان، وهم يقولون إن الفلك لا ثقيل ولا خفيف. [(٢)]

فعلم مما تقدم انتفاء الدليل العقلي عند هؤلاء كما علم مخالفتهم للأدلة الشرعية وإبطالها لأقوالهم، ويضاف إلى هذا مخالفتهم للغة العرب، فالعرب لا تفهم من كلمة العرش هذا المعنى ولا هو مستعمل في لغتها، والقرآن إنما نزل بما يفهمون.

وبعد هذا كله لا تبقى أدنى شبهة في فساد هذا القول وبطلانه والله أعلم.

ثالثًا: الأدلة إثبات العرش

أ-الأدلة القرآنية على إثبات العرش.

لقد جاء ذكر عرش الرحمن في القرآن الكريم في واحد وعشرين موضعاً:

١-قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ

(١) المصدر السابق «ص: ٣-٧».

(٢) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين «ص: ٣٦٣».

وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]

٢-وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: الآية: ١٢٩].

٣-وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: الآية: ٣].

٤-وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: الآية: ٧].

٥-وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: الآية: ٢].

٦-وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: الآية: ٤٢].

٧-وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: الآية: ٥].

٨-وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٢].

٩-وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: الآية: ٨٦].

١٠-وقال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: الآية: ١١٦].

١١-وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: الآية: ٥٩].

١٢–وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: الآية: ٢٦].

١٣–وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: الآية: ٤].

١٤–وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: الآية: ٧٥].

١٥–وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: الآية: ٧].

١٦–وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: الآية: ١٦].

١٧–وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٢].

١٨–وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: الآية: ٤].

١٩–وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: الآية: ١٧].

٢٠–وقال تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: الآية: ٢٠].

٢١–وقال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: الآية: ١٥].

ب–الأدلة من السنة على إثبات العرش

أورد الذهبي–رحمه الله–«**ت: ٧٤٨ هـ**»، في كتابه "العرش" جملة طيبة من الأحاديث والآثار الواردة في العرش وصفته، وفي هذا المبحث لن نذكر تلك الأحاديث والآثار التي أوردها لأنها ستأتي، وإنما سنورد ههنا بعض الأحاديث الصحيحة في العرش وصفته والتي لم يذكرها

الذهبي في كتابه، وهذه الأحاديث كثيراً ما يوردها السلف في كتبهم ويستدلون بها لما فيها من الصحة والقوة ولما فيها من الصفات الدالة على عرش الخالق سبحانه وتعالى.

١-فقد جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-«**ت: ٧٤ هـ**» قال: «**بينا رسول الله-صلى الله عليه وسلم-جالس، جاء يهودي فقال: يا أبا القاسم ضرب وجهي رجل من أصحابك، فقال: من؟ قال: رجل من الأنصار، قال: ادعوه، فقال: أضربته؟ فقال: سمعته بالسوق يحلف والذي اصطفى موسى على البشر، قلت: أي خبيث على محمد-صلى الله عليه وسلم-، فأخذتني غضبة فضربت وجهه، فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان صعق أم حوسب بصعقته الأولى**»· [١]

والشاهد لنا من هذا الحديث قوله: «**فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش**»، حيث إن للعرش قوائم، ولم يرد في الشرع تحديد عدد لها، وهذا الحديث هو من أقوى الأدلة على أن العرش ليس المراد به الملك أو الفلك التاسع.

٢-وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٥ هـ**» قال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»· [٢]

وفي الحديث دلالة واضحة على أن العرش كان مخلوقاً على الماء قبل خلق السماوات.

٣-وفي الصحيحين عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**» قال: كان النبي-صلى الله عليه وسلم-يقول عن الكرب: «**لا إله إلا الله العليم الحليم، لا إله إلا الله رب**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه «٥/ ٧٠ مع الفتح» كتاب الخصومات باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي. ومسلم في صحيحه «٤/ ١٠١-١٠٢» كتاب الفضائل.

(٢) أخرجه مسلم في القدر «٨/ ٥١».

العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم». [(١)]

٤-وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**»، عن جويرية-رضي الله عنها-«**ت: ٥٠ هـ**» أن النبي-صلى الله عليه وسلم-خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها**»، قالت: نعم، قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**». [(٢)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان". [(٣)]

٥-وعن جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-«**ت: مابين ٧٣ إلى ٧٧ هـ**» عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**». [(٤)]

٦-وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت: ٥٩ هـ**»، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «**من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها، قالوا: يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة**

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، واللفظ له. فتح الباري «١٣/ ٤٠٥»، ومسلم في الذكر والدعاء «٨/ ٨٥».

(٢) أخرجه مسلم في الذكر «٨/ ٨٣» واللفظ له، وأخرجه أبو داود في تخريج أبواب الوتر، باب التسبيح بالحصى «٢/ ١٧١»، وأخرجه الترمذي في الدعوات، وقال: «حديث حسن صحيح». «٥/ ٥٥٦».

(٣) الرسالة العرشية «ص: ٨».

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الجهمية «٥/ ٩٦، ح: ٤٧٢٧»، أورده ابن كثير في تفسير «٤/ ٤١٤» وعزاه لابن أبي حاتم وقال: «إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات».

وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة».[(١)]

٧-وعن عائشة-رضي الله عنها-«**ت: ٥٧ هـ**»، قالت: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله**».[(٢)]

٨-وعن أبي ذر-رضي الله عنه-«**ت: ٣١ أو ٣٢ هـ**»، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لأبي ذر حين غربت الشمس: «**أتدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئتي فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: الآية: ٣٨]**».[(٣)]

٩-وفي الصحيحين عن أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت: ٥٩ هـ**» قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي**».[(٤)]

١٠-وعن معاذ بن جبل-رضي الله عنه-«**ت: ١٧ أو ١٨ هـ**»، قال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: «**المتحابون في الله يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله**».[(٥)]

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب وكان عرشه على الماء. فتح الباري «١٣/ ٤٠٤».

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة «٨/ ٧».

(٣) أخرجه البخاري في المغازي، باب صفة الشمس والقمر. فتح الباري «٦/ ٢٩٧».

(٤) أخرجه البخاري في بدء خلق، باب ما جاء في قوله تعالى ﴿وهو يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾. فتح الباري «٦/ ٢٨٧». وأخرجه مسلم في التوبة، باب في سعة رحمة الله أنها سبقت غضبه. «٨/ ٩٥».

(٥) أخرجه أحمد في المسند «٥/ ٢٢٩، ٢٣٦، ٢٣٧».

=

رابعًا: صفة العرش وخصائصه

أولاً: خلق العرش وهيئته

إن أول صفة نذكرها لعرش البارئ سبحانه وتعالى كونه مخلوقاً من مخلوقات الله تعالى، ذلك لأن كل ما على الوجود هو مخلوق خلقه الله تعالى وأوجده، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٢]، فكل شيء في هذا الكون مخلوق والعرش من ضمن هذا الكون فهو مخلوق أيضاً.

وسلف الأمة وأئمتها يقولون إن القرآن والسنة قد دلا على أن العرش مخلوق من مخلوقات الله تعالى خلقه وأوجده، قال تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: الآية: ١٢٩]، فالعرش موصوف بأنه مربوب وكل مربوب مخلوق، فالعرش مخلوق من مخلوقات الله.

وقد دلت الآيات والأحاديث على أن خلق العرش متقدم على خلق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: الآية: ٧]، فالآية تدل على أن العرش كان موجوداً على الماء قبل خلق السماوات والأرض ويؤيد تفسير الآية بهذا المعنى حديث عمران بن حصين–رضي الله عنه–«**ت: ٥٢ هـ**»، الذي جاء فيه أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السماوات والأرض**»·[(١)]

وأما مسألة خلق العرش فقد جاء ذكرها في حديث أبي رزين العقيلي–رضي الله عنه– قال: قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «**كان في عما ما تحته هواء وما**

وابن حبان «٢٥١٠».

والحاكم «٤/ ١٦٩-١٧٠».

وابن المبارك في الزهد «ص: ٧١٥» من طريقين صحيحين عنه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. فتح الباري «٦/ ٢٨٦، رقم: ٣١٩٠».

فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء».(١)

هذه الأدلة التي استدل بها السلف على إثبات خلق العرش، فيها أبلغ الرد على من زعم من الفلاسفة أن العرش هو الخالق الصانع، أو أنه لم يزل مع الله تعالى.

ولقد خالف السلف في قولهم هذا بعض أهل الكلام الذين زعموا أن السماوات والأرض كانتا مخلوقتين قبل العرش، وهم بزعمهم هذا الذي لا دليل لهم عليه إنما يحاولون به إخراج الاستواء عن حقيقته في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، ليكون معنى الاستواء في الآية على زعمهم بمعنى القدرة على العرش والاستيلاء عليه، ذلك لأنهم لو سلموا أن العرش مخلوق قبل السماوات والأرض لقيل لهم إنكم تزعمون أن «**استوى**» بمعنى استولى، فلماذا تأخر الاستيلاء إلى ما بعد خلق السماوات مع أنه كان موجوداً قبل ذلك، فهم فراراً من هذا الأمر ادعوا أن العرش مخلوق بعد السماوات والأرض.

وقد رد ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**» على زعمهم هذا بقوله: «**إن هذا لم يقله أحد من أهل العلم أصلاً، وهو مناقض لما دل عليه القرآن والسنة وإجماع المسلمين أظهر مناقضة، فإنه تعالى أخبر أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام وعرشه حينئذ على الماء، وهذه واو الحال، أي خلقها في هذه الحال، فدل على سبق العرش والماء للسموات والأراضين وفي الصحيح عنه–صلى الله عليه وسلم–: «قدر الله مقادير الخلائق قبل أن**

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة هود «٥/ ٢٨٨، رقم: ٣١٠٩». والإمام أحمد في مسنده «٤/ ١١-١٢». وابن أبي شيبة في العرش «ح: ٧». وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية «١/٦٤». وابن أبي عاصم في السنة «١/ ٢٧١». وابن جرير الطبري في تفسيره «١٢/ ٤» وفي تاريخه «١/ ١٩». والحكيم الترمذي في الرد على المعطلة «ق: ١٠٦/ أ». وأبو الشيخ في كتاب العظمة «١/ ٣٦٣-٣٦٤، ح: ٨٣». وابن بطة في الإبانة «تتمة الرد على الجهمية، ٣/ ١٦٨، ح: ١٢٥». وابن أبي زمنين في أصول السنة «ص: ٨٩، ح: ٣١». والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/ ٢٣٥-٢٣٦، ح: ٨٠١ و٢/٣٠٣، ح: ٨٦٤». قال الترمذي: حديث حسن. وقال الذهبي في العلو «ص: ١٩» إسناده حسن. وقال الألباني: "في تصحيحه نظر، فإن مداره على وكيع بن عدس ويقال حدس، وهو مجهول، لم يرو عنه غير يعلى بن عطاء، ولا وثقه غير ابن حبان".

يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء.[(١)]"[(٢)]

وكذلك فيما ذكرناه من أدلة على سبق خلق العرش للسموات والأرض فيه رد على زعم هؤلاء ومدى مخالفة قولهم للكتاب والسنة.

وبعد أن علمنا أسبقية خلق العرش على خلق السماوات والأرض وإجماع سلف الأمة على ذلك، نود أن نتطرق في هذا البحث أيضاً إلى ترتيب خلق العرش مع غيره من المخلوقات من حيث الأولوية في الخلق.

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على عدة أقوال:

القول الأول:

إن القلم أول المخلوقات، وأنه أسبق في الخلق من العرش، وهذا القول هو اختيار ابن جرير الطبري [(٣)] وابن الجوزي [(٤)] وهو ما يفهم في الظاهر من قول من صنف في الأوائل كابن أبي عروبة الحراني، وأبو القاسم الطبراني. [(٥)].

والدليل على هذا القول حديث عبادة بن الصامت-رضي الله عنه-«**ت: ٣٤ هـ**»، قال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب ماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**...». الحديث [(٦)]

قال ابن جرير-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**» عند تخريج هذا القول: "وقول رسول الله-صلى

---

(١) أخرجه مسلم «٢٦٥٣»..

(٢) مختصر الصواعق «٢/ ١٣١».

(٣) تاريخ الطبري «١/ ٣٦».

(٤) البداية والنهاية «١/ ٨».

(٥) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد «١/ ٣٧٥».

(٦) أخرجه أحمد في مسنده «٥/ ٣١٧».

وأبو داود في سننه «٥/ ٧٦، رقم: ٤٧٠٠».

والترمذي في سننه «٥/ ٤٢٤، رقم: ٣٣١٩».

الله عليه وسلم-الذي رويناه عنه أولى قول في ذلك بالصواب لأنه كان أعلم قائل في ذلك قولاً بحقيقته وصحته من غير استثناء منه شيئاً من الأشياء أنه تقدم خلق الله إياه خلق القلم، بل عم بقوله-صلى الله عليه وسلم-: «**إن أول شيء خلقه الله القلم**»، كل شيء وأن القلم مخلوق قبله من غير استثنائه من ذلك عرشاً ولا ماء ولا شيئاً غير ذلك"(١)

القول الثاني:

إن الماء أول المخلوقات، وأنه مخلوق قبل العرش.

وهذا القول ذكره ابن كثير-رحمه الله-«**ت: ٧٧٤ هـ**» (٢)، وذكره أيضاً ابن حجر-رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**» (٣)، واستدل له بما رواه أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعاً «**أن الماء خلق قبل العرش**».

وقال ابن حجر-رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**»: "وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعددة «**أن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء**»."

القول الثالث:

أن أول شيء خلقه الله عز وجل من خلقه النور والظلمة.

وهذا القول ذكره ابن جرير-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**»، وعزاه إلى ابن إسحاق-رحمه الله-«**ت: ١٥١ هـ**». (٤)

القول الرابع:

أن العرش هو أول المخلوقات.

---

(١) تاريخ الطبري «١/ ٣٥،٣٦».

(٢) البداية والنهاية «١/ ٩».

(٣) فتح الباري «٦/ ٢٨٩».

(٤) تاريخ الطبري «١/ ٣٣».

وهذا القول هو اختيار ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**» [(١)]، وابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» [(٢)]، وابن كثير-رحمه الله-«**ت: ٧٧٤ هـ**» [(٣)]، وشارح العقيدة الطحاوية-رحمه الله-«**ت: ٧٩٢ هـ**» [(٤)]، ونسبه ابن كثير وابن حجر-رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**» -نقلاً عن أبي العلاء الهمداني-رحمه الله-«**ت: ٥٦٩ هـ**»-إلى الجمهور، ومال إليه ابن حجر أيضاً. [(٥)].

واستدلوا على قولهم هذا بما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله ابن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٥ هـ**» مرفوعاً قال: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**». [(٦)]

ففي هذا الحديث تصريح بأن التقدير وقع بعد خلق العرش وحديث عبادة صريح بأن التقدير وقع عند أول خلق القلم، فدل ذلك على أن العرش سابق على القلم.

ومما يؤيد هذا القول أيضاً حديث عمران بن حصين-رضي الله عنه-«**ت: ٥٢ هـ**»: «**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السماوات والأرض**». [(٧)]

فالحديث يدل على أن العرش كان موجوداً قبل كتابة المقادير.

---

(١) مجموع الفتاوى «١٨/ ٢١٣».

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية «ص: ٢٥٣-٢٥٤».
وانظر مختصر الصواعق المرسلة «٢/ ٣٢٣».

(٣) البداية والنهاية «١/ ٩».

(٤) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٢٩٥».

(٥) فتح الباري «٦/ ٢٨٩».

(٦) أخرجه مسلم في القدر «٨/ ٥١».

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. فتح الباري «٦/ ٢٨٦، رقم: ٣١٩٠».

وهذا هو الراجح من الأقوال.

وأما القول الثاني «**أن الماء أول المخلوقات**» واستدلال ابن حجر بحديث أبي رزين «**أن الماء خلق قبل العرش**» فغير صحيح، لأنه لم يرد في حديث أبي رزين هذا اللفظ، وإنما ورد فيه «**ثم خلق عرشه على الماء**» وليس في هذا ما يدل على أولية الماء.

وأما ما رواه السدي–رحمه الله–«**ت: ١٢٨ هـ**» فهو أيضاً لا يصلح للاحتجاج لكونه أثرًا ولم يثبت عن النبي–صلى الله عليه وسلم–ما يدل على ذلك

وأما القول الثالث: وهو قول ابن إسحاق–رحمه الله–«**ت: ١٥١ هـ**»، فهو أيضًا غير صحيح، ولعله أخذه من الإسرائيليات كما أخذ غيره من الأمور، وقد قال ابن جرير–رحمه الله–«**ت: ٣١٠ هـ**» في هذا القول: "وأما ابن إسحاق فإنه لم يسند قوله الذي قاله في ذلك إلى أحد، وذلك من الأمور التي لا يدرك علمها إلا بخبر من الله–عز وجل–أو من خبر رسول الله–صلى الله عليه وسلم–"[١]

أما القول الأول فقد أجاب الجمهور على استدلالهم بحديث عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–«**ت: ٣٤ هـ**» بقولهم لا يخلو قوله «**أول ما خلق الله القلم... الخ**» من أن يكون جملة أو جملتين، فإن كان جملة –وهو الصحيح– كان معناه أنه عند أول خلقه قال له «**اكتب**» كما في اللفظ، «**أول ما خلق الله القلم قال له اكتب**» بنصب «**أول**» و«**القلم**» فعلى هذا تكون الأولية راجعة إلى الكتابة لا إلى الخلق.

وإن كانت جملتين وهو مروي برفع «**أول**» و«**القلم**» فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق بهذا الحديثان، إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم.[٢]

أما هيئة العرش: فقد دلت الأحاديث على أنه مقبب الشكل وأنه على هذا العالم المكون

---

(١) تاريخ الطبري «١/ ٣٣».

(٢) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٢٩٥–٢٩٦». اجتماع الجيوش الإسلامية «ص: ٢٥٣–٢٥٤».

من السماوات والأرض وما فيهما كهيئة القبة وهذا ما يدل عليه حديث الأعرابي الذي جاء فيه أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «**إن عرشه على سمواته وأراضيه هكذا**» وأشار بأصابعه مثل القبة، ويؤيد وصف هيئة العرش بهذه الصفة ما جاء في الحديث الآخر «**إذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلاها وفوقه عرش الرحمن**»، فالحديث يبين أن الفردوس أوسط الجنة وأعلاها كما جاء في الحديث الآخر: «**مائة درجة وما بين كل درجة ودرجة كما بين السماوات والأرض**» فكون العرش سقفاً للفردوس الذي هو أوسط الجنة وأعلاها يدل على أنه مقبب لأن هذه الصفة لا تكون إلا في المستدير.

والعرش له قوائم كما جاء في الحديث الصحيح «**لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش**» الحديث.

وفي إثبات كون العرش مقبباً وأن له قوائم تحمله، رد على من زعم من الفلاسفة أن العرش فلك من الأفلاك أو أنه الفلك التاسع، وقد تقدم الرد على زعم هؤلاء، وكذلك فيه رد على من زعم أن العرش بمعنى الملك لأنه لا يعقل أن يكون ماسكاً بقائمة من قوائم الملك، وقد ذكر ابن كثير والذهبي أن العرش من ياقوتة حمراء. [١] وقد استدلوا لهذا القول بما رواه إسماعيل بن أبي خالد–رحمه الله–«**ت: ١٤٦ هـ**» قال: سمعت سعداً الطائي–رحمه الله–«**ت: بين ١٢١ هـ إلى ١٣٠ هـ**» يقول: "العرش ياقوتة حمراء"[٢]

ثانياً: مكان العرش.

إن الآيات والأحاديث التي جاء فيها ذكر عرش الرحمن تبارك وتعالى لتدل دلالة واضحة على أن لعرش الرحمن مكاناً قبل وجود السماوات والأرض وبعد خلقهما، فأما مكانه قبل خلق السماوات والأرض فالآيات والأحاديث تبين لنا أن مكانه على الماء، فالله سبحانه يقول في كتابه الكريم ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾

---

(١) تفسير ابن كثير «٤/ ٧٤». العلو للذهبي «ص: ٥٧»

(٢) انظر العلو للذهبي «ص: ٥٧».

[هود: الآية: ٧].

قال الطبري-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**» في تفسير هذه الآية: "وقوله ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: الآية: ٧]، يقول وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السماوات والأرض وما فيهن، وعن أبي نجيح-رحمه الله-«**ت: ١٣١هـ، أو ١٣٢هـ**»، عن مجاهد-رحمه الله-«**ت: ١٠٤ هـ**» في قول الله ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: الآية: ٧]، قبل أن يخلق شيئًا"[(١)]

وأما الأدلة من السنة على ذلك فكثيرة منها حديث عمران بن حصين-رضي الله عنه-«**ت: ٥٢ هـ**» الذي جاء فيه: «**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السماوات والأرض**».

وكذلك ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٥ هـ**»: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**».

وكذلك حديث أبي رزين العقيلي-رضي الله عنه-، قال: قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «**كان في عما ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء**».

فكل من الآية والأحاديث تدل دلالة قاطعة على أن مكان العرش منذ خلقه على الماء، وليس مراد بالماء هنا ماء البحر لأن ماء البحر إنما وجد بعد خلق السماوات والأرض، وإنما الماء المذكور هنا ماء آخر تحت العرش على ما شاء الله تعالى.[(٢)]

وقد سئل حبر الأمة عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**» عن قوله تعالى ﴿وكان عرشه على الماء﴾ [هود: الآية: ٧]، على أي شيء كان الماء؟ قال: "كان على متن

(١) تفسير الطبري «١٢/ ٤».
(٢) فتح الباري «١٣/ ٤١١».

الريح".[(١)]

وعن سليمان التيمي-رحمه الله-«**ت: ١٤٣ هـ**» أنه قال: "ولو سئلت أين الله؟ لقلت: في السماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل السماء؟ لقلت: على الماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل الماء؟ لقلت: لا أعلم، قال أبو عبد الله: وذلك لقوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]".[(٢)]

هذا مكان العرش قبل خلق هذا الكون الذي هو عبارة عن السماوات والأرض، أما مكانه بعد خلق السماوات والأرض فالحديث عنه من جانبين:

الجانب الأول: مكانه بالنسبة إلى الله تعالى مع غيره من المخلوقات.

والجانب الثاني: مكانه بالنسبة إلى السماوات والأرض بعد خلقهما.

أما مكان العرش بالنسبة إلى الله تعالى مع غيره من المخلوقات فهو أقربها إليه سبحانه، وذلك لأن الله سبحانه قد أخبر أنه مستو على عرشه في أكثر في موضع في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]، ففي إثبات الاستواء على العرش دليل على قربه إليه لأنه سبحانه مستو على أعلى مخلوقاته وأقربها إليه، وهذه ميزة امتاز بها العرش على ما سواه، ومما يؤيد كون العرش أقرب المخلوقات إلى الله ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**» أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «**ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ**

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره «١٥/ ٢٤٩».
والدارمي في الرد على بشر المريسي «ص: ٤٤٥».
وابن أبي عاصم في السنة «١/ ٢٥٨».
والحاكم في المستدرك «٢/ ٣٤١».
والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/ ٢٣٧، رقم: ٨٠٢».
كلهم بإسنادهم عن سفيان عن الأعمش بنحوه.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. وإسناده جيد موقوف.

(٢) خلق أفعال العباد «١٢٧».

التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال».[(١)]

فالحديث يدل على أن حملة العرش هم أول من يتلقى أمر الله، ثم يبلغونه للذين يلونهم من أهل السماوات، فكونهم أقرب الخلق إلى الله دليل على أن العرش أقرب منهم إليه سبحانه لأنهم إنما يحملونه.

أما مكان العرش بالنسبة للسموات والأرض بعد خلقهما، وهل مازال على الماء؟

فالجواب ما يلي: إن العرش ما يزال على الماء المذكور في الآية والأحاديث بدليل ما جاء في أحاديث الأوعال، لقوله-صلى الله عليه وسلم-: «**ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه أسفله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك كله ثمانية أملاك أوعال ما بين أظلافهم إلى ركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ظهورهم العرش**».

فالحديث يشير كما أسلفنا إلى وجود ذلك الماء الذي تحت العرش، وإلى أنه ما زال موجوداً إلى ما بعد خلق السماوات والأرض.

أما مكان العرش بالنسبة إلى السماوات والأرض فهو أعلى منها وفوقها، وهو كالقبة عليها كما جاء في الحديث: «**إن عرشه على سمواته وأراضيه هكذا" وأشار بأصابعه مثل القبة**»، وكذلك ما جاء في حديث العباس بن عبد المطلب-رضي الله عنه-«**ت: ٣٢ هـ**» الذي

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، «١٤/ ٢٢٥».
والترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة سبأ، «٥/ ٣٦٢ رقم: ٣٢٢٤».
والإمام أحمد في مسنده «١/ ٢١٨».
والدارمي في الرد على الجهمية «ص: ٧٨».
وابن منده في التوحيد «ق: ١٦/ب».
والبيهقي في الأسماء والصفات «١/ ٥١٢-٥١٣، رقم٤٣٦».
والطحاوي في المشكل «٣/ ١١٣».
وأبو نعيم في الحلية «٣/ ١٤٣».
كلهم بإسنادهم عن الزهري عن علي بن الحسين به، وبألفاظ متقاربة.
وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

يسمى بحديث الأوعال، فكلا الحديثين يدلان على أن العرش فوق السماوات والأرض وأعلى منهما وهو كالسقف عليهما، بل هو سقف للجنة كما في حديث: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن**». [(١)]

فمكان العرش فوق السماوات والأرض وفوق الجنة وهو أعلى المخلوقات وأرفعها، وجميع المخلوقات دونه في العلو والارتفاع. والله أعلم.

ثالثاً: خصائص العرش.

خص الخالق سبحانه وتعالى عرشه الكريم بخصائص عديدة ميزته على كثير من المخلوقات الأخرى، وذلك لما للعرش من المكانة الرفيعة عند البارئ عز وجل، وقد ذكر عرش الرحمن في واحد وعشرين موضعاً من القرآن الكريم، ومجيء ذكر العرش بهذا العدد يدل على ما له من مكانة ومنزلة عالية عند الخالق سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى قد مدح نفسه في أكثر من موضع من كتابه الكريم بأنه صاحب العرش العظيم والكريم والمجيد، قال تعالى ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال تعالى ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: الآية: ١١٦]، وقال تعالى ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: الآية: ١٥].

فالله سبحانه يصف لنا في هذه الآيات وغيرها العرش بأنه عظيم، وكريم، ومجيد، فهو عظيم لكونه أكبر المخلوقات وأعظمها وأعلاها، وذلك لما خص الله به هذا العرش من الاستواء عليه، ومجيد وكريم لما له من منزلة تميز بها عما سواه من المخلوقات، فهو إنما اتصف بهذه الصفات لجلالته وعظيم قدره، كما أن في قوله تعالى ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: الآية: ١٥]، إخبار منه تعالى عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع خلقه، ومما يدل أيضاً على عظمة هذا العرش اقترانه باسم «**الرحمن**» كثيراً في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب وكان عرشه على الماء. فتح الباري «١٣/ ٤٠٤».

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]، وقوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: الآية: ٥٩]، ففي هذا الاقتران بين اسم الرحمن والعرش حكمة وهي إخباره عز وجل بأنه قد استوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، ذلك لأن العرش محيط بالمخلوقات وقد وسعها، والرحمة بالخلق واسعة لهم[١]، كما قال تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٦].

وسنذكر بعض الخصائص التي اختص بها العرش وكرم بها، والتي جعلته يوصف بهذا الوصف في القرآن الكريم ويجعل له تلك المنزلة الرفيعة.

أولاً: الاستواء عليه:

يعتبر استواء الله سبحانه وتعالى على العرش أعظم الخصائص التي اختص بها العرش، بل إن ما سواها من الخصائص الأخرى التي تميز بها العرش إنما جعلت له لأجل استواء الله عز وجل عليه، وذلك أن الله تعالى لما اختصه بهذا الأمر جعل له من الخصائص والصفات كارتفاعه وعظم خلقه وكبره وثقل وزنه لكي يتناسب مع ما ميز وشرف به من الاستواء عليه.

ومسألة الاستواء على العرش ثابتة في الكتاب والسنة، فقد جاء ذكر الاستواء في القرآن الكريم في سبعة مواضع، ومجيء ذكر الاستواء في القرآن بهذا العدد إنما هو ليؤكد عظم هذا الأمر وأهميته، وأما السنة فهي مليئة بالأحاديث والآثار التي تثبت الاستواء وتؤكده.

وإن مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم رضوان الله عليهم أجمعين أنهم يقولون إن الله استوى على عرشه بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، فهو سبحانه مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته، واستواؤه حقيقة لا مجاز كما يزعم الجهمية وأتباعهم الذين ينكرون العرش وأن يكون الله فوقه، وأما كيفية ذلك الاستواء فهي مجهولة لدينا والسؤال عن كيفية ذلك الاستواء بدعة، لأن الله سبحانه لم يطلعنا على كيفية ذاته فكيف يكون لنا أن نعرف كيفية استوائه، وهو سبحانه وتعالى يقول ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ

---

(١) مدارج السالكين «١/ ٣٣-٣٤»

عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥].

ثانياً: العرش أعلى المخلوقات أرفعها وسقفها.

إن مما اختص به الخالق سبحانه وتعالى العرش مع استوائه عليه كونه أعلى المخلوقات وأرفعها وأقربها إلى الله تعالى، فقد ثبت أن العرش أعلى من السماوات والأرض والجنة وأنه كالسقف عليها، والأدلة على هذا الأمر كثيرة وقد سبق أن أوردنا جزءاً منها خلال حديثنا عن مكان العرش.

والقول بأن العرش أعلى المخلوقات هو قول السلف الذي قالوا به وذهبوا إليه، وقال ابن أبي زمنين–رحمه الله–«**ت: ٣٩٩ هـ**» في كتابه " أصول السنة ": "ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء"(١)

وكون العرش أعلى المخلوقات يدل على أنه أقرب إلى الله تعالى وهذه ميزة أخرى تضاف إلى الخصائص التي انفرد بها العرش، ويدل على هذا الأمر ما جاء في حديث الأوعال: «**ثم فوق ظهورهم العرش بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء والله تعالى فوق ذلك**»·(٢).

(١) أصول السنة «ص: ٨٨».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند «١/ ٢٠٧». وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الجهمية «٥/ ٩٣، برقم ٤٧٢٣». وأخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية «١/ ٦٩». وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة الحاقة «٥/ ٤٢٤–٤٢٥، برقم: ٣٣٢٠». والدارمي في الرد على بشر المريسي «ص: ٤٤٨». وابن أبي عاصم في السنة «١/ ٢٥٣». وابن خزيمة في كتاب التوحيد «١/ ٢٣٤–٢٣٥، ح: ١٤٤». والآجري في الشريعة «٣/ ١٠٨٩–١٠٩٠، ح: ٦٦٥». وابن منده في التوحيد «١/ ١١٧». واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٣ /٣٩٠». والذهبي في العلو «ص: ٤٩». ومدار الحديث من جميع طرقه على "عبد الله بن عميرة" وعبد الله فيه جهالة، ولذلك قال الألباني في تخريج السنة «١/ ٢٥٤»: "إسناده ضعيف، وعبد الله بن عميرة، قال الذهبي: فيه جهالة، وقال البخاري: لا نعلم له سماعاً من الأحنف بن قيس". انتهى كلامه. ولكن الجوزقاني صرح في الأباطيل «١/ ٧٩» بصحة الحديث. وكذلك ابن تيمية في الفتاوى «٣/ ١٩٢» حيث قال: "إن هذا الحديث قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب

=

وكذلك ما جاء عن ابن مسعود–رضي الله عنه–«ت: ٣٢ هـ»: «**بين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه**»·[(١)]

ثالثاً: العرش أكبر المخلوقات وأعظمها وأثقلها.

إن عرش الرحمن تبارك وتعالى يعتبر أكبر مخلوقات الله وأوسعها وأعظمها على الإطلاق، فقد خص الله عز وجل العرش بهذه الميزة العظيمة وشرفه بها مع غيرها من الميزات لكي يتناسب مع ذلك الشرف العظيم ألا وهو استواء البارئ عز وجل عليه.

وعظم العرش وسعة خلقه قد دل عليهما القرآن والسنة، فالله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: الآية: ١٢٩]، فالله سبحانه وصف العرش في هذه الآية وغيرها بكونه عظيماً في خلقه وسعته، قال ابن كثير–رحمه الله–«ت: ٧٧٤ هـ» في تفسير هذه الآية: "أي هو مالك كل شيء وخالقه لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات، وجميع الخلائق من السماوات والأرضين وما فيهما تحت العرش مقهورين بقدرة الله تعالى"[(٢)]

ومما يشهد لعظم العرش وسعة خلقه الأحاديث والآثار التي تتحدث عن كبر حجمه وسعته، فقد جاء في الحديث أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «**إن عرشه على سمواته وأرضه هكذا**» وأشار بأصابعه مثل القبة، فالنبي–صلى الله عليه وسلم–يشبه العرش أنه كالقبة

التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والإثبات مقدم على النفي، والبخاري إنما نفى معرفة سماعه من الأحنف، ولم ينف معرفة الناس بهذا، فإذا عرف غيره كإمام الأئمة ابن خزيمة ما ثبت به الإسناد، كانت معرفته وإثباته مقدماً على نفي غيره وعدم معرفته". انتهى كلامه. وكذلك مال تلميذه ابن القيم إلى تصحيحه. انظر تهذيب السنن «٧/ ٩٢–٩٣».

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية «ص: ٢٦، ٢٧». واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٣/ ٣٩٦». وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص:١٠٠» وقال: «رواه سنيد بن داود بإسناد صحيح».

(٢) تفسير ابن كثير «٢/ ٤٠٤».

على هذا العالم المكون من السماوات والأرض وما فيهما وكالسقف عليهما، وفي هذا بيان واضح على عظم العرش وكبر مساحته، وفي حديث أخر يبين لنا مدى عظم العرش وكبر مساحته، فليس العرش أكبر من السماوات والأرض فقط، بل هو من الكبر وسعة الحجم بحيث لا تعدل السماوات والأرض على سعة حجمهما بجانبه شيئاً يذكر، فعن أبي ذر-رضي الله عنه-«**ت: ٣١ أو ٣٢ هـ**» أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: «**يا أبا ذر ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة**»، وفي رواية «**ما السماوات السبع والأراضون السبع وما بينهن وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن الكرسي بما فيه بالنسبة إلى العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة**».

فالحديث كما أسلفنا دليل واضح على سعة العرش وعظم خلقه، وأما مقدار ذلك الحجم وتلك السعة فلا يعلمها إلا الله تعالى.

قال عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**»: "الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى"[(١)]

والعرش يمتاز مع كبر حجمه وسعته، بكونه أثقل المخلوقات وزنته أثقل الأوزان، فقد جاء في الحديث أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال لجويرية-رضي الله عنها-«**ت: ٥٦ هـ**»: «**لقد**

(١) أخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي «ص: ٧١، ٧٣، ٧٤».
وعبد الله بن أحمد في السنة «ص: ٧٠، ١٤٢»
وابن جرير في التفسير «٣/ ١٠».
والطبراني في المعجم الكبير «١٢/ ٣٩، برقم: ١٢٤٠٤».
والدارقطني في الصفات «ص: ٣٠». والحاكم في المستدرك «٢/ ٢٨٣». والخطيب البغدادي في تاريخه «٩/ ٢٥١-٢٥٢» من أوجه. والهروي في الأربعين «ص: ١٢٥». كلهم من طريق سفيان الثوري عن عمار الذهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً. قال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي. وذكره الذهبي في العلو «ص٦١» وقال: «رواته ثقات». وقال الألباني: "هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، وتابعه يوسف بن أبي إسحاق عن عمار الذهني" انظر مختصر العلو «ص: ١٠٢».
قال الهيثمي في مجمع الزوائد «٦/ ٣٢٣»: «رجاله رجال الصحيح».

قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته».

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان"(١)

رابعاً: العرش ليس داخلا فيما يقبض ويطوى.

لقد خص الله سبحانه وتعالى العرش بخصائص منها ما انفرد بها العرش عن غيره من المخلوقات، ومنها ما اشترك بها العرش مع بعض المخلوقات الأخرى، ولقد سبق الحديث عن بعض الخصائص التي انفرد بها العرش، وأود هاهنا أن أبين بعض ما اشترك به العرش مع غيره من المخلوقات من الخصائص.

فقد سبق أن علمنا أن العرش مخلوق قبل السماوات والأرض فهو بهذا ليس داخلا فيما خلق في الأيام الستة، ومعلوم أن الله سبحانه قد أخبر في كتابه وعلى لسان نبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-أنه يقبض يوم القيامة السماوات والأرض ويطويها ويبدلها، قال تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: الآية: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: الآية: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: الآية: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق ١-٢]، وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: الآية: ١]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت: ٥٧ هـ**»، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض**».(٢)

(١) الرسالة العرشية «ص: ٨».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، انظر فتح الباري «١٣/ ٣٦٧».
ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، «٨/ ١٢٦».

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-«**ت: ٧٣ هـ**»، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**يطوي الله السماوات والأرض ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون**». (١)

فالآيات والأحاديث السابقة تدل على أن السماوات والأرض وما فيهما تقبض وتطوى وتبدل.

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى كالجنة والنار والعرش. (٢)

فعلى هذا يكون العرش ليس داخلا فيما يقبض ويطوى ويبدل، والأدلة على بقاء العرش كثيرة في الكتاب والسنة، فالله سبحانه وتعالى يقول مخبرا عن بقاء عرشه يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: الآيات: ١٤-١٧]، وكذلك ما جاء في سورة الزمر من إخباره تعالى بقبضه للأرض وطيه للسموات بيمينه وذكر نفخ الصور وصعق من في السماوات والأرض إلا ما شاء الله، ثم ذكر النفخة الثانية التي يقومون بها، وأن الأرض تشرق بنور ربها وأن الكتاب يوضع، ويجاء بالنبيين والشهداء، وأنه توفى كل نفس ما عملت، وذكر سوق الكفار إلى النار وسوق المؤمنين إلى الجنة إلى أن قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: الآيات: ٧٤-٧٥].

فالآيات فيها إخبار عن الموقف يوم القيامة وفيها شاهد على أن العرش باق حتى بعد انتهاء الحساب.

---

(١) صحيح مسلم كتاب صفة القيامة «٨/ ١٢٦».

(٢) الفتاوى «١٨/ ٣٠٧».

يقول ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وأما العرش فلم يكن داخلا فيما خلقه في الأيام الستة ولا يشقه ويفطره، بل الأحاديث المشهورة دلت على ما دل عليه القرآن من بقاء العرش، فقد ثبت في الصحيح أن جنة عدن سقفها عرش الرحمن قال-صلى الله عليه وسلم-: «**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن**»."[١]

(١) نقض التأسيس «١/ ١٥٥».

وقوله: ﴿يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: الآية: ٥٥] وقال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: الآية: ١٥٨] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: الآية: ١٠]، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ «**٣٦**» أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: الآيتان: ٣٦-٣٧] ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ «**١٦**» أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: الآيتان: ١٦-١٧]

الشرح

سيأتي الكلام على علو الله في الفقرة «**٣١**»

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: الآية: ٤] ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: الآية: ٧] وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: الآية: ٤٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: الآية: ١٢٨] ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: الآية: ٤٦] ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٤٩] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: الآية: ٨٧] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: الآية: ١٢٢] ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: الآية: ١١٦]. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: الآية: ١١٥] ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: الآية: ١٦٤]. ﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٣]. ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: الآية: ٥٢]. ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: الآية: ١٠]. ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: الآية: ٢٢]. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ

الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: الآية: ٦٢].: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: الآية: ٦٥]. ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: الآية: ٦].: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٧٥]. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ [الفتح: الآية: ١٥]. ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: الآية: ٢٧] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [النمل: الآية: ٧٦] ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: الآية: ١٥٥] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: الآية: ٢١] ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ • قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ • وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠١ - ١٠٣] وقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ • إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]. ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: الآية: ٢٤] ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية: ٢٦] ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: الآية: ٣٥] وهذا البابُ في كتابِ الله كثيرٌ، ومَن تَدَبَّرَ القُرآنَ طالبًا للهُدَى منه تَبين له طريقُ الحقِّ".

الشرح

بعد أن ذكر المصنف رحمه الله أنه لا عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عن سبيل المرسلين، ومن ذلك: أنَّهم يَصفون الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه في كتابه؛ ثم دَلَّل على ذلك بأمثلةٍ كثيرة من القرآن- بَيَّنَ بعد ذلك أنه لا عدول لأهل السنة والجماعة كذلك عن وصف الله تعالى بما وصفه به نبيه ﷺ في سُنَّته؛ إذ السُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ وتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ.

ثم أورد جملةً من الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ، وفيها بعض صفاتِ ربّنا جل وعلا؛ لذا وَجَبَ الإيمَانُ بِهَا، على ما هو معتقد السلف في ذلك.

وذكر المصنف- رحمه الله- هنا نصوصًا كثيرًا دالَّة على إثبات هذه الأسماء والصفات لله عز وجل، وسنتناولها بشكل عام؛ مُبيِّنين قواعد إثبات الأسماء والصفات، واختلاف العلماء فيما

يَثبت به الاسم، ومناهجهم في جمع الأسماء الحسنى، والفرق بين ما هو اسم وما هو صفة وما هو خبر.

فهذه النُّصوص جاءت في ثلاثة أبواب: باب الأسماء، وباب الصِّفات، وباب الإخبار.

مناهج العلماء في جمع الأسماء الحسنى

أمَّا الأسماء: فقد سار العلماء في جمعهم للأسماء الحسنى على مناهج مختلفة إلى حدٍّ ما «**عددًا وطريقة**»؛ فمن حيث الكمِّ هناك مَن اقتصر على التِّسعة والتِّسعين، وهناك مَن قَصر عن ذلك، وهناك مَن زاد.

ومن حيث الطَّريقة التي ساروا عليها في جمع تلك الأسماء هناك أربعة مناهج وقفتُ عليها من خلال استقراء جُهودهم في هذا المجال، أُوردها لك على النحو التالي:

المنهج الأول:

الاعتماد على العَدِّ الوارد في روايات حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه، وبالأخص طريق الوليد بن مُسلم عند الترمذي وغيره، وذلك «**لاعتقادهم بصحة حديثِ الأسماء وتعدادها على مذهب المُتساهلين في التصحيح وعدم النَّظر في العِلل الواردة فيه**»[(١)].

المنهج الثاني:

الاقتصار على ما ورد من الأسماء بصورةِ الاسم فقط، أي: ما ورد إطلاقُه.

وهذا مَنهجُ ابنِ حزم في عدِّ الأسماء[(٢)].

قال عنه ابن حجر: «**فإنَّه– أي: ابن حزم – اقتصر على ما ورد فيه بصورة الاسم لا ما يُؤخذ من الاشتقاق؛ كـ«الباقي»** من قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾، ولا ما ورد مضافًا كـ«**البديع**» من قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾»[(٣)].

---

(١) «العواصم والقواصم» «٧/ ٢٠٧».

(٢) «المحلى» «٨/ ٣١».

(٣) «فتح الباري» «١١/ ٢١٧».

المنهج الثالث:

منهج المتوسطين الذين اشتقوا من كلِّ صفة وفِعل اسمًا، ولم يُفَرِّقوا بين البابين- أي: باب الأسماء وباب الصِّفات- بل إنهم يُدخلون ما يتعلق بباب الإخبار أحيانًا.

ومِن هؤلاء ابنُ العربي المالكي، وابنُ المرتضى اليَماني، والشَّرَباصي.

المنهج الرابع:

منهج المتوسطين الذين تَوَسَّطوا بين أصحاب المنهج الثاني والمنهج الثالث، فلا هُم الَّذين حَجَّروا تَحَجُّر ابنِ حزم، ولا هم الذين تَوَسَّعُوا تَوَسُّعَ ابن العربى وأمثاله.

وهذا المنهج هو الأشهر والأكثر تطبيقًا عند أهل العلم؛ فهم حافظوا على خاصية هذا الباب، وبالتالي جعلوا شروطًا لاشتقاق الاسم من الصفة، وهذه الشروط دَلَّت عليها النصوص.

وليس الغرض هنا تفصيل تلك المناهج وبيان ما لها وما عليها، ولكن المقصود هنا هو الإشارة إلى أن هذا الاختلاف الحاصل بين المناهج الأربعة السابقة الذِّكر يُؤكد ضرورة تحديد ضابط للأسماء الحسنى يُعِين على معرفة الرَّاجح منها.

وتبعًا لهذه المناهج فقد تباينت آراء العلماء في جمعهم لأسماء الله الحسنى؛ قال ابنُ حَجَر رحمه الله: «**إذا تقرَّرَ رُجحان أنَّ سردَ الأسماء ليس مرفوعًا**[١]**، فقد اعتنى جماعة بتتبعها من القرآن مِن غير تقييد بعدد**»[٢].

نماذج لاجتهادات أهل العلم في جمع الأسماء الحسنى:

إذا تبيَّن أن الروايات في عدِّ الأسماء ليست من كلام النبي ﷺ، فإن الحقيقة التي يجب أن تُقرَّر في هذا المقام: أنَّ جميع ما ورد من جمع للأسماء الحسنى إنَّما هو من اجتهاد أهل العلم من خلال استقرائهم للنُّصوص، والملاحظ على تلك الاجتهادات ما يلي:

١- اقتصار الأغلب في جمعهم على عدِّ تسعةٍ وتسعين اسمًا من أسماء الله الحسنى، ولعلَّ

---

(١) أي: لم يثبت بدليل قويٍّ أنه من كلام النبي ﷺ.

(٢) المصدر السابق «١١/ ٢١٧».

المقصود من هذا التَّقَيُّد هو تحصيل الفضل الوارد في الحديث، إذ الفضل قد ورد فيمن أَحْصَى هذا القَدْر من أسماء الله.

٢- الاقتصار كذلك على تَتبُّع تلك الأسماء في سور القرآن الكريم فقط، دون الرُّجوع إلى السنة الصَّحيحة، ولعل السَّبب يرجع في ذلك إلى صعوبة تتبُّع ما ورد في السُّنَّة؛ إذ أنَّه يحتاج إلى جهدٍ في الاستقصاء، مع ملاحظة أن غالب مَن يعتني بعدِّ الأسماء يَقتصر على عدِّ تسعةٍ وتسعين- كما أسلفنا- لتحصيل فضل ما ورد في الحديث، وبما أنهم يستخرجون ذلك العدد من القرآن، فإنهم يَكتفون بذلك.

٣- الاختلاف في العدِّ بين جمعٍ وآخر، ويَندر أن تجد اتِّفاقًا كليًّا بين جمعين؛ لأن الاستقراء قد يختلف من شخص لآخر، وكذلك الضابط في تعيين ما يَنطبق عليه شرطُ الاسم قد يختلف؛ فهناك مَن يتوسَّع، وهناك مَن يتقيَّد بشروط مُعيَّنة بحسب ما وصل إليه اجتهاد كلِّ واحد منهم في المنهج الذي ارتضاه، كما أسلفنا.

وأمَّا الصفاتُ عمومًا فثلاثة أنواع: صفات كمال. وصفات نَقص. وصفات لا تَقتضي كمالًا ولا نقصًا. وإن كانت القسمة التقديرية تقتضي قسمًا رابعًا، وهو ما يكون كمالًا ونقصًا باعتبارين.

والله- سبحانه وتعالى- صفاتُه كمال مَحْض؛ فهو موصوف من الصفات بأكملها، وله من الكمال أكمله، ومُنَزَّهٌ عن الأقسام الثلاثة الأخرى[(١)].

أقسام الصفات باعتبار ورودها في النصوص

وتنقسمُ الصِّفات باعتبار ورودها في النُّصوص إلى قسمين:

صفات ثبوتية. ٢- صفات سلبية «**أي: منفية**».

القسم الأول: الصفات الثبوتية:

وتعريفها: هي ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

(١) انظر: «بدائع الفوائد» «١/ ١٧٧»، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

والصفات الثبوتية كثيرة جدًّا؛ منها: العلم- والحياة- والعزة- والقدرة- والحكمة- والكبرياء- والقوة- والاستواء- والنزول- والمجيء، وغيرها.

وتنقسم الصفات من حيث أدلة ثبوتها إلى قسمين:

القسم الأول: الصفات الشرعية العقلية:

وضابطها: هي التي يشترك في إثباتها: الدليل الشرعي السَّمعي، والدليل العقلي، والفطرة السليمة.

وهي أكثر صفات الرب تعالى، بل أغلب الصفات الثُّبوتية يشترك فيها الدَّليلان السَّمعي والعقلي(١)، وإن كان الأصل في ثبوتها الدليل الشرعي.

ومنها: «**العلم، السَّمع، البصر، العلو، القدرة، الإرادة، الخلق، الحياة**».

وسميت «**شرعية عقلية**».

فشرعية: لأنَّ الشرع دلَّ عليها أو أرشد إليها.

وعقلية: لأنها تُعلم صحتها بالعقل، ولا يقال: إنها لم تُعلم إلا بمجرد الخبر.

فإذا أخبر الله بالشيء ودل عليه بالدلالات العقلية- صار مدلولًا عليه بخبره، ومدلولًا عليه بدليل العقل الذي يُعلم به؛ فيصير ثابتًا بالسمع والعقل، وكلاهما داخل في دلالة القرآن التي تُسَمَّى الدلالة الشرعية(٢).

القسم الثاني: الصفات الخبرية وتسمى النقلية والسمعية:

وضابطها: هي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السَّمع والخبر عن الله أو عن رسوله الأمين عليه الصلاة والتَّسليم(٣).

ومنها: «**الوجه- اليد- العين- الرِّضا- الفرح- الغضب- القَدَم- الاستواء- النزول-**

---

(١) «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه» «ص٢٠٧».

(٢) «مجموع الفتاوى» «٦/٧١، ٧٢».

(٣) «الصفات الإلهية» «ص ٢٠٧».

المجيء- الضحك».

وهي تنقسم إلى قسمين:

١- صفات ذاتيَّة؛ مثل: «**الوجه- اليد- العين- القَدَم**».

٢- صفات فعلية؛ مثل: «**النزول- الاستواء- الغضب- الفرح- الضحك**».

القسم الثاني: الصفات السلبية:

وتعريفها: هي ما نفاه الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

والصفات المنفية كلها صفات نقص في حقه.

ومن أمثلتها: النَّوم- الموت- الجهل- النِّسيان- العجز- التعب- الظلم.

فيجب نفيُها عن الله عز وجل مع إثبات أنَّ الله موصوف بكمال ضدها.

فأهل السنة يجعلون الأصل في إثبات الأسماء والصفات أو نفيها عن الله تعالى هو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولا يتجاوزونها، فما ورد إثباته من الأسماء والصفات في القرآن والسنة الصحيحة فيجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما فيجب نفيه.

«**وأما ما لم يَرِد إثباتُه ونفيُه فلا يصح استعماله في باب الأسماء وباب الصفات إطلاقًا، وأما في باب الإخبار فمن السلف مَن يمنع ذلك، ومنهم من يجيزه بشرط أن يستفصل عن مراد المتكلم فيه، فإن أراد به حقًّا يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أراد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب ردُّه**»[(١)].

فَمن شرط الأسماء الحسنى: صحة الإطلاق، بمعنى: أن يقتضي الاسم المدح والثناء بنفسه بدون متعلق أو قيد.

وهذا الشرط هو الذي يُميز باب الأسماء عن باب الصفات، بخلاف شرط ورود النص بهما؛

(١) «رسالة في العقل والروح» «٢/ ٤٦، ٤٧» لابن تيمية، «ضمن مجموعة الرسائل المنيرية».

فإنه شرط مشترك بين الاثنين؛ فأسماء الله وصفاته لابد من ورود النَّصِّ بهما[١].

وهذا الشرط من دقيق فقه الأسماء الحسنى، فنحن إذ وقفنا وقفة تأمل عند نصوص الكتاب والسنة الواردة في هذا الشأن نجد الحقائق التالية:

أولًا: أنَّ الله أطلق على نفسه أسماء كـ«**السميع**» و«**البصير**»، وأوصافًا كـ«**السمع**» و«**البصر**»، وهكذا أخبر عن نفسه بأفعالها؛ فقال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾، وقال تعالى: ﴿واللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾؛ فاستعملها في تصاريفها المتنوعة، مما يدل على أنَّ مثل ذلك يجوز إطلاقه عليه في أيِّ صورةٍ وَرَدَ.

ثانيًا: وأطلق على نفسه أفعالًا كـ«**الصُّنع**» و«**الصِّبغة**» و«**الفعل**» ونحوها؛ قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقن كُلَّ شَيْءٍ﴾، وقال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾، لكنه لم يَتَّسم ولم يَصف نفسه بها، ولكن أخبر بها عن نفسه، مما يدل على أنَّها تُخالف الأول في الحكم، فوجب الوقوفُ فيها على ما ورد.

ثالثًا: ووصف نفسَه بأفعال في سياقها المدح كـ«**يريد**» و«**يشاء**»؛ فقال جل شأنه: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، إلَّا أنه لم يشتق له منها أسماء؛ فدل على أنَّ هذا النوع مخالف للقِسمين الأولين، فوجب ردُّه إلى الكتاب والسنة وذلك بالوقوف حيث أوقفنا الله ورسوله ﷺ.

رابعًا: ووصف نفسَه بأفعال أخرى على سبيل المقابلة بالعقاب والجزاء؛ فقال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ﴾ ولم يَشتق منها أسماء له تعالى؛ فدلَّ ذلك على أنَّ مثل هذه الأفعال لها حكم خاص فوجب الوقوف على ما ورد.

فهذه الحقائق السابقة قَرَّرت عند العلماء النتائج التالية:

---

(١) باب الإخبار لا يُشترط فيه التوقيف، فما يدخل في الإخبار عنه- تعالى- أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته؛ كـ«الشيء والموجود والقائم بنفسه»، فإنه يُخبر به عنه، ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فالإخبار عنه قد يكون باسم حَسَن، أو باسم ليس بسيئ، أي: باسم لا يُنافي الحسن، ولا يجب أن يكون حسنًا، ولا يجوز أن يُخبر عن الله باسم سيئ. «بدائع الفوائد» «١/ ١٦١»، «مجموع الفتاوى» «٦/ ١٤٢، ١٤٣» بتصرف.

١- أنَّ النصوص جاءت بثلاثة أبواب هي «**باب الأسماء**» و«**باب الصفات**» و«**باب الإخبار**».

٢- أن باب الأسماء هو أخص تلك الأبواب، فما صحَّ اسمًا صَحَّ صفة وصحَّ خبرًا، وليس العكس.

٣- باب الصِّفات أوسعُ مِن باب الأسماء، فما صَحَّ صفة فليس شرطًا أن يصح اسمًا، فقد يصح وقد لا يَصح، مع أن الأسماء جميعها مُشتقة من صفاته.

٤- أن ما يدخل في باب الإخبار عنه- تعالى- أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته؛ فالله يُخْبَر عنه بالاسم وبالصفة، وبما ليس باسم ولا صفة كألفاظ «**الشيء**» و«**الموجود**» و«**القائم بنفسه**» و«**المعلوم**»، فإنَّه يُخبر بهذه الألفاظ عنه، ولا تَدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العُليا.

والذي يَعنينا هنا من بين تلك النتائج هو تحديد سبب خصوصية باب الأسماء، وما المانع من دخول بعض ألفاظ الصفات وغيرها في هذا الباب، وهذا يتضح لنا عند تحليل ما اشتقت منه أسماء الله.

بيان معرفة صحة الاسم

فَمِن المعلوم: أنَّ أسماء الله الحسنى كلها مُشتقة؛ فكلُّ اسم من أسمائه مشتق إمَّا مِن صفة من صفاته، أو فِعل قائم به[(١)]، ولمعرفة صحة الاسم ينظر إلى الصفة أو الفعل الذي اشتُقَّ منه، ولبيان ذلك نقول:

أولًا: باب الصفات أوسع مِن باب الأسماء:

فإن كانت الصفة منقسمة إلى كمال ونقص لم تَدخل بمطلقها في أسمائه.

مثال ذلك: «**المتكلم- والمُريد- والفاعل- والصانع**»، فهذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه، ولهذا غلط مَن سَمَّاه بهذه الأسماء؟

---

(١) «شفاء العليل» «ص ٢٧١».

لأنَّ الكلام والإرادة والفعل والصنع مُنقسمة إلى محمودٍ ومَذموم[(١)].

ومِن أجل ذلك كان باب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ فالله يُوصف بصفات كـ«**الكلام، والإرادة، والاستواء، والنزول، والضحك**»، ولا يُشتق له منها أسماء، فلا يُسَمَّى بالمتكلم، والمريد، والمستوي، والنازل، والضاحك، «**فهذه الأسماء التي فيها عُموم وإطلاق لما يُحمد ويُذم- لا تُوجد في أسماء الله الحسنى؛ لأنَّها لا تدل في حال إطلاقها على ما يُحمد الربُّ به ويُمدح**»[(٢)].

وفي المقابل هناك صفات ورد إطلاق الأسماء منها؛ كـ«**العُلُو، والعلم، والرحمة والقدرة**»؛ لأنها في نفسها صفات مَدح، والأسماء الدالة عليها أسماء مدح»[(٣)]؛ فمن أسمائه: «**العَلِي، والعليم، والرحيم، والقدير**».

قال ابن القيم رحمه الله: «**إنَّ الصفة إذا كانت مُنقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه، بل يُطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمُريد والفاعل والصانع، فإن هذه الألفاظ لا تَدخل في أسمائه، ولهذا غلط مَن سَمَّاه بالصانع عند الإطلاق، بل هو الفَعَّال لما يريد؛ فإن الإرادة والفِعل والصُّنع مُنقسمة، ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلًا وخبرًا**»[(٤)].

وقال رحمه الله: «**ومِن هنا يَتبين لك خطأ مَن أطلق عليه اسم «الصانع والفاعل والمُرَبِّي»** ونحوها؛ لأن اللفظ الذي أطلقه- سبحانه- على نفسه، وأخبر به عنها أتم مِن هذا وأكمل وأجل شأنًا، فإنه يُوصف من كل صفة كمال بأكملها وأجلها وأعلاها.

فيُوصف من الإرادة بأكملها وهو الحكمة وحصول كل ما يُريد بإرادته... وكذلك العليم

---

(١) «بدائع الفوائد» «١/ ١٦١»، «شرح الأصفهانية» «ص ٥».

(٢) «نقض تأسيس الجهمية» «٢/ ١١».

(٣) «شرح الأصفهانية» «ص ٥».

(٤) «بدائع الفوائد» «١/ ١٦١».

الخبير أكمل مِن الفقيه العارف، والكريم الجواد أكمل من السخي، والرَّحيم أكمل من الشفيق، والخالق البارئ المصور أكمل من الفاعل الصانع.

ولهذا لم تجئ هذه في أسمائه الحسنى؛ فعليك بمراعاة ما أطلقه سبحانه على نفسه من الأسماء والصفات والوقوف معها، وعدم إطلاق ما لم يُطلقه على نفسه، ما لم يكن مطابقًا لمعنى أسمائه وصفاته، وحينئذ فيُطلق المعنى لمطابقته لها دون اللفظ، ولا سِيَّما إذا كان مجملًا أو منقسمًا أو مما يُمدح به غيره، فإنه لا يجوز إطلاقه إلا مقيدًا، وهذا كلفظ الفاعل والصانع، فإنه لا يُطلق عليه في أسمائه الحسنى إلا إطلاقًا مقيدًا كما أطلقه على نفسه كقوله: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾، ﴿وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾، وقوله: ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، فإن اسم «**الفاعل**» و«**الصانع**» مُنقسم المعنى إلى ما يُمدح عليه ويذم، فلهذا المعنى لم يجئ في الأسماء الحسنى «**المريد**»، كما جاء فيها «**السميع**» «**البصير**»، ولا «**المتكلم**، **الآمر**، **الناهي**»؛ لانقسام مُسَمَّى هذه الأسماء، بل وصف نفسه بكمالاتها وأشرف أنواعها.

ومِن هنا يعلم غَلط بعض المتأخرين وزَلَقه الفاحش في اشتقاقه له سبحانه مِن كلِّ فعل أخبر به عن نفسه اسمًا مطلقًا، وأدخله في أسمائه الحسنى؛ فاشتق منها اسم «**الماكر**، **والمخادع**، **والفاتن**، **والمضل**»؛ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا»[(١)].

وقال رحمه الله: «**وما كان مُسَمَّاه مُنقسمًا إلى كامل وناقص وخير وشَرٍّ- لم يدخل اسمه في الأسماء الحسنى؛ كـ«الشيء والمعلوم»**، ولذلك لم يُسَمَّ بالمريد ولا بالمتكلم، وإن كان له الإرادة والكلام؛ لانقسام مسمى «**المريد**» و«**المتكلم**»، وهذا مِن دقيق فقه الأسماء الحسنى؛ فتأمله، وبالله التوفيق»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «**وأمَّا تَسميته- سبحانه- بأنَّه مُريد وأنه متكلم، فإن هذين الاسمين لم يَرِدَا في القرآن ولا في الأسماء الحسنى المعروفة، ومعناهما حقٌّ، ولكن**

---

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد» «ص ٥٧٢، ٥٧٣».

(٢) «مدارج السالكين» «٣/ ٤١٥، ٤١٦».

الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يُدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسُّنَّة، وهي التي تَقتضي المدح والثناء بنفسها، والعلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك هي في نفسها صفات مدح، والأسماء الدالة عليها أسماء مدح، وأمَّا الكلام والإرادة فلما كان جِنسه ينقسم إلى محبوب؛ كالصِّدق والعدل، وإلى مَذموم كالظلم والكذب، والله تعالى لا يُوصف إلا بالمحمود دون المذموم- جاء ما يُوضح به من الكلام والإرادة في أسماء تخصُّ المحمود؛ كاسمه «الحكيم والرحيم والصادق والمؤمن والشهيد والرءوف والحليم والفتَّاح» ونحو ذلك.

فلهذا لم يَجِئ في أسمائه الحسنى المأثورة: «**المتكلم المُريد**»»[١].

وقال رحمه الله: «**إنَّ الله- سبحانه- له الأسماء الحسنى، كما سَمَّى نفسه بذلك، وأنزل كُتَبه، وعَلَّمه مَن شاء مِن خلقه كاسمِه «الحق» و«العليم»، و«الرَّحيم» و«الحكيم» و«الأَوَّل» و«الآخِر» و«العَلِي» و«العظيم» و«الكبير»**، ونحو ذلك.

وهذه الأسماء كلها أسماء مَدح وحَمد تَدل على ما يُحمد به، ولا يكون معناها مذمومًا، والله له الأسماء الحسنى، وليس له مَثَل السَّوْء قَطُّ؛ فالأسماء التي فيها عموم وإطلاق لما يُحمد ويُذم لا توجد في أسماء الله الحسنى؛ لأنها لا تدلُّ على ما يُحمد الرب ويُمدح؛ فالإرادة إذا أُخذت مطلقًا، وقيل: «**المريد**»؛ فالمريد قد يُريد خيرًا، يحمد عليه، وقد يُريد شرًّا يُذم عليه، وإذا أُخذ الكلام وقيل: «**متكلم**»؛ فالمتكلم قد يتكلم بصدقٍ وعدل، وقد يتكلم بكذب وظلم، ولذلك لم تُذكر مُطلقة»[٢].

ثانيا: باب الأفعال أوسعُ من باب الأسماء:

وأمَّا إذا كان الاسم مشتقًّا مِن أفعاله القائمة به، فإن كان الفعل ورد مُقَيَّدًا فإنَّه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيدًا أن يُشتق له منه اسم مُطلق، كما غَلط فيه بعضُ المتأخرين؛ فجعل من أسمائه الحسنى «**المُضَل، الفاتن، الماكر**»؛ تعالى الله عن قوله، فإنَّ هذه الأسماء لم يُطلق

---

(١) «شرح الأصفهانية» «ص ٥» باختصار.

(٢) «نقض تأسيس الجهمية» «٢/ ١٠، ١١» بتصرف.

عليه سبحانه منها إلا أفعالًا مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة، والله أعلم»[١].

قال ابن القيم رحمه الله: «**الفعل أوسع من الاسم، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالًا لم يَتَسَمَّ منها أسماء الفاعل؛ كـ«أراد، وشاء، وأحدث»**، ولم يُسَمَّ بـ«**المريد والشائي والمحدث**»، كما لم يسم نفسه بـ«**الصَّانع والفاعل والمُتقن**»، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه؛ فبابُ الأفعال أوسع مِن باب الأسماء، وقد أخطأ - أقبح خطإ- مَن اشتق له مِن كل فعل اسمًا، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف فسَمَّاه «**الماكر، والمخادع، والفاتن، والكائد**»، ونحو ذلك»[٢].

وقال الشيخ حافظ حَكَمي: «**اعلم أنه قد ورد في القرآن أفعال أطلقها الله عز وجل على نفسه على سَبيل الجزاء والعدل والمُقابلة، وهي فيما سِيقت فيه مدح وكمال، لكن لا يجوز أن يُشتق له تعالى منها أسماء، ولا تُطلق عليه في غير ما سِيقت فيه من الآيات؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ﴾، وقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، ونحو ذلك، فلا يجوز أن يُطلق على الله تعالى «مخادع، ماكر، ناس، مُستهزئ»**، ونحو ذلك مما تَعالى الله عنه، ولا يُقال: الله يَستهزئ ويُخادع ويَمكر ويَنسى على سبيل الإطلاق؛ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا»[٣].

وقال ابنُ القَيِّم رحمه الله: «**إنَّ الله تعالى لم يَصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقًا، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى، ومَن ظَنَّ مِن الجُهَّال المُصَنِّفين في شرح الأسماء الحسنى أنَّ مِن أسمائه تعالى «الماكر، المخادع، المستهزئ، الكائد»**- فقد فَاهَ بأمرٍ عَظيم

---

(١) «بدائع الفوائد» «١/ ١٦١».

(٢) «مدارج السالكين» «٣/ ٤١٥».

(٣) «معارج القبول» «١/ ٧٦».

تَقشعر منه الجلود، وتَكاد الأسماع تصم عند سماعه، وغرَّ هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال؛ فاشتق له منها أسماء، وأسماؤه تعالى كلها حسنى؛ فأدخلها في الأسماء الحسنى وقرنها بـ«**الرَّحيم، الودود، الحكيم، الكريم**»، وهذا جهل عظيم؛ فإنَّ هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقًا، بل تُمدح في موضع وتذم في موضع، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله تعالى مطلقًا، فلا يقال: إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد، فكذلك بطريق الأَوْلَى لا يُشتق له منها أسماء ويُكفى بها، بل إذا كان لم يأت في أسمائه الحسنى «**المريد والمتكلم ولا الفاعل ولا الصانع**»؛ لأن مُسَمَّياتها تَنقسم إلى ممدوح ومذموم، وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها كـ«**الحليم والحكيم والعزيز والفَعَّال لما يُريد**»، فكيف يكون منها «**الماكر والمخادع والمستهزئ**».

ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الحسنى: الداعي، والآتي، والجائي، والذاهب، والقادم، والرَّائد، والنَّاسي، والقاسم، والساخط، والغضبان، واللاعن، إلى أضعاف ذلك من التي أَطلق تعالى على نفسه أفعالها في القرآن، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل.

والمقصود: أن الله سبحانه لم يَصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لِمَن فعل ذلك بغير حقٍّ، وقد علم أنَّ المجازاة على ذلك حَسَنة من المخلوق، فكيف مِن الخالق سبحانه وتعالى»[1].

قلتُ: ومِن هنا يَتبين لك خطأ ما عَدَّه بعضُهم- ومنهم ابنُ العربي المالكي في كتابه «**أحكام القرآن**»؛ حيث سَمَّاه بـ«**الفاعل والزَّارع**»، فإن الفاعل والزارع إذا أُطلقا بدون متعلق ولا سياق يدل على وصف الكمال فيهما فلا يُفيدان مدحًا، أمَّا في سياقها من الآيات التي ذُكِرت فيها، فهي صفات كمال ومدح وتوحد، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ الآيات، بخلاف ما إذا عدت مجردة عن متعلقاتها وما سيقت فيه وله، وأكبر مصيبة أن عَدَّ في الأسماء

(١) «مختصر الصواعق» «٢/ ٣٤».

الحسنى: رابع ثلاثة، وسادس خمسة، مصرحًا قبل ذلك بقوله: «**وفي سورة المجادلة اسمان**»؛ فذكرهما. وهذا خطأ فاحش، فإن الآية لا تدل على ذلك ولا تقتضيه بوجهٍ؛ لا منطوقًا ولا مفهومًا، فإن الله عز وجل قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الآية. وأين في هذا السياق: رابع ثلاثة، سادس خمسة؟ وكان حقه اللائق بمراده أن يقول: رابع كل ثلاثة في نجواهم، وسادس كل خمسة كذلك، فإنَّه - تعالى - يعلم أفعالهم ويسمع أقوالهم، كما هو مفهوم من صدر الآية، ولكن لا يليق بهذا المعنى إلا سياق الآية، والله تعالى أعلم[(١)].

هذا، وقد زلَّت في هذا الباب فِرَقٌ شتى، وقد أرجع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله اختلافهم إلى قولين؛ فقال: «**والناس متنازعون: هل يُسَمَّى الله بما صح معناه في اللغة والعقل والشرع وإن لم يَرِد بإطلاقه نص ولا إجماع، أم لا يُطلق إلا ما أطلق نصًّا أو إجماعًا، على قولين مشهورين:**

١- فعامة النُّظَّار - أي: أهل الكلام - يُطلقون ما لا نص في إطلاقه ولا إجماع؛ كلفظ «القَديم» و«الذات» ونحو ذلك.

٢- ومِن الناس مَن يَفْصِل بين الأسماء التي يُدعى بها، وبَين ما يُخبر به عنه للحاجة؛ فهو - سبحانه - إنَّما يُدعى بالأسماء الحسنى، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

وأمَّا إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها، ونحو ذلك. فقيل: بل هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها. وقيل: ليس بشيء. فقيل: بل هو شيء. فهذا سائغ، وإن كان لا يُدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدلُّ على المدح»[(٢)].

---

(١) «معارج القبول» «١/ ٧٦، ٧٨».

(٢) «رسالة في العقل والرُّوح» لشيخ الإسلام ابن تيمية «٢/ ٤٦، ٤٧»، «مطبوعة ضمن الرسائل المنيرية».

فالذين خالفوا الحقَّ في هذا الباب هم بعض أهل الكلام، كما أشار لذلك شيخ الإسلام في النَّقل السابق، ومِن هؤلاء بعض المعتزلة وبعض الأشاعرة، وكذلك الكرَّامِيَّة.

أمَّا المعتزلة، فقد ذكر البغداديُّ أنَّ المعتزلة البَصرية أجازوا إطلاق الأسماء عليه بالقياس»[١].

وقال أبو الحسن الأشعري: «**واختلفت المعتزلة، هل يجوز أن يسمى البارئ عالمًا مَن استدل على أنه عالم بظهور أفعاله عليه، وإن لم يأته السمع مِن قِبَل الله سبحانه؛ بأن يسميه بهذا الاسم أم لا، على مَقالتين:**

فزعمت الفرقة الأولى منهم: أنه جائز أن يسمي الله سبحانه عالمًا قادرًا حيًّا سميعًا بصيرًا مَن استدل على معنى ذلك أنه يليق بالله وإن لم يأت به رسول.

وزعمت الفرقة الثانية: أنه لا يجوز أن يسمي الله سبحانه بهذه الأسماء من دَلَّه العقلُ على معناها إلا أن يأتيه بذلك رسولٌ مِن قِبَل الله سبحانه يأمره بتسميته بهذه الأسماء»[٢].

٢- وأما الأشاعرة، فإنَّ جمهورهم مع أهل السنة في كون أسماء الله توقيفية وكذلك الماتريدية، ولكن القاضي الباقلاني- من الأشاعرة- لا يَشترط التوقيف، واشترط أمرين هما:

١- أن يدل على مَعنى ثابت لله تعالى.

٢- ألَّا يكون إطلاقه موهمًا لما لا يليق بالله تعالى[٣].

وتَوَقَّف الجُويني في هذه المسألة؛ فهو يَرى أنَّ الجواز وعدمه حكمان شرعيَّان لا سبيل إلى إطلاق أحدهما إلا بإذن الشرع، ولم يأت، ولذا قال بالتَّوَقُّف[٤].

قال السَّفَّاريني: «**الجمهور منعوا إطلاق ما لم يَأذن به الشرع مطلقًا، وجَوَّزه المعتزلة مطلقًا، ومال إليه بعضُ الأشاعرة؛ كالقاضي أبي بكر الباقلاني، وتوقَّف إمامُ الحرمين**

(١) «الفَرق بين الفِرَق» «ص ٣٣٧».

(٢) «مقالات الإسلاميين» «ص ١٩٧».

(٣) «شرح المقاصد» للتفتازاني «٤/ ٣٤٤، ٣٤٥».

(٤) «الإرشاد» «ص ١٣٦، ١٣٧».

الجويني..»[١].

غير أنَّ مُعتقد أهل السنة في الأسماء والصفات قد قام على أساس وجوب الإيمان بما وردت به نصوصُ القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتًا ونفيًا.

وهذا الأساس لابد فيه من مراعاة ما يلي:

أولاً: أنَّ طلب العلم في المطالب الإلهية إنما يكون عن طريق الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة.

فالذي يجب اعتقاده هو أنَّ معرفة هذا النوع من أنواع التوحيد تتوقف على دراسة الكتاب والسُّنَّة؛ لأن هذا التوحيد يتطلب أسماء وصفات معينة، وهذه لا سبيل إلى معرفتها والحصول عليها إلا من طريق الكتاب والسنة؛ «**فنحن نؤمن بالله تعالى وبما أخبر به عن نفسه سبحانه على ألسنة رسله من أسمائه الحسنى وصفاته العلى بلا تكييف ولا تمثيل، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه مما لا يليق بجلاله وعظمته؛ فإنَّه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأبين دليلاً من غيره**»[٢]، ولذلك كان معتقد أهل السنة هو الإيمان بما سمى ووصف الله به نفسه إثباتًا ونفيًا؛ لأنه لا يُسَمِّي اللهَ أعلم بالله من الله، قال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾، وقال تعالى: ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾، وقال تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾، فالله عز وجل هو الذي سَمَّى ووصف نفسه بما جاء في نصِّ كلامه الذي هو القرآن.

ولا يُسَمِّي ويَصف اللهَ بعد الله أعلمُ بالله من رسول الله ﷺ، الذي قال الله في حقِّه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، ولقد جاءت رسالة النبي ﷺ بإثبات الصفات إثباتًا مفصلاً على وجه ثلجت به الصدور واطمأنت به القلوب، واستقر الإيمان في نصابه، وفَصَّلت ذلك أعظم مِن تفصيل الأمر والنهي، وقَرَّرته أكمل تقرير في أبلغ لفظ، ولذلك كان لزامًا على كل مسلم أن يؤمن بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان.

---

(١) «لوامع الأنوار البهية» «١/ ١٢٤».

(٢) «معارج القبول» «١/ ٣٣٠، ٣٣١».

ثانيًا: تقديم الشرع على العقل، فالأصل في الدين الاتباع والمعقول تَبَع؛ فمعتقد أهل السنة في هذا الباب وفي غيره من أبواب العقائد والأحكام: أنَّ العقل المجرد ليس له إثبات شيء من العقائد والأحكام، وإنما المرجع في ذلك إلى القرآن والسنة.

فالعقل لا يُمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات؛ فوجب الوقوف في ذلك على النص؛ لأن العقل يَقصر عن إدراك حقيقة المغيبات، حتى وإن كانت تلك المغيبات أقرب شيء إليه، فهو قاصر عن أن يُحيط علمًا بحقيقة رُوحه التي بين جَنْبَيْه؛ لما أخفى الله أمرها عنه؛ قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾، فإذا كان الإنسان يجهل أمر رُوحِه، فكيف يحيط علمًا بذات الله وما يَصلح وما لا يَصلح لذاته من الأسماء والصفات، والله قد أخفى عن الخلق كيفيَّة ذاته؟!

فمجمل القول: أن أهل السنة يعتقدون: أن باب الصفات كباب الأسماء يجب الاعتماد فيهما على ما جاء في الكتاب وما ثبت في السنة فقط.

وأن ما اتصف الله به من الصفات لا يُماثله فيها أحد من خلقه؛ فالله عز وجل قد أخبرنا بذلك بنصِّ كتابه العزيز حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فإذا ورد النص بصفة من صفات الله تعالى في الكتاب أو السنة فيجب الإيمان بها، والاعتقاد الجازم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعُلو مما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فالشر كل الشر في عدم تعظيم الله، وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فعلى القلب المؤمن المصدق بصفات الله التي تَمَدَّح بها أو أَثنى عليه بها نبيُّه ﷺ: أن يكون مُعَظِّمًا لله جل وعلا غير مُتنجس بأقذار التشبيه؛ لتكون أرض قلبه طيبة طاهرة قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنزيه؛ أخذًا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[١].

فالعارفون به سبحانه وتعالى، والمصدقون لرسله، المِقرُّون بكماله- يُثبتون لله جميع صفاته،

---

(١) انظر: «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات» «ص ٢١، ٢٢».

وينفون عنه مشابهة المخلوقات؛ فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه، وبين التنزيه وعدم التعطيل؛ فمذهبهم حسنة بين سيئتين، وهُدًى بين ضلالتين.

وكذلك أهل السنة يُفَوِّضون علم كيفية اتصاف الباري عز وجل بتلك الصفات إليه جل وعلا؛ فلا علم للبشر بكيفية ذات الله تبارك وتعالى، «**ولا تفسير كُنه شيء من صفات ربنا تعالى، كأن يقال: استوى على هيئة كذا، وكلُّ مَن تجرأ على شيء من ذلك فقوله من الغُلو في الدين والافتراء على الله عز وجل، واعتقاد ما لم يأذن به الله ولا يليق بجلاله وعظمته ولم ينطق به كتاب ولا سنة، ولو كان ذلك مطلوبًا من العِباد في الشريعة لبَيَّنه الله تعالى ورسوله ﷺ، فهو لم يَدَع ما بالمسلمين إليه حاجة إلا بَيَّنه ووضحه، والعِباد لا يعلمون عن الله تعالى إلا ما علَّمهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾، فليؤمن العبد بما علمه الله تعالى وليقف معه، وليمسك عما جهله ولْيَكِل معناه إلى عالمه**»[1].

(١) انظر: «معارج القبول» «١/ ٣٢٦، ٣٢٧».

٣٧- السُّنة مفسرة للقرآن

[٣٧] - قال المصنف رحمه الله: «فَصْلٌ: ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عز وجل مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفَةِ بِالقَبُولِ؛ وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِك.

الشرح

أصول أهل السنة والجماعة تقوم من حيث التأصيل على اعتماد الكتاب والسنة باعتبارهما الأصل في كل أمور الدِّين؛ سواء كانت تلك الأمور تتعلق بباب الاعتقاد أو بغير ذلك من أبواب الدِّين.

فصاحب السُّنَّة يُؤمن بأنَّ النبي ﷺ قد قال «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»[(١)].

ويعلم أن السنة مصدر من مصادر التشريع في هذا الدِّين، وهي- كما قال المصنف: «**تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ**».

فالسُّنَّةُ مُفَسِّرة ومُبينة ودالَّة ومُعبرة عمَّا جاء في القرآن.

وقد ترد بعض أمور الدين في القرآن، ولا ترد في السُّنَّة، وقد ترد في السنة ولا تَرد في القرآن، أو تَرِدُ فيهما معًا.

فصاحب السُّنَّة يُؤمن أن هذا هو الأصل والمصدر، ولا شكَّ أن في الاعتماد على هذين الأصلين الفلاح والنجاح، وهذا لا يتَّضح إلا إذا نظرنا إلى أصول أهل الباطل وما اعتمدوا عليه.

فمن أهل الباطل مَن اعتمد على ما يُسمونه بـ«**المعقولات**»؛ فاعتمدوا على عقولهم وعلى

(١) رواه مالك بلاغًا «٢/ ٨٩٩» «٣٣٣٨»، وقال ابن عبد البر رحمه الله في «التمهيد» «٢٤/ ٣٣١»: «وهذا محفوظٌ معروفٌ مشهورٌ عن النَّبيِّ ﷺ عند أهل العِلمِ، شُهْرَةً يكاد يُسْتَغْنَى بها عن الإسنادِ، وروي في ذلك من أخبار الآحاد أحادِيثُ من أحاديث أبي هريرة وعمرو بن عوف»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» «٢٩٣٧».

أفهامهم، وقَدَّسوا تلك المعقولات وتلك الفُهوم، وقَدَّموها على كلام الله وكلام رسوله ﷺ، ثم طَعنوا في كلام الله وفي كلام رسوله؛ فما استطاعوا أن يَطعنوا فيه ثبوتًا فعلوا ذلك، وما استطاعوا أن يطعنوا فيه دلالة فعلوا ذلك.

وفئة أخرى منهم تعتمد على الرُّؤى والمنامات، ويُسمونه «**العلم اللدني**».

إلى غير ذلك من الخزعبلات والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان؛ فضَلَّ هؤلاء وأولئك عن سبيل الله عز وجل وأَضَلُّوا.

أمَّا صاحب السنة فهو يعلم أن السنة كالقرآن من حيث الاعتماد في التشريع؛ فيؤمن بكل ما جاء في السنة الصحيحة؛ لأنها وحي من الله عز القائل في حق نبيه ﷺ: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.

فالسنة جاءت بإثبات العديد من الصفات أورد المصنف هنا جملة منها:

فقال: «**وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عز وجل مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفَةِ بِالقَبُولِ؛ وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِك**».

وهو هنا يُؤصل لمسألة: أنَّ ما جاءت به السنة الثابتة الصحيحة فشأنه كشأن القرآن من حيث الاعتقاد، وأما الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة، فهذا لا يُحتج به في باب الاعتقاد.

والنصوص قد جاءت بجملة من هذه الصفات التي إما أن تكون وردت في القرآن أو تكون قد وردت في السنة، ويجب أن نتعامل مع ما ورد من الصفات في نصوص السنة الصحيحة، كما تعاملنا مع ما ورد منها في نصوص القرآن.

٣٨- إثبات صفة النزول لله تعالى

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الأدلة على إثبات صفة النزول.

المسألة الثانية: أقوال العلماء في إثبات صفة النزول.

المسألة الثالثة: لا نعلم كيفية النزول لا نحد في النزول حدا.

المسألة الرابعة: هل يخلو العرش منه حال نزوله.

المسألة الخامسة: هل يقال في النزول والإتيان والمجيء إنه حركة وانتقال.

المسألة السادسة: منكرو صفة النزول

[٣٨]- قال المصنف رحمه الله: فَمِنْ ذَلِكَ: مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» «مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ».**

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الأدلة على إثبات صفة النزول.

جاءت النصـــوص بجملة من الصـــفات التي إما أن تكون وردت في القرآن أو تكون قد وردت في السنة، ويجب أن نتعامل مع ما ورد من الصفات في نصوص السنة الصحيحة، كما تعاملنا مع ما ورد منها في نصوص القرآن.

فأحاديث النزول مُتواترة، ومنها:

قَوْلِهِ ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ**...» الحديث، متفق عليه[(١)]، وغير هذا الحديث من أحاديث النزول الثابتة الصحيحة، التي قال عنها العلماء: «**إنها قد بلغت حدًّا في التواتر، فقد رواه أكثر من عشرين من الصحابة.**

وعن أبي موســى الأشــعري-رضــي الله عنه-، أن النبي ﷺ قال: «ينزلُ ربُّنا إلى سماءِ الدُّنيا ليلةَ النِّصفِ مِنْ شعبانَ؛ فيغفرُ لأهلِ الأرضِ إلَّا مُشرِكٍ أو مُشاحنٍ».[(٢)]

وعن جابر بن عبد الله-رضـــي الله عنه-، أن النبي ﷺ قال: «**ما مِنْ أيامٍ أعظمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ عشـــيةِ ذي الحجةِ إذا كانتْ عشـــيةُ عرفةَ نزلَ-عز وجل-إلى سماءِ الدُّنيا وحَفَّتْ بهِ الملائكةُ؛ فيُباهي بهِ ملائكتَهُ ويقولُ: انظروا إلى عبادي أَتَوني شُعثًا غُبرًا ضاحِينَ جاءوا مِنْ كُلِّ فجٍّ عميقٍ ولمْ يَروا رحمَتي ولا عذابي**»[(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري «١١٤٥» ومسلم «٧٥٨» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه «١٣٩٠»، وابن أبي عاصم في «السنة» «٥١٠» واللفظ له، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» «٧٦٣».

(٣) أخرجه أبو يعلى «٢٠٩٠»، وابن حبان «٣٨٥٣»، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» «٧/ ٢٥٣» واللفظ له.

وغير هذا من أحاديث النزول الثابتة الصحيحة، والتي أورد المصنف بعضًا منها، التي قال عنها العلماء: "إنها قد بلغت حدًّا في التواتر، فقد رواها أكثر من عشرين من الصحابة.

فقد قال شيخُ الإسلام: «**إن حديث النُّزول مُتواتِر**»[(١)].

وقال العلَّامة ابن القيّم: «**وتَواترتِ الرِّواية عن رسول الله ﷺ بنُزول الربِّ- تَبارك وتَعالى- كلَّ ليلة إلى سماءِ الدنيا**»[(٢)].

وقال أيضًا: «**إن نُزول الربِّ تبارك وتعالى إلى سماءِ الدُّنيا قد تَواترتِ الأخبارُ به عن رسول الله ﷺ؛ رواهُ عنه نحوُ ثمانيةٌ وعشرون نَفْسًا من الصَّحابة**»[(٣)].

وقال اللَّالكائيُّ: «**سِياق ما رُوِيَ عن النَّبي ﷺ في نُزول الربِّ- تبارك وتعالى- رَواه عن النَّبي ﷺ عشرون نَفْسًا**»[(٤)].

وقد أجمع سلَفُ الأمَّة على إثبات صِفة النُّزول؛ فقد سُئل شيخ الإسلامِ رحمه الله عن رَجُلين أحدهما مُثبِت للنُّزول ومُستدِل بالحديث الوارد في ذلك، والآخر نافٍ للنُّزول، فقال: «**الحمدُ لله ربِّ العالَمين، أما القائِلُ الأول الذي ذكَر نصَّ النَّبي ﷺ، فقد أصابَ فيما قال؛ فإن هذا القول الذي قاله قدِ استَفاضتْ به السُّنَّة عن النَّبي ﷺ، واتَّفقَ سلَفُ الأمة وأئمتُها وأهل العلم بالسُّنة والحديث على تَصْديق ذلك وتَلقِّيه بالقَبول**»[(٥)].

المسألة الثانية: أقوال العلماء في إثبات صفة النزول:

قال أبو حنيفة النعمان بن ثابت «**١٥٠ هـ**» في إثبات النزول لله: "ينزل بلا كيف"[(٦)]

---

(١) «شرح حديثِ النُّزول» «ص١٠٢، ١٠٣».

(٢) «مُختصَر الصَّواعق المرسلة» «ص٤٣٠».

(٣) «مُختصَر الصَّواعق المرسلة» «ص٤٢٣».

(٤) «أصول اعتِقاد أهل السُّنَّة والجَماعَة» «٣/٤٣٤».

(٥) «مجموع الفَتاوى» «٥/٣٢٢».

(٦) الأسماء والصفات للبيهقي «ص: ٤٥٦»..

قال الإمام الحافظ الحجة حماد بن سلمة بن دينار البصرى أبو سلمة «**١٦٧ هـــ**»، فيما روى عبد العزيز بن المغيرة عن حماد بن ســــلمة: أنه حدثهم بحديث نزول الرب–عز وجل– فقال: "من رأيتموه ينكر هذا فاتهموه"(١)

وقال مالك عن حديث النزول: "ولهذا أمضِ الحديث كما ورد بلا كيف ولا تحديد إلا بما جاءت به الآثار، وبما جاء به الكتاب، قال الله تعالى: ﴿فَلا تَضْــرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾. [النحل: الآية: ٧٤]: ينزل كيف شاء بقدرته وعلمه وعظمته، أحاط بكل شيء.

وقال بشـر بن السـري لحماد بن زيد: "ينزل ربنا إلى السـماء الدنيا؛ يتحول من مكان إلى مكان؟ فسكت حمَّادٌ، ثم قال: "هو مكانه يَقرب من خلقه كيف شاء". (٢)

فقد قال شيخُ الإسلام: "إن حديث النُّزول مُتواتِر". (٣)

وقال العلَّامة ابن القيِّم: "وتَواترتِ الرِّواية عن رســـول الله–صـــلى الله عليه وســـلم–بنُزول الربِّ–عز وجل–كلَّ ليلة إلى سماءِ الدنيا». (٤)

وقال أيضًـــا: «**إن نُزول الربِّ–عز وجل–إلى سماءِ الدُّنيا قد تَواترتِ الأخبارُ به عن رسول الله ﷺ؛ رواهُ عنه نحوُ ثمانيةٌ وعشرون نَفْسًا من الصَّحابة**". (٥)

وقال اللَّالكائيُّ: "سِـــياق ما رُوِيَ عن النَّبي ﷺ في نُزول الربِّ–عز وجل–رَواه عن النَّبي ﷺ عشرون نَفْسًا" ثم ساق روايات الصحابة بأسانيدها في أحاديث النزول". (٦)

وقال الحافظ ابن عبد البَرّ عن حديث النُّزول: «يَنْزِلُ رَبُّنا كلَّ ليلة ... »: "وهو

---

(١) . ذكره الذهبي في السير «٧/ ٤٥١».

(٢) انظر مختصر الصواعق لابن القيّم «ص: ٤٦٨».

(٣) شرح حديثِ النُّزول «ص: ١٠٢، ١٠٣».

(٤) مُختصَر الصَّواعق المرسلة «ص: ٤٣٠».

(٥) مُختصَر الصَّواعق المرسلة «ص: ٤٢٣».

(٦) أصول اعتِقاد أهل السُّنَّة والجَمَاعَة «٣/ ٤٣٤».

حديث منقول من طرق مُتواترة ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبي ﷺ". [(١)]

وقال شيخ الإسلام-رحمه الله-في «**تفسير سورة الإخلاص**»: "فالربُّ-سبحانه-إذا وصفه رسولُه بأنه يَنْزِل إلى سماء الدنيا كل ليلة، وأنَّه يَدنو عَشية عرفة إلى الحُجَّاج، وأنه كلَّم موسى بالوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة، وأنه استوى إلى السماء وهي دخانٌ، فقال لها وللأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: الآية: ١١]؛ لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نُزول هذه الأعيان المشهودة، حتى يُقال: ذلك يَستلزم تفريغ مكان وشَغل آخر". [(٢)]

وقد أجمع سلَفُ الأمَّة على إثبات صِفة النُّزول؛ فقد سُئل شيخ الإسلامِ-رحمه الله-عن رَجُلين أحدهما مُثبِت للنُّزول ومُستدِل بالحديث الوارد في ذلك، والآخر نافٍ للنُّزول، فقال: «**الحمدُ لله ربِّ العالَمين، أما القائِلُ الأول الذي ذكَر نصَّ النَّبي-صلى الله عليه وسلم-، فقد أصابَ فيما قال؛ فإن هذا القول الذي قاله قدِ استَفاضتْ به السُّنَّة عن النَّبي-صلى الله عليه وسلم-، واتَّفقَ سلَفُ الأمة وأئمتُها وأهل العلم بالسُّنة والحديث على تَصْديق ذلك وتَلقِّيه بالقَبول**". [(٣)]

ونقَل رحمه الله عن أبي عمرٍو الطَّلَمَنْكيِّ قولَه: «وأجمَعوا على أن الله يَنزِل كلَّ ليلة إلى سماءِ الدُّنيا على ما أتتْ به الآثارُ كيف شاء»[(٤)].

وقد قال الشيخ ابن عثيمين عن حديث النزول: «**هذا الحديث حديث عظيم ذكر بعض أهل العلم أنه بلغ حَدَّ التواتر عن النبي ﷺ، ولا شكَّ أنه حديث مُستفيض مشهور، وقد**

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر «٧/ ١٢٨».

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية «١٧/ ٣٥٠».

(٣) مَجموع الفَتاوى «٥/ ٣٢٢».

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» «٥/٣٢٢» «٥/٥٧٨».

شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بكتاب مُستقل[(١)]**؛ لما فيه من الفوائد العظيمة»**[(٢)].

المسألة الثالثة: لا نعلم كيفية النزول لا نحد في النزول حدًا.

ومن قول السلف في مسألة صفة النزول: "من غير أن يَحُدُّوا فيه حدًّا".

قال ابن معين عن نزول الله تعالى: "نعم؛ أُقر به، ولا أَحُدُّ فيه حدًّا".[(٣)]

فقول أهل السنة: "نؤمن بنزول الله إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل، من غير أن نحد فيه حدًّا"، معناه: أن النزول حق، ولكن لا نَصف كيفية نزوله سبحانه.

فنحن لا نعلم كيفية ذات الله حتى نعلم كيفية نزوله؛ فلذلك فسؤال السائل: كيف ينزل؟ هو مثل سؤاله: كيف استوى؟ سواء بسواء؛ فلا يُسأل عن كيفية نزوله كما لا يسأل عن كيفية استوائه؛ لأنه لا يَعلم كيفية استواء الله على عرشه، ولا كيفية نزوله إلى السماء الدنيا إلا هو-عز وجل.

لذلك قال أئمة السلف هذه العبارة: «**من غير أن يَحُدُّوا فيه حدًّا**»، أي: لا يستطيعون وصف كيفية هذا النزول؛ فالله-عز وجل-قد أخبرنا عن طريق رسوله ﷺ: أنَّه يَنزل، فما علينا إلا أن نُؤمن بذلك، ولا سبيل لنا بعد ذلك إلى معرفة كيفية نزوله-عز وجل .

ربعًا: الجواب على شبهة أن ثُلُث الليل يختلف في مكان عن آخر، فكل بلد لها ثُلُث ليل، فكيف يَنزل ربُّنا

فالمؤَوِّلون يُحدثون شُبهًا في مسألة النزول؛ مثل قولهم: ثُلُث الليل يختلف في مكان عن آخر، فكل بلد لها ثُلُث ليل، فكيف يَنزل ربُّنا؟!

والجواب: أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قد أخبر عن الله-عز وجل-فقال: "يَنْزِلُ رَبُّنَا-عز وجل-كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ... "، فلا سبيل لنا إلى

(١) يقصد كتابه: «شرح حديثِ النُّزول».

(٢) «مجموع رسائل وفتاوى العثيمين» «١/ ٢٠٣».

(٣) انظر: مجموع الفتاوى «٥/ ٥٦».

معرفة كيفية هذا النزول، والله–عز وجل–يسمع كل شيء، ويبصر كل شيء، ولا يعزب عن علمه شيء، ولا يشغله شأن عن شأن، ولا نعلم كيفية ذلك، لذا لا نستطيع أن نحدد كيفية نزوله إلا بعد معرفة كيفية ذاته، ولا سبيل لنا إلى معرفة ذلك إلا عن طريق الخبر عن النبي ﷺ، وقد جاء الخبر بنزوله–عز وجل–؛ فيجب أن نؤمن به، ونعتقد صِدْقَه، وأما السؤال عن الكيف، فلا شكَّ أنَّ الكيف مجهول، وأنَّ السؤال عنه بدعة، كما هو حال السؤال عن الاستواء.

وقال صاحب «**أصول السنة**» ابن زمنين عن حديث النزول: "وهذا الحديث يُبين أن الله–عز وجل–على العرش في السماء دون الأرض، وهو–أيضًا–بَيِّنٌ في كتاب الله تعالى، وفي غير ما حديث عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–".

المسألة الرابعة: هل يخلو العرش منه حال نزوله.

ومن المسائل المتعلقة بصفة النزول هل يخلو العرش منه حال نزوله

ولأهل السنة في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: ينزل ويخلو منه العرش. [١]

وهو قول طائفة من أهل الحديث. [٢]

القول الثاني: ينزل ولا يخلو منه العرش. [٣]

وهو قول جمهور أهل الحديث. [٤]

ومنهم الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وحماد بن زيد، وعثمان ابن سعيد الدارمي

---

(١) شرح حديث النزول «ص: ١٦١، ٢٠١». مختصر الصواعق «٢/ ٢٥٣».

(٢) شرح حديث النزول «ص: ٢٠١».

(٣) شرح حديث النزول «ص: ١٦١، ٢٠١»، مختصر الصواعق «٢/ ٢٥٣».

(٤) شرح حديث النزول «ص: ٢٠١»، ومنهاج السنة «٢/ ٦٣٨»

وغيرهم.[(١)]

القول الثالث: نثبت نزولاً، ولا نعقل معناه هل هو بزوال أو بغير زوال.

وهذا قول ابن بطة والحافظ عبد الغني المقدسي وغيرهما.[(٢)]

أما القول الأول: وهو أنه ينزل ويخلو منه العرش، فمن قال به: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق بن منده،[(٣)] .[(٤)]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد صنف أبو القاسم عبد الرحمن ابن أبي عبد الله بن محمد بن منده، مصنفاً في الإنكار على من قال لا يخلو منه العرش وسماه " الرد على من زعم أن الله في كل مكان، وعلى من زعم أن الله ليس له مكان، وعلى من تأول النزول على غير النزول".[(٥)]

وقد لخص شيخ الإسلام جملة ما احتج به أبو القاسم ابن منده وبين أنه احتج بأحاديث النزول، وببعض أقوال السلف العامة كقولهم: «**يفعل ما يشاء**» وذكر بعض اعتراضاته على بعض النقول الواردة عن الأئمة.[(٦)]

وأوضح شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لم ينقل على أحد من الأئمة المعروفين بالسنة بإسناد

(١) مجموع الفتاوى «٥/ ٣٧٥».

(٢) . شرح حديث النزول «ص: ١٦١». مختصر الصواعق «٢/ ٢٥٤»

(٣) . عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده العبدي الأصبهاني، قال عنه الذهبي: «الحافظ العالم المحدث»، وقال عنه إسماعيل التيمي كما في طبقات الحنابلة: «خالف أباه في مسائل وأعرض عنه مشايخ الوقت»، وقال شيخ الإسلام عبد الله بن محمد الأنصاري: «كانت مضرته في الإسلام أكثر من منفعته»، وقال ابن رجب: «وهذا ليس بقادح -إن صح- فإن الأنصاري والتيمي وأمثالهما يقدحون بأدنى شيء ينكرونه من مواضع النزاع، كما هجر التيمي عبد الجليل الحافظ على قوله: «ينزل بالذات»، وهو في الحقيقة يوافقه في اعتقاده، لكن أنكر إطلاق اللفظ لعدم ورود الأثر به» ا. هـ. توفي سنة «٤٧٠ هـ». انظر تذكرة الحفاظ «٣/ ١١٥٦»، وذيل طبقات الحنابلة «١/ ٢٦»

(٤) شرح حديث النزول «ص: ٢٠١».

(٥) شرح حديث النزول «ص: ١٦١-١٦٢».

(٦) شرح حديث النزول «ص: ١٦١-٢٠١».

صحيح ولا ضعيف أن العرش يخلو منه. [(١)]

وذكر أن كلام أبو القاسم بن منده من جنس كلام طائفة تظن أنه لا يمكن إلا أحد القولين:

١ قول من يقول: إنه ينزل نزولًا يخلو منه العرش.

٢ وقول من يقول: ما ثم نزول أصلًا، كقول من يقول: ليس له فعل يقوم بذاته واختياره.

وهاتان الطائفتان ليس عندهما نزول إلا النزول الذي يوصف به أجساد العباد الذي يقتضي تفريغ مكان وشغل آخر.

ثم منهم من ينفي النزول عنه، وينزهه عن مثل ذلك.

ومنهم من أثبت له نزولاً من هذا الجنس، يقتضي تفريغ مكان وشغل آخر. [(٢)]

المسألة الخامسة: هل يقال في النزول والإتيان والمجيء إنه بحركة وانتقال.

والقول بخلو العرش حال نزوله مرتبط [(٣)] بمسألة: هل يقال في النزول والإتيان والمجيء إنه بحركة وانتقال؟

وقد اختلف أصحاب الإمام أحمد وغيرهم من المنتسبين إلى السنة والحديث في المسألة على ثلاثة أقوال ذكرها القاضي أبو يعلى في كتاب "اختلاف الروايتين والوجهين"، [(٤)] وهذه الأقوال هي:

١- أنه نزول انتقال وهو قول أبي عبد الله بن حامد.

---

(١) شرح حديث النزول «ص: ٢٠١».

(٢) شرح حديث النزول «ص: ٢٠١».

(٣) ربط شيخ الإسلام بين المسألتين في شرح حديث النزول «ص: ٢١٠ - ٢١١»، وكذا ابن القيم كما في مختصر الصواعق «٢/ ٢٥٣».

(٤) قام الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف بتحقيق الجزء المتعلق بمسائل أصول الديانات من كتاب "الروايتين والوجهين"، وطبعته مكتبة أضواء السلف. وانظر المسألة «ص: ٥٢ - ٥٧» من الكتاب المذكور.

٢- أنه نزول بغير انتقال وهو قول أبي الحسن التميمي وأهل بيته، وأن معناه: قدرته.[١]

٣- الإمســـاك عن القول في المســـألة، وهو قول أبي عبد الله بن بطة[٢] وغيره. ثم هؤلاء فيهم من يقف عن إثبات اللفظ مع الموافقة على المعنى وهو قول كثير منهم، ومنهم من يمسك عن إثبات المعنى وعن اللفظ.[٣]

والذي يخصـــنا من الأقوال الثلاثة قول ابن حامد الذي ذهب إلى أنه نزول انتقال وقال لأن هذا حقيقة النزول عند العرب، وهو نظير قوله في الاستواء بمعنى قعد.

قال القاضـــي أبو يعلى: "فذهب شـــيخنا أبو عبد الله-يعني ابن حامد-أنه نزول انتقال، وقال: لأن هذا حقيقة النزول عند العرب، وهذا نظير قوله في الاســـتواء، يعني قعد، وهذا على ظاهر حديث عبادة بن الصـــامت[٤]، ولأن أكثر ما في هذا أنه من صـــفات الحدث في حقنا، وهذا لا يوجب كونه في حقه محدثاً، كما الاســـتواء على العرش، هو موصـــوف به مع اختلافنا في صـفته، وإن كان هذا الاسـتواء لم يكن موصـوفاً به في القدم، وكذلك نقول تكلم بحرف وصـوت، وإن كان هذا يوجب الحدث في صـفاتنا، ولا يوجبه في حقه، كذلك النزول".[٥]

وقال ابن القيم-رحمه الله-: "أما قول ابن حامد أنه نزول انتقال فهو موافق لقول من يقول يخلو منه العرش، والذي حمله على هذا إثبات النزول حقيقة، وأن حقيقته لا تثبت إلا بالانتقال، ورأى أنه ليس في العقل ولا في النقل ما يحيل الانتقال عليه، فإنه كالمجيء والإتيان والذهاب والهبوط، وهذه أنواع الفعل اللازم القائم به، كما أن الخلق، والرزق، والإماتة،

---

(١) انظر الرد على هذا القول في مختصر الصواعق «٢/ ٢٥٩ - ٢٦٢».

(٢) قال ابن بطة: "فنقول كما قال: ينزل ربنا-عز وجل-ولا نقول: إنه يزول، بل ينزل كيف يشـــاء، ولا نصـــف نزوله، ولا نحده، ولا نقول إن نزوله زواله". انظر المختار من الإبانة «ص: ٢٤٠».

(٣) شرح حديث النزول «ص: ٢١٠ - ٢١١». مختصر الصواعق «٢/ ٢٥٣ - ٢٥٤».

(٤) يعني بحديث عبادة بن الصامت الذي فيه "ثم يعلو-عز وجل-على كرسيه".

(٥) كتاب اختلاف الروايتين والوجهين -مسائل من أصول الديانات- «ص: ٥٥».

والإحياء، والقبض، والبسط أنواع للفعل المتعدي، وهو سبحانه موصوف بالنوعين، وقد يجمعهما كقوله ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤].

والانتقال جنس لأنواع المجيء، والإتيان، والنزول، والهبوط، والصعود، والدنو، والتدلي ونحوها؛ وإثبات النوع مع نفي جنسه جمع بين النقيضين.

قالوا: وليس في القول بلازم النزول والمجيء والإتيان والاستواء والصعود محذور البتة ولا يستلزم ذلك نقصاً، ولا سلب كمال، بل هو الكمال نفسه، وهذه الأفعال كمال ومدح، فهي حق دل عليه النقل ولازم الحق حق". (١)

القول الثاني: أنه ينزل ولا يخلو منه العرش.

وهذا القول ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قول جمهور أهل الحديث. (٢)

وقال: "ونقل ذلك عن الإمام أحمد بن حنبل في رسالته إلى مسدد، وعن إسحاق بن راهويه، وحماد بن زيد، وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم". (٣)

قال القاضي أبو يعلى: "وقد قال أحمد في رسالته إلى مسدد: إن الله–عز وجل–ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا ولا يخلو من العرش. فقد صرح أحمد بالقول إن العرش لا يخلو منه". (٤)

وسأل بشر بن السري حماد بن زيد، فقال: "يا أبا إسماعيل، الحديث الذي جاء "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا" يتحول من مكان إلى مكان؟ فسكت حماد بن زيد، ثم قال: هو في مكانه

(١) مختصر الصواعق «٢/ ٢٥٤ – ٢٥٥».
(٢) شرح حديث النزول «ص: ٢٠١»، ومنهاج السنة «٢/ ٦٣٨».
(٣) شرح حديث النزول «ص: ١٤٩».
(٤) إبطال التأويلات «١/ ٢٦١».

يقرب من خلقه كيف يشاء". [(١)]

وقال إسحاق بن راهويه: "دخلت على عبد الله بن طاهر، فقال: ما هذه الأحاديث التي ترووها؟

قلت: أي شيء أصلح الله الأمير؟

قال: تروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا.

قلت: نعم، رواه الثقات الذين يروون الأحكام.

قال: أينزل ويدع عرشه؟

قال: فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو العرش منه؟

قال: نعم.

قلت: ولم تتكلم في هذا؟ ". [(٢)]

قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية عن قول إسـحاق وقول حماد بن زيد: "وهذه والتي قبلها حكايتان صـحيحتان رواتهما ثقات، فحماد بن زيد يقول: هو في مكانه، يقرب من خلقه كيف يشاء، فأثبت قربه مع كونه فوق عرشه.

وعبد الله بن طاهر وهو من خيار من ولي الأمر بخراسـان كان يعرف أن الله فوق العرش، وأشكل عليه أنه ينزل، لتوهم أن ذلك يقتضي أن يخلو منه العرش، فأقره الإمام إسحاق على أنـه فوق العرش، وقـال لـه: يقـدر أن ينزل من غير أن يخلو منـه العرش؟ فقـال لـه الأمير: نعم. فقال له إسحاق: لم تتكلم في هذا؟

يقول: فإذا كان قادراً على ذلك لم يلزم من نزوله خلو العرش منه، فلا يجوز أن يعترض

---

(١) أخرجه العقيلي في الضـعفاء «١/ ١٤٣». وأخرجه ابن بطة في الإبانة، كما في المختار من الإبانة «ص: ٢٠٣ - ٢٠٤، برقم: ١٥». وأورده ابن تيمية في شـرح حديث النزول «ص: ١٥٠ - ١٥١»، وفي درء تعارض العقل والنقل «٢/ ٢٤»، وفي الأصـفهانية «ص: ٢٥»، وعزاه للخلال في السنة وابن بطة في الإبانة..

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات «٢/ ٣٨٦» مختصراً، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «٣/ ٤٥٢». وأورده ابن تيمية في شرح حديث النزول «ص: ١٥٢» وصحح إسناده.

على النزول بأنه يلزم منه خلو العرش، وكان هذا أهون من اعتراض من يقول: ليس فوق العرش شيء، فينكر هذا وهذا". [(١)]

القول الثالث: من يقول نثبت نزولاً ولا نعقل معناه، هل هو بزوال أو بغير زوال.

وهذا القول قال به ابن بطة [(٢)]، وعبد الغني المقدسي [(٣)]، وغيرهما.

قال ابن بطة: "فنقول كما قال: "ينزل ربنا-عز وجل-" ولا نقول: إنه يزول، بل ينزل كيف يشاء، لا نصف نزوله ولا نحده، ولا نقول: إن نزوله زواله".

وروى بسنده عن حنبل بن إسحاق قال: "قلت لأبي عبد الله: ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا؟

قال: نعم.

قلت: نزوله بعلمه أم بماذا؟

قال: فقال لي: اسكت عن هذا، وغضب غضبًا شديدًا، وقال: مالك ولهذا؟ أمض الحديث كما روي بلا كيف". [(٤)]

وقال القاضي أبو يعلى: "وحكى شيخنا-يعني ابن حامد-عن طائفة أخرى من أصحابنا أنهم قالوا: نثبت نزولاً لا يعقل معناه هل هو زوال أو بغير زوال، كما جاء الخبر، ومثل هذا ليس يمتنع في صفاته، كما يثبت له ذاتاً ينفي عنها ماهيتها، وهذه الطريقة هي المذهب، وقد نص أحمد عليها في مواضع". [(٥)] وذكر الأثر الذي ذكره ابن بطة عن حنبل.

قال ابن القيم-رحمه الله-: "وأما الذين أمسكوا عن الأمرين وقالوا: لا نقول يتحرك

---

(١) شرح حديث النزول «ص: ١٥٣».

(٢) . انظر المختار من الإبانة «ص: ٢٤٠». ومجموع الفتاوى «٥/ ٤٠٢»

(٣) شرح حديث النزول «ص: ١٦١».

(٤) المختار من الإبانة «ص: ٢٤٠-٢٤٢».

(٥) كتاب الروايتين والوجهين «ص: ٥٦-٥٧».

وينتقل، ولا ننفي ذلك عنه، فهم أسعد بالصواب والاتباع، فإنهم نطقوا بما نطق به النص، وسكتوا عما سكت عنه، وتظهر صحة هذه الطريقة ظهوراً تاماً فيما إذا كانت الألفاظ التي سكت عنها النص مجملة، محتملة المعنيين صحيح وفاسد، كلفظ «**الحركة**»، و «**الانتقال**»، و «**الحوادث**»، و «**العلة**»، و «**التغير**»، و «**التركيب**»، ونحو ذلك من الألفاظ التي تحتها حق وباطل.

فهذه لا تقبل مطلقاً، ولا ترد مطلقاً، فإن الله سبحانه لم يثبت لنفسه هذه المسميات، ولم ينفيها عنه، فمن أثبتها مطلقاً فقد أخطأ، ومن نفاها مطلقاً فقد أخطأ، فإن معانيها منقسمة إلى ما يمتنع إثباته لله، وما يجب إثباته له.

فإن الانتقال يراد به:

١ انتقال الجسم والعرض من مكان هو محتاج إليه إلى مكان آخر يحتاج إليه. وهو يمتنع إثباته للرب-عز وجل-، وكذلك الحركة إذا أريد بها هذا المعنى امتنع إثباتها لله تعالى.

٢ ويراد بالحركة والانتقال حركة الفاعل من كونه غير فاعل إلى كونه فاعلاً، وانتقاله أيضاً من كونه غير فاعل إلى كونه فاعلاً. فهذا المعنى حق في نفسه لا يعقل كون الفاعل فاعلاً إلا به فنفيه عن الفاعل نفي لحقيقة الفعل وتعطيل له.

٣ وقد يراد بالحركة والانتقال ما هو أعم من ذلك، وهو فعل يقوم بذات الفاعل يتعلق بالمكان الذي قصد له وأراد إيقاع الفعل بنفسه فيه.

وقد دل القرآن والسنة والإجماع على أنه سبحانه يجيء يوم القيامة، وينزل لفصل القضاء بين عباده، ويأتي في ظلل من الغمام والملائكة، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وينزل عشية عرفة، وينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، وينزل إلى أهل الجنة. وهذه أفعال يفعلها بنفسه في هذه الأمكنة فلا يجوز نفيها عنه بنفي الحركة والنقلة المختصة بالمخلوقين، فإنها ليست من لوازم أفعاله المختصة به، فما كان من لوازم أفعاله لم يجز نفيه عنه، وما كان من خصائص الخلق لم يجز إثباته له.

وحركة الحي من لوازم ذاته، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالحركة والشعور، فكل حي

متحرك بالإرادة وله شعور فنفي الحركة عنه كنفي الشعور، وذلك يستلزم نفي الحياة" .[(١)]

المسألة السادسة: منكرو صفة النزول.

ومع ذلك يغالط البعض؛ فينكرون نزول الله–عز وجل–!

فالذين ينفون جميع الصفات ينفون صفة «**النزول**» كغيرها، وهناك من ينفي الصفات الفعلية الاختيارية، ومنها:«**النزول**» كالأشاعرة، فإنَّ المشهور من مذهبهم هو نفي الصفات الاختيارية، كالنزول، والاستواء، والغضب، والرِّضَا، وهذا يجعلهم يتأوَّلُون صفة النزول بنزول المِلَك، أو نزول الرَّحمة، أو ما أشبه ذلك.

فالجهمية كانت تنكر أن ينزل الله بنفسه، وتتأول ذلك بنزول أمره، أو نزول ملك ونحوه، وأن هذا هو الذي أنكره السلف عليهم

والأشـــاعرة يوافقون لجهمية في تأويل النزول، وأنه لا يراد به الحقيقة، بل هو من مجازات الكلام.

قال أبو المعالي الجويني في "الإرشـــاد": "والوجه: حمل النزول، وإن كان مضـــافاً إلى الله تعالى، على نزول ملائكته المقربين .... إلى أن قال: ومما يتجه في تأويل الحديث أن يُحمل النزول على إسباغ الله نعمائه على عباده .. " .[(٢)]

وقال أيضــاً في صــفة المجيء: "بل المعني بقوله: ﴿وجاء ربك﴾ [الفجر: الآية: ٢٢]: أي جاء أمر ربك وقضاؤه الفصل وحكمه العدل" .[(٣)]

---

(١) مختصر الصواعق «٢/ ٢٥٧ – ٢٥٨».

(٢) الإرشاد «ص: ١٦١».

(٣) الإرشاد «ص: ١٥٩».

٣٩- إثبات الفرح لله

[٣٩]- قال المصنف رحمه الله: وَقَوْلُهُ ﷺ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهُ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ». «مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ».

الشرح

وهكذا أورد أحاديث أخرى مثل قوله ﷺ: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهُ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ**....»، الحديث، ففيه أثبت صفةَ الفرح لله عز وجل.

قال أبو إسماعيل الصابوني: "وكذلك يقولون أي: بالإثبات في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين... والفرح والضحك وغيرها...". (١)

وقال ابن القيم: "إن ما وصف الله سبحانه به نفسه؛ من المحبة والرضا، والفرح والغضب، والبغض والسخط: من أعظم صفات الكمال". (٢)

وممن أثبت صفة «**الفرح**» من العلماء: ابن قتيبة، وأبو سعيد الدارمي، وأبو يعلى الفراء.

وقال محمد خليل هراس عند شرحه لهذا الحديث: "في هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله عز وجل، والكلام فيه كالكلام في غيره من الصفات؛ أنه صفة حقيقية لله عز وجل، على ما يليق به، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته، فيحدث له هذا المعنى المعبر عنه بالفرح عندما يحدث عبده التوبة والإنابة إليه، وهو مستلزم لرضاه عن عبده التائب، وقبوله توبته.

وإذا كان الفرح في المخلوق على أنواع؛ فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب، وقد يكون فرح أشر وبطر؛ فالله عز وجل منزه عن ذلك كله، ففرحه لا يشبه فرح أحد من خلقه؛ لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته؛ فسببه كمال رحمته وإحسانه التي يحب من عباده أن يتعرضوا لها،

---

(١) يُنظر: «عقيدة السَّلف أصحاب الحديث» «ص: ٥».

(٢) يُنظر: «الصواعق المرسلة» «٤/ ١٤٥١».

وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين.

وأما تفسير الفرح بلازمه، وهو الرضا، وتفسير الرضا بإرادة الثواب؛ فكل ذلك نفي وتعطيل لفرحه ورضاه سبحانه، أوجبه سوء ظن هؤلاء المعطلة بربهم؛ حيث توهموا أن هذه المعاني تكون فيه كما هي في المخلوق، تعالى الله عن تشبيههم وتعطيلهم". [(١)]

قال الامام الحافظ المفسر أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، محيي السنة «**ت: ٥١٦ هـ**» ، رحمه الله في كتابه الجليل شرح السنة: "قال الشيخ الإمام: والإصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عز وجل، وكذلك كل ما جاء به الكتاب أو السنة من هذا القبيل في صفات الله تعالى، كالنفس، والوجه، والعين، واليد، والرجل، والإتيان، والمجي، والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك والفرح - إلى أن يقول-: "فهذه ونظائرها صفات الله تعالى، ورد بها السمع يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها معرضًا فيها عن التأويل، مجتنبًا عن التشبيه، معتقدًا أن الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيءٌ من صفاته صفاتِ الخلق، كما لا تشبه ذاتُه ذوات الخلق، قال الله سبحانه وتعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الشورى.

وعلى هذا مضى سلف الأمة، وعلماء السنة، تلقوها جميعًا بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل، ووكلوا العلم فيها إلى الله عز وجل،". [(٢)]

وقال الامام الحافظ الذهبي في المهذب عند تعقبه تأويلَ البيهقي لصفة الفرح لله تعالى: "قلت: ليت المؤلف سكت فإن الحديث من أحاديث الصفات التي تمر على ما جاءت كما هو معلوم من مذهب السلف والتأويل الذي ذكره ليس بشيء فإن يسأل عن معنى الرضا فيأوله بمعنى الارادة، والنبي صلى الله عليه وسلم قد جعل فرح الخالق عز وجل اشد من فرح

---

(١) يُنظر: «شرح العقيدة الواسطية» «ص: ١٦٦».

(٢) شرح السنة «١/ ١٦٨ – ١٧٠».

الذي ضلت راحلته فتأمل هذا وكف، واعلم أن نبيك لا يقول إلا حقًّا فهو أعلم بما يجب لله وما يمتنع عليه من جميع الخلق، اللهم اكتب لنا الإيمان بك في قلوبنا وأيدنا بروح منك.". [(١)]

(١) المهذب «٨/ ٤١٩٤».

٤٠- إثبات العَجب والضحك لله

[٤٠]- قال المصنف رحمه الله: وَقَوْلُهُ: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ**». «**حَدِيثٌ حَسَنٌ**». وقوله ﷺ: «**يَضحَكُ اللهُ إلى رَجلينِ يَقتُل أحدُهما الآخَرَ، كلاهما يَدخُل الجنَّة**». مُتَّفقٌ عليه.

الشرح

وَكذلك قَوْلُهُ ﷺ: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ**»، وفيه أثبت صفة العَجَب والضحك.

وغير ذلك من الصفات التي جاءت في هذه الأحاديث، وجاءت في غيرها من أحاديث السُّنَّة الصحيحة.

أولًا: صفة العجب:

صفة فعلية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة.

الدليل من الكتاب:

١- قوله تعالى: بل عجبت ويسخرون [الصافات: الآية: ١٢]

قال ابن جرير: "قوله: **بل عجبت ويسخرون**؛ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة: **بل عجبت ويسخرون**، بضم التاء من **عجبت**، بمعنى: بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكا، وتكذيبهم تنزيلي، وهم يسخرون، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة **عجبت**، بفتح التاء، بمعنى: بل عجبت أنت -يا محمد- ويسخرون من هذا القرآن. والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

فإن قال قائل: وكيف يكون مصيبا القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟! قيل: إنهما وإن اختلف معنياهما، فكل واحد من معنييه صحيح؛ قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر

المشركون مما قالوه". [١]

وقال ابن زنجلة: "قرأ حمزة والكسائي :**بل عجبت ويسخرون**؛ بضم التاء، وقرأ الباقون بفتح التاء..."، ثم قال: "قال أبو عبيد: قوله: **بل عجبت ويسخرون**، بالنصب: بل عجبت- يا محمد- من جهلهم وتكذيبهم، وهم يسخرون منك، ومن قرأ: **عجبت** فهو إخبار عن الله عز وجل". [٢]

وقد صحت القراءة بالضم عن ابن مسعود رضي الله عنه، كما سيأتي.

قوله تعالى: ﴿**وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد**﴾ [الرعد: الآية: ٥] .

نقل ابن جرير في تفسيره لهذه الآية بإسناده عن قتادة: "قوله: **وإن تعجب فعجب**: إن عجبت يا محمد **فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد**: عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت". [٣]

قال ابن زنجلة بعد ذكر قراءة **بل عجبت** بالضم: "قال أبو عبيد: والشاهد لها مع هذه الأخبار قوله تعالى: **وإن تعجب فعجب قولهم**، فأخبر جل جلاله أنه عجيب". [٤]

وقال الشنقيطي: "هذه الآية الكريمة على قراءة حمزة والكسائي فيها إثبات العجب لله تعالى؛ فهي إذن من آيات الصفات على هذه القراءة". [٥]

الدليل من السنة:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «**لقد عجب الله عز وجل** «**أو: ضحك**»

---

(١) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «١٨/٦٥».

(٢) يُنظر: «حجة القراءات» «ص: ٦٠٦».

(٣) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «١٣/٤٣٢».

(٤) يُنظر: «حجة القراءات» «ص: ٦٠٧».

(٥) يُنظر: «أضواء البيان» «٦/ ٣٠٨».

من فلان وفلانة». [١]

٢- حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «**عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل**». [٢]

٣- عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: "قرأ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: بل عجبت ويسخرون، قال شريح: إن الله لا يعجب من شيء، إنما يعجب من لا يعلم؛ قال الأعمش: فذكرت لإبراهيم، فقال: إن شريحا كان يعجبه رأيه، إن عبد الله كان أعلم من شريح، وكان عبد الله يقرؤها: بل عجبت". [٣]

قال ابن بطة: "باب الإيمان بالتعجب، وقالت الجهمية: إن الله لا يعجب، قال الله عز وجل: **بل عجبت ويسخرون**، هكذا قرأها ابن مسعود، وقيل لإبراهيم: إن شريحا قرأها: **عجبت** [الصافات: ١٢] ، فقال: كان شريح معجبا برأيه، عبد الله بن مسعود أعلم من شريح، والتعجب على وجهين؛ أحدهما: المحبة بتعظيم قدر الطاعة، والسخط بتعظيم قدر الذنب، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**عجب ربك من شاب ليس له صبوة**». [٤]، أي: أن الله محب له، راض عنه، عظيم قدره عنده، والثاني: التعجب على معنى الاستنكار للشيء، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؛ لأن المتعجب من الشيء على معنى الاستنكار هو الجاهل به الذي لم يكن يعرفه، فلما عرفه ورآه استنكره، وعجب منه، وجل الله أن يوصف بذلك! وقد جاءت السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم بما دل على التعجب الأول» . [٥]

---

(١) أخرجه البخاري «٤٨٨٩» واللفظ له، ومسلم «٢٠٥٤» بلفظ: «قد عَجِب اللهُ من صَنيعِكما بضَيفِكما الليلةَ».

(٢) أخرجه البخاري «٣٠١٠».

(٣) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم بعد حديث «٤٦٩٢» مختصراً دون كلام شريح، والحاكم «٣٦٠٨»، والبيهقي في «الأسماء والصفات» «٩٩١». صححه الحاكِمُ على شرْط البخاري ومسلم.

(٤) أخرجه أحمد «١٧٣٧١»، وأبو يعلى «١٧٤٩»، والطبراني «٣٠٩/١٧» «٨٥٣» باختلافٍ يسيرٍ من حديث عُقبةَ بنِ عامر رَضِيَ اللهُ عنه.

(٥) يُنظر: «الإبانة الكبرى» «٧/ ١٣١».

وقال أبو يعلى الفراء بعد أن ذكر أحاديث في إثبات صفة العجب: "لا يمتنع إطلاق ذلك عليه وحمله على ظاهره؛ إذ ليس في ذلك ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه؛ لأنا لا نثبت عجبا هو تعظيم لأمر دهمه استعظمه لم يكن عالما به؛ لأنه مما لا يليق بصفاته، بل نثبت ذلك صفة كما أثبتنا غيرها من صفاته".(١)

وقال البغوي: "العجب من الله عز وجل ليس كالتعجب من الآدميين، كما قال: ﴿فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾ [التوبة: الآية: ٧٩]، وقال عز وجل: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ [التوبة: الآية: ٦٧]، والعجب من الآدميين: إنكاره وتعظيمه، والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار والذم، وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا".(٢)

وقال أبو القاسم الأصبهاني: "قال قوم: لا يوصف الله بأنه يعجب؛ لأن العجب ممن يعلم ما لم يكن يعلم، واحتج مثبت هذه الصفة بالحديث، وبقراءة أهل الكوفة: **بل عجبت ويسخرون**، على أنه إخبار من الله عز وجل عن نفسه".(٣)

وقال ابن أبي عاصم: "باب: في تعجب ربنا من بعض ما يصنع عباده مما يتقرب به إليه"(٤)، ثم سرد جملة من الأحاديث التي تثبت هذه الصفة لله عز وجل.(٥)

وقال عبد الغني المقدسي: "فمن صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه، ونطق بها كتابه، وأخبر بها نبيه ..." ثم عدد كثيرا من الصفات الثابتة إلى أن قال: "والعجب، والبغض والسخط، والكره والرضا، وسائر ما صح عن الله ورسوله، وإن نبت عنها أسماع بعض الجاهلين،

---

(١) يُنظر: «إبطال التأويلات» «ص: ٢٤٥».

(٢) يُنظر: «تفسير البغوي» «٤/ ٢٧».

(٣) ينظر: «الحجة في بيان المحجة» «٢/٤٥٧»..

(٤) يُنظر: «السنة» «١/ ٢٤٩».

(٥) ويُنظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية «٤/١٨١» «٦/ ١٢٣».

واستوحشت منها نفوس المعطلين". [١]

وممن أثبت صفة العجب لله عز وجل: ابن تيمية في العقيدة الواسطية، وشرح ذلك محمد خليل هراس بقوله: "قوله: «**عجب ربنا** ...» إلخ، هذا الحديث يثبت لله عز وجل صفة العجب" . [٢]

وقال ابن عثيمين: "كل صفة لها سبب فهي من الصفات الفعلية؛ فالضحك صفة فعلية، والفرح صفة فعلية، والعجب صفة فعلية، فكل صفة لها سبب فإنها صفة فعلية؛ لدخولها في الضابط المعروف عند العلماء: أن كل صفة تتعلق بمشيئته فهي صفة فعلية". [٣]

وقال أيضا: "دل على هذه الصفة القرآن الكريم؛ قال الله تعالى: ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ [الصافات: الآية: ١٢] ، على قراءة ضم التاء". [٤] . [٥]

ثانيًا: صفة الضحك:

وصفة الضحك صفة فعلية ثابتة لله عز وجل بالأحاديث الصحيحة. الدليل:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة**». [٦]

٢- حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا في آخر أهل النار خروجا منها،

---

(١) يُنظر: «الاقتصاد في الاعتقاد» «ص: ٨٠، ١٢١ - ١٢٣».

(٢) يُنظر: «شرح الواسطية» «ص: ٢٠٢».

(٣) يُنظر: «شرح صحيح البخاري» «٨/٤٠٩».

(٤) يُنظر: «شرح العقيدة الواسطية» «٢/ ٢٨».

(٥) المصدر الموسوعة العقدية على موقع الدرر السنية، صفة العجب.

(٦) أخرجه مطولاً البخاري «٢٨٢٦»، ومسلم «١٨٩٠» واللفظ له.

وآخر أهل الجنة دخولا فيها، وفيه: أنه قال مخاطبا الله عز وجل: «**أتسخر بي؟ أو أتضحك بي وأنت الملك؟**...».(١)

وأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة وغيرها من صفات الله عز وجل الثابتة له بالكتاب أو السنة الصحيحة؛ من غير تمثيل ولا تكييف، ويسلمون بذلك، ويقولون: كل من عند ربنا.

قال الشافعي: "لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه صلى الله عليه وسلم أمته... وأنه يضحك من عبده المؤمن بقول النبي صلى الله عليه وسلم للذي قتل في سبيل الله: «**إنه لقي الله وهو يضحك إليه**» (٢) ".(٣)

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام -لما قيل له: هذه الأحاديث التي تروى في: الرؤية، و«**الكرسي موضع القدمين**» (٤)، و«**ضحك ربنا من قنوط عباده**»، و«**إن جهنم لتمتلئ...**»، وأشباه هذه الأحاديث- قال رحمه الله: "هذه الأحاديث حق لا شك فيها؛ رواها الثقات بعضهم عن بعض".(٥)

---

(١) أخرجه البخاري «٦٥٧١»، ومسلم «١٨٦» واللفظ له.

(٢) أخرج نحوه البخاري «٢٨٢٦»، ومسلم «١٨٩٠» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ولفظ البخاري: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد».

(٣) يُنظر: «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى «٢٨٢/١»

(٤) «أخرجه عبدالرزاق في «التفسير» «٣٠٣٠»، وأبو الشيخ في «العظمة» «٥٨٢/٢»، والخطيب في «تاريخ بغداد» «٢٥١/٩». صححه الألباني في «مختصر العلو» «٤٥»، ووثق رواته الذهبي في «العلو»«٧٦»، وذكر ثبوته ابن تيمية في «تلبيس الجهمية» «٣٦٤/٨».

(٥) يُنظر: «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي الأندلسي «ص: ٢٠٠»، «التمهيد» لابن عبدالبَرِّ «١٤٩/٧». وراجع في هذه الصِّفة: كتاب «الحجَّة في بيان المحجَّة» لأبي القاسم الأصبهاني «٤٢٩/١» «٤٥٦/٢»، «المسائل والرسائل المرويَّة عن الإمام أحمد في العقيدة» «٣١٥/١»، «مجموع الفتاوى» لابن تيمية «١٢١/٦»، «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» للغنيمان «١٠٤/٢». ويُنظر: كلام البَغوي في صفة «الأصابع»، وكلامَ ابن كثيرٍ في صِفة «السَّمع».

وقال ابن خزيمة: "باب: ذكر إثبات ضحك ربنا عز وجل: بلا صفة تصف ضحكه جل ثناؤه، لا ولا يشبه ضحكه بضحك المخلوقين، وضحكهم كذلك، بل نؤمن بأنه يضحك، كما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم، ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا؛ إذ الله عز وجل استأثر بصفة ضحكه، لم يطلعنا على ذلك؛ فنحن قائلون بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، مصدقون بذلك بقلوبنا، منصتون عما لم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه". (١)

ومعنى قوله: "بلا صفة تصف ضحكه"، أي: بلا تكييف لضحكه. وقال الآجري: "باب الإيمان بأن الله عز وجل يضحك: اعلموا -وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل- أن أهل الحق يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه عز وجل، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم. وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له، والإيمان به؛ أن الله عز وجل يضحك، كذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن صحابته رضي الله عنهم؛ فلا ينكر هذا إلا من لا يحمد حاله عند أهل الحق". (٢)

وقال ابن بطة: "سألت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب اللغة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**ضحك ربنا من قنوط عباده، وقرب غيره**»، فقال: الحديث معروف، وروايته سنة، والاعتراض بالطعن عليه بدعة، وتفسير الضحك تكلف وإلحاد". (٣)

وقال ابن بطة: "باب الإيمان بأن الله عز وجل يضحك، قال الشيخ: اعلموا -رحمكم الله- أن من صفات المؤمنين من أهل الحق تصديق الآثار الصحيحة، وتلقيها بالقبول، وترك الاعتراض عليها بالقياس، ومواضعة القول بالآراء والأهواء؛ فإن الإيمان تصديق، والمؤمن هو المصدق؛ قال الله عز وجل ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا

(١) يُنظر: كتاب «التوحيد» «٢/٥٦٣».

(٢) يُنظر: «الشريعة» «ص: ٢٧٧».

(٣) يُنظر: «الإبانة الكبرى» «٧/ ١١٢»..

يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء: الآية: ٦٥] ، فمن علامات المؤمنين أن يصفوا الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم مما نقلته العلماء، ورواه الثقات من أهل النقل، الذين هم الحجة فيما رووه من الحلال والحرام والسنن والآثار، ولا يقال فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف؟ ولا لم؟ بل يتبعون ولا يبتدعون، ويسلمون ولا يعارضون، ويتيقنون ولا يشكون ولا يرتابون، فكان مما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، رواه أهل العدالة، ومن يلزم المؤمنين قبول روايته وترك مخالفته: أن الله تعالى يضحك، فلا ينكر ذلك ولا يجحده إلا مبتدع مذموم الحال عند العلماء، داخل في الفرق المذمومة وأهل المذاهب المهجورة، عصمنا الله وإياكم من كل بدعة وضلالة برحمته". (١)

وقال أبو إسماعيل الصابوني: "وكذلك يقولون أي: بالإثبات في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح؛ من السمع والبصر والعين... والضحك وغيرها ..." (٢) .

وقال البغوي: "كل ما جاء به الكتاب أو السنة من هذا القبيل في صفات الله سبحانه وتعالى، كالنفس، والوجه، والعين، واليد، والرجل، والإتيان، والمجيء، والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك، والفرح... فهذه ونظائرها صفات لله عز وجل، ورد بها السمع، يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها معرضا فيها عن التأويل، مجتنبا عن التشبيه، معتقدا أن الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: الآية: ١١] .

وعلى هذا مضى سلف الأمة وعلماء السنة، تلقوها جميعا بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها

---

(١) يُنظر: «الإبانة الكبرى» «٧/ ٩١».

(٢) يُنظر: «عقيدة السَّلف أصحاب الحديث» «ص: ٥».

عن التمثيل والتأويل، ووكلوا العلم فيها إلى الله عز وجل، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن الراسخين في العلم، فقال عز وجل: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ [آل عمران: الآية: ٧]". [١]

وقال أبو القاسم الأصبهاني: "قال أهل السنة: ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الصفات بأسانيد صحاح فهو حق. وقال أحمد في رواية حنبل: يضحك الله، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد نص أحمد على القول بظاهر الأخبار من غير تشبيه ولا تأويل". [٢]

وقال ابن قدامة المقدسي: "قوله: «**يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر، ثم يدخلان الجنة**»، فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت رواته، نؤمن به، ولا نرده ولا نجحده، ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا بسمات المحدثين، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير [الشورى: الآية: ١١] ، وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال، فإن الله تعالى بخلافه". [٣]

وقال ابن تيمية: "أما الضحك فكثير في الأحاديث. ولفظ البشبشة جاء أيضًا أنه يتبشبش للداخل إلى المسجد كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم، وجاء في الكتاب والسنة ما يلائم ذلك ويناسبه شيء كثير.

فيقال لمن نفى ذلك: لم نفيته؟ ولم نفيت هذا المعنى، وهو وصف كمال لا نقص فيه، ومن يتصف به أكمل ممن لا يتصف به؟". [٤]

وقال علاء الدين ابن العطار: "فإذا نطق الكتاب العزيز ووردت الأخبار الصحيحة

---

(١) يُنظر: «شرح السنة» «١/ ١٦٨ - ١٧١».

(٢) يُنظر: «الحجة في بيان المحجة » «١/ ٤٧٣».

(٣) يُنظر: «لمعة الاعتقاد» «ص: ١١».

(٤) يُنظر: «النبوات» «١/ ٤٤٩».

بإثبات السـمع والبصـر، والعين والوجه، والعلم، والقوة والقدرة، والعظمة، والمشـيئة والإرادة، والقول والكلام، والرضا والسخط، والحب والبغض، والفرح والضحك؛ وجب اعتقاد حقيقته من غير تشبيه بشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، والانتهاء إلى ما قاله الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، من غير إضافة ولا زيادة عليه، ولا تكييف ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تبديل، ولا تغيير وإزالة لفظ عما تعرفه العرب وتضـعه عليه، والإمسـاك عما سوى ذلك". [١]

وقال محمد بن إبراهيم آل الشيخ: "مما ورد في إثبات صفة الضحك لله جل وعلا ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة**»". [٢]

وقال ابن عثيمين: "في هذا إثبات الضـحك لله عز وجل، وهو ضـحك حقيقي، لكنه لا يماثل ضـحك المخلوقين، ضـحك يليق بجلاله وعظمته، ولا يمكن أن نمثله؛ لأننا لا يجوز أن نقول: إن لله فما أو أسـنانا أو ما أشـبه ذلك، لكن نثبت الضـحك لله على وجه يليق به سبحانه وتعالى". [٣] [٤]

---

(١) يُنظر: «الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد» «ص: ١٣٢».

(٢) يُنظر: «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم» «١٣/ ١٣٦».

(٣) يُنظر: «شرح العقيدة الواسطية» «٢/ ٢٤»..

(٤) المصدر الموسوعة العقدية على موقع الدرر السنية، صفة الضحك.

٤١- إثبات القدم لله عز وجل

[٤١]- قال المصنف رحمه الله: وقولُه ﷺ: «**لا تزالُ جَهنَّمُ يُلقى فيها، وهي تقول: هل مِن مَزيد؟ حتى يَضَعَ ربُّ العِزَّة فيها رِجلَه**»، وفي رواية: «**عليها قَدَمَهُ، فيَنْزَوي بعضُها إلى بعض، وتقول: قَطٍ قَطٍ**». مُتَّفقٌ عليه.

الشرح

صفة القدم ذاتية ثابتة لله –عز وجل– بصحيح السنة.

الدليل على ذلك:

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اختصمت الجنة والنار إلى ربها، فقالت الجنة: رب ما لها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس، وقالت النار: أوريت بالمتكبرين–يعني أجحت بهم–فقال الله للجنة أنت رحمتي، وقال للنار: أنت عذابي، أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها. قال: فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدا، وإنه ينتهي إلى النار من يشاء فيلقون فيها، فتقول: هل من مزيد؟ ثلاثا حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ ويرد بعضها إلى بعض وتقول: قط قط ثلاثا**»(١).

أثر ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره**»(٢).

أثر أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «**الكرسي موضع القدمين، وله أطيط كأطيط الرحل**»(٣).

ومن أقوال السلف في إثبات هذه الصفة:

---

(١) أخرجه البخاري «٤٨٥٠»، ومسلم «٢٨٤٦».

(٢) أخرجه الطبري في «التفسير» «٥٧٨٩»، وابن مَنْدَهْ في «الرد على الجهمية» «٩»، والبيهقي في «الأسماء والصفات» «٨٥٩». صححه الألباني في «مختصر العلو» «٧٥»، وصحَّح إسنادَه ابنُ حَجَر في «فتح الباري» «٨/٤٧».

(٣) يُنظر: «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى «١/٢٨٢».

قال الشافعي: "لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه صلى الله عليه وسلم أمته... وأن له قدما، بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**حتى يضع الرب فيها قدمه**» يعني جهنم...". [(١)]

قال الترمذي: "روي عن النبي صلى الله عليه وسلم روايات كثيرة، مثل: هذا ما يذكر فيه أمر الرؤية؛ أن الناس يرون ربهم، وذكر القدم، وما أشبه هذه الأشياء، والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة–مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع، وغيرهم–أنهم رووا هذه الأشياء، ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث، ونؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث؛ أن تروى هذه الأشياء كما جاءت، ويؤمن بها، ولا تفسر، ولا تتوهم، ولا يقال: كيف؟ وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه".

وقال ابن جرير: "القول فيما أدرك علمه من صفات الصانع خبرا لا استدلالا... وذلك نحو إخبار الله تعالى ذكره إيانا أنه سميع بصير... وأن له قدمًا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**حتى يضع الرب قدمه فيها**» يعني: جهنم". [(٢)]

وقال ابن خزيمة: "باب ذكر إثبات الرجل لله عز وجل وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية، الذين يكفرون بصفات خالقنا عز وجل، التي أثبتها لنفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم". [(٣)]

وقال الأزهري: "في الحديث: أن جهنم تمتلئ حتى يضع الله فيها قدمه. روي عن الحسن أنه قال: معناه: حتى يجعل الله فيها الذين قدمهم من شرار خلقه إليها، فهم قدم الله للنار، كما أن المسلمين قدمه للجنة.

وأخبرني محمد بن إسحاق السعدي عن العباس الدوري أنه سأل أبا عبيد عن تفسيره

---

(١) يُنظر: «سنن الترمذي» «٤/٦٩١».

(٢) يُنظر: «التبصير في معالم الدين» «ص: ١٣٢-١٣٤».

(٣) يُنظر: «التوحيد» «١/ ٢٠٢».

وتفسير غيره من حديث النزول والرؤية، فقال: هذه أحاديث رواها لنا الثقات عن الثقات حتى رفعوها إلى النبي عليه السلام، وما رأينا أحدا يفسرها، فنحن نؤمن بها على ما جاءت ولا نفسرها. أراد أنها تترك على ظاهرها كما جاءت". [(١)]

وقال ابن أبي زمنين: "ومن قول أهل السنة: أن الكرسي بين يدي العرش، وأنه موضع القدمين". [(٢)]

وقال أبو يعلى الفراء: "اعلم أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره، وأن المراد به «**قدم**» هو صفة لله تعالى، وكذلك الرجل". [(٣)]

وبوب أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه «**الأربعون في دلائل التوحيد**» "باب: الدليل على أن القدم هي الرجل". [(٤)]

وقال البغوي: "القدم والرجلان المذكوران في هذا الحديث من صفات الله سبحانه وتعالى، المنزه عن التكييف والتشبيه، وكذلك كل ما جاء من هذا القبيل في الكتاب أو السنة؛ كاليد، والإصبع، والعين، والمجيء، والإتيان. فالإيمان بها فرض، والامتناع عن الخوض فيها واجب، فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر معطل، والمكيف مشبه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير [الشورى: الآية: ١١]". [(٥)]

ولا يلزم من إثبات القدمين لله عز وجل التجسيم، ولا التشبيه، فهو سبحانه ليس له شبيه

---

(١) يُنظر: «تهذيب اللغة» «٩/ ٥٥».

(٢) يُنظر: «أصول السنة» «ص: ٩٦»..

(٣) يُنظر: «إبطال التأويلات» «١/١٩٥».

(٤) يُنظر: الأربعون في دلائل التوحيد «ص: ٧٨»..

(٥) يُنظر: «شرح السنة» «١٥/ ٢٥٧».

ولا مثيل في أسمائه ولا في صفاته. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]

وأهل السنة والجماعة يثبتون القدمين لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته، وهما ليستا جارحتين ولا يقال ذلك خلافا للمشبهة، ويثبتونها له عز وجل من غير تعطيل خلافا للجهمية المعطلة[١].

ثم لا نخوض في كيفية اتصاف الله عز وجل بتلك الصفة، فإيماننا بهذه الصفة إيمان وجود؛ فنعلم أن هذه الصفة حقيقية، وأن الله متصف بها حقيقة دون الخوض في كيفية اتصافه جل وعلا بها.

فالصفات التي ذكرها المصنف هنا هي من باب الاستدلال على جانب التأصيل لهذه المسألة، وأنَّ هذه الأسماء وهذه الصفات جاءت في القرآن والسنة لذا وجب الإيمان بها. وسيأتي بعد ذلك جانب التقرير عند كلامه عن صفة العلو وعن صفة الكلام.

قال العلّامة ابن القيّم رحمه الله: "قال أبو العباس بن سُرَيج: وقد صَحَّ عن جميع أهل الدِّيانة والسُّنَّة إلى زماننا: أنَّ جميعَ الآثار والأخبار الصَّادِقة عن رسول الله ﷺ في الصِّفات، يجب على المسلم الإيمانُ بها، وأن السُّؤال عن معانيها بِدْعَة، والجواب كُفْر وزَنْدقة، مثل قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥]، ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ [الفجر: ٢٢]، ونظائرها مِما نطَق به القرآنُ كالفَوْقِيَّة والنَّفْس واليَدَين والسَّمع والبصر وصُعود الكلام الطيِّب إليه والضَّحِك والتَّعجب والنُّزول كلَّ ليلة إلى سماء الدُّنيا"[٢].

وقد ذكر رحمه الله أن ابن عبد البَرّ نقل أن «**أهل السُّنَّة مُجمِعون على الإقرار بالصِّفات الوارِدة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحَمَلِها على الحقيقة لا على المَجاز؛ لأنهم لا**

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية ١٢٣/٨٢ — مجموعة من المؤلفين

(٢) «مُختصَر الصَّواعق» «ص٤٤٥».

يُكيِّفون شيئًا من ذلك»[١].

ثم قال: "وقال الخَلَّال: أخبَرَني عليُّ بن عيسى أن حَنْبلًا حدَّثهم قال: سألتُ أبا عبد الله عن الأحاديث التي تُروى أن الله عز وجل يَنزِل إلى سماء الدُّنيا، وأن الله يُرى، وأنَّ الله يضَع قدَمه... وما أشبه ذلك! فقال أبو عبد الله: نُؤمِن بها ونُصدِّق بها، ولا كَيْفَ ولا مَعنى، ولا نَرُدُّ منها شيئًا، ونَعلم أنَّ ما جاء به الرَّسُولُ حقٌّ إذا كانت بأسانيدَ صِحاحٍ".

قال ابن عثيمين رحمه الله: لله تعالى رجلًا وقدمًا حقيقية، لا تماثل أرجل المخلوقين، ويسمي أهل السنة مثل هذه الصفة: الصفة الذاتية الخبرية؛ لأنها لم تعلم إلا بالخبر، ولأن مسماها أبعاض لنا وأجزاء، لكن لا نقول بالنسبة لله: إنها أبعاض وأجزاء؛ لأن هذا ممتنع على الله عز وجل.

وخالف الأشاعرة وأهل التحريف في ذلك، فقالوا: «**يضع عليها رجله**»؛ يعني: طائفة من عباده مستحقين للدخول، والرجل تأتي بمعنى الطائفة؛ كما في حديث أيوب عليه الصلاة والسلام[٢]؛ أرسل الله إليه رجل جراد من ذهب؛ يعني: طائفة من جراد.

وهذا تحريف باطل؛ لأن قوله: «**عليها**»: يمنع ذلك.

وأيضًا؛ لا يمكن أن يضيف الله عز وجل أهل النار إلى نفسه؛ لأن إضافة الشيء إلى الله تكريم وتشريف.

وقالوا في القدم: قدم؛ بمعنى: مقدم؛ أي: يضع الله تعالى عليها مقدمه؛ أي: من يقدمهم إلى النار.

وهذا باطل أيضًا؛ فإن أهل النار لا يقدمهم الباري عز وجل، ولكنهم ﴿يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣]، ويلقون فيها إلقاء؛ فهؤلاء المحرفون فروا من شيء ووقعوا في شرَّ منه؛ فروا من تنزيه الله عن القدم والرجل، لكنهم وقعوا في السفه ومجانبة الحكمة في أفعال الله

(١) «مُختصَر الصَّواعق» «ص٤٤٦».

(٢) رواه البخاري «٣٣٩١، ٧٤٩٣» عن أبي هريرة رضي الله عنه

عز وجل.

والحاصل أنه يجب علينا أن نؤمن بأن لله تعالى قدمًا، وإن شئنا؛ قلنا: رجلًا؛ على سبيل الحقيقة؛ مع عدم المماثلة، ولا نكيّف الرجل؛ لأن النبي - ﷺ - أخبرنا بأن لله تعالى رجلًا أو قدمًا، ولم يخبرنا كيف هذه الرجل أو القدم، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]". (١)

وقال البراك: "في هذا الحديث إثبات الرجل والقدم له سبحانه وتعالى، وأهل السنة يثبتون لله ما جاء في هذا الحديث على حقيقته، كما يثبتون سائر الصفات، كما يثبتون اليدين والعينين له سبحانه وتعالى، ويقولون: إن له تعالى قدمين، كما جاء في الأثر المشهور عن ابن عباس في تفسير الكرسي: أنه موضع القدمين، أي: قدمي الرب سبحانه وتعالى". (٢)

وقال عبد الله الغنيمان –بعد ذكر روايات صفة القدم والرجل–: «**ففي مجموع هذه الروايات البيان الواضح بأن القدم والرجل –وكلاهما عبارة عن شيء واحد– صفة لله تعالى حقيقة، على ما يليق بعظمته**". (٣) . (٤)

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين «٢/ ٣٣».

(٢) يُنظر: «توضيح مقاصد العقيدة الواسطية» «ص: ١٧٣».

(٣) يُنظر: «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» «١٥٦/١». ويُنظر لهذه الصفة: كتاب «التوحيد» لابن خزيمة «٢٠٢/١»، «رد الدارمي على المريسي» «ص: ٦٧-٧٠»، «إبطال التأويلات» للفراء «ص: ١٩٢»، «الجواب الصحيح» لابن تيميَّة «١٥١/٣»، ويُنظر كلامُ ابن كثير في صفة: «الأصابع».

(٤) المصدر: الموسوعة العقدية على موقع الدرر السنية «صفة الرجل والقدمان».

٤٢- إثبات الصوت لله

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: حد الصوت.

المسألة الثانية: الأدلة على إثبات الصوت.

المسألة الثالثة: أقوال العلماء في إثبات الصوت.

المسألة الرابعة: الأقوال في مسألة الصوت.

المسألة الخامسة: أصل الخلاف في مسألة الصوت.

المسألة السادسة: الصوت المسموع من القارئ



[٤٢]- قال المصنف رحمه الله: وقوله: «يقولُ اللهُ تعالى يا آدمُ، فيقول: لَبَّيْكَ وسَعْديكَ، فيُنادي بصَوتٍ: إنَّ اللهَ يأمُركَ أنْ تُخرج من ذُرِّيَّتِك بَعْثًا إلى النَّار». مُتَّفَقٌ عليه؛ وقوله: «ما مِنكم من أحدٍ إلا سيُكَلِّمه ربُّه ليس بينه وبينه ترجمان».

الشرح

المسألة الأولى: حد الصوت.

قال المرداوي: "وحد الصوت: ما يتحقق سماعه، فكل متحقق سماعه صوت، وكل ما لا يتأتى سماعه البتة ليس بصوت، وحجة الحد كونه مطردًا منعكسًا.

وقول من قال: إن الصوت هو الخارج من هواء بين جرمين، فغير صحيح، لأنه يوجد سماع الصوت من غير ذلك، كتسليم الأحجار، وتسبيح الطعام والجبال، وشهادة الأيدي والأرجل، وحنين الجذع،

وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: الآية: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: الآية: ٣٠]، وما لشيء من ذلك منخرق بين جرمين". (١)

المسألة الثانية: الأدلة على إثبات الصوت

وأمَّا كلامُهُ تعالى بصَوْتٍ، فقد قامت الدَّلائلُ القَواطِعُ على إثباتِهِ، وهو كسائِرِ صفاتِهِ تعالي، كلما أنَّها لا تَشْبَهُ صفاتِ المخلوقينَ، فصوتُهُ تعالى لا يشبَهُ أصواتَهم، وقياسُ الخالِقِ على المخلوقِ تَشْبيهٌ، والله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، في ذاتِهِ، وجَميعِ صفاتِهِ.

والأدلَّةُ على إثباتِ كلامِ الله تعالى بصَوْتٍ كثيرةٌ، منها:

أولًا: الأدلة من القرآن:

١ - تكليمُهُ تعالى لموسى عليه السَّلام، فإنَّه قالَ له: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [طه: الآية:

(١) التحرير شرح التحبير «٣/ ١٣٤٦-١٣٤٥».

١٣].

فَدَلَّ هذا على أنَّهُ سَمِعٍ كلامَ الله تعالى، ولا يُسْمَعُ إلاَّ الصَّوْتُ، وربُّنا تعالى قَدْ خاطَبَنا باللِّسانِ العَرَبِيّ الذي نفْهَمُهُ، وليسَ فيه سَماعٌ يحصَل من غير صَوْتٍ. (١)

وسبق أنْ بيّنّا أنَّ كلامَ الله لموسى كانَ أعلى درجاتِ التَّكليمِ، وليس هو من جنسْ الإلهاماتِ، وإنَّما هو كلامٌ مسموعٌ بالآذانِ.

وقد قالَ عبد الله بن أحمدَ بن حَنبل-«**ت: ٢٩٠ هـ**»: سألْتُ أبي رحمه الله عن قومٍ يقولونَ: لما كلَّمَ الله موسى لم يتكلَّمْ بصَوْتٍ؟ فقال أبي:

"بَلَى، إنَّ ربَّكَ-عَزَّ وَجَلَّ-تَكَلَّمَ بصَوْتٍ، هذه الأحاديثُ نَرْويها كما جاءت". (٢)

واحتجَّ لذلكَ بحديث ابن مَسعودٍ الآتي.

وقالَ الإمام أبو بكر المَرُّوذِيُّ-رحمه الله-«**ت: ٢٧٥ هـ**» صاحبُ الإمام أحمدَ: سمعتُ أبا عبد الله -يعني أحمدَ- وقيل له: إنَّ عبْدَ الوهّاب قَدْ تكلَّم وقالَ: مَنْ زعَمَ أنَّ الله كلَّمَ موسى بلا صَوْتٍ فهو جَهميٌّ عدُوُّ الله وعدوُّ الإسلام، فتبسَّمَ أبو عبد الله وقال: "ما أحسَنَ ما قال، عافاه الله". (٣)

وقال عبدُ الله بن أحمدَ-رحمه الله-«**ت: ٢٩٠ هـ**» أيضًا: قلتُ لأبي: إنَّ ههُنا مَنْ يقولُ: إنَّ الله لا يتكلَّمُ بصوتٍ، فقال: "يا بُنيَّ، هؤلاء جَهْميَّةٌ زنادِقَةٌ، إنَّما يَدوُرونَ على التَّعطيل" وذكرَ الآثارَ في خِلاف قَوْلهم. (٤)

٢ – إخبارُه تعالى عن ندائِهِ لموسى عليه السَّلام، ولعبادهِ يومَ القيامةِ.

---

(١) انظر: "درء تعارض العقل والنقل" «٢/ ٩٣».

(٢) رواه عبد الله في "السنة" رقم «٥٣٣» عنه.

(٣) رواه الخلاّل عن المرّوزي به –كما في "درء التعارض «٢/ ٣٨ – ٣٩».

(٤) ذكر هذا النّص شيخ الإسلام –كما في "مجموع الفتاوى" «١٢/ ٣٦٨»–ونسبه إلى "كتاب السنة" لعبد الله، ولم أقف عليه فيه، فلعله وقع له في نسخة.

وذلك في عدَّةِ مَواضِعَ مِن كتابِهِ، منها:

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: الآيات: ١٥، ١٦]

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: الآية: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾ [طه: الآية: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: الآية: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: الآيات: ٦٢، ٧٤].

والنِّداءُ: قال الجوهَريّ–رحمه الله–«**ت: ٣٩٣ هـ**»: "الصَّوْتُ، وقد يُضَمّ، مثل: الدُّعاء، والرُّغاء، وناداه مُناداةً، ونِداءً، أي: صاحَ به". (١)

وفي "اللسان": النِّداءُ –ممدودٌ– الدُّعاءُ بأرفَعِ الصَّوْت، وقد نادَيْتُه. (٢)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "والنِّداء في لغة العَرَب: هو صوتٌ رَفيعٌ، لا يُطلَق النِّداء على ما ليسَ بصوتٍ، لا حَقيقةً ولا مَجازًا". (٣)

وما قالَه ابن تيمية مُوافِق لِما ذكر عن أهلِ اللغةِ من أنَّ النداءَ الصَّوتُ الرَّفيعُ.

فإذا عُلِمَ هذا ثَبَتَ أنَّ الله تعالى نادى موسى بصَوْتٍ، ويُنادِي بصَوتٍ عبادَه يومَ القيامةِ.

ثانيًا: الأدلة من السنة.

١– حديثُ عبد الله بن أنَيسٍ–رضي الله عنه–«**ت: ٥٤ هـ**»، قال: سمعتُ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– يقول:

«يَحْشُرُ الله العبادَ –أو الناسَ– عُراةً غُرْلًا بُهْمًا".

---

(١) "الصحاح" مادة «ندا». نِداءً" «٣٠».

(٢) "اللسان" مادة «ندي».

(٣) "مجموع الفتاوى" «٦/ ٥٣١».

قلنا: ما بُهْماً؟ قال:

"ليسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، فَيُناديهم بصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ -أحسَبُه قالَ: كما يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ-: أنا المَلِكُ، أنا الدَّيَّانُ ...». الحديث.[1]

وهذا الحديثُ صَريحٌ في إثْباتِ كلام الرَّبِّ تعالى بصَوْتٍ، وقَد احْتجَّ به على ذلك إمامُ أهل الحديث محمَّدُ بن إسماعيل البُخاريُّ-رحمه الله-«**ت: ٢٥٦ هـ**»، فقال:

"وإنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- ينادي بِصَوْتٍ، يَسْمَعُه مَنْ بَعُدَ كما يَسْمَعه من قَرُبَ، فليسَ هذا لغير الله جَلَّ ذكرُه، وفي هذا دليلٌ أنَّ صوتَ الله لا يشبهُ أصواتَ الخَلْقِ، لأنَّ صوتَ الله جلَّ ذكرُهُ يُسْمَع من بُعْدٍ كما يُسْمَع من قُرْبٍ ... " ثُمَّ أسنَدَ الحديثَ.[2]

٢- حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت: ٥٧ هـ**»، أنَّ نبيَّ الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إذا قَضى اللهُ الأمرَ في السَّماءِ ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بأجْنِحَتِها خُضْعانًا لقولِهِ، كأنَّه سلْسِلَةٌ على صَفْوانٍ، فإذا فُزِّعَ عن قُلوبِهِم قالوا: ماذا قالَ**».[3]

ولقد أبى بعضُ أهل البدع الاحتجاجَ بهذا الحديث على إثبات الصوت لله تعالى، وأوَّلَه بأنَّه من مَجاز الحذف، والتقدير: يأمر من ينادي.

- وهذا باطلٌ من أوجهٍ:

الأول: أنَّ الأصلَ في الإطلاق الحقيقة، وهذا ربَّما وافقنا فيه المبتدع في مواضع أُخرى.

والثاني: أنَّ التقدير إنَّما يُصار إله في أحد حالين:

- دلالة القرينة.

- عدم استقامة السياق.

وكلاهما منتفٍ هُنا، فلا قرينةَ تدعو إلى هذا التقدير سِوى التنزيه في دعوى المبتدع، وهو

---

(١) أخرجه البخاري معلقا بصيغة التمريض مختصراً قبل حديث «٧٤٨١»، وأخرجه موصولًا أحمد «١٦٠٤٢» مطولا باختلاف يسير.

(٢) "خلق أفعال العباد" «ص: ١٤٩».

(٣) أخرجه البخاري «٤٨٠٠».

عندنا غير مُنتفٍ، وشأنها كسائر صفات الباري تعالى، نُثْبِتُها مع التنزيه.

وأمَّا السياق فهو مستقيمٌ لا اضطرابَ فيه، ويؤكِّده الوجهُ الآتي.

والثالث: أنَّه خُروجٌ عن الظاهر بغير برهان، بلْ إنَّ البرهانَ ضِدُّه، ألا تَراه قال: "أنا الملِكُ، أنا الديّان ... "؟ فهل يُناسبُ أن يكون هذا كلاماً لغير الله مِن مَلَكٍ أو غيرِه؟

ربُّكُم؟ قالوا للَّذي قال: الحَقَّ، وهو العليُّ الكبيرُ". (١)

وفي لفظ: **«إنَّ الله إذا قضى أمْراً في السَّماءِ، ضَرَبتِ الملائكةُ بأجْنِحتِها جَميعاً، ولقولِهِ صَوْتٌ كصَوْتِ السِّلْسِلةِ على الصَّفا الصَّفوانِ، فذلكَ قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: الآية: ٢٣]»**. (٢)

ووجه الاستدلال بهذا اللَّفظ ظاهرٌ، وذلكَ أنَّ قولَه: "ولقوله صوتٌ كصوتِ السِّلْسِلَة" صَريحٌ في أنَّ قولَه تعالى وكلامَه يكون بصوتٍ.

وأمَّا اللفظُ الأوَّل فإنَّ الضَّميرَ في قوله: "كأنَّه سِلْسِلة" عائدٌ إلى أقرب مذكورٍ، وهو قوله: "لقولِه" فقوله: "سِلْسِلَة على صَفْوان" تضمَّنَ إثباتَ الصَّوتِ للمُخْبَرِ عنه الذي هو القولُ، فيظهرُ بهذا إثباتُ قولِهِ تعالى وكلامِهِ بصَوْتٍ.

ولكنَّ بعضَ أهل البِدَع أبَوْا ذلك من أجْلِ أنْ يُبْطلوا تَكَلُّمَ الرَّبِّ تعالى بصَوْتٍ، فقالوا: الضَّميرُ في قوله: "كأنَّه" عائدٌ على أجنحةِ الملائكةِ، فالصَّوتُ صَوْتُ أجْنِحةِ الملائكةِ.

ولهذا ظاهرُ البُطلانِ لوَجهين:

الأول: أنَّ الضَّميرَ في الأصْل يعودُ إلى أقرَب مذكورٍ.

والثاني: أنَّه ضميرُ مذكَّرٍ، ولو كان عائداً على أجنحةِ الملائكة لكانَ مؤنَّثاً.

فإن قيلَ: هذان الوجهان تصرفهُما القَرائن!

قلنا: نعَمْ، إن وُجِدتْ، لكنَّها هنا مُنْتفية، يؤكِّدُ نفْيَها اللَّفظُ الثاني

(١) أخرجه البخاري «٨/ ٣٨٠، ٥٣٧» و «١٣/ ٤٥٣».

(٢) أخرجه ابن جرير في "التفسير" «٢٢/ ٩١».

لحَديث أبي هُرَيْرَة كما تَراه.

والحديثُ مِمَّا احتجَّ به البخاريُّ-رحمه الله-«**ت: ٢٥٦ هـ**»، لإِثباتِ تَكَلُّم الرَّبِّ تعالى بصَوْتٍ. (١)

٣- حديث عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-«**ت: ٣٢ هـ**» قال:

"إنَّ الله إذا تكلَّمَ بالوَحْي، سَمِعَ أهلُ السماواتِ للسَّماءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسلةِ على الصَّفا، فيُصْعَقونَ، فلا يزالونَ كذلك حتى يأتيَهم جِبريلُ، فإذا جاءَهم جِبْريلُ فُزِّعَ عن قُلوبِهم، قال: فيقولونَ: يا جبريلُ، ماذَا قالَ رَبُّكَ؟ قال: الحَقَّ". (٢)

وفي لفظٍ عن عبد الله قال:

"إذا تكلَّمَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالوحْيِ سَمِعَ صوتَهُ أهلُ السَّماءِ، فَيَخِرّونَ سُجْداً ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: الآية: ٢٣]، قال: سُكِّنَ عنْ قُلُوبِهِم -نادى أهلُ السَّماءِ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقَّ ...﴾ [سبأ: الآية: ٢٣]، قال: كَذا وكَذا". (٣)

وهذا الحديث مما احتجّ به الإمامُ أحمد لإثبات كلام الربّ تعالى بصوتٍ.

قال ابنُه عبد الله، قال أبي رحمه الله:

"حديث ابن مسعود-رضي الله عنه-«**ت: ٣٢ هـ**»: إذا تكلَّم الله عَزَّ وَجَلَّ سُمِعَ له صَوْتٌ كَجَرّ السِّلْسِلة على الصَّفْوان".

قال أبي: "وهذا الجهميةُ تُنْكِرُهُ".

وقال أبي: هؤلاء كُفَّارٌ، يُريدونَ أن يُمَوّهوا على النَّاسِ، مَنْ زَعَمَ أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لم يتكلَّمْ

---

(١) "خلق أفعال العباد" «ص: ١٥١».

(٢) أخرجه ابن خزيمة في "التوحيد" «ص: ١٤٦، ١٤٧»، وابن جرير «٢٢/ ٩٠»، وعبد الله بن أحمد في "السُّنَّة" رقم «٥٣٧» والبيهقي في "الأسماء والصفات".

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في "السُّنَّة" رقم «٥٣٦» والخَلاَّل -كما في "درء التعارض" «٢/ ٣٨»، عن الإمام أحمد.

فهو كافرٌ، إلاَّ أنَّا نروي هذه الأحاديث كما جاءَت". [(١)]

المسألة الثالثة: أقوال العلماء في إثبات الصوت.

قال البخاري-رحمه الله-«**ت: ٢٥٦ هـ**»، في إثبات الصوت: "وأن الله عز وجل ينادي بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله جل ذكره.

قال أبو عبد الله: وفي هذا دليل على أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوته جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا تنادى الملائكة لم يَصعقوا". [(٢)]

وقال ابن أبي عاصم-رحمه الله-«**ت: ٢٨٧ هـ**»: "باب ذكر الكلام والصوت والشخص وغير ذلك". [(٣)]

قال البربهاري-رحمه الله-«**ت:٣٢٩ هـ**»: "الإيمان بأن الله تبارك وتعالى هو الذي كلم موسى بن عمران يوم الطور، وموسى يسمع من الله الكلام بصوت وقع في مسامعه منه لا من غيره، فمن قال غير هذا فقد كفر". [(٤)]

وقال ابن بطة-رحمه الله-«**ت: ٣٨٧ هـ**»: "فمن أنكر أنَّ اللهَ كَلَّم موسى كلامًا بصَوتٍ تَسمَعُه الأذنانِ، وتَعِيه القلوبُ، لا واسِطةَ بينهما ولا تَرْجمانَ ولا رسولَ؛ فقد كفر باللهِ العَظيمِ، وجَحَد بالقرآنِ، وعلى إمامِ المسلمين أن يَستتيبه، فإن تاب ورجَع عن مقالتِه، وإلَّا ضَرَب عُنُقَه". [(٥)]

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في "السُّنَّة" رقم «٥٣٤»، ونحوه روى الخلاَّلُ عن يعقوب بن بختان -أحد الثقات من أصحاب أحمد-عن أحمد-كما في "درء التعارض" «٢/ ٣٨».

(٢) "خلق أفعال العباد"، للبخاري، «ص: ١٤٩».

(٣) يُنظر: «السُّنَّة» «١/٢٢٥».

(٤) يُنظر: «الإبانة الكبرى» «٦/ ٣٠٦».

(٥) يُنظر: «شرح السنة» «ص: ٨٤».

وقال الحافظُ أبو نَصْرٍ السِّجْزيُّ-رحمه الله-«**ت: ٤٤٤ هـ**»: "وليسَ في وجود الصَّوْتِ من الله تعالى تَشبيهٌ بمَنْ يوجَد الصَّوْتُ منه من الخَلْق، كما لَم يكنْ في إثباتِ الكلامِ له تشبيهٌ بمَنْ له كلامٌ من خلقِهِ". (١)

وقال الإمام ابن قدامة-رحمه الله-«**ت: ٦٢٠ هـ**»: "ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: الآية: ١٦٤] وقال سبحانه: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٤] وقال سبحانه: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٣] وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: الآية: ٥١] وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى - إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: الآية: ١١ - ١٢] وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: الآية: ١٤] وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه-«**ت: ٣٢ هـ**»: " إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء "، روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عبد الله بن أنيس عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: «**يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان**»، رواه الأئمة واستشهد به البخاري". (٢)

وقال النووي-رحمه الله-«**ت: ٦٧٦ هـ**»: "فصل: في إثبات الصوت لله تعالى. ينطق الكتاب العزيز بذلك في مواضع؛ منها في سورة القصص ﴿فلما أتاها نودي﴾ [القصص:

(١) "درء تعارض العقل والنقل" «٢/ ٩٣».

(٢) "لمعة الاعتقاد" «ص: ١٥». "خلق أفعال العباد"، للبخاري، «ص: ١٤٩».

الآية: ٣٠] .

وفي سورة النمل ﴿فلما جاءها نودي﴾ [النمل: الآية: ٨] ، وفي طه ﴿فلما جاءها نودي﴾ [طه: الآية: ١١] .

والنداء لا يكون إلا بصوت عند جميع أهل اللغة، وكذلك قوله تعالى: فاستمع لما يوحى [طه: ٣١] .

والاستماع لا يكون إلا لصوت مسموع، وكذلك قوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ [القصص: الآية: ٦٢] ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾ [القصص: الآية: ٧٤] ، ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾ [القصص: الآية: ٤٦]، والنداء بالإجماع لا يكون إلا بصوت". [(١)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "واستفاضت الأثار عن النبيّ -صلى الله عليه وسلم-، والصَّحابةِ، والتابعين، ومَن بعدَهم من أئمَّةِ السُّنَّة، أنَّه سبحانه يُنادي بصَوْتٍ، نادى موسى، ويُنادي عِبادَه يومَ القيامةِ بصَوْتٍ، ويتكلَّمُ بالوحي بصَوتٍ، ولم يُنْقَل عن أحدٍ من السَّلَفِ أنه قال: إنَّ الله يتكلَّمُ بلا صَوْتٍ، أو بِلا حَرْفٍ، ولا أنَّهُ أنْكَرَ أنْ يَتَكَلَّمَ الله بصَوْتٍ، أو بحَرْفٍ". [(٢)]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وليسَ في الأئمَّة والسَّلَف من قالَ: إنَّ الله لا يتكلَّمُ بصَوْتٍ، بل قَدْ ثبتَ عن غير واحدٍ من السَّلَفِ والأئمَّة أنَّ الله يتكلَّمُ بصَوْتٍ، وجاءَ ذلك في آثارٍ مشهورةٍ عن السَّلَفِ والأئمَّةِ، وكانَ السَّلَفُ والأئمةُ يذكرونَ الآثارَ التي فيها ذكرُ تَكلُّمِ الله بالصَّوْتِ ولا يُنْكِرُها منهم أحدٌ". [(٣)]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: " قول الجمهور وأهل الحديث وأئمتهم: إن

---

(١) يُنظر: «جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات» «ص: ٥٦».

(٢) "مجموع الفتاوى" «١٢/ ٣٠٤ - ٣٠٥».

(٣) "مجموع الفتاوى" «٦/ ٥٢٧، وانظر: ٢٤٤».

الله تعالى لم يزل متكلما إذا شاء وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار، والقرآن وغيره من الكتب الإلهية كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته ليس ببائن عنه مخلوقا. ولا يقولون إنه صار متكلما بعد أن لم يكن متكلما ".[(١)]

وقال ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-«**ت: ٧٩٢ هـ**»: " أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة".[(٢)]

المسألة الرابعة الأقوال في مسألة الصوت.

والذين قالوا: إن الله يتكلم بصوت أربع فرق:

فرقة قالت: يتكلم بصوت مخلوق منفصل عنه، وهم المعتزلة.

وفرقة قالت: يتكلم بصوت قديم لم يزل ولا يزال، وهم السالمية والاقترانية.

وفرقة قالت: يتكلم بصوت قديم حادث في ذاته بعد أن لم يكن، وهم الكرامية.

وقال أهل السنة والحديث: لم يزل الله متكلما بصوته إذا شاء.

والذين قالوا: لا يتكلم بصوت فرقتان:

١-أصحاب الفيض،

٢-والقائلون إن الكلام معنى قائم بالنفس".[(٣)]

المسألة الخامسة: أصل الخلاف في مسألة الصوت:

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "أول ما ظهر إنكار أن الله سبحانه يتكلم بصوت في أثناء المائة الثالثة، فإنه لما ظهرت الجهمية المعطلة في إمارة أبي العباس المأمون «**ت: ٢١٨ هـ**»، وأدخلته في آرائها بعد أن كانوا أذلاء مقموعين، وهؤلاء كان عندهم أن الله لا

---

(١) "مجموع الفتاوى" «١٢/ ١٧٣».

(٢) "شرح الطحاوية" «١/ ١٧٤».

(٣) مختصر الصواعق المرسلة «ص: ٥٢٨-٥٢٩».

يتكلم أصلا بحرف، ولا صوت ولا معنى ولا يرى، ولا هو مستو على عرشه، ولا علم ولا حياة ولا إرادة ولا حكمة تقوم به فلما وقعت المحنة وثبت الله خلفاء الرسل وورثة الأنبياء على ما ورثوه عن الأنبياء والمرسلين، وعلموا أن باطل أولئك هو نفاق مشتق من أقوال المشركين والصابئين الذين هم أعداء الرسول وسوس الملك، وظهر للأمة سوء مذاهب الجهمية وما فيها من التعطيل ظهر حينئذ عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري «**ت: ٢٤١ هـ**» وأثبت الصفات موافقة لأهل السنة، ونفى عنها الخلق ردا على الجهمية والمعتزلة، ولم يفهم لنفي الخلق عنها معنى إلا كونها قديمة قائمة بذاته سبحانه، فأثبت قدم العلم والسمع والبصر والكلام وغيرها، ورأى أن القديم لا يتصور أن يكون حروفا وأصواتا لما فيها من التعاقب وسبق بعضها بعضا، فجعل كلام الله القديم الذي ليس بمخلوق هو مجرد معنى أو معان محصورة، وسلك طريقة خالف فيها المعتزلة، ولم يوافق فيها أهل الحديث في كل ما هم عليه، فلزم من ذلك أن يقول إن الله لم يتكلم بصوت وحرف وتبعه طائفة من الناس.

وأنكر ذلك الإمام أحمد وأصحابه كلهم، والبخاري صاحب الصحيح، فقال عبد الله بن أحمد في كتاب السنة: قلت لأبي: يا أبت إن قوما يقولون إن الله لم يتكلم بصوت، فقال: يا بني هؤلاء الجهمية إنما يدورون على التعطيل يريدون أن يلبسوا على الناس، بلى تكلم بصوت". (١)

المسألة السادسة: الصوت المسموع من القارئ.

الصَّوْتُ المسموعُ من القارئ وهو يتلو كلامَ الله، هو صَوْتُ القارئ، لا صَوْت الله تعالى، كما نصَّ عليه الأئمَّةُ كأحمدَ وغيرِهِ. (٢)

وذلكَ أنَّ صوتَ العبْدِ إنَّما هو فعلُه القائمُ به، وأفعاله جميعاً مضافة إليه مخلوقةٌ كخَلقهِ، لكنَّ المسموعَ بصَوْتهِ، الذي نطَقَ به لسانُهُ، وتحرَّكَتْ به شفَتاهُ، كلامُ الله تعالى.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة «ص: ٥٢٥-٥٢٦».

(٢) ذكر ذلك شيخ الإسلام في "درء التعارض" «٢/ ٤٠».

والدَّليلُ على ذلكَ قولُ النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم–: "زيّنوا القرآنَ بأصواتِكم".[(١)]

فأضافَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– الأصواتَ إلى القُرّاء، لأنَّها اكْتِسابُهُمْ وفعلهُمْ، وفرَّقَ بينها وبينَ القرآن الذي هو كلامُ الله ووحيُهُ وتنزيلُهُ، الذي لا يكونُ من التالي سِوى قراءتِهِ وأدائِهِ وتبليغهِ.

فالقرآنُ كلامُ الله مُضافٌ إليه تعالى لأنَّه منهُ، لا يُضافُ للتالي لأنَّه أدّاه بصَوتِهِ وحَرَكَتِهِ، شأن كلّ كلامٍ سواه يُبلِّغهُ الواحدُ مِنَّا، فإنَّهُ إنَّما يُضافُ إلى مَن قالَه مُبتدئاً.

فقولُكَ: "إنَّمَا الأعمالُ بالنّياتِ، وإنَّما لكلّ امرئٍ ما نَوى" [(٢)] تُبلّغُه أنتَ بصَوْتِكَ وحَرَكَتِكَ، وليسَ لك من نظْمِهِ شيْءٌ، إنَّما هو كلامُ النَّبي –صلى الله عليه وسلم– بلفظِهِ ومعناه، ولو قلتَ: هو كَلامي، لكذّبكَ مَن يسمَعُك، إذ ليسَ لك من ذلك إلاَّ التبليغُ والأداءُ.

فكذلكَ كلامُ الله تعالى إذا تلاه التالي، وقرأه القارئ.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ...﴾ [التوبة: الآية: ٦] فأضافَ الكلام إلى نفسِهِ، لأنَّه هو الذي ابتدأ نَظْمَهُ بحُروفِهِ ومعانيهِ، يسمَعُه المِشرك بأذُنَيْهِ بصَوْتِ القارئ، فإنَّه إنَّما يسمَع كلامَ الله مِنَ القارئ.

---

(١) أخرجه أحمد «٤/ ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٠٤»، وأبو داود رقم «١٤٦٨»، والنَّسائي «٢/ ١٧٩»، وفي "فضائل القرآن" –من "الكبرى"– رقم «٧٥»، وابن ماجة رقم «١٣٤٢»، والبخاري في "خلق أفعال العباد" رقم «٢٥٠ – ٢٥٤، ٢٥٦» والدارمي رقم «٣٥٠٣»، وابن حبان رقم «٧٣٧»، والحاكم «١/ ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤. ٥٧٥».

(٢) خرجه الشيخان في "صحيحيهما" من حديث عمر رضي الله عنه.

قال المصنف رحمه الله: وقوله في رُقْية المريض: «**ربَّنا اللهُ الذي في السماء، تَقدَّس اسمُك، أَمْرُكَ في السماء والأرض كما رَحْمَتُكَ في السماء، اجعَل رَحْمَتكَ في الأرض، اغفِرْ لنا حُوبَنا وخَطايانا، أنتَ ربُّ الطَّيِّبينَ، أنزِل رحمةً من رَحْمتكَ وشِفاءً من شِفائِك على هذا الوَجَع؛ فيَبْرأُ**». حديث حسَن، رواهُ أبو داود وغيرُه. وقوله: «**ألا تَأْمَنُوني وأنا أمِينُ مَن في السماء**». حديث صحيح. وقوله: «**والعرشُ فوقَ ذلك، واللهُ فوقَ العرشِ، وهو يَعلم ما أنتُم عليه**». حديثٌ حسن، رواه أبو داود وغيرُه. وقوله للجارية: «**أينَ اللهُ؟**». قالت: في السَّماء، قال: «**مَنْ أنا؟**» قالت: أنتَ رسولُ الله، قال: «**أَعْتِقْها فإنَّها مُؤْمنة**». رواه مسلم.

الشرح

سيأتي الكلام على علو الله في الفقرة «**٣١**»

٤٣- إثبات صفة المعية

المسألة الأولى: آيات المعية

المسألة الثانية: أقوال السلف في تفسير آيات المعية.

المســألة الثالثة: الآثار والأقوال المروية عن أئمة الســلف في الجمع بين صفتي العلو والمعية.

[٤٣]- قال المصنف رحمه الله: وقوله: «**أفضَلُ الإيمانِ أنْ تعلَم أنَّ الله معكَ أيْنَما كنتَ**».

حديث حسن، أخرجه الطَّبرانيُّ من حديث عُبادة بن الصَّامت.

وقوله: «**إذا قام أحدُكم إلى الصلاة فلا يَبصُق قِبَلَ وَجْهِه، ولا عن يَمِينه؛ ولكنْ عن يَساره أو تحتَ قَدَمِه**». مُتَّفقٌ عليه.

وقوله: «**اللهم ربَّ السماوات السَّبْع وربَّ العرش العظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شيء، فالِقَ الحَبِّ والنَّوى، مُنزِلَ التَّوراة والإنجِيل والقرآن، أعوذُ بكَ من شَرِّ نفسي ومن شَرّ كلِّ دابَّة أنتَ آخِذٌ بناصِيَتِها، أنتَ الأوَّل فليس قَبْلَك شيءٌ، وأنت الآخِرُ فليس بعدَكَ شيءٌ، وأنت الظَّاهِرُ فليس فوقَكَ شيء، وأنت الباطِنُ فليس دُونَك شيءٌ؛ اقْضِ عنِّي الدَّيْن وأَغْنِني من الفقْر**». رواه مسلم.

وقوله لما رفع الصَّحابةُ أصواتَهم بالذِّكر: «**أيُّها النَّاس، ارْبَعوا على أنفُسكم؛ فإنَّكم لا تَدْعُون أصمَّ ولا غائِبًا؛ إنما تَدْعون سميعًا بصيرًا قريبًا، إن الذي تَدْعون أقرَبُ إلى أحدِكم من عُنُق راحِلَتِه**». مُتَّفقٌ عليه.

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: آيات المعية

وردت صفة المعية في القرآن لمعنيين هما

المعنى الأول: المعية العامة.

وقد وردت في مواضع من القرآن الكريم وهي:

١. الموضع الأول: قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: الآية: ٤].

٢. الموضع الثاني: قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا

يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: الآية: ٧].

٣. الموضع الثالث: قال تعالى ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾ [النساء: الآية: ١٠٨]

وهذا النوع من أنواع المعية المراد به أن الله مع جميع الخلق بعلمه فهو مطلع على خلقه شهيد عليهم وعالم بهم؛ وسميت عامة لأنها تعم جميع الخلق.

المعنى الثاني: المعية الخاصة.

وقد وردت في القرآن الكريم في مواطن كثيرة أورد منها على سبيل المثال لا الحصر الآيات التالية: قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: الآية: ١٢٨].

وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: الآية: ١٥٣].

وقال تعالى ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: الآية: ٤٠].

وهذه هي معية الاطلاع والنصرة والتأييد، وسميت خاصة لأنها تخص أنبياء الله وأولياءه دون غيرهم من الخلق.

ومما ورد في السنة بهذا الخصوص حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني**».[(١)]

وبناءً على هذا التقسيم للمعية الوارد في النصوص، نص عدد من أهل العلم على ذلك في كتبهم وممن ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: "ولفظ «**مع**» جائت في القرآن عامة وخاصة، فالعامة في هذه الآية «**يقصد آية الحديد**» وفي آية المجادلة فافتتح الكلام بالعلم

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ص ١٥٥١ رقم ٧٤٠٥. ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى رقم ٢٦٧٥.

وختمه بالعلم، ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حبل: هو معهم بعلمه.

وأما "المعية الخاصة" ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ وقوله تعالى لموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ وقال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه.فهو مع موسى وهارون دون فرعون، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه.ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين".[(١)]

وقال الإمام ابن القيم–رحمه الله–: "... فمعية الله تعالى مع عبده نوعان عامة وخاصة وقد اشتمل القرآن على النوعين وليس ذلك بطريق الاشتراك اللفظي بل حقيقتها ما تقدم من الصحبة اللائقة".[(٢)]

وقال في موضع آخر: "... فمن المعية الخاصة قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[(٣)]، ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، ومن العامة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾، وقوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية"[(٤)].

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي–رحمه الله–: "ومعيته مع أهل طاعته خاصة فهو سبحانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

فالمعية العامة تقتضي التحذير من علمه واطلاعه وقدرته وبطشه وانتقامه.

والمعية الخاصة تقتضي حسن الظن بإجابته ورضاه وحفظه وصيانته".[(٥)]

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/٢٤٩-٢٥٠.

(٢) مختصر الصواعق ٢/٢٦٦.

(٣) البقرة ١٩٤.

(٤) مختصر الصواعق ٢/٢٦٦-٢٦٧.

(٥) فتح الباري لابن رجب ٢/٣٣٤.

وقال الشوكاني-رحمه الله-في شرح حديث «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني**».

قال: "فيه تصريح بأن الله تعالى مع عباده عند ذكرهم له، ومن مقتضى ذلك أن ينظر إليه برحمته، ويمده بتوفيقه وتسديده، فإن قلت: هو مع جميع عباده كما قال سبحانه وتعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾، وقوله جلّ ذكره ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية.

قلت: هذه معية عامة، وتلك معية خاصة حاصلة للذاكر على الخصوص بعد دخوله مع أهل المعية العامة، وذلك يقتضي مزيد العناية ووفور الإكرام له والتفضل عليه، ومن هذه المعية الخاصة ما ورد في كتابه العزيز من كونه مع الصابرين، وكونه مع الذين اتقوا، وما ورد هذا المورد في الكتاب العزيز أو السنة، فلا منافاة بين إثبات المعية الخاصة وإثبات المعية العامة"[(١)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي-رحمه الله-: "معية الله التي ذكرها في كتابه نوعان:

معية العلم والاحاطة وهي المعية العامة، فإنه مع عباده أينما كانوا.

ومعية خاصة، وهي معيته مع خواص خلقه، بالنصرة والعطف والتأييد". [(٢)]

هذه بعض النقول أوردتها على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر لإثبات أصالة هذا التقسيم وأخذ المحققين من العلماء به وهناك نقول أخرى عن جمع أخر من العلماء كلهم قالوا بهذا التقسيم للمعية تركتها خشية الإطالة وإنما أردت بهذا التنبيه على ورود هذا التقسيم في كلام أهل العلم.

المسألة الثانية: أقوال السلف في تفسير آيات المعية العامة

تتابع أهل السنة قرنًا بعد قرن وجيلًا بعد جيل على تفسير آيات المعية بأنها معية العلم والاطلاع، والنقول التي سأوردها في هذا المطلب شملت عددا من أعلام الأمة وأئمتها بما في ذلك القرون المفضلة، وأئمة الفقه والحديث والتفسير.

---

(١) تحفة الذاكرين ص ١١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ١٤

فكيف تطيب نفس مسلم إلى ترك أقوال هؤلاء إلى قول من يحتج بقوله.

وقد نقل غير واحد من أهل العلم إجماع علماء السلف على تفسيرهم لآيات المعية العامة بأن المراد بها معية العلم، وسأورد لك هنا ما وقفت عليه من آثار في تفسير تلك الآيات ليتضح لك حقيقة قولهم في المسألة.

والمقصود من إيراد هذا الكمِّ الكبير من الآثار هو تفنيد تلك الدعوى التي تمسك بها المخالفون لاعتقاد السلف في هذه المسألة ومسألة العلو ـ التي لها ارتباط وثيق بمسألة المعية ـ فأوردوا حولها دعوى هي أوهى من بيت العنكبوت، وهي زعمهم أن أيات المعية العامة المراد بها أن الله معنا بذاته في كل مكان تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا.

وسيجد القارئ لهذا المطلب أن تفسيرهم ذاك لم يقل به أحد من السلف ولا الأئمة المعتبرين، بل ولا حتى جمع من قدماء الأشاعرة وعلى رأسهم أبو الحسن الأشعري الذي ينتسبون إليه، فالأشعري وقدماء أصحابه وافقوا السلف في تفسيرهم لآيات المعية العامة بأنها معية العلم والاطلاع.

فأصحاب هذه الدعوى مخصومون بما سنورده من آثار من أوجه عديدة.

منها أن هذا المدعي إن كان حمله تعصبه لمذهب معين أوطائفة معينة على ماقال، مثل أن ينتسب إلى أحد المذاهب الأربعة، أو العقيدة الأشعرية، فإن كان ممن ينتسب إلى أحد من أصحاب المذاهب الفقهية المتعارف عليها بين المسلمين فسيجد من النقول عن أولئك الأئمة وكبار تلاميذهم والعلماء المنتسبين إليهم ما يثبت له أنه مخالف لهم في الاعتقاد وإن كان يزعم أنه من أتباعهم في الفروع الفقهية، ومن ثَمَّ يدرك حقيقة الانفصال الواقع بين أئمة المذاهب الفقهية وتلاميذهم والأئمة المبرزين في مذاهبهم وبين المتأخرين ممن يزعمون أنهم من أتباعهم في الأساس وهو المعتقد الذي هو أهم بكثير من تقليدهم في الفروع الفقهية فأين هذا الاتباع المزعوم؟!! ولو أن هؤلاء تجردوا من التعصب والهوى ونظروا بعين الحق والإنصاف لعلموا يقينا أنهم مخالفون لهم لا أتباعا لهم.

وإن كان هذا المتعصب ينتسب إلى الأشعرية، فسيدرك من خلال ماأوردناه من آثار عن

متقدمي الأشاعرة، أنهم لايوافقون المتأخرين على دعواهم، وأن تلك الدعوى إنما هي عقيدة باطلة تلقاها المتأخرون ـ الذين كانوا جهمية خلّص في هذا الباب.. عن قدماء الجهمية والمعتزلة

فبعد ذلك لا تبقى حجة أو بالأحرى دعوى لمدع في التفسير الباطل الذي ذهبوا إليه وهذا أوان الشروع في إيراد الآثار وأولها:

١ – قول ابن عباس رضي الله عنه

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ قال: "عالم بكم أينما كنتم"[(١)].

٢ – قول الضحاك بن مزاحم رحمه الله[(٢)] «**بعد المائة**»

عن مقاتل بن حيان عن الضحاك في قوله عز وجل ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ قال: "هو فوق العرش وعلمه معهم أينما كانوا."[(٣)].

٣ – قول مقاتل بن حيان رحمه الله[(٤)] «**قبل ١٥٠ هـ**»

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ١٧١/٦.

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، أو أبو القاسم، الخراساني، من أئمة المفسرين، صدوق كثير الإرسال، من الخامسة، مات بعد المائة، أخرج له أصحاب السنن الأربعة. التقريب «ص٤٥٩».

(٣) ووصله كل من أحمد في السنة «ص٧١». وعنه أبو داود في المسائل «ص٢٦٣». وابن أبي حاتم كما في مجموع الفتاوى «٤٩٥/٥». وابن جرير في تفسيره «١٢/٢٨–١٣». وعبد الله بن أحمد في السنة ٣٠٤/١ رقم ٥٩٢، ورقم ٥٩٥. والآجري في الشريعة «١٠٧٩/٣، رقم٦٥٥». وابن بطة في الإبانة «–تتمة الرد على الجهمية–» «١٥٢/٣–١٥٣، برقم١٠٩». واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٤٠٠/٣، برقم٦٧٠» عن مقاتل. وابن أبي يعلى في الطبقات «٢٥٢/١». والبيهقي في الأسماء والصفات «٣٤١/٢–٣٤٢، رقم٩٠٩». وأورده ابن عبد البر في التمهيد ١٣٩/٧. وأورده ابن قدامة في إثبات صفة العلو «ص١١٣».
وابن تيمية في شرح حديث النزول «ص١٢٦». وأورده الذهبي في العلو «ص٩٨–٩٩» وقال: «أخرجه أبو أحمد العسال، وأبو عبد الله بن بطة، وأبو عمر بن عبد البر بإسناد جيد، ومقاتل ثقة إمام» اهـ، وفي العرش ١٥٥/٢ رقم ١٣٦، ١٣٧. وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص١٣١، وص٢٥٧»، وأورده أيضاً كما في مختصر الصواعق «١١٢/٢» وقال: «وصح عن الضحاك».

(٤) مقاتل بن حيان النبطي، أبو بسطام البلخي الخزاز، مولى بكر بن وائل، صدوق فاضل، أخطأ الأزدي في زعمه أن وكيعاً كذبه، وإنما كذب مقاتل بن سليمان الأزدي، من السادسة، مات قبل الخمسين ومائة بأرض الهند، أخرج له مسلم، والأربعة. تهذيب «٢٧٧/١٠»، التقريب «٩٦٨».

قال في قوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ قال: "هو على العرش ولا يخل شيء من علمه"[(١)].

٤ – قول أبي حنيفة رحمه الله «**١٥٠ هـ**»

قال نعيم بن حماد: سمعت نوح بن أبي مريم يقول: كنا عند أبي حنيفة رحمه الله أول ما ظهر،«**أي أمر الجهم بن صفوان**» إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهما، فدخلت الكوفة، فأظنني أقل ما رأيت عليها عشرة ألاف من الناس، تدعو إلى رأيها، فقيل لها إن رجلا هاهنا قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة، فأتته وقالت: أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك، أين إلهك الذي تعبده؟ فسكت عنها، ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها، ثم خرج إلينا وقد وضعكتابا أن الله في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرأيت قول الله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ قال: "هو كما تكتب إلى الرجل إني معك وأنت غائب عنه"[(٢)].

٥ – قول سفيان الثوري رحمه الله «**١٦١ هـ**»

عن معدان، قال سألت سفيان الثوري عن قول الله عز وجل ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ قال: "علمه"[(٣)].

٦ – قول الإمام مالك رحمه الله «**١٧٩ هـ**»

قال عبد الله بن أحمد حدثني أبي رحمه الله قال حدثنا سريج بن النعمان أخبرني عبد الله بن

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «٣/٤٠٠، برقم٦٧٠». وأورده الذهبي في العلو «ص١٠٢»، وفي الأربعين «ص٦٤، برقم٤٧»، وفي العرش ٢/١٨٤ رقم ١٥٩، ٢/١٩١ رقم ١٦٥.

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات «٢/٣٨٣». وأورده الذهبي في العلو «ص١٠١»، وفي العرش ٢/١٧٤ رقم١٥١. وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص١٣٧–١٣٨»، وإسناده ضعيف جدا لأن نوح ابن أبي مريم كذاب وضاع.

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد «ص٨». وأخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة «١/٣٠٦–٣٠٧، ح٥٩٧». والآجري في الشريعة «٣/١٠٧٨، برقم٦٥٤». وابن بطة في الإبانة «–تتمة الرد على الجهمية –»، «٣/١٥٤–١٥٥، ح١١١». واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٣/٤٠١، ح٦٧٢». والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/٣٤١، رقم٩٠٨». وابن عبد البر في التمهيد «٧/١٣٩» و«٧/١٤٢». وابن قدامة في إثبات صفة العلو «ص١١٥–١١٦، برقم٩٤»، و«ص١١٣، برقم٨٩». وأورده الذهبي في العلو «ص١٠٣»، وفي الأربعين «ص٦٣–٦٤، برقم٤٦»، وفي سير أعلام النبلاء «٧/٢٧٤»، وفي العرش ٢/١٨٣ رقم ١٥٨.

نافع قال: كان مالك بن أنس رحمه الله يقول: "من قال القرآن مخلوق يوجع ضرباً ويحبس حتى يموت"، وقال مالك رحمه الله: "الله عز وجل في السماء، وعلمه في كل مكان" وتلا هذه الآية ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ وعظم عليه الكلام في هذا واستشنعه[١].

٧ – قول نعيم بن حماد الخزاعي رحمه الله «**٢٢٨ هـ**»

قال أحمد بن منصور الرمادي سمعت نعيم بن حماد الخزاعي في قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾: "أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه، ألا ترى قوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية، أراد أنه لا يخفى عليه خافية"[٢].

٨ – قول علي بن المديني «**٢٣٤ هـ**»

سئل عن قوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ فقال: اقرأ ما قبله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾[٣].

٩ – قول إسحاق بن راهويه «**٢٣٨ هـ**»

---

(١) أخرجه أبو داود في مسائل الإمام أحمد «ص٢٦٣»، ط: دار المعرفة. وأخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة «١/١٠٦–١٠٧، برقم١١، و١/٢٨٠، برقم٥٣٢». والآجري في الشريعة «٣/١٠٧٦–١٠٧٧، برقم٦٥٢–٦٥٣». وابن بطة في الإبانة «–تتمة الرد على الجهمية–»، «٣/١٥٣، ح١١٠». وابن منده في التوحيد «٣/٣٠٧، برقم٨٩٣». واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٣/٤٠١». وابن عبد البر في التمهيد «٧/١٣٨». والقاضي عياض في ترتيب المدارك «٢/٤٣». وأورده ابن تيمية في مجموع الفتاوى «٥/١٨٣»، وفي درء تعارض العقل والنقل «٦/٢٦٢»، وقال: «كل هذه الأسانيد صحيحة». وأورده الذهبي في العلو «ص١٠٣»، وفي سير أعلام النبلاء «٨/١٠١»، وأورده في الأربعين في صفات رب العالمين «ص٥٩، برقم٣٩» و «ص٦٣، برقم٤٥»، وفي العرش ٢/١٧٨ رقم ١٥٥. وأورده ابن القيم كما في مختصر الصواعق «٢/٢١٣» وقال: «ذكره الطلمنكي وابن عبد البر وعبد الله بن أحمد وغيرهم». وصححه الألباني في مختصر العلو «ص١٤٠».

(٢) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي، أبو عبد الله المروزي، نزيل مصر، صدوق يخطىء كثيرًا، فقيه عارف بالفرائض، من العاشرة، مات سنة «٢٢٨هـ» على الصحيح، أخرج له البخاري مقرونا، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة. التقريب «١٠٠٦».

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة «تتمة الرد على الجهمية»، «٣/١٤٦، برقم١٠٦». وأورده الذهبي في العلو «ص١٢٦»، وفي سير أعلام النبلاء «١٠/٦١١»، وفي الأربعين في صفات رب العالمين«ص٦٤، برقم٤٨»، وفي العرش ٢/٢٣٨ رقم ٢٠٨. وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص٢٢١». وقال الألباني في مختصر العلو «ص١٨٤»: «السند صحيح».

قال حرب بن إسماعيل: قلت لإسحاق بن راهويه في قول الله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ كيف تقول فيه؟ قال: "حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه"[(١)].

١٠ – قول الإمام أحمد رحمه الله «**٢٤١ هـ**»

قال أبو طالب سألت أحمد بن حنبل عن رجل قال: إن الله معنا، وتلا ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾. قال: "قد تجهم هذا، يأخذون بآخر الآية، ويدعون أولها هلا قرأت عليه ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ فالعلم معهم، وقال في سورة «**ق**» ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ فعلمه معهم"[(٢)].

قال المروزي: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، إن رجلا قال: أقول كما قال الله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، أقول هذا ولا أجاوزه إلى غيره. فقال أبو عبد الله: "هذا كلام الجهمية". قلت: فكيف نقول؟ قال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ﴾

علمه في كل مكان وعلمه معهم" ثم قال: "أول الآية يدل على أنه علمه"[(٣)].

قال حنبل: قلت لأبي عبد الله ما معنى قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، و﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ

---

(١) أورده الذهبي في العلو، انظر المختصر ص ١٨٨-١٨٩. وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش ص ٢٣٤.

(٢) أورده ابن بطة في الإبانة «تتمة الرد على الجهمية»، «٣/١٦١، برقم١١٨». أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء «١١/٣٧٠»، وفي العرش ٢/٢٤٥ رقم ٢١٧. وأورده في العلو «ص١٣١» وعزاه للخلال في السنة. وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص٢٢٦».

وقال الألباني في مختصر العلو «١٩١، ح٢٣٣»: «قلت: وأخرجه الهروي أيضا في ذم الكلام «٦/١٢٠/١» عن حرب به نحوه».

(٣) رواه ابن بطة في الإبانة «تتمة الرد على الجهمية»، «٣/١٥٩-١٦٠، برقم١١٦». وأورده بنحوه القاضي في إبطال التأويلات «٢/٢٨٩، برقم٢٨٦». وأورده الذهبي في العلو «ص١٣٠»، وفي الأربعين «ص٦٤-٦٥، برقم٤٩». وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص٢٠٠-٢٠١».

إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾؟. قال: "علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حد و لا صفة"[(١)].

قال أحمد بن جعفر الفارسي الإصطخري: قال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل: "هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها، المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها، فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق".

ثم ساق الإمام أحمد أقوالهم في العقيدة إلى أن قال: "وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أراضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء العليا السابعة، وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء، والله عز وجل على العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السموات والأرضين السبع وما بينهما، وما تحت الثرى، وما في قعر البحار، ومنبت كل شعرة وشجرة، وكل زرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعددكل كلمة، وعدد الحصى والرمل والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة، ودونه حجب من نور ونار وظلمة وما هو أعلم به.

فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله عز وجل ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ وبقوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

وبقوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله ﴿إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ ونحو هذا من متشابه القرآن فقل: إنما يعني بذلك العلم، لأن الله تعالى على العرش فوق السماء

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة «تتمة الرد على الجهمية»، «٣/١٦٠-١٦١، برقم١١٧». وأورده الذهبي في العلو «ص١٣٠». وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «٢٠١».

السابعة العليا ويعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان"[(١)].

١١ – قول عبد الله بن مسلم بن قتيبة[(٢)] رحمه الله «**٢٧٦ هـ**»

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتاب "تأويل مختلف الحديث" له: "نحن نقول في قوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إنه معهم يعلم ما هم عليه، كما تقول للرجل وجّهته إلى بلد شاسع، احذر التقصير فإني معك، تريد أنه لا يخفى عليَّ تقصيرك، وكيف يسوغ لأحد أن يقول: إنه سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ومع قوله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ كيف يصعد إليه شيء هو معه، وكيف تعرج الملائكة إليه وهي معه، ولولا أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم، وما ركبت عليه خِلَقُهم من معرفة الخالق لعلموا أن الله هو العلي وهو الأعلى، وأن الأيدي ترتفع بالدعاء إليه، والأمم كلها عجميها وعربيها، تقول: إن الله في السماء. ما تركت على فطرها"[(٣)].

١٢ – قول الإمام الدارمي[(٤)] رحمه الله «**٢٨٠ هـ**»

قال في كتابه "الرد على الجهمية" باب –استواء الرب تبارك وتعالى على العرش، وارتفاعه إلى السماء وبينونته من الخلق–:

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «٣/٤٠٢، برقم٦٧٥». وأورده ابن قدامة في إثبات صفة العلو «ص١١٦، برقم٩٥». وأورده الذهبي في العلو «ص١٣٠»، وفي الأربعين في صفات رب العالمين «ص٦٥، برقم ٥٠»، وفي العرش ٢/٢٤٥ رقم ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠وأورده ابن تيمية في مجموع الفتاوى «٥/٤٩٦». وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «٢٠٠» وعزاه للالكائي. وانظر مختصر الصواعق «٢/٢١٣»، وقال ابن القيم: «أراد أحمد بنفي الصفة نفي الكيفية والتشبيه، وبنفي الحد حد يدركه العباد ويحدونه». وانظر في مسألة الحد نقض تأسيس الجهمية «٢/١٦٢».

(٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، الإمام الحافظ الأديب، من المصنفين المكثرين، ولد ببغداد سنة «٢١٣هـ»، وتوفي بها سنة «٢٧٦هـ»، من كتبه: المعارف، وأدب الكاتب، وتأويل مختلف الحديث، وغيرها. تاريخ بغداد «١٠/١٧٠»، السير «١٣/٢٩٦».

(٣) انظر كتاب تأويل مختلف الحديث «ص١٨٢-١٨٣». والعرش للذهبي ٢/٢٧١ رقم ٢٣٦.

(٤) عثمان بن سعيد بن خالد، أبو سعيد، التميمي السجستاني، الدارمي نسبة إلى بني دارم، إمام علامة حافظ، مات سنة «٢٨٠هـ» وقد جاوز الثمانين. طبقات الحنابلة «١/٢٢١»، السير «١٣/٣١٩».

"فاحتج بعضهم فيه بكلمة زندقة استوحش من ذكرها وتستر آخر من زندقة صاحبه فقال: قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قلنا: هذه الآية لنا عليكم لا لكم، إنما يعني أنه حاضر كل نجوى، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه، لأن علمه بهم محيط، وبصره فيهم نافذ، لا يحجبه شيء عن علمه وبصره، ولا يتوارون منه بشيء، وهو بكماله فوق العرش بائن من خلقه ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾، أقرب إلى أحدهم من فوق العرش من حبل الوريد، قادر على أن يكون له ذلك، لأنه لا يبعد عن شيء ولا يخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض، فهو كذلك رابعهم، وخامسهم، وسادسهم، لا أنه معهم بنفسه في الأرض كما ادعيتم، وكذلك فسرته العلماء.."[(١)]

١٣ – قول محمد بن عثمان بن أبي شيبة[(٢)] رحمه الله «**٢٩٧ هـ**»

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة، في كتاب "العرش" له: "ذكروا أن الجهمية يقولون: إن ليس بين الله وبين خلقه حجاب، وأنكروا العرش، وأن يكون الله فوقه، وقالوا إنه في كل مكان" وذكر أشياء إلى أن قال: "فسرت العلماء ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يعني بعلمه، تواترت الأخبار أن الله خلق العرش فاستوى عليه بذاته فهو فوق العرش بذاته، متخلصا من خلقه بائنا منهم"[(٣)].

١٤ – قول محمد بن جرير الطبري رحمه الله «**٣١٠ هـ**»

قال في تفسير قوله تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: "يقول: هو شاهد لكم أيها الناس

---

(١) الرد على الجهمية ص ٢٦٨-٢٦٩ «ضمن عقائد السلف».

(٢) أبو جعفر، محمد بن عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي، العبسي مولاهم، الكوفي، الحافظ، المسند البارع، محدث الكوفة، جمع وصنف وكان من أوعية العلم، بصيرا بالحديث والرجال، توفي سنة «٢٩٧هـ». تاريخ بغداد «٣/٤٢-٤٧»، سير أعلام النبلاء «١٤/٢١».

(٣) انظر العرش لابن أبي شيبة.ص «٢٧٦-٢٩٢» وأورده الذهبي في العرش ٢/٢٦٤ رقم ٢٣٣.

أينما كنتم، يعلمكم ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سبع سمواته"[(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ...﴾ الآية: "وعنى بقوله ﴿هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بمعنى مشاهدهم بعلمه وهو على عرشه"[(٢)].

١٥ - قول أبي الحسن الأشعري[(٣)] رحمه الله «**٣٢٤ هـ**»

قال في "رسالة إلى أهل الثغر" "... وأنه يعلم السر وأخفى من السر، ولا يغيب عنه شيء في السموات والأرض حتى كأنه حاضر مع كل شيء، وقد دل الله عز وجل على ذلك في قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وفسَّر ذلك أهل العلم بالتأويل أن علمه محيط بهم حيث كانوا"[(٤)].

١٦ - قول أبي بكر الآجري[(٥)] رحمه الله «**٣٦٠ هـ**»

قال الإمام أبو بكر الآجري الحافظ، في كتاب "الشريعة" له:

- باب في التحذير من مذهب الحلولية -:

"الذي يذهب إليه أهل العلم، أن الله عز وجل على عرشه، فوق سمواته، وعلمه محيط بكل شيء، قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السموات العلى، وبجميع ما في سبع أراضين، يرفع إليه أعمال العباد.

فإن قال قائل: إيش يكون معنى قوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية التي احتجوا بها؟. قيل له: علمه، والله عز وجل على عرشه، وعلمه محيط بهم، كذا فسره أهل العلم،

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٢١٦/٢٧

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٢/٢٨.

(٣) أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، كان في أول أمره معتزلياً، ثم تاب من الإعتزال، وأخذ بقول الكلابية، ثم رجع إلى معتقد أهل السنة في مجمل المسائل، توفي سنة «٣٢٤هـ». انظر تاريخ بغداد «٣٤٦/١١»، سير أعلام النبلاء «٨٥/١٥».

(٤) انظر رسالة إلى أهل الثغر ص ٢٣٤

(٥) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري، فقيه، شافعي، محدث، بغدادي، توفي سنة «٣٠٦هــ» وله تصانيف كثيرة منها: أخلاق حملة القرآن، وأخلاق العلماء، وكتاب الشريعة، وغيرها. تاريخ بغداد «٢٤٣/٢»، السير «١٣٣/١٦».

والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم، وهو على عرشه، فهذا قول المسلمين"[(١)].

١٧ - قول ابن بطة العكبري[(٢)] رحمه الله «**٣٨٧ هـ**»

قال الإمام الزاهد أبو عبد الله بن بطة العكبري، في كتاب "الإبانة":

- باب الإيمان بأن الله على عرشه، بائن من خلقه، وعلمه محيط بخلقه - أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين، أن الله على عرشه، فوق سمواته، بائن من خلقه[(٣)].

فأما قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، فهو كما قالت العلماء: علمه.

وأما قوله ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ معناه: أنه هو الله في السموات، وهو الله في الأرض، وتصديقه في كتاب الله ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾، واحتج الجهمي بقوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، فقال: إن الله معنا وفينا، وقد فسر العلماء أن ذلك علمه، ثم قال في آخرها ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾"[(٤)]

١٨ - قول الثعلبي[(٥)] رحمه الله «**٤٢٧ هـ**»

قال في قوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[(٦)]: "في العلم"[(٧)]

---

(١) انظر الشريعة للآجري «١٠٧٥/٣-١٠٧٦» وانظر مختصر الصواعق «٢١٤/٢». وأورده الذهبي في العرش ٣٠٩/٢ رقم ٢٥٢.

(٢) عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري أبو عبد الله، ابن بطة الحنبلي مصنف كتاب الإبانة المشهور، إمام قدوة عابد، فقيه محدث، مات سنة «٣٨٧هـ» وله أربع وثمانون سنة. طبقات الحنابلة «١١٤/٢»، السير «٥٢٩/١٦».

(٣) انظر الإبانة «تتمة الرد على الجهمية»، «١٣٦/٣»، وانظر مختصر الصواعق «٢١٤/٢».

(٤) انظر كتاب الإبانة «تتمة الرد على الجهمية»، «١٤٣/٣-١٤٥»، وأورده الذهبي في العرش ٣٢٥/٢ رقم ٢٥٩.

(٥) أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي، صاحب التفسير المشهور وعالم بالعربية، حافظ ثقة، مات سنة «٤٢٧هـ». الأنساب «١٢٩/٣»، السير «٤٣٥/١٧».

(٦) الآية ٧ من سورة المجادلة.

(٧) أورده الذهبي في كتاب العرش ٣٦٨/٢ برقم ٢٨١ وعزاه لتفسير الثعلبي المسمى الكشف والبيان في تفسير القرآن وهو مخطوط

١٩ - قول الإمام أبي عمر الطلمنكي[(١)] رحمه الله «**٤٢٩ هـ**»

قال في كتابه "الوصول إلى علم الأصول": "وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء"[(٢)]

٢٠ - قول أبي زكريا يحي بن عمار[(٣)] رحمه الله «**٤٤٢ هـ**»

قال الإمام أبو زكريا يحي بن عمار السجستاني، في رسالته: "لا نقول كما قال الجهمية، إنه مداخل للأمكنة، وممازج لكل شيء ولا نعلم أين هو؛ بل هو بذاته على العرش، وعلمه محيط بكل شيء، و علمه، وسمعه، وبصره، وقدرته، مدركة لكل شيء، وهو معنى قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ، وهو بذاته على عرشه كما قال سبحانه وكما قال نبيه صلى الله عليه وسلم"[(٤)].

٢١ - قول البيهقي رحمه الله «**٤٥٨ هـ**»

قال الإمام أبو بكر بن الحسين البيهقي في كتاب "الاعتقاد":

"وفي كثير من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية أن الله بذاته في كل مكان. وقوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ إنما أراد به بعلمه لا بذاته"[(٥)]

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو عمر، المعافري، الأندلسي، الطلمنكي، بحر من بحور العلم، إمام مقرىء، محدث مفسر. مات سنة «٤٢٩هـ» وقد قارب التسعين. السير «٥٦٦/١٧»، طبقات المفسرين للداودي «٧٧/١».

(٢) انظر: تلبيس الجهمية لابن تيمية ٣٨/٢. ودرء تعارض العقل والنقل ٢٥٠/٦-٢٥١. والعلو للذهبي ٢٦٤. واجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٤٢.

(٣) أبو زكريا، يحي بن عمار، الشيباني، السجستاني، الواعظ، نزيل هراة، كان بارعاً في التفسير والسنة، توفي سنة «٤٢٢هـــ». العبر «١٥١/٣»، شذرات الذهب «٢٢٦/٢».

(٤) أورده ابن تيمية في مجموع الفتاوى «١٩١/٥»، وأورده الذهبي في العلو «١٧٧-١٧٨»، وفي كتاب العرش ٣٤٨/٢ رقم ٢٦٦. وأورده ابن القيم مختصرا في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص٢٧٩».

(٥) الإعتقاد للبيهقي «ص١١٢-١١٥». وأورده الذهبي في العلو «ص ١٨٤.١٨٥». وفي العرش ٣٥٥/٢ رقم ٢٧١.

٢٢ – قول الإمام ابن عبد البر رحمه الله «**٤٦٣ هـ**»

قال: "وأما احتجاجهم بقوله عز وجل ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ﴾ الآية، فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية، لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله"[١].

٢٣ – قول البغوي رحمه الله «**٥١٠ هـ**»

قال في قوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ "في العلم"[٢].

٢٤ – قول قوّام السنة أبي القاسم الأصبهاني[٣] رحمه الله «**٥٣٥ هـ**»

قال: "فإن قيل: قد تأولتم قوله عز وجل ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وحملتموه على العلم. قلنا: ما تأولنا ذلك، وإنما الآية دلت على أن المراد بذلك العلم، لأنه قال في آخرها ﴿نَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾"[٤]

٢٥ – قول أبي محمد اليمني[٥] رحمه الله «**من علماء القرن السادس الهجري**»

قال رحمه الله: "وربما نقول ثاني اثنين وثالث ثلاثة ورابع أربعة وأكثر من ذلك، بمعنى العلم والحفظ لا بمعنى الشريك لأنه يقول وقوله الحق ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ

---

(١) التمهيد «٧/١٣٨-١٣٩» والذهبي في العرش ٢/٣٥٦ رقم ٢٧٢.

(٢) تفسير البغوي «٤/٣٠٧». وأورده الذهبي في العرش" ٢/٣٦٨ رقم ٥/٢٨٠.

(٣) إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي، القرشي، التيمي، أبو القاسم، الأصبهاني، الملقب بقوّام السنة، من أعلام الحفاظ، كان إماماً في التفسير والحديث واللغة، صاحب كتاب "الحجة في بيان المحجة"، توفي سنة «٥٣٥ هـ». شذرات الذهب ٤/١٠٥، الأعلام ١/٣٢٣.

(٤) انظر: الحجة في بيان المحجة ٢/٢٩١.

(٥) أبومحمد اليمني من علماء القرن السادس الهجري وهو صاحب كتاب عقائد الثلاث وسبعين فرقة لايعرف عنه إلا هذا راجع القسم الدراسي من الكتاب المحقق ١/١-٧.

وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ أي عليم بهم وحفيظ لهم أينما كانوا، لا بمعنى التشريك"[(١)]

٢٦ – قول ابن كثير رحمه الله «**٧٧٤ هـ**»

قال في تفسير قوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ...﴾ الآية:

"أي مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له كما قال تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾. ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن مراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في إرادة ذلك"[(٢)].

٢٧ – قول الشوكاني رحمه الله «**١٢٥٠هـ**»

قال في تفسير قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾: "أي بقدرته وسلطانه وعلمه" [(٣)].

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ﴾ الآية: "مستأنفة لتقرير سمو علمه وإحاطته بكل المعلومات... ومعنى ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ إحاطة علمه بكل تناج يكون منهم في أي مكان من الأمكنة"[(٤)].

قال الشوكاني رحمه الله في شرح حديث "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني"[(٥)].

قال: "فيه تصريح بأن الله تعالى مع عباده عند ذكرهم له، ومن مقتضى ذلك أن ينظر إليه برحمته، ويمده بتوفيقه وتسديده، فإن قلت: هو مع جميع عباده كما قال سبحانه وتعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾، وقوله جلّ ذكره ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية.

قلت: هذه معية عامة، وتلك معية خاصة حاصلة للذاكر على الخصوص بعد دخوله مع

---

(١) عقائد الثلاث وسبعين فرقة ٢/٥٢٣-٥٢٤.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤/٣٢٢.

(٣) انظر: فتح القدير ٥/١٦٦.

(٤) انظر: فتح القدير ٥/١٨٧

(٥) تقدم تخريجه

أهل المعية العامة، وذلك يقتضي مزيد العناية ووفور الاكرام له والتفضل عليه، ومن هذه المعية الخاصة ما ورد في كتابه العزيز من كونه مع الصابرين، وكونه مع الذين اتقوا، وما ورد هذا المورد في الكتاب العزيز أو السنة، فلا منافاة بين إثبات المعية الخاصة وإثبات المعية العامة"[١].

المسألة الثالثة: الآثار والأقوال المروية عن أئمة السلف في الجمع بين صفتي العلو والمعية

مما يؤكد تفسير السلف لآيات المعية العامة بأنها معية العلم والاطلاع ما ورد عنهم من أقوال جمعوا فيها بين إثبات معية العلم وإثبات صفة العلو لله عز وجل فبينوا بذلك عدم التعارض بين نصوص المعية والنصوص التي جاء فيها إثبات علو الله سبحانه على خلقه.

ودعوى التعارض بين نصوص المعية ونصوص العلو، من الشبه التي تمسَّك بها المبتدعة أيضاً في هذا الباب، فبإيراد هذه الآثار عن سلف الأمة من الصحابة ومن بعدهم . والذين أمرنا بالتزام فهمهم . تزول أي دعوى للتعارض بين نصوص القرآن والسنة.فيما جاء فيهما من إثبات العلو الله عز وجل على خلقه وما جاء فيهما من إثبات معية الله لخلقه بعلمه.

وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه النقول تبطل وبشكل صريح دعوى القائلين بالمعية الذاتية، فدعواهم لا مستند لها من الكتاب أو السنة أو قول أحد من سلف الأمة وأئمتها

وإليك الآثار الواردة في ذلك مرتبة ترتيباً زمانياً

١ - قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "ما بين السماء القصوى والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء كذلك، والعرش فوق الماء والله فوق العرش، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم"[٢]

---

(١) تحفة الذاكرين ص ١١.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «٣/٣٩٥ـــ٣٩٦، ح ٦٥٩» والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/١٨٦ـــ١٨٧».والدارمي في الرد على الجهمية «ص٢٧٥ -ضمن عقائد السلف-». وابن خزيمة في التوحيد «١/٢٤٢-٢٤٣، ح١٤٩». والطبراني في الكبير «٩/٢٢٨». وأبو الشـيخ في العظمة «٢/٦٨٨-٦٨٩، ح٢٧٩». وابن عبد البر في التمهيد «٧/».

=

٢ - قول كعب الأحبار رحمه الله[(١)]

قال: "قال الله في التوراة: أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق خلقي، وأنا على عرشي، أدبر أمر عبادي، ولا يخفى علي شيء في السماء، ولا في الأرض"[(٢)].

٣ - قول عبد الله بن المبارك رحمه الله «**١٨١ هـ**»

ثبت عن علي بن الحسن بن شقيق، شيخ البخاري، قال: قلت لعبد الله ابن المبارك كيف نعرف ربنا؟ قال: "في السماء السابعة على عرشه".

وفي لفظ "على السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية إنه هاهنا في الأرض".

وقال أيضاً: سألت ابن المبارك: كيف ينبغي لنا أن نعرف ربنا؟. قال: "على السماء السابعة، على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية إنه هاهنا في الأرض"[(٣)].

وابن قدامة في إثبات صفة العلو «ص١٠٤-١٠٥، ح٧٥». وأورده الذهبي في العلو «ص٦٤»، وعزاه لعبد الله بن الإمام أحمد في السنة، وأبي بكر بن المنذر، وأبي أحمد العسال، وأبي القاسم الطبراني، وأبي الشيخ، واللالكائي، وأبي عمر الطلمنكي، وأبي عمر بن عبد البر، وقال: «وإسناده صحيح». وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص١٢٢»، وفي مختصر الصواعق «٢/٢١٠». وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد «١/٨٦»، وعزاه للطبراني وقال: «رجاله رجال الصحيح».

(١) كعب بن مانع الحِميري، أبو إسحاق، أسلم في خلافة الصديق رضي الله عنه، ومات في خلافة عثمان رضي الله عنه، وقد جاوز المائة،. انظر الكاشف «٣/٩»، التقريب «ص٨١٢».

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة «٢/٦٢٥-٦٢٦، ح٢٤٤». وابن بطة في الإبانة -الرد على الجهمية-، «٣/١٨٥-١٨٦، برقم١٣٧». وأبو نعيم في الحلية «٦/٧». وأورده القاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات «ق١٤٩/ب» وعزاه لابن بطة في الإبانة. وأورده الجيلاني في الغنية لطالبي طريق الحق «١/٥٧». وأورده الذهبي في العلو «ص٩٢»، وقال: «رواته ثقات»، وفي الأربعين «ص٤٥»، وفي العرش ٢/١٤٣ رقم ١٢١. وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص١٢٩، و٢٦٠»، وقال قبله: «وروى أبو نعيم بإسناد صحيح عن كعب» وذكره. وأورده ابن القيم كذلك كما في مختصر الصواعق «٢/٣٧٣» وعزاه لأبي الشيخ وابن بطة وغيرهما بإسناد صحيح. وصححه الألباني في مختصر العلو «ص١٢٨».

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد «ص٨». والدارمي في الرد على المريسي «ص١٠٣»، والرد على الجهمية «ص٥٠». وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة «١/١١١، ح٢٢»، و«١/١٧٤-١٧٥، ح٢١٦». وابن بطة في الإبانة «٣/١٥٥-١٥٦، ح١١٢». وابن منده في التوحيد «٣/٣٠٨، برقم٨٩٩». والصابوني في عقيدة السلف «ص٢٠، برقم٢٨». والبيهقي في الأسماء والصفات

=

٤ – قول أبي يوسف[(١)] صاحب أبي حنيفة رحمه الله «**١٨٢ هـ**»

جاء بشر بن الوليد إلى أبي يوسف فقال له: "تنهاني عن الكلام وبشر المريسي، وعلي الأحول، وفلان يتكلمون، فقال: وما يقولون؟ قال: يقولون: إن الله في كل مكان. فبعث أبو يوسف فقال: علي بهم، فانتهوا إليهم، وقد قام بشر، فجيء بعلي الأحول والشيخ –يعني الآخر–، فنظر أبو يوسف إلى الشيخ وقال: لو أن فيك موضع أدب لأوجعتك، فأمر به إلى الحبس، وضرب عليا الأحول وطوَّف به"[(٢)].

٥ – قول علي بن عاصم الواسطي[(٣)] رحمه الله «**٢٠١هـ**»

وقال يحي بن علي بن عاصم[(٤)]: "كنت عند أبي، فاستأذن عليه المريسي، فقلت له: يأبه مثل هذا يدخل عليك! فقال: وماله؟؛ قلت: إنه يقول إن القرآن مخلوق، ويزعم أن الله معه في

«٣٣٦/٢، رقم٩٠٣». وابن عبد البر في التمهيد «١٤٢/٧». وابن قدامة في إثبات صفة العلو «ص١١٧–١١٨، ح٩٩، ١٠٠». وأورده ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل «٢٦٤/٦»، وعزاه للبخاري في خلق أفعال العباد. وأورده كذلك في الفتوى الحموية «ص٩١» وقال: «وروى عبد الله بن الإمام أحمد وغيره بأسانيد صحيحة عن ابن المبارك»، وأورده في نقض تأسيس الجهمية «٥٢٥/٢». وأورده الذهبي في العلو «ص١١٠»، وفي سير أعلام النبلاء «٤٠٢/٨»، وفي الأربعين في صفات رب العالمين «ص٤٠، برقم١٠» وفي العرش ١٨٧/٢ رقم ١٦١، ١٦٢ وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص١٣٤–١٣٥» وقال: «روى الدارمي، والحاكم والبيهقي، وغيرهم، بأصح إسناد إلى علي بن الحسين بن شقيق» وذكره، وفي «ص٢١٣–٢١٤» وقال: «وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر»، وعزاه للبيهقي، والحاكم، والدارمي. وأورده أيضاً كما في مختصر الصواعق «٢١٢/٢».

(١) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، القاضي، أبو يوسف الكوفي، صاحب الإمام أبي حنيفة، المجتهد، العلامة، المحدث، أفقه أهل الرأي بعد أبي حنيفة، ولد سنة «١١٣هـ»، وتوفي سنة «١٨٢هـ». تاريخ بغداد «٢٤٢/١٤»، السير«٥٣٥/٨».

(٢) أورد القصة ابن تيمية في مجموع الفتاوى «٤٥/٥»، وفي نقض تأسيس الجهمية «٥٢٥/٢–٥٢٦»، وعزاها لابن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية، وساق الأثر بسنده. وأوردها الذهبي في العلو «ص١١٢». وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص٢٢٢»، وقال: «وهي قصة مشهورة ذكرها عبد الرحمن بن أبي حاتم». وأوردها أيضاً كما في مختصر الصواعق «٢١٢/٢» وقال: «وبشر لم ينكر أن الله أفضل من العرش، وإنما أنكر ما أنكرته المعطلة أن ذاته تعالى فوق العرش». وأوردها شارح الطحاوية «ص٣٢٣».

(٣) علي بن عاصم بن صهيب الواسطي التيمي مولاهم، صدوق يخطيء ويصر، رمي بالتشيع، من التاسعة، مات سنة إحدى ومائتين، وقد جاوز التسعين. التقريب «ص٦٩٩»، تاريخ بغداد «٤٤٦/١١».

(٤) يحي بن علي بن عاصم الواسطي، روى عن أبيه. انظر الثقات لابن حبان «٢٥٨/٩».

الأرض، وكلاما ذكرته، فما رأيته اشتد عليه مثل ما اشتد عليه في القرآن أنه مخلوق، وأنه معه في الأرض"[(١)].

٦ - قول أصبغ بن الفرج المالكي[(٢)] رحمه الله «**٢٢٥ هـ**»

"وهو مستو على عرشه وبكل مكان علمه وإحاطته"[(٣)]

٧ - قول بشر الحافي[(٤)] رحمه الله «**٢٢٧ هـ**»

"والإيمان بأن الله على عرشه كما شاء، وأنه عالم بكل مكان، وأن الله يقول، ويخلق، فقوله كن ليس بمخلوق"[(٥)].

٨ - قول حماد بن هنَّاد رحمه الله «**٢٣٠ هـ**»

قال: "هذا ما رأينا عليه أهل الأمصار وما دلت عليه مذاهبهم فيه، وإيضاح مناهج العلماء وطرق الفقهاء، وصفة السنة وأهلها أن الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وعلمه وقدرته وسلطانه بكل مكان"[(٦)].

---

(١) أورده الذهبي في العلو «ص١١٦»، وفي العرش

وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص٢١٦-٢١٧» وعزاه لابن أبي حاتم.

(١) أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع،،فقيه من كبار المالكية بمصر، قال ابن الماجشون: «ما أخرجت مصر مثل أصبغ وكان كاتب ابن وهب»، توفي سنة «٢٢٥هـ». وفيات الأعيان ٧٩/١، الأعلام ٣٣٣/١.

(٢) انظر: إجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٤٢.

تهذيب سنن أبي داود ١٠٢/٧.

(٣) بشر بن الحارث بن عبـد الرحمن، أبو نصر المروزي البغدادي الحافي، إمام، ورع، زاهد، مات سنة سبع وعشرين ومائتين، وله خمس وسبعون سنة. تاريخ بغداد «٦٧/٧»، السير «٤٦٩/١٠».

(٤) أوردها الذهبي في العلو «ص١٢٧»، وفي الأربعين «ص٤٣».وفي العرش ٢٤٤/٢ رقم ٢١٦.

(٥) هكذا أورده الذهبي في العلو، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية، وقال محققه: «لم أقف على ترجمته بهذا الإسم، فلعلها محرفة عن محمد بن سعيد بن هنَّاد البوشنجي، وترجمته في الأنساب ٢٥٩/٢، والكاشف ٤٢/٣.

(٦) انظر العلو للذهبي ص ١٥١ واجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٤٢.

٩ - قول أحمد بن نصر الخزاعي[١] الشهيد رحمه الله «٢٣١ هـ»

قال إبراهيم الحربي فيما صح عنه: قال أحمد بن نصر وسئل عن علم الله فقال: "علم الله معنا وهو على عرشه"[٢].

١٠ - قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله «٢٤١ هـ»

قال يوسف بن موسى القطان: وقيل لأبي عبد الله: الله فوق السماء السابعة على عرشه، بائن من خلقه، وعلمه وقدرته بكل مكان. قال: "نعم"[٣].

قال أحمد بن حنبل رحمه الله في كتاب "الرد على الجهمية" مما جمعه ورواه عبد الله ابنه عنه: "باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش، قلت لهم: أنكرتم أن يكون الله على العرش، وقد قال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؟

فقالوا: هو تحت الأرض السابعة، كما هو على العرش، وفي السموات والأرض.

فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء، أجسامكم وأجوافكم والأماكن القذرة ليس فيها من عظمته شيء، وقد أخبرنا عز وجل أنه في السماء فقال تعالى ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾، فقد أخبرنا سبحانه

---

(١) أحمد بن نصر بن مالك، الخزاعي، أبو عبد الله، ثقة، قتل شهيداً في خلافة الواثق لامتناعه عن القول بخلق القرآن سنة «٢٣١ هـ». سير أعلام النبلاء «١١/١٦٦»، تهذيب التهذيب «١/٨٧».

(٢) أورده الذهبي في العلو ص ١٢٨.

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة «تتمة الرد على الجهمية»، «٣/١٥٩، ح١١٥». واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «٣/٤٠١-٤٠٢، برقم٦٧٤». وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة «١/٤٢١». وابن قدامة في إثبات صفة العلو «ص١١٦، برقم٩٦». والذهبي في العلو «١٣٠».، وفي العرش «٢/٢٤٨، برقم ٢٢١» وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص٢٠٠» وعزاه للخلال في كتاب السنة له.

أنه في السماء"[١].

١١ – قول الحارث بن أسد المحاسبي[٢] «**٢٤٣هـ**»

قال: "وأما قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿إِذاً لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ هذا يوجب أنه فوق العرش فوق الأشياء كلها متنزه عن الدخول في خلقه لا يخفى عليه منهم خافية لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده؛ لأنه قال: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ يعني فوق العرش، والعرش على السماء لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء، في السماء وقد قال ﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ﴾ يعني علي الأرض لايريد الدخول في جوفها...."[٣]

١٢ – قول عبد الوهاب بن الحكم الورَّاق[٤] «**٢٥١هـ**»

قال عبد الوهاب بن عبد الحكم الوراق لما روى حديث ابن عباس **» ما بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور، وهو فوق ذلك قال: "من زعم أن الله ههنا فهو جهمي خبيث، إن الله فوق العرش، وعلمه محيط بالدنيا والآخرة"**[٥].

---

(١) انظر الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل «ص٩٢-٩٣، -ضمن عقائد السلف». وأورده الذهبي في العرش «٢/٢٥٠.٢٥١ برقم ٢٢٤.» وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص٢٠١-٢٠٢».

(٢) الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي أبو عبد الله عاش في بغداد اشتهر بالتصوف وألف فيه كتبا أشهرها الرعاية لحقوق الله ورسالة المسترشدين توفي سنة ٢٤٣ هـ تاريخ بغداد ٢١١/٨ السير ١١٠/١٢.

(٣) انظر مجموع الفتاوى «٥ /٦٩» واجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٧٢.

(٤) عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع النسائي، ثم البغدادي، أبو الحسن الوراق، صحب الإمام أحمد وسمع منه، وكان صالحاً، ورعاً، زاهداً، توفي سنة «٢٥١هـ» على القول الراجح. طبقات الحنابلة «٢٠٩/١-٢١٢»، التقريب «ص٦٣٣».

(٥) أورده الذهبي في العلو «ص١٤٢»، وفي العرش" ٢٥٣/٢ رقم ٢٢٦. وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص٢٣٢»، وقال: «صح ذلك عنه، حكاه عنه محمد بن أحمد بن عثمان -يعني الذهبي- في رسالته الفوقية وقال: ثقة حافظ، روى عنه أبو داود والترمذي والنسائي، مات سنة خمسين ومائتين» اهـ.

١٣ – قول يحي بن معاذ الرازي[١] رحمه الله «٢٥٨هـ»

قال: "الله تعالى على العرش، بائن من الخلق، قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ولا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء ضليل هالك مرتاب، يمزج الله بخلقه ويخلط الذات بالأقذار والأنتان"[٢]

١٤ – قول محمد بن يحي الذهلي[٣] رحمه الله «**٢٥٨هـ**»

سئل محمد بن يحي عن حديث عبد الله بن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ليعلم العبد أن الله معه حيث ما كان"[٤]، فقال: "يريد أن الله علمه محيط بكل مكان والله على العرش"[٥].

١٥ – قول المزني[٦] رحمه الله «**٢٦٤هـ**»

قال"الحمد لله أحق من ذكر وأولى من شكر... إلى أن قال.. علا على عرشه في مجده بذاته، وهو دان بعلمه من خلقه، أحاط علمه بالأمور..."[٧].

١٦ – قول أبي حاتم الرازي «**٢٧٧هـ**»

وأبي زرعة الرازي «**٢٦٤هـ**» رحمهما الله

---

(١) يحي بن معاذ الرازي، أبو زكريا، الواعظ، ذكره أبو القاسم القشيري في الرسالة وعده من جملة المشايخ، توفي سنة «٢٥٨ هـ» بنيسابور. وفيات الأعيان ١٦٥/٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٤٩/٥ واجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٧٠.

(٣) محمد بن يحي بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي النيسابوري الزهري، ثقة، حافظ، جليل، من الحادية عشرة، مات ستة «٢٥٨هـ» على الصحيح وله ست وثمانون سنة. التقريب «ص٩٠٧»، السير «٢٧٣/١٢».

(٤) رواه الطبراني في الصغير ص ١١٥، وقال الألباني: «إسناده صحيح»، انظر: سلسة الأحاديث الصحيحة رقم «١٠٤٦».

(٥) أورده الذهبي في العلو ص ١٣٦.

(٦) إسماعيل بن يحي بن إسماعيل المزني، أبو إبراهيم، المصري، تلميذ الشافعي، إمام، علامة، فقيه،كان زاهدا، عالما، مجتهدا، قوي الحجة، توفي سنة «٢٦٤هـ». السير «٤٩٢/١٢».

(٧) انظر: شرح السنة. للمزني ص٧٥

شرح العقيدة الواسطية ص١٣٤. والأربعين في صفات رب العالمين رقم ٥١. ومختصر الصواعق ٢٦٢/٢-٢٧٩.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبا حاتم وأبا زرعة الرازيين رحمهما الله عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار، حجازاً، وعراقاً، ومصراً، وشاماً، ويمناً، وكان من مذهبهم أن الله على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً"[(١)].

١٧ - عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله «**٢٨٠هـ**»

قال في كتابه "النقض على بشر المريسي": "قد اتفقت الكلمة من المسلمين، أن الله بكماله فوق عرشه، فوق سمواته"[(٢)].

وقال أيضاً في موضع آخر من الكتاب: "وقال أهل السنة: إن الله بكماله فوق عرشه، يعلم ويسمع من فوق العرش، لا يخفى عليه خافية من خلقه، ولا يحجبهم عنه شيء"[(٣)].

١٨ - قول زكريا بن يحي الساجي[(٤)] رحمه الله «**٣٠٧هـ**»

قال: "القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث، إن الله تعالى على عرشه،

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «١/١٧٦-١٧٩، برقم٣٢١»، وقد ذكر الاعتقاد بتمامه والنص المذكور هنا تجده في «ص١٧٧». والذهبي في سير أعلام النبلاء «١٣/٨٤» بالسند المذكور هنا، وأخرجه في العلو «ص١٣٧-١٣٨» وقد ساقها بأسانيد ثلاثة، وأخرجه في العرش ٢/٢٥٧ رقم ٢٢٨. وابن قدامة في إثبات صفة العلو «ص١٢٥، برقم١١٠»، وأورده ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل «٦/٢٥٧». قال الألباني في مختصر العلو «ص٢٠٤-٢٠٥»: «قلت: هذا صحيح ثابت عن أبي زرعة وأبي حاتم رحمة الله عليهما...» إلى أن قال: «ورسالة بن أبي حاتم محفوظة في المجموع «١١» في الظاهرية في آخر كتاب «زهد الثمانية من التابعين». وقد طبعت ضمن " روائع التراث " تحقيق محمد عزيز شمس، ونشرته الدار السلفية بالهند. انظر «ص١٩-٢٦».

(٢) انظر الرد على بشر المريسي «ص٤٠٨ -ضمن عقائد السلف -»، وأورده الذهبي في السير «١٣/٣٢٥»، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص٢٢٨»، وانظر مختصر الصواعق «٢/٢١٣».

(٣) انظر الرد على بشر المريسي «ص٤٣٨ -ضمن عقائد السلف -» مع تقديم وتأخير و انظر: "الرد على الجهمية" ص ٢٦٨ «ضمن عقائد السلف» و العرش للذهبي ٢/٢٦٠ رقم ٢٣٠.

(٤) زكريا بن يحي بن عبد الرحمن بن محمد بن عدي الضبي البصري الساجي، أبو يحي، محدث البصرة في عصره، وكان من الحفاظ الثقات، كان مولده «٢٢٠هـ» وتوفي سنة «٣٠٧هـ». طبقات الشافعية «٢/٢٢٦»، البداية «١١/١٣١».

في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء"[١].

١٩ – قول الحسن بن علي بن خلف البربهاري[٢] رحمه الله «**٣٢٩ هـ**»

"وهو جل ثناؤه واحد ليس كمثله شئ وهو السميع البصير، ربنا أول بلا متى وآخر بلا منتهى، يعلم السر وأخفى، وعلى عرشه استوى، وعلمه بكل مكان، لايخلو من علمه مكان"[٣].

٢٠ – قول علي بن مهدي الطبري[٤] رحمه الله

قيل لعلي بن مهدي ما تقولون في قوله ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾؟، قال: "إن بعض القراء يجعل الوقف ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾، ثم يبتديء ﴿وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾، وكيف ما كان، ولو أن قائلاً قال: فلان بالشام والعراق ملك، يدل على أن ملكه بالشام والعراق لا أن ذاته فيهما"[٥].

٢١ – قول ابن أبي زيد القيرواني[٦] رحمه الله «**٣٨٦هـ**»

قال الإمام أبو محمد بن أبي زيد المالكي المغربي في رسالته في مذهب مالك، أولها: "وأنه

---

(١) أورده ابن تيمية في نقض تأسيس الجهمية «٥٢٧/٢.٥٢٨» والذهبي في العلو «ص١٥٠»وفي العرش «٢٧٨/٢ رقم ٢٤٠» وابن القيم في اجتماع الجيوش الأسلامية «ص ٢٤٥.٢٤٦»

(٢) الحسن بن علي بن خلف، البربهاري، الإمام، الحافظ، رأس الحنابلة في بغداد، وكان معروفاً بشدته في السنة، توفي رحمه الله سنة «٣٢٩ هـ».طبقات الحنابلة ١٨/٢–٤٥.

(٣) انظر: شرح السنة للبربهاري ص ٧١.

(٤) علي بن محمد بن مهدي الطبري، أبو الحسن صحب أبا الحسن الأشعري بالبصرة، ألف كتاب «تأويل الأحاديث المشكلات الواردة في الصفات». انظر تبيين كذب المفتري «ص١٩٥–١٩٦».

(٥) أورد هذا الكلام ابن تيمية في نقض تأسيس الجهمية «٣٣٥/٢–٣٣٧». والذهبي في العرش ٣٢٢/٢ رقم ٢٥٦.

(٦) أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي، فقيه، مفسر، مشارك، له مصنفات كثيرة منها، كتاب النوادر والزيادات، ومختصر المدونة، وكتاب الرسالة، وإعجاز القرآن، توفي سنة «٣٨٦هـ». السير «١٠/١٧»، شذرات الذهب «١٣١/٣».

فوق عرشه المجيد بذاته، وأنه في كل مكان بعلمه"[(١)].

وقال في كتابه المفرد في السنة: "وأنه فوق سمواته على عرشه دون أرضه وأنه في كل مكان بعلمه"[(٢)].

٢٢ – قول محمد بن عبد الله ابن أبي زمنين [(٣)] رحمه الله «**٣٩٩هـ**»

قال محمد بن عبد الله "ومن قول أهل السنة إن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه في قوله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾... فسبحان من بعد فلا يرى، وقرب بعلمه وقدرته فسمع النجوى"[(٤)].

٢٣ – قول أبي بكر الباقلاني[(٥)] رحمه الله «**٤٠٣هـ**»

قال أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتاب "الإبانة":

"فإن قيل: هل تقولون إنه في كل مكان؟؛

قيل له: معاذ الله، بل هو مستو على عرشه، كما أخبر في كتابه وقال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وقال ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، وقال: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾، ولو كان في كل مكان، لكان في بطن الإنسان، وفمه، والحشوش، ولوجب أن يزيد بزيادات الأماكن، إذا

---

(١) انظر رسالة القيرواني «ص٤»، باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات، ط: مطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية «١٣٦٨هـ»، وأورده ابن تيمية في مجموع الفتاوى «١٨٩/٥». أورده الذهبي في العلو «ص١٧١»، وفي العرش ٣٤١/٢ رقم ٢٦٣. وأورده ابن القيم كما في مختصر الصواعق «١٣٤/٢» وقال: «فصرح به أبو محمد بن أبي زيد في ثلاثة مواضع من كتبه أشهرها الرسالة، وفي كتاب جامع النوادر، وفي كتاب الآداب»،

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٥١.

(٣) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المري الأندلسي المالكي المعروف بابن زمنين محدث فقيه أصولي مفسر صوفي أديب شاعر ولد سنة ٣٢٤ هـ وتوفي سنة ٣٩٩ هـ من أشهر مؤلفاته أصول السنة الوافي بالوفيات ٣٢١/٢، شذرات الذهب ١٥٦/٣.

(٤) رياض الجنة بتخريج أصول السنة ص ٨٨.

(٥) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، البصري، ثم البغدادي، أبو بكر، ابن الباقلاني، صاحب التصانيف، مات سنة «٤٠٣هـ».قال عنه الذهبي: "الذي ليس في متكلمي الأشاعرة أفضل منه، لا قبله ولا بعده" تاريخ بغداد «٣٧٩/٥»، السير «١٩٠/١٧».

خلق منها ما لم يكن، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض، وإلى خلفنا، وإلى يميننا، وشمالنا، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله"(١).

٢٤ – قول أبي بكر محمد بن موهب المالكي(٢) رحمه الله «**٤٠٦ هـ**»

قال رحمه الله:"... فلذلك قال الشيخ أبو محمد(٣): "إنه فوق عرشه" ثم بين أن علوه فوق عرشه، إنما هو بذاته، لأنه تعالى بائن عن جميع خلقه بلا كيف، وهو في كل مكان بعلمه لا بذاته"(٤).

٢٥ – قول اللالكائي(٥) رحمه الله «**٤١٨هـ**»

قال الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن الشافعي، في كتاب شرح أصول السنة له: "سياق ما روي في قوله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وأن الله على عرشه في السماء، قال عزوجل ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، وقال ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾، وقال ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، قال: فدلت هذه الآيات أنه في السماء وعلمه محيط بكل مكان"(٦).

---

(١) هذا الكلام ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى «٩٨/٥-٩٩»، وقد نقله الذهبي في العرش ٣٣٨/٢ رقم ٢٦١. ومختصراً في سير أعلام النبلاء «٥٥٨/١٧-٥٥٩».

(٢) محمد بن موهب، التجيبي، أبو بكر، الحصَّار، المعروف بالقبري، كان من العلماء الزهَّاد الفضلاء، له مؤلفات كثيرة في العقائد، توفي بقرطبة سنة «٤٠٦ هـ». ترتيب المدارك ١٨٨/٧.

(٣) يريد الإمام أبا محمد بن أبي زيد القيرواني، وذلك في شرحه على الرسالة.

(٤) أورده الذهبي في العلو ص ١٩٢.

وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٥٦.

(٥) هبة الله بن الحسن بن منصور، الطبري، أبو القاسم، اللالكائي، نسبته إلى بيع اللوالك، -وهي التي تلبس في الأرجل-، الشافعي، إمام حافظ، مجود، صاحب شرح أصول اعتقاد أهل السنة، توفي سنة «٤١٨هـ». تاريخ بغداد «٧٠/١٤»، السير «٤١٩/١٧».

(٦) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «٣٨٧/٣-٣٨٨».

وأورده الذهبي في العرش ٣٤٤/٢ رقم ٢٦٤.

٢٦ – قول معمر بن أحمد الأصبهاني[(١)] رحمه الله «**٤٢٨هـ**»

قال رحمه الله في رسالته إلى بعض أصحابه: "وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل والإستواء معقول والكيف مجهول وأنه عز وجل بائن من خلقه والخلق بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة"[(٢)]

٢٧ – قول أبي نصر السجزي[(٣)] رحمه الله «**٤٤٤هـ**»

قال الإمام أبو نصر السجزي الحافظ، في كتاب "الإبانة" له: "وأئمتنا الثوري، ومالك، وابن عيينة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وابن المبارك، وفضيل بن عياض، وأحمد، وإسحاق، متفقون على أن الله فوق عرشه بذاته، وأن علمه بكل مكان"[(٤)].

٢٨ – قول أبي إسماعيل الأنصاري[(٥)] رحمه الله «**٤٨١هـ**»

قال الإمام أبو إسماعيل الأنصاري في كتاب "الصفات" له: – باب اثبات استواء الله على عرشه فوق السماء السابعة، بائناً من خلقه، من الكتاب والسنة –. فذكر رحمه الله دلالات ذلك من الكتاب والسنة –إلى أن قال–: "في أخبار شتى أن الله عزوجل في السماء السابعة على العرش بنفسه، وهو ينظر كيف تعملون، علمه، وقدرته، واستماعه، ونظره، ورحمته، في

---

(١) أبو منصور معمر بن أحمد بن محمد الأصبهاني كان كبير الصوفية في أصبهان وروى عن الطبراني المحدث توفي سنة ٤٢٨ هـ شذرات الذهب ٣/٣١١.

(٢) أورده ابن تيمية في القتاوى ٥/٦١.

والذهبي في العلو ص ٢٦٢. وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢٧٦.

(٣) عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي الوائلي، أبو نصر، محدث، حافظ، صنف، وخرج، وعالماً بالأصول والفروع، توفي في الحرم سنة «٤٤٤هـ». تذكرة الحفاظ «٣/١١١٨»، السير «١٧/٦٥٤»

(٤) أورده ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل «٦/٢٥٠»، وفي نقض تأسيس الجهمية «٢/٣٨، ٤١٦–٤١٧»، وفي مجموع الفتاوى «٥/١٩٠»، والذهبي في العلو «ص١٧٢»، وفي سير أعلام النبلاء «١٧/٦٥٦»، وفي كتاب العرش" ٢/٣٤٢ رقم ٣/٢٦٣، و٢/٣٥٣ رقم ٢٧٠. وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص٢٤٦»، وأورده أيضاً كما في مختصر الصواعق «٢/٢١٤».

(٥) عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري، أبو إسماعيل الهروي، شيخ خراسان، إمام قدوة، حافظ كبير، توفي سنة «٤٨١هـ» وله أربع وثمانون سنة ونيف. الأنساب «١/٣٦٧»، السير «١٨/٥٠٣».

كل مكان"[(١)].

٢٩ - قول أبي الحسن الكرجي[(٢)] رحمه الله «**٤٩١هـ**»

قال الإمام أبو الحسن الكرجي في عقيدته المعروفة التي أولها:

محاسن جسمي بدلت بالمعايب

وشيب فَوْدي شيب وصل الحبائب

إلى أن قال:

وأفضل زاد في المعاد عقيدة

على منهج في الصدق والصبر لاحب

عقائدهم أن الإ له بذاته

على عرشه مع علمه بالغوائب

وأن استواء الرب يعقل كونه

ويجهل فيه الكيف جهل الشهارب[(٣)]

٣٠ - قول عبد القادر الجيلي[(٤)] رحمه الله «**٥٦١ هـ**»

قال الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، في كتاب "الغنية" له: "وهو بجهة العلو مستو على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال إنه في السماء على العرش كما قال

---

(١) أورده الذهبي في العلو «ص١٨٩». وفي العرش ٢/٣٦٥ رقم ٢٧٩.

(٢) مكي بن محمد بن علاَّن، أبو الحسن الكرجي، المعتمد، المعروف بالسّلار، الشيخ الجليل، المسند، المعمر، مات بأصبهان سنة «٤٩١هـ». السير «١٩/٧١»، شذرات الذهب «٣/٣٩٧».

(٣) أورده الذهبي في العرش ٢/٣٦٨ رقم ٢٨٢.

(٤) عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلي، أبو محمد الحنبلي، شيخ بغداد، الإمام، الزاهد، العارف، القدوة، ولد سنة «٤٧١هـ» وتوفي سنة «٥٦١هـ». ذيل طبقات الحنابلة «١/٢٩٠»، السير «٢٠/٤٣٩».

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش، وكونه سبحانه وتعالى على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف"[(١)].

٣١ - قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «**٧٢٨ هـ**»

"... وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله: الإيمان بما أخبر الله به في كتابه، وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه، عليٌّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[(٢)]"[(٣)].

٣٢ - قول محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي رحمه الله «**٧٤٨ هـ**»

صنف الإمام الذهبي كتاب العلو وكتاب العرش في إثبات علو الله على عرشه، وأنه مع خلقه بعلمه، وساق فيه الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم إلى قريب من زمانه، وحكى الإجماع عن كثير منهم على أن الله تعالى فوق عرشه، ومع الخلق بعلمه. ومما قاله في أثناء كتابه العلو "ويدل على أن الباري تبارك وتعالى عالٍ على الأشياء، فوق عرشه المجيد، غير حالٍ بالأمكنة قوله تعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[(٤)]"[(٥)].

---

(١) انظر كتاب الغنية لطالبي طريق الحق لعبد القادر الجيلاني «١/٥٤-٥٧»، ط: الحلبي، وطبقات الحنابلة «١/٢٩٦». ومجموع الفتاوى «٥/٨٥». والعلو للذهبي «ص١٩٣». و العرش ٢/٣٦٩ رقم ٢٨٢. واجتماع الجيوش الإسلامية «ص٢٧٧».

(٢) الآية ٤ من سورة الحديد.

(٣) انظر: المجموع ٣/١٤٢.

(٤) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٥) انظر: العلو ص٨٣.

٣٣ – قول الإمام شمس الدين ابن القيم رحمه الله «**٧٥١ هـ**»

صنف الإمام ابن القيم كتابه إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لبيان مسألة علو الله على عرشه ومعيته لخلقه، فساق الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أكابر العلماء إلى قريب من زمانه، وحكى الإجماع عن كثير منهم على ذلك، كما اشتمل كتابه الصواعق المرسلة، وقصيدته الكافية الشافية على فصول كثيرة في تقرير هذه المسألة.

٣٤ – قول ابن رجب الحنبلي رحمه الله «**٧٩٥ هـ**»

وقد ردّ ابن رجب رحمه الله تعالى على الذين فسروا المعية بتفسير لا يليق بالله عزوجل وهم الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان، وهم الحلولية من الجهمية ومن نحا نحوهم.

فقال رحمه الله تعالى: "ولم يكن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يفهمون من هذه النصوص غير المعنى الصحيح المراد بها، يستفيدون بذلك معرفة عظمة الله وجلاله واطلاعه على عباده وإحاطته بهم وقربه من عابديه وإجابته لدعائهم، فيزدادون به خشية لله وتعظيماً وإجلالاً ومهابة ومراقبة واستحياء ويعبدونه كأنهم يرونه، ثم حدث بعدهم من قل ورعه وانتكس فهمه وقصده، وضعفت عظمة الله وهيبته في صدره وأراد أن يرى الناس امتيازه عليهم بدقة الفهم وقوة النظر، فزعم أن هذه النصوص تدل على أن الله بذاته في كل مكان كما حكى ذلك طوائف من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

وهذا شئ ما خطر لمن كان قبلهم من الصحابة رضي الله عنهم، وهؤلاء ممن يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم منهم في حديث عائشة المتفق عليه.

وتعلقوا أيضاً بما فهموه بفهمهم القاصر مع قصدهم الفاسد بآيات في كتاب الله تعالى مثل قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وقوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾

فقال من قال من علماء السلف حينئذ إنما أراد أنه معهم بعلمه وقصدوا بذلك إبطال ما قال أولئك مما لم يكن أحد قبلهم قاله ولا فهمه من القرآن.

وحكى ابن عبد البر وغيره إجماع العلماء من الصحابة والتابعين في تأويل قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ أن المراد علمه، وكل هذا قصدوا به رد قول من قال إنه تعالى بذاته في كل مكان"(١).

٣٥ – قول صديق حسن خان رحمه الله «**١٣٠٧ هـ**»

"وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا كلام الصحابة والتابعين، وسائر الأئمة، قد دل ذلك بما هو نص أو ظاهرٌ، في أن الله سبحانه فوق العرش، فوق السموات، استوى على عرشه، بائن من خلقه،... وهو معهم أينما كانوا. قال نعيم بن حماد لما سئل عن معنى هذه الآية ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ معناها: «**أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه**» وليس معناه أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق... –إلى أن قال–:... فكل ما في الكتاب والسنة من الأدلة الدالة على قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه عليٌّ في دنوِّه وقريب في عُلوِّه، والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جداً."(٢).

---

(١) فتح الباري لابن رجب ٢/٣٣١-٣٣٢.

(٢) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر لصديق حسن خان ص ٥٠-٥١.

٤٤ - رؤية الله

فيه مسائل:

المسألة الأولى: رؤية الله في الدنيا يقظة.

المسألة الثانية: رؤية الله عز وجل في المنام.

المسألة الثالثة: رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج.

المسألة الرابعة: رؤية الله عز وجل في الآخرة

المسألة الخامسة: الفرق المخالفة في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة



[٤٤]- قال المصنف رحمه الله: وقوله: «**إنَّكم سترَوْنَ ربَّكم كما ترَوْنَ القمَر ليلةَ البَدْر، لا تضامُّون في رُؤْيته؛ فإن استطَعْتم أنْ لا تُغلَبوا على صلاةٍ قبل طُلوع الشمس وصلاةٍ قبل غُروبها، فافْعَلوا**»، مُتَّفقٌ عليه. إلى أمثال هذه الأحاديث التي يُخبر فيها رسولُ الله ﷺ عن ربِّه بما يُخبِر به».

الشرح

تمهيد:

مســألة رؤية الله يُلحقها العلماء بباب الصِّـفات، مع أن البحث في رؤية العبد لربه وليس العكس، ولكنهم يُلحقونها بباب الصفات.

ورؤية الله تعالى هي أعظم النعيم وأعلاه، وغايته ومنتهاه، وهو لكل مؤمن اصــطفاه، فهي أجل مسائل الدين وأشرفه.

ومسألة رؤية الله عز وجل مُتشعبة؛ إذ تشتمل على ما يتعلق برؤيته سبحانه وتعالى في الدنيا عيانًا، ورؤيته جل وعلا منامًا، ورؤية النبي ﷺ لربِّه ليلة المعراج، ورؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وفي الجنة، وكذلك رؤية المنافقين والكافرين له جل جلاله يوم القيامة.

ويجدر التنبيه على أمور مهمة تتعلق بمسألة الرؤية:

- المسألة الأولى: ما يتعلق برؤيته سبحانه وتعالى في الدنيا عيانًا.
- المسألة الثانية: ورؤيته جل وعلا منامًا.
- المسألة الثالثة: ورؤية النبي ﷺ لربِّه ليلة المعراج.
- المسألة الرابعة: ورؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وفي الجنة.
- المسألة الخامسة: الفرق المخالفة في إثبات رؤية الله في الآخرة.

المسألة الأولى: رؤية الله في الدنيا يقظة:

رؤية الله في الدنيا يقظة غير واقعة شرعًا، وغير مُمكنة، وقد اتفقت الأمةُ على أن الله تعالى لا يراه أحدٌ في الدنيا بعينه، ولم ينازعوا في ذلك إلا ما شَذَّ من بعض غُلاة الصُّوفية؛ فقد زعموا

أنه يجوز رؤية الله في الدنيا، وأنه يَزورهم ويَزورونه في الحضرة الإلهية ويَرَوْنه[(١)]، وهؤلاء لا عبرة بخلافهم؛ إذ كله كذب ودجل.

ومَن ادَّعى رؤية الله في الدنيا بعيني رأسه فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة، وهو ضالٌّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في ردِّه على مَن زعم رؤية الله في الدنيا يقظة: «**مَن قال من الناس: إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضالٌّ، مُخالف للكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، لا سيما إذا ادَّعوا أنهم أفضل مِن موسى، فإن هؤلاء يُستتابون، فإن تابوا وإلا قُتلوا**»[(٢)].

وقد بَيَّن- رحمه الله- علة عدم إمكان رؤية الله في الدنيا بالعين، حيث قال: «**وإنَّما لم نَره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤيا، فهذه الشمس إذا حدق الرائي البصر في شعاعها ضعف عن رؤيتها لا لامتناع في ذات المرئي، بل لعجز الرَّائي، فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله قُوى الآدميين حتى أطاقهم رؤيته، ولهذا لما تجلى الله للجبل خَرَّ موسى صعقًا، قال: سبحانك! تُبت إليك، وأنا أول المؤمنين بأنَّه لا يراك حيٌّ إلا مات، ولا يابس إلا تَدَهْدَه، ولهذا كان البشر يَعجزون عن رؤية المَلَك في صورته إلَّا مَن أيده الله، كما أيَّد نبينا ﷺ**»[(٣)].

أدلة أهل السنة على عدم وقوع رؤية الله في الدنيا يقظة:

والأدلة التي استند عليها أهل السنة في إجماعهم على عدم وقوع رؤية الله في الدنيا يقظة- كثيرة؛ منها:

قول النبي ﷺ كما في «**صحيح مسلم**»: «**تَعَلَّمُوا أنَّه لن يرى أحدٌ مِنكم ربه- عز**

---

(١) «المِلل والنِّحَل» للشَّهرستاني «١/ ١٠٥».

(٢) «مجموع الفتاوى» «٧/ ١٠٤».

(٣) «منهاج السنة النبوية» «٢/ ٣٣٢».

وجل- حتى يَموت»[(١)]، فهو صريح في عدم وقوع الرؤية البصرية لأحد من الناس لله جل وعلا في هذه الدار الدنيا حتى ولو كان نبيًّا؛ لأن الله-جل وعلا- قد مَنع موسى- عليه السلام- مِن أن يَرَاه، وهو أحد أُولي العزم من الرسل، فكيف بمن دونه مِن سائر المؤمنين؟! فإن الله- جل وعلا- لما قال له موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣] قال: ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] فمنعه من أن يراه، وفي قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ أي: لما تجلى الله للجبل تدكدك ولم يَثبت، فكيف يَثبت البشر الضعيف؟!

المسألة الثانية: رؤية الله- عز وجل- في المنام:

ذهب جمهور العلماء إلى جواز رؤية الله في المنام، وأنها قد تقع صحيحة، بل ذكر القاضي عياض- رحمه الله- اتفاق العلماء على هذه المسألة؛ فقال: «**ولم يختلف العلماء في جواز صحة رؤية الله في المنام**»[(٢)].

وقال الإمام البَغوي رحمه الله: «**رؤية الله في المنام جائزة؛ قال معاذ عن النبي ﷺ**: «**إني نَعست فرأيت ربِّي**»، وتكون رؤيته-جَلَّت قُدرته- ظهور العدل والفرج والخصب والخير لأهل ذلك الموضع، فإن رآه فوعد له جنة، أو مغفرة، أو نجاة من النار، فقوله حق، ووعده صدق، وإن رآه ينظر إليه فهو رحمته، وإن رآه معرضًا عنه فهو تحذير من الذنوب؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧]، وإن أعطاه شيئًا من متاع الدنيا فأخذه، فهو بلاء ومحن وأسقام تصيب بدنه، يَعظم بها أجرُه، لا يَزال يضطرب فيها حتى يُؤديه إلى الرحمة، وحسن العاقبة»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «**ومن رأى الله- عز وجل- في المنام فإنَّه يراه في صورة من الصور بحسب حال الرَّائي؛ إن كان صالحًا رآه في صورة حسنة، ولهذا رآه النبي-**

---

(١) أخرجه مسلم «٢٩٣١» من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) «إكمال المعْلِم بفوائد مُسلم» «٧/ ٢٢٠» ط. دار الوفاء.

(٣) «شرح السنة» «١٢/ ٢٢٧، ٢٢٨».

ﷺ- **في أحسن صورة...»**[(١)].

وقال في موضع آخر: «**وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صورة متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يُشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق...**»[(٢)].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: ٦٩]: «**فأمَّا الحديث الذي رواه الإمام أحمد**: «... **فإذا أنا بربي- عز وجل- في أحسن صورة، فقال: يا محمد، أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب**». أعادها ثلاثًا، «**فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري، فتجلى لي كل شيء وعرفتُ**...»، فهو حديث المنام المشهور، ومَن جعله يقظة فقد غَلط، وهو في السُّنن من طرق»[(٣)].

المسألة الثالثة: رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج:

بعد اتفاق أهل السنة والجماعة على أن الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا يقظة فقد اختلفوا في رؤية نبينا- ﷺ- ربه ليلة المعراج؛ قال الإمام ابن القيم: «**حكى عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب** «**الرؤية**» له: إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك، وشيخنا- أي: ابن تيمية- يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة، فإن ابن عباس لم يقل: رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال: إنه- ﷺ- رآه عز وجل، ولم يقل: بعيني رأسه، ولفظ أحمد لفظ ابن عباس رضي الله عنهما، ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر- رضي الله عنه- قوله- ﷺ- في الحديث

---

(١) «مجموع الفتاوى» «٥/ ٢٥١».

(٢) «مجموع الفتاوى» «٣/ ٣٩٠».

(٣) «تفسير ابن كثير» «٧/ ٨١».

الآخر: «**حجابُه النُّورُ**»[(١)]، فهذا النور هو- والله أعلم- النور المذكور في حديث أبي ذر رضي الله عنه: «**رأيتُ نُورًا**»[(٢)]»[(٣)].

وهو ما رجَّحه- أيضًا- شيخ الإسلام في «**مجموع الفتاوى**»، حيث قال رحمه الله: «**ولم يتنازعوا إلا في النبي- ﷺ- خاصة مع أن جماهير الأئمة على أنَّه لم يَره بعينه في الدنيا، وعلى هذا دَلَّت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي- ﷺ- والصحابة وأئمة المسلمين، ولم يثبت عن ابن عباس ولا عن الإمام أحمد وأمثالهما أنهم قالوا: إن محمدًا رأى ربه بعينه، بل الثابت عنهم إمَّا إطلاق الرؤية، وإمَّا تقييدها بالفؤاد، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة أنه رآه بعينه، وقوله: «أتاني البارحةَ رَبِّي في أحسن صورة»**[(٤)] الحديث الذي رواه الترمذي وغيره إنما كان بالمدينة في المنام هكذا جاء مفسرًا»[(٥)].

فحملوا الآثار المطلقة الواردة في الرؤية ؛كأثر ابن عباس: «**رأى محمدٌ ربَّه**»- على الرؤية القلبية، وحملوا الآثار النافية للرؤية؛ كأثر عائشة رضي الله عنها- على الرؤية البصرية؛ لأنه- من خلال التَّتبع- لم يَرِد عن أحد منهم أنه قال: رآه بعينه، وعليه فلا تعارض بين هذه النصوص.

المسألة الرابعة: رؤية الله- عز وجل- في الآخرة:

وأما في الآخرة فهي جائزة عقلًا وواقعة شرعًا، ولا يَرِد على هذا قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فقد استدل به المعتزلة على نفي الرؤية مطلقًا، مع أن المراد بالآية ليس نفي الرؤية، وإنما المراد نفي الإدراك؛ لأنها سِيقت مساق المدح، ولو

---

(١) أخرجه مسلم «١٧٩» من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم «١٧٨» من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» «١/ ٣».

(٤) أخرجه الترمذي «٣١٥٧»، وأحمد «٣٣٠٤» وغيرهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» «٥٩».

(٥) «مجموع الفتاوى» «١/ ١٦٩».

كان المراد نفي الرؤية لما كان في ذلك مدح؛ لأن المعدوم هو الذي لا يُرَى، والكمال في إثبات الرؤية هو نفي الإدراك؛ لأن النفي المحض لا يأتي في صفات الله، وإنما الذي يأتي هو النفي الذي يستلزم إثبات ضده من الكمال.

فالمعنى: أنه يُرى ولا يحاط به رؤيةً، فـ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾؛ لكمال عظمته، كما أنه يُعلم ولا يُحاط به علمًا لكمال عظمته، و﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾؛ لكمال قوته واقتداره، وهكذا.

وقد ورد عن بعض السلف أن الآية تفيد نفي الرؤية في الدنيا، فروى ابن كثير عن إسماعيل بن علية في قول الله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ أنه قال: «**هذا في الدنيا**».

وقد ذهب الآخرون إلى أن هذا النفي العام لرؤية جميع الأبصار له سبحانه وتعالى مُخَصَّصٌ بما ثبت من رؤية المؤمنين له جل وعلا في الآخرة[(١)].

وقال ابنُ القيِّم رحمه الله: «**دلَّ الكتابُ والسنَّةُ المُتواترَةُ وَإجماعُ الصَّحابةِ وأئمةُ أهلِ الإسلامِ والحديثِ عَلَى أَنَّ اللهَ يُرى يومَ القيامَةِ بِالأبصارِ عِيَانًا، كَمَا يُرى القَمَرُ ليلةَ البدرِ صَحْوًا، وَكَمَا تُرى الشَّمسُ في الظَّهيرة، فَإن كَانَ مَا أَخبَرَ به اللهُ وَرَسُوله عنه من ذلك حَقِيقَةً- وإنَّ له والله حقَّ الحقيقة- فَلَا يُمكِنُ أن يَروهُ إِلَّا مِن فَوقِهِم؛ لاستِحَالَةِ أَن يَروهُ أسفل منهم، أو مِن خلفهم، أَو أمامهم، وَنَحو ذَلِكَ...، فلَا يَجتَمِعُ فِي قَلبِ العبد بعد الاطلاع عَلَى هَذِهِ الأَحَادِيث وَفَهِمَ مَعنَاهَا إنكارُها والشهادةُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ أَبَدًا**»[(٢)].

أ- رؤية المؤمنين لربِّهم جل وعلا:

بَيَّن المصنفُ رحمه الله هنا أنه قَد دَخَلَ فِي الإيمانِ باللهِ وَكُتبِهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسلِهِ: الإيمانُ بِأَنَّ المؤمِنِينَ يرونَهُ سبحانه وتعالى يومَ القيامةِ؛ فَمَنِ لَم يُؤمن بِأَنَّهُ- سبحانه- يُرَى يومَ القيامةِ فَقَد

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» «٣/ ٣٠٩».

(٢) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» «ص ٣٤٢».

رَدَّ أَدِلَّةَ الكتابِ والسُّنَّةِ، وَخَالَفَ مَا عَلَيهِ سَلفُ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتها، وَلَم يُؤمن بِاللهِ وَمَلائكتِهِ وكتبِهِ وَرسلِهِ.

فالله سبحانه وتعالى سيخص المؤمنين بمزيد من الإنعام يوم القيامة، وهو رؤيته جل وعلا، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله: «**هَل تُضَارُّون في رؤية القمر ليلة البدر؟**». قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**هل تُضارون في الشَّمس ليس دونها سحاب؟**». قالوا: لا. قال: «**فإنَّكم ترونه كذلك**...»، الحديث[1].

وسيخصهم في الجنة بأعظم نعمة أنعم عليهم بها؛ ألا وهي تشريفهم وإكرامهم بالنظر إلى وجهه الكريم في جنة عدن، كما قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣].

وقال تعالى عن الكافرين: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥] .

قال الإمامُ الشافعيُّ: «**فَدَلَّ هذا على أنَّ المؤمنين لا يُحجبون عنه تبارك وتعالى**».

وقال جل شأنه : ﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾ [ق: ٣٥].

فالمزيد هنا هو: النَّظر إلى وجه الله عز وجل، كما فسَّره بذلك علي وأنس بن مالك رضي الله عنه.

وقال سبحانه: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦].

فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجه الله الكريم، كما فَسَّرها بذلك رسول الله ﷺ بقوله: «**إِذَا دَخلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ! فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا اعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِم مِن النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، وهي الزيادة، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ:**

(١) أخرجه البخاري «٦٠٨٨» ومسلم « ٢٦٧ ».

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾»[(١)].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وأمَّا السنة، فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وأنس، وجرير، وصهيب، وبلال، وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ: أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنات، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه.. آمين[(٢)].

ب- رؤية الكفار والمنافقين لربِّهم جل وعلا:

أَمَّا الكفارُ والمُنَافِقون، فَقَد ذكر شـيخُ الإسـلام أنَّ الناسَ قد تَنَازَعَوا في ذلك على ثَلاثَةِ أَقوالٍ؛ فقال: «فَأَمَّا مَسْأَلَةُ رُؤْيَةِ الكُفَّارِ فَأَوَّلُ مَا انْتَشَرَ الكَلَامُ فِيهَا، وَتَنَازَعَ النَّاسُ فِيهَا- فِيمَا بَلَغَنَا- بَعْدَ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ مِن الهِجْرَةِ، وَأَمْسَكَ عَن الكَلَامِ فِي هَذَا قَوْمٌ مِن العُلَمَاءِ، وَتَكَلَّمَ فِيهَا آخَرُونَ؛ فَاخْتَلَفُوا فِيهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ، مَعَ أَنِّي مَا عَلِمْت أَنَّ أُولَئِكَ المُخْتَلِفِينَ فِيهَا تَلَاعَنُوا وَلَا تَهَاجَرُوا فِيهَا؛ إذْ فِي الفِرَقِ الثَّلَاثَةِ قَوْمٌ فِيهِمْ فَضْلٌ، وَهُمْ أَصْحَابُ سُنَّةٍ».

ثم قال رحمه الله: «وَالأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ فِي «رُؤْيَةِ الكُفَّارِ»:

أَحَدُهَا: أَنَّ الكُفَّارَ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بِحَالٍ؛ لَا المظْهِرُ لِلكُفْرِ، وَلَا المسِرُّ لَهُ، وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ العُلَمَاءِ المتَأَخِّرِينَ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ عُمُومُ كَلَامِ المتَقَدِّمِينَ، وَعَلَيْهِ جُمْهُورُ أَصْحَابِ الإِمَامِ أَحْمَد وَغَيْرِهِمْ.

الثَّانِي: أَنَّهُ يَرَاهُ مَنْ أَظْهَرَ التَّوْحِيدَ مِنْ مُؤْمِنِي هَذِهِ الأُمَّةِ، وَمُنَافِقِيهَا، وَغَبَرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَذَلِكَ فِي عَرْصَةِ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَحْتَجِبُ عَن المنَافِقِينَ، فَلَا يَرَوْنَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي بَكْرِ بْنِ خُزَيْمَةَ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَقَدْ ذَكَرَ القَاضِي أَبُو يَعْلَى نَحْوَهُ فِي حَدِيثِ إِتْيَانِهِ سبحانه وتعالى لَهُمْ فِي الموْقِفِ؛ الحَدِيث المشْهُور.

---

(١) أخرجه مسلم «٢٦٦» من حديث صُهَيْبٍ رضي الله عنه.

(٢) «تفسير ابن كثير» «٣/ ٣٠٩».

الثَّالِثُ: أَنَّ الكُفَّارَ يَرَوْنَهُ رُؤْيَةَ تَعْرِيفٍ وَتَعْذِيبٍ؛ كَاللِّصِّ إذَا رَأَى السُّلطَانَ، ثُمَّ يَحْتَجِبُ عَنْهُمْ؛ لِيَعْظُمَ عَذَابُهُمْ، وَيَشْتَدَّ عِقَابُهُمْ، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الحَسَنِ بْنِ سَالِمٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقَوْلِ غَيْرِهِمْ؛ وَهُمْ فِي الأُصُولِ مُنْتَسِبُونَ إلَى الإِمَامِ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِلَى سَهْل بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتَرِي»[(١)].

وممَّن رَجَّحَ رؤيَةَ الكُفَّارِ وَالمنَافِقِينَ للهِ فِي عَرَصاتِ القيامةِ العَلَّامةُ ابنُ القيِّم رحمه الله في «**حادي الأرواح**» «**ص٢٦٢**».

أما أهل الكفر فكما قالَ الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُون﴾ [المطفِّفين: الآية: ١٥]، فيُحجبون عن رؤية الله عز وجل، ولا شك أن أعظم عطاءٍ يُعطاه المؤمن؛ النظرُ إلى وجهه الكريم.

ولذلك أحد الصحابة لما سمعَ ذلك قال: "لن نعدِم من ربٍ يضحكُ خيرا".[(٢)] فالله سبحانه وتعالى سيتجلَّى لعباده المؤمنين وسيرونه، وهذه الرؤية منها ما يكون في عرصاتِ يوم القيامة، ومنها ما يكون بعد دخولهم الجنة.

فمن عقيدةِ أهلِ السنَّةِ والجماعة أن رؤية الله عز وجل ثابتة بنصوصِ القرآن والسنَّة، فنؤمنُ بها ونصدِّقُ بها كما أخبرت بذلك النصوص.

المسألة الخامسة: الفرق المخالفة في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة[(٣)]

أولًا: أقوال المخالفين.

خالف في ذلك فرقتان من فرق الضلال، وقد تفرقوا إلى ثلاث فرق، وهي كما يلي:

الفرقة الأولى: المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والزيدية والمرجئة، ذهبوا إلى نفي رؤية الله تعالى في الآخرة، وحرفوها إلى معنى العلم به ومعرفته تعالى.

---

(١) «مجموع الفتاوى» «٦/ ٤٨٦».

(٢) انظر سنن ابن ماجه برقم «١٨١»، والإمام أحمد في المسند مُسْنَدُ الْمَدَنِيِّينَ «١٦١٨٧»، ذكره الشيخ الالباني في السلسلة الصحيحة «٦/ ٧٣٢»، وضعفه الأرنؤوط كما في المسند.

(٣) المصدر: مقدمة تحقيق كتاب صفات رب العالمين لابن المحب الصامت «١/ ١٩٩-٢٥٣».

قال القاضـــي عبد الجبار المعتزلي «**ت: ٤١٥ هـ**»: "ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية".[١]

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي «**ت: ٤١٥ هـ**»: "الرؤية بالأبصار على الله تستحيل، والرؤية بالمعرفة والعلم تجوز عليه".[٢]

وعندهم أن من زعم أن الله يرى بالأبصار فهو مشبه لله بخلقه، والمشبه عندهم كافر بالله تعالى[٣]

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي «**ت: ٤١٥ هـ**»: "أعلم أن من خالفنا في هذه المسألة لا يخلو حاله من أحد أمرين: إما أن يحقق الرؤية فيقول: إن الله يرى بلا مقابل لنا أو حالا في المقابل أو في حكم المقابل، أو لا يحقق فيقول: إنه تعالى يري بلا كيف، فمن ذهب إلى المذهب الأول فإنه يكون كافرا؛ لأنه جاهل بالله تعالى، والجهل كفر، والدليل على ذلك إجماع الأمة، وإجماع الأمة حجة. ومن قال: إنه تعالى يري بلا كيف فلا يكفر؛ لأن التكفير إنما يعرف شرعًا، ولا دلالة من جهة الشرع يدل على ذلك".[٤]

الفرقة الثانية: وهم جمهور الأشاعرة المتأخرون، فقد ذهبوا إلى القول بأن الله يرى بلا جهة، فأثبتوا رؤية الله في الآخرة لورود النصـــوص والإجماع على ذلك، لكنهم جعلوا ذلك إلى غير جهة[٥]

الفرقة الثالثة: وذهب بعض الأشاعرة إلى القول بأن المقصود بالرؤية هو: "نوع إدراك هو كمال ومزيد كشف بالإضافة إلى التخيل".[٦]

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٢٣٢».

(٢) انظر: المختصر في أصول الدين للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٣٣٧».

(٣) انظر: الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد «ص: ٦٨».

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٢٧٦ – ٢٧٧».

(٥) انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني «ص: ١٧٧ و١٧٨».

(٦) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي «ص: ٤٥».

فجعلوا حقيقة الرؤية كشف وزيادة علم بالله تعالى.

ثانيًا: شبه المخالفين والرد عليها.

أولًا: الأدلة الشرعية التي استدل بها المعتزلة ومن وافقهم على نفي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

استدل المعطلة على مذهبهم بعدة أدلة من القرآن الكريم وهي:

١ – قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣].

وجه الدلالة: أن الإدراك إذا قرن بالبصـــر لا يحتمل إلا الرؤية، وثبت أنه تعالى نفي عن نفسـه إدراك البصـر، ونجد في ذلك تمدحا راجعا إلى ذاته، وما كان من نفيه تمدحا راجعا إلى ذاته كان إثباته نقصا، والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال[(١)]

وقالوا أيضـا: أنه نفى أن يدرك بالأبصـار، وقد علمنا أن الإدراك إذا قرن بالبصـر أفاد ما تفيده رؤية البصـــر، وإذا كان إذا أطلق فقد يســتعمل بمعنى اللحوق، فيقال: أدرك الغلام إذا بلغ، وأدركت الثمرة إذا نضــــجت، وأدرك فلان فلانة إذا لحقه، وقال ســـبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ [يونس: الآية: ٩٠] يعني: لحقه الغرق، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشـعراء: الآية: ٦١] يعني: لملحوقون، وقد يقال عند الإطلاق: أدركت الحرارة والبرودة وأدركت الصـوت، وكل ذلك إنما يصـح إذا لم يقرن بالبصـر، ومتى قرن به زال الاحتمال عنه، فاختص بفائدة واحدة وهي الرؤية بالبصـر، فإذا صـح ذلك فيجب أن يكون: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، في باب الدلالة على أنه لا يرى، بمنزلة قوله لو قال: "لا تراه الأبصـار"، فثبت أنه نفى عن نفســه إدراك البصـر فيتناول جميع الأبصـار في جميع الأوقات، يبين ما ذكرناه: أنه لا فرق بين قولهم: أدركت ببصـري هذا الشخص، وبين قولهم: رأيت ببصري هذا الشخص، أو أبصرت ببصري هذا الشخص، حتى

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٢٣٣».

لو قال: أدركت ببصـري وما رأيت، أو رأيت وما أدركت لعد متناقضـة، ومن علامات اتفاق اللفظين في الفائدة أن يثبتا في الاســـتعمال معا ويزولا معا، حتى لو أثبت بأحدهما ونفى بالآخر لتناقض الكلام(١)

قالوا: ومما يؤيد العموم أن عائشــة–رضـي الله عنها–«**ت: ٥٧ هـ**»، لما أنكرت قول ابن عباس في أن محمدا–صـلى الله عليه وسـلم–رأى ربه ليلة المعراج تمسـكت في نصـرة ما ذهبت إليه بهذه الآية، ولو لم تكن هذه الآية مفيدة للعموم بالنسبة إلى كل الأشـخاص وكل الأحوال لما تم ذلك الاسـتدلال، ولا شـك أنها من أكثر الناس علما بلغة العرب، فثبت أن هذه الآية دالة على النفي بالنسبة إلى كل الأشخاص وذلك يفيد المطلوب.

وأيضـــا: إن الباري تعالى تمدح بكونه لا يرى، حيث إن قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـــارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، وقعت في أثناء المدائح فإن ما قبلها مشتمل على المدح والثناء، وقوله بعدها: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، أيضـا مدح وثناء، فيجب أن يكون قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـــارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، مدحا وثناء، وذلك يوجب الركاكة، وهي غير لائقة بكلام الله تعالى وتقدس، وحينئذ نقول: إن كل ما كان عدمه مدحا ولم يكن ذلـك من باب الفعـل كـان ثبوتـه نقصـــا في حق الله تعـالى، والنقص على الله تعـالى محال،لقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِـــنَةٌ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥] وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَـــيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١] وقوله ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: الآية: ٣] إلى غير ذلك، فوجب أن يقال: كونه تعالى مرئيا محال(٢)

٢ – قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا

(١) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار المعتزلي «٤/ ١٤٤» وشرح الأصول الخمسة له أيضا «ص: ٢٣٤».

(٢) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار المعتزلي «٤/ ١٥٠»، وشرح الأصول الخمسة له أيضا «ص: ٢٣٥ – ٢٣٧»، وتفسير الرازي «١٣/ ٩٩».

وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣].

قالوا: دلت هذه الآية على عدم رؤية الله تعالى على التأبيد في الدنيا والآخرة، وأنه مما يمتنع على الله -عز وجل-، وذلك لما يلي:

الوجه الأول: قال تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، وكلمة "لن" تفيد النفي على التأبيد، قال الزمخشري: "إنها لتأكيد النفي الذي تعطيه لا، وذلك أن "لا" تنفي المستقبل، تقول: لا أفعل غدا، فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غدا، والمعنى أن فعله ينافي حالي، كقوله تعالى: ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: الآية: ٧٣] فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] نفي للرؤية فيها يستقبل، و ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، تأكيد وبيان؛ لأن النفي مناف لصفاته.

فإن قلت: كيف اتصل الاستدراك في قوله ﴿وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، بما قبله؟

قلت: اتصل به على معنى: "أن النظر إلى محال فلا تطلبه، ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله، دكا بسبب طلبك الرؤية؛ لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره "كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله: ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: الآيات ٩٠-٩١]"[(١)].

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي «**ت: ٤١٥ هـ**»: "ولن موضوعة للتأبيد، فقد نفى أن يكون مرئيا البتة، وهذا يدل على استحالة الرؤية عليه، فإن قالوا: أليس أنه تعالى قال حاكيا عن اليهود: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٥] أي: لا يتمنون الموت، ثم قال حاكيا عنهم: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ

(١) انظر: الكشاف للزمخشري «٢/ ١٥٤».

إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٧٧]: فكيف يقال إن لن موضوعة للتأبيد؟

قلنا: إن "لن" موضوعة للتأبيد، ثم ليس يجب أن لا يصح استعماله إلا حقيقة، بل لا يمتنع أن يستعمل مجازا، وصار الحال فيها كالحال في قولهم: أسد وخنزير وحمار، فكما أن موضعها وحقيقتها لحيوانات مخصوصة ثم تستعمل في غيرها على سبيل المجاز والتوسع، واستعمالهم في غيرها لا يقدح في حقيقتها كذلك ههنا".[(١)]

الوجه الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] ووجه الدلالة: أنه علق الرؤية حال تحركه وتدكدكه لا قبل ذلك.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي «**ت: ٤١٥ هـ**»: "علق الرؤية باستقرار الجبل فلا يخلو: إما أن يكون علقها باستقراره بعد تحركه وتدكدكه، أو علقها به حال تحركه، لا يجوز أن تكون الرؤية علقها باستقرار الجبل؛ لأن الجبل قد استقر ولم ير موسى ربه، فيجب أن يكون قد علق ذلك باستقرار الجبل بحال تحركه، دالا بذلك على أن الرؤية مستحيلة عليه، كاستحالة استقرار الجبل حال تحركه، ويكون هذا بمنزلة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: الآية: ٤٠]".[(٢)]

الوجه الثالث: قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] فلو كانت الرؤية جائزة ممكنة لم يخر موسى صعقا عند طلبه لها.

قال الزمخشري «**ت: ٥٣٨ هـ**»: "وخر موسى صعقا من هول ما رأى، ومعناه: خر مغشيا عليه غشية كالموت، وروي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون: يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة".[(٣)]

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٢٦٤ - ٢٦٥».

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٢٦٥».

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري «٢/ ١٥٤».

الوجه الرابع: قوله تعالى عن موسى: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] قالوا: فهذا تنزيه لله تعالى عما لا يجوز عليه وهو الرؤية، فقوله: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ الكلمة للتنزيه، فوجب أن يكون المراد منه تنزيه الله تعالى عما تقدم ذكره، والذي تقدم ذكره هو رؤية الله تعالى. فكان قوله: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها له عن الرؤية، فثبت بهذا أن نفي الرؤية تنزيه لله تعالى، وتنزيه الله إنما يكون عن النقائص والآفات وذلك على الله محال فثبت أن الرؤية على الله ممتنعة(١)

قال الزمخشري «**ت: ٥٣٨ هـ**»: "فلما أفاق من صعقته قال: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها".(٢)

الوجه الخامس: قوله تعالى: عن موسى -عليه السلام-: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] قالوا: ولولا أن طلب الرؤية ذنب لما تاب منه، ولولا أنه ذنب ينافي صحة الإسلام لما قال: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣](٣)

قال الزمخشري «**ت: ٥٣٨ هـ**»: "تبت إليك من طلب الرؤية ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، بأنك لست بمرئي ولا تدرك بشيء من الحواس، فإن قيل: فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب؟ قلت: من إجرائه تلك المقالة العظيمة -وإن كان لغرض صحيح- على لسانه من غير إذن فيه من الله تعالى".(٤)

٣ - أن الله تعالى ما ذكر سؤال الرؤية إلا استعظمه، وذلك في آيات، وهي:

١ - قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: الآية:

---

(١) انظر: تفسير الرازي «١٤/ ٣٥٧».

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري «٢/ ١٥٥».

(٣) انظر: تفسير الرازي «١٤/ ٣٥٧».

(٤) انظر: الكشاف للزمخشري «٢/ ١٥٥ - ١٥٦» بتصرف يسير.

١٥٣] فسمي ذلك ظلما وعاقبهم في الحال، فلو كانت الرؤية جائزة لجرى سؤالهم لها مجرى من يسأل معجزة زائدة، فإن قلت: أليس إنه-عز وجل-قد أجرى إنزال الكتاب من السماء مجرى الرؤية في كون كل واحد منهما عتوا، فكما أن إنزال الكتاب غير ممتنع في نفسه فكذا سؤال الرؤية؟ قلت: الظاهر يقتضي كون كل واحد منها ممتنعة ترك العمل به في إنزال الكتاب فيبقى معمولا به في الرؤية.

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٥٥] فإن الرؤية لو كانت جائزة لكان قولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾، كقول الأمم لأنبيائهم: "لن نؤمن إلا بإحياء ميت" في أنه لا يستعظم ولا تأخذهم الصاعقة.

٣ - وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: الآية: ٢١] فالرؤية لو كانت جائزة وهي عند مجزيها من أعظم المنافع لم يكن التماسها عتوا لأن من سأل الله تعالى نعمة في الدين أو الدنيا لم يكن عاتيا وجرى ذلك مجرى ما يقال: لن نؤمن لك حتى يحيي الله بدعائك هذا الميت، فلو أن الرؤية كانت جائزة لما كان سؤالها عتوا ومنكرا، وذلك ممنوع[١]

٤ - قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: الآية: ٥١]. ووجه الدلالة: أن الله-عز وجل-حصر تكليمه للبشرة في الوحي إلى الرسل، وتكليمه لهم من وراء حجاب، وإرساله إياهم إلى الأمم ليكلمهم على ألسنتهم، وإذا لم يره من يكلمه في وقت الوحي لم يره في غيره إجماعا، وإذا لم يره هو أصلا لم يره غيره أيضا، إذ لا قائل بالفرق".[٢]

ثانيًا: الرد على شبه المعطلة في استدلالهم بالأدلة الشرعية لنفي رؤية الله تعالى في الدار

---

(١) انظر: تفسير الرازي «٣/ ٥٢٠» باختصار وتصرف، وشرح مواقف الإيجي لعلي الجرجاني «٨/ ١٥٨» ضبطه وصححه: محمود الدمياطي.

(٢) انظر: شرح مواقف الإيجي لعلي الجرجاني «٨/ ١٥٩».

الآخرة.

[الرد على حجتهم الأولى]

أن الآية الكريمة حجة عليهم، ولا حجة لهم فيها بأي حال من الأحوال، وذلك للأوجه التالية.

الوجه الأول: أن استدلالهم ذلك كذب على اللغة، ودعوى مجردة عن الدليل؛ لأن الله تعالى إنما نفي الإدراك، والإدراك في اللغة معن زائد على النظر والرؤية، وهو معنى الإحاطة ليس هذا المعنى في النظر والرؤية، فالإدراك منفي عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة، برهان ذلك قول الله -عز وجل-: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: الآية: ٦١] وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم بعضا فصحت منهم الرؤية لبني إسرائيل، ونفى الله الإدراك بقول موسى -عليه السلام- لهم: ﴿قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: الآية: ٦٢] فأخبر تعالى أنه رأى أصحاب فرعون بني إسرائيل ولم يدركوهم، ولا شك في أن ما نفاه الله تعالى غير الذي أثبته، فالإدراك غير الرؤية، والحجة لقولنا هو قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢ - ٢٣][(١)]

قال ابن تيمية -رحمه الله- «**ت: ٧٢٨ هـ**»: "الآية حجة عليهم لا لهم؛ لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة بالإحاطة، والأول باطل لأنه ليس كل من رأى شيئا يقال إنه أدركه، كما لا يقال أحاط به، كما سئل ابن عباس -رضي الله عنهما- عن ذلك فقال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى، قال: أكلها ترى؟ قال لا".

ومن رأى جوانب الجيش، أو الجبل، أو البستان، أو المدينة لا يقال إنه أدركها وإنما يقال أدركها إذا أحاط بها رؤية، ونحن في هذا المقام ليس علينا بيان ذلك وإنما ذكرنا هذا بيانا لسند المنع، بل المستدل بالآية عليه أن يبين أن الإدراك في لغة العرب مرادف للرؤية، وأن كل من

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم «٣/ ٢-٣»، بتصرف.

رأى شيئا يقال في لغتهم أنه أدركه، وهذا لا سبيل إليه، كيف وبين لفظ الرؤية ولفظ الإدراك عموم وخصوص أو اشتراك لفظي؟! فقد تقع رؤية بلا إدراك، وقد يقع إدراك بلا رؤية، فإن الإدراك يستعمل في: إدراك العلم وإدراك القدرة، فقد يدرك الشيء بالقدرة وإن لم يشاهد: كالأعمى الذي طلب رجلا هاربا منه فأدركه ولم يره، وقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: الآيات: ٦١ - ٦٢] فنفى موسى الإدراك مع إثبات الترائي، فعلم أنه قد يكون رؤية بلا إدراك، والإدراك هنا هو: إدراك القدرة، أي ملحوقون محاط بنا، وإذا انتفى هذا الإدراك فقد تنتفي إحاطة البصر أيضا.

ومما يبين ذلك: أن الله تعالى ذكر هذه الآية يمدح بها نفسه -عز وجل-، ومعلوم أن كون الشيء لا يرى ليس صفة مدح؛ لأن النفي المحض لا يكون مدح إن لم يتضمن أمرا ثبوتيا، ولأن المعدوم أيضا لا يرى، والمعدوم لا يمدح فعلم أن مجرد نفي الرؤية لا مدح فيه، وهذا أصل مستمر وهو أن العدم المحض الذي لا يتضمن ثبوتا لا مدح فيه ولا كمال".(١)

وقال ابن القيم -رحمه الله- «**ت: ٧٥١ هـ**»: "فلم ينف موسى -عليه السلام- الرؤية، ولم يريدوا بقولهم: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ إنا لمرئيون؛ فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله: ﴿كَلَّا﴾ وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: الآية: ٧٧]. فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما لا يعلم ولا يحاط به، وهذا هو الذي فهمته الصحابة والأئمة من بعدهم من الآية. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] لا تحيط به الأبصار. وقال قتادة: "هو أعظم من أن تدركه الأبصار". وقال ابن عطية: "ينظرون إلى الله

(١) انظر: منهاج السنة لابن تيمية «٢/ ٣١٧ - ٣٢٠» باختصار.

ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم".(١)

الوجه الثاني: أن الآية رد عليكم، فهي حجة لأثبات الرؤية لا نفيها، وذلك لأمرين:

الأول: أن معنى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] كما جاء عن ابن عباس وجماعة من السلف: أن الإدراك المنفي هنا هو الإحاطة. والمعنى: لا تحيط به الأبصار(٢).

والإدراك قد يطلق على الإحاطة كثيرا، كقوله: ﴿أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ [يونس: الآية: ٩٠]، أي: أحاط به من جميع جهاته. ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: الآية: ٦١] أي: محاط بنا. وعلى هذا فمعنى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه في الجملة، فالإدراك المنفي هو الإحاطة. والإحاطة لا يستلزم نفيها نفي مطلق الرؤية الثابت في الأحاديث المتواترة والآيات القرآنية.

الثاني: أن معنى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي: لا تدركه في دار الدنيا، بدليل قوله: في الآخرة: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣]. فلما قيد نظرها إلى ربها بقوله: ﴿يومئذ﴾ أي: يوم القيامة، عرفنا أن ذلك النظر مقيد بالقيامة، وأن: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي: في دار الدنيا. ولو سلمنا من أن الإدراك: الرؤية، وأن الآية عامة: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فعمومها تخصصه آيات أخر بيوم القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢ - ٢٣]، وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية: ١٥] أي: بخلاف المؤمنين فليسوا بمحجوبين عن ربهم، وقد تقرر في الأصول أن المفهوم يخصص العام، سواء كان مفهوم موافقة، أو مفهوم مخالفة(٣)

الوجه الثالث: قد يقال أيضا: إن المراد نفي الرؤية وقد عدم إذن الله تعالى للأبصار

(١) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم «ص: ٦٢٠».
(٢) انظر: تفسير الطبري «٩/ ٤٥٩».
(٣) انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير «٣/ ٥٣ - ٥٤» بتصرف.

بالإدراك، والدليل على صحة إرادة هذا القيد أن إرادة الإبصار فعل من أفعال العبيد وكسب من كسبهم، وقد ثبت بغير ما دليل أن العباد لا يقدرون على شيء من المقدورات إلا بإذن الله تعالى ومشيئته وتمكينه، فلا تدركه الأبصار إلا بإذنه وهو المطلوب. ويؤيد هذا البيان ويشيد أركانه أن: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] وقع بعد قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٢] ووجه التأييد: أن الله تعالى أخبر بأنه على كل شيء وكيل أي متول لأموره، ومعلوم أن الأبصار من الأشياء وأن إدراكها من أمورها، فهو-عز وجل-متوليها ومتصرف فيها على حسب مشيئته، فيفيض عليها الإدراك ويأذن لها إذا شاء كيف شاء وعلى الحد الذي شاء، ويقبض عنها الإدراك قبضا كليا أو جزئيا في أي وقت شاء كيف شاء، ولا يخفى على هذا أنه غاية التمدح بالعزة والقهر والغلبة؛ فإن من هو على كل شيء وكيل إذا لم تدركه الأبصار إلا بإذنه مع كونه يدرك الأبصار -ولا تخفى عليه خافية- كان ذلك غاية في عزته وقهره وكونه غالبا على أمره(١)

الوجه الرابع: أن: "تدركه الأبصار" موجبة كلية؛ لأن موضعها جمع محلي كلية باللام الاستغراقية، وقد دخل عليها النفي فرفعها ورفع الموجبة الكلية سالبة جزئية، وبالجملة فيحتمل قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] إسناد النفي إلى الكل، بأن يلاحظ أو لا دخول النفي، ثم ورود العموم عليه فيكون سالبة جزئية، ومع احتمال المعنى الثاني فلم يبق فيه حجة لكم علينا؛ لأن أبصار الكفار لا تدركه إجماعا، هذا ما نقوله لو ثبت أن اللام في الجمع للعموم والاستغراق، وإلا عكسنا القضية وقلنا: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] سالبة مهملة في قوة الجزئية فالمعنى: لا تدركه بعض الأبصار، وتخصيص البعض بالنفي يدل بالمفهوم على الإثبات للبعض، فالآية حجة لنا لا علينا".(٢)

الوجه الخامس: أن قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] الآية، وإن

(١) انظر: روح المعاني للألوسي «٤/ ٢٣٢».

(٢) انظر: شرح مواقف الإيجي للجرجاني «٨/ ١٥٦ - ١٥٧»، "اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع" لأبي الحسن الأشعري «ص: ٦٥».

عمت في الأشخاص باستغراق اللام، فإنها لا تعم في الأزمان؛ لأنها سالبة مطلقة لا دائمة، ونحن نقول بموجبه حيث لا يرى في الدنيا [١]، وبهذا علمنا أن الوقت الذي قال إنه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] فيه غير الوقت الذي أخبرنا أنها تنظر إليه فيه[٢]

الوجه السادس: ويقال لهم: إذا كان قول الله سبحانه: في: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]؛ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر فخبرونا أليس الأبصار والعيون لا تدركه رؤية ولا لمسا ولا ذوقا ولا على وجه من الوجوه؟ فإن قالوا: نعم، فيقال لهم: أخبرونا عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أتزعمون أنه يدركها لمسا وذوقا بأن يلمسها؟ فمن قولهم: لا. فيقال لهم: فقد انتقض قولكم: إن قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ في العموم كقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[٣]

الوجه السابع: أما قولهم: "إن الله تمدح بأن لا يرى"، فقول باطل؛ لأن العدم المحض الذي لا يتضمن إثباتا لا مدح فيه ولا كمال.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، إنما نفي الإدراك الذي هو الإحاطة، كما قاله أكثر العلماء. ولم ينف مجرد الرؤية، لأن المعدوم لا يرى، وليس في كونه لا يرى مدح، إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحا، وإنما المدح في كونه لا يحاط به وإن رئي، كما أنه لا يحاط به وإن علم، فكما أنه إذا علم لا يحاط به علما، فكذلك إذا رئي لا يحاط به رؤية.

فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحة وصفة كان، وكان ذلك دليلا على إثبات الرؤية لا على نفيها، لكنه دليل على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة، وهذا هو

---

(١) انظر: "شرح المواقف"«٨/ ١٤٠».

(٢) انظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع لأبي الحسن الأشعري «ص: ٦٥».

(٣) انظر: الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري «ص: ٥٩ - ٦٠».

الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها(١)

فتبين بهذا أن قول المعطلة النفاة دعو مجردة عن الدليل، فثبوت المدح في سـياق الكلام ليس لهم فيه حجة على امتناع الرؤية، بل الحجة عليهم في إثبات صـحة الرؤية؛ لأنه يمتنع حصول التمدح بنفي الرؤية، لمشاركة المعدوم في ذلك، وإنما يحصل التمدح بحيث تصح رؤيته، ثم إنه تعالى يحجب الأبصار عن رؤيته.

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها؛ فان الله سـبحانه إنما ذكرها في سـياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به، وإنما يمدح الرب-عز وجل- بالعدم إذا تضـمن أمرا وجوديا: كتمدحه بنفي السـنة والنوم المتضـمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضـمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضـمن كمال القدرة، ونفي الشـريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيئة وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصـمدية وغناه، ونفي الشـفاعة عنده بدون إذنه المتضـمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتظمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، وفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته، ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرا ثبوتيا فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشـترك هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال؛ لمشـاركة المعدوم له في ذلك فان العدم الصـرف لا يرى ولا تدركه الأبصـار، والرب ﷻ يتعالى إن يمدح بما يشـاركه فيه العدم المحض، فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يونس: الآية: ٦١] أنه يعلم كل شـيء، وفي قوله: ﴿وَمَا مَسَّـنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: الآية: ٣٨] أنه كامل القدرة، وفي قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:

(١) انظر: التدمرية لابن تيمية «ص: ٥٩».

الآية: ٤٩] أنه كامل العدل، وفي قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥] أنه كامل القيومية، فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية".(١)

[الرد على حجتهم الثانية]

الرد على الوجه الأول: أن الآية الكريمة حجة عليهم وأنها تدل على إمكان رؤية الله تعالى، وليس فيها ما يزعمونه من استحالة رؤية الله تعالى وامتناعها، وقولهم ذلك باطل لغة وشرعا، بدليل ما يلي:

أن قولهم: "إن لن موضوعة للتأبيد" باطل، ومخالف للغة العرب وما دلت عليه من المعاني. قال أبو القاسم السهيلي:"إن العرب إنما تنفي بـ "لن" ما كان ممكنا عند الخطاب مظنونا أنه سيكون، فتقول له: "لن

يكون" لما يمكن أن يكون؛ لأن "لن" فيها معنى "أن"، وإذا كان الأمر عندهم على الشك لا على الظن كأنه يقول: أيكون أم لا يكون؟ -قلت: في النفي لا يكون- وهذا كله مقو لتركيبها من "لا" و"أن".(٢)

وبهذا يتبين أن من زعم أن "لن" تفيد النفي على التأبيد المطلق فقوله باطل مردود.

قال جمال الدين بن مالك-رحمه الله-«**ت: ٦٢٧ هـ**»:

"ومن رأى النفي بلن مؤبدا ... فقوله أردد وخلافه اعضدا".(٣)

وقال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "وقد أكذبهم الله في قولهم بتأبيد النفي بـ "لن" صريحا بقوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف:

---

(١) انظر: حادي الأرواح لابن القيم «٢٩٣ - ٢٩٤».

(٢) انظر: نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم السهيلي «ص ١٠٣» وأبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي لمحمد إبراهيم البنا «ص: ٣٦١».

(٣) انظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك «٣/ ١٥١٥».

الآية: ٧٧] فهذا تمن للموت، فلو اقتضـــت "لن" دوام النفي تناقض الكلام؛ كيف وهي مقرونة بالتأبيد بقوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: الآية: ٩٥] ولكن ذلك لا ينافي تمنيه في النار؛ لأن التأبيد قد يراد به:التأبيد المقيد والتأبيد المطلق، فالمقيد كالتأبيد بمدة الحياة، كقولك: "والله لا أكلمه أبدا"، والمطلق كقولك: "والله لا أكفر بربي أبدا"، وإذا كان كذلك فالآية إنما اقتضت نفي تمني الموت أبد الحياة الدنيا، ولم يتعرض للآخرة أصلا؛ وذلك لأنهم لحبهم الحياة وكراهتهم للجزاء لا يتمنون الموت وهذا منتف في الآخرة".(١)

الرد على الوجه الثاني: أنه علقه على اســـتقرار الجبل من حيث هو من غير قيد بحال الســكون أو الحركة، وإلا لزم الإضــمار في الكلام، وأنه -أي استقرار الجبل- من حيث هو ممكن قطعا؛ إذ لو فرض وقوعه لم يلزم منه محال لذاته، وأيضا فاستقرار الجبل عند حركته أي في زمانها ليس بمحال؛ إذ في ذلك الوقت قد يحصل الاستقرار بدل الحركة ولا محذور فيه، إنما المحال هو الاســتقرار مع الحركة في كونهما مجتمعين لا وقوع شــيء منهما في وقت آخر بدل صاحبه(٢)

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فأخبر ســـبحانه أنه تجلى للجبل وأنه لما تجلى له جعله دكا فتجليه له: إما أن يكون مجرد خلق الرؤية فيه كما يقولون إن ذلك هو تجليه لسائر من يراه، أو يكون تجليه هو رفع الحجاب حتى ظهر للجبل؟ فإن كان التجلي هو خلق الرؤية كان قد أخبر أن الجبل أطاق رؤيته وأن الجبل رأى الله، وإذا كان كذلك لم يجب أن يصير دكا إذا ورد عليه ما يعجز عن مقاومته فإذا كان التجلي ليس هو إلا أن جعل رائيا فمعلوم أنه يكون قادرا على ما جعل فاعلا له فلا يكون دكا ولو كان كذلك لكان العبارة المناســـبة أن يقال: فلما رأى الجبل ربه جعله دكا فلما دل القرآن مع ما ورد به الحديث في تفسير هذه الآية أن التجلي هو ظهوره وأنه مع ذلك قد لا يطيق المتجلي له رؤيته لعجزه وأن

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم «١/ ١٦٨».

(٢) انظر: شرح مواقف الإيجي للجرجاني «٨/ ١٢١».

التجلي ليس هو خلق الرؤية فيه علم أنه قد يتجلى لمن يراه ولمن لا يراه وأن التجلي ليس هو خلق الرؤية فيه عند الاحتجاب فعلم أن هناك حجابا خارجا عن الإنسان وأن التجلي يكون برفع كل الحجاب".(١)

الرد على الوجه الثالث: أنه ليس فيها دلالة على المنع، بل إن دلالتها على الجواز أقرب؛ فإن الصعق لم يحدث لموسى-عليه السلام-إلا عندما رأى الجبل يتدكدك لما تجلى له الرب-عز وجل-ظهورا، أو على القول أن موسى رأى الله -على ضعفه- فصعق، وهذا يدل على الجواز وإنما كان الصعق نتيجة عدم تحمل موسى رؤية الله تعالى في هذه الدار الفانية.

أما ما ذكره الزمخشري من الأثر المروي عن ابن عباس في "مرور الملائكة على موسى وهو صعق" فباطل؛ لإنه من رواية الواقدي"(٢)، والواقدي متروك لا يحتج به.

وقد احتج برواية باطلة، وترك الأحاديث الكثيرة الصحيحة المتواترة، والتي تثبت رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

وهذه حكاية إنما يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيتخذها عونا وظهرا على المعتقد الفاسد. والوجه التورك بالغلط على ناقلها، وتنزيه الملائكة-عليهم السلام-من إهانة موسى كليم الله بالوكز بالرجل والغمص في الخطاب".(٣)

على أن هناك رواية أخرى لذلك الأثر، وهي أقل ضعفًا منها من طريق: أبي سعد سعيد بن المرزبان، عن عكرمة-رحمه الله-«**ت: ١٠٥ هـ**»، عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**» قال: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] فمرت به الملائكة وقد صعق، فقالت: يا ابن النساء الحيض لقد سألت ربك أمرا عظيما. فلما أفاق قال: سبحانك لا إله إلا أنت، تبت إليك، وأنا أول المؤمنين، قال: أنا أول من آمن أنه لا

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٨/ ١٣١-١٣٢».
(٢) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي «٤/ ٢٧٩».
(٣) انظر: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لأحمد الإسكندري المالكي «٢/ ١١٥» من هامش الكشاف.

يراك أحد من خلقك، يعني في الدنيا".(١)

وهي كما ترى لا تنفي الرؤية مطلقا، إنما تمنع منها في الدنيا فقط، وتبين أن المراد بالإيمان به تعالى أي: أنه لا يراه أحد من خلقه في الدنيا.

الرد على الوجه الرابع: أن التسبيح كما أنه تنزيه لله تعالى عن النقائص، فهو كذلك تعظيم وإجلال لله تعالى. والمراد هو تنزيه الله تعالى وتعظيمه وإجلاله عن أن يرى في الدنيا أو أن يتحمل رؤيته مخلوق في هذه الدنيا، بل ثبتت الرؤية لله تعالى في الدار الآخرة عن الله وعن رسوله ﷺ.

والرؤية ليست كما تزعمون من النقائص، فإنها في المخلوق كمال وكل كمال اتصف به المخلوق لا نقص فيه بحال فالله أحق وأولى أن يتصف به، لا سيما وقد أثبتها الله لنفسه، وخص بها أهل جنته، وأثبتها له رسوله ﷺ، بل وسألها موسى–عليه السلام–في الدنيا، ولم يعاتبه الله على ذلك، فكيف يقال بعد ذلك: أنها من النقائص وجميع الأدلة من الكتاب والسنة خلاف ذلك؟

وقد سبق أن بينا أن الذي تمتنع رؤيته بإطلاق هو المعدوم، وأن ذلك لا مدح فيه البتة بأي وجه من الوجوه، وهذا هو الذي يتنزه الله تعالى عنه.

الرد على الوجه الخامس: أن قولكم ذلك لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها لا من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان. وليست توبة موسى–عليه السلام–بعدما أفاق لذنب قاله أو فعله، وإنما لأنه علم أن رؤية الله في الدنيا غير ممكنة لأحد من البشر، بدليل اندكاك الجبل حينما تجلى الله تعالى له.

قال مجاهد–رحمه الله–«**ت: ١٠٤ هـ**»: "سبحانك تبت إليك"، أن أسألك الرؤية".(٢)

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره «١٠/ ٤٣٣»، وفيه أبو سعد سعيد بن المرزبان البقال التابعي المقرئ تلميذ ابن عباس، وقد ضعف، وبعضهم يوثقه، على خلاف بينهم فيه، انظر: الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي «٤/ ٤٣٢ - ٤٣٦».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره «١٠/ ٤٣٤».

وأيضـــا لم يعاتبه الله تعالى على ســـؤاله الرؤية، ولم ينهه عن ذلك كما نهى نوحا–عليه السـلام–في سـؤاله منه تعالى أن ينجي ولده الذي أغرق لأنه من أهله، حينما قال الله تعالى له: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: الآية: ٤٦]. ولذلك سـارع نوح–عليه السـلام–للاسـتعاذة بالله من سـؤاله ذلك، وبادر بالتوبة وطلب المغفرة والرحمة منه تعالى، كما قال الله تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـــأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: الآية: ٤٧].

قال الباقلاني–رحمه الله–«**٤٠٣ هـ**»: "لم يقل جل اسمه أنه تاب من مســألته إياه الرؤية، فيمكن أن يكون ذكر ذنوبا له قد قدم التوبة منها، فجدد التوبة عند ذكرها لهول ما رأى، كما يســارع الناس إلى التوبة ويجددونها عند مشــاهدة الأهوال والآيات، ويحتمل أن يكون المعنى في قوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] من ترك اســتئذاني لك في هذه المســألة العظيمة، ومثلها ما لا يكون معه تكليف لمعرفتك والعلم بك.

ويحتمل أن يكون أراد بقوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ أي: تبت إليك أن أســألك الرؤية لهول ما أصــابني، لا لأنها مســتحيلة عليك، ولا لأني عاص في سـؤالي، كما يقول القائل: تبت من كلام فلان ومعاملته، ومن ركوب البحر، ومن الحج ماشـيا، إذا ناله في ذلك تعب ونصــب وشـدة، وإن كان ذلك مباحا حسـنا جائزا، والتوبة هي الرجوع عن الشـيء، ومن ذلك سمي الإقلاع عن الـذنوب والعود إلى طـاعـة الله تعـالى توبـة منهـا، ومعنى المراد بقولـه: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: الآية: ١١٨] أي: رجع بهم إلى التفضـل والامتنان ليرجعوا عما كانوا عليه، فقوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ أي: رجعت عن ســؤالي إياك الرؤية، وهذا هو أصــل التوبة، وليس الرجوع عن الشيء يقتضي كونه عصيانا فبطل تعلقهم بالآية".(١)

وقال الواحدي–رحمه الله–«**ت: ٤٦٨ هـ**»: "تبت إليك من مســألتي الرؤية، وذلك أنه

---

(١) انظر: التمهيد للباقلاني «ص ٢٧٠ – ٢٧١» عني بتصحيحه: ريتشرد مكارثي اليسوعي. المكتبة الشرقية بيروت. ١٩٥٧ م.

سألها من غير استئذان من الله، فلذلك تاب".[(١)]

وقال الزجاج–رحمه الله–«**ت: ٤٠ هـ**»: "وقوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]. أي: أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا".[(٢)]

وقال ابن أبي زمنين–رحمه الله–«**ت: ٣٩٩ هـ**»: "يعني: المصـــدقين بأنك لا ترى في الدنيا".[(٣)]

وقال السمعاني–رحمه الله–«**ت: ٤٢٦ هـ**»: " ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، يعني: من سـؤال الرؤية قبل الإذن ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني: أنا أول المؤمنين بأن من يراك متجليا في الدنيا لا يستقر مكانه، وقيل معناه: أنا أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا".[(٤)]

وقال القرطبي–رحمه الله–«**ت: ٦٧١ هـ**»: "وأجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية".[(٥)]

فإذا كان الجبل العظيم الراســي القوي لم يصــمد لرؤية الله تعالى، بل تفتت وتدكدك حتى استوى بالأرض، فلا يمكن لبشر بعد ذلك أن يرى الله تعالى في الدنيا عيانا.

بل الملك المخلوق لا أحد يســتطع رؤيته في الدنيا على خلقته التي خلقه الله عليها إلا من ثبته الله تعالى من الأنبياء والمرسلين، أما سائر البشر فلا يستطيعون ذلك.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: " قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُــبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، قيل: أول المؤمنين بأنه لا يراك حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، فهذا للعجز الموجود في المخلوق، لا لامتناع في ذات المرئي،

---

(١) انظر: تفسير الوسيط للواحدي «٢/ ٤٨٠».

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج «٢/ ٣٧٤».

(٣) انظر: تفسير ابن أبي زمنين «٢/ ١٤١».

(٤) انظر: تفسير السمعاني «٢/ ٢١٣».

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي «٧/ ٢٧٩».

بل كان المانع من ذاته، لم يكن إلا لنقص وجوده حتى ينتهي الأمر إلى المعدوم الذي لا يتصور أن يرى خارج الرائي، ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته إلا من أيده الله، كما أيد نبينا ﷺ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: الآيات: ٨ - ٩] قال غير واحد من السلف: هم لا يطيقون أن يروا الملك في صورته، فلو أنزلنا إليهم ملكا لجعلناه في صورة بشر، وحينئذ كان يشتبه عليهم هل هو ملك أو بشر، فما كانوا ينتفعون بإرسال الملك إليهم، فأرسلنا إليهم بشرا من جنسهم يمكنهم رؤيته والتلقي عنه، وكان هذا من تمام الإحسان إلى الخلق والرحمة".(١)

وقد رد ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» عليهم في استدلالهم بهذه الآية ردا مفصلا، فقال-رحمه الله-: "وقد أخبر الله-عز وجل-عن أعلم الخلق به في زمانه وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال له ربه-عز وجل-: ﴿لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]. وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: أن لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال.

الوجه الثاني: أن الله-عز وجل-لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالا لأنكره عليه.

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: ﴿لَن تَرَانِي﴾ ولم يقل: إني لا أرى، ولا: إني لست بمرئي، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله، وهذا يدل على أنه-عز وجل-مرئ، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ

---

(١) انظر: منهاج السنة لابن تيمية «٢/ ٣٣٣».

تَرَانِي﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] فأعلمه ان الجبل مع قوته وصـــلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟

الوجه الخامس: أن الله-عز وجل-قادر على أن يجعل الجبل مســـتقرا مكانه، وليس هذا بممتنع في مقدوره، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته.

الوجه الســـادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]. وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته-عز وجل-؛ فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه؟ وأعلم سبحانه موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

الوجه الســابع: أن ربه سـبحانه قد كلمه منه إليه، وخاطبه وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يســـمع مخاطبه كلامه معه بغير واســـطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين، وأما قوله تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ فإنما يدل على النفي في المســـتقبل، ولا يدل على دوام النفي ولو قيدت بالتأبيد، فكيف إذا أطلقت؟! قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: الآية: ٩٥] مع قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: الآية: ٧٧]".(١)

[الرد على الحجة الثالثة]

أما الآية الأولى والثانية: فإن الاســـتعظام إنما كان لطلبهم الرؤية اســـتخفافا وعنادا وتعنتا وإنكارا لنبوة موســـى-عليه الســـلام-، وليس طلبا للعلم ولا الازدياد منه. قال أبو الحســـن الأشعري: "إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله-عز وجل-على طريق الإنكار لنبوة موسى ﷺ، وترك الإيمان بـه حتى يروا الله، لأنهم قـالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:

---

(١) انظر: حادي الأرواح لابن القيم «ص: ٢٨٥ – ٢٨٧» باختصار.

الآية: ٥٥]، فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى ﷺ حتى يريهم الله نفسه، استعظم سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه، كما استعظم الله سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتابا من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلا، ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله حتى ينزل عليهم من السماء كتابا".(١)

وقال الباقلاني-رحمه الله-«**ت: ٤٠٣ هـ**»: "لم ينكر الله تعالى مسألة خلاف بني إسرائيل أن ينزل عليهم كتابا من السماء، ومسألة أسلافهم أن يروا الله جهرة لاستحالة ذلك؛ وإنما أنكره لأنهم سألوا ذلك على طريق العناد لموسى ومحمد صلى الله عليهما، والشك في نبوتهما، والتقدم بين أيديهما، والامتناع من فعل ما أوجب عليهم من الإيمان بالله-عز وجل-، حتى يفعل ما يؤثرونه ويقتاتونه".(٢)

ومما يبين ذلك ويوضحه أن الله أكرم بني إسرائيل بكثير من الإكرام ونجاهم من كثير من الهلاك، وأنزل عليهم كثيرا من الآيات، ومع ذلك لم يؤمنوا بذلك كله وطلبوا من موسى أن يروا الله جهرة في الدنيا -مع علمهم بامتناع ذلك- عنادا واستخفافا.

قال الطبري-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**»: "فأعلم ربنا-عز وجل-الذين خاطبهم بهذه الآيات من يهود بني إسرائيل، الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ أنهم لن يعدوا أن يكونوا -في تكذيبهم محمدا ﷺ وجحودهم نبوته، وتركهم الإقرار به وبما جاء به، مع علمهم به ومعرفتهم بحقيقة أمره- كأسلافهم وآبائهم الذين قص الله علينا قصصهم".(٣)

أما الآية الثالثة: فيقال: أنهم سبق وأن طلبوا إنزال الملائكة ورؤية الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: الآية: ٩٢] وهم طلبوا قبل ذلك وبعده كثيرا من الآيات تعنتا، وعنادا، واستكبارا، واستخفافا.

---

(١) انظر: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري «ص: ٤٨».

(٢) انظر: التمهيد للباقلاني «ص: ٢٧٣».

(٣) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم «٢/ ٣٠٥».

قال الزجاج-رحمه الله-«**ت: ٣٤٠ هـ**»: "فأعلم الله-عز وجل-أن الذين لا يوقنون بالبعث، ولا يرجون الثواب على الأعمال عند لقاء الله طلبوا من الآيات ما لم يأت أمة من الأمم، فأعلم الله-عز وجل-أنهم قد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا".(١)

فتبين بهذا أنهم لم يطلبوا ذلك طلب علم لينتفعوا به ويزدادوا منه، وإنما كان ذلك سؤال تحد واستكبار وعتو؛ لأنهم طلبوا ذلك في الدنيا.

قال الواحدي-رحمه الله-«**ت: ٤٦٨ هـ**»: "وإنما وصفوا بالعتو عند طلب الرؤية؛ لأنهم طلبوها في الدنيا عنادا للحق وإباء على الله ورسوله في طاعتهما".(٢).

ومما يوضحه: "أن أصحاب موسى سألوا موسى رؤية الله في الدنيا إلحافا فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: الآية: ٥٥]، لم يقولوا: حتى نرى الله في الآخرة، ولكن في الدنيا، وقد سبق من الله القول بأنه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] أبصار أهل الدنيا فأخذتهم الصاعقة بظلمهم وسؤالهم ما حظره على أهل الدنيا، ولو قد سألوه رؤيته في الآخرة كما سأل أصحاب محمد ﷺ محمدا ﷺ لم تصبهم تلك الصاعقة ولم يقل لهم إلا ما قال محمد ﷺ لأصحابه إذ سألوه: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**نعم لا تضارون في رؤيته**» فلم يعبهم الله تعالى ولا رسوله بسؤالهم عن ذلك، بل حسنه لهم وبشرهم بشرى جميلة".(٣)

[الرد على حجتهم الرابعة]

أن دلالة الآية على إثبات الرؤية أدل منها على امتناعها، وذلك لما يلي:

١ - أنه أثبت التكليم من وراء حجاب، ولا يكون حجاب إلا لرؤية(٤).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج «٤/ ٦٣».

(٢) انظر: الوسيط للواحدي «٣/ ٣٣٨».

(٣) انظر: نقض الدارمي على بشر المريسي «١/ ٣٦٧».

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٤/ ٤٥٤».

٢ - أن التكليم من وراء حجاب نوع غير الوحي، ويقتضـــي وأن المكلم بذلك محجوب أن يرى الله؛ لأن التكليم المســموع قد يكون مع رؤية المســتمع للمتكلم، وقد يكون مع كونه محجوبا عنه، بخلاف الوحي، فإنه يقع في قلبه(١)

٣ - أن الحجاب عن الرؤية المذكور في الآية الكريمة إنما هو في الدنيا، فلا يمكن لمخلوق أن يرى الله تعالى، أما الآخرة، فالله تعالى يرفع الحجاب عمن شاء من خلقه فيرونه عيانا كما روى عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حجاب يحجبه".(٢)

ثالثًا: الأدلة العقلية التي استدل بها المعطلة لنفي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

اســتدل المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم على مذهبهم بأدلة عقلية، وهي شــبهات إبليسية، جعلوها حجة في معارضتهم للآيات الكريمة والأحاديث الثابتة الصحيحة، وهي كما يلي:

أولا: دليـل الموانع: وهو زعمهم أن الله-عز وجـل-لا يرى لاســتحالـة رؤيتـه، وليس لامتناعها، ففرق بين النوعين. قال القاضي عبد الجبار المعتزلي «**ت: ٤١٥ هـ**»: "ما لا يرى ينقســـم إلى: ما لا يرى لمنع، وإلى ما لا يرى لاســتحالة الرؤية عليه، والقديم تعالى إنما يرى لاستحالة الرؤية عليه لا لمنع".(٣)

وقال أيضـــا: "والموانع المعقولة من الرؤية ســتة: الحجاب، والرقة، واللطافة، والبعد المفرط، وكون المرئي في غير جهة محاذاة الرائي، وكون محله ينقض هذه الأوصـــاف، وشـــيء منها لا يجوز على الله تعالى بحال من الأحوال(٤)

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية «١٠/ ٢١٣».

(٢) انظر: أخرجه البخاري «رقم ٦٥٣٩ و٧٥١٢ و٧٤٤٣» واللفظ له، ومسلم «رقم ١٠١٦» وغيرهما.

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٢٥٣».

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٢٥٧-٢٥٨» والأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٢٩٧ - ٢٩٨».

وهذه الشـــروط الســـتة الأخيرة لا يمكن اعتبارها إلا في رؤية الأجســـام، والله تعالى ليس بجسـم، فلا يمكن اعتبار هذه الشـرائط في رؤيته، فعلى هذا ولو صـحت رؤيته لوجب أن لا يصير في حصول رؤيته إلا أمران: سلامة الحاسة، وكونه بحيث يصح أن يرى، وهذان الأمران حاصـــلان الآن، فثبت أنه لو صـــحت رؤيته لوجب أن نراه الآن، ولما لم يكن الأمر كذلك وجب أن يقال: إنما لا نراه الآن لأنه لا تصح رؤيته(١)

والموانع على ضربين: أحدهما ما يمنع بنفسه، والثاني: يمنع بشرط.

أما المانع بنفسه فهو: كالحجاب، وكون المرئي في غير جهة محاذاة الرائي.

وأما المانع بشرط فهو على قسمين:

الأول: ما يمنع لأمر يرجع إلى الرائي.

والثاني: ما يمنع لأمر يرجع إلى المرئي.

وما يرجع إلى الرائي: فهو كالرقة واللطافة، فإنه إنما يمنع لأمر يرجع إلى الرائي وهو ضـعف الشـــعاع. وأما ما يرجع إلى المرئي: فنحو البعد المفرط، فإنه إنما لا يرى لبعده، حتى لو قرب لرئي(٢)

ثانيا: دليل المقابلة: وهو أن الرؤية تقتضـــي مقابلة المرئي للرائي، وإذا كان كذلك فتكون الرؤية ممتنعة في حق الله-عز وجل-، قال عبد الجبار المعتزلي: "إن الواحد منا راء بحاســـة، والرائي بالحاسة لا يرى الشيء إلا إذا كان مقابلا أو حالا في المقابل أو في حكم المقابل، وقد ثبت أن الله تعالى لا يجوز أن يكون مقابلا ولا حالا في المقال ولا في حكم المقابل، وهذه الدلالة مبنية على أصول:

أحدها: أن الواحد منا راء بالحاسة.

والثاني: أن الرائي بالحاســة لا يرى الشـــيء إلا إذا كان مقابلا أو حالا في المقابل أو في

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٢٩٧».

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٢٥٩-٢٦٠».

حكم المقابل.

والثالث: أن القديم تعالى لا يجوز أن يكون مقابلا ولا حالا في المقابل ولا في حكم المقابل.

أما الأول: فالذي يدل عليه أن أحدنا متى كان له حاسة صحيحة والموانع مرتفعة والمدرك موجود: يجب أن يرى، ومتى لم يكن كذلك استحالة أن يرى، فيجب أن يكون لصحة الحاسة في ذلك تأثير؛ لأن بهذه الطريقة يعلم تأثير المؤثرات من الأسباب والعلل والشروط.

وأما الثاني: فالشيء المرئي إذا كان كذلك وجب أن يرى، وإذا لم يكن كذلك لم ير، فيجب أن تكون المقابلة أو ما في حكمها شرطا في الرؤية؛ لأنه بهذه الطريقة يعلم تأثير الشروط.

وأما الثالث: فلأن المقابلة والحلول إنما تصح على الأجسام والأعراض والله تعالى ليس بجسم ولا عرض فلا يجوز أن يكون مقابلا ولا حالا في المقابل ولا في حكم المقابل".[١]

ثالثا: دليل الانطباع: وهو: أن كل ما يكون مرئيا فلا بد وأن تنطبع صورته ومثاله في العين، والله تعالى يتنزه عن الصورة والمثال، فوجب أن تمتنع رؤيته[٢]

رابعا: أن كل ما كان مرئيا فلا بد له من لون وشكل، ودليله الاستقراء والله تعالى منزه عن ذلك فوجب ألا يرى[٣]

رابعًا: الرد على شبه المعطلة في استدلالهم بالأدلة العقلية لنفي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

[الرد على الدليل الأول وهو دليل الموانع]

١ - قال الرازي-رحمه الله-«**ت: ٦٠٦ هـ**»: لا نسلم أن عند حصول الشرائط الثمانية

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص ٢٤٨ - ٢٤٩» والأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٢٩٧ - ٢٩٨».

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٢٩٨».

(٣) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٢٩٨» والتمهيد للباقلاني «ص ٢٧٨».

يجب حصول الإبصار، ويدل على أنه غير واجب عقلا وجهان:

أولا: أنا نرى الجسم الكبير من البعد صغيرا وإن رأينا جميع أجزائه، وجب أن لا نراه صغيرا، بل كبيرا، وإن لم نر شيئا من أجزائه وجب ألا نراه البتة. وإن رأينا بعض أجزائه دون البعض مع أن جميع الأجزاء بالنسبة إلى "القرب والبعد واللطافة والكثافة وعدم الحجاب وسلامة الحاسة وصحة الرؤية" متساوية لزم أن لا يكون الإدراك مع حصول هذه الشروط متساويا.

ولا يقال: إنا إذا أبصرنا شيئا اتصل بطرفيه من العين خطان شعاعيان كساقي المثلث، وصار عرض المرئي كالخط الثالث، فحصل هناك مثلث، ثم يخرج من نقطة الناظر خط آخر إلى وسط المرئي قائم عليه، يقسم ذلك المثلث الأول إلى مثلثين، وكل واحد منهما مثلث قائم الزاوية، وهذا يصلح أن يكون وترا لكل واحد من الزاويتين الحادتين الواقعتين على طرفي المثلث الأول الكبير، والخطان الطرفيان كل واحد منهما وتر للزاويتين القائمتين، ولا شك أن وتر القائمة أعظم من وتر الحادة، فالخطان الطرفيان كل واحد منهما أطول من الخط الوسطي، وإذا كان ذلك كذلك لم تكن أجزاء المرئي بالنسبة إلى الرائي متساوية في القرب والبعد، لأنا نقول: لنفرض أن هذا التفاوت واقع بمقدار شبر، فلو كان المانع من الرؤية هذا القدر من التفاوت في البعد لكنا إذا جعلنا المرئي أبعد مما كان قبل ذلك بمقدار شبر وجب أن لا نراه البتة، لكنا نراه، فعلمنا أنه ليس السبب في عدم رؤية بعض الأجزاء ذلك القدر من التفاوت في البعد".[١]

فإن قيل: لا يلزم من رؤيتنا جميع أجزائه أن نراه كبيرا، وإنما يلزم ذلك أن لو كانت رؤيته صغيرا وكبيرا بحسب رؤية الأجزاء وعدمها وهو ممنوع.

قلنا: وضعفه ظاهر بناء على تركب الأجزاء التي لا تتجزأ، إذ على هذا التقدير إن رأى الأجزاء كلها وجب أن يرى الجسم كما هو في الواقع سواء كان قريبا أو بعيدا، وذلك لأن

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٣٠١ - ٣٠٢».

الرؤية لكل منها أو بعضها أصغر مما هو عليه توجب الانقسام فيما لا يتجزأ لثبوت ما هو أصغر منه، ورؤية كل من الأجزاء أكبر مما هو عليه بمثل أو بأزيد منه توجب ألا يرى إلا ضعفا أو أكبر من ذلك، وهو باطل قطعا، ورؤيته أكبر بأقل من مثل توجب الانقسام، ورؤية بعضها على ما هو عليه بعضها أكبر بمثل توجب ترجيحا بلا مرجح، فوجب أن يرى الكل على حاله، فلا تفاوت حينئذ بالصغر والكبر، فتعين أن يكون التفاوت بحسب رؤية بعض دون بعض".(١)

ثانيا: إذا نظرنا إلى مجموع كف من التراب، رأيناه وذلك الكيف من التراب عبارة عن مجموع تلك الذوات وتلك الأجزاء الصغيرة، فإما أن يكون إدراك كل واحد من تلك الذوات مشروطا بإدراك الآخر فيلزم الدور؟ وإما أن لا يكون إدراك شيء منها مشروطا بإدراك الآخر وحينئذ يكون إدراك كل واحد من تلك الذوات حالتي الاجتماع والانفراد على السوية؟ مع أنا نراها حال الاجتماع ولا نراها حال الانفراد، وحينئذ لا يكون الإدراك واجب الحصول عند حصول تلك الشرائط، وإما أن يكون إدراك البعض مشروطا بإدراك الباقي ولا ينعكس، وهذا محال، ومع أنه محال فالمقصود حاصل.

أما أنه محال: فلأن الأجزاء متساوية فيكون هذا مفتقرا إلى ذلك، مع أن ذلك غني عن هذا، وهذا ترجيح من غير مرجح وهو محال، وأما أن المقصود حاصل، فلأن إدراك أحد تلك الأجزاء إذا كان غنيا عن إدراك الآخر كان حاله عند الاجتماع وعند الانفراد في صحة الإدراك على السوية، وحينئذ يعود المحذور، فهذان برهانان قويان في بيان أنه عند حصول هذه الشرائط فالإدراك غير واجب الحصول.

وقولهم: لو لم يجب الإدراك لجاز أن يكون بحضرتنا جبال وبوقات ونحن لا نراها ولا نسمعها(٢)

---

(١) انظر: شرح المواقف للجرجاني «٨/ ١٥٢-١٥٣» باختصار.

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٣٠٣».

قلنا: هذا معارض بجملة العاديات، فإن الأمور العادية تجوز نقائضـــها مع جزمنا بعدم وقوعها، ولا سفسطة هاهنا، فكذا الحال في الجبال الشاهقة التي لا نراها، فإنا نجوز وجودها ونجزم بعدمها؛ وذلك لأن الجواز لا يســـتلزم الوقوع ولا ينافي الجزم بعدمه، فمجرد تجويزها لا يكون سفسطة.

ثم نقول: إن كان مأخذ الجزم بعدم الجبل المذكور ما ذكرتم من وجوب الرؤية عند اجتماع شـرائطها لوجب أن لا نجزم به إلا بعد العلم بهذا، واللازم باطل؛ لأنه لا يجزم به من لا يخطر بباله هذه المســـألة؛ ولأنه ينجر إلى أن يكون ذلك الجزم نظريا مع اتفاق الكل على كونه ضروريا[(١)]

سـلمنا أنه عند حضـور هذه الشـرائط في الشـاهد يكون الإدراك واجب الحصـول، فلم قلتم: أن في حق الله تعالى يجب أن يكون كذلك؟ وتحقيقه هو: أن ذات الله تعالى مخالفة بالحقيقة والماهية لهذه الحوادث، والمختلفان في الماهية لا يجب اســـتواؤهما في اللوازم، فلم يلزم من كون الإدراك واجبا في الشـــاهد عند حضـــور هذه الشـــرائط كونه واجبا في الغائب عند حضورها، ومما يدل عليه: أن الإدراك في الشاهد مشروط بشرائط ثمانية، وفي الغائب نقطع بأنه لا يمكن اعتباره، فكذلك لا يمتنع أن يكون الإدراك في الشـــاهد واجب الحصـــول، وفي الغائب لا يكون واجبا".[(٢)]

٢ - أن قولكم: إثبات الرؤية يســـتلزم إثبات الجســـمية، وهذا منتف عن الله تعالى، غير صحيح، فلا يلزم من إثبات الرؤية إثبات الجسمية، ثم إن لفظ الجسم لم يرد في الشرع لا نفيا ولا إثباتا.

قـال ابن تيميـة-رحمـه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "نفـاة الرؤيـة -من الجهميـة والمعتزلـة وغيرهم- إذا قالوا: إثباتها يســتلزم أن يكون الله جســـما، وذلك منتف، وادعوا أن العقل دل

(١) انظر: شرح المواقف للجرجاني «٨/ ١٥٢-١٥٣».

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٣٠٣».

على المقدمتين، احتيج حينئذ إلى بيان بطلان المقدمتين، أو إحداهما، فإما أن يبطل نفس التلازم، أو نفي اللازم، أو المقدمتان جميعا.

وهنا افترقت طرق مثبتة الرؤية: فطائفة نازعت في الأولى، كالأشعري وأمثاله -وهو الذي حكاه الأشعري عن أهل الحديث وأصحاب السنة- وقالوا: لا نسلم أن كل مرئي يجب أن يكون جسما.

فقالت النفاة: لأن كل مرئي في جهة، وما كان في جهة فهو جسم. فافترقت نفاة الجسم على قولين: طائفة قالت: لا نسلم أن كل مرئي يكون في جهة، وطائفة قالت: لا نسلم أن كل ما كان في جهة فهو جسم. فادعت نفاة الرؤية أن العلم الضروري حاصل بالمقدمتين، وأن المنازع فيهما مكابر.

وهذا هو البحث المشهور بين المعتزلة والأشعرية، فلهذا صار الحذاق من متأخري الأشعرية على نفي الرؤية وموافقة المعتزلة، فإذا أطلقوها موافقة لأهل السنة فسروها بما تفسرها به المعتزلة، وقالوا: النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي.

وطائفة نازعت في المقدمة الثانية -وهي انتفاء اللازم- وهي كالهشامية والكرامية وغيرهم، فأخذت المعتزلة وموافقوهم يشنعون على هؤلاء، وهؤلاء وإن كان في قولهم بدعة وخطأ، ففي قول المعتزلة من البدعة والخطأ أكثر مما في قولهم.

ومن أراد أن يناظر مناظرة شرعية بالعقل الصريح فلا يلتزم لفظا بدعيا، ولا يخالف دليلا عقليا ولا شرعيا، فإنه يسلك طريق أهل السنة والحديث والأئمة الذين لا يوافقون على إطلاق الإثبات ولا النفي، بل يقولون: ما تعنون بقولكم: إن كل مرئي جسم؟

فإن فسروا ذلك: بأن كل مرئي يجب أن يكون قد ركبه مركب، أو أن يكون كان متفرقا فاجتمع، أو أنه يمكن تفريقه، ونحو ذلك، منعوا هم المقدمة الأولى، وقالوا: هذه السموات مرئية مشهودة، ونحن لا نعلم أنها كانت متفرقة مجتمعة، وإذا جاز أن يرى ما يقبل التفريق فيما لا يقبله أولى بإمكان رؤيته، فالله تعالى أحق بأن تمكن رؤيته من السموات ومن كل قائم بنفسه، فإن المقتضي للرؤية لا يجوز أن يكون أمرا عدميا، بل لا يكون إلا وجوديا، وكلما

كان الوجود أكمل كانت الرؤية أجوز.

وإن قالوا: "مرادنا بالجسم المركب أنه مركب من الجواهر المنفردة، أو من المادة والصورة"، نازعوهم في هذا، وقالوا: دعوى كون السموات مركبة من جواهر منفردة، أو من مادة وصورة دعوى ممنوعة أو باطلة، وبينوا فساد قول من يدعي هذا، وقول من يثبت الجوهر الفرد أو يثبت المادة والصورة، وقالوا: إن الله خلق هذا الجسم المشهود هكذا، وإن ركبه ركبه من أجسام أخرى، وهو سبحانه يخلق الجسم من الجسم، كما يخلق الإنسان من الماء المهين، وقد رب العظام في مواضعها من بدن ابن آدم، وركب الكواكب في السماء، فهذا معروف.

وأما أن يقال: "إنه خلق أجزاء لطيفة لا تقبل الانقسام ثم ركب منها العالم"، فهذا لا يعلم بعقل ولا سمع، بل هو باطل؛ لأن كل جزء لا بد أن يتميز منه جانب عن جانب، والأجزاء المتصاغرة كأجزاء الماء تستحيل عند تصغرها، كما يستحيل الماء إلى الهواء، مع أن المستحيل يتميز بعضه عن بعض.

والأدلة العقلية بينت جواز الرؤية وإمكانها، وليست العمدة على دليل الأشعري ومن وافقه في الاستدلال؛ لأن المصحح للرؤية مطلق الوجود.

وإن قالوا: "مرادنا أن المرئي لا بد أن يكون معاينا تجاه الرائي، وما كان كذلك فهو جسم"، ونحو هذا الكلام، قالوا لهم: الصادق المصدوق ﷺ قال: "إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر"، وقال: "هل تضامون في رؤية الشمس صحوة ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فهل تضامون في رؤية القمر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر".

وهذا تشبيه للرؤية، لا للمرئي بالمرئي، وفي لفظ في الصحيح: "إنكم ترون ربكم عيانا" فإذن قد أخبرنا أنا نراه عيانا.

وقد أخبرنا أيضا أنه قد: "استوى على العرش" فهذه النصوص يصدق بعضها بعضا، والعقل أيضا يوافقها، ويدل على أنه سبحانه مباين لمخلوقاته فوق سماواته، وأن وجود موجود لا مباين للعالم ولا محايث له محال في بديهة العقل، فإذا كانت الرؤية مستلزمة لهذه المعاني

فهذا حق، وإذا سميتم أنتم هذا قولا بالجهة وقولا بالتجسيم لم يكن هذا القول نافية لما علم بالشرع والعقل، إذ كان معنى هذا القول -والحال هذه- ليس منتفيا لا بشرع ولا عقل".(١)

[الرد على الدليل الثاني وهو دليل المقابلة]

قال الرازي: الجواب عنها من وجهين:

الأول: أن ذكر الدلائل لا بد أن يكون مسبوقا بتعيين محل النزاع، فنقول: محل النزاع: أن الموجود المنزه عن المكان والجهة هل تجوز رؤيته أم لا؟ فإن ادعيتم أن العلم بامتناع رؤيته ضروري (٢) فذلك باطل من وجوه:

الأول: أن البديهي متفق عليه بين العقلاء، وهذا غير متفق عليه فلا يكون بديهيا.

الثاني: أنا إذا عرضنا على عقولنا رؤية هذا الموجود، بالتفسير الذي لخصناه، وعرضنا على عقولنا: أن الواحد نصف الإثنين لم نجد القضية الأولى في قوة هذه الثانية.

الثالث: أن حكم الوهم والخيال في معرفة الله تعالى: إما أن يكون مقبولا أو لا يكون مقبولا، فإن كان مقبولا لا يمتنع إثبات ذات منزهة عن الكمية والكيفية والجهة، والمعتزلي يسلم أن ذلك باطل، وإن لم يكن مقبولا لم يكن حكم الوهم بأن ما كان منزها عن الجهة، كان غير مرئي واجب القبول؛ لأن الوهم والخيال لما صار كل واحد منها مردود الحكم في بعض الأحكام لم يبق الاعتماد عليها في شيء من المواضع.

وبالجملة: فإن كان حكم الوهم حقا كان الحق مع المجسم، وإن كان مردودا كان الحق معنا، أما المعتزلي: فإنه يرد حكمه في إثبات الجسم والجهة، ويقبل حكمه في مسألة الرؤية، فكان كلامه متناقضا.

فثبت بما ذكرنا: أن من نفى الرؤية بالوجه الذي ذكرناه لا بد وأن يعول في نفيها على

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية «١/ ٢٥٠ - ٢٣٥» بتصرف يسير.

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٣٠٣».

الدليل لا على ادعاء الضرورة(١)

وإن ادعيتم أن هذا العلم اســـتدلالي فلا بد فيه من الدليل، وقولكم: "إن كل مرئي لا بد وأن يكون مقابلا" يقرب من أنه إعادة للدعوى؛ لأن المقابل هو الذي يكون مختصـــا بجهة قدام الرائي، فكأنكم قلتم: "الدليل على أن ما لا يكون في الجهة لا يكون مرئية هو أن كل ما كان مرئية يكون في الجهة". والمنطقيون يسـمون هذه القضـية الثانية عكس نقيض القضـية الأولى، وفي الحقيقة لا فرق بين القضـيتين في الظهور والخفاء، فلم يجز جعل أحدهما حجة في صحة الأخرى، بل يقرب هذا من أن يكون إعادة المطلوب بعبارة أخرى.

والوجه الثاني في الجواب: ثبت أن المقابلة شرط للرؤية في الشاهد، فلم قلتم: إنه في الغائب كذلك؟ وتقريره: ما ذكرناه في الجواب عن الشـــبهة الأولى (٢)، هو أن ذات الله تعالى مخالفة بالحقيقة والماهية لهذه الحوادث، والمختلفان في الماهية لا يجب اســـتواؤهما في اللوازم، فلم يلزم من كون الإدراك واجبا في الشـــاهد عند حضـــور هذه الشـــرائط كونه واجبا في الغالب عند حضورها، ومما يدل عليه: أن الإدراك في الشاهد مشروط بشرائط ثمانية هي: سلامة الحاسة، وكون الشيء بحيث أن يكون جائز الرؤية، وأن لا يكون في غاية البعد، وأن لا يكون في غاية القرب، وأن يكون مقابلا للرائي أو في حكم المقابل، وأن لا يكون في غاية اللطافة، وأن لا يكون بين الرائي والمرئي حجاب، وأن لا يكون في غـاية الصـــغر، فلا يمكن اعتبـار هـذه الشرائط في رؤيته(٣)

وفي الغالب نقطع بأنه لا يمكن اعتباره، فكذلك لا يمتنع أن يكون الإدراك في الشـــاهد واجب الحصول، وفي الغائب لا يكون واجبا(٤)

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٢٦٧ – ٢٦٨».

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٣٠٣ – ٣٠٤».

(٣) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٣٠٣».

(٤) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٣٠٣».

وتمام الكشف والتحقيق: أنا ذكرنا في المقدمات: أن المراد من الرؤية أن يحصل لنا انكشاف بالنسبة إلى ذاته المخصوصة، وهو يجري مجرى الانكشاف الحاصل عند إبصار الألوان والأضواء، وإذا كان الأمر كذلك فإذا الانكشاف يجب أن يكون على وفق المكشوف، فإن كان المكشوف مخصوصا بالجهة والحيز: وجب أن يكون الانكشاف كذلك، وإن كان المكشوف منزها عن الجهة: وجب أن يكون انكشافه منزها عن الحيز والجهة".(١).

وهذا الجواب السابق مع ما فيه من حق إلا أنه اشتمل على باطل وهو: أن الجواب عن دليل المعتزلة بتسليم نفي الجهة والمقابلة عن الله تعالى باطل؛ لأن إثبات رؤية حقيقية بالأبصار عيانا من غير مقابلة أو جهة مكابرة عقلية، لأن الجهة من لوازم الرؤية وإثبات الملزوم ونفي اللازم مغالطة ظاهرة.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "يقال: هذا المنكر للرؤية المستدل على نفيها بانتفاء لازمها وهو الجهة: قولك ليس في جهة، وكل ما ليس في جهة لا يرى، فهو لا يرى، وهكذا جميع نفاة الحق ينفونه لانتفاء لازمه في ظنهم، فيقولون لو رئي للزم كذا، واللازم منتف فينتفي الملزوم.

والجواب العام لمثل هذه الحجج الفاسدة: بمنع إحدى المقدمتين: إما معينة وإما غير معينة، فإنه لا بد أن تكون إحداها باطلة أو كلتاهما باطلة، وكثيرا ما يكون اللفظ فيها مجملا يصح باعتبار ويفسد باعتبار، وقد جعلوا الدليل هو ذلك اللفظ المجمل، ويسميه المنطقيون الحد الأوسط، فيصح في مقدمة بمعنى، ويصح في الأخرى بمعنى آخر، ولكن اللفظ مجمل، فيظن الظان لما في اللفظ من الإجمال وفي المعنى من الاشتباه أن المعنى المذكور في هذه المقدمة هو المعنى المذكور في المقدمة الأخرى، ولا يكون الأمر كذلك.

مثال ذلك في مسألة الرؤية أن يقال له: أتريد بالجهة أمرا وجوديا أو أمرا عدميا؟

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٣٠٣ – ٣٠٤»، وشرح المواقف للجرجاني «٨/ ١٥٥».

فإذا أردت به أمرا وجوديا كان التقدير: كل ما ليس في شـــيء موجود لا يرى. وهذه المقدمة ممنوعة ولا دليل على إثباتها، بل هي باطلة فإن سطح العالم يمكن أن يرى وليس العالم في عالم آخر.

وإن أردت بالجهة أمرا عدميا كمانت المقدمة الثانية ممنوعة، فلا نسـلم أنه ليس بجهة بهذا التفسير.

وهذا مما خاطبت به غير واحد من الشـيعة والمعتزلة فنفعه الله به، وانكشـف بسـبب هذا التفصيل ما وقع في هذا المقام من الاشتباه والتعطيل وكانوا يعتقدون أن ما معهم من العقليات النافية للرؤية قطعية لا يقبل في نقيضـها نص الرسـل، فلما تبين لهم أنها شـبهات مبنية على ألفاظ مجملة ومعان مشتبهة، تبين أن الذي ثبت عن الرسول هو الحق المقبول".(١)

وقال أيضـا: "يقال لهم: ما تعنون بأن هذا إثبات للجهة والجهة ممتنعة؟ أتعنون بالجهة أمرا وجوديا أو أمرا عدميا؟

فإن أردتم أمرا وجوديا. وقد علم أنه ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق، والله فوق سماواته بائن من مخلوقاته، لم يكن. والحالة هذه في جهة موجودة، فقولكم: إن المرئي لا بد أن يكون في جهة موجودة قول باطل، فإن سطح العالم مرئي، وليس هو في عالم آخر.

وإن فسـرتم الجهة بأمر عدمي كما تقولون: إن الجسـم في حيز، ولا حيز تقدير مكان، وتجعلون ما وراء العالم حيزا.

فيقال لكم: الجهة. والحيز. إذا كان أمرا عدميا فهو لا شـيء، وما كان في جهة عدمية أو حيز عدمي، فليس هو في شيء، ولا فرق بين قول القائل: هذا ليس في شيء وبين قوله: هو في العدم أو أمر عدمي فإذا كان الخالق تعالى مباينا للمخلوقات عاليا عليها، وما ثم موجود إلا الخالق أو المخلوق، لم يكن معه غيره من الموجودات، فضـلا عن أن يكون هو سبحانه في شيء موجود يحصره أو يحيط به.

---

(١) انظر: منهاج السنة لابن تيمية «٢/ ٣٤٨ - ٣٤٩».

فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل، ويراعون أيضا الألفاظ الشرعية، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، ومن تكلم بما فيه معني باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه، ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حق وباطلا نسبوه إلى البدعة أيضا، وقالوا: إنما قابل بدعة ببدعة، وردة باطلا بباطل".(١)

[الرد على الدليل الثاني والثالث]

أن نمنع كون الرؤية بالانطباع إما مطلقا أو في الغائب لاختلاف الرؤيتين(٢).

ونقول أيضا: أن الرؤية عبارة عن الانكشاف التام، فإن كان الشيء له صورة كان انكشافه بانكشاف صورته ولونه، وإن كان منزها عن الصورة واللون كان انكشافه كذلك أيضا؛ لأن شرط الانكشاف أن يحصل على وفق ماهية المكشوف(٣)

والحكم بأن المرئي لابد وأن تنطبع صورته ومثاله في العين، وأنه لا بد وأن يكون ذا لون وشكل مبني على أن هذه الأشياء المشاهدة المحسوسة لا ترى إلا كذلك، ثم قالوا: "لو صح أن يرى الله فلا يرى إلا كذلك" وهو ممنوع في حقه تعالى، والحق أنه تحكم محض وقياس للخالق على المخلوق، وهو باطل قطعا؛ لأنه قياس مع الفارق، فالله تعالى ليس كمثله شيء، ولا يشبهه شيء من خلقه، فلا يصح قياسه عليه. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآيات: ١-٤]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١](٤)

خامسًا: الأدلة العقلية للأشاعرة القائلين بأن الله تعالى يرى في غير جهة.

استدل الأشاعرة على جواز رؤية الله تعالى بأدلة عقلية، وهي:

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية «١/ ٢٥٣ - ٢٥٤» ومنهاج السنة النبوية له أيضا «٢/ ٣٤٨ - ٣٤٩».

(٢) انظر: شرح للمواقف للجرجاني «٨/ ١٥٥».

(٣) انظر: الأربعين في أصول الدين الرازي «١/ ٣٠٤».

(٤) انظر: رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها لأحمد بن ناصر آل حمد «ص: ٧٢».

١ – دليل الوجود: وهو أن كل موجود مرئي سواء أمكن مشاهدته أم لم يمكن.

قال الجويني: "الدليل على جواز الرؤية عقلا أن الرب–عز وجل–موجود، وكل موجود مرئي"[١] ويدخل في ذلك جميع الموجودات كالأصوات، والروائح، والملموسات، والطعوم[٢]

٢ – معنى الرؤية ومفهوما والمراد بها. وجميع ذلك هو حقيقة الرؤية.

قال الغزالي–رحمه الله–«**ت: ٥٠٥ هـ**»: "لا حقيقة لها إلا أنها نوع إدراك هو كمال ومزيد كشف بالاضافة إلى التخيل، إلا أن هذا الكمال في الكشف غير مبذول في هذا العالم، والنفس في شغل البدن وكدورة صفائه، فهو محجوب عنه. وكما لا يبعد أن يكون الجفن أو الستر أو سواد ما في العين سببا بحكم اطراد العادة الامتناع الإبصار للمتخيلات فلا يبعد أن تكون كدورة النفس وتراكم حجب الأشغال بحكم اطراد العادة مانعا من إبصار المعلومات. فإذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور، وزكيت القلوب بالشراب الطهور، وصفيت بأنوع التصفية والتنقية، لم يمتنع أن تشتغل بسببها لمزيد استكمال واستيضاح في ذات الله سبحانه أو في سائر المعلومات، يكون ارتفاع درجته عن العلم المعهود كارتفاع درجة الإبصار عن التخيل، يعبر عن ذلك بلقاء الله تعالى ومشاهدته، أو رؤيته، أو إبصاره، أو ما شئت من العبارات. فلا مشاحة فيها وبعد إيضاح المعاني. وإذا كان ذلك ممكنا بأن خلقت هذه الحالة في العين، كان اسم الرؤية بحكم وضع اللغة عليه أصدق وخلقه في العين غير مستحيل. كما أن خلقها في القلب غير مستحيل فإذا فهم المراد بها أطلقه أهل الحق من الرؤية، علم أن العقل لا يحيله، بل يوجبه، وأن الشرع قد شهد له فلا يبقى للمنازعة وجه إلا على سبيل العناد أو المشاحنة في إطلاق عبارة الرؤية أو القصور عن درك هذه المعاني الدقيقة التي ذكرناها".[٣].

---

(١) انظر: لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة للجويني «ص: ١١٥».

(٢) انظر: شرح المواقف للجرجاني «ص: ١٣٩».

(٣) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي «ص: ٤٥–٤٦» باختصار.

٣ - أن كل مرئي فهو في جهة، وهذا إنما هو حكم الشـــاهد لا حكم الغائب، وهذا الموضـع ليس من المواضـع التي يجب فيها نقل حكم الشـاهد إلى الغائب، وإنه جائز أن يرى الإنسان ما ليس في جهة، إذا كان جائزا أن يرى الإنسان بالقوة المبصرة نفسها دون عين[١]

٤ - أنه يمكن رؤية ما ليس في جهة، ومن أنكر ذلك فلا يقدر على انكار رؤية الإنسان نفسه في المرآة، ومعلوم أنه ليس في مقابلة نفسه[٢]

٥ - أن رؤية غير الأجسام ممكنة وذلك لما يلي:

الأول: أن الشـيء لا يخلو أن يرى من جهة ما هو ملون، أو من جهة أنه جسـم، أو من جهة أنه لون، أو من جهة أنه موجود، وربما من جهات أخر غير هذه الموجودة، وباطل أن يرى من قبل أنه جسم؛ إذ لو كان ذلك كذلك لما رئي ما هو غير جسم، وباطل أن يرى من قبل أنه ملون؛ إذ لو كان كذلك لمارئي اللون، وباطل أن يرى لمكان أنه لون؛ إذ لو كان ذلك كذلك لمارئي الجســم، وإذا بطلت جميع هذه الأقســام التي تتوهم في هذا الباب فلم يبق أن يرى الشيء إلا من قبل أنه موجود.

الثاني: أن الحواس إنما تدرك ذوات الأشـياء وما تنفصـل به الموجودات بعضـها من بعض، وهي أحوال ليسـت بذوات، فالحواس لا تدركها وإنما تدرك الذات، والذات هي نفس الوجود المشترك لجميع الموجودات، فإذا: الحواس إنما تدرك الشيء من حيث هو موجود[٣]

سادسًا: الرد على أدلة الأشاعرة العقلية القائلين: بأن الله تعالى يرى في غير جهة.

[الرد على الدليل العقلي الأول]

أن قولهم: "أن كل موجود يري" غير صـــحيح، حيث جعلوا ذلك عاما لكل موجود كالأصوات والروائح والطعوم وغيرها، وهذه مكابرة للعقل، ومناقضة للواقع.

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٢/ ٤٣٩».

(٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي «ص: ٤٣».

(٣) انظر: مناهج الأدلة لابن رشـد «ص: ١٨٧-١٨٩» وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٢/ ٤٤٢ و٤٤٥» ودرء تعارض العقل والنقل له «٦/ ٢٣٠ - ٢٣٣».

فإن المعاني ونحوها لا يمكن رؤيتها، ومن زعم ذلك فقد قال بالمحال، والتخبط في المقال، وقد اعترف كبار الأشاعرة المخالفين للأشعري نفسه بعدم صحة هذا الدليل، وعدم سلامته من الاعتراضات والإشكالات.

قال الرازي-رحمه الله-«**ت: ٦٠٦ هـ**»: "اعلم أن جمهور الأصحاب عولوا في إثبات أنه تعالى يصح أن يرى على دليل الوجود، وأما نحن فعاجزون عن تمشيه، ونحن نذكر ذلك الدليل، ثم نوجه عليه ما عندنا من الاعتراضات".[(١)]

وقد اعترف الرازي بعد إيراده للاستشكالات والاعتراضات على دليل الوجود بعجزه عن الجواب عنها فقال: "فهذا ما عندي من الأسئلة في هذا الدليل، وأنا غير قادر على الأجوبة عنها. . . اعلم أن الدليل العقلي المعول عليه في هذه المسألة هذا الذي أوردناه وأوردنا عليه هذه الاسئلة واعترفنا بالعجز عن الجواب عنها".[(٢)]

وقال أيضا: "ثبت أن صحة الرؤية حكم مشترك فيه بين الجواهر والأعراض والحكم المشترك فيه لا بد له من علة مشتركة فيها والمشترك بين الجوهر والعرض إما الحدوث أو الوجود والحدوث لا يصلح للعلية لأن الحدوث عبارة عن وجود بعد عدم والقيد العلمي لا يصلح للعلية فوجب أن تكون العلة هي الوجود والله تعالى موجود فوجب القول بصحة رؤيته، وهذا عندي ضعيف".[(٣)]

ولذلك توقف الرازي في القول بالدليل العقلي لعدم صحته عنده وعدم سلامته من الاعتراضات والإشكالات.

قال في كتابه المطالب العالية: "الدلائل التي تمسك بها نفاة الرؤية في غاية الضعف والسقوط، وأما مثبتوا الرؤية فقد عولوا على أن قالوا: "الله تعالى موجود، وكل موجود فإنه

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٢٦٨».

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٢٧٧».

(٣) انظر: معالم أصول الدين للرازي «ص: ٢٦٨».

تصـــح رؤيته" ودليلهم في الإثبات: أن كل موجود تصـــح رؤيته، قد ذكرناه في أحكام الموجودات، وأوردنا عليه اعتراضـــات قوية لا يمكن دفعها البتة، وإذا عرفت ضـــعف دلائل الفريقين فنقول: بقي هذا البحث في محل التوقف".(١)

وقال الشـــهرســـتاني–رحمه الله–«**ت: ٥٤٨ هـ**»: "وأما جواز الرؤية فالمســـلك العقلي ما ذكرناه وقد وردت عليه تلك الإشـــكالات ولم تســـكن النفس في جوابها كل الســـكون ولا تحركت الأفكار العقلية الى التفصي عنها كل الحركة".(٢)

وقال الآمدي–رحمه الله–«**ت: ٦٣١ هـ**»: "والواجب البداية بتقديم النظر في طرف الجواز العقلي أولا ثم في وقوعه شـــرعا ثانيا، وقد ســـلك المتكلمون في ذلك ومن أهل الحق مسالك لا تقوى: المسلك الأول: وهو ما اشتهر من قولهم: الرؤية تتعلق بالموجودات المختلفة كالجواهر والأعراض. . . " ثم قال عن هذا الدليل: "ومن نظر بعين التحقيق علم أن المتعلق به منحرف عن سواء الطريق".(٣)

وقال أيضا: "ولما تخيل بعض الأصحاب زيغ هذه الطريقة عن الصواب انتهج منهجا آخر فقال: إن الجواهر والأعراض متعلق الرؤية، ولا محالة أن بينهما اتفاقا وافتراقا. . . وهذا الإسهاب أيضا مما لا يشفي غليلا".(٤)

وقال أيضا: "لو سلم أن ما وقع به الافتراق لا يصلح أن يكون مصححا فإن المصحح لا بد وأن يكون أمرا مشـــتركا فلا بد من بيان أنه لا مشـــترك إلا "الوجود" والا فمع جواز القول باشـــتراكها في معنى آخر غير الوجود فيجوز أن يكون هو المصـــحح أو داخلا في المصـــحح، وعند ذلك فلا يلزم جواز تعلق الرؤية بواجب الوجود؛ لجواز أن يكون المصحح غير شامل له

(١) انظر: المطالب العالية للرازي «٢/ ٨٧».

(٢) انظر: نهاية الإقدام للشهرستاني «ص: ٣٢٩» وغاية المرام في علم الكلام للآمدي «ص: ١٦٢».

(٣) انظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي «ص: ١٤٢–١٤٣».

(٤) انظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي «ص: ١٤٤–١٤٥».

كما في الوجود، وذلك لا دليل عليه غير البحث والسبر وهو ما لا يرقى إلى ذروة اليقين بل لعله مما يقصر عن إفادة الظن والتخمين. . . ثم إنه لو قدر أنه لا مشترك إلا الوجود فلا بد من بيان أن وجود واجب الوجود مجانس للوجود الذي هو متعلق الرؤية شاهدا حتى يلزم تعلق الرؤية به وذلك مما يعز ويشق جدا".(١)

وقال في ختام إيراده للاستشكالات والاعتراضات: "وعلى الجملة فلسنا نعتمد في هذه المسألة على غير المسلك العقلي الذي أوضحناه؛ إذ ما سواه لا يخرج عن الظواهر السمعية والاستبصارات العقلية، وهي مما يتقاصر عن إفادة القطع واليقين، فلا يذكر إلا على سبيل التقريب واستدراج قانع بها إلى الإعتقاد الحقيقي، إذ رب شخص يكون انقياده إلى ظواهر الكتاب والسنة واتفاق الأمة اتم من انقياده إلى المسالك العقلية والطرق اليقينية خشونة معركها وقصوره عن مدركها".(٢)

[الرد على الدليل العقلي الثاني]

١ - أن قولهم: "بأن الرؤية هي زيادة علم وكشف". هو نفس قول المعتزلة المنكرين للرؤية، فلا فرق بينهم في ذلك.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "أئمة أصحاب الأشعري المتأخرين لما تأملوا ذلك عادوا في الرؤية إلى قول المعتزلة أو قريب منه وفسروها بزيادة العلم كما يفسرها بذلك الجهمية والمعتزلة وغيرهم وهذا في الحقيقة تعطيل للرؤية الثابتة بالنصوص والإجماع والمعلوم جوازها بدلائل المعقول، بل المعلوم بدلائل العقول امتناع وجود موجود قائم بنفسه لا يمكن تعلقها به".(٣)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "نفاة الرؤية من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة

(١) انظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي «ص: ١٤٧».

(٢) انظر: نفس المصدر «ص: ١٥٤».

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٢/ ٤٣٤ - ٤٣٥» باختصار..

يتأولون النصوص فيها تارة برؤية أفعال الله، وتارة برؤية القلب الذي هو زيادة العلم".[١]

وقد اعترف بهذا كبار حذاق المتكلمين الأشعرية، وأن قولهم هو نفس قول المعتزلة.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وهذا صار حذاقهم إلى إنكار الرؤية وقالوا: قولنا هو قول المعتزلة في الباطن؛ فإنهم فسروا الرؤية بزيادة انكشاف ونحو ذلك مما لا ننازع فيه المعتزلة".[٢]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فلهذا صار الحذاق من متأخري الأشعرية على نفي الرؤية وموافقة المعتزلة، فإذا أطلقوها موافقة لأهل السنة فسروها بما تفسرها به المعتزلة، وقالوا: النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي".[٣]

٢ - أن تحريفكم لمعنى الرؤية بالكشف وزيادة العلم قول مبتدع لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها، وهو خلاف ما نقل عن الصادق المصدوق-صلى الله عليه وسلم-حينما أخبرنا عن رؤية الله تعالى فقال: "إنكم سترون ربكم عيانا".[٤]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وأما دعواه ودعوى غيره من الجهمية من المعتزلة ونحوهم أن الرؤية التي أخبر بها الرسول مزيد علم فمن سمع النصوص علم بالاضطرار أن الرسول إنما أخبر برؤية المعاينة، وأيضا فإن أدلة المعقول الصريحة تجوز هذه الرؤية".[٥]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "أما إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة فهو قول سلف الأمة وأئمتها، وجماهير المسلمين من أهل المذاهب الأربعة وغيرها، وقد تواترت فيه الأحاديث عن النبي ﷺ عند علماء الحديث، وجمهور القائلين بالرؤية

---

(١) انظر: جامع المسائل لابن تيمية «٥/ ٧٣».

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية «١٦/ ٨٥».

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية «١/ ٢٥٠».

(٤) أخرجه البخاري «رقم: ٧٤٣٥».

(٥) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٢/ ٤٥٢».

يقولون: يرى عيانا مواجهة، كما هو المعروف بالعقل".(١)

[الرد على الدليل العقلي الثالث]

١ - نقول لهم: تفريقكم في نقل حكم الشـــاهد إلى الغائب بين الرؤية وبين غيرها من الصـفات تفريق بين متماثلين، فكما نقلتم حكم الشـاهد إلى الغائب في صـفة الحياة والعلم، فكذلك يلزمكم في الرؤية.

وهؤلاء اختلط عليهم إدراك العقل مع إدراك البصـــر، فإن العقل هو الذي يدرك ما ليس في جهة -أعني في مكان- وأما إدراك البصــر فظاهر من أمره أن من شــرطه أن يكون المرئي منه في جهة -أعني في مكان- ولا في كل جهة فقط بل في جهة ما مخصوصة، ولذلك ليس تتأتى الرؤية بأي وضـع اتفق أن يكون البصر من المرئي، بل بأوضـاع محدودة وشروط محدودة أيضـا، وهي ثلاثة أشـياء: "حضـور الضـوء، والجسـم الشـفاف المتوسـط بين البصـر والمبصـر، وكون المبصـر ذا ألوان ضـرورة"، والرد هذه الأمور المعروفة بنفسـها في الأبصـار هو رد للأوائل المعلومة بالطبع للجميع، وإبطـال لجميع علوم المناظر والهندســـة، وقـد قـال القوم -أعني الأشـــعرية-: "إن أحد المواضـــع التي يجب أن ينقل فيها حكم الشـــاهد إلى الغائب هو الشـــرط، مثل: حكمنا أن كل عالم حي؛ لكون الحياة تظهر من الشـــاهد شـــرطا في وجود العالم"،وإن كان كذلك قلنا لهم: وكذلك يظهر في الشــاهد أن هذه الأشـياء هي شــروط في الرؤية فألحقوا الغائب منها بالشاهد على أصلكم(٢)

٢ - أن قولكم: "جائز أن يرى الإنســـان ما ليس في جهة" هذا إنما يكون متصـــورا في العقول، أما في الخارج فلا يوجد مرئي إلا وهو في جهة.

٣ - يقال لهم: قولكم: "ما ليس في جهة" هذا اللفظ قول مبتدع لم يرد به الشـــرع إثباتا ولا نفيا، ثم ماذا تقصـــدون به؟ إن قصـــدتم أنه لا داخل العالم ولا خارجه فقد قلتم الباطل

(١) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية «٣/ ٣٤١».

(٢) انظر: مناهج الأدلة لابن رشـــد «ص: ١٨٦» وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٢/ ٤٣٩ - ٤٤٠» والدرء له أيضـــا «٦/ ٢٢٩».

والمحال، وإن قصدتم أنه ليس فوق العرش إله فقد جحدتم رب العالمين، وإن قصدتم أنه بذاته في كل مكان فقد قلتم قولا أعظم من قول النصاري في عيسى -عليه السلام-، وإن قصدتم أنه تعالى لا تحيط به المخلوقات، بل هو بائن عن المخلوقات، فقد أصابتم المعنى وأخطأتم في استعمال اللفظ.

قال ابن تيمية -رحمه الله- «**ت: ٧٢٨ هـ**»: "من قال: إن الله ليس في جهة، قيل له: ما تريد بذلك؟ فإن أراد بذلك أنه ليس فوق السماوات رب يعبد، ولا على العرش إله، ومحمد لم يعرج به إلى الله تعالى، والأيدي لا ترفع إلى الله تعالى في الدعاء، ولا تتوجه القلوب إليه، فهذا فرعوني معطل جاحد لرب العالمين.

وإن كان معتقدا أنه مقر به، فهو جاهل متناقض في كلامه. ومن هنا دخل أهل الحلول والاتحاد كابن عربي، وقالوا: إن الله بذاته في كل مكان، وأن وجود المخلوقات هو وجود الخالق.

وإن قال: مرادي بقولي: "ليس في جهة" أنه لا تحيط به المخلوقات، بل هو بائن عن المخلوقات، فقد أصاب في هذا المعنى.

وكذلك من قال: إن الله متحيز، أو قال: ليس بمتحيز، إن أراد بقوله: "متحيز" أن المخلوقات تحوزه وتحيط به فقد أخطأ. وإن أراد أنه منحاز عن المخلوقات لا تحويه فقد أصاب. وإن أراد: ليس ببائن عنها، بل هو لا داخل فيها ولا خارج عنها فقد أخطأ.

والناس في ذلك ثلاثة أصناف: أهل الحلول والاتحاد، وأهل النفي والجحود، وأهل الإيمان، والتوحيد، والسنة.

فأهل الحلول يقولون: إنه بذاته في كل مكان، وقد يقولون بالاتحاد والوحدة، فيقولون: وجود المخلوقات وجود الخالق، كما هو مذهب ابن عربي «**ت: ٦٣٨ هـ**» صاحب "الفصوص" وابن سبعين «**ت: ٦٦٩ هـ**» ونحوهما.

وأما أهل النفي والجحود فيقولون: لا هو داخل العالم ولا خارج عنه، ولا مباين له ولا حال فيه، ولا فوق العالم ولا فيه، ولا ينزل منه شيء ولا يصعد إليه شيء، ولا يتقرب إليه

شيء، ولا يدنو منه شيء، ولا يتجلى الشيء ولا يراه أحد، ونحو ذلك.

وهـذا قول متكلمـة الجهمية، كمـا أن الأول قول عبـاد الجهميـة. فمتكلمـة الجهميـة لا يعبدون شـــيئا، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شـــيء، وكلاهما مرجعهم إلى التعطيل والجحود الذي هو قول فرعون".[١]

٤ - أن اســتلزام الرؤية لأن يكون الله بجهة من الرائي ثابت لا محذور فيه، فقد دل العقل الصريح والنقل الصحيح والقياس الصحيح وهو قياس التنبية وقياس الأولى على إثبات ذلك.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "الوجه الثالث: أن كون الرؤية مســتلزمة لأن يكون الله بجهة من الرائي أمر ثبت بالنصـــوص المتواترة وفيه مع إخباره أنهم يرونه إخبارهم أنه يرونه في جهة منهم من وجوه:

أحدها: أن الرؤية في لغتهم لا تعرف إلا لرؤية ما يكون بجهة منهم، فأما رؤية ما ليس في الجهة فهذا لم يكونوا يتصورونه ولا يعرفونه فضلا عن أن يكون اللفظ يدل عليه.

ولسـت تجد أحدا من الناس يتصـور وجود موجود في غير جهة، فضـلا عن أن يتصـور أنه يرى، فضلا عن أن يكون اسم الرؤية المشهورة في اللغات كلها يدل على هذه الرؤية الخاصة.

الثاني: أنه شـبه لهم رؤيته برؤية الشـمس والقمر، وليس ذلك تشـبيها للمرئي بالمرئي، ومن المعلوم أنه إذا كانت رؤيته مثل رؤية الشـــمس والقمر وجب أن يرى في جهة من الرائي، كما أن رؤية الشـــمس والقمر كذلك، فإنه لو لم يكن كذلك لأخبرهم برؤية مطلقة نتأولها على ما يتأول من يقول بالرؤية في غير جهة، أما بعد أن يستفسرهم عن رؤية الشـمس صـحوة ورؤية البدر صـــحوة ويقول: "إنكم ترون ربكم كذلك" فهذا لا يمكن أن يتأول على الرؤية التي يزعمونها، فإن هذا اللفظ لا يحتملها لا حقيقة ولا مجازا.

الثالث: أنه شبه رؤيته برؤية أظهر المرئيات إذا لم يكن ثم حجاب منفصل عن الرائي يحول بينه وبين المرئي، ومن يقول: "إنه يرى في غير جهـة" يمتنع عنـده أن يكون بينـه وبين العبـاد

---

[١] انظر: جامع المسائل لابن تيمية «٣/ ٢٠٣-٢٠٤».

حجاب منفصل عنهم، إذ الحجاب لا يكون إلا لجسم، ولما يكون في جهة، وهم يقولون: "الحجاب عدم خلق الإدراك في العين"، والنبي ﷺ مثل رؤيته برؤية هذين النورين العظيمين إذا لم يكن دونها حجاب.

الرابع: أنه أخبر أنهم: "لا يضارون في رؤيته" وفي حديث آخر: "لا يضامون" ونفي الضير والضيم إنما يكون لإمكان لحوقه للرائي، ومعلوم أنا يسمونه رؤية وهو "رؤية ما ليس بجهة من الرائي لا فوقه ولا في شيء من جهاته لا يتصور فيها ضير ولا ضيم حتى ينفي ذلك، بخلاف رؤية ما يواجه الرائي ويكون فوقه، فإنه قد يلحقه فيه ضيم وضير إما بالازدحام عليه أو كلال البصر لخفائه: كالهلال، وإما لجلائه: كالشمس والقمر.

الوجه الرابع: أن كون الله يرى بجهة من الرائي ثبت بإجماع السلف والأئمة".[١].

[الرد على الدليل العقلي الرابع]

أن قولهم ذلك مغالطة للواقع، فالمرآة في جهة الناظر إليها، وهو إنما ينظر إلى صورته فيها. فإن الذي يبصر هو خيال ذاته فقط، والخيال منه هو في جهة إذا كان الخيال في المرآة، والمرآة في جهة[٢]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "قال العقلاء هذا تلبيس فإنه إنما يرى خيال صورته وهو عرض منطبع في الجسم الصقيل وهو في جهة منه ولا يرى حقيقة صورته القائمة به".[٣].

[الرد على الدليل العقلي الخامس]

قولكم: أن رؤية غير الأجسام ممكنة، قول باطل مخالف للعقل الصريح والواقع، ومكابرة للمعقول والمحسوس.

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٤/ ٤٣٢ - ٤٤٩» باختصار وتصرف.

(٢) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد «ص: ١٨٧» وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٢/ ٤٤١» والدرء له أيضا «٦/ ٢٣٠».

(٣) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم «٤/ ١٣٣٣».

فأما الوجه الأول في استدلالكم: فالمغالطة في هذا القول بينة؛ فإن المرئي منه ما هو مرئي بذاته ومنه ما هو مرئي من قبل المرئي بذاته، وهذه هي حال اللون والجسم، فإن اللون مرئي بذاته، والجسم مرئي من قبل اللون، ولذلك ما لم يكن له لون لم يبصر، ولو كان الشيء إنما يرى من حيث هو موجود فقط لوجب أن تبصر الأصوات وسائر المحسوسات الخمس، فكان يكون البصر والسمع وسائر الحواس الخمس حاسة واحدة، وهذا كله خلاف ما يعقل، وقد اضطر المتكلمون لمكان هذه المسألة وما أشبهها أن يسلموا أن الألوان ممكنة أن تسمع، والأصوات ممكنة أن ترى، وهذا كله خروج عن الطبع وعما يمكن أن يعقله الإنسان، فإنه من الظاهر أن حاسة البصر غير حاسة السمع، وأن محسوس هذه غير محسوس تلك، وأن آلة هذه غير آلة تلك، وأنه ليس يمكن أن ينقلب البصر سمعا، كما ليس يمكن أن يعود اللون صوتا، وعلى هذا فتكون الأشياء كلها شيئا واحدا حتى المتضادات، وهذا شيء فيها أحسب يسلمه المتكلمون من أهل ملتنا، أو يلزمهم تسليمه -يعني هؤلاء الأشعرية- وهو رأي سوفسطائي لأقوام قدماء مشهورين بالسفسطة.

وأما الوجه الثاني في استدلالكم: ففي غاية الفساد، ومن أبين ما يظهر به فساد هذا القول أنه لو كان البصر إنما يدرك الأشياء لوجودها لما أمكنه أن يفرق بين الأبيض والأسود؛ لأن الأشياء لا تفترق بالشيء الذي تشترك فيه، ولكان بالجملة لا يمكن في الحواس: لا في البصر أن يدرك فصول الألوان، ولا في السمع أن يدرك فصول الأصوات، ولا في الطعم أن يدرك فصول المطعومات، وللزم أن تكون مدارك المحسوسات بالحس واحدا، فلا يكون فرق بين مدرك السمع وبين مدرك البصر، وهذا كله في غاية الخروج عما يعقله الإنسان، والسبب في مثل هذه الحيرة الواقعة في الشريعة حتى ألجأت القائمين بنصرتها في زعمهم إلى مثل هذه الأقاويل الهجينة التي هي ضحكة عند من عني بتمييز أصناف الأقاويل أدنى عناية، هو التصريح في الشرع بما لم يأذن الله ورسوله به، فإذا متى أخذ الشرع في أوصاف الله تعالى على ظاهره لم تعرض فيه هذه الشبهة ولا غيرها لأنه إذا قيل إنه نور وإن له حجابا من نور كما جاء في القرآن والسنن الثابتة ثم قيل إن المؤمنين يرونه في الدار الآخرة كما ترى الشمس لم

يعرض في هذا شك ولا شبهة في حق الجمهور ولا في حق العلماء وذلك أنه قد تبرهن عند العلماء أن تلك الحال مزيد علم لكن متى صرح به للجمهور بطلت عندهم الشريعة كلها أو كفروا المصرح لهم بها، فمن خرج عن منهاج الشريعة في هذه الأشياء فقد ضل عن سواء السبيل".(١)

سابعًا: الأدلة الشرعية للأشاعرة القائلين: بأن الله تعالى يرى في غير جهة.

استدل الأشاعرة بالأدلة الواردة في القرآن والسنة على صحة رؤية الله تعالى في الآخرة، وإمكان وقوعها. ومع قولهم بصحة ذلك إلا أنهم قد حكموا بأن دلالتها على الرؤية ظنية وليست قطعية.

قال الرازي-رحمه الله-«**ت: ٦٠٦ هـ**»: "المسألة العاشرة: قيل: الدلائل النقلية لا تفيد اليقين؛ لأنها مبنية على نقل اللغات ونقل النحو والتصريف، وعدم الاشتراك، وعدم المجاز، وعدم الإضرار، وعدم النقل، وعدم التقديم والتأخير، وعدم التخصيص، وعدم النسخ، وعدم المعارض العقلي، وعدم هذه الأشياء مظنون لا معلوم، والموقوف على المظنون مظنون، وإذا ثبت هذا ظهر أن الدلائل النقلية ظنية، وأن العقلية قطعية، والظن لا يعارض القطع".(٢)

وقد ذهب جمهورهم ومتأخروهم لذلك إلى عدم إثبات رؤية حقيقة بالأبصار، وإنما يحرفونها ويؤولونها إما مجازا، أو زيادة علم وكشف، ويجعلونها في غير جهة.

ومن الأدلة التي استدلوا بها القرآن الكريم:

١ - قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣].

قال الرازي-رحمه الله-«**ت: ٦٠٦ هـ**»: "والنظر إلى الشيء يوجب رؤيته، فجاز أن يكون المراد من النظر هو الرؤية على سبيل إطلاق اسم السبب على المسبب، وأيضا حكى الله تعالى عن الخليل-عليه السلام-أنه قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:

(١) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد «ص: ١٨٧-١٩٠» وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٦/ ٢٣٠-٢٣٦».

(٢) انظر: معالم أصول الدين للرازي «ص: ٢٥».

الآيات: ٩٩] وليس المراد منه القرب بالجهة، فكذا ههنا".(١).

وقال الغزالي-رحمه الله-«**ت: ٥٠٥ هـ**»: "وإن حصـل له العلوم اليقينية إما على سـبيل الحدس وإما على سبيل الفكر، ونزه أخلاقه وحسنها وعمل بموجب الشرع فله الدرجة العليا في السعادة، وله الوصول بلا انفصال وهو النظر الى الجمال الحق والجلال المحض، والكمال الصـرف، كما قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣]، فحق العاقل أن يسعى لطلب تلك السعادة ويحترز عن مضادها وعوائقها".(٢).

وقال الجرجاني «**ت: ٤٧١ هـ**»: "أمثال هذه الظواهر لا تفيد إلا ظنونا ضـعيفة جدا، وحينئذ لا تصلح هذه الظواهر للتعديل عليها في المسائل العلمية التي يطلب فيها اليقين".(٣).

٢ - قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية: ١٥].

قال الرازي-رحمه الله-«**ت: ٦٠٦ هـ**»: "يجوز أن يكون المراد من الحجاب عدم الرؤية؛ وذلك لأن الحجاب يقتضـي المنع من الرؤية، فكان إطلاق لفظ الحجاب على المنع من الرؤية: مجازة، من باب إطلاق السبب على المسبب".(٤).

وقال الجرجاني «**ت: ٤٧١ هـ**»: "ذكر ذلك تحقيراً لشـأنهم فلزم منه كون المؤمنين مبرئين عنه، فوجب أن لا يكونوا محجوبين عنه، بل رائين له، وهذا المسلك أيضا من الظواهر المفيدة للظن".(٥).

٣ - قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣].

(١) انظر: تأسيس التقديس للرازي «ص: ٢٠٩».

(٢) انظر: معارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي «ص: ١٤٥».

(٣) انظر: شرح المواقف للجرجاني «٨/ ١٥٠».

(٤) انظر: نفس المصدر «ص: ٢١٠».

(٥) انظر: شرح المواقف للجرجاني «٨/ ١٥٠».

قال الغزالي-رحمه الله-«**ت: ٥٠٥ هـ**»: "أي في الدنيا فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وإن كانت متفاوتة في ذلك التلوث فمنها ما تراكم عليها الخبث والصدأ فصارت كالمرآة التي قد فسد بطول تراكم الخبث جوهرها ولا تقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد، ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يستعد بصفائه ونقائه من الكدورات حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة لأن يتجلى فيه الحق-جل جلاله-، فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما عليه كانكشاف تجلي المرئيات بالإضافة إلى ما تخيله، وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية، فإذا الرؤية حق بشرط أن لا تفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان، فإن ذلك مما يتعالى عنه رب العالمين علوا كبيرا، بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تصور وتخيل وتقدير شكل وصورة، فتراه في الآخرة كذلك، بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الانكشاف والوضوح وتنقلب مشاهدة، فلا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح، فإذا لم يكن في المعرفة إثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح إلى غاية الكشف أيضا جهة وصورة؛ لأنها هي بعينها إلا في زيادة الكشف، كما أن الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها إلا في زيادة الكشف، ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا؛ لأن المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والبذور زرعا ومن لا نواة له فكيف يحصل له نخل فكذلك من لا يعرف الله في الدنيا فكيف يراه في الآخرة".(١)

ومن الأدلة التي استدلوا بها من السنة النبوية:

حديث عمار بن ياسر-رضي الله عنهما-«**ت: ٣٧ هـ**»، حين سمع النبي-صلى الله عليه وسلم-يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما**

(١) انظر: معارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي «ص ١٥٧ - ١٥٩» باختصار.

علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»(١)

قال الغزالي-رحمه الله-«**ت: ٥٠٥ هـ**»: "لذة النظر إلى وجه الله الكريم، هذه المعرفة وإن عظمت لذتها، فلا نسبة لها إلى لذة النظر إلى وجه الله الكريم في الدار الآخرة، وذلك لا يتصور في الدنيا لسر. لا يمكن الآن كشفه، ولا ينبغي أن تفهم من النظر ما يفهمه العوام والمتكلمون، فيحتاج في تقديره إلى جهة ومقابلة، فلذلك من نظر من أقعده القصور في بحبوحة عالم الشهادة حتى لم يجاوز المحسوسات التي هي مدركات البهائم، لكن ينبغي أن تفهم أن الحضرة الربوبية تنطبع صورتها وترتيبها العجيب على ما هو عليه من البهاء والعظمة والجلال والمجد في قلب العارف، كما تنطبع مثلا صورة العالم المحسوس في حواسك، فكأنك تنظر إليه وإن غمت عينيك، فإن فتحت العين، وجدت الصورة المبصرة مثل الصورة المتخيلة قبل فتح العين لا تخالفها في شيء، إلا أن الإبصار في غاية الوضوح بالنسبة إلى التخيل، وكذلك ينبغي أن تعلم أن في إدراك ما لا يدخل في الخيال والحس أيضا في درجتين متفاوتين في الوضوح غاية التفاوت، ونسبة الثانية إلى الأولى كنسبة الإبصار إلى التخيل، فتكون الثانية غاية الكشف، فيسمى لذلك مشاهدة ورؤية.

والرؤية لم تسم رؤية لأنها في العين؛ إذ لو خلقت في الجبهة لكانت رؤية، بل لأنها غاية

---

(١) أخرجه النسائي «رقم: ١٣٠٥» وابن حبان «رقم: ١٩٧١» والطبراني في كتاب الدعاء «رقم: ٦٢٤» وابن أبي عاصم في السنة «رقم: ٤٢٥» وابن خزيمة في كتاب التوحيد «١/ ٢٩» والدارمي في الرد على الجهمية «رقم: ١٨٨» وتمام الرازي في فوائده «٢/ ١٤٧ رقم ١٣٨٧» والدارقطني في كتاب رؤية الله «رقم: ١٥٨» والحاكم في المستدرك «رقم: ١٩٢٣» وصححه، ووافقه الذهبي، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد «٣/ ٥٤٠ رقم: ٨٤٥» والبيهقي في الأسماء والصفات «رقم: ٢٢٧».

الكشــــف، فكما أن تغميض الأجفان حجاب عن غاية الكشــــف في المبصـــــر، فكدورة الشــــهوات وشــــواغل هذا القالب المظلم حجاب عن غاية المشـــاهدة؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] وقال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـــارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، فإذا ارتفع هذا الحجاب بعد الموت انقلبت المعرفة بعينها مشـــاهدة، ويكون مشــاهدة كل واحد على قدر معرفته، ولذلك تزيد لذة أولياء الله سـبحانه في النظر على لذة غيرهم، ويتجلى الله تعالى لأبي بكر-رضـي الله عنه-«**ت: ١٣ هـ**» خاصـة، ويتجلى للناس عامة، وكذلك لا يراه إلا العارفون؛ لأن المعرفة بذر النظر، بل هي التي تنقلب مشـــاهدة كما ينقلب التخيل إبصارا، فلذلك لا يقتضي مقابلة ولا جهة".(١)

ثامنًا: الرد على الأشاعرة في تحريفهم للأدلة النقلية.

لقد خالف جمهور الأشــاعرة مخالفة صـريحة ما كان عليه سـلف الأمة وأئمتها من إثبات رؤية الله في الدار الآخرة رؤية حقيقة بالأبصار عيانا، وتناقضوا حينما أثبتوا رؤية في غير جهة، وحقيقة قولهم هو موافقة المعطلة في إنكار الرؤية، والرد عليهم كما يلي:

١ - تفســيرهم لتلك الآيات الكريم، والأحاديث الصــحيحة، إنما هو تحريف للكلم عن مواضــعه، فلم يقل تلك التحريفات لا رســول الله ﷺ ولا أصــحابه-رضــي الله عنهم-ولا التابعون لهم بإحسان، ولا أئمة الإسلام من الأئمة الأربعة ونحوهم.

٢ - أنهم في تحريفهم لأدلة الرؤية عن معانيها الحقيقة الثابتة قد خالفوا إمامهم الإمام أبا الحسـن الأشـعري-رحمه الله-«**ت: ٣٢٤ هـ**» المنتسـبين إليه، وخالفوا كبار أتباعه المتقدمين، وهذا حال جمهور الأشـاعرة الذين ينتسبون للإمام الأشعري، فقد خالفوه في كثير مما تبرأ منه من أقوال الجهمية والمعتزلة، ومنها مسألة الرؤية.

قال أبو الحســن الأشــعري-رحمه الله-«**ت: ٣٢٤ هـ**»: "الباب الأول: الكلام في إثبات رؤية الله ســبحانه بالأبصــار في الآخرة، قال الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِـرَةٌ﴾ [القيامة:

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للغزالي «ص: ٢٥٤-٢٥٥».

الآية: ٢٢]، يعني: «**مشـــرقة**» ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآية: ٢٣]، يعني: رائية؛ لأن النظر إذا ذكر مع ذكر "الوجه" فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه، كما إذا ذكر أهل اللسان نظر القلب فقالوا: "أنظر في هذا الأمر بقلبك"، لم يكن معناه نظر العينين، وكذلك إذا ذكر النظر مع "الوجه" لم يكن معناه نظر الانتظار الذي يكون للقلب، وأيضـــا فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة؛ لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير، وأهل الجنة في "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت" من العيش السليم والنعيم المقيم.

وإذا كان هذا هكذا لم يجز أن يكونوا منتظرين؛ لأنهم كلما خطر ببالهم شـــيء أتوا به مع خطوره ببالهم، وإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز أن يكون الله –عز وجل– أراد نظر التعطف؛ لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم، وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقســـام النظر، وهو: أن معنى قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآية: ٢٣]، أنها رائية ترى ربها –عز وجل–، والرؤية إذا أطلقت إطلاقا ومثلت برؤية العيان لم يكن معناها إلا رؤية العيان، إن المســـلمين اتفقوا على أن الجنة فيها "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشـــر" من العيش الســـليم، والنعيم المقيم، وليس نعيم في الجنة أفضـــل من رؤية الله تعالى بالأبصار.

وأكثر من عبد الله تعالى عبده للنظر إلى وجهه الكريم –أرانا الله إياه بفضله– فإذا لم يكن بعد رؤية الله –عز وجل– أفضـــل من رؤية نبيه ﷺ، وكانت رؤية نبي الله أفضـــل لذات الجنة كانت رؤية الله –عز وجل– أفضـــل من رؤية نبيه ﷺ، وإذا كان ذلك كذلك لم يحرم الله أنبياءه المرســـلين، وملائكته المقربين، وجماعة المؤمنين، والصـــديقين النظر إلى وجهه الكريم؛ وذلك أن الرؤية لا تؤثر في المرئي؛ لأن رؤية الرائي تقوم به، فإذا كان هذا هكذا، وكانت الرؤية غير مؤثرة في المرئي لم توجب تشـــبيها ولا انقلابا عن حقيقة، ولم يســـتحل على الله –عز وجل– أن يري عباده المؤمنين نفسه في جنانه".(١)

---

(١) انظر: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري «ص: ٣٥-٥٥» باختصار وتصرف.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فهذا كله من كلام الأشعري مثل احتجاجه بما ذكره عن المسلمين جميعا من قولهم: إن الله احتجب بسمع سموات على أنه فوق العرش، وهو إنما احتجب عن أن يراه خلقه، لم يحتجب عن أن يراهم هو، فعلم أن هذا يحجب العباد عن رؤيته، وهذا يقتضي أنهم يرونه برفع هذه الحجب، وذلك يقتضي أنهم يرونه في الجهة، فإن من يثبت رؤيته في غير جهة من الرائي لا يقول بجواز الحجب المنفصلة أيضا كما تقدم، وكذلك احتجابه بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: الآية: ٥١]، وأن الآية دلت على أن الله يحجب بعض المخلوقات دون بعض فعلم أنه لا يحتجب عن بعضهم واحتجاجه بذلك على أن الله فوق العرش يقتضي أن يحتجب عمن يراه ببعض مخلوقاته وهذا يستلزم أنه لا يرى إلا في جهة من الرائي وكذلك احتجاجه في مسألة العلم بأن الله نور وأن ذلك يقتضي أنه يرى ويقتضي أن رؤيته توجب علوه وكلام الأشعري في مسألة الرؤية والعلو يقتضي تلازمهما".(١)

٣ – أنهم يقصدون بقولهم: "في غير جهة" نفي علو الله تعالى عن خلقه، وفوقيته على عرشه واستوائه عليه.

قال الرازي–رحمه الله–«**ت: ٦٠٦ هـ**»: "نقول: قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤] آية محكمة دالة على أن قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤] من المتشابهات التي يجب تأويلها، وهذه نكتة لطيفة، ونظير هذا أنه تعالى قال في أول سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [الأنعام: الآية: ٣] ثم قال بعده بقليل: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام: الآية: ١٢] فدلت هذه الآية المتأخرة على أن كل ما في السموات فهو ملك الله، فلو كان الله في السموات لزم كونه ملكا لنفسه وذلك محال، فهكذا هاهنا، فثبت بمجموع هذه الدلائل العقلية والنقلية أنه

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٤/ ٤٦٢».

لا يمكن حمل قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز، وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان: الأول: أن نقطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة، ولا نخوض في تأويل الآية على التفصيل، بل نفوض علمها إلى الله، وهو الذي قررناه في تفسير قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: الآية: ٧] وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه".(١)

وجعل الرازي القول بنفي الجهة المتسلزمة للعلو والفوقية أمرا بدهيا اتفق عليه العقلاء سوى من شذ عنهم، ولم يشذ عن جميع العقلاء إلا فريقان وهم الحنابلة والكرامية.

قال الرازي-رحمه الله-«**ت: ٦٠٦ هـ**»: "إن العلوم البديهية لا يجوز وقوع الاختلاف فيها للجميع العظيم، فلو كان وقوع هذه المقدمة بديهيا لامتنع إطباق الجمع العظيم على إنكاره، ونرى جمهور الأذكيا من العقلاء متفقين على بطلان هذه المقدمة؛ فإن إثبات الجهة لله تعالى لم يقل به إلا الحنبلية والكرامية، وأما كل من سواهم فهم متفقون على أن ذاته-عز وجل-منزه عن الاختصاص بالحيز والجهة، فظهر أن هذه المقدمة ليس بديهية".(٢)

وقد أخطأ الرازي في ذلك القول خطأ عظيما، وجهل ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها من إثبات الرؤية في الآخرة إثباتا حقيقيا بالأبصار عيانا، وقد بين ابن تيمية خطأ الرازي في ذلك وانحرافه عن منهج الأنبياء والمرسلين، وتحريفه لكلام رب العالمين.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "بل خصومه في هذا الباب جميع الأنبياء والمرسلين وجميع الصحابة والتابعين، وجميع أئمة الدين من الأولين والآخرين، وجميع المؤمنين الباقين على الفطرة الصحيحة -دع ما قد تنازع فيه من ذلك- فإنهم لا يطلقون على الله هذا الإطلاق الذي ذكره، وإن كان فيهم وفي سائر الطوائف من نص بالصفات التي يطلق عليها

---

(١) انظر: تفسير الرازي «١٤/ ٢٦٩».

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ١٥٢».

هو وأمثاله أنها أجزاء وأبعاض، لكنهم لا يطلقون الألفاظ الموهمة المجملة إلا إذا نص الشـــرع، فأما ما لم يرد به الشـــرع فلا يطلقونه إلا إذا تبين معناه الصـحيح الموافق للشـرع، ونفي المعنى الباطل وفي لفظ الأجزاء، والأبعاض إجمال وإيهام كما سنذكره إن شاء الله، وما علمت أحدا من الحنابلة من يطلقه من غير بيان، بل كتبهم مصـــرحة بنفي ذلك المعنى الباطل، ومنهم من لا يتكلم في ذلك بنفي ولا إثبات.

فلا ريب أن الكتب الموجودة بأيدي الناس، تشـــهد بأن جميع السـلف من القرون الثلاثة كانوا على خلاف ما ذكره، وأن الأئمة المتبوعين عند الناس والمشايخ المقتدى بهم، كانوا على خلاف ما ذكره، وهذه أئمة المالكية، والشـــافعية، والحنفية، وأهل الحديث، والصـــوفية على ذلك، بل أئمة الصـفاتية من الكلابية والكرامية والأشـعرية على خلاف ما قاله، فهذه كتب ابن كلاب «**كان باقيا قبل الأربعين ومائتين**» إمام طائفته، ثم الحارث المحاسبي «**ت**: **٢٤٣ هـ**» ونحوه، ثم أبي الحسـن الأشـعري «**ت**: **٣٢٤ هـ**»، وأئمة أصـحابه مثل أبي عبد الله بن مجاهد «**ت**: **٣٧٠ هـ**»، وأبي الحسن الطبري «**ت**: **٣٦٠ هـ**»، وأبي العباس القلانسي «**ت**: **٣٢٨ هـ**»، وغيره -كما سيأتي إن شاء الله حكاية قوله وقول غيره- والقاضي أبي بكر بن البـاقلاني «**ت**: **٣٣٨ هـ**»، وأبي علي بن شـــاذان «**٢٤٦ هـ**»، وغيرهم، كلهم يقولون: بإثبات العلو لله على العرش واستوائه عليه دون ما سواه، ويضللون من يفسر ذلك بالاستيلاء والقهر ونحوه - كما قد حكينا بعض أقوالهم في جواب الاستفتاء، وفي جواب هذه المســائل المورَدة عليه وذكرنا أن أبا الحســن الأشـعري ذكر أن هذا قول جميع أهل الســنة والحديث، وبه يقول الرازي وهو قد حكي أيضا في كتبه ذلك عن بعض أئمة أصحابه، وذكر للأشـعري نفسـه قولين -وقد تكلمنا على ذلك- فكيف يزعم أن خصـومه إنما هم الكرامية والحنابلة! بل لم يوافقه إلا فريق قليل من أهل القبلة".(١)

قـال ابن تيميـة-رحمـه الله-«**ت**: **٧٢٨ هـ**»: "أكثر طوائف العقلاء يقولون بالعلو،

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «١/ ٢٣١ - ٢٣٥».

وبامتناع وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه، وأما كلام من نقل مذهب السلف والأئمة فأكثر من أن يمكن ســـطره. . . وعن جرير بن عبد الحميد الرازي-رحمه الله-«**ت: ١٨٧ هـ**» أنه قال: "كلام الجهمية أوله عسل وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إله".

وجميع الطوائف تنكر هـذا، إلا من تلقى ذلـك عن الجهميـة، كـالمعتزلـة ونحوهم من الفلاســفة، فأما العامة من جميع الأمم فلا يســتريب اثنان في أن فطرهم مقرة بأن الله فوق العالم، وأنهم إذا قيل لهم: "لا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا يصعد إليه شـيء، ولا ينزل منه شيء، ولا يقرب إليه شيء، ولا يقرب هو من شيء، ولا يحجب العباد عنه شيء، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا تتوجه القلوب إليه طالبة له في العلو" فإن فطرهم تنكر ذلك، وإذا أنكروا هذا في هذه القضية المعينة التي هي المطلوب، فإنكارهم لذلك في القضـايا المطلقة العامة التي تتناول هذا وغيره أبلغ وأبلغ، وأما خواص الأمم فمن المعلوم أن قول النفاة لم ينقل عن نبي من الأنبياء، بل جميع المنقول عن الأنبياء موافق لقول أهل الإثبات، وكذلك خيار هذه الأمة من الصـحابة والتابعين لهم بإحسـان لم ينقل عنهم إلا ما يوافق قول أهل الإثبات، وأول من ظهر عنه قول النفاة هو الجعد بن درهم «**ت: ١٢٤ هـ**»، والجهم بن صـفوان «**ت: ١٢٨ هـ**»، وكانا في أوائل المائة الثانية فقتلهما المسـلمون، وأما سـائر أئمة المسـلمين، مثل: مالك-رحمه الله-«**ت: ١٧٩ هـ**»، والثوري-رحمـه الله-«**ت: ١٦١ هـ**»، والأوزاعي-رحمـه الله-«**ت: ١٥٧ هـ**»، وأبي حنيفة-رحمه الله-«**ت: ١٥٠ هـ**»، والشـــافعي-رحمه الله-«**ت: ٢٠٤ هـ**»، وأحمد بن حنبل-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»، وغيرهم، فالكتب مملوءة بالنقل عنهم لما يوافق قول أهل الإثبات، وكذلك شـــيوخ أهل الدين، مثل: الفضـــيل بن عياض-رحمه الله-«**ت: ١٨٧ هـ**»، وبشر الحافي «**ت: ٢٢٧ هـ**»، وأحمد بن أبي الحواري «**ت: ٢٣٠ هـ**»، وسـهل بن عبد الله التسـتري «**ت: ٢٨٣ هـ**»، وعمرو بن عثمان المكي «**ت: ٢٩٧ هـ**»، والحارث المحاســبي «**ت: ٢٤٣ هـ**»، ومحمد بن خفيف الشـيرازي «**ت: ٣٧١ هـ**»، وغير

هؤلاء.

وكتب أهل الآثار مملوءة بالنقل عن السلف والأئمة لما يوافق قول أهل الإثبات، ولم ينقل عن أحد منهم حرف واحد صحيح يوافق قول النفاة، فإذا كان سلف الأئمة وأئمتها وأفضل قرونها متفقين على قول أهل الإثبات، فكيف يقال: "ليس هذا إلا قول الكرامية والحنبلية"؟، ومن المعلوم أن ظهور قول أهل الإثبات قبل زمن أحمد بن حنبل كان أعظم من ظهوره في هذا الزمان، فكيف يضاف ذلك إلى أتباعه؟

وأيضا فعبد الله بن سعيد بن كلاب -رحمه الله- «**ت: ٢٤١ هـ**»، والحارث المحاسبي -رحمه الله- «**ت: ٢٤٣ هـ**»، وأبو العباس القلانسي -رحمه الله- «**ت: في العشر الثاني من القرن الرابع هـ**»، وأبو الحسن بن مهدي الطبري -رحمه الله- «**ت: نحو ٣٨٠ هـ**»، وعامة قدماء الأشعرية يقولون: إن الله بذاته فوق العرش، ويردون على النفاة غاية الرد، وكلامهم في ذلك كثير مذكور في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا التنبيه على بطلان ما يعارض به النفاة من الحجج العقلية، وأما النفي فلم يكن يعرف إلا عن الجهمية كالمعتزلة ونحوهم، ومن وافقهم من الفلاسفة، وإلا فالمنقول عن أكثر الفلاسفة هو قول أهل الإثبات، كما نقله ابن رشد الحفيد عنهم، وهو من أعظم الناس انتصارا لهم، وسلوكا لطريقتهم، لا سيما لأرسطو وأتباعه، كما أنه يميل إلى القول بقدم العالم أيضا.

الثاني: من أجوبة قوله: "لو كان بديهيا لامتنع اتفاق الجمع العظيم على إنكاره، وهم ما سوى الحنابلة والكرامية".

هو أن يقال: لم يطبق على ذلك إلا من أخذه بعضهم عن بعض، كما اخذ النصارى دينهم بعضهم عن بعض، وكذلك اليهود والرافضة وغيرهم.

فأما أهل الفطر التي لم تغير فلا ينكرون هذا العلم، وإذا كان كذلك فأهل المذاهب الموروثة لا يمتنع إطباقهم على جحد العلوم البديهية، فإنه ما من طائفة من طوائف الضلال -وإن كثرت- إلا وهي مجتمعة على جحد بعض العلوم الضرورية.

الثالث: أن يقال: ما من طائفة من طوائف الكلام والفلسفة إلا وجمهور الناس يقولون: "إنهم جحدوا العلوم الضرورية". فالقائلون بأن الممكن قد يترجح أحد طرفيه بلا مرجح من القادر أو غيره، يقول جمهور العقلاء: إنهم جحدوا العلوم الضرورية.

والقائلون بأن الأجسام لا تبقى والأعراض لا تبقى، يقول جمهور الناس: إنهم جحدوا العلوم الضرورية.

والقائلون بأن الأصوات المتعاقبة تكون قديمة أزلية الأعيان باقية، وأن الأصوات المسموعة من الآدميين هي قديمة، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلم الضروري.

والقائلون بأن الكلام هو معنى واحد: هو الأمر بكل ما أمر به، والخبر عن كل ما أخبر به، وأنه وإن عبر عنه بالعربية كان هو القرآن، وإن عبر عنه بالعبرية كان هو التوراة، يقول جمهور العقلاء: إنهم جحدوا العلم الضروري.

والقائلون بأن العالم هو العلم والمعلوم، والعاقل هو العقل والمعقول، والعاشق هو العشق والمعشوق، واللذة هي الملتذ، والعلم هو القدرة، والقدرة هي الإرادة، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلوم الضرورية.

والقائلون بأن الوجود الواجب وجود مطلق بشرط الإطلاق أو لا بشرط، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلوم الضرورية.

والقائلون بأن النفس لا تدرك إلا الكليات دون الجزئيات، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلم الضروري.

والقائلون بأن كل موجود يجوز أن تتعلق به الإدراكات الخمسة، وأن الصوت يرى، والطعم يسمع، واللون يشم، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلم الضروري.

والقائلون بأنه يحدث إرادة لا في محل، أو يحدث فناء لا في محل، يقول جمهور العقلاء: أن فساد قولهم معلوم بالضرورة.

والقائلون بأن الإرادة تحدث في الإنسان من غير سبب يوجب حدوثها، مما يقول جمهور العقلاء: إن فساد قولهم معلوم بالضرورة.

والقائلون بأنه حي عليم قدير، من غير حياة ولا علم ولا قدرة، مما يقول جمهور العقلاء: إن فساد قولهم معلوم بالضرورة.

والقائلون بأن النبي–صلى الله عليه وسلم–نص على علي بالخلافة نصا جليا أشاعه بين المسلمين، فكتموه ولم يظهروه، يقول جمهور العقلاء: إن قولهم معلوم الفساد بالضرورة.

والقائلون بأن للأمة إماما معصوما عمره سنتان –أو ثلاث أو أربع– دخل السرداب من أكثر من أربعمائة سنة، أو أن عليا لم يمت، وأمثال ذلك، يقول جمهور الناس: إن قولهم معلوم الفساد بالضرورة.

وكذلك قول القائلين بأن الأعراض لا تبقي زمانين، مما يقول جمهور العقلاء: إن فساده معلوم بالضرورة.

وكذلك من يقول: إن النبي–صلى الله عليه وسلم–كان يسمي المنافقين مؤمنين، ويجعل إيمانهم كإيمان المؤمنين غير المنافقين، وهم مع ذلك مخلدون في النار، مما يعلم جمهور العقلاء المسلمين فساده بالاضطرار من دين الإسلام.

وكذلك القائلون بأن القرآن العزيز زيد فيه زيادات، ونقص منه أشياء، مما يعلم بالضرورة امتناعه في العادة.

وقول النصارى: إن الكلمة اتحدت بالمسيح، وإنها ليس هي الآب الجامع للأقانيم، وهي مع ذلك الرب الذي يخلق ويرزق، وهي جوهر، والجوهر عندهم واحد ليس إلا الآب، مما يقول الناس: إنه معلوم الفساد بالضرورة. ومثل هذا إذا تتبعناه كثير.

فوجود الأقوال التي يقول جمهور الناس: إنها معلومة الفساد بالضرورة في قول طوائف كثيرة من الناس أكثر من أن تستوعب، فكيف يقال: "لا يجوز إطباق الجمع الكثير على إنكار ما علم بالبديهة"؟

الوجه الرابع: أن يقال: هذا معارض بما هو أبلغ منه، فإن الجموع الكثيرة يقولون: إنهم يجدون في أنفسهم عند الضرورة معني يطلب العلو في توجه قلوبهم إلى الله ودعائه، وأنه يمتنع في عقولهم وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه، وأن هذا معلوم لهم بالضرورة، فإن امتنع

اتفاق الجمع العظيم على مخالفة البديهة، فتجب الحجة المثبتة، فيبطل نقيضـــها، وإن لم تمتنع بطلت حجة النفاة، فيثبت بطلانها على التقديرين".(١)

٤ - أن الذي ورد عن سلف الأمة وأئمتها هو إثبات الجهة، وهي جهة العلو والفوقية لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وهو عكس ما ادعوه من نفي الجهة، وعكس ما زعموه من النهي عن إطلاقها أو القول بها.

قال أبو عبد الله القرطبي-رحمه الله-«**ت: ٦٧١ هـ**»: "كان الســلف الأول-رضـــي الله عنهم-لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته. قال مالك-رحمه الله-: الاستواء معلوم -يعني في اللغة- والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة. وكذا قالت أم سلمة-رضـي الله عنها-. وهذا القدر كاف، ومن أراد زيادة عليه فليقف عليه في موضعه من كتب العلماء".(٢)

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية «٦/ ٢٥٠ و٥٦٥-٢٧٢» باختصار وتصرف.

(٢) انظر: تفسير القرطبي «٧/ ٢١٩-٢٢٠» باختصار.

٤٥- وسطية أهل السنة بين الفِرق في باب الصفات

[٤٥]- قال المصنف رحمه الله: «فإنَّ الفِرقة الناجِية أهلُ السُّنَّة والجَمَاعَة، يُؤمنون بما أخبرَ اللهُ به في كتابه من غير تَحريفٍ ولا تَعْطيلٍ، ومن غير تَكْييف ولا تَمثيل، بل هُم الوَسَطُ في فِرَق الأُمَّة، كما أنَّ الأُمَّةَ هي الوَسَطُ في الأُمَم. فهُم وسطٌ في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهلِ التَّعْطِيل الجَهْمِيَّة وأهل التَّمْثِيل المُشبِّهة،

الشرح

دين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه، وإنما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين.

فدين الإسلام وسط بين الأطراف المتجاذبة، فالمسلمون وسط بين أهل الملل.

فهم وسط في التوحيد بين اليهود والنصارى:

فاليهود تصف الرب تعالى بصفات النقص التي يختص بها المخلوق ويشبهون الخالق بالمخلوق، كما قالوا: إنه بخيل، وإنه فقير، وإنه لما خلق السموات والأرض تعب، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولعنوا بما قالوا.

وهو سبحانه الجواد الذي لا يبخل، والغني الذي لا يحتاج إلى غيره، والقادر الذي لا يمسه لغوب.

والنصارى يصفون المخلوق بصفات الخالق التي يختص بها ويشبهون المخلوق بالخالق، حيث قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم، وإن الله ثالث ثلاثة.

وقالوا: المسيح ابن الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون.

فالمسلمون وحدوا الله ووصفوه بصفات الكمال، ونزهوه عن جميع صفات النقص، ونزهوه عن أن يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات، فهو موصوف بصفات الكمال لا بصفات النقص، وليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وكذلك هم وسط في النبوات.

فاليهود تقتل بعض الأنبياء، وتستكبر عن اتباعهم، وتكذبهم وتتهمهم بالكبائر.

والنصارى يجعلون من ليس بنبي ولا رسول نبيا ورسولا، كما يقولون في الحواريين: إنهم رسل، بل يطيعون أحبارهم ورهبانهم كما تطاع الأنبياء.

فالنصارى تصدق بالباطل واليهود تكذب بالحق.

فاليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون.

وأما الشرائع:

فاليهود منعوا الخالق أن يبعث رسولا بغير شريعة الرسول الأول، وقالوا: لا يجوز أن ينسخ ما شرعه.

والنصارى: جوزوا لأحبارهم أن يغيروا من الشرائع ما أرسل الله به رسوله.

فاليهود عجزوا الخالق، ومنعوه ما تقتضيه قدرته في النبوات والشرائع.

والنصارى جوزوا للمخلوق أن يغير ما شرعه الخالق، فضاهوا المخلوق بالخالق.

وكذلك في العبادات:

فاليهود معرضون عن العبادات حتى في يوم السبت الذي أمرهم الله أن يتفرغوا فيه لعبادته، إنما يشتغلون فيه بالشهوات.

والنصارى يعبدونه ببدع ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان.

فاليهود مستكبرون عن عبادته، والنصارى مشركون به.

والمسلمون عبدوا الله وحده بما شرع، ولم يعبدوه بالبدع.

وهذا هو دين الإسلام الذي بعث الله به جميع النبيين، وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره، وهو الحنيفية دين إبراهيم، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر.

وكذلك في أمر الحلال والحرام: في الطعام واللباس وما يدخل في ذلك من النجاسات.

فاليهود حرمت عليهم طيبات ما أحل لهم، فهم يحرمون من الطيبات ما هو منفعة للعباد، ويجتنبون الأمور الطاهرات مع النجاسات، فالمرأة الحائض لا يأكلون معها ولا يجالسونها فهم في آصار وأغلال عذبوا بها.

والنصارى لا تحرم ما حرمه الله ورسوله، ويستحلون الخبائث المحرمة كالميتة والدم ولحم الخنزير، حتى إنهم يتعبدون بالنجاسات كالبول والغائط ولا يغتسلون من جنابة، ولا يتطهرون للصلاة، وكلما كان الراهب عندهم أبعد عن الطهارة، وأكثر ملابسة للنجاسة، كان معظما عندهم". (١)

والشاهد- كما ذكر المصنف- أن الأُمَّة وَسَط في الأُمَم.

فهذه الأمة قد اختارها الله عز وجل؛ قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ باللهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وجعلها أمة وسطًا، قال جل وعلا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [آل عمران: الآية: ١٤٣]، وبالتالي توسطوا فما فعلوا كاليهود ولا فعلوا كالنصارى، لذلك قال الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: الآية: ٦، ٧]؛ فالمغضوب عليهم هم اليهود، والضَّالُّون هم النَّصارى.

قال ابن القيم رحمه الله: «فَذكر الْهِدَايَة وَالنعْمَة وهما الْهدى والفلاح، ثمَّ قَالَ: ﴿غير المغضوب عَلَيْهِم وَلَا الضَّالّين﴾، فَذكر المغضوب عَلَيْهِم وهم أهل الشَّقَاء، والضَّالِّين وهم أهل الضلال، وكل من الطَّائِفَتَيْنِ لَهُ الضلال والشقاء، لَكِن ذكر الوصفين مَعًا لتكن الدّلَالَة على كلٍّ مِنْهُمَا بِصَرِيح لَفظه، وأيضًا فَإِنَّهُ ذكر ماهو أظهر الوصفين فِي كل طَائِفَة، فَإِن الْغَضَب على الْيَهُود أظهر لعنادهم الْحق بعد معرفته، والضلال فِي النَّصَارَى أظهر لغَلَبَة

(١) منهاج السنة النبوية «٥/ ١٦٨-١٧٢».

الجَهْل فيهم". [(١)]

وهذا معلوم لمن تتبع حال اليهود والنصارى وحال الأمة، يجد البون شاسعًا بينها.

فأمة الإسلام هي أمة وسط بين الأمم.

فهم وسط بما يتعلق بالإيمان بالله عز وجل، وبما يتعلق بالأنبياء، وبما يتعلق بالشرائع.

وكما أن الأمة وسط بين الأمم فكذلك أهلُ السُّنَّةِ وَسَطٌ بين الفرق،

أهل السنة في الإسلام متوسطون في جميع الأمور، فإن أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل.

وقد توسط أهل السنة في كثير من مسائل الاعتقاد، منها ما يلي:

١- في أسماء الله وصفاته: فإن مذهب السلف هو إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، فتوسطوا بذلك بين المعطلة الذين نفوها**فأبطلوا ما أثبته الله ورسوله.**

والمشبهة الذين خرجوا بها إلى ضرب من التشبيه والتكييف.

٢- في أفعال الله "القدر": فإن مذهب السلف هو أنهم أثبتوا لله فعلا ومشيئة وأثبتوا للعبد فعلا ومشيئة داخلة تحت مشيئة الله وقدرته، فتوسطوا بذلك بين الجبرية الذين أنكروا قدرة العبد ومشيئته والقدرية الذين أنكروا قدرة الله في أفعال العباد.

٣- في الإيمان: فإن مذهب السلف هو أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد وينقص، فتوسطوا بذلك بين المرجئة الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، والخوارج والمعتزلة الذين أنكروا زيادة الإيمان ونقصانه.

٤- في وعيد الله "أي مرتكب الكبيرة": فإن مذهب السلف هو أن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه، فاسق بمعصيته، وهو مستحق للوعيد ولكنه تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه على قدر ذنبه ثم يخرجه من النار، وإن شاء غفر له وأدخله الجنة.

فهم بذلك توسطوا بين المفرطين من المرجئة الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما

---

(١) «مفتاح دار السعادة» «١/ ٣٨».

لا ينفع مع الكفر طاعة، وبين الوعيدية «الخوارج والمعتزلة» ،فالخوارج يقولون: هو كافر في الدنيا، والمعتزلة يقولون: هو في منزلة بين منزلتين، ويتفقون على أنه في الآخرة خالد مخلد في النار.

٥- في أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: فإن مذهب السلف هو الاعتراف بفضل الصحابة جميعا رضي الله عنهم وأرضاهم، وأنهم أكمل هذه الأمة إيمانا وإسلاما وعلما وحكمة، وأنهم عدول بتعديل الله لهم، ولكنهم لم يغلوا فيهم ولم يعتقدوا عصمتهم، بل قاموا بحقوقهم وأحبوهم لعظيم سابقتهم وحسن بلائهم في نصرة الإسلام وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم بذلك توسطوا بين الرافضة والخوارج.

فالرافضة -قبحهم الله- يسبون الصحابة ويلعنوهم وربما كفروهم أو كفروا بعضهم، والغالية منهم مع سبهم لكثير من الصحابة والخلفاء يغلون في علي رضي الله عنه وأولاده ويعتقدون فيهم الإلهية.

والخوارج قابلوا هؤلاء الروافض فكفروا عليا ومعاوية ومن معهما من الصحابة وقاتلوهم واستحلوا دماءهم وأموالهم.

والمقصود أن أهل الستة هم أعرف الناس بالحق، ولذلك فإن كل طائفة سوى أهل السنة والحديث المتبعين آثار رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، لا ينفردون عن طائفة أهل السنة إلا بقول فاسد، ولا ينفردون بقول صحيح، وكل من كان عن السنة أبعد، كان انفراده بالأقوال والأفعال الباطلة أكثر.

فالسعيد من لزم السنة، والله الموفق وهو الهادي إلى سبيل الرشاد.

وقد بين المصنف هنا أنها وسط في عدة مسائل؛ منها ما يتعلق بصفات الله عز وجل، وما يتعلق بأفعال الله عز وجل «**باب القدر**»، ثم باب الوعد والوعيد وما يتعلق بحكم مرتكب

الكبيرة ثم بعد ذلك جاء إلى باب الإيمان. وسأقوم بعد أن ذكرتها على وجه الإجمال بشرحها على وجه التفصيل

ففي باب الصفات:

قال المصنف: «**فهُمْ وسطٌ في باب صِفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التَّعْطِيل الجَهْمية وأهلِ التَّمْثِيل المُشبِّهة**».

زمن ظهور هذه المقالة

ظهرت مقالة التعطيل التي هي مقالة "الجهمية" في أواخر عصر التابعين من أوائل المائة الثانية. [١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه المسألة: "هذه مسألة كبيرة عظيمة القدر اضطرب فيها خلائق من الأولين والآخرين من أوائل المائة الثانية من الهجرة النبوية، فأما المائة الأولى فلم يكن بين المسلمين اضطراب في هذا. وإنما نشأ ذلك في أوائل المائة الثانية لما ظهر "الجعد بن درهم" وصاحبه "الجهم بن صفوان" ومن تبعهما من المعتزلة وغيرهم على انكار الصفات". [٢]

وقد جاءت هذه المقالة من حيث الترتيب بعد مقالات الخوارج، والشيعة والقدرية والمعتزلة والمرجئة فقد كانت تلك المقالات أسبق في الظهور منها. [٣]

لكن مقالة التعطيل تعد أغلظ تلك البدع، والسبب في ذلكأولا: أن أصحاب هذه المقالة

(١) منهاج السنة «١/ ٣٠٩»، مجموع الفتاوى «١٣/ ١٧٧».

(٢) مجموع الفتاوى «٦/ ٣٣».

(٣) . الناس في ترتيب أهل الأهواء على «أقسام» :

١-منهم من يرتبهم على زمن حدوثهم، فيبدأ بالخوارج.

٢- منهم من يرتبهم على زمن حدوثهم، فيبدأ بالخوارج.

٣-ومنهم من يرتبهم بحسب خفة أمرهم وغلظه فيبدأ بالمرجئة ويختم بالجهمية، كما فعله كثير من أصحاب أحمد رحمه الله، كعبد الله ابنه ونحوه، وكالخلال، وأبي عبد الله بن بطة، وأمثالهما، وكأبي الفرج المقدسي، وكلا الطائفتين تختم بالجهمية؛ لأنهم أغلظ البدع، وكالبخاري في صحيحه فإنه بدأ بـــ «كتاب الإيمان والرد على المرجئة» وختمه بكتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية، ولما صنف الكتاب في الكلام صاروا يقدمون التوحيد والصفات، فيكون الكلام أولا مع الجهمية» انظر مجموع الفتاوى «١٣/ ٤٩-٥٠»

كانوا أول من عارض الوحي بالرأي ومعلوم أن عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيه من يعارض النصوص بالعقليات، فإن الخوارج والشيعة حدثوا في آخر خلافة علي رضي الله عنه، والمرجئة والقدرية حدثوا في أواخر عصر الصحابة، وهؤلاء كانوا ينتحلون النصوص ويستدلون بها على قولهم، ولا يدعون أنهم عندهم عقليات تعارض النصوص. (١)

قال ابن القيم-رحمه الله-: "مضى الرعيل الأول في ضوء ذلك النور [أي نور الوحي]، لم تطفئه عواصف الأهواء، ولم تلتبس به ظلم الآراء، وأوصوا من بعدهم أن لا يفارقوا النور الذي اقتبسوه منهم، وأن لا يخرجوا عن طريقهم، فلما كان في أواخر عصرهم حدثت الشيعة، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، فبعدوا عن النور الذي كان عليه أوائل الأئمة، ومع هذا لم يفارقوه بالكلية، بل كانوا للنصوص معظمين، وبها مستدلين، ولها على العقول والآراء مقدمين، ولم يدع أحد منهم أن عنده عقليات تعارض النصوص، وإنما أتوا من سوء الفهم فيها والاستبداد بما ظهر لهم منها، دون من قبلهم، ورأوا أنهم إن اقتفوا أثرهم كانوا مقلدين لهم.

فصاح بهم من أدركهم من الصحابة وكبار التابعين من كل قطر، ورموهم بالعظائم، وتبرؤا منهم، وحذروا من سبيلهم أشد التحذير وكانوا لا يرون السلام عليهم ولا مجالستهم، وكلامهم فيهم معروف في كتب السنة، وهو أكثر من أن يذكر هاهنا.

فلما كثرت الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا هم أول من عارض الوحي بالرأي". (٢)

ثانيا: أن بدعة هؤلاء كانت في أعظم مسائل الإيمان ألا وهي الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، بل أعظم مسائل الدين وهذا ما لم يسبقهم إليه أحد من أهل المقالات إلا القدرية

---

(١) درء تعارض العقل والنقل «٥/ ٢٤٤».

(٢) الصواعق المرسلة «٣/ ١٠٦٩-١٠٧٠»

روى عبد الله بن الإمام أحمد بسنده عن أبي المعتمر سليمان بن طرخان التيمي [١] قال: "ليس قوم أشد نقضا للإسلام من الجهمية والقدرية، وأما الجهمية فقد بارزوا الله تعالى؛ وأما القدرية فقد قالوا في الله عز وجل". [٢]

ودخل رأس من رؤوس الزنادقة يقال له "شمعلة" على المهدي فقال: دلني على أصحابك. فقال:أصحابي أكثر من ذلك. فقال: دلني عليهم. فقال: صنفان ممن ينتحل القبلة: الجهمية والقدرية.

الجهمي إذا غلا قال ليس ثم شيء وأشار إلى السماء. والقدري إذا غلا قال: هما اثنان، خالق خير وخالق شر فضرب عنقه وصلبه. [٣]

وقال عبد الله بن المبارك: "ليس تعبد الجهمية شيئًا" [٤] وقد مضى عصر الصحابة [٥] وعقيدة الإيمان بأسماء الله وصفاته محفوظة مصونة. إلى أن ابتدع الجعد مقالته في أواخر عصر التابعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام – أعني أن الله ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى استولى ونحو ذلك هو الجعد بن درهم". [٦]

(١) شيخ الاسلام أبو المعتمر سليمان بن طرخان القيسي البصري مولاهم، لم يكن تيميا بل نزل فيهم، ثقة عابد، مات سنة ١٤٣هـ «التقريب ١/٣٢٦»

(٢) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد «١/ ١٠٤-١٠٥» رقم «٨».

(٣) كتاب خلق أفعال العباد «ص: ١١»، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد «١/ ٤٨».

(٤) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد «١/ ١٠٩» رقم «١٧».

(٥) كان آخر الصحابة موتا الطفيل عامر بن واثلة الليثي–رضي الله عنه–، وصحح الذهبي أنه مات سنة عشر ومائة. انظر تدريب الراوي «٢/ ٢٢٨،٢٢٩».

(٦) الفتوى الحموية «ص: ٤٧».

فأهل التَّعْطِيل على قسمين:

القسم الأول: الفلاسفة:

فالفلاسفة سلكوا مسلكًا في التعطيل يقوم على أساس التخييل؛ فنفوا اتصاف الله بهذه الصفات جملة وتفصيلًا، وقال مَن قال من الفلاسفة: إن هذا مجرد وهم وتخييل، وأن هذا خطاب للعوام، وأما الخواص فهم في غنى عنها وهم في الأصل يقولون: إن النبوة اكتساب.

القسم الثاني: أهل الكلام، الذين لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات التي لا وجود لها إلا في أفهامهم الفاسدة.

فعقيدة هؤلاء المعطلة جمعت بين التمثيل والتعطيل، وهذا الشر إنَّما جاء من تنجس قلوبهم وتدنسها بأقذار التشبيه، فإذا سمعوا صفة من صفات الكمال التي أثنى الله بها على نفسه؛ كاستوائه على عرشه ومجيئه يوم القيامة وغير ذلك من صفات الجلال والكمال.

فإن أول ما يخطر في أذهانهم أن هذه الصفة تشبه صفات الخلق؛ فيتلطخ القلب بأقذار التشبيه؛ فلم يقدر الله حقَّ قدره، ولم يُعَظِّم الله حقَّ عظمته؛ حيث سبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فيكون أولاً نجَّس القلب بأقذار التشبيه، ثم دعاه ذلك إلى أن ينفي صفة الخالق جلَّ وعلا عنه بادِّعاء أنها تشبه صفات المخلوق، فيكون فيها أولاً مشبهًا، وثانيًا معطلاً ضالًّا ابتداءً وانتهاءً متهجمًا على ربِّ العالمين يَنفي صفاته عنه بادعاء أن تلك الصفة لا تليق[(١)].

وأمَّا عقيدة أهل التمثيل: فهي تقوم على دعواهم أن الله عز وجل لا يخاطبنا إلا بما نَعقل، فإذا أخبرنا عن اليد فنحن لا نعقل إلا هذه اليد الجارحة؛ فشَبَّهوا صفات الخالق بصفات المخلوقين، فقالوا: له يد كيدي، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

لذلك يقول ابن القيم رحمه الله: «**ومِن الإلحاد في أسمائه: تشبيه صفاته بصفات خلقه-**

---

(١) انظر: «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات» «ص ١٩، ٢٠».

تعالى الله عما يقول المشبِّهون علوًّا كبيرًا- فهذا الإلحاد في مقابل إلحاد المعطلة؛ فإن أولئك نفوا صفات كماله وجحدوها، وهؤلاء شَبَّهوها بصفات خلقه، فَجَمَعَهُم الإلحادُ وتفرَّقت بهم طُرُقُه، وبرَّأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله، فلم يَصفوه إلا بما وصف به نفسه، لم يجحدوا صفاته، ولم يُشبهوها بصفات خلقه، ولم يَعدلوا بها عما أُنزِلَت عليه لفظًا ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات؛ فكان إثباتهم بريًّا من التَّشبيه، وتنزيههم خليًّا من التعطيل، لا كمن شَبَّه حتى كأنه يَعبد صنمًا، أو عَطَّل حتى كأنه لا يعبد إلا عدمًا، وأهل السنة وسطٌ في النِّحَلِ، كما أنَّ أهل الإسلام وسطٌ في المِلَل»[(١)].

وقال أيضًا رحمه الله: «هدى الله أصحاب سواء السبيل للطريقة المُثلى فلم يتلوثوا بشيء من أوضار هذه الفرق وأدناسها، وأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات، ونفوا عنه مماثلة المخلوقات؛ فكان مذهبهم مذهبًا بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين، خرج من بين مذاهب المعطلين والمخيلين والمجهلين والمشبهين، كما خرج اللبن من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشَّاربين، وقالوا: نصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات ونفي مشابهة المخلوقات؛ فلا نُعطل ولا نؤول، ولا نُمَثِّل ولا نجهل، ولا نقول: ليس لله يدان ولا وجه ولا سمع ولا بصر ولا حياة ولا قدرة ولا استوى على عرشه، ولا نقول: له يدان كأيدي المخلوق ووجه كوجوههم وسمع وبصر وحياة وقدرة واستوى كأسماعهم وأبصارهم وقدرتهم واستوائهم، بل نقول: له ذات حقيقة ليست كالذوات، وله صفات حقيقة لا مجازًا ليست كصفات المخلوقين»[(٢)].

---

(١) «بدائع الفوائد» «١/ ١٧٠».

(٢) «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة»، لابن القيم «٢/ ٤٢٥، ٤٢٦»، دار العاصمة- الرياض، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

فأهلُ السُّنَّة والجَمَاعَة قد جعلوا هذا الباب قائمًا على أُسُس ثلاثة:

الأول: إثبات بلا تَمْثيل.

الثاني: تَنْزيه بلا تَعْطيل.

الثالث: قَطْعُ الطَّمَع عن إدراك كيفية اتصاف الله عز وجل بها؛ لأنَّ اللهَ أخبَرنا عن صفاته ولم يُخبِرنا عن كيفية صِفاته.

فيُؤمن أهلُ السُّنَّة والجَمَاعَة بما وصَف اللهُ به نفسَه، وما وصَفهُ به رسولُ الله ﷺ من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل.

فإن قيل: ما الأصل عند أهل السنة في هذا الباب؟

نقول: الأصل فيه عندهم أنهم يؤمنون بكل ما ورد في كتاب الله وفي سنة النبي ﷺ من أسمائه تعالى وصفاته مِن غير تَحريفٍ ولا تَعْطيلٍ، ومن غير تَكْييف ولا تَمثيل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**وطريقة سلف الأمة وأئمتها: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فهذا ردٌّ على الممثلة. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ردٌّ على المُعَطِّلَة**»[(١)].

فعمدتهم فيه إثباتًا ونفيًا: الكتاب والسنة.

فهم أبعد الناس عن التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل. فكل هذا أهل السنة منه بَرَاء ولو حاول مَن حاول أن يُنَفِّر عنهم بادعاءات باطلة؛ كقولهم: إنهم مجسمة، أو حشوية، أو مُشبهة.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «**لا يُوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والسنة**»[(٢)].

(١) «منهاج السنة النبوية» «٨/ ٥٢٣».

(٢) «الفتوى الحموية» «ص٦١»، دار فجر التراث.

فأهل السنة لم يتجاوزوا القرآن والسنة، وما جاءوا بشيء من كِيسهم، وإنما هي نصوص وردت في القرآن والسنة، كما قال وهب للجعد بن درهم: «**ويلك يا جعد، أقصر المسألة؛ إني لأظنك من الهالكين، لو لم يُخبرنا الله في كتابِهِ أنَّ له يدًا ما قلنا ذلك، وأنَّ له عينًا ما قلنا ذلك**»[١].

فسلك أهل السنة في هذا الباب منهج القرآن والسنة الصحيحة؛ فكل اسم أو صفة لله سبحانه وردت في الكتاب والسنة الصحيحة فهي من قبيل الإثبات؛ فيجب بذلك إثباتها.

وأمَّا النفي فهو أن يُنفى عن الله عز وجل كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص، مع وجوب اعتقاد ثبوت كمال ضِدِّ ذلك المنفي.

قال ابن القيم: «**فله مِن كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه معنى وأبعده عن شائبة عيب أو نقص. فله مِن صفة الإدراكات: العليم الخبير، دون العاقل الفقيه. والسميع البصير، دون السامع والباصر والناظر...**»[٢].

ومجمل القول أن أهل السنة يعتقدون: أن باب الصفات كباب الأسماء يجب الاعتماد فيهما على ما جاء في الكتاب وما ثبت في السنة فقط.

وأن ما اتصف الله به من الصفات لا يُماثله فيها أحد من خلقه؛ فالله عز وجل قد أخبرنا بذلك بنص كتابه العزيز حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فإذا ورد النص بصفة من صفات الله تعالى في الكتاب أو السنة فيجب الإيمان بها، والاعتقاد الجازم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو مما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فالشر كل الشر في عدم تعظيم الله، وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فعلى القلب المؤمن المصدق بصفات الله التي تَمَدَّح بها أو أَثنى عليه بها نبيُّه ﷺ: أن يكون مُعَظِّمًا لله جل وعلا غير متنجس بأقذار التشبيه؛ لتكون أرض قلبه

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير «١٣/ ١٤٩»، وانظر: «مقالة التعطيل والجعد بن درهم» «ص١٧٠» للشارح.

(٢) «بدائع الفوائد» «١/ ١٦٨».

طيبة طاهرة قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنزيه؛ أخذًا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

(١) انظر: «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات» «ص ٢١، ٢٢».

٤٦- وسطية أهل السُّنة بين الفِرق في أفعال الله

[٤٦]- قال المصنف رحمه الله: «**وهم وسطٌ في باب أفعال الله بين الجَبْرِيَّة والقَدَرِيَّة وغيرِهم**»

الشرح

قد ضَلَّ في هذا الباب «**باب أفعال الله**» الجبريةُ والقدريةُ، وما زال إلى يوم الناس هذا مَن يَخبط فيه بين قائل بأن العبد مجبر على أفعاله، وبين قائل بأن العبد لا فِعل له ولا اختيار، وإنما هو كالريشة في مَهَبِّ الرِّيح، وأهل السنة والجماعة وسطٌ بين هذا وذاك.

زمن ظهور مقالة القدرية

حدثت بعد ذلك بدعة "القدرية" في آخر عصر الصحابة [(١)] وكان القدر قد حدث أهله قبل أهل النفي للصفات، فمقالة القدر ظهرت في خلافة عبد الله الزبير «**٦٤-٧٣ هـ**» بعد موت معاوية. [(٢)]

ولهذا تكلم فيهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع. رضي الله عنهم. [(٣)]

وابن عباس مات «**٦٨ هـ**» قبل ابن الزبير وابن عمر مات عقب موته «**٧٤ هـ**» . وعقب ذلك تولى الحجاج العراق سنة بضع وسبعين، فبقي الناس يخوضون في القدر بالحجاز، والشام، والعراق، وأكثره كان بالشام والعراق بالبصرة، وأقله كان بالحجاز. [(٤)]

وأول من عرف بنفي القدر، رجل مجوسي يقال سيسويه من الأساورة، وإن كان قد اشتهر

(١) منهاج السنة «١/ ٣٠٨».

(٢) الحسنة والسيئة لابن تيمية «ص: ١٠٣».

(٣) الحسنة والسيئة لابن تيمية «١/ ١٠٣».

(٤) الحسنة والسيئة لابن تيمية «ص:١٠٣».

أن أول من قال به معبد الجهني.[(١)]

قال الهروي: "فأما القدر فأول من تكلم به معبد الجهني رجل من أهل البصرة، كان عنده حظ من العلم يقال له معبد بن خالد، ويقال معبد ابن عبد الله بن عويم، مات بعد الهزيمة وكان يومئذ مع ابن الأشعث، وأصابته جراحة، وهو أول من تكلم بالقدر، وهو الذي تبرأ منه عبد الله بن عمر بن الخطاب". [(٢)] مات قبل التسعين [(٣)] قتله الحجاج بن يوسف وقيل صلبه عبد الملك بن مروان سنة ثمانين.[(٤)]

وأخذ غيلان الدمشقي عن معبد الجهني [(٥)]

قال الهروي: "فتكلم عليه عمرو بن عبيد، وجادل به غيلان بن مسلم الدمشقي وغيلان هو ابن أبي غيلان أبو مروان من موالي عثمان، وكان عنده حظ من العلم، تكلم به أيام عبد الملك بن مروان، واستتابه عمر بن عبد العزيز، ثم ظهر منه تكذيب التوبة [(٦)] زمن يزيد بن عبد الملك ثم لما ولى هشام بن عبد الملك سنة «**١٠٦هـ**» أرسل إلى غيلان وأحضر له الأوزاعي لمناظرته، ثم قتله [(٧)] فصلب على باب الشام بأخزى حالة لقيها بشر. [(٨)]

"وأما عمرو بن عبيد فهو عمرو بن كيسان أبو عثمان مولى بني تميم البصري، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة في طريق مكة فإنه أول من بسط أساسه فأصبح رأسه، ونظم له كلاما ونصبه إمامًا، ودعا إليه ودل عليه، فصار مذهبًا يسلك، وهو إمام الكلام وداعية الزندقة الأولى

---

(١) تهذيب التهذيب «١٠/ ٢٢٥».
(٢) ذم الكلام «ص: ٣٠٣».
(٣) سير أعلام النبلاء «٤/ ١٨٧».
(٤) تهذيب التهذيب «١٠/ ٢٢٥»، سير أعلام النبلاء «٤/ ١٨٧».
(٥) سير أعلام النبلاء «٤/ ١٨٧».
(٦) ذم الكلام «ص: ٣٠٣».
(٧) الشريعة للآجري «ص: ٢٢٨»، التنبيه والرد للملطي «ص: ١٦٨».
(٨) ذم الكلام «ص: ٣٠٣».

رأس المعتزلة، سموا به لاعتزاله حلقة الحسن البصري، وهو الذي لعنه إمام أهل الأثر مالك بن أنس الأصبحي، وإمام أهل الرأي النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة، وحذر منه إمام أهل الشرق عبد الله بن المبارك الحنظلي، فسلط الله عليه وعلى من استتبع واخترع، سيفًا من سيوف الإسلام وهو أبوبكر أيوب بن أبي تميمة السختياني، فهتك استاره، وأظهر عواره، ورسمه باللعنة وألحق به بلاء تلك الفتنة". (١)

ونفاة القدر أرادوا منازعة الله في الربوبية فضاهوا بذلك المجوسية الأولى وهم الزنادقة. (٢)

وأصل بدعة القدرية كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله والإيمان بأمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أن ذلك ممتنع؛ وكانوا قد آمنوا بدين الله وآمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أنه إذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي، لأنهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه، وظنوا أيضا أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يفسد.

فلما بلغ قولهم بإنكار القدر الصحابة أنكروه إنكارا عظيما وتبرؤا منهم. ثم كثر الخوض في القدر فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم، وصار النزاع في الإرادة وخلق أفعال العباد فصاروا في ذلك حزبين.

١- "النفاة": يقولون لا إرادة إلا بمعنى المشيئة، وهو لم يرد إلا ما أمر به، ولم يخلق شيئا من أفعال العباد.

٢- "المجبرة" كالجهم بن صفوان وأمثاله، قابلوا الفريق الأول فقالوا ليست الإرادة إلا بمعنى المشيئة، والأمر والنهي لا يستلزم إرادة، وقالوا العبد لا فعل له البتة ولا قدرة، بل الله هو الفاعل القادر فقط. (٣)

---

(١) ذم الكلام «ص: ٣٠٣».

(٢) ذم الكلام «ص: ٣٠٥».

(٣) مجموع الفتاوى «١٣/ ٣٦-٣٧».

قول أهل السنة في القدر

وقد أوضَح شيخُ الإسلامِ-رحمه الله-قول أهل السنة في «**مجموع الفَتاوى**» فقال: «**وهم في باب خَلقِ الله وأمرِه وسطٌ بين المُكذِّبين بقُدرة الله الذين لا يُؤمنون بقُدرتِه الكاملة ومَشِيئته الشاملة وخَلقِه لكل شيء، وبين المُفسدين لدِين الله الذين يَجعلون العبدَ ليس له مَشِيئةٌ ولا قُدرة ولا عمل، فيُعطِّلون الأمر والنهي والثوابَ والعقاب، فيَصِيرون بمَنزلة المُشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام : الآية: ١٤٨]، فيُؤمن أهل السُّنَّة بأنَّ الله على كل شيء قدير، فيَقدر أن يهدي العبادَ ويُقلِّب قلوبهم، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في مُلكِه ما لا يُريد، ولا يَعجَز عن إنفاذ مُرادِه، وأنه خالِق كلِّ شيء من الأعيان والصِّفات والحرَكات.**

ويُؤمنون أن العبدَ له قُدرة ومشيئة وعملٌ، وأنه مُختار ولا يُسمُّونه مَجْبورًا؛ إذ المَجْبور مَن أُكْرِه على خلاف اختِياره، والله سبحانه وتعالى جعَل العبدَ مُختارًا لِمَا يفعله، فهو مختارٌ مُريد، والله خالِقُه وخالِقُ اختياره، وهذا ليس له نَظِيرٌ؛ فإن الله ليس كمثله شيءٌ، لا في ذاتِه ولا في صفاته ولا في أفعاله»[1].

وقال العلَّامة السِّعْدي-رحمه الله-: «**وهم وسطٌ في باب أفعال الله بين الجبريَّة والقَدَرية؛ فإن الجبرية يَزعمون أن العبد مَجْبُور على أفعاله لا قُدْرة له عليها، وأن أفعاله بمَنزِلة حرَكات الأشجار، وكل هذا غُلوٌّ منهم في إثبات القدَر.**

والقدريَّةُ قابَلوهم فنَفَوْا مُتعلق قدرة الله بأفعال العباد تنزيهًا لله- بزَعْمهم.

فأفعالُ العباد عندهم لا تَدخُل تحت مشيئة الله وإرادته، وكلٌّ مِن هاتين الطائِفتين ردَّتْ طائفةً كبيرة من نصوص الكتاب والسُّنة.

---

(١) «مجموع الفَتاوى» «٣/٣٧٣، ٣٧٤».

وهدَى الله أهلَ السُّنَّة والجَمَاعَة للتوسُّط بين الطائفتين المُنحرفتينِ، فآمَنوا بقضاء الله وقدَره وشُمولهما للأعيان والأوصاف والأفعال التي مِن جُملتِها أفعالُ المُكلَّفين وغيرِهم، وآمَنوا بأنه ما شاء اللهُ كان وما لم يشأ لم يكُن، وآمنوا مع ذلك بأن الله تعالى جعَل للعِباد قُدرة وإرادة تقَعُ بها أقوالُهم وأفعالهم على حسب اختِيارهم وإرادتهم، فآمَنوا بكلِّ نصٍّ فيه تعميمُ قدرة ومشيئة، وبكلِّ نصٍّ فيه إثباتُ أنَّ العباد يعملون ويفعلون كلَّ الأفعال الكبيرة والصغيرة بإرادتهم وقُدْرَتِهم، وعَلِموا أن الأمرينِ لا يَتنافيانِ". [(١)]

ولمزيد تفصيل في هذه المسألة نقول:

أولًا: فيما يتعلق بخلق أفعال العباد:

مســـألة خلق أفعال العباد من أهم وأخطر مســـائل القدر، ولقد زلت فيها أقدام، وحارت عقول وأفهام؛ فقد اختلف الناس هل الأفعال والأعمال الصـــادرة عن العباد مخلوقة لله عز وجل مقدورة له، أم لا؟ وافترقوا في ذلك إلى طرفين وواسطة:

الطرف الأول "الجبرية":

سموا بذلك نسبة إلى الجبر لقولهم به في باب القدر.

والجبر هو: إسناد فعل العبد إلى الله. [(٢)] وعرفه الشهرستاني بأنه: نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى. [(٣)]

والجبرية صفنان:

- جبرية متوسطة.

---

(١) «التنبيهات اللطيفة» «ص٦١، ٦٢».

(٢) التعريفات للجرجاني «ص: ٧٤».

(٣) الملل والنحل «١/ ٨٥».

– وجبرية خالصة.

فأما الجبرية الخالصة: فلا تثبت للعبد قدرة على الفعل أصلًا [١]، وهؤلاء هم الجهمية أتباع جهم بن صفوان الذي كان يقول: "إنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده، وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز كما يقال: تحركت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس، وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله – سبحانه". [٢]

ويرى جهم: "أن الإنسان لا يقدر على شيء. ولا يوصف بالاستطاعة؛ وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له، ولا إرادة، ولا اختيار؛ وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات" [٣]، وعنده أن الفاعل حقًا هو الله، ومن سواه ليس بفاعل على الحقيقة. [٤]

فهذا قول الجبرية الخالصة، وهو صريح في نفي قدرة العبد على فعله وأن الفاعل هو الله وحده.

وأما الجبرية المتوسطة: فهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة. [٥] وبعد الجرجاني، والإيجي: الأشعرية من هذا الصنف في قولهما: "الجبرية اثنتان: متوسطة تثبت لعبد كسبًا

(١) الملل والنحل «١/ ٨٥».
(٢) مقالات الإسلاميين «١/ ٣٣٨».
(٣) الملل والنحل «١/ ٨٧».
(٤) شفاء العليل لابن القيم «ص: ٥١».
(٥) الملل والنحل «١/ ٨٥».

كالأشعرية، وخالصة لا تثبته كالجهمية". [١]

وإذا رجعنا لمصادر الأشاعرة لتبين حقيقة قولهم في أفعال العباد، نجد أنهم يقولون:

١- إن أفعال العبد مخلوقة لله عز وجل.

٢- إنها مع كونها خلق الله فهي كسب للعبد. وله عليها قدرة غير مؤثرة.

يقول البغدادي: "واختلفوا في أكساب العباد وأعمال الحيوانات على ثلاثة مذاهب:"

أحدها: قول أهل السنة إن الله عز وجل خالقها، كما أنه خالق الأجسام والألوان والطعوم والروايح، لا خالق غيره؛ وإنما العباد مكتسبون لأعمالهم". [٢]

ويشرح الجويني معنى كون العبد مكتسبًا لفعله فيقول: "العبد غير مجبر على أفعاله؛ بل هو قادر عليها مكتسب لها، والدليل على إثبات القدرة للعبد أن العاقل يفرق بين أن ترتعد يده، وبين أن يحركها قصدًا."

ومعنى كونه مكتسبًا أنه قادر على فعله، وإن لم تكن قدرته مؤثرة في إيقاع المقدور". [٣]

والبيجوري يقول في تعريف الكسب: وقد عرفوا الكسب بتعريفين:

الأول: أنه ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به.

الثاني: أنه ما يقع به المقدور في محل قدرته. [٤]

---

(١) التعريفات «ص: ٧٤»، والمواقف «ص: ٤٢٨».

(٢) أصول الدين «ص: ١٣٤».

(٣) لمع الأدلة «ص: ١٠٧».

(٤) تحفة المريد «ص: ١٠٤».

وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أنهم فسروا الكسب بأنه ما يحصل في محل القدرة المحدثة مقرونًا بها، ثم عقب على ذلك بقوله: "وأكثر الناس طعنوا في هذا الكلام".(١)

وعلى ضوء تفسير الأشاعرة للكسب، وأنه قدرة غير مؤثرة في وقوع الفعل ولكنها مصاحبة له، تبرز الصلة بين قولهم وقول الجبرية:

فالجبرية –الجهم وأصحابه– عندهم أنه ليس للعبد قدرة البتة.

والأشاعرة يقولون: ليس للعبد قدرة مؤثرة.

والقدرة غير المؤثرة كعدمها.

ومن هنا قال بعض أهل العلم: إن الأشاعرة وافقوا جهمًا وأصحابه في المعنى.

وذلك كقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن الأشعرية وبضع المثبتين للقدر وافقوا الجهم بن صفوان في أصل قوله في الجبر، وإن نازعوه في بعض ذلك نزاعًا لفظيًا أتوا بما لا يقعل. وبالغوا في مخالفة المعتزلة في مسائل القدر حتى نسبوا إلى الجبر".(٢)

الطرف الثاني "القدرية":

ذكرنا فيما سبق أن القدرية الغلاة الأوائل انقرضوا، وأن المعتزلة(٣) تبنت القول بنفي القدر، وجعلته أحد أصول مذهبها؛ فعرفوا لأجل ذلك بالقدرية.

وهو اسم أطلقه عليهم أهل السنة وغيرهم، وهم يتمنعون منه، ولا يقرون به، يقول القاضي عبد الجبار في ذلك: "اعلم أن القدرية عندنا إنما هم المجبرة والمشبهة، وعندهم

(١) منهاج السنة «١/ ٤٥٩».

(٢) منهاج السنة «١/ ٤٦٣- ٤٦٤».

(٣) شرح الأصول الخمسة «ص: ٧٧٢».

المعتزلة؛ فنحن نرميهم بهذا اللقب ويرموننا به". (١)

وعلى أي حال فقد أصبح علمًا عليهم، كطرف مقابل للجبرية.

وكان قولهم في أفعال العباد أنها غير مخلوقة لله عز وجل، وأنهم هم المحدثون لها من دونه.

يقول القاضي عبد الجبار –وهو من أئمة القدرية: "اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم، وقيامهم وقعودهم، حادثة من جهتهم، وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها، ولا محدث سواهم، وأن من قال: إن الله سبحانه خالقها ومحدثها؛ فقد عظم خطؤه". (٢)

وعقد في كتاب "شرح الأصول الخمسة" فصلًا في "أفعال العباد" أشار فيه إلى أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم وأنهم المحدثون لها. (٣)

وقال ابن المرتضى: "وأجمعوا؛ –أي: المعتزلة– أن فعل العبد غير مخلوق فيه". (٤)

فهذه النصوص من كتب المعتزلة كافية في تصوير مذهبهم، وإثبات قولهم في نفي خلق الله أفعال العباد.

الواسطة بين الطرفين "وهم أهل السنة":

وقولهم في أفعال العباد هو:

---

(١) شرح الأصول الخمسة «ص: ٧٧٢».

(٢) المغني في أبوال العدل والتوحيد «٨/ ٣».

(٣) شرح الأصول الخمسة «ص: ٣٢٣».

(٤) المنية والأمل «ص: ٦».

- أنها مخلوقة لله عز وجل على الحقيقة.

- وهي فعل للعباد على الحقيقة.

- وأنهم قادرون على أفعالهم بقدرة حقيقة مؤثرة في وقع الفعل منهم، والله هو الذي أقدرهم على ذلك.

هذا مجمل قول أهل السنة في هذه المسألة، الذي عليه سلف الأمة وأئمته، كما يتضح ذلك من خلال النقول التالية عنهم:

يقول الإمام الصابوني: "ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد إنها مخلوقة لله تعالى، لا يمترون فيه، ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه". (١)

وعقد الإمام اللالكائي بابًا في سياق ما نقل من إجماع الصحابة والتابعين والخالقين لهم من علماء الأمة "أن أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل وطاعاتها ومعاصيها". (٢)

وقال محرر مذهب أهل السنة وضابط أصوله وقواعده بحق، شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عليه وعلى سائر أمة سلفنا الصالحين:

"وأما جمهور أهل السنة المتبعون للسلف والأئمة فيقولون: إن فعل العبد فعل له حقيقة؛ ولكنه مخلوق لله ومفعول لله، لا يقولون هو نفس فعل الله، ويفرقون بين الخلق والمخلوق والفعل والمفعول". (٣)

وقال في موضع آخر: "وأما سائر أهل السنة فيقولون: إن أفعال العباد فعل لهم حقيقة.

---

(١) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث «ص: ٧٥» .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٣/ ٥٣٤».

(٣) منهاج السنة «٢/ ٢٩٨».

ويقول جمهورهم الذين يفرقون بين الخلق والمخلوق: أنها مخلوقة لله ومفعولة له، ليست هي نفس فعله وخلقه الذي هو صفته القائمة به"(١).

فيرون أن الفعل غير المفعول؛ فحركاتهم واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة، وهي مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة، والذي قام بالرب عز وجل علمه وقدرته ومشيئته وتكوينه، والذي قام بهم هو: فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم، فهم المسلمون المصلون القائمون القاعدون حقيقة، وهو سبحانه المقدر لهم على ذلك، القادر عليه الذي شاءه منهم وخلقه لهم(٢).

ويقول شارح "الطحاوية" بعد أن ذكر قول الجبرية والقدرية في ذلك: "وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه"(٣).

وبعد: فمن خلال هذا العرض لأقوال الجبرية، والقدرية، وأهل السنة، نرى أن أهل السنة جمعوا ما في قول الطائفتين من حق فقالوا به، ولم يوافقوا أيًا منهما فيما عنده من خطأ.

فالجبرية:

محقون في قولهم: إن الله خالق أفعال العباد، ومخطئون في قولهم: إن العبد ليس بفاعل لأفعاله في الحقيقة؛ وإنما الفاعل هو الله.

والقدرية:

---

(١) منهاج السنة «١/ ٤٥٩- ٤٦٠».

(٢) شفاء العليل «ص: ٥٢».

(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز «ص: ٤٩٣».

محقون في: إثباتهم قدرة العبد على أفعاله، وفعله لها ومسئوليته عنها.

ومخطئون في قولهم: إن العبد خالق أفعاله، وأن الله ليس بخالق لأفعال العبيد، فأثبتوا خالقين مع الله.

وأهل السنة:

قالوا بما مع الطائفتين من حق فقالوا: الله خالق أفعال العابد على الحقيقة؛ لأن العباد خلق له، وأفعال المخلوقين مخلوقة، لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: الآية: ٩٦]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يصنع كل صانع وصنعته"(١)، وقالوا: العبد فاعل لفعله حقيقة، وقادر عليه بإقدار الله له عليه، والله أثبت للعبيد فعلًا فقال: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية: ١٩٧]، وقال: ﴿فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: الآية: ٣٦] ونحو ذلك، وردوا ما مع الطائفتين من باطل.

فلم ينفوا فعل العبد أصلًا كما قالت الجبرية.

ولم يجعلوا العباد خالقين لأفعالهم من دون الله عز ودل، كما قالت القدرية.

فهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، وعملوا بجميع النصوص الواردة في الباب، ولم يضربوا بعضها ببعض؛ فإن الجبرية عملوا بالنصوص الدالة على أن الله خالق كل شيء، وأن كل شيء بقدر الله وقضائه ومشيئته، وأغفلوا ما دل منها على أن للعبد فعلًا وقدرة وإرادة.

والقدرية أخذوا بالنصوص الدالة على أن العبد هو الفاعل لفعله على الحقيقة، وأن له قدرة وغرادة، ومشيئته، واختيارًا، وأهملوا ما دل منها على خلق الله لأفعال عبيده وعموم قدرته عليها، ومشيئته لها.

والحق هو إعمال جميع النصوص كل فيما دل عليه، وهو ما هدى الله له أهل السنة؛

---

(١) أخرجه البيهقي في «القضاء والقدر» «ص: ١٧١» واللفظ له، والحاكم «٨٥» والبزار«٢٨٣٧» بنحوه.

فليس في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تضارب أو تناقض، والجمع بين ما في ظاهره شيء من ذلك ممكن عند أهل الحق والعلم.

فكل دليل صحيح يقيمه الجبري؛ فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنه شياء كان وما لم يشأ لم يكن.

ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة، ولا مريد، ولا مختار، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش، وهبوب الرياح وحركات الأشجار.

وكل دليل صحيح يقيمه القدري؛ فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه مريد له مختار له حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته.

فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى؛ فإنما يدل على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال. وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

وهذا ما فعله أهل السنة؛ فكانوا بذلك وسطًا بين الطائفتين، وجاء قولهم هدى بين الضلالتين، ضلالة الجبر المفضي إلى تعطيل الأمر والنهي، وإبطال الثواب والعقاب، وضلالة نفي القدر الذي حاصله وجود خالقين من دون الله وتجويز أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه ولا يريده". (١)

ثانيًا: فيما يتعلق بالمشيئة والإرادة:

مشيئة الله وإرادته، إحدى مراتب القدر الأربع، التي لا بد من الإيمان بها في باب القدر؛ فلا بد من الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

---

(١) المصدر: وسطية أهل السنة بين الفرق «ص: ٣٧٤-٣٨٣».

ومن المعلوم بداهة أنه يقع في الكون ما هو طاعة وإيمان وخير، وبر وإحسان، كما يقع فيه ما هو معصية وكفر وشر؛ فهل كل ذلك وقع بمشيئة الله وإرادته؟ الخير من ذلك والشر؟ الإيمان، والكفر، الطاعة، والمعصية؟

وإذا قلنا: إن كل ذلك أراده الله وشاءه، وقضاه وقدره؛ فهل أحبه ورضيه، أم هو كره الكفر والمعصية والشر من ذلك؟

وإذا قلنا أنه أحبه ورضيه فكيف يؤاخذ عباده عليه، ويعذبهم لأجله؟

تجاه هذه الإيرادات والاستشكالات، تباينت مواقف الفرق، واختلفت أقوالها، فضل في ذلك طوائف، وهدى الله المعتصمين بكتابه، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لما اختلفوا فيه من الحق.

١- فقالت المعتزلة:

كل ما أراده الله وشاءه فقد أحبه ورضيه، فسووا بين إرادته ومشيئته وبين محبته وجعلوهما بابًا واحدًا.

ثم قالوا: الكفر والفسوق والعصيان لا يحبها ولا يرضاها؛ فلا يريدها ولا يشاؤها فأخرجوها من محيط إرادته وعموم مشيئته.

يقول القاضي عبد الجبار في تقرير قولهم هذا: "وأحد ما يدل على أنه تعالى لا يجوز أن يكون مريدًا للمعاصي، هو أنه لو كان مريدًا لها لوجوب أن يكون محبًا لها وراضيًا بها؛ لأن المحبة والرضا والإرادة من باب واحد، بدلالة أنه لا فرق بين أن يقول القائل أحببت أو رضيت وبين أن يقول أردت". (1)

(١) شرح الأصول الخمسة «ص: ٤٦٤».

وقال: "إنه تعالى لا يريد القبائح ولا يشاؤها، بل يكرهها ويسخطها".(١)

وقال في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٠٥]: "يدل على أنه -تعالى- لا يريد الفساد ولا يحبه، سواء كان من جهته أو من جهة غيره".(٢)

وواضح من هذه النصوص أن: المعتزلة لا يفرقون بين الإرادة والمشيئة، والمحبة والرضا، ومن ثم جعلوا الكفر والمعاصي والفساد ونحو ذلك، ليست مرادة لله عز وجل، ولا واقعة بقدره ومشيئته؛ لأنه لا يحبها ولا يرضاها، إذا معنى الإرادة هو معنى المحبة والرضى.

٢- وقالت الجبرية:

الكون كله بقضاء الله وقدره والله هو الخالق الفاعل في الحقيقة؛ إذ الإنسان مجبور على أفعاله لا قدرة له ولا إرادة، كما تقدم؛ فكل ما وقع في الكون يكون محبوبًا مرضيًا له(٣)، سواء في ذلك الإيمان والكفر، والطاعات والمعاصي؛ إذ كل ذلك واقع بإراداته ومشيئته، فسووا بين الإرادة والمحبة والرضى.(٤)

لذلك احتجوا بالقدر على المعاصي، وقال قائلهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا﴾ [الأنعام: الآية: ١٤٨].

وإذا كان هذا قول الجبرية الخالصة؛ فماذا يقول الجبرية المتوسطة، وهم الأشاعرة؟

يرى الأشاعرة "أن كل حادث مراد لله تعالى حدوثه، ولا يختص تعلق مشيئة الباري

---

(١) شرح الأصول الخمسة «ص: ٢٠٥».

(٢) شرح الأصول الخمسة «ص: ٤٦٠».

(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز «ص: ٢٧٩».

(٤) شرح الطحاوية لابن أبي العز «ص: ٢٧٩».

بصنف من الحوادث دون صنف؛ بل هو تعالى مريد لوقوع جميع الحوادث، خيرها وشرها نفعها وضرها"؛[١] فكل الحوادث لا تخرج عن إرادته عز وجل، وهذا كلام لا غبار عليه؛ لكن هل يحب الكفر والمعاصي إذا أرادها؟ ماذا يقول الأشاعرة؟ ومن مذهبهم أن المحبة والرضى بمعنى: الإرادة، بذلك يؤولون محبة الله ورضاه؛ فهل يقولون: إن الله أحب ذلك ورضيه؟ لقد اضطربوا في ذلك اضطرابًا بينًا واختلف أئمتهم في ذلك. يحدثنا إمام الحرمين الجويني عن ذلك؛ فيقول: "ومما اختلف أهل الحق في إطلاقه، ومنع إطلاقه، المحبة والرضا؛ فإذا قال القائل: هل يحب الله تعالى كفر الكفار ويرضاه؟ فمن أئمتنا من لا يطلق ذلك ويأباه، ثم هؤلاء تحزبوا حزبين: -ثم ذكر قولهما- ثم قال: ومن حقق من أئمتنا لم يكع[٢] عن تهويل المعتزلة، وقال: المحبة بمعنى:" الإرادة، وكذلك الرضا، والرب تعالى يحب الكفر، ويرضاه كفرًا معاقبًا عليه "١؛ فأثبت أن المحبة هي الإرادة."

٣- وقال أهل السنة:

ليس معنى إرادة الله ومشيئته هو معنى محبته ورضاه؛ بل بينهما فرق لا بد من التنبه له.

فإن الإرادة في كتاب الله نوعان:

١- إرادة شرعية أمرية دينية:

وهي التي تتضمن معنى المحبة والرضى، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: الآية: ١٨٥]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا، يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ

---

(١) الإرشاد للجويني «ص: ٢٣٧».

(٢) يكع: أي: يجبن. انظر: ابن منظور، لسان العرب «٨/ ٣١٧».

ضَعِيفًا﴾ [النساء: الآيتان: ٢٧، ٢٨].

٢- إرادة قدرية كونية خلقية:

وهي التي بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات؛ وذلك مثل الإرادة في قوله عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٣]، وقوله: ﴿وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: الآية: ٣٤]، وقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: الآية: ١٢٥].

وقالوا: إن الله وإن كان يريد المعاصي إرادة كونية قدرية؛ فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها؛ بل يبغضها ويسخطها، ويكرهها، وينهى عنها، هذا قول السلف والأئمة قاطبة.

فيفرقون بين إرادته التي تتضمن محبته ورضاه، وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية التي لا يلزم منها المحبة والرضى.

وبهذا التميز بين الإرادتين يمتاز قول أهل السنة عن قول كل من فريقي القدرية المعتزلة، والجبرية الخالصة والمتوسطة، الذين سووا بين الإرادة والمشيئة وبين المحبة والرضى؛ فضل المعتزلة إذ ذهبوا إلى القول بأنه يقع في ملك الله ما لا يريد ولا يشاء، وهلك أهل الجبر بقولهم: إن الكفر والشرك والعصيان محبوبة لله مرضية عنده.

ومنشأ ضلال الفريقين إنما هو تسويتهم بين الإرادة والمشيئة، وبين المحبة والرضى، وجعلهم معنى إرادته هو معنى محبته ورضاه.

وهدى الله أهل السنة لأحسن القول. فميزوا وفرقوا بين الأمرين، وخلصوا بالحق من بين الضلالتين، وهذا عنوان وسطيتهم، وآية اعتدالهم واتزانهم.(١)

---

(١) المصدر: وسطية أهل السنة بين الفرق «ص: ٣٨٣-٣٨٧».

٤٧- وسطية أهل السُّنة بين الفِرق في باب الوعيد

[٤٧]- قال المصنف رحمه الله: «وفي باب وعيدِ الله بين المُرجِئة والوَعِيديَّة من القَدريَّة وغيرهم»

الشرح

أولًا: تعريف الوعد والوعيد:

الوعد في اللغة: يكون بالخير والشر.

أما الوعيد: فلا يكون إلا بالشر.[1]

والمراد بالوعد: النصوص المتضمنة وعد الله لأهل طاعته بالثواب والجزاء الحسن والنعيم المقيم.

ويعرف أهل الكلام الوعد بأنه: كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير، أو دفع ضرر عنه في المستقبل.[2]

وأما الوعيد: فالمراد به: النصوص التي فيها توعد للعصاة بالعذاب والنكال.[3]

ويعرفه المتكلمون بأنه: كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى العير أو تفويت نفع عنه في المستقبل.[4]

ثانيًا: نصوص الوعد والوعيد:

---

(١) ابن فارس: مجمل اللغة «٤/ ٩٣١».

(٢) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة «ص: ١٣٤».

(٣) انظر: صالح الفوزان، العقيدة الواسطية «ص: ١٢٦».

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة «ص: ١٣٥».

وإذا تقرر لدينا معنى الوعد والوعيد والمراد بهما؛ فاعلم أنه جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم- كثير من الآيات والأحاديث التي تدل على وعد الله عز وجل للمؤمنين والمطيعين بالثواب الجزيل، وأنه أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ووعدهم بألوان من الأجر والجزاء. ومغفرة الذنوب فيما دون الشرك وتكفير السيئات وإبدالها حسنات ونحو ذلك.

فمن النصوص الواردة في ذلك قوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: الآية: ٧٢]، وقوله: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الفتح: الآية: ٥]، ونحو ذلك مما فيه وعد بالجنة.

ومن نصوص الوعد بغفران الذنوب وتكفير السيئات: قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء الآية: ٤٨]، وقوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: الآية: ٥٣]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار". (١)

وقوله صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ... -قال الراوي- وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق". (٢)

كما ورد فيهما أيضًا آيات وأحاديث كثيرة، تتضمن الوعيد الشديد بالعذاب الأليم والخلود في النار لأهل الفسق والمعاصي وأصحاب الكبائر ووصفهم بالكفر والفسق والضلال ونحو ذلك، كما في قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: الآية: ٩٧]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ

(١) أخرجه مسلم «١٥٢».

(٢) أخرجه مسلم «١٥٤».

أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: الآية: ١٠]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية: ٩٣]، ونحو قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يزني الزاني حي يزني وهو مؤمن" (١)، وقوله: "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر". (٢)

الحاصل أن النصوص الواردة في الوعد والوعيد كثيرة، سواء في كتاب الله عز وجل، أو من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: زمن ظهور القول في هذه المسألة:

أ–الخوارج

وكانت "الخوارج" قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة، وقالوا: "إنهم كفار مخلدون في النار، فخاض الناس في ذلك (٣) وخاض في ذلك المعتزلة بعد موت الحسن البصري «١١٠هـ» في أوائل المائة الثانية، ولم يكن الناس إذ ذاك قد أحدثوا شيئًا من نفي الصفات. (٤)

ب–المعتزلة:

ثم أحدثت المعتزلة القول بالمنزلة بين المنزلتين وقالوا بإنفاذ الوعيد وخلود أهل التوحيد في النار، وأن النار لا يخرج منها من دخلها. (٥)

فقال عمرو عبيد «١٤٣هـ» وأصحابه لا هم مسلمون ولا كفار بل هم في منزلة بين المنزلتين، وهم مخلدون في النار. فوافقوا الخوارج على أنهم مخلدون، وعلى أنهم ليس معهم من

---

(١) أخرجه ابن ماجه «٣٩٣٦».

(٢) أخرجه البخاري «٤٨».

(٣) مجموع الفتاوى «١٣/ ٣٧».

(٤) كتاب الحسنة والسيئة «ص: ١٠٣».

(٥) كتاب الحسنة والسيئة «ص: ١٠٣».

الإسلام والإيمان شيء، ولكن لم يسموهم كفارا. واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصري، مثل قتادة وأيوب السختياني وأمثالهما، فسموا معتزلة من ذلك الوقت بعد موت الحسن، وقيل إن قتادة كان يقول:أولئك المعتزلة. [(١)]

والمعتزلة الذين كانوا في زمن عمرو بن عبيد وأمثاله لم يكونوا جهمية، وإنما كانوا يتكلمون في الوعيد وإنكار القدر، وإنما حدث فيهم نفي الصفات بعد هذا، ولهذا لما ذكر الإمام أحمد قول جهم في رده على الجهمية قال: «**فاتبعه قوم من أصحاب عمرو بن عبيد وغيره، واشتهر هذا القول عن أبي الهذيل العلاف والنظام وأشباههم من أهل الكلام**. [(٢)]

ج-المرجئة:

وحدثت المرجئة، وكان أكثرهم من أهل الكوفة، فصاروا نقيض الخوارج والمعتزلة فقالوا إن الأعمال ليست من الإيمان. [(٣)]

وأول ما ظهرت بدعة الإرجاء بعد فتنة ابن الأشعث سنة «٨٣هـ» وقيل إن أول من قال به هو ذر بن عبد الله المرهبي الهمداني «**توفي قبل المائة**»

فقد أخرج عبد الله بن الإمام أحمد بسنده عن سلمة بن كهيل "قال: وصف "ذر" الإرجاء وهو أول من تكلم فيه، ثم قال إني أخاف أن يتخذ هذا دينا، فلما أتته الكتب من الأفاق قال فسمعته يقول بعد وهل أمر غير هذا". [(٤)]

وقال أبو داود: كان مرجئا وهجره إبراهيم النخعي وسعيد بن جبير بالإرجاء. [(٥)]

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: "أن حماد بن أبي سليمان «**ت: ١٢٠هـ**» هو أول من قال

---

(١) مجموع الفتاوى «١٣/ ٣٧،٣٨».

(٢) شرح الأصفهانية «ص: ٦٥».

(٣) مجموع الفتاوى «١٣/ ٣٨».

(٤) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد «١/ ٣٢٩ رقم ٦٧٧».

(٥) تهذيب التهذيب «٣/ ٢١٨».

بالإرجاء". [(١)]

وكانت بدعة الإرجاء مقتصرة في بدايتها على إرجاء الفقهاء ولذلك كانت هذه البدعة أخف البدع، فإن كثيرا من النزاع فيها نزاع في الاسم واللفظدون الحكم، إذ كان الفقهاء الذين يضاف إليهم هذا القول مثل حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما مع سائر أهل السنة متفقين على أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة، وعلى أنه لابد في الإيمان أن يتكلم بلسانه، وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والعقاب. فكان الخلاف معهم في الأعمال هل هي من الإيمان؟، وفي الاستثناء ونحو ذلك عامته نزاع لفظي. [(٢)]

وصارت المرجئة بعد ذلك على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الذين قالوا "الإيمان تصديق القلب وقول اللسان" وهؤلاء يسمون مرجئة الفقهاء. وهم علماؤهم وأئمتهم وأحسنهم قولا.

وقد استقر إرجاء الفقهاء على ثلاثة أسس هي:

١- زعمهم أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان وأن الإيمان هو التصديق.

٢- زعمهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

٣- زعمهم أنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان.

القسم الثاني: الذين قالوا: "هو تصديق القلب فقط" وإن لم يتكلم به.

وهذا قول الجهمية، وهو الذي نصره الأشعري وأكثر أصحابه. فالجهم كان يقول إن الإيمان مجرد تصديق القلب وإن لم يتكلم به. وهذا القول لا يعرف عن أحد من علماء الأمة وأئمتها، بل أحمد ووكيع وغيرهما كفروا من قال بهذا القول. ولكن هذا هو الذي نصره الأشعري وأكثر أصحابه؟! ولكن قالوا مع ذلك إن كل من حكم الشرع بكفره حكمنا بكفره واستدللنا على

---

(١) مجموع الفتاوى «٧/ ٢٩٧، ٣١١» «٥/ ٥٠٧».

(٢) مجموع الفتاوى «١٣/ ٣٨، ٤٨».

تكفير الشارع له على خلو قلبه من المعرفة.

القسم الثالث: الذين يقولون: "الإيمان هو القول فقط".

فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان، لكن إن كان مقرا بقلبه كان من أهل الجنة، وإن كان مكذبا بقلبه كان منافقا مؤمنا من أهل النار، وهذا قول الكرامية.

وهو آخر ما أحدث من الأقوال في الإيمان، وبعض الناس يحكى عنهم أن من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة، وهو غلط عليهم، بل يقولون إنه مؤمن كامل الإيمان، وإنه من أهل النار. (١)

رابعًا: افتراق الناس في نصوص الوعد والوعيد:

تجاه هذه النصوص وما شابهها افتراق الناس في باب الوعد والوعيد إلى طرفين وواسطة:

قول المرجئة:

طرف غلب نصوص الوعد، وأغفل نصوص الوعيد، وهم المرجئة الخالصة؛ فقالوا: كل ذنب سوا الشرك فهو مغفور واحتجوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨ والآية:١١٦]، وقالوا: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

فالمرْجِئة فقالوا: إن إيمانَ الفُسَّاق مثل إيمان الأنبياء، وإن الأعمال الصَّالحة ليست من الدِّين والإيمان، وكَذَّبوا بالوعيد والعِقاب.

وكلاهما جانَبَ الحق والصواب وما وُفِّق للجَمْع بين النصوص، وما فَقُه طريق السَّلف الصالح من الصَّحابة ومَن تَبِعهم بإحسان.

قول الخوارج والمعتزلة:

(١) مجموع الفتاوى «١٣/ ٣٨، ٤٨، ٥٥-٥٦».

والطرف المقابل لهم وهم الخوارج والمعتزلة قالوا: لا بد أن ينجز الله وعده ووعيده، ولا يصح أن يخلف أيًا منهما،

فالوَعِيديَّةُ من المعتَزِلة والقدرية والخَوارج قالوا: إن مَن تَوعَّده اللهُ على ذنبٍ فلا بد من إنفاذِ ذلك الوعيد، ولا يجوز إخلافُ ذلك على الله ما لم يَتُبْ فاعِلُه في الدُّنيا، وحكَموا على مُرتَكِب الكبيرة- إن لم يتب منها- بالخُلود في النار؛ فكفروا بالمعاصي، وأوجبوا الوعيد.

وهذه بعض نصوصهم في ذلك من كتبهم تنبئ عن مذهبهم، وتفتي بحقيقة قولهم:

يقول القاضي عبد الجبار في بيان مذهب المعتزلة في ذلك: "وأما علوم الوعد والوعيد؛ فهو أن يعلم أن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب". (١)

ويقول أبو عمار عبد الكافي الإباضي في تقرير مذهب أهل نحلته من طوائف الخوارج ومن وافقهم: "واتفق جمهور من ذكرنا في صدر المقالة من الأمة على أن الله منجز وعده، ووعيد، ومصدقهما بتمام ذلك وإمضائه في جميع من وعده وتوعده، لا تبديل لكلمات الله، ولا تحويل لأمره. واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: الآية: ٣١]". (٢)

ولذلك قال هؤلاء: بخلود أصحاب الكبائر في النار؛ لأن الله توعدهم بها وعندهم أن الله لا يخلف الميعاد، وقد ذكرنا قولهم في أصحاب الكبائر وحكمهم فيهم في الدنيا والآخرة، وما بينهما من التمايز في المبحث الأول.

وهؤلاء قد ضلوا في الوعد والوعيد جميعًا.

فأما ضلالهم في الوعيد فواضح؛ حيث جرهم قولهم به إلى إكفار أصحاب الكبائر أو إخراجهم من الإيمان عند المعتزلة إلى الفسق ووجوب أصحاب الكبائر أو إخراجهم من الإيمان

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة «ص: ١٣٥- ١٣٦».

(٢) انظر: الموجز ضمن كتاب آراء الخوارج الكلامية، للدكتور عمار طالبي «٢/ ١٠٥».

عند المعتزلة إلى الفسق ووجوب إدخالهم النار وتخليدهم فيها، وقالوا: إنه لا يجوز أن يغفر الله لهم إذا لم يتوبوا، ويكفي أن قولهم هذا يناقض قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨ والآية:١١٦]؛ فمن أين لهم أنه سبحانه لا يشاء المغفرة لهم، مع كونهم ليسوا كفارًا على مذهب المعتزلة، وليسوا مشركين على مذهب الإباضية، وطوائف من الخوارج، والنص إنما دل على عدم المغفرة للمشرك به سبحانه، والذين لا يغفر لهم هم الكافرون والمشركون.

وما ضلالهم في الوعد: فلإيجابهم ذلك على الله سبحانه بطريق الاستحقاق والعوض. يقول القاضي عبد الجبار: "أعلم أنه تعالى إذا كلفنا الأفعال الشاقة؛ فلا بد أن يكون في مقابلها من الثواب ما يقابله". (١)

ويقول الزمخشري -وهو أحد أقطاب المعتزلة-في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: الآية: ١٠٠].

قال: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾: فقد وجب ثوابه عليه". (٢)

قول أهل السنة "وهم الواسطية":

أما أهل السنة الذين يمثلون نقطة التوازن بين الطرفين؛ فإنهم يأخذون بنصوص الوعد والوعيد، فيجمعون بين الخوف والرجاء، لم يفرطوا في نصوص الوعيد كالمرجئة الخالصة الذين قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب، ولم يغلوا غلو الخوارج والمعتزلة في نصوص الوعيد.

فكان قولهم في الوعيد أنه: "يجوز أن يعفو الله عن المذنب، وأنه يخرج أهل الكبائر من النار

---

(١) شرح الأصول الخمسة «ص: ٦١٤».

(٢) تفسير الكهف »١/ ٥٥٨«.

فلا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد". [١]

وخلاصة قولهم أن كل من مات غير مشرك بالله فهو داخل تحت المشيئة؛ إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه. وأنه إن عذبه لا يخلده في النار كالكفار.

وقالوا في الوعد: إن الله لا يخلف وعده، وإنه لا بد أن يثيب أهل الإيمان به وأهل طاعته بحكم وعده لهم بذلك، لا بحكم استحقاقهم عليه فإن العبد لا يستحق بنفسه على الله شيئًا ". [٢]

قال شيخُ الإسلام ابن تيمِيَّة رحمه الله: «**وهم-أهل السُّنَّة- في باب الأسماء والأحكام والوَعْد والوَعِيد وسَطٌ بين الوَعِيدية الذين يَجعلون أهلَ الكبائر من المسلمين مُخلَّدين في النار، ويُخرجوهم من الإيمان بالكُلّيَّة، ويُكذِّبون بشفاعة النَّبي ﷺ.**

وبين المُرْجِئة الذين يقولون: إيمان الفُسَّاق مثل إيمان الأنبياء، والأعمال الصَّالحات ليست من الدِّين والإيمان، ويُكذِّبون بالوعيد والعِقاب بالكُلّيَّة.

فيُؤمِن أهل السُّنَّة والجَماعَة بأن فُسَّاق المسلمين معهم بعضُ الإيمان وأصلُه، وليس معهم جميعُ الإيمان الواجِب الذي يَستوجبون به الجنة، وأنهم لا يُخلَّدون في النار؛ بل يَخرج منها من كان في قلبه مِثقالُ حبَّة من إيمان أو مِثْقال خَرْدَلة من إيمان، وأن النَّبي ﷺ ادَّخَر شفاعَتهُ لأهل الكبائِر من أمَّته». [٣]

فأهلُ السُّنَّة والجماعة لا يُوجِبون العذابَ في حقِّ كلِّ مَن أتى كبيرةً، ولا يَشهدون لمسلم بعَيْنِه بالنار لأَجْلِ كبيرةٍ واحدة عَمِلَها، بل يجوزُ عندهم أن صاحِبَ الكبيرة يُدخِلُه اللهُ الجنةَ بلا عذابٍ؛ إما لحَسناتٍ تَمْحُو كبيرتَه منه أو من غيره، وإما لمِصائِبَ كفَّرَتْها عنه، وإما لدُعاءٍ

(١) منهاج السنة لابن تيمية «١/ ٤٦٦- ٤٦٧».

(٢) المعتزلة وأصولها الخمسة لعواد بن عبد الله المعتق «ص: ٢١٧».

(٣) «مجموع الفتاوى» «٣/٣٧٤-٣٧٥».

مُستَجاب منه أو من غيره فيه، وإما لغير ذلك[١].

فهم بذلك قد توسطوا بين المفرطين من المرجئة الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وبين الوعيدية «**الخوارج والمعتزلة**»؛ فالخوارج يقولون: هو كافر في الدنيا، والمعتزلة يقولون: هو في منزلة بين المنزلتين، ويتفقون على أنه في الآخرة خالد مخلد في النار.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمة: "وأما الاستحقاق؛ فهم يقولون: إن العبد لا يستحق بنفسه على الله شيئًا، وليس له أن يوجب على ربه شيئًا لا لنفسه ولا لغيره، ويقولون: إنه لا بد أن يثيب المطيعين كما وعد؛ فإنه صادق في وعده ولا يخلف الميعاد".[٢]

وقال في موضع آخر: "واتفقوا على أن الله تعالى إذ وعد عباده بشيء كان وقوعه واجبًا بحكم وعده؛ فإنه الصادق في خبره الذي لا يخلف الميعاد".[٣] .[٤]

(١) انظر «مجموع الفَتاوى» «١٢/٤٧٩- ٤٨٣».

(٢) منهاج السنة «١/ ٤٦٧».

(٣) منهاج السنة النبوية «١/ ٤٤٨».

(٤) المصدر: وسطية أهل السنة بين الفرق «ص: ٣٥٣-٣٥٨».

٤٨- وسطية أهل السُّنة بين الفِرق في أسماء الإيمان والدين.

[٤٨]- قال المصنف رحمه الله: وفي باب أسماء الإيمان والدِّين بين الحَرِوريَّة والمعتَزِلة وبين المرجئة والجَهْميَّة

الشرح

المراد بالأسماء هنا: أسماء الدِّين مثل؛ الإيمان، والإسلام، والكفر، والفسق.[(١)]

والمراد بالأحكام: أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة.[(٢)]

وقد نشأ نزاع قديم بين طوائف الأمة في حقيقة هذه الأسماء، وهل تزيد وتنقص، وهل تتبعض أم لا؟

«الخلاف في هذا الباب قديم؛ فهو من أوائل ما حصل فيه النزاع بين الفرق المنتمية إلى الإسلام، وأول من أظهر الخلاف في ذلك وخالف جماعة المسلمين الخوارج، ثم قابلهم المرجئة، ثم خرجت المعتزلة وجاءوا في هذا بما لم يأت به أولئك، والجميع دائر بين إفراط وتفريط.

ولما كان ديدن أهل السنة هو السنة هو التمسك بكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، والقول بما دلَّا عليه وأدَّيا إليه؛ فقد جاء قولهم في هذا الباب وسطًا بين إفراط الخوارج وأهل الاعتزال وتفريط أهل الإرجاء»[(٣)].

فقد تنازع الناس في "مرتكب الكبيرة المليء" ماذا يسمى؟ أهو مؤمن؟ أم كافر؟ أم فاسق؟ أم منافق؟ وما حكمه في الدنيا؟ بنا على ذلك، وما هو حكمه في الآخرة؟ وافترقوا في ذلك إلى: طرفين، وواسطية.

فالخوارج، والمعتزلة في طرف.

(١) مجموع الفتاوى «١٣/ ٣٨».

(٢) شرح العقيدة الواسطية للفوزان «ص: ١٢٦».

(٣) «وسطية أهل السنة بين الفرق، لمحمد باكريم، «ص ٣٣٣».

وطوائف المرجئة في الطرف المقابل.

وأهل السنة: وسط بين الطرفين.

واختلافهم في ذلك مبني على اختلافهم في حقيقة الإيمان الواجب؛ لذا فإنا قبل عرض أقوالهم واختلافهم في اسم صاحب الكبيرة وحكمه، صنعرض بإيجاز لأقوالهم في تعريف الإيمان، وحقيقته عند كل منهم، وما بين مذاهبهم من فروق، وما فارقهم به أهل السنة، وامتازوا به عنهم من قول.

فالإيمان عند المعتزلة والخوارج: قولٌ وعمل وعقيدة، ولكنه لا يزيد ولا ينقص، وعندهم أن الإنسان إذا ترك واجبًا؛ فإنه يكون خارجًا من الدين.

والمعتزلة لا يدخلونه في الكفر، والخوارج يدخلونه في الكفر ويخرجونه من الدين، أما المعتزلة فهم يقولون: هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر.

فالمعتزلةُ قالوا: إنَّ أصحابَ الكبائرِ لا مُسلمونَ ولا كفارَ، بل هم في منزلةٍ بينَ المنزلتينِ، واتَّفقوا معَ الخوارجِ في الحكمِ الأُخرويِّ على صاحبِ الكبيرةِ: أنَّهُ مُخَلَّدٌ في النارِ.

وهذه أول بدعة ظهرت في الإسلام، وإنما أحدثوا هذا المعتقد من سوء فهمهم للقرآن، فلم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه؛ فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب[(١)].

وأما الإيمان عند المرجئة: فشيءٌ واحد لا يتفاوت، بل إيمان أفسق الناس مثل إيمان جبريل بلا فرق، وإيمان أهل السماء وأهل الأرض عندهم سواء، ولا يكون زائدًا ولا ناقصًا، وأخرجوا جميع الأعمال من الإيمان.

قال المصنف في «**مجموع الفَتاوى**»: «**تنازَعَ النَّاس في الأسماء والأحكام؛ أي: في أسماء الدِّين، مثل: مُسلِمٍ ومُؤمِنٍ وكافِرٍ وفاسِقٍ، وفي أحكام هؤلاء في الدُّنيا والآخرة، فالمُعتَزِلة وافَقوا الخَوارِجَ على حُكْمِهم في الآخِرَة دون الدُّنيا؛ فلم يَستَحِلُّوا مِن دمائِهم وأموالهم ما استَحَلَّتْهُ الخوارجُ، وفي الأسماء أحدَثوا المَنزِلةَ بين المَنْزِلتين، وهذه خاصَّة المُعتَزِلة التي انفَردوا**

(١) انظر: «مجموع الفَتاوى» «١٣/ ٣٠».

بها، وسائِرُ أقوالهم قد شارَكهم فيها غيرُهم»[(١)].

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الإِيمَانَ وَالدِّينَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ.

فجاء اعتقاد أهل السنة والجماعة وسط بين هؤلاء وهؤلاء؛ فالإيمان عندهم قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ فتوسطوا بذلك بين المرجئة الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، والخوارج والمعتزلة الذين أنكروا زيادة الإيمان ونقصانه.

فهم وَسَطٌ بينَ الخوارجِ والمعتزلةِ، وبينَ المرجئةِ والجهميَّةِ.

«**وأهلُ السُّنَّةِ نَقاوةُ المسلمين، فهم خير الناس للناس**»[(٢)]، وأسعدُ النَّاسِ بالحقِّ وأرحمهم بالخلق؛ فإنَّهم لم يُكَفِّروا أهلَ القِبْلَةِ بارتكابِ الكبائرِ، وإنَّما قالوا: مرتكب الكبيرة مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ، فهوَ مؤمنٌ بإيمانِهِ وفاسقٌ بمعصيتِهِ؛ فلم يُعطوهُ الإيمانَ المطلقَ، ولم يسلبوهُ مطلقَ الإيمانِ، ولم يَحكموا على الفاسقِ بأنَّهُ مُخَلَّدٌ في النارِ يومَ القيامةِ، بل قالوا: إنَّ مُرتكبي الكبائرِ من أهلِ القِبْلَةِ في مشيئةِ اللهِ يومَ القيامةِ؛ إن شاءَ عَفَا عنهم وأدخلَهُم الجنَّةَ بلا عذابٍ، وإن شاءَ عذَّبَهُم على قَدْرِ ذنوبِهِم، ثمَّ أدخلهمُ الجنَّةَ؛ كما قالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: الاية: ٤٨].

---

(١) «مجموع الفتاوى» «١٣/ ٣٨».

(٢) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن أهل السنة، كما في «منهاج السنة» «٥/ ١٥٨».

٤٩- وسطية أهل السُّنة بين الفِرق في الصحابة رضي الله عنهم

[٤٩]- قال المصنف رحمه الله: «**وفي باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الرَّافِضة والخَوارِج**».

الشرح

الرَّافضة: هم الذين غلوا في عليٍّ رضي الله عنه وأهل البيت، ونصبوا العداوة لجمهور الصحابة كالثَّلاثة، وعائشة وحفصة وطلحة والزبير وفضلاء المهاجرين والأنصار، وكفَّروهم ومَن تولاهم، وكفَّروا مَن قاتل عليًّا، حتى وصل بهم الأمر إلى أن كفروا جُلَّ الصحابة إلا نفر يسير جدًّا.

وأما الخوارج فقابلوا الرَّوافض؛ فكفروا عليًّا ومعاوية ومن معهما من الصحابة بعد التحكيم، وقاتلوهم، واستحلوا دماءهم وأموالهم.

والنواصب: هم الذين نصبوا العداوة لعليٍّ ومَن والاه، وهم الذين استحلوا قتله بعد أن كفروه، وقتله أحد رءوسهم، وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي.

أما أهل السنة والجماعة فهداهم الله تعالى للحق والصواب، فلم يغلوا في علي وأهل البيت، ولم ينصبوا العداوة للصحابة رضي الله عنهم ولم يكفّروهم، ولم يفعلوا كما فعل النواصب من عداوة أهل البيت. بل يعترفون بحق الجميع وفضلهم، ويوالونهم، ويكفون عن الخوض فيما جرى بينهم، ويترحَّمون على جميع الصحابة، فكانوا وسطًا بين غلو الرافضة وجفاء الخوارج[(١)].

ومحبتهم لأهلِ بيتِ رسولِ اللهِ ﷺ محبةٌ شرعيَّة دونَ إفراطٍ أو تَفْريطٍ؛ فهم يَعْرِفُونَ لهم حَقَّهم، ويَحفظونَ وَصِيَّةَ رسولِ اللهِ فيهم، ولا يُغالونَ في مَحَبَّتِهِم؛ ولا يَرفعونهم فوق منزلتهم البشرية غلوًّا فيهم، وكذلك لا ينتقصونهم قدرهم جفاء لهم.

وما وقع بين الأصحاب الكرام من خلاف فيجب الإمساك عن الخوض فيه، والتماس العذر لهم؛ يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «**موقف أهل السنة في الخلاف والفتن التي**

---

(١) انظر «الكواشف الجلية عن معاني الواسطية» لعبد العزيز السلمان «٥٠٥- ٥٠٨»، المملكة العربية السعودية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٠٢هـ.

حصلت بين الصحابة رضي الله عنهم: موقفهم في ذلك: أن ما جرى بينهم فإنه باجتهاد من الطرفين، وليس عن سوء قصد، والمجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، وليس ما جرى بينهم صادر عن إرادة علو ولا فساد في الأرض؛ لأنَّ حال الصحابة رضي الله عنهم تأبى ذلك، فإنهم أوفر الناس عقولًا، وأقواهم إيمانًا أشدهم طلبًا للحق، كما قال النبي ﷺ: «**خيرُ النَّاس قَرْني**»[(١)]. وعلى هذا فطريق السلامة: أن نسكت عن الخوض فيما جرى بينهم، ونَرُدَّ أمرهم إلى الله؛ لأن ذلك أسلم من وقوع عداوة أو حقد على أحدهم»[(٢)].

فأهل السنة والجماعة يتميزون بالوسطية والاعتدال بين الفرق الأخرى التي تقف على طرفي نقيض؛ فتتجه إحداهما لأقصى اليمين، وتنحدر الأخرى لأقصى اليسار، والحق بين هذا وذاك، وتلكم هي الوسطية والطريقة السوية.



(١) أخرجه البخاري «٣٦٥١» ومسلم «٢٥٣٣» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) «مذكرة على العقيدة الواسطية» لابن عثيمين «ص ٨٢»، مدار الوطن للنشر- الرياض، ١٤٢٦هـ.

٥٠- إثبات علو الله وأنه على عرشه

المسألة الأولى: دلالة القرآن على علو الله.
المسألة الثانية: دلالات السنة على علو الله.
المسألة الثالثة: دلالة الإجماع على علو الله.
المسألة الرابعة: دلالة الفطرة على علو الله بذاته.
المسألة الخامسة: دلالة العقل على علو الله.
المسألة السادسة: الفرق بين العلو والاستواء.
المسألة السابعة: الأقوال في صفة العلو.

[٥٠]- قال المصنف رحمه الله: «**وقد دخلَ فيما ذكرناهُ مِنَ الإيمانِ باللهِ الإيمانُ بما أخبرَ بهِ في كتابِهِ وتواترَ عن رسولِهِ، وأجمعَ عليهِ سلفُ الأُمَّةِ من أنَّهُ- سبحانه- فوقَ سَماواتِهِ على عرشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خلقِهِ، وَهُوَ- سبحانه- مَعهم أينما كانوا؛ يَعْلَمُ ما هم عاملونَ، كما جَمَعَ بينَ ذلكَ في قولِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد : ٤]**

الشرح

تمهيد:

ذكر المصنف رحمه الله في هذا الموضع ما يتعلق بصفة العلو، وما يتصل بهذه الصفة من جملةِ صفاتٍ.

وأعظم مسألتين في باب أسماء الله وصفاته: هما صفة العلو وصفة الكلام، ولذلك خصهما هنا شيخ الإسلام بالذِّكر؛ فتكلم- أولًا- عن صفة العلو وما يتعلق بها، ثم أعقب ذلك بالحديث عن صفة الكلام، وهذا لأهمية هاتين المسألتين في هذا الباب؛ لأن أهل الباطل من المعطلة أَصَّلوا قولهم في صفة العلو بناء على أن العلوم محصورة في المحسوس المشاهد، فكذَّبوا بكل غيب، ولذلك أنكروا عُلُوَّ الله سبحانه وتعالى؛ وهو أعظم غيب، وهم بذلك يُريدون الوصول إلى إنكار وجوده؛ لأن في إثبات علوه إثباتًا لوجوده جل وعلا، وإثبات وجوده إثبات لأعظم الغيب.

وكذلك أرادوا أن يتسلطوا على صفة الكلام؛ لأن في إثباتها إثبات للوحي، وهو مصدر العلم الشرعي، فهم يريدون أن يُفسدوا هذا الباب؛ ليقصروا مصدر العلم على نفوسهم، وبالتالي يريدون أن يُسووا بين قولهم وقول رسول الله ﷺ باعتبار أن مصدر الاثنين واحد.

وبالتالي، فمسألة العلو من أعظم المسائل؛ لذلك نجد أن النصوص التي أثبتت هذه الصفة متواترة ومتنوعة ومتعددة، حتى إنَّ العلماء يذكرون أن في كتاب الله عز وجل أكثر

من ثلاثمائة آية تتكلم عن علوِّ الله بأساليب متنوعة ومتعددة؛ فالله عز وجل تارة يُخبر بعلوه، وتارة يُخبر باستوائه، وتارة يُخبر بنزوله، وتارة يُخبر بصعود الأشياء إليه، وتارة يخبر بنزولها من عنده، وتارة يخبر بعروجها إليه، وهكذا.

وقد دلَّ على عُلُوِّ اللهِ على خلقِهِ بذاته- الكتابُ بدلالاتٍ متنوعةٍ، والسُّنَّةُ بدلالاتِهَا الثلاثِ: «**القوليَّة، والفعليَّة، والتقريريَّة**»، والإجماعِ، والعقلِ، والفطرةِ.

وقالَ العلَّامةُ السّعْدي بعدَ أن أَوْرَدَ كلامَ شيخِ الإسلامِ السابقِ: «**في هذا الفصلِ مسألة علو اللهِ واستوائِهِ على عرشِهِ، وأن ذلكَ داخلٌ في الإيمانِ باللهِ، وذلكَ لِمَا حَصَلَ في هذِهِ المسألةِ مِنَ الاختلافِ والمُخَاصماتِ الطويلةِ بينَ أهلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ وبينَ طوائِفِ الجهميَّةِ والمُعتزلةِ ومَن تَبِعَهُم في هَذِهِ المَسألةِ مِنَ الأشعريَّةِ ونحوهم.**

فإنَّ مَسألةَ العلوِّ صُنِّفَت فيها المُصَنَّفات المُستقلَّة، وأَوْرَدَ فيها أهلُ السُّنَّة ما لا يمكنُ دفعُهُ أو دفع بعضِهِ، وحقَّقوا ذلكَ بالعقلِ الصحيحِ، وأنَّ الفِطَرَ والعقولَ مُعترفة، بل ومضطرة إلى الإيمانِ بعلوِّ اللهِ إلَّا مَن غَيَّرَت فِطَرتَه العقائِدُ الباطِلةُ.

وقد بيَّن المُصَنِّفُ في هذا الموضوعِ الجمعَ بينَ الإيمانِ بعلوِّ اللهِ وإثباتِ مَعِيَّته وعِلْمِهِ المُحيط، وحَقَّقه في كلامٍ واضحٍ مُبَيِّنٍ بالأمثلةِ المُقَرِّبةِ للمعاني بما لا مَزِيدَ عليهِ»[(١)].

فصفة العلو صفة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف، بل وثابتة بالفطرة، وثابتة بالعقل.

قال العَلَّامةُ ابنُ القَيِّم رحمه الله: «**قالَ شيخُ الإسلامِ: وَهَذَا كتابُ اللهِ من أوَّلهِ إلى آخرِهِ، وسُنَّة رسولهِ ﷺ، وعامَّة كلام الصَّحابةِ والتَّابعينَ وكلام سائرِ الأئمَّة مَمْلُوءٌ بما هُوَ نصٌّ أو ظَاهِرٌ في أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى فوقَ كلِّ شيءٍ، وأنَّه فوقَ السَّماوات مُسْتَوٍ عَلَى عرشِهِ**»[(٢)].

وقال- أيضًا- ابن القيم رحمه الله كما: «**... حتى قيل: إن الآياتِ والأخبارَ الدَّالّةَ على عُلُوِّ الرَّبِّ على خلقه واستوائه على عرشه تقاربُ الألوفَ، وقد أجمعت عليها الرسلُ مِن**

(١) «التنبيهات اللطيفة» «ص٦٥».

(٢) «اجتماع الجيوش الإسلامية» «٢/٩٦».

أولهم إلى آخرهم»[(١)].

المسألة الأولى: دلالة القرآن على علو الله

قد تَنَوَّعَتْ دلالةُ القرآنِ على عُلُوِّ الله على وجوهٍ كثيرةٍ، منها:

١. التَّصْرِيحُ بِالفَوْقِيَّةِ مَقْرُونَةٌ بأداةِ «**مِنْ**» المعَيّنَةِ لِفَوْقِيَّةِ الذَّاتِ، نحو ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾[النحل: ٥٠].

٢. التصريح بالفوقيَّة مُجَرَّدَة عن الأداة، كقوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨].

٣- التَّصْرِيح بالعروج إليه؛ نحو ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج:٤].

٤- التصريح بالصُّعود إليه؛ كقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[فاطر: ١٠].

٥- التَّصريح برفعه بعضَ المخلوقاتِ إليه؛ كقوله: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء: ١٥٨]، وقوله: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران: ٥٥].

٦- التَّصريح بالعُلُوِّ المطلقِ الدَّالِّ على جميع مراتب العلو، ذاتًا وقدرًا وشرفًا، كقوله: ﴿وهو العلي العظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وهو العلي الكبير﴾ [سبأ: ٢٣]،﴿إنه علي حكيم﴾[الشورى: ٥١].

٧- التَّصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ [الزمر: ١]، ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾ [النحل: ١٠٢]، وهذا يدل على شيئين:

الأول: على أنَّ القرآنَ ظَهَرَ منه لا من غيره، وأَنَّهُ الذي تكلم به، لا غيره.

الثاني: على عُلُوّهِ على خَلْقِهِ، وأنَّ كلامَه نزل به الرُّوح الأمين من عنده من أعلى مكان إلى رسوله.

٨- التَّصريحُ باخْتِصَاصِ بعضِ المخلوقات بأنها عنده، وأنَّ بَعْضَهَا أَقْرَبُ إليه من بعضٍ،

---

(١) «مختصر الصواعق» «ص٥٩».

كقوله: ﴿إن الذين عند ربك﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقوله: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء : ١٩]ففرَّق بين من له عمومًا، ومن عنده من مماليكه وعبيده خصوصًا.

٩- التَّصريح بأنه سبحانه في السَّماء، وهذا عند أَهْل السُّنَّة على أحد وجهين:

إما أن تكون «**في**» بمعنى «**على**».

وإما أن يراد بالسَّماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز حملُ النَّصِّ على غيره.

١٠- التَّصريح بالاستواء مقرونًا بأداة «**على**» مختصًّا بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحبًا في الأكثر لأداة «**ثُمَّ**» الدَّالَّة على الترتيب والمهلة، وهو بهذا السِّياق صريحٌ في معناه الذي لا يفهم المخاطبون غيره من العُلُوِّ والارتفاع، ولا يحتمل غيره البتَّة.

١١- إخباره سبحانه عن فرعون أنه رَامَ الصُّعُودَ إلى السماء؛ لِيَطَّلِعَ إلى إله موسى، فيُكذبه فيما أخبر به من أنه فوق السماوات؛ فقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ «**٣٦**» أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر : ٣٦ – ٣٧] فكذَّب فرعونُ موسى في إخباره إيَّاه بأن ربَّه فوق السماء(١).

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لله وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾- بيَّن أن الملائكة أقرب إليه من غيرهم من خلقه.

وكذلك قوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، إلى غير ذلك من ألفاظ متنوعة ومتعددة تدل دلالة واضحة على أن الله عال على خلقه مُستو على عرشه.

أما دلالة السُّنَّة على العلو، فقد قال شيخ الإسلام: «**وأما الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين فلا يُحصيها إلا الله تعالى**»(٢).

---

(١) انظر: «إعلام الموقعين» «٢/٣١٤- ٣١٧».

(٢) «مجموع الفتاوى» «٥/١٦٦».

المسألة الثانية: دلالات السُّنة على علو الله:

فالسُّنَّةُ قد دلَّت على عُلُوِّ الله بدلالاتها الثلاث: «**القولية، والفعلية، والتقريرية**».

أما السُّنَّة القولية فمنها:

١- ما رواه أنس رضي الله عنه في حديث الخَوَارِجِ: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ألا تَأْمَنُونِي، وأَنا أَمِينُ مَنْ في السَّمَاءِ؟!**»[(١)].

٢- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله تعالى طَيِّبٌ لا يقبل إلا طَيِّبًا...**»، إلى أن قال: «**ثم ذكر الرجلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ ومَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالحَرَامِ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السماء: يا رب، يا رب، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»[(٢)].

٣- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَتَعاقَبُونَ فيكم ملائكةٌ باللَّيْلِ وملائكةٌ في النهار، ويجتمعون في صلاة الصُّبحِ وصلاةِ العصرِ، ثم يَعْرُجُ الذين باتوا فيكم، فيسألهم الله وهو أعلم بهم: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فيقولون: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**»[(٣)].

وأما أدلة السُّنَّة الفِعلية فمنها:

١- ما رواه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في حديث حَجَّةِ الوَدَاعِ، وفيه: أن رسول الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ، فقال: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، في شَهْرِكُمْ هَذَا، في بَلَدِكُمْ هَذَا...**»، إلى أن قال جابر رضي الله عنه: «**فقال بإصبعه السَّبَّابَة يَرْفَعُهَا إلى السَّماء وَيَنْكُتُهَا إلى الناس: اللهم اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري «٤٣٥١» ومسلم «١٠٦٤».

(٢) أخرجه مسلم «١٠١٥».

(٣) أخرجه البخاري «٥٥٥» ومسلم «٦٣٢».

(٤) أخرجه مسلم «١٢١٨».

قال العَلَّامة ابن القَيِّم رحمه الله مُعَلِّقًا على هذا الحديث: «**ليشهد الجميعُ أن الرَّبَّ الذي أرسله ودعا إليه واستشهده هو الذي فوق سماواته على عرشه**»(١).

٢- ما في الصَّحيحين في رفعه ﷺ يديه إلى السماء قائلًا: «**اللهم اسقنا**»(٢). وهكذا رفعه يديه في الاستسقاء وغير ذلك.

ومن أدلة السُّنَّة التقريريَّة وأشهرها:

ما رواه معاوية بن الحَكَم السُّلَمِي رضي الله عنه قال: «**كانت لي جاريةٌ تَرْعَى غَنَمًا قِبَلَ أُحُدٍ والجوَّانيَّة، فاطَّلَعْتُ ذات يومٍ فإذا بالذئب قد ذهب بشاةٍ مِن غَنَمِهَا، وأنا رجلٌ من بني آدم، آسَفُ كما يَأْسَفُونَ لكني صَكَكْتُهَا، فأتيتُ رسول الله ﷺ فعظَّم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال:** «**ائتني بها**»، فأتيتُه بها، فقال لها: «**أين الله؟**». قالت: في السماء، قال: «**ومَن أنا؟**». قالت: رسول الله، قال: «**أَعْتِقها؛ فإنَّها مؤمنة**»(٣).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «**ثم عن السَّلف في ذلك من الأقوال ما لو جُمِعَ لَبَلَغَ مِئِينَ أَوْ أُلُوفًا.**

ثُمَّ لَيْسَ في كتاب الله ولا في سُنَّةِ رسوله ﷺ ولا عن أحدٍ من سلف الأمة، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف- حرفٌ واحدٌ يخالف ذلك لا نَصًّا ولا ظاهرًا، ولم يقل أحد منهم قط: إنَّ الله ليس في السماء، ولا إنه ليس على العرش، ولا إنه بذاته في كل مكان، ولا إن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا إنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا إنه لا متصل ولا منفصل، ولا إنه لا تجوز الإشارة الحسيَّة إليه بالأصابع ونحوها»(٤).

---

(١) «إعلام الموقعين» «٢/٣١٦».

(٢) أخرجه البخاري «١٠١٣» ومسلم «٨٩٥».

(٣) أخرجه مسلم «٥٣٧».

(٤) «مجموع الفتاوى» «٥/ ١٥».

المسألة الثالثة: دلالة الإجماع على علو الله

وأما دلالة الإجماع: فقد قال شـــيخُ الإســـلام ابن تيمية رحمه الله: «**فالسَّـــلَفُ والأَئِمَّةُ يقولون: إن الله فوق سماواته مُسْـــتَوٍ على عرشـــه بَائِنٌ مِن خَلْقِهِ، كما دَلَّ على ذلك الكتاب والسـنة وإجماع سـلف الأمة، وكما عُلِمَ المُبَايَنَةُ والعُلُوُّ بالمعقولِ الصَّـريح الموافق للمنقول الصحيح، وكما فَطَرَ اللهُ على ذلك خَلْقَهُ**»[(١)].

إجماع السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم منعقد على إثبات علو الله، واستوائه على عرشه، وقد نقل غير واحد من السلف هذا الإجماع عنهم، ومن ذلك ما رواه البيهقي–رحمه الله–«**ت: ٤٥٨ هـ**» بإسناد صحيح عن الأوزاعي–رحمه الله–«**ت: ١٥٧ هـ**» أنه قال: "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله–تعالى–ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته".[(٢)]

وقال أبو نصر السجزي–رحمه الله–«**ت: ٤٤٤هـ**»: "فأئمتنا كسفيان الثوري–رحمه الله–«**ت: ١٦١ هـ**»، ومالك–رحمه الله–«**ت: ١٧٩ هـ**»، وسفيان ابن عيينة–رحمه الله–«**ت: ١٩٨ هـ**»، وحماد بن سلمة–رحمه الله–«**ت: ١٦٧ هـ**»، وحماد بن زيد–رحمه الله–«**ت: ١٧٩ هـ**»، وعبد الله بن المبارك–رحمه الله–«**ت: ١٨١ هـ**»، وفضيل بن عياض–رحمه الله–«**ت: ١٨٧ هـ**»، وأحمد بن حنبل–رحمه الله–«**ت: ٢٤١ هـ**»، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي–رحمه الله–«**ت: ٢٣٨ هـ**»: متفقون على أن الله–سبحانه–بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش".[(٣)]

وقال أبو نعيم الأصبهاني–رحمه الله–«**ت: ٤٣٠ هـ**» في عقيدته المشهورة: "وطريقتنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فما اعتقدوه اعتقدناه، فمما اعتقدوه أن

---

(١) «مجموع الفتاوى» «٢/٢٩٧».

(٢) "الأسماء والصفات": «ص: ٥١٥».

(٣) "درء تعارض العقل والنقل": «٦/ ٢٥٠».

الأحاديث التي تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش والاستواء عليه يقولون بها، ويثبتونها من غير تكييف ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم، ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمواته من دون أرضه"[(١)]

وكلام السلف من الصحابة والتابعين، من تبعهم في إثبات العلو كثير جدًا ولا يتسع المقام ههنا لذكره، وقد نقل ابن قدامة-رحمه الله-«**ت: ٦٢٠ هـ**» في كتاب "إثبات صفة العلو"، وكذلك نقل ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**» في الفتوى الحموية وغيرها الكثير من تلك النصوص الواردة عنهم، وبين إجماعهم على إثبات ذلك، [(٢)] وكذلك فعل تلميذه ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» في كتابه "اجتماع الجيوش الإسلامية"، وكذلك الذهبي-رحمه الله-«**ت: ٧٤٨ هـ**» في كتابيه "العلو" و"العرش".

المسألة الرابعة: دلالة الفِطْرَة على عُلُوِّ الله بذاته:

قال إمام الأئمة محمد بن خزيمة رحمه الله: «**باب ذكر البيان أن الله عز وجل في السماء، كما أخبرنا في مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ وعلى لسان نبيه عليه السلام، وكما هو مفهوم في فطرة المسلمين علمائهم وجُهَّالِهِمْ وأَحْرَارِهِمْ وَمَمَالِيكِهِمْ ذُكْرَانِهِمْ وَإِنَاثِهِم بَالِغِيهِم وأَطْفَالِهِم، كل مَن دعا الله جل وعلا فإنه يرفع رأسَه إلى السماء ويمد يدَيْه إلى الله إلى أعلاهُ، لا إلى أسفل**»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**وأمَّا كونه عاليًا على مخلوقاته بائنًا منهم، فهذا أمرٌ معلومٌ بالفطرةِ الضروريةِ التي يشترك فيها جميع بني آدم.**

وكُلُّ مَن كان بالله أعرفَ وله أَعْبَدَ ودُعَاؤُهُ له أكثرَ وقَلْبُهُ له أَذْكَرَ كان علمُه الضروريُّ بذلك أقوى وأكملَ، فالفطرة مُكَمَّلَةٌ بالفطرة المنزَّلة؛ فإن الفطرةَ تعلم الأمر مُجْمَلًا والشريعة

---

(١) "درء تعارض العقل والنقل": «٦/ ٢٥٠».

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى": «٥/ ٦».

(٣) «التوحيد» «١/ ٢٥٤».

تُفَصِّلُهُ وتُبَيِّنُهُ وتَشْهَدُ بما لا تَسْتَقِلُّ الفطرة به، فهذا هذا، والله أعلم»[(١)].

فالله تعالى فطر القلوب على إثبات علوه عز جل، ولذلك لما تكلم أبو المعالي الجويني في إنكار صفة العلو؛ وقال على المنبر: كان اللهُ ولا عَرْشَ، فقال له أبو جعفر الهمداني: يا أستاذ دَعْنَا مِن ذكر العرش- يعني لأن ذلك إنما جاء في السَّمْعِ- أَخْبِرْنَا عن هذه الضرورة التي نَجِدُهَا في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قَطُّ «**يا الله**» إلا وَجَدَ مِنْ قَلْبِهِ ضَرُورَةً تَطْلُبُ العُلُوَّ، لا تلتفت يَمْنَةً ولا يَسْرَةً، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ قال: فلطم أبو المعالي على رأسه، وقال: حَيَّرَنِي الهمذانيُّ، حَيَّرَنِي الهمدانيُّ، ونزل[(٢)].

فالله سبحانه وتعالى فطر هذه القلوب على إثبات علوه عز وجل فأنت في كل أحوالك إذا سألت الله اتَّجهت إلى جهة واحدة، وهي جهة العلو، فلا تلتفت يمنة ولا يسرة؛ لأن الله سبحانه وتعالى فطر القلوب على معرفته، ومن ذلك جواب الجارية على النبي ﷺ لما سألها الجارية: «**أين الله؟**». فقالت: «**في السَّماء**». فقال ﷺ: «**أَعْتِقها؛ فإنَّها مؤمنة**»[(٣)].

ومن المعلوم أن الفطرة السليمة قد جبلت على الاعتراف بعلو الله سبحانه وتعالى، ويظهر هذا الأمر عندما يجد الإنسـان نفسـه مضـطراً إلى أن يقصـد جهة العلو ولو بالقلب حين الدعاء، وهذا الأمر لا يستطيع الإنسان دفعه عن نفسه فضلاً عن أن يرد على قائله وينكر هذا الأمر عليه.

ومن أجل ذلك لم يجد الجويني -إمام الحرمين-جواباً حين سـأله الهمداني محتجاً عليه بها، فقد ذكر محمد بن طاهر المقدسـي-رحمه الله-«**ت: ٥٠٧ هـ**» أن الشـيخ أبا جعفر الهمداني-رحمه الله-«**ت: ٥٣١ هـ**» حضـر مجلس الاسـتاذ أبا المعالي الجويني المعروف بإمام

(١) «مجموع الفتاوى» «٤/ ٤٥».

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» «٤/٤٤».

(٣) أخرجه مسلم «٥٣٧»، وقد تقدَّم قريبًا.

الحرمين-رحمه الله-«ت: **٤٧٨ هـ**»، وهو يتكلم في نفي صـــفة العلو ويقول: "كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان"، فقال الشـيخ أبو جعفر: "يا أسـتاذ دعنا من ذكر العرش -يعني لأن ذلك إنما جاء في السمع-أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط: يا ألله، إلا وجد من قلبه ضـــرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنه ولا يســره، فكيف تدفع هذه الضرورة على قلوبنا؟

قال: فلطم أبو المعالي على رأسه، وقال: حيرني الهمداني، حيرني الهمداني"[(١)]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: **٧٢٨ هـ**»: "علو الخالق على المخلوق وأنه فوق العالم، أمر مســـتقر في فطر العباد، معلوم لهم بالضــــرورة، كما اتفق عليه جميع الأمم، إقراراً بذلك، وتصــديقاً من غير أن يتواطؤوا على ذلك ويتشــاعروا، وهم يخبرون عن أنفســهم أنهم يجدون التصديق بذلك في فطرهم.

وكذلك هم عندما يضــطرون إلى قصــد الله وإرادته، مثل قصــده عند الدعاء والمســألة، يضطرون إلى توجه قلوبهم إلى العلو، فكما أنهم مضطرون إلى أن يوجهوا قلوبهم إلى العلو إليه، لا يجدون في قلوبهم توجهاً إلى جهة أخرى، ولا استواء الجهات كلها عندها وخلو القلب عن قصد جهة من الجهات، بل يجدون قلوبهم مضطرة إلى أن تقصد جهة علوهم دون غيرها من الجهات.

فهذا يتضــمن بيان اضــطرارهم إلى قصــده في العلو وتوجههم عند دعائه إلى العلو، كما يتضمن فطرتهم على الإقرار بأنه في العلو والتصديق بذلك"[(٢)]

المسألة الخامسة: دلالة العقل على علو الله

وأَمَّا دَلَالَةُ العَقْلِ على إثبات العُلُوِّ لله، فقد قال العَلَّامة ابن عثيمين رحمه الله، فقال: «**وأما العقلُ فقد دَلَّ على وجوب صفة الكمالِ لله تعالى، وتنزيهِه عن النقصِ، والعُلُوُّ صفةُ**

---

(١) مجموع الفتاوى «٤/ ٤٤، ٦١»، وشرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣٢٥-٣٢٦».

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل «٧/ ٥» بتصرف.

كمالٍ، والسُّفْلُ نَقْصٌ، فوجب لله تعالى صفة العلو وتنزيهه عن ضده»[١].

وكذلك العلو ثابت بالعقل، ولذلك يقول الإمام أحمد: «**يقال للجهمي: إنَّ الله إذا كان معنا بعظمة نفسه. فقل له: هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه؟ فإن قال: نعم. فقد زعم أن الله بائن مِن خلقه، وأن خلقه دونه. وإن قال: لا، كفر. وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أنه في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان. فقل له: أليس كان الله ولا شيء؟ فيقول: نعم. فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه، أو خارج عن نفسه؟ فإنه يصير إلى ثلاثة أقاويل لا بد له من واحد منها: إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه، فقد كفر حين زعم أنه خلق الخلق والشياطين وإبليس في نفسه، وإن قال: خلقهم خارجًا من نفسه، ثم دخل فيهم، كان هذا أيضًا كفر، حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش وقذر. وإن قال: خلقهم خارجًا من نفسه، ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله كله أجمع، وهو قول أهل السنة»**[٢].

ونحن نُنَزِّه الله أن يُذكر في الخلاء فضلًا عن أن يكون هو- سبحانه وتعالى- في هذا المكان.

فالله عال على خلقه، مستو على عرشه، بائن من خلقه، وهم بائنون منه.

ومقصود أهل السنة بإثبات صفة العلو: أنه ليس بعد هذا العالم إلا الله.

وإثبات الاستواء جاء في القرآن في سبعة مواضع؛ في ستة مواضع: ﴿ثم استوى على العرش﴾ وفي واحد منها: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾؛ فأخبر باستوائه في هذه المواضع.

وذِكر العرش جاء في واحد وعشرين موضعًا، وهو أكبر مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وأثقلها وزنًا وأعظمها خلقًا، وهو- كما يقولون-: سقف الجَنَّة.

فإثبات العلو والاستواء أمرٌ جاءت به النصوص، ولا تعارض بين نصوص العلو والاستواء ونصوص المعية.

---

(١) «القواعد المثلى» «ص٦٧».

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» «١/ ٤٠».

أما الأدلة العقلية فهي كثيرة وسأورد ههنا ثلاثة منها:

الدليل الأول: قول الإمام أحمد-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»: "إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله تعالى حين زعم أنه في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان

فقل له: أليس كان الله ولا شيء؟

فسيقول: نعم.

فقل له: حين خلق الشيء هل خلقه في نفسه؟ أم خارجاً عن نفسه؟

فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال:

واحد منها: إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه، كفر حين زعم أنه خلق الجن والشياطين وإبليس في نفسه.

وإن قال: خلقهم خارجا عن نفسه ثم دخل فيهم، كان هذا أيضًا كفر حين زعم أنه في كل مكان وحش قذر رديء.

وإن قال: خلقهم خارجاً عن نفسه ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله كله أجمع"(١)

الدليل الثاني: قول ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "إن كل من أقر بوجود رب للعالم مدبر له، لزمه الإقرار بمباينته لخلقه وعلوه عليهم.

فمن أقر بالرب، فإما أن يقر بأن له ذاتاً وماهية مخصوصة أو لا؟

فإن لم يقر بذلك، لم يقر بالرب، فإن رباً لا ذات له ولا ماهية له هو والعدم سواء، وإن أقر بأن له ذاتاً مخصوصة وماهية، فإما أن يقر بتعينها أو يقول إنها غير معينة؟

فإن قيل إنها غير معينة كانت خيالاً في الذهن لا في الخارج، فإنه لا يوجد في الخارج إلا معيناً، لا سيما وتلك الذات أولى من تعيين كل معين فإنه يستحيل وقوع الشركة فيها، وأن يوجد لها نظير، فتعيين ذاته سبحانه واجب.

وإذا أقر بأنها معينة لا كلية، والعالم مشهود معين لا كلي، لزم قطعاً مباينة أحد المتعينين

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية «ص٩٥-٩٦».

للآخر، فإنه إذا لم يباينه لم يعقل تميزه عنه وتعينه.

فإن قيل: هو يتعين بكونه لا داخلاً فيه ولا خارجاً عنه.

قيل: هذا -والله أعلم- حقيقة قولكم، وهو عين المحال، وهو تصريح منكم بأنه لا ذات له ولا ماهية تخصه، فإنه لو كان له ماهية يختص بها لكان تعينها لماهيته وذاته المخصوصة، وأنتم إنما جعلتم تعيينه أمراً عدمياً محضاً ونفياً صرفاً وهو كونه لا داخل العالم ولا خارجا عنه، وهذا التعيين لا يقتضي وجوده مما به يصح على العدم المحض.

وأيضاً فالعدم المحض لا يعين المتعين، فإنه لا شيء وإنما يعينه ذاته المخصوصة وصفاته، فلزم قطعاً من إثبات ذاته تعيين تلك الذات، ومن تعيينها مباينتها للمخلوقات، ومن المباينة العلو عليها لما تقدم من تقريره"[(١)]

الدليل الثالث: أنه قد ثبت بصريح المعقول أن الأمرين المتقابلين إذا كان أحدهما صفة كمال والآخر صفة نقص، فإن الله يوصف بالكمال منهما دون النقص، فلما تقابل الموت والحياة، وصف بالحياة دون الموت، ولما تقابل العلم والجهل، وصف بالعلم دون الجهل، ولما تقابل القدرة والعجز، وصف بالقدرة دون العجز، ولما تقابل المباينة للعالم والمداخلة له، وصف بالمباينة دون المداخلة، وإذا كان مع المباينة لا يخلو إما أن يكون عالياً على العالم أو مسامتا له، وجب أن يوصف بالعلو دون المسامتة، فضلاً عن السفول.

والمنازع يسلم أنه موصوف بعلو المكانة وعلو القهر، وعلو المكانة معناه أنه أكمل من العالم، وعلو القهر مضمونة أنه قادر على العالم، فإذا كان مبايناً للعالم كان من تمام علوه أن يكون فوق العالم، ولا محاذياً له ولا سافلا عنه.

ولما كان العلو صفة كمال، وكان ذلك من لوازم ذاته، فلا يكون مع وجود غيره إلا عالياً عليه، ولا يكون قط غير عالٍ عليه"[(٢)]

---

(١) مختصر الصواعق «١/ ٢٧٩-٢٨٠».

(٢) درء تعارض العقل والنقل «٧/ ٥-٦».

وبهذه النماذج التي أوردناها عن الأدلة العقلية يتضح لنا مدى دلالة المعقول الصريح على إثبات علو الله ومباينته لخلقه وكذلك مدى مخالفة أقوال المعطلة والحلولية لصـــريح المعقول وصحيح المنقول.

المسألة السادسة: الفرق بين العلو والاستواء:

١- العُلُوُّ مِن الصِّفَات المعلومة بالسَّمع مع العقل، وأما الاستواء فمن الصفات المعلومة بالسَّمع دون العقل[١].

٢- أنَّ العُلُوَّ صفةٌ ذاتيةٌ، والاستواء صفة فعلية؛ فالاستواء علو خاص، خَصَّه الله بالعرش.

أما العلو فإنَّ الله سبحانه وتعالى عالٍ على جميع خلقه بما في ذلك العرش الذي خصه الله سبحانه وتعالى بالاستواء عليه.

ومعنى استوى: علا وارتفع.

لأن استوى إمَّا أن تَرِد مُطلقة وإمَّا أن ترد مقيدة، فإذا أطلقت مثل أن تقول: استوى الطعام، أو استوى النبات، والمعنى: كمل وتم.

وإذا قيدت فإمَّا أن تقيد بإلى أو تقيد بعلى أو تقيد بواو «**مع**»، فإذا قيدت بإلى فقد جاءت في القرآن- بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى- في موضعين؛ في قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى الله فسواهن سبع سماوات﴾. وقوله: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾.

وإذا قيدت بإلى فقد قال العلماء في معانيها: إنها بمعنى «**عمد وقصد وأقبل وعلا، وصعد**»، وهي من لوازم علا.

أما إذا قيدت بعلى فليس لها في لغة العرب إلا معنى واحدًا، وهو علا وارتفع، وآيات الاستواء كلها قُيِّدت بعلى: وهي قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾.

أمَّا إذا قيدت بواو «**مع**» فهي تعني المساواة مثل أن تقول: استوى الماء والخشب، أو

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» «٣/٤٩»، «٥/١٢٢، ١٥٢، ٢٢٧».

استوى فلان وفلان في النتيجة، فمعناها المساواة.

والعرب لا تعرف من معاني «**استوى**»: استولى.

فمن فَسَّر استوى بالاستيلاء فليس من لغة العرب في شيء.

المسألة السابعة: الأقوال في صفة العلو

أولًا: قول أهل السنة والجماعة ومن وافقهم.

يؤمن أهل السنة بعلو الله على خلقه واستوائه على عرشه، وأنه بائن من خلقه وهم بائنون منه.

وقد وافقهم على قولهم في إثبات العلو عامة الصفاتية، كأبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**» وأتباعه، وأبي العباس القلانسي-رحمه الله- «**ت: في العشر الثاني من القرن الرابع هـ**»، [١] وأبي الحسن الأشعري-رحمه الله-«**ت: ٣٢٤ هـ**» والمتقدمين من أصحابه.

وهو قول الكرامية ومتقدمي الشيعة الإمامية. [٢]

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات صفة العلو بالقرآن، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة كما تقدم في المسائل الأولى والثانية والثالثة والرابعة.

ثانيًا: أقوال المخالفين في صفة العلو.

القول الأول: قول المعطلة من الفلاسفة [٣]، والجهمية [٤]، والمعتزلة [٥]، ومتأخري

---

[١] قال عنه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري «ص: ٢٩٨»: «أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي، من معاصري أبي الحسن الأشعري رحمه الله لا من تلاميذه، كما قال الأهوازي، وهو من جلة العلماء الكبار الأثبات، واعتقاده موافق لاعتقاده في الإثبات «أي موافق لاعتقاد الأشعري».».

[٢] انظر مجموع الفتاوى «٢/ ٢٩٧»، ونقض تأسيس الجهمية «١/ ١٢٧، «٢/ ١٤».

[٣] النجاة لابن سينا «ص٣٧».

[٤] مجموع الفتاوى «٢/ ٢٩٧-٢٩٨»، «٥/ ١٢٢».

«٣» مجموع الفتاوى «٢/ ٢٩٧-٢٩٨»، «٥/ ١٢٢».

الأشاعرة [(١)]، والقرامطة الباطنية [(٢)].

وهؤلاء جميعًا ينفون علو الله وارتفاعه فوق خلقه، وكل ذلك تحت دعوى التوحيد والتنزيه ونفي التشـــبيه، فهم يزعمون أن إثبات العلو لله تعالى فيه إثبات للجهة، والمحايثة، والحد، والحركة، والانتقال، وهذه الأمور على زعمهم تستلزم، الجسمية، والأجسام، حادثة، والله منزه عن الحوادث فمن أجل ذلك نفوا العلو، وأولوا النصـــوص الثابتة فيه بأن المراد بها علو القهر والغلبة.

وقد انقسم الجهمية المعطلة النافون لعلو الله إلى فريقين في هذه المسألة:

الفريق الأول: وهم الذين يقولون إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ولا هو مباين له ولا محايث له.

وهذا القول هو ما يذهب إليه النظار والمتكلمون من هؤلاء المعطلة، [(٣)] وهم بقولهم هذا قد نفوا الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود منهما، وذلك خشية منهم أن يشبهوا، فهم قالوا بهذه المقالة هرباً منهم –على حد زعمهم–من إثبات الجهة والمكان والحيز، لأن فيها كما يدعون تجسيماً وهو تشبيه، فقالوا: يلزمنا في الوجود ما يلزم مثبتي الصفات فنحن نسد الباب بالكلية.

وقد استـند أصـحاب هذا القول في قولهم هذا على حجج زعموا أنها عقلية أسـسـوها وابتدعوها وجعلوها مقدمة كل نص، وليس لهؤلاء أي دليل من القرآن أو السـنة على صـحة قولهم هذا، وفي ذلك يقول ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وجميع أهل البدع قد يتمسكون بنصوص، كالخوارج والشيعة والقدرية والمرجئة وغيرهم إلا الجهمية، فإنهم ليس معهم

(١) تأويل مشكل الحديث لابن فورك «ص٦٣»، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي «ص: ٢٩، ٣٤».

(٢) درء تعارض العقل والنقل «٥/ ١٧٨»، والقرامطة من الباطنية وهم ينتســبون إلى حمدان بن الأشــعث الذي كان يلقب بقرمطة لقرمطة في خطه أو خَطْوِه، انظر الفرق بين الفرق «ص: ٢٨١، ٢٩٣»، المنتظم لابن الجوزي «٥/ ١١٠، ١١١».

(٣) الرسالة الأضحوية «نقلا عن مختصر الصواعق ١/ ٢٣٧»، والاقتصاد في الاعتقاد «ص: ٣٤»، تأويل مشكل الحديث «ص: ٦٣-٦٤»، مجموع الفتاوى «٢/ ٢٩٧-٢٩٨، ٥/ ١٢٢-١٢٤»، نقض التأسيس «١/ ٦-٧».

عن الأنبياء كلمة واحدة توافق ما يقولونه في النفي"[١]. وسنأتي بعد ذكر القول الثاني إلى ذكر بعض تلك الحجج التي زعمها هؤلاء.

الفريق الثاني: وهم الذين يقولون بأن الله بذاته في كل مكان.

وهذا القول هو ما يذهب إليه النجارية [٢]، وكثير من الجهمية وبخاصة عبادهم وصوفيتهم وعوامهم وأهل المعرفة والتحقيق منهم. [٣]

ويحتج هؤلاء ببعض الحجج العقلية المزعومة بالإضافة إلى بعض الآيات القرآنية الدالة على المعية والقرب.

وقد يجمع كثير من هؤلاء المعطلة بين القولين، فهو في حالة نظره وبحثه يقول بسلب الوصفين المتقابلين كليهما، فيقول لا هو داخل العالم ولا خارجه.

وفي حالة تعبده وتألهه يقول بأنه في كل مكان ولا يخلو منه شيء. [٤]

شبهة المعطلة العقلية:

إن جل ما اعتمد عليه هؤلاء المعطلة من أدلة على نفي صفة العلو وغيرها من الصفات إنما هو عبارة عن حجج عقلية مزعومة ومبتدعة بناها هؤلاء المعطلة على أصول فلسفية كانوا قد تأثروا بها وليس لهؤلاء المعطلة في نفيهم هذا أساس من كتاب الله أو سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وقد جعل هؤلاء المعطلة لتلك الحجج حكم الأمر المحكم الذي يجب اتباعه واعتقاد موجبه

---

(١) مجموع الفتاوى «٥/١٢٢».

(٢) هم أتباع حسين بن محمد بن عبد الله بن النجار، وقد كان أكثر معتزلة الري ومن حولها على مذهبه، وقد نقل الشهرستاني في الملل والنحل «١/ ١١٣-١١٤» عن الكعبي قوله: «إن النجار كان يقول: إن الباري بكل مكان وجودا لا معنى العلم والقدرة».
وانظر مقالات الإسلاميين «١/ ١٣٥-١٣٧، ٢٨٣-٢٨٥»، والفرق بين الفرق «ص: ١٢٦-١٢٧»، وأصول الدين للبغدادي «ص: ٣٣٤»، والتبصير في الدين «ص: ١٠١، ١٠٢، ١٠٣».

(٣) انظر نقض التأسيس «١/ ٧».

(٤) انظر نقض التأسيس «١/ ٧».

والتسليم به، وقد بلغ من تقديسهم لها أنهم جعلوها مقدمة على الكتاب والسنة فإذا ورد النص من الكتاب أو السنة عرضوه على تلك الأسس العقلية، فإن وافقها احتجوا به اعتضادا لا اعتمادا، وإن خالفها فهم يحرفون الكلم عن مواضعه فيؤولون نصوص القرآن ويطعنون في نصوص السنة، وكل ذلك تحت دعوى التنزيه والتوحيد ونفي التشبيه.

وقد أفرط هؤلاء المعطلة في هذا الجانب –أي جانب نفي التشبيه–فجعلوا من قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١] جنة يتترسون بها لنفي علو الله سبحانه فوق عرشه وتكليمه لرسله وإثبات صفات كماله، وغير ذلك مما أخبر الله به عن نفسه، أو أخبر به رسوله–صلى الله عليه وسلم–، حتى إنه قد آل ببعض هؤلاء المعطلة إلى نفي ذاته خشية التشبيه فقالوا: هو وجود محض لا ماهية له، ونفى آخرون وجوده بالكلية خشية التشبيه –على حد زعمهم–حيث قالوا: يلزمنا في الوجود ما يلزم مثبتي الصفات والكلام والعلو فنحن نسد الباب بالكلية.[١]

وسوف نتعرض لبعض أسس تلك الشبه العقلية المزعومة التي جعلها هؤلاء المعطلة مستندا لهم في نفي صفة العلو وغيرها من الصفات، ونبين ما فيها من مخالفة لكتاب الله وسنة نبيه محمد–صلى الله عليه وسلم–مع بيان ما في تلك الأسس من تناقض وبخاصة من الناحية العقلية.

ونظراً لتعدد مذاهب المعطلة واختلاف بعضها عن بعض في القول والرأي، فسوف نعرض شبهة كل فرقة من الفرق السابقة الذكر على حدة فنبدأ أولاً بـ:

١. شبهة الفلاسفة[٢]:

الفلاسفة ينفون صفة العلو وباقي صفات الباري عز وجل –كما سبق وأن ذكرنا–تحت دعوى التوحيد والتنزيه عن مشابهة المخلوقين، فابن سينا «**ت: ٤٢٧ هـ**» يقول: "إن واجب

---

(١) مختصر الصواعق «١/ ٢٨٥».

(٢) أقصد بهم الفلاسفة المنتسبين للمسلمين كابن سينا والفارابي.

الوجود بذاته واحد بسيط لا تكثر فيه بوجه من الوجوه فهو ليس بجسم ولا صورة جسم ولا مادة معقولة لصورة معقولة، ولا صورة معقولة في مادة معقولة، ولا له قسمة في الكلم ولا في المبادئ المقومة له، ولا في قول الشارح ولا غير ذلك مما ينافي وحدة واجب الوجود وبساطته المطلقة"[١]

والمتأمل لهذه العبارات التي أوردها ابن سينا يعرف أنها إنما هي مجرد اصطلاحات اصطلحها هو وأمثاله من الفلاسفة الذين تأثروا بفلسفة اليونان، فجعلوا من تلك العبارات المبتدعة ما أسموه بالتوحيد، وادعوا أن ما تضمنته هو التنزيه، مع أنها في الحقيقة متضمنة لنفي جميع الصفات بما فيها العلو والاستواء، فقوله: "إن واجب الوجود بذاته واحد بسيط لا تكثر فيه بوجه من الوجوه"، يعني به أنه ليس لله تعالى صفة ولا قدر، لأن ذلك على رأيه يستلزم التجسيم والتجزئة والتركيب فيلزم نفيه، لأنه يلزم من ذلك الحدوث والافتقار وذلك ينافي واجب الوجود.

فابن سينا وأمثاله من الفلاسفة يعتمدون في نفي الصفات على حجة التركيب والتي هي: "أنه لو كان له صفة لكان مركباً والمركب يفتقر إلى جزئيه وجزءاه غيره والمفتقر إلى غيره لا يكون واجباً بنفسه"، وهم بهذا الكلام تجدهم قد نفوا صفات الباري جميعها.

ولو توقفنا عند العبارة السابقة وهي قوله: "أن واجب الوجود بذاته واحد بسيط ..."، من أجل بيان ما فيها من مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وحتى مخالفتها للعقل الذي يقدمه هؤلاء على كل شيء.

لوجدنا هذه العبارة هي تفسير للواحد بما لا أصل له في الكتاب أو السنة، بل هو تفسير باطل شرعاً وعقلاً ولغة.

أما في اللغة:

فإن أهل اللغة مطبقون على أن هذا القول ليس هو معنى الواحد في اللغة، إذ القرآن ونحوه

---

(١) النجاة لابن سينا «ص: ٣٧».

من الكلام العربي متطابق على ما هو معلوم بالاضطرار في لغة العرب وسائر اللغات أنهم يصفون كثيراً من المخلوقات بأنه واحد ويكون ذلك جسماً، إذ المخلوقات إما أجسام وإما أعراض عند من يجعلها غيرها أو زائدة عليها.

وإذا كان أهل اللغة متفقين على تسمية الجسم الواحد واحداً، امتنع أن يكون في اللغة معنى الواحد الذي لا ينقسم إذا أريد بذلك أنه ليس بجسم وأنه لا يشار إلى شيء منه دون شيء، ولا يوجد في اللغة اسم الواحد الاعلى ذي صفة ومقدار لقوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: الآية: ١]، ومعلوم أن النفس الواحدة المراد بها هنا آدم عليه السلام، وحواء خلقت من ضلع آدم، فمن جسده خلقت لا من روحه حتى لا يقول القائل: الوحدة هي باعتبار النفس الناطقة التي لا تركيب فيها، وإذا كانت حواء خلقت من جسد آدم، وجسد آدم جسم من الأجسام التي سماها الله نفساً واحدة علم أن الجسم قد يوصف بالوحدة، وأبلغ من ذلك ما ذكره الإمام أحمد وغيره من قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: الآية: ١١]، فإن الوحيد مبالغة في الواحد فإذا وصف البشر الواحد بأنه وحيد في صفة فإنه واحد من باب أولى، ومع هذا فهو جسم من الأجسام.

وأما في العقل:

فإن الواحد الذي وصفوه يقول لهم فيه أكثر العقلاء وأهل الفطر السليمة إنه أمر لا يعقل، ولا له وجود في الخارج، وإنما هو أمر مقدر في الذهن، فليس في الخارج شيء موجود لا يكون له صفات ولا قدر ولا يتميز من شيء عن شيء بحيث يمكن أن يرى ولا يدرك ولا يحاط به وإن سماه المسمى جسماً.

وأما في الشرع:

فنقول إن مقصود المسلمين أن الأسماء المذكورة في القرآن والسنة وكلام المؤمنين المتفق عليه بمدح أو ذم، تعرف مسميات تلك الأسماء حتى يعطوها حقها، ومن المعلوم بالاضطرار أن اسم «**الواحد**» في كلام الله لم يقصد به سلب الصفات وسلب إدراكه بالحواس ولا نفي الحد

والقدر ونحو ذلك من المعاني التي ابتدعها هؤلاء.[(١)]

وأما حجة التركيب التي اعتمد عليها هؤلاء الفلاسفة في نفي الصفات وهي قولهم: "إنه لو كان صفة لكان مركبا والمركب يفتقر إلى جزئية وجزءاه غيره، والمفتقر إلى غيره لا يكون واجباً بنفسه" فهي تتكون من ألفاظ مجملة بمعنى أن كل لفظة منها تحتمل عدة معان فلا بد من توضيح المراد من كل لفظ أولاً حتى يتكلم فيه.

فلفظ "المركب" مثلًا: قد يراد به ما ركبه غيره، أو ما كان مفترقًا فاجتمع، أو ما يقبل التفريق، والله منزه عن هذه المعاني باتفاق.

وأما الذات الموصوفة بصفاتها اللازمة لها فإذا سميتم هذا تركيباً كان ذلك اصطلاحًا لكم، وليس هو المفهوم من لفظ المركب ولن تستطيعوا أيها الفلاسفة إقامة الدليل على نفيه.

وأما قولهم: "لكان مركبًا" فإن أرادوا لكان غيره ركبه، أو لكان مجتمعًا بعد افتراقه، أو لكان قابلًا للتفريق. فاللازم باطل فإن الكلام إنما هو في الصفات اللازمة للموصوف الذي يمتنع وجوده بدونها.

وإن أراد بالمركب الموصوف أو ما يشبه ذلك فلِما قالوا إن ذلك يمتنع.

وأما قولهم "والمركب مفتقر إلى غيره" فالجواب عنه: أما المركب بالتفسير الأول فهو مفتقر إلى ما يباينه وهذا ممتنع على الله تعالى.

وأما الموصوف بصفات الكمال اللازمة لذاته الذي سميتموه أنتم مركباً فليس في اتصافه هذا ما يوجب كونه مفتقراً إلى مباين له.

وإن قالوا: هي غيره وهو لا يوجد إلا بها وهذا افتقار إليها، قيل لهم: إن أرادوا بقولهم هي غيره أنها مباينة له فذلك باطل.

وإن أرادوا أنها ليست إياه، قيل لهم: إذا لم تكن الصفة هي الموصوف فأي محذور في هذا.

وإذا قالوا: هو مفتقر إليها، قيل: أتريدون بالافتقار أنه مفتقر إلى فاعل يفعله أو محل

---

(١) انظر: نقض التأسيس «١/ ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٨».

يقبله، أم تريدون أنه مستلزم لها فلا يكون موجوداً إلا وهو متصف بها.

أما الثاني فأي محذور فيه، وأما الأول فباطل إذ الصفة اللازمة للموصوف لا يكون فاعلاً لها. [(١)]

أما قولهم: "أنه لو كان صفة لكان مركباً والمركب مفتقر إلى جزئية"، فهذا القول لا يتم إلا عند من يثبت الجوهر الفرد، أما نفاته فعندهم أن الجسم في نفسه واحد بسيط ليس مركباً من الجواهر المنفردة، وهذه المسألة خلافية قد توقف فيها أذكى المتأخرين من الأشعرية وإمامهم أبو المعالي الجويني وكذلك أذكى متأخري المعتزلة أبو الحسين البصري وكذلك الرازي فهي مقدمة ممنوعة لا تصلح دليلًا لوجود النزاع فيها حتى بين الفلاسفة أنفسهم. [(٢)]

٢. شبهة المعتزلة:

وأما شبهة المعتزلة التي اعتمدوا عليها في نفي صفات الباري-عز وجل-بما فيها صفة العلو فهي ما تسمى بطريقة الأعراض، ذلك أنهم يزعمون أن الصفات إنما هي أعراض، والأعراض لا تقوم إلا بجسم، والأجسام حادثة، والله منزه عن الحوادث، ومن أجل ذلك كان قول المعتزلة في الله: إنه قديم واحد ليس معه في القدم غيره، فلو قامت به الصفات لكان معه غيره. [(٣)] ولكان جسمًا إذ أن ثبوت الصفات يقتضي كثرة وتعددًا في ذاته ويقتضي أنه جسم وذلك خلاف التوحيد.

فهم يزعمون أن توحيد الله وتنزيهه متوقف على أنه ليس بجسم، وكونه ليس بجسم موقوف على عدم قيام الأعراض والحوادث به التي هي الصفات والأفعال، ونفي ذلك عندهم موقوف على ما يدل عليه حدوث الأجسام، والذي دلهم على حدوث الاجسام أنها لا تخلو من

---

(١) انظر منهاج السنة «١/ ١٨٨-١٩٠»، بتصرف.

(٢) نقض التأسيس «١/٤٩٥-٤٩٦».

(٣) بالإضافة إلى زعم المعتزلة أن الصفات لا تقوم إلا بأجسام، فهم أيضًا يزعمون أن في إثبات الصفات قول بكثرة وتعدد ذات الله، لأنهم يقولون: "إن من أثبت لله صفة أزلية قديمة فقد أثبت إلهين"، كما اعتقدوا أن الصفات لو شاركته في القدم لشاركته في الألوهية. انظر الملل للشهرستاني «١/ ٤٤-٤٦»، مقالات الإسلاميين «١/ ٢٤٥»، منهاج السنة «٢/ ١٦٩».

الحوادث، وما لا يخلو عن الحوادث لا يسبقها، وما لا يسبق الحوادث فهو حادث.

ويزعمون أيضاً أن الأجسام لا تخلو من الأعراض، والأعراض لا تبقى زمانين فهي حادثة، فإذا لم تخل الأجسام منها لزم حدوثها.

ويزعمون أيضاً أن الاجسام مركبة من الجواهر المفردة، والمركب مفتقر إلى جزئية وجزءاه غيره، وما افتقر إلى غيره لم يكن إلا حادثًا مخلوقًا، فالأجسام متماثلة فكل ما صح على بعضها صح على جميعها، وقد صح على بعضها التحليل والتركيب والاجتماع والافتراق فيجب أن يصح على جميعها.[(١)]

والمعتزلة يقولون إننا بهذا الطريق أثبتنا حدوث العالم ونفي كون الصانع جسمًا وإمكان المعاد.

الرد عليهم:

مما تقدم نعلم أن المعتزلة إنما بنوا دليلهم في نفي الصفات على أن القديم لا يكون محلا للصفات والحركات فلا يكون جسمًا ولا محيزًا لأن الصفات أعراض وهم يستدلون على حدوث الجسم بحدوث الأعراض والحركات، وأن الجسم لا يخلو منها، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

فهم بهذا القول نفوا صفات الباري وجعلوا نفيها يتوقف عليه ثبوت الصانع وحدوث العالم، فإذا جاء في القرآن والسنة ما يدل على إثبات الصفات لم يمكن القول بموجبه.

والمتدبر لحجج المعتزلة يرى فيها الأمور التالية:

أولاً: أنهم يستدلون لأقوالهم بعبارات مبتدعة وفيها الكثير من الاشتباه والاجمال، وذلك كلفظ العرش والجسم والحيز والمركب وغير ذلك، فهم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ليخدعوا به جهال الناس بما يشبهون عليهم، وهذه الألفاظ المجملة تتضمن معاني باطلة ومعاني أخرى صحيحة فهم بهذا ينفون كلا المعنيين الحق والباطل.

---

(١) انظر مختصر الصواعق «١/ ٢٥٤».

وقد بين ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**» ما في هذه الألفاظ من معانٍ، وما تدل عليه من عبارات [(١)]، وكيف استعملها هؤلاء المعطلة في نفي صفات الباري-عز وجل-حيث ادعوا أن هذه الأمور من مستلزمات الجسمية، والله منزه من ذلك، وقد بين ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**» أن استعمال هذه الألفاظ نفيًا وإثباتًا لم يرد عن السلف ولا جاء به أثر صحيح ولم يستعملها الأقدمون بالمعنى الاصطلاحي الذي اتفق عليه هؤلاء، بل جميعهم معترفون بأن العلو صفة كمال كما أن السفل صفة نقص، وما ثبت لله من العلو فهو العلو المناسب لكمال ذاته المنزهة عن اعتبارات المحدثين ومماثلتهم.

ومعلوم أن القول بأن العلو يستلزم هذه المعاني المبهمة إنما هو مأخوذ من قياس الغائب على الشاهد، ومحاولة تطبيق الاعتبارات الإنسانية على الصفات الإلهية، وهذا قياس خاطئ إذ ليس معنى كونه في السماء أن السماء تحويه وتحيط به وتحصره، أو هي محل وظرف له، بل هو سبحانه محيط بكل شيء وسع كرسيه السماوات والأرض، وهو فوق كل شيء، وعالٍ على كل شيء. [(٢)]

ثانيا: أن ما استدل به المعتزلة لا أصل له من الكتاب أو السنة، بل هو مأخوذ من كلام الفلاسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً ليس بعالم ولا قادر ولا حي. [(٣)]

كما أن مذهب المعتزلة في الذات قريب من مذهب اليونان القائلين بأن ذات الله واحدة لا كثرة فيها بوجه من الوجوه. [(٤)]

ثالثاً: أن أصل هذه القاعدة التي اعتمد عليها المعتزلة في نفي الصفات إنما هي مأخوذة

---

(١) انظر شرح ابن تيمية لهذه العبارات في نقض التأسيس الجهمية «١/ ٥٠٤، ٥١١»، وفي مجموع الفتاوى «٥/ ٤١٨-٤٣٠».

(٢) انظر كتاب موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من قضية التأويل «ص: ٣٨١-٣٨٥».

(٣) مقالات الإسلاميين «٢/ ١٧٧»، وموقف المعتزلة من السنة النبوية «ص: ٥٣».

(٤) موقف المعتزلة من السنة النبوية «ص: ٥٣».

من قولهم في دليل حدوث العالم [١] الذي أثبتوا فيه حدوث العالم بحدوث الأجســـام، وهذا الدليل قد بين الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر: أنه دليل محرم في شرائع الأنبياء، ولم يستدل به أحد من الرسـل ولا أتباعهم [٢]، فهي بهذا طريق يحرم سـلوكها لما فيها من الخطر والتطويل وما يلزم عليها من لوازم باطلة لأنها مستلزمة لنفي الصانع بالكلية، وهي مستلزمة لنفي صفاته ونفي أفعاله ونفي المبدأ والمعاد، فهذه الطريق لا تتم إلا بنفي سمع الرب وبصره وقدرته وحياته وإرادته وكلامه فضـلًا عن نفي علوه على خلقه ونفي الصـفات الخبرية من أولها إلى آخرها، فلو صـحت هذه الطريقة لنفت الصـانع وأفعاله وصـفاته وكلامه وخلقه للعالم وتدبيره له، وما يثبته أصـــحاب هذه الطريقة من ذلك لا حقيقة له بل هو لفظ لا معنى له، وأن الله بذاته في كل مكان، وقال إخوانهم إنه ليس داخل العالم ولا خارج العالم، وقالوا بخلق القرآن إلى غير ذلك من اللوازم الباطلة. [٣]

٣. شبه متأخري الأشاعرة:

وهم أيضًـا ينفون صـفة العلو لأنها من الصـفات الخبرية [٤]، ومعلوم أن مذهب متأخري الأشـاعرة في الصـفات أنهم يثبتون سبع صفات فقط وهي ما يسـمونها بصـفات المعاني وهي العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام، وهم يثبتون لهذه الصفات أربعة أحكام هي:

١ـــ أن هذه الصفات ليست هي الذات، بل زائدة عليها فصانع العالم عندهم عالم بعلم وحي بحياة وقادر وهكذا.

---

(١) انظر الكلام على دليل حدوث العالم في مجموع الفتاوى «١٣/ ١٥٣».

(٢) انظر كتاب رسالة إلى أهل الثغر «ص: ١٦٤-١٧٢» تحقيق عبد الله شاكر الجنيدي، رسالة ماجستير من قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية.

(٣) مختصر الصواعق «١/ ٢٥٧،٢٥٦»، ودرء تعارض العقل والنقل «١/ ٣٨-٤٠».

(٤) الصـفات الخبرية وتسـمى الصـفات السـمعية وهي: ما كان الدليل عليها مجرد خبر الرسـول دون استناد إلى نظر عقلي كالاستواء والنزول والمجيء وغير ذلك.

٢ـــ أن هذه الصفات كلها قائمة بذات الله تعالى ولا يجوز أن يقوم شيء منها بغير ذاته لأن الدليل دل على أنه متصف بها ولا معنى لاتصافه بها إلا قيامها بذاته، حتى لو قلنا، إنه عالم كان هو بعينه مفهوم قولنا قام بذاته علم فلا تكون الصفة لشيء إلا إذا قامت به لا بغيره.

٣ـــ أن هذه الصفات كلها قديمة لأنها إن كانت حادثة كان القديم محلاً للحوادث وهذا محال، أو متصف بصفة لا تقوم به وذلك أظهر استحالة.

٤ـــ أن الأسماء المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبع صادقة عليه أزلًا وأبدًا فهو في القدم كان حيًا قادرًا عليمًا سميعًا بصيرًا متكلمًا. [(١)]

فهم على قولهم هذا لا يثبتون سوى هذه الصفات السبع فقط لأنها قديمة.

أما باقي الصفات التي يسمونها الصفات الخبرية فهم ينفونها جميعها، بدعوى تنزيه ذات الله عن الحوادث.

ومتأخرو الأشاعرة هؤلاء وإن كانوا يخالفون المعتزلة في جعلهم الصفة غير الذات كما في الحكم الأول فيثبتون الصفات القديمة من هذا الباب، إلا أنهم قد وافقوا المعتزلة في دليلهم المسمى بدليل نفي الحوادث فنفوا باقي الصفات الأخرى، ذلك لأن قولهم في الحكم الثالث من الأحكام الأربعة التي أوردناها إنها لو كانت حادثة لكان القديم محلا للحوادث، هو بعينه ما استدل به المعتزلة على نفي الصفات. [(٢)]

ويقول متأخرو الأشاعرة في دليلهم العقلي على نفي العلو إن إثبات العلو يقتضي إثبات الجهة وإثبات الجهة، يقتضي كونه جسمًا، وكونه جسمًا يقتضي كونه مركبًا، والمركب مفتقر إلى جزئيه، والمفتقر إلى جزئيه لا يكون إلا حادثًا والله سبحانه منزه عن الحوادث. [(٣)]

---

(١) انظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي «ص: ٨٤-١٠١»، بتصرف.

(٢) مختصر الصواعق «١/ ٢٥٥».

(٣) نقض التأسيس «١/ ٥٠٣».

فعلى قولهم هذا يكونون هم والمعتزلة على دليل واحد، وقد سبق وأن ذكرنا الرد على المعتزلة فيكون الرد على هؤلاء من جنس الرد على أولئك، ويضاف إلى ذلك أن القول في الصفات التي نفاها هؤلاء هو كالقول في الصفات التي أثبتوها فإن كان هذا تجسيماً وقولا باطلاً فهذا كذلك. وإن قالوا: إن إثباتها على الوجه الذي يليق بالرب. قيل لهم: وكذلك هذا. فإن قالوا: نحن نثبت تلك الصفات وننفي التجسيم. قيل لهم: وهذا كذلك، فليس لكم أن تفرقوا بين المتماثلين. [١]

(١) مجموع الفتاوى «١٣/ ١٦٥».

٥١- لا يلزم من معيته سبحانه اختلاطه بخلقه

[٥١]- قال المصنف رحمه الله: وليس معنى قولِهِ: ﴿وهو معكم﴾: أَنَّهُ مُختلطٌ بالخلقِ؛ فإنَّ هذا لا تُوجِبُهُ اللُّغة، وهوَ خلافُ ما أجمعَ عليهِ سلفُ الأمَّةِ، وخِلَافُ ما فَطَرَ اللهُ عليهِ الخلقَ، بلِ القمرُ آيةٌ من آياتِ اللهِ مِن أَصْغَرِ مَخلوقاتِهِ، وهو موضوعٌ فِي السَّماءِ، وهوَ معَ المسافرِ وغيرِ المسافرِ أينما كانَ، وهوَ- سبحانه- فوقَ عرشِهِ، رَقيبٌ على خلقِهِ، مهيمنٌ عليهم، مُطَّلِعٌ عليهم، إِلَى غيرِ ذلكَ مِن مَعاني رُبوبيتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ؛ مِنْ: أَنَّهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَأَنَّهُ مَعَنَا- حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الكَاذِبَة؛ مِثْل أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿في السماء﴾ أَنَّ السَّمَاءَ تُقِلُّهُ، أَوْ تُظِلُّهُ؛ وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلمِ وَالإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَد ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾[البقرة: ٢٥٥]، وَهُوَ الَّذِي ﴿يمسك السماوات والأرض أن تزولا﴾ [فاطر: ٤١]،﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾ [الحج: ٦٥]، ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ [الروم: ٢٥]

الشرح

أقوال الناس في صفة المعية

من المعلوم أن لمسألة المعية اتصالها الوثيق بمسألة العلو، فما نشأ من أقوال في مسألة العلو ترتب عليها في المقابل أقوال من جنسها في مسألة المعية.

وقد افترق الناس في هذا المقام على أربعة أقوال هي:

القول الأول: قول أهل السنة والجماعة

أثبتوا علو الله على خلقه وأنه مستو على عرشه بائن من خلقه وهم بائنون منه

وقالوا إن معية الله المقصود منها أن الله عالم بخلقه مطلع عليهم لا يخفى عليه شيء من أمرهم.

"وهم بهذا أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة، من غير تحريف للكلم عن مواضعه، أثبتوا أن الله فوق سمواته على عرشه؛ بائن من خلقه وهم بائنون منه.

وهو أيضاً مع العباد عموماً بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية، وهو أيضاً قريب مجيب؛ ففي آية النجوى دلالة على أنه عالم بهم"[١].

القول الثاني: قول معطلة الجهمية ونفاتهم.

وهم الذين يقولون: لا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا مباين له، ولا محايث له؛ وهم بقولهم هذا قد نفوا الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود منهما[٢]، وبالغوا في نفي التشبيه؛ حتى أدى بهم ذلك إلى نفي وجوده بالكلية، وذلك خشية منهم أن يشبهوه، فهم قالوا بهذه المقالة هرباً منهم -على حد زعمهم- من إثبات الجهة، والمكان، والحيِّز؛ فإن فيها كما يدَّعون تجسيماً، وهو تشبيه، فقالوا: يلزمنا في الوجود ما يلزم مثبتي الصفات، فنحن نسد الباب بالكلية.

وقد استند أصحاب هذا القول في قولهم هذا على حجج، زعموا أنها عقلية، أسسوها وابتدعوها وجعلوها مقدمة على كل نص، وليس لهؤلاء أي دليل من القرآن أو السنة على صحة قولهم هذا، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وجميع أهل البدع قد يتمسكون بنصوص، كالخوارج، والشيعة، والقدرية، والمرجئة، وغيرهم، إلا الجهمية، فإنهم ليس معهم عن الأنبياء كلمة واحدة توافق ما يقولونه في النفي"[٣].

القول الثالث: قول حلولية الجهمية.

وهم الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان

وهذا قول النجارية[٤]، وكثير من الجهمية عبَّادهم، وصوفيتهم، وعوامهم.

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/١٢٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٥ / ١٢٢

(٣) مجموع الفتاوى ٥/١٢٢.

(٤) هم أتباع حسين بن محمد بن عبد الله بن النجار، وقد كان أكثر معتزلة الري ومن حولها على مذهبه، وقد نقل الشهرستاني في "الملل والنحل" «١/١١٣، ١١٤» عن الكعبي قوله: «إن النجار كان يقول: إن البارئ بكل مكان وجوداً، لا على معنى العلم والقدرة» انظر:

=

ويقولون: إنه عين وجود المخلوقات. كما يقوله أهل وحدة الوجود القائلون بأن الوجود واحد، ومن يكون قوله مركباً من الحلول والاتحاد.

وهم يحتجون بنصوص المعية والقرب ويتأولون نصوص العلو والاستواء، وكل نص يحتجون به حجة عليهم(١).

واحتجوا لقولهم هذا بنصوص "المعية" و"القرب" الواردة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[المجادلة: الآية ٧] ، وقوله تعالى ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾[النساء: الآية: ١٠٨] وقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[التوبة الآية ٤٠]، وقوله تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: الآية ٤٠]، وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق: الآية: ١٦]، وقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[الزخرف: الآية: ٨٤]، وقوله تعالى ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ [الأنعام : الآية٢].

وقد زعم حلولية الجهمية أن المراد بهذه النصوص معية الذات وقرب الذات، فلذلك قالوا: إن الله بذاته في كل مكان.

الرد عليهم:

قد أبطل علماء السلف زعم هؤلاء الجهمية واستدلالهم بهذه الآيات وبينوا أن كل نص

مقالات الإسلاميين ١/١٣٥-١٣٧، ٢٨٣-٢٨٥، والفرق بين الفرق ص١٢٦، ١٢٧، وأصول الدين للبغدادي ص٣٣٤، والتبصير في الدين ص١٠١، ١٠٢، ١٠٣.

(١) مجموع الفتاوى ٥ / ١٢٣.

يحتجون به هو في الحقيقة حجة عليهم، فنصوص المعية التي استدلوا بها لا تدل بأي حال من الأحوال على ما زعمه هؤلاء، وذلك لأن كلمة «**مع**» في لغة العرب لا تقتضي أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر، وهي إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى.

استعمالات لفظ المعية في الكتاب والسُّنة:

لفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع واقتضت في كل موضع أموراً لم تقتضيها في الموضع الآخر، وذلك بحسب اختلاف دلالتها في كل موضع وهي قد وردت في القرآن بمعنين هما:

المعنى الأول: المعية العامة

والمراد بها أن الله معنا بعلمه، فهو مطلع على خلقه شهيد عليهم، ومهيمن وعالم بهم، وهذه المعية هي المرادة بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: الآية: ٧].

فالله سبحانه وتعالى قد افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم ولذلك أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم تفسير القرآن على أن تفسير الآية هو أنه معهم بعلمه، وقد نقل هذا الإجماع ابن عبد البر -رحمه الله- «**ت: ٤٦٣ هـ**»[(١)]، وأبو عمرو الطلمنكي -رحمه الله- «**ت: ٤٢٩ هـ**»، وابن تيمية -رحمه الله- «**ت: ٧٢٨ هـ**»[(٢)]، وابن القيم -رحمه الله- «**ت:**

---

(١) التمهيد «٧/ ١٣٨».

(٢) مجموع الفتاوى «٥/ ١٩٣»، و«٥/ ٥١٩»، و«١١/ ٢٤٩-٢٥٠».

٧٥١ هـ»[١].

قال أبو عمر بن عبد البر-رحمه الله-«**ت: ٤٦٣ هـ**»: "إن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله"[٢]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**» بعد أن نقل كلام ابن عبد البر هذا وأقره-: "فهذا ما تلقاه الخلف عن السلف إذ لم ينقل عنهم غير ذلك، إذ هو الحق الظاهر الذي دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية". اهـ [٣]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا: هو معهم بعلمه. وقد ذكر ابن عبد البر وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولم يخالفهم فيه أحد يعتد بقوله، وهو مأثور عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**»، والضحاك-رحمه الله-«**ت: ٦٤ هـ**»، ومقاتل بن حيان-رحمه الله-«**ت: ١٥٠ هـ**»، وسفيان الثوري-رحمه الله-«**ت: ١٦١ هـ**»، وأحمد بن حنبل-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»، وغيرهم.

ثم ذكر الشيخ ما رواه ابن أبي حاتم-رحمه الله-«**ت: ٣٢٧ هـ**» في تفسيره عن ابن عباس-رضي الله عنهما-في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾، قال: هو على العرش، وعلمه معهم. وروى-أيضا-عن سفيان الثوري أنه قال: علمه معهم. وروى-أيضا-عن الضحاك بن مزاحم في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ قال: هو على العرش، وعلمه معهم.

وقال أبو عمرو الطلمنكي-رحمه الله-«**ت: ٤٢٩ هـ**»: وأجمعوا-يعني أهل السنة

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية «ص: ٤٤».
(٢) كتاب "التمهيد" «٧/ ١٣٨».
(٣) "مجموع الفتاوى" «٥/ ١٩٣».

والجماعة-على أن لله عرشًـا، وعلى أنه مسـتو على عرشـه، وعلمه وقدرته وتدبيره بكل ما خلقه قال: فأجمع المسـلمون من أهل السـنة على أن معنى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ونحو ذلك في القرآن أن ذلك علمه وأن الله فوق السماوات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء"(١)

وعلى هذا فلا حجة للمخالفين في ظاهر هذه الآية.

وكذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْـتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّـمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: الآية: ٤].

فظاهر الآية دال على أن المراد بهذه المعية هو علم الله تبارك وتعالى واطلاعه على خلقه، فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية بأنه فوق العرش يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا، فجمع تعالى في هذه الآية بين العلو والمعية، فليس بين الاثنين تناقض البتة، وهو كقوله-صـلى الله عليه وسلم-في حديث الأوعال: «**والله فوق العرش يعلم ما أنتم عليه**».

المعنى الثاني: المعية الخاصة

وهي معية الاطلاع والنصـرة والتأييد، وسميت خاصـة لأنها تخص أنبياء الله وأولياءه مثل قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: الآية: ٤٠]، وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: الآية: ١٢٨].

فهذه المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد.

ولفظ المعية على كلا الاسـتعمالين ليس مقتضـاه أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق، ولو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان لتناقض الخبر العام والخبر الخاص، ولكن المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك. (٢)

وأما اسـتدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَـانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْـوِسُ بِهِ نَفْسُـهُ ۖ وَنَحْنُ

(١) انظر: "مجموع الفتاوى": «٥/ ٥١٩».

(٢) مجموع الفتاوى «١١/ ٢٥٠»، و«٥/ ١٠٤».

أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: الآية: ١٦]، فقد أجاب عنه ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**» بقوله: "إن هذه الآية لا تخلوا من أن يراد بها قربه سبحانه أو قرب ملائكته كما قد اختلف الناس في ذلك

فإن أريد بها قرب الملائكة: فدليل ذلك من الآية قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: الآيات: ١٦-١٧]، ففسر ذلك القرب الذي هو حين يتلقى المتلقيان، فيكون الله سبحانه قد أخبر بعلمه هو سبحانه بما في نفس الإنسان، ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ وأخبر بقرب الملائكة الكرام الكاتبين منه، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ وعلى هذا التفسير تكون هذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٠].

أما إذا كان المراد بالقرب في الآية قربه سبحانه، فإن ظاهر السياق في الآية دل على أن المراد بقربه هنا قربه بعلمه، وذلك لورود لفظ العلم في سياق الآية ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾"(١)

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٤]، فمعنى الآية: أي هو إله من في السماوات وإله من في الأرض، قال ابن عبد البر-رحمه الله-«**ت: ٤٦٣ هـ**»: "فوجب حمل هذه الآية على المعنى الصحيح المجتمع عليه، وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء، وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض، وكذلك قال أهل العلم بالتفسير"(٢)

وقال الآجري-رحمه الله-«**ت: ٣٦٠ هـ**»: "وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٤]، فمعناه: أنه جل ذكره إله من في السماوات وإله

---

(١) الفتاوى «٦/ ١٩-٢٠».

(٢) التمهيد «٧/ ١٣٤».

من في الأرض، وهو الإله يعبد في الســـماوات، وهو الإله يعبد في الأرض، هكذا فســـره العلماء"[١]

وروى الآجري-رحمه الله-«ت: ٣٦٠ هـ» بسـنده في تفسـيره هذه الآية عن قتادة-رحمه الله-«ت: ١١٨ هـ»، قوله: "هو إله يعبد في السماء، وإله يعبد في الأرض"[٢]

وأما اسـتدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّـمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية: ٣]، فقد فسرها أئمة العلم كالإمام أحمد وغيره أنه المعبود في السماوات والأرض. [٣]

وقال الآجري-رحمه الله-«ت: ٣٦٠ هـ»: "وعند أهل العلم من أهل الحق ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّـمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِـرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِـبُونَ﴾ [الأنعام: الآية: ٣]، هو كما قال الحق ﴿يَعْلَمُ سِـرَّكُمْ﴾ فما جاءت به الســنن أن الله عز وجل على عرشــه، وعلمه محيط بجميع خلقه، يعلم ما تسرون وما تعلنون، ويعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون"[٤]

القول الرابع: قول طوائف من أهل الكلام والتصوف.

ويقولون إن الله بذاته فوق العرش وهو بذاته في كل مكان وهؤلاء يقولون: إنا نقر بهذه النصوص ولا نصرف واحداً منها عن ظاهره؛ وهذا قول طوائف ذكرهم الأشعري في مقالات الإسلاميين، وهو موجود في كلام طائفة من السَّالمية والصوفية، ويشبه هذا ما في كلام أبي طالب المكي، وابن برجان وغيرهما، مع ما في كلام أكثرهم من التناقض.

وهذا الصنف وإن كان أقرب إلى التمسك بالنصوص، وأبعد عن مخالفتها من الصنفين الثاني والثالث، فإن الصنف الثاني لم يتبع شيئاً من النصوص بل خالفها كلها. والصنف الثالث

---

(١) الشريعة «٣/ ١١٠٤».

(٢) الشريعة «٣/ ١١٠٤-١١٠٥».

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد «ص: ٩٢-٩٣»، ومجموع الفتاوى «١١/ ٢٥٠».

(٤) الشريعة «٣/ ١١٠٤».

ترك النصوص الكثيرة المحكمة المبينة وتعلق بنصوص قليلة اشتبهت عليه معانيها.

وأما هذا الصنف، فيقول أنا اتبعت النصوص كلها؛ لكنه غالط أيضاً؛ فكل من قال: إن الله بذاته في كل مكان، فهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، مع مخالفته لما فطر الله عليه عباده؛ ولصريح المعقول والأدلة الكثيرة.

وهؤلاء يقولون أقوالاً متناقضة، يقولون: إنه فوق العرش. ويقولون: نصيب العرش منه كنصيب قلب العارف؛ كما يذكر مثل ذلك أبو طالب وغيره ومعلوم أن قلب العارف نصيبه منه المعرفة والإيمان؛ وما يتبع ذلك.

فإن قالوا: إن العرش كذلك، نقضوا قولهم: إنه نفسه فوق العرش. وإن قالوا بحلوله بذاته في قلوب العارفين؛ كان ذلك قولاً بالحلول خاصة.

وقد وقع طائفة من الصوفية -حتى صاحب منازل السائرين في توحيده المذكور في آخر المنازل- في مثل هذا الحلول[١].

وهذا هو قول جماعة من أهل الكلام والتصوف كأبي معاذ التومني[٢]، وزهير الأثري[٣]، وأصحابهما[٤]، وهو موجود في كلام السالمية[٥] كأبي طالب المكي[٦] وأتباعه كأبي الحكم

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٥/١٢٤-١٢٦.

(٢) أبو معاذ التومني من أئمة المرجئة ورأس فرقة التومنية منها. انظر ترجمته ومذهبه في مقالات الأشعري «١/٢٠٤، ٣٢٦»، «٢/٢٣٢»، والملل والنحل «١/١٢٨».

(٣) زهير الأثري، ولم أقف على ترجمته، وقد تكلم الأشعري عن آرائه بالتفصيل في المقالات «١/٣٢٦».

(٤) انظر نقض التأسيس الجهمية «١/٦»، والفتاوى «٢/٢٩٩»، ومقالات الإسلاميين «١/٣٢٦».

(٥) هم أتباع أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم المتوفى سنة «٢٩٧هـ» وابنه الحسن أحمد بن محمد بن سالم المتوفى سنة «٣٥٠هـ»، وقد تتلمذ أحمد بن محمد بن سالم على سهل بن عبد الله التستري، ويجمع السالمية بين كلام أهل السنة وكلام المعتزلة مع ميل إلى التشبيه ونزعة صوفية اتحادية، انظر شذرات الذهب «٣/٣٦»، وطبقات الصوفية «ص٤١٤-٤١٦»، والفرق بين الفرق «ص١٥٧-٢٠٢».

(٦) أبو طالب، محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، صوفي نشأ واشتهر بمكة، وهو صاحب كتاب "قوت القلوب" في التصوف وهو من أكبر رجال السالمية، قال عنه الخطيب البغدادي: «ذكر فيه أشياء مستشنعة في الصفات»، توفي سنة «٣٨٦هـ». انظر ترجمته في تاريخ بغداد «٣/٨٩»، وميزان الاعتدال «٣/٦٥٥»، ولسان الميزان «٥/٣٠٠».

برجان[١] وأمثاله ما يشير إلى نحو هذا، كما يوجد في كلامهم ما يناقض هذا [٢] فهم يقولون بأن الله في كل مكان، وإنه مع ذلك مستو على عرشه وإنه يرى بالأبصار بلا كيف، وإنه موجود الذات بكل مكان، وأنه ليس بجسم ولا محدود ولا يجوز عليه الحلول ولا المماسة، ويزعمون أنه يجيء يوم القيامة كما قال تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[الفجر: الآية:٢٢]، وقولهم هذا يشبه قول بعض مثبتة الجسم الذين يقولون إنه لا نهاية له[٣].

والفرق بين هذا القول وقول الجهمية: بأن الله في كل مكان هو أن هؤلاء يثبتون العلو ونوعا من الحلول، أما الجهمية فلا يثبتون العلو على مقصود هؤلاء من الاستواء على العرش والمباينة.

ويزعم أصحاب هذا القول أنهم بقولهم هذا قد اتبعوا النصوص كلها سواء كانت نصوص علو أو معية أو قرب.

الرد عليهم:

بقولهم هذا جمعوا بين كلام أهل السنة وكلام الجهمية، ولذلك كان قولهم ظاهر الخطأ وغاية في التناقض.

أما بيان خطئه فهو يكمن في أن كل من قال بأن الله بذاته في كل مكان فهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الامة وأئمتها مع مخالفته لما فطر الله عليه عباده، ولصريح المعقول وللأدلة الكثيرة، فالقرآن الكريم مملوء بالآيات التي تنص على علو الله بذاته فوق خلقه واستوائه على عرشه وبينونته من خلقه، كما أن السنة قد تحدثت عن هذا المعنى في كثير من الأحاديث، كقصة المعراج وصعود الملائكة ونزولها من عند الله وعروج الروح إليه واستوائه على عرشه، ونزوله إلى السماء الدنيا، فكل هذه الأدلة تبين بطلان هذا القول ومخالفته.

وأما استدلال هؤلاء بنصوص المعية والقرب، فقد بينا خطأ هذا الاستدلال وبطلانه عند

---

(١) أبو الحكم، عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الإشبيلي، متصوف، توفي سنة «٥٣٦هـ» بمراكش. انظر ترجمته في لسان الميزان «١٣/٤-١٤»، فوات الوفيات «٥٦٩/١»، الاعلام «١٢٩/٤».

(٢) مجموع الفتاوى «٢٩٩/٢».

(٣) نقض تأسيس الجهمية «٦/٢».

الرد على مذهب حلولية الجهمية، وقد بينا أنه ليس للمخالفين أي متمسك في جعلها لمعية الذات أو قرب الذات.

أما بيان تناقض هذا القول: فهو واضح من أقوالهم، فإنهم يجمعون بين أقوال متناقضة، فتارة يقولون إنه بذاته فوق العرش، وتارة يقولون إنه فوق العرش ونصيب العرش فيه كنصيب قلب العارف -كما يذكر ذلك أبو طالب المكي وغيره-، ومعلوم أن قلب العارف نصيبه منه المعرفة والإيمان وما يتبع ذلك، فإن قالوا: إن العرش كذلك فقد نقضوا قولهم بأنه بنفسه فوق العرش.

وإن قالوا بحلول ذاته في قلوب العارفين، كان ذلك قولا بالحلول الخاص، وهذا ما وقع فيه طائفة من الصوفية ومنهم صاحب منازل السائرين[١].

وقد رد أهل السنة على زعم من قال إن المراد بها معية الذات وأبطلوا هذا الزعم من وجوه عديدة منها:

أولاً: أن نصوص المعية الواردة في القرآن والسنة دل سياقها على أن المقصود بها معية العلم والاطلاع أو النصرة والتأييد.

ثانيا: أن كلمة «**مع**» في حال إطلاقها تفيد مطلق المصاحبة ثم إن سياق الكلام يحدد نوع المصاحبة، ونصوص المعية حددت نوعين من المصاحبة هما:

١. معية العلم

٢. معية النصرة والتأييد

ثالثاً: إن جميع علماء السلف وأئمة السنة الذين نقل عنهم تفسير آيات المعية لم يفسروها بمعية الذات فهذا التفسير لم ينقل إلا عن المبتدعة من أهل الكلام

رابعاً: النصوص الشرعية في إثبات علو الله واستوائه على عرشه كثيرة جداً وتشهد بفساد زعم من قال إن المقصود بالمعية معية الذات.

مع العلم أن هؤلاء الذين زعموا أن الله في كل مكان يقول أكثرهم بضد ذلك، فهم في

---

(١) مجموع الفتاوى «١٢٢/٥-١٣١».

حال نظرهم في الشبه الكلامية يقولون إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته. كما هو قول أصحاب المذهب الأول، وفي تعبدهم يقولون هو في كل مكان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكثير منهم يجمع بين القولين؛ ففي حال نظره وبحثه يقول بسلب الوصفين المتقابلين كليهما، فيقول: لا هو داخل العالم ولا خارجه، وفي حال تعبده وتألهه يقول: بأنه في كل مكان لا يخلو منه شيء"(١).

وقال أيضاً: "وجماع الأمر في ذلك أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته.

ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً ألبتة؛ مثل أن يقول قائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه"(٢) ونحو ذلك فإن هذا غلط.

وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الحديد: الآية: ٤].

فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال: "والله فوق العرش ويعلم ما أنتم عليه"(٣)(٤).

---

(١) نقض تأسيس الجهمية ١/٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ص ٢٣٨ كتاب العمل في الصلاة باب ما يجوز من البصاق والنفخ في الصلاة رقم ١٢١٣ «ط دار السلام». ومسلم في صحيحه ٥/٣٨ كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها.

(٣) تقدم تخريجه قريبا.

(٤)انظر مختصر الصواعق ٢/٢٦٦-٢٦٧.

وذلك أن كلمة «**مع**» في اللغة إذا أطلقت فليس في اللغة ظاهرها إلا المقارنة المطلقة، من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال؛ فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى. فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا. ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك؛ وإن كان فوق رأسك. فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة.

ثم هذه «**المعية**» تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ إلى قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم؛ شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم. وهذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته.

وكذلك في قوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[الحديد: الآية: ٧].

ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه في الغار ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: الآية: ٤٠] كان هذا أيضا حقا على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع، والنصر والتأييد.

وكذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل: الآية: ١٢٨] كذلك قوله لموسى وهارون ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[طه: الآية: ٤٦] هنا المعية على ظاهرها، وحكمها في هذه لمواطن النصر والتأييد.

وقد يدخل على الصبي من يخيفه فيبكى فيشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول: لا تخف؛ أنا معك أو أنا هنا، أو أنا حاضر ونحو ذلك. ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه؛ ففرق بين المعية ومقتضاها؛ وربما صار مقتضاها من معناها؛ فيختلف باختلاف المواضع[(١)].

فلفظ «**المعية**» قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع، يقتضي في كل موضع أموراً لا

---

(١) انظر مختصر الصواعق ٢/٢٦٥.

يقتضيها في الموضع الآخر؛ فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها -وإن امتاز كل موضع بخاصية- فعلى التقدير ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عزوجل مختلطة بالخلق. حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها[(١)].

ونظيرها من بعض الوجوه «**الربوبية، والعبودية**» فإنهما وإن اشتركتا في أصل الربوبية والعبودية فلما قال ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾[الأعراف الآيتان ١٢١-١٢٢] كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق، فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد ربه ورباه ربوبية وتربية أكمل من غيره.

وكذلك قوله ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾[الإنسان: الآية ٦] و﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ [الإسراء : الآية ١].

فإن العبد تارة يعنى به المعبد فيعم الخلق، كما في قوله ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾[مريم: الآية ٩٣]، وتارة يعني به العابد فيخص؛ ثم يختلفون، فمن كان أعبد علما وحالا كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقه أكمل، مع أنها حقيقة في جميع المواضع.

ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس «**مشككة**» لتشكك المستمع فيها، هل هي من قبيل الأسماء المتواطئة أو من قبيل المشتركة في اللفظ فقط، والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة؛ إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك، وإن كانت نوعا مختصاً من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ.

ومن علم أن «**المعية**» تضاف إلى نوع من أنواع المخلوقات -كإضافة الربوبية مثلاً- وأن الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش، وأن الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية، ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط، لا حقيقة ولا مجازاً علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف.

---

(١)انظر مختصر الصواعق ٢/٢٦٦.

ثم من توهم أن يكون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب -إن نقله عن غيره- وضال -إن اعتقده في ربه- وما سمعنا أحداً يفهم هذا من اللفظ، ولا رأينا أحداً نقله عن واحد، ولو سئل سائر المسلمين هل تفهمون من قول الله ورسوله "إن الله في السماء" أن السماء تحويه لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا"[(١)].

لا تعارض بين العلو والمعية:

ما يتعلق بأمر العلو وأمر المعية فلا تعارض بينهما، والله سبحانه وتعالى قد جمع بين ذلك في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد : ٤]

ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: ﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها﴾ إلى قوله: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها: أنه مطلع عليكم؛ شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه. وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته، وكذلك في قوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ إلى قوله: ﴿هو معهم أين ما كانوا﴾ الآية، ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: «**لا تحزن إن الله معنا**» كان هذا- أيضا- حقًّا على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد[(٢)].

فليس المراد مصاحبة اختلاط، إذ لفظ «**المعية**» قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أمورًا لا يقتضيها في الموضع الآخر؛ فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها – وإن امتاز كل موضع بخاصية – فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى يقال: قد صرفت

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/١٠٢-١٠٦،وانظر أيضا نفس المرجع ٣/١٤٢.

(٢) انظر: «الفتوى الحموية» «ص ٥٢١، ٥٢٢».

عن ظاهرها[١].

قال الشيخ الأمين الشنقيطي: «قوله تعالى: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾، ذكر- جل وعلا- في هذه الآية الكريمة: أنه مع عباده المتقين المحسنين، وهذه المعية بعباده المؤمنين، وهي بالإعانة والنصر والتوفيق. وكرر هذا المعنى في مواضع أخر; كقوله: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾، وقوله: ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم﴾، وقوله: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾، وقوله: ﴿قال كلا إن معي ربي سيهدين﴾، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما المعية العامة لجميع الخلق فهي بالإحاطة التامة والعلم، ونفوذ القدرة، وكون الجميع في قبضته- جل وعلا- فالكائنات في يده - جل وعلا - أصغر من حبة خردل، وهذه هي المذكورة- أيضًا- في آيات كثيرة; كقوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم﴾ الآية، وقوله: ﴿وهو معكم أين ما﴾ الآية، وقوله: ﴿فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾، وقوله: ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه﴾ الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

فهو- جل وعلا- مستو على عرشه كما قال، على الكيفية اللائقة بكماله وجلاله، وهو محيط بخلقه، كلهم في قبضة يده، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين»[٢].

مسألة:

وهنا مسألة ينبغي التنبه لها، وهي أن أهل السنة إذا تعاملوا مع النصوص التي أُضيفت لله تعالى، فإنهم يتعاملون معها بموجب ما دل عليه السياق، فلا يُقال لأهل السنة هنا: قد وقعتم في التأويل؛ لأن الآية قد لا تكون متعلقة بهذه الصفة التي قد يفهمها البعض منها، وإنما تكون

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» «٥/ ١٠٤».

(٢) «أضواء البيان» باختصار يسير «٢/ ٤٦٨، ٤٦٩».

متعلقة بصفة أخرى؛ فمثلًا قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، فالأيد هنا ليس جمع يد، وإنما جمع آد، والآد: هو القوة، كما في قوله تعالى: ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد﴾، فهل كان لداود عليه السلام عدة أياد، أو المعنى: أنه صاحب القُوى.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾ فالسياق لا يدل على إثبات صفة الجنب لله سبحانه وتعالى، وإنما المعنى: التحسر على التفريط الذي وقع في حق الله سبحانه وتعالى.

ومثل قوله تعالى: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾، فليس المراد هنا صفة الوجه، وإنما المراد: القِبلة، لأنَّ الوجه هنا بمعنى: الجهة.

والأمثلة على ذلك كثيرة في النصوص، وليست هذه الآيات ونحوها من نصوص الصفات.

والسلف هنا لم يؤولوا هذه النصوص ولم يحملوا ما لا تحمله، وإنما كان من منهجهم النظر إلى سياقها وما دلَّت عليه، فقد يكون من باب الصفات وقد لا يكون من بابها، وليس في هذا تأويل، أي: تحريف للنص عن ظاهره أو معناه، ولكن بعض الناس قد يتوهم أمرًا والنص لا يدل عليه ولا يُرشد إليها، وهذا في باب الصفات وفي غيره، وهو ما يسمى بالاشتباه النِّسبي.

فمثلًا أخبر الله سبحانه وتعالى أن القرآن كله محكم في قوله تعالى: ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، وأخبر أن كله متشابه فقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾، وأخبر أن منه محكم ومنه متشابه؛ فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾.

فلا يُمكن أن يقال: هذا تناقض، والحق أنه ليس من التناقض في شيء، فقوله: ﴿أُحْكِمَتْ﴾ بمعنى: أتقنت، فالقرآن كله محكم، بمعنى: متقن، ليس فيه اختلاف ولا تضاد، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

وفي الآية الأخرى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾، والمتشابه هنا بمعنى المتماثل المتناسب الذي ليس فيه اختلاف ولا تضاد، وهذا يؤكد ما في الآية السابقة؛ لأن من إتقانه أنه لا تضاد فيه ولا اختلاف.

قال ابن تيمية رحمه الله في التدمرية: «**ومَن هداه الله فرَّق بين الأمور وإن اشتركت من بعض الوجوه وعلم ما بينهما من الجمع والفرق والتشابه والاختلاف، وهؤلاء لا يضلون بالمتشابه من الكلام؛ لأنهم يجمعون بينه وبين المحكم الفارق الذي يبين ما بينهما من الفصل والافتراق.**

وهذا كما أن لفظ «إنا» و«**نحن**» وغيرهما من صيغ الجمع يتكلم بها الواحد له شركاء في الفعل ويتكلم بها الواحد العظيم الذي له صفات تقوم كل صفة مقام واحد وله أعوان تابعون به لا شركاء له، فإذا تمسك النصراني بقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ ونحوه على تعدد الآلهة كان المحكم كقوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ ونحو ذلك مما لا يحصل إلا معنى واحدًا يُزيل ما هناك من الاشتباه، وكان ما ذكره من صيغة الجمع مبينًا لما يستحقه من العظمة والأسماء والصفات وطائفة المخلوقات من الملائكة وغيرهم»(١).

ففي قوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، وصيغة الجمع لها استعمال على أنها صيغة جمع، واستعمال على أنها للتعظيم.

والله أحق ان يُعَظَّم؛ فبالتالي جاء هذا الاستعمال للتعظيم.

وفي قوله تعالى: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾- كذب النصارى على الله في أمر عيسى، وذلك أنهم قالوا: عيسى روح الله من ذات الله، كما يقال: إن هذه الخرقة من هذا الثوب.

وقلنا نحن: إنَّ عيسى بالكلمة كان وليس هو الكلمة. قال: وقول الله: ﴿وروح منه﴾ يقول: مِن أمره كان الروح فيه، كقوله: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه﴾ يقول: من أمره. وتفسير روح الله: أنها روح بكلمة الله خلقها الله، كما يقال: عبد الله وسماء الله، فقد ذكر الإمام أحمد أن زنادقة النصارى هم الذين يقولون: إن روح عيسى من ذات الله، وبَيَّن أن إضافة الرُّوح إليه إضافة مُلك وخَلق، كقولك: عبد الله وسماء الله؛ لا إضافة صفة إلى

(١) «الرسالة التدمرية» «ص ٤٦».

موصوف؛ فكيف بأرواح سائر الآدميين؟![1].

فـ«**من**» في قوله تعالى: ﴿وروح منه﴾: تبعيضية.

و«**من**» لها ستة استعمالات؛ فترد تبعيضية واستفهامية وبيانية وغير ذلك.

فالشاهد: أن من الآيات ما يدل على معنى واحد، ومنها ما قد يكون في السياق ما يُبين المراد والمقصود منها، وذلك بتخصيص معنى من المعاني، أما في أصل اللغة فقد يكون للفظ عدة استعمالات، والسياق هو الذي يحدد المراد.

(١) «مجموع الفتاوى» «٤/ ٢٢٠».

٥٢- إثبات صفة القرب

[٥٢]- قال المصنف رحمه الله: «**وقد دخلَ في ذَلِكَ: الإيمانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجيبٌ، كَمَا جَمَعَ بينَ ذَلِكَ فِي قولِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِه»**، وَمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ- مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِه- لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ، فَإِنَّهُ- سُبْحَانَهُ- لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ».

الشرح

ذكرَ المصنفُ رحمه الله هنا الجمعَ بينَ الإيمانِ بعلوِّ اللهِ وقُرْبِهِ ومَعِيَّتِهِ؛ لِئَلَّا يَظُنَّ الظَّانُّ أنَّ ذَلِكَ مثل صفاتِ المخلوقينَ، وأنَّهُ إذا قِيلَ: إِنَّهُ عليٌّ فوقَ خلقِهِ كيفَ يكونُ مَعَهُم قريبًا منهم؟

فأجابَ بما تضمنَّهُ هذا الأصلُ الثابتُ في الكتابِ والسنَّةِ وإجماعِ الأمَّةِ، وَهُو أَنَّ اللهَ- تَعَالَى- ليسَ كَمِثلِهِ شيءٌ في جميعِ نُعُوتِهِ، وَمِن نُعُوتِهِ اللازمَةِ: العلوُّ المطلَقُ والقُرْبُ العامُّ والخاصُّ، وأنَّ القُرْبَ والعلوَّ في حقِّه يجتمعانِ لِعَظَمَتِهِ وَكِبريَائِهِ وَإِحَاطَتِهِ مِن كُلِّ وجهٍ، فَهُوَ العليُّ فِي دُنُوِّه، القريبُ في عُلُوِّه[1].

وصفة العلو صفة لازمة لله سبحانه وتعالى لا تنفك عنه، ولا تعارض بين عُلوه وقُربه جل وعلا؛ فهو يقرب من خلقه كيف يشاء.

وَهَكَذَا القولُ فِي أَحَادِيثِ النُّزولِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا، فَإِنَّهُ مِن نَوعِ قُرْبِ الرَّبِّ مِن دَاعِيهِ وسائليهِ ومُستغفريه.

وقال مالك عن حديث النزول: «**ولهذا أمضِ الحديث كما ورد بلا كيف ولا تحديد إلا بما جاءت به الآثار، وبما جاء به الكتاب، قال الله تعالى: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ [النحل: ٧٤]: ينزل كيف شاء بقدرته وعلمه وعظمته، أحاط بكل شيء.**

وقال بشر بن السري لحماد بن زيد: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؛ يتحول من مكان إلى

(١) «التنبيهات اللطيفة» «٦٦، ٦٧».

مكان؟ فسكت حمَّادٌ، ثم قال: هو مكانه يَقرب من خلقه كيف شاء(١).

فمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ- مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِه- لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ، فَإِنَّهُ- سُبْحَانَهُ- لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوته، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ، ولا ينبغي أن نسأل عن كيفية ذلك؛ لأن الله قد حجب ذلك عنا.

قالَ ابنُ القيِّم رحمه الله: «فَإِنَّ عُلُوَّهُ- سُبْحَانَهُ- عَلَى سَمَاوَاتِهِ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، فَلَا يَكُونُ قَطُّ إِلَّا عَالِيًا، وَلَا يَكُونُ فَوْقَهُ شَيْءٌ البَتَّة، كَمَا قَالَ أَعْلَمُ الخَلق: «أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْء»، وَهُوَ- سُبْحَانَهُ- قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ، عَالٍ فِي قُرْبِهِ، كَمَا فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فِي سَفَرٍ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا بِالتَّكْبِيرِ فَقَال: **«أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِه»**.

وَأَخْبَرَ أَنَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، مُطَّلِعٌ عَلَى خَلقِهِ؛ يَرَى أَعْمَالَهُمْ، وَيَعْلَمُ مَا فِي بُطُونِهِمْ، وَهَذَا حَقٌّ لَا يُنَاقِضُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ.

وَالَّذِي يُسَهِّلُ عَلَيْكَ فَهْمَ هَذَا: مَعْرِفَةُ عَظَمَةِ الرَّبِّ، وَإِحَاطَتِهِ بِخَلقِهِ، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ فِي يَدِهِ كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ العَبْدِ، وَأَنَّهُ- سُبْحَانَهُ- يَقْبِضُ السَّمَاوَاتِ بِيَدِهِ وَالأَرْضَ بِيَدِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَهُزُّهُن.

فَكَيْفَ يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّ مَنْ هَذَا بَعْضُ عَظَمَتِهِ: أَنْ يَكُونَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَيَقْرُبُ مِنْ خَلقِهِ كَيْفَ شَاءَ وَهُوَ عَلَى العَرْش»(٢).

وقربُ الله من خلقه لا يعني البتة أنه مختلط بهم، فالله عال على خلقه مستو على عرشه، بائن من خلقه وخلقه بائنون منه، وقُرب الله ليس كمعيته، فالقرب لم يرد إلا خاصًّا.

قالَ ابنُ القيِّمِ: **«قربُ الربِّ- تَعالى- إِنَّمَا وَرَدَ خَاصًّا لَا عَامًّا، وَهُوَ نوعانِ:**

---

(١) انظر «مختصر الصواعق» لابن القيِّم «ص ٤٦٨».

(٢) «مختصرِ الصَّواعق» «ص٤٦٠».

النوع الأول: قُرْبُهُ مِن دَاعِيه بالإجابةِ.

النوع الثاني: وَمِن مُطِيعِهِ بِالإثابةِ.

ولم يَجِئِ القربُ كَمَا جَاءَت المعيَّةُ خاصَّةٌ وَعَامَّةٌ، فَلَيسَ فِي القرآنِ ولا في السُّنَّةِ أنَّ اللهَ قريبٌ مِن كُلِّ أَحَدٍ، وَأَنَّهُ قريبٌ مِنَ الكافرِ والفاجرِ، وَإِنَّمَا جاءَ خاصًّا، كَقَولِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، فَهَذَا قُربُهُ مِن دَاعِيهِ وسائلهِ بِهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف : ٥٦]

والأصلُ: أنَّ اللهَ قريبٌ منَ المُحسنينَ، وَرَحمتُهُ قريبةٌ منهم، فيكونُ أخبر عن قُرْب ذاته وقُرب ثوابِه من المُحسنين، واكتفى بالخبر عن أحدهما عن الآخر»[(١)].

وقد أُورد على شيخِ الإسلام ابنِ تيميَّة وتلميذِه ابنِ القيّم قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق : ١٦] ، وأن المرادَ بالإنسانِ كلُّ إنسانٍ، وَلِهَذَا قَالَ فِي آخرِ الآيةِ: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق : ٢٢] ، إلى أن قال: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق : ٢٤] [ق: ٢٤]، فهو شاملٌ.

وأُورِدَ عليهما- أيضًا- قولُه تَعالَى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ «٨٣» وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ «٨٤» وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٥] ثمَّ قَسَّمَ هؤلاءِ الذينَ بَلَغَت أرواحُهم الحلقومَ إِلَى ثلاثةِ أَقسامٍ، وَمِنهُمُ الكافرُ[(٢)]، وَأَنَّ هَذِهِ الآياتِ تدلُّ عَلَى أَنَّ قُربَ اللهِ يكونُ عامًّا.

فأجابَ شيخُ الإسلامِ وتلميذُهُ ابنُ القيِّمِ بأنَّ القربَ هنا هوَ قربُ الملائكةِ، معَ إقرارِهما أنَّ طائفةً مِنَ السَّلفِ والخلفِ قالوا: إنَّ المقصودَ بالقربِ قربُ اللهِ بعلمِهِ وإحاطتِهِ وقُدرتِهِ.

قال شيخُ الإسلام: «**قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] هُوَ**

---

(١) «مختصر الصَّواعق» «٤٥٨-٤٥٩».

(٢) «شرح الواسِطيَّة» لابن عُثيمين «ص٤٦٠- ٤٦١».

قُرْبُ ذَوَاتِ المَلَائِكَةِ وَقُرْبُ عِلمِ اللَّهِ؛ فَذَاتُهُمْ أَقْرَبُ إِلَى قَلبِ العَبْدِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ؛ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ أَقْرَبَ إِلَى بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي تَمَامِ الآيَةِ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ «١٧» مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨] وهذا، كقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠] .

فقوله: ﴿إذ﴾ ظرف، فأخبر أنَّهم: ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] حين يَتَلَقَّى المتلقيان ما يقول: ﴿عن اليمين﴾ قَعِيدٌ، ﴿وعن الشمال قعيد﴾، ثُمَّ قال: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق : ١٨] ؛ أي: شاهدٌ لا يُغِيب. فهذا كله خبر عن الملائكة»[(١)].

فسياق الآيتين يدلُّ على أنَّ المرادَ هنا: الملائكةُ، فإنَّهُ قَالَ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ «١٦» إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ «١٧» مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦-١٨]

فقيدُ القربِ بِهَذَا الزَّمَانِ وَهُوَ زَمان تَلَقِّي المتَلَقِّيَين؛ قعيد عنِ اليمينِ، وقعيد عنِ الشِّمالِ، وهما الملَكَانِ الحافظانِ اللذانِ يكتبانِ، كَمَا قَالَ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق : ١٨]

ومعلومٌ: أنَّهُ لو كانَ المرادُ قربَ ذاتِ الربِّ لم يختصَّ ذلكَ بهذِهِ الحالِ، ولم يكن لِذِكرِ القَعِيدينِ والرَّقيب والعَتيد معنى مناسب.

وَكَذَلِكَ قوله فِي الآيةِ الأخرى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ «٨٣» وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ «٨٤» وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٥] .

فلو أرادَ قربَ ذاتِه لم يخصَّ ذلكَ بهذِهِ الحالِ، ولا قالَ: ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾، فإنَّ هذا إنَّما يقالُ إذا كانَ هناكَ مَن يجوزُ أَن يُبصرَ في بعضِ الأحوالِ، ولكن نحنُ لا نبصرُهُ، والربُّ- تعالى- لا يراهُ في هذِهِ الحالِ ولا الملائكةِ ولا البَشر.

---

(١) «مجموع الفتاوى» «٥/٢٣٦».

وأيضًا، فإنه قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾، فأخبرَ عمَّن هُوَ أقربُ إلى المحتضرِ مِنَ النَّاسِ الذينَ عندَهُ في هذِهِ الحالِ[١].

(١) انظر «مختصر الصواعق» لابن القيّم «ص٤٥٧ - ٤٥٨».

٥٣- القرآن كلام الله

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أهمية صفة الكلام.

المسألة الثانية: الأقوال في كلام الله.

المسألة الثالثة: قول أهل السنة في القرآن وأنه كلام الله.



[٥٣]- قال المصنف رحمه الله: «وَمِنَ الإيمانِ بِاللهِ وَكُتبِهِ: الإيمانُ بِأَنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ منزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ؛ منهُ بَدَأَ، وَإِلَيهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا القرآنَ الذي أَنزَلَهُ عَلَى مُحَمَّد ﷺ هُوَ كلامُ اللهِ حَقِيقَةً لَا كَلام غيرِهِ، وَلَا يَجُوزُ إطلَاقُ القَولِ بِأَنَّهُ حكايةٌ عَن كلامِ اللهِ أَو عِبارَةٌ، بَل إِذا قَرأَهُ النَّاسُ أَو كَتَبُوهُ فِي المصاحفِ لَم يَخرج بِذَلِكَ عَلَى أَن يكونَ كلامَ اللهِ- تعالى- حَقيقةً، فَإِنَّ الكلامَ إِنَّما يُضافُ حقيقةً إِلَى مَن قَالَهُ مُبْتَدِأً، لَا إِلَى مَن قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا، وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُروفُهُ ومعانيه، لَيسَ كَلام اللهِ الحُرُوف دُونَ المَعَانِي، وَلَا المَعَانِي دُونَ الحُرُوفِ».

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أهمية صفة الكلام.

هذه مسألة من كبريات مسائلِ باب الصفات؛ فأكبرُ مسألتين في باب الأسماء والصفات ركَّز عليها أعداءُ الإسلام تركيزاً شديداً

- مسألةُ العلو.
- ومسألةُ الكلام.

لأنهم إذا أبطلوا كونَ القرآن كلام الله أبطلوا حقيقةَ الوحي،

وإذا أبطلوا علوَّ الله تعالى أبطلوا وجوده،

فهذه غايتهم وهدفهم الذي يريدون أن يصلوا إليه.

ذلك لأن أعظم ركيزتين تقوم عليهما المبادئ الفلسفية لدى الفلاسفة هما:

١. أن العلمَ مصدره الإنسان. وفي هذا تكذيب للوحي.
٢. وأن المعلومات والعلوم محصورةٌ في المحسوس المشاهَد. وفي هذا إنكار للغيب وأعظم الغيب هو الله.

فتسلَّط أعداءُ الله على باب الصفات من أجلِ أن يشكِّكُّوا في كلامِ الله وذلك بإنكارهم

بأن يكون القرآن كلامُ الله حقيقة.

وأن يشكِّكُّوا في وجودِ الله بإنكارهم لعلو الله عز وجل.

فلذلك وقفوا وقفةً خبيثة، وهجموا هجمةً شرسة ضد هاتين الصفتين، فإذا كنا نقول إنهم يزعمون أن العلوم مصدرها الإنسان، ونحن نقول إن العلم الشرعي مصدره الوحي فلمَّا هؤلاء يلغونَ أن الله تكلم حقيقة، ويشككُّون في أن هناك وحي وقالوا: هذه عبارة محمد؛ أو عبارة جبريل، وأن الله ما تكلم حقيقة. لأنهم إذا أسقطوا الوحي وقطعوا عليك طريق الوحي فسيتساوى قولُ محمد مع قولِ أي بشرٍ من الناس.

صفة الكلام تأتي–من حيث الأهمية–مع صفة العُلو لله سبحانه وتعالى؛ لذلك اهتم بهما أئمة السلف، وأكدوا على ثُبوتهما لله تعالى حقيقة، وأوردوا في ذلك أدلة كثيرة. ودفعوا شبهات المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومَن دَار في فَلَكهم القائلين بأنَّ الله خلق القرآن في غيره، وردوا كذلك على الكلَّابية الذين قالوا: القرآن حكاية عن كلام الله، وردوا– أيضًا– على الأشاعرة الذين قالوا: القرآن عبارة عن كلام الله.

فالمعطلة أرادوا بقولهم هذا: إسقاط قيمة الوحي؛ ليصبح لدى الناس خلل في اتباع الوحي، ونحن نؤمن أن أول مصدر للتشريع هو وحي الله تعالى إلى رسوله ﷺ، أي: كلامه بحروفه ومعانيه، وأن الله تعالى قاله بحرف وصوت.

وبالنسبة لصفة الكلام التي هي موضوع حديثنا هنا فإن علماء أهل السنة بينوا الحق في هذه المسألة ووقفوا موقفاً عظيماً صلباً حتى إنه كما هو معلوم في زمن فتنةَ القولِ بخلقِ القرآن، فقام المأمون وهو كان من المعتزلة ويتبنَّى قول المعتزلة، فعذَّب مَن عذَّب من العلماء وفصَلَهم عن وظائفهم وسجنهم وقام بتعذيبهم لأجلِ أن يرفعَ هذا الشعار؛ أن القرآنَ مخلوق وأنه ليس كلامُ الله حقيقة.

فدفع أهل السنة شبهات المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومَن دَار في فَلَكهم القائلين بأنَّ الله خلق القرآن في غيره، وردوا كذلك على الكلَّابية الذين قالوا: القرآن حكاية عن كلام الله، وردوا–أيضًا–على الأشاعرة الذين قالوا: القرآن عبارة عن كلام الله.

فالمعطلة أرادوا بقولهم هذا: إسقاط قيمة الوحي؛ ليصبح لدى الناس خلل في اتباع الوحي، فأهل السنة يؤمنون بأن أول مصدر للتشريع هو وحي الله تعالى إلى رسوله ﷺ، أي: كلامه بحروفه ومعانيه، وأن الله تعالى قاله بحرف وصوت.

وأوَّل مَن عُرف أنه قال: مخلوق الجعد بن درهم وصاحبه الجهم بن صفوان.

وأول مَن عُرف أنه قال: هو قديم عبد الله بن سعيد بن كلاب، «**ت: ٢٤١ هـ**»، ثم افترق الذين شاركوه في هذا القول؛ فمنهم مَن قال: الكلام معنى واحد قائم بذات الرَّبِّ، ومعنى القرآن كله والتوراة والإنجيل وسائر كتب الله وكلامه هو ذلك المعنى الواحد الذي لا يَتعدد ولا يتبعض، والقرآن العربي لم يتكلم الله به، بل هو مخلوق خلقه في غيره.

وقال جمهور العقلاء: هذا القول معلوم الفساد بالاضطرار؛ فإنَّه مِن المعلوم بصريح العقل أن معنى «**آية الكرسي**» ليس معنى «**آية الدَّيْن**»، ولا معنى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، معنى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: الآية: ١]؛ فكيف بمعاني كلام الله كله في الكتب المنزلة وخطابه لملائكته وحسابه لعباده يوم القيامة وغير ذلك من كلامه؟!

ومنهم مَن قال: هو حروف، أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته لم يَزل ولا يزال موصوفًا بها.

وكلا الحزبين يقول: إن الله تعالى لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وإنه لم يزل ولا يزال يقول: يا نوح، يا إبراهيم، يا أيها المزمل، يا أيها المدثر، ولم يقل أحد من السلف بواحد من القولين، ولم يقل أحدٌ من السلف: إنَّ هذا القرآن عبارة عن كلام الله، ولا حكاية له، ولا قال أحد منهم: إن لفظي بالقرآن قديم أو غير مخلوق، فضلًا عن أن يقول: إن صوتي به قديم أو غير مخلوق؛ بل كانوا يقولون بما دلَّ عليه الكتاب والسنة من أن هذا القرآن كلام الله، والناس يَقرءونه بأصواتهم، ويكتبونه بمدادهم، وما بين اللوحين كلام الله، وكلام الله غير مَخلوق". [(١)]

(١) «مجموع الفتاوى» «١٢/ ٣٠١، ٣٠٢».

وقالَ ابنُ القيِّمِ رحمه الله في نونيتِهِ:

وَكَــذِلِــكَ القرآنُ عَينُ كَلَامِــهِ الـ ... مَســــمُوع مِنــهُ حَقِيقَــة بِبَيَــانِ
هُوَ قَولُ رَبِّي كُلُّــهُ لَا بَعضُـــــهُ ... لَفظًــا وَمَعنًى مَــا هُمَــا خَلْقَــانِ
تَـنـزِيــلُ ربِّ الـعَــالَـمِـينَ وَقَـولُـهُ ... الَّــلـفـظُ وَالمـعـنَى بِــلَا رَوَغَــانِ

وأما المعتزلة والجهمية فقالوا: القرآن كلام الله مخلوق؛ فهم أضــافوا الكلام إلى الله من باب إضافة الوصف على حد قولهم: «**ناقة الله**».

ومن المتفلسفة مَن يزعم أن المعاني والحروف تأليفه؛ لكنها فاضت عليه كما يفيض العلم على غيره من العلماء.

المسألة الثانية: الأقوال في كلام الله[1].

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "مسألة كلام الله تعالى، والناس فيها مضطربون، وقد بلغوا فيها إلى تسعة أقوال: وعامة الكتب المصنفة في الكلام وأصول الدين لم يذكر أصحابها إلا بعض هذه الأقوال إذ لم يعرفوا غير ما ذكروه، فمنهم من يذكر قولين، ومنهم

(١) لخص شــارح العقيدة الطحاوية أقوال المخالفين في صــفة الكلام فقال: "وقد افترق الناس في مســألة الكلام على تســعة أقوال: أحدها: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني، إما من العقل الفعال عند بعضـــهم، أو من غيره، وهذا قول الصـــابئة والمتفلســـفة. وثانيها: أنه مخلوق خلقه الله منفصـــلا عنه، وهذا قول المعتزلة. وثالثها: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاســـتخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبريه كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشـــعري وغيره.

ورابعها: أنه حروف وأصـــوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث. وخامســـها: أنه حروف وأصــوات، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما، وهذا قول الكرامية وغيرهم. وســادســها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب المعتبر، ويميل إليه الرازي في المطالب العالية. وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصـــور الماتريدي. وثامنها: أنه مشـــترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول أبي المعالي ومن تبعه. وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شـاء ومتى شـاء وكيف شـاء، وهو يتكلم به بصـوت يســمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصــوت المعين قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والســنة". شــرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٢-١٧٤.

من يذكر ثلاثة، ومنهم من يذكر أربعة، ومنهم من يذكر خمسة، وأكثرهم لا يعرفون قول السلف.

- أحدها: قول من يقول: إن كلام الله ما يفيض على النفوس من المعاني التي تفيض: إما من العقل الفعال عند بعضهم، وإما من غيره.

وهذا قول الصابئة والمتفلسفة الموافقين لهم كابن سينا وأمثاله، ومن دخل مع هؤلاء من متصوفة الفلاسفة ومتكلميهم كأصحاب وحدة الوجود. وفي كلام صاحب الكتب "المضنون بها على غير أهلها" «**بل "المضنون الكبير والمضنون الصغير"**» ورسالة "مشكاة الأنوار" وأمثاله ما قد يشار به إلى هذا، وهو في غير ذلك من كتبه يقول ضد هذا، لكن كلامه يوافق هؤلاء تارة وتارة يخالفه، وآخر أمره استقر على مخالفتهم ومطالعة الأحاديث النبوية.

وثانيها: قول من يقول: إنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه.

وهذا قول هذا الإمامي وأمثاله من الرافضة المتأخرين، والزيدية، والمعتزلة، والجهمية.

وثالثها: قول من يقول: إنه معنى واحد قديم قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة.

وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره.

ورابعها: قول من يقول: إنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل.

وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث. ذكره الأشعري في " المقالات " عن طائفة. وهو الذي يذكر عن السالمية ونحوهم. وهؤلاء

قال طائفة منهم: إن تلك الأصوات القديمة هي الصوت المسموع من القارئ، أو هي بعض الصوت المسموع من القارئ.

وأما جمهورهم مع جمهور العقلاء فأنكروا ذلك، قالوا: هذا مخالف لضرورة العقل.

وخامسها: قول من يقول: إنه حروف وأصوات لكن تكلم به بعد أن لم يكن متكلما، وكلامه حادث في ذاته كما أن فعله حادث في ذاته بعد أن لم يكن متكلما ولا فاعلا. وهذا قول الكرامية وغيرهم.

وهو قول هشام بن الحكم وأمثاله من الشيعة. وهؤلاء منهم من يقول: هو حادث وليس بمحدث، ومنهم من يقول: بل هو محدث أيضا. وقد ذكر القولين الأشعري عنهم في "المقالات" وذكر الخلاف بين أبي معاذ التومني وبين زهير الأثري. والكرامية يقولون: حادث لا محدث.

وسادسها: قول من يقول: إنه لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء بكلام يقوم به وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام أزلي قديم، م وإن لم يجعل نفس الصوت المعين قديما.

وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

وسابعها: قول من يقول: كلامه يرجع إلى ما يحدث من علمه وإرادته القائم بذاته. ثم من هؤلاء من يقول: لم يزل ذاك حادثا في ذاته، كما يقوله أبو البركات صاحب "المعتبر" وغيره، ومنهم من لا يقول بذلك، وأبو عبد الله الرازي يقول بهذا القول في مثل " المطالب العالية ".

وثامنها: قول من يقول: كلامه يتضمن معنى قائما بذاته وهو ما خلقه في غيره. ثم من هؤلاء من يقول في ذلك المعنى بقول ابن كلاب، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

ومنهم من يقول بقول المتفلسفة وهذا قول طائفة من الملاحدة الباطنية متشيعهم ومتصوفيهم.

وتاسعها: قول من يقول: كلام الله مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات. وهذا قول أبي المعالي ومن اتبعه من متأخري الأشعرية".[١]

وفصل ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» هذه الأقوال فقال: "فصل: اختلف أهل الأرض في كلام الله تعالى،

[مذهب الاتحادية]

فذهب الاتحادية القائلون بوحدة الوجود أن كل كلام في الوجود كلام الله: نظمه ونثره وحقه

---

(١) منهاج السنة النبوية «٢/ ٣٥٨-٣٦٣».

وباطله سحره وكفره والسب والشتم والهجر والفحش، وأضداده كله غير كلام الله تعالى القائم به كما قال عارفهم:

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

وهذا المذهب مبني على أصلهم الذي أصلوه، وهو أن الله سبحانه هو عين هذا الوجود، فصفاته هي صفات الله، وكلامه هو كلام الله، وأصل هذا المذهب إنكار مسألة المباينة والعلو، فإنهم لما أصلوا أن الله تعالى غير مباين لهذا العالم المحسوس صاروا بين أمرين لا ثالث لهما إلا المكابرة.

أحدهما: إنه معدوم لا وجود له، إذ لو كان موجودا لكان إما داخل العالم وإما خارجا عنه، وهذا معلوم بالضرورة، فإنه إذا كان قائما بنفسه، فإما أن يكون مباينا للعالم أو محايثا له، إما داخلا فيه وإما خارجا عنه.

الأمر الثاني: أن يكون هو عين هذا العالم، فإنه يصح أن يقال فيه حينئذ أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباينا له ولا حالا فيه، إذ هو عينه، والشيء لا ينافي نفسه ولا يحايثها، فرأوا أن هذا خير من إنكار وجوده وبالحكم عليه بأنه معدوم، ورأوا أن الفرار من هذا إلى إثبات موجود قائم بنفسه، لا داخل العالم ولا خارجا، ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا مباين له ولا محايث ولا فوقه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه ولا أمامه، فرارا إلى ما لا يسيغه عقل ولا تقبله فطرة ولا تأتي به شريعة. ولا يمكن أن يقر برب هذا شأنه إلا على أحد وجهين لا ثالث لهما.

أحدهما: أن يكون ساريا فيه حالا فيه، فهو في كل مكان بذاته، وهو قول جميع الجهمية الأقدمين.

الوجه الثاني: أن يكون وجوده في الذهن لا في الخارج، فيكون وجوده سبحانه وجودا عقليا، إذ لو كان موجودا في الأعيان لكان إما عين هذا العالم أو غيره، ولو كان غيره لكان إما بائنا عنه أو حالا فيه، كلاهما باطل، فثبت أنه عين هذا العالم، فله حينئذ كل اسم حسن قبيح، وكل صفة كمال ونقص، وكل كلام حق وباطل، نعوذ بالله من ذلك.

[مذهب الفلاسفة المتأخرين]

المذهب الثاني: مذهب الفلاسفة المتأخرين أتباع أرسطو، وهم الذين يحكي ابن سينا والفارابي والطوسي قولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه، لهذه النفوس عندهم ثلاث قوى: قوة التصور وقوة التخييل وقوة التعبير، فتدرك بقوة تصورها من المعاني ما يعجز عنه غيرها، وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس، فتتصور المعقول صورا نورانية تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الآذان، وهو عندهم كلام الله ولا حقيقة له في الخارج، وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية، قالوا وربما قويت هذه القوة على إسماع ذلك الخطاب لغيرها، وتشكيل تلك الصور العقلية لعين الرائي فيرى الملائكة ويسمع خطابهم، وكل ذلك من الوهم والخيال لا في الخارج.

فهذا أصل هؤلاء في إثبات كلام الرب وملائكته وأنبيائه ورسله، والأصل الذي قادهم إلى هذا عدم الإقرار بالرب الذي عرفت به الرسل ودعت إليه، وهو القائم بنفسه المباين العالي فوق سماواته فوق عرشه الفعال لما يريد بقدرته ومشيئته، العالم بجميع المعلومات، القادر على كل شيء، فهم أنكروا ذلك كله.

[مذهب المعتزلة]

المذهب الثالث: مذهب الجهمية لصفات الرب تعالى أن كلامه مخلوق ومن بعض مخلوقاته، فلم يقم بذاته سبحانه، فاتفقوا على هذا الأصل واختلفوا في فروعه، قال الأشعري في كتاب المقالات: اختلفت المعتزلة في كلام الله، هل هو جسم أو ليس بجسم، وفي خلقه على ستة أقاويل:

فالفرقة الأولى: منهم يزعمون أن كلام الله جسم، وأنه مخلوق، وأنه لا شيء إلا جسم.

والفرقة الثانية: زعموا أن كلام الخلق عرض وهو حركة؛ لأنه لا عرض عندهم إلا الحركة وأن كلام الخالق جسم، وأن ذلك الجسم صوت متقطع مؤلف مسموع، وهو فعل الله وخلقه، وهذا قول أبي الهذيل وأصحابه، وأحال النظام أن يكون كلام الله في أماكن كثيرة أو مكانين

في وقت واحد، وزعم أنه في المكان الذي خلق فيه.

والفرقة الثالثة: من المعتزلة تزعم أن القرآن مخلوق لله وأنه عرض وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد إذا تلاه قال فهو يوجد مع تلاوته، وإذا كتبه وجد مع كتابته، وإذا حفظه وجد مع حفظه، وهو يوجد في الأماكن بالتلاوة والحفظ والكتابة ولا يجوز عليه الانتقال والزوال.

والفرقة الرابعة: يزعمون أن كلام الله عز وجل عرض وأنه مخلوق وأحالوا أن يوجد في مكانين في وقت واحد، وزعموا أن المكان الذي خلقه الله تعالى فيه محال انتقاله وزواله منه ووجوده في غيره، وهذا قول جعفر بن حرب وأكثر البغداديين.

والفرقة الخامسة: أصحاب معمر يزعمون أن القرآن عرض، والأعراض عندهم قسمان: قسم منهما يفعله الأحياء وقسم منهما يفعله الأموات، ومحال أن يكون ما يفعله الأموات فعلا للأحياء، والقرآن مفعول وهو عرض، ومحال أن يكون الله فعله في الحقيقة، لأنهم يحيلون أن تكون الأعراض فعلا لله، وزعموا أن القرآن فعل للمحل الذي يسمع منه، إذ سمع من الشجرة، فهو فعل لها حيث سمع، فهو فعل المحل الذي حل فيه.

والفرقة السادسة: يزعمون أن كلام الله عرض مخلوق، وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد، وهذا قول الإسكافي.

واختلفت المعتزلة في كلام الله هل يبقى؟ فقالت فرقة منهم: يبقى بعد خلقه، وقالت فرقة أخرى: لا يبقى إنما يوجد في الوقت الذي خلقه الله ثم يعدم بعد ذلك، وهذا المذهب هو من فروع الأصل الباطل المخالف لجميع كتب الله ورسله، ولصريح المعقول والفطر، من جحد صفات الرب وتعطيل حقائق أسمائه ونفي قيام الأفعال به، فلما أصلوا أنه لا يقوم به وصف ولا فعل كان من فروع هذا الأصل أنه لم يتكلم بالقرآن ولا بغيره، وأن القرآن مخلوق، وطرد ذلك إنكار ربوبيته وإلهيته، فإن ربوبيته سبحانه إنما تتحقق بكونه فعالا مدبرا متصرفا في خلقه، يعلم ويقدر ويريد ويسمع ويبصر، فإذا انتفت أفعاله وصفاته انتفت ربوبيته، إذا انتفت عنه صفة الكلام انتفى الأمر والنهي ولوازمها وذلك ينفي حقيقة الإلهية، فطرد ما أصلوه أن الله سبحانه ليس برب العالم ولا إله، فضلا عن أن يكون لا رب غيره ولا إله سواه.

[مذهب الكلابية]

المذهب الرابع: مذهب الكلابية، أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهي مخلوقة، وهو أربع معان في نفسه: الأمر والنهي والخبر والاستفهام، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع، وذلك المعنى هو المتلو المقروء، وهو غير مخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة العباد وهي مخلوقة، وهذا المذهب أول من يعرف أنه قال به ابن كلاب، وبناه على أن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم، والحروف والأصوات حادثة فلا يمكن أن تقوم بذات الرب تعالى لأنه ليس محلا للحوادث، فهي مخلوقة منفصلة عن الرب، والقرآن اسم ذلك المعنى وهو غير مخلوق.

[مذهب الأشعري]

المذهب الخامس: مذهب الأشعري ومن وافقه أنه معنى واحد قائم بذات الرب، وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت، ولا ينقسم ولا له أبعاض ولا له أجزاء ولا عين الأمر وعين النهي وعين الخبر وعين الاستخبار، الكل من واحد وهو عين التوراة والإنجيل والقرآن والزبور، وكونه أمرا ونهيا، وخبرا واستخبارا صفات لذلك المعنى الواحد، وأنواع له، فإنه لا ينقسم بنوع ولا جزء، وكونه قرآنا وتوراة وإنجيلا تقسيم للعبارات عنه لا لذاته، بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان اسمه إنجيلا، والمعنى واحد، وهذه الألفاظ عبارة عنه ولا يسميها حكاية، وهي خلق من المخلوقات، وعنه لم يتكلم الله بهذا الكلام العربي، ولا سمع من الله وعنده ذلك المعنى سمع من الله حقيقة، ويجوز أن يرى ويشم، ويذاق ويلمس، ويدرك بالحواس الخمس، إذ المصحح عنده لإدراك الحواس هو الوجود، فكل وجود يصح تعلق الإدراكات كلها به كما قرره في مسألة رؤية من ليس في جهة من الرائي، وأنه يرى حقيقة وليس مقابلا للرائي.

هذا قولهم في الرؤية وذلك قولهم في الكلام.

والبلية العظمى نسبة ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه جاء بهذا ودعا إليه الأمة،

وأنهم أهل الحق، ومن عداهم أهل الباطل، وجمهور العقلاء يقولون: إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم في بطلانه، وهو لا يتصور إلا كما تتصور المستحيلات الممتنعات، وهذا المذهب مبني على مسألة إنكار قيام الأفعال والأمور الاختيارية بالرب تعالى ويسمونها مسألة حلول الحوادث، وحقيقتها إنكار أفعاله وربوبيته إرادته ومشيئته.

[مذهب الكرامية]

المذهب السادس: مذهب الكرامية، وهو أنه متعلق بالمشيئة والقدرة قائم بذات الرب تعالى، وهو حروف وأصوات مسموعة، وهو حادث بعد أن لم يكن، فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن متكلما، كما يقوله سائر فرق المتكلمين أنه فعل بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن فاعلا، كما ألزموا به الكرامية في مسألة الكلام، فهو لازم لهم في مسألة الفعل، والكرامية أقرب إلى الصواب منهم، فإنهم أثبتوا كلاما وفعلا حقيقة قائمين بذات المتكلم الفاعل، وجعلوا لهما أولا، فرارا من القول بحوادث لا أول لها، ومنازعون أبطلوا حقيقة الكلام والفعل، وقالوا لم يقم به فعل ولا كلام البتة، وأما من أثبت منهم معنى قائما بنفسه سبحانه، فلو كان ما أثبته مفعولا لكان من جنس الإرادة والعلم لم يكن شيئا خارجا عنهما، فهم لم يثبتوا له كلاما ولا فعلا وأما الكرامية فإنهم جعلوه متكلما بعد أن لم يكن متكلما، كما جعله خصومهم فاعلا بعد أن لم يكن فاعلا.

[مذهب السالمية] (١)

المذهب السابع: مذهب السالمية ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث أنه صفة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال، لا يتعلق بقدرته ومشيئته، ومع ذلك هو حروف وأصوات، وسور وآيات سمعه جبرائيل منه، وسمعه موسى بلا واسطة، ويسمعه سبحانه من

---

(١) "جماعة ينسبون إِلَى مَذْهَب أبي الحسن مُحَمَّد بن أَحْمد بن سالم السالمي فِي الْأُصُول يُقَال لَهُم السالمية وَهُوَ مَذْهَب مَشْهُور بِالْبَصْرَة وسوادها". اللباب في تهذيب الأنساب «٢/ ٩٣».

وقال الذهبي عن أبي الحسن البصري هذا: "وَلَهُ أَصْحَابٌ يُسَمَّوْنَ السَّالِمِيَّة، هجرهُمُ النَّاسُ لأَلْفَاظِ هُجنَةٍ أطلقُوهَا وَذَكَرُوهَا ... وَمَاتَ ابْنُ سَالِمٍ وَقَدْ قَاربَ التَّسْعِيْنَ سَنَةَ بضع وَخَمْسِيْنَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ" - سير أعلام النبلاء - ط الرسالة «١٦/ ٢٧٣».

يشاء، وإسماعه نوعان: بواسطة وبغير واسطة ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضا، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر، وجمهور العقلاء قالوا: تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه.

والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها، وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل، والعجب أنها هي الدائرة بين فضلاء العالم لا يكادون يعرفون غيرها.

وكل الأقوال الباطلة المخالفة لمعتقد أهل السنة- ظهرت بعد عهد الصحابة الذي كان سليمًا من الشوائب والانحرافات المشئومة، ولم يُحْدِث القول بخلق القرآن إلا الجهمية من المعتزلة، وهو مِن أعظم الفتن التي مَرَّت بها الأمة الإسلامية في تاريخها، وكان أول من أحدث القول بخلق القرآن هو «**الجعد بن درهم**» سنة أربع وعشرين ومائة هجرية، ولما هلك أخذ الراية من بعده «**الجهم بن صفوان**» سنة ثمان وعشرين ومائة هجرية.

ولما بدأ القرن الثالث الهجري تولى نشر هذه البدعة بِشر بن غياث المريسي سنة ثماني عشرة ومائتين هجرية، ثم تلقاها أحمد بن أبي دؤاد سنة أربعين ومائتين هجرية، وزَيَّنها للمأمون حتى اعتنقها، وحمل الناس عليها وأكرههم على اعتقادها، وحذا حذوه مِن بعده أخوه المعتصم والواثق.

وفي زمن هؤلاء الثلاثة الخلفاء العباسيين نزلت المحنة والبلاء بعلماء أهل السنة والجماعة الذين ثبتوا في اعتقادهم على منهج السلف ورَدُّوا كيد المعتزلة في نحورهم ببيان الحق في كلام الله تعالى، حتى إن الإمام أحمد رحمه الله ضُرِب في هذه المحنة؛ كي يَحصلوا منه على أدنى كلمة تُوافق مذهب الاعتزال- فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلًا، فثبت- رحمه الله- على التمسك بعقيدة السلف الصالح حتى كان سببًا في حفظ العقيدة السلفية الصحيحة التي حماها الله من التلوث ببراثن الجهمية والمعتزلة، وبيَّن رحمه الله بموقفه ذلك بُطلان ما دَبَّره الجهمية والمعتزلة من الكيد للإسلام، فبلغ الأمة فساد قولهم بأن القرآن مخلوق، ولم ترتفع تلك الفتنة، وهي فتنة القول بخلق القرآن إلَّا في زمن المتوكل سنة أربع وثلاثين ومائتين، وبسبب تلك المحنة التي امتُحن

فيها أئمةُ الإسلام، وثَبَت فيها إمامُ أهل السُّنَّة أحمد بن حنبل تَنازع الناسُ في القرآن نزاعًا كبيرًا[١].

المسألة الثالثة: قول أهل السنة في القرآن وأنه كلام الله:

صفة الكلام من الصفات التي لها تشعبات كثيرة متعددة يحسن عند عرضها أن يكون العرض لها مفصلًا بحسب تلك التفريعات التي سأضع لها عناوين جانبية مما يساعد من جهة على التعرف على قول أهل السنة بشكل أدق، والتعرف على أقوال المخالفين حين عرضها في تلك الجزئيات من جهة أخرى.

أولًا: إثبات صفة الكلام لله عز وجل.

يثبت أتباع الرسل صفة الكلام لله عز وجل كما أثبتوا له سائر الصفات، ومحال قيام هذه الصفة بنفسها كما يقوله بعض المكابرين أنه خلق الكلام لا في محل، ومحال قيامها بغير الموصوف بها كما يقوله المكابر الآخر أنه خلق في محل فكان هو المتكلم به دون المحل، قالوا والكلام الحقيقي هو الذي يوجد بقدرة المتكلم وإرادته قائما به، لا يعقل غير هذا، وأما ما كان موجودا بدون قدرته ومشيئته وإن سمع منه فإنه ليس بكلام له، وإنما هو مخلوق خلقه الله فيه، فلو كان ما قام بالرب تعالى من الكلام غير متعلق بمشيئته بل يتكلم بغير اختياره لم يكن هذا هو الكلام المعهود، بل هذا شيء آخر غير ما يعرفه العقل ويشهد به الشرع، قالوا: ولو لم يكن هناك ألفاظ مسموعة حقيقة السمع لم يكن ثم صفة كلام البتة، ولو كان عاجزا عن الكلام في الأزل لم يصر قادرا عليه فيما لم يزل، فإنه إذا كانت حاله قبل وبعد سواء وهو لم يستفد صفة الكلام من غيره، فمن المستحيل أن تجدد له هذه الصفة بعد أن كان فاقدا لها بالكلية.

وكذلك إثبات قدم عين كل فرد من أنواع الكلام وبقائه أزلا وأبدا واقتران حروفه بعضها

---

[١] انظر: «مباحث العقيدة في سورة الزمر»، لناصر الشيخ «ص ٥٣»، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

ببعض بحيث لا يسبق شيء منها لغيره، لا يسيغه عقل ولا تقبله فطرة وقد دلت النصوص النبوية أنه متكلم إذا شاء بما شاء، وأن كلامه يسمع، وأن القرآن العزيز الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلامه حقا، لا تأليف ملك ولا بشر، وأنه سبحانه الذي قاله بنفسه: ﴿المص﴾ [الأعراف: الآية: ١]، ﴿حم عسق﴾ [الشورى: الآية: ١]، ﴿كهيعص﴾ [مريم: الآية: ١].

وأن القرآن جميعه، حروفه ومعانيه نفس كلامه الذي تكلم به، وليس بمخلوق ولا بعضه قديما، وهو المعنى وبعضه مخلوق، وهو الكلمات والحروف، ولا بعضه كلامه وبعضه كلام غيره، ولا ألفاظ القرآن وحروفه ترجمة ترجم بها جبرائيل أو محمد عليهما السلام عما قام بالرب من المعنى من غير أن يتكلم الله بها، بل القرآن جميعه كلام الله، حروفه ومعانيه، تكلم الله به حقيقة، والقرآن اسم لهذا النظم العربي الذي بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عن رب العالمين.

فللرسولين منه مجرد التبليغ والأداء، لا الوضع والإنشاء، كما يقول أهل الزيغ والاعتداء، فكتاب الله عندهم غير كلامه، كتابه مخلوق وكلامه غير مخلوق، والقرآن إن أريد به الكتاب كان مخلوقا، وإن أريد به الكلام كان غير مخلوق، وعندهم أن الذي قال السلف هو غير مخلوق هو عين القائم بالنفس وأما ما جاء به الرسول وتلاه على الأمة فمخلوق، وهو عبارة عن ذلك المعنى، وعندهم أن الله تعالى لم يكلم موسى، وإنما اضطره إلى معرفة المعنى القائم بالنفس من غير أن يسمع منه كلمة واحدة، وما يقرؤه القارئون ويتلوه التالون فهو عبارة عن ذلك المعنى، وفرعوا على هذا الأصل فروعا: منها: أن كلام الله لا يتكلم به غيره، فإنه عين القائم بنفسه، ومحال قيامه بغيره فلم يتل أحد قط كلام الله ولا قرأه.

ومنها: أن هذا الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كلام الله إلا على سبيل المجاز.

ومنها: أنه لا يقال إن الله تكلم ولا يتكلم ولا قال ولا يقول ولا خاطب ولا يخاطب، فإن هذه كلها أفعال إرادية تكون بالمشيئة، وذلك المعنى صفة أزلية لا يتعلق بالمشيئة.

ومنها: أنهم قالوا لا يجوز أن ينزل القرآن إلى الأرض، فألفاظ النزول والتنزيل لا حقيقة لشيء منها عندهم.

ومنها: أن القرآن القديم لا نصف له ولا ربع ولا خمس ولا عشر ولا جزء له البتة.

ومنها: أن معنى الأمر هو معنى النهي، ومعنى الخبر والاستخبار، وكل ذلك معنى واحد بالعين.

ومنها: أن نفس التوراة هي نفس القرآن ونفس الإنجيل والزبور، والاختلاف في التأويلات فقط.

ومنها: أن هذا القرآن العربي تأليف جبرائيل أو محمد أو مخلوق خلقه الله تعالى في اللوح المحفوظ، فنزل به جبرائيل من اللوح لا من الله على الحقيقة كما هو معروف من أقوالهم.

ومنها: أن ذلك العين القديم يجور أن تتعلق به الإدراكات الخمس فيسمع ويرى ويشم ويذاق ويلمس إلى غير ذلك من الفروع الباطلة سمعا وعقلا وفطرة.

وقد دل القرآن وصريح السنة والمعقول وكلام السلف على أن الله سبحانه يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته، وهي صفة ذات وفعل قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: الآية: ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: الآية: ٨٢] فإذا: تخلص الفعل للاستقبال «**وأن**» كذلك «**ونقول**» فعل دال على الحال والاستقبال «**وكن**» حرفان يسبق أحدهما الآخر، فالذي اقتضته هذه الآية هو الذي في صريح العقول والفطر.

وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ [الإسراء: الآية: ١٦] الآية، سواء كان الأمر هاهنا أمر تكوين أو أمر تشريع فهو موجود بعد أن لم يكن، وكذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: الآية: ١١] وإنما قال لهم اسجدوا بعد خلق آدم وتصويره.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] الآيات كلها، فكم من برهان يدل على أن التكلم هو

الخطاب وقع في ذلك الوقت.

وكذلك قوله: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ [القصص: الآية: ٣٠]، والذي ناداه هو الذي قال له: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: الآية: ١٤]، وكذلك قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ﴾ [القصص: الآية: ٦٢]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: الآية: ٤٠] وقوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ [ق: الآية: ٣٠] الآية، ومحال أن يقول سبحانه لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قبل خلقها ووجودها.

وتأمل نصوص القرآن من أوله إلى آخره ونصوص السنة، ولا سيما أحاديث الشفاعة وحديث المعراج وغيرها، كقوله:" «**أتدرون ماذا قال ربكم الليلة**». "[(١)]، وقوله: " «**إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة**». "[(٢)]، وقوله: " «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حاجب**». "[(٣)].

وقد أخبر الصادق المصدوق أنه يكلم ملائكته في الدنيا فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي، ويكلمهم يوم القيامة، ويكلم أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين يومئذ ويكلم أهل الجنة في الجنة ويسلم عليهم في منازلهم، وأنه كل ليلة يقول: «**من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، من يقرض غير عديم ولا ظلوم**». "[(٤)]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحا**». "[(٥)]، ومعلوم أنه في ذلك الوقت كلمه وقال له: تمن علي.

إلى أضعاف أضعاف ذلك من نصوص الكتاب والسنة التي إن دفعت دفعت الرسالة

(١) أخرجه البخاري «٨٤٦»، ومسلم «٧١» باختلاف يسير.

(٢) أخرجه أبو داود «٩٢٤» واللفظ له، والنسائي «١٢٢١» باختلاف يسير. وأخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم قبل حديث «٧٥٢٢» مختصراً.

(٣) أخرجه البخاري «٧٤٤٣»، ومسلم «١٠١٦» باختلاف يسير.

(٤) أخرجه البخاري «١١٤٥» بنحوه، ومسلم «٧٥٨» باختلاف يسير.

(٥) أخرجه الترمذي «٣٠١٠» واللفظ له، وابن ماجه «١٩٠» باختلاف يسير، وأحمد «١٤٨٨١» مختصراً.

بأجمعها، وإن كانت مجازا كان الوحي كله مجازا، وإن كانت من المتشابه كان الوحي كله من المتشابه، وإن وجب أو ساغ تأويلها على خلاف ظاهرها ساغ تأويل جميع القرآن والسنة على خلاف ظاهره، فإن مجيء هذه النصوص في الكتاب وظهور معانيها وتعدد أنواعها واختلاف مراتبها أظهر من كل ظاهر، وأوضح من كل واضح، فكم جهد ما يبلغ التأويل والتحريف والحمل على المجاز.

هب أن ذلك يمكن في موضع واثنين وثلاثة وعشرة، أفيسوغ حمل أكثر من ثلاثة آلاف وأربعة آلاف موضع كلها على المجاز وتأويل الجميع بما يخالف الظاهر؟ ولا تستبعد قولنا أكثر من ثلاث آلاف، فكل آية وكل حديث إلهي وكل حديث فيه الإخبار عما قال الله تعالى أو يقول، وكل أثر فيه ذلك، إذا استقرئت زادت على هذا العدد، ويكفي أحاديث الشفاعة وأحاديث الرؤية وأحاديث الحساب، وأحاديث تكليم الله لملائكته وأنبيائه ورسله وأهل الجنة، وأحاديث تكليم الله لموسى، وأحاديث تكلمه عند النزول الإلهي، وأحاديث تكلمه بالوحي، وأحاديث تكليمه للشهداء، وأحاديث تكليم كافة عباده يوم القيامة بلا ترجمان ولا واسطة، وأحاديث تكليمه للشفعاء يوم القيامة حين يأذن لهم في الشفاعة، إلى غير ذلك، إذ كل هذا وأمثاله وأضعافه مجاز لا حقيقة له، سبحانك هذا بهتان عظيم، بل نشهدك ونشهد ملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك أنك أحق بهذه الصفة وأولى من كل أحد، وأن البحر لو أمده من بعده سبعة أبحر، وكانت أشجار الأرض أقلاما يكتب بها ما تتكلم به، لنفدت البحار والأقلام ولم تنفد كلماتك، وأنك لك الخلق والأمر، فأنت الخالق حقيقة". (١)

قال ابنُ تَيميَّةَ-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "الرب تعالى لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال، منعوتا بنعوت الجلال والإكرام، وكماله من لوازم ذاته، فيمتنع أن يزول عنه شيء من صفات كماله، ويمتنع أن يصير ناقصا بعد كماله. وهذا الأصل عليه قول السلف وأهل السنة: أنه لم يزل متكلما إذا شاء، ولم يزل قادرا، ولم يزل موصوفا بصفات الكمال، ولا يزال

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة «ص: ٤٩٤-٥٠٣».

كذلك". (١)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "ولا نزاع بين العلماء أن كلام الله تعالى لا يفارق ذات الله، ولا يباينه كلامه، ولا شيء من صفاته، بل ليس صفة شيء من موصوف تباين موصوفها وتنتقل عنه إلى غيره. فكيف يتوهم عاقل أن كلام الله يباينه، وينتقل إلى غيره". (٢)

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "وقد دل القرآن وصريح السنة والمعقول وكلام السلف على أن الله سبحانه يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته، وهي صفة ذات وفعل". (٣)

فصفة الكلام صفة ذاتية فعلية (٤). فكلام الله عز وجل باعتبار أصله ونوعه: صفة ذات، وباعتبار آحاد الكلام وأفراده: صفة فعل". (٥)

وقال السعدي-رحمه الله-«**ت: ١٣٧٦ هـ**»: "يصفونه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات الذاتية؛ كالحياة الكاملة، والسمع والبصر، وكمال القدرة، والعظمة والكبرياء، والمجد والجلال والجمال، والحمد المطلق، ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته؛ كالرحمة، والرضا، والسخط، والكلام، وأنه يتكلم بما يشاء كيف يشاء، وكلماته لا تنفد، ولا تبيد". (٦)

أ-الأدلة من القرآن.

---

(١) مجموع الفتاوى «٦/ ٢٥٠».

(٢) مجموع الفتاوى «١٢/ ٥٢»، مجموعة الرسائل والمسائل «٣/ ٣٥».

(٣) مختصر الصواعق المرسلة «ص: ١٣١٨».

(٤) "الصفات الفعلية من حيث قيامها بالذات تسمى: صفات ذات، ومن حيث تعلقها بما ينشأ عنها من الأقوال والأفعال تسمى: صفات أفعال، ومن أمثلة ذلك: صفة الكلام". يُنظر: القواعد المثلى، لابن عثيمين «ص: ٢٥».

(٥) يُنظر: القواعد المثلى، لابن عثيمين «ص: ٢٥»

(٦) القول السديد «ص: ٨». يُنظر: القواعد المثلى، لابن عثيمين «ص: ٢٥».

وقد أثبت الله الكلام لنفسه، خلافًا لما يعتقده الضالون،

١ - قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٣].

٢ - وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: الآية: ١٦٤].

٣ - وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣].

٤ - وقال تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: الآيات: ١٣ - ١٤].

٥ - وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: الآية: ٣٠].

٦ - وقالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: الآية: ٤٠].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: الآية: ١٠٩].

٨ - وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: الآية: ١١٥].

٩ - وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ﴾ [الفتح: الآية: ١٥].

١٠ - وقال تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٧٥].

١١ - وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: الآية: ٦].

وأمَّا الأدلَّةُ على حِرْمانِ أقوامٍ من تكليمِ الله لهم، فمنها:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

«١٧٤» أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: الآيات: ١٧٤ - ١٧٥].

٢ - وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: الآية: ٧٧].

والأيات في ذلك كثيرةٌ جدًا.

ب-الأدلة من السنة.

١- حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت: ٥٧ هـ**»، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**احتجّ آدمُ وموسى، فقالَ له موسى: يا آدم، أنتَ أبونا، خَيَّبْتَنا وأخرَجْتَنا من الجنَّة، قال له آدم: يا موسى، اصطفاكَ الله بكلامِهِ، وخَطَّ لكَ [التوراةَ] بيدهِ، أتلومُني على أمْرٍ قدَّرهُ الله عليَّ قبلَ أن يخلقَني بأربعينَ سنةً؟ فحَجَّ آدمُ موسى، فحَجَّ آدمُ موسى -ثلاثًا-**». [(١)]

٢- حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-«**ت: ما بين ٧٣ إلى ٧٧ هـ**»، قال: "كانَ النبيُّ-صلى الله عليه وسلم-يَعْرِضُ نفسَه على الناس بالموقفِ فيقول: «**هلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُني إلى قومِهِ؟ فإنَّ قريشًا قدْ مَنعوني أن أبلّغَ كلامَ رَبِّي عَزَّ وجلَّ**». الحديث. [(٢)].

٣ - حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت: ٥٧ هـ**»، عن النبي -صلى الله عليه

(١) أخرجه البخاري «٥/ ١٦٠»، «٩/ ٣٨٨»، «١١/ ٥٤٨-٥٤٩»، ومسلم رقم: «١٢٧».

(٢) أخرجه أحمد «٣/ ٣٩٠»، وأبو داود «٤٧٣٤»، والترمذي «٢٩٢٥»، وابن ماجة «٢٠١»، والدارمي «٣٣٥٧»، والنسائي في "الكبرى" -كما في "تحفة الأشراف" «٢/ ١٧٥»-، والبخاري في "خلق أفعال العباد" رقم «٨٦، ٢٠٥»، وعثمان الدارمي في "الرد على الجهمية" رقم «٢٨٤»، والحاكم «٢/ ٦١٢ - ٦١٣»، وأبو نعيم في "دلائل النبوة" رقم «٢١٧»، واللالكائي في "السنة" رقم «٥٥٤، ٥٥٥»، والبيهقي في "الاعتقاد" «ص: ١٠٠»، و"الأسماء والصفات" «ص: ١٨٧»، و"دلائل النبوة" «٢/ ٤١٣»، وإسماعيل بن الفضل الأصبهاني في "الحجة" «ق ٤٨/ أ-ب» من طرق عن إسرائيل: حدثنا عثمان ابن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن جابر به.

وسلم- قال: "فضلُ كلامِ الله على سائرِ الكلامِ كفَضْلِ الله على سائرِ خلقِه". [١]

٤-حديث أبي أمامةَ-رضي الله عنه-«ت: **٨١ أو ٨٦ هـ**» أنَّ رجلًا أتى النبيَّ-صلى الله عليه وسلم-قال: يا نبيَّ الله، أنبيًّاً كانَ آدمُ؟ قالَ: «**نَعَمْ، مُكَلَّمًا**». قَالَ: كم بينَه وبينَ نُوحٍ؟ قالَ: «**عَشرةُ قُرون**». [٢]

٥-حديث النعمان بن بشير-رضي الله عنه-«ت: **٦٥ هـ**»، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إنَّ الله كَتَبَ كتابًا قبلَ أن يخلقَ السماواتِ والأرضَ بألفَي عام، فأنزلَ منه آيتين ختمَ بِهما سورةَ البقرةِ، فلا تقْرآنِ في "دارٍ ثلاثَ ليالٍ فيقرَبُها شَيْطانٌ**». [٣]

٦-حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-«ت: **٥٧ هـ**»، قال: سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**يَقبِضُ الله الأرضَ، ويَطْوي السَّماواتِ بيمينه، ثمَّ يقول: أنا المَلِكُ؛ أَينَ مُلوكُ الأرضِ؟ " وفي لفظ: "يَقبِضُّ الله الأرضَ يوم القيامة ...**». [٤]

٧- وحديث عَدِيّ بنِ حاتِمٍ-رضي الله عنهما-«ت: **٦٦ أو ٦٩ هـ**»، قالَ: قالَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-:

«ما مِنكُمْ من أحَدٍ إلا سيكلِّمُهُ الله، ليسَ بينَه وبينَه تُرْجُمانٌ، فينظُرُ أيْمَنَ منه فلا يَرى إلاَّ ما قدَّم، وينظُرُ بينَ يدَيْهِ فَلَا يَرى إلاَّ النَّارَ تِلقاءَ وَجْهِهِ، فاتَّقوا النَّارَ ولو بشِقّ تَمْرَةٍ».

وفي لَفْظٍ: «ما مِنْكُمْ من أحْدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، ليسَ بينَه وبينَه تُرْجُمانٌ ولا حِجَابٌ

---

(١) أخرجه عثمان الدارميُّ في "الرَّدِّ على الجَهْميَّة" رقم «٢٨٧، ٣٤٠»، واللالكائي رقم «٥٥٧»، والترمذي رقم «٢٩٢٦»، والدارمي رقم «٣٣٥٩»..

(٢) أخرجه الدارمي في "الرد على الجهمية" رقم «٢٩٩»، وابن حبان رقم «٢٠٨٥-موارد»، والطبراني في "الكبير" «٨/ ١٣٩-١٤٠»، و"الأوسط" رقم «٤٠٥»، والحاكم «٢/ ٢٦٢»، والبيهقي في "الأسماء والصفات" «ص: ٢٠٦»، وابن عساكر «٢/ ٣٢٥/ ب»، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم". وأقرّه الذهبي، وابن كثير في "البداية والنهاية" «١/ ١٠١». وقال الهيثمي في "المجمع" «١/ ١٩٦» و «٨/ ٢١٠»: "رجاله رجال الصحيح" زاد في الموضع الثاني: "غير أحمد بن خُليد الحلبي وهو ثقة".

(٣) أخرجه أحمد «٤/ ٢٧٤»، والترمذي رقم «٢٨٨٢»، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم «٩٦٧»، والدارمي رقم «٢٢٩٠»، وابن حبان رقم «١٧٢٦ - موارد»، والحاكم ١/ ٥٦٢ أو البيهقي في "الأسماء والصفات" «ص: ٢٣١ — ٢٣٢».

(٤) أخرجه البخاري «٨/ ٥٥١» و «١١/ ٣٧٢» و «١٣/ ٣٦٧»، ومسلم رقم «٢٧٨٧».

يَحْجُبُه». [(١)]

وبوَّب البخاري في «**صـــحيحه**» على ذلك فقال: «**باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة**» [(٢)]، وقال لأهل النار: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: الآية: ١٠٨].

ثانيًا: أن الله تعالى لم يَزل متكلِّمًا، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء.

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "منشأ النزاع بين الطوائف أن الرب تعالى هل يتكلم بمشيئته أم كلامه بغير مشيئته على قولين،

فقالت طائفة: كلامه بغير مشيئته واختياره، ثم انقسم هؤلاء أربع فرق،

١-قالت فرقة: هو فيض فاض منه بواسـطة العقل الفعال على نفس شـريفة فتكلمت به كما يقول ابن سينا وأتباعه وينسبونه إلى أرسطو.

٢-وفرقة قالت: بل هو معنى قائم بذات الرب تعالى هو به متكلم، وهو قول الكلابية ومن تبعهم، وانقسم هؤلاء فريقين،

فرقة قالت: هو معان متعددة في أنفســها أمر ونهي وخبر واســتخبار، ومعنى جامع لهذا الأربعة، وفرقة قالت: بل هو معنى واحد بالعين لا ينقسم ولا يتبعض.

وفرقة قالت: كلامه هو هذه الحروف والأصــوات، خلقها خارجة عن ذاته، فصــار بها متكلما، وهذا قول المعتزلة وهو في الأصــل قول الجهمية تلقاه عنهم أهل الاعتزال فنســب إليهم.

٣-وفرقة قالت: يتكلم بقدرته ومشــيئته كلاما قائما بذاته ســبحانه كما يقول به ســائر أفعاله لكنه حادث النوع، وعندهم أنه صــار متكلما بعد أن لم يكن متكلما كما قاله من لم يصــفهم من المتكلمين أنه صــار فاعلا بعد أن لم يكن، فقول هؤلاء في الفعل المتصــل كقول أولئك في الفعل المنفصل، وهذا قول الكرامية.

(١) أخرجه أحمد «٤/ ٢٥٦»، والبخاري «١١/ ٤٠٠» و «١٣/ ٤٢٣، ٤٧٤»، ومسلم «٢/ ٧٠٣-٧٠٤».

(٢) «صحيح البخاري» «٩/ ١٥١».

٤-وفرقة قالت: يتكلم بمشـــيئته، وكلامه ســـبحانه هو الذي يتكلم به الناس كله حقه وباطله وصدقه وكذبه، كما يقوله طوائف الاتحادية.

وقال أهل الحديث والسنة: إنه لم يزل سبحانه متكلما إذا شاء ويتكلم بمشيئته ولم تتجدد له هذه الصفة، بل كونه متكلما بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة، وهو بائن عن خلقه بذاته وصفاته وكلامه، وليس متحدا بهم ولا حالا فيهم".[1]

قال الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»: "بل نقول: إن الله لم يزل متكلما إذا شـاء ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام. ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علما فعلم، ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفســه القدرة، ولا نقول: إنه كان قد كان ولا نور له حتى خلق لنفســه نورا، ولا نقول: إنه قد كان ولا عظمة له حتى خلقه لنفسه عظمة".[2]

وقال عبد المغني المقدســـي-رحمه الله-«**ت: ٦٠٠ هـ**»: "مذهب أهل الحق أن الله عز وجل لم يزل متكلما بكلام مسموع مفهوم مكتوب".[3]

وقال ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-«**ت: ٧٩٢ هـ**»: "والحق أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة، وكلام الله تعالى لا يتناهى؛ فإنه لم يزل يتكلم بما شـاء إذا شـاء كيف شـاء، ولا يزال كذلك ... كلام الله محفوظ في الصـدور، مقروء بالألسـنة، مكتوب في المصاحف".[4]

قال عبد الباقي المواهبي الحنبلي-رحمه الله-«**ت ١٠٧١ هـــــ**»: "قال الأئمة: إن الله سـبحانه وتعالى يتكلم بمشـيئته وقدرته، بمعنى أنه لم يزل متكلما إذا شـاء، فإن الكلام صـفة

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة «ص: ٥٢٧-٥٢٨».

(٢) كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد «ص: ١٣٩».

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد «١/ ١٣٠».

(٤) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ١٩٢».

كمال، ومن يتكلم أكمل ممن لم يتكلم، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته، أكمل ممن يكون الكلام ممكنا له". (١)

ثالثًا: القرآن كلام الله.

من أركان الإيمان السّتة: الإيمانُ بالكُتُبِ التي أنزلها اللهُ، كما دلَّ على ذلك قولُه سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: الآية: ١٣٦]، وكذلك جاء في حديث جبريل عليه السلام، وفيه: «**الإيمان**»، قال: «**أن تُؤمن باللهِ، ومَلائكته، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِر، وتُؤمن بالقَدَرِ؛ خَيْرِه وشَرِّه**». (٢)

ومن الإيمانِ بالكتب: الإيمانُ بِأَنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ.

والقرآنُ في الأصل: مصدر قرأ قراءة وقرآنًا؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧]، أي: قراءته، فهو مَصدر على وزن فُعلان-بالضم- كالغُفران والشُّكران. (٣)

وفي الاصطلاح هو: «**كلام الله المُنَزَّل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، المُعجز بلفظه ومعناه، المكتوب في المصاحف، المَنقول إلينا بالتواتر، المُتعبد بتلاوته، المَبدوء بسورة الفاتحة، المُختتم بسورة الناس**". (٤)

والقرآنُ كلامُ الله، وهو صِفَةٌ مِن صِفَاتِهِ عز وجل؛ قال تَعَالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: الآية:٦]، وروي عن جابر بن

(١) كتاب العين والأثر في في عقائد أهل الأثر «ص: ٦٨».

(٢) أخرجه البخاري «٥٠» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم «٨» من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-.

(٣) انظر: لسان العرب «١/ ١٢٩»، ومناهل العرفان للزرقاني «١/ ٧».

(٤) انظر: مناهل العرفان «١/ ١٠-١٣»، و«مباحث في علوم القرآن» لمناع القطان «ص: ٢٠-٢١».

عبد الله–رضـي الله عنهما–«ت: ما بين ٧٣ إلى ٧٧ هـ» أنه قَالَ: "كَانَ رسـولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفسَهُ فِي المَوْسِمِ؛ فَيَقُولُ: «**أَلَا رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؛ لِأُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»."[١]

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "إنَّ سلفَ الأمَّةِ وأئمَّتها كانوا على الإيمان الذي بعثَ الله به نبيَّه–صلى الله عليه وسلم–، يصِفون الله بما وصَف به نفسَه، وبما وصَفَه به رسولُهُ من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، ويقولون: إنَّ القرآنَ كلامُ الله تعالى، ويصفونَ الله بما وصفَ به نفسَهُ، من التكليمِ، والمناجاة، والمناداةِ، وما جاءت به السُّنَنُ والآثارُ موافقةً لكتاب الله تعالى".[٢]

رابعًا: القرآن غير مخلوق[٣].

الذِي عَلَيهِ إجماعُ السَّلفِ الصَّالحِ مِنَ الصَّحابةِ–رضي الله عنهم–وَالتَّابعِينَ لَهم بِإحسَانٍ: أَنَّ القرانَ كلامُ اللهِ غَيرُ مَخلوقٍ؛ حُرُوفه وَمَعَانِيه، مُنَزَّلٌ مِن عِندِ اللهِ؛ نَزَلَ بِهِ جِبريلُ عليه السلام إِلَى نَبِيِّنا ﷺ.

فكلامُ الله تعالى صفةٌ من صفاتهِ غيرُ مَخلوقٍ كسائر صِفاتِه، سَواء كان القرآن العربيَّ، أوِ التَّوراةَ العِبريَّةَ، أو غيرَ ذلك من كلامِهِ تعالى، ممَّا وقَعَ من كلامِهِ، وممَّا لَم يقع بَعْدُ.

ولَقَدْ كانَ السَّلفُ في صَدْرِ الإسلام في غِنًى عن إطلاقِ لفظِ «**غير مخلوق**» لأنَّه كانَ من المسَلَّمِ عندهم أنَّ كلامَ الله صفةٌ مِن صفاتِهِ، وصفاتُهُ غيرُ مَخلوقةٍ، حتى ظَهَرت الجَهمية، فنفَتْ صفةَ الكلامِ عن الله تعالى، لكنْ لما كانَ هذا القولُ منكَراً شَنيعاً، تَنفرُ منه قلوبُ الناسِ، وتقشَعِرُّ منه جلودُهم، ويرفُضُهُ إيمانُهُمْ، أبدَلوهُ بقَوْلِهِم: كلامُ الله مَخْلوقٌ، فتظاهَروا بإثباتِ الكلامِ،

---

(١) أخرجه أبو داود «٤٧٣٤»، والترمذي «٢٩٢٥»، وابن ماجه «٢٠١»، والحاكم «٢/ ٦٦٩» وصححه، من حديث أبي هريرة–رضي الله عنه–، وقال في «المجمع» «٦/ ٣٥»: «رجاله ثقات».

(٢) «مجموع الفتاوى» «٦/ ٥١٨».

(٣) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

وأبطلُوهُ بقولهم: مخلوقٌ.

فلمَّا كانَ حقيقةُ قَوْلِهِم إبطالَ صفةِ الكلامِ وتَعطيلَها قابَلهم السَّلَفُ برفْضِ هذهِ البدعةِ وإنكارِها، والتَّشديدِ عليهم في ذلكَ، بل وتكفيرهم، لأنَّ حقيقةَ قولهم الكفرُ، لِما تضمَّنَ من تكذيبِ القرآنِ، وإثبات النَّقْصِ للرَّحمنِ، فقالَ السَّلَفُ حينئذٍ: «**كلامُ الله –كالقرآن وغيره– غيرُ مخلوقٍ**».

ولقَدْ كانَتْ لهذه العقيدةُ مبنيَّةً على أسُسٍ متينةٍ وقَواعدَ عظيمةٍ من الكتابِ والسُّنَّةِ، والمعقولِ الصَّريحِ، ونُصوصِ السَّلَفِ وكَلامِهم، خِلافًا لما يحسَبُه الجاهلونَ.

الأدلة من القرآن الكريم:

١ – قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤].

والاحتجاجُ بهذه الآيةِ من وَجْهَيْن:

الأول: أنَّه تعالى فرَّقَ بين الخَلْقِ والأمْرِ، وهما صِفَتان من صِفاتِهِ، أضافَهما إلى نفسهِ، أمَّا الخَلْقُ فَفِعْلُهُ، وأمَّا الأَمرُ فقولُهُ، والأصْلُ في المتعاطفين التَّغايُرُ إلاَّ إذا قامَتِ القرينةُ على عَدم إرادَة ذَلكَ، وهنا قد قامتِ القرائنُ على توكيدِ الفَرْقِ بَيْنَهُما، ومنها الوجهُ الآتي.

والثاني: أنَّ الخَلْقَ إنَّما يكونُ بالأمْرِ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: الآية: ٨٢].

فقوله تعالى: ﴿كُنْ﴾ هو أمْرُهُ، فلو كانَ مَخْلوقاً لاحتاجَ خلقُهُ إلى أمْرٍ، والأمْرُ إلى أمرٍ، إلى ما لا نِهاية، وهذا باطلٌ.

وقد احتجَّ الإمامُ أحمدُ–رحمه الله–«**ت: ٢٤١ هـ**» على الجَهْمِيَّة المعْتزلةِ بهذه الآية.

قال–رحمه الله–: "قلتُ: قال الله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ والأمْرُ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، ففرَّقَ

بين الخَلْقِ والأمْرِ".[١]

وقال لهم: "قال الله: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ ...﴾ [النحل: الآية: ١] فأمْرُهُ كلامُه واستطاعَتُهُ ليسَ بمخلوقٍ، فلا تَضْرِبوا كِتابَ الله بعضَهُ بِبعضٍ".[٢]

وقالَ فيما كَتَبَهُ للمتوكِّل حينَ سألَهُ عن مَسألةِ القرآنِ: "وقَدْ قالَ الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ...﴾ [التوبة: الآية: ٦]، وقَالَ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، فَأخبرَ بالخَلْقِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالأَمْرُ﴾، فأخبرَ أنَّ الأمرَ غَيْرُ مَخلوقٍ".[٣]

وقد سبَقَ الإمامَ أحمد إلى هذا الاحتجاج شيخُه الإمامُ سفيانُ بن عُيَيْنَةَ الهِلاليُّ–الحافظُ الثِّقَةُ الحُجَّةُ–«**ت: ١٩٨ هـ**»، فقالَ رَحمه الله: "ما يَقولُ هذا الدُّوَيْبَّةُ؟ " –يعني بشرًا المريسِيّ–

.

قالوا: يا أبا محمَّدٍ، يزعُمُ أنَّ القُرآنَ مَخلوقٌ،

فقالَ: "كَذَبَ، قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، فالخَلْقُ خَلْقُ الله تبارك وتعالى، والأمْرُ القرآنُ".[٤]

قال الحافظُ هبةُ الله ابنُ الطَّبَريّ–رحمه الله–«**ت: ٤١٨ هـ**»، عقبَ هذا: "وكذلكَ قالَ أحمدُ بن حنبل «**ت: ٢٤١ هـ**»، ونُعَيْمُ بن حمَّادٍ «**ت: ٢٢٨ هـ**»، ومحمَّدُ بن يحيى الذُّهْليُّ «**ت: ٢٥٨ هـ**»، وعَبْدُ السَّلام بن عاصمٍ الرازيُّ، وأحمدُ بن سِنانٍ الواسطيُّ «**ت: ٢٥٦ هـ**»، وأبو حاتِمٍ الرازيُّ «**ت: ٢٧٧ هـ**»".[٥]

---

(١) رواه حنبل في "المحنة" «ص: ٥٣» عن أحمد.

(٢) رواه حنبل في "المحنة" «ص: ٥٤» عنه.

(٣) رواه صالح ابنه في "المحنة" روايته «ص: ١٢٠–١٢١».

(٤) رواه الآجري في "الشريعة" «ص: ٨٠»، وابن الطبري في "السنة" رقم «٣٥٨» والخطيب في "تاريخ بغداد" «٩/ ٨٨–٨٩» بسند جيد عنه.

(٥) ابن الطبري في "السنة" رقم «٣٥٨».

٢ – وقالَ تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: الآيات: ١ – ٣].

ففرَّقَ تعالى بينَ عِلمهِ وخَلْقِهِ، فالقرآنُ عِلْمُهُ، والإنسانُ خلقُهُ، وعِلْمُهُ تعالى غيرُ مَخلوقٍ.

قالَ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: الآية: ١٢٠].

وقالَ تعالى: ﴿... وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: الآية: ١٤٥].

وقالَ تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: الآية: ٣٧].

فسمَّى الله تعالى القرآنَ عِلْماً، إذْ هو الذي جاءَه مِنْ رَبِّهِ؟ وهو الذي عَلَّمهُ الله تعالى إيَّاه –صلى الله عليه وسلم–، وعِلْمُهُ تعالى غيرُ مَخلوقٍ، إذ لو كانَ مخلوقًا لاتَّصَفَ تعالى بِضدِّهِ قبلَ الخَلْقِ، تعالى الله عن ذلك وتنزَّه وتقدَّس.

وبهذا احتجَّ الإمامُ أحمدُ–رحمه الله–«**ت: ٢٤١ هـ**»، على الجَهْمية فيما كتبَهُ للمتوكِّل في مسألة القرآنِ.

قالَ–رحمه الله–: "قالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، فَأخبرَ تَعالى أنَّ القرآنَ مِنْ عِلْمِهِ" ثمَّ احتجَّ بالآياتِ الثلاثِ المذكوراتِ، ثمَّ قال: "فالقرآنُ من علم الله تعالى، وفي هذه الآيات دليلٌ على أنَّ الذي جاءَه –صلى الله عليه وسلم– هو القرآنُ، لقولِهِ: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: الآية: ١٢٠]".[١]

وقالَ–رحِمَه الله–في حكايةِ مُناظرتِهِ للجَهْميةِ في مَجْلس المعتصِم: "قالَ لي عبدُ الرَّحمن القزّازُ[٢]: كانَ اللهُ ولا قرآنَ، قلتُ له: فكانَ الله ولا عِلْم! فأمْسَكَ، ولَوْ زعَمَ أنَّ اللهَ كانَ ولا عِلْم

---

(١) رواه صالح في "المحنة" «ص: ١٢١»، وعبد الله في "السنة" رقم «١٠٧» عن أبيهما به.

(٢) أحدُ مناظِري الإمام بحضرة المعتصم.

لكفَرَ باللهِ".[١]

وقيلَ له-رحِمَه الله-: قومٌ يقولونَ: إذا قال الرَّجُلُ: كلامُ الله ليسَ بمخلوقٍ، يقولون: مَنْ إمامُكَ في هذا؟ ومِنْ أيْنَ قلتَ: ليس بمخلوقٍ؟ قال:

"الحجَّة قولُ الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: الآية: ١٢٠]، فما جاءَه غيرُ القرآن".

قال: "القرآنُ من عِلْمِ الله، وعلمُ الله ليسَ بمخلوقٍ، والقُرْآنُ كلامُ الله ليسَ بمخلوقٍ، ومثلُ هذا في القرآنِ كثيرٌ".[٢]

وقالَ رحِمَه الله: "القُرآنُ علمٌ مِنْ عِلمِ الله، فمَنْ زعَمَ أنَّ عِلمَ الله مخلوقٌ فهو كافرٌ".[٣]

٣ - وقالَ تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف: الآية: ١٠٩].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: الآية: ٢٧].

فأخبرَ تعالى -وقولُهُ الحَقُّ- أنَّ كَلِماتِهِ غيرُ مُتَناهِيَةٍ، فَلو أنَّ البحارَ التي خَلَقَ الله كانتْ مِدادًا تُكْتَبُ به، والشَّجَرَ الذي خلقَ الله أقلاماً تُخَطُّ بِهِ، لَنَفِدَ مِدادُ البُحورِ، وَلَفَنِيَت الأَقْلامُ، ولم تَفْنَ كَلِماتُ الله.

وإنَّما في هذه الإبانةُ عن عَظَمَةِ كَلَامِهِ تعالى، وأنَّه وَصْفُهُ وَعِلْمُهُ، وهذا لا يُقاسُ بالكلامِ المخلوقِ الفاني، إذ لَوْ كان مخلوقًا لَفَنِيَ من قبلِ أنْ يَفنى بَحْرٌ من البُحورِ، ولكنَّ الله تعالى إنَّما كتَبَ الفناءَ على المخلوقِ لا عَلَى نفسِهِ وصفَتِهِ.

٤ - أسماءُ الله تعالى في القُرآنِ، كـ «**الله، الرحمن، الرحيم، السميع، العليم، العفور،**

---

[١] رواه حنبل في "المحنة" «ص: ٤٥»، عنه.

[٢] رواه صالح في "المحنة" «ص: ٦٩»، عنه.

[٣] رواه ابن هانئ في "المسائل" «٢/ ١٥٣، ١٥٤»، عنه.

الكريم ...» وغيرها من أسمائِهِ الحُسْنى، وهي من كلامِهِ، إذ هو الذي سَمَّى بها نفسَه، بألفاظِها وَمَعانيها.

وقد ساوى الله تعالى بين تَسبيحِ نَفْسِهِ وتَسبيحِ أسمائِهِ، فقال تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٢]، وقال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: الآية: ١]، وقال: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: الآيات: ٧٤، ٩٦ والحاقة: الآية: ٥٢].

وساوى تعالى بين دُعائِهِ بنفسِهِ ودُعائِهِ بأسمائِهِ، فقال: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: الآية: ٥٥] وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: الآية: ١١٠] وقال: ﴿وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية: ١٨٠].

وكذلك ساوى تعالى بين ذِكْرِهِ بنفسِهِ وذِكْرِهِ بأسمائِهِ، فقالَ: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: الآية: ٢٠٥] وقالَ: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: الآية: ٢٥].

وهذا التَّسبيحُ والدُّعاءُ والذِّكْرُ إنْ كانَ يَقَعُ لِمخلوقٍ كان كُفْراً بالله.

فإنْ قيلَ: إنَّ كلامَه تعالى مَخلوقٌ، كانتْ أسماؤُهُ داخِلةً في ذلكَ، ومَنْ زعَمَ ذلك فقَدْ كَفَرَ لِما ذكرنا، ولأنَّ معنى ذلكَ أنَّ الله تعالى لم تكن لَه الأسماءُ الحُسنى قبل خَلْقِ كلامِهِ، ولَكانَ الحالفُ باسْمِ من أسمائِهِ مُشْرِكاً لأنه حلَفَ بمَخلوقٍ، والمخلوقُ غيرُ الخالقِ، وقد قالَ النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «**مَن حَلَفَ بغير الله فقد أشركَ**».[(١)]

وبهذه الحُجَّةِ احتجَّ جماعةٌ من السَّلفِ والأئمَّةِ على كَوْنِ القرآنِ غيرَ مخلوقٍ، منهم:

١» الإمام الحُجَّة سُفيان بن سَعيد الثوريّ-رحمه الله-«**ت: ١٦١ هـ**».

قال: "مَنْ قالَ: إنَّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: الآيات: ١-٢] مخلوقٌ،

---

(١) أخرجه أحمد رقم «٤٩٠٤، ٦٠٧٢»، وأبو داود رقم «٣٢٥١»، والترمذي رقم «١٥٣٥»، وابن حِبّان رقم «١١٧٧-موارد»، والحاكم «١/ ١٨» و «٤/ ٢٩٧»، وآخرون من حديث عبد الله بن عمر به. وحسّنه الترمذي، وصححه الحاكم وأقرَّه الذهبي.

فهو كافِر". [١]

٢» ناصرُ السُّنَّة أبو عبد الله محمَّد بن إدريسَ الشَّافعي–رحمه الله–«**ت: ٢٠٤ هـ**».

قال: "مَنْ حَلَفَ باسمٍ مِن أسماءِ الله فحنَثَ فعليه الكفَّارة، لأنَّ اسمَ الله غيرُ مَخلوقٍ، ومن حلَفَ بالكعبةِ، أو بالصَّفا والمرْوةِ، فليسَ عليه الكفَّارةُ، لأنَّهُ مَخلوقٌ، وذاكَ غيرُ مَخْلوقٍ". [٢]

٣» إمامُ أهلِ السُّنَّة أحمدُ بن حَنبل–رحمه الله–«**ت: ٢٤١ هـ**».

قال: "مَنْ قالَ: القرآن مخلوق فهو عندنا كافرٌ، لأنَّ القُرآن من عِلْمِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وفيه أسماءُ الله عَزَّ وَجَلَّ". [٣]

وقالَ: "وأسماءُ الله في القُرْآنِ، والقُرْآنُ من عِلْمِ الله، فمَنْ زَعَمَ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ فهو كافرٌ، ومن زعَمَ أنَّ أسْمَاءَ الله مخلوقةٌ فقدْ كَفَرَ". [٤]

وذَكَرَ لَه رَجُلٌ أنَّ رَجُلاً قالَ: إنَّ أسماءَ الله مخلوقةٌ، والقرآنُ مخلوقٌ، فقال أحمدُ: "كُفْرٌ بَيِّنٌ". [٥]

وقالَ: "أسْماءُ الله في القرآنِ، والقرآنُ من عِلْم الله، وعِلْمُ الله ليس بمخلوقٍ، والقرآنُ كلامُ الله ليسَ بمخلوقٍ على كلِّ وجهٍ، وعلى كلِّ جهةٍ، وعلى أيِّ حالٍ". [٦]

وكما أنَّه تعالى لا يوصَف بصفةٍ مخلوقةٍ، فلا يسمَّى باسم مَخلوقٍ.

٥ – أخبرَ تعالى عن تنزيلِهِ منه وإضافتِهِ إليهِ، كما قالَ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: الآية: ٢]، وقالَ: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ

---

(١) أخرجه عبد الله في "السنة" رقم «١٣».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في "آداب الشافعي" «ص: ١٩٣»، وأبو نعيم «٩/ ١١٣»، والبيهقي في "السنن" «١٠/ ٢٨» و"الأسماء والصفات" «ص: ٢٥٥ – ٢٥٦»، و"المناقب" «١/ ٤٠٥» بإسناد صحيح.

(٣) رواه ابنه عبد الله في "السنة" «١/ ١٠٢».

(٤) رواه ابنه صالح في "المحنة" «ص: ٥٢، ٦٦ – ٦٧».

(٥) رواه أبو داود في "المسائل" «ص: ٢٦٢»، عنه.

(٦) رواه ابنه صالح في "المحنة" «ص: ٦٩».

رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: الآية: ١١٤]، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: الآية: ١٠٢]، ولَم يُضِف شيئًا مِمَّا أنزلَه إلى نفسِه غير كلامِهِ [(١)]، مِمَّا دَلَّ على الاختصاصِ بمَعنى، فليسَ هو كإنزالِ المطَر والحديد وغير ذلك، فإنَّ هذه الأشياءَ أخبرَ عن إنزالِها، لكنَّه لم يُضِفْها إلى نفسِهِ، بخِلافِ كلامِهِ تعالى، والكلامُ صِفَةٌ، والصِّفَةُ إنَّمَا تُضافُ إلى مَن اتَّصَفَ بها لا إلى غيرِهِ، فلو كانت مخلوقةً لفارقت الخالقَ، ولم تصلحْ وَصْفاً له، لأنَّه تعالى غَنِيٌّ عن خَلقِهِ، لا يَتَّصفُ بشيءٍ منه.

الأدلة السنة:

١ - حديث خَوْلَةَ بنت حَكيم السُّلميَّة-رضي الله عنها-، قالَتْ: سَمِعْتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم-يقول:

«مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أعوذُ بِكَلِماتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ، لم يَضُرَّهُ شَيْءٌ حتَّى يرتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذلكَ». [(٢)]

وحديثُ أبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-«**ت: ٥٧ هـ**»، قالَ: جاء رجلٌ إلى النَّبِيِّ-صلى الله عليه وسلم-، فقال: يا رَسُولَ الله، ما لَقِيتُ مِنْ عَقْربٍ لَدَغَتْني البارحةَ، قال:

«أما لَو قُلْتَ حين أمْسَيْتَ: أعوذ بكلماتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ لم تَضُرَّكَ». [(٣)]

وفي سياق آخرَ عنه قال: قال النَّبِيُّ-صلى الله عليه وسلم-:

«مَنْ قالَ إذَا أمْسى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أعوذُ بكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّهُ حُمَةٌ تلكَ اللَّيْلة».

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى": «١٢/ ٢٤٧، ٢٩٧».

(٢) أخرجه أحمد «٦/ ٣٧٧، ٤٠٩»، ومسلم «٤/ ٢٠٨٠»، والترمذي رقم «٣٤٣٧»، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم «٥٦٠، ٥٦١» وابن ماجة رقم «٣٥٤٧» من حديث سعد بن أبي وقاص عن خولة به. وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح غريب".

(٣) أخرجه مالك «٢/ ٩٥١»، وأحمد «٢/ ٣٧٥»، ومسلم «٤/ ٢٠٨١»، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم «٥٨٥ - ٥٨٩، ٥٩١ - ٥٩٢» وابن ماجة رقم «٣٥١٨».

قال: فكان أهلُنا قد تعلَّمُوها، فكانوا يقولونَها، فلُدِغَتْ جاريةٌ منهم، فلم تَجِدْ لها وَجَعاً". [(١)]

وحَديثُ عبد الله بن عباسٍ -رضي الله عنهما- «**ت: ٦٨ هـ**»، أنَّ رَسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- كانَ يُعَوِّذُ حَسَنًا وحُسَيْنًا، يقولُ:

"أعيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيطانٍ وهامَّةٍ، ومِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ".

وكانَ يقولُ: "كانَ إبْراهيمُ أبي يُعَوِّذُ بهما إسْماعيلَ وإسحاقَ". [(٢)].

فأثبتَ النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- بما ذكَرْناهُ عنه شرعيَّةَ الاستعاذةِ بكلماتِ الله، فلو كانَتْ كلماتُهُ مخلوقةً لكانت الاستعاذةُ بها شِرْكًا، لأنَّها استعاذةٌ بمَخلوقٍ، ومن المعلوم أنَّ الاستعاذةَ بغير الله تعالى وأسمائِهِ وصفاتِهِ شِرْكٌ، فكيفَ يَصِحُّ أن يُعلِّمَ النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- أمَّتَه ما هو شركٌ ظاهرٌ، وهو الذي جاءهم بالتَّوحيدِ الخالصِ؟

فدلَّ هذا على أنَّ كلماتِ الله تعالى غيرُ مخلوقةٍ.

وقالَ نُعَيْمُ بن حمَّاد «**شيخُ البخاري، ومن أئمَّة السُّنَّة**»: "لا يُستعاذُ بالمِخلوقِ، ولا بكلامِ العباد والجنِّ والإنسِ والملائكةِ".

وقال البخاري عَقِبهُ: "وفي هذا دَليلٌ أنَّ كلامَ الله غيرُ مخلوقٍ، وأنَّ سواه خَلْقٌ" [(٣)]. ثمَّ احتجَّ البخاريُّ لذلك بما ذكرنا.

واعترضَ بعضُ أهل البدَعِ على هذه الحُجَّة بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "اللَّهمَّ أعوذُ بِرِضاكَ من سَخَطِكَ، وبِمُعافاتِك من عُقوبَتِك ... " الحديث [(٤)]، فقالوا: فاستعاذَ النبي -صلى

---

(١) أخرجه أحمد «٢/ ٢٩٠»، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم «٥٩٠».

(٢) أخرجه أحمد رقم «٢١١٢، ٢٤٣٤»، والبخاري «٦/ ٤٠٨»، وأبو داود رقم «٤٧٣٧»، والترمذي رقم «٢٠٦٠»، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم «١٠٠٦، ١٠٠٧»، وابن ماجة رقم «٣٥٢٥»، من طريق منصور بن المعتمر عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"..

(٣) "خلق أفعال العباد" ص: ١٤٣.

(٤) حديث صحيح. مرويٌّ من حديث عائشة وعلي، رضي الله عنهما. أما حديث عائشة، فأخرجه أحمد «٦/ ٥٨، ٢٠١»، ومسلم

=

الله عليه وسلم-بالرِّضا والمعافاة وهما مَخلوقان.

والجوابُ: أن هذا الاعتراضَ من فاسدِ الفهْم الذي أدخلَه عليهم الشيطانُ-لعنه الله- وذلك أنَّهم حَسِبوا أنَّ الرِّضا والمعافاةَ من خَلْقه تعالى، جَرْياً على سُنَّتِهِم في أنَّ الله تعالى لا يقوم به اختيارٌ ولا مَشيئة، والرِّضا والمعافاةُ إنَّما يتعلَّقان بالمشيئةِ، وكلُّ ما تعلَّقَ بالمشيئة فهو مخلوقٌ.

وهذا الأصل الفاسِدُ جرَّهم إلى الوقوع في تعطيل جميعِ الصفاتِ الاختيارية، كالرِّضا، والغَضبِ، والرَّحْمةِ، والرَّأفةِ، والحُبِّ، والبُغْضِ، والإِنْعام، والانتقامِ، وغيرِها مَما يتعلَّقُ بمشيئتهِ تعالى واختياره.

والحَقُّ الأبلجُ الذي يبهَرُ أبصارَ أهلِ البِدَع أنَّه تعالى تقومُ به الصِّفاتُ الاختياريةُ، والاستعاذة بالرِّضا والمعافاةِ، استعاذةٌ بصفته تعالى، إذ رضاهُ تعالى صفتهُ التي يرضى بها عمَّنْ شاءَ من عبادهِ، ومعافاتُهُ صفَتُهُ التي يُعافي بها من شاءَ من عبادِهِ، والمخلوق إنَّما هو العافيةُ الموجودةُ في الناس، والتي كانت بمعافاتِهِ تبارك وتعالى، فتأمَّل هذا رحِمَكَ الله ترشَد إن شاءَ الله.

٢ - حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت: ٥٧ هـ**»، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-

رقم «٤٨٦»، وأبو داود رقم «٨٧٩»، والنسائي «١/ ١٠٢ و ٢/ ٢١٠»، وابن ماجة رقم «٣٨٤١» من طريق عُبَيْد الله ابن عمر عن محمد بن يحيى بن حَبَّان عن الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة قالت: فَقَدْتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- ليلة من الفراش، فالتمسْتُهُ، فوقَعتْ يَدِي على بطنِ قَدَمَيْه وهو في المسجد، وهما منصوبتان «زاد في بعض الطرق: وهو ساجد» وهو يقولُ: «اللَّهمَّ أعوذُ برضاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبمعافاتك من عقوبتِكَ، وأعوذُ بكَ منكَ، لا أحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسِك». وأخرجه مالك «١/ ٢١٤»، والترمذي رقم «٣٤٩٣»، والنسائي «٢/ ٢٢٢»، عن يحيى ابن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن عائشة بنحوه. قلت: وهذا سند منقطع، محمد بن إبراهيم لم يسمَع من عائشةَ، وقد حسَّن الترمذي هذه الطريق لمجيء الحديث من غير هذا الوجه عن عائشة. وللحديث طريق ثالثة. أخرجها النسائي ٨/ ٢٨٣ - ٢٨٤ من حديث مسروق بن الأجدع عن عائشة به نحوه. قلت: لكن إسناده ضعيف، لحال العلاء بن هلال أحد رجال الإِسناد فإنَّه منكر الحديث جداً. أما حديث علي رضي الله عنه. فأخرجه أحمد رقم «٧٥١، ٩٥٧»، وأبو داود رقم «١٤٢٧»، والترمذي رقم == «٣٥٦٦»، والنسائي «٣/ ٢٤٨ — ٢٤٩»، وابن ماجة رقم «١١٧٩» من طرق عن حماد بن سلمة عن هشام بن عمرو عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن عليّ أنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- كان يقولُ في آخر وترِه: «اللَّهم إنِّي أعُوذُ برضاكَ من سَخَطِكَ، وأعُوذُ بمعافاتِكَ من عقوبتِكَ، وأعوذُ بكَ منكَ، لا أحصي ثناءٌ عليك، أنتَ كما أثنيْتَ على نفسِكَ». قال الترمذي: "حديث حسنٌ غريبٌ من حديث عليّ، لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، من حديث حماد بن سلمة". قلت: إسناده صحيح، وهشام هذا هو الفَزاري معروف برواية هذا الحديث، وهو ثقة. وقد رواه عن عليّ أيضاً إبراهيم بن عبد الله بن عَبْدٍ القاري. أخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم «٨٩١، ٨٩٢». وإسناده منقطع، إبراهيم عن علي مرسل.

قال: «**فَضْلُ كلامِ الله على سائرِ الكلامِ كفَضْلِ الله على سائرِ خلقِهِ**». (١)

تضمَّن هذا الحديث إثباتَ عقيدةِ السَّلَفِ «**القرآن كلام الله غيرُ مخلوق**» وذلك من وجهين:

الأوَّل: التفريق بين كلام الله وما سِواه من الكلام، والكلامُ إما كلامُ الله الذي هو صفته، أو الكلامُ المخلوق الذي يقَعُ من خلقِهِ، فأضافَ ما كانَ صفةً لله إلى الله، وعمَّمَ ما سِواهُ، ليشمَلَ كلَّ كلام سوى ما أضافه إلى الله، ولو كان الجميعُ مَخْلوقاً لِما كانت هناك حاجة إلى التفريق.

والثاني: جعلَ الفَرْقَ بينَ كلام الله وكلام غيره كالفَرْقِ بينَ ذاتِ الله وذاتِ غيره، فجعلَ كلامَه مساوياً لذاتِهِ، وكَلاَمَ المخلوقِ مساوياً لذات المخلوقِ، ولو كان كلامُهُ مخلوقاً لم يساوِه بذاتِهِ، فإنَّ الله تعالى ليسَ يُساويه شيءٌ غيرُ صفاتِهِ وأسمائِهِ.

وقد احتجَّ بهذا الإمام عثمان بن سعيد الدَّارِمِيُّ في "الردِّ على الجهمية" فقال بعدَما ذكَر الأحاديثَ في هذا المعنى:

"ففي هذه الأحاديث بيانُ أنَّ القرآنَ غير مخلوقٍ, لأنَّه ليس شيءٌ من المخلوقينَ من التفاوت في فَضْلِ ما بينهما كما بين الله وبينَ خلقِهِ في الفَضْلِ, لأنَّ فَضْلَ ما بين المخلوقين يُسْتَدْرَك، ولا يُسْتدركُ فَضْلُ الله على خلقِهِ، ولا يُحْصِيهِ أحَدٌ، وكذلك فَضْلُ كلامهِ على كلام المخلوقين، ولو كانَ مخلوقاً لم يكن فضْلُ ما بينَه وبين سائر الكلام كفضْلِ الله على خلقهِ، ولا كَعُشْرِ عُشْرِ جُزءٍ من ألفِ ألفِ جُزْءٍ، ولا قريباً فافْهَموه، فإنَّه ليسَ كمثله شيءٌ, فليسَ كَكَلامِهِ كلامٌ، ولن يُؤْتى بمثلِهِ أبداً". (٢)

الأدلة من المعقول الصريح:

وذلك من وجهين:

---

(١) أخرجه عثمان الدارمي في " الرد على الجهمية " رقم: «٢٨٧، ٣٤٠»، واللالكائي رقم: «٥٥٧».

(٢) "الرد على الجهمية" «ص: ١٦٢–١٦٣».

الأول: أنَّ كلامَ الله إنْ كانَ مخلوقاً، فلا يخلو من أحَدِ حالَيْن:

الأولى: أنْ يكونَ مخلوقاً قائماً بذاتِ الله.

والثانية: أنْ يكونَ منفصلاً عن الله بائناً عنه.

وكلا الحالين باطلٌ، بل كفرٌ شنيعٌ.

أمّا الأولى فيَلزَمُ منها أن يقوم المخلوقُ بالخالقِ، وهو باطلٌ في قولِ أهلِ السُّنَّةِ، وعامَّةِ أهلِ البِدَعِ، فإنَّ الله تعالى مُستغنٍ عن خلقهِ من جميع الوجوهِ.

وأمّا الثانية فيلزَمُ تعطيلُ صفَةِ الكلام للباري تعالى، إذْ أنَّ الصفةَ إنَّما تقومُ بالموصوف –كما سبق تقريرةُ– لا تقومُ بسِواه، فإنْ قامَتْ بغير الموصوف كانت وصفاً لمن قامتْ به، وهذا معناه أنَّ الرَّبَّ تعالى غيرُ متكلّمٍ، وهو كفرٌ بَيّنٌ، كما بَيَّنا الدلالةَ عليه.

والثاني: علمتَ أنَّ الصفةَ لا تقومُ بنفسِها، فإن كانتْ صفةً للخالق قامت به، وإن كانتْ صفةً للمخلوقِ قامتْ به ولا بدَّ، فالحركةُ، والسُّكونُ، والقيامُ، والقعودُ، والقدرةُ، والإرادةُ، والعلمُ، والحياةُ، وغيرُها من الصِّفاتِ، إن أضيفت لشيءٍ كانت وصفاً لهُ، وهي تابعةٌ لمن قامَتْ به، فهذه صفاتٌ تُضاف للمخلوقِ، فهي صفات له حيث أضيفتْ له، ومنها ما يُضافُ إلى الخالق، كالقُدْرةِ والإرادةِ والعلمِ والحياةِ وغيرِ ذلك، فهي صفاتٌ له حيثُ أضيفت له، وحيثُ أضيفت للمخلوقِ فهي مخلوقةٌ، وحيثُ أضيفت للخالقِ فهي غير مخلوقةٍ.

فصفةُ الكلامِ كغيرها من الصِّفاتِ، لا بدَّ أن تقومَ بمَحَلٍّ، فإذا قامت بمَحَلٍّ كانت صفةً لذلك المحَلّ، لا صفةً لغيرِه، فإنْ هى أضيفت إلى الخالق تعالى فهيَ صفتُهُ، وإنْ أضيفتْ إلى غيرِهِ فهي صفةٌ لذلك الغيرِ، وصفةُ الخالقِ غير مخلوقةٍ كنفسهِ، وصفةُ المخلوقِ مخلوقةٌ كنفسهِ.

فلمَّا أضافَ الله لنفسه كلاماً، ووصَفَ نفسَهُ به، كان كلامُهُ غيرَ مخلوقٍ، لأنَّه تابعٌ لنفسِهِ، ونفسُهُ تعالى غيرُ مخلوقةٍ، والكلامُ في الصِّفات فَرْعٌ عن الكلامِ في الذاتِ.

فإنْ قيلَ: هو مخلوقٌ، قُلْنَا: إذاً يتنزَّهُ الله عن الاتّصافِ بمخلوقٍ، وأنتم تنزهونه تعالى بزَعْمِكُمْ عن قيام الحوادث به، فحيثُ نزّهتم ربَّكم تعالى عن ذلك فإنَّه يلزمُكُم أن لا تضيفوا إليه كلاماً، وبهذا تكذّبون السَّمْعَ والعقل الشاهِدَيْنِ على أنَّ لله تعالى صفةَ الكلام، كما قدْ بيَّناه فيما

مضى.

لكنَّهم أبَوْا الإقرار بأنَّ كلامَ الله تعالى غيرُ مخلوقٍ بأدهى ممَّا سبَقَ من الباطل، فقالوا: نُثْبِتُ أنَّ الله متكلمٌ بكلامٍ قائمٍ في غيرِه، فكلَّم الله تعالى موسى بكلامٍ مَخلوقٍ قائمٍ بالشَّجَرة، لا بِهِ تعالى، فنحن نزَّهناه عن قيام الحوادث بِهِ.

قُلْنا: جعلتُمُ الكلامَ إذاً صفةً للمَحَلِّ الذي قامَ به، وهو على قولِكم الشَّجَرَةُ، فكانت الشجرةُ بهذا هي القائلةُ لموسى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: الآية: ٣٠]، فانتفى حينئذ الفرقُ بين قولِ الشَّجرةِ وقول فرعونَ اللَّعين: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: الآية: ٢٤]؛ لأنَّ كلامَ الشجرةِ صفَتُها لا صفةُ الله، وكلامَ فرعونَ صفتُهُ، وكلٌّ ادَّعى الربوبيَّة، فلم يكن موسى إذاً مُحِقّاً في إنكارِهِ قولَ فرعونَ وقبولِهِ قولَ الشجرةِ.

سُبحان الله! كم تجُرُّ البدعُ على أهلِها من المحاذير؟

تأمَّل رحِمَكَ الله لهذا الكُفْرَ الصُّراح، الَّذي أوقعَ أهلَه فيه الابتداعُ المشِينُ، وعدَمُ الرِّضا والتَّسليم لحَقائق التَّنزيلِ، واستبدالُ الوحي الشريفِ بزُبالاتِ الأذْهانِ التي تُصَرِّفها الأهواءُ كيف شاءَت.

ولقد كانتْ هذه الحجَّةُ العَقْليَّة ممَّا احتَجَّ به الإمامُ أحمدُ-رحمه الله-على الجَهْميةِ المعتزلةِ حين ناظرَهم بحضْرَةِ المعتصِم، قال-رحمه الله-:

"وهذه قصَّةُ موسى، قال الله في كتابِهِ حكاهُ عن نفسهِ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾ [النساء: الآية: ١٦٤]، فأثبتَ الله الكلامَ لموسى كرامةً منه لموسى، ثمَّ قالَ بعدَ كلامهِ له ﴿تَكْلِيمًا﴾ تأكيداً للكلامِ، قالَ الله تعالى: يَا مُوسَى ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: الآية: ١٤]، وَتُنْكِرونَ هذا، فتكونُ هذه الياءُ تَرِدُ على غير الله، ويكونُ مخلوقٌ يدَّعِي الرُّبوبية؟! ألَا هو الله عَزَّ وجَلَّ".[1].

وكذا احتجَّ بهذه الحُجَّة من أئمَّة السَّلَفِ

(١) رواه حنبل في "المحنة" «ص: ٥٢»، عنه.

الثِّقةُ المأمونُ أبو أيوب سليمانُ بن داودَ الهاشميُّ-رحمه الله-«**ت: ٢١٩ هـ**»، فقال:

"مَنْ قالَ: القرآن مخلوقٌ فهو كافرٌ، وإن كانَ القرآنُ مخلوقاً كما زعمها فَلِمَ صارَ فرعونُ أولى بأنْ يُخَلَّدَ في النَّارِ، إذْ قالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: الآية: ٢٤]، وزعَموا أنَّ هذا مخلوقٌ، والذي قال: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: الآية: ١٤]، هذا أيضاً قد ادّعى ما ادّعى فرعونُ، فَلِمَ صارَ فرعونُ أولي بأن يُخَلَّدَ في النَّارِ من هذا، وكلاهُما مخلوقٌ؟ ".

قال البُخاريُّ-رحمه الله-«**ت: ٢٥٦ هـ**»: فأخْبِرَ بذلكَ أبو عُبَيْد [(١)] فاستحسَنه وأعجَبه[(٢)]

كلام أئمه السلف في إثبات هذه العقيدة:

١-عمرو بن في دينار-رحمه الله-«**ت: مابين: ١٢٥إلى ١٢٩ هـ**» «**من خيار أئمَّةِ التَّابعينَ**»:

قال: "أدركتُ أصحابَ النَّبي-صلى الله عليه وسلم-فَمَن دونَهم منذ سبعينَ سنة، يقولون: الله الخالقُ، وما سِواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه خَرجَ وإليه يعودُ". [(٣)]

٢-قال إسحاقُ بن راهوَيْهِ-رحمه الله-«**ت: ٢٣٨ هـ**»:

"وقد أدْرَكَ عَمْرُو بن دينارٍ أجلّةَ أصحابِ رسولِ الله-صلى الله عليه وسلم-، من البَدْريينَ، والمهاجِرينَ، والأنصار، مثل: جابر بن عبد الله، وأبي سعيدٍ الخُدْري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبَّاس، وعبد الله بن الزبير، وأجلّة التابعين، وعلى هذا مضى صدرُ هذه الأمَّةِ". [(٤)]

٣-جَعفر بن محمَّد بن عليّ بن الحُسَين المعروف بـ "الصادق"-رحمه الله-«**ت: ١٤٨ هـ**»

---

(١) أبو عُبَيد هو القاسم بن سلاَّم-رحمه الله-«ت: ٢٢٤ هـ» لغويُّ أهلِ الحديث.

(٢) "خلق أفعال العباد" رقم «٥٩» عن سليمان به.

(٣) أخرجه الدارمي في " الردّ على الجهمية" رقم «٣٤٤» و"النقض على المريسي" «ص: ١١٦»، والبيهقي في "السنن" «١٠/ ٢٠٥».

(٤) قول إسحاق هذا زاده البيهقي في "السنن" ١٠/ ٢٠٥ و"الأسماء والصفات" «ص: ٢٤٥»، عقب قول عمرو بن دينار، وسنده صحيح.

«إمامٌ ثقةٌ سُنِّيٌّ»:

قال معاويةُ بن عمَّارٍ الدُّهْنِيُّ-رحمه الله-«ت: ١٧٥ هـ»: قلْتُ لجَعْفر -يعني ابنَ محمد- إنَّهم يسألون عن القرآنِ: مخلوقٌ هو؟ قال:

"ليس بخالِقٍ ولا مَخلوقٍ، ولكنَّه كلامُ الله". [(١)].

٤-مالك بن أنس-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ» «إمام دار الهجرة»:

قال عبد الله بن نافع-رحمه الله-«ت: ١٨٦ هـ»: كان مالكٌ يقول: "كلَّم الله موسى -صلى الله عليه وسلم- " ويقول: "القرآنُ كلامُ الله" ويستفظِع قولَ من يقول: القرآن مخلوق. [(٢)].

٥-سفيان بن عُيَيْنَة-رحمه الله-«ت: ١٩٨ هـ» «إمامٌ حُجَّةٌ»:

سئل عن القرآن؟ فقال: "كلامُ الله، وليس بمخلوقٍ". [(٣)].

٦-عبد الله بن المبارك-رحمه الله-«ت: ١٨١ هـ» «ذاكَ العَلَم»:

قال: "القرآنُ كلامُ الله عَزَّ وَجَلَّ، ليسَ بخالقٍ ولا مَخلوقٍ". [(٤)].

٧-أبو عبد الله الشَّافعيُّ الإمامُ-رحمه الله-«ت: ٢٠٤ هـ»:

قالَ الرَّبيعُ بن سُلَيْمان-رحمه الله-«ت: ٢٧٠ هـ» صاحبهُ وتلميذُهُ حاكياً المناظرةَ التي جَرَتْ بينَهُ وبينَ حفْصٍ الفَرْدِ في القرآن:

فسألَ الشَّافعيَّ، فاحتجَّ عليه الشافعيُّ وطالَت فيه المناظرةُ، فأقامَ الشَّافعيُّ الحُجَّةَ عليهِ بأنَّ القرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، وكفَّر حَفْصاً الفَرْدَ.

---

(١) أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" رقم «١٠٩» والدارمي في "الرد على الجهمية" رقم «٣٤٥» و"النقض على المريسي" «ص: ١١٦»، وعبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٣٢-١٣٤» وأبو داود في "المسائل" «ص: ٢٦٥»، والآجري في "الشريعة" «ص: ٧٧»، البيهقي في "الأسماء" «ص: ٢٤٦-٢٤٧»، و"الاعتقاد" «ص: ١٠٧»، من طريق معاوية به.

(٢) رواه صالح بن أحمد في "المحنة" «ص: ٦٦»، بسند صحيح عنه.

(٣) أخرجه أبو داود في "المسائل" «ص: ٢٦٥»، بسند جيد عنه.

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٤٤» وسنده صحيح، وكذا رواه اللالكائي رقم «٤٢٦».

قال الرَّبِيعُ:

فلقيتُ حفْصاً الفَرْدَ في المجْلسِ بَعْدُ، فقال: أرادَ الشَّافعيُّ قَتْلي. [(١)]

٨-وكيعُ بن الجَرَّاح-رحمه الله-«**ت: ١٩٧ هـ**» «**أحدُ كبارِ الحُفَّاظ**»:

قال: "القرآنُ كلامُ الله عزَّ وجَلَّ ليسَ بالمخلوقِ". [(٢)]

٩- يحيى بن سعيد القطَّان-رحمه الله-«**ت: ١٩٨ هـ**» «**رأسٌ في الحَديثِ وعِلَلِهِ**»:

قال الحافظُ أبو الوليد الطَّيالِسيُّ-رحمه الله-«**ت: ٢٢٧ هـ**»: قالَ لي يحيى بن سعيدٍ: "كيف يصْنَعونَ بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]؟ كيف يَصْنَعونَ بهذه الآية: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾؟ يكونُ مخلوقاً؟ ". [(٣)]

١٠-يزيد بن هارون-رحمه الله-«**ت: ٢٠٦ هـ**» «**من كبار أئمَّةِ الحَديثِ**»:

قال: "مَنْ قالَ: القرآنُ مخلوقٌ فهو كافرٌ". [(٤)]

١١-عبد الله بن إدريس-رحمه الله-«**ت: ١٩٢ هـ**» «**ثقةٌ ثَبْتٌ**»:

قال: "القرآنُ كلامُ الله، ومِنَ الله، وما كانَ مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ فليسَ بمخلوقٍ". [(٥)]

١٢-أبو الوليد الطَّيالِسي: هشامُ بن عبد الملك-رحمه الله-«**ت: ٢٢٧ هـ**» «**ثِقَةٌ حافِظٌ**»:

قال: "القرآنُ كلامُ الله، وكلامُ الله ليسَ بمَخلوقٍ". [(٦)]

---

(١) رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في "آداب الشافعي" «ص: ١٩٤-١٩٥»، وسنده صحيح..

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٥١» بسند صحيح.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٥٧» بسند صحيح. وكذا أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" رقم «٣٠» عن الطيالسي نحوه.

(٤) رواه أبو داود في "المسائل" «ص: ٢٦٨»، بسند صحيح.

(٥) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٦١» بسند صحيح.

(٦) رواه أبو داود في "المسائل" «ص: ٢٦٦»، بسند صحيح.

١٣-سليمان بن حَرْبٍ-رحمه الله-«**ت: ٢٢٤ هـ**» «**ثقةٌ جَبَلٌ صاحبُ سُنَّة**»:

قال عباسُ بن عبد العظيم-رحمه الله-«**ت: ٢٤٦ هـ**»، -وكان ثِقَةً- سمعتُ سُليمانَ بن حَرْبٍ قال:

"القرآنُ ليسَ بمَخلوقٍ".

فقلت له: إنَّكَ كنتَ لا تقولُ هذا، فما بَدا لكَ؟

قالَ: "استَخْرَجْتُهُ من كتاب الله عَز وجَل: ﴿لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: الآية: ٧٧] فالكلام والنظرُ واحدٌ".[١]

١٤-الإمام أحمدُ بن حَنبل-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**» إمام أهل السُّنَّة:

النَّقْلُ عنه في ذلك متواترٌ، والناقلونَ عنه لا يُحصيهم العدُّ، وكَفى ما كان منه في المِحْنَةِ مع الجهميةِ المعتزلةِ القائلين بخلقِ القرآن، وقد تقدَّم ذكرُ بعضِ النقلِ عنه، وسيأتي بعض ذلك متناثِراً.

ومِمَّا يَحْسُنُ ذكرُهُ هنا ما قالَه الإمام أحمدُ جواباً لسؤالِ المتوكّلِ عن مسألة القرآنِ:

"وقد رُوِيَ عن غير واحدٍ مِمَّن مَضى من سَلَفِنا رحمهم الله أنَّهم كانوا يقولون: القرآنُ كلام الله عَزَّ وجَلَّ، وليس بمخلوقٍ، وهو الذي أذْهَبُ إليهِ، ولسْتُ بصاحبِ كلامٍ، ولا أرى الكلامَ في شَيْءٍ من هذا، إلاَّ ما كانَ في كتابِ الله عَزَّ وجَلَّ، أو في حديثٍ عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، أو عن أصحابِهِ، أو عنِ التابعينَ، فأمَّا غير ذلك فإنَّ الكلامَ فيه غيرُ مَحْمودٍ".[٢]

وقال حنبلٌ: سمعتُ أبا عبد الله يقولُ:

"لم يَزَل الله-عَزَّ وَجَلَّ-متكلِّماً، والقرآنُ كلامُ الله-عَزَّ وَجَلَّ-غيرُ مخلوقٍ، وعلى كلِّ جِهَةٍ، ولا يوصَفُ الله بشَيْءٍ أكثرَ مِمَّا وصَفَ به نَفْسَهُ-عَزَّ وَجَلَّ-".[٣]

---

[١] رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٦٩» عن عباس عنه به.

[٢] رواه صالح في "المحنة" «ص: ١٢٢»، وعبد الله في "السنة" رقم «١٠٨» عن أبيهما.

[٣] رواه حنبل في "المحنة" «ص: ٦٨»، وانظر «ص: ٧٤».

١٥ -يحيى بن مَعين-رحمه الله-«ت: **٢٣٣ هـ**» «**إمامُ الجَرْحِ والتَّعديلِ**» وأبو خيثمة زُهَيْر بن حَرْب-رحمه الله-«ت: **٢٧٩ هـ**» «**حافظٌ إمامٌ ناقِدٌ**»:

قالا: "القرآنُ كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وهو غيرُ مَخْلوقٍ".(١)

١٦-أبو بكر بن أبي شَيْبَة-رحمه الله-«ت: **٢٣٥ هـ**» «**حافظٌ إمامٌ مُصَنِّفٌ**»:

قال له رجُلٌ من أصحابِهِ: القرآنُ كَلامُ الله وليسَ بمَخلوقٍ، فقال أبو بكر:

"مَنْ لَمْ يَقُلْ هذا فهو ضالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ".(٢)

١٧-عثمان بن أبي شَيْبَة-رحمه الله-«ت: **٢٣٩ هـ**» «**ثِقَةٌ حافِظٌ**»:

قال: "القرآنُ كلامُ الله وليسَ بمَخلوقٍ".(٣)

١٨-جماعةٌ من شُيوخ أبي داودَ السِّجِستاني صاحب "السُّنن":

قال أبو داود-رحمه الله-«ت: **٢٧٥ هـ**»:

سمعتُ إسحاقَ بن إبراهيمَ بن راهُوَيهِ-رحمه الله-«ت: **٢٣٨ هـ**»، وهَنَّادَ بن السَّريّ-رحمه الله-«ت: **٢٤٣ هـ**»، وعبدَ الأعلي بنَ حَمَّادٍ-رحمه الله-«ت: **٢٣٧ هـ**»، وعُبيدَ الله بن عُمَر بنِ مَيسرةَ القواريريَّ-رحمه الله-«ت: **٢٣٥ هـ**»، وحكِيم بن سيفٍ الرَّقيَّ-رحمه الله-«ت: **٢٣٥ هـ**»، وأيوبَ بن محمَّدٍ-رحمه الله-«ت: **٢٤٦ هـ**»، وسَوّارَ بنَ عبد الله-رحمه الله-«ت: **٢٤٥ هـ**»، والرَّبيعَ بن سليمان-رحمه الله-«ت: **٢٧٠ هـ**»-صاحبَ الشَّافعيّ-، وعبدَ الوهّابِ بن الحَكَم-رحمه الله-«ت: **٢٥١ هـ**»، ومحمَّدَ بن الصَبّاح بنِ سُفيانَ-رحمه الله-«ت: **٢٤٠ هـ**»، وعُثمانَ بن أبي شَيْبَة-رحمه الله-«ت: **٢٣٩ هـ**»، ومحمَّدَ بنَ بَكّارِ بنِ الرَّيَّانِ-رحمه الله-«ت: **٢٣٨ هـ**»، وأحمدَ بن جَوَّاس الحنَفيَّ-رحمه الله-«ت: **٢٣٨ هـ**»، ووَهْبَ بن بَقِيَّةَ-رحمه الله-«ت: **٢٣٩ هـ**»، ومَن لا أحْصيهم من عُلمائنا، كلُّ هؤلاءِ سَمِعْتُهم

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٧٣» بسند صحيح، وانظر "تاريخ يحيى" رواية الدوري «٣/ ٣٣٥».

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٦٢» عنه به.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٦٣» عنه به.

يقولونَ:

"القُرْآنُ كلامُ الله ليسَ بمَخلوقٍ".

وبعضهُم [قال: "القرآنُ] غيرُ مخلوقٍ".[١]

قلتُ: وجميعُ هؤلاءِ الشيوخِ من أئمَّة الحديثِ، وكلُّهم ثِقاتٌ، سِوى حَكيم بن سَيْف فإنَّه صالحٌ لا بأس به.

١٩-عليُّ بن المديني-رحمه الله-«**ت: ٢٣٤ هـ**» «**صَيْرَفِيّ الحَديثِ وأهلِهِ**».

قال محمَّدُ بن عثمانَ بن أبي شَيْبَة-رحمه الله-«**ت: ٢٩٧ هـ**»: سمعتُ عليَّ بن المَدِيني يقولُ قبلَ أن يموتَ بشهرين:

"القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ومَن قالَ: مخلوقٌ، فهو كافرٌ".[٢]

٢٠-أبو يعقوب البُوَيْطيّ-رحمه الله-«**ت: ٢٣١ هـ**» «**تلميذُ الشافعي وخرّيجُهُ**»:

قال:"مَنْ قالَ: القرآنُ مخلوقٌ، فهو كافرٌ".[٣]

٢١-المزَنِيُّ: إسماعيل بن يحيى-رحمه الله-«**ت: ٢٦٤ هـ**» «**إمامٌ فَقيهٌ، من أخَصّ أصحابِ الشافعي به**»:

قال: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ومَن قالَ: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ، فهو كافرٌ".[٤]

٢٢-البخاريّ: محمَّد بن إسماعيل-رحمه الله-«**ت: ٢٥٦ هـ**» «**إمامُ المحدّثين**»:

قال: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ".[٥].

---

(١) "المسائل" لأبي داود «ص: ٢٦٦».

(٢) أخرجه ابن الطبري في "السنة" رقم «٤٥٣» والخطيب في "تاريخ بغداد" «١١/ ٤٧٢»، بسند صحيح، وانظر "مسائل ابن أبي شيبة لابن المديني" «ص: ١١٣».

(٣) رواه أبو داود في "المسائل" «ص: ٢٦٨»، بسند صحيح عنه.

(٤) رواه البيهقي في "الأسماء والصفات" «ص: ٢٥٢»، بسند صحيح، ورواه هو وابن الطبري بإسنادين آخرين عنه.

(٥) "خلق أفعال العباد" «ص: ٣٧».

٢٣-أبو حاتِمٍ-رحمه الله-«**ت: ٢٧٧ هـ**» وأبو زُرْعَة-رحمه الله-«**ت: ٢٨٩ هـ**» الرّازيانِ «**عالمانِ حافظانِ، من كبارِ أئمَّةِ الحديثِ**»:

قال عبدُ الرَّحمن بن أبي حاتِمٍ-رحمه الله-«**ت: ٣٢٧ هـ**»:

سألتُ أبي وأبا زُرْعةَ عن مَذاهبِ أهل السُّنَّة في أصولِ الدّينِ، وما أدركا عليه العلماءَ في جميع الأمصارِ، وما يَعْتَقِدان من ذلك؟

فقالا: "أدْرَكْنَا العُلَماءَ في جَميع الأمصار: حِجازاً، وعِراقاً، وشاماً، ويَمَناً، فكان من مذهبهم: الإيمان قولٌ وعَمَلٌ يَزيدُ وينقصُ، والقرآنُ كلامُ الله غير مخلوقٍ بجميع جهاتِهِ". [١]

فهؤلاءِ بِضْعةٌ وثلاثونَ من الأئمَّةِ، قد سمِّيناهم، عامَّتهم ممَّن يُقْتَدى بهم، وجميعهم من أهلِ القُرونِ المفَضَّلَة التي هي خيرُ القرون.

٢٤-قال الإمام أبو عثمانَ الصابونيُّ-رحمه الله-«**ت: ٤٤٩ هـ**»:

"ويشهَد أصحابُ الحديث، ويعتقدونَ: أنَّ القرآنَ كلام الله وكتابُه، وخِطابُه، ووحيُهُ، وتنزيلُهُ، غيرُ مخلوقٍ، ومَنْ قالَ بِخَلْقِهِ واعتقدَه فهو كافرٌ عندهم". [٢]

ولو أرَدْنا استيعاب ما بلَغنا من أقوالهم في إثباتِ هذه العقيدةِ «**القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخْلوقٍ**» لاحتاجَ ذلك إلى تصنيفٍ مُستقلٍّ.

وقد ساقَ الإمامُ أبو القاسِم هبةُ الله بن الحَسَن الطَّبريُّ اللَّالكائي-رحمه الله-«**ت: ٤١٨ هـ**» في كتابه العَظيم «**شرحِ أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**» أو «**كتاب السنة**» القولَ بذلك عن خَمْسِ مِئَةٍ وخَمسينَ نَفْساً من علماءِ الأمَّةِ وسَلَفِها، كلُّهُم يقولونَ: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ومَن قال: مخلوقٌ، فهو كافرٌ".

قال-رحمه الله-: "فهؤلاء خَمْسُ مِئَةٍ وخمسونَ نَفْساً أو أكثر، من التَّابعينَ، وأتباع التَّابعينَ، والأئمةِ المرْضيينَ، سوى الصحابة الخيّرين، على اختلاف الأعصارِ، ومُضِيّ السّنين والأعوامِ،

---

(١) أخرجه ابن الطبري في "السنة" «١/ ١٧٦»، بسند صحيح.

(٢) "رسالته في السُّنَّة" «ص: ٦».

وفيهم نحوٌ من مِئة إمامٍ، ممَّن أخذَ الناسُ بقَوْلهم، وتَدينّوا بمَذاهبهم، ولو اشتغلتُ بنقلِ قولِ المحَدِّثينَ لبلَغتْ أسماؤهم ألوفاً كثيرةً". [١].

وفيما ذُكر كفايةٌ لإثباتِ الحَقِّ البيّن الصَّريحِ الذي أطبقَ على اعتقادهِ سادةُ علماءِ الأمَّة، فهو إجماعُ أهلِ السُّنَّة الَّذي لا يقعُ فيهِ امتراءٌ، والله أعلم.

مسألة القائلين بالتوقف.

أما مَسْألة السُّكوتُ عن القولِ: القرآنُ مَخلوقٌ، أو غيرُ مَخلوقٍ، والاكتفاء بالقول: إنَّه كلامُ الله.

فقد سُئِلَ الإمامُ أحمدُ–رحمه الله–«**ت: ٢٤١ هـ**»: هَلْ لهم رُخْصَةً أنْ يقولَ الرجلُ: القرآن كلام الله تعالى ثمَّ يَسْكت؟ فقالَ: "ولِمَ يسكُت؟ لولا ما وقَعَ فيه الناس كان يسَعُهُ السُّكوتُ، ولكن حيثُ تكلَّموا فيما تكلَّموا لأيِّ شيءٍ لا يتكلَّمون؟ ". [٢]

قال الحافظ أبو بكر الآجُريُّ–رحمه الله–«**ت: ٣٦٠ هـ**»:"معنى قول أحمدَ بن حنبل في هذا المعنى، يقول: لم يختلفْ أهلُ الإيمان أنَّ القرآنَ كلامُ الله عَزَّ وجَلَّ، فلمَّا جاءَ جَهْمٌ فأحْدَثَ الكُفْرَ بقولِهِ: إنَّ القرآن مخلوقٌ، لم يسَع العلماءَ إلاَّ الرَّدُّ عليه بأنَّ القرآنَ كلامُ الله عَزَّ وجَلَّ غيرُ مخلوقٍ بلا شكٍّ ولا تَوقُّفٍ فيهِ، فمَنْ لم يَقُلْ: غيرُ مخلوقٍ، سُمِّيَ واقفيّاً شاكاً في دينه". [٣]

وقال أحمدُ أيضـاً: "كنا نرى السُّـكوتَ عن هذا قبلَ أن يخوضَ فيه هؤلاء، فلمَّا أظهروهُ لم نَجِدْ بُدّاً من مُخالفتهم والرَّدِّ عليهم". [٤]

والأئمةُ جميعاً على إنكارِ مَسْـلَكِ هؤلاءِ، والتَّشـديد عليهم، وتَبْدِيعهم، وأبو عبد الله أحمد بن حنبل أشدُّهم إنكاراً.

---

(١) كتاب "السنة" رقم «٤٩٣».

(٢) رواه أبو داود في "المسائل" «ص: ٢٦٣–٢٦٤»، ومن طريقه: الآجري «ص: ٨٧»، وإسماعيل بن الفضل «ق ١١٤/أ».

(٣) "الشريعة" للآجري «ص: ٨٧».

(٤) ذكره عنه عثمان الدارمي في "النقض على المريسي" «ص: ١١٠».

قال أبو داود السِّجِستانيُّ-رحمه الله-«ت: **٢٧٥ هـ**»: سمعتُ أحمدَ ذَكَرَ رَجُلينِ كانا وَقَفا في القرآنِ، ودَعَوَا إليه، فجعَلَ يَدعو علَيْهما، وقالَ لي: هذا لأحدِهما فِتْنةٌ، وجعَلَ يذكرهما بالمكْروهِ. (١)

وقالَ: رأيتُ أحمدَ سـلَّمَ عليه رجلُ من أهْلِ بغداد ممَّن وقَفَ-فيما بلَغني-فقال: "اغْرُبْ، لا أرَينَّكَ تَجِيءُ إلى بابي-في كلام غَليظ-" ولَمْ يرُدَّ عليه السَّلامَ، وقالَ لَهُ:

"ما أحوَجَكَ إلى أنْ يُصْنَعَ بك ما صنعَ عُمَرُ بصَبِيغٍ".

قال أبو داودَ: فهَّمَني بصَبيغ بعضُ ولَد أحمدَ – [فدخَلَ بيتَه وردَّ البابَ]. (٢)

وقالَ أبو طالب: سـألتُ أبا عبد الله عمَّن أمسـكَ، فقال: لا أقولُ ليسَ هو مخلوقاً، إذا لَقِيَني بالطريقِ وسلَّمَ عليَّ، أسَلِّمُ عليه؟

قال: "لا تُسَـلِّمْ عليه، ولا تكلِّمْهُ، كيفَ يعرفُه الناسُ إذا سـلَّمتَ عليْهِ؟ وكيفَ يعرفُ هو أنَّك مُنكرٌ عليه، فإذا لَمْ تُسَلِّم عليه عَرَفَ الذّلَّ، وعرفَ أنك أنكرتَ عليه، وعرفهُ النَّاسُ". (٣)

وقال أبو داودَ: سمعتُ أحمدَ وقيلَ له: ما ترى في الصَّلاةِ خَلْفَ من يقولُ في القرآنِ: كلامُ الله، ويَقِفُ؟ قال: "يُعْجِبُني أنْ يُجْفَوا". (٤)

وقال الإمامُ أحمدُ-رحمه الله-«ت: **٢٤١ هـ**»: "افترقَت الجَهميَّةُ على ثَلَاثِ فِرَق: فِرْقَةٍ قالوا: القرآنُ مخلوقٌ، وفرقةٍ قالوا: كلامُ الله وتسْكُتُ، وفرقةٍ قالوا: لفظُنا بالقرآنِ مخلوقٌ". (٥)

ومقالاتُ الإمام أحمدَ فيهم كثيرةٌ مُستفيضةٌ، وكذا عن غيرِه من أئمَّةِ السُّنَّة، فمِنْ ذلك:

---

(١) رواه أبو داود في "المسائل" «ص: ٢٦٤» ومن طريقه الآجري «ص: ٨٧».

(٢) رواه أبو داود في "المسائل" «ص: ٢٦٤»، ومن طريقه: الآجري «ص: ٨٧». وصَبيغ هذا بصريٌّ قَدِم على عُمَر فكان يجادل في متشابه القرآن، فجلَده عمر-رضي الله عنه-لذلك، وقصته صحيحة مشهورة، رويت موصولةً بسند صحيح عند ابن عساكر «٨/ ١١٧» وغيره، ورويت مرسلةً من وجوه متعددة..

(٣) رواه الآجري «ص: ٨٨»، بسند صحيح.

(٤) رواه أبو داود في "المسائل" «ص: ٢٦٤».

(٥) رواه صالح في "المحنة" «ص ٧٢» عن أبيه به.

١ – قال مُهَنّا أبو عبد الله السُّـلَميّ–رحمه الله–«**ت: ٢٦٠ هـ تقريبًا**» «**وكان من خيار أصحاب أحمد**»:

ســألتُ أحمدَ بن حنبل بعدَ ما أخْرجَ من السِّــجنِ بســنتين: ما تقول في القرآنِ؟ فقَالَ: "كلامُ الله غيرُ مخلوق" وقال: "مَن رَوى عنّي غيرَ هذا القولَ فهو مُبْطِل" قلتُ له: إنَّ بعضَ مَن ذكَرَ عنك أنَّك قلتَ له: هو كلام الله، لا مَخلوق ولا غيرُ مخلوق، ولكن هو كلام الله، فقال أحمد: "أبْطَلَ، ما قلتُ هذا، ولكنَّه هو كلامُ الله غير مخلوقٍ". (١)

٢ – وقالَ سـلَمةُ بن شَـبيب–رحمه الله–«**ت: ٢٤٦ هـ**»: دخلتُ على أحمد بن حنبل فقلتُ: ما تقول فيمن يقول: القرآن كلامُ الله؟ فقال أحمد: "مَنْ لم يَقُلْ: القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوق فهو كافرٌ".

ثمَّ قالَ: "لا تَشُكَّنَّ في كُفْرِهم، فإنَّ مَن لم يَقُلِ: القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق فهو يقول: مخلوقٌ، ومَن قال: هو مخلوقٌ، فهو كافر بالله عزَّ وجَلَّ".

قال سلمَةُ: وقلتُ لأحمدَ: الواقفة كفّارٌ؟ فقال:"كفّارٌ". (٢)

٣ – وقـال عبـد الله بن أحمـدَ–رحمه الله–«**ت: ٢٩٠ هـ**»: سمعتُ أبي –وسُـــئلَ عن الواقفة– فقال أبي:

"مَن كانَ يُخاصِـمُ ويُعرَفُ بالكلام فهو جَهْميٌّ، ومن لم يُعرَف بالكلام يُجانَب حتى يَرْجِعَ، ومَن لم يكن له عِلمٌ يَسأل". (٣)

وقالَ مرَّةً في الواقِفَةِ:"هُمْ شَرٌّ مِن الجهميَّةِ". (٤)

قلتُ: لخَفاءِ أمرِهم.

---

(١) رواه عبد الله في "السنة" رقم «٥٢٩» عن مهنّا عن أحمد.

(٢) رواه ابن الجوزي في "مناقب الإمام أحمد" «ص: ١٥٧»، بسند جيد.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «٢٢٣».

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «٢٢٥».

٤ – وقال إسحاقُ بن راهُوَيْهِ–رحمه الله–«**ت: ٢٣٨ هـ**» «**الإِمامُ الفقيةُ الحافِظُ**»:

"مَنْ قالَ: لا أقولُ: القرآنُ مخلوقٌ، ولا غيرُ مخلوقٍ، فهو جَهميٌّ".(١)

٥ – وقال قُتَيبةُ بن سعيد–رحمه الله–«**ت: ٢٤٠ هـ**» «**وهو ثِقةٌ ثَبْتٌ حافِظٌ**»:

"هؤلاءِ –يعني الواقفة– شَرٌّ مِنْهم، مِمَّن قالَ: القرآنُ مخلوقٌ".(٢)

٦ – وقال الحافظُ الإمامُ أبو الوليد الطَّيالِسيُّ–رحمه الله–«**ت: ٢٢٧ هـ**»:

"مَن لم يَعْقِدْ قلبَه على أنَّ القرآنَ ليسَ بمخلوقٍ فهو خارجٌ من الإسلام".(٣)

٧ – وقال عثمانُ بن أبي شيبة–رحمه الله–«**ت: ٢٣٩ هـ**« «**ثِقَةٌ حافِظٌ**»:

"هؤلاء الذين يقولونَ: كلامُ الله ويسكُتونَ، شَرٌّ من هؤلاء –يعني ممن قالَ: القرآنُ مخلوقٌ".(٤)

٨ – وقال أبو داودَ: سألتُ أحمدَ بن صالح المِصْريَّ–رحمه الله–«**ت: ٢٤٨ هـ**» «**الحافظ الإمام**» عمَّن يقول: القرآن كلامُ الله، ولا يقول: مخلوقٌ، ولا غيرُ مخلوقٍ؟ قال: "لهذا شاكٌّ".(٥)

٩ – وقال أبو خَيْثَمَة–رحمه الله–«**ت: ٢٧٩ هـ**» «**ثِقَةٌ حافِظٌ**» –وسأل يَحيى بن مَعِين– رحمه الله–«**ت: ٢٣٣ هـ**»، فقال: إنَّهم يقولون: إنّكَ تقولُ: القرآنُ كلامُ الله، وتَسْكُت، ولا تقولُ: مخلوقٌ، ولا غيرُ مَخلوقٍ، قال: "لا" فعاوَدتُه، فقال: "مَعاذَ الله، القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخْلوقٍ، ومَن قالَ غيرَ لهذا فعليه لعنةُ الله".(٦)

١٠ – وقالَ أبو حاتِمٍ–رحمه الله–«**ت: ٢٧٧ هـ**»، وأبو زُرْعَةَ–رحمه الله–«**ت: ٢٨٩**

---

(١) رواه أبو داود في "المسائل" «ص: ٢٧٠»، ومن طريقه الآجري في "الشريعة" «ص: ٨٨».

(٢) رواه أبو داود في "المسائل" «ص:٢٧٠» ومن طريقه الآجري «ص: ٨٨».

(٣) رواه أبو داود في "المسائل" «ص: ٢٦٦»، بسند صحيح.

(٤) رواه أبو داود في "المسائل" «ص: ٢٧١»، ومن طريقه الآجري «ص: ٨٨».

(٥) رواه أبو داود «ص: ٢٧١»، وعنه الآجري «ص: ٨٨».

(٦) رواه ابن الطبري في "السنة" رقم «٤٥٦» بسند صحيح.

هـ» الرّازيان الحافظان:

"ومَن شَكَّ في كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، فوقَفَ شاكّاً فيه، يقولُ: لا أدْري، مَخْلوقٌ أو غير مَخلوقٍ، فهو جَهميّ، ومَن وقَفَ جاهلاً عُلِّمَ، ويُدّعَ ولَم يُكَفَّر ".(١)

وكذا ذكَر الإمامُ هِبَةُ الله ابنُ الطَّبريّ-رحمه الله-«**ت: ٤١٨ هـ**» نحوَ ما ذُكِرَ من الإنكار عن نَحْوِ مِئَةٍ من المحدِّثينَ والفُقَهاء.(٢) (٣)

خامسًا: مسألة أنه منه بدأ وإليه يعود.(٤)

الجانب الأول: «**منه بدأ**».

يَعْتَقدُ السَّلَفُ أنَّ القرآنَ كلامُ الله تعالى، منه خرجَ وبدأ، تكلَّمَ به بحُروفِهِ ومَعانيهِ، فأسمَعَهُ جبريلَ عليه السَّلام، ونَزل به جبريلُ على قلبِ نبيّنا صلى الله عليه وسلم، وهو هذا اللِّسانُ العربيُّ المبينُ، النّازلُ بلغةِ قُرَيْشٍ.

الأدلة على ذلك:

وهذا مُبَيَّن في غيرِ مَوْضع من كتاب الله تعالى، فمِنْ ذلك:

١ - قولُه تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: الآية: ١].

٢ - وقولُه -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ [طه: الآية: ٤].

٣ - وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: الآية: ٦].

٤ - وقولُه تعالى: ﴿الم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [السجدة: الآيات: ١ - ٣].

---

(١) رواه ابن الطبري «١/ ١٧٨» بسند صحيح.

(٢) كتاب "السنة" «٢/ ٣٢٣-٣٢٩».

(٣) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

(٤) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

٥ - وقولُه جلَّ وَعَلا: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ...﴾ [الزمر: الآيات: ١ - ٢].

٦ - وقولُه تعالى: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فصّلت: الآيات:١ - ٤].

٧ - وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: الآيات: ٤١ - ٤٢].

فأخبرَ تعالى في هذه الآيات وما يشبَهُها أنَّ القرآنَ العربيَّ الذي هو كلامهُ، إنَّما هو تنزيلُه، نَزلَ منهُ، فمنه بدَأ وَخَرَجَ لا مِنْ سِواه.

٨ - وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: الآيات: ١٠١ - ١٠٣].

فأنبأ تعالى في هذه الآياتِ أنَّ القرآنَ العربيَّ نزَلَ به رُوحُ القُدُس منه، ورُوحُ القُدُس هو جبريلُ عليه السَّلام، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٧].

فليسَ هو كلامَ محمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم- كما زعَمَ الكفَّارُ- ولا كلامَ جبريلَ عليه السَّلام -كما زعمَه بعضُ أهلِ البِدَعِ- وإنَّما هو كلامُ الله تعالى، منه بدأ وخَرَجَ، وهو الذي أنزلَه بواسطةِ رسولِه الملَك جبريلَ، فمن قال غير هذا فقدْ كفَرَ، لأنَّه كذَّبَ الله في قولِهِ، وجَحَدَ ما أنبأتْ به رسلُه، وإنِ ادّعى الإسلامَ وانتسبَ إليه، فالإسلامُ يَبْرأ منه.

والله تعالى لم يُضِف شيئاً ممَّا أنزله إلى نفسِهِ غيرَ كلامِهِ، وذلك لأنَّه صفتُهُ.

تنبيه:

ويجب أن يُعلَمَ أنَّه ليسَ معنى قولهم «**منه خَرَجَ**» أنَّ صفةَ الكلام فارَقَتْهُ تعالى، وحلَّتْ في غيرِهِ، وأنَّ ما تكلَّم به نُسِبَ إلى غيرِه، وصارَ وصفاً لذلك الغَيْرِ -كما قد وَسْوَسَ به بعضُ

أهل البدَع-فإنَّ هذا المعنى لا يُعقَل في حَقّ الإنسانِ المخلوقِ الضَّعيفِ، إذا تكلَّمَ بكلام تزولُ عنهُ صفةُ الكَلام بذلك وتفارقُه إلى غيرِهِ، فإنَّ من كانَ كذلكَ لم يمكِنْه الكلامُ إلاَّ مرّةً واحدةً، فإذا تكلَّمَ هذه المرَّة فارقَتْهُ صفتُهُ، لأنَّ الكلامَ خرَجَ منه وفارقَهُ، وبمفارقته زالتْ عنه الصّفة ولَحِقَتْ غيرَهُ، هذا كلامٌ لا يقوله مَن يَدري ما يقولُ، فإنَّ مَنْ وُصِفَ بالكلام على هذا المعنى موصوفٌ بالعَجْز عنه، وهو غيرُ متصوَّرٍ في حقّ الناطق المخلوق على ضَعْفه، فكيف تصوَّرَهُ هؤلاء الضُّلاَّلُ في حقّ الله الذي ليسَ كمثلهِ شيءٌ، فإنَّه تعالى وصفَ نفسَه بأنَّه متكلمٌ بكلامٍ متعلقٍ بمَشيئتهِ وقُدْرتهِ، يُسْمِعُه من شاءَ من خلقهِ، متى شاءَ، وأنَّ كلماتِهِ تعالى لا تَنْفَدُ، ومن كان هذا وصْفُهُ لم تفارقْهُ صفَتُهُ بتكلّمهِ مرَّةً أو مرَّاتٍ، وكانَ كلُّ ما تكلَّمَ به منسوباً إليه لا إلى غيرِهِ.

قالَ الإمام الحافظُ أبو الوليد الطَّيالِسيُّ-رحمه الله-«**ت: ٢٢٧ هـ**»: "القُرْآنُ كلامُ الله ليسَ ببائنٍ من الله". (١)

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وإنَّ قولَ السَّلَف: «**منه بدأ**» لم يُريدوا به أنه فارقَ ذاتَهُ، وحَلَّ في غيره، فإنَّ كلامَ المخلوقِ، بل وسائرَ صفاتهِ لا تفارقُه وتَنْتَقِلُ إلى غيرِهِ، فكيفَ يجوزُ أنْ يفارقَ ذاتَ الله كلامُه أو غيرُهُ من صفاتِهِ". (٢)

قالَ الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: الآية: ٦] فالَّذي يسمَعُهُ المشْرك المستجيرُ من القارئ إنَّما هو كلامُ الله المضافُ إليه لا إلى غيرِهِ، فلو أن كلامَه بانَ منه وفارقَه لَما صَحَّتْ إضافَتُهُ إليه إضافةَ الصِّفَةِ إلى الموصوفِ.

وهذا الكلامُ بعَيْنِهِ هو الذي في مَصاحفِ المسلمينَ بلا شَكٍّ ولا ريبٍ، خِلافاً لِلَّفظيةِ من الأشعريةِ وغيرهم القائلينَ بأنَّ ما في المصاحفِ دلالةٌ على كلام الله، وليسَ هو كلامَ الله، وقد قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ

---

(١) رواه أبو داود في "المسائل" «ص: ٢٦٦»، بسند صحيح عنه.

(٢) "مجموع الفتاوى" «١٢/ ٢٧٤»، وانظر: «١٢/ ٥١٧- ٥١٨، ٥٥٠، ٥٦١».

الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: الآيات: ٧٧-٨٠]، فأبان أنَّ كلامَه الذي هو وحيُهُ وتنزيلُهُ يكونُ في الكتاب المكنونِ، فكذلك كونُه في المِصاحفِ، ونحنُ لا نعلَمُ القرآنَ إلاَّ هذا العربيَّ المنزَلَ، وهو الذي سمَّاه الله تعالى كلامَه.

وقَدْ قالَ النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تُسافِروا بالقرآن إلى أرْضِ العَدُوّ، فإنِّي أخافُ أن ينالَهُ العدوُّ**». (١)

ولا خِلافَ في أنَّ النَّهيَ عن السَّفر بالقرآن، إنَّما هو النَّهْيُ عن السَّفَرِ بالمِصاحفِ، لأنَّ القرآنَ إنَّما يكونُ فيها، وهي التي تُحْمَلُ وتُنْقَلُ، ولا نعلَمُ القرآنَ إلاَّ كلامَ الله المنزَلَ على الحقيقةِ.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وممَّا كانَ أحمدُ أنكرَه من قولِ الجهميَّةِ قولُ من زعَمَ أنَّ القرآنَ ليسَ في الصُّدورِ، ولا في المِصاحفِ". (٢)

الجانب الثاني: «**إليه يعود**»

وقد اختلف العلماء في تفسير معنى قوله: وإليه يعود.

القول الأول: وقد تأوَّلَهُ بعضُ أهلِ السُّنَّة بعَودِ تلاوته وقراءته التي هي كَسْبُ العبدِ.

وهذا المعنى حَق، فإنَّه تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: الآية: ١٠]

القول الثاني: يعود إليه نسبة.

أي أنه يعود إلى الله تعالى وصفا، فهو الموصوف به سبحانه وتعالى لا يوصف به أحد سوى الرب سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه مالك «٢/ ٤٤٦»، والشافعي رقم «١١٤٩، ١١٥٠»، وأحمد رقم «٤٥٠٧، ٤٥٢٥، ٤٥٧٦، ٥١٧٠، ٥٢٩٣»، والبخاري «٦/ ١٣٣»، ومسلم رقم «١٨٦٩»، وأبو داود رقم «٢٦١٠»، والنسائي في "فضائل القرآن" -من "الكبرى"- رقم «٨٥»، وابن ماجة رقم «٢٨٧٩، ٢٨٨٠»، من طرق عن نافع عن ابن عمر به مرفوعًا.

وتابع نافعاً عليه عبد الله بن دينار، أخرجه أحمد رقم «٦١٢٤» وابن أبي داود في "المصاحف" «ص: ١٨٣» بسند صحيح عنه.

وكذا تابعه سالم عن أبيه، أخرجه ابن أبي داود «ص: ١٧٩ - ١٨٠»، بسند صالح في المتابعات.

(٢) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

قال ابن النجار الفتوحي-رحمه الله-«**ت ٩٧٢ هـ**»: "قال أحمد: كلام الله من الله ليس ببائن منه. وقد جاء في الأحاديث والآثار "أنه منه بدأ، ومنه خرج، وإليه يعود" نصـــا منه، ومن غيره عليه.

ومعنى ذلك: أنه هو المتكلم به، أو الذي يخرج منه، ولا يقتضـــي ذلك أنه يباينه وانتقل عنه.[١]

وقال: ومعلوم أن كلام المخلوق لا يباين محله.[٢]

قال أحمد: منه بدأ وإليه يعود.[٣]

وقال: منه بدأ علمه، وإليه يعود حكمه.[٤]

وقال تارة: منه خرج، وهو المتكلم به، وإليه يعود، وهو القرآن".[٥]

القول الثالث: يُسرى به من الأرض في آخر الزمان، كما روي في بعض الآثار أنه إذا لم يعمل الناس بالقرآن، أي: أطبقت الأرض على عدم العمل به، ينزه الله كتابه فيرفعه من صدور الناس ومن مدادهم.

وبهذا جاء الخبرُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وغيرِه من أصحابه.

فأمَّا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

١-عن حذيفة بن اليمان «**ت: ٣٦ هـ**»، وأبي هريرة-«**ت: ٥٧ هـ**»-رضي الله عنهما-، قالا: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**يسرى على كتاب الله ليلا، فيصبح الناس**

---

(١) ينظر: فتاوى ابن تيمية «١٢/ ٥٢»، مجموعة الرسائل والمسائل «٣/ ٣٥».

(٢) ينظر: مسائل الإمام أحمد «ص: ٢٦٦».

(٣) ينظر: فتاوى ابن تيمية «٢/ ٥١٧».

(٤) ينظر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة «٢/ ٥١٨».

(٥) ينظر: الفتوحي، شرح الكوكب المنير شرح مختصر التحرير «٢/ ٨٨».

ليس في الأرض ولا في جوف مسلم منه آية».[(١)]

٢ - عن أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت**: **٥٧ هـ**»، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال:

«يسرى على كتاب الله عز وجل فيرفع إلى السماء؛ فلا يصبح في الأرض آية من القرآن ولا من التوراة والإنجيل ولا الزبور، وينتزع من قلوب الرجال فيصبحون ولا يدرون ما هو».[(٢)]

ومما ورد من الآثار[(٣)]:

١-وعن شَدَّاد بن مَعْقِل-رحمه الله-أنَّ عبد الله بن مسعودٍ-رضي الله عنه-«**ت**: **٣٢ هـ**»، قال:

"لَيُنْتَزَعَنَّ هذا القرآنُ من بين أظْهُرِكُمْ".

قال: قلتُ: يا أبا عبد الرَّحمن! كيفَ يُنْتَزَعُ وقد أَثْبَتْنَاهُ في صُدورِنا، وأثبتناهُ في مَصاحِفنا؟

قالَ: "يُسْرى عليهِ في ليلةٍ، فلا يَبقى في قَلْبِ عَبْدٍ منه، ولا مُصحَفٍ منه شَيْءٌ، ويُصْبِحُ الناسُ فُقَراءَ كالبَهائم".

ثمَّ قرأ عبد الله: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: الآية: ٨٦]".[(٤)]

٢-عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-«**ت**: **٣٢ هـ**»، من طريق زر بن

(١) أورده الديلمي في الفردوس «٥/ ٤٨٨» «٨٨٤٨» عن أبي هريرة. وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ، وابن مردويه.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك برقم: «٨٥٤٤»، وقال الإمام الذهبي في التلخيص: صحيح على شرط الإمام مسلم.

(٣) كما ورد عن ابن مسعود-رضي الله عنه-، موقوفًا، أخرجه عبد الرزاق في المصنف «٣/ ٣٦٢»، وابن أبي شيبة في المصنف «١٠/ ٥٣٤»، والبخاري في خلق أفعال العباد، رقم «٣٨١، ٣٨٢»، وسعيد بن منصور في السنن «٢/ ٣٣٥»، وابن جرير الطبري في التفسير «١٥/ ١٥٨»، والبيهقي في السنن «٦/ ٢٨٩».

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» «٨٥٣٨» وصحَّحه، وأخرجه الطبراني «٨٧٠٠»، وله طُرُقٌ مرفوعةٌ وموقوفةٌ، ذَكَرَ تخريجَها الشوكانيُّ في فتح القدير «٣/ ٣٥٨ . ٣٥٩».

حبيش- قال: "ليسرين على القرآن في ليلة، فلا تترك آية في قلب رجل ولا مصحف إلا رفعت".[١]

٣-عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-«**ت: ٣٢ هـ**»، من طريق عبد الله بن عتبة بن مسعود- قال: "اقرءوا القرآن قبل أن يرفع، فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع. قالوا: هذه المصاحف ترفع، فكيف بما في صدور الناس؟ قال: يعدى عليه ليلا فيرفع من صدورهم، فيصبحون فيقولون: لكأنا كنا نعلم شيئا. ثم يقعون في الشعر".[٢]

٤-عن حذيفة بن اليمان-رضي الله عنه-«**ت: ٣٦ هـ**»، من طريق ربعي بن حراش- قال: "يوشك أن يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، ويقرأ الناس القرآن لا يجدون له حلاوة، فيبيتون ليلة ويصبحون وقد أسري بالقرآن وما قبله من كتاب، حتى ينتزع من قلب شيخ كبير وعجوز كبيرة، فلا يعرفون وقت صلاة ولا صيام ولا نسك، حتى يقول القائل منهم: إنا سمعنا الناس يقولون: لا إله إلا الله. فنحن نقول: لا إله إلا الله".[٣]

٥-عن أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت: ٥٧ هـ**»، من طريق أبي حازم- قال: "يسرى على كتاب الله، فيرفع إلى السماء، فلا يبقى في الأرض آية من القرآن ولا من التوراة والإنجيل والزبور، فينزع من قلوب الرجال، فيصبحون في الضلالة، لا يدرون ما هم فيه".[٤]

٦-عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٥ هـ**»، قال: "لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل، له دوي حول العرش كدوي النحل، يقول: أتلى ولا يعمل بي".[٥]

---

(١) أخرجه يحي بن سلام «١/ ١٦١». وعزاه السيوطي إلى ابن أبي داود في المصاحف.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان «٢٠٢٦».

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخه «١/ ٤٠٠».

(٤) أخرجه الحاكم «٤/ ٥٠٦». وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٥) عزاه السيوطي إلى محمد بن نصر في كتاب الصلاة.

٧-عن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-«**ت: ٤٠ هـ**»: "يذهب الناس حتى لا يبقى أحد يقول لا إله إلا الله، فإذا فعلوا ذلك ضرب يعسوب الدين ذنبه فيجتمعون إليه من أطراف الأرض كما يجمع قرع الخريف. ثم قال علي: إني لأعرف اسم أميرهم ومناخ ركابهم، يقولون: القرآن مخلوق. وليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله، منه بدأ وإليه يعود".(١)

٨-عن عكرمة-رحمه الله-«**ت: ١٠٥ هـ**» قال: كان ابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**»، في جنازة، فلما وضع الميت في لحده قام رجل فقال: "اللهم رب القرآن اغفر له. فوثب إليه ابن عباس فقال: "مه، القرآن منه" زاد الصهبي في حديثه فقال ابن عباس: "القرآن كلام الله ليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود".(٢)

٩-عن شمر بن عطية-رحمه الله-«**ت: في ولاية خالد القسري**»، قال: "يسرى على القران في ليلة، فيقوم المتهجدون في ساعاتهم فلا يقدرون على شيء، فيفزعون إلى مصاحفهم فلا يقدرون عليها، فيخرج بعضهم إلى بعض فيلتقون، فيخبر بعضهم بعضا بما قد لقوا".(٣)

١٠-عن عمرو بن دينار-رحمه الله-«**ت: ١٢٦ هـ**»، يقول: "أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود".(٤)

١١- سفيان الثَّوْري-رحمه الله-«**ت: ١٦١ هـ**».

قال: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخلوقٍ، منه بَدَأ وإليه يعودُ، مَنْ قال غيرَ هذا فهو كُفْرٌ".

١٢- أبو بكر بن عيَّاش «**ت: ١٩٣ هـ**».

قال: "القرآنُ كلامُ الله، ألقاه إلى جبرائيلَ، وألقاهُ جِبرائيلُ إلى محمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد «٢/ ٢٥٤»، عن علي رضي الله عنه موقوفًا.

(٢) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد «٢/ ٢٥٦».

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي داود، وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد «٢/ ٢٦٠». وذكر الحافظ ضياء الدين المقدسي في "اختصاص القرآن" فقرة [٦] عشرة أنفس من الصحابة أدركهم عمرو بن دينار فيهم: عبد الله بن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وجابر بن عبد الله، وغيرهم.

، منه بدَأ، وإليه يعودُ".[1]

١٣-سفيان بن عُيَيْنَة-رحمه الله-«**ت: ١٩٨ هـ**».

سأله رجُلٌ: يا أبا محمَّدٍ، ما تقولُ في القرآنِ؟ فقال: "كَلامُ الله، مِنْهُ خَرجَ وإليه يَعودُ".

١٤- الإمام أحمدُ بن حنبل-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**».

قال: "لقيتُ الرِّجالَ، والعُلَماءَ، والفُقَهاءَ، بمكَّةَ، والمدينةِ، والكُوفةِ، والبَصْرةِ، والشامِ، والثُّغورِ، وخُراسانَ، فرأيتُهم على السُّنَّة والجَماعَة، وسألتُ عنها -يعني هذه اللفظة- الفُقَهاءَ؟ فكلٌّ يقولُ: القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخْلوق، منه بدَأ، وإليه يعودُ".[2]

وقالَ: "لم يَزَلِ الله عالماً متكلّماً، نعبُدُ الله لصِفاتهِ، غير محدودَةٍ ولا مَعلومةٍ إلَّا بما وصَفَ به نفسه، ونردُّ القرآن إلى عالمهِ تبارك وتعالى، إلى الله، فهو أعلَمُ به، منه بَدَأ وإليه يَعودُ".[3]

١٥- أبو جعفر أحمد بن سِنان الواسطي «**ت: ٢٥٦ هـ**».

قال: "مَن زَعَمَ أنَّ القرآنَ شَيْئَين أو أنَّ القرآنَ حِكايةٌ، فهو والله الذي لا إله إلاَّ هو، زِنديقٌ كافرٌ بالله، هذا القُرْآنُ هو القُرآنُ الذي أنزله الله على لسانِ جبريلَ على محمَّد -صلى الله عليه وسلم-، لا يغيَّر ولا يُبَدَّل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: الآية: ٤٢]، كَما قالَ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ...﴾ [الإسراء: الآية: ٨٨]، ولو أنَّ رجلاً حلفَ لا يتكلَّمُ اليومَ، ثمَّ قرأ القرآنَ، أو صلَّى وقرأ القرآنَ، أو سلَّمَ في الصَّلاةِ، لم يحنَثْ، لا يُقاسُ بكَلام الله شَيْءٌ، القرآنُ كلامُ الله، منه بَدَأ وإليه يَعودُ، ليس من الله تعالى شَيْءٌ مخلوقٌ، ولا صِفاتُهُ، ولا أسماؤُهُ، ولا عِلْمُهُ".[4]

---

[1] جميع هذه الآثار الأربعة صحيحة، انظر تخريجها في التعليق على "اختصاص القرآن" وأثر عمرو قد سبق ذكره.

[2] ذكر هذا النص الحافظ الضياء في "اختصاص القرآن" عن المرّوذى عن أحمد، فقرة «٩».

[3] رواه حنبل فى "المحنة" «ص: ٤٥»، عنه به.

[4] أخرجه الضياء في "اختصاص القرآن" رقم «١٦».

وقال ابن قدامة-رحمه الله-«**ت: ٦٢٠ هـ**»: "من كلام الله سبحانه القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود".(١)

ونقلَ ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»، اتّفاقَ السَّلَفِ والأئمَّةِ على ذلك في غيرِ موضع من كلامه.(٢)

فبهذا يظهرُ لكَ معنى قولِ من قال من السَّلَفِ: "القرآنُ كلامُ الله، مُنْزَلٌ غيرُ مَخْلوقٍ، منه بدّأ وإليه يَعودُ".

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فقالوا: «**منه بدأ**» ردّاً على الجَهْميةِ الذين يقولون: بدأ من غيرِهِ، ومقصودُهُم أنَّه هو المتكلّمُ به، كما قالَ تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: الآية: ١]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ...﴾ [السجدة: الآية: ١٣]، وأمثال ذلك".(٣)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وأمَّا «**إليه يَعودُ**» فإنه يُسْرى به في آخرِ الزَّمانِ، من المِصاحفِ والصُّدور، فلا يبقى في الصُّدور منه كلمةٌ، ولا في المصاحف منه حرفٌ".(٤)

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وَالَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ السَّـــلَفُ وَالأَئِمَّةُ: أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَإِنَّمَا قَالَ السَّـــلَفُ: «**مِنْهُ بَدَأَ**» لِأَنَّ الجَهْمِيَّةَ-مِن المُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ-كَانُوا يَقُولُونَ: إنَّهُ خَلَقَ الكَلَامَ فِي المحَلِّ. فَقَالَ السَّـلَفُ: «**مِنْهُ بَدَأَ**». أَيْ: هُوَ المتَكَلِّمُ بِهِ؛ فَمِنْهُ بَدَأَ، لَا مِنْ بَعْضِ المخْلُوقَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَنزِيلُ

(١) لمعة الاعتقاد «ص: ١٨».

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى": «٦/ ٥٢٨»، «١٢/ ١٦٤».

(٣) "درء التعارض" «٢/ ١١٣».

(٤) "مجموع الفتاوى" «٣/ ١٧٤-١٧٥»، عن المناظرة في الواسطية.

الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: الآية:١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: الآية: ١٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: الآية: ٦]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: الآية: ١٠٢].

وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ: «**إِلَيْهِ يَعُودُ**»: أَنَّهُ يُرْفَعُ مِن الصُّدُورِ وَالمصَاحِفِ؛ فَلَا يَبْقَى فِي الصُّدُورِ مِنْهُ آيَةٌ وَلَا مِنْهُ حَرْفٌ، كَمَا جَاءَ فِي عِدَّةِ آثارٍ".(١)

وأمَّا قوله رحمه الله: «**وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَام غَيْرِهِ**»- فيريدُ به شيخُ الإسلامِ: أنَّ اللهَ تكلَّمَ بالقرآنِ حقيقةً، وَأَنَّهُ لَيسَ بِكَلَامِ جبريل، وَلَا كلامِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وفي قوله رحمه الله: «**وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ أَوْ عِبَارَةٌ**»- يُشير به إِلَى الكُلَّابيَّة الذينَ قالوا: إِنَّهُ حكايةٌ، وَإِلَى الأشاعرةِ الذينَ قالوا: إِنَّهُ عبارةٌ، فالكُلَّابيَّة والأشاعرةُ متفقونَ عَلَى أنَّ هَذَا القرآنَ الذي بَينَ أيدينا ليسَ كلامَ اللهِ، بَل هُوَ إِمَّا حِكَاية أَو عبارَة؛ فَالأشاعرةُ يقولونَ: إِنَّ اللهَ عَبَّرَ عن كلامِهِ النفسيّ بحروفٍ وَأصواتٍ مخلوقةٍ.

والكُلَابيَّة يقولونَ: إنَّ القرآنَ معنى قائم بذاتِ اللهِ، وأنَّهُ لا يُسْمَعُ عَلَى الحقيقةِ، والحروفُ والأصواتُ حكايةٌ لَهُ ودالَّةٌ عَلَيهِ، كَمَا يَحْكِي الصَّدَى كلامَ المتكلِّم.

وقوله رحمه الله: «**بَل إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي المَصَاحِفِ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللَّهِ حَقِيقَةً، فَإِنَّ الكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا**»- يريدُ به شيخُ الإسلامِ رحمه الله: أنَّ القرآنَ- وإن حُفِظَ في الصُّدورِ، أو تُلِيَ بالألسنِ، أو كُتِبَ في المصاحفِ، أو سُمِعَ بالآذانِ- فإنَّ ذلكَ لا يُخرجُهُ عن كونِهِ كلامَ اللهِ وإن بلغهُ الرسولُ المَلَكِي جبريلُ للرّسولِ البشريّ محمَّدٍ ﷺ، وبلغهُ نبينا محمَّد ﷺ لأُمَّتِهِ، فإنَّ الكلامَ إنَّما

---

(١) مجموع الفتاوى «٦/ ٥٢٨، ٥٢٩».

يُضَافُ حقيقةً إلى مَن قالَهُ مُبتدئًا، لا إلَى مَن قالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

قال العلَّامةُ ابنُ عُثَيمين رحمه الله: «**قوله:** «**هو كلامُ الله؛ حُرُوفه ومَعانيه**»- هذا مذهبُ أهلِ السُّنَّة والجَمَاعَة. قالوا: إنَّ اللهَ- تَعَالَى- تَكَلَّمَ بالقرآنِ بِحُرُوفِهِ وَمَعانِيهِ.

وقوله: «**ليس كلامُ الله الحُرُوفُ دون المعاني**». وهذا مذهبُ المعتزلَةِ وَالجهميَّةِ؛ لِأَنَّهُم يقولونَ: إنَّ الكلامَ ليسَ معنًى يقومُ بذاتِ اللهِ، بل هُوَ شيءٌ مِن مَخلوقَاتِهِ؛ كَالسماءِ والأرضِ والناقةِ والبيتِ، وما أشبهَ ذلكَ؛ فليسَ معنًى قائمًا فِي نفسِهِ، فكلامُ اللهِ حروفٌ خَلَقهَا اللهُ عز وجل، وَسَمَّاها كلامًا، كَمَا خَلَقَ الناقةَ، وسمَّاهَا ناقة اللهِ، وَكَمَا خَلَق البيتَ، وَسَمَّاه بَيت اللهِ.

وَلِهَذَا كانَ الكلامُ عندَ الجهميَّةِ والمعتزِلَةِ هُوَ الحروفُ؛ لِأَنَّ كلامَ اللهِ عندَهُم عبارةٌ عَن حروفٍ وأصواتٍ خَلَقَهَا اللهُ عز وجل، وَنَسَبَهَا إِلَيهِ تَشريفًا وَتَعظِيمًا.

قوله: «**ولا المَعاني دون الحُرُوف**»: وَهَذَا مَذهَبُ الكُلَابيَّةِ وَالأشعَرِيَّةِ؛ فَكَلامُ اللهِ عِندَهُم مَعنًى فِي نَفسِهِ، ثُمَّ خَلَقَ أَصوَاتًا وَحُرُوفًا تَدُلُّ عَلَى هَذَا المعنَى؛ إمَّا عِبَارة أَو حِكَايَة.

واعلم أنَّ ابنَ القيِّمِ رحمه الله ذَكَرَ أَنَّنَا إِذَا أَنكَرنَا أَنَّ اللهَ يتكلَّمُ فَقَد أَبطَلنَا الشَّرعَ والقَدَر.

أَمَّا الشرعُ؛ فَلِأَنَّ الرِّسالاتِ إِنَّمَا جَاءَت بِالوَحي، وَالوَحي كَلامٌ مُبَلَّغٌ إِلَى المرْسَلِ إِلَيهِ، فَإِذَا نَفَينَا الكلامَ انتفَى الوحيُ، وإذا انتَفَى الوَحيُ انتفَى الشرعُ.

أَمَّا القَدرُ؛ فَلِأَنَّ الخَلقَ يَقَعُ بِأَمرِهِ بِقَولِهِ: «**كن**»؛ فيكون، كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ [يس:٨٢]»[١].

سادسًا: أن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت مسموعين.[٢]

---

(١) «شرح الواسطِيَّة» «ص٤٦٧- ٤٦٨».

(٢) ممن ألف في مسألة الحرف والصوت: ١-: رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد لعبد الله بن =

أولًا: إثبات الحرف.

ومن اعتقادِ السَّلَف في كلامِ الله تعالى أنَّ كلامَه جَلَّ وعَزَّ مؤلَّفٌ من الحُروفِ، إنْ شاءَ جَعَلَها عَربيَّةً، وإن شاءَ جعلَها عِبْرانِيَّةً، وإن شاء جَعَلها غيرَ ذلك، فهو المتكلّمُ بحرُوفِ القرآنِ، والتَّوراةِ، والإنجيلِ، وغيرِها من كلامِهِ.

قالَ تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: الآية: ٤].

وقال تعالى: ﴿الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: الآيات: ١ – ٤].

فأخْبَرَ تعالى أنه أنْزَلَ الكُتُبَ: القرآنَ، والتَّوراةَ والإنجيلَ، وإنَّما ذلك بلُغاتِ الرُّسل الذين أنْزَلَ عَلَيهم، وبلُغات أقوامِهم، لأجْلِ أن تقومَ الحُجَّةُ عليهم به، إذ لوكانَ بغيرِ لُغتهم ما فَقِهُوهُ.

قال تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: الآيات: ١ – ٢]

وقالَ تعالى: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: الآيات: ١ – ٤]

يوسف بن محمد الجويني–رحمه الله–«ت: ٤٣٨ هـ». ٢–رسالة عبيد الله السجزي «ت: ٤٤٤ هـ»، إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، وهي رسالة مطبوعة. ٣–كتب أبو يعلى–رحمه الله–«ت: ٤٥٨ هـ»، جزءا سماه ايضاح البيان في مسألة القرآن، وهو مفقود، وهذا الكتاب نقل منه شيخ الإسلام في عدة مواطن من كتبه انظر: شرح العقيدة الأصفهانية ص ٣٢، مجموع الفتاوى ٦/ ١٥٨، درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٧٤. ٤–كما ألف ابن عقيل «ت: ٥١٣ هـ»، كتابا في مسألة الحرف والصوت وقد طبع بعنوان جزء في الأصول أصول الدين مسألة القرآن أو الرد على الأشاعرة العزال وإثبات الحرف والصوت في كلام الكبير المتعال أما ابن قدامه–رحمه الله–«ت: ٦٢٠ هـ»، فله ثلاثة كتب لهذا الغرض وهي مطبوعة: ٥–الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم. ٦–والبرهان في بيان القرآن. ٧–وكتاب حكاية المناظرة في القرآن. ٨–كما جمع محمد بن عبد الواحد المقدسي–رحمه الله–«ت: ٦٤٣ هـ» جزء في الأحاديث الواردة في هذه المسألة سماه جزء أحاديث الحرف والصوت وهو مفقود. ٩–كتاب "غاية المرام في مسألة الكلام" للشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن الأرموي الشافعي. وقد طبعت رسالة بعنوان "جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات" ونسبت للنووي، ولكن جاء في «ص: ٦٩» عبارة: "وهذا الذي ذكرناه جميعه من كلام الشيخ أبي العباس الأرموي–رحمه الله–". ١٠–كتاب طرف الطرف في مسألة الصوت والحرف تأليف الشيخ أبي العباس أحمد ابن يحي الحنبلي–رحمه الله–«ت: ٩٤٨ هـ» وهو مطبوع.

وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: الآية: ١٠٣].

وقالَ جَلَّ وَعَزَّ ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: الآيات: ١٩٢ - ١٩٩]

وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧ - ٢٨].

وقالَ سُبحانه: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: الآيات: ١ - ٤].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ...﴾ [فصلت: الآية: ٤٤].

فأخبرَ تعالى أنَّ القرآنَ الذي نزلَ به جِبريلُ عليه السَّلامُ منهُ تبارك وتعالى وحيُهُ وتنزيلُهُ، وهو هذا القرآنُ العربيُّ الذي أُنْزِلَ على محمَّد -صلى الله عليه وسلم- بلغةِ قومِهِ، ليفقَهوهُ ويَعْقِلُوهُ ويعْلَمُوهُ.

وقولُه: ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ أي: بلغةِ العربِ.

فالله تعالى تكلَّمَ به كذلك، بحروفِهِ العربيَّةِ، كالألفِ والباءِ والتَّاءِ، ليسَ شَيْءٌ من ذلك قولَ أحَدٍ سِواهُ، وإنّما بلَّغَهُ جبريلُ عليه السَّلامُ عنه، وبلَّغَهُ محمَّدٌ -صلى الله عليه وسلم- عن جبريل، وهو الذي أعجزَ الكفَّارَ أنْ يأتوا بمثلِه، بَلْ تحدَّى الله تعالى الإنسَ والجنَّ أنْ يأتوا بمثلِهِ، كما قالَ تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: الآية: ٨٨].

فكونُهُ مؤلّفًا من الحُروفِ ظاهرٌ لا يَحتاجُ إلى استدلالٍ، إذْ أنَّ كُلَّ أحدٍ يعلَم أنَّ ﴿قُلْ هُوَ

اللَّهُ أَحَدٌ﴾ آيةٌ، وهي أربَعُ كَلِمَاتٍ، كلُّ كلمةٍ مؤلَّفةٌ من حَرْفيْنِ أو أكثر، وهي كَلِماتٌ عَرَبيَّةٌ، وحروفٌ عربيَّةٌ.

ولكنَّ بعضَ أهْلِ البدَعِ نازعَ في إطلاقِ لفظِ «**الحَرْف**» وأنَّه يَحتاجُ إطلاقُهُ إلى دليلٍ.

وهذا المنازع لا يَخْلو من أحَدِ حالَيْن:

إمّا أنْ يكونَ مُكابِرًا -كما هي سِمَة أهلِ البِدَعِ-.

وإمَّا أنْ يكونَ غَبيّاً جاهلًا.

وذلك أنَّ كُلَّ أحَدٍ يُبصرُ «**آلَمَ. آلمر. كهيعص. حم. طه. يس**» لا يخطرُ ببالهِ غيرُ أنَّها حُروفٌ، وليسَ لها تسميةٌ إلاَّ هذهِ.

ونحن معَ ذلك نزيدُهُ حُجَجاً على صِحَّةِ إطلاقِ لهذه التَّسْميةِ من السُّنَّة وآثارِ السَّلَفِ، لنكْسِرَ أنفَ كِبْرِهِ، أو نَمْحُو جَهْلَ فِكْرِهِ، فمِنْ ذلك:

١ - حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- «**ت: ٦٨ هـ**»، قال: بينَما جِبريلُ قاعِدٌ عندَ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- سَمِعَ نقيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فرفَعَ رأسَه فقال:

«هذا بابٌ منَ السَّماءِ فُتِحَ اليومَ لم يُفْتَح قطّ إلاَّ اليوم، فَنَزَلَ منه مَلَكٌ، فقال: هذا مَلَكٌ نَزَلَ إلى الأرضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إلاَّ اليَوْم، فسَلَّمَ وقالَ: أبْشِرْ بنورَين أوتيتَهما لم يؤتَهُما نبيٌّ قبلَكَ: فاتحَةِ الكتابِ، وخَواتيمِ سُورَةِ البقرَةِ، لَنْ تَقْرأَ بحَرْفٍ منهما إلاَّ أعْطِيتَه». (١)

٢ - حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- «**ت: ٣٢ هـ**»، قال:

«تعلَّموا القرآنَ، فإنَّه يُكْتَبُ بكلِّ حرفٍ منه عشرُ حسناتٍ، ويُكَفَّرُ به عَشْرُ سيّئاتٍ، أمَا إني لا أقول: ﴿الم﴾ ولكن أقولُ: ألفٌ عَشْرٌ، ولامٌ عَشْرٌ، وميمٌ عَشْرٌ». (٢)

٣ - وقول ابن عبَّاس -رضي الله عنهما- «**ت: ٦٨ هـ**»:

"ما يمنَعُ أحدَكُم إذا رَجَعَ من سُوقِهِ، أو منْ حاجَتِهِ، إلى أهْلِهِ، أنْ يَقْرأ القرآنَ فيكونَ لَه

(١) أخرجه مسلم رقم «٨٠٦».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة «١٠/ ٤٦١».

بكلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَناتٍ".[(١)]

٤ – وقالَ شُعَيْبُ بن الحَبْحاب–رحمه الله–«**ت: ١٣٠ أو ١٣١ هـ**» «**ثِقَةٌ منْ صِغار التَّابعينَ**»:

كانَ أبو العاليةِ–رحمه الله–«**ت: ٩٠ هـ**»، إذا قَرَأ عنده رَجُلٌ لم يَقُلْ: ليس كما يَقرأ، وإنَّما يَقولُ: أمَّا أنا فأقرأ كَذا وكَذا، قال: فذكَرْتُ ذلك لإبراهيمَ النَّخَعيّ، فقالَ: أرى صاحِبَك قَدْ سَمِعَ: "أنَّ مَنْ كَفَرَ بحَرْفٍ منهُ، فقد كَفَرَ به كُلِّه".[(٢)]

ثانيًا: أن الله تكلم بصوت.

تقدم الكلام على مسألة الصوت في الفقرة «**٢٤**»

مسألة الفرق بين الحروف التي يتكلم بها الله، والحروف التي يتكلم بها المخلوق.

الأول: الفَرْقُ بين الحُروفِ التي يتكلَّمُ الله بها، والحُروفِ التي يتكلَّمُ بها المخلوق.

تنازع الناسُ في حُروف المعجم: هَلْ هي مخلوقةٌ؟ أو غيرُ مخلوقة؟

وليس في تحقيق ذلك كبيرُ فائدةٍ، وليس فيه نصٌّ عن معصومٍ يُصار إليه، وإنَّما يَجِبُ الكَفُّ عن إطلاقِ القَوْلِ بالخَلْقِ لئلاَّ يتوهّم متوهّمٌ أنَّ الحروفَ التي تكلَّم الله بها مخلوقةٌ.

وذكَرَ ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**» في غير مَوْضِع أنَّ الإمامَ أحمدَ–رحمه الله–«**ت: ٢٤١ هـ**»، أنكَرَ الإطلاقَ، لأنَّهُ مَسْلَكٌ إلى البِدْعَةِ، وإلى القَوْلِ بأنَّ القرآنَ مخلوقٌ.[(٣)]

وكما يُمْنَع مِن إطلاق القَوْلِ بأنَّ الحروفَ مخلوقةٌ، يُمْنَع أيضاً إطلاقُ القَوْل بأنَّ الحُروفَ غيرُ مخلوقةٍ، لئلا يتوهَّمَ متوهِّمٌ أنَّ الحُروفَ التي هي مَباني كَلام الناس غيرُ مخلوقةٍ، والذي يجرُّ إلى القول بأنَّ ما يتكلَّمُ به العبادُ مِن كلام أنفُسهم هو نفسُه كلامُ الله، فيتحقَّقُ حينئذ للمَلاحِدَة كابن عربي الطائي وأمثاله صِحَّةُ قولِهِم:

---

(١) رواه ابن المبارك في "الزهد" رقم «٨٠٧» وسنده جيد.

(٢) رواه ابن أبي شيبة «١٠/ ٥١٣–٥١٤»، وابن جرير في "التفسير" رقم «٥٦» وسنده صحيح.

(٣) انظر: "مجموع الفتاوى" «١٢/ ٤١، ٨٤–٨٥، ٤٤٢».

وكلُّ كَلامٍ في الوجودِ كلامُهُ ... سَواء علينا نَثْرُه ونِظامُهُ

وهذا القولُ من أفحَش الباطِل، وأكفَر الكُفْرِ، إذ مَعْناه أنَّ كلَّ ما تلفِظُ به الخَلائق من الصِّدْق والكَذِبِ، والزُّورِ، والبُهْتان، وألفاظِ الخَنا والفُجور والكُفْر، كلامُ الله.

وحينئذ لا يتميَّزُ حَقٌّ من باطلٍ، ولا صِدْقٌ من كَذبٍ ولا كفرٌ من إيمانٍ.

وإنَّما الحَقُّ والصَّوابُ أن يُقالَ:

إنَّ الحَرْفَ المجرَّد الَّذي هو جزءٌ من اللفظ، مثل: «**ز**» من كلمة: «**زيد**» لا يُقالُ فيه مخلوقٌ ولا غيرُ مخلوق، لأنَّ الحرْفَ المجرَّدَ ليس كَلاماً، وإنَّما يقَع الكلام فيما ألّفَ من الحروفِ فأفادَ مَعنًى، ككلمةِ «**زيد**» اسمُ عَلَمٍ مَعْروفٌ. [١]

---

[١] فإن اعترض معترض بقوله تعالى: «الم»، «الر»، «ص»، «ن»، وما يشبهها مما جاء في أوائل بعض السور، وقال: إنَّها حروف، ونطلق أنَّها غيرُ مخلوقة لأنَّها كلام الله، فالجواب: أنَّ هذه ليست حروفاً مجردة، كحروف كلمة «زيد» وغيرها من الكلام المؤلف، وإنَّما هي أسماء للحروف، ألا ترى أنَّك تقرؤها: «ألف، لام، ميم ...»؟ فلو كان حرفاً مجرداً لقلت: «أ. لْ. مْ» فهي على ما تُلْفَظ وتُسْمَع لا على ما تُكْتب وترسم، وقد نقل شيخ الإسلام أنَّ الخليل بن أحمد -إمام العربية- سأل == أصحابَه: كيف تنطقون بالزاء مِن «زيد»؟ قالوا: نقول: «زا» قال: جئتم بالاسم، وإنَّما يقال: «زه» - "مجموع الفتاوى" «١٢/ ٤٤٨».

والكلامُ المؤلَّفُ من الحُروف الذي يُفيد معنًى يُفَصَّل فيه: فإنْ كانَ كلاماً لله تعالى كانَ غيرَ مخلوقٍ، وإنْ كان كلاماً للعبد يُنْشِئُهُ من تِلقاء نفسهِ، ولا يُريدُ به قِراءةَ كلام الله فهو مَخلوقٌ، فقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا ....﴾ [الأحزاب: الآية: ٣٧] غيرُ مخلوق، وقولك: «**جاءَنِي زيدٌ فأكرمتُهُ**» مخلوقٌ، لأنَّ الأوَّل كلامُ الله تعالى نظمه وحروفه، والثانيَ كلامُكَ نظمه وحروفه.

ولو قالَ قائلٌ: «**محمَّدٌ رسولُ الله**» أو: «**ألف، لام، ميم**» لم يصحّ فيه إطلاق أنَّه مخلوقٌ، أو غيرُ مخلوق، حتى يُسْتَفْصَل منه، فإنْ أرادَ بِهِ قِراءةَ كلامِ اللهِ كانَ غيرَ مخلوقٍ، وإنْ كان أنشأهُ مبتدِئاً مِن نفسهِ، أو يُبَلِّغُهُ عن غيرِهِ، وهو من إنشاءِ ذلكَ الغيرِ سِوى الله تعالى، كانَ مخلوقاً.

وقد سألَ الحافظُ الثِّقَةُ أحمدُ بن الحَسن الترمذيُّ–رحمه الله–«**ت: غير معروف**» الإِمامَ أحمَدَ فقال:

قلتُ لأحمدَ بن حنبل: إنَّ الناسَ قد وقَعوا في أمرِ القرآنِ، فكيف أقولُ؟

قال: "أليسَ أنت مخلوق؟ ".

قلتُ: نعَمْ.

قال: "فكلامُكَ منك مخلوقٌ؟ ".

قلت: نعم.

قال: "أوَلَيسَ القرآنُ من كلامِ الله؟ ".

قلت: نعم.

قال: "وكلامُ الله؟ ".

قلت: نعم.

قال: "فيكون من الله شيءٌ مَخلوق؟ ".[(١)]

فتأمَّل هذا القولَ الموجَز فإنَّه من أسَدِّ الكلام وأحسَنِهِ، فرَّق الإِمامُ أحمدُ فيه بَيْنَ كلامِ الله

(١) رواه اللالكائي في "السُّنَّة" رقم «٤٥١» بسند صحيح.

وكلامِ المخلوق، بأنَّ كلامَ الله هو الذي قالَه مبتدئاً، وكلامَ المخلوق هو الذي قالَه مبتدئاً، فلمَّا كان كلامُ الله ابتدأ منه كانَ غيرَ مخلوقٍ، لأنَّه ليسَ من الله شيءٌ مخلوق، ولما كانَ كلامُ المخلوقِ ابتدأ منه -بمعنى أنه هو الذي أنشَأه- كانَ مخلوقاً، لأنَّ العبدَ بأفعاله جميعاً مخلوقٌ.

سابعًا: أن الله سبحانه وتعالى أسمعه جبريل، وجبريل أبلغه محمد-صلى الله عليه وسلم-.

وقالَ ابن تيمية رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وَمَذْهَبُ سَــلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا وَخَلَفِهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ الْقُرْآنَ مِنْ جِبْرِيلَ، وَجِبْرِيلُ سَمِعَهُ مِن اللَّهِ عز وجل". [١]

يؤمنُ أهل الســـنة بأن القرآن كلامُ الله عز وجل، منه بدأ وإليه يعود، وأن هذا كلام الله بحرفٍ وصوتٍ مسموعين وأن الله سبحانه وتعالى أسمعه جبريل، وجبريل أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الكلام هو كلام الله عز وجل.

ومذهب أئمَّة الحديث والسنَّة: أن الله تعالى لم يَزل متكلِّمًا، إذا شـاء، ومتى شـاء، وكيف شاء، وهو يتكلَّمُ بصوت يُسمَع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا.

ثم قال: "الآثار مُتواترة عنهم-أي: عن الصـــحابة والتابعين-بأنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله، ولما ظهر مَن قال: إنه مخلوق، قالوا ردًّا لكلامه: إنه غير مخلوق، ولم يريدوا بذلك أنه مُفترى، كما ظنه بعض الناس؛ فإن أحدًا من المســـلمين لم يَقل: إنه مفترى، بل هذا كفر ظاهر يَعلمه كل مسلم، وإنَّما قالوا: إنه مخلوق خلقه الله في غيره، فرَدَّ السلف هذا القول، كما تواترت الآثار عنهم بذلك، وصـــنفوا في ذلك مصـــنفات متعددة، وقالوا: «**منه بدأ وإليه يعود**».

ونصـوصُ القرآن واضـحة بأنه كلامه سبحانه وتعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: الآية:٦] فهذا الكلام كلامه سبحانه وتعالى، منه بدأ، تكلم به حقيقةً، ونثبتُ صــفة الكلام لله عز وجل كما أثبتها لنفســه وكما أثبتها له رســوله صـلى الله عليه وسـلم، وأن الله سـبحانه وتعالى لكلامه صـوت كما جاءَ في النصـوص، وأنه

(١) مجموع الفتاوى «٥/ ٢٣٣».

بحرف وصوت مسموعين، وأنه سبحانه وتعالى يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء سبحانه وتعالى، وأن القرآن كلامُ الله تعالى غيرُ مخلوق.

فالقرآن كلام الله، ليس ككلام البشر، وقد توعَّد الله من وصَف القرآن بأنه ككلام البشر، توعَّده بالنار فقال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: الآيات: ٢٥، ٢٦]، فإن كان كلام البشر مخلوقًا لهم، فكلام الله ليس مخلوقًا له، إنما هو صفةٌ من صفاته سبحانه.

الأقوال في سماع كلام الله

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "واختلفت الفرق هل يسمع كلام الله على الحقيقة؟

فقالت فرقة: لا يسمع كلامه على الحقيقة إنما يسمع حكايته والعبارة عنه، وهذا قول الكلابية ومن تبعهم،

وقالت بقية الطوائف، بل يسمع كلامه حقيقة، ثم اختلفوا

فقالت فرقة: يسمعه كل أحد من الله، وهذا قول الاتحادية،

وقالت فرقة: بل لا يسمع إلا من غيره، وعندهم يسمع كلام الله منه، فهذا قول الجهمية والمعتزلة.

وقال أهل السنة والحديث يسمع كلامه سبحانه منه تارة بلا واسطة كما سمعه موسى وجبرائيل وغيره، وكما يكلم عباده يوم القيامة، ويكلم أهل الجنة، ويكلم الأنبياء في الموقف، ويسمع من المبلغ عنه كما سمع الأنبياء الوحي من جبرائيل تبليغا عنه، وكما سمع الصحابة القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله، فسمعوا كلام الله بواسطة المبلغ، وكذلك نسمع نحن بواسطة التالي.

فإذا قيل: المسموع مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل إن أردت المسموع عن الله فهو كلامه غير مخلوق،

وإن أردت المسموع من المبلغ ففيه تفصيل، فإن سألت عن الصوت الذي روي به كلام

الله فهو مخلوق،

وإن سألت عن الكلام المؤدى بالصوت فهو غير مخلوق".[(١)]

مسألة: هل اللفظ بالقرآن مخلوق أو لا؟

وهل يجوز أن يقول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق؟

واللفظ يأتي بمعنى: التلفظ، ويأتي بمعنى الملفوظ؛ هل هو الملفوظ الخارج، أو حركة اللسان التلفظ؟

فمعلوم أنه إن أريد الأول وهو التلفظ: فالتلفظ من أفعال العبد، وأفعال العباد مخلوقة.

وإن عُني باللفظ الملفوظ فالملفوظ هو القرآن.

لهذا صـــارت الكلمة محتملة، واســـتعمال المحتملات في العقيدة بدعة؛ فإنه لا يجوز أن تستعمل مثل هذه العبارة التي قد تحتمل شيئًا آخر؛ فيفهم الناس منها فهمًا غير سليم.

ولهذا كان الإمام أحمد-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**» يقول: "مَن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع، ومن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع أيضًـا"؛ لأنها تحتمل هذه وهذه، وقد سـكت السـلف عن الإطلاق؛ لأنَّ الألفاظ المحتملة فيما يتصـل بذات الله جل وعلا أو صفاته أو أفعاله أو أمور العقيدة والغيبيات لا يجوز استعمالها، وينهى عنها.

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "أئمة أهل السـنة وأهل الحديث من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل وغيرهم ينكرون على من يجعل لفظ العبد بالقرآن أو صوته به أو غير ذلك من صـفات العباد المتعلقة بالقرآن- غير مخلوقة، ويأمرون بعقوبته بالهجر وغيره، وقد جمع بعض كلامهم في ذلك أبو بكر الخلال في «**كتاب السـنة**»، ومن المشـهور في «**كتاب صـريح السـنة**» لمحمد بن جرير الطبري وهو متواتر عنه، لما ذكر الكلام في أبواب السنة قال: وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن، فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا عن تابعي قفا إلا عمن في قوله الشـفاء والغناء، وفي اتباعه الرشـد والهدى، ومن يقوم لدينا مقام

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة «ص: ٥٢٨».

الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: اللفظية جهمية، يقول الله: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ﴾ [التوبة: الآية: ٦]، ممن يسمع؟! قال ابن جرير -رحمه الله- «**ت: ٣١٠ هـ**»: وسمعت جماعة من أصحابنا -لا أحفظ أسماءهم- يحكون عنه أنه كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق، فهو مبتدع. قال ابن جرير: ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله؛ إذ لم يكن لنا إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمقنع، وهو الإمام المتبع" [(١)]

ولهذا قال ابن القيم -رحمه الله- «**ت: ٧٥١ هـ**»:

وَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ وَالتَّبْيِينِ فَالْ *** إِطْلاَقُ وَالإِجْمَالُ دُونَ بَيَانِ

قَدْ أَفْسَدَا هَذَا الوُجُودَ وَخَبَّطَا الـ *** أَذْهَانَ وَالآرَاءَ كُلَّ زَمَانِ". [(٢)]

وقد رأي الإمام أحمد وبعض الأئمة أنه لا يُقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق؛ لأن الكلام هنا محتمل، فعندما يقول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق، فهل يقصد به القرآن الذي هو كلام الله تعالى، أو يقصد فعل المخلوق؟

فإن قال: اللفظ بالقرآن غير مخلوق، فقد لا يقصد هنا كلام الله تعالى، وإنما يقصد كلامه هو، وهذا خطأ؛ لأن نطق الإنسان مخلوق، فالمسألة تكون محتملة، فمن هذا الباب باب منع الإمام أحمد والأئمة من أهل السنة أن يُقال: لفظي القرآن مخلوق أو غير مخلوق؛ لأن هذا اللفظ محتمل.

قال أبو القاسم التيمي الأصبهاني -رحمه الله- «**ت: ٥٣٥ هـ**»: "وأول من قال باللفظ، وقال: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة: حسين الكرابيسي «**ت: ٢٥٦ هـ**». فبدعه أحمد بن حنبل، ووافقه على تبديعه علماء الأمصار...." ثم سمّى طائفة كثيرة من علماء الأمصار، ثم قال:

---

(١) مجموع الفتاوى «١٢/ ٤٢٢-٤٢٣».

(٢) انظر: «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» لابن القيم.

"فمذهبهم ومذهب أهل الســـنة جميعاً أن القرآن كلام الله آية آية، وكلمة كلمة، وحرفاً حرفاً في جميع أحواله، حيث قرئ وكتب وسمع".[(١)]

بينما ينص الإمام البخاري وبعض أهل الســـنة على أن اللفظ بالقرآن الذي هو نطق الإنسان مخلوق، فإذًا فَصَّلوا وبيَّنوا أنه إذا قصد النطق فهذا مخلوق، وإذا قصد الأصل الذي هو كلام الله سبحانه وتعالى الملفوظ، فهذا غير مخلوق.

وحدثت في هذه المســألة فتنة للبخاري، أثارها عليه شـيخه محمد بن يحيى الذهلي–رحمه الله–«ت: **٢٥٨ هـ**»، ودافع عنـه ابن القيم–رحمـه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**» في كتـابـه «**الصـواعق**»، وقال: «**إن البخاري في هذه المسـألة أقعد وبيَّن ووضَّـح وفصَّـل في هذه المسـألة، وتشـنيع الذهلي عليه هذا من باب الغيرة والحسـد الذي بين الشـيخ وتلميذه؛ لأن البخاريَّ تفوق عليه.**

فالمسألة محل خلاف، مثل مسألة الاسم والمسمَّى؛ لأن المخرج فيهما واحد؛ لأن كِلا المسـألتين تعودان إلى صـفة الكلام، والكلام: صـفة من صـفات الله سـبحانه وتعالى غير مخلوق، وبناء على ذلك ترتَّب خلاف في مسألة اللفظ وفي مسألة الاسـم والمسمى؛ لأن أسماء الله تعالى من كلامه، والقرآن من كلامه عز وجل، فحصـل خلاف في هذه المسـألة بناءً على ذلك.

أصل النزاع في المسألة:

مســـألة خلق القرآن حدثت في زمن محنة الجهمية والفتنة المشـــهورة فهي وليدة هذه الفتنة ومنها نشأ النزاع فيها هل الإيمان مخلوق أم لا؟

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ» لما سئل: هل الإيمان مخلوق أم غير مخلوق؟

"فالجواب أن هذه المسألة نشأ النزاع فيها لما ظهرت محنة الجهمية في القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ وهي محنة الإمام أحمد وغيره من علماء المســـلمين، وقد جرت بها أمور يطول

---

(١) الحجة في بيان المحجة «١/ ٣٧٠».

وصـــــفها هنا، لكن لما ظهر القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأطفأ الله نار الجهمية المعطلة.

صارت طائفة يقولون: إن كلام الله الذي أنزله مخلوق، ويعبرون عن ذلك باللفظ، فصاروا يقولون ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، أو تلاوتنا أو قراءتنا مخلوقة، وليس مقصـــودهم مجرد كلامهم وحركاتهم، بل يدخلون فيه نفس كلام الله الذي نقرؤه بأصواتنا وحركاتنا.

وعارضهم طائفة أخرى فقالوا: ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة.

فرد الإمام أحمد على الطائفتين وقال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع. وتكلم الناس حينئذ بالإيمان فقالت طائفة: الإيمان مخلوق وأدرجوا في ذلك ما تكلم الله به من الإيمان مثل «**قول لا إله إلا الله**»، فصار مقتضى قولهم إن هذه الكلمة مخلوقة، ولم يتكلم الله بها، فبدع الإمام أحمد هؤلاء، وقال: قال النبي –صـــلى الله عليه وسلم–: »الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها: قول لا إله إلا الله». [(١)] أفيكون قول لا إله إلا الله مخلوقا؟

ومراده أن من قال: إن ألفاظنا وتلاوتنا وقراءتنا للقرآن مخلوقة، كان مقتضى كلامه أن الله لم يتكلم بالقرآن الذي أنزله. وأن القرآن المنزل ليس هو كلام الله". [(٢)]

وقال رحمه الله: "وإذا قال: الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل له: ما تريد «**بالإيمان**»؟ أتريد شـــيئا من صـــفات الله وكلامه، كقول «**لا إله إلا الله**» و«**إيمانه**» الذي دل عليه اسمه المؤمن، فهو غير مخلوق. أو تريد شيئا من أفعال العباد وصفاتهم فالعباد كلهم مخلوقون، وجميع أفعالهم وصـــفاتهم مخلوقة، ولا يكون للعبد المحدث المخلوق صـــفة قديمة غير مخلوقة، ولا يقول هذا من يتصور ما يقول، فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل، وقد قيل أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشـــتراك الأسماء، وأمثالها مما كثر فيه تنازع الناس بالنفي

(١) رواه البخاري «٩»، ومسلم «٣٥».

(٢) مجموع الفتاوى «٧/ ٦٥٥».

والإثبات إذا فصل فيها الخطاب، ظهر الخطأ من الصواب.

والواجب على الخلق أن ما أثبته الكتاب والسنة أثبتوه، وما نفاه الكتاب والسنة نفوه، وما لم ينطق به الكتاب والسنة لا بنفي ولا إثبات استفصلوا فيه قول القائل: فمن أثبت ما أثبته الله ورسوله، فقد أصاب، ومن نفى ما نفاه الله ورسوله فقد أصاب، ومن أثبت ما نفاه الله أو نفى ما أثبته الله فقد لبس دين الحق بالباطل، فيجب أن يفصل ما في كلامه من حق أو باطل، فيتبع الحق ويترك الباطل، وكل من خالف الكتاب والسنة فإنه مخالف أيضا لصريح المعقول، فإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، كما أن المنقول عن الأنبياء عليهم السلام لا يخالف بعضه بعضا، ولكن كثيرا من الناس يظن تناقض ذلك، وهؤلاء من الذين اختلفوا في الكتاب﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة الآية: ١٧٦]، ونسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا".[١]

قال الإمام أحمد-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»: "من قال: الإيمان مخلوق كفر، ومن قال: غير مخلوق ابتدع. فقيل: بالوقف مطلقا، وقيل: أقواله قديمة وأفعاله مخلوقة.

قال ابن حمدان-رحمه الله-«**ت: ٦٩٥ هـ**» في نهاية المبتدئين: وهو أصح، ونقله عن ابن أبي موسى وغيره. ونقل الإمام الحافظ ابن رجب-رحمه الله-«**ت: ٧٩٥ هـ**» في طبقات الأصحاب في ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي-رحمه الله-«**ت: ٦٠٠ هـ**»، ما لفظه قال: روي عن إمامنا أحمد-رضي الله عنه-«**ت: ٢٤١ هـ**»، أنه قال: من قال: الإيمان مخلوق فهو كافر، ومن قال: قديم فهو مبتدع.

قال الحافظ عبد الغني-رحمه الله-«**ت: ٦٠٠ هـ**»: "وإنما كفر من قال بخلقه؛ لأن الصلاة من الإيمان، وهي تشتمل على قراءة وتسبيح وذكر الله-عز وجل-ومن قال بخلق ذلك كفر، وتشتمل على قيام وقعود وحركة وسكون ومن قال بقدم ذلك ابتدع. انتهى بحروفه،

---

(١) مجموع الفتاوى «٧/ ٦٦٤».

والله –تعالى– الموفق". [١]

قال الإمام أحمد –رحمه الله– «**ت: ٢٤١ هـ**»: "لسنا نشك أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة، لسنا نشك أن علم الله عز وجل غير مخلوق، فالقرآن من علم الله وفيه أسماء الله فلا نشك أنه غير مخلوق، وهو كلام الله عز وجل ولم يزل به متكلما". [٢]

وقال الإمام أحمد –رحمه الله– «**ت: ٢٤١ هـ**»: "من زعم أن أسماء الله مخلوقة فهو كافر". [٣]

قال ابن القيم –رحمه الله– «**ت: ٧٥١ هـ**»: "وأما مسألة تكلم العباد بالقرآن فقد اشتبهت على كثير من الناس،

فقالت طائفة: إن الله يخلق كلامه عند تلاوة كل تال، فيجري كلامه المخلوق على لسان التالي، وفعل التالي هو حركة اللسان فقط وهي القراءة: فالقراءة صنع العبد عندهم، والمقروء صنع الله وخلقه، فالمسموع عندهم مخلوق بين صنعين: صنع الرب وصنع العبد، وهذا قول أبي هذيل والإسكافي وأصحابه.

وقالت فرقة أخرى: إن العبد هو المحدث لأفعاله وتلاوته، والله تعالى خلقه في مكان واحد لا ينتقل عنه ولا يفارقه إلى غيره، فهذا المسموع هو صنع التالي ألفاظه وتلاوته، وهذا قول أكثر البغداديين من المعتزلة، وقول جعفر بن حرب.

وقالت فرقة: إن القرآن لم يخلقه الله تعالى في الحقيقة ولا هو فعله، فإنه عرض وهم يحيلون أن تكون الأعراض فعلا لله، قالوا فهو فعل المحل الذي قام به، وهذا قول معمر وأصحابه من المعتزلة.

وقالت فرقة: إن الله سبحانه خلق كلامه في اللوح المحفوظ ثم مكن جبرائيل أن يأخذه منه

(١) لوامع الأنوار البهية «١/ ٤٤٦».

«٣» نقله عنه الأشعري في كتاب الإبانة عن أصول الديانة «ص: ٨٨»

«٤» انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي «٢/ ٢١٤».

نقلا ويعلمه رسوله صلى الله عليه وسلم، فجبرائيل إذا نطق به كان نطقه بمنزلة من يقرأ كتاب غيره، لكن الحروف والأصـــوات في الحقيقة لجبرائيل لم تقم بذات الرب حروف القرآن ولا ألفاظه، ولا سمعه جبرائيل من الله تعالى، وإنما نزل به من المحل الذي خلق فيه، وهذا قول كثير من الكلابية، فعندهم أن المسموع قول الرسول الملكي حقيقة سمعه منه الرسول البشري فأداه كما سمعه، فالرسول الملكي ناقل لما في اللوح المحفوظ غير سامع له من الله، والرسول البشري ناقل له عن جبرائيل قوله وألفاظه.

ومن هؤلاء من يقول: بل الله تعالى ألهم جبرائيل معانيه، فعبر عنها جبرائيل بعبارته، فهذه الألفاظ كلام جبرائيل في الحقيقة لا كلام الله.

ومنهم من يقول: جبرائيل علم رســول الله نص معانيه وألقاها في روعه، ومحمد رســول الله صـلى الله عليه وسـلم أنشـأ ألفاظها وعبر بها من عنده دلالة على ذلك المعنى الذي ألقاه إليه الملك، فالقرآن العربي على قولهم قول محمد–صـــلى الله عليه وســـلم–أو قول جبرائيل–عليه السلام–، وهذا قول من لا نسميهم لشهرتهم، وإن حرفوا العبارة وزينوا له الألفاظ، فهو قولهم الذي يناظرون عليه ويكفرون من خالفهم فيه يقولون فيه: قال أهل الحق كذا، وقالت ســـائر فرق أهل الزيغ بخلافه.

وقالت فرقة أخرى: بل لســـان التالي مظهر للكلام القديم، فيســـمع منه عند التلاوة كما سمع موســى كلام الله من الشـــجرة، فلســـان التالي كالشـــجرة محل ومظهر للكلام، فإذا قال التالي ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: الآية: ٢] كان المسـموع كله حروفه وأصـواته غير كلام الله القائم به من غير حلول في القارئ ولا اتحاد به، كما أن الله ســـبحانه لم يحل في الشجرة ولا اتحد بها، وسمع موسى كلامه منها.

واختلفت هذه الفرقة في الصوت الذي يسمع من القارئ على قولين:

أحدهما: إنه عين صوت الله بالقرآن ظهر عند تلاوة التالي، فكانت التلاوة مظهرة له.

وقالت فرقة أخرى منهم: ما لا بد منه من الصـــوت في الأداء ولا يتأدى الكلام بدونه، فهو الصوت القديم، وما زاد عليه من قوة الاعتماد والرفع فمحدث.

قالوا: وقد اقترن القديم بالمحدث على وجه معسر التمييز بينهما جدا، فلما ورد عليهم أن الحس شاهد بأن هذا الصوت موجود بعد أن كان معدوما ومعدوما بعد وجوده وهذا مستحيل على القديم، أجابوا بأن الذي وجد بعد عدمه ثم عدم بعد وجوده هو ظهور الصوت القديم لا نفسه، فالمحدث وقع على الإدراك لا على المدرك، كما إذا سمع كلامه سبحانه منه بعد أن لم يسمع، ثم عدم السمع فالحدوث واقع على السمع لا على المسموع، وهذا قول جماعة ممن ينسب إلى الإمام أحمد–رحمه الله–«**ت: ٢٤١ هـ**».

وأصحابه المتقدمون بريئون من هذا المذهب المخالف للحس والعقل والفطرة، ونصوص أحمد إنما تدل على خلافه، فقد نص في رواية جماعة من أصحابه على أن الصوت صوت العبد، فقال في قول النبي–صلى الله عليه وسلم– «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**». [(١)]، قال يجهر به ويحسنه بصوته ما استطاع، وقد نص على ذلك الأئمة كالبخاري وغيره.

قال البخاري–رحمه الله–«**ت: ٢٥٦ هـ**» في صحيحه: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**الماهر بالقرآن مع الكرام البررة**». [(٢)]، «**وزينوا القرآن بأصواتكم**». [(٣)] ثم احتج بحديث أبي هريرة–رضي الله عنه–«**ت: ٥٧ هـ**»، عن النبي–صلى الله عليه وسلم– «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به**». [(٤)]، فأضاف الصوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ ثم ساق حديث البراء–رضي الله عنه–«**ت: ٧٢ هـ**»، «**أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في العشاء بالتين والزيتون، ما سمعت صوتا أحسن منه**». [(٥)]،

---

(١) أخرجه البخاري «٧٥٢٧».

(٢) أخرجه البخاري «٤٩٣٧» بلفظ مقارب، ومسلم «٧٩٨» باختلاف يسير.

(٣) رواه الإمام أحمد «٤/ ٨٣»، وأبو داود «١٤٦٨»، وابن ماجه «١٣٤٢»، والنسائي «٢/ ١٧٩»، وصححه ابن حبان «٣/ ٢٥» «٧٤٩»، والحاكم «١/ ٥٧١». وعلقه البخاري قبل حديث «٧٥٤٤» كلهم من حديث البراء بن عازب وصححه الألباني في "صحيح أبي داود" «١٣٢٥» وقال: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير عبد الرحمن بن عوسجة وهو ثقة.

(٤) أخرجه البخاري «٧٥٥٤»، ومسلم «٧٩٢».

(٥) أخرجه البخاري «٧٥٤٦»، ومسلم «٤٦٤».

فأضــاف الصــوت إليه ثم ذكر حديث ابن عباس-رضــي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**»، «**أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متواريا بمكة وكان يرفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون ســـبوا القرآن ومن جـاء بـه، فـأنزل الله تعـالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَـــلَاتِكَ وَلَا تُخَـافِتْ بِهَا﴾ [الإسـراء: الآية: ١١٠]**». [(١)] ثم قال: باب قراءة الفاجر والمنافق وأصـواتهم وتلاوتهم لا تجاوز تراقيهم، وذكر في الباب حديث أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-«**ت: ٧٤ هـ**» «**يخرج أناس من قبل المشـــرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم**». [(٢)]، ومعلوم أن المراد التلاوة والأداء وما قام بهم من الأصــوات، وأنها لم تجاوز حناجرهم، وكان البخاري قد امتحن بهذه الفرقة، فتجرد للرد عليهم وبالغ في ذلك في كتاب «**خلق أفعال العباد**» فإنه بناه على ذلك وأن أصوات العباد من أفعالهم أو متولدة عن أفعالهم فهي من أفعالهم، فالصوت صوت العبد حقيقة، والكلام كلام الله حقيقة، أداه العبد بصـــوته كما يؤدي كلام الرســـول وغيره بصـــوته، فالعبد مخلوق وصــفاته مخلوقة وأفعاله مخلوقة وصـــوته وتلاوته مخلوقة، والمتلو المؤدى بالصوت غير مخلوق.

واحتج البخاري في الصحيح في «**خلق أفعال العباد**» على ذلك بنصوص التبليغ، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُـــولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: الآية: ٦٧] وقوله: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشـــورى: الآية: ٤٨] وقوله: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـــالَةَ رَبِّي﴾ [الأعراف: الآية: ٧٩] وهذا من رسوخه في العلم، فإن ذلك يتضمن أصلين ضل فيهما أهل الزيغ:

أحدهما: أن الرســـول ليس له من الكلام إلا مجرد تبليغه، فلو كان هو قد أنشـــأ ألفاظه لم يكن مبلغا، بل منشئا مبتدئا، ولا تعقل الأمم كلها من التبليغ سوى تأدية كلام الغير بألفاظه ومعانيه ولهذا يضاف الكلام إلى المبلغ عنه لا إلى المبلغ.

وأيضا فالتبليغ والبلاغ هو الإيصال، وهو معدى من بلغ إذا وصل، والإيصال حقيقة أن

---

(١) أخرجه البخاري «٤٧٢٢»، ومسلم «٤٤٦» باختلاف يسير.

(٢) أخرجه البخاري «٧٥٦٢».

يورد إلى الموصل إليه ما حمله إياه غيره، فله مجرد إيصاله.

الأصل الثاني: أن التبليغ فعل المبلغ وهو مأمور به مقدور له، وتبليغه هو تلاوته بصوت نفسه، فلو كان الصوت والتلاوة وصوت المتكلم به أزليا وتلاوته لم يكن فعلا مأمورا به مضافا إلى المأمور، وبالجملة فالتبليغ هو صوت المبلغ القائم به.

قال البخاري-رحمه الله-«**ت: ٢٥٦ هـ**»: باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: الآية: ٦٧]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " «**بلغوا عني ولو آية وليبلغ الشاهد الغائب وأن الوحي قد انقطع**».[١]، فتأمل مقصوده بقوله: وإن الوحي قد انقطع فلو كانت أصواتنا بالقرآن هي نفس الصوت القديم الذي تكلم الله تعالى به لم يكن الوحي قد انقطع، بل هو متصل ما دامت أصوات العباد مسموعة بالتلاوة، فالقائلون إن هذا الصوت القديم ظهر عند تلاوة التالي، وهو الصوت الذي أوحى الله به الوحي إلى رسوله، وهو غير منقطع لزمه لزوما بينا أن الوحي متصل غير منقطع.

قال البخاري-رحمه الله-«**ت: ٢٥٦ هـ**»: في كتاب «**خلق أفعال العباد**» ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب أن يكون الرجل خفت الصوت، ويكره أن يكون رفيع الصوت، وأن الله سبحانه ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله تعالى.

قال أبو عبد الله: وفي الدليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوت الله يسمع من بعد كما يسمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا نادى جبرائيل الملائكة لم يصعقوا، ثم ساق في الباب أحاديث تكلم الله بالصوت محتجا بها.[٢]

قال البخاري-رحمه الله-«**ت: ٢٥٦ هـ**»: وقد كتب النبي-صلى الله عليه وسلم-كتابا

---

(١) خلق أفعال العباد «ص: ٨٨».

(٢) خلق أفعال العباد «ص: ٩٨».

فيه «**بسم الله الرحمن الرحيم**»[(١)]. فقرأه ترجمان قيصر على قيصر وأصحابه، ولا يشك في قراءة الكفار أهل الكتاب أنها أعمالهم، وأما المقروء فهو كلام العليم المنان ليس بخلق، فمن حلف بأصوات قيصر أو بنداء المشركين الذين يقرون بالله لم تكن عليه يمين دون الحلف بالله لقول النبي–صلى الله عليه وسلم– «**لا تحلفوا بغير الله**»[(٢)]. وليس للعبد أن يحلف بالخواتيم والدراهم البيض وألواح الصبيان التي يكتبونها ثم يمحونها المرة بعد المرة، وإن حلف فلا يمين عليه لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٢].[(٣)]

قال البخاري–رحمه الله–«**ت: ٢٥٦ هـ**»: وقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: «**بينا أنا في الجنة سمعت صوت رجل بالقرآن**»[(٤)]. فبين أن الصوت غير القرآن.

قلت: ونظيره إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن.

قال أبو عبد الله: ويقال له صفة الله وكلامه، وعلمه وأسمائه وعزه وقدرته بائنة من الله أم لا، وقولك وكلامك بائن من الله أم لا.

قال أبو عبد الله: قال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم: الآيات: ٣٩-٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ [نوح: الآية: ١] والإنذار من نوح وهو نذير مبين يأمرهم بطاعة الله، وأما الغفران فإنه من الله يقول ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [نوح: الآية: ٤]، ثم قال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥] فذكر الدعاء سرا وعلانية من نوح، وقال ابن مسعود–رضي الله عنه–«**ت: ٣٢ هـ**»، قال النبي صلى الله عليه وسلم لقوم كانوا يقرءون القرآن فيجهرون به

(١) خلق أفعال العباد «ص: ٩٨».
(٢) خلق أفعال العباد «ص: ٩٨».
(٣) خلق أفعال العباد «ص: ١٠٢».
(٤) خلق أفعال العباد «ص: ١٠٩».

«**خلطتم علي القرآن يقول علت أصواتكم صوتي**» [(١)]، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يرفع بعضهم على بعض صوته، ولم ينه عن القرآن ولا عن كلام الله.

قال البخاري-رحمه الله-«**ت: ٢٥٦ هـ**»: واعتل بعضهم فقال حتى يسمع كلام الله، قيل له إنما قال حتى يسمع كلام الله لا كلامك ونغمتك وصوتك، إن الله فضل موسى بكلامه، ولو كان يسمع الخلق كلهم كلام الله كما سمع موسى لم يكن لموسى عليك فضل، ومعنى هذا أن هذا الصوت المسموع من القارئ لو كان هو الصوت الذي سمعه موسى لكان كل من سمع القرآن بمنزلة موسى في ذلك". [(٢)]

(١) أخرجه البخاري في "القراءة خلف الإمام " «٢٥٤»، وفي خلق أفعال العباد «ص: ١١١».

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ٥٠٣-٥٠٨.



قال المصنف رحمه الله: «**وَقَد دَخَلَ- أيضًا- فِيما ذَكرنَاهُ مِنَ الإيمانِ بِهِ وَبِكتبِهِ وَبِملائكتِهِ وَرسلِهِ- الإيمانُ بِأَنَّ المؤمنينَ يَرونَهُ يومَ القيامةِ عِيَانًا بِأَبصَارِهِم، كَمَا يَرونَ الشَّمسَ صَحْوًا لَيسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَونَ القَمَرَ لَيلَةَ البَدرِ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤيَتِهِ. يَرَونَهُ- سبحانه- وَهُم فِي عَرَصَاتِ القيامةِ، ثُمَّ يَرَوْنَه بَعدَ دخولِ الجنَّةِ كَمَا يَشاءُ اللهُ**».

الشرح

تقدم الكلام على الرؤية في الفقرة «**٢٦**».

٥٤- الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

المسألة الأولى: فتنة القبر.

المسألة الثانية: الأدلة على إثبات عذاب القبر ونعيمه.

المسألة الثالثة: عذاب القبر ونعيمه يقع على الجسد والروح معًا.

المسألة الرابعة: المنكرون لعذاب القبر.



[٥٤]- قال المصنف رحمه الله: «**وَمِنَ الإِيمَانِ بِاليَومِ الآخرِ: الإيمان بِكُلِّ مَا أَخبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكونُ بَعدَ المَوتِ؛ فَيُؤمِنُونَ بِفِتنَةِ القَبرِ، وَبِعَذَابِ القَبرِ وَنَعِيمِهِ. فَيُؤمِنُونَ بِفِتنَةِ القَبرِ، وَبِعَذابِ القَبرِ وَنَعِيمِهِ؛ فَأَمَّا الفِتنَةُ فَإِنَّ النَّاسَ يُفتَنُونَ فِي قُبُورِهِم فَيُقَالِ لِلرَّجُلِ: مَن رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَبِيُّكَ؟ فَـ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فَيَقُولُ المُؤمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الإِسلامُ، وَمُحَمَّد ﷺ نَبِيِّي. وَأَمَّا المُرتَابُ فَيَقُولُ: هَاه هَاه، لَا أَدرِي، سَمِعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيئًا فَقُلتُهُ! فَيُضرِبُ بِمِرزَبَّةٍ مِن حَدِيدٍ؛ فَيَصِيحُ صَيحَةً يَسمَعُهَا كُلُّ شَيءٍ إِلَّا الإِنسان، وَلَو سَمِعَهَا لَصُعِقَ،**». ثُمَّ بَعدَ هَذِهِ الفِتنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عذَابٌ إِلى أن تقومَ السَّاعةُ الكُبرى.

الشرح

المسألة الأولى: فتنة القبر:

ذكر المصنف رحمه الله هنا الإِيمَان بالدار الآخرة، وتبدأ بأول منازلها بخروج الروح من الجسد، ثم ما يكون في القبر من فتنة، وأحوال الناس فيها بين مُثَبَّت ومُضَل، وما يترتب على هذه الفتنة من نعيم أو عذاب.

فقال شَيخُ الإِسلَامِ رحمه الله: «**وَمِنَ الإِيمَانِ بِاليَومِ الآخرِ: الإيمان بِكُلِّ مَا أَخبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكونُ بَعدَ المَوتِ؛ فَيُؤمِنُونَ بِفِتنَةِ القَبرِ، وَبِعَذَابِ القَبرِ وَنَعِيمِهِ**».

واليوم الآخر سُمِّي كذلك؛ لتأخُّرِهِ عَنِ الدُّنيا. وَقِيلَ: لأَنَّهُ لا يومَ بَعدَهُ، فَهُوَ آخرُ المراحِلِ، وسينقسم الناس فيه إلى فريقين؛ فريق في الجنة وفريق في السعير.

وقد اتَّفَقَت جَمِيعُ الشَّرائع السَّمَاوِيَّةِ على الإيمان باليوم الآخر؛ قَالَ الله جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة : ٦٢]

وهذا مما يؤيده العَقلُ السَّليمُ والفِطرَةُ السَّويةُ؛ إذ ما خلق الله هذا الخلق عبثًا، وهو سبحانه

وتعالى لن يتركهم هملًا بلا حساب على ما اقترفوه في هذا الحياة، بل من مقتضى عدله جل وعلا أن يجمع الأوَّلين والآخرين للحساب والعرض، والقصاص من الظالم للمظلوم؛ قال جل جلاله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، وقال جل وعلا: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الانبياء: ٤٧].

والإنسانُ بمجرد موتِه يدخل فِي اليومِ الآخرِ بالنِّسبة له، وَلِهَذَا يُقَالُ: مَن مَاتَ قَامَت قِيَامَتُهُ.

ويبدأ العبد يعاين مصيره من ساعة الاحتضار، كما فِي حديث البَراءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنه أنَّه قال: «**كُنَّا فِي جنازة فِي بَقِيع الغرْقَد، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ، فقَعَدَ وقعَدْنا حوله، كَأَنَّ على رُءوسنا الطَّير، وَهُوَ يُلحَدُ لَهُ، فَقَالَ: «أعوذُ بِاللَّه من عَذَاب القَبْر»**؛ ثَلَاث مَرَّات، ثمَّ قَالَ: «**إنَّ العَبْدَ المُؤمن إذا كَانَ فِي إقبالٍ من الآخِرَة وَانْقِطَاعٍ من الدُّنْيَا نزلت إِلَيْهِ مَلَائِكَة كَأَنَّ وُجُوهَهم الشَّمْسُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَر، ثمَّ يَجِيء مَلَكُ المَوْت حَتَّى يجلس عِنْد رَأسه، فَيَقُول: أَيَّتُها النَّفْسُ الطَّيِّبَة، اخرجي إِلَى مَغْفرَة من الله ورضوان، قَالَ: فَتخرج تَسِيلُ كَمَا تسيلُ القَطرة من فِيّ السِّقاء، فيأخذها، فَإِذا أَخذهَا لم يَدَعُوها فِي يَدِه طَرْفَة عينٍ حَتَّى يأخذوها، فيَجعلوها فِي ذَلِك الكَفَنِ وَذَلِكَ الحَنُوطِ، وَيَخرج مِنْهَا كأطيب نَفْحَة مِسْكٍ وُجِدت على وَجهِ الأَرْض، قَالَ: فَيَصْعَدُون بهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بهَا- يعْنِي: على مَلأٍ من المَلَائِكَة- إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوح الطَّيِّب؟ فَيَقُولُونَ: فلَان ابْن فلَان، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونه فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهوا بهَا إِلَى السَّمَاء الدُّنْيَا، فيَستفتحون لَهُ؛ فيفتح لَهُ، فَيُشَيِّعه من كلِّ سَمَاء مُقَرَّبوها إِلَى السَّمَاء الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يَنْتَهِي بهَا إِلَى السَّمَاء الَّتِي فِيهَا اللهُ تَعَالَى، فَيَقُول اللهُ عز وجل: اكْتُبُوا كِتَاب عَبْدِي فِي عِلِّيين، وأَعِيدُوه إِلَى الأَرْض؛ فإني مِنْهَا خَلَقْتُهمْ، وفيهَا أُعِيدُهم، وَمنها أُخْرِجُهم تَارَة أُخْرَى. قَالَ: فَتُعاد رُوحه فِي جسده، فيَأتيه مَلَكَان فيُجلسانه، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّك؟ فيَقُول: رَبِّيَ الله. فَيَقُولُونَ لَهُ: مَا دينُك؟**

فَيَقُول: دينِي الإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرجلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُم؟ فَيَقُول: هُوَ رَسُولُ الله ﷺ. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُك بِهَذَا؟ فَيَقُول: قَرَأتُ كِتَابَ الله؛ فآمنتُ بِهِ وصَدَّقْتُ. فيُنادي مُنَاد من السَّمَاء: أَن صَدَقَ عَبْدي. فَأَفْرِشُوه من الجنَّة، وافتحوا لَهُ بَابًا من الجنَّة. قَالَ: فيأتيه من رِيحِهَا وطِيبِها، ويُفْسَح لَهُ فِي قَبرِه مَدَّ بَصَرِه. قَالَ: ويأتيه رجلٌ حَسَنُ الوَجْه، حَسَنُ الثِّيَاب، طَيِّبُ الرِّيح؛ فَيَقُول: أَبْشِر بِالَّذِي يَسُرُّك؛ هَذَا يَوْمُك الَّذِي كنت تُوعد. فَيَقُول لَهُ: مَن أَنْتَ؟ فَوَجْهُك الوَجْهُ الَّذِي يَجِيء بِالخَيرِ! فَيَقُول: أَنا عَمَلكُ الصَّالِح. فَيَقُول: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَة حَتَّى أَرْجع إِلَى أَهلِي وَمَالِي.

قَالَ: وَإِنَّ العَبْدَ الكَافِر إذا كَانَ فِي انْقِطَاع من الدُّنْيَا وإقبال من الآخِرَة، نَزَل إِلَيْهِ من السَّمَاء مَلَائِكَة سُود الوُجُوه مَعَهم المُسُوح؛ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَر، ثمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْت حَتَّى يَجلس عِنْد رَأسه، فَيَقُول: أَيَّتُها النَّفس الخبيثة اخْرُجِي إِلَى سَخطٍ من الله وَغضبٍ، قَالَ: فتتفرق فِي جسده، فينتزعها كَمَا يُنتزعُ السَّفُّود من الصُّوف المَبلول، فيأخذها، فَإِذا أَخذهَا لم يَدَعُوها فِي يَدِه طَرْفَة عَين حَتَّى يجعلوها فِي تِلكَ المُسُوح، وَيخرج مِنْهَا كأنتنِ رِيح جيفة وُجِدت على وَجهِ الأرض، فيَصعدون بهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بهَا على مَلأٍ من المَلَائِكَة إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرِّيحُ الخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فلَان ابْن فلَان، بأقبح أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهِي بِهِ إِلَى السَّمَاء الدُّنْيَا؛ فيُستفتح لَهُ فَلَا يُفتح، ثمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ «٤٠»﴾ [الأعراف: ٤٠]؛ فيَقول اللهُ عز وجل: اكْتُبوا كِتَابَه فِي سِجِّين فِي الأَرْض السُّفْلى. فَتُطرح رُوحه طَرْحًا، ثمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ «٣١»﴾ [الحج: ٣١]، فتُعاد رُوحه فِي جَسَدِه، ويأتيه مَلَكَان، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَن رَبُّك؟ فَيَقُول: هاه هاه، لَا أدري! فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُم؟ فَيَقُول: هاه هاه، لَا أدري! فيُنادي مُنَاد من السَّمَاء: أَن كَذَبَ عبدِي؛ فَأَفْرِشُوه من النَّار، وافتحوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّار؛ فيأتيه

من حَرِّهَا وسَمُومها، ويُضَيَّق عَلَيْهِ قَبرُه حَتَّى تَخْتَلف فِيهِ أضلاعُه، ويأتيه رجلٌ قَبِيحُ الوَجْه، قَبِيحُ الثِّيَاب، مُنْتن الرِّيح، فَيَقُول: أَبْشِر بِالَّذِي يسوؤك! هَذَا يَوْمُك الَّذِي كنت تُوعد. فَيَقُول: من أَنْتَ؟ فَوَجْهُك الوَجْهُ الَّذِي يَجِيء بِالشَّرِّ. فَيَقُول: أَنا عَمَلُك الخَبِيثُ. فَيَقُول: رَبِّ لَا تُقِم السَّاعَةَ»[(١)].

قَالَ شَيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة رحمه الله: «**وَأَمَّا الفِتْنَةُ فِي القُبُورِ فَهِيَ الِامْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ لِلمَيِّتِ حِينَ يَسْأَلُهُ المَلَكَانِ**»[(٢)].

وقَد رَوَت أَسمَاءُ بِنت أَبِي بَكر رضي الله عنها أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي القُبُورِ قَرِيبًا، أَوْ مِثْل فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[(٣)].

وعن عثمانَ بن عفَّان رضي الله عنه قالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرغَ مِن دَفنِ الميتِ وَقَفَ عليهِ، فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ**»[(٤)].

وَعَن أَبِي هُريرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يدعُو: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَات، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[(٥)].

وعن البراءِ بنِ عَازب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**إِنَّ العَبدَ المُؤمِنَ فِي قَبْرِهِ تُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ؛ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِث فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ؛**

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» «٤/ ٢٨٧» «١٨٥٥٧»، وأبو داود «٤٧٥٣»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع » «١٦٧٦».

(٢) «مجموع الفتاوى» «٤/٢٥٧».

(٣) أخرجه البخاري «١٨٤» ومسلم «٩٠٥».

(٤) أخرجه أبو داود «٣٢٢١»، والحاكم في «المستدرك» «١/ ٥٢٦» «١٣٧٢»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» «٣٥١١».

(٥) أخرجه البخاري «١٣٧٧» ومسلم «٥٨٨».

فَآمَنْتُ بِهِ، وَصَدَّقْتُ به...».

إِلَى أَن قَالَ فِي العَبدِ الكَافِرِ: «**فتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاه، لَا أَدْرِي! فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاهْ، لَا أَدْرِي! فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاه، لَا أَدْرِي**»[١].

وَغَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَحَادِيثِ التي بَلَغَت مَبلَغَ التَّوَاتُرِ.

قَالَ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّة رحمه الله: «**وَقَدْ تَوَاتَرَت الأَحَادِيثُ عَن النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ الفِتْنَةِ مِنْ حَدِيثِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَغَيْرِهِمْ رضي الله عنهم**»[٢].

وَقوله: «**مَنْ رَبُّك؟ وَمَا دِينُك؟ وَمَنْ نَبِيُّك؟**»- هَذِهِ الأسئلة الثلاثة الِتي تُوَجَّهُ للمَيِّتِ فِي قَبرِهِ؛ قال العلَّامةُ ابنُ عُثَيمين رحمه الله: «**يَعنِي: مَن رَبُّكَ الذِي خَلَقَكَ وَتعبدُهُ وَتَخصُّهُ بِالعِبَادَةِ؟ لِأَجلِ أَن تنتَظِمَ هَذِهِ الكَلمةُ توحيد الربوبيَّةِ، وَتوحيد الألوهيَّةِ.**

و«**المُرتاب**»: الشَّاكُّ والمنافقُ وشبههمَا، «**فَيَقُولُ: هَاه هَاه؛ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**»، يعني: لم يَلجِ الإيمانُ قلبَهُ، وإنَّمَا كانَ يقولُ كما يقولُ النَّاسُ مِن غيرِ أن يَصِلَ الإيمانُ إلى قلبِهِ.

وَتأمَّل قولَهُ: «**هاه هاه**» كأنَّ شيئًا غَابَ عنهُ يريدُ أن يَتذكرَه، وَهَذا أشدُّ فِي التَّحَسُّرِ أن يتخيَّلَ أنَّهُ يَعْرِفُ الجوابَ، ولكن يُحالُ بينهُ وبينهُ، ويقولُ: «**هاه هاه**»، ثمَّ يقولُ: «**سمعتُ الناسَ يقولونَ شيئًا فقلتُهُ**»، وَلَا يقولُ: رَبِّيَ الله، وَلَا ديني الإسلام، وَلَا نَبِيِّ محمَّد؛ لأَنَّهُ فِي الدُّنيا مُرتابٌ شاكٌّ.

هذا إِذَا سُئِلَ فِي قَبرِهِ وَصَارَ أحوج مَا يكونُ إِلَى الجَوَابِ الصَّوَابِ يَعجزُ، وَيَقولُ: «**لَا أدري سَمِعتُ النَّاسَ يقولونَ شَيئًا فقلتُهُ**».

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» «٤/ ٢٨٧» «١٨٥٥٧»، وأبو داود «٤٧٥٣»، وصححه الألباني في «المشكاة» «١٦٣٠».

(٢) «مجموع الفتاوى» «٤/٢٥٧».

إِذًا؛ إيمانُه قولٌ فقَط»[١].

وقولُ شيخِ الإسلامِ رحمه الله: «**فَيُضرِبُ بِمرزَبَّةٍ مِن حديدٍ؛ فيصيحَ صحيةً يسمعهَا كُلُّ شيءٍ إِلَّا الإنسان، وَلَو سَمِعَها لصعقَ**»- يُشير إلى حديث أنس رضي الله عنه، وفيه: «**وأمَّا المُنافق والكافر فيُقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنتُ أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ، ويُضرب بمطارقَ من حديد ضربةً؛ فيَصِيحُ صَيحةً يَسْمَعُهَا مَن يَلِيهِ غيرَ الثَّقَلينِ**»[٢]، والثَّقلان: هُم الإنسُ والجنُّ.

قالَ ابنُ عُثَيمين رحمه الله: «**فيُضرب**»: يَعني الذِي لم يُجِب، سواء كانَ الكافرَ أو المنافقَ، والضارب لَهُ الملَكَانِ اللذانِ يَسألانِهِ.

والمرزبَّةُ: هِيَ مِطرقةٌ مِن حَدِيدٍ، وَقَد وَرَدَ فِي بعضِ الرواياتِ: أَنَّهُ لَوِ اجتَمَعَ عَلَيهَا أَهلُ مِنى مَا أَقَلُّوها، فَإِذَا ضُرِب يَصيح صيحةً يَسمعها كلُّ شيء إلا الإنسان، أي: صِياحًا مَسموعًا يَسمعه كلُّ شيء يكون حوله مِمَّا يسمع صوته، وليس كلُّ شيء في أقطار الدُّنيا يَسمعه، وأحيانًا يتأثر به ما يسمعه كما مَرَّ النَّبيُّ ﷺ بِأَقْبُرٍ للمُشركين على بَغْلَتِه، فَحَادت به حتى كادت تُلقيه؛ لأنَّها سَمِعت أصواتَهم يُعَذَّبون.

قوله: «**إلا الإنسان**»، وقد سبق أنَّ في الحديث إلا الثَّقلين. يعني: أنه لا يَسمع هذا الصِّياح، وذلك لحكمٍ عظيمة منها:

أولًا: ما أشار إليه النَّبيُّ ﷺ بقوله: «**لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ القَبْرِ**»[٣].

ثانيًا: أنَّ في إخفاء ذلك سترًا للميت.

ثالثًا: أنَّ فيه عدم إزعاج لأهله؛ لأنَّ أهلَه إذا سَمعوا مَيِّتَهم يُعَذَّب ويَصيح لم يَسْتَقِرَّ لهم قَرَارٌ.

---

(١) انظر: «شرح الواسطِيَّة» «ص٤٨٠- ٤٨٢».

(٢) أخرجه البخاري «١٣٧٤» من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم «٢٨٦٨» من حديث أنس رضي الله عنه.

رابعًا: عدم تَخْجِيل أهله؛ لأنَّ النَّاس يقولون: هذا ولدُكم، هذا أبوكم، هذا أخوكم، وما أشبه ذلك.

خامسًا: أننا قد نَهْلِك؛ لأنَّها صيحة ليست هينة، بل صيحة قد تُوجب أن تسقط القلوب من مَعاليقها، فيموت الإنسان، أو يُغشى عليه.

سادسًا: لو سَمِع النَّاسُ صُرَاخ هؤلاء المعَذَّبين لكان الإيمانُ بعذاب القبر من باب الإيمان بالشهادة لا من باب الإيمان بالغيب، وحينئذ تَفُوت مصلحة الامتحان؛ لأنَّ النَّاس سوف يُؤمنون بما شاهدوه قطعًا، لكن إذا كان غائبًا عنهم ولم يعلموا به إلَّا عن طريق الخبر صار من باب الإيمان بالغيب»[١].

المسألة الثانية: الأدلة على إثبات عذاب القبر ونعيمه:

وقد دلَّ على سؤال القبر وما يكون فيه من نَعيم أو عذاب- بعض الآيات والسُّنَّة المتواترة وكذلك إجماع أهل السُّنَّة والجَمَاعَة.

أمَّا دلالة القرآن؛ فمنها:

قوله تعالى في قصة آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر : ٤٦]

قال الحافظ ابن كثير: «**وهذه الآية أصلٌ كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور**»[٢].

وقال العلامة الفوزان: «**هذا في البرزخ قبل الآخرة؛ يُعرضون على النَّار صباحًا ومساء إلى أن تقوم الساعة، وهذا دليلٌ على عذاب القبر، والعياذ بالله، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] هذه ثلاثة عقوبات:**

الأولى: أنَّ الله أغرقهم ومحاهم عن آخرهم في لحظة واحدة.

---

(١) «شرح الواسِطيَّة» «ص٤٨٢، ٤٨٣».

(٢) «تفسير ابن كثير» «٧/ ١٤٦».

الثاني: أنَّهم يُعَذَّبون في البرزخ إلى أن تقوم الساعة.

الثَّالثة: أنهم إذا بعثوا يوم القيامة يدخلون أشد العذاب، والعياذ بالله»(١).

ومنها: قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]

قال ابنُ تيمِيَّة: «**قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِن العُلَمَاءِ: المَرَّةُ الأُولَى فِي الدُّنْيَا، وَالثَّانِيَةُ فِي البَرْزَخِ، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ فِي الآخِرَةِ**»(٢).

ومنها: وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾.

وهذا خطابٌ لهم عند المَوت، وقد أخبر الملائكة- وهم الصادقون- أنَّهم حينئذ يُجزون عذاب الهون، ولو تأخَّر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا؛ لما صَحَّ أن يقال لهم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾؛ فدل على أنَّ المراد به عذاب القبر(٣).

وأمَّا السُّنَّة: فإنها متواترةٌ في ذلك، كما قال الحافظُ ابنُ رَجَب رحمه الله: «**وقد تَوَاتَرَت الأحاديثُ في عذاب القبر**»(٤).

وقال ابنُ أبي العِزِّ رحمه الله: «**وقد تواترت الأخبارُ عن رسول الله ﷺ في ثُبُوت عذاب القبر ونعيمه لِمَن كان أهلًا**»(٥).

وأمَّا الإجماعُ، فقد قال ابن تيمِيَّة رحمه الله: «**فَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا: أَنَّ المَيِّتَ إِذَا مَاتَ يَكُونُ فِي نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ**»(٦).

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» «ص٥١»، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٢) «مجموع الفتاوى» «٤/٢٦٦».

(٣) انظر: «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» صالح الفوزان «ص ٢٧٥»، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٤) «أهوال القبور» «ص٤٣».

(٥) «شرح الطَّحاوية» «ص٣٩٩».

(٦) «مجموع الفتاوى» «٤/٢٨٤».

وقال أيضًا: «العَذَابُ وَالنَّعِيمُ عَلَى النَّفْسِ وَالبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ»[(١)].

وقال ابن القيِّم رحمه الله: «**وَهَذَا كَمَا أنه مُقْتَضى السُّنَّة الصَّحِيحَة فَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَين أهل السُّنَّة.**

قَالَ المروزي: قَالَ أَبُو عبد الله: عَذَاب القَبْرِ حقٌّ، لَا يُنكره إِلَّا ضالٌّ أَو مُضِلٌّ»[(٢)].

المسألة الثالثة: عذاب القبر ونعيمه يقع على الجسد والروح معًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأيضا تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم أو العذاب"[(٣)]

وقال ابن القيم–رحمه الله–: وقد سئل شيخ الإسلام عن هذه المسألة، ونحن نذكر لفظ جوابه فقال:

"بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تُنعَّم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتنعم وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليها في هذه الحال مجتمعين كما تكون على الروح منفردة عن البدن.

مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى"[(٤)]

---

(١) «مجموع الفتاوى» «٤/ ٢٨٢».

(٢) «الروح» «ص ٥٧».

(٣) الاختيارات الفقهية «ص: ٩٤».

(٤) "الروح" «ص: ٥١-٥٢».

ويضرب العلماء مثالا لذلك الحلم في المنام فقد يرى الإنسان أنه ذهب وسافر وقد يشعر بسعادة وهو نائم وقد يشعر بحزن وأسى وهو في مكانه وهو في الدنيا فمن باب أولى أن تختلف في الحياة البرزخية وهي حياة تختلف كلية عن الحياة الدنيا أو الحياة في الآخرة.

قال النووي–رحمه الله–: "فإن قيل: فنحن نشاهد الميت على حاله في قبره فكيف يُسأل ويُقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر له أثر، فالجواب: أن ذلك غير ممتنع بل له نظر في العادة وهو النائم، فإنه يجد لذة وآلاما لا نحس نحن شيئًا منها، وكذا يجد اليقظان لذة وآلما لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يشاهد ذلك جليسه منه، وكذا كان جبرئيل يأتي النبي–صلى الله عليه وسلم–فيخبره بالوحي الكريم ولا يدركه الحاضرون، وكل هذا ظاهر جلي"(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–: "والنائم يحصل له في منامه لذة وألم وذلك يحصل للروح والبدن حتى إنه يحصل له في منامه من يضربه فيصبح والوجع في بدنه، ويرى في منامه أنّه أُطْعِم شيئًا طيبًا فيصبح وطعمه في فمه، وهذا موجود، فإذا كان النائم يحصل لروحه وبدنه من النعيم والعذاب ما يحس به والذي إلى جنبه لا يحس به حتى قد يصيح النائم من شدة الألم أو الفزع الذي يحصل له ويسمع اليقظان صياحه وقد يتكلم إما بقرآن وإما بذكر وإما بجواب واليقظان يسمع ذلك وهو نائم عينه مغمضة ولو خوطب لم يسمع: فكيف ينكر حال المقبور الذي أخبر الرسول أنه «**يسمع قرع نعالهم**»، وقال: «**ما أنتم أسمع لما أقول منهم؟**»،

والقلب يشبه القبر، ولهذا قال لما فاتته صلاة العصر يوم الخندق: «**ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارًا**»، وفى لفظ: «**قلوبهم وقبورهم نارًا**»، وَفرّق بينهما في قوله: ﴿بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: الآيتان: ٩–١٠]، وهذا تقريب وتقرير لإمكان ذلك.

ولا يجوز أن يقال ذلك الذي يجده الميت من النعيم والعذاب مثلما يجده النائم في منامه، بل ذلك النعيم والعذاب أكمل وأبلغ وأتم وهو نعيم حقيقي وعذاب حقيقي، ولكن يذكر هذا المثل لبيان إمكان ذلك، إذا قال السائل: الميت لا يتحرك في قبره والتراب لا يتغير ونحو ذلك

(١) "شرح مسلم" «٢٠١/١٧».

مع أن هذه المسألة لها بسط يطول وشرح لا تحتمله هذه الورقة والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم"[(١)]

المسألة الرابعة: المنكرون لعذاب القبر.

قال ابن تيمية-رحمه الله-: "مذهب سائر المسلمين إثبات الثواب والعقاب في البرزخ - ما بين الموت إلى يوم القيامة - هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة؛ وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع"[(٢)]

وقال أبو الحسن الأشعري وهو يذكر ما خالف فيه المعتزلة وأهل القدر نهج أهل السنة: وجحدوا عذاب القبر، وأن الكفار في قبورهم يعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين. [(٣)]

وقد خالف في ذلك الخوارج وضرار بن عمرو وبشر المريسي وجماعة من متأخرى المعتزلة، فقالوا بنفى عذاب القبر؛ وذلك بناء على قولهم أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب"[(٤)]

قال ابن حزم: "ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر، وهو قول من لقينا من الخوارج، وذهب أهل السنة وبشر بن المعتمر والجبائي وسائر المعتزلة إلى القول به، وبه نقول لصحة الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك" . [(٥)]

وقد نسب أبو الحسن الأشعري نفي عذاب القبر إلى المعتزلة والخوارج،[(٦)]

---

(١) "مجموع الفتاوى" «٤/ ٢٧٥-٢٧٦».

(٢) "مجموع الفتاوى" «٤/ ٢٦٢».

(٣) الإبانة عن أصول الديانة «ص: ١٤».

(٤) مقالات الإسلاميين «٢/ ١١٦»، ودراسات فى الفرق الإسلامية «ص: ١٧٣».

(٥) الفصل في الملل والنحل والأهواء «٤/ ٦٦».

(٦) المقالات «٢/ ١١٦».

كما نسبه البغدادي إلى الجهمية والضرارية،[(١)]

ونسب الملطي إلى جهم بن صفوان إنكار عذاب القبر ومنكر ونكير. [(٢)]

والأرجح بالنسبة للمعتزلة أن جمهورهم على القول بعذاب القبر، كما حكى ذلك عنهم القاضي عبد الجبار، فقد ذكر: "فصل فى عذاب القب" وقال: "بأنه لاخلاف في ذلك بين الأمة، كما أنه قد بين أن ابن الراوندي هو الذي يشنع علي المعتزلة، ويدعى أنهم ينكرون عذاب القبر، ثم أورد الأدلة على إثباته من القرآن والسنة. [(٣)]

وقال أيضًا ما نصه: "إنما أنكر ذلك أولًا: ضرار بن عمرو، لما كان من أصحاب واصل ظن ذلك مما أنكرته المعتزلة وليس الأمر كذلك، بل أكثر شيوخنا يقطعون بعذاب القبر، وإنما ينكرون قول جماعة سنن الجهلة إنهم يعذبون وهم موتى، ودليل العقل يمنع من ذلك. ا. هـ [(٤)]

كذلك فقد قال الزمخشرى عن سورة الملك: "وتسمى: الواقية، والمنجية، لأنها تقى وتنجي قارئها من عذاب القبر "[(٥)]

شبهتهم

والمخالفون الذين خالفوا أهل السنة في هذا الأصل فنفوا القول بإثبات عذاب القبر قد جاء فساد تأصيلهم في أنهم قد حكموا العقل وردوا عالم الغيب إلى عالم الشهادة، فقاسوا الأمور الغيبية على الأمور المشاهدة، وحكموا العقل فيما جاءت به النصوص في أن هذا يعقل، وأن هذا لا يعقل.

فتراهم لا يؤمنون بما يحدث في القبر؛ لأنهم عقلانيون، فيسمون أدلة الشرع ظنية، فأما أدلة

(١) أصول الدين «ص: ٢٤٥».

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء «ص: ١٢٤».

(٣) "شرح الأصول الخمسة " «ص: ٧٣٠».

(٤) "الاعتزال وطبقات المعتزلة " «ص: ١٦٧».

(٥) الكشاف «٤/ ٥٧٤» والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار «٣/ ٧١٢» تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف.

العقل عندهم فهي يقينية، وهم فى ذلك قد نسوا أو قل تناسوا أن عذاب القبر وفتنة القبر أمر غيبي، والأمور الغيبية مجالها الاعتقاد؛ لأنها لا تدرك بالنظائر ولا تدركها العقول؛ بل تحار فيها العقول، فيجب الإيمان بها والتسليم على نحو ما جاء في الخبر الصادق في الوحي.

ومن شبهاتهم النفاة قالوا: إنا نرى شخص الميت مشاهدة وهو غير معذب، وكذلك فإن الميت ربما تفترسه السباع وتأكله!!

وجوابه:

أن هذا هوس؛ أما مشاهدة الشخص فهو مشاهدة لظواهر الجسم، والمدرك للعقاب جزء من القلب أو من الباطن كيف كان، وليس من ضرورة العذاب ظهور حركة في ظاهر البدن، بل الناظر إلى ظاهر النائم لا يشاهد ما يدركه النائم من اللذة عند الاحتلام ومن الألم عند تخيل الضرب وغيره، ولو انتبه النائم وأخبر عن مشاهداته وآلامه ولذاته من لم يجر له عهد بالنوم لبادر إلى الإنكار اغترارا بسكون ظاهر جسمه.

فتعسا لمن ضاقت حوصلته عن تقدير اتساع القدرة لهذه الأمور المستحقرة بالاضافة إلى خلق السموات والأرض وما بينهما، مع ما فيهما من العجائب.[(١)]

ثم يقال لمن يشكل بعدم تحقق رؤية عذاب القبر بالبصر: أن الله – عزوجل – يبتلى عباده بالتكاليف الشرعية اختبارا وامتحانا لهم، وهذه التكاليف شاملة لباب العلم والعمل:

أ» ففي باب العمل:

يكلفهم بجملة من العبادات الشرعية، والتي منها ما يكون غير معلوم الحكمة، فيجمع لهم بين التكليف بالاستسلام وتكليف القيام بالعمل.

ب» وفي باب العلم:

فقد يختبر الله –تعالى –عباده بالإيمان بالغيبيات التى تتالت النصوص بإثباتها، فيظهر هنا من يؤمن بالغيب ممن هو منه في شك، إذ لو عاين العباد الغيبيات لزالت حكمه التكليف

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي «١١٨».

والإيمان بالغيب، ومن هذا الباب فقدا اقتضت الحكمة أن يكون عذاب القبر خفيًا؛ لأنه لو كان أمرًا ظاهرًا لما كان الإيمان به إيمان بالغيب، والإيمان النافع المنجي إنما هو الإيمان بالغيب.

لذا فقد كان أول ما مدح الله–تعالى–به أهل الإيمان فى كتابه أنهم يؤمنون بالغيب، فقد قال تعالى ﴿الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: الآيات: ١ – ٣].

وأضف الي ذلك أنه قد اقتضت حكمة الله –تعالى–أن لا يكون عذاب القبر ظاهرا، إذ لو كان ظاهرا لما تدافن الناس، كما قال صلى الله عليه وسلم: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**».(١)

وأما قولهم بعدم حدوث عذاب القبر لمن أكله سبع أو حرق!!

فجوابه:

فذكر العذاب والحاقه بالقبر إنما خرج على الغالب فلا مفهوم له؛ فالمصلوب والمحروق والغريق ومن أكلته السباع لهم من عذاب البرزخ ونعيمه بحسب ما تقتضيه أعمالهم، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما.

وإلا فسيقال من باب الإلزام بعدم بعث من أكلته السباع أو حرق، ومثل هذا مما لم يقل به نفاة القول بعذاب القبر، فكما قيل فى قوله تعالى ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: الآية: ٥٢] أنه خرج على الغالب، مع إثبات البعث لمن لم يكن له مرقد، كالمحروق ومن أكلته السباع، فكذا يقال بإثبات عذاب القبر ونعيمه لمن لم يقبر.

وقد ورد في حديث أبي هريرة–رضي الله عنه–، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «**كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، فلما**

(١) أخرجه مسلم «٧١٤٢».

مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له».[١]

قال ابن القيم: "ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رمادًا ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور"[٢]

ويلخص ما سبق كلام بديع للسمعانى، لما ذكر أمور الغيب من عذاب القبر وسؤال الملكين والحوض والميزان والصراط، قال-رحمه الله-: "وهذه أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئًا من أمور الدين وعقلناه وفهمناه فلله الحمد في ذلك والشكر، ومنه التوفيق، وما لم يمكنا إدراكه وفهمه ولم تبلغه عقولنا آمنا به وصدقنا واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيئته، وقال تعالى في مثل هذا ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.[الإسراء: الآية: ٨٥]"[٣]

* تنبيه وتصحيح:

قد ذهب بعض المعتزلة إلى أن الله - سبحانه -يعذب الموتى في قبورهم، ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها، وقالوا بأن سبيل المعذبين من الموتى كسبيل السكران والمغشى عليه لو ضربوا لم يجدوا الآلام، فإذا عاد عليهم العقل أحسوا بألم الضرب.[٤]

---

(١) أخرجه البخاري «٣٤٨١»، ومسلم «٢٧٥٦».

(٢) الروح «ص: ٥٨».

(٣) الانتصار لأصحاب الحديث «ص: ٨٢».

(٤) الروح «ص: ٥٨».

*وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على ذلك، وبين أن الأمر على خلاف ذلك، فقال رحمه الله: "ولا يجوز أن يقال ذلك الذي يجده الميت من النعيم والعذاب مثلما يجده النائم في منامه؛ بل ذلك النعيم والعذاب أكمل وأبلغ وأتم. وهو نعيم حقيقي وعذاب حقيقي، ولكن يذكر هذا المثل لبيان إمكان ذلك إذا قال السائل: الميت لا يتحرك في قبره والتراب لا يتغير، ونحو ذلك. مع أن هذه المسألة لها بسط يطول وشرح لا تحتمله هذه الورقة والله أعلم"[(١)].[(٢)]

(١) مجموع الفتاوى «٤/ ٢٧٦».

(٢) المصدر: الأربعين العقدية لأيمن إسماعيل «٢/ ٨٨٥-٨٩٢».



٥٥- تعلق الروح بالجسد

[٥٥]- قال المصنف رحمه الله: «**فتُعاد الأرواحُ إلى الأجساد**»

الشرح

بعد أن يأذن الله سبحانه وتعالى ببعث الناس من قبورهم- تعود الأرواح إلى أجسادها، وترجع الأجساد كما كانت قَبل أن تَبلى، فتنبت كما ينبت الحِبَّة[١] في حميل السَّيل[٢].

فترجع كلُّ رُوح إلى جسدها الذي كانت فيه في الدنيا، كما جاء في «**مسند أحمد**» مرفوعًا: «**حَتَّى إذا كانوا يوم القيامة دَخَلَتْ كلُّ نفسٍ في جَسدها**»[٣]، أي: دخلت كلُّ رُوح في جسدها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**كلُّ ابن آدم تأكله الأرض، إلا عَجْبَ الذَّنَب[٤] منه يَنبت، ويرسل الله ماء الحياة، فينبتون فيه نبات الخَضِر، حتى إذا أخرجت الأجساد أرسلَ اللهُ الأرواح، وكان كلُّ روح أسرع إلى صاحبه من الطَّرف، ثم يُنفخ في الصور فإذا هم قيام يَنظرون**»[٥].

قوله رحمه الله «**فَتُعادُ الأرواحُ إلى الأجسادِ**»، وذلك بعد النفخة الثانية بالصُّور، وهذه الإعادةُ غيرُ الإعادة التي كانت في البرزخ.

هناك دور ثلاثة: «**دنيا- برزخ- آخرة**».

والعلاقة بين الروح والبدن في الدار الدنيا: أن البدن هو الأصل، والروح تبع له؛ فإذا عُذِّب أو نُعِّم البدن أحس الروح بذلك تبعًا للبدن.

---

(١) الحبة: بذور النبات.

(٢) حميل السيل: ما يحمله السَّيْل من طين أو غُثَاء وغيره.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» «٦/ ٤٢٤» «٢٧٤٢٧»، وصححه الألباني في «الصحيحة» «٦٧٩».

(٤) هو العظم اللطيف الذي في أسفل الصُّلب، وهو رأس العُصعص، ويقال له: «عَجْمُ» بالميم، وهو أولُ ما يُخلق من الآدمي، وهو الذي يَبقى منه؛ ليُعاد تركيب الخلق عليه. «شرح النووي على مسلم» «٩/ ٣٤٣».

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» «٢/ ٤٣٢» «٨٩١»، وقال الألباني في «ظلال الجنة» «٨٩١»: «إسناده جيد».

وفي البرزخ، فالروح هو الأصل في النعيم والعذاب والبدن تبع له.

وأمَّا في الدار الآخرة فيكتمل الاثنان «**الروح والبدن**»؛ فيكون النعيم والعذاب مشتركًا بين هذا وذاك.

فلا بد من فهم العلاقة بين الروح والجسد في هذه الدور الثلاثة.

قال ابن القيم رحمه الله: «**الله سبحانه وتعالى جعل الدُّور ثَلَاثًا: دَار الدُّنْيَا، وَدَار البرزخ، وَدَار القَرار، وَجعل لكلِّ دَارٍ أحكامًا تَخْتَص بهَا، وَركَّب هَذَا الإنسان من بَدَنٍ وَنَفْس، وَجعل أَحْكَامَ دَار الدُّنْيَا على الأَبدَان والأرواح تبعًا لَهَا، وَلِهَذَا جَعَلَ أَحْكَامَه الشَّرْعِيَّة مُرتبَة على مَا يَظْهر من حركات اللِّسَان والجوارح، وإن أَضْمَرت النُّفُوسُ خِلَافه، وَجعل أَحْكَامَ البَرزخ على الأَرْوَاح والأبدان تبعًا لَهَا.**

فكَمَا تبعت الأَرْوَاحُ الأَبدَانَ فِي أَحْكَام الدُّنْيَا؛ فَتَأَلَّمت بِأَلَمِها، والْتَذَّت بِرَاحتها، وَكَانَت هي الَّتِي باشَرَت أَسبَابَ النَّعيم وَالعَذَاب تَبِعت الأَبدَانُ الأَرْوَاحَ فِي نعيمِها وعذابِها، والأرواح حِينَئِذٍ هي الَّتِي تُباشر العَذَابَ وَالنَّعِيمَ، فالأبدانُ هُنَا ظَاهِرَة والأرواح خَفِيَّة والأبدان كالقبور لهَا، والأرواح هُنَاكَ ظَاهِرَة والأبدان خَفِيَّة فِي قُبُورها تَجري أَحْكَامُ البرزخ على الأَرْوَاح، فَتَسْرِي إِلَى أبدانِها نعيمًا أَو عذَابًا، كَمَا تَجري أَحْكَامُ الدُّنْيَا على الأَبدَان فَتَسْري إِلَى أرواحِها نَعيمًا أَو عذَابًا، فَأَحِط بِهَذَا المَوضع عِلْمًا، واعرفه كَمَا يَنبغي يُزِل عَنْك كلَّ إشكالٍ يُورد عَلَيْك من دَاخل وخارج.

وَقد أرانا اللهُ- سُبْحَانَهُ- بِلُطْفِهِ وَرَحمته وهِدايته من ذَلِك أُنموذجًا فِي الدُّنْيَا من حَال النَّائِم، فَإِنَّ مَا يُنَعَّم بِهِ أَو يُعَذَّب فِي نومه يجْرِي على رُوحه أصلًا، وَالبدن تَبَعٌ لَهُ، وَقد يَقوى حَتَّى يُؤَثِّر فِي البدن تأثيرًا مُشاهدًا، فَيَرَى النَّائِمُ فِي نَومه أَنَّه ضُرِب فَيُصْبِح وَأَثَر الضَّرْب فِي جِسْمه، وَيرى أَنه قد أكل أَو شَرِب فيستيقظ وَهُوَ يجِد أَثَرَ الطَّعَام وَالشَّرَاب فِي فِيهِ، وَيذْهب عَنهُ الجُوعُ والظَّمأ.

وأعجب من ذَلِك أَنَّك ترى النَّائِم يقوم فِي نَومه وَيَضْرب ويَبطش ويُدَافع كَأَنَّهُ يقظان،

وَهُوَ نَائِم لَا شُعُور لَهُ بشيء من ذَلِك، وَذَلِكَ أَنَّ الحكم لما جَرَى على الرُّوح استعانت بِالبدنِ من خَارجه، وَلَو دخلت فِيهِ لاستيقظ وأَحَسَّ، فَإِذا كَانَت الرُّوح تتألم وتتنعم ويَصل ذَلِك إِلَى بدنهَا بطرِيق الاستتباع، فَهَكَذَا فِي البرزخ بل أعظم، فَإِن تَجَرُّد الرُّوح هُنَالك أكمل وَأقوى، وهى مُتَعَلقَةٌ ببدنِها لم تَنْقَطِع عَنهُ كلَّ الِانْقِطَاع، فَإِذا كَانَ يَوْم حشر الأجساد وَقيام النَّاس من قُبُورهم- صَار الحكمُ وَالنَّعِيم وَالعَذَاب على الأَرْوَاح والأجساد ظَاهرًا باديًا أصلًا.

وَمَتى أَعْطَيْتَ هَذَا المَوضع حَقَّه- تَبَيَّن لَك أَنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِن عَذَاب القَبْر ونَعيمه وضِيقه وسَعَته وضَمه وَكَونه حُفْرَة من حفر النَّار أَو رَوْضَة من رياض الجنَّة- مُطَابق لِلعَقْلِ، وَأَنه حَقٌّ لَا مِرية فِيهِ، وَأَنَّ مَن أشكل عَلَيْهِ ذَلِك فَمِن سُوء فَهمه وَقِلَّة عِلمه أُتِي، كَمَا قيل:

وَكَم مِن عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وآفتُه من الفَهم السَّقيم

وأَعْجَب مِن ذلك: أن تَجِد النَّائمين فِي فِرَاشٍ واحدٍ، وهذا رُوحُه فِي النَّعيم، ويَستيقظُ وأَثرُ النَّعيم على بَدنه، وهذا رُوحه فِي العَذَاب ويَستيقظ وأَثَرُ العَذاب على بَدَنِه، ولَيْسَ عند أحدِهما خَبَرٌ بما عند الآخَر، فَأَمْرُ البَرْزَخ أعجبُ مِن ذَلك.

والله- سبحانه- جَعَلَ أَمْرَ الآخرة، وما كان مُتَّصِلًا بها غَيْبًا، وحَجَبها عن إدراك المُكَلَّفين فِي هذه الدَّار، وذلك من كمال حكمته، ولِيتميز المؤمنون بالغيب عن غيرهم»[١].

وقال أيضاً: «تَنبت أجسادهم فِي القبور، فإذا نفخ فِي الصُّور رَجعت كلُّ روح إلى جسدها فدخلت فيه، فانشقَّت الأرض عنه فقام مِن قبره، وفِي حديث الصُّور أنَّ إسرافيل عليه السلام يدعو الأرواح فتأتيه جميعًا؛ أرواح المسلمين نورًا، والأخرى مظلمة؛ فيجمعها جميعًا، فيعلقها فِي الصور، ثم ينفخ فيه فيقول الرب جل جلاله: «وعِزَّتي ليَرجعن كلُّ رُوح

---

(١) «الروح» «ص٦٣، ٦٤» بتصرف يسير.

إلى جسده، فتخرج الأرواح من الصور مثل النَّحل قد ملأت ما بين السَّماء والأرض فيأتي كلُّ رُوح إلى جسده فيدخل، ويأمر الله الأرض فتَنشق عنهم فيخرجون سراعًا إلى ربهم يَنسلون، مُهطعين إلى الدَّاعي، يسمعون المنادي من مكان قريب، فإذا هم قيام ينظرون، وهذا معلوم بالضرورة أنَّ الرسول أخبر به، وأنَّ الله سبحانه لا يُنشئ لهم أرواحًا غير أرواحهم التي كانت في الدنيا، بل هي الأرواح التي اكتسبت الخير والشر، أنشأ أبدانها نشأة أخرى، ثُمَّ رَدَّها إليها»[١].

وقال أيضاً: «إن الروح والجسد يختصمان بين يدي الرب عز وجل يوم القيامة، قال عليُّ بن عبد العزيز: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي سعيد البقال، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما تَزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يُخاصم الرُّوحُ الجسدَ، فيقول الروح: يا رب إنَّما كنت روحًا منك جعلتني في هذا الجسد، فلا ذنبَ لي! ويقول الجسد: يا رب كنت جسدًا خَلقتني ودخل فيَّ هذا الرُّوح مثل النار؛ فَبِه كنتُ أقوم، وبه كنت أقعد، وبه أذهب، وبه أجيء؛ لا ذنب لي! قال: فيقال: أنا أقضي بينكما؛ أخبراني عن أعمى ومقعد دخلَا حائطًا فقال المقعد للأعمى: إني أرى ثمرًا فلو كانت لي رِجْلان لتناولتُ! فقال الأعمى: أنا أحمِلُك على رقبتي. فحمله فتناول من الثمر فأَكَلَا جميعًا، فعلى مَن الذَّنب؟ قالا: عليهما جميعًا. فقال: قضيتُما على أنفسكما»[٢].

(١) «الروح» «ص ١٨٥، ١٨٦»، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) «الروح» «ص ١٨٦».

٥٦- القيامة

[٥٦]- قال المصنف رحمه الله: « **وتقوم القيامةُ التي أَخْبَرَ اللهُ بها في كتابه، وعلى لِسانِ رسولِه، وأَجْمَع عليها المُسلمون؛ فيقوم النَّاسُ من قُبُورهم لِرَبِّ العالمين حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا وتدنو الشَّمسُ منهم فيُلْجِمُهم العَرَقُ**».

الشرح

لما فَرَغَ المصنف رحمه الله من الكلام عَلى ما يكون في البرزخ بعد الموت من فِتنةٍ ونعيمٍ أو عذابٍ، أشار إلى ما يكون في الدَّار الآخرة التي تَبدأ بالقيامة الكُبرى؛ فقال: «**إلى أن تقومَ السَّاعةُ الكُبرى فتُعاد الأرواحُ إلى الأجساد، وتقوم القيامةُ التي أَخْبَرَ اللهُ بها في كتابه، وعلى لِسانِ رسولِه، وأَجْمَع عليها المُسلمون**».

والقيامة في العَربية مَصدر قام يقوم، ودخلها التأنيثُ للمُبالغة على عادة العَرب.

واختُلف في تَسميتها بذلك على أربعة أقوال:

الأول: لوجود هذه الأمور فيها، أي: الأهوال والأمور التي تَحْدُث فيها.

الثاني: لقيام الخَلْق مِن قُبُورهم إليها؛ قال تَعَالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣] .

الثالث: لقيام النَّاس لِرَبِّ العالمين؛ فعن ابنِ عمر رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] ، قال: «**يقومُ أحدُهُم في رَشْحِه إلى نِصف أُذُنَيْه**»[١].

الرَّابع: لِقيام الرُّوح والملائكة صفًّا؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨]»[٢].

وتعبيرُ المصنف بـ«**الكبرى**» هنا إشارةٌ إلى القيامة الصُّغرى؛ فإنَّ القيامةَ قيامتان: قيامةٌ

---

(١) أخرجه البخاري «٦٥٣١» ومسلم «٢٨٦٢».

(٢) انظر: «التذكرة» للقرطبي «ص١٨٧».

صُغرى، وهي الموتُ. وقيامةٌ كبرى، وهي التي يقومُ فيها النَّاسُ مِن قُبُورهم لربِّ العالمين .

قال القرطبيُّ رحمه الله: «**قال علماؤنا: واعلم أنَّ كُلَّ مَيِّتٍ مات فقد قامت قيامتُه، ولكنها قيامةٌ صُغرى وكُبرى.**

فالصُّغرى: هي ما يقومُ على كل إنسانٍ في خَاصَّتِه من خروج رُوحه، وفِراق أهله، وانقطاع سَعْيه، وحُصوله على عمله؛ إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًّا فَشَرٌّ.

والقيامة الكبرى: هي التي تَعُمُّ النَّاسَ، وتأخذهم أخذةً واحدةً.

والدَّليلُ على أنَّ كُلَّ مَيِّتٍ يموتُ فقد قامت قيامتُه: قول النَّبي ﷺ لقومٍ من الأعرابِ وقد سألوه: مَتى القِيامةُ؟ فنظر إلى أحدث إنسانٍ منهم، فقال: «إِنْ يَعِشْ هذا لَم يُدركه الهَرَمُ قَامَت عليكم سَاعَتُكم»[(١)]»[(٢)].

قال ابنُ أبي العِزِّ رحمه الله: «**الإيمانُ بالمَعاد مِمَّا دَلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّة والعَقل والفِطرة السَّليمة.**

فأخبرَ اللهُ– سبحانه– في كتابه العزيز، وأَقَامَ الدَّليل عليه، ورَدَّ على مُنكريه في غالب سُور القرآن، وذلك أنَّ الأنبياء– عليهم السَّلام– كلهم مُتَّفِقون على الإيمانِ بالله، فإنَّ الإقرارَ بالربِّ عامٌّ في بني آدم، وهو فِطري، وكُلُّهم يُقِرُّ بالربِّ إلا مَن عانَدَ؛ كفِرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر فإنَّ مُنكريه كثيرون، ومحمَّد ﷺ لَمَّا كان خاتمَ الأنبياء، وكان قد بُعِثَ هو والسَّاعة كهاتين، وكان هو الحاشر والمُقَفِّي بَيَّن تفصيل الآخرة بيانًا لا يُوجد في شيء من كتب الأنبياء، ولهذا ظَنَّ طائفةٌ مِن المُتفلسفة ونحوهم أنَّه لم يُفصح بمعاد الأبدان إلا مُحَمَّد ﷺ، وجَعلوا هذه حُجَّة لهم في أنَّه من باب التخييل والخِطاب الجُمهوري.

والقرآنُ بَيَّن مَعاد النَّفس عند الموت، ومَعادَ البدن عند القيامة الكبرى في غير مَوضع، وهؤلاء يُنكرون القيامة الكبرى، ويُنكرون معاد الأبدان، ويقول مَن يقول منهم: إنَّه لم يُخبر

---

(١) أخرجه مسلم «٢٩٥٢» من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) «التذكرة» «ص١٨٧، ١٨٨».

به إلا محمَّدٌ ﷺ عن طريق التخييل.

وهذا كذبٌ؛ فإنَّ القِيامة الكبرى هي معروفةٌ عند الأنبياء من آدم إلى نُوح إلى إبراهيم ومُوسى وعِيسى وغيرهم عليهم السلام، وقد أخبر اللهُ بها من حين أهبط آدم؛ فقال تَعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ «٢٤» قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٤-٢٥] ، ولما قال إبليس اللعين: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ «٣٦» قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ «٣٧» إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٦-٣٨]

وأمَّا نوحٌ عليه السلام فقال: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا «١٧» ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨] وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢] ، إلى آخر القصة وقال: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١] ، وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠] ، وأمَّا موسى عليه السلام فقال الله لَمَّا ناجاه: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى «١٥» فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: ١٥-١٦]

بل مُؤمنُ آلِ فِرعون كان يَعلم المعاد، وإنَّما آمَنَ بموسى؛ قال تَعالى: حكاية عنه: ﴿وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ «٣٢» يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٢-٣٣] ، إلى قوله تعالى: ﴿يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩] ، إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]

وقال موسى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] .

وقد أخبر في قِصَّة البقرة: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]

وقد أخبرَ اللهُ أنَّه أرسلَ الرُّسل مُبَشِّرين ومُنذرين في آياتٍ مِن القُرآن، وأَخْبَرَ عن أهلِ النَّار أنَّهم إذا قال لهم خزنَتُها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]

وهذا اعترافٌ من أصناف الكفار الدَّاخلين جَهَنَّم: أنَّ الرسلَ أَنْذَرَتْهم لِقاء يومهم هذا.

فجميعُ الرُّسلِ أَنذروا بما أَنْذَر به خَاتَمُهم من عقوبات المذنبين في الدُّنيا والآخرة، فَعَامَّةُ سُور القرآن التي فيها ذِكر الوعد والوعيد يذكر ذلك فيها في الدُّنيا والآخرة، وأَمَرَ نَبِيَّه أن يُقسم به على المعاد فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ [سبأ: ٣] ، الآيات، وقال تَعَالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣] ، وقال تَعَالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧] ، وأخبر عن اقترابها فقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] ، ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] ، ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ «١» لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ [المعارج: ١-٢] ، إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا «٦» وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦-٧]

وقد ذَمَّ اللهُ المكَذِّبين بالمعاد فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس : ٤٥]، ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام : ٣١]، ﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى : ١٨]، ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل : ٦٦]، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [النحل : ٣٨]، إلى أن قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ [النحل : ٣٩]، ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر : ٥٩]، ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء : ٩٧]، ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء : ٩٨]،

إلخ»[(١)].

وقد دلَّ- أيضًا- على قيام السَّاعة وحَشر الناس في اليوم الآخر أدلةٌ مُستفيضة مِن السُّنَّة، منها: ما جاء في حديث جبريل عليه السَّلام؛ أنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال: «**أن تُؤمن باللهِ، ومَلائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِر، وتُؤمن بالقَدَرِ؛ خَيْرِه وشَرِّه**»[(٢)]، وفي رواية: «**والبَعْث بعدَ المَوْتِ**»[(٣)].

وكذلك ما روي عن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أيُّها النَّاس، إنَّكم مَحْشُورُونَ إلى الله حُفَاة عُرَاة غُرْلًا، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ثُمَّ إنَّ أَوَّلَ مَن يُكسى يوم القيامة إبراهيمُ**»[(٤)].

وقد أجمعَ على ذلك المسلمون إجماعًا قطعيًّا، بل حتى أهل الكتاب من اليهود والنَّصارى.

وكذلك العَقلُ يقضي بأن هناك يوم آخر للجَزَاء والحِساب، وإلا لكان إيجاد الخلائق عَبَثًا، والله مُنَزَّه عن ذلك، وهذا- أيضًا- من تمام إقامة العدل بين الخلق؛ قال ابنُ القيّم: «**ولهذا كان الصَّوَابُ أنَّ المَعاد معلومٌ بالعقل مع الشَّرع، وأنَّ كمالَ الرَّبِّ تَعالى، وكمالَ أسمائه وصفاته تَقتضيه وتُوجبه، وأنَّه مُنَزَّه عَمَّا يقولُه مُنكروه، كما يُنَزَّه كمالُه عن سائر العُيوب والنَّقائص**»[(٥)].

---

(١) «شرح الطَّحاوية» «ص٤٠٤، ٤٠٥».

(٢) أخرجه البخاري «٥٠» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم «٨» من حديث حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجها ابن حبان في «صحيحه» «١/ ٣٨٩» «١٦٨» وابن أبي شيبة في «مصنفه» «٦/ ١٧٢» «٣٠٤٤٥»، وصححها الألباني في «التعليقات الحسان» «١٦٨».

(٤) أخرجه البخاري «٤٧٤٠» ومسلم «٢٨٦٠».

(٥) «الفوائد» «ص٢٩».



٥٧- حال الناس في يوم القيامة

[٥٧]- قال المصنف رحمه الله: «**فيقوم النَّاسُ مِن قُبُورهم لربِّ العَالمين حُفاة عُراة غُرْلًا**».

الشرح

بعد إعادة الأرواح إلى أجسادها يساق الناس إلى أرض المحشر، حُفاة عُراة غُرلًا، وتدنو الشمس من الخلائق، فيكون الناس في عرقهم على قدر أعمالهم، حتى يبلغ بهم الأمر مبلغه، فيأتوا من نبي إلى نبي، حتى يأتوا النبي ﷺ؛ فيشفع في أهل الموقف أن يُقضى بينهم. وهي أول شفاعاته ﷺ.

الحُفاة: جَمع حَاف، وهو الذي لا يلبس نِعالًا ولا خُفًّا.

والعراة: جمع عار، وهو الذي ليس على جسده لباس، ولا شيء يستره.

والغُرْل: جمع أغرل، وهو الذي لم يُختن؛ إذ ترجع إليه الجلدة التي قطعت عند الختان.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تُحْشَرُون حُفاة عُرَاة غُرْلًا**». قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت: يا رسول الله، الرِّجال والنِّساء يَنظر بعضهم إلى بعض! فقال: «**الأَمْرُ أَشَدُّ مِن أن يَهُمَّهم ذلك**»(١).

ثم ذكر المصَنِّفُ بعض أهوال هذا اليوم، فقال: «**وتدنو الشَّمسُ منهم فَيُلْجِمُهم العَرَقُ**».

وقد صحَّ عن المِقداد بن الأسود أنَّه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**تُدنى الشَّمْسُ يوم القيامة من الخَلْقِ حَتَّى تَكون مِنهم كَمِقْدار مِيلٍ، فَيَكُون النَّاسُ على قَدْر أعمالِهم في العَرَقِ؛ فَمِنهم مَن يكون إلى كَعْبَيه، ومِنهم مَن يكون إلى رُكبتيه، ومنهم مَن يكون إلى حِقْوَيْه، ومِنهم مَن يُلجمه العَرَقُ إلجامًا**»(٢).

إلا أن هناك أناسًا يُظِلُّهم اللهُ في ظِلّه يوم لا ظِلَّ إلا ظله، كما أخبر بذلك النَّبيُّ ﷺ في الحديث، وهم: «**إمامٌ عادلٌ. وشَابٌّ نَشَأ في طاعة الله. ورَجُلٌ قَلْبُه مُعَلَّق بالمَساجد. ورَجُلان**

---

(١) أخرجه البخاري «٦٥٢٧» ومسلم «٢٨٥٩».

(٢) أخرجه مسلم «٢٨٦٤».

تَحَابَّا في الله اجتمعا عليه وتَفَرَّقا عليه. ورَجُلٌ دَعَتْه امرأةٌ ذاتُ مَنصب وجَمال فقال: إني أخافُ اللهَ. ورجل تَصَدَّق بصدقةٍ فَأَخْفاها حتى لا تَعلم شِمَالُه ما تُنفق يمينُه. ورجلٌ ذَكَر اللهَ خاليًا فَفَاضَتْ عَيْناه»[(١)].

وقد جاء في روايات أخرى تبين أنَّ الله يُظِلُّ في ظِلِّه في هذا اليوم العظيم الرهيب أصنافًا أخرى؛ منها:

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يقول يوم القيامة: «**أين المُتَحَابُّون بِجَلالي، اليوم أُظِلُّهم في ظِلِّي يوم لا ظِلَّ إلَّا ظِلِّي**»[(٢)].

وعن كعب بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أَنْظَرَ مُعسرًا، أو وَضَع له- أَظَلَّهُ الله يوم القيامة تحت ظِلِّ عَرشه يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه**»[(٣)].

نسأل الله أن نكون من هؤلاء، وأن يسترنا في هذا اليوم الطويل الشديد الرَّهيب، وأن يُدخلنا الجنة من غير حساب ولا سابقة عذاب.

---

(١) أخرجه البخاري «٦٨٠٦» ومسلم «١٠٣١» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم «٢٥٦٦».

(٣) أخرجه مسلم «٣٠٠٦» من حديث كعب بن عمرو رضي الله عنه .



٥٨- الميزان

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: معنى الميزان في اللغة.

المسألة الثانية: الأدلة على ثبوت الميزان.

المسألة الثالثة: معنى الميزان في الشرع

المسألة الرابعة: صفات الميزان.

المسألة الخامسة: خلاف العلماء في الميزان هل هو واحد أم متعدد؟



[٥٨]- قال المصنف رحمه الله: .«فَتُنْصَبُ المَوَازِينُ فَتُوزن بِهَا أعمالُ العِباد؛ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ «١٠٢» وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣]

الشرح

في هذا النص مسائل:

المسألة الأولى: معنى الميزان في اللغة: [(١)]

- أصل الكلمة:

أصله من مِوْزان؛ انقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها، وجمعه موازين.

قال الجوهري-رحمه الله تعالى-: "...وأصله مِوْزانٌ، انقلبت الواو ياءً لكسر ما قبلها...ووزنتُ الشيء وزنًا وزِنَة، ويقال: وَزَنْتُ فلانًا ووَزَنْتُ لفلان، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣]، وهذا يزن درهمًا"[(٢)]

- وزنها وتصاريفها: الميزان مأخوذ من «**وَزَنَ**»، «**يَزِن**»، «**وزنًا**»، و«**زِنَةً**»، وأصله «**مِوزَان**» انقلبت الواو ياءً لكسر ما قبلها فصار «**ميزان**»، ويتعدَّى باللام وبدونها.

قال ابن فارس-رحمه الله تعالى-: "الْوَاوُ وَالزَّاءُ وَالنُّونُ: بِنَاءٌ يَدُلُّ عَلَى تَعْدِيلٍ وَاسْتِقَامَةٍ: وَوَزَنْتُ الشَّيْءَ وَزْنًا، وَالزِّنَةُ قَدْرُ وَزْنِ الشَّيْءِ، وَالْأَصْلُ وَزْنَةٌ...وَهَذَا يُوَازِنُ ذَلِكَ، أَيْ: هُوَ مُحَاذِيهِ، وَوَزِينُ الرَّأْيِ: مُعْتَدِلُهُ، وَهُوَ رَاجِحُ الْوَزْنِ: إِذَا نَسَبُوهُ إِلَى رَجَاحَةِ الرَّأْيِ وَشِدَّةِ الْعَقْلِ"[(٣)]

- معانيها:

قال الليث: «**الوزن ثقل شيء بشيء مثله**»[(٤)].

(١) المصدر: الحياة الآخرة للدكتور غالب العواجي ٢/ ١٠٨٣.

(٢) "الصحاح للجوهري، مادة: وزن، ٦/ ٢٢١٣.

(٣) "معجم مقاييس اللغة"؛ لأحمد بن فارس مادة: و-ز-ن، ٦/ ١٠٧.

(٤) لسان العرب ١٥/ ٢٠٦.

والميزان: اسم للآلة التي يوزن بها الأشياء، أو هو ما تُقَدَّرُ به الأشياء خفةً وثقلًا.

وقد أطلقت لفظة الوزن والميزان على عدة معان:

المعنى الأول: فهو يطلق ويراد به بيان قدر الشيء وقيمته، أو خسة الشيء وسقوطه، كما قال تعالى: ﴿فلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية: ١٠٥].

قال ابن الأعرابي: العرب تقول: "ما لفلان عندنا وزن أي قدر؛ لخسته، ويقال: وزن الشيء إذا قدره، وزن ثمر النخيل إذا خرصه"[(١)]

المعنى الثاني: أن الميزان يأتي في باب اللغة مرادًا به الميزان ذي الكفات.

المعنى الثالث: ويأتي مرادًا به العدل أيضًا.

المعنى الرابع: كما يأتي ويراد به الكتاب الذي فيه أعمال الخلق.

ثم قال: وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ[(٢)].

وقال الراغب: الوزن معرفة قدر الشيء...والمتعارف في الوزن عند العامة ما يقدر بالقسط والقبان.[(٣)]

ثم ذكر بعض الآيات التي تدل على أنه يأتي مراداً به المعادلة في جميع ما يتحراه الإنسان من الأفعال والأقوال، مثل قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء: الآية: ١٨٢]، ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ [الرحمن: الآية: ٩].

وأنه يأتي بمعنى العدل في محاسبة الناس، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: الآية: ٤٧].

- استعمالاتها:

---

(١) "تهذيب اللغة"؛ للأزهري، مادة: و-ز-ن، ١٣/ ١٧٥.

(٢)"تهذيب اللغة"؛ للأزهري، مادة: و ز ن، ١٣/ ١٧٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن"؛ للراغب الأصفهاني، ص: ٨٦٨.

أما الميزان؛ فهو: "الآلة التي يوزن بها الأشياء" ويجمع على: موازين.

"وجائز أن يقال للميزان الواحد–بأوزانه وجميع آلته–الموازين، قال الله–عز وجل–: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: الآية: ٤٧] يريد نضع الميزان ذا القسط.وسيأتي تفصيل هذا.

وجاء إطلاق الموازين على الأعمال:

كما قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ٨]

قال الأزهري: "أراد والله أعلم–: فمن ثقلت أعماله التي هي حسناته"

وذكر الراغب: "أن مجيء الميزان على صيغة الجمع تارة، ومجيئه تارة أخرى بالإفراد فإنما هو باعتبار المحاسب والمحاسبين، فمجيئه بلفظ الواحد اعتباراً بالمحاسب، ومجيئه بالجمع اعتباراً بالمحاسبين"[(١)]

المسألة الثانية: الأدلة على ثبوت الميزان.

أولاً: الأدلة من القرآن:

ومن أدلة الكتاب العزيز:

- وقوله: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[الأعراف: الآيتان: ٨–٩].
- وقال–جل وعلا–: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٤٧].
- وقال عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: الآيات: ٦–٩]، وغير ذلك.

ثانياً: الأدلة من السنة:

---

(١) الحياة الآخرة للدكتور غالب العواجي ٢/ ١٠٨٣.

● عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، أنَّ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «**كَلِمَتان خَفِيفتان على اللِّسان، ثَقِيلتان في المِيزان، حَبِيبتان إلى الرَّحمن: سُبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».(١)

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّه لَيُؤتى بالرَّجل العَظيم السَّمين يوم القيامة لا يَزن عند الله جناح بَعُوضة، وقال: اقْرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية: ١٠٥]**».(٢)

● وعن عبد الله بن عُمر –رضي الله عنهما–، أنَّ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «**إنَّ الله سَيُخَلِّصُ رجلًا من أُمَّتي على رُءوس الخَلائق يوم القيامة، فَيَنْشُرُ عليه تِسعة وتِسعين سِجلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصر، ثُمَّ يقول له: أَتُنْكِر مِن هذا شيئًا؟ أَظَلَمَتك كَتَبَتِي الحَافظون؟ قال: لا يا رب. فيقول: أَلَكَ عُذْرٌ أو حَسَنة؟ فيهيب الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إنَّ لك عندنا حسنة واحدة، لا ظُلم عليك؛ فَتُخرج له بطاقةٌ فيها أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا رسولُ الله. فيقول: أَحْضِروه. فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السِّجلات؟ فيُقال: إنَّك لا تُظلم. قال: فَتُوضع السِّجلات في كِفَّة والبطاقة في كِفَّة، قال: فَطاشت السِّجلات، وثَقُلت البِطاقة، ولا يَثْقُل شيءٌ بِسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ**».(٣)

● وعن ابن مسعود –رضي الله عنه–: أنَّه كان يَجني سِوَاكًا من الأَرَاك، وكان دقيقَ السَّاقين، فَجَعَلت الرِّيح تَكفؤه، فَضَحِك القومُ مِنه، فقال رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم–: »مِمَّ تَضْحَكُون؟«. **قالوا: يا نَبِيَّ الله مِن دِقَّة سَاقيه. فقال:** »والَّذي نَفْسِي بيدِه لَهُما أثقلُ في الميزان مِن أُحُدٍ«.(٤)

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٠٦ ومسلم ٢٦٩٤

(٢) أخرجه البخاري ٤٧٢٩، ومسلم ٢٧٨٥.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٢١٣ ٦٩٩٤، والترمذي ٢٦٣٩، وصححه الألباني في "الصحيحة" ١٣٥.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ١١٤ ٩٢٠، وابن حبان في صحيحه ٧٠٦٩، وصححه الألباني في «الصحيحة» ٢٧٥٠.

● وعن أبي مالكٍ الأشعريّ–رضي الله عنه–، قال: قال رسولُ الله–صلى الله عليه وسلم: «**الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ، والحمدُ للهِ تَمْلأُ المِيزانَ**».[(١)]

ثالثاً: دليل الإجماع:

فقد أجمع السلف على ثبوت ذلك.

قال ابن حجر: قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة، وأنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسنة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال؛ ليرى العباد أعمالهم ممثلةً ليكونوا على أنفسهم شهداء.

قال القرطبي: "قد بلغت أحاديثه–أي: الميزان–مبلغ التواتر، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه"[(٢)]

● وقال في موضع آخر: "أَجْمَع أكابرُ مُحَقِّقي هذه الأمة من أهل السُّنَّة بأنَّ الإيمان بثبوت الوزن والميزان حقٌّ واجبٌ وفَرْضٌ لازبٌ لِثُبوته، وعدم استحالة ذلك عقلًا"[(٣)]

● قال السفاريني رحمه الله تعالى: "فَقَدْ دَلَّتِ الْآثَارُ عَلَى أَنَّهُ مِيزَانٌ حَقِيقِيٌّ ذُو كِفَّتَيْنِ وَلِسَانٍ...وَقَدْ بَلَغَتْ أَحَادِيثُهُ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ، وَانْعَقَدَ إِجْمَاعُ أَهْلِ الْحَقِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْه"[(٤)]

المسألة الثالثة: معنى الميزان في الشرع.

الميزان في الشرع: هو ما يضعُه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد.

والميزان الذي تُوزن بِهِ الأعمال هو: ميزان حسيٌّ حقيقي، له كفتان، وفي بعض الروايات: "ولسان"، والميزان عند أهل السنة ميزانٌ حقيقي توزن به أعمال العباد، وخالف في هذا القول

(١) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٢) لوامع الأنوار البهية ٢/ ١٨٤، ١٨٥.

(٣) لوائح الأنوار السنية ٢/ ١٧٩.

(٤) لوامع الأنوار البهية ٢/ ١٨٥.

المعتزلة وقلة قليلةٌ من أهل السنة.

أقوال علماء الأمة:

- قال السَّفارينيُّ: "قال علماؤنا كغيرهم: نُؤمن بأن الميزان الذي تُوزن به الحسنات والسيئات حقٌّ، قالوا: وله لسان وكفتان تُوزن به صحائف الأعمال؛ قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: تُوزن الحسنات في أحسن صورة، والسيئات في أقبح صورة.
- قال العلامة الشيخ مرعي في "بهجته": الصحيح: أنَّ المراد بالميزان: الميزان الحقيقي لا مجرد العدل، خلافًا لبعضهم.
- وقال القرطبي في "تذكرته": "قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها"[١]

الذين خالفوا قول الجمهور في الميزان:

قال ابن فورك: أنكرت المعتزلة الميزان، بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها؛ إذ لا تُقَوَّم بأنفسها.قال: وروى بعض المتكلمين عن ابن عباس: "أن الله تعالى يقلب الأعراض أجسامًا، فيزنها"، وقد ذهب بعض السلف إلى أن الميزان بمعنى العدل والقضاء، وعَزَا الطبري القول بذلك إلى مجاهد، والراجح ما ذهب إليه الجمهور، وهو أن الميزان ميزان حقيقي توزنُ بِهِ أعمالُ العباد.[٢]

المسألة الرابعة: صفات الميزان.

الواقع أن العلماء لم يتفقوا على إثبات أوصاف الميزان-وقد تقدمت الإشارة إلى بعض الجوانب في وجوب الإيمان بالميزان، ومواقف الناس في ذلك-وأما خلافهم في ثبوت صفاته فقد انقسموا إلى فريقين:

---

(١) لوامع الأنوار البهية ٢/ ١٨٤، ١٨٥.

(٢) انظر: التذكرة ص: ٣٠٩.

١-أما الفريق الأول: فهم المثبتون لصفات الميزان الحسية، من أن له كفتين...إلى آخر أوصافه، وهؤلاء وإن أثبتوا هذا لكنهم يرجعون صفة تلك الكفات واللسان إلى علم الله تعالى.

٢-أما الفريق الآخر: فهم النافون لتلك الصفات.

وسنذكر رأي الفريقين فيما يلي: -

«١» المثبتون لصفات الميزان:

يثبت هؤلاء-وهم جمهور العلماء-أن الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان، وله لسان كذلك.

يقررون هذه الحقيقة غير ملتفتين إلى من تشمئز قلوبهم من سماعها، لعدم قبول عقولهم لها، وعدم تفهم ما ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم في ذلك.ذلك أن الحق ضالة المؤمن، وما ورد به الشرع هو الذي ينبغي أن يقدم على هوى النفس وحكم العقل.

وسنذكر فيما يلي بعض أقوال هؤلاء كأمثلة على ثبوت ما ذكرنا.

قال القرطبي-ردًّا على من ينكر الميزان، ويؤول الوزن بأنه من ضرب المثل، وأن الوزن يراد به العدل والقضاء-قال: "وهذا مجاز.وليس بشيء، وإن كان شائعاً في اللغة — للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي، ووصفه بكفتين ولسان، وأن كل كفة منها طباق السموات والأرض"[(١)]

ويعزو القرطبي إلى ابن عباس أنه قال: "توزن الحسنات والسيئات في ميزان له كفتان ولسان"[(٢)]

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس أنه قال: "الميزان له لسان وكفتان، يوزن فيه الحسنات والسيئات، فيؤتى بالحسنات في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان، فتثقل على السيئات؛ فتؤخذ فتوضع في الجنة...ويؤتى بالسيئات في أقبح صورة فتوضع في كفة الميزان

---

(١) التذكرة، ص: ٣٧٨.

(٢) التذكرة، ص: ٣٧٨.

فتخف..."[١]

ويقول ابن قدامة: "والميزان له كفتان ولسان، توزن به الأعمال، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: الآيتان: ١٠٢-١٠٣]"[٢]

ويقول أبو الحسن الأشعري في معرض بيانه لاختلاف الناس في الميزان ومبينًا رأي أهل السنة: فقال أهل الحق: "له لسان وكفتان، توزن في إحدى كفتيه الحسنات وفي الأخرى السيئات، فمن رجحت حسناته؛ دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته، تفضل الله عليه فأدخله الجنة"[٣]

ويثبت ابن كثير أن للميزان كفتين حسيتين، ويستدل على هذا من السنة بحديث صاحب البطاقة المشهور وغيره من الأحاديث.[٤].

وأخرج الطبري عن ابن جريج قال: قال لي عمرو بن دينار: "قوله: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: الآية: ٨] قال: إنا نرى ميزاناً وكفتين، سمعت عبيد بن عمير يقول: يجعل الرجل العظيم الطويل في الميزان، ثم لا يقوم بجناح ذباب"[٥] وهو القول الذي رجحه الطبري أيضًا.

ويقول ابن أبي العز: "والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان"[٦]

وقال أبو إسحاق الزجاج –كما نقل عنه الحافظ ابن حجر: "أجمع أهل السنة على الإيمان

---

(١) الدر المنثور، ٣/ ٧٠

(٢) ابن قدامة في لمعة الاعتقاد، ص: ٣٣.

(٣) المقالات، ٢/ ١٦٤

(٤) النهاية، ٢/ ٢٤.

(٥) جامع البيان، ٨/ ١٢٣.

(٦) الطحاوية، ص: ٤٧٢.

بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال"(١)

ويقول السفاريني: "فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان، كما قال ابن عباس، والحسن البصري، وصرح بذلك علماؤنا، والأشعرية وغيرهم، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه"(٢)

ويقول البرديسي: "وانعقد الإجماع على أنه ميزان حسي له كفتان ولسان يوضع فيه صحف أعمال العباد ليظهر الرابح والخاسر"(٣)

ويروى من طريق عبد الملك بن أبي سليمان أنه قال: "ذكر الميزان عند الحسن فقال: له لسان وكفتان"(٤)

وعن سليمان قال: "يوضع الميزان وله كفتان، لو وضع في إحداهما السموات والأرض ومن فيهن لوسعته"(٥)

ويقول الهراس: "وهناك تنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد، وهي موازين حقيقية كل ميزان منها له لسان وكفتان، ويقلب الله أعمال العباد –وهي أعراض– أجساماً لها ثقل، فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة"(٦)

ونقتصر في إثبات أن الميزان له لسان وكفتان على ما قدمناه من ذكر أقوال العلماء.

وبهذا يتبين أن أهل الحق –أهل السنة والجماعة– يثبتون حقيقة الميزان على ضوء ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم–، لا يتأولون معناه، ولا يردون ما جاء في

---

(١) نقله عنه الحافظ ابن حجر في، فتح الباري، ١٣/ ٥٣٨.

(٢) لوامع الأنوار، ٢/ ١٥٢.

(٣) تكملة شرح الصدور، ص: ١٤.

(٤) تفسير المنار، ٨/ ٣٢٢.

(٥) فتح الباري، ١٣/ ٥٣٩.

(٦) شرح العقيدة الواسطية، ص: ١٢٣.

وصفه، ويقولون: الله وحده هو الذي يعلم قدرهما وكيفيتهما.

إذ لو لم يكن له لسان وكفتان؛ بل هو بمعنى العدل والقضاء كما ذهب إليه بعض العلماء، لو لم يكن كذلك لما وصف في السنة النبوية بأن له لسانا وكفتين، وأنه يخف ويثقل؛ إذ العدل لا يقال فيه تلك الصفات، فصح أنه ميزان حقيقي يزن الله فيه أعمال العباد، فمن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته دخل النار، على ما علم من مذهب السلف.

وإذ كنا نثبت صفات الميزان على ضوء ما جاء به الشرع فإنه لا ينبغي أن نتكلف فنثبت له أوصافًا تحتاج إلى إثبات من الشارع، أو نستند إلى أخبار لم تثبت، فإن الغلو في هذا مذموم.

وكمثال على هذا: ما يذهب إليه بعض الناس من أن كفتي الميزان من ذهب.(١)

أو القول بأن كفة الحسنات من نور، وكفة السيئات من ظلام.(٢)

أو أن كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة، وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار"(٣)

أو ما يقال إن صاحب الميزان يوم القيامة هو جبريل عليه السلام.(٤)

فتلك المسائل كلها تحتاج لإثباتها-فضلاً عن اعتقادها-إلى نص صحيح، فإن بعض العلماء يتساهل فيما يقرره من هذه المسائل، مثل ما يرويه السفاريني بصيغة التضعيف-يروى-"أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان، فلما رآه غشي عليه، فلما أفاق قال: إلهي من ذا الذي يقدر يملأ كفة حسناته؟ فقال: إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة"(٥)

---

(١) الفصل لابن حزم، ٤/ ٦٥.

(٢) التذكرة، ص: ٣١٣.

(٣) التذكرة، ص: ٣١٤، وعزاه إلى الترمذي الحكيم.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٨/ ١٢٣ عن الحارث، قال: ثنا عبد العزيز قال: ثنا يوسف بن صهيب، عن موسى بن بلال ابن يحيى، عن حذيفة.

(٥) ذكره السفاريني في لوامع الأنوار ٢/ ١٨٤ وعزاه إلى الرازي والثعلبي

أو ما يذكره عن عبد الله بن سلام-رضي الله عنه-غير معزو إلى أحد-أنه قال: "ميزان رب العالمين ينصب للجن والإنس، يستقبل به العرش، إحدى كفتيه على الجنة، والأخرى على جهنم، لو وضعت السموات والأرض في إحداهما لوسعتهن، وجبريل آخذ بعمود ينظر إلى لسانه"[١]

وكذا ما يروى عن عمر مرفوعاً: «**من كبر تكبيرة في سبيل الله، كانت صخرة في ميزانه أثقل من السموات السبع وما فيهن وما تحتهن، وأعطاه الله بها رضوانه الأكبر، وجمع بينه وبين محمد وإبراهيم والمرسلين في دار الجلال: ينظر إلى الله بكرة وعشياً**».[٢]

وفي رواية أخرى عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من كبر تكبيرة على ساحل البحر، كان في ميزانه صخرة، قيل: يا رسول الله، وما قدرها؟ قال: تملأ ما بين السموات والأرض**».[٣]

ويقول السفاريني: "ظواهر الآثار وأقوال العلماء: أن كيفية الوزن في الآخرة-خفة وثقلاً-مثل كيفيته في الدنيا، ما ثقل نزل إلى أسفل ثم يرفع إلى عليين، وما خف طاش إلى أعلى ثم نزل إلى سجين، وبه صرح جموع، منهم القرطبي".

وقال بعض المتأخرين بل الصفة مختلفة، وأن عمل المؤمن إذا رجح صعد وسفلت سيئته، والكافر تسفل كفته لخلو الأخرى عن الحسنات، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: الآية: ١٠].

وذكر بعضهم في صفة الوزن: أن تجعل جميع أعمال العباد في الميزان في مرة واحدة، كل الحسنات في كفة النور، وهي يمين العرش جهة الجنة، والسيئات في كفة الظلمة، وهي عن يسار

---

(١) لوامع الأنوار، ٢/ ١٨٤ ولم يعزه إلى أحد.

(٢) قال السيوطي في اللآلئ المصنوعة: "قال ابن حبان لا أصل له، وإسحاق يأتي بالموضوعات عن الثقات، قلت-وكذا قال الدارقطني في غرائب مالك إنه موضوع ٢/ ١٣٧.

(٣) قال ابن عدي: "هذا ما وضعه النخعي، وزيد ليس بشيء" اللآلئ المصنوعة ٢/ ١٣٧.

جهة النار، ويخلق الله لكل إنسان علمًا ضروريًا يدرك به خفة أعماله وثقلها.

وقيل: بل علامة الرجحان عمود نور يقوم في كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيئات، وعلامة الخفة عمود ظلمة يقوم من كفة السيئات حتى يكسو كفة الحسنات، لكل أحد.[(١)]

والظاهر أن هذه الكيفيات كلها تحتاج إلى إثبات، فهي مسألة غيبية، والله تعالى له القدرة على ما يشاء.

٢ – النافون لصفات الميزان:

وهؤلاء قالوا بعكس ما قاله الفريق الأول، حيث أحجموا عن وصف الميزان بالأوصاف التي تقدمت، واكتفوا بإثبات أن هناك ميزانًا فقط.

١-يقول محمد رشيد رضا في نفي تلك الصفات وفي رده على الزجاج: "وإذا لم يكن في الصحيحين ولا في كتب السنة المعتمدة حديث صحيح مرفوع في صفة الميزان، ولا في أن له كفتين ولساناً، فلا تغتر بقول الزجاج أن هذا مما أجمع عليه أهل السنة، فإن كثيراً من المصنفين يتساهلون بإطلاق كلمة الإجماع ولاسيما غير الحفاظ المتقنين، والزجاج ليس منهم، ويتساهلون في عزو كل ما يوجد في كتب أهل السنة إلى جماعتهم، وإن لم يعرف له أصل من السلف، ولا اتفق عليه الخلف منهم، وهذه المسألة مما اختلف فيه السلف والخلف كما علمت"[(٢)]

وقال أيضًا: "والأصل الذي عليه سلف الأمة في الإيمان بعالم الغيب: أن كل ما ثبت من أخباره في الكتاب والسنة فهو حق لا ريب فيه، نؤمن به، ولا نحكم رأينا في صفته وكيفيته، فنؤمن إذا بأن في الأخرة وزناً للأعمال قطعاً، ونرجع أنه بميزان يليق بذلك العالم، ويوزن به الإيمان، والأخلاق، والأعمال، ولا نبحث عن صورته وكيفيته، ولا عن كفتيه – إن صح الحديث فيهما – كما صوره الشعراني في ميزانه"[(٣)].

---

(١) لوامع الأنوار ٢/ ١٨٨-١٨٩.

(٢) تفسير المنار، ٨/ ٣٢٢.

(٣) تفسير المنار، ٨/ ٣٢٣.

والواقع أن ما قاله محمد رشيد رضا–من إنكار أن يكون هناك أي إشارة إلى أن الميزان له كفتان من السنة–غير مسلم فقد جاء في السنة بعض الأحاديث التي تدل على وزن العمل ووزن العامل وكما أخرج البخاري: «**يؤتي بالرجل فيوضع في كفة**»[(١)] وكقوله أيضاً: «**فطاشت السجلات وثقلت البطاقة**»[(٢)].وغيرها من الأحاديث التي قدمنا ذكرها، وفيها إشارة إلى إثبات أن ميزان الأعمال له كفتان.

ثم إن إثبات أن الميزان له كفتان لم يقل به الزجاج وحده، بل هو ما عليه الأئمة الذين قدمنا ذكر أقوالهم.

٢–ما علقه الدكتور طه محمد الزيني على ترجمة ابن كثير في إثبات أن للميزان كفتين حسيتين بقوله: "لا يوجد دليل قاطع في القرآن ولا في الحديث على أن كفتي ميزان الحساب يوم القيامة حسيتان — أي يدركان بإحدى الحواس الخمس، وأقرب الحواس إلى إدراك الكفتين اللمس باليد — بل كل ما في القرآن والحديث يحتمل أن يكون الوزن معنوياً، بل هو الأرجح؛ لأن الأعمال يوم القيامة أكثرها معنوي يقرب إلى الأذهان بتشبيهه بالحسيات"[(٣)]

وهذا القول من الدكتور طه الزيني يعتبر بعيدًا عما قرره العلماء، ومخالفًا لما جاءت به السنة في وزن الأعمال، وليس ما يذكره من أعمال يوم القيامة من الأشياء المتخيلة التي يشبه فيها المعنوي بالحسي.فإن القول بهذا يفتح بابًا خطيرًا من التشكيك في أمور الآخرة، وينبغي على من يقول بهذا أن يعيد النظر فيه

المسألة الخامسة: خلاف العلماء في الميزان هل هو واحد أم متعدد:

---

(١) الحديث رواه أحمد ٢/ ٢٢١ ٧٠٦٦ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٨٢ رواه الترمذي باختصار، رواه أحمد وفيه بن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد ١٢/ ٢٤: إسناده صحيح.

(٢) الحديث رواه الترمذي ٢٦٣٩، وابن ماجه ٣٤٨٨ وأحمد ٢/ ٢١٣ ٦٩٩٤، والحاكم ١/ ٤٦ من حديث ابن عمرو–رضي الله عنهما–، قال الترمذي: حسن غريب، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين، وهو على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال البغوي في شرح السنة ٧/ ٤٩٠ حسن غريب.

(٣) النهاية، ٢/ ٩١.

وقد اختلف العلماء في وحدة الميزان وتعدُّده على مذهبين:

المذهب الأول: القائلون بتعدد الميزان:

قال الحسن البصري-رحمه الله تعالى-: "بلغني أن لكل أحد يوم القيامة ميزانًا على حدة"[(١)].

وقال بعضهم: الأظهر إثبات موازين يوم القيامة لا ميزان واحد؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٤٧]، وقوله: ﴿فمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: ٨].

وقالوا: وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال الجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان.

المذهب الثاني: القائلون بوحدة الميزان:

فذهب هؤلاء إلى أن لكل فرد ميزانًا خاصًّا به أو لكل عمل ميزان خاص به؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: الآية: ٤٧].

وأجابوا عن جمع كلمة «**الموازين**» في الآية: إلى أن الميزان واحد، وأن الجمع في الآية إنما هو باعتبار تعدُّد الأعمال أو الأشخاص.

وقد رجَّح ابن حجر العسقلاني-رحمه الله تعالى-بعد حكايته الخلاف أن الميزان واحد، وقال: "والذي يترجح أنه ميزان واحد، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله؛ لأن أحوال القيامة لا تكيَّف بأحوال الدنيا"[(٢)]

وحَسَّنَ السفاريني رحمه الله تعالى القول بوحدة الميزان بعد ذكر الإجابة عن جمع كلمة «**الموازين**» في الآية بقوله: "وَهُوَ حَسَنٌ"[(٣)].

ومن المعاصرين الذين يرون هذا القول الشيخ العثيمين-رحمه الله تعالى-في الجواب عن سؤال عن وحدة الميزان وتعدده، فقال-بعد ذكر الخلاف بين أهل العلم-: "الذي يظهر-والله أعلم-

---

(١) أورده ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢/ ٣٧٦، ونسبه إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى.

(٢) "فتح الباري شرح صحيح البخاري"؛ لابن حجر العسقلاني، ١٣/ ٥٣٨.

(٣) لوامع الأنوار البهية للسفاريني، ٢/ ١٨٦.

أن الميزان واحد، لكنه متعدد باعتبار الموزون"[(١)]

المسألة السادسة: الأقوال في الموزون:

اختلف أهل العلم في الموزون في ذلك اليوم على أقوال:

القول الأول: أن الذي يوزن في ذلك اليوم الأعمال نفسها، وأنها تجسم فتوضع في الميزان.

أدلته: ويدل لذلك:

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه في «**الصحيح**» قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».[(٢)]
- وقد دلت نصوص كثيرة على أن الأعمال تأتي في يوم القيامة في صورةٍ الله أعلم بها، فمن ذلك: مجيء القرآن شافعاً لأصحابه في يوم القيامة، وأن البقرة وآل عمران تأتيان كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف تحاجّان عن أصحابهما.ففي «**صحيح مسلم**» عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه.اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما**»[(٣)].وروى مسلم أيضاً عن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–يقول: «**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان، أو ظلتان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما**».[(٤)]

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. ٢/ ٤٤، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان.

(٢) رواه البخاري ٦٤٠٦، ومسلم ٢٦٩٤.

(٣) رواه مسلم ٨٠٤.

(٤) رواه مسلم ٨٠٥.

القائلين به: هذا القول رجَّحه ابن حجر العسقلاني ونصره، فقال: والصحيح أن الأعمال هي التي توزن، وقد أخرج أبو داود والترمذي، وصححه ابن حبان عن أبي الدرداء عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «**ما يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من حسن الخلق**» [(١)].

القول الثاني: أن الذي يوزن هو العامل نفسه.

أدلته: فقد دلَّت النصوص على أن العباد يوزنون في يوم القيامة، فيثقلون في الميزان أو يخفون بمقدار إيمانهم، لا بضخامة أجسامهم، وكثرة ما عليهم من لحم ودهن، ففي «**صحيح البخاري**» عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾[الكهف: ١٠٥]**» [(٢)]. **ويؤتى بالرجل النحيف الضعيف دقيق الساقين فإذا به يزن الجبال، روى أحمد في** «**مسنده**»، عن زر بن حبيش عن ابن مسعود، «**أنه كان رقيق الساقين، فجعلت الريح تلقيه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مم تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله من رقة ساقيه.قال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد**» [(٣)].

القول الثالث: أن الذي يوزن إنما هو صحائف الأعمال.

أدلته: فقد روى الترمذي في «**سننه**» عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: «**إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلًا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاَ؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟**

---

(١) رواه أبو داود ٤٧٩٩، والترمذي ٢٠٠٣، وابن حبان ٢/ ٢٣٠ والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود: صحيح.

(٢) رواه البخاري ٤٧٢٩، ومسلم ٢٧٨٥.

(٣) رواه أحمد ١/ ٤٢٠ ٣٩٩١، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد ٦/ ٣٩: إسناده صحيح، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٧٥٠: إسناده حسن وهو صحيح بطرقه الكثيرة.

فيقول: لا يا رب.فيقول الله تعالى: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء».(١)

القائلين به: وقد مال القرطبي إلى هذا القول، فقال: والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف، قال ابن عمر: توزن صحائف الأعمال، وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام، فيجعل الله تعالى: رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلاً على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار.وقال السفاريني: والحق أن الموزون صحائف الأعمال، وصححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما، وصوبه الشيخ مرعي في «**بهجته**»، وذهب إليه جمهور من المفسرين، وحكاه ابن عطية عن أبي المعالي.

القول الرابع: أن الذي يوزن هو العامل وعمله وصحف أعماله.

أدلته: فقد دلت النصوص التي سقناها على أن كل واحد من هذه الثلاثة يوزن، ولم تنف النصوص المثبتة لوزن الواحد منها أن غيره لا يوزن، فيكون مقتضى الجمع بين النصوص إثبات الوزن للثلاثة المذكورة جميعها.وهذا ما رجحه الشيخ حافظ الحكمي فقال: "والذي استظهر من النصوص–والله أعلم–أن العامل وعمله وصحيفة عمله — كل ذلك يوزن، لأن الأحاديث التي في بيان القرآن، قد وردت بكل ذلك، ولا منافاة بينها، ويدل كذلك ما رواه أحمد–رحمه الله تعالى–: عن عبدالله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ: قال: قال رسول الله: «**توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل، فيوضع في كفة، ويوضع ما أحصي عليه، فيمايل به**

---

(١) رواه الترمذي ٢٦٣٩، والحديث رواه ابن ماجه ٤٣٠٠، وأحمد ٢/ ٢١٣ والحاكم ١/ ٤٦ قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين وهو صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ١٣٥: وهو كما قالا.

الميزان.قال: فيبعث به إلى النار.قال: فإذا أدبر، إذ صائح من عند الرحمن–عز وجل– يقول: لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله، فتوضع مع الرجل في كفة، حتى يميل به الميزان»[(١)] فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن، ولله الحمد والمنة.

المسألة السابعة: كيفية وزن الأعمال

قال الإمام القرطبي–رحمه الله–: «**قال علماؤنا–رحمهم الله–: الناس في الآخرة ثلاث طبقات:**

- **متقون لا كبائر لهم.**
- **ومخلطون وهم الذين يوافون بالفواحش والكبائر.**
- **والثالث: الكفار.**

فأمَّا المتقون: فإن حسناتهم تُوضع في الكفة النيرة، وصغائرهم–إن كانت لهم الكفة الأخرى–فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنًا، وتثقل الكفة النيرة حتى لا تَبرح، وترتفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالي.

وأمَّا المخلطون: فحسناتهم توضع في الكفة النيرة، وسيئاتهم في الكفة المظلمة، فيكون لكبائرهم ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصؤابة دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصؤابة دخل النار إلا أن يغفر الله، وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف على ما يأتي، هذا إن كانت للكبائر فيما بينه وبين الله، وأما إن كانت عليه تبعات وكانت له حسنات كثيرة فإنه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات؛ لكثرة ما عليه من التبعات؛ فيُحمل عليه مِن أوزار مَن ظلمه، ثم يُعَذَّب على الجميع.هذا ما تقتضيه

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٢٢١ ٧٠٦٦، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٨٢: رواه الترمذي باختصار، رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد ١٢/ ٢٤: إسناده صحيح.

الأخبارُ"[(١)]

وأمَّا الكفار: فلا تُوزن أعمالهم؛ إذ لا حسنات لهم، وما قَدَّموه مِن عمل نافع في الدنيا فإنَّهم يجازون به في الدنيا كذلك؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: الآيتان: ١٥، ١٦]، فيُوفون جزاء أعمالهم النافعة في الدنيا، وأما في الآخرة فليس لهم فيها نصيب من الحسنات والأجر، وإنما يجازون بكفرهم.

فما يقدِّمه الكافر من أعمال صالحة، كالصدقة، والعتق، وصلة الأرحام، والإنفاق، ونحوها من سبل الخير لا تُغني عنه شيئا، فالله تعالى:

شبهها بالسراب، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: الآية: ٣٩].

وشبهها بالرماد، فقال: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: الآية: ١٨].

وسيجعلها هباءً منثوراً، فقال: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: الآية: ٢٣].

وبيَّن أنهم بأعمالهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وهم في خسارة لا يقام لهم وزن يوم القيامة، فقال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآيات: ١٠٣ – ١٠٥].

---

(١) التذكرة للقرطبي ص: ٣٦٠.

عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر–رضي الله عنهما–: كيف سمعت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه–عز وجل–، حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف.قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم.فيعطى صحيفة حسناته.وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله». (١)

عن عائشة–رضي الله عنها–، أنها ذَكَرَتِ النار، فبَكَت، فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «**ما يبكيكِ؟ قالت: ذكرتُ النار فبكَيتُ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: أما في ثلاثة مواطن، فلا يذكر أحدٌ أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخِفُّ ميزانه أو يثقُل، وعند الكتاب حين يُقال: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: الآية: ١٩]، حتى يعلم أين يقع كتابه؛ أفي يمينه، أم في شماله، أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وُضِع بين ظَهْرَي جهنم».** (٢)

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٤١، ومسلم ٢٧٦٨ واللَّفظُ له.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ١١٠، وأبو داود في السنن ٢/ ٤٢٥، والحاكم النيسابوري في المستدرك ٤/ ٥٧٨، إسحاق بن راهويه في مسنده ٣/ ٧٤٠، والآجري في الشريعة ٢/ ٤٩٥، وعبد الرزاق الصنعاني في تفسيره ٣/ ٤٨، ٣١٤، والنحاس في معاني القرآن ٤/ ٣٧٢، وأورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو داود والآجرى في الشريعة والحاكم وصححه والبيهقي في البعث أبو الشيخ وابن مردويه، وأورده الهيثمى في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٨ للحديث ثلاثة طرق عن عائشة الأول: من طريق الشعبي عن عائشة، اسناده منقطع عامر الشعبي لم يسمع من عائشة ورجاله موثقون وله طريق متصل في الوسيط في تفسير القرآن المجيد ومعاني القرءان للنحاس، عن عامر الشعبي عن مسروق عن عائشة، واسناده ضعيف فيه عصام بن طليق. الثاني: من طريق قتادة مرسلا –تفسير الصنعاني ١٩٤٠–[١٩٨٨]، اسناده ضعيف مرسل والراجح أن قتادة سمعه من الحسن. الثالث: من طريق خالد بن أبي عمران عن القاسم عن عائشة كما جاء في مسند الامام أحمد، اسناده ضعيف ورجاله موثقون غير عبد الله بن لهيعة ضعفوه. بالإضافة الى طريق الحسن، فقد أخرجه أبو داود ٤٧٥٥، وأحمد مختصرا ٢٤٦٩٦، والحاكم بنحوه في "مستدركه" ٨٧٢٢ من طريق الحسن عن عائشة. قال الحاكم: "هذا حديثٌ صحيحٌ إسنادُه على شرط الشيخين لولا إرسالٌ فيه بين الحسن وعائشة، على أنه قد صحَّت الروايات أنَّ الحسن كان يدخل وهو صبيٌّ منزل عائشة–رضي الله عنها– وأمِّ سلمة"، وقال الذهبي: "على شرط البخاري ومسلم لولا إرسالٌ فيه بين الحسن وعائشة". ولعل الحديث يرتقي إلى الحسن لغيره والله أعلم.

٥٩-نشر الدواوين

[٥٩]- قال المصنف رحمه الله: وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَّراءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا اقْرَأْ كَتَابَكَ كفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣: ١٤].

الشرح

أولًا: الأدلة على ذلك:

أ-الأدلة من القرآن:

١-قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: الآية: ١٠] .

قال ابن جرير: "قوله: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: الآية: ١٠] يقول تعالى ذكره: وإذا صحف أعمال العباد نشرت لهم، بعد أن كانت مطوية على ما فيها مكتوب من الحسنات والسيئات". [(١)]

وقال السمعاني: "قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: الآية: ١٠]، يعني: على الخلائق؛ فمنهم من يعطى بيمينه، ومنهم من يعطى بشماله". [(٢)]

وقال البيضاوي: "﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: الآية: ١٠]، يعني صحف الأعمال؛ فإنها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب. وقيل: نشرت فرقت بين أصحابها. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد نشرت للمبالغة في النشر، أو لكثرة الصحف، أو شدة التطاير". [(٣)]

٢- قال الله-عز وجل-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا *

---

(١)ينظر: تفسير ابن جرير «٢٤/ ١٤٨».

(٢)ينظر: تفسير السمعاني «٦/ ١٦٨».

(٣)ينظر: تفسير البيضاوي «٥/ ٢٨٩».

وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْـرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ * فَسَـوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْـلَىٰ سَعِيرًا * إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: الآيات: ٧-١٣].

قال ابن كثير: "﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: الآيتان: ٧-٨]، أي: ســهلا بلا تعســير، أي: لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله؛ فإن من حوســب كذلك يهلك لا محالة... قوله تعالى: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْـرُورًا﴾ [الانشــقاق: الآية: ٩]، أي: ويرجع إلى أهله في الجنة. قاله قتادة والضحاك مسرورا أي: فرحان مغتبط بما أعطاه الله عز وجل... وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشـــقاق: الآية: ١٠]، أي: بشـــماله من وراء ظهره، تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك، ﴿فَسَـــوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ [الانشقاق: الآية: ١١]، أي: خسارًا وهلاكًا، ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: الآية: ١٢]، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: الآية: ١٣]، أي: فرحًا لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل". [(١)]

وقال الســـعدي: "﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الانشـــقاق: الآية: ٧]، وهم أهل السعادة. ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: الآية: ٨] وهو العرض اليسير على الله، فيقرره الله بذنوبه، حتى إذا ظن العبد أنه قد هلك، قال الله تعالى له: «**إني قد ســـترتها عليك في الدنيا، فأنا أسترها لك اليوم**». ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْـرُورًا﴾ [الانشـقاق: الآية: ٩]، لأنه نجا من العذاب وفاز بالثواب، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق: الآية: ١٠]، أي: بشـماله من خلفه. ﴿فَسَـوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ [الانشـقاق: الآية: ١١]، من الخزي والفضـــيحة، وما يجد في كتابه من الأعمال التي قدمها ولم يتب منها، ﴿وَيَصْـــلَىٰ سَـــعِيرًا﴾ [الانشـقاق: الآية: ١٢]، أي: تحيط به السـعير من كل جانب، ويقلب على عذابها؛ وذلك لأنه في الدنيا كان في أهله مسرورا لا يخطر البعث على باله، وقد أساء ولم يظن أنه راجع إلى

(١) ينظر: تفسير ابن كثير «٨/ ٣٥٦-٣٥٨».

ربه وموقوف بين يديه". [(١)]

٣- قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: الآيات: ١٣-١٤].

قال البغوي: "﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ أي: يقال له اقرأ كتابك، قوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾. قال الحسن: لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك. قال قتادة: سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا". [(٢)]

وقال ابن كثير: "قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ أي: نجمع له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيامة؛ إما بيمينه إن كان سعيدا، أو بشماله إن كان شقيا منشورا أي: مفتوحا يقرؤه هو وغيره، فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: الآيات: ١٣ - ١٥] ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ أي: إنك تعلم أنك لم تظلم ولم يكتب عليك غير ما عملت؛ لأنك ذكرت جميع ما كان منك، ولا ينسى أحد شيئا مما كان منه، وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي". [(٣)]

٤- قال الله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: الآيات: ١٩ - ٢٩] .

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن سعادة من أوتي كتابه يوم القيامة بيمينه، وفرحه بذلك،

---

(١) ينظر: تفسير السعدي «ص: ٩١٧».
(٢) ينظر: تفسير البغوي «٣/ ١٢٤».
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير «٥/ ٥١».

وأنه من شـدة فرحه يقول لكل من لقيه: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ أي: خذوا اقرؤوا كتابيه؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة؛ لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات... وقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَـــابِيَهْ﴾ أي: قد كنت موقنا في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة، كما قال: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: الآية: ٤٦] ...﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَـــابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِـــيَةَ﴾.... وهذا إخبار عن حال الأشـقياء إذا أعطي أحدهم كتابه في العرصـات بشـماله، فحينئذ يندم غاية الندم، فيقول: ﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَـــابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِـــيَةَ﴾... قال الضـــحاك: يعني موتة لا حياة بعدها. وكذا قال محمد بن كعب، والربيع، والسدي. وقال قتادة: تمنى الموت، ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه!". (١)

وقال السعدي: "هؤلاء هم أهل السعادة يعطون كتبهم التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم تمييزا لهم وتنويها بشأنهم ورفعا لمقدارهم، ويقول أحدهم عند ذلك من الفرح والسرور ومحبة أن يطلع الخلق على ما من الله عليه به من الكرامة: هاؤم اقرءوا كتابيه أي: دونكم كتابي فاقرؤوه؛ فإنه يبشر بالجنات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب...

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِـــمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَـــابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾....

هؤلاء أهل الشـقاء يعطون كتب أعمالهم السيئة بشـمالهم تمييزا لهم وخزيا وعارا وفضيحة، فيقول أحدهم من الهم والغم والخزي: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾، لأنه يبشـــر بدخول النار والخسـارة الأبدية. ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ أي: ليتني كنت نسيا منسيا ولم أبعث وأحاسـب؛ ولهذا قال: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِـــيَةَ﴾ أي: يا ليت موتتي هي الموتة التي لا بعث بعدها". (٢)

(١) يُنظر: تفسير ابن كثير «٨/ ٢١٣-٢١٥».

(٢) يُنظر: تفسير السعدي «ص: ٨٨٣».

٥- قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: الآية: ٧١] .

قال السمعاني: "قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ فيه أقوال: أحدها: بنبيهم، والآخر: بكتابهم، والثالث: بأعمالهم... وقوله تعالى: فمن أوتي كتابه بيمينه ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾، والكتاب: هو صحيفة الحسنات والسيئات.

وقوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: لا ينقص من حقهم بقدر الفتيل. والفتيل: هو الذي في شق النواة، وقيل: ما فتل بين الأصابع". [١]

وقال البيضاوي: "فمن أوتي من المدعوين كتابه بيمينه أي كتاب عمله. فأولئك يقرؤون كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه. ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء، وجمع اسم الإشارة والضمير؛ لأن من أوتي في معنى الجمع، وتعليق القراءة بإيتاء الكتاب باليمين يدل على أن من أوتى كتابه بشماله إذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القراءة؛ ولذلك لم يذكرهم". [٢]

ب-الأدلة من السنة:

عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر-رضي الله عنهما-: كيف سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «**يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه-عز وجل-، حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف. قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم. فيعطى صحيفة حسناته. وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله**». [٣]

---

(١) يُنظر: تفسير السمعاني «٣/ ٢٦٣».

(٢) يُنظر: تفسير البيضاوي «٣/ ٢٦٢».

(٣) أخرجه البخاري «٢٤٤١»، ومسلم «٢٧٦٨» واللَّفظُ له.

عن عائشة–رضي الله عنها–، أنها ذَكَرَتِ النار، فبَكَت، فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: **«ما يبكيكِ؟ قالت: ذكرتُ النار فبكَيتُ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: أما في ثلاثة مواطن، فلا يذكر أحدٌ أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخِفُّ ميزانه أو يثقُل، وعند الكتاب حين يُقال: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: الآية: ١٩]، حتى يعلم أين يقع كتابه؛ أفي يمينه، أم في شماله، أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وُضِع بين ظَهْرَي جهنم»**.[(١)]

ثانيًا: أقوال أهل العلم في ذلك:

١– قال ابن حزم: "الصحف تكتب فيها أعمال العباد، الملائكة حق نؤمن بها ولا ندري كيف هي ... وأن الناس يعطون كتبهم يوم القيامة، فالمؤمنون الفائزون الذين لا يعذبون يعطونها بأيمانهم، والكفار بأشملهم، والمؤمنون أهل الكبائر وراء ظهورهم".[(٢)]

٢– قال أبو الحسن الأشعري: "الخلق يؤتون يوم القيامة بصحائف فيها أعمالهم، فمن

---

(١) أخرجه أحمد في المسند «٦/ ١١٠»، وأبو داود في السنن «٢/ ٤٢٥»، والحاكم النيسابوري في المستدرك «٤/ ٥٧٨»، إسحاق بن راهويه في مسنده «٣/ ٧٤٠»، والآجري في الشريعة «٢/ ٤٩٥»، وعبد الرزاق الصنعاني في تفسيره «٣/ ٤٨، ٣١٤»، والنحاس في معاني القرآن «٤/ ٣٧٢»، وأورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو داود والآجرى في الشريعة والحاكم وصححه والبيهقي في البعث أبو الشيخ وابن مردويه، وأورده الهيثمى في مجمع الزوائد «١٠/ ٣٥٨». للحديث ثلاثة طرق عن عائشة الأول: من طريق الشعبي عن عائشة، اسناده منقطع عامر الشعبي لم يسمع من عائشة ورجاله موثقون وله طريق متصل في الوسيط في تفسير القرآن المجيد ومعاني القرءان للنحاس، عن عامر الشعبي عن مسروق عن عائشة، واسناده ضعيف فيه عصام بن طليق الثاني: من طريق قتادة مرسلا –تفسير الصنعاني «١٩٤٠»–[١٩٨٨]، اسناده ضعيف مرسل والراجح أن قتادة سمعه من الحسن. الثالث: من طريق خالد بن أبي عمران عن القاسم عن عائشة كما جاء في مسند الامام أحمد، اسناده ضعيف ورجاله موثقون غير عبد الله بن لهيعة ضعفوه. بالإضافة الى طريق الحسن، فقد أخرجه أبو داود «٤٧٥٥»، وأحمد مختصرا «٢٤٦٩٦»، والحاكم بنحوه في "مستدركه" «٨٧٢٢» من طريق الحسن عن عائشة. قال الحاكم: "هذا حديثٌ صحيحٌ إسنادُه على شرط الشيخين لولا إرسالٌ فيه بين الحسن وعائشة، على أنه قد صحَّت الروايات أنَّ الحسن كان يدخل وهو صبيٌّ منزل عائشة–رضي الله عنها– وأمّ سلمة"، وقال الذهبي: "على شرط البخاري ومسلم لولا إرسالٌ فيه بين الحسن وعائشة". ولعل الحديث يرتقي إلى الحسن لغيره والله أعلم.

(٢) ينظر: المحلى «١/ ١٧».

أوتي كتابه بيمينه حوسب حسابا يسيرا، ومن أوتي كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيرا". [(١)]

٣- قال القرطبي: "فإذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي يؤتونها بعد البعث حوسبوا بها، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: الآية: ٧-٨]، فدل على أن المحاسبة تكون عند إتيان الكتب؛ لأن الناس إذا بعثوا لا يكونون ذاكرين لأعمالهم. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: الآية: ٦]... فإذا بعثوا من قبورهم إلى المواقف وقاموا فيها ما شاء الله تعالى -على ما تقدم- حفاة عراة، وجاء وقت الحساب الذي يريد الله أن يحاسبهم فيه، أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس، فأوتوها؛ فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه، فأولئك هم السعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أو من وراء ظهره، وهم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كل كتابه... فتوهم نفسك يا أخي إذا تطايرت الكتب، ونصبت الموازين، وقد نوديت ونوه باسمك على رءوس الخلائق؛ أين فلان بن فلان؟ هلم إلى العرض على الله تعالى... فتوهم نفسك وأنت بين يدي ربك، في يدك صحيفة مخبرة بعملك، لا تغادر بلية كتمتها، ولا مخبأة أسررتها، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل، وقلب منكسر، والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك، فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكركها! وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها! وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فرده عليك في ذلك الموقف، وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيما! فيا حسرة قلبك! ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك!". [(٢)]

٤- قال ابن تيمية: "تنشر الدواوين، وهي صحائف الأعمال. فآخذ كتابه بيمينه. وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره. كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ

---

(١) ينظر: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب «ص: ١٦٢».

(٢) ينظر: التذكرة «١/ ٢٩٤».

حَسِيبًا﴾ [الإسراء: الآيات: ١٣-١٤]". [1]

٥- قال السفاريني: "الصحف جمع صحيفة، وهي الكتب كتبتها الملائكة، وأحصوا ما فعله كل إنسان من سائر أعماله في الدنيا، القولية والفعلية... والحاصل أن نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الإيمان به، وعقد القلب بأنه حق لثبوته بالكتاب والسنة والإجماع". [2]

٦- قال ابن باز: "يجب الإيمان بما أخبر الله به ورسوله من أمر القيامة، والجنة والنار، والحساب والجزاء، ونشر الصحف، وأخذها باليمين أو الشمال، ووزن الأعمال، إلى غير ذلك مما جاءت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية". [3]

٧- قال ابن عثيمين: "الصحف يعني الصحف التي كتبت فيها أعمال العبد، وهي التي كتبتها الملائكة في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: الآيات: ٩-١١].

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: الآيات: ١٣-١٤].

فهذه الصحف قد كتبت من قبل وسجلت، فتنشر يوم القيامة، ويقال للرجل: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: الآية: ١٤]، وقد قال بعض السلف: والله لقد أنصفك من جعلك حسيبا على نفسك. وهذه الصحف تنشر وتتطاير، فينقسم الناس فيها إلى قسمين: قسم يأخذها باليمين، وقسم يأخذها بالشمال، وفي آية ثالثة من وراء الظهر، ويحتمل أن تكون هذه صفة ثالثة، ويحتمل أن تكون صفة في صفة الشمال، وهو

(١) ينظر: العقيدة الواسطية «ص: ٩٨».

(٢) ينظر: لوامع الأنوار البهية «٢/ ١٨٠».

(٣) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز «٩/ ٣٩٨».

الصنف الثاني، وهذا هو الأقرب، والأول محتمل". [١]

---

(١) ينظر: شرح العقيدة السفارينية «ص: ٤٦٩».



٦٠- الحساب

[٦٠] - قال المصنف رحمه الله: «وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ حَسَنَات لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا، ويُجْزَوْن بها».

الشرح

المسألة الأولى: تعريف الحساب لغة وشرعًا:

الحساب لغة: عد الله على الخلق أعمالهم وتعريفه عز وجل الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم ما قد نسوه من ذلك، وأصل «**حسب**» يدل على العد. [١]

الحساب شرعًا: قال السفاريني: "قال الثعلبي: الحساب تعريف الله عز وجل الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم ما قد نسوه من ذلك، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه﴾ [المجادلة: الآية: ٦] ، وقال بعضهم: معنى كونه محاسبًا لخلقه أنه تعالى يعلمهم ما لهم، وما عليهم... واصطلاحا: توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم، خيرا كانت أو شرا، تفصيلا لا بالوزن، إلا من استثنى منهم". [٢]

وقال القرطبي: "يوم الحساب، ومعناه: أن الباري سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة، يعدد عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض، فما يشف منها على الآخر حكم للمشفوف بحكمه الذي عينه، للخير بالخير، وللشر بالشر". [٣]

---

(١) يُنظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس «٢/ ٥٩»، «تفسير الثعلبي» «٥/ ٢٤٩».

(٢) يُنظر: «لوامع الأنوار» «٢ / ١٧١».

(٣) يُنظر: «التذكرة» «١/٢٥٩».

وقال ابن عثيمين: "المحاسبة: إطلاع العباد على أعمالهم يوم القيامة". [١]

وقال صالح آل الشيخ: "الحساب هو المقصود من الإيمان باليوم الآخر، فإن الإيمان بالبعث معناه الإيمان بيوم يرجع فيه الناس إلى الله فيحاسبون، وحقيقة الإيمان بالبعث هو الإيمان بالحساب؛ لأنه ما ثم شيء إلا سيحاسب الله جل وعلا عبده عليه، وقد جاءت الآيات والأحاديث الكثيرة في إثبات الحساب، فإنكاره كفر بالله جل وعلا؛ لأن من أنكر الحساب فهو منكر للبعث". [٢] . [٣]

المسألة الثانية: الأدلة على ثبوت الحساب:

أولًا: من القرآن الكريم:

١- قال الله تعالى: ﴿واتقوا الله إن الله سريع الحساب﴾ [المائدة: الآية: ٤] .

قال ابن جرير: "اعلموا أن الله سريع حسابه لمن حاسبه على نعمته عليه منكم، وشكر الشاكر منكم ربه على ما أنعم به عليه بطاعته إياه فيما أمر ونهى؛ لأنه حافظ لجميع ذلك فيكم، فيحيط به، لا يخفى عليه منه شيء، فيجازي المطيع منكم بطاعته والعاصي بمعصيته، وقد بين لكم جزاء الفريقين". [٤]

وقال الشوكاني: "قوله: واتقوا الله إن الله سريع الحساب أي: حسابه سبحانه سريع إتيانه، وكل آت قريب". [٥]

٢- قال الله سبحانه: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ [الأنبياء: الآية: ٤٧] .

---

(١) يُنظر: «شرح العقيدة الواسطية» «٢/ ١٥٢»..

(٢) يُنظر: «اللآلئ البهية» «٢/ ٢٤٢».

(٣) المصدر: الموسوعة العقدية على موقع الدرر السنية، المبحث الأول تعريف الحساب لغة وشرعًا.

(٤) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «٨/ ١٢٩».

(٥) يُنظر: «تفسير الشوكاني» «٢/ ١٧».

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: ونضع الموازين العدل، وهو القسط... وقوله: ليوم القيامة يقول: لأهل يوم القيامة، ومن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه... وقوله: فلا تظلم نفس شيئا يقول: فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيئا بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخسه ثواب عمل عمله، وطاعة أطاعه بها، ولكن يجازي المحسن بإحسانه، ولا يعاقب مسيئا إلا بإساءته... وقوله: وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها يقول: وإن كان الذي له من عمل الحسنات، أو عليه من السيئات وزن حبة من خردل أتينا بها يقول: جئنا بها، فأحضرناها إياه... وقوله: وكفى بنا حاسبينيقول: وحسب من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين؛ لأنه لا أحد أعلم بأعمالهم وما سلف في الدنيا من صالح أو سيئ منا". (١)

وقال السمعاني: "قوله: وكفى بنا حاسبين أي: محاسبين، وقيل: حافظين عالمين، وقيل: محصين". (٢)

وقال السعدي: "يخبر تعالى عن حكمه العدل، وقضائه القسط بين عباده إذا جمعهم في يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة، التي يبين فيها مثاقيل الذر، الذي توزن بها الحسنات والسيئات، فلا تظلم نفس مسلمة أو كافرة شيئا بأن تنقص من حسناتها، أو يزاد في سيئاتها.

وإن كان مثقال حبة من خردل التي هي أصغر الأشياء وأحقرها، من خير أو شر أتينا بها وأحضرناها، ليجازى بها صاحبها، كقوله: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾.

﴿وقالوا ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا﴾ [الكهف: الآية: ٤٩] .

وكفى بنا حاسبين يعني بذلك نفسه الكريمة، فكفى به حاسبا، أي: عالما بأعمال العباد حافظا لها مثبتا لها في الكتاب عالما بمقاديرها ومقادير ثوابها وعقابها واستحقاقها، موصلا

(١) ينظر: تفسير ابن جرير «١٦/ ٢٨٤-٢٨٧».

(٢) تفسير السمعاني.

للعمال جزاءها". (١)

٣- قال الله عز وجل: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابا يسيرا * وينقلب إلى أهله مسرورا﴾ [الانشقاق: الآيات: ٧-٩] .

قال ابن جرير: "قوله: فأما من أوتي كتابه بيمينه يقول تعالى ذكره: فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا بأن ينظر في أعماله، فيغفر له سيئها، ويجازى على حسنها، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل". (٢)

وقال ابن عطية: "الحساب اليسير: هو العرض: وأما من نوقش الحساب، فإنه يهلك ويعذب". (٣)

وقال ابن كثير : "فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابا يسيراأي: سهلا بلا تعسير، أي: لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله؛ فإن من حوسب كذلك يهلك لا محالة... قوله تعالى: وينقلب إلى أهله مسرورا أي: ويرجع إلى أهله في الجنة. قاله قتادة والضحاك، مسرورا أي: فرحان مغتبطا بما أعطاه الله عز وجل". (٤)

٤- قال الله تعالى: ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ [الرعد: الآية: ١٨] .

قال ابن عطية: "الذين لم يستجيبوا هم: الكفرة، وسوء الحساب هو: التقصي على المحاسب، وألا يقع في حسابه من التجاوز شيء". (٥)

---

(١) يُنظر: «تفسير السعدي» «ص: ٥٢٤».

(٢) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «٢٤/ ٢٣٦»..

(٣) يُنظر: «تفسير ابن عطية» «٥/ ٤٥٧».

(٤) يُنظر: «تفسير ابن كثير» «٨/ ٣٥٦».

(٥) يُنظر: «تفسير ابن عطية» «٣/ ٣٠٨».

وقال ابن الجوزي: "في سوء الحساب ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المناقشة بالأعمال، أخرجه ابو الجوزاء عن ابن عباس. وقال النخعي: هو أن يحاسب بذنبه كله، فلا يغفر له منه شيء. والثاني: ألا تقبل منهم حسنة، ولا يتجاوز لهم عن سيئة. والثالث: أنه التوبيخ والتقريع عند الحساب". [(١)]

وقال ابن عاشور: "سوء الحساب ما يحف بالحساب من إغلاظ وإهانة للمحاسب، وأما أصل الحساب فهو حسن؛ لأنه عدل". [(٢)]

٥- قال الله عز وجل: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ [النور: الآية: ٣٩] .

قال ابن جرير :«**والله سريع الحساب يقول: والله سريع حسابه؛ لأنه تعالى ذكره لا يحتاج إلى عقد أصابع ولا حفظ بقلب، ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله العبد، ومن بعده ما** عمله». [(٣)]

وقال البيضاوي: "والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب". [(٤)]

٦- قال الله تعالى: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب [غافر: ١٧] .

قال ابن عثيمين: "إن الله سريع الحساب أي: سريع محاسبة الخلائق على أعمالهم". [(٥)]

ثانيًا: الأدلة من السنة:

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من حوسب**

---

(١) يُنظر: «تفسير ابن الجوزي» «٢/ ٤٩٢».

(٢) يُنظر: «تفسير ابن عاشور» «١٣/ ١٢٣».

(٣) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «١٧/ ٣٢٦».

(٤) يُنظر: «تفسير البيضاوي» «٤/ ١٠٩».

(٥) يُنظر: «تفسير ابن عثيمين - سورة غافر» «ص: ١٧٠».

يوم القيامة عذب». فقلت: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ [الانشقاق: الآية: ٨] فقال: «**ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب**».(١)

قال الحليمي: "قيل في معنى العرض: هو أن يقرأ كتابه ليقرأه ويعرف ما كان منه من حسنة وسيئة، ثم يتجاوز عن سيئاته من غير أن يقال: لم فعلت هذا، ولم تركت هذا. فيسأل عن الحجة إذا سئل عنها لم يجدها، فكان العذاب يحق عليه. ومناقشة الحساب أن يقول: هلا فعلت هذا؟ أم هلا تركت هذا؟ ولم تركت هذا؟ ويطالب بالحجة، فإذا لم يجدها عذب. والله أعلم".(٢)

٢- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد؛ إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى صلى الله عليه وسلم وقومه، ولكن انظر إلى الأفق. فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه، فقال: هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون** ». فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «**أنت منهم**»، ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني

---

(١) أخرجه البخاري «١٠٣»، ومسلم «٢٨٧٦» واللَّفظُ له.

(٢) يُنظر: «المنهاج في شعب الإيمان» «١/ ٣٨٤».

منهم. فقال: «**سبقك بها عكاشة**» .[١]

وقال ابن عثيمين: "قوله: «**بغير حساب ولا عذاب**»: أي: لا يعذبون ولا يحاسبون كرامة لهم، وظاهره أنه لا في قبورهم، ولا بعد قيام الساعة".[٢]

٣- عن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اثنتان يكرههما ابن آدم: الموت، والموت خير للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب**» .[٣]

قال المناوي: "«**اثنان يكرههما ابن آدم**» غالبا، قيل: وما هما؟ قال: «**يكره الموت**» أي: نزوله به «**والموت**» أي: موته «**خير له من الفتنة**» أي: الكفر والضلال، أو الإثم أو الاختبار والامتحان ونحوها؛ وذلك لأنه ما دام حيا لا يأمن الوقوع في ذلك، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون... «**ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب**» يعني السؤال عنه كما في خبر: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع**»، وفيه: «**عن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟** ».[٤] أي: ولو حلالا»".[٥]

ثالثًا: أقوال العلماء:

١- قال حرب بن إسماعيل الكرماني: "يعرض عليه العباد يوم الفصل والدين، فيتولى

(١) أخرجه البخاري «٦٥٤١»، ومسلم «٢٢٠» واللَّفظُ له.

(٢) يُنظر: «القول المفيد» «١/ ١٠١».

(٣) أخرجه أحمد «٢٣٦٧٤» واللَّفظُ له، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» «٦١١٤»، والداني في «السنن الواردة في الفتن» «٣٦». صحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» «١٣٩»، وجوَّد إسناده شعيب الأرناؤوط في تخريج «مسند أحمد» «٢٣٦٧٤»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» «٢/٣٢٤»: رجاله رجال الصحيح، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» «٤/١٤٧» إنه رُوِيَ بإسنادين رواة أحدهما محتجٌّ بهم في الصحيح، ومحمود له رؤية، ولم يصِحَّ له سماعٌ فيما أرى.

(٤) أخرجه الترمذي «٢٤١٧»، والدارمي «٥٣٧»، وأبو يعلى «٧٤٣٤» مطولًا من حديثِ أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللهُ عنه. صحَّحه الترمذي، وابن باز في «مجموع الفتاوى» «٣٠/٣٠١»، والألباني في «صحيح سنن الترمذي» «٢٤١٧»، وشعيب الأرناؤوط في تخريج «سير أعلام النبلاء» «٩/٣١٦».

(٥) يُنظر: «فيض القدير» «١/ ١٥١».

حسابهم بنفسه، لا يلي ذلك غيره عز ربنا وجل، وهو على ما يشاء قدير". [١]

٢- قال ابن بطة العكبري: «ثم الإيمان بالمساءلة: إن الله عز وجل يسأل العباد عن كل قليل وكثير في الموقف، وعن كل ما اجترموا؛ ليسأل الصادقين عن صدقهم، وقال الله عز وجل: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون﴾ [الحجر: الآيتان: ٩٢-٩٣] ، ويأخذ للمظلومين من الظالمين، حتى للجماء من القرناء، وللضعيف من القوي". [٢]

٣- قال الحليمي: "والحساب وإن كان الله تعالى ذكره جملة، وكذلك جاء ذكره في كثير من الأخبار، فإن في بعضها دلالة على أن كثيرا من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب، وهم المتوكلون. فصار الناس إذن ثلاث فرق: فرقة لا تحاسب أصلا، وفرقة تحاسب حسابا يسيرا، وهاتان الفرقتان من المؤمنين، من يكون أدنى إلى رحمة الله فيدخله بغير حساب، وليس يبعد أن يكون من الكفار من يكون أدنى إلى غضب الله فيدخل النار بغير حساب، فتكون الفرق أربعا". [٣]

٤- قال ابن تيمية: "**يحاسب الله الخلق، ويخلو بعبده المؤمن، فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويجزون بها**" [٤]

٥- قال السفاريني: "الحق أنه سبحانه يحاسبهم حسابا حقيقيا، وتوزن أعمالهم وزنا حسيا، ويخلو البارئ عز وجل بكل عبد من عباده المؤمنين، ويقرره عن أعماله كما نطق بذلك الحديث الصحيح، والنص الصريح الثابت عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وأي حساب يصدر

---

(١) يُنظر: «إجماع السلف في الاعتقاد» «ص: ٦٤».

(٢) يُنظر: «الإبانة الصغرى» «ص: ٢٢٥-٢٢٧».

(٣) يُنظر: «المنهاج في شعب الإيمان» «١/ ٣٨٤».

(٤) يُنظر: «العقيدة الواسطية» «ص: ٩٨».

من الله لعباده حيث جعلتم الحساب مجرد خواطر وأوهام وتخيلات تمر بالأفهام؟!" (١)

رابعًا: أنواع الحساب:

عن عائشةَ رَضِيَ الله عنها أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «**ليس أحَدٌ يُحاسَبُ يومَ القيامةِ إلَّا هَلَكَ**»، فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أليسَ قد قال اللهُ تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا [الانشقاق: ٧-٨] ، فقال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «**إنَّما ذلكِ العَرضُ، وليس أحَدٌ يُناقَشُ الحِسابَ يومَ القيامةِ إلَّا عُذِّبَ**». (٢)

قال النَّوَويُّ: "مَعنى «**نُوقِشَ**» استُقصِيَ عليه. قال القاضي: وقَولُه: «**عُذِّبَ**» له مَعنيانِ: أحَدُهما: أنَّ نَفسَ المناقَشةِ وعَرْضَ الذُّنوبِ والتَّوقيفَ عليها هو التَّعذيبُ؛ لِما فيه من التَّوبيخِ، والثَّاني: أنَّه مُفضٍ إلى العَذابِ بالنَّارِ، ويُؤَيِّدُه قَولُه في الرِّوايةِ الأخرى: «**هَلَكَ**» مَكانَ: «**عُذِّبَ**» (٣) هذا كلامُ القاضي. وهذا الثَّاني هو الصَّحيحُ، ومَعناه أنَّ التَّقصيرَ غالِبٌ في العِبادِ، فمَنِ استُقصِيَ عليه ولَم يُسامَحْ هَلَكَ ودَخلَ النَّارَ، ولَكِنَّ اللهَ تعالى يَعفو ويَغفِرُ ما دونَ الشِّركِ لِمَن يَشاءُ". (٤)

وقال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ: "قَولُه: «**إنَّما ذلكِ العَرضُ**» يَعني: أنَّ الحِسابَ المذكورَ في الآيةِ إنَّما هو أن تُعرَضَ أعمالُ المؤمِنِ عليه، ويُوقَفَ عليها تَفصيلًا حَتَّى يَعرِفَ مِنَّةَ اللهِ تعالى عليه في سَترِها عليه في الدُّنيا، وفي عَفْوِه عنها في الآخِرةِ". (٥)

قال أبو القاسِمِ الأصبَهانيُّ: "قال بَعضُ العُلَماءِ: يُحاسِبُ اللهُ عِبادَه في القيامةِ ويُناقِشُهم.

---

(١) يُنظر: «البحور الزاخرة» «٢/٨٤٠».
(٢) أخرجه البخاري «٦٥٣٧» واللَّفظُ له، ومسلم «٢٨٧٦».
(٣) يُنظر: «إكمال المعلم» «٨/ ٤٠٧».
(٤) يُنظر: «شرح مسلم» «١٧/ ٢٠٨».
(٥) يُنظر: «المفهم» «٧/ ١٥٨».

يُحاسِبُ بالعَرضِ من قَضى له بالمغفِرةِ، ويُناقِشُ بالحِسابِ من قَضى عليه بالعَذابِ". [١]

فإذَنْ قَسَّمَ اللهُ عِبادَه في الحِسابِ إلى قِسمينِ:

القِسمُ الأوَّلُ: مَن يَكونُ حِسابُه يَسيرًا، وهم أهلُ اليَمينِ

قال اللهُ تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: الآية: ٧-٨].

قال ابنُ جَريرٍ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ بأن يُنظَرَ في أعمالِه، فيُغفَرُ له سَيِّئُها، ويُجازى على حَسَنِها» [٢].

وقال السَّمعانيُّ: "قَولُه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ أي: هَيِّنًا، وقيلَ في اليَسيرِ: هو أن يَقبَلَ الحَسَناتِ، ويَتَجاوَزَ عن السَّيئاتِ". [٣]

وقال البَيضاويُّ: "﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ سَهلًا لا يُناقَشُ فيه" [٤].

وقال السَّعديُّ: "فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وهم أهلُ السَّعادةِ.

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وهو العَرضُ اليَسيرُ على اللهِ، فيُقَرِّرُه اللهُ بذُنوبِه، حَتَّى إذا ظَنَّ العَبدُ أنَّه قد هَلَكَ، قال اللهُ تعالى له: إنِّي قد سَتَرتُها عليك في الدُّنيا، فأنا أستُرُها لَك اليَومَ". [٥]

القِسمُ الثَّاني: مَن يَلقى سوءَ الحِسابِ وهم أهلُ النَّارِ

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

(١) يُنظر: «الحجة في بيان المحجة» «٢/ ٥٤٦».

(٢) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «٢٤/ ٢٣٦».

(٣) يُنظر: «تفسير السمعاني» «٦/ ١٨٨».

(٤) يُنظر: «تفسير البيضاوي» «٥/ ٢٩٧».

(٥) يُنظر: «تفسير السعدي» «ص: ٩١٧».

[الرعد: الآية: ١٨].

قال البَغَويُّ: "قال إبراهيمُ النَّخعيُّ: سوءُ الحِسابِ أن يُحاسَبَ الرَّجُلُ بذَنْبِه كُلِّه، لا يُغفَرُ له من شَيءٍ". [(١)]

وقال البَيضاويُّ: "أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ، وهو المناقَشةُ فيه بأن يُحاسَبَ الرَّجُلُ بذَنبِه لا يُغفَرُ منه شَيءٌ". [(٢)]

وقال النَّسَفيُّ: "أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ المناقَشةُ فيه، في الحَديثِ: «**من نُوقِشَ الحِساب عُذِّب**»[(٣)] [(٤)]. أخرجه البخاري «٦٥٣٦» مطولًا من حديثِ عائشة رَضِيَ اللهُ عنه.

وقال ابنُ كثيرٍ: "أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ أي: في الدَّارِ الآخِرةِ، أي: يُناقَشونَ على النَّقيرِ والقِطْميرِ، والجَليلِ والحَقيرِ، ومَن نُوقِشَ الحِسابَ عُذِّبَ؛ ولهذا قال: وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ". [(٥)]

وفي السُّنَّةِ دَلالةٌ على أنَّ المؤمنينَ في الحِسابِ ثَلاثةُ أصنافٍ:

١- صِنفٌ لا يُحاسَبُ، وهؤلاء طائِفةٌ من أمَّةِ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أخبَرَ عنهم صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وعِدَّتُهم سَبعونَ ألفًا مَعَ زيادةٍ عَظيمةٍ يَدخُلونَ الجَنةَ بلا حِسابٍ.

عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما قال: خَرجَ علينا النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يومًا فقال: «**عُرِضَتْ عليَّ الأُمَمُ، فجعَل يَمُرُّ النَّبيُّ مَعَه الرَّجُلُ، والنَّبيُّ مَعَه الرَّجُلانِ، والنَّبيُّ مَعَه الرَّهطُ، والنَّبيُّ ليس مَعَه أحَدٌ، ورأيتُ سَوادًا كثيرًا سَدَّ الأفُقَ، فرَجَوتُ أن يَكونَ أمَّتي، فقيلَ: هذا موسى وقومُه. ثُمَّ قيلَ لي: انظُرْ. فرَأيتُ سَوادًا كثيرًا سَدَّ الأفُقَ، فقيلَ لي: انظُر هَكَذا**

(١) يُنظر: «تفسير البغوي» «٣/ ١٥».

(٢) يُنظر: «تفسير البيضاوي» «٣/ ١٨٥».

(٣) أخرجه البخاري «٦٥٣٦» مطولًا من حديثِ عائشة رَضِيَ اللهُ عنه.

(٤) يُنظر: «تفسير النسفي» «٢/ ١٥١».

(٥) يُنظر: «تفسير ابن كثير» «٤/ ٤٤٩».

وهَكَذا. فرَأيتُ سَوادًا كثيرًا سَدَّ الأفُقَ، فقيلَ: هؤلاءِ أمَّتُك، ومَعَ هؤلاء سَبعونَ ألفًا يَدخُلونَ الجَنَّةَ بغَيرِ حِسابٍ».[(١)]

وعن أبي أُمامةَ رَضِيَ اللهُ عنه يَقولُ: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم يَقولُ: «**وعَدَني رَبي أن يُدخِلَ الجَنَّةَ من أمَّتي سَبعينَ ألفًا لا حِسابَ عليهم ولا عَذابَ، من كُلِّ ألفٍ سَبعونَ ألفًا، وثَلاثُ حَثَياتٍ من حَثَياتِه**».[(٢)] [(٣)]

قال السَّفارينيُّ: "ثَبَت في عِدَّةِ أخبارٍ عن النَّبيِّ المختارِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ما كَرَّ الليلُ على النَّهارِ، أنَّ طائِفةً من هذه الأمَّةِ بلا ارتيابٍ يَدخُلونَ الجَنةَ بغَيرِ حِسابٍ، فيَدخُلونَ جَناتِ النَّعيمِ قَبلَ وضعِ الموازينِ، وأخذِ الصُّحُفِ بالشِّمالِ واليَمينِ".[(٤)]

وقال ابنُ بازٍ: "هذه الحَثَياتُ لا يَعلَمُ مِقدارَها إلَّا اللهُ سُبحانَه وتعالى. والجامِعُ في هذا أنَّ كُلَّ مُؤمِنٍ استقامَ على أمرِ اللهِ وعلى تَركِ مَحارِمِ اللهِ ووَقَفَ عِندَ حُدودِ اللهِ، هو داخِلٌ في السَّبعينَ، داخِلٌ في حُكمِهم بأنَّه يَدخُلُ الجَنَّةَ بغَيرِ حِسابٍ ولا عَذابٍ".[(٥)]

٢- صِنفٌ لا يُناقَشونَ الحِسابَ، وإنَّما تُعرَضُ أعمالُهم ثُمَّ يُتَجاوَزُ لهم عنها.

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها كانت لا تَسمَعُ شَيئًا لا تَعرِفُه إلَّا راجَعَت فيه حَتَّى تَعرِفَه، وأنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «**مَن حُوسِبَ عُذِّبَ**». قالت عائِشةُ: فقُلتُ: أوليس يَقولُ اللهُ تعالى: فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا؟ [الانشقاق: ٨] قالت: فقال: «**إنَّما ذلكِ العَرضُ،**

---

(١) أخرجه البخاري «٥٧٥٢» واللَّفظُ له، ومسلم «٢٢٠».

(٢) قال عياض: «ثلاثُ حَثَياتٍ، ويروى حَفَنات، بفتح الحاء والفاء والثاء، قيل: هو الغَرْفُ ملءَ اليدِ، وقيل: الحَثْيةُ باليدِ الواحِدةِ والحَفنةُ بهما جميعًا». «مشارق الأنوار» «١/ ١٨٠».

(٣) أخرجه الترمذي «٢٤٣٧» واللَّفظُ له، وابن ماجه «٤٢٨٦»، وأحمد «٢٢٣٠٣». صـححه الألباني في «صـحيح سـنن ابن ماجه» «٤٢٨٦»، وشعيب الأرناؤوط في تخريج «مسند أحمد» «٢٢٣٠٣»، وحسنه الوادعي في «الشفاعة» «١٣٠»، وقوى إسناده الذهبي في «سير أعلام النبلاء» «١٦/ ٤٦٠»، وجوده ابن كثير في «تفسير القرآن» «٢/ ٨٢». وقال الترمذي: حسن غريب.

(٤) يُنظر: «لوامع الأنوار البهية» «٢/ ١٧٧».

(٥) يُنظر: «فتاوى نور على الدرب» «١/ ٧٠».

ولكِن من نُوقِشَ الحِساب يَهلِكْ »[(١)] .

وعن عَبدِ اللهِ بنِ عُمرَ رَضِيَ الله عنهما قال: سَمِعتُ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَقولُ: **«إنَّ اللهَ يُدْني المُؤمِنَ، فيَضَعُ عليه كنَفَه ويَسترُه، فيَقولُ: أتَعرِفُ ذَنْبَ كذا، أتَعرِفُ ذَنْبَ كذا؟ فيَقولُ: نَعَم أيْ رَبِّ. حَتَّى إذا قَرَّرَه بذُنوبِه، ورأى في نَفسِه أنَّه هَلَك، قال: سَتَرْتُها عليك في الدُّنيا وأنا أغفِرُها لَك اليومَ، فيُعطى كِتابَ حَسَناتِه، وأمَّا الكافِرُ والمُنافِقونَ فيَقولُ الأشهادُ: هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ [هود: ١٨] »**[(٢)] .

قال المهَلَّبُ: "في هذا الحَديثِ عَظيمُ تَفَضُّلِ اللهِ على عِبادِه المؤمِنينَ وسَتْرِه لذُنوبِهم يَومَ القيامةِ، وأنَّه يَغفِرُ ذُنوبَ من شاءَ منهم بخِلافِ قَولِ من أنفَذَ الوَعيدَ على أهلِ الإيمانِ؛ لأنَّه لَم يَستَثنِ في هذا الحَديثِ عليه السَّلامُ مِمَّن يَضَعُ عليه كنَفَه وسِتْرَه أحَدًا إلَّا الكُفَّارَ والمنافِقينَ، فإنَّهم الذينَ يُنادى عليهم على رُؤوسِ الأشهادِ باللَّعنةِ لهم". [(٣)]

وقال القُرطُبيُّ: "قَولُه: **«حَتَّى يَضَعَ عليه كنَفَه»** أي: سِتْرَه ولُطفَه وإكرامَه، فيُخاطَبُ خِطابَ الملاطَفةِ، ويُناجيه مَناجاةَ المصافاةِ والمحادَثةِ، فيَقولُ: هَل تَعرِفُ؟ فيَقولُ: رَبِّ أعرِفُ، فيَقولُ الله تعالى مُمتَنًّا عليه ومُظهِرًا فَضْلَه لَدَيه: فإنِّي سَتَرتُها عليك في الدُّنيا، أي: لَم أفضَحْك بها فيها، وأنا أغفِرُها لَك اليَومَ". [(٤)]

وقال ابنُ عُثَيمين: "إنَّه سُبحانَه وتعالى يَضَعُ عليه سِترَه؛ بحَيثُ لا يَراه أحَدٌ، ولا يَسمَعُه أحَدٌ، وهذا من فضلِ الله عزَّ وجَلَّ على المؤمِنِ؛ فإنَّ الإنسانَ إذا قَرَّرَك بجِناياتِك أمامَ النَّاسِ وإن سَمَحَ عنك؛ ففيه شَيءٌ من الفَضيحةِ، لَكِن إذا كان ذلك وحدَك فإنَّ ذلك سَتْرٌ منه

(١) أخرجه البخاري «١٠٣» واللَّفظُ له، ومسلم «٢٨٧٦».

(٢) أخرجه البخاري «٢٤٤١» واللَّفظُ له، ومسلم «٢٧٦٨».

(٣) يُنظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال «٦/ ٥٧٠».

(٤) يُنظر: «التذكرة» «١/ ٣٠٣».

عليك"[(١)].

وقال أيضًا: "إنَّ المناقَشةَ مَعناها: أن يُحاسَبَ فيُطالَبَ بهذه النِّعَمِ التي أعطاه اللهُ إيَّاها؛ لأنَّ الحِسابَ الذي فيه المناقَشةُ معناه: أنَّك كما تَأخُذُ تُعطي، ولَكِنَّ حِسابَ اللهِ لعَبدِه المؤمِنِ يَومَ القيامةِ ليس على هذا الوَجهِ، بَل إنَّه مُجَرَّدُ فضلٍ من الله تعالى إذا قَرَّرَه بذُنوبِه، وأقَرَّ واعترَفَ قال: «**سَتَرْتُها عليك في الدُّنيا، وأنا أغفِرُها لَك اليَومَ**»، وكَلِمةُ نُوقِشَ تَدُلُّ على هذا؛ لأنَّ المناقَشةَ الأخذُ والرَّدُّ في الشَّيءِ، والبَحثُ على دَقيقِه وجَليلِه، وهذا لا يَكونُ بالنِّسبةِ لله عزَّ وجَلَّ مَعَ عَبدِه المؤمِنِ، بَل إنَّ اللهَ تعالى يَجعَلُ الحِسابَ للمُؤمِنينَ مَبنيًّا على الفَضلِ والإحسانِ، لا على المناقَشةِ والأخذِ بالعَدلِ"[(٢)].

وهذا هو الحِسابُ اليَسيرُ كما تَقَدَّم.

ولَعَلَّ من أمثِلةِ ذلك ما جاءَ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّه قال: قال رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «**إنَّ اللهَ تعالى يَقولُ يَومَ القيامةِ: يا ابنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فلَم تَعُدْني. قال: يا رَبِّ، كيفَ أعودُك وأنتَ رَبُّ العالَمينَ؟ قال: أمَا عَلِمتَ أنَّ عَبدي فُلانًا مَرِضَ فلَم تَعُدْه، أمَا عَلِمتَ أنَّك لَو عُدْتَه لوَجدْتَني عِندَه؟ يا ابنَ آدَمَ، استَطعَمْتُك فلَم تُطعِمْني. قال: يا رَبِّ كيفَ أُطعِمُك وأنتَ رَبُّ العالَمينَ؟ قال: أمَا عَلِمتَ أنَّه استَطعَمَك عَبدي فُلانٌ فلَم تُطعِمْه؟ أمَا عَلِمتَ أنَّك لَو أطعَمْتَه لوَجَدْتَ ذلك عِندي؟ يا ابنَ آدَم، استَسقيتُك فلَم تَسقِني. قال: يا رَبِّ كيفَ أسقيك وأنتَ رَبُّ العالَمينَ؟ قال: استَسْقاك عَبدي فُلانٌ فلَم تَسقِه، أمَا عَلِمتَ أنَّك لَو سَقيتَه وجَدتَ ذلك عِندي؟**»[(٣)].

قال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ: "قَولُه تعالى: «**يا ابنَ آدَمَ، مَرِضْتُ ذفلَم تَعُدْني، واستَطعَمْتُك فلَم تُطعِمْني، واستَسقيتُك فلَم تَسقِني**»: تَنزُّلٌ في الخِطابِ، ولُطفٌ في العِتابِ، ومُقتَضاه

(١) يُنظر: «شرح العقيدة الواسطية» «٢/ ١٥٤».

(٢) يُنظر: «مجموع فتاوى ابن عثيمين» «٢/ ٣٧».

(٣) أخرجه مسلم «٢٥٦٩».

التَّعريفُ بعَظيمِ فضلِ ذي الجَلالِ، وبِمَقاديرِ ثَوابِ هذه الأعمالِ، ويُستَفادُ منه أنَّ الإحسانَ للعَبيدِ إحسانٌ للسَّادةِ، فيَنبَغي لهم أن يَعرِفوا ذلك، وأن يَقوموا بحَقِّه". [(١)]

وقال المناويُّ: "«**إنَّ اللهَ تعالى يقولُ يومَ القيامةِ: يا ابنَ آدَمَ**» خِطابَ مُعاتَبةٍ لا مُناقَشةٍ ومُعاقَبةٍ". [(٢)]

وقال الصَّنعانيُّ: "«**إنَّ اللهَ تعالى يَقولُ**» مُعاتِبًا ومُخاطِبًا «**يَومَ القيامةِ: يا ابنَ آدَمَ**» خِطابٌ لغَيرِ مُعَيَّنٍ بَل لِمَن يَصلُحُ لذلك العِتابِ، وحينَ كان الموقِفُ مَوقِفَ عَتْبٍ لَم يُشرِّفْه بالإضافةِ إليه تعالى بـ «**يا عَبدي**»". [(٣)]

٣- صِنفٌ يُناقَشونَ الحِسابَ ويُسألونَ فيه عن أعمالِهم، فيُحاسَبونَ مُحاسَبةَ مَن توزَنُ حَسَناتُه وسيِّئاتُه. قال عَبدُ العَزيزِ السلمان: "بينَ مُحاسَبةِ المؤمِنِ والكافِرِ فرقٌ؛ فإنَّ المؤمِنَ توزَنُ حَسَناتُه وسيِّئاتُه، فمَن رَجَحَت حَسَناتُه بسَيِّئاتِه دَخلَ الجَنَّةَ، ومن خَفَّتْ مَوازينُه بأن رَجَحَت سَيِّئاتُه بحَسَناتِه دَخلَ النَّارَ، وأمَّا من تَساوَتْ حَسَناتُه وسيِّئاتُه فقيلَ: أولَئِك أصحابُ الأعرافِ، وأمَّا الكُفَّارُ فلا يُحاسَبونَ مُحاسَبةَ مَن توزَنُ حَسَناتُه وسيِّئاتُه؛ فإنَّه لا حَسَناتٍ لهم ولَكِنْ تُعَدُّ أعمالُهم فتُحصى فيوقَفونَ عليها ويُقَرَّرونَ بها، قال اللهُ تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: الآية: ١٨] ، وقال: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: الآية: ٢٣] ، وقال: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية: ١٠٥] ، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ [النور: الآية: ٣٩]". [(٤)]

ومن أمثِلةِ هذا الصِّنفِ صاحِبُ البِطاقةِ الذي قال فيه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «**إنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا من أمَّتي على رُؤوسِ الخَلائِقِ يَومَ القيامةِ، فيَنشُرُ عليه تِسعةً وتِسعينَ سِجلًّا،**

---

(١) يُنظر: «المفهم» «٦/ ٥٥١».

(٢) يُنظر: «فيض القدير» «٢/ ٣١٢».

(٣) يُنظر: «التنوير شرح الجامع الصغير» «٣/ ٤١٨».

(٤) يُنظر: «الكواشف الجلية» «ص: ٥٧٦».

كُلُّ سِجِلٍّ مِثلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقولُ: أتُنكِرُ مِن هذا شَيئًا؟ أظلَمَك كتَبَتي الحافِظونَ؟ فيَقولُ: لا يا رَبِّ، فيَقولُ: أفلَك عُذرٌ؟ فيَقولُ: لا يا رَبِّ، فيَقولُ: بلى إنَّ لَك عِندَنا حَسَنةً فإنَّه لا ظُلمَ عليك اليَومَ، فتُخرَجُ بطاقةٌ فيها: أشهَدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ وأشهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبدُه ورَسولُه، فيَقولُ: احضُرْ وزنَك، فيَقولُ: يا رَبِّ، ما هذه البِطاقةُ مَعَ هذه السِّجِلَّاتِ؟! فقال: إنَّك لا تُظلَمُ، قال: فتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ في كِفَّةٍ والبِطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشَتِ السِّجِلَّاتُ وثَقُلَتِ البِطاقةُ، فلا يَثقُلُ مَعَ اسمِ اللهِ شَيءٌ »(١) .

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: حَدَّثَني رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «أنَّ اللهَ تَبارك وتعالى إذا كان يَومُ القيامةِ يَنزِلُ إلى العِبادِ لِيَقضيَ بينَهم، وكُلُّ أمَّةٍ جاثيةٌ، فأوَّلُ مَن يَدعو به رَجُلٌ جَمعَ القُرآنَ، ورَجُلٌ يَقتَتِلُ في سَبيلِ اللهِ، ورَجُلٌ كثيرُ المالِ، فيَقولُ اللهُ للقارِئِ: ألم أعلِّمْك ما أنزَلتُ على رَسولي؟ قال: بلى يا رَبِّ، قال: فماذا عَمِلْتَ فيما عَلِمتَ؟ قال: كُنتُ أقومُ به آناءَ الليلِ وآناءَ النَّهارِ، فيَقولُ اللهُ له: كذَبْتَ، وتَقولُ له المَلائِكةُ: كذَبْتَ، ويَقولُ اللهُ: بَل أرَدتَ أن يُقالَ: إنَّ فُلانًا قارِئٌ فقد قيلَ ذاك. ويُؤتى بصاحِبِ المالِ فيَقولُ اللهُ له: ألم أُوسِّعْ عليك حَتَّى لَم أدَعْك تَحتاجُ إلى أحَدٍ؟ قال: بلى يا رَبِّ، قال: فماذا عَمِلْتَ فيما آتيتُك؟ قال: كُنتُ أصِلُ الرَّحِمَ وأتَصَدَّقُ، فيَقولُ اللهُ له: كذَبْتَ، وتَقولُ له المَلائِكةُ: كذَبْتَ، ويَقولُ اللهُ تعالى: بَل أرَدتَ أن يُقالَ: فُلانٌ جَوادٌ، فقد قيلَ ذاك. ويُؤتى بالذي قُتِلَ في سَبيلِ اللهِ، فيَقولُ اللهُ له فيماذا قُتِلْتَ؟ فيَقولُ: أُمِرْتُ بالجِهادِ في سَبيلِك فقاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فيَقولُ اللهُ تعالى له: كذَبْتَ، وتَقولُ له المَلائِكةُ: كذَبْتَ، ويَقولُ اللهُ: بَل أرَدتُ أن يُقالَ: فُلانٌ جَريءٌ، فقد قيلَ ذاك. ثُمَّ ضَربَ رَسولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسَلَّمَ على

---

(١) أخرجه الترمذي «٢٦٣٩» واللَّفظُ له، وابن ماجه «٤٣٠٠»، وأحمد «٦٩٩٤» من حديثِ عبد الله بن عمرو رَضِـيَ اللهُ عنهما. صحَّحه ابن حبان في «صحيحهـــ» «٢٢٥»، والحاكم على شرط مسلم في «المستدرك» «٤٦/١»، وابن الملقن على شرط مسلم في «شرح البخاري» «٥٩٥/٣٣»

رُكبَتي، فقال: يا أبا هُريرةَ، أولَئِك الثَّلاثةُ أوَّلُ خَلقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يومَ القيامةِ!».[(١)]

وفي رِوايةٍ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَقولُ: **«إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقضى يَومَ القيامةِ عليه: رَجُلٌ استُشهِدَ، فأُتِيَ به، فعَرَّفَه نِعَمَه، فعَرَفَها، قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: قاتَلْتُ فيك حَتَّى استُشهِدْتُ، فقال: كذَبْتَ، ولَكِنَّك قاتَلتَ لأن يُقالَ: جَريءٌ، فقد قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به، فسُحِبَ على وَجهِه، حَتَّى أُلقيَ في النَّارِ. ورَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلمَ وعَلَّمَه، وقَرَأَ القُرآنَ، فأُتِيَ به، فعَرَّفَه نِعَمَه، فعَرَفَها، قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: تَعَلَّمتُ العِلمَ وعَلَّمْتُه، وقَرَأتُ فيك القُرآنَ، قال: كذَبتَ، ولَكِنَّك تَعَلَّمتَ العِلمَ لِيُقالَ عالِمٌ، وقَرَأتَ القُرآنَ لِيُقالَ: هو قارِئٌ، فقد قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به، فسُحِبَ على وَجهِه، حَتَّى أُلقِيَ في النَّارِ. ورَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عليه، وأعطاه من أصنافِ المالِ كُلِّه، فأُتِيَ به، فعَرَّفَه نِعَمَه، فعَرَفَها، قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: ما تَرَكتُ من سَبيلٍ تُحِبُّ أن يُنفَقَ فيها إلَّا أنفَقْتُ فيها لَك، قال: كذَبتَ ولَكِنَّك فعَلْتَ لِيُقالَ: هو جَوادٌ، فقد قيلَ، ثُمَّ أمِرَ به فسُحِبَ على وَجهِه، ثُمَّ أُلقِيَ في النَّارِ»**.[(٢)]

قال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ: "تَقَدَّمَ أنَّ الإخلاصَ في الطَّاعاتِ واجِبٌ، وأنَّ الرِّياءَ يُفسِدُها.

وقَولُه: «**إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقضى عليه يَومَ القيامةِ رَجُلٌ استُشهِدَ، ورَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلمَ، ورَجُلٌ أنفَقَ مالَه**»؛ هذا يُخالِفُه: «**أوَّلُ ما يُحاسَبُ به العَبدُ المُسلِمُ من عَمَلِه صَلاتُه** »، الحَديث، وقَولُه: «**أوَّلُ ما يُقضى فيه بينَ النَّاسِ في الدِّماءِ** ». قد يَسبِقُ إلى الوَهمِ أنَّ هذه الأحاديثَ مُتَعارِضةٌ من حَيثُ الأوَّليَّةِ المَذكورةِ في كُلِّ حَديثٍ منها، وليس كذلك؛ فإنَّه إنَّما كان يَلزَمُ ذلك لَو أُريدَ بكُلِّ أوَّلٍ منها أنَّه أوَّلُ بالنِّسبةِ إلى كُلِّ ما يُسألُ عنه، ويُقضى فيه، وليس في شَيءٍ من تلك الأحاديثِ ما يَنُصُّ على ذلك، وإنَّما أرادَ -واللهُ أعلَمُ- أنَّ كُلَّ واحِدٍ من تلك الأوليَّاتِ

---

(١) أخرجه الترمذي «٢٣٨٢» واللَّفظُ له، وابن حبان «٤٠٨»، والحاكم «١٥٢٧». صـحَّحه ابن حبان، والقرطبي في «التفسير» «٣٩٨/١٣»، وابن القيم في «زاد المعاد» «٨٠/٣». وأصل الحديث في صحيح مسلم «١٩٠٥».

(٢) أخرجه مسلم «١٩٠٥».

أوَّلُ بالنِّسبةِ إلى التي في بابِه، فأوَّلُ ما يُحاسَبُ به من أركانِ الإسلامِ الصَّلاةُ، وأوَّلُ ما يُحاسَبُ به من المظالِمِ الدِّماءُ، وأوَّلُ ما يُحاسَبُ به مِمَّا يَنتَشِرُ فيه صِيتُ فاعِلِه تلك الأمورُ. وهذا أوَّلُ ما يُقارِبُه ويُناسِبُه، وهَكَذا تَعتَبِرُ ما يَرِدُ عليك من هذا البابِ، واللهُ تعالى أعلَمُ". [(١)]

وقال النَّوَويُّ: "قَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في الغازي والعالِمِ والجَوادِ وعِقابِهم على فِعلِهم ذلك لغَيرِ اللهِ، وإدخالِهمُ النَّارَ: دَليلٌ على تَغليظِ تَحريمِ الرِّياءِ، وشِدَّةِ عُقوبَتِه، وعلى الحَثِّ على وُجوبِ الإخلاصِ في الأعمالِ، كما قال اللهُ تعالى وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وفيه أنَّ العُموماتِ الوارِدةَ في فضلِ الجِهادِ إنَّما هيَ لِمَن أراد اللهَ تعالى بذلك مُخلِصًا، وكَذلك الثَّناءُ على العُلَماءِ وعلى المنفِقينَ في وُجوهِ الخَيراتِ كُلُّه مَحمولٌ على من فَعلَ ذلك لله تعالى مُخلِصًا". [(٢)].

[(٣)]

(١) يُنظر: «المفهم» «٣/ ٧٤٦».

(٢) يُنظر: «شرح مسلم» «١٣/ ٥٠».

(٣) المصدر: الموسوعة العقدية على موقع الدرر السنية، المبحث التاسع أنواع الحساب.

٦١- الحوض

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الأدلة الشرعية على إثبات الحوض.

المسألة الثانية: أقوال العلماء في إثبات الحوض.

المسألة الثالثة: هل الحوض هو الكوثر؟

المسألة الرابعة: الذين أنكروا الحوض.

المسألة الخامسة: الذين يذادون عن حوضه يوم القيامة.

المسألة السادسة: ما جاء في الأخبار أن لكل نبي حوضًا.

[٦١]- قال المصنف رحمه الله: «**وفي عَرَصات القيامة: الحَوْضُ المَورود للنَّبي ﷺ؛ ماؤه أشَدُّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العَسَل، وآنيتُه عددُ نجوم السماء، طولُه شَهْرٌ، وعَرْضُه شَهْرٌ، مَن يشربُ منه شربةً لا يَظمأُ بعدها أبدًا**».

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الأدلة الشرعية على إثبات الحوض.

هذا الحوضُ المورود الذي أَعطاه الله لنبيه محمد ﷺ، كما قال: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: الآيات: ١-٣].

قال الإمامُ القرطبيُّ: "والصَّحيح: أنَّ للنبي ﷺ حَوْضَيْن:

أحدهما: في الموقف قبل الصِّراط.

والثَّاني: في الجَنَّة.

وكلاهما يُسَمَّى كوثرًا".(١)

وقد جاءت أحاديث كثيرة في وصفه؛ منها:

عن أبي عُبيدة أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: الآية: ١]، فقالت: "نَهرٌ أُعطيه نَبِيُّكم-صلى الله عليه وسلم-؛ شاطئاه عليه دُرٌّ مُجَوَّف، آنيته كَعَدد النُّجوم".(٢)

وعن أنس-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: «**بينما أنا أسيرُ في الجَنَّة إذ أنا بنهرٍ حافتاه قِباب الدُّرِّ المُجَوَّف. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثرُ الذي أعطاك رَبُّك، فإذا طِينُه-أو طِيبُه-مِسك أذفر**».(٣)

---

(١) التذكرة «ص: ٣٦٢».

(٢) أخرجه البخاري «٤٩٦٥».

(٣) أخرجه البخاري «٦٥٨١».

ومن الأحاديث التي ورد فيها ذكر الحوض:

- عن أبي هريرة–رضي الله عنه–، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–، قال: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي"[(١)].
- وقوله–صلى الله عليه وسلم–للأنصار: «**اصبروا حتى تلقوني على الحوض**». [(٢)]

المسألة الثانية: أقوال العلماء في إثبات الحوض.

روي عن الإمام سفيان بن عيينة في اعتقاده قوله: "السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة: إثبات القدر وتقديم أبي بكر وعمر والحوض والشفاعة والميزان والصراط والإيمان قول وعمل والقرآن كلام الله وعذاب القبر والبعث يوم القيامة ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم". [(٣)]

وقال شيخُ الإسلامِ–رحمه الله تعالى–: "خَصَّ اللهُ نَبيَّه صلى الله عليه وسلم أنَّه أعطاه الكوثر، وهو من الخير الكثير الذي آتاه اللهُ في الدُّنيا والآخرة؛ فمما أعطاه في الدُّنيا الهُدى والنَّصر والتأييد وقُرَّة العَين والنَّفس وشرح الصدر، ونَعَّم قلبَه بذكرِه وحُبِّه بحيث لا يُشبه نعيمُه نعيمَ الدُّنيا البتة، وأعطاه في الآخِرَة الوسيلةَ والمقامَ المحمودَ، وجعلَه أوَّلَ مَن يُفتح له ولأمته باب الجنة، وأعطاه في الآخِرَة لواءَ الحمد والحوض العظيم في موقف القيامة، إلى غير ذلك". [(٤)]

وقد حكم جمعٌ من أهل العلم بتواتر السُّنَّة في ذلك، قال ابن أبي العِزّ: "الأحاديث الواردة في ذِكر الحوض تَبلغُ حَدَّ التواتر؛ رَوَاها من الصَّحابة بضعٌ وثلاثون صحابياًّ، ولقد استقصى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، باب ١٢. انظر: فتح الباري «٤/ ٩٩» ح ١٨٨٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة «٤/ ١٢٣».

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب الجزية، بـاب مَا أَقْطَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ البَحْرَيْنِ، وَمَا وَعَدَ مِنْ مَالِ البَحْرَيْنِ وَالجِزْيَةِ، وَلِمَنْ يُقْسَمُ الفَيْءُ وَالجِزْيَةُ، برقم «٣١٦٣»، ومسلم كتاب الزكاة، بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ برقم «١٠٥٩»، والإمام أحمد في المسند مسند المكثرين من الصحابة «١٣٣٤٧».

(٣) رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «١/ ١٥٦»

(٤) مجموع الفتاوى «١٦/ ٥٢٧–٥٢٨»، بتصرف يسير.

طرقَها شيخُنا عمادُ الدِّين ابنُ كثير–تَغَمَّدَه اللهُ برحمتِه في آخر تاريخه الكبير". [(١)]

المسألة الثالثة: هل الحوض هو الكوثر؟

قيل في ذلك أن المراد بالكوثر هو الحوض، وقيل المراد بالكوثر هو الخير الكثير،

تفسير الكوثر بالحوض والخير الكثير أو النهر الذي فيه الجنة لا تنافي بينها فقد جاءت كلها مبينة مفصلة عن النبي–صلى الله عليه وسلم–في حديث أنس بن مالك–رضي الله عنه–، قال: "قال: بينا رسول الله–صلى الله عليه وسلم–بين أظهرنا في المسجد إذ أغْفَى إغفاءةً ثم رفع رأسه متبسمًا قلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «**لقد أنزلت علي آنفًا سورة فقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. [الكوثر: الآيات: ١–٣]**»، ثم قال: «**أتدرون ما الكوثر؟**». قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنه نهر وعدنيه ربي–عز وجل–عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم في السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول إنك لا تدري ما أحدث بعدك**». [(٢)]

وقد ورد تفسير الكوثر: بالخير الكثير عن ابن عباس–رضي الله عنهما–، وقيل لسعيد بن جبير رحمه الله –الراوي عن ابن عباس–إن ناسًا يزعمون أنه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه.

وقال ابن كثير–رحمه الله–: "وتفسيره بالخير الكثير يعم النهر وغيره لأن الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير ومن ذلك النهر ثم قال: وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسره بالنهر أيضًا". [(٣)]

... والراجح –والله أعلم– هو التفريق بينهما، فإن الكوثر:

---

(١) شرح الطحاوية «ص: ٢٢٧».

(٢) رواه مسلم «٤٠٠».

(٣) انظر: تفسير ابن كثير رحمه الله «٩/ ٣١٢–٣١٥» في تفسير سورة الكوثر.

هو نهر في الجنة، أعطاه الله–تعالى–للنبي–صلى الله عليه وسلم–، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: الآية: ١].

وعن أنس–رضي الله عنه–، قال: لما عرج بالنبي–صلى الله عليه وسلم –إلى السماء، قال: «**أتيت على نهر، حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر**». [(١)]

وعن عبد الله بن عمر–رضى الله عنهما–، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج**». [(٢)]

وأما الحوض: فإنه في العرصات خارج الجنة، يرده المسلمون قبل دخولهم الجنة، ويستمد الحوض مائه من نهرين من داخل الجنة، كما ورد عن أبي ذر–رضى الله عنه–، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال عن الحوض، «**يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل**». [(٣)]

فإن قيل: قد روى أنس–رضى الله عنه–، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: الآيات: ١–٣] ثم قال: «**أتدرون ما الكوثر؟**». فقلنا: "الله ورسوله أعلم"، قال: «**فإنه نهر وعدنيه ربي–عز وجل–، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم**». [(٤)]

فظاهر ذلك أن الكوثر هو نفسه حوض النبي–صلى الله عليه وسلم–.

---

(١) أخرجه البخاري «٤٩٦٤».

(٢) أخرجه الترمذي «٣٣٦١» وقال: "حسن صحيح".

(٣) أخرجه مسلم «٢٣٠٠» .

(٤) أخرجه مسلم «٤٠٠».

فجوابه من وجهين:

١ - الأول: الكوثر نهر داخل الجنة، ويأتي وماؤه يصب في الحوض ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه.[(١)]

٢ - الثاني: أن حديث أنس-رضى الله عنه-، هذا قد ورد فيه تفسير الحوض بالكوثر على المعنى اللغوي الذي هو الخير الكثير، وليس المعنى الاصطلاحي الذي هو الكوثر الذي هو نهر في الجنة، وهو المراد في حديث ابن عمر -رضى الله عنهما- السابق.[(٢)]

المسألة الرابعة: الذين أنكروا الحوض.

الذين أنكروا الحوض: هم طائفة قليلة من أهل البدع والضلال، وبعض فرق الخوارج، وبعض المعتزلة وتأولوه وَقَالُوا: لا يثبت للنبي-صلى الله عليه وسلم-حوض، وإنما هذا كناية عن الكرم والعطاء.

ونقل إنكار الحوض في أواخر عصر الصحابة، وكان عبيد الله بن زياد الأمير الأموي المعروف ينكر وجود الحوض ويرده، فكان الصحابة-رضي الله عنهم وأرضاهم-، يخبرونه بما سمعوا من النبي-صلى الله عليه وسلم-أن لنبي الله عليه السلام حوضًا، حتى إنه سأل أبا برزة الأسلمي-رضي الله عنه-: هل سمعت النبي-صلى الله عليه وسلم-يذكر الحوض؟ فقال أبو برزة-رضي الله عنه وأرضاه-: ما سمعته مرة، ولا مرتين، ولا ثلاثًا، ولا أربعًا، ولا خمسًا، بل سمعته أكثر من ذلك، لا سقى الله من كذب به. يريد أن يخوف عبيد الله بن زياد.[(٣)]

وروى حميد عن أنس قال: "دخلنا على عبيد الله بن زياد وهم يتذاكرون الحوض فقلت: ما كنت أرى أن أعيش حتى أرى أمثالكم يتمارون في الحوض، لقد تركت خلفي عجائز ما تصلي

---

(١) انظر فتح الباري «١١/ ٦٥٠»، وخصائص المصطفى بين الغلو والجفاء «ص: ٥٢».

(٢) المصدر: كتاب الأربعون العقدية «٢/ ٢٠٠٣-٢٠٠٥».

(٣) أخرجه أبو دارد رقم «٤٧٤٩» في السنة باب في الحوض.

امرأة منهن إلا سألت الله أن يسقيها من حوض محمد".[١]

ثم أخبره ابن عمر وبعض الصحابة في هذا، وورد أنه قال: أشهد أن الحوض حق.

قال ابن كثير ردًا على من ينكر الحوض، قال رحمه الله: "ذكر ما ورد في الحوض النبوي المحمدي – سقانا الله منه يوم القيامة – من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق الكثيرة المتضافرة؛ و إن رغمت أنوف كثيرة من المبتدعة المعاندة المكابرة، القائلين بجحوده، المنكرين لوجوده، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده، كما قال بعض السلف: "من كذب بكرامة لم ينلها".[٢]

المسألة الخامسة: الذين يذاذون عن حوضه يوم القيامة.

قال العلماء–رضي اللَّه عنهم–: "إن ممن يذاد عن حوض النبي–صلى اللَّه عليه وسلم– جنس المفترين على اللَّه وعلى رسوله–صلى اللَّه عليه وسلم–الكذب، المحدثين في الدين ما ليس منه من الخوارج والروافض والجهمية وسائر أصحاب الأهواء المخلة، والبدع المضلة، وكذا المسرفون من الظلمة المفرطون في الظلم والجور وطمس الحق، وكذا المتهتكون [٣] في ارتكاب المناهي، والمعلنون في اقتراف المعاصي. . . ".[٤]

ففي صحيح مسلم من حديث أنس–رضي اللَّه عنه–: «**هل تدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج**[٥] **العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتي** «**فيقول**» إنك لا تدري ما أحدث بعدك».

(١) الكشف والبيان للثعالبي «سورة الكوثر: الآية: ١».

(٢) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير «ص: ٣١٣».

(٣) المتهتكون: قال في القاموس: "ورجل منهتك، ومتهتك، ومستهتك: لا يبالي أن يهتك ستره. . . " والمعنى أنهم لا يبالون بالفضيحة «القاموس: هتك».

(٤) لوامع الأنوار «٢/ ١٩٧»، والتذكرة للقرطبي «ص: ٣٦٧».

(٥) يختلج: أي يجتذب ويقتطع. النهاية «٢/ ٥٩».

(١)

وفي صحيح مسلم أيضًا من حديث حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- قال: «**ليردن على الحوض أقوام فيختلجون دوني فأقول ربي أصحابي رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**».(٢)

وأخرج الإمام أحمد والطبراني والبزار عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما سمعت رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم-يقول: "أنا فرطكم على الحوض فمن ورد أفلح ويجاء بأقوام فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب يا رب فيقال ما زالوا بعدك مرتدين على أعقابهم".(٣)

وأخرج الحكيم(٤) في نوادر الأصول عن عثمان بن مظعون رضي اللَّه عنه عن النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- أنه قال: "يا عثمان لا ترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل أن يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة".(٥)

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة-رضي اللَّه عنه-، أن رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- قال: «**يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي -أو قال من أمتي- فَيُحَلأون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي** «**فيقول إنه**» لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على

(١) رواه مسلم رقم «٤٠٠» في الصلاة باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة.

(٢) مسلم في الفضائل باب إثبات حوض نبينا -صلى اللَّه عليه وسلم- وصفاته «٤/ ١٧٩٧».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند «١/ ٢٥٧»، والطبراني في الكبير «١١/ ٣٣، ١٢/ ٧١»، وفي الأوسط «٣/ ٤١٦-٤١٧»، والبزار كما في كشف الأستار «٢/ ٢١٠» رقم «١٥٣٦». قال الهيثمي في مجمع الزوائد «١٠/ ٣٦٤»، وفي إسناده عندهم ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبقية رجالهم ثقات.

(٤) نوادر الأصول للحكيم الترمذي «٢/ ١٤٨».

(٥) ذكره القرطبي في التذكرة، وعزاه للحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديث عثمان بن مظعون عن النبي-صلى اللَّه عليه وسلم- أنه قال في آخره: "يا عثمان لا ترغب عن سنتي. . . " الحديث. قال: "وقد ذكرناه بكماله في آخر كتاب: قمع الحرص بالزهد والقناعة" انتهى. التذكرة «ص: ٣٦٨»، ولوامع الأنوار «٢/ ١٩٩».

أدبارهم القهقرى». [(١)]

وفي رواية: "فيجلون".

قال في جامع الأصول: "اختلجوا": استلبوا وأخذوا بسرعة."

وقوله: فيحلأون: يعني مبنيًا للمفعول: أي يدفعون عن الماء ويطردون عن وروده، إذا كان بالحاء المهملة ومن رواه بالجيم فهو من الجلاء وهو النفي عن الوطن وهو راجع إلى الطرد". [(٢)]

وفي رواية عند البخاري أن رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- قال: «**بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم. قلت: إلى أين؟ قال: إلى النار واللَّه. قلت: ما شأنهم؟. قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقهرى. ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال لهم: هلم. قلت: إلى أين؟ قال: إلى النار واللَّه. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل [(٣)] النعم**». [(٤)]

وفي الصحيحين من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق-رضي اللَّه عنهما-، قالت، قال رسول اللَّه-صلى اللَّه عليه وسلم-: «**إني على الحوض انتظر من يرد عليّ منكم وسيؤخذ أُناس دوني فأقول يارب مني ومن أمتي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك واللَّه ما برحوا يرجعون على أعقابهم**». [(٥)]

ورواه الشيخان-أيضًا-من حديث أبي سعيد الخدري-رضي اللَّه عنه-، وزاد: «**فأقول**

---

(١) رواه البخاري «١١/ ٤٨٣» في الرقاق باب في الحوض، ومسلم رقم «٢٤٧» في الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء.

(٢) جامع الأصول «١٠/ ٤٧١».

(٣) همل النعم: النعم الهمل: الإبل الضالة والمعنى أن الناجي منها قليل كهمل النعم. جامع الأصول «١٠/ ٤٧١».

(٤) رواه البخاري «٦٥٨٧».

(٥) رواه البخاري «٦٥٩٣»، ومسلم رقم «٢٢٩٣».

سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي».[(١)]

قال القرطبي-رحمه الله-: "قال علماؤنا: كل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم فهؤلاء كلهم مبدلون، ثم الطرد قد يكون في حال ويقربون بمد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد قال: وقد يقال إن أهل الكبائر يردون ويشربون وإذا دخلوا النار بعد ذلك لم يعذبوا بالعطش".انتهى.[(٢)]

فأهل البدع مطرودون عن حوض النبي-صلى الله عليه وسلم-، ومردودون عن الشرب منه والله أعلم.[(٣)]

المسألة السادسة: ما جاء في الأخبار أن لكل نبي حوضًا.

فأخرج الترمذي من حديث سمرة بن جندب-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن لكل نبي حوضًا ترده أمته وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة** [(٤)] **وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة**».[(٥)]

وورد في بعض الأخبار "أن لكل نبي حوضًا إلا صالحًا عليه السلام فإن حوضه ضرع ناقته".[(٦)]

---

(١) رواه البخاري رقم «٦٥٨٤» ومسلم رقم «٢٢٩٠».

(٢) التذكرة للقرطبي «ص: ٣٦٧» باختصار، ولوامع الأنوار «٢/ ٢٠٠».

(٣) لوائح الأنوار السنية للسفاريني «٢/ ١٧٤-١٧٨».

(٤) واردة: الجماعة ترد الماء. جامع الأصول «١٠/ ٤٦٧».

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه رقم «٢٤٤٣» كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في صفة الحوض. وقال الترمذي: "هذا حديث غريب وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مرسلًا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح"..

(٦) نسبه القرطبي في التذكرة: «٣٦٨» إلى البكرى المعروف بابن الواسطي. ومثل هذا الخبر لايثبت إلا بدليل صحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. والله أعلم، وانظر: لوائح الأنوار السنية للسفاريني «٢/ ١٧٨»

٦٢- الصراط

[٦٢]- قال المصنف رحمه الله: «**والصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ على مَتْن جَهَنَّم، وهو الجِسر الذي بين الجَنَّة والنَّار يَمُرُّ النَّاسُ عليه على قَدْرِ أعمالِهِم؛ فَمنهم مَن يَمُرُّ كَلَمْحِ البَصر، ومنهم من يَمُرُّ كالبَرق، ومنهم من يَمُرُّ كالرِّيح، ومِنهم من يَمُرُّ كالفَرس الجَواد، ومِنهم مَن يَمر كَرَاكِب الإبل، ومنهم مَن يَعْدُو عَدْوًا، ومنهم من يمشي مَشْيًا، ومنهم مَن يَزحف زحفًا، ومنهم مَن يُخطف ويُلقى في جهنم، فإنَّ الجسر عليه كلاليبُ تَخْطِفُ النَّاس بأعمالِهِم**».

الشرح

المسألة الأولى: معنى الصراط لغة واصطلاحا.

أولًا: معنى الصراط لغة:

الصِّراطُ لُغةً: الطَّريقُ، وهو بالصَّادِ لُغةُ قُرَيشٍ التي جاء بها الكِتابُ، وعامَّةُ العَرَبِ تجعلُه بالسِّينِ، وإنَّما قيل للطَّريقِ الواضِحِ: سِراطٌ؛ لأنَّه يَستَرِطُ المارَّةَ لكَثرةِ سُلوكِهم إيَّاه، وأصلُ «**سرط**» يدُلُّ على غَيبةٍ في مَرٍّ وذَهابٍ[(١)]

ثانيًا: مَعنى الصِّراطِ اصطِلاحًا:

١- قال ابنُ حَزمٍ عن الصِّراطِ: "هو طَريقٌ يُوضَعُ بينَ ظَهْرانَيْ جَهنَّمَ فيَنجو من شاءَ اللهُ تعالى ويَهلِكُ من شاءَ". [(٢)]

٢- قال النَّوَويُّ: "الصِّراطُ، وهو جِسرٌ مَنصوبٌ على ظَهرِ جَهَنَّمَ، عافانا اللهُ منها". [(٣)]

٣- قال ابنُ تَيميَّةَ: "الصِّراطُ مَنصوبٌ على مَتنِ جهنَّمَ. وهو الجِسرُ الذي بينَ الجَنةِ والنَّارِ. يَمُرُّ النَّاسُ عليه على قَدرِ أعمالِهم". [(٤)]

---

(١) يُنظر: «تهذيب اللغة» للأزهري «١٢/ ٢٣٢»، «مقاييس اللغة» لابن فارس «٣/ ١٥٢» «٣/ ٣٤٩».

(٢) يُنظر: «المحلى» «١/ ١٥».

(٣) يُنظر: «رياض الصالحين» «ص: ٢٨٥».

(٤) يُنظر: «العقيدة الواسطية» «ص: ٩٩».

٤- قال ابنُ أبي العِزِّ: "هو جِسرٌ على جَهَنَّم، إذا انتَهى النَّاسُ بَعدَ مُفارَقتِهم مَكانَ الموقِفِ إلى الظُّلْمةِ التي دونَ الصِّراطِ... وفي هذا الموضِعِ يَفترِقُ المنافِقونَ عن المؤمِنينَ، ويَتَخَلَّفونَ عنهم، ويَسبِقُهمُ المؤمنونَ، ويُحالُ بينَهم بسورٍ يَمنَعُهم من الوُصولِ إليهم". [(١)]

٥- قال السَّفارينيُّ: "الصِّراطُ... في الشَّرعِ: جِسمٌ مَمدودٌ على مَتنِ جَهنَّمَ يَرِدُه الأوَّلونَ والآخِرونَ، فهو قَنطَرةُ جَهنَّمَ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ:. [(٢)]

٦- قال ابنُ عُثيمين: "الصِّراطُ جِسرٌ يوضَعُ على جَهنَّمَ يَصعَدُ منه المؤمِنونَ من أرضِ المحشَرِ إلى الجَنةِ، ولا يَصعَدُه إلَّا المؤمِنونَ، أمَّا الكُفَّارُ فقد سِيقوا إلى جَهَنَّمَ وأُلقوا فيها، لَكِنِ المؤمِنونَ همُ الذين يَصعَدونَ هذا الصِّراطَ". [(٣)]

المسألة الثَّانية: أدِلَّةُ ثُبوتِ الصِّراطِ:

١- قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: الآيتان: ٧١-٧٢].

قال ابنُ جَريرٍ: "قال ابنُ زيدٍ في قَولِه: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مَريم: الآية: ٧١] وُرودُ المسلِمينَ: المرورُ على الجِسرِ بينَ ظَهرَيها، وورودُ المشرِكينَ أن يَدخُلوها". [(٤)]

وقال النَّوَويُّ: "الصَّحيحُ أنَّ المرادَ بالوُرودِ في الآيةِ المرورُ على الصِّراطِ، وهو جِسرٌ مَنصوبٌ على جَهَنَّمَ، فيَقَعُ فيها أهلُها ويَنجو الآخَرونَ". [(٥)]

وقال ابنُ تَيميَّةَ: "وأمَّا الوُرودُ المذكورُ في قَولِه تعالى: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فقد فسَّرَه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في الحَديثِ الصَّحيحِ أخرجه مُسلِمٌ في صَحيحِه عن جابِرٍ: «**بأنَّه**

---

(١) يُنظر: «شرح الطحاوية» «٢/ ٦٠٥».

(٢) يُنظر: «لوامع الأنوار البهية» «٢/ ١٨٩».

(٣) يُنظر: «شرح العقيدة السفارينية» «ص: ٤٧٥-٤٧٧».

(٤) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «١٥/ ٥٩٧».

(٥) يُنظر: «شرح مسلم» «١٦/ ٥٨».

المُرورُ على الصِّراطِ»، والصِّراطُ هو الجِسرُ؛ فلا بُدَّ من المرورِ عليه لكُلِّ مَن يَدخُلُ الجَنةَ من كان صَغيرًا في الدُّنيا ومن لَم يَكُن". [١]

وقال ابنُ أبي العِزِّ: "اختَلَفَ المفَسرونُ في المرادِ بالوُرودِ المذكورِ في قَولِه تعالى: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: الآية: ٧١] ما هو؟ والأظهَرُ والأقوى: أنَّه المرورُ على الصِّراطِ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: الآية: ٧٢].

وفي الصَّحيحِ أنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «**والذي نَفسي بيَدِه، لا يَلِجُ النَّارَ أحَدٌ بايع تَحتَ الشَّجَرةِ**»، قالت حَفصةُ: فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أليسَ اللهُ يَقولُ: وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا [مَريم: الآية: ٧١] ؟ فقال: «**ألَم تَسمَعيه قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]** ؟» [٢]. أشارَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى أنَّ وُرودَ النَّارِ لا يَستَلزِمُ دُخولَها، وأنَّ النَّجاةَ من الشَّرِّ لا تَستَلزِمُ حُصولَه، بَل يَستَلزِمُ انعِقادُ سَبَبِه، فمَن طَلَبه عَدوُّه ليُهلِكوه ولَم يَتَمكَّنوا منه، يُقالُ: نَجَّاه الله منهم؛ ولِهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ [هود: الآية: ٥٨] ، ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا﴾ [هود: الآية: ٦٦] ، ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هود: الآية: ٩٤] ، ولَم يَكُنِ العَذابُ أصابَهم، ولَكِن أصابَ غَيرَهم، ولَولا ما خَصَّهمُ اللهُ به من أسبابِ النَّجاةِ لأصابَهم ما أصابَ أولَئِك. وكَذلك حالُ الوارِدِ في النَّارِ، يَمُرُّونَ فوقَها على الصِّراطِ، ثُمَّ يُنجِّي اللهُ الذينَ اتَّقوا ويَذَرُ الظَّالِمينِ فيها جِثِيًّا، فقد بَيَّنَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في حَديثِ جابرٍ المذكورِ: أنَّ الوُرودَ هو الوُرودُ على الصِّراطِ". [٣]

وقال الشَّوكانيُّ: "مِمَّا يَدُلُّ على أنَّ الوَرودَ لا يَستَلزِمُ الدُّخولَ قَولُه تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: الآية: ٢٣] فإنَّ المرادَ: أشرَفَ عليه لا أنَّه دَخلَ فيه، وقَولُ زُهيرٍ:

فَلَمَّا وَرَدْنَ الماءَ زُرقًا جِمامُه وضَعْنَ عصي الحاضِرِ المتخَيِّمِ

---

(١) يُنظر: «مجموع الفتاوى» «٤/ ٢٧٩».

(٢) أخريُنظر: «شرح الطحاوية» «٢/ ٦٠٦».جه مسلم «٢٤٩٦» باختلافٍ يسيرٍ.

(٣) يُنظر: «شرح الطحاوية» «٢/ ٦٠٦».

ولا يَخفى أنَّ القَولَ بأنَّ الوَرودَ: هو المرورُ على الصِّراطِ أوِ الوُرودُ على جَهَنَّمَ وهيَ خامِدةٌ، فيه جَمعٌ بينَ الأدِلَّةِ من الكِتابِ والسُّنَّةِ؛ فيَنبَغي حَملُ هذه الآيةِ على ذلك؛ لأنَّه قد حَصَلَ الجَمعُ بحَملِ الوُرودِ على دُخولِ النَّارِ، مَعَ كونِ الدَّاخِلِ من المؤمِنينَ مُبعَدًا من عَذابِها، أو بحَملِه على المضيِّ فوقَ الجِسرِ المنصوبِ عليها، وهو الصِّراطُ". [١]

وقال ابنُ عاشور: "الوُرودُ: حَقيقَتُه الوُصولُ إلى الماءِ لِلاستِقاءِ. ويُطلَقُ على الوُصولِ مَطلَقًا مجازًا شائِعًا، وأمَّا إطلاقُ الوُرودِ على الدُّخولِ فلا يُعرَفُ إلَّا أن يَكونَ مجازًا غيرَ مَشهورٍ فلا بُدَّ له من قَرينةٍ. وجُملةُ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا زيادةٌ في الِارتِقاءِ بالوَعيدِ بأنَّهم خالِدونَ في العَذابِ، فليس ورودُهم النَّارَ بمُوقَّتٍ بأجَلٍ. وثُمَّ للتَّرتيبِ الرُّتْبِيِّ تَنويهًا بإنجاءِ الذينَ اتَّقوا وتَشويهًا بحالِ الذينَ يَبقونَ في جَهَنَّمَ جِثِيًّا. فالمعنى: وعِلاوةً على ذلك نُنجي الذينَ اتَّقوا من وُرودِ جَهنَّمَ. وليس المعنى: ثُمَّ يُنجِّي المتَّقِينَ من بينِهم، بَلِ المعنى أنَّهم نَجَوا من الوُرودِ إلى النَّارِ. وذِكرُ إنجاءِ المتَّقينَ: أي المؤمِنينَ، إدماجٌ ببِشارةِ المؤمِنينَ في أثناءِ وعيدِ المشركِينَ... فليس الخِطابُ في قَولِه: وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا لجَميعِ النَّاسِ مُؤمِنِهم وكافِرِهم على مَعنى ابتِداءِ كلامٍ بحَيثُ يَقتَضي أنَّ المؤمِنينَ يَرِدونَ النَّارَ مَعَ الكافِرين ثُمَّ يَنجَونَ من عَذابِها؛ لأنَّ هذا مَعنًى ثَقيلٌ يَنبو عنه السِّياقُ؛ إذ لا مُناسَبةَ بينَه وبينَ سِياقِ الآياتِ السَّابِقةِ، ولِأنَّ فضلَ اللهِ على المؤمِنينَ بالجَنةِ وتَشريفَهم بالمنازِلِ الرَّفيعةِ يُنافي أن يَسُوقَهم مَعَ المشرِكينَ مَساقًا واحِدًا، كيفَ وقد صَدَّرَ الكَلامُ بقَولِه ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ [مَريم: الآية: ٦٨] ، وقال تعالى: يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا [مريم: الآيتان: ٨٥، ٨٦]، وهو صَريحٌ في اختِلافِ حَشرِ الفَريقينِ". [٢]

وقال ابنُ بازٍ: "الوُرودُ المرورُ كما بَيَّنَت ذلك الأحاديثُ الصَّحيحةُ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ثُمَّ يُنجي الله المتَّقينَ ويَذَرُ الظَّالِمينَ فيها جِثِيًّا.... فالكُفَّارُ يُساقونَ إليها والعُصاةُ منهم

---

(١) يُنظر: «تفسير الشوكاني» «٣/ ٤٠٦».

(٢) يُنظر: «تفسير ابن عاشور» «١٦/ ١٥٠».

مَن يَنجو ومنهم مَن يُخدَشُ ويَسْلَمُ، ومنهم مَن يَسقُطُ في النَّارِ ولَكِن لا يُخلَّدُ فيها، بَل لعَذابِهم أمَدٌ يَنتَهونَ إليه، وإنَّما يُخلَّدُ فيها الكُفَّارُ خُلودًا أبديًّا". [(١)]

وقال ابنُ عُثَيمين: "قَولُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «**لا يَدخُلُ النَّارَ أحَدٌ بايع تحت الشَّجَرةِ**» قد يَقولُ قائِلٌ: كيف نَجمَعُ بينَه وبينَ قَولِه تعالى: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا * كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مَريم: الآية: ٧١] ؟

فالجَمعُ من أحَدِ وجهينِ:

الأوَّلُ: أن يُقال: إنَّ المفَسِّرينَ اختَلَفوا في المرادِ بالوُرودِ، فقال بَعضُهم: هو المرورُ على الصِّراطِ؛ لأنَّ هذا نَوعُ وُرودٍ بلا شَكٍّ؛ كما في قَولِه تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: الآية: ٢٣] ، ومَعلومٌ أنَّه لَم يَنزِلْ وسَطَ الماءِ، بَل كان حَولَه وقَريبًا منه، وبِناءً على هذا لا إشكالَ ولا تَعارُضَ أصلًا.

والوَجه الثَّاني: أنَّ من المفَسِّرينَ مَن يَقولُ: المرادُ بالوُرودِ الدُّخولُ، وأنَّه ما من إنسانٍ إلَّا ويَدخُلُ النَّارَ، وبِناءً على هذا القَولِ؛ فيُحمَلُ قَولُه: «**لا يَدخُلُ النَّارَ أحَدٌ بايع تحت الشَّجَرةِ**»: لا يَدخُلُها دُخولَ عَذَابٍ وإهانةٍ، وإنَّما يَدخُلُها تَنفيذًا للقَسَمِ: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، أو يُقالُ: إنَّ هذا من بابِ العامِّ المخصوصِ بأهلِ بَيعةِ الرِّضْوانِ". [(٢)]

وقال ابنُ عُثَيمين أيضًا في قَولِ الله تعالى وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا: "الوُرودُ هو العُبورُ على الصِّراطِ، وهو جِسرٌ مَنصوبٌ على ظَهرِ جَهنَّمَ عافانا اللهُ منها". [(٣)]

٢- عن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ الله عنه قال: قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «**يُؤتى**

---

(١) يُنظر: «مجموع فتاوى ابن باز» «٥/ ٢٤٥».

(٢) يُنظر: «شرح العقيدة الواسطية» «٢/ ٢٦٣».

(٣) يُنظر: «شرح رياض الصالحين» «٤/ ٥٧٤».

باجِسرِ فيُجعَلُ بينَ ظَهْرَي جهَنَّمَ»، قُلنا: يا رَسولَ اللهِ، وما الجِسرُ؟ قال: «**مَدحَضةٌ مَزِلَّةٌ**[١]، **عليه خَطاطيفُ وكَلاليبُ وحَسَكةٌ**[٢] **مُفلطَحةٌ لها شَوكةٌ عُقيفاءُ** [٣] **تَكونُ بنَجْدٍ يُقالُ لها السَّعدانُ**[٤]، **المُؤمِنُ عليها كالطَّرْفِ وكالبَرَقِ وكالرِّيحِ وكَأجاويدِ الخَيلِ**[٥] **والرِّكابِ؛ فناجٍ مَخدوشٌ، ومَكدوسٌ في نارِ جهَنَّمَ**»[٦].

قال عياضٌ: "قَولُه: «**ثُمَّ يُضرَبُ الصِّراطُ على ظَهْرانَيْ جَهَنَّمَ**»، ويُروى: «**ظَهْرَي جَهَنَّمَ**»[٧] وهما لُغَتانِ، قاله الأصمَعي، وقال الخَليلُ: هو بينَ ظَهْرَي القَومِ وظَهْرانَيْهم، أي: بينَهم" [٨].

وقال ابنُ حَجَرٍ: "قَولُه: «**ثُمَّ يُؤتى بالجِسرِ**» أي: الصِّراطِ، وهو كالقَنطَرةِ بينَ الجَنةِ والنَّارِ يَمُرُّ عليها المؤمِنونَ" [٩].

وقال القَسطلانيُّ: "«**فناجٍ مُسَلَّمٌ**» بفَتحِ اللامِ المشَدَّدةِ «**وناجٍ مَخدوشٌ**»...: مَخموشٌ مُمَزَّقٌ

(١) قال ابن بطال: «قوله: الجِسرُ مَدحَضةٌ مَزِلَّة. يقال: دَحضَت رجلُه دَحْضًا: زَلِقَت، والدَّحضُ: ما يكون عنه الزَّلَقُ، ودحضت الشمسُ عن كبد السماء: زالت، ودَحضَت حُجَّته: بطلَت، والمزِلَّة: موضِعُ الزَّلَل، فزلَّت القَدَمُ: سقطَت». «شرح صحيح البخاري» «١٠/ ٤٧٠».

(٢) قال ابن بطال: « «كلاليب» جمع كَلُّوب، وهو الذي يتناول به الحدَّادُ الحديدَ من النار، والخطاطيف جمع خُطَّاف، والخُطَّاف حديدة معوجَّة الطرف يجذب بها الأشياء... والحَسَك: معروف، وهو شيءٌ مُضَرَّس ذو شوكٍ يَنشِبُ به كلُّ ما مرَّ به». «شرح صحيح البخاري» «١٠/ ٤٦٨».

(٣) قال العيني: «قوله: مُفلَطحةٌ:... أي: عريضة... قوله: عُقَيفاء:... هي المنعَطِفة المعوَّجة». «عمدة القاري» «٢٥/ ١٣٠».

(٤) قال أبو اقال ابن الأثير: «هي جمعُ أجوادٍ، وأجوادٌ جَمعُ جوَادٍ». «النهاية» «١/٣١٢».لعباس القرطبي: «السعدان نبتٌ كثيرُ الشَّوكِ، شوكُه كالخطاطيف والمحاجِن». «المفهم» «١/٤٢٠».

(٥) قال ابن الأثير: «هي جمعُ أجوادٍ، وأجوادٌ جَمعُ جوَادٍ». «النهاية» «١/٣١٢».

(٦) أخرجه مطولًا البخاري «٧٤٣٩» واللَّفظُ له، ومسلم «١٨٣».

(٧) أخرجه البخاري «٧٤٣٧»، ومسلم «١٨٢» مطولًا من حديثِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه.

(٨) يُنظر: «إكمال المعلم» «١/ ٥٥٠».

(٩) يُنظر: «فتح الباري» «١/ ٩٨».

«ومَكدوسٌ»...: مَصروعٌ «في نارِ جَهَنَّمَ».

والحاصِلُ أنَّهم ثَلاثةُ أقسامٍ: قِسمٌ مُسَلَّمٌ لا يَنالُه شَيءٌ أصلًا، وقِسمٌ يُخدَشُ ثُمَّ يَسلَمُ ويُخَلَّصُ، وقِسمٌ يَسقُطُ في جَهَنَّمَ «حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهم» أي آخِرُ النَّاجينَ". [(١)]

وقد أجمَعَ أهلُ العِلمِ على ثُبوتِ الصِّراطِ وأنَّه جِسرٌ مَمدودٌ على مَتنِ جَهنَّمَ.

قال أبو الحَسَنِ الأشعَريُّ: "أجمَعوا على أنَّ الصِّراطَ جِسرٌ مَمدودٌ على جَهَنَّمَ، يَجوزُ عليه العِبادُ بقَدرِ أعمالِهم، وأنَّهم يَتَفاوَتونَ في السُّرعةِ والإبطاءِ على قَدرِ ذلك". [(٢)]

وقال عياضٌ: "قَولُه: «ثُمَّ يُضرَبُ الصِّراطُ على ظَهْرانَيْ جَهَنَّمَ»... فيه صِحَّةُ أمرِ الصِّراطِ والإيمانُ به، والسَّلَفُ مُجْمِعونَ على حَملِه على ظاهِرِه دونَ تَأويلٍ، واللهُ أعلَمُ بحَقيقةِ صِفَتِه، وهو الجِسرُ، كما جاءَ في الحَديثِ الآخَرِ، ويُقالُ بكَسرِ الجيمِ وفَتحِها". [(٣)]

ومن أقوالِ أهلِ العِلمِ في شَأنِ الصِّراطِ:

١- قال سُفيانُ بنُ عُيَينةَ: "السُّنَّةُ عَشَرةٌ، فمَن كُن فيه فقَدِ استَكمَلَ السُّنَّةَ، ومن تَرَك منها شَيئًا فقد تَرَك السُّنَّةَ: إثباتُ القَدَرِ، وتَقديمُ أبي بَكرٍ وعُمَر، والحَوضُ، والشَّفاعةُ، والميزانُ، والصِّراطُ...". [(٤)]

٢- قال أحمَدُ بن حَنبلٍ: "الصِّراطُ حَقٌّ". [(٥)]

٣- قال الرَّازيانِ أبو زُرعةَ وأبو حاتِمٍ: "أدرَكنا العُلَماءَ في جَميعِ الأمصارِ حِجازًا وعِراقًا وشامًا ويَمَنًا، فكانَ من مَذهَبِهم... والصِّراطُ حَقٌّ". [(٦)]

---

(١) يُنظر: «إرشاد الساري» «١٠/ ٤٠٥».

(٢) يُنظر: «رسالة إلى أهل الثغر» «ص: ١٦٣».

(٣) يُنظر: «إكمال المعلم» «١/ ٥٥٠».

(٤) يُنظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي «١/١٧٥».

(٥) يُنظر: «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى «١/٣٤٤».

(٦) يُنظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي «١/ ١٩٩».

٤- قال حَربُ بن إسماعيلَ الكرمانيّ: "الصِّراطُ حَقٌّ، يوضَعُ على سَواءِ جَهنَّمَ، فيَمُرُّ النَّاسُ عليه، والجَنَّةُ من وراءِ ذلك، نَسألُ اللهَ السَّلامةَ والجَوازَ الجوازَ". [(١)]

٥- قال البَرَبَهاريُّ: "والإيمانُ بالصِّراطِ على جَهَنَّمَ، يَأخُذُ الصِّراطُ من شاءَ اللهُ، ويَجوزُ من شاءَ الله، ويَسقُطُ في جَهنَّمَ من شاءَ اللهُ، ولهم أنوارٌ على قَدْرِ إيمانِهم". [(٢)]

٦-قال ابنُ شاهينَ: "أشهَدُ أنَّ البَعثَ والنُّشورَ من القُبورِ حَقٌّ ليَومِ القيامةِ، فيُشهِدُهم أعمالَهم، ويُحضِرُهم أفعالَهم، ويُنطِقُ عليهم أفخاذَهم، وأشهَدُ أنَّ الحِسابَ والوُقوفَ حَقٌّ، وأشهَدُ أنَّ الميزانَ حَقٌّ، وهو قُدرةٌ مِن قُدَرِ الله، وأنَّ الحَوضَ لمحَمَّدٍ حَقٌّ، وأنَّ الصِّراطَ حَقٌّ". [(٣)]

٧- قال ابنُ أبي زيدٍ القيروانيُّ: "وأنَّ الصِّراطَ حَقٌّ، يَجوزُه العِبادُ بقَدرِ أعمالِهم، فناجون مُتَفاوِتونَ في سُرعةِ النَّجاةِ عليه من نارِ جَهَنَّمَ، وقومٌ أوبَقَتْهم فيها أعمالُهم". [(٤)]

٨- قال ابنُ بَطَّةَ: "نَحنُ الآنَ ذاكِرونَ شَرحَ السُّنَّةِ... مِمَّا أجمَعَ على شَرحِنا له أهلُ الإسلامِ وسائرُ الأمَّةِ - فذَكَرَ جُملةً من مُعتَقَدِ أهلِ السُّنَّةِ، ثُمَّ قال-: ثُمَّ الإيمانُ بالبَعثِ والصِّراطِ". [(٥)]

٩- قال ابنُ أبي زمنينَ: "أهلُ السُّنَّةِ يُؤمِنونَ بالصِّراطِ، وأنَّ النَّاسَ يَمُرُّونَ عليه يَومَ القيامةِ على قَدرِ أعمالِهم". [(٦)]

١٠- قال أبو عَمْرٍو الدَّاني: "مِن قَولِهم: إنَّ اللهَ سُبحانَه يَمُدُّ الصِّراطَ جِسرًا على شَفيرِ جَهَنَّمَ للجَوازِ عليه، أرَقَّ من الشَّعرِ، وأحَدَّ من السَّيفِ، على ما صَحَّتْ به الأخبارُ، وثَبَتَت به الآثارُ،

(١) يُنظر: «إجماع السلف في الاعتقاد» «ص ٥٠».
(٢) يُنظر: «شرح السنة» «ص: ٤٧».
(٣) يُنظر: «شرح مذاهب أهل السنة» «ص: ٣٢٠».
(٤) يُنظر: «عقيدة السلف - مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة» «ص: ٥٩».
(٥) يُنظر: «الإبانة الصغرى» «ص: ١٩١-٢٢١».
(٦) يُنظر: «أصول السنة» «ص: ١٦٨».

عن رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فيَجوزُه العِبادُ بقَدرِ أعمالِهم، ويَخِفُّ ويَضعُفُ جَوازُه بقَدرِ طاعَتِهم ومَعاصِيهم، وقد ذَكَرَ اللهُ تعالى الصِّراطَ في غَيرِ مَوضِعٍ من كِتابِه، وتَواتَرَتِ الأخبارُ فيه عن رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وما يَلحَقُ النَّاسَ عليه من الأهوالِ: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: الآية: ٦١]". (١)

١١- قال ابنُ حَزمٍ: "وأنَّ الصِّراطَ حَقٌّ وهو طَريقٌ يوضَعُ بينَ ظَهْرانَي جهنَّم، فيَنجو من شاءَ الله تعالى ويَهلِكُ من شاءَ". (٢)

١٢- قال أبو اليسر البَزدَويُّ: "قال أهلُ السُّنَّةِ والجَماعةِ: إنَّ الصِّراطَ حَقٌّ، وهو جِسرٌ على جَهَنَّمَ يَجوزُ عليه الخَلقُ، إلَّا أنَّ بَعضَهم يَقعونَ في النَّارِ، وبَعضَهم يَمرُّونَ فيَدخُلونَ الجَنَّةَ، وفي كيفيَّتِه أحاديثُ، والقَولُ به أصلٌ واجِبٌ". (٣)

١٣- قال الغَزاليُّ: "وأن يُؤمِنَ بأنَّ الصِّراطَ حَقٌّ، وهو جِسرٌ مَمدودٌ على مَتنِ جَهنَّمَ، أحَدُّ من السَّيفِ، وأدَقُّ من الشَّعرةِ". (٤)

١٤-قال ابنُ تَيميَّةَ: "الصِّراطُ مَنصوبٌ على مَتنِ جَهنَّمَ، وهو الجِسرُ الذي بينَ الجَنةِ والنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عليه على قَدرِ أعمالِهم:

- فمنهم مَن يَمُرُّ كلَمحِ البَصَرِ.
- ومنهم مَن يَمُرُّ كالبَرقِ.
- ومنهم مَن يَمُرُّ كالرِّيحِ.
- ومنهم مَن يَمُرُّ كالفَرَسِ الجَوادِ.
- ومنهم مَن يَمُرُّ كرِكابِ الإبلِ.

(١) يُنظر: «الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات» «ص: ٢٠٣». والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه «١٦/ ٣٨٧»، وقال المحقق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) يُنظر: «المحلى» «١/ ١٥».

(٣) يُنظر: «أصول الدين» «ص: ١٦٤».

(٤) يُنظر: «قواعد العقائد» «ص: ٦٦».

- ومنهم مَن يَعدو عَدْوًا.

- ومنهم مَن يَمشي مَشيًا.

- ومنهم مَن يَزحَفُ زَحفًا.

- ومنهم مَن يُخطَفُ فيُلقى في جَهَنَّمَ؛ فإنَّ الجِسرَ عليه كَلاليبُ تَخطِفُ النَّاسَ بأعمالِهم.

فمَن مَرَّ على الصِّراطِ دَخلَ الجَنَّةَ، فإذا عَبَروا عليه وقَفوا على قَنطَرةٍ بينَ الجَنةِ والنَّارِ؛ فيُقتَصُّ لبَعضِهم من بَعضٍ، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دُخولِ الجَنةِ". [(١)]

١٥- قال ابنُ أبي العِزِّ: "قَولُه أيِ الطَّحاويِّ: «**والصِّراطُ**». أي: ونُؤمِنُ بالصِّراطِ، وهو جِسرٌ على جَهَنَّمَ، إذا انتهى النَّاسُ بَعدَ مُفارَقَتِهم مَكانَ الموقِفِ إلى الظُّلْمةِ التي دونَ الصِّراطِ". [(٢)]

١٦- قال ابنُ رَجَب: "إنَّ الإيمانَ والعَمَلَ الصَّالِحَ في الدُّنيا هو الصِّراطُ المستَقيمُ في الدُّنيا الذي أمرَ الله العِبادَ بسُلوكِه والِاستِقامةِ عليه، وأمرَهم بسُؤالِ الهِدايةِ إليه، فمَنِ استَقامَ سَيرُه على هذا المسقيمِ في الدُّنيا ظاهرًا وباطِنًا، استَقام مَشْيُه على ذلك الصِّراطِ المنصوبِ على مَتنِ جَهنَّمَ، ومن لَم يَستَقِم سَيرُه على هذا الصِّراطِ المستَقيمِ، بَلِ انحَرَفَ عنه إمَّا إلى فتنةِ الشُّبُهاتِ أو إلى فتنةِ الشَّهَواتِ، كان اختِطافُ الكَلاليبِ له على صِراطِ جهنَّمَ بحَسَبِ اختِطافِ الشُّبُهاتِ والشَّهَواتِ له عن هذا الصِّراطِ المستَقيمِ، كما في حَديثِ أبي هُريرةَ: «**إنَّها تَخطَفُ النَّاسَ بأعمالِهم**» [(٣)]". [(٤)]

وقال أيضًا: "إذا طُهِّرَ المؤمِنُ من ذُنوبه في الدُّنيا لَم يَجِد حَرَّ النَّارِ إذا مَرَّ عليها يَومَ القيامةِ؛ لأنَّ وِجدانَ النَّاسِ لَحرِّها عِندَ المرورِ عليها بحَسَبِ ذُنوبِهم، فمَن طُهِّرَ من الذُّنوبِ ونُقِّي منها

---

(١) يُنظر: «العقيدة الواسطية» «ص: ٩٩».

(٢) يُنظر: «شرح الطحاوية» «٢/ ٦٠٥».

(٣) أخرجه البخاري «٨٠٦»، ومسلم «١٨٢» مطولًا

(٤) يُنظر: «التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار» «ص: ٢٤٠».

في الدُّنيا جازَ على الصِّراطِ كالبَرقِ الخاطِفِ والرِّيحِ ولَم يَجِد شَيئًا من حَرِّ النَّارِ ولَم يُحِسَّ بها". [(١)]

١٧- قال ابنُ حَجَرٍ العَسقَلانيُّ: "إنَّ الصِّراطَ جِسرٌ مَوضوعٌ على مَتنِ جَهنَّمَ، وأنَّ الجَنةَ وراءَ ذلك، فيَمُرُّ عليه النَّاسُ بحَسَبِ أعمالِهم، فمنهمُ النَّاجي: وهو مَن زادَت حَسَناتُه على سَيِّئاتِه، أوِ استَويا، أو تَجاوَزَ اللهُ عنه، ومنهمُ السَّاقِطُ: وهو مَن رَجَحَت سَيِّئاتُه على حَسَناتِه إلَّا من تَجاوَزَ اللهُ عنه، فالسَّاقِطُ من المُوَحِّدينَ يُعذَّبُ ما شاءَ اللهُ، ثُمَّ يَخرُجُ بالشَّفاعةِ وغَيرِها، والنَّاجي قد يَكونُ عليه تَبِعاتٌ وله حَسَناتٌ توازيها أو تَزيدُ عليها، فيُؤخَذُ من حَسَناتِه ما يَعدِلُ تَبعاتِه، فيُخَلَّصُ منها". [(٢)]

١٨- قال العَينيُّ: "الصِّراطُ: جِسرٌ مَمدودٌ على مَتنِ جَهنَّمَ، أدَقُّ من الشَّعرِ، وأحَدُّ من السَّيفِ". [(٣)]

١٩- قال السَّفارينيُّ: "اتَّفَقَتِ الكَلِمةُ على إثباتِ الصِّراطِ في الجُملةِ، لَكِنَّ أهلَ الحَقِّ يُثبِتونَه على ظاهِرِه من كونِه جِسرًا مَمدودًا على مَتنِ جَهنَّمَ، أحَدَّ من السَّيفِ وأدَقَّ من الشَّعرِ. وأنكَرَ هذا الظَّاهرَ القاضي عَبدُ الجَبَّارِ المعتَزِليُّ، وكَثيرٌ من أتباعِه زَعْمًا منهم أنَّه لا يُمكِنُ عُبورُه، وإن أمكَنَ ففيه تَعذيبٌ، ولا عَذابَ على المؤمِنينَ والصُّلَحاءِ يَومَ القيامةِ، وإنَّما المرادُ طَريقُ الجَنَّةِ المشارُ إليه بقَولِه تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: الآية: ٥] ، وطَريقُ النَّارِ المشارُ إليه بقَولِه تعالى: فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ [الصافات: الآية: ٢٣] ، ومنهم من حَمَلَه على الأدِلَّةِ الواضِحةِ والمباحاتِ والأعمالِ الرَّديئةِ التي يُسألُ عنها ويُؤاخَذُ بها. وكُلُّ هذا باطِلٌ وخُرافاتٌ لوُجوبِ حَملِ النُّصوصِ على حَقائِقِها، وليس العُبورُ على الصِّراطِ بأعجَبَ من المشي على الماءِ أوِ الطَّيَرانِ في الهَواءِ، أوِ الوُقوفِ فيه، وقد أجابَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن سُؤالِ

---

(١) ينظر«لطائف المعارف» «ص: ٣٢٥».

(٢) يُنظر: «فتح الباري» «١١/٣٩٩».

(٣) يُنظر: «عمدة القاري» «٦/٨٤».

حَشرِ الكافِرِ على وَجْهِه بأنَّ القُدرةَ صالِحةٌ لذلك. وأنكَرَ العَلَّامةُ القَرافيُّ كونَ الصِّراطِ أدَقَّ من الشَّعرِ وأحَدَّ من السَّيفِ، وسَبَقَه إلى ذلك شَيخُه العِزُّ بنُ عَبدِ السَّلامِ، والحَقُّ أنَّ الصِّراطَ ورَدَت به الأخبارُ الصَّحيحةُ، وهو محمولٌ على ظاهرِه بغيرِ تأويلٍ، كما ثَبَتَ في «**الصَّحيحينِ**» و«**المَسانيدِ**» و«**السُّننِ**» «**والصِّحاحِ**» ممَّا لا يُحصى إلَّا بكُلفةٍ من أنَّه جِسرٌ مَضروبٌ على مَتنِ جهنَّمَ يَمُرُّ عليه جَميعُ الخَلائِقِ، وهم في جَوازِه مُتَفاوِتونَ". (١)

وقال السَّفارينيُّ أيضًا: "زَعَمَ بَعضُ النَّاسِ أنَّ كونَ الصِّراطِ أدَقَّ من الشَّعرةِ، وأحَدَّ من السَّيفِ راجِعٌ إلى اليُسرِ والعُسرِ على قَدرِ الطَّاعاتِ والمعاصي وأنكَرَ أن يَكونَ الصِّراطُ بهذه الصِّفةِ، واستَدَلَّ على ذلك بما وصفَ من أنَّ الملائِكةَ يَقومونَ بجَنبَيه، وأنَّ فيه كَلاليبَ وحَسَكًا، وأنَّ مَن يَمُرُّ عليه يَقَعُ على بَطنِه ومنهم مَن يَبرُك ثُمَّ يَقومُ. وهذا مَردودٌ، والإيمانُ بما وصَفْنا من صِفاتِ الصِّراطِ بأنَّه أدَقُّ من الشَّعرةِ، وأحَدُّ من السَّيفِ واجِبٌ. والقادِرُ على إمساكِ الطَّيرِ في الهَواءِ قادِرٌ أن يُمسِكَ عليه المؤمِنَ فيُجريه أو يُمشيه... وأيُّ وجهٍ يُلجِئُنا إلى العُدولِ عن الحَقيقةِ إلى المجازِ مَعَ اعتِرافِنا بأنَّ القُدرةَ صالِحةٌ، ولا شَيءَ يَكثُرُ على اللهِ، كيفَ وهو الفاعِلُ المختارُ؟ فالله سُبحانَه وتعالى قادِرٌ على كُلِّ شَيءٍ، فمَنِ اعترَفَ بأنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ عَلِمَ أنَّ ذلك حَقٌّ، وإنَّما يُخَيلُ لبَعضِ النُّفوسِ استِحالَةَ ذلك لعَدَمِ إلْفِها ذلك مَعَ قِلَّةِ مَعرِفَتِها لله سُبحانَه، فنَسألُ اللهَ سُبحانَه وتعالى أن يَرزُقَنا عِلمًا رَبانيًّا يَقذِفُه في قُلوبِنا، ومَعرِفةً تامَّةً، ومَحَبَّةً كامِلةً، فمَن رُزِقَ ذلك فاز، ومن لا فلَه الويلُ والثُّبورُ ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]". (٢)

٢٠- قال مُحَمَّدُ بن عَبدِ الوهابِ: "أؤمِنُ بأنَّ الصِّراطَ مَنصوبٌ على شَفيرِ جهنَّمَ، يَمُرُّ به النَّاسُ على قَدرِ أعمالِهم". (٣)

---

(١) يُنظر: «لوامع الأنوار» «٢/ ١٩٢».

(٢) يُنظر: «البحور الزاخرة» «٢/ ٨٧٨».

(٣) يُنظر: «الدرر السنية» «١/ ٣١».

٢١- قال ابنُ بازٍ: "المسلِمونَ إذا انتَهَوا من الموقِفِ يَمُرونَ على الصِّراطِ، وهو مَنصوبٌ على مَتنِ جَهَنَّمَ، أصلُه في الأرضِ ونِهايَتُه إلى الجَنةِ، يَمُرُّ عليه المؤمِنونَ ويُمنَعُ عنه الكافِرونَ، فاحرِص على العُدَّةِ التي تُيَسِّرُ لَك مُرورَك، من الإيمانِ باللهِ والتَّقوى، وعليه كَلاليبُ تَخطَفُ النَّاسَ بأعمالِهم، فمنهم مَن يُخدَشُ وينجو، ومنهم مَن يُخطَفُ ويَسقُطُ بسَبَبِ مَعاصيه. والكُفَّارُ لا يَمرونَ عليه، بَل يُساقونَ إلى النَّارِ ويُحشَرونَ إليها، كما ضَيَّعوا أمرَ اللهِ وأشرَكوا به وكَفَروا به". (١)

٢٢- قال ابنُ عُثَيمين: "الصِّراطُ جِسرٌ يوضَعُ على جَهنَّمَ يَصعَدُ منه المؤمِنونَ من أرضِ المحشَرِ إلى الجَنةِ، ولا يَصعَدُه إلَّا المؤمِنونَ، أمَّا الكُفَّارُ فقد سِيقوا إلى جَهَنَّمَ وأُلقوا فيها، لَكِنِ المؤمِنونَ همُ الذين يَصعَدونَ هذا الصِّراطَ. واختَلَفَ العُلَماءُ في هذا الصِّراطِ: هَل هو صِراطٌ واسِعٌ يَسَعُ أممًا عَظيمةً أو هو صِراطٌ ضَيِّقٌ؟ وذلك على قَولينِ؛ فمنهم من قال: إنَّه أدَقُّ من الشَّعرِ، وأحَدُّ من السَّيفِ، وأحَرُّ من الجَمرِ، فلَمَّا قيلَ: إنَّ هذا لا يُمكِنُ العُبورُ عليه، أجابوا بأنَّ أمورَ الآخِرةِ لا تُقاسُ بأمورِ الدُّنيا، وأنَّ الله على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ، وأنَّ اللهَ جَعلَه بهذه الصِّفةِ لِمشَقَّةِ العُبورِ منه كمشَقَّةِ الصِّراطِ في الدُّنيا على النُّفوسِ؛ لأنَّ الجَنَّةَ حُفَّت بالمكارِه. ومنهم من قال: بَل إنَّه صِراطٌ واسِعٌ، فيه مَزِلَّةٌ ومَدحَضةٌ، وعليه الشَّوكُ كالسَّعدانِ، لَكِن لا يَعلَمُ عِظَمَها إلَّا اللهُ سُبحانَه وتعالى، وأيًّا كان فهو مُخيفٌ غايةَ الخَوفِ؛ ولِهذا كان من دُعاءِ الرُّسُلِ وهمُ الرُّسُلُ صَلَواتُ الله وسَلامُه عليهم يومَئِذٍ «**اللهمَّ سَلِّمْ اللَّهمَّ سَلِّمْ** »، كما صَحَّ ذلك عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. (٢)

ويَعبُرُ النَّاسُ الصِّراطَ على قَدرِ أعمالِهم في الدُّنيا، منهم مَن يَعبُرُ كلَمحِ البَصَرِ، ومنهم مَن يَعبُرُ كالبَرقِ، ومنهم مَن يَعبُرُ كالرِّيحِ، ومنهم مَن يَعبُرُ كالخَيلِ الجَوادِ أوِ الجِيادِ، ومنهم مَن يَعبُرُ كرِكابِ الإبِلِ، ومنهم مَن يَمشي، ومنهم مَن يَزحَفُ، ومنهم مَن يُكرْدَسُ في النَّارِ، كُلُّهم على

(١) يُنظر: «الموقع الرسمي لابن باز».

(٢) أخرجه البخاري «٨٠٦»، ومسلم «١٨٢» من حديثِ أبي هُرَيرة بلفظ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ».

حَسَبِ أعمالِهم، فالمتَقَبِّلُ للدِّينِ في الدُّنيا المنشَرِحُ به صَدرًا المسابِقُ إليه، يَكونُ عُبورُه على الصِّراطِ بسُرعةٍ، والمتَباطِئُ في دينِه يَكونُ عُبورُه على الصِّراطِ ببُطءٍ، والمسْرِفُ على نَفسِه بفِعلِ المعاصي رُبَّما يُلقى في جَهَنَّمَ يُطهَّرُ بما يُصيبُه من العَذابِ ثُمَّ يَخرُجُ؛ إمَّا بشفاعةٍ، وإمَّا بانتِهاءِ عُقوبَتِه، وإمَّا بفَضلِ اللهِ عليه ورَحمَتِه. وخُلاصةُ ذلك أنَّه يَجِبُ علينا أن نُؤمِنَ بأنَّه يوضَعُ على جَهَنَّمَ صِراطٌ، وهو صِراطٌ خَطِرٌ مُخيفٌ يَدعو الرُّسُلُ صَلَواتُ اللهِ وسَلامُه عليهم أن يُسَلِّمَهمُ اللهُ تعالى منه، وأنَّه يَمُرُّ النَّاسُ على هذا الصِّراطِ على قَدرِ أعمالِهم، وهذا المرورُ حَسَبَ تَقبُّلِهم لدينِ اللهِ في الدُّنيا، وإنَّ من النَّاسِ مَن يَعبُرُ الصِّراطَ، ومنهم مَن يُكرْدَسُ في النَّارِ، ثُمَّ يَخرُجونَ منها إلى أن يَصِلوا إلى الجَنَّةِ". [(١)]

المسألة الثَّالِثة: صِفاتُ الصِّراطِ

١- الصِّراطُ زَلِقٌ:

عن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قُلنا: ما الجِسرُ يا رَسولَ اللهِ؟ قال: «**مَدحَضةٌ مَزِلَّةٌ**». [(٢)]

قال ابنُ الأثيرِ: "في صِفةِ الصِّراطِ «**مَدحَضةٌ مَزِلَّةٌ** » المزِلَّةُ: مَفعلةٌ مِن زَلَّ يَزِلُّ: إذا زَلِقَ، وتُفتَحُ الزَّاي وتُكسَرُ، أرادَ أنَّه تَزْلَقُ عليه الأقدامُ ولا تَثبُتُ". [(٣)]

وقال الخَطابيُّ: "قَولُه: «**مَدْحَضةٌ**» يَعني: تَدْحَضُ عليه الأقدامُ، أي: تَزِلُّ. ومنه قَولُهم: أدحَضْتُ حُجَّةَ الرَّجُلِ، أي: أبطَلْتُها، وذلك بأن يُزِلَّها عن مَوضِعِها". [(٤)]

---

(١) يُنظر: «شرح العقيدة السفارينية» «ص: ٤٧٥-٤٧٧».

(٢) أخرجه مطولًا البخاري «٧٤٣٩» واللَّفظُ له، ومسلم «١٨٣» باختلافٍ يسيرٍ.

(٣) يُنظر: «النهاية» «٢/ ٣١٠».

(٤) يُنظر: «أعلام الحديث» «٤/ ٢٣٥٦».

وقال عياضٌ: "قَولُه في صِفَتِه: «**دَحْضٌ مَزِلَّةٌ** » أي: زَلَقٌ تَزِلُّ فيه الأقدامُ". (١)

وقال النَّوويُّ: "الدَّحْضُ والمزِلَّةُ بمَعنًى واحِدٍ، وهو الموضِعُ الذي تَزِلُّ فيه الأقدامُ ولا تَستَقِرُّ، ومنه دَحَضَتِ الشَّمسُ، أي: مالَت، وحُجَّةٌ داحِضةٌ: لا ثَباتَ لها". (٢)

٢- له جَنبَتانِ أو حافَتانِ وفيهما كَلاليبُ:

عن أبي هُريرةَ وحُذَيفةَ رَضِيَ الله عنهما أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «**وفي حافَتَي الصِّراطِ كَلاليبُ مُعَلَّقةٌ مَأمورةٌ بأخذِ مَن أُمِرَت به**». (٣)

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ الله عنه: قُلْنا: يا رَسولَ اللهِ، وما الجِسرُ؟ قال: «**مَدحَضةٌ مَزِلَّةٌ، عليه خَطاطيفُ، وكَلاليبُ، وحَسَكةٌ مُفَلطَحةٌ لها شَوكةٌ عُقَيفاءُ تَكونُ بنَجْدٍ يُقالُ لها السَّعدانُ**». (٤)

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه عن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «**وبه كَلاليبُ مِثلُ شَوكِ السَّعدانِ، أمَا رَأيتُم شَوكَ السَّعدانِ؟**» قالوا: بلى يا رَسولَ اللهِ، قال: «**فإنَّها مِثلُ شَوكِ السَّعدانِ، غَيرَ أنَّها لا يَعلَمُ قَدرَ عِظَمِها إلَّا اللهُ**». (٥)

قال ابنُ بطَّالٍ: "قَولُه: «**في جَهَنَّمَ كَلاليبُ**» جَمعُ كَلُّوبٍ، وهو الذي يَتَناوَلُ به الحَدَّادُ الحَديدَ من النَّارِ، والخَطاطيفُ جَمعَ خُطَّافٍ، والخُطَّافُ حَديدةٌ مُعْوَجَّةُ الطَّرَفِ يُجذَبُ بها الأشياءُ... والحَسَكُ: مَعروفٌ، وهو شَيءٌ مُضَرَّسٌ ذو شَوكٍ يَنشِبُ به كُلُّ ما مَرَّ به". (٦)

قال العَينيُّ: "قَولُه: «**حَسَكةٌ**» بفَتحاتٍ، وهيَ شَوكةٌ صُلبةٌ مَعروفةٌ، قاله ابنُ الأثيرِ ، وقال

---

(١) يُنظر: «إكمال المعلم» «١/ ٥٥١».

(٢) يُنظر: «شرح مسلم» «٣/ ٢٩».

(٣) أخرجه مسلم «١٩٥» مطولًا.

(٤) أخرجه مطولًا البخاري «٧٤٣٩» واللَّفظُ له، ومسلم «١٨٣».

(٥) أخرجه مطولًا البخاري «٦٥٧٣» واللَّفظُ له، ومسلم «١٨٢».

(٦) يُنظر: «شرح صحيح البخاري» «١٠/ ٤٦٨».

صاحِبُ التهذيبِ وغيرِه: الحَسَكُ: نَباتٌ له ثَمَرٌ خَشِنٌ يَتَعَلَّقُ بأصوافِ الغَنَمِ، وربَّما اتُّخِذَ مِثلُه من حَديدٍ، وهو من آلاتِ الحَربِ... قَولُه: مُفَلطَحةٌ:... أي عَريضةٌ... قَولُه: عُقَيفاءُ:... هيَ المنعَطِفةُ المعْوَجَّةُ". [(١)]

وعن مَعنى شَوكِ السَّعدانِ: قال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ: "السَّعدانُ: نَبتٌ كثيرُ الشَّوكِ، شَوكُه كالخَطاطيفِ والمحاجِنِ". [(٢)]

وقال ابنُ حَجَرٍ: "السَّعدانُ: جَمعُ سعدانةٍ، وهو نَباتٌ ذو شَوكٍ يُضرَبُ به المثَلُ في طِيبِ مَرْعاه، قالوا: مَرعًى ولا كالسَّعدانِ. وقَولُه: «**أمَا رَأيتُم شَوكَ السَّعدانِ؟**» هو استِفهامُ تَقريرٍ لاستِحضارِ الصُّورةِ المذكورةِ... قال الزَّينُ بنُ المنيرِ: تَشبيهُ الكَلاليبِ بشَوكِ السَّعدانِ خاصٌّ بسُرعةِ اختِطافِها وكَثرةِ الانتِشابِ فيها مَعَ التَّحرُّزِ والتَّصَوُّنِ تَمثيلًا لهم بما عَرَفوه في الدُّنيا وأَلِفُوه بالمباشَرَةِ". [(٣)]

وقَولُه: «**لا يَعلَمُ قَدْرَ عِظَمِها إلَّا اللهُ**» في رِوايةٍ: «**لا يَعلَمُ ما قَدْرُ عِظَمِها إلَّا اللهُ**». [(٤)]

قال الجَوهَريُّ: "عَظُمَ الشَّيءُ عِظَمًا: كَبُرَ، فهو عَظيمٌ. والعُظامُ بالضَّمِّ مِثلُه. وعُظْمُ الشَّيءِ: أكثَرُه ومُعظَمُه". [(٥)]

وقال ابنُ الملقِّنِ: "فتَقديرُه: لا يَعلَمُ قَدْرَ كِبَرِها إلَّا اللهُ!". [(٦)]

٣- الصِّراطُ مِثلُ حَدِّ الموسى أو حَدِّ السَّيفِ وأدَقُّ مِنَ الشَّعرةِ:

عن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «**والصِّراطُ كحَدِّ السَّيفِ،**

(١) يُنظر: «عمدة القاري» «٢٥/ ١٢٩».

(٢) يُنظر: «المفهم» «١/ ٤٢٠».

(٣) يُنظر: «فتح الباري» «١١/٤٥٣».

(٤) أخرجه البخاري «٧٤٣٦»، ومسلم «١٨٢» مطولًا من حديثِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه.

(٥) يُنظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» «٥/ ١٩٨٧».

(٦) يُنظر: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» «٣٠/ ١٠٨».

دَحْضٌ مَزِلَّةٌ». (١)

وعن سَلمانَ الفارِسيّ رَضِيَ الله عنه قال: «**يوضَعُ الصِّراطُ يَومَ القيامةِ وله حَدٌّ كحَدِّ المَوسى، قال: ويوضَعُ الميزانُ، ولَو وُضِعَت في كِفَّتِه السَّمَواتُ والأرضُ وما فيهنَّ لوَسِعَتْهم، فتَقولُ المَلائِكةُ: رَبَّنا لِمَن تَزِنُ بهذا؟ فيَقولُ: لِمن شِئتُ من خَلقي، فيَقولونَ: رَبَّنا ما عَبَدْناك حَقَّ عِبادَتِك»**. (٢)

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريّ رَضِيَ الله عنه قال: «**بلَغني أنَّ الجِسرَ أدَقُّ من الشَّعرةِ، وأحَدُّ من السَّيفِ»**. (٣)

قال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ: "الصِّراطُ في اللُّغةِ: هو الطَّريقُ، وفيه لُغاتٌ: الصَّادُ والسِّينُ والزَّاي، وهو هنا: الطَّريقُ من أرضِ المحشَرِ إلى الجَنَّةِ، وهو مَنصوبٌ على مَتنِ جَهنَّمَ أدَقَّ من الشَّعرِ وأحَدُّ من السَّيفِ، وهو المسَمَّى بالجِسرِ". (٤)

وقال القَسطَلَّانيُّ: "فتَأمَّل نَفسَك إذا صِرْتَ على الصِّراطِ، ووَقَعَ بَصَرُك على جَهَنَّمَ من تَحتِه، ثُمَّ قَرَعَ سَمعَك شَهيقُ النَّارِ وزَفيرُها وسَوادُها وسَعيرُها، وكَيفَ بك إذا وضَعت إحدى

---

(١) أخرجه من طرق مطولًا الطبراني «٩/٤١٧» «٩٧٦٣»، والحاكم «٨٧٥١» واللَّفظُ له، والدارقطني في «رؤية اللهـــ» «١٦٠». صـحَّحه الحاكم، والألباني في «صـحيح الترغيب» «٣٥٩١»، وحسَّنه الذهبي في «العرش» «٧٦»، وابن القيم في «حادي الأرواح» «٢٦٢»، ووثق رجاله شعيب الأرناؤوط في تخريج «العواصم والقواصم» «٥/١٤٣»، وذكر ابن خزيمة في «التوحيد» «٢/ ٥٨٣» أن إسناده متصلاً، وذكر المنذري في «الترغيب والترهيب» «٤/٢٩٦» أنه روي من طرقٍ أحدها صحيح، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» «١٠/٣٤٣»: إنه روي من طرق ورجال أحدها رجال الصـــحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة. وأخرجه محمد بن نصـــر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» «٢٧٨»، والطبراني «٩/٢٣٠» «٨٩٩٢»، والدارقطني في «رؤية اللهـــ» «١٦٢» موقوفا مطولاً صححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب» «٣٦٢٧»، وحسن إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب» «٤/٣١٦»، وجوده ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» «٦/٤٩٣»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» «١٠/٣٦٢»: رجاله رجال الصحيح غير عاصم وقد وثق.

(٢) أخرجه ابن الأعرابي في «المعجم» «١٨٢٧»، والآجري في «الشريعة» «٨٩٤» واللَّفظُ له، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» «٢٢٢١». صـحَّحه ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» «٢/١٨»، وصـحَّح إسـناده الألباني في «سـلسـلة الأحاديث الصـحيحة» «٩٤١».

(٣) أخرجه مسلم «١٨٣».

(٤) يُنظر: «المفهم» «١/ ٤١٩».

رِجْلَيك عليه فأحسَسْتَ بحَدِّه، واضطُرِرتَ إلى أن تَرفَعَ القَدَمَ الثَّانيَ، والخَلائِقُ بينَ يَدَيك يَزِلُّونَ ويَعشرونَ، والزَّبانيَةُ تَلتَقِطُهم بالخَطاطيفِ والكَلاليبِ، وأنتَ تَنظُرُ إلى ذلك، فيا له من مَنظَرٍ ما أفظَعَه! ومُرتَقًى ما أصعَبَه! ومَجازٍ ما أضيَقَه! نَسألُ اللهَ السَّلامةَ والإعانةَ والعافيةَ". (١)

المسألة الرَّابِعَة: مُرورُ المُؤمنينَ على الصِّراطِ وتمييزُهم عن المُنافِقينَ:

قال ابنُ رَجَبٍ: "اعلَمْ أنَّ النَّاسَ مُنقَسِمونَ إلى مُؤمِنٍ يَعبُدُ اللهَ وحدَه ولا شَريكَ به شَيئًا، ومُشرِكٌ يَعبُدُ مَعَ اللهِ غيرَه، فأمَّا المشركونَ فإنَّهم لا يَمُرُّونَ على الصِّراطِ إنَّما يَقعونَ في النَّارِ قَبلَ وضعِ الصِّراطِ". (٢)

فكُلُّ فرقةٍ من الكُفَّارِ والمشرِكينَ تَتبَعُ ما كانت تَعبُدُ في الدُّنيا، فتَرِدُ النَّارَ مَعَ معبودِها، ولا يَبقى بَعدَ ذلك إلَّا من كان يَعبُدُ اللهَ وحدَه في الظَّاهِرِ سَواءٌ كان صادِقًا أو مُنافِقًا من هذه الأمَّةِ وغيرِها، ثُمَّ يَتَمَيَّزُ المنافِقونَ عن المؤمِنينَ بامتِناعِهم عن السُّجودِ، وكَذلك يَمتازونَ عنهم بالنُّورِ الذي يُقسَمُ للمُؤمنينَ". (٣)

قال اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: الآيات: ١٢-١٥].

قال السَّعديُّ: "يَقولُ تعالى -مُبَيِّنًا لفَضلِ الإيمانِ واغتِباطِ أهلِه به يومَ القيامةِ-: ﴿يَوْمَ تَرَى

---

(١) يُنظر: «إرشاد الساري» «٩/ ٣٣٠».

(٢) يُنظر: «التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار» «ص: ٢٣٥».

(٣) يُنظر: «القيامة الكبرى» لعمر الأشقر «ص: ٢٧٥». ويُنظر: «التخويف من النار» لابن رجب «ص: ٢٣٦-٢٣٩».

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد: الآية: ١٢] أي: إذا كان يَومُ القيامةِ... وصارَ النَّاسُ في الظُّلْمةِ، ونُصِبَ الصِّراطُ على مَتنِ جهنَّمَ، فحينَئِذٍ تَرى المؤمنينَ والمؤمناتِ يَسعى نُورُهم بينَ أيديهم وبأيمانِهم، فيَمشُونَ بأيمانِهم ونُورِهم في ذلك الموقفِ الهائلِ الصَّعبِ، كُلٌّ على قَدْرِ إيمانِه، ويُبَشَّرونَ عِندَ ذلك بأعظَمِ بشارةٍ، فيُقالُ: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: الآية: ١٢]. .. فإذا رَأى المنافِقونَ نُورَ المؤمنينَ يَمشونَ به وهم قد طُفِئَ نُورُهم وبَقُوا في الظُّلُماتِ حائِرينَ، قالوا للمُؤمنينَ: ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ أي: أمهِلونا لنَنالَ من نورِكم ما نَمشي به، لنَنجوَ من العَذابِ، فـ قِيلَ لهم: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ أي: إن كان ذلك مُمكِنًا، والحالُ أنَّ ذلك غَيرُ مُمكِنٍ، بَل هو من المحالاتِ، فَضُرِبَ بينَ المؤمنينَ والمنافِقينَ بِسُورٍ أي: حائِطٍ مَنيعٍ، وحِصنٍ حَصِينٍ، ﴿لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾، وهو الذي يَلي المؤمنينَ ﴿وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ وهو الذي يَلي المنافِقينَ، فيُنادي المنافِقونَ المؤمنينَ، فيَقولونَ لهم تَضرُّعًا وتَرحُّمًا: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدُّنيا نَقولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ونُصَلِّي ونَصومُ ونُجاهِدُ، ونَعمَلُ مِثلَ عَمَلِكم؟ قَالُوا بَلَى كُنتُم مَعنا في الدُّنيا، وعَمِلتُم في الظَّاهِرِ مِثلَ عَمَلِنا، ولَكِنَّ أعمالَكم أعمالُ المنافِقينَ، من غَيرِ إيمانٍ ولا نيَّةٍ صادِقةٍ صالِحةٍ، ﴿بَل فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ﴾ أي: شَكَكتُم في خَبرِ اللهِ الذي لا يَقبَلُ شَكًّا، ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ الباطِلةُ؛ حيثُ تَمنيتُم أن تَنالوا مَنالَ المؤمنينَ، وأنتم غَيرُ مَوقِنينَ، ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: حَتَّى جاءَكم الموتُ وأنتم بِتلك الحالِ الذَّميمةِ. ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ وهو الشَّيطانُ، الذي زَيَّنَ لَكمُ الكُفرَ والرِّيبَ، فاطمَأننتُم به، ووَثِقتُمْ بوعدِه، وصَدَّقتُم خَبرَه. ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فلَوِ افتَديتُم بمِثلِ الأرضِ ذَهَبًا ومِثلِه مَعَه، لَمَا تُقُبِّلَ مِنكم، ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ أي: مُستَقَرُّكم، هِيَ مَوْلَاكُمْ التي تَتَوَلَّاكُمْ وتَضُمُّكم إليها، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ النَّارُ". [(١)].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

(١) يُنظر: «تفسير السعدي» «ص: ٨٣٩».

وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: الآية: ٨].

قال مُجاهدٌ والضَّحَّاك والحَسَنُ البَصْريُّ وغيرُهم: هذا يَقولُه المؤمِنونَ حينَ يَرَونَ يَومَ القيامةِ نُورَ المنافِقينَ قد طُفِئَ.(١)

وقال ابنُ أبي العِزِّ: "في هذا الموضِعِ يَفترِقُ المنافِقونَ عن المؤمنينَ، ويَتَخلَّفونَ عنهم، ويَسبِقُهُمُ المؤمِنونَ، ويُحالُ بينهَم بسورٍ يَمنَعُهم من الوُصولِ إليهم".(٢)

المسألة الخامسة: كيفيَّةُ المُرورِ على الصِّراطِ:

١- يُعطي اللهُ كُلَّ إنسانٍ نُورًا على قَدْرِ عَمَلِه

عن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ الله عنه عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «**يَنزِلُ اللهُ عزَّ وجَلَّ في ظُلَلٍ من الغمامِ من العَرْشِ إلى الكُرسيِّ، ثُمَّ يُنادي مَنادٍ: أيُّها النَّاسُ، ألَمْ تَرْضَوا من رَبِّكم الذي خَلَقَكم ورَزَقَكم وأمَرَكم أن تَعبُدوه ولا تُشرِكوا به شَيئًا أن يوَلِّيَ كُلَّ أُناسٍ مِنكم ما كانوا يَعبُدونَ في الدُّنيا، أليسَ ذلك عَدْلًا من رَبِّكم؟. قالوا: بَلى. قال: فيَنطَلِقُ كُلُّ قَومٍ إلى ما كانوا يَعبُدونَ، ويَتوَلَّونَ في الدُّنيا. قال: فيَنطَلِقونَ ويُمَثَّلُ لهم أشباهُ ما كانوا يَعبُدونَ؛ فمنهم مَن يَنطَلِقُ إلى الشَّمسِ، ومنهم مَن يَنطَلِقُ إلى القَمَرِ، والأوثانِ من الحِجارةِ، وأشباهِ ما كانوا يَعبُدونَ. قال: ويُمَثَّلُ لِمَن كان يَعبُدُ عيسى شَيطانُ عيسى، ويُمَثَّلُ لمَن كان يَعبُدُ عُزَيرًا شيطانُ عُزيزٍ، ويَبقى مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأمَّتُه. قال: فيَتَمَثَّلُ الرَّبُّ تَبارَك وتعالى فيَأتيهم، فيَقولُ: ما لَكم لا تَنطَلِقونَ كانطِلاقِ النَّاسِ؟ فيَقولونَ: إنَّ لَنا لإلهًا ما رَأيناه بَعدُ، فيَقولُ: هَل تَعرِفونَه إن رَأيتُموه؟ فيَقولونَ: إنَّ بيننا وبينَه عَلامةً إذا رَأيناها عَرَفْناها. قال: فيَقولُ: ما هيَ؟ فتَقولُ: يَكشِفُ عن ساقِه. قال: فعِندَ ذلك يَكشِفُ عن ساقِه، فيَخِرُّ كُلُّ من كان نَظرَه، ويَبقى قَومٌ ظُهورُهم كصَياصِي البَقَرِ، يُريدونَ السُّجودَ فلا يَستَطيعونَ، وقد كانوا يُدْعَونَ إلى السُّجودِ وهم سالِمون، ثُمَّ يَقولُ: ارفَعوا رُؤوسَكم،**

(١) يُنظر: «تفسير ابن كثير» «٨/ ١٧٠».

(٢) يُنظر: «شرح الطحاوية» «٢/ ٦٠٥».

فيَرفَعونَ رُؤوسَهم، فيُعطيهم نُورَهم على قَدرِ أعمالِهم؛ فمنهم مَن يُعطى نُورَه مِثلَ الجَبَلِ العَظيمِ، يَسعى بينَ يَدَيه، ومنهم مَن يُعطى نُورَه أصغَرَ من ذلك، ومنهم من يُعطى نُورًا مِثلَ النَّخلةِ بيَدِه، ومنهم مَن يُعطى أصغَرَ من ذلك، حَتَّى يَكونَ آخِرُهم رَجُلًا يُعطى نُورَه على إبهامِ قَدَمَيه يُضيءُ مَرَّةً ويُطفَأُ مَرَّةً، فإذا أضاءَ قَدَّمَ قَدَمَه، وإذا طُفِئَ قامَ.

قال: والرَّبُّ تَبارَك وتعالى أمامَهم حَتَّى يَمُرَّ في النَّارِ، فيَبقى أثَرُه كحَدِّ السَّيفِ. قال: فيَقولُ: مُرُّوا، فيَمُرُّونَ على قَدرِ نُورِهم، منهم مَن يَمُرُّ كطَرفةِ العينِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالبَرقِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالسَّحابِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كانقِضاضِ الكَوكَبِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالرِّيحِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كشَدِّ الفَرَسِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كشَدِّ الرجلِ، حَتَّى يَمُرَّ الذي يُعطى نُورَه على ظَهرِ قَدَمَيه، يَجثو على وَجْهِه ويَدَيه ورِجْلَيه، تَخِرُّ يَدٌ وتَعلقُ يَدٌ، وتَخِرُّ رِجْلٌ وتَعلقُ رِجْلٌ، وتُصيبُ جَوانِبَه النَّارُ، فلا يَزالُ كذلك حَتَّى يَخْلُصَ، فإذا خَلَصَ وقَفَ عليها، فقال: الحَمدُ لله، فقد أعطاني اللهُ ما لَم يُعطِ أحَدًا؛ إذ نَجَّاني منها بَعدَ إذ رَأيتُها". [(١)]

قال ابنُ تَيميَّةَ: "جَميعُ القيامِ من قُبورِهم يَرَونُ رَبَّهم في أوَّلِ الأمرِ كُلُّهم يَراه مُخْلِيًّا به، فيَسألُه ويُخاطِبُه... ثُمَّ بَعدَ ذلك يُنادِي المَنادي فيَراه المُسلِمونَ بمَن مَعَهم من المُنافِقينَ. ثُمَّ بَعدَ ذلك يَتَمَيَّزُ المُؤمِنونَ وهمُ الذينَ يَرَونَه رُؤيةَ تَنعُّمٍ، ويُحجَبُ عنه الكافِرونَ بَعدَ ذلك؛ إذِ الرُّؤيةُ في عَرَصاتِ القيامةِ ليست من النَّعيمِ والثَّوابِ. وذَهَبَ ابنُ خُزَيمةَ وطائِفةٌ إلى أنَّه لا يَراه إلَّا المُؤمِنونَ والمُنافِقونَ وذَهَبَت طائِفةٌ أخرى إلى أنَّ الكُفَّارَ لا يَرَونَه بحالٍ، وقد تَكَلَّمنا على هذه المَسألةِ في غَيرِ هذا المَوضِعِ. والمَقصودُ هنا بَيانُ ما في الأحاديثِ المَشهورةِ من قَولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «فيَرَونَه في صورةٍ غَيرِ صورتِه التي رَأوه فيها أوَّلَ مَرَّةٍ »، وأنَّ تلك هيَ هذه المَرَّة التي تَجَلَّى فيها لفَصلِ القَضاءِ بينَ عِبادِه، فخاطَبَهم وحاسَبَهم، ثُمَّ بَعدَ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صـــفة الجنة» «٣١»، والطبراني «٩/٤١٧» «٩٧٦٣» واللفظ له، والحاكم «٨٧٥١». صـــحَّحه الحاكم، والألباني في «صحيح الترغيب» «٣٥٩١»، وحسَّنه الذهبي في «العرش» «٧٦»، وابن القيم في «حادي الأرواح» «٢٦٢»، ووثق رجاله شعيب الأرناؤوط في تخريج «العواصم والقواصم» «٥/١٤٣»، وذكر المنذري في «الترغيب والترهيب» «٤/٢٩٦» أنه روي من طرقٍ أحدها صحيح.

ذلك جَزاهم، فأمرَ أن يَتبَعَ كُلُّ قَومٍ مَعبودَهم... وهذا الحَديثُ المسنَدُ عن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ الله عنه قد رَوى أهلُ الصِّحاحِ كثيرًا منه عن ابنِ مَسعودٍ من وُجوهٍ أخرى... مَن تَأمَّلَ سياقَ هذه الأحاديثِ وما اتَّفَقَتَ عليه من المعاني وسياقِها وما فيها من الإخبارِ بأنَّ اللهَ يَأمُرُ كُلَّ من عَبدَ غَيرِه أن يَتبَعَ مَعبودَه، فيُمَثِّلُه لهم، وأنَّه إذا تَمَيَّزَ الموَحِّدونَ من غَيرِهم امتحنَهم هَل يَعبُدونَ غَيرَ الإلِه الذي رَأوَه أوَّلًا؟ فلَمَّا تثَبِّتُهم بالقَولِ الثَّابِتِ تَجَلَّى لهم في الصُّورةِ التي يَعرِفونَ، فيَسجُدونَ له ولَمَّا رَفعوا رُؤوسَهم من السُّجودِ وجَدوه قد تَحَوَّلَ في الصُّورةِ التي رَأوه فيها أوَّلَ مَرَّةٍ، ثُمَّ إنَّهم يَتْبَعونَه بَعدَ ذلك حَتَّى يَمُرُّوا على الصِّراطِ؛ عُلِمَ بالِاضطِرارِ أنَّ الذي يَأتيهم في هذه الصُّورةِ هو رَبُّ العالَمينَ نَفسُه لا مَلَكٌ من الملائِكةِ، ولا مُجَرَّدُ بَعضِ آياتِه. ومن صَرفَ مِثلَ هذه الأحاديثِ وهذه الألفاظَ الصَّريحةَ المنصوصةَ إلى مَلَكٍ من الملائِكةِ أو مَجيءِ شَيءٍ من عَذابِ اللهِ، أو إحسانِ اللهِ، فإنَّه مَعَ جَحْدِه لِما يُعلَمُ بالِاضطِرارِ من هذه الألفاظِ قد فتَحَ من بابِ القَرمَطةِ وتَحريفِ الكَلِمِ عن مَواضِعِه ما لا يُمكِنُ سَدُّه".[١]

٢- انطِفاءُ نُورِ المُنافِقينَ:

عن جابِرٍ رَضِيَ الله عنه أنَّه سُئِلَ عن الوُرودِ فقال: "تُدعى الأمَمُ بأوثانِها، وما كانت تَعْبُدُ، الأوَّلُ فالأوَّلُ، ثُمَّ يَأتينا رَبُّنا بَعدَ ذلك، فيَقولُ: مَن تَنظُرونَ؟ فيَقولونَ: نَنظُرُ رَبَّنا، فيَقولُ: أنا رَبُّكم، فيَقولونَ: حَتَّى نَنظُرَ إليك، فيَتَجَلَّى لهم يَضحَكُ، قال: فيَنطَلِقُ بهم، ويَتَبْعونَه، ويُعطى كُلُّ إنسانٍ منهم مُنافِقًا أو مُؤمِنًا نُورًا، ثُمَّ يَتْبَعونَه، وعلى جِسرِ جَهَنَّمَ كَلاليبُ وحَسَكٌ، تَأخُذُ من شاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطفَأُ نُورُ المنافِقينَ، ثُمَّ يَنجو المؤمِنونَ، فتَنجو أوَّلُ زُمرةٍ وُجوهُهم كالقَمَرِ لَيلةَ البَدْرِ سَبعونَ ألفًا لا يُحاسَبونَ، ثُمَّ الذينَ يَلُونَهم كأضوأِ نَجمٍ في السَّماءِ، ثُمَّ كذلك".[٢]

٣- اختِلافُ سُرعةِ النَّاسِ في المُرورِ على الصِّراطِ

تَختَلِفُ سُرعةُ النَّاسِ في المرورِ على الصِّراطِ، وذلك باختِلافِ قوَّةِ النُّورِ الذي يُعطى لهم على

---

(١) يُنظر: «بيان تلبيس الجهمية» «٧/ ٥٨-٧٦».

(٢) أخرجه مسلم «١٩١» مطولًا.

قَدْرِ أعمالِهم.

عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «**ويَمُرُّونَ على الصِّراطِ، والصِّراطُ كحَدِّ السَّيفِ دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فيقال: انجُوا على قَدرِ نُورِكم؛ فمنهم مَن يَمُرُّ كانقِضاضِ الكَوكَبِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالطَّرْفِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالرِّيحِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كشدِّ الرجلِ، ويَرمُلُ رَمَلًا، فيَمرُّونَ على قَدرِ أعمالِهم حَتَّى يَمُرَّ الذي نُورُه على إبهامِ قَدَمِه، قال: يَجُرُّ يَدًا ويُعلِّقُ يَدًا ويَجُرُّ رِجْلًا ويُعلِّقُ رِجْلًا وتَضرِبُ جَوانِبَه النَّارُ، قال: فيَخلُصونَ، فإذا خَلَصوا قالوا: الحَمدُ للهِ الذي نَجَّانا مِنكِ بَعدَ الذي أراناكِ، لَقد أعطانا اللهُ ما لَم يُعطِ أحَدًا**»(١).

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ الله عنه قال: قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «**يُؤتى بالجِسرِ فيُجعَلُ بينَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ** »، قُلنا: يا رَسولَ اللهِ، وما الجِسرُ؟ قال: «**مَدحَضةٌ مَزِلَّةٌ ، عليه خَطاطيفُ وكَلاليبُ وحَسَكةٌ مُفَلطَحةٌ لها شَوكةٌ عُقَيفاءُ تَكونُ بنَجْدٍ يُقالُ لها السَّعدانُ ، المُؤمِنُ عليها كالطَّرْفِ وكالبَرقِ وكالرِّيحِ وكَأجاويدِ الخَيلِ والرِّكابِ؛ فناجٍ مَخدوشٌ، ومَكدوسٌ في نارِ جَهنَّمَ**»(٢).

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «**ونَبِيُّكم قائِمٌ على الصِّراطِ يَقولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ. حَتَّى تَعجِزَ أعمالُ العِبادِ، حَتَّى يَجيءَ الرَّجُلُ فلا يَستَطيعُ السَّيرَ إلَّا زَحفًا** »(٣).

---

(١) أخرجه مطولًا الطبراني «٩/٤١٧» «٩٧٦٣»، والحاكم «٨٧٥١» واللَّفظُ له، والدارقطني في «رؤية اللهـــ» «١٦٠». صحَّحه الحاكم، والألباني في «صحيح الترغيب» «٣٥٩١»، وحسَّنه الذهبي في «العرش» «٧٦»، وابن القيم في «حادي الأرواح» «٢٦٢»، ووثق رجاله شعيب الأرناؤوط في تخريج «العواصم والقواصم» «٥/١٤٣»، وذكر ابن خزيمة في «التوحيد» «٢/ ٥٨٣» أن إسناده متصلاً، وذكر المنذري في «الترغيب والترهيب» «٤/٢٩٦» أنه روي من طرقٍ أحدها صحيح، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» «١٠/٣٤٣»: إنه روي من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة.

(٢) أخرجه مطولًا البخاري «٧٤٣٩» واللَّفظُ له، ومسلم «١٨٣».

(٣) أخرجه مسلم «١٩٥» مطولًا.

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريّ رَضِيَ الله عنه، عن النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «... **حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهم يُسحَبُ سَحبًا**».[(١)]

قيامُ الأمانةِ والرَّحِمِ على الصِّراطِ:

عن أبي هُريرةَ وحُذَيفةَ رَضِيَ الله عنهما عن النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عِندَما ذَكَرَ ذَهابَ النَّاسِ إلى آدَمَ، ثُمَّ إبراهيمَ، ثُمَّ موسى، ثُمَّ عيسى، ثُمَّ مُحَمَّدٍ، قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «**وتُرسَلُ الأمانةُ والرَّحِمُ فتَقومانِ جَنبَتِي الصِّراطِ يمينًا وشِمالًا**».[(٢)]

قال ابنُ حَجَرٍ: "المعنى أنَّ الأمانةَ والرَّحِمَ لِعِظَمِ شَأْنِهما وفَخامةِ ما يَلزَمُ العِبادَ من رِعايةِ حَقِّهما يُوقَفانِ هناك للأمينِ والخائِنِ، والمواصِلِ والقاطِعِ، فيُحاجَّانِ عن المحِقِّ، ويَشهَدانِ على المبْطِلِ".[(٣)]

وقال الطِّيبيُّ: "يُمكِنُ أن تُحمَلَ الأمانةُ على الأمانةِ العُظمى، وهيَ ما في قَولِه تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ [الأحزاب: الآية: ٧٢]، وصِلةُ الرَّحِمِ صِلَتُها الكُبرى، وهيَ ما في قَولِه تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.. إلى قَولِه:.. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: الآية: ١] ، فيَدخُلُ في الحَديثِ مَعنى التَّعظيمِ لأمرِ اللهِ، والشَّفقةِ على خَلقِ الله، وكَأنَّهما اكتَنفا جَنبتي الإسلامِ الذي هو الصِّراطُ المستَقيمُ، وقُطْرَي الإيمانِ والدِّينِ القَويمِ".[(٤)]

وقال أيضًا: "إرسالُ الأمانةِ والرَّحِمِ لِعِظَمِ أمرِهما وكِبَرِ مَوقِعِهما، فتُصَوَّرانِ شَخصينِ على الصِّفةِ التي يُريدُها اللهُ سُبحانَه وتعالى، ومَعناه: أنَّهما يَقومانِ لِيُطالِبا كُلَّ مَن يُريدُ الجَوازَ على

(١) أخرجه البخاري «٧٤٣٩» مطولًا

(٢) أخرجه مسلم «١٩٥».

(٣) يُنظر: «فتح الباري» «١١/٤٥٣».

(٤) يُنظر: «شرح المشكاة» «١١/٣٥٢٥».

الصِّراطِ بحَقِّهما، فمَن وفى بحَقِّهما يُعاوِناه على الجَوازِ على الصِّراطِ وإلَّا تَرَكاه". (١)

وقال شِهابُ الدِّينِ التُّورِبِشْتيُّ: "يُرِيدُ بجَنبَتي الصِّراطِ ناحيَتَيه اليُمنى واليُسرى، يُقالُ: جَنَبَيه بالتَّحريكِ وجَنابَيه وجَنبَتيه، والمعنى أنَّ الأمانةَ والرَّحِمَ لعِظَمِ شَأنِهما وفَخامةِ ما يَلزَمُ العِبادَ من رِعايةِ حَقِّهما يُمَثَّلانِ هنالِك الأمينَ والخائِنَ، والواصِلَ والقاطِعَ، فيُحاجَّانِ عن المحِقِّ، ويَشهَدانِ على المبْطِلِ". (٢)

المسألة السادسة: أوَّلُ مَن يُجيزُ الصِّراطَ

أوَّلُ مَن يُجيزُ الصِّراطَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ثُمَّ أمَّتُه.

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «**ويُضرَبُ السِّراطُ بينَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ، فأكونُ أنا وأمَّتي أوَّلَ مَن يُجيزُها**». (٣)

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «**فيُضرَبُ الصِّراطُ بينَ ظَهْراني جهَنَّمَ فأكونُ أوَّلَ مَن يَجوزُ من الرُّسُلِ بأمَّتِه، ولا يَتَكَلَّمُ يومَئِذٍ أحَدٌ إلَّا الرُّسُلُ، وكَلامُ الرُّسُلِ يومَئِذٍ: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**». (٤)

قال الكَرمانيُّ: "قَولُه: «**ظَهْرانَيْ**» بفَتحِ الظَّاءِ وسُكونِ الهاءِ وفَتحِ النُّونِ، أي: بينَ ظَهرَيها، والألفُ والنُّونُ زيدَتا للمُبالَغةِ... وفيه إثباتُ الصِّراطِ، وهو جِسرٌ على مَتنِ جَهنَّمَ أدَقُّ من الشَّعرِ وأحَدُّ من السَّيفِ، يَمُرُّ عليه النَّاسُ كُلُّهم. قَولُه: «**لا يَتكَلَّمُ**» أي: لشِدَّةِ الأهوالِ، والمرادُ لا يَتَكَلَّمُ في حالِ الإجازةِ". (٥)

وقال القَسطلانيُّ: "«**بينَ ظَهرانَيْ جَهَنَّمَ**» بفَتحِ الظَّاءِ وسُكونِ الهاءِ وفَتحِ النُّونِ، أي ظَهْرَي،

---

(١) يُنظر: «شرح المشكاة» «١١/ ٣٥٥٠».

(٢) يُنظر: «الميسر في شرح مصابيح السنة» «٤/ ١٢٠٢».

(٣) أخرجه مطولًا البخاري «٧٤٣٧» واللَّفظُ له، ومسلم «١٨٢».

(٤) أخرجه مطولًا البخاري «٨٠٦» واللَّفظُ له، ومسلم «١٨٢».

(٥) يُنظر: «الكواكب الدراري» «٥/ ١٦٢».

فزيدَتِ الألفُ والنُّونُ للمُبالَغةِ، أي على وسَطِ جَهَنَّمَ «**فأكونُ أوَّلَ مَن يَجوزُ**» بالواوِ، وفي بَعضِ النُّسَخِ: يُجيزُ، بالياءِ مَعَ ضَمِّ أوَّلِه، وهيَ لُغةٌ في: جازَ. يُقالُ: جازَ بمَعنًى، أي: يَقطَعُ مَسافةَ الصِّراطِ. «**مِنَ الرُّسُلِ**» عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ «**بأمَّتِه، ولا يَتَكَلَّمُ**» لشِدَّةِ الهولِ «**يومَئِذٍ**» أي: حالَ الإجازةِ على الصِّراطِ «**أحَدٌ إلَّا الرُّسُلُ، وكَلامُ الرُّسُلِ يومَئِذٍ**» على الصِّراطِ: «**اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**» شَفقةً منهم على الخَلقِ ورَحمةً". [١]

وقال علي القاري: "«**يُضرَبُ الصِّراطُ**» أي: يُمَدُّ «**بينَ ظَهْرانَيْ جهَنَّمَ**» أي: بينَ طَرَفَيها، فيوافِقُ رِوايةَ: على مَتنِها وظَهْرِها وفَوقَها، «**فأكونُ أوَّلَ مَن يَجوزُ من الرُّسُلِ بأمَّتِه**»: الباءُ للتَّعديةِ، أي: مَن يُجاوِزُهم عنها «**ولا يَتَكَلَّمُ يومَئِذٍ**» أي: في ذلك المَقامِ «**إلَّا الرُّسُلُ**"». [٢]

وقال حافِظٌ الحَكَميُّ: "قد ظَهَرَت فضيلَتُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في لَيلةِ الإسراءِ والمِعراجِ بتَقَدُّمِه عليهم إمامًا، وعُلوِّه فوقَ الجَميعِ مَقامًا حَتَّى جاوَزَ السَّبعَ الطِّباقَ إلى سِدْرةِ المنتَهى إلى حَيثُ شاءَ اللهُ عزَّ وجَلَّ، واختَصَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بأشياءَ أُخَرَ في سَماحةِ شَريعَتِه، ووَضعِ الآصارِ عن أمَّتِه، وكَونِه أكثَرَهم تابِعًا، وكَذلك يَبدو فضلُه في الآخِرةِ بكَونِه أوَّلَ مَن تَنشَقُّ عنه الأرضُ، وأوَّلَ شافِعٍ، وأوَّلَ مُشَفَّعٍ، وأوَّلَ مَن يَستَفتِحُ بابَ الجَنةِ، وأوَّلُ مَن يَدخُلُها من الأمَمِ أمَّتُه... وهو وأمَّتُه أوَّلُ مَن يَجوزُ الصِّراطَ، وهم ثُلُثَا أهلِ الجَنةِ؛ لِما جاءَ أنَّهم ثَمانونَ صَفًّا، وغَيرُهم من الأمَمِ أربَعونَ صَفًّا، وهذه عِدَّةُ صُفوفِ أهلِ الجَنةِ مِائةٌ وعِشرونَ صَفًّا، ويَشفَعُ الواحِدُ من أمَّتِه في مِثلِ رَبيعةَ ومُضَرَ، وله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الوَسيلةُ، وهيَ أعلى دَرَجةٍ في الجَنةِ، ليس فوقَها إلَّا عَرْشُ الرَّحمَنِ عزَّ وجَلَّ، وليست هيَ لأحَدٍ غَيرِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وغَير ذلك من مَقاماتِه العَلِيَّةِ التي لا يَنالُها غَيرُه ولا يُدرِكُها سِواه، وهذا مَقامٌ يَطولُ ذِكرُه ولا يُقدَرُ قَدْرُه، ولا يُحيطُ بغايَتِه إلَّا الذي اصطَفاه له، وأكرَمَه به. جَعَلَنا اللهُ عزَّ وجَلَّ مِمَّن اقتدى

---

(١) يُنظر: «إرشاد الساري» «٢/ ١١٥».

(٢) يُنظر: «مرقاة المفاتيح» «٨/ ٣٥٥٤».

به واهتَدى بهَدْيِه، وكان هواه تَبَعًا لِما جاءَ به. آمين". [(١)]

وقال ابنُ عُثَيمين: "أوَّلُ مَن يَعبُرُ الصِّراطَ من الأنبياءِ مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ومنَ الأُمَمِ أمَّتُه". [(٢)]

وأوَّلُ النَّاسِ إجازةً هم فُقَراءُ المَهاجِرين.

عن ثَوبانَ رَضِيَ الله عنه أنَّ حَبرًا من اليَهودِ سَأَلَ النَّبيَّ صَلى اللهُ عليه وآلَه وسَلَّم: أينَ يَكونُ النَّاسُ يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غَيرَ الأرضِ والسَّمَواتُ؟ قال: «**هم في الظُّلْمةِ دونَ الجِسرِ**». قال: فمَن أوَّلُ النَّاسِ إجازةً؟ قال: «**فُقَراءُ المُهاجِرينَ** »[(٣)].

قال النَّوويُّ: "«**هم في الظُّلْمةِ دونَ الجِسرِ**» هو بفَتحِ الجيمِ وكَسرِها لُغَتانِ مَشهورَتانِ، والمرادُ به هنا الصِّراطُ. قَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «**فمَن أوَّلُ النَّاسِ إجازةً**» هو بكَسرِ الهَمزةِ وبالزَّاي، ومَعناه جَوازًا وعُبورًا". [(٤)]

وعن أبي هُريرةَ وحُذَيفةَ بنِ اليَمانِ رَضِيَ الله عنهما أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «**ونَبيُّكم قائمٌ على الصِّراطِ يَقولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ**». [(٥)]

قال ابنُ عَلَّان: "«**ونَبيُّكم**» لكَمالِ شَفقَتِه ومَزيدِ عِنايَتِه بنا مَعْشَرَ أُمَّتِه «**قائمٌ على الصِّراطِ**» لتَنجوَ به أمَّتُه من المَخاوِفِ وتُصرَفَ به عنها أنواعُ المَكارِهِ والمَتالِفِ «**يَقولُ**» لِما في المرورِ على الصِّراطِ من الأحوالِ وزلِّ بَعضِ الأقدامِ، وهو حالٌ بناءً على مَجيئِه من المبتَدَأِ، وهو ما عليه سَيبويه، أو خَبَرٌ بالجُملةِ بَعدَ الخَبَرِ بالمفرَدِ، ويَجوزُ أن يَكونَ استِئنافًا بَيانيًّا جَوابًا لسُؤالٍ تَقديرُه: ما يَكونُ منه حالَ قيامِه يومَئِذٍ؟ فأجيبَ بقَولِه: يَقولُ: «**رَبِّ**» حُذِفَ حَرفُ النِّداءِ؛

---

(١) يُنظر: «معارج القبول» «٣/ ١١٢٢».

(٢) يُنظر: «شرح لمعة الاعتقاد» «ص: ١٢٨».

(٣) أخرجه مسلم «٣١٥» مطولًا.

(٤) يُنظر: «شرح مسلم» «٣/ ٢٢٧».

(٥) أخرجه مسلم «١٩٥».

لأنَّ المَقامَ لعِظَمِ هولِه مَقامُ الإيجازِ. وفي رِوايةٍ لمسلِمٍ في حَديثٍ آخَرَ في المعنى «**ودَعوى الرُّسُلِ يومَئِذٍ اللَّهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»، ولَعَلَّه تارَةً يَقولُ: رَبِّ، وتارةً يَقولُ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وفي نُسخةٍ: رَبِّ سَلِّمْ بإعادةِ لَفظِ رَبِّ... وسَلِّمْ بفَتحِ أوَّلِه المهمَلِ وتَشديدِ اللامِ المكسورةِ". (١)

وقال المظهريُّ: "قَولُه: «**اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»، «**سَلِّمْ**»: أمرٌ مُخاطَبٌ مِن التَّسليمِ، وهو جَعلُ الشَّخصِ سالِمًا من الآفةِ، و«**سَلِّمْ**» الثَّاني: تَأكيدُ الأوَّلِ، يَعني: اللهمَّ اجعَلْ أمَّتي سالِمينَ من ضَرَرِ الصِّراطِ والوُقوعِ في النَّارِ".

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «**ودَعوى الرُّسُلِ يومَئِذٍ: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**». (٢)

قال النَّوَويُّ: "هذا من كمالِ شَفقَتِهم ورَحمَتِهم للخَلقِ، وفيه أنَّ الدَّعَواتِ تَكونُ بحَسَبِ المواطِنِ، فيُدعى في كُلِّ مَوطِنٍ بما يَليقُ به. واللهُ أعلَمُ". (٣)

المسألة السابعة: النَّاجونُ والهالِكون:

بيَّنَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مَصيرَ النَّاسِ بَعدَ المرورِ على الصِّراطِ في أحاديثَ كثيرةٍ؛ منها: عن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال بَعدَ أن ذَكَرَ كيفيَّةَ مُرورِ النَّاسِ على الصِّراطِ: «**فناجٍ مُسلَّمٌ، وناجٍ مَخدوشٌ، ومَكدوسٌ في نارِ جَهنَّمَ**». (٤)

وفي رِوايةٍ: «**فناجٍ مُسلَّمٌ، ومَخدوشٌ مُرسَلٌ، ومَكدوسٌ في نارِ جَهنَّمَ**» (٥)

قال النَّوَويُّ: "قَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «**فناجٍ مُسلَّمٌ، ومَخدوشٌ مُرسَلٌ، ومَكدوسٌ في نارِ جَهنَّمَ**» مَعناه أنَّهم ثَلاثةُ أقسامٍ: قِسمٌ يُسلَّمُ فلا يَنالُه شَيءٌ أصلًا، وقِسمٌ يُخدَشُ ثُمَّ يُرسَلُ

(١) يُنظر: «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» «٢/ ٥٠٢».

(٢) أخرجه البخاري «٧٤٣٧»، ومسلم «١٨٢» مطولًا.

(٣) يُنظر: «شرح مسلم» «٣/ ٢٠».

(٤) أخرجه البخاري «٧٤٣٩» مطولًا

(٥) أخرجها مسلم «١٨٣» مطولًا.

فيُخَلَّصُ، وقِسمٌ يُكردَسُ ويُلقى فيَسقُطُ في جَهَنَّمَ". [(١)]

وقال البَيضاويُّ: "قَسَّمَ المارَّةَ على الصِّراطِ ثَلاثَ فِرَقٍ على اختِلافِ مَراتِبِهم بحَسَبِ العَقيدةِ والعَمَلِ".

فالمارُّونُ على الصِّراطِ ثَلاثةُ أصنافٍ، هيَ [(٢)]:

١- النَّاجي المسلَّمُ بلا خَدشٍ:

النَّاسُ من هذا الصِّنفِ همُ الذينَ يُعطَونَ نُورًا عَظيمًا على الصِّراطِ على قَدرِ أعمالِهم، فيَنطَلِقونَ عليه بسُرعةٍ عَظيمةٍ.

وقد ذَكَرَ رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم صِفتَهم بقَولِه: «**ثُمَّ يَنجو المُؤمِنونَ، فتَنجو أوَّلُ زُمرةٍ وُجوهُهم كالقَمَرِ لَيلةَ البَدرِ، سَبعونَ ألفًا لا يُحاسَبونَ، ثُمَّ الذينَ يَلُونَهم كأضوَأِ نَجمٍ في السَّماءِ**» [(٣)].

٢- الهالِكُ من أوَّلِ وَهلةٍ:

النَّاسُ في هذا الصِّنفِ همُ المنافِقونَ الذينَ يُعطيهمُ اللهُ تعالى نورًا فيَنطَلِقونَ على الصِّراطِ، ثُمَّ يُطفَأ نُورُهم فيَسقُطونَ في النَّارِ على رُؤوسِهم، وكَذلك العُصاةُ والفَسَقةُ من الموَحِّدينَ، واللهُ أعلَمُ.

٣- المتوسِّطُ بينهما يصابُ ثم ينجو:

النَّاسُ من هذا الصِّنفِ همُ الذينَ اجتَرَحوا السَّيئاتِ واكتَسَبوا الخَطَايا، فتَخطَفُهمُ الكَلاليبُ، فتَجرَحُ أجسادَهم، ثُمَّ يَنجُونَ بفَضلِ رَحمةِ اللهِ، ثُمَّ بما قَدَّموه من طاعاتٍ في الحَياةِ الدُّنيا، واللهُ أعلَمُ.

ولَعَلَّ ما يَحدُثُ لهم على الصِّراطِ يَكونُ جَزاءً لهم على مَعاصيهم وتَقصيرِهم في طاعةِ رَبِّهم.

---

(١) يُنظر: «شرح مسلم» «٣/ ٢٩».

(٢) يُنظر: «صفة الصراط» لحاي الحاي «ص: ٢٥»، «مباحث المفاضلة في العقيدة» للشظيفي «ص: ٤٠٢».

(٣) أخرجه مسلم «١٩١» مطولًا.

وهم بَعدَ الِانتِهاءِ من المرورِ على الصِّراطِ ونَجاتِهم من السُّقوطِ في النَّارِ يَحمَدونَ اللهَ تعالى على ذلك؛ فعنِ ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «... **فيَخلُصوا، فإذا خَلَصوا قالوا: الحَمدُ لله الذي نَجَّانا مِنكِ بَعدَ الذي أرانَاكِ، لَقد أعطانا اللهُ ما لَم يُعطِ أحَدًا**» ".[1]

المسألة الثامنة: القَنْطَرةُ

عن أبي سَعيدٍ الخُدْريّ رَضِيَ الله عنه أنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «**يَخلُصُ المُؤمِنونَ من النَّارِ، فيُحبَسونَ على قَنطَرةٍ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ، فيُقَصُّ لبَعضِه من بَعضٍ مَظالِمُ كانت بينَهم في الدُّنيا حَتَّى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دُخولِ الجَنةِ، فوالذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بيدِه لأَحَدُهم أهَدى بمَنزِلِه في الجَنَّةِ منه بمَنزِلِه كان في الدُّنيا**».[2]

قال القُرطُبيُّ: "بابُ ذِكرِ الصِّراطِ الثَّاني: وهو القَنطَرةُ التي بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ: اعلَم -رَحِمَك اللهُ- أنَّ في الآخِرةِ صِراطينِ: أحَدُهما: مَجازٌ لأهلِ المحْشَرِ كُلِّهم، ثَقيلِهم وخَفيفِهم، إلَّا من دَخلَ الجَنَّةَ بغَيرِ حِسابٍ، أو مَن يَلتَقِطُه عُنُقُ النَّارِ، فإذا خَلَصَ من خَلصَ من هذا الصِّراطِ الأكبَرِ الذي ذَكَرْناه -ولا يَخلُصُ منه إلَّا المؤمِنونَ الذينَ عَلِمَ اللهُ منهم أنَّ القِصاصَ لا يَستَنفِدُ حَسَناتِهم- حُبِسوا على صِراطٍ آخَرَ خاصٍّ لهم، ولا يَرجِعُ إلى النَّارِ من هؤلاء أحَدٌ إنْ شاءَ اللهُ؛ لأنَّهم قد عَبَروا الصِّراطَ الأوَّلَ المضروبَ على مَتنِ جهَنَّمَ، الذي يَسقُطُ فيها من أَوبَقَه ذَنْبُه، وأربى على الحَسَناتِ بالقِصاصِ جُرْمُه".[3]

---

(١) أخرجه مطولًا الطبراني «٩/٤١٧» «٩٧٦٣»، والحاكم «٨٧٥١» واللَّفظُ له، والدارقطني في «رؤية اللهــــ» «١٦٠». صحَّحه الحاكم، والألباني في «صحيح الترغيب» «٣٥٩١»، وحسَّنه الذهبي في «العرش» «٧٦»، وابن القيم في «حادي الأرواح» «٢٦٢»، ووثق رجاله شعيب الأرناؤوط في تخريج «العواصم والقواصم» «٥/١٤٣»، وذكر ابن خزيمة في «التوحيد» «٢/ ٥٨٣» أن إسناده متصلاً، وذكر المنذري في «الترغيب والترهيب» «٤/٢٩٦» أنه روي من طرقٍ أحدها صحيح، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» «١٠/٣٤٣»: إنه روي من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة.

(٢) أخرجه البخاري «٦٥٣٥».

(٣) يُنظر: «التذكرة» «٢/ ٣٦».

قال ابنُ كثيرٍ: "قد تَكلَّمَ القُرطُبيُّ على هذا الحَديثِ في التَّذكِرةِ، وجَعلَ هذه القَنطَرَةَ صِراطًا ثانيًا للمُؤمنينَ خاصَّةً، وليس يَسقُطُ منه أحَدٌ في النَّارِ. قُلتُ: هذه القَنطَرَةُ تَكونُ بَعدَ مُجاوَزةِ النَّارِ، فقد تَكونُ هذه القَنطَرَةُ مَنصوبةً على هولٍ آخَرَ مِمَّا يَعلَمُه اللهُ، ولا نَعلَمُه نَحنُ. واللهُ أعلَمُ". [(١)]

وقال ابنُ حَجَرٍ: "اختُلِفَ في القَنطَرَةِ المذكورةِ، فقيلَ: هيَ من تَتِمَّةِ الصِّراطِ، وهيَ طَرَفُه الذي يَلي الجَنَّةَ، وقيلَ: إنَّهما صِراطانِ، وبِهذا الثَّاني جَزمَ القُرطُبيُّ". [(٢)]

قال السُّيوطيُّ مُعَلِّقًا على كلامِ ابنِ حَجَرٍ: "الأوَّلُ هو المختارُ الذي دَلَّت عليه أحاديثُ القَناطِرِ". [(٣)]

وقال ابنُ حَجَرٍ أيضًا: "الذي يَظهرُ أنَّها طَرَفُ الصِّراطِ مِمَّا يَلي الجَنَّةَ، ويُحتَمَلُ أن تَكونَ من غَيرِه بينَ الصِّراطِ والجَنَّةِ". [(٤)]

وقال العَينيُّ: "«**بينَ الجنَةِ والنَّارِ**»، أي: بقَنطَرةٍ كائنةٍ بينَ الجنةِ والصِّراطِ الذي على مَتنِ النَّارِ؛ ولِهذا سُمِّيَ بالصِّراطِ الثَّاني... فإنَّ الحَديثَ مُصرَّحٌ بأنَّ تلك القَنطَرَة بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ". [(٥)]

وقال أيضًا: "فإن قُلتَ: ذَكَرَ الدَّارقُطنيُّ حَديثًا فيه: أنَّ الجنَةَ بَعدَ الصِّراطِ، وهذا يُعارِضُ حَديثَ القَنطَرةِ؟ قُلتُ: لا؛ لأنَّ المرادَ بَعدَ الصِّراطِ الثَّاني هو القَنطَرَةُ كما ذَكَرنا. فإنْ قُلتَ: صَحَّ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه قال: «**أصحابُ الحَشرِ مَحبوسونَ بينَ الجنَةِ والنَّارِ،**

---

(١) يُنظر: «البداية والنهاية» «٢٠/ ١٠١».

(٢) يُنظر: «فتح الباري» «١١/٣٩٩».

(٣) يُنظر: «البدور السافرة» «ص: ٣٨٢».

(٤) يُنظر: «فتح الباري» «٥/٩٦».

(٥) يُنظر: «عمدة القاري» «١٢/ ٢٨٥».

يُسأَلونَ عن فُضولِ أموالٍ كانت بأيديهم »[(١)]، وهذا يُعارِضُ حَديثَ الباب. قُلتُ: لا؛ لأنَّ مَعناهما مُختَلِفٌ لاختِلافِ أحوالِ النَّاسِ؛ لأنَّ من المؤمِنينَ من لا يُحبَسونَ، بَل إذا خَرَجوا بُثُّوا على أنهارِ الجَنَّةِ".[(٢)]

وقال أيضًا: "قَولُه: «**على قَنطَرةٍ**» قيل: هذا يُشعِرُ بأنَّ في القيامةِ جِسرينِ، هذا والذي على مَتنِ جَهَنَّمَ المشهورِ بالصِّراطِ. وأجيبَ بأنَّه لا مَحذورَ فيه، ولَئِن ثَبَتَ بالدَّليلِ أنَّه واحِدٌ فتَأويلُه أنَّ هذه القَنطَرَةَ من تَتِمَّةِ الأوَّلِ".[(٣)]

وقال مُحَمَّد أنور شاه الكشميريُّ: "قَولُه: «**بينَ الجنةِ والنَّارِ**» أي: بقَنطَرةٍ كائنةٍ بينَ الجَنةِ والصِّراطِ الذي على مَتنِ النَّارِ؛ ولِهذا سُمِّيَ بالصِّراطِ الثَّاني، فتَبَيَّنَ منه أنَّ القَنطَرَةَ قِطعةٌ من الصِّراطِ".[(٤)]

وقال ابنُ عُثَيمين: "هذا القِصاصُ غَيرُ القِصاصِ الأوَّلِ الذي في عَرَصاتِ القيامةِ، لأنَّ هذا قِصاصٌ أخَصُّ؛ لأجلِ أن يَذهَبَ الغِلُّ والحِقدُ والبَغضاءُ التي في قُلوبِ النَّاسِ، فيَكونُ هذا بمَنزِلةِ التَّنقيةِ والتَّطهيرِ، وذلك لأنَّ ما في القُلوبِ لا يَزولُ بمُجَرَّدِ القِصاصِ.

فهذه القَنطَرَةُ التي بينَ الجَنةِ والنَّارِ؛ لأجلِ تَنقيةِ ما في القُلوبِ، حَتَّى يَدخُلوا الجَنَّةَ وليس في قُلوبِهِم غِلٌّ؛ كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: الآية: ٤٧] »[(٥)].

وقال أيضًا: "إذا عَبَروا على الصِّراطِ وُقِفوا على قَنطَرةٍ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ، فيُقتَصُّ من بَعضِهم

(١) الحديث روي بنحوه عن أسامة عن النبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «قمتُ على باب الجنَّة، فكان عامَّةُ من دخلها المساكينُ، وأصحابُ الجَدِّ محبوسون، غيرَ أن أصحاب النار قد أُمِرَ بهم إلى النَّارِ، وقمتُ على باب النار فإذا عامَّةُ من دخلها النِّساءُ». أخرجه البخاري «٥١٩٦» واللَّفظُ له، ومسلم «٢٧٣٦».

(٢) يُنظر: «عمدة القاري» «١٢/ ٢٨٦».

(٣) يُنظر: «عمدة القاري» «٢٣/ ١١٣».

(٤) يُنظر: «فيض الباري» «٣/٦٠٣».

(٥) يُنظر: «شرح العقيدة الواسطية» «٢/ ١٦٣».

لبَعضٍ، وهذا القِصاصُ غَيرُ القِصاصِ الذي يَكونُ في عَرَصاتِ يَومِ القيامةِ، هذا القِصاصُ- والله أعلَمُ-يُرادُ به أن تَتَخَلَّى القُلوبُ من الأضغانِ والأحقادِ والغِلِّ، حَتَّى يَدخُلوا الجَنةَ وهم على أكملِ حالٍ، وذلك أنَّ الإنسانَ وإنِ اقتُصَّ له مِمَّن اعتَدى عليه فلا بُدَّ أن يَبقى في قَلبَه شَيءٌ من الغِلّ والحِقدِ على الذي اعتَدى عليه، ولَكِنَّ أهلَ الجَنةِ لا يَدخُلونَ الجَنةَ حَتَّى يُقتَصَّ لهمُ اقتِصاصًا كامِلًا، فيَدخُلونَها على أحسَنِ وجهٍ، فإذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دُخولِ الجَنَّةِ". (١)

(١) يُنظر: «شرح رياض الصالحين» «١/ ٤٧٠».

٦٣- القصاص بين المؤمنين قبل دخول الجنة

[٦٣]- قال المصنف رحمه الله: «**فإذا عَبَرُوا عليه وُقفوا على قَنْطَرَة بين الجَنَّة والنَّار؛ فيُقتص لبعضِهم مِن بَعْضٍ؛ فإذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِن لهم في دُخول الجَنَّة. وأَوَّلُ مَن يَستفتحُ بابَ الجَنَّة مُحَمَّدٌ ﷺ، وأَوَّلُ مَن يدخلُها من الأمم أُمَّتُه**».

الشرح

المسألة الأولى: مواضع القصاص يوم القيامة:

القصاص يوم القيامة يكون في موضعين: قبل الصراط وبعده

وقال القرطبي: "اعلم رحمك الله أن في الآخرة صراطين: أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ، ثقيلهم وخفيفهم ، إلا من دخل الجنة بغير حساب ، أو من يلتقطه عنق النار ، فإذا خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه ، ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم ، حُبسوا على صراط آخر خاص بهم ، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد ، إن شاء الله ؛ لأنهم قد عبروا ا الصراط الأول المضروب على متن جهنم ، الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه ، وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه". (١)

وقال ابن القيم: "حتى إن أهل الإيمان إذا جازوا الصراط ، حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيُهَذَّبون ويُنقَّون من بقايا بقيت عليهم ، قصّرت بهم عن الجنة ، ولم توجب لهم دخول النار ، حتى إذا هُذِّبوا ونُقوا ، أُذن لهم في دخول الجنة ". (٢)

وقال الشيخ ابن عثيمين: "قوله: «**فيقتص لبعضهم من بعض**».

وهذا القصاص غير القصاص الأول، الذي في عرصات القيامة ، لأن هذا قصاص أخص ؛ لأجل أن يذهب الغل والحقد والبغضاء التي في قلوب الناس ، فيكون هذا بمنزلة التنقية والتطهير ، وذلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص .

---

(١) "التذكرة" «ص٣٩٢».

(٢) "إغاثة اللفهان" «١/٥٦».

فهذه القنطرة التي بين الجنة والنار ؛ لأجل تنقية ما في القلوب ، حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غل ؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: الآية: ٤٧]". (١)

الموضع الأول: قبل الصراط.

فأما الذي قبل الصراط، فإنه يكون بالحسنات والسيئات كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ**». (٢)

وكما في حديث المفلس فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**». (٣)

فهذا قبل الصراط، ولهذا كان الظالم معرَّضا لأن يطرح في النار.

الموضع الثاني: بعد الصراط.

---

(١) "شرح العقيدة الواسطية" «٢/١٦٣».

(٢) أخرجه البخاري «٢٢٦٩».

(٣) أخرجه مسلم «٢٨٥١».

وأما القصاص بعد الصراط، فهذا لإزالة ما في النفوس من الحقد والغل

وقد دلَّ على القصاص بعد المرور على الصراط: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا خَلص المؤمنون من النار حُبِسوا بقنطرةٍ بين الجنة النار؛ فَيَتَقَاصُّون مَظالِم كانت بينهم في الدُّنيا حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبُوا أُذن لهم بدخول الجَنَّة، فوالذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه لَأَحَدُهم بِمَسْكَنِه في الجنة أَدَلُّ بمنزلِه كان في الدُّنيا**». [(١)]

إذا مَضَى المؤمنون على الصِّراط، ونَجَوْا من السُّقوط في النار- وُقفوا على قَنْطَرَة بين الجَنَّة والنَّار؛ للقصاص.

المسألة الثانية: مكان القنطرة:

قال ابن كثير: "قد تكلم القرطبي على هذا الحديث في التذكرة، وجعل هذه القنطرة صراطا ثانيا للمؤمنين خاصة، وليس يسقط منه أحد في النار. قلت: هذه القنطرة تكون بعد مجاوزة النار، فقد تكون هذه القنطرة منصوبة على هول آخر مما يعلمه الله، ولا نعلمه نحن. والله أعلم". [(٢)]

قال ابن حجر: "وقد اختلف العلماء هل القنطرة هي طرف الجسر الذي على متن جهنم أو هي جسر مستقل، ورجح القرطبي الثاني". [(٣)]

وقال ابن حجر: "اختلف في القنطرة المذكورة، فقيل: هي من تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة، وقيل: إنهما صراطان، وبهذا الثاني جزم القرطبي". [(٤)]

قال السيوطي معلقا على كلام ابن حجر: "الأول هو المختار الذي دلت عليه أحاديث

---

(١) أخرجه البخاري «٢٤٤٠».

(٢) البداية والنهاية «٢٠/ ١٠١».

(٣) فتح الباري «١١/ ٣٩٩».

(٤) فتح الباري «١١/ ٣٩٩».

القناطر". [١]

وقال ابن حجر أيضًا: "الذي يظهر أنها طرف الصراط مما يلي الجنة، ويحتمل أن تكون من غيره بين الصراط والجنة". [٢]

وقال العيني: "«**بين الجنة والنار**»، أي: بقنطرة كائنة بين الجنة والصراط الذي على متن النار؛ ولهذا سمي بالصراط الثاني... فإن الحديث مصرح بأن تلك القنطرة بين الجنة والنار". [٣]

وقال أيضا: "فإن قلت: ذكر الدارقطني حديثا فيه: أن الجنة بعد الصراط، وهذا يعارض حديث القنطرة؟ قلت: لا؛ لأن المراد بعد الصراط الثاني هو القنطرة كما ذكرنا. فإن قلت: صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**أصحاب الحشر محبوسون بين الجنة والنار، يسألون عن فضول أموال كانت بأيديهم**». [٤]

وهذا يعارض حديث الباب. قلت: لا؛ لأن معناهما مختلف لاختلاف أحوال الناس؛ لأن من المؤمنين من لا يحبسون، بل إذا خرجوا بثوا على أنهار الجنة". [٥]

وقال أيضا: "قوله: «**على قنطرة**» قيل: هذا يشعر بأن في القيامة جسرين، هذا والذي على متن جهنم المشهور بالصراط. وأجيب بأنه لا محذور فيه، ولئن ثبت بالدليل أنه واحد فتأويله أن هذه القنطرة من تتمة الأول". [٦]

وقال محمد أنور شاه الكشميري: "قوله: «**بين الجنة والنار**» أي: بقنطرة كائنة بين الجنة

---

(١) يُنظر: «البدور السافرة» «ص: ٣٨٢».

(٢) يُنظر: «فتح الباري» «٥/٩٦».

(٣) يُنظر: «عمدة القاري» «١٢/ ٢٨٥».

(٤) الحديث روي بنحوه عن أسامة عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «قمتُ على باب الجنَّة، فكان عامَّةُ من دخلها المساكينُ، وأصحابُ الجَدِّ محبوسون، غيرَ أن أصحاب النار قد أُمِرَ بهم إلى النَّارِ، وقمتُ على باب النار فإذا عامَّةُ من دخلها النِّساءُ». أخرجه البخاري «٥١٩٦» واللَّفظُ له، ومسلم «٢٧٣٦».

(٥) يُنظر: «عمدة القاري» «١٢/ ٢٨٦».

(٦) يُنظر: «عمدة القاري» «٢٣/ ١١٣».

والصراط الذي على متن النار؛ ولهذا سمي بالصراط الثاني، فتبين منه أن القنطرة قطعة من الصراط". (١)

المسألة الثالثة: من المقصود بهؤلاء

قال الإمام القرطبيُّ: "اعلم -رحمك الله- أن في الآخرة صراطين:

أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو من يلتقطه عنق النار، فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه، ولا يَخلص منه- أي: الصراط- إلا المؤمنون الذين عَلِم اللهُ منهم أنَّ القِصاص لا يَستنفد حسناتهم.

[الثاني]: حُبِسوا على صِراط آخر لهم، ولا يَرجع إلى النار من هؤلاء أحدٌ إن شاء الله؛ لأنَّهم قد عَبروا الصِّراط الأول المِضروب على مَتْنِ جهنم الذي يَسقط فيها مَن أَوْبَقَه ذَنْبُه، وأَرْبَى على الحَسَنات بالقِصاص جُرْمُه". (٢)

قال القرطبي: "هؤلاء المؤمنون هم الذين علم الله أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم". (٣)

وقال ابن حجر: "لعل أصحاب الأعراف منهم على القول المرجح وهم الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم، وخرج من هذا صنفان من المؤمنين: من دخل الجنة بغير حساب، ومن أوبقه عمله". (٤)

المسألة الرابعة: ومعنى قوله: «فيُقتص لبعضِهم من بعض»:

قال ابنُ عُثَيمين رحمه الله: "هذا القِصاص غير القِصاص الأَوَّل الذي في عرصات القيامة؛ لأنَّ هذا قصاصٌ أَخَصُّ لأجل أن يذهب الغِلُّ والحِقد والبغضاء التي في قلوب الناس، فيكون هذا بمنزلة التنقية والتطهير، وذلك لأنَّ ما في القلوب لا يَزول بمجرد القِصاص، فهذه القَنطرة

---

(١) يُنظر: «فيض الباري» «٣/ ٦٠٣».

(٢) «التذكرة» «ص٢٩٤».

(٣) «التذكرة» «ص: ٢٩٢».

(٤) فتح الباري «١١/ ٣٩٩».

التي بين الجنة والنار؛ لأجل تَنقية ما في القلوب حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غِلٌّ، كما قال الله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غِلٍّ إخوانًا على سرر متقابلين﴾ [الحجر: الآية: ٤٧]". (١)

وقال أيضا: "إذا عبروا على الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص من بعضهم لبعض، وهذا القصاص غير القصاص الذي يكون في عرصات يوم القيامة، هذا القصاص – والله أعلم– يراد به أن تتخلى القلوب من الأضغان والأحقاد والغل، حتى يدخلوا الجنة وهم على أكمل حال، وذلك أن الإنسان وإن اقتص له ممن اعتدى عليه، فلا بد أن يبقى في قلبه شيء من الغل والحقد على الذي اعتدى عليه، ولكن أهل الجنة لا يدخلون الجنة حتى يقتص لهم اقتصاصا كاملا، فيدخلوها على أحسن وجه، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة". (٢)

المسألة الخامسة: معنى المقاصة:

تحدث بعض أهل العلم عن معنى المقاصة التي تكون بين أهل الإيمان عند قنطرة القصاص، وقد اختلف في معناه على ثلاثة أقوال

القول الأول: أن المظلوم يأخذ من حسنات الظالم، وهذا الظالم قد جاوز الصراط لأن مظالمه لا تستنفد حسناتِه، كما نقل عن الخطابي والقرطبي.

القول الثاني: أن الله يعوض المظلوم خيرًا من مظلمته، ويعفو عن الظالم برحمته، وهذا قول البيهقي.

قال البيهقي: "وَهَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادَ بِهِ: حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا بِأَنْ يَرْضَى عَنْهُمْ خُصَمَاؤُهُمْ، وَرِضَاهُمْ قَدْ يَكُونُ بِالِاقْتِصَاصِ كَمَا مَضَى فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَقَدْ يَكُونُ بِأَنْ

(١) «شرح الواسِطيَّة» «ص٥٢٠».

(٢) يُنظر: «شرح رياض الصالحين» «١/ ٤٧٠».

يُثِيبَ اللهُ الْمَظْلُومَ خَيْرًا مِنْ مَظْلَمَتِهِ، وَيَعْفُوَ عَنِ الظَّالِمِ بِرَحْمَتِهِ". [(١)]

القول الثالث: أن الله يعوض المظلوم، أو يلقي في قلبه العفو، وهذا قاله ابن الملقن رحمه الله

وقال ابن الملقن: "وقوله: «**يتقاصون**» أي: يتتاركون؛ لأنه ليس موضعَ مقاصة ولا حساب؛ لكن يلقي الرب جل جلاله في قلوبهم العفو لبعضهم عن بعض، فيتتاركون، أو يعوض الله بعضهم من بعض". [(٢)]

وهذا القول الأخير يُحْمَل على أن المظلوم يكون قد أخذ من حسنات الظالم في القصاص الأول، وبقي في النفوس شيء، فيزيل الله ما في النفوس؛ لأن الجنة لا مجال فيها للغل.

ومن المقطوع به أن حق المظلوم لا يضيع عند الله تعالى، وأن عليه أن يستبشر ويطِيبْ نفسا، ويكن على ثقة بعدل الله تعالى، وكريم عطائه، وإحسانه، وعزه لمن صبر على مظلمة نالته في الدنيا

ومعنى قول المصنف: «**هُذِّبُوا ونُقُّوا**»، أي: خُلِّصُوا من الآثام بِمُقَاصَصَة بعضِها ببعضٍ.

قال ابن تيمية: "النفوس الخبيثة لا تصلح أن تكون في الجنة الطيبة التي ليس فيها من الخبث شيء، فإن ذلك موجب للفساد أو غير ممكن، بل إذا كان في النفس خبث طهرت، وهذبت حتى تصلح لسكنى الجنة، والتهذيب التخليص كما يهذب الذهب فيخلص من الغش، يشير إلى قَوْلُهُ صلى اللهُ عليه وسلم: «**حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا**» فتبين أن الجنة إنما يدخلها المؤمنون بعد التهذيب والتنقية من بقايا الذنوب، فكيف بمن لم يكن له حسنات يعبر بها الصراط". [(٣)]

فمن لوازم نعيم الجنة ذهاب ما في القلوب من الغل، والحقد والبغضاء حتى تكتمل اللذة، وتحصل السعادة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ

---

(١) "شعب الإيمان" «١/ ٥٢٣».

(٢) "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" «١٥/ ٥٧١».

(٣) مجموع الفتاوى «١٤/ ٣٤٥».

الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾ [الأعراف: الآية: ٤٣]

المسألة السادسة: شرح قول المصنف: «أُذن لهم في دخول الجنة»

يعني أنَّهم سيَجدون أبواب الجنة مُغلقة، ولن يجرؤ أحد أن يستفتح باب الجنة، إلى أن يَشفع النبي ﷺ في دخولها، ويدخل الجنة أمامهم؛ فيكون أول مَن يطلب أن تُفتح الجنة، وهذا من شفاعته الخاصَّة التي لا يُشاركه فيها مشاركٌ؛ فعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «**أنا أَوَّلُ النَّاس يَشفع في الجَنَّة، وأنا أكثرُ الأنبياء تَبَعًا**»[١]، وعنه- أيضًا- أنَّ النبي ﷺ قال: «**آتِي بابَ الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازنُ: مَن أنتَ؟ فأقول: مُحَمَّدٌ. فيقول: بِكَ أُمِرْتُ لا أفتحُ لأحدٍ قَبْلَكَ**»[٢].

فيكون النبي ﷺ أَوَّلُ مَن يدخلُ الجنة، وتكون أُمَّته أول مَن يدخلُها من الأمم؛ كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**نَحن الآخِرُون الأَوَّلون يوم القيامة، ونحن أَوَّلُ مَن يدخل الجنة**»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم «١٩٦».

(٢) أخرجه مسلم «١٩٧».

(٣) أخرجه البخاري «٣٤٨٦» ومسلم «٨٥٥».



٦٤- الشفاعة

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: شفاعة النبي–صلى الله عليه وسلم–..

المسألة الثانية: شفاعة الأنبياء–عليهم السلام–.

المسألة الثالثة: شفاعة الصديقين والشهداء والصالحين.

المسألة الرابعة: تفضل الله بعد ذلك على كثير فيمن يشاء ممن لم يشفع فيهم.



[٦٤] - قال المصنف رحمه الله: «**وله في القيامة ﷺ ثلاثُ شَفاعات: أمَّا الشفاعة الأولى فَيَشفع في أهلِ المَوقف حتى يُقضى بينهم بعد أن يَتراجع الأنبياء «آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعِيسى ابن مريم»** عن الشَّفاعة حتى تَنتهي إليه. وأمَّا الشفاعةُ الثانية: فيَشفع في أهلِ الجَنَّة أن يَدخلوا الجَنَّة، وهاتان الشَّفاعتان خَاصَّتان له. وأمَّا الشَّفاعة الثالثة: فيَشفع فيمن استحقَّ النار، وهذه الشفاعةُ له ولسائر النَّبيين والصِّدِّيقين وغيرهم، فيَشفع فِيمن استحقَّ النَّار ألا يَدخلها، ويَشفع فيمن دَخَلَها أن يخرج منها. ويُخرجُ اللهُ مِن النار أقوامًا بغير شفاعة، بل بفضلِه ورحمتِه، ويَبقى في الجنة فَضْلٌ عَمَّن دخلَها من أهل الدُّنيا؛ فيُنشئ اللهُ أقوامًا فيُدخلهم الجَنَّة»

الشرح

المسألة الأولى: شفاعة النبي-صلى الله عليه وسلم-:

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في إثبات الشفاعة أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بلغت حد التواتر، وصرحت هذه الأحاديث بأنه يدخل النار جملة من أهل الكبائر، من أهل التوحيد، مؤمنون موحدون، لكن دخلوا النار بذنوب ومعاص ارتكبوها ولم يتوبوا منها.

والشفاعة كما هو معلوم لها شرطان:

إذن الله سبحانه وتعالى للشافع أن يشفع.

ورضاه عز وجل عن المشفوع له.

فإذا تحقق هذان الشرطان حقت الشفاعة ووجبت الشفاعة لذلك المشفوع له، ثم بعد أن تقتضي شفاعات الناس تأتي رحمة أرحم الراحمين سبحانه وتعالى، فيُخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وهذه برحمة الله سبحانه وتعالى.

وذكر المصنف رحمه الله هنا أنواع الشفاعات للنبي ﷺ التي تكون في يوم القيامة، فقال: «**وله في القيامة ﷺ ثلاثُ شَفاعات..**»

وقد اختلف أهل العلم في عدد شفاعات النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة[(١)]، فبعضهم أوصلها إلى عشر وهو الراجح إن شاء الله لما تدل عليه الأحاديث الصحيحة وتقوم عليه الأدلة وهي كما يلي:

الأولى: الشفاعة العظمى: فتكون بعد أن يأتي أهل الموقف لآدم فيعتذر عن الشفاعة لهم، ثم يأتون لنوح، ثم لإبراهيم، ثم لموسى، ثم لعيسى ابن مريم، وكل واحد منهم يعتذر، ويدلهم عيسى عليه السَّلام على نبينا محمد ﷺ، فيأتونه ﷺ؛ فيَشفع لهم حتى يُقضى بينهم، فعن أبي هريرة رضي اللـه عنه: أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**يَجمع اللهُ النَّاسَ الأولين والآخرين في صَعيد واحدٍ يُسمعهم الدَّاعي وينفذهم البصر، وتَدنو منهم الشمسُ؛ فيَبلغ النَّاس من الغَمِّ والكرب ما لا يُطيقون ولا يَحتملون؛ فيقول النَّاس: أَلَا تَرَوْن ما قد بَلَغَكم؟ ألا تَنظرون مَن يشفعُ لكم إلى ربِّكم؟ فيقول بعضُهم لبعض: عليكم بآدم! فيَأتونه، فيقولون له: أنت أبو البَشر، خَلَقَك اللهُ بيدِه، ونفخ فيكَ مِن رُوحه، وأَمَر المَلائكة فَسجدوا لك، أَلَا تَرى ما نحن فيه؟ فيقول: إنَّ رَبِّي قد غَضِب اليوم غضبًا لم يَغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنَّه نَهاني عن الشجرة فَعَصَيْتُه، نفسي، نفسي، نفسي! اذهبوا إلى نُوح. فيَأتون نوحًا فيقولون: يا نوحُ، إنَّك أَوَّلُ رسولٍ إلى أهل الأرض، فقد سَمَّاك اللهُ عبدًا شكورا؛ اشفع لنا إلى ربِّك، أَلَا تَرى ما نحن فيه؟ فيقول كما قال آدم في غَضَب الله، وإنَّه قد كانت لي دعوة دعوتُها على قومي؛ اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبيُّ الله وخليلُه من أهل الأرض؛ اشفع لنا إلى ربك، أَلَا ترى ما نحن فيه؟ فيقول كما قال آدم في غضب الله، وإني قد كَذبت ثلاث كذبات؛ اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسولُ الله، فَضَّلَك الله برسالتِه وبكلامِه على النَّاس؛ اشفع لنا إلى ربك، أَلَا ترى ما نحن فيه؟ فيقول كما قال آدم في غضب الله، وإني قد قتلتُ نَفْسًا لم أُومر بقتلِها؛ اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسولُ الله وكلمتُه إلى مريم ورُوح منه،**

---

(١) غاية البيان شرح زبد ابن رسلان لمحمد الرملي الأنصاري «١٣».

وكَلَّمت النَّاس في المَهد صبيًّا؛ اشفع لنا إلى ربِّك، أَلَا ترى ما نحن فيه؟ فيقول كما قال آدم في غضب الله، ولم يذكر ذنبًا، وكلهم يقولون كما قال آدم: نفسي، نفسي، نفسي! اذهبوا إلى محمَّد. فيأتون محمَّدًا ﷺ، فيقولون: يا محمَّد، أنتَ رسولُ الله وخاتم الأنبياء، وقد غَفَر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر؛ اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فأنطلقُ، فآتِي تحتَ العَرش، فأقعُ ساجدًا لربِّي عز وجل، ثُمَّ يَفتح اللهُ عليَّ مِن محَامده وحُسن الثناء عليه شيئًا لم يَفتحه على أحدٍ قَبلي، ثم يقال: يا محمَّد، ارْفَع رأسَك، سَلْ تُعْطَه، واشفع تُشَفَّع...»، الحديث[(١)].

الثانية؛ شفاعته ﷺ في أهل الجَنَّة أن يدخلوا الجنة. تقدمت في الفقرة «**٤٣**»

الثالثة: الشفاعة في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، فعن أبي سعيد الخدري ؓ: أنَّه سَمِع النبي ﷺ- وذكر عنده عمه- فقال: «**لعَلَّه تَنفعه شَفاعتي يوم القيامة، فيُجعل في ضَحضاح من النَّار يَبلغ كعبيه، يَغلي منه دماغه**»[(٢)].

الرابعة: الشفاعة لمن يصبر على لأواء المدينة[(٣)].

الخامسة: الشفاعة لمن يموت بالمدينة[(٤)].

السادسة: الشفاعة في دخول الجنة بغير حساب ولا عقاب.[(٥)]

---

(١) أخرجه البخاري «٤٧١٢» ومسلم «١٩٤».

(٢) أخرجه البخاري «٣٨٨٥» ومسلم «٢١٠».

(٣)أخرجه مسلم رقم: «١٣٧٧»، ومالك في الموطأ رقم: «١٥٦٩»، وأحمد رقم: «٦٠٠١».

(٤)أخرجه الترمذي رقم: «٣٩١٧» وحسنه، وابن ماجه رقم: «٣١١٢» ولفظه "فإني أشهد لمن مات بها "، وأحمد رقم: «٥٨١٨» ، وابن أبي شيبة رقم: «٣٢٤٢١»، وابن حبان رقم: «٣٧٤١»، والبيهقي في شعب الإيمان رقم: «٤١٨٥-٤١٨٦»، والهيثمي في موارد الظمآن رقم: «١٠٣١»، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: «٦٠١٥»، وفي صحيح الترمذي رقم: «٣٩١٧»، وفي صحيح الترغيب رقم: «١١٩٣ – ١١٩٧»، وفي السلسلة الصحيحة رقم: «٢٩٢».

(٥) أخرجه البخاري رقم: «٦١٠٧»، ورقم: «٥٣٧٨»، ورقم: «٥٤٢٠» ، ورقم: «٦١٧٥» ، ومسلم رقم: «٢٢٠».

السابعة: الشفاعة فيمن قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه[(١)].

الثامنة: الشفاعة في أهل الكبائر من الأمة[(٢)].عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائر مِن أُمَّتِي**»[(٣)] فيَشفع فِيمن استحقَّ النَّار ألا يَدخلها، ويشفع في من دخل النار أن يخرج منها [(٤)]

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: «**إنَّ أحاديثَ الشَّفاعة في أهل الكبائر ثابتةٌ مُتواترةٌ عن النَّبي ﷺ، وقد اتَّفق عليها السَّلفُ من الصَّحابة وتَابعيهم بإحسانٍ وأئمة المسلمين، وإنَّما نازع في ذلك أهلُ البِدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم**»[(٥)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «**وقد ثَبَتَ بالسُّنَّة المُستفيضة، بل المتواترة، واتِّفاق الأمة أنَّ نبينا ﷺ الشَّافع المُشَفَّع، وأنَّه يَشفع في الخلائق يوم القيامة، وأنَّ النَّاس يَستشفعون به يطلبون منه أن يَشفع لهم إلى ربِّهم، وأنَّه يَشفع لهم.**

ثم اتَّفق أهلُ السُّنَّة والجَمَاعَة: أنَّه يَشفع في أهل الكبائر، وأنَّه لا يُخَلَّد في النار من أهل التَّوحيد أحدٌ.

وأمَّا الخوارج والمعتزلة فأنكروا شفاعتَه لأهل الكبائر، ولم يُنكروا شفاعته للمؤمنين، وهؤلاء مُبتدعة ضُلَّال، وفي تكفيرهم نِزَاعٌ وتَفصيلٌ»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري رقم: «٩٩»، ورقم: «٦٢٠١» ، وأحمد رقم: «٨٨٤٥».

(٢)أخرجه أبو داود رقم: «٤٧٣٩»، والترمذي رقم: «٢٤٣٥-٢٤٣٦»، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم: «٤٧٣٩»، وفي صحيح سنن الترمذي رقم: «٢٤٣٥-٢٤٣٦»، وفي صحيح الجامع رقم: «٣٧١٤»، وفي صحيح الترغيب والترهيب رقم: «٣٦٤٩»، وفي ظلال الجنة رقم: «٨٣١».

(٣) أخرجه أبو داود «٤٧٣٩»، والترمذي «٢٤٣٥»، وصححه الألباني في «المشكاة» «٥٥٩٨».

(٤) أخرجه البخاري رقم: «٦١٩٠»، ومسلم رقم: «١٩١-١٩٢».

(٥) «مجموع الفتاوى» «٣٠٩/٤».

(٦) «مجموع الفتاوى» «١٠٨/١».

التاسعة: الشفاعة في رفع الدرجات[١].

العاشرة: الشفاعة التي يجتمع فيها الله والنبيون والملائكة والمؤمنون[٢].

المسألة الثانية: شفاعة الأنبياء-عليهم السلام-.

وما من نبي إلا له شفاعة كما في صحيح مسلم عن أبي سعيد-رضي الله عنه-، قال: «**فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين**»[٣].

وفي المسند من حديث أبي سعيد مرفوعًا: "ثم يشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصًا، فيخرجونهم منها، قال: ثم يتحنن الله برحمته على من فيها فما يترك فيها عبدًا في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا أخرجه منها»[٤].

المسألة الثالث: شفاعة الصديقين والشهداء والصالحين.

كذلك الصديقون يشفعون، الصديق: على وزن فِعِّيل، وهو من قوي تصديقه وإيمانه بالله، فأحرق بقوة تصديقه الشبهات والشهوات، وفي مقدمتهم الصديق الأكبر أبو بكر-رضي الله عنه-.

ودرجة الصديق أعلى من الشهداء، كما في حديث: «**أثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**»[٥]، فالترتيب مقصود.

ثم درجة الشهداء:

الشهيد: هو الذي بذل نفسه رخيصة في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، فإنه بذل أغلى ما

---

(١) أخرجه مسلم رقم: «٩٢٠»، وأبو داود رقم: «٣١١٨»، والنسائي في السنن الكبرى رقم: «٨٢٨».

(٢) أخرجه البخاري رقم: «٧٠٠١»، ومسلم رقم: «١٨٣»،

(٣) أخرجه مسلم «١٨٣».

(٤) رواه أحمد في مسنده: «١١٠٩٦» قال الشيخ مقبل: "الحديث بهذا السند حسن" انظر الشفاعة للوادعي: « ١/ ١١٩».

(٥) أخرجه البخاري «٣٦٧٥».

يملك وهي نفسه التي بين جنبيه، فقاتل أعداء الله، لإعلاء كلمة الله.

ثم درجة الصالحين:

الصالحون: على تفاوتهم فيما بينهم،

١-منهم السابقون، وهي أعلى الدرجات، وهم الذين داوموا على الفرائض والنوافل، وتركوا المحرمات والمكروهات،

٢-ومنهم المقتصدون، وهم الذين اقتصروا على أداء الفرائض وترك المحرمات، ولم يفعلوا النوافل وقد يفعلون بعض المكروهات.

٣-ومنهم الظالمون لأنفسهم، والظالمون لأنفسهم موحدون مؤمنون، لكنهم قصروا في بعض الواجبات، أو فعلوا بعض المحرمات، فهؤلاء عندهم أصل الصلاح وأصل التقوى، فينفعهم هذا الصلاح والتقوى في عدم الخلود في النار، ولكنهم قد يدخلون النار ويعذبون، لكن في النهاية مآلهم إلى الجنة والسلامة.

المسألة الرابعة: تفضل الله بعد ذلك على كثير فيمن يشاء ممن لم يشفع فيهم.

قول المصنف رحمه الله: **«ويُخرجُ اللهُ مِن النار أقوامًا بغير شفاعة، بل بفضلِه ورحمتِه، ويَبقى في الجنة فَضْلٌ عَمَّن دخلَها من أهل الدُّنيا؛ فيُنشئ اللهُ أقوامًا فيُدخلهم الجَنَّةَ».**

مِن عظيم فضل الله على عباده ورحمتِه بهم: أنه لا يُخَلَّد في النَّار مُوَحِّد؛ قال الله جل جلاله: ﴿إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء:١١٦]، وجاء في حديثِ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «... **فَيقول اللهُ: شَفَعَت الملائكةُ، وشَفَع النَّبِيُّون، وشَفَع المُؤمنون، ولم يَبْقَ إلَّا أرحمُ الرَّاحمين؛ فيَقبض ، فيُخرج منها قومًا لم يَعملوا خيرًا قط»**[(١)].

أي أن الله تعالى يتفضل بعد ذلك على من يشاء، فيخرج برحمته بقية أهل التوحيد الذين لم يشفع فيهم، كما جاء ذلك صريحا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عن رسول الله ﷺ «... **فيقول الله عز**

(١) أخرجه البخاري «٧٤٣٩»، ومسلم «١٨٣» واللفظ له.

وجل: شَفعَتِ المَلائكةُ، وشَفعَ النَّبِيُّون، وشَفَعَ المُؤمنون، ولم يَبق إلّا أرحم الرَّاحمين...» الحديث[١] وعنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ -أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ- فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ**[٢] **ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**».[٣]

ثم قال المصنف رحمه الله: «**ويَبقى في الجَنَّة فَضْلٌ عَمَّن دَخَلَها مِن أهل الدُّنيا فيُنشئ اللهُ أقوامًا فيُدخلهم الجَنَّة**».

وهذا- أيضًا- مما يدلُّ على عظيمِ سعة رحمة الله، وعظيم فضله وإحسانه، وأنَّ رحمتَه سَبَقت غضبَه؛ إذ يُنشئ أقوامًا لِيُسكنهم فضلَ الجَنَّة، ولا يُنشئ آخرين للنار التي تقول: هل من مزيد؟ فعن أنس بن مالك ﵁، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تَزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل مِن مزيد؟ حتى يَضع ربُّ العِزَّة فيها قَدَمَه؛ فيَنزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، بعِزَّتك وكرمك. ولا يَزال في الجَنَّة فَضْلٌ حتى يُنشئ الله لها خلقًا؛ فيُسكنهم فضلَ الجَنَّة**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري «٧٤٣٩»، ومسلم «١٨٣» واللفظ له.

(٢) قال محمد فؤاد عبد الباقي: "منصوب على الحال وهو جمع ضبارة بفتح الضاد وكسرها أشهرها الكسر ويقال فيها أيضا إضبارة قال أهل اللغة الضبائر جماعات في تفرقة «فبثوا» معناه فرقوا". انظر مسلم في صحيحه «١/ ١٧٢»

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه «١/ ١٧٢»

(٤) أخرجه البخاري «٧٣٨٤» ومسلم «٢٨٤٨».



٦٥- كفاية الوحيين في تفاصيل اليوم الآخر.

[٦٥]- قال المصنف رحمه الله: «**وأصنافُ ما تضمنته الدَّارُ الآخرة من الحساب والثَّواب والعِقاب والجنَّة والنار وتفاصيل ذلك مَذكورةٌ في الكتب المُنَزَّلة من السَّماء، والآثار من العِلم المَأثور عن الأنبياء، وفي العِلم المَوروث عن محمَّدٍ ﷺ مِن ذلك ما يَشفي ويكفي؛ فَمَن ابتغاه وَجَدَه**».

الشرح

المسألة الأولى: ما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر

والإيمان باليوم الآخر يتضمن:

أولًا: الإيمان بوقوعه، وأن الله يبعث من في القبور، وهو إحياؤهم حين ينفخ في الصور، ويقوم الناس لرب العالمين...

ثانيًا: الإيمان بكل ما ذكره الله في كتابه وما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون في ذلك اليوم الآخر...

ثالثًا: الإيمان بما ذكر في اليوم الآخر من الحوض والشفاعة والصراط والجنة والنار؛ فالجنة دار النعيم، والنار دار العذاب الشديد...

رابعًا: الإيمان بنعيم القبر وعذابه؛ لأن ذلك ثابت بالقرآن والسنة وإجماع السلف».

المسألة الثانية: ترتيب أهوال يوم القيامة.

اختلف أهل العلم في ترتيب أهوال يوم القيامة، تبعا لاختلافهم في الجمع بين الأحاديث الواردة في هذا الباب، لكن الذي عليه جمهور علماء أهل السنة والجماعة أن ترتيب أحداث ذلك اليوم يكون على النحو الآتي:

أولا: إذا مات ابن آدم قامت قيامته، لأن البرزخ هو أول منازل الآخرة؛ فإن نجى منه العبد فما بعده أيسر منه؛ وهو إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، فإذا نفخ في الصور نفخة الصعق مات كل من في السموات والأرض إلا من شاء الله.

ثانيا: ثم ينفخ في الصور نفخة البعث؛ فتعاد الأرواح إلى أجسادها التي يبعثها الله تعالى من عظم عجب الذنب, ويقوم الناس من قبورهم إلى أرض المحشر ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: الآية: ٤٨].

ثالثا: وإذا بُعث الناس وقاموا من قبورهم ذهبوا إلى أرض المحشر، ثم يقومون في أرض المحشر قيامًا طويلًا، تشتد معه حالهم وظمؤُهم، ويخافون في ذلك خوفًا شديدًا؛ لأجل طول المقام، ويقينهم بالحساب، وما سيُجري الله –عز وجل– عليهم.

فيقف الناس في أرض المحشر حفاة عراة غرلا، وتدنوا منهم الشمس قدر ميل، ويلجمهم العرق كل بحسب عمله، ولكن الله يخفف على عباده المؤمنين في ذلك اليوم الذي مدته خمسون ألف سنة –وبحسب إيمان كل منهم– بجملة أمور منها:

١– أن عرقهم يقل تبعا لقلة ذنوبهم وكثرة طاعاتهم.

٢– أنه يُظل طائفة منهم في ظِل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

٣– يخفف على عباده المؤمنين طول ذلك اليوم حتى أنه ليكون بالنسبة للمؤمن كتدلِّي الشمسِ للغروبِ إلى أن تغربَ.

٤– أنه يقيم لهم الحوض الذي من شرب منه شربة لم يضمأ بعدها أبدًا. فإذا طال المِقام رَفَعَ الله–عز وجل–لنبيه–صلى الله عليه وسلم–أولًا حوضه المورود، فيكون حوض النبي–صلى الله عليه وسلم–في عرصات القيامة، إذا اشتد قيامهم لرب العالمين، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. فمن مات على سنّته، غير مُغَيِّرٍ ولا مُحْدِثٍ ولا مُبَدِّلْ: وَرَدَ عليه الحوض، وسُقِيَ منه، فيكونُ أول الأمان له أن يكون مَسْقِيًا من حوض نبينا–صلى الله عليه وسلم–، ثم بعدها يُرْفَعُ لكل نبي حوضه، فيُسْقَى منه صالح أمته.

رابعا: ثم يقوم الناس مقامًا طويلًا حتى يتعجلون الحساب؛ فيسألون الأنبياء واحدًا تلو الآخر ان يشفعوا لله تعالى كي يقيم الحساب كما في الحديث الطويل المعروف: أنهم يسألونها آدم ثم نوحًا ثم إبراهيم، إلى آخره،؛ فيعتذر كل منهم حتى يأتون نبينا–صلى الله عليه وسلم– فيسألونه أن يشفع لهم عند الله في الحساب، ثم تكون الشفاعة العظمى، شفاعة النبي–صلى

الله عليه وسلم- بأن يُعَجِّلَ الله -عز وجل- حساب الخلائق، فيأتون إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ويقولون له: يا محمد، ويصِفُونَ له الحال، وأن يسأل الله تعالى أن يقي الناس الشدة بسرعة الحساب، فيقول -صلى الله عليه وسلم- بعد طلبهم اشفع لنا عند ربك، يقول أنا لها، أنا لها، فيأتي فيسجد عند العرش فيحمد الله -عز وجل- بمحامد يفتحها الله -عز وجل- عليه، ثم يقال: «**يا محمد ارفع رأسك، وسل تُعْطَ واشْفَعْ تُشَفَّعْ**»، فتكون شفاعته العظمى في تعجيل الحساب.

خامسًا: ثم يبدأ عرض الأعمال على الأمم والعباد، وأول هذه الأمة عرضًا هم أمة محمد- صلى الله عليه وسلم-؛ فتعرض أعمال هذه الأمة عليها، وتعرض أعمال كل واحد منهم عليه.

سادسًا: وبعد الحساب الأول تتطاير الصحف، والحساب الأول من ضمن العرض؛ لأنه فيه جدال ومعاذير، ثُمَّ بعد ذلك تتطاير الصحف، ويُؤْتَى أهل اليمين كتابهم باليمين، وأهل الشمال كتابهم بشمالهم، فيكون قراءة الكتاب.

سابعًا: ثم بعد قراءة الكتاب: يكون هناك حساب أيضًا لقطع المعذرة، وقيام الحجة بقراءة ما في الكتب.

ثامنًا: ثم يوضع الميزان؛ ليوزن عمل كل إنسان، وعلى قدر رجحان طاعاته على سيئاته يكون ميل كفة الميزان لصالحه، والعكس كذلك، وبمقدار رجحان الميزان يكون الجزاء والوفاء، لأنه ميزان عدل وقسط، لا يغادر مثقال ذرة من خير أو شر..

تاسعًا: ثم بعد الميزان ينقسم الناس إلى طوائف وأزواج؛ أزواج بمعنى كل شكل إلى شكله، وتُقَامُ الألوية -ألوية الأنبياء- لواء محمد -صلى الله عليه وسلم-، ولواء إبراهيم، ولواء موسى إلى آخره، فيأتي النبي ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الرهط، والنبي وليس معه أحد، وأكثر تلك الأمم رهطا في ذلك اليوم هم أمة نبينا -صلى الله عليه وسلم-.

ويتنوع الناس تحت اللواء بحسب أصنافهم، كل شَكْلٍ إلى شكله. والظالمون والكفرة أيضاً: يُحْشَرُونَ أزواجاً، يعني متشابهين كما قال: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ

* مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الصافات: الآيتان: ٢٢-٢٣]؛ يعني بأزواجهم: أشكالهم ونُظَرَاءَهُمْ، فيُحْشَرْ علماء المشركين مع علماء المشركين، ويُحْشَرْ الظلمة مع الظلمة، ويُحْشَرْ منكرو البعث مع منكري البعث، وهكذا، وكما في حديث أبي سعيد الخدري: «**إذَا كانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أذَّنَ مُؤَذِّنٌ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ ما كَانَتْ تَعْبُدُ، فلا يَبْقَى مَن كانَ يَعْبُدُ غيرَ اللَّهِ مِنَ الأصْنَامِ والأنْصَابِ، إلَّا يَتَسَاقَطُونَ في النَّارِ**». (١)

عاشرًا: ثُمَّ بعد هذا يَضْرِبُ الله–عز وجل–الظُّلمة قبل جهنم والعياذ بالله، ثم يصير الناس في الظلمة, وينصب الصراط على متن جهنم، فحينئذ ترى المؤمنين والمؤمنات، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، فيمشون بأيمانهم ونورهم ، كل على قدر إيمانه، وأما المنافقون فلا نور لهم يمشون به؛ فيسعون خلف المؤمنين ليقتبسوا من نورهم, فيضرب الله تعالى بينهم بسور له باب فيحجزهم عنهم, كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: الآيات: ١٢ - ١٥].

فيلحق المنافقون بإخوانهم الكافرين إلى نار جهنم خالدين فيها وبئس المصير.

الحادي عشر: ثم يأتي النبي–صلى الله عليه وسلم–، أولًا ويكون على الصراط، ويسأل الله–عز وجل–له ولأمته فيقول: اللهم سلّم سلم، اللهم سلّم سلم؛ فَيَمُرّ صلى الله عليه وسلم، وتَمُرُّ أمته على الصراط، كُلٌ يمر بقدر عمله، ومعه نور أيضًا بقدر عمله، فيمضي مَنْ غَفَرَ الله–عز وجل–له، ويسقط في النار، في طبقة الموحّدين، من شاء الله–عز وجل–أن يُعَذبه.

---

(١) أخرجه البخاري «٧٤٣٩»، ومسلم «١٨٣».

ثم يجتاز أتباع الرسل الصراط وهو شديد الظلمة، أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ، دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فيه خَطاطِيفُ وكَلالِيبُ وحَسَكٌ، ويجتازه كل أحد من الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين على قدر أعمالهم؛ فمنهم من يجتازه كلَمْحِ البَرْقِ، ثم كمرِّ الريحِ، ثم كَحضرِ الفَرسِ، ثم كالراكِبِ في رَحْلِهِ، ثمَّ كشَدِّ الرجُل، ثم كمَشْيِه, ومنهم من يزحف زحفا.

ولشدة ظلمة الصراط فإن الله تعالى يجعل لعباده نورا على قدر أعمالهم يتمكنون به من اجتياز الصراط, ويكون شدة نور كل منهم بقدر إيمانه في الدنيا؛ فمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مثل الجَبَلِ العَظِيمِ ومنهم من يُعْطَى نُورَهُ على إِبْهامِ قَدَمِهِ ، يُضِيءُ مرةً ، ويطفأُ مرةً ، فإذا أَضَاءَ قَدَمَهُ قدمٌ ومَشَى، وإذا طُفِيءَ قامَ.

ثم أنهم بعد مرورهم على الصراط إما: ناج سالم، أو ناج مجروح بالكلاليب على قدر ذنوب كل منهم، وإما من لا تسعفه أعماله فتخطفه الكلاليب إلى نار جهنم, وهم المعذبون من أتباع الرسل.

ثم إذا انتهوا من النار: اجتمعوا في عَرَصَات الجنة، يعني في السّاحات التي أعدها الله–عز وجل–لأن يقْتَصَّ أهل الإيمان بعضهم من بعض، ويُنْفَى الغل حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غل.

الثاني عشر: ثم إذا اجتاز الناجون الصراط وقفوا على باب الجنة؛ فلا تفتح أبوابها إلا للنبي–صلى الله عليه وسلم–؛ فإذا فتحت أبواب الجنة كان النبي–صلى الله عليه وسلم–أول الناس دخولًا إليها، وكانت أمته أول الأمم دخولًا، فيدخل الجنة أول الأمر، بعد–النبي صلى الله عليه وسلم–: فقراء المهاجرين، وفقراء الأنصار، ثم فقراء الأمة، ويُؤَخَّر الأغنياء لأجل الحساب الذي بينهم وبين الخلق، ولأجل محاسبتهم على ذلك، ثم يتبعهم سائر الأمم.

الثالث عشر: فإذا استقر اهل الجنة فيها تذاكروا إخوانهم الذين كانوا معهم في الدنيا ممن لم يجتازوا الصراط، فاستفقدوهم فوجدوهم في النار؛ فيستشفعون لهم؛ فيشفع الله فيهم من يشاء ويرضى من الملائكة والأنبياء والصالحين؛ فيخرجون منهم من عرفوه بآثار الطاعة والعبادة، حتى إذا بقي في النار من الموحدين ممن لم يعمل خيرا قط؛ يشفع الجبار فيهم فيخرجهم من النار

بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، فيدخلهم الجنة, ويعطيهم الدنيا وعشر أمثالها معها، ويبقى في الجنة فضلة ينشيء لها أقواما فيسكنهم إياها برحمته وفضله.

الرابع عشر: ثم ينادي مناد بعد ذلك و«**يُقالُ لأهْلِ الجَنَّةِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ لا مَوْتَ، ولِأَهْلِ النَّارِ: يا أهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لا مَوْتَ**». (١)

الخامس عشر: ثم يكون لأهل الجنة ما يشاؤون فيها من النعيم المقيم الدائم, وزيادة ذلك النظر إلى وجه الله تعالى، وهو أعظم نعيم وأكمله". (٢)

المسألة الثالثة: أهمية هذا الباب

أولًا: مما يدل على أهميَّة هذا اليوم العظيم؛ أن الله تعالى كثيرًا ما يربط الإيمان به–عز وجل– بالإيمان باليوم الآخر؛ وذلك لأن الإيمان بالله هو الأصل الذي تنبني عليه كل الأصول، والإتيان بالإيمان باليوم الآخر مع الإيمان بالله للتنبيه على الجزاء، وعلى ما يلقاه الإنسان في الدار الآخرة من الثواب والعقاب، و يأتي في الترغيب والترهيب الجمع بينهما، ويكون المقصود من ذلك في مجال الترغيب العمل بالأمور المشروعة من أجل أن يحصل الإنسان على الثواب، والمقصود من ذلك في الترهيب أن يحذر الإنسان من الوقوع في الأمور المحرمة؛ لئلا يحصل له العقاب

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة: الآية: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم

(١) أخرجه البخاري «٤٧٣٠»، ومسلم «٢٨٤٩».

(٢) انظر: "شرح الطحاوية" «ص: ٥٤٢» بترقيم الشاملة / للشيخ صالح آل الشيخ، بتصرف.

في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ [النساء: الآية: ٥٩]
وقال تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ [التوبة: الآية: ١٨]
وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [الطلاق: الآية: ٢].
إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليُكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه**».(١)

إذا: فالجمع بين الإيمان بالله واليوم الآخر من أجل التنبيه على الاستعداد لذلك اليوم، فيقدم الإنسان الأعمال الصالحة، ويحذر من أن يقع في المحرمات؛ ليحصل له الثواب في الدار الآخرة وليسلم من العقاب فيها أيضا.

ثانيًا: مما يدل على على أهميته أنه أحد الأبواب الثلاثة الرئيسة التي شغلت حيزًا كبير في نصوص القرآن والسنة، وهذه الأبواب هي:

الباب الأول: باب الإيمان بالله.

الباب الثاني: باب النبوات.

الباب الثالث: باب الإيمان باليوم الآخر.

فقلَّ أن تمرَّ على صفحة من القرآن؛ إلا وتجد فيها حديثًا عن اليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب.

ثالثًا: أن الإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان الستة، التي لا يصح إيمان بدونها، وكلما زادت معرفة العبد به، ازداد إيمانه وقوِيَ يقينه، وعلَت درجته

فعن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال في تعريفه للإيمان: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

(١)أخرجه البخاري «٦٠١٨»، ومسلم «٤٧».

(١)

رابعًا: كثرة أسماء اليوم الآخر: فلليوم الآخر أسماءٌ كثيرة، والسر في ذلك عِظم أمره، وكثرة هَوله؛ قال القرطبي رحمه الله: "كل ما عظُم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه، وهذا مَهيع كلام العرب". وقد سماه الله تعالى بأسماء كثيرة في القرآن: «**القيامة، الساعة، الآخرة، يوم الدين، يوم الحساب، يوم التلاق، الآزفة، الطامة، الصاخة**»

خامسًا: وأن مجموعة سور سميت بأسماء يوم القيامة وأهواله، وهي: سورة الدخان، سورة الواقعة، سورة الحشر، سورة التغابن، سورة الحاقة، سورة القيامة، سورة النبأ، سورة التكوير، سورة الانفطار، سورة الانشقاق، سورة الغاشية، سورة الزلزلة، وسورة القارعة

سادسًا: أن الإيمان بما في اليوم الآخر وعلاماته من الإيمان بالغيب الذي لا يدركه العقل، ولا سبيل لمعرفته؛ إلا بالنص عن طريق الوحي.

سابعًا: كثرة الثناء على المؤمنين به، والذم للكافرين به :قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: الآية: ٣]، وقال في وصف الكافرين: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [هود: الآية: ١٩].

ثامنًا: أن معرفة هذا الباب فيه تحديد مصيرالإنسان بعد موته، أن الإنسان بعد الموت يحاسبه الله ثم مصيره إلى النار أو الجنة.

وهذه المعرفة تجعله يعيش السعادة الحقيقية بعطاء الله تعالى له الغير منقطع كما وصف الله تعالى ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوب ﴾يعنى عطاء غير منقطع وهذه هي السعادة الحقيقية والحياة الحقيقية، قال ابن القيم الجوزية هم الإنسان فقال "إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده؛ تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته، وإن أصبح وأمسى والدنيا همه؛ حمله الله همومها وغمومها وأنكادها، ووكله

---

(١)أخرجه مسلم «٨».

إلى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم". [١]

والناس في الحياة صنفين كما وصفهم ابن القيم والسعيد من يراعي الآخرة في كل قرار يتخذه بالدنيا.

فالدار الآخرة هي دار القرار، ودار الخلود، وينقسم العباد فيها إما إلى جنة أبدًا، وإمَّا إلى نار أبدًا، بعد أن يُخرج من النار مَن شاء الله بشفاعة النبي ﷺ، وبشفاعة الشافعين، ثم بشفاعته سبحانه وهو أرحم الراحمين؛ فيُخرج منها قومًا لم يَعملوا خيرًا قط، كما سبق في الحديث، ويُخرج منها مَن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يَدخل أهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ**»، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا مِن النار مَن كان في قلبه مِثقال حَبَّة مِن خردل من إيمان؛ فيُخرجون منها قد اسَوَدُّوا، فيُلقون في نهر الحياة؛ فينبتون كما تَنبت الحِبَّة في جانب السَّيل، ألم تر أنَّها تَخرج صفراء ملتوية». [٢].

وتفاصيل أهوال اليوم الآخر مَذكورةٌ في الكتب المنَزَّلة من السَّماء، والقرآن العظيم آخر الكتب المنزلة من أوله إلى آخره يدعو إلى الإيمان باليوم الآخر، ويُقيم الأدلة الكثيرة والمتنوعة على حدوثه، ويُفَصِّل فيما سيكون فيه من أهوال جِسام.

وكذلك في الآثار من العِلم المأثور عن الأنبياء، وفي العِلم الموروث عن محمَّدٍ ﷺ مِن ذلك ما يَشفي ويكفي؛ مما يجعلك ترى الجنة والنار كأنها رأي عين، فتعرف عرصات ومواقف ذلك اليوم، ثم منازل أهل الجنة ومنازل أهل النار، وما يكون فيهما.

ولكن شيخ الإسلام يذكر هنا عقيدة مختصرة لجملة ما سيكون في اليوم الآخر، وإلا فالتفاصيل كثيرة، وتتسع لها المجلدات.

---

(١) الفوائد لابن القيم: «ص: ٨٤».

(٢) أخرجه البخاري «٢٢».

٦٦- الإيمان بالقدر

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالقدر.

المسألة الثانية: أدلة الإيمان بالقدر

المسألة الثالثة: أهمية الإيمان بالقدر ومراتبه

المسألة الرابعة: الخوض في القدر.

المسألة الخامسة: أركان الإيمان بالقدر.

المسألة السادسة: مواقف المخالفين من مراتب القدر.



[٦٦]- قال المصنف رحمه الله: «**وتُؤمن الفِرقةُ النَّاجيةُ «أهل السُّنَّة والجَمَاعَة»** بالقَدَر؛ خَيره وشَرِّه. والإيمانُ بالقَدَر على دَرجتين؛ كل درجة تتضمن شيئين:

فالدَّرجة الأولى: الإيمانُ بأنَّ اللهَ- تَعالى عليمٌ بما الخلقُ عاملون بعلمِه القديم الذي هو مَوصوفٌ به أزلًا وأبدًا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال.

ثم كَتَبَ في اللوح المحفوظ مقاديرَ الخَلْقِ، فَأَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ القَلمَ قال له: اكتب. قال: ما أكتبُ؟ قال: اكتب ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة؛ فما أصاب الإنسانَ لم يكن لِيُخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ جَفَّت الأقلامُ، وطُويت الصُّحف، كما قال تَعَالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج : ٧٠]، وقال تَعَالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد : ٢٢].

وهذا التقديرُ التَّابع لِعلمه- سبحانه- يكون في مَوَاضِعَ جُملة وتفصيلًا. فقد كَتَبَ في اللَّوح المحفوظ ما شاء، وإذا خَلَقَ جَسَدَ الجَنين قبل نَفخ الرُّوح فيه بَعَثَ إليه مَلَكًا؛ فيُؤمر بأربعِ كلماتٍ، فيقال له: اكْتُب رِزْقَه وأجلَه وعَمَلَه وشَقِيٌّ أو سَعِيدٌ، ونحو ذلك.

فهذا التَّقديرُ قد كان يُنكره غُلاة القدريَّة قديمًا، ومُنكروه اليوم قليلٌ.

«**وأمَّا الدرجة الثانية فهي مَشيئته النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.**

وأنَّه ما في السماوات وما في الأرض مِن حركة ولا سُكون إلَّا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في مُلكه إلا ما يُريد، وأنه- سبحانه- على كلِّ شيء قدير مِن المَوجودات والمعدومات؛ فمَا مِن مخلوقٍ في الأرض ولا في السَّماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالقَ غيرُه، ولا ربَّ سِواه.

ومع ذلك فقد أَمَرَ العِباد بطاعته وطاعة رسوله، ونَهاهم عن مَعصيته، وهو- سبحانه- يُحِبُّ المُتَّقِين والمُحسنين والمُقسطين، ويَرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصَّالحات، ولا يُحِبُّ

الكافرين، ولا يَرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يَرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد.

والعِبَادُ فاعلون حقيقة، واللهُ خالقُ أفعالِهم، والعبدُ هو المُؤمن والكافر، والبَرُّ والفاجر، والمُصَلِّي والصَّائم، وللعباد قُدرة على أعمالِهم، ولهم إرادة، واللهُ خالقُهم وخَالق قُدرتهم وإرادتهم، كما قال تَعالى: ﴿لمن يشاء منكم أن يستقيم * وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ [التكوير:٢٨، ٢٩].

وهذه الدرجةُ من القَدَر يُكَذِّب بها عامَّةُ القَدرية الَّذين سَمَّاهم النَّبيُّ ﷺ مجوسَ هذه الأُمَّة، ويَغلو فيها قومٌ من أهل الإثبات حتى سَلَبُوا العبدَ قُدرتَه واختيارَه، ويُخرجون عن أفعالِ الله وأحكامِه حِكَمَها ومَصَالِحَها».

الشرح

تمهيد:

هذا ما يتعلق بالإيمان بالقدر خيره وشره، وهو أصلٌ مِن أُصُول اعتقادِ أهل السُّنَّة والجَمَاعَة، وركنٌ مِن أركان الإيمان.

قال العلَّامة ابنُ القيِّم رحمه الله: «**إنَّ أهمَّ ما يَجب معرفتُه على المُكَلَّف النَّبيل فضلًا عن الفاضل الجليل ما وَرَدَ في القضاء والقَدَر والحِكمة والتَّعليل، فهو مِن أَسْنَى المقاصد، والإيمانُ به قُطْب رَحَى التَّوحيد ونِظامه، ومبدأُ الدِّين المُبين وخِتامه، فهو أحدُ أركان الإيمان وقاعدة أساس الإحسان التي يَرجع إليها ويَدور في جميع تصاريفه عليها، فالعدلُ قِوَام المُلك، والحِكمة مَظهر الحمد، والتَّوحيد مُتضمن لنهاية الحِكمة وكمال النِّعمة، ولا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، له المُلك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ فبالقدرة والحكمة ظَهَر خَلْقُه وشَرعه المُبين؛ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]**»(١).

(١) مُقَدِّمة كتابه «شِفاء العَليل» «ص٣».

وفي هذا النص مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالقدر:

القدر في اللغة:

القَدَر في اللغة: مَصدر قَدَرْتُ الشَّيء إذا أَحَطتُ بمقداره.

القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، ومنه ذكر «**ليلة القدر**» وهي الليلة التي تقدر فيها الأرزاق وتقضـى. وأصل «**قدر**»: يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته(١)

قال اللحياني-رحمه الله-«**ت: ٢٢٠ هـ**»: "إن القدر بفتح الدال هو: الاســـم، والقدر بسكون الدال هو: المصدر"(٢)

ويطلق القدر على معان؛ منها:

١-معنى الحكم والقضاء.

ومن ذلك حديث الاستخارة، وفيه: «**فاقدره لي ويسره لي**»(٣) (٤).

٢-معنى الطاقة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِـــعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: الآية: ٢٣٦]، بفتح الدال، وقرئ بإسكانها. (٥).

٣- معنى التضييق.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر:

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس «٥/ ٦٢»، النهاية لابن الأثير «٤/ ٢٢»، مختار الصـــحاح للرازي «ص٢٤٨»، تاج العروس للزبيدي «١٣/ ٣٧٠»..

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور «٥/ ٣٥٤٥».

(٣) أخرجه البخاري «١١٦٢» مطولا من حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما-.

(٤) ينظر: النهاية لابن الأثير «٤/ ٢٢»، مرقاة المفاتيح للقاري «٣/ ٩٨٦».

(٥) ينظر: تفسير ابن جرير «٤/ ٢٩٤»، النشر في القراءات العشر لابن الجزري «٢/ ٢٢٨».

الآية:١٦] [1].

٤- معنى التقدير.

ومنه الحديث: «**فإن غم عليكم فاقدروا له**»[2].

أي: قدروا له عدد الشـــهر حتى تكملوه ثلاثين يومًا، وقيل: قدروا له منازل القمر، فإنه يدلكم على أن الشهر تسع وعشرون أو ثلاثون.[3].

ويقال: قدره: إذا قاسه، وقدرت الشيء، أي: هيأت. والقدرة تأتي بمعنى اليسار، والغنى، والقوة.[4]

تلك من أهم معاني «**القدر**» لغة. وهناك معان أخرى تعرضـــت لها كتب اللغة.[5].

والقدر في الاصطلاح:

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: القدر: "وهو عند أهل السنة والجماعة: قدرة الله وعلمه ومشيئته وخلقه وكتابته، فلا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشيئته وعلمه وقدرته"[6]

والقَدَرُ في الاصطلاحِ: هو تقديرُ اللهِ تعالى الأشياءَ منذُ القِدَمِ، وعِلْمُه سُبحانَه أنها ستقعُ في أوقاتٍ معلومةٍ عنده، وعلى صـفاتٍ مخصـوصـةٍ، وكتابتُه سُـبحانَه لذلك، ومشـيئتُه له،

---

(١) ينظر: تفسير ابن جرير «٢٤/ ٣٧٦».

(٢) رواه البخاري «١٩٠٠»، ومسلم «١٠٨٠» مطولا من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-.

(٣) ينظر: النهاية لابن الأثير «٤/ ٢٣».

(٤) ينظر: الصـــحاح للجوهري «٢/ ٧٨٦»، مقاييس اللغة لابن فارس «٥/ ٦٣»، لســان العرب لابن منظور «٥/ ٣٥٤٥» تاج العروس للزبيدي «١٣/ ٣٧٠».

(٥) يُنظر: الصــحاح للجوهري «٢/٧٨٦»، أســاس البلاغة للزمخشــري «٢/ ٥٦»، لســان العرب لابن منظور «٥/ ٣٥٤٥» تاج العروس للزبيدي «١٣/ ٣٧٠».

(٦) انظر: شفاء العليل لابن القيم «ص: ١١٤».

ووقوعُها على حَسَبِ ما قدَّرها، وخَلْقُه لها"[(١)]

قال السفاريني-رحمه الله-«**ت: ١١٨٨ هـ**»: "هو ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه- عز وجل- قدَّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشـــياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم ســبحانه أنها ســتقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صــفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها"[(٢)]

وقال ابن حجر-رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**»: في تعريفه: "المراد أنّ الله- تعالى- علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثمّ أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته"[(٣)]

المسألة الثانية: أدلة الإيمان بالقدر:

نصوص القرآن والسنة متواترة في وجوب الإيمان بالقدر، وصريحة في أن كل شيء خلقه الله بقدر.

فأما أدلة القرآن، فمنها ما يلي:

لم يرد في القران التنصـيص على وجوب الإيمان بالقدر، وإنما وردت أدلة مجملة تدل على تقدير الله للأشياء.[(٤)]

- قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: الآية: ٦٢].
- قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: الآية: ٤٩].
- وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٣٨].
- وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: الآية: ٤٢].

(١) يُنظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية «ص: ١٠٥»، شفاء العليل لابن القيم «ص: ٨٣»، فتح الباري لابن حجر «١/ ١١٨»، لوامع الأنوار البهية للسفاريني «١/ ٣٤٨»..

(٢) عقيدة السفاريني» ١/ ٣٤٨».

(٣) فتح الباري «١/ ١١٨».

(٤) القضاء والقدر، عبد الرحمن المحمود، «ص: ٨٦».

- وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: الآية: ٢].

- وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: الآيات: ١-٣].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: الآيات: ١ - ٢].

وسيأتي ذكر مزيد من الأدلة من القرآن عند بيان مراتب القدر.

وأما أدلة السنة، فمنها ما يلي:

وقد ورد التنصيص على الإيمان بالقدر في السنة ومن ذلك

- عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-«**ت: ٢٣ هـ**» في سؤال جبريل عليه السلام الرسول-صلى الله عليه وسلم-عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره**». قال «**أي: جبريل عليه السلام**»: صدقت"[(١)].

- عن جابر-رضي الله عنهما-«**ت: مابين ٧٣ إلى ٧٧ هـ**» قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه**»»[(٢)].

- وعن طاووس بن كيسان-رحمه الله-«**ت: ١٠٦ هـ**» أنه قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، يقولون: كل شيء بقدر، قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس**»[(٣)]

- وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت: ٥٧ هـ**» قال: "جاء مشركو قريش يخاصمون

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، وعلامة الساعة «١/ ٣٦ رقم ٨».

(٢) رواه الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، »ص: ٦/ ٣٥٦«-شرح تحفة الأحوذي»، رقم »٢٢٣١«، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم: »١٧٤٣«، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: »٢٤٣٩«.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب كل شيء بقدر «٤/ ٢٠٤٥» رقم: »٢٦٥٥«.

رسـول الله–صـلى الله عليه وسـلم–في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: الآيات: ٤٨: ٤٩]. [(١)].

وعن أبي الدرداء رضـي الله عنه عن النبي–صـلى الله عليه وسـلم–قال: «**لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بالقدر**» [(٢)].

أقوال السلف

أجمع سلف الأمة على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، وأنه من أصول الإيمان الستة، التي لا يتم إسلام العبد ولا إيمانه إلا بها

ومن الآثار في هذا الباب ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه أن سلمان الفارسي–رضي الله عنه–سئل عن الإيمان بالقدر فقال: "إذا علم الرجل من قبل نفسه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن يصيبه، فذلك الإيمان بالقدر"[(٣)]

عن علي بن أبي طالب–رضـي الله عنه–«**ت: ٤٠ هـ**»، قال: "إذا قضـي الأمر من السماء عمله أهل الأرض، وإن العبد لا يجد طعم الإيمان حتى يوقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه". [(٤)].

عن يحيى بن يعمر–رحمه الله–«**ت: ٨٩ هـ**»؛ قال: "كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني. فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري «**ت: ١٠٠ هـ**». حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب–رضـي الله عنهما–«**ت: ٧٤ هـ**»

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب كل شيء بقدر «٤/ ٢٠٤٦ رقم: »٢٦٥٦«.

(٢) رواه الإمام أحمد، انظر الجامع الصـحيح في القدر، تأليف مقبل الو ادعي، »ص: ١٤«، وهو في السـلسـلة الصـحيحة رقم: «٦٧٥»،

(٣) مصنف عبد الرزاق «١١/ ١١٨»، وانظر: القضاء والقدر للبيهقي »ص: ٣٠٥«.

(٤)«أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٤/ ٦٦٦»، وانظر: القضاء والقدر للبيهقي »ص: ٢٩٩«.

داخلا المسجد. فاكتنفته أنا وصاحبي. أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله. فظننت أن صاحبي سـيكل الكلام إلي. فقلت: أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم. وذكر من شـأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر. وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني[(١)]. والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر"[(٢)]

عن الحسن البصري «ت: ١١٠ هـ»: "والله لولا الإيمان بالقدر لخربت الدنيا وما عمرتها، إن الله تعالى قدّر كل شيء بقدر معلوم"[(٣)].

عن الحسن البصري-رحمه الله-«ت: ١١٠ هـ»: قال: "القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده"[(٤)]

عن مجاهد بن جبر-رحمه الله-«ت: ١٠٤ هـ»: قال: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد"[(٥)]

قال الأوزاعي «ت: ١٥٧ هـ»: "علينا أن نؤمن بالقدر خيره وشره، فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، وقد علم الله تعالى ما يكون وما سيكون"[(٦)].

قال الإمام سفيان الثوري «ت: ١٦١ هـ»: "من كفر بالقدر فقد كفر بما أنزل على محمد-صلى الله عليه وسلم-، فإن الله تعالى قدّر كل شيء في الأزل"[(٧)]

قال الإمام ابن المبارك «ت: ١٨١ هـ»: "الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، من

---

(١) قال الخطابي: فى تبرى ابن عمر منهم دليل على أن الخلاف إذا وقع في أصول الدين وتعلق بالمعتقدات يوجب البراءة، بخلاف ما تعلق بأصول الأحكام وفروعها". معالم السنن «٧/ ٦٥».

(٢) «صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في الأمر بالإيمان بالقدر «١/ ٨».

(٣) "كتاب التوكل" لابن أبي الدنيا «ص: ٢٩».

(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم: «١٠٨٠».

(٥) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم: «١٠٩٦».

(٦) "البداية والنهاية" لابن كثير «١٠/ ٢٠٥».

(٧) "الجامع" لمصنف عبد الرزاق «١١/ ٤٤».

أصول الإيمان، ولا يتم الإيمان إلا به"[١]

وقال الإمام ابن المبارك «ت: ١٨١ هـ»: "الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ولا يكون العبد مؤمنًا حتى يؤمن بأن الله قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ"[٢]

قال الإمام أبو حنيفة في "الفقه الأكبر" «ت: ١٥٠ هـ»: "والقدر خيره وشره من الله تعالى، نؤمن به ونعلم أن الله لم يكلفنا إلا ما نطيق، وأنه تعالى لم يجبر العباد على المعاصي، وأنه تعالى هو الخالق للأفعال".

قال الإمام مالك بن أنس «ت: ١٧٩ هـ»: "الإيمان بالقدر واجب، من أنكر القدر فقد كفر، والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأن كل ما يصيب الإنسان من خير أو شر فهو من الله تعالى"[٣]

قال الإمام الشافعي «ت: ٢٠٤ هـ»: "لا يتم الإيمان إلا بالإيمان بالقدر، ومن أنكر القدر فقد أبطل علم الله السابق، ونسب الله إلى الجهل"[٤]

قال الإمام أحمد بن حنبل «ت: ٢٤١ هـ»: "والإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها"[٥]

قال الإمام البخاري «ت: ٢٥٦ هـ»: "الإيمان بالقدر خيره وشره من أصول الإيمان"[٦]

قال الإمام مسلم «ت: ٢٦١ هـ»: "الإيمان بالقدر خيره وشره من أركان الإيمان"[٧]

---

(١) "الزهد" لابن المبارك «ص: ١٩٤».

(٢) "سير أعلام النبلاء" «٨/٤٠٢».

(٣) "التمهيد" لابن عبد البر «٧/ ١٤٣».

(٤) "الرسالة" «ص: ٣٥١».

(٥) "أصول السنة" «ص: ٢٨».

(٦) "صحيح البخاري" «٦٦١٤».

(٧) "صحيح مسلم" «٩٣».

قال الإمام ابن ماجه «**ت: ٢٧٣ هـــــ**»: "والإيمان بالقدر خيره وشـــره ركن من أركان الإيمان، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم"(١)

قال الإمام ابن جرير الطبري «**توفي ٣١٠ هـ**»: "الإيمان بالقدر هو الإيمان بأن الله تعالى قد علم كل شيء وكتبه، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو من أركان الإيمان التي لا يتم إلا بها"(٢)

المسألة الثالثة: أهمية الإيمان بالقدر وثمراته:

مما يدل على أهمية الإيمان:

أولًا: الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان لا يتم الإيمان إلا به.

قال الإمام الأوزاعي «**ت: ١٥٧ هـــــ**»: "علينا أن نؤمن بالقدر خيره وشــره، فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، وقد علم الله تعالى ما يكون وما سيكون"(٣)

قال الإمام مالك بن أنس «**ت: ١٧٩ هــــــ**»: "الإيمان بالقدر من أصــول الإيمان، ولا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بأن كل شــيء بقدر الله، وأن ما شــاء الله كان، وما لم يشــأ لم يكن"(٤)

قال الإمام أحمد بن حنبل «**ت: ٢٤١ هــــــ**»: "الإيمان بالقدر خيره وشـره، والتصـديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها"(٥)

قال الإمام ابن أبي عاصم «**ت: ٢٨٧ هــــ**»: "الإيمان بالقدر هو من أصول الإيمان، ولا يصــح الإيمان إلا به، وقد أمرنا الله بالإيمان به في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَــيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

---

(١) "سنن ابن ماجه" «٧٧».

(٢) تفسير الطبري «١/ ١٤٧».

(٣) "البداية والنهاية" «١٠/ ٢٠٥».

(٤) "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر «٢/ ١٢٩٠».

(٥) "مسند أحمد" «٦/ ٢٣٣».

«سورة القمر: ٤٩»"[١]

قال الإمام الدارمي «**توفي ٢٥٥ هـ**»: "والإيمان بالقدر خيره وشره هو من أصول الإيمان، ولا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بأن الله قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ"[٢]

ثانيًا: الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان

وهو الركن السادس من أركان الإيمان

قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي «**ت: ١٩٨ هـ**»: "الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، ولا يتم الإيمان إلا به، ومن أنكره فقد كفر بما أنزل على محمد-صلى الله عليه وسلم-"[٣]

قال الإمام علي بن المديني «**ت: ٢٣٤ هـ**»: "الإيمان بالقدر خيره وشره من أركان الإيمان، ولا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بأن الله قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ"[٤]

قال الإمام ابن جرير الطبري «**ت: ٣١٠ هـ**»: "الإيمان بالقدر هو الإيمان بأن الله تعالى قد علم كل شيء وكتبه، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو من أركان الإيمان التي لا يتم إلا بها"[٥]

قال ابن أبي حاتم-رحمه الله-«**ت: ٣٢٧ هـ**»: "وقد أجمع العلماء على أن الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، من أركان الإيمان، وأن الله تعالى قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ"[٦]

ثالثًا: الإيمان القدر نظام التوحيد.

---

(١) "السنة" لابن أبي عاصم «١/ ١٥٩».

(٢) "الرد على الجهمية" للدارمي «ص: ١٥٤».

(٣) "الإبانة الكبرى" لابن بطة «٢/ ١٧٢».

(٤) "سير أعلام النبلاء" «١١/ ١٦٨».

(٥) تفسير الطبري «١/ ١٤٧».

(٦) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي «٤/ ٧١١».

جاء في السنة الصحيحة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-الربط بين القدر والتوحيد عن عائشة-رضي الله عنها-«**ت: مابين ٥٧ و٥٩ هـ**»، قالت فقدت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدمه وهما منصوبتان وهو يقول: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**».[١]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "وهذا يتضمن كمال الإثبات للقدر والتوحيد بأوجز لفظ وأخصره فإن الذي يستعاذ منه من الشر وأسبابه هو واقع بقضاء الرب تعالى وقدره وهو المنفرد بخلقه وتقديره وتكوينه فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن"[٢]

عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**» أنه قال: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالله وكذب بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقضاً لتوحيده"[٣]

عن الحسن البصري-رحمه الله-«**ت: ١١٠ هـ**»: قال: "القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده" [٤].

عن مجاهد بن جبر-رحمه الله-«**ت: ١٠٤ هـ**»: قال: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد"[٥].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة «٤٨٦» ونظر صحيح مسلم بشرح نووي ٢/ ٢١٢.

(٢) شفاء العليل «ص: ٤٥٠»، وانظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين «١/ ٣٠٤».

(٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة «٢/ ٤٢٢»، والفريابي في القدر تحت رقم «٢٠٥»، واللالكائي في السنة «٤/ ٦٢٣-٦٧٠»، والآجري في الشريعة «ص: ٢١٥»، وابن بطة في: الإبانة تحت رقم: «١٦١٨-١٦١٩»، ونسبه في مجمع الزوائد إلى الطبراني في الأوسط. المجمع الزوائد «٧/ ١٩٧». ويتقوى بتعدد الطرق إلى الحسن لغيره.

وقد روي عن ابن عباس-رضي الله عنه-، مرفوعًا، وفيه ضعف. انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة تحت رقم «٤٠٧٢».

وذكره ابن الجوزي عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، مرفوعا في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية «١/ ١٤٩»، تحت رقم «٢٣٤»، وقال: "لا يَصِحُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-"اهـ

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم: «١٠٨٠».

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم: «١٠٩٦».

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "اعلم أن أهل البدع من القدرية الجهمية والمجبرة والقدرية النافية لا يحمدون الله ولا يشكرونه، كما أنهم لا يعبدونه، وأما أهل الإلحاد من المتفلسفة والباطنية فهم أبعد عن حمده وشكره، وذلك أن المجبرة حقيقة قولهم أنه ليس برحيم ولا منعم، بل ولا إله يستحق أن يعبد ويحب، بل صدور الإحسان عنه كصدور الإساءة، وإنما هو يفعل بمحض مشيئة ترجح الشيء على مثله لا لمرجح، وكل الممكنات عندهم متماثلة، فلا فرق بين أن يريد رحمة الخلق ونفعهم والإحسان إليهم، أو يريد فسادهم وهلاكهم وإضرارهم، يقولون: هذا كله عندهم سواء"[١].

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: الآيات: ٢٩-٣٠].

"هذه الآية تضمنت قواعد الدين علمًا وعملًا واعتقادًا.

فقوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ أمر سبحانه فيها بالقسط هو الذي هو حقيقة شرعه ودينه، وهو يتضمن التوحيد فإنه أعدل العدل، والعدل في معاملة الخلق، والعدل في العبادة، وهو الاقتصاد في السنة.

وقوله ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، يتضمن الأمر بالإقبال على الله وإقامة عبوديته في ثبوته، ويتضمن الإخلاص له وهو عبوديته وحده لا شريك له فهذا ما فيها من العمل.

ثم أخبر بمبدأهم ومعادهم فتضمن ذلك حدوث الخلق وإعادته فذلك الإيمان بالمبدأ والمعاد فقال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.

ثم أخبر عن القدر الذي هو نظام التوحيد فقال فريقا هدى وفريقًا حق عليهم الضلالة.

---

(١) جامع الرسائل «المجموعة الأولى» «١/ ١٠٣».

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّــلَالَةُ﴾، فتضــمنت الآية الإيمان بالقدر والشــرع والمبدأ، والمعاد، والأمر بالعدل، والإخلاص.

ثم ختم الآية بذكر حال من لم يصدق هذا الخبر ولم يطع هذا الأمر بأنه قد أطاع الشيطان دون ربه وأنه على ضلال وهو يحسب أنه على هدى فقال: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾. والله أعلم"[(١)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "النبي-صلى الله عليه وسلم-أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سببا السعادة

١-الإيمان بالأقدار فإنه نظام التوحيد.

٢-والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره وذلك نظام الشرع.

فأرشدهم إلى نظام التوحيد والأمر

فأبى المنحرفون إلا

- القدح بإنكاره في أصل التوحيد
- أو القدح بإثباته في أصل الشرع

ولم تتســع عقولهم التي لم يلق الله عليها من نوره للجمع بين ما جمعت الرسـل جميعهم بينه وهو القدر والشرع والخلق والأمر

وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشـــاء إلى صـــراط مستقيم والنبي-صلى الله عليه وسلم-شديد الحرص على جمع هذين الأمرين للأمة وقد تقدم قوله: «**أحرص على ما ينفعك واســتعن بالله ولا تعجز**». وإن العاجز من لم يتســع للأمرين"[(٢)].

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "وبالجملة فكل دليل في القرآن على التوحيد

---

(١) شفاء العليل «١/ ٢٩٢» بتصرف يسير.

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل «١/ ٢٦».

فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد ولهذا كان إثبات القدر أســـاس التوحيد قال ابن عباس-رضـــي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**»: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه التوحيد"[(١)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "إن الإيمان بالقدر أصـــل الإيمان بالأمر وهو نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه إيمانه" [(٢)].

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "والذي دل عليه قول ابن مســـعود وهو قول الصحابة كلهم وأئمة السنة من التابعين ومن بعدهم هو إثبات القدر الذي هو نظام التوحيد؛ إثبات فعل العبد الأختياري، الذي هو نظام الأمر والنهي، وهو متعلق المدح والذم والثواب والعقاب والله أعلم"[(٣)]

رابعًا: الإيمان بالقدر فيه تحقيق للشهادتين.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "إذا ثبت هذا - يعني تحقيق شـــهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رســـول الله- فمعلوم أنه يجب الإيمان بخلق الله وأمره، وبقضـــائه وشرعه"[(٤)].

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "قال الإمام أحمد-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»: القدر قدرة الله، واســـتحســـن ابن عقيل-رحمه الله-«**ت: ٥١٣ هـ**» هذا الكلام جدا، وقال: هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصـــول الدين، وهو كما قال أبو الوفاء؛ فإن إنكار القدر: إنكار لقدرة الرب على خلق أفعال العباد وكتابتها وتقديرها"[(٥)]

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل «ص: ٦٥».

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين «ص: ٦١».

(٣) حاشيته على تهذيب السنن «٦/ ١٠٥».

(٤) التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، «ص: ١٣٠».

(٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، «ص: ٢٨».

فالإيمان بالقدر على الوجه الصـــحيح توحيد وخلاص من الشـــرك؛ لأن ارتباطه مباشـــرة بالإيمان بالله تعالى، فقد جاء في صفاته سبحانه صفة العلم، والإرادة، والقدرة، والخلق، وعلى هذه الأسس قامت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

كما عد العلماء الإيمان بالقضــاء والقدر ثمرة من ثمرات الإيمان بالله، فالراضــي بالقضــاء والقدر راض بالله، والســـاخط من القدر ســـاخط على الله، وهذه النكتة في عطف الفعل "تؤمن" لما عد النبي – صـــلى الله عليه وســـلم –أركان الإيمان فقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورســـله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشـــره**». في حديث جبريل المشهور"[١]

خامسًا: الإيمان بالقدر يعصم العبد من أمور كثيرة.

"فاعتصـــام المؤمن بعقيدة الإيمان بالقضـــاء والقدر يعصـــمه من أمور كثيرة، على رأســـها أمران:

أحدهما: عصمته في باب توحيد الربوبية الذي هو أساس وعمدة توحيد الألوهية.

والثاني: عصـــمته في مســـيرته في الحياة، بألا يقع عنده تعارض بين القضـــاء والقدر والأمر والشرع"[٢]

الإيمان بالقدر أساس لعمارة الدنيا.

قال الإمام الحسن البصري «**توفي ١١٠ هـ**»: "والله لولا الإيمان بالقدر لخربت الدنيا وما عمرتها، إن الله تعالى قدّر كل شيء بقدر معلوم" [٣]

من ثمرات الإيمان بالقدر:

أولًا: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب؛ لأن السبب والمسبب كليهما بقضاء الله

---

(١) منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة «ص: ٦٤٨».

(٢) تيسير لمعة الاعتقاد لعبد الرحمن بن صالح المحمود. «ص: ١٩٩».

(٣) "كتاب التوكل" لابن أبي الدنيا «ص: ٢٩».

وقدره.

عن أبي هريرة-رضي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ»، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله عز وجل من المؤمن الضعيف، واحرص على ما ينفعك واستعن بالله عز وجل ولا تعجز، فإن غلبك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل**».[(١)]

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين-رحمه الله-«ت: ١٤٢١ هـ»: "الإيمان بالقدر يوجب صدق الاعتماد على الله عز وجل لأنك إذا علمت أن كل شيء بقضاء الله وقدره صدق اعتمادك على الله"[(٢)]

ثانيًا: راحة النفس وطمأنينة القلب؛ لأنه متى علم أن ذلك بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشا، وأروح نفسا، وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

قَالَ ابنُ عَونٍ-رحمه الله-«ت: ١٥١ هـ»: "ارْضَ بِقَضَاءِ اللهِ مِن عُسْرٍ وَيُسْرٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَقَلُّ لِهَمِّكَ، وَأَبلَغُ فِيمَا تَطلُبُ مِن أَمرِ آخِرَتِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ العَبدَ لَن يُصِيبَ حَقِيقَةَ الرِّضَا، حَتَّى يَكُونَ رِضَاهُ عِندَ الفَقرِ وَالبَلَاءِ، كَرِضَاهُ عِندَ الغِنَى وَالرَّخَاءِ؛ كَيفَ تَستَقضِي اللهَ فِي أَمرِكَ، ثُمَّ تَسخَطُ إِنْ رَأَيتَ قَضَاءً مُخَالِفًا لِهَوَاكَ؟! وَلَعَلَّ مَا هَوَيْتَ مِن ذَلِكَ، لَو وُفِّقَ لَكَ لَكَانَ فِيهِ هَلَاكُكَ، وَتَرضَى قَضَاءَهُ إِذَا وَافَقَ هَوَاكَ، وَذَلِكَ لِقِلَّةِ عِلْمِكَ بِالغَيبِ؟! إِذَا كُنتَ كَذَلِكَ، مَا أَنْصَفْتَ مِن نَفسِكَ، وَلَا أَصَبْتَ بَابَ الرِّضَا. قال ابن رجب-رحمه الله-«ت: ٧٩٥ هـ»: وَهَذَا كَلَامٌ حَسَنٌ"[(٣)]

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين-رحمه الله-«ت: ١٤٢١ هـ»: "والإيمان بالقدر يوجب الطمأنينة يوجب للقلب الطمأنينة إذا علمت أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما

---

(١) صحيح مسلم «٢٦٦٤».

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين «ص: ٦٣٠».

(٣) "تيسير العزيز الحميد" «ص: ٥٢٢-٥٢٣».

أخطأك لم يكن ليصيبك اطمئن أنت بما يصيبك بعد فعل الأسباب النافعة"[١]

ثالثًا: طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد؛ لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب الخير والنجاح؛ فيشكر الله تعالى على ذلك ويدع الإعجاب"[٢]

رابعًا: انشـــراح الصـــدر، وســـعادة القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال، قال عمر بن عبد العزيز: أصـــبحت وَمَا لِيَ ســـرورٌ إلا في مواضـــع القضـــاء والقدر، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون﴾ [التوبة: الآية: ٥١].

خامسًـا: ذهاب الهم والحزن، فمن الإيمان بالقدر الإيمان بكتابة المقادير قبل إيجادها، فإذا وُجِدت تبين مدى الإيمان بذلك، فَقَوِيُّ الإيمان لا يفرح بما أُوتي، ولا يحزن على ما فات، وعكسه بعكسه بهذا المعنى، وردت الآية الكريمة: ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: الآية: ٢٣].

قال ابن رجب-رحمه الله-«**ت: ٧٩٥ هـ**»: "الإيمان بالقدر يُذهب الهم والحزن"[٣]

سادسًا: غنى النفس، روى الترمذي في سننه مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ-رضي اللهُ عنه-«**ت: ٥٧ هـ**»: أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ: «**وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ**». [٤]

سابعًا: النجاة من النار، روى أبو داود في سننه مِن حَدِيثِ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ-رضي اللهُ عنه-«**ت: ١٩ أو ٢٠ هـ**»: رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: "لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِـــهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَـــبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين «ص: ٦٣٠».

(٢) «مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين» «٣/ ٢٥٦-٢٦٠» بتصرف.

(٣) مجموع الرسائل «٣/ ١٤٤».

(٤) "سنن الترمذي" «برقم: ٢٣٠٥»، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" «برقم: ٩٣٠».

أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ"[١]

المسألة الرابعة: الخوض في القدر.

عن عمرو بن شعيب -رحمه الله- «**ت: ١١٨ هـ**» عن أبيه -رحمه الله- «**ت: ٨١ أو ٨٠ هـ**» عن جده -رضي الله عنه- «**ت: ٦٥ هـ**» قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: "وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: «**ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكما**»، وقال: "فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أشهده بما غبطت نفسي بذلك المجلس، أني لم أشهده"[٢]

وقد كان السلف من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم يكرهون الجدال في القدر ويذمون من خاض فيه، بل حذروا من ذلك، فهذا الصحابي الجليل عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- «**ت: ٦٨ هـ**» يقول: "باب شرك فتح على أهل الصلاة: التكذيب بالقدر فلا تجادلوهم فيجري شركهم على أيديكم"[٣] ويقول أيضًا رضي الله عنه: "ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإسلام"[٤]

فالسلف رحمهم الله تعالى كرهوا الكلام في القدر والخوض فيه، لكن لما خاضت المبتدعة في هذا الأمر وحادوا عن الصواب رأي السلف الصالح أنه يجب عليهم أن يبينوا للناس الحق والصواب فيما ضل فيه هؤلاء، ذلك لأنه لم يظهر القول في القدر إلا بعد مضي نصف القرن

(١) "سنن أبي داود" «برقم: ٤٦٩٩»، وصححه الألباني في "صحيح سنن أبي داود" «٣/ ٨٩٠» «برقم: ٣٩٣٢».

(٢) أخرجه أحمد «٢/ ١٧٨»، وقال أحمد شاكر، أسناده صحيح. المسند تحقيق أحمد شاكر «١٠/ ١٥٣»، حديث رقم «٦٦٦٨»، وأخرجه أيضًا ابن ماجه: المقدمة، باب في القدر «١/ ٣٣»، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة «١/ ١٤»: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة «ص: ٢١٥»، واللالكائي في شرح أصول أهل السنة: «٤/ ٦٣٠».

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول أهل السنة «٤/ ٦٣٢».

الأول تقريبا، حيث إن معبدًا الجهني[١] هو أول من أثار القول في هذا الأمر.

روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى يحيى بن يعمر، أنه قال: "كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن خطاب داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: أبا عند الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم[٢] وذكر من شأنهم أنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، قال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر" [٣]

وقد سلك هذا المسلك العلماء من بعدهم الذين ساروا على نهج الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كما ذكر الإمام البربهاري هنا.

ولا شك أن الخوض في أمور العقيدة بالعقل استقلالاً دون الرجوع إلى النصوص والتحاكم إليها والاستضاءة بالنصوص هذه مهلكة للإنسان، وكل من خاض من هؤلاء في هذا الأمر دون معرفة بالنص فإنه هالك، ولذلك وقع ما وقع من الفرق، ووقع ما وقع من قول القدرية وقول الجبرية ونحوهم لا لشيء إلا لأن هؤلاء تركوا النصوص تمامًا وخاضوا في الأمر من جهة عقولهم.

فوقع التحسين والتقبيح العقلي، ووقع الطعن في أفعال الله عز وجل وفي علم الله عز وجل

---

(١) معبد بن عبد الله الجهني نزيل البصرة، كان داعية إلى الضلال وهو أول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة، قال ابن أبي حاتم: كان صدوقًا في الحديث وكان رأسًا في القدر، قدم المدينة فأفسد بها ناسا، وقد قتله عبد الملك سنة ٨٠هـ. الجرح والتعديل «٨/٢٨٠»، وميزان الاعتدال «٤/١٤١»، وتهذيب التهذيب «١٠/ ٢٢٥».

(٢) ويتقفرون العلم: أي يطلبونه ويتتبعونه. النهاية لابن الأثير «٤/ ٩٠».

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان: «١/ ٣٦».

كل ذلك من طريق هؤلاء.

وأما أصل القدر؟ فكما قاله الطحاوي-رحمه الله-«**ت: ٣٢١ هـ**»: "وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين" [(١)]

وعلم القدر قال عنه علي رضي الله عنه-«**ت: ٤٠ هـ**»: "القدر سر الله فلا تكشفه"[(٢)]

قال جعفر بن محمد-رحمه الله-«**ت: ١٤٨ هـ**»: "الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد نظرا ازداد حيرة"[(٣)]

وسماه الطحاوي-رحمه الله-«**ت: ٣٢١ هـ**» بالعلم المفقود، لأن الله طواه عن الخلق، [(٤)] ونحن نؤمن بأن له تعالى في خلقه حكمًا عظيمة، وإذا كان هناك من الحكم ما هون خاف فلا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها، ولا من جهلنا انتفاء حكمته تبارك وتعالى. [(٥)]

قال الإمام مالك-رحمه الله-«**ت: ١٧٩ هـ**»: "القدر سر الله في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق في ذلك ذريعة إلى الخذلان، وسُلَّمٌ إلى الحرمان، والحذر كل الحذر من النظر في القدر والتفكر فيه والوسوسة به"[(٦)]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٢٧٦».

(٢) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٢٧٧».

(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر «٢/ ١٩٦».

(٤) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٢٩٢».

(٥) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٢٩٢».

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، «٤/ ٧٠٩».

قال البربهاري-رحمه الله-«ت: **٣٢٩ هـ**»: "الكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة، منهي عنه عند جميع الفرق؛ لأن القدر سر الله، ونهى الرب تبارك وتعالى الأنبياء عن الكلام في القدر، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخصومة في القدر، وكرهه العلماء وأهل الورع ونهوا عن الجدال في القدر، فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان، واعتقاد ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في جملة الأشياء، وتسكت عما سوى ذلك"[(١)].

قال الآجري-رحمه الله-«ت: **٣٦٠ هـ**»: "لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر؛ لأن القدر سر من أسرار الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق" [(٢)].

قال ابن بطة-رحمه الله-«ت: **٣٨٧ هـ**»: "وأما الوجه الآخر من علم القدر الذي لا يحل النظر فيه ولا الفكر به، وحرام على الخلق القول فيه: كيف؟ ولم؟ وما السبب؟ مما هو سر الله المخزون وعلمه المكتوم الذي لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، وحجب العقول عن تخيل كنه علمه، والناظر فيه كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد فيه نظرا ازداد فيه تحيرا، ومن العلم بكيفيتها بعدا- فهو التفكر في الرب عز وجل كيف فعل كذا وكذا، ثم يقيس فعل الله عز وجل بفعل عباده، فما رآه من فعل العباد جورا يظن أن ما كان من فعل مثله جور، فينفي ذلك الفعل عن الله، فيصير بين أمرين؛ إما أن يعترف لله عز وجل بقضائه وقدره، ويرى أنه جور من فعله، وإما أن يرى أنه ممن ينزه الله عن الجور، فينفي عنه قضاءه وقدره، فيجعل مع الله آلهة كثيرة يحولون بين الله وبين مشيئته، فبالفكر في هذا وشبهه والتفكر فيه والبحث والتنقير عنه هلكت القدرية حتى صاروا زنادقة وملحدة ومجوسا؛ حيث قاسوا فعل الرب بأفعال العباد وشبهوا الله بخلقه ولم يعوا عنه ما خاطبهم به؛ حيث يقول: ﴿لَا يُسْأَلُ

---

(١) شرح السنة «ص: ٨٠».

(٢) الشريعة «٢/ ٧٠٢».

عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٣] .فمما لا يحل لأحد أن يتفكر فيه ولا يسأل عنه، ولا يقول فيه: لم لا ينبغي لأحد أن يتفكر لم خلق الله إبليس وهو قد علم قبل أن يخلقه أنه سيعصيه، وأن سيكون عدوا له ولأوليائه؟ ولو كان هذا من فعل المخلوقين إذا علم أحدهم أنه إذا اشترى عبدا يكون عدوا له ولأوليائه، ومضادا له في محابه، وعاصيا له في أمره، ولو فعل ذلك لقال أولياؤه وأحباؤه: إن هذا خطأ وضعف رأي وفساد نظام الحكمة، فمن تفكر في نفسه وظن أن الله لم يصب في فعله حيث خلق إبليس؛ فقد كفر، ومن قال: إن الله لم يعلم قبل أن يخلق إبليس أنه يخلق إبليس عدوا له ولأوليائه، فقد كفر، ومن قال: إن الله لم يخلق إبليس أصلا، فقد كفر. وهذا قول الزنادقة الملحدة، فالذي يلزم المسلمين من هذا أن يعلموا أن الله خلق إبليس وقد علم منه جميع أفعاله؛ ولذلك خلقه، ويعلموا أن فعل الله ذلك عدل صواب، وفي جميع أفعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون"[1]

قال أبو المظفر السمعاني-رحمه الله-«**ت: ٤٨٩ هـ**»: "قد ذكرنا أن سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من قبل الكتاب والسنة، دون محض القياس، ومجرد المعقول، فمن عدل عن التوقيف في هذا الباب، ضل وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء النفس، ولا وصل إلى ما يطمئن به القلب؛ وذلك لأن القدر سر من سر الله وعلم من علمه ضربت دونه الأستار، وكفت عليه الأزرار، واختص الله به علام الغيوب. حجبه عن عقول البشر ومعارفهم؛ لما علم من الحكمة، وسبيلنا أن ننتهي إلى ما حد لنا فيه، وألا نتجاوز إلى ما وراءه، فالبحث عنه تكلف، والاقتحام فيه تعمق وتهور.

وجماع هذا الباب أن يعلم أن الله تعالى طوى عن العالم علم ما قضاه وقدره على عباده، فلم يطلع عليه نبيا مرسلا، ولا ملكا مقربا؛ لأنه خلقهم ليتعبدهم ويمتحنهم. قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: الآية: ٥٦] ... فلو كشف لهم عن سر ما قضى وقدر لهم وعليهم في عواقب أمورهم لافتتنوا، وفتروا عن العمل، واتكلوا على

(١) الإبانة الكبرى «٣/ ٢٤٨».

مصـــير الأمر في العاقبة، فيكون قصـــاراهم عند ذلك أمن أو قنوط. وفي ذلك بطلان العبادة وســـقوط الخوف والرجاء؛ فلطف الله ســـبحانه بعباده وحجب عنهم علم القضـــاء والقدر، وعلقهم بين الخوف والرجاء، والطمع والوجل؛ ليبلو ســـعيهم واجتهادهم، وليميز الله الخبيث من الطيب، ولله الحجة البالغة"[(١)]

قال البغوي-رحمه الله-«**ت: ٥١٠ هـ**»: "القدر ســـر من أســـرار الله لم يطلع عليه ملكا مقربا، ولا نبيا مرســـلا، لا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن الله ســـبحانه وتعالى خلق الخلق، فجعلهم فريقين: أهل يمين خلقهم للنعيم فضـــلا، وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلا"[(٢)]

قال ابن أبي العز-رحمه الله-«**ت: ٧٩٢ هـ**»: "أصل القدر سر الله في خلقه، وهو كونه أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وأضل وهدى. قال علي-رضي الله عنه-«**ت: ٤٠ هـ**»: القدر سر الله فلا تكشفه"[(٣)]

قال ابن رجب-رحمه الله-«**ت: ٧٩٥ هـ**»: "قد ورد النهي عن الخوض في القدر، ...، والنهي عن الخوض في القدر يكون على وجوه:

منها: ضـــرب كتاب الله بعضـــه ببعض، فينزع المثبت للقدر بآية والنافي له بأخرى. ويقع التجادل في ذلك... وهذا من جملة الاختلاف في القرآن والمراء فيه، وقد نهي عن ذلك.[(٤)]

ومنها: الخوض في القدر إثباتا ونفيا بالأقيســـة العقلية: كقول القدرية: لو قدر وقضـــى ثم عذب كان ظالما. وقول من خالفهم: إن الله جبر العباد على أفعالهم، ونحو ذلك.

---

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني «٢/ ٣٠».

(٢) شرح السنة «١/ ١٤٤».

(٣) شرح الطحاوية «١/ ٣٢٠».

(٤) أخرجه من طرق: أبو داود «٤٦٠٣»، وأحمد «٩٤٧٩» بلفظ: "المراء في القرآن كفر" صـــححه ابن حبان في صـــحيحه «١٤٦٤»، والحاكم على شرط مسلم في المستدرك «٢/ ٢٤٣»، والنووي في التبيان «٢٠٦».

ومنها: الخوض في سر القدر، وقد ورد النهي عنه عن علي وغيره من السلف؛ فإن العباد لا يطلعون على حقيقة ذلك"(١)

المسألة الخامسة: أركان الإيمان بالقدر:

قوله رحمه الله: «**الإيمانُ بالقَدَر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين**»

بَيَّن فيه مَراتب القَدَر الأربع التي هي: «**العِلم والكتابة والمَشيئة والخَلْق**».

فذكر هنا مراتب القَدَر، وجمع هنا بين مرتبتين؛ مرتبة العلم ومرتبة الكتابة؛ باعتبار أنهما متلازمتان، كما أنَّه بالدرجة الثانية جمع بين الخلق والمشيئة، فالقسمة إما ثنائية وإمَّا رباعية، فإذا قلت: رباعية، فتقول: «**العلم، الكتابة ، الخلق، المشيئة**».

وإذا قلت ثنائية، فتقول: «**العلم، الكتابة**»، أي: عَلِم سبحانه وتعالى ذلك وكَتَبَه، ثم خَلَقَه وشاءه.

فالإيمان بالقدر له أربعة أركان، ويسميها بعض العلماء أيضًا: «**مراتب القدر**»، وهذه الأركان الأربعة هي:

الركن الأول: العلم:

الركن الأول- أو المرتبة الأولى من مراتب الإيمان بالقدر- هو العلم، فيجب الإيمان بأن الله يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف سيكون، فالله علم الأشياء قبل كونها، ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، كما أخبر- مثلًا- عن شأن أهل النار فقال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]؛ فلو رُدُّوا إلى الدنيا فسيكون منهم عودة إلى ما نَهاهم الله عنه، وهذا لا يكون ولكنه لو كان فسيكون بهذه الحال، فالله سبحانه وتعالى علم الأشياء قبل كونها، وهو عليم بها أثناء كونها، وعليم بما سيكون، وعليم بما لم يكن لو كان كيف يكون، فسبحان مَن وَسِع علمُه كل شيء!

فهو عليمٌ بما الخلقُ عاملون بعلمِه القديم الذي هو مَوصوفٌ به أزلًا وأبدًا؛ ونحن نؤمن أن

(١) بيان فضل علم السلف على علم الخلف «ص: ٤١-٤٦».

الله متصف بجميع الصفات أزلًا وأبدًا.

وغُلاة القدرية- كما أشار المصنف- يقولون والعياذ بالله-: إن الله لا يعلم أنَّ العبد سيَعمل هذا العمل إلَّا عند وقوعه. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

والله سبحانه وتعالى عالمٌ بكل شيء أزلًا،

والأدلة على علم الله تعالى بالمقادير كثيرة، منها:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾. [الطلاق: الآية:١٢]

فالله سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شيءٍ علما، ولذلك لما ذكر الله تعالى الخلق استدل به على العلم والقدرة ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: الآية:١٢]، ثم قال بعدها: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

فتأمل السياق في الحديث عن الخلق، الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن هذا حديث عن الخلق، لكنه دلالة على أمرين هم؟ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، فالخلق دليل على القدر، فكيف يخلق من لا يقدر، فهل الذي لا يقدر يستطيع أن يخلق؟ فبما أنه هو الخالق فهو قادر، وكيف يخلق ما لا يعلم؟ فبالتالي استشهد بخلقه على قدرته وعلى علمه، لذلك قال: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

فالله سبحانه وتعالى علم الأشياء قبل خلقها، وهو سبحانه وتعالى يعلم ما سيكون، بل ما لم يكن لو كان كيف يكون، فالله سبحانه وتعالى عندما ذكر أصحاب النار قال عنهم: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية: ٢٨]، فلو أُخرج أهل النار من النار وعادوا إلى الدنيا لعادوا إلى كفرهم.

فإذاً يعلم مالم يكن لو كان كيف يكون، فعلمه سبحانه وتعالى محيطٌ بكل شيء،

- قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: الآية: ٢٢].

- وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: الآية: ١٢].

- وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ [سبأ: الآية: ٣].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: الآية: ١٢٥].

- وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: الآية: ٣٢].

وقال الله تعالى-مقررًا علمه بما لم يكن لو كان كيف سيكون-: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية: ٢٨]، فالله يعلم أن هؤلاء المكذبين الذين يتمنون في يوم القيامة الرجعة إلى الدنيا أنهم لو عادوا إليها لرجعوا إلى تكذيبهم وضلالهم.

وقال في الكفار الذين لا يطيقون سماع الهدى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: الآية: ٢٣].

ومن علمه تبارك وتعالى بما هو كائن: علمه بما كان الأطفال الذين توفوا صغارًا عاملين لو أنهم كبروا قبل مماتهم، وبيانه فيما يلي:

- عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**»، قال: " سئل النبي-صلى الله عليه وسلم-عن أولاد المشركين، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين " [(١)].

- وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها-«**ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ**»، قالت: توفي صبيٌّ، فقلت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة. فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: " أَوَلَا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين «٨/ ١٢٢» رقم: «٦٥٩٧».

تدرين أن الله خلق الجنة والنار، فخلق لهذه أهلًا ولهذه أهلًا؟"[(١)].

وفي رواية عند مسلم- أيضًا- عن عائشة-رضي الله عنها-«**ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ**» قالت: "دُعي رسول الله-صلى الله عليه وسلم-إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبي لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: «**أَوَغير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**"[(٢)]

وكان أول من أنكره القدرية فأنكروا علم الله السابق، فزعم القدرية الأوائل أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم الأشياء قبل وقوعها، فهذا أول حال القدرية، ثم إن القدرية بعد ذلك تراجعوا عن إنكار العلم السابق وأثبتوا العلم السابق، ولكن أنكروا قدرة الله في فعل العبد، فالله سبحانه وتعالى علم الأشياء قبل كونها.

الركن الثاني: الكتابة

الركن الثاني- أو المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر- هو الكتابة، فيجب الإيمان بأن الله تعالى كتب كل المقادير في اللوح المحفوظ وسطر فيها كل ما هو كائن إلى يوم القيامة.

واللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق سماه القرآن بالكتاب، وبالكتاب المبين، وبالإمام المبين وبأم الكتاب، والكتاب المسطور.

- قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: الآيات: ٢١، ٢٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين «٢٠٥٠/٤» رقم: «٢٦٦٢».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين «٢٠٥٠/٤» رقم: «٢٦٦٢».

عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: الآية: ٧٠]،

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: الآية: ١٢]،

وقال تعالى: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: الآيات: ١-٣]،

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: الآية: ٤]،

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص–رضي الله عنهما–«ت: ٦٥ هـ»، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: «**إنَّ الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**».[1].

قال عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–«**ت: ٣٤ هـ**» لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»، يا بني إني سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: «**من مات على غير هذا فليس مني**»[2]

وعن ابن عباس–رضي الله عنهما–«**ت: ٦٨ هـ**»، قال: "كنت خلف رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يوما، فقال: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت**

---

(١) أخرجه مسلم كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى برقم: «٢٦٥٣».

(٢) أخرجه أبو داود «٤٧٠٠» والترمذي «٢١٥٥»، وصححه الألباني في صحيح الترمذي «٢٦٤٥».

الصحف».[١]

فمقادير كلِّ شيء حتى قيام السَّاعة قد كُتبت في اللوح المحفوظ. فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ فهذا سابق في القدر، سابق في علم الله، والنصوص في العلم والكتابة- بحمد الله تعالى- كثيرة وواضحة في الدلالة على هاتين المرتبتين: العلم والكتابة.

أنواع التقدير:

ذكر ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» أقسام التقدير الخمسة، وأوضحها بأدلتها، وهي باختصار:

التقدير الأول: تقدير المقادير قبل خلق السماوات والأرض، وهو التقدير العام الشامل لكل شيء في اللوح المحفوظ، وقد سبق ذكر بعض الأدلة عليه.

التقدير الثاني: تقدير الرب- تبارك وتعالى- شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم قبل خلقهم، وهو تقدير ثان بعد التقدير الأول، فعن عمران بن حصين قال: "قيل: يا رسول الله، علم أهل الجنة من أهل النار؟ فقال «**نعم**». قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: «**كل ميسر لما خلق له**».[٢].

التقدير الثالث: المتعلق بالجنين وهو في بطن أمه، وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله وعمله؛ فعن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-«**ت: ٣٢ هـ**»، قال: حدثنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك؛ فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات؛ بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند «١/ ٢٩٣» «٢٦٦٩»، والترمذي «٢٥١٦»، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح «٥٣٠٢».

(٢) أخرجه البخاري «٧٥٥١» ومسلم «٢٦٤٩» واللفظ له.

بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها». (١)

التقدير الرابع: التقدير في ليلة القدر؛ قال الله تعالى: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: الآيات: ١ - ٥].

قال أبو عبد الرحمن السلمي-رحمه الله-«**ت: ٧٤ هـ**»: "يقدر أمر السنة كلها في ليلة القدر"، وهذا هو الصحيح: أن القدر مصدر قدر الشيء يقدره قدرا، فهي ليلة الحكم والتقدير.

التقدير الخامس: التقدير اليومي؛ قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: الآية: ٢٩].

قال مجاهد-رحمه الله-«**ت: ١٠٤ هـ**»، والكلبي-رحمه الله-«**ت: ١٠٤ هـ**»، وعبيد بن عمير-رحمه الله-«**ت: ٧٣ هـ**»، وأبو ميسرة-رحمه الله-«**ت: ٦٣ هـ**»، وعطاء-رحمه الله-«**ت: ١١٤ هـ**»، ومقاتل-رحمه الله-«**١٥٠ هـ**»: "من شأنه: أن يحيي ويميت، ويرزق ويمنع، وينصر، ويعز ويذل، ويفك عانيا، ويشفي مريضا، ويجيب داعيا، ويعطي سائلا، ويتوب على قوم، ويكشف كربا، ويغفر ذنبا، ويضع أقواما، ويرفع آخرين. دخل كلام بعضهم في بعض ... ".

إلى أن قال ابن القيم -رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "فهذا تقدير يومي، والذي قبله تقدير حولي، والذي قبله تقدير عمري عند تعلق النفس به، والذي قبله كذلك عند أول تخليقه، وكونه مضغة، والذي قبله تقدير سابق على وجوده، لكن بعد خلق السماوات والأرض، والذي قبله تقدير سابق على خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكل

(١) أخرجه البخاري «٣٢٠٨» ومسلم «٢٦٤٣».

واحد من هذه التقادير كالتفصـــيل من التقدير الســـابق، وفي ذلك الدليل على علم الرب وقدرته وحكمته، وزيادة التعريف لملائكته وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه"(١)

الركن الثالث: المشيئة:

الركن الثالث- أو المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر- المشيئة، أي: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته التامة، فما شـــاء كان وما لم يشـــأ لم يكن، وأنه لا حركة ولا ســـكون في السماوات ولا في الأرض إلا بمشيئته، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد.

والنصوص المصرحة بهذا الركن المقررة له كثيرة، منها:

- قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَّشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: الآية: ٢٩].

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الموتَى وَحَشَـرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَـيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَّشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: الآية: ١١١].

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ» [الأنعام: الآية: ١١٢].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: الآية: ٣٦].

- وقال تعالى: ﴿مَنْ يَشَـإِ اللَّهُ يُضْـلِلْهُ وَمَنْ يَشَـأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِـرَاطٍ مُسْـتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: الآية: ٣٩].

ومشـيئة الله النافذة وقدرته الشـاملة يجتمعان فيما كان وما سـيكون، ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن، فما شـاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشـأ الله تعالى إياه لا يكن لعدم مشيئة الله تعالى ليس لعدم قدرته عليه.

- قال تعالى: ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد» [البقرة: الآية: ٢٥٣].

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة: الآية: ٤٨].

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: الآية: ٣٥].

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا» [الأنعام: الآية: ١٠٧].

---

(١) شفاء العليل «ص: ٣١-٤٩».

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾ [يونس: الآية: ٩٩].

وجاء في حديث حذيفة بن أسيد-رضي الله عنه-«**ت: ٤٢ هـ**» في شأن الجنين: «**فيقضي ربك ما يشاء، ويكتب الملك**».[(١)].

وعن أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-«**ت: ٤٤ هـ**»، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء**».[(٢)].

الركن الرابع: الخلق

الركن الرابع- أو المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر- الخلق، أي: خلق الله تبارك وتعالى لكل موجود، لا شريك لله في خلقه.

قال رحمه الله: «**وأنه- سبحانه- على كلِّ شيء قدير مِن المَوجودات والمعدومات؛ فمَا مِن مخلوقٍ في الأرض ولا في السَّماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالقَ غيرُه، ولا ربَّ سِواه**».

وكلمة «**مخلوق**» نكرةٌ في سياق النفي تُفيد العموم؛ فما مِن شيء صغر أم كبر إلا والله- سبحانه- وحده المنفرد بخلقه، قال جل جلاله: ﴿ک ک گ گ گ﴾ [الزمر:٦٢]، وقال سبحانه: ﴿تح تخ تم تى تي﴾ [القمر: ٤٩]، ومِن ذلك أنَّه خَلَقَ العِباد وصفاتهم وأعمالهم؛ قال تَعَالَى: ﴿ۇ ۆ ۆ ۈ﴾ [الصافات:٩٦].

وقد قررت النصوص أن الله خالق كل شيء، فهو الذي خلق الخلق وكوَّنهم وأوجدهم، فهو الخالق وما سواه مربوب مخلوق.

ومن أدلة القرآن الكريم:

الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه...

١-قال تعالى في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام حيث كسر أصنامهم ثم جاء إليه قومه

(١) أخرجه مسلم «٢٦٤٥».

(٢) أخرجه البخاري «١٤٣٢».

يناقشـــونه مســـرعين فقال لهم كما حكى الله عنه: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصـــافات: الآيات: ٩٥-٩٦]، أي خلقكم وعملكم فتكون «**ما**» مصـــدرية، وقيـل: إنهـا بمعنى الـذي، فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الـذي تعملونـه بأيـدكم وهو الأصـــنام[١] وقد ذكر ابن كثير القولين ثم قال: "وكلا القولين متلازم، والأول أظهر" [٢] وقد علل ذلك بما يؤيده من رواية البخاري في أفعال العباد عن حذيفة-رضي الله عنه-«**ت**: **٣٦ هـ**» قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**»[٣]، وتلا بعضـــهم عند ذلك ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصـــافات: الآية: ٩٦]، فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة فالله تعالى خالق الخلق وأفعالهم كما دلت على ذلك الآية والحديث.

٢-وقد وردت آيات كثيرة تدل دلالة واضحة على أن كل شيء مما في هذا الكون مخلوق لله ســـبحانه وتعالى, وقد وردت هذه الآيات بلفظ العموم فقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَـيْءٍ﴾ [الرعد: الآية: ١٦]، وفي آية أخرى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَـيْءٍ﴾ [غافر: الآية: ٦٢]، وهذه نصـوص واضـحة في الدلالة على مرتبة الخلق، وقد جاءت الآية الأولى في معرض إنكار أن يكون للشركاء خلق كخلقه، سبحانه وتعالى فنفى ذلك سبحانه آمراً رسوله أن يقرر هـذه الحقيقة التي تفصـــل في الأمر وتدل على وحدانية الله تعالى وانفراده بالخلق والرزق: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَـيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: الآية: ١٦]، وفي موضـع آخر جاءت هذه الآية لبيان قدرة الله تعالى وكماله ودلائل وحدانيته: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَـيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: الآية:٦٢]، أما الآية الثانية فقد جاءت أيضـاً لبيان قدرة الله التامة حيث جعل لعبادة الليل والنهار ثم بين سبحانه أنه خالق كل شيء.

٣-وقال تعالى ممتناً على الصـــحابة رضـــوان الله عليهم بعد أن أمرهم بالتثبت في خبر

---

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي «٧/ ٧٠».

(٢) تفسير ابن كثير «٧/ ٢٢».

(٣) رواه البخاري في خلق أفعال العباد «١٠٢». وصـححه ابن حجر في فتح الباري «١٣/ ٥٠٧»، والألباني في سـلسـلة الأحاديث الصحيحة «١٦٣٦» وقال: على شرط مسلم.

الفاسق. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾. [الحجرات: الآية: ٧]، والشاهد قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ﴾.. ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ﴾...، فهو سبحانه هو الذي جعل الإيمان محبوباً أو أحب الأشياء إليكم، وهو الذي حسنه بتوفيقه وقربه منكم، وهو الذي جعل ما يضاد الإيمان من الكفر والفسوق والعصيان مكروها عندكم، وذلك بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر وعدم إرادة فعله، فالفاعل في كل ذلك هو الله تعالى. (١)

وهناك آيات أخرى كثيرة تدل على أن الله تعالى هو المضل، والهادي, والمؤيد لعباده المؤمنين، والهازم لأعدائهم، وأنه المضحك, والمبكي، والمميت, والمحيي, وكل ذلك دليل على مرتبة الخلق، وقد أورد ابن كثير عند تفسيره لآية الحجرات السابقة، حديثاً يدل على هذه المرتبة عن ابن رفاعة الزرقي قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**استووا حتى أثني على ربي، فصاروا خلفه صفوفاً، فقال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما بعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك، ورحمتك، وفضلك، ورزقك، اللهم إني أسالك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسالك النعيم يوم العيلة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعت، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل**

---

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق خان «٩/ ٧٤»، وانظر: تفسير ابن السعدي «٧/ ١٣١»، وانظر: شفاء العليل لابن القيم «ص: ٥٧».

الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق». [(١)] فترى في هذا الحديث بأن الله تعالى هو الفاعل لهذه الأمور، وهذا دليل على مرتبة الخلق.

الأدلة من السنة:

١-عن زيد بن أرقم-رضـــي الله عنه-«**ت: ٦٨ هـ**» قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقول: كان يقول: «**اللهم أعوذ بك من العجز والكسـل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب، القبر اللهم آت نفســـي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها...**». الحديث[(٢)] والشـــاهد قوله: «**اللهم آت نفســـي تقواها وزكها...**»، فالفاعل هو الله تعالى، فهو الذي يطلب منه ذلك ولفظ «**خير**» ليس للتفضيل، بل لا مزكي للنفس إلا الله، ولهذا قال بعد ذلك: «**أنت وليها ومولاها**». [(٣)] فهو ســـبحانه الملهم للنفس الخير والشر، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: الآية: ٨].

قال ســعيد بن جبير-رحمه الله-«**ت: ٩٥ هـ**» في تفســير هذه الآية: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشـمس: الآية: ٨]، أي: فالخلق والإنسـان قادر على سـلوك أيهما شـاء ومخير فيه.

وقـال ابن زيـد-«**ت: ١٨٢ هـ**»، في معنى الآيـة: "جعـل ذلـك فيهـا بتوفيقـه إياهـا للتقوى"[(٤)]

٢- وعن وراد مولى المغيرة بن شـعبة «**ت: غير معروف ســنة وفاتة**» قال: كتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إلي ما سمعت النبي-صلى الله عليه وسلم-يقول خلف الصلاة، فأملى عليّ

---

(١) رواه أحمد «٣/ ٤٢٤» «١٥٥٣١»، والبزار «٩/ ١٧٥»، والبخاري في الأدب المفرد «٥٣٨». وقال: [فيه] عبد الواحد بن أيمن مشـهور ليس به بأس في الحديث، روى عنه أهل العلم، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد «٦/ ١٢٤»: رجاله رجال الصـحيح، وصـححه ابن حجر في نتائج الأفكار «٢/ ١٦٣» والألباني في صحيح الأدب المفرد «٥٣٨».

(٢) رواه مسلم «٢٧٢٢».

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي «١٧/ ٤١».

(٤) الكشف والبيان للثعلبي «١٠/ ٢١٣»، وزاد المسير «٩/ ١٤٠»، و تفسير البغوي «٨/ ٤٣٨».

المغيرة قال: سمعت النبي-صلى الله عليه وسلم-يقول: خلف الصلاة: «**لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**». [١] والشاهد قوله: «**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت**»، فالمعطي والمانع هو الله تعالى فهو الفاعل لهما، وهذا يدل على أن الخالق هو الله سبحانه وتعالى وقوله: «**ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»، أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه، أو لا ينجيه حظه منك، بل ينفعه عمله الصالح.

٣-وقد قال-صلى الله عليه وسلم-لأبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-«**ت: ٤٤ هـ**»: «**يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟**». فقلت بلى يا رسول الله، قال: «**قل: لا حول ولا قوة إلا بالله**». [٢]، والشاهد قوله: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»، ففيها الاعتراف بأنه لا صانع غير الله، ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك من أمره شيئاً، فمعناها: لا حركة, ولا استطاعة, ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى[٣] وقيل: معناه لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله، وقيل: «**لا حول عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قوة على طاعة الله إلا بمعونته**»[٤]، وحكي هذا عن ابن مسعود-رضي الله عنه-«**ت: ٣٢ هـ**»، وكله متقارب، والكنز هنا: معناه ثواب مدخر في الجنة عند الله وهو ثواب نفيس [٥].

فهذه مراتب القدر وأركانه الأربعة التي يجب على العبد أن يؤمن بها حتى يكون مؤمنًا

---

(١) رواه البخاري «٨٤٤»، ومسلم «٥٩٣».

(٢) رواه البخاري «٤٠٢٥» بلفظ: «ألا أدلك على كلمة» بدلاً من «ألا أدلك على كنز»، ومسلم «٢٧٠٤».

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري «٥/ ٢٤٣»، لسان العرب «١١/ ١٨٤» مادة: «حول».

(٤) رواه البزار «٥/ ٣٧٤»، والبيهقي في «١/ ٤٤٦» «٦٦٤»، والديلمي «٥/ ٣٧٥» «٨٤٧٨». بلفظ: «إلا بعون الله» بدلاً من «إلا بمعونته». قال الهيثمي في مجمع الزوائد «١٠/ ١٠٢»: رواه البزار بإسنادين أحدهما: منقطع وفيه عبد الله بن خراش، والغالب عليه الضعف، والآخر: متصل حسن، وقال الحسيني في البيان والتعريف «٢/ ٢٨٩»: سنده لا بأس به.

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي «١٧/ ٢٦-٢٧»، وانظر: عمدة القاري للعيني «٢٣/ ١٥٤».

بالقدر.

وقد يقسم بعض العلماء مراتب القدر إلى درجتين:

فقد قسم ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "الإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين" - بين فيه مراتب القدر الأربع التي هي:«**العلم والكتابة والمشيئة والخلق**».

فذكر هنا مراتب القدر، وجمع هنا بين مرتبتين؛ مرتبة العلم ومرتبة الكتابة؛ باعتبار أنهما متلازمتان، كما أنه بالدرجة الثانية جمع بين الخلق والمشـــيئة، فالقســـمة إما ثنائية وإما رباعية، فإذا قلت: رباعية، فتقول: «**العلم، الكتابة، الخلق، المشيئة**».

وإذا قلت ثنائية، فتقول: «**العلم، الكتابة**»، أي: علم ســـبحانه وتعالى ذلك وكتبه، ثم خلقه وشاءه.

فقال: «**الإيمان بالقدر على درجتين؛ كل درجة تتضمن شيئين:**

فالدرجة الأولى: الإيمان بالعلم والكتابة»؛ فالله- تعالى علم الأشياء قبل كونها، ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، كما أخبر- مثلا- عن شـــأن أهل النار فقال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية: ٢٨]؛ فلو ردوا إلى الدنيا فســـيكون منهم عودة إلى ما نهاهم الله عنه، وهذا لا يكون، ولكنه لو كان فســـيكون بهذه الحال، فالله سبحانه وتعالى علم الأشـياء قبل كونها، وهو عليم بها أثناء كونها، وعليم بما سـيكون، وعليم بما لم يكن لو كان كيف يكون، فسبحان من وسع علمه كل شيء!

فهو عليم بما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصـوف به أزلا وأبدا؛ ونحن نؤمن أن الله متصف بجميع الصفات أزلا وأبدا.

المسألة السادسة: مواقف المخالفين من مراتب القدر

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "الناس قد تنازعوا في القدر، وخاضـــوا فيه بغير علم، وهذا باب عظمت فيه الفتنة، وكثر فيه النزاع، وما يصـــيب الإنســـان من الحيرة

والضلال، إلا من جهة الجهل بالقدر"[(١)].

قال ابن أبي العز-رحمه الله-«**ت: ٧٩٢ هـ**»: "وأكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الأمة مسألة القدر، وقد اتسع الكلام فيها غاية الاتساع"[(٢)]

وقد حدثت بدعة "القدرية" في آخر عصر الصحابة[(٣)]. وكان القدر قد حدث أهله قبل أهل النفي للصفات، فمقالة القدر ظهرت في خلافة عبد الله الزبير-رضي الله عنه-«**٦٤-٧٣هـ**» بعد موت معاوية[(٤)]

ولهذا تكلم فيهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع[(٥)] -رضي الله عنهم-.

وابن عباس-رضي الله عنهما-مات «**٦٨هـ**» قبل ابن الزبير وابن عمر مات عقب موته «**٧٤هـ**». وعقب ذلك تولى الحجاج العراق سنة بضع وسبعين، فبقي الناس يخوضون في القدر بالحجاز، والشام، والعراق، وأكثره كان بالشام والعراق بالبصرة، وأقله كان بالحجاز[(٦)]

وأول من عرف بنفي القدر، رجل مجوسي يقال سيسويه من الأساورة، وإن كان قد اشتهر أن أول من قال به معبد الجهني[(٧)]

قال الهروي-رحمه الله-«**ت: ٤٨١ هـ**»: "فأما القدر فأول من تكلم به معبد الجهني

---

(١) مجموع الفتاوى، «٨/ ٢٦٢».

(٢) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣٤٠».

(٣) منهاج السنة «١/٣٠٨».

(٤) الحسنة والسيئة «ص: ١٠٣».

(٥) منهاج السنة «ص: ١٠٣».

(٦) الحسنة السيئة «ص: ١٠٣».

(٧) تهذيب التهذيب «١٠/ ٢٢٥».

رجل من أهل البصرة، كان عنده حظ من العلم يقال له معبد بن خالد، ويقال معبد ابن عبد الله بن عويم، مات بعد الهزيمة وكان يومئذ مع ابن الأشـعث، وأصـابته جراحة، وهو أول من تكلم بالقدر، وهو الذي تبرأ منه عبد الله بن عمر بن الخطاب.[١] مات قبل التسـعين [٢] قتله الحجاج بن يوسف وقيل صلبه عبد الملك بن مروان سنة ثمانين"[٣]

وأخذ غيلان الدمشقي عن معبد الجهني [٤]

قال الهروي–رحمه الله–«**ت: ٤٨١ هـ**»: "فتكلم عليه عمرو بن عبيد، وجادل به غيلان بن مسلم الدمشقي «**ت: ١٠٦ هـ**» وغيلان هو ابن أبي غيلان أبو مروان من موالي عثمان، وكان عنده حظ من العلم، تكلم به أيام عبد الملك بن مروان–رحمه الله–«**ت: ٨٦ هـ**»، واستتابه عمر بن عبد العزيز–رحمه الله–«**ت: ١٠١ هـ**»، ثم ظهر منه تكذيب التوبة [٥] زمن يزيد بن عبد الملك–رحمه الله–«**ت: ١٠٥ هـ**»، ثم لما ولى هشـام بن عبد الملك سنة «**١٠٦هـ**»، أرسل إلى غيلان وأحضر له الأوزاعي لمناظرته، ثم قتله [٦] فصلب على باب الشام بأخزى حالة لقيها بشر"[٧]

"وأما عمرو بن عبيد فهو عمرو بن كيسان أبو عثمان مولى بني تميم البصري، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة في طريق مكة فإنه أول من بسط أساسه فأصبح رأسه، ونظم له كلامًا ونصبه إمامًا، ودعا إليه ودل عليه، فصار مذهبًا يسلك، وهو إمام الكلام وداعية الزندقة

(١) ذم الكلام «ص: ٣٠٣».
(٢) سير أعلام النبلاء «٤/ ١٨٧».
(٣) تهذيب التهذيب «١٠/ ٢٢٥»، سير أعلام النبلاء «٤/ ١٨٧».
(٤) سير أعلام النبلاء «٤/ ١٨٧».
(٥) ذم الكلام «ص: ٣٠٣».
(٦) الشريعة للآجري «ص: ٢٢٨»، التنبيه والرد للملطي «ص: ١٦٨».
(٧) ذم الكلام ص: ٣٠٣».

الأولى رأس المعتزلة، سموا به لاعتزاله حلقة الحسن البصري-رحمه الله-«**ت: ١١٠ هـ**»، وهو الذي لعنه إمام أهل الأثر مالك بن أنس الأصبحي-رحمه الله-«**ت: ١٧٩ هـ**»، وإمام أهل الرأي النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة-رحمه الله-«**ت: ١٥٠ هـ**»، وحذر منه إمام أهل الشرق عبد الله بن المبارك الحنظلي-رحمه الله-«**ت: ١٨١ هـ**»، فسلط الله عليه وعلى من استتبع واخترع، سيفاً من سيوف الإسلام وهو أبو بكر أيوب بن أبي تميمة السختياني-رحمه الله-«**ت: ١٣١ هـ**»، فهتك استاره، وأظهر عواره، ورسمه باللعنة وألحق به بلاء تلك الفتنة"[١]

فقد تلقَّف المعتزلة مقالة القدرية حتى بعد ذلك أصبح إذا قيل: القدرية، فإن الذي يعنى بذلك هم المعتزلة في ذلك الحين.

ونفاة القدر أرادوا منازعة الله في الربوبية فضاهوا بذلك المجوسية الأولى وهم الزنادقة. [٢]

وأصل بدعة القدرية كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله والإيمان بأمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أن ذلك ممتنع؛ وكانوا قد آمنوا بدين الله وآمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أنه إذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي، لأنهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه، وظنوا أيضاً أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يفسد.

فلما بلغ قولهم بإنكار القدر الصحابة أنكروه إنكاراً عظيماً وتبرؤا منهم. ثم كثر الخوض في القدر فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم، وصار النزاع في الإرادة وخلق أفعال العباد فصاروا في ذلك حزبين.

١- "النفاة": يقولون لا إرادة إلا بمعنى المشيئة، وهو لم يرد إلا ما أمر به، ولم يخلق شيئاً من أفعال العباد.

---

(١) ذم الكلام «ص: ٣٠٣».

(٢) ذم الكلام «ص: ٣٠٥».

٢- "المجبرة" كالجهم بن صـــفوان «ت: ١٢٨ هـ» وأمثاله، قابلوا الفريق الأول فقالوا ليست الإرادة إلا بمعنى المشيئة، والأمر والنهي لا يستلزم إرادة، وقالوا العبد لا فعل له البتة ولا قدرة، بل الله هو الفاعل القادر فقط.[١]

أولًا: الموقف من مرتبة العلم والكتابة.

والقدرية [٢] ينقسمون إلى قسمين:

القدرية الأولى

وهؤلاء هم الغلاة الذين أنكروا القدر وأنكروا علم الله السابق بالأمور، "فيقولون إن الله لا يعلم أعمال العباد قبل أن يعملوها، ولا تعلقت بها مشيئة الله، فلما شنع عليهم المسلمون، وكفروهم بذلك: تحولوا عن قولهم الأول فأثبتوا العلم، وأنكروا القدر.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "فهذا التقدير- أي: تقدير العلم والكتابة- قد كان ينكره غلاة القدرية قديما، ويقولون: إن الأمر أنف؛ أي: أن الله لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وجودها"[٣].

فغلاة القدرية يقولون والعياذ بالله-: إن الله لا يعلم أن العبد سيعمل هذا العمل إلا عند وقوعه. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. والله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء أزلا

ولهذا كان الأئمة كالإمام أحمد-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»، وغيره، يقولون: "ناظروا القدرية بالعلم فإن أنكروا العلم كفروا، وإن اعترفوا به خصموا"[٤]

قال حافظ حكمي-رحمه الله-«ت: ١٣٧٧ هـ»: "ثم منهم من نفى علم الله تعالى

(١) مجموع الفتاوى «١٣/ ٣٦،٣٧».

(٢) سموا بالقدرية لإنكارهم القدر، وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضًا، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز «١/ ٧٩»، و «٢/ ٧٩٧»، معجم ألفاظ العقيدة «ص: ٣١٦».

(٣) شرح العقيدة الواسطية «ص: ٢١٩».

(٤) الدرة البهية شرح القصيدة التائية «ص: ٢٠»، مجموع الفتاوى «٨/ ٤٥٠».

كأوليهم، ففيهم من نفى علمه بالكليات والجزئيات ومنهم من أثبت العلم بالكليات دون الجزئيات"(١)

قال النووي -رحمه الله-«ت: ٦٧٦ هـ»: "واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه: أن الله- تبارك وتعالى- قدر الأشياء في القدم، وعلم- سبحانه- أنها ستقع في أوقات معلومة عنده -سبحانه وتعالى-، وعلى صفات مخصوصة؛ فهي تقع على حسب ما قدرها -سبحانه وتعالى-، وأنكرت القدرية هذا، وزعمت أنه -سبحانه وتعالى- لم يقدرها، ولم يتقدم علمه -سبحانه وتعالى- بها، وأنها مستأنفة العلم، أي: إنما يعلمها- سبحانه- بعد وقوعها، وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علوًا كبيرًا.

وسميت هذه الفرقة قدرية؛ لإنكارهم القدر؛ قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، لكن يقولون: الخير من الله، والشر من غيره"(٢)

والنصوص في العلم والكتابة- بحمد الله تعالى- كثيرة وواضحة في الدلالة على هاتين المرتبتين: العلم والكتابة، كما تقدم ذكرهما.

ثانيًا: الموقف من مرتبة الخلق والمشيئة.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "وأما الدرجة الثانية فهي مشيئته النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه- سبحانه- على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات؛ فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره، ولا رب سواه.

(١) معارج القبول «٣/ ٩٤٥».

(٢) شرح النووي على مسلم «١/ ١٥٤».

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي -صـــلى الله عليه وسلم- مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها"[(١)]

فالقدرية الثانية:

زعموا "أن أفعال العباد وطاعاتهم ومعاصيهم، لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقات، وأوصـــافها، ونفوا قدرته على أفعال المكلفين، وقالوا: إن الله لم يردها ولم يشـأها منهم، بل: هم الذين أرادوها وشـاءوها، وفعلوها، اسـتقلالاً بدون مشـيئة الله"[(٢)]

"فهؤلاء يقولون أن أفعال العباد ليســت مخلوقة لله، وإنما العباد هم الخالقون لها، وهذا هو مذهب المعتزلة ومن وافقهم، فهم ينكرون مرتبتي المشـــيئة والخلق، فينفونها عن الله تعالى، ويثبتونها للإنسان"[(٣)]

وافترقت القدريَّة إلى عشرين فرقة، وهذه أسماؤها: الواصلية، والعمرية، والهذلية، والنظامية، والمردارية، والمعمرية، والثمامية، والجاحظية، والخياطية، والشـــحامية، وأصـــحاب صـــالح قبة، والمريسية، والكعبية، والجبائية، والبهشيمية المنسوبة إلى أبي هاشم بن الجبائي"[(٤)]

وابن تيمية-رحمه الله-يشير هنا إلى كل من القدرية والجبرية

وقد ضَـــلَّ في هذا الباب «**باب أفعال الله**» الجبريةُ والقدريةُ، وما زال إلى يوم الناس هذا مَن يَخبط فيه بين قائل بأن العبد مجبر على أفعاله، وبين قائل بأن العبد لا فِعل له ولا اختيار، وإنما هو كالريشة في مَهَبِّ الرِّيح، وأهل السنة والجماعة وسطٌ بين هذا وذاك.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية «ص: ٢٢٠-٢٢١».

(٢) الدرة البهية شرح القصيدة التائية «ص: ١٧».

(٣) القضاء والقدر لعبد الرحمن المحمود «ص: ٣٠٥».

(٤) الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادي «ص: ٤٤».

وقد أوضَح ابن تيمية -رحمه الله- «**ت: ٧٢٨ هـ**»: هذا في «**مجموع الفَتاوى**» قول أهل السنة فقال: "وهم في باب خَلقِ الله وأمرِه وسطٌ بين المكذِّبين بقُدرة الله الذين لا يُؤمنون بقُدرتِه الكاملة ومَشِيئته الشاملة وخَلقِه لكل شيء، وبين المفسدين لدِين الله الذين يَجعلون العبدَ ليس له مَشِيئةٌ ولا قُدرة ولا عمل، فيُعطِّلون الأمر والنهي والثوابَ والعقاب، فيَصِيرون بمَنزِلة المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: الآية: ١٤٨].

فيُؤمن أهل السُّنَّة بأنَّ الله على كل شيء قدير، فيَقدر أن يهدي العبادَ ويُقلِّب قلوبهم، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في مُلكِه ما لا يُريد، ولا يَعجَز عن إنفاذ مُرادِه، وأنه خالِق كلِّ شيء من الأعيان والصِّفات والحَرَكات. ويُؤمنون أن العبدَ له قُدرة ومشيئة وعملٌ، وأنه مُختار ولا يُسمُّونه مَجْبورًا؛ إذ المجْبور مَن أُكْرِه على خلاف اختيارِه، والله عز وجل جعَل العبدَ مُختارًا لِمَا يفعله، فهو مختارٌ مُريد، والله خالِقُه وخالِقُ اختياره، وهذا ليس له نَظِيرٌ؛ فإن الله ليس كمثله شيءٌ، لا في ذاتِه ولا في صفاته ولا في أفعاله"[(١)]

وقال عبد الرحمن بن ناصر بن سِعْدي -رحمه الله- «**ت: ١٣٧٦ هـ**»: "وهدَى الله أهلَ السُّنَّة والجَمَاعَة للتوسُّط بين طائفتين منحرفتينِ هم القدرية والجبرية، فآمَنوا بقضاء الله وقدَره وشُمولهما للأعيان والأوصاف والأفعال التي مِن جُملتِها أفعالُ المكلَّفين وغيرهم، وآمَنوا بأنه ما شاء اللهُ كان وما لم يشأ لم يكُن، وآمنوا مع ذلك بأن الله تعالى جعَل للعِباد قُدرة وإرادة تقَعُ بها أقوالُهم وأفعالهم على حسب اختِيارهم وإرادتهم، فآمَنوا بكلِّ نصٍّ فيه تعميمُ قدرة ومشيئة، وبكلِّ نصٍّ فيه إثباتُ أنَّ العباد يعملون ويفعلون كلَّ الأفعال الكبيرة والصغيرة بإرادتهم وقُدْرَتِهم، وعَلِموا أن الأمرينِ لا يَتنافيانِ"[(٢)].

وبهذا يتبين أن الملازمة الفاسدة إنما هي في أذهان وعقيدة القدرية إذ لا تنافي بين مشيئة

---

(١) مجموع الفَتاوى «٣/ ٣٧٣-٣٧٤».

(٢) التنبيهات اللطيفة «ص: ٦١، ٦٢».

الله ومشيئة العبد في معتقد أهل السنة والجماعة.

٦٧- الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

[٦٧]- قال المصنف رحمه الله: «**ومن أصولِ أَهْلِ السُّنَّة والجَمَاعَة: أنَّ الدين والإيمانَ قولٌ وعملٌ؛ قولُ القلبِ واللسانِ، وعملُ القَلْبِ واللِّسانِ والجوارِحِ، وأن الإيمانَ يزيدُ**

المسألة الأولى: تعريف الإيمان.
المسألة الثانية: دخول العمل في مسمى الإيمان.
المسألة الثالثة: زيادة الإيمان ونقصانه.
المسألة الرابعة: الأقوال المخالفة لقول أهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.
المسألة الخامسة: ثمرة الخلاف في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

بالطَّاعةِ، وينقصُ بِالمَعْصِيَةِ».

الشرح

مِن المعلوم: أنَّ أهل السنة يرون أن الإيمان قول وعمل؛ قول القلب وقول اللسان، وعمل القلب وعمل اللسان، وعمل الجوارح، ويريدون بقول القلب: التصديق الذي هو العلم. والعقيدة يُراد بها الباطن، والباطن في أصله هو مجموع الأمرين؛ أي: مجموع الفِكر والنَّظر الذي يكون في العقل، ومجموع الإرادة والعمل الذي يكون في الصَّدر، فلا بد للقلب من واجبين هما: «**جانب العلم، وجانب العمل**»، ففي باب الإيمان لا بد من العلم بالله، وهذا قول القلب. ولا بد من عمل القلب الذي هو «**الإقرار والانقياد**»، ومن ذلك: الحُب والرَّجاء والخوف والتقوى والإنابة...

وكالإيمان بكتاب الله؛ فهو إمَّا أخبار وإما أوامر، فالأخبار حقُّها التصديق، والأوامر حقُّها العمل.

وعليه لكي نكون مؤمنين بالله: أن نكون مُصَدِّقين أوَّلًا بما أخبر، ثم مُتَّبعين لما أَمَرَ سبحانه وتعالى.

ونجمع بين قول القلب الذي هو العِلم، وقول اللسان الذي هو النُّطق بالشهادتين.

وقد تعارف العلماء على أن المقصود بقول اللسان: هو النطق بالشَّهادتين، كما قال رسولنا ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أُقاتل الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمَن قال: لا إله إلا الله، فقد عَصم مِنّي نفسَه ومالَه إلا بحقِّه، وحسابُه على الله**»[١].

المسألة الأولى: تعريف الإيمان

هذه المسألة يوردها العلماء ضمن مسائل الأسماء، ويحسن تناول هذه المسألة من خلال الجوانب الآتية:

الجانب الأول: الجانب اللغوي.

أ-المعنى اللغوي لكلمة "آمن":

الإيمان مصدر آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن

أ-فيرى جمع من أهل اللغة أن الإيمان في اللغة معناه: التصـــديق وقد حكوا الإجماع على ذلك قال الأزهري-رحمه الله-«**ت: ٣٧٠ هـ**»: "واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق"[٢].

واستدلوا لذلك بقوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف لأبيهم ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا

---

(١) أخرجه البخاري «٢٩٤٦» ومسلم «٢١» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تهذيب اللغة «٥/ ٥١٣».

صَادِقِينَ﴾ [يوسف: الآية: ١٧]، فقالوا: معناه ما أنت بمصدق لنا.(١)

٢–أما علماء السلف(٢) فيقولون إن الإيمان يأتي في اللغة لمعنيين هما:

أ–بمعنى صدق به وذلك إذا عدي بالباء كما في قوله تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ...﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٥]، أي صدق الرسول.(٣)

ب–وبمعنى أقر له وذلك إذا عدي باللام كما في قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: الآية: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: الآية: ٦].

وقد اعترض السلف على حصر بعض أهل اللغة لمعنى الإيمان بالتصديق فقط وقالوا: "إن الإيمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار(٤) والطمأنينة أيضا"(٥) واستدل السلف لقولهم بالأمور التالية:

: إن الترادف التام ممتنع بين التصديق والإيمان من عدة وجوه،

---

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة آمن «١٣/ ٢٣».

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية «ص: ١٤٣».

(٣) تفسير القرطبي «٣/ ٤٢٥».

(٤) الإقرار: متضمن لمعنيين هما: قول القلب الذي هو التصديق. وعمل القلب الذي هو الانقياد. مجموع الفتاوى «٧/ ٦٣٨–٦٣٩».

(٥) الصارم المسلول لابن تيمية «ص: ٥١٩». ومن الأقوال الواردة في تفسير الإيمان بمعنى الطمأنينة ما يلي: يقول الفيروزآبادي–رحمه الله–«ت: ٨١٧ هـ»: "آمَنَ بِهِ: صَدَّقَهُ، وبه: وثِقَ بِهِ وأَمِنَ عليهِ"القاموس المحيط، «١/ ٧٨». وقال الراغب الأصفهاني–رحمه الله–«ت: ٥٠٢ هـ»: "الإيمان: هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان... وأصل الكلمة من الأمن الذي هو الطمأنينة"المفردات في غريب القرآن، «ص: ٢٤». وقال الفيومي–رحمه الله–«ت: ٧٧٠ هـ»: "آمن به: صدقه، وبه: وثق به واطمأن إليه"المصباح المنير، «١/ ٢٩». وقال الجوهري–رحمه الله–«ت: ٣٩٣ هـ»: "آمن به: صدقه، وأمن به: وثق به واطمأن إليه"الصحاح في اللغة، «١/ ٧٨».

وقال الأزهري–رحمه الله–«ت: ٣٧٠ هـ»: "آمن يؤمن إيمانًا: صدق، والطمأنينة التي تصحب التصديق"تهذيب اللغة، «١/ ١٣٤».
وقال الزمخشري «ت: ٥٣٨ هـ»: "الإيمان في اللغة هو التصديق والاطمئنان"الكشاف، «١/ ٢٥». وقال الزبيدي–رحمه الله–«ت: ١٢٠٥ هـ»: "الإيمان: التصديق... وهو مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة." تاج العروس، «١/ ٢٥». قال نشوان الحميري–رحمه الله–«ت: ٥٧٣ هـ»: "آمن به: صدقه، وأمن به: وثق به واطمأن إليه"شمس العلوم، «١/ ٧٨». وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي–رحمه الله–«ت: ١٧٤ هـ»: "الإيمان: التصديق بالقلب، والاطمئنان"العين، «١/ ٢٥».

١-إن كلمة آمن تتعدى بالباء وباللام وقد تقدم التمثيل لذلك.

-أما كلمة "صـــدق" فلا تتعدى باللام فلا يقال "صـــدق له" إنما يقال "صـــدق به" فهي تتعدى بالباء وبنفسها فيقال صدقه.

٢-إن كلمة آمن تتضمن ثلاثة معان هي: الأمن، والتصديق، والأمانة.

-أما كلمة صدق فلا تتضمن معنى الأمن والأمانة.

٣-إن لفظ الإيمان لا يســـتعمل إلا في الخبر عن الغائب لأن فيه أصـــل معنى الأمن والائتمان وهذا إنما يكون في الخبر عن الغائب، فلا يقال لمن قال طلعت الشـــمس آمنا له وإنما يقال صدقناه ولهذا لم يأت في القرآن وغيره لفظ آمن له إلا في الخبر عن الغائب.

-أما لفظ التصـديق فيستعمل في كل مخبر عن مشاهد أو غيب، فمن قال السـماء فوقنا، قيل له: صدقت.

٤-إن لفظ الإيمان ضـــده الكفر، والكفر لا يختص بالتكذيب فقط، بل هو أعم منه، إذ يمكن أن يكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب ومع ذلك يســمى كفرا كما لو قال شــخص: أنا أعلم أنك صادق، ولكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك، فهذا كفر أعظم.

-أما لفظ التصديق ضده التكذيب فقط.

وبهذا يتبين عدم الترادف التام بين اللفظين، وأن الإيمان ليس التصـــديق فقط[١] كما أن الكفر ليس التكذيب فقط.

ثانيًا: من المعلوم أن كلام الله وشرعه إنما هو خبر وأمر.

فالخبر: يستوجب تصديق الخبر.

والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام، وهو عمل في القلب، جماعه: الخضوع والانقياد للأمر، وإن لم يفعل المأمور به.

فإذا قوبل الخبر بالتصـــديق، والأمر بالانقياد، فقد حصـــل أصـــل الإيمان في القلب وهو

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣٨٠-٣٨١».

"الطمأنينة والإقرار" فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد. فلو فُسِّر الإيمان بالتصديق فقط، كما قال أهل اللغة، فإن التصديق إنما يعرض للجزء الأول من الشرع فقط الذي هو الخبر، ولا يعرض للجزء الثاني وهو الأمر، لأن الأمر ليس فيه تصديق من حيث هو أمر.

ومن المعلوم أن إبليس لم يكفر بسبب عدم تصديقه، فإنه سمع أمر الله فلم يكذب رسولا، ولكن لم ينقد للأمر ولم يخضع له، واستكبر عن الطاعة فصار كافرا، قال تعالى: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٣٤]، فسماه الله كافرا وسلب عنه وصف الإيمان لاستكباره وعدم انقياده لأمر الله له بالسجود لآدم.

لازم القول بأن الإيمان مجرد التصديق فقط.

وهذا موضع زاغ فيه خلق من الخلف تخيل لهم أن الإيمان ليس في الأصل إلا التصديق، ثم يرون مثل إبليس وفرعون مما لم يصدر عنه تكذيب أو صدر عنه تكذيب باللسان لا بالقلب وكفره من أغلظ الكفر فيتحيرون.

ومثل هؤلاء القوم لو أنهم هُدوا لما هُدي إليه السلف الصالح لعلموا أن الإيمان قول وعمل أعني في الأصل قولا في القلب، وعملا في القلب، فإن الإيمان بحسب كلام الله ورسالته-وكلام الله ورسالته يتضمن أخباره وأوامره-فيصدق القلب أخباره تصديقا يوجب حالا في القلب بحسب المصدق به، والتصديق هو من نوع العلم والقول، وينقاد لأمره ويستسلم، وهذا الانقياد والاستسلام هو من نوع الإرادة والعمل، ولا يكون مؤمنا إلا بمجموع الأمرين فمتى ترك الانقياد كان مستكبرا فصار من الكافرين وإن كان مصدقا، لأن الكفر أعم من التكذيب، فالكفر يكون تكذيبا وجهلا، ويكون استكبارا وظلما، ولهذا لم يوصف إبليس إلا بالكفر والاستكبار دون التكذيب، ولهذا كان كفر من يعلم مثل اليهود ونحوهم من جنس كفر إبليس، وكان كفر من يجهل مثل النصارى ونحوهم ضلالا وهو "الجهل" ألا ترى أن نفرا من اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ وسألوه عن أشياء، فأخبرهم، فقالوا: نشهد أنك نبي، ولم يتبعوه، وكذلك هرقل وغيره، فلم ينفعهم هذا العلم وهذا التصديق.

ألا ترى أن من صدق الرسول بأن ما جاء به هو رسالة الله، وقد تضمنت خبرا وأمرا، فإنه يحتاج إلى مقام ثان، وهو تصديق خبر الله وانقياده لأمر الله، فإذا قال: "أشهد أن لا إله إلا الله" فهذه الشهادة تتضمن تصديق خبره والانقياد لأمره. "وأشهد أن محمدا رسول الله" تضمنت تصديق الرسول فيما جاء به من عند الله.

فبمجموع هاتين الشهادتين يتم الإقرار.

فلما كان التصديق لا بد منه في كلا الشهادتين-وهو الذي يتلقى الرسالة بالقبول-ظن من ظن أنه أصل لجميع الإيمان وغفل عن أن الأصل الآخر لا بد منه وهو الانقياد، وإلا فقد يصدق الرسول، ظاهرا وباطنا ثم يمتنع من الانقياد للأمر، إذ غايته في تصديق الرسول أن يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله سبحانه كإبليس"(١)

ثالثًا: ما استدل به أهل اللغة على أن معنى الإيمان في قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: الآية: ١٧]، هو التصديق غير مسلم.

إذ يرى علماء السلف أن تفسيرها بـــ "أقررت" أقرب من تفسيرها بـــ " صدقت " وذلك لأن لفظ "آمن" متى عُدّي باللام يكون بمعنى "أقر" وليس بمعنى "صدق"، إذ لا يكون بمعنى صدق إلا إذا عُدّي بالباء أو بنفسه.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وأصل الإيمان في اللغة: التصديق، والطمأنينة، كما يقول العرب: أمن الرجل أمانة وأمناً: إذا صار ذا أمن"(٢)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فإن الإيمان في لغة العرب مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة، كما قال أهل العلم باللغة"(٣)

---

(١) الصارم المسلول «ص: ٥١٩-٥٢٠» بتصرف.

(٢) كتاب الإيمان، «ص: ٢٢» بتصرف.

(٣) مجموع الفتاوى، «٧/ ٦٣٣». بتصرف.

وقال أيضًا: "وأصل الإيمان في اللغة: التصديق والطمأنينة"[(١)]

الجانب الثاني: المعنى الشرعي للإيمان:

تتحدد دلالة اسم "الإيمان" في الشرع بحسب سياق الكلام الذي تستعمل فيه هذه اللفظة فلفظ "الإيمان" إما أن يستعمل:

أ-مطلقا: أي يذكر مطلقا عن لفظ "العمل" و"الإسلام".

٢-أو مقيدا: فتارة يقرن بالعمل الصالح، وتارة يقرن بالإسلام.

الحال الأول: فإذا استعمل مطلقا: "فجميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة، يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة-من الصحابة والتابعين وتابعيهم-الذين يجعلون الإيمان قولا وعملا، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويدخلون جميع الطاعات-فرضها ونفلها-في مسماه"[(٢)]

ويلاحظ هنا أن لفظ "الإيمان" على هذا الاستعمال يكون مرادفا للفظ "العبادة" والعبادة كما هو معروف هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

ومن استعمال الشارع للفظ الإيمان بهذا المعنى ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».[(٣)]

فالإيمان في هذا الحديث شمل جميع أمور الدين بما في ذلك أمور الإسلام. ومن هذا

---

(١) مجموع الفتاوى، «٧/ ٦٤٢». بتصرف.

(٢) مجموع الفتاوى «٧/ ٦٤٢».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أمور الدين. انظر: فتح الباري «١/ ٥١» «ح: ٩»، وأخرجه مسلم-واللفظ له-كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان «١/ ٤٦».

الاستعمال أيضًا ما جاء في حديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- «**ت: ٦٨ هـ**»: أن وفد عبد القيس لما أتوا النبي -ﷺ- أمرهم بأربع ونهاهم عن أربع: «**أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم خمس...**». الحديث [(١)]

فلفظ الإيمان استعمل في الحديث مطلقا فدخل فيه الأمور الظاهرة مع أنها من أمور الإسلام كما جاء في حديث جبريل المشهور.

قال الطحاوي -رحمه الله- «**ت: ٣٢١ هـ**»: "الإيمان والإسلام هما دين الله تعالى، وكل منهما إذا ذكر منفردًا دخل فيه الآخر"[(٢)]

قال ابن تيمية -رحمه الله- «**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فإن الإسلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، وكذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام؛ فإذا اجتمعا كان الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة"[(٣)]

قال ابن القيم -رحمه الله- «**ت: ٧٥١ هـ**»: "الإسلام إذا أطلق شمل الدين كله، وإذا اجتمع مع الإيمان افترقا، فيكون الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة"[(٤)]

قال النووي -رحمه الله- «**ت: ٦٧٦ هـ**»: "الإسلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، وكذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام. فإذا اجتمعا كان لكل واحد منهما معنى يخصه"[(٥)]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له: كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان. انظر: فتح الباري «١/ ١٢٩» «ح: ٥٣»، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه «١/ ٣٥-٣٦».

(٢) العقيدة الطحاوية «ص: ٥٥».

(٣) مجموع الفتاوى، «٧/ ٦٢١».

(٤) مدارج السالكين، «١/ ٣٣٧».

(٥) شرح صحيح مسلم، «١/ ١٤٦».

قال ابن حجر العسقلاني-رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**»: "إذا ذكر الإسلام وحده دخل فيه الإيمان، وإذا ذكر الإيمان وحده دخل فيه الإسلام. وإذا اجتمعا افترقا، فيكون الإيمان هو التصديق القلبي والإسلام هو الأعمال الظاهرة"(١)

قال الشاطبي-رحمه الله-«**ت: ٥٩٠ هـ**»: "إذا أطلق لفظ الإسلام شمل الدين كله، وإذا قرن بالإيمان تميز عنه، فكان الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة"(٢)

قال القرطبي-رحمه الله-«**ت: ٦٧١ هـ**»: "الإسلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، وكذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام؛ فإذا اجتمعا كان لكل واحد منهما معنى يخصه"(٣)

قال البيضاوي-رحمه الله-«**ت: ٦٨٥ أو ٦٩١ هـ**»: "إذا أطلق لفظ الإسلام وحده شمل الدين كله من اعتقادات وأعمال، وإذا قرن بالإيمان تميز عنه"(٤)

قال السعدي-رحمه الله-«**ت: ١٣٧٦ هـ**»: "إذا ذكر الإسلام وحده شمل كل ما يتعلق بالدين من تصديق بالقلب وأعمال الجوارح، وإذا قرن بالإيمان تميز عنه"(٥)

الحال الثاني: وأما إذا استعمل اسم الإيمان مقيدا: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: الآية: ٧٧]، وقوله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: الآية: ٦٣].

وقول النبي-ﷺ-في حديث جبريل المشهور: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه**

(١) فتح الباري، «١/ ٩٠».

(٢) الموافقات، «١/ ١٠٦».

(٣) الجامع لأحكام القرآن، «١/ ١١٨».

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، «١/ ١١٠».

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، «١/ ٩٥».

ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره».[١]

فهنا قد يقال: إنه متناول لذلك وإن عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام كقوله تعالى: ﴿وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٨]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: الآية: ٧].

وقد يقال إن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران كلفظ الفقير والمسكين، فإن أحدهما إذا أفرد تناول الآخر، وإذا جمع بينهما كانا صنفين: كما في آية الصدقة، ولا ريب أن فروع الإيمان مع أصوله كالمعطوفين، وهي مع جميعه كالبعض مع الكل"[٢]

قلت: إن القول بأن عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام ينطبق على الآية وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: الآية: ٧٧]، وقوله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: الآية: ٦٣]..

والقول بأن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران ينطبق على حديث جبريل حيث ذكر الإسلام والإيمان فأصبح كل واحد منهما يختص بأمور معينة فالإسلام اختص بالأمور الظاهرية، والإيمان اختص بالأمور الاعتقادية الباطنية.

"فلفظ الإسلام والإيمان إذا أفرد كل واحد من الاسمين دخل في مسمى الآخر إما تضمنا وإما لزوما، ودخوله فيه تضمنا أظهر، وكون أحدهما لا يدخل في الآخر عند الاقتران لا يدل على أنه لا يدخل فيه عند انفراد الآخر، وهذه قاعدة جليلة من أحاط بها زالت عنه إشكالات كثيرة أشكلت على كثير من الناس"[٣]

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله «١/ ٢٩». والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل بلفظ: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث"انظر: فتح الباري «١/ ١١٤»، «ح: ٥٠».

(٢) الفتاوى «٧/ ٦٤٧ ـ ٦٤٨».

(٣) مجموع الفتاوى «٧/ ٦٤٧ –٦٤٨».

خلاصة القول:

إن اسم الإيمان إذا أفرد: تناول جميع أمور الدين الظاهرة والباطنة كما في حديث الشعب.

وإذا اقترن اسم الإيمان مع الإسلام دل الإيمان على الأمور الباطنة ودل الإسلام على أمور الدين الظاهرة كما في حديث جبريل.

وإذا اقترن العمل مع الإيمان: فهو من باب عطف الخاص على العام (١) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: الآية: ٧٧].

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "الإيمان والإســـلام إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. فالإيمان إذا أطلق دخل فيه الإســـلام، وكذلك الإســـلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان"(٢)

٢. قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "الإســـلام هو الاســـتســـلام والانقياد، والإيمان تصـــديق وإقرار، فإذا اجتمعا كان الإســـلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة"(٣)

---

(١) قال شـارح الطحاوية: "اعلم أن عطف الشـيء على الشـيء يقتضـي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشـتراك في الحكم الذي ذكر لهما، والمغايرة على مراتب:

١-أعلاها: أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر، ولا جزءا منه، ولا بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: الآية: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: الآية: ٣]، وهذا هو الغالب.

٢-ويليه: أن يكون منهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿وَلا تَلْبِسُـــوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: الآية: ٩٢].

٣-الثالث: عطف بعض الشيء عليه كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: الآية: ٢٣٨]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُـــلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ﴾ [الأحزاب: الآية: ٧]، وفى مثل هذا وجهان: أحدهما: أن يكون داخلا في الأول، فيكون مذكورا مرتين. والثاني: أن عطفه عليه يقتضي أنه ليس داخلا فيه هنا وإن كان داخلا فيه منفردا كما قيل في لفظ "الفقراء والمساكين" ونحوهما، تتنوع دلالته بالإفراد والاقتران.

٤-الرابع: عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين، كقوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: الآية: ٣]"شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣٨٧-٣٨٨».

(٢) مجموع الفتاوى، «٧/ ٦٢١».

(٣) مدارج السالكين، «١/ ٣٣٧».

٣. قال النووي–رحمه الله–«**ت: ٦٧٦ هـ**»: "الإسلام هو الاستسلام والانقياد الظاهري، والإيمان هو التصديق القلبي، فإذا اجتمعا كان لكل واحد منهما معنى يخصه، وإذا افترقا دل أحدهما على الآخر"(١)

٤. قال ابن حجر العسقلاني–رحمه الله–«**ت: ٨٥٢ هـ**»: "الإسلام والإيمان يجتمعان ويفترقان، فإذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى، وإذا انفرد أحدهما في الذكر دخل فيه الآخر"(٢)

٥. قال الشاطبي–رحمه الله–«**ت: ٥٩٠ هـ**»: "الإسلام في الظاهر هو الاستسلام للأحكام، والإيمان في الباطن هو التصديق والإقرار"(٣)

٦. قال الفيروزآبادي–رحمه الله–«**ت: ٨١٧ هـ**»: "الإسلام هو الانقياد الظاهر للأحكام الشرعية، والإيمان هو التصديق الباطني"(٤)

المسألة الثانية: دخول العمل في مسمى الإيمان

مِن المعلوم: أنَّ أهل السنة يرون أن الإيمان قول وعمل؛ قول القلب وقول اللسان، وعمل القلب وعمل اللسان، وعمل الجوارح، ويريدون بقول القلب: التصديق الذي هو العلم.

وعمل القلب: هو الأعمال القلبية التي مجموعها «**الإقرار والانقياد**»، ومن ذلك الحب والخوف والرجاء والإنابة والتقوى...

وعمل اللسان: الطاعات اللسانية من ذِكر الله وقراءة القرآن والدعوة إلى الله ونحو ذلك.

وعمل الجوارح: هو المعلوم من أركان الإسلام من صلاة وصيام وحج وسائر الطاعات التي تكون متعلقة بالبدن.

(١) شرح صحيح مسلم، «١/ ١٤٦».

(٢) فتح الباري، «١/ ٩٠».

(٣) الموافقات، «١/ ١٠٦».

(٤) بصائر ذوي التمييز، «١/ ٣٤».

وقد تنوعت عبارات السلف في تعريف الإيمان:

١-فتارة يقولون: الإيمان قول وعمل.

٢-وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية.

٣-وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية واتباع سنة.[١]

٤- وتارة يقولون: "قول وعمل ومعرفة"

٥- وتارة يقولون: الإيمان: قول اللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[٢].

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**» -بعد أن أورد التعريفات الثلاثة الأول-: "وكل هذا صحيح"[٣] وعلل ذلك بقوله[٤]:

"فمن قال إن الإيمان قول وعمل فمرداه قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح".

وقول اللسان وعمل الجوارح معروفان.

وأما المقصود من قول القلب: فهو إقراره ومعرفته وتصديقه.

وأما عمله: فهو انقياده لما صدق به.

ومن عبر عن الإيمان بهذا التعريف ليس مراده كل قول أو عمل وإنما المراد ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال.

كما أن تعبير بعض السلف بهذه العبارة في تعريف الإيمان إنما جاء في معرض الرد على

---

(١) هذه التعريفات الثلاثة أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الإيمان. انظر «ص: ١٦٢».

(٢) مجموع الفتاوى «٧/ ٦٤٢».

(٣) كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية «ص: ١٦٢».

(٤) كلام شيخ الإسلام نقلته بتصرف من كتابه الإيمان «ص: ١٦٢-١٦٣».

المرجئة.[١] الذين جعلوه قولا فقط، فقال بعض السلف ردا عليهم: بل قول وعمل.[٢]

وأما من عرفه بقوله هو قول وعمل ونية، فمقصـــوده بزيادة لفظ "ونية": أن القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان.

وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك.[٣]

وأما من عرفه بأنه قول وعمل ونية واتباع سنة، فقد زاد لفظة "واتباع سنة" لأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة.[٤]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وقد سئل سهل بن عبد الله التستري–رحمه الله–«**ت: ٢٨٣ هـ**» عن الإيمان ما هو؟، فقال: قول وعمل ونية واتباع سنة.

لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر.

وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق.

وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة"[٥]

وأجمع التعاريف الواردة وأشملها هو: أن الإيمان قول اللسان واعتقاد بالجنان وعمل الجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

---

(١) المرجئة هم الذين أرجأوا العمل عن مسمى الإيمان وهم خمس طوائف سيأتي ذكرهم.

(٢) قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "الناس لهم في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق أربعة أقوال:

١–فالذي عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعا.

٢–وقيل: بل مســـماه اللفظ، والمعنى ليس جزء مســـماه، بل هو مدلول مســـماه، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين الى السنة، وهو قول النحاة لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ.

٣–وقيل: مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه.

٤–وقيل: بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتأخرين من الكلابية ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين"كتاب الإيمان «ص: ١٦٢».

(٣) كتاب الإيمان «ص: ١٦٣».

(٤) كتاب الإيمان «ص: ١٦٣».

(٥) كتاب الإيمان «ص: ١٦٣».

وهذا التعريف هو الذي يميز قول السلف في مسمى الإيمان عن قول غيرهم من الفرق.(١)

ولهذا كان هذا التعريف هو أجمع التعاريف الواردة عن السلف وأكثرها دقة في بيان قولهم.

فإن الناظر إلى هذا الإنســـان باعتبار ما يجب عليه تجاه ما أخبر الله به وما أمر الله تعالى به؛ فنصـوص الشـرع لا تخرج عن أمرين: إما أخبارٌ وإما أوامر، فالأخبار حقها التصـديق بأن تُصــدق بها، والأوامر حقها أن تعمل بها، كما جاء في الحديث "إذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن نهيٍ فانتهوا"(٢)

فأنت مأمور بأن تتبع، وأن تعمل بهذه الأوامر بحســـب ما يأتي من حكمٍ عليها، فهذه الأمور أي الوحي تأتي لهذا الإنســـان، وأول ما تأتي إليه في باطنه؛ لأنه لابد وأن يعلم أن الصـــلاة مثلاً ركنٌ من أركان الإســـلام، ثم إذا جئت إلى الصـــلاة تجد أن منها فرائض ومنها نوافل، ثم أن هذه النوافل منها سنن رواتب ومنها غير ذلك، فهذا أول ما يقابله بالعلم.

فإذاً هذا الإيمان سيخاطب هذا الباطن في الإنسان، وأول ما يخاطب أن يصدق بما أخبر

---

(١) الذين خالفوا السلف في مسمى الإيمان هم:

أ-المرجئة بطوائفهم الخمس:

١-الجهمية: وقالوا الإيمان هو معرفة القلب فقط: أى المعرفة الفطرية التي هي المعرفة بربوبية الله.

٢-الأشاعرة: وقالوا الإيمان هو التصديق فقط أي التصديق بما جاء به النبي ﷺ من عند الله.

٣-الماتريدية: وقولهم في الإيمان مثل قول الأشاعرة.

٤-الكرامية: قالوا الإيمان قول باللسان فقط.

٥-مرجئة الأحناف «أو مرجئة الفقهاء» قالوا: الإيمان قول باللسـان وتصـديق بالجنان. وهو قول الكلابية. وكل هذه الطوائف الخمسة أخرجت العمل عن الإيمان.

ب-الخوارج: قالوا الإيمان قول واعتقاد وعمل، ولكنهم يكفرون من أخل بشـيء من هذه الثلاثة ويقولون بأنه كافر في الدنيا وفي الآخرة خالد في النار.

ج-المعتزلة: وقالوا بقول الخوارج إلا أنهم يقولون إنه في الدنيا في منزلة بين منزلتين بمعنى أنه ليس بمؤمن ولا كافر، واتفقوا معهم في باقي الأمور.

انظر تفاصـيل هذه الأقوال: في كتاب الإيمان لابن تيمية، والجزء السـابع من مجموع الفتاوى، وشـرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣٧٣-٣٩٢» وكتاب النبوات «ص: ١٩٩».

(٢) رواه البخاري «٤/ ٤٢٢» ومسلم «٧/ ٩١» وأحمد «٢/ ٢٥٨».

الله به.

والثاني: أن ينقاد لأمر الله، فلابد أن يحصـل الانقياد والتسـليم لأوامر الله، فليس لك حق الاعتراض أن تقول: لا بدل خمس صـلوات نجعلها ثلاثة أو نجعلها ستة، فهي خمس صـلوات في اليوم الليلة لابد من أدائها في أوقاتها، فأصبح عليه أن يصدق وعليه أن ينقاد.

ومعلوم أن هنا ثلاثة أحوال:

القلب، والقلب يشمل أمرين:

يشمل جانب العلم، ويشمل جانب الإرادة هذا القلب.

والجانب الثاني: جانب اللسان.

والجانب الثالث: جانب الجوارح.

فهناك قول القلب، وعمل القلب، وقول اللســان، وعمل اللســان، وهناك عمل الجوارح فهذه خمسة، فإذا جئت إلى قول القلب فهذا هو العلم الذي هو التصديق فعليه أن يعلم هذه الأشـياء ويصـدق بها، هذا الواجب الأول على القلب، والقلب هو الباطن، والباطن مجموع الأمرين وهذه هي العقيدة.

لذلك قال المصـــنف: "الإيمان قولٌ وعمل"، فالقول هنا هو العلم والتصـــديق، تعلم وتصـدق، هذا واجبٌ على الإنسـان لكي يكون مؤمناً، وهذا وحده لا يكفي فلو قال قائل: أنا أعلم أن الصـلوات خمس وهي كذا وكذا وهيئتها كذا لكن لن أصـلي، فهو بهذا لا يكون مؤمناً إذ لابد من الجانب الثاني.

والجانب الثاني: هو انقياد القلب، فهذه الإرادة لابد أن تنقاد لهذه الأخبار وهذه الأوامر، ولـذلـك يأتي عمـل القلـب، والقلـب أعمـالـه كثيرة، منهـا مثلاً الإخلاص، والمحبـة، والخوف، والرجـاء، والتوكـل، والإنابـة، والخشـــيـة، والتقوى، ولـذلـك النبي ﷺ لـما ذكر التقوى قـال: «**التقوى هاهنا التقوى هاهنا التقوى هاهنا وأشــار بيده على صــدره**».(١)، فهذه أعمال

---

(١) رواه مسلم «٢٥٦٥»، وأحمد «٧٦٧٠».

القلوب، وهي التي تنطلق إلى سائر الجوارح

وأما قول اللسان وعمل اللسان، فقول اللسان جعله العلماء النطق بالشهادتين لأن هذا هو الفيصل بين الإسلام والكفر، «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**».[(١)]، فأول ما يدخل الإنسان في الإسلام يُطالب بعد تطهره يطالب بالنطق بالشهادتين، فهذا يسميه العلماء: قول اللسان، فجعلوه في النطق بالشهادتين.

وأما عمل اللسان: فمنه قراءة القرآن وتلاوته، وذكر الله عز وجل، والتسبيح، والتهليل هذا كله عمل اللسان.

وأما أعمال الجوارح، فمنها الركوع والسجود والصوم والجهاد وغض البصر وغيرها فهذه أعمال الجوارح، وهذا بكله هو الذي يُسمى إيماناً عند أهل السنة.

فعلى هذا فإن كلَّ الطاعات تُسَمَّى إيمانًا؛ فالصلاة تسمى إيمانًا؛ فعن البراء ؓ: «**أنَّ رسول الله ﷺ صَلَّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، وكان يُعجبه أن تكون قِبلته قِبَلَ البيت، وأنَّه صَلَّى، أو صلاها، صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج رجلٌ ممن كان صلى معه فمَرَّ على أهل المسجد وهم راكعون، قال: أشهد بالله، لقد صَلَّيْتُ مع النبي ﷺ قِبَلَ مَكَّة؛ فَدَاروا كما هُم قِبَلَ البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تُحَوَّل قِبَلَ البيت رجالٌ قُتِلوا، لَم نَدْرِ ما نقول فيهم؛ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]**»[(٢)].

قال الإمام مالك رحمه الله: «**أهل الذنوب مُؤمنون مُذنبون وقد سَمَّى الله تعالى العمل إيمانًا، وقال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يريد صلاتكم إلى بيت المقدس**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري «٢٥»، ومسلم «٢٥».

(٢) أخرجه البخاري «٤٤٨٦».

(٣) «موطأ مالك» «١/ ٢٥٥- الأعظمي».

والوضوء يسمى إيمانًا؛ ففي الحديث: «**الطُّهورُ شَطْرُ الإيمان**»[(١)]، أي: نصف الإيمان؛ لأنه نصف الصلاة.

وهكذا، فكل الطاعات تسمى إيمانًا.

والإيمانُ شُعَبٌ، كما سبق في الحديث، ومِن شُعب الإيمان ما لو زالت لزال الإيمان؛ فمثلًا «**لا إله إلا الله**» لو زالت لزال إيمان العبد.

وهناك شُعبة لو زالت لما زال الإيمان؛ كإماطة الأذى، فإن لم يفعل العبد ذلك ما زال إيمانُه، ولكن قد يكون هذا نقصًا في الإيمان، فعلى هذا قال ﷺ: «**أدناها**»، و«**أعلاها**»، فهي شُعَبٌ متفاوتة، وبقدر التزام العبد بتلك الطاعات يكون ذلك سببًا في زيادة إيمانه، والعكس بالعكس.

وفي المقابل فالكفر شُعَبٌ، وكل المعاصي تسمى كفرًا، وإن كان هناك كفر دون كفر، إلا أن كل معصية فهي شُعبة من شعب الكفر.

المسألة الثالثة: زيادة الإيمان ونقصانه.

أهل السنة يَفترقون عن غيرهم بمسائل مهمة؛ ومنها: أن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ومن الأدلة على ذلك:

أولًا: أدلة زيادة الإيمان ونقصانه من القرآن.[(٢)]

لقد جاء في كتاب الله عز وجل نصـوص كثيرة تدل على زيادة الإيمان ونقصـانه وأن أهله متفاضـلون فيه بعضـهم أكمل إيماناً من بعض، فمنهم السـابق بالخيرات، ومنهم المقتصـد، ومنهم الظالم لنفسـه، منهم المحسـن، ومنهم المؤمن، ومنهم المسـلم، ليسـوا في الدين سـواء في

---

(١) أخرجه مسلم «٢٢٣».

(٢) المصدر: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه للدكتور عبد الرزاق البدر «ص: ٣٥»

مرتبة واحدة، بل فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم فوق بعض درجات.

وقبل الشروع في ذكر هذه الأدلة القرآنية الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه أودّ التنبيه على نقطة هامة، وهي:

أن كل دليل دلّ على زيادة الإيمان فهو يدل على نقصانه، وكذا العكس، فما دل على نقصان الإيمان فهو يدل على زيادته، فالآيات التي أوردها هنا وظاهرها الدلالة على زيادة الإيمان فقط، فهي تدل على نقص الإيمان باللزوم، وذلك لأن الزيادة تستلزم النقص، ولأن ما جاز عليه الزيادة جاز عليه النقص، ولأن الزيادة لا تكون إلا عن نقص.

ولهذا فإنا نجد أهل العلم كثيراً ما يستشهدون بأدلة زيادة الإيمان على نقصانه وكذا العكس للأسباب المتقدمة، وتأمل-مثالاً على ذلك-صنيع البخاري في صحيحه فقد أورد بعض الآيات المصرحة بزيادة الإيمان في باب زيادة الإيمان ونقصانه مستدلاً بها على الزيادة والنقصان معاً.

قال الإمام أحمد-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»: "إن كان قبل زيادته-أي الإيمان-تاماً فكما يزيد كذا ينقص"(١)

فمن الأدلة:

- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٧٣].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: الآية: ٢].
- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: الآية: ١٢٤].
- وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ

---

(١) رواه الخلال في السنة «٢/ ٦٨٨، ح: ١٠٣٠».

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٢٢].

- وقوله تعالى :﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: الآية: ٤].
- وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً﴾ [المدثر: الآية: ٣١].
- وقوله تعالى :﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾ [محمد: الآية: ١٧].

ثانياً: الأدلة من السنة على زيادة الإيمان ونقصانه:

- حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ**»، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن**».(١)
- حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ**»، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».(٢)

ففي هذا الحديث "بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء، له أعلى وأدنى، فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق-بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبها وتستوفي جملة أجزائها، كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها"(٣)

وهذه الشعب متفاوتة ليست على درجة واحدة في الفضل، بل بعضها أفضل من بعض، كما هو ظاهر لفظ الحديث في قوله: "أعلاها "وقوله: "أدناها"، فشعب الإيمان منها ما يزول

(١) أخرجه البخاري «٥/ ١١٩، ١٠/ ٣٠، ١٢/ ٥٨، ١٢/ ١٤ فتح»، ومسلم «٢/ ٤١ نووي».

(٢) أخرجه البخاري «١/ ٥١ فتح» ومسلم «٢/ ٦ نووي» وهذا لفظ مسلم.

(٣) معالم السنن للخطابي «٧/ ٤٤،٤٣».

الإيمان بزوالها إجماعاً كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعاً كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً منها ما يقرب من شعبة الشهادتين، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى"(١)

وقال ابن سعدي-رحمة الله-«**ت: ١٣٧ هـ**» -بعد ذكره لحديث أبي هريرة-: "وهذا صريح في أن الإيمان يزيد وينقص بحسب زيادة هذه الشرائع والشعب، واتصاف العبد بها أو عدمه، ومن المعلوم أن الناس يتفاوتون فيها تفاوتًا كثيرًا، فمن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فقد خالف الحس، مع مخالفته لنصوص الشرع كما ترى"(٢)

- حديث أنس بن مالك-رضي الله عنه-«**ت: ٩٠ وقيل ٩٣ هـ**»، قال: قال رسول الله-ﷺ-: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**».(٣)

فهذا الحديث دليل على أن من لا أمانة له، فقد نقص فيه شيء من واجبات هذا الدين، فيذهب عنه كمال الإيمان الواجب وتمامه، ويكون بذلك مؤمناً ناقص الإيمان.(٤)

يوضح الاستدلال بهذا الحديث ويبينه ما جاء عن عروة بن الزبير-رحمه الله-«**ت: ٩٤ هـ**»، أنه قال: "ما نقصت أمانة عبد قط إلا نقص إيمانه"(٥)، فنقص الأمانة في العبد دليل على نقص الإيمان وضعفه فيه

- ولهذا لما سئل الإمام أحمد-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**» مرة عن نقصان الإيمان احتج

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز «ص: ٣٢٢».

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان «ص: ١٤».

(٣) أخرجه أحمد في المسند «٣/ ١٣٥»، وابن أبي شيبة في مصنفه «١١/ ١١» وفي الإيمان «ص: ٥»، وابن حبان في صحيحه «١/ ٢٠٨ الإحسان»، والبغوي في شرح السنة «١/ ٧٥»؛ وقال البغوي: "هذا حديث حسن"؛ وصححه الألباني في تحقيقه للإيمان لابن أبي شيبة.

(٤) انظر الفتاوى «١١/ ٦٥٣».

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف «١١/ ١٢»، وفي الإيمان «ص: ٦»، وعبد الله في السنة «١/ ٣٦٨» والخلال في السنة «ق: ١٥٩/ ب» والآجري في الشريعة «ص: ١١٨» والبيهقي في الشعب «١/ ١٩٧»، وابن بطة في الإبانة «برقم:١١٤١».

بهذا، قال الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله وسئل عن نقص الإيمان فقال: حدثنا وكيع عن سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه قال: "ما انتقصت أمانة رجل إلا نقص إيمانه"(١).

- حديث أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-«**ت: ٧٤ هـ**»، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».(٢)

فبين النبي-ﷺ-في هذا الحديث مراتب إنكار المنكر، وأنه حســـب الاســـتطاعة فإما أن يغير باليد أو باللســـان أو بالقلب، بمعنى يكرهه بقلبه، وهذه المراتب الثلاث للإنكار يقوم بها المكلف على قدر استطاعته، ولا شك أن المرتبة الأخيرة باستطاعة جميع المكلفين، فمن رأى المنكر ولم يكرهه بقلبه وهو يعلم أنه منكر فإن هذا يكون علامة على ضعف إيمانه.

وقد احتج بهذا الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهله فيه النسائيُ-رحمه الله-«**٣٠٣ هـ**»، في سننه فبوب له بـ"باب تفاضل أهل الإيمان"(٣).

وابن منده-رحمه الله-«**ت: ٣٩٦ هـ**» في كتابه الإيمان فقال: "ذكر خبر يدل على أن الإيمان قول باللســـــان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان يزيد وينقص"(٤) ثم ذكر حديث أبي سعيد-رضي الله عنه-.

وبوب له النووي في شرحه لمسلم بـــــ "باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص..."(٥).

ومن الأدلة على نُقصان الإيمان: عن أبي سعيد الخدري ؓ، قال: «**خرج رسول الله ﷺ في**

---

(١) رواه الخلال في السنة «برقم: ٧٨٩»، والآجري في الشريعة «ص: ١١٨»، وابن بطة في الإبانة «برقم: ١١٤٨».

(٢) رواه مسلم «٢/ ٢٢ نووي».

(٣) سنن النسائي «٨/ ١١».

(٤) الإيمان لابن منده «٢/ ٣٤١».

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي «٢/ ٢١» وانظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية «٣/ ٣٤٣».

أضحى أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء، فقال: «**يا معشر النساء تَصَدَّقن؛ فإني أُريتكن أكثر أهل النار"فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال:** «**تُكثرن اللعن، وتَكفرن العَشير، ما رأيتُ مِن ناقصات عقل ودين أذهبَ لِلُبِّ الرجل الحازم مِن إحداكن**»، قلن: وما نُقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «**أَليس شهادة المرأة مِثل نِصف شهادة الرجل"قلن: بلى، قال:** «**فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تُصَلِّ ولم تَصُمْ؟**». قلن: بلى، قال: «**فذلك مِن نقصان دينها**»[(١)].

فبَيَّن النبيُّ ﷺ أن النقصان يقع في الدين «**الإيمان**», كما يقع في العقل.

ثانيًا: أقوال السلف الصالح في زيادة الإيمان ونقصانه[(٢)]

جاء عن السلف الصالح آثار كثيرة قرروا فيها ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله-ﷺ-من حجج ودلالات على زيادة الإيمان ونقصـــانه، فبينوا رحمهم الله أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وكثرة العبادة والمداومة عليها، وينقص باللهو والغفلة والمعصية والتقصير في فعل الطاعة، بل لقد حكى إجماعهم واتفاقهم على ذلك غير واحد من أهل العلم.

عن عمير بن حبيب الخطمي-رضـــي الله عنه-قال: "الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما زيادته ونقصـــانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه وســـبحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا، فذلك نقصانه"[(٣)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "وأقدم من روي عنه زيادة الإيمان ونقصـــانه

---

(١) أخرجه البخاري «٣٠٤» واللفظ له، وأخرجه مسلم «٧٩» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) المصدر: ت: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه «ص: ١٠٦ ـ ١٠٧».

(٣) رواه عبدا لله بن أحمد في السنة «١/ ٣٣٠» «٦٨٠»، والآجري في الشريعة «ص: ١٠٨»، والخطابي في الغنية «ص: ٤٥»، وأبو أحمد الحاكم في شعار أصحاب الحديث «ص: ٨».

من الصحابة عمير بن حبيب الخطمي"(١)

وعن أبي الدرداء عويمر الأنصاري–رضي الله عنه–«**ت: ٣٢ هـ**»، أنه قال: "الإيمان يزداد وينقص"(٢)

وروي عنه رضــي الله عنه أنه قال: "من فقه العبد أن يعلم أمزداد هو أو منتقص، وإن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه"(٣)

وعن علقمة بن قيس النخعي–رحمه الله–«**ت: ٦٢ هـ**»، أنه كان يقول لأصحابه: "امشوا بنا نزدد إيمانا"(٤)

١٢ – وكتب عمر بن عبد العزيز –رحمه الله–«**ت: ١٠١ هـ**»، إلى عدي بن عدي–رحمه الله–«**ت: ١٢٠ هـ**»، –أحد عماله على الجزيرة–: "أما بعد: فإن للإيمان حدودًا وشرائع وفرائض، من استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان".

علقه البخاري–رحمه الله–«**ت: ٢٥٦ هـ**» في كتاب الإيمان من صــحيحه (٥)، وقال ابن حجر مبينا ســبب ذكر البخاري له: "والغرض من هذا الأثر أن عمر بن عبد العزيز كان ممن يقول بأن الإيمان يزيد وينقص، حيث قال: استكمل ولم يستكمل" (٦).

---

(١) تهذيب السنن «٧/ ٥٦».

(٢) رواه ابن ماجه بعد حديث رقم: «٧٢»، والبيهقي في الشــعب «١/ ٧٦» «٥٤». وقال الألباني في ضــعيف ســنن ابن ماجه: ضعيف.

(٣) رواه ابن بطة في الإبانة «٢/ ٨٤٩» «١١٤٠»، وذكره شيخ الإسلام في كتاب الإيمان «ص: ٢١١». وإسناده ضعيف لإبهام شيخ حريز.

(٤) رواه ابن أبي شــيبة «١١/ ٢٥» وفي الإيمان «ص: ٣٤» وأبو نعيم في الحلية «٢/ ٩٩» والبيهقي في شــعب الإيمان «١/ ٧٧» «٥٧». وحسن الألباني إسناده في الإيمان لابن أبي شيبة.

(٥) البخاري معلقا بصــيغة الجزم قبل حديث «٨»، ووصــله ابن أبي شــيبة «١١/ ٤٨»، وفي «الإيمان» «ص: ٤٥» والبيهقي في «شعب الإيمان» «١/ ١٩٧» والبغوي في «شرح السنة» «١/ ٤٠». قال ابن الملقن في شرح البخاري «٢/ ٤٤٠»: إسناده صحيح.

(٦) فتح الباري «١/ ٤٧»..

قال الإمام الأوزاعي –رحمه الله– «**ت: ١٥٧ هـ**»: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"[(١)]

قال الإمام مالك –رحمه الله– «**ت: ١٧٩ هـ**»: "الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"[(٢)]

قال يحيى بن سعيد القطان –رحمه الله– «**ت: ١٩٨ هـ**»: "ما أدركت أحداً من أصحابنا، إلا على سنتنا في الإيمان، ويقولون: الإيمان يزيد وينقص[(٣)].

قال الإمام الشافعي «**ت: ٢٠٤ هـ**»: "الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"[(٤)]

وقال الإمام عبد الرزاق الصنعاني –رحمه الله– «**ت: ٢١١ هـ**»: "لقيت اثنين وستين شيخًا،... فذكر عددًا منهم ثم قال: كلهم يقولون: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"[(٥)]

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام –رحمه الله– «**ت: ٢٢٤ هـ**»: "هذه تسمية من كان يقول الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص،... فسمى أكثر من مائة وثلاثين رجلًا من أهل العلم من الصحابة وغيرهم.. ثم قال: هؤلاء كلهم يقولون الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وهو قول أهل السنة، والمعمول به عندنا"[(٦)]

قال الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله– «**ت: ٢٤١ هـ**»: "الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"[(٧)].

وقال إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل –رحمه الله– «**ت: ٢٤١ هـ**»: "أجمع

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، «٤/ ٧٥١».

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، «٩/ ٢٣٨».

(٣) رواه ابن هاني في مسائل الإمام أحمد «٢/ ١٦٢» وذكر نحوه الذهبي في السير «٩/ ١٧٩» في ترجمة يحيى بن سعيد.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، «٤/ ٧٤٩».

(٥) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد «٥/ ٩٥٨ ح: ١٧٣٧».

(٦) رواه ابن بطة في الإبانة «٢/ ٨١٤ برقم: ١١١٧» وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان «ص: ٢٩٣-٢٩٥».

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، «٤/ ٧٥٠».

سـبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسـلمين وفقهاء الأمصـار على أن السـنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ. فذكر أموراً منها: الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية"(١)

وقال أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري-رحمه الله-«**ت: ٢٥٦ هـ**»: "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصـار فما رأيت أحدًا يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص"(٢)

وقال الإمام البخاري-رحمه الله-«**ت: ٢٥٦ هـ**» في صحيحه: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"(٣)

وقال عبد الله بن المبارك-رحمه الله-«**ت: ١٨١ هـ**»: "الإيمان قول وعمل، والإيمان يتفاضل"(٤)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وبعضهم أي: السلف عدل عن لفظ الزيادة والنقصـان إلى لفظ التفاضـل. فقال أقول: الإيمان يتفاضـل ويتفاوت، ويروى هذا عن ابن المبارك، وكان مقصوده الإعراض عن لفظ وقع فيه النزاع إلى معنى لا ريب في ثبوته"(٥)

وعن محمد بن أبان-رحمه الله-«**ت: ٢٤٤ آو ٢٤٥ هـ**»، قال قلت لعبد الرحمن بن مهدي-رحمه الله-«**ت: ١٩٨ هـ**»: الإيمان قول وعمل؟ قال: نعم. قلت: يزيد وينقص؟ قال يتفاضل كلمة أحسن من كلمة"(٦)

---

(١) رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد «ص: ٢٢٨» وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة «١/ ١٣٠» بلفظ أجمع تسعون...إلخ.

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح «١/ ٤٧»، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين «٢/ ٢٥٦» وعزواه للالكائي في السنة، وصححا إسناده، قلت: وهو في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي "المطبوع" «٥/ ٨٨٩ رقم: ١٥٩٧» بنحوه، وليس فيه "ويزيد وينقص"، فلعل هذه اللفظة سقطت من المطبوع، أو أن الحافظ والزبيدي اطلعا على نسخة اشتملت على ما حكياه.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه.

(٤) رواه عبد الله في السنة «١/ ٣١٦» «٦٣١»، واللالكائي في شرح الاعتقاد «٥/ ٩٦١» «١٧٤٦».

(٥) الفتاوى «٧/ ٥٠٦».

(٦) السنة «٣/ ٥٨٠» «١٠٠٥».

المسألة الرابعة: الأقوال المخالفة لقول أهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

أولًا: الأقوال في المسألة عمومًا

اختلف الناس في مسألة مسمى الإيمان:

فهناك من قال: "إن الإيمان قول واعتقاد وعمل يزيد وينقص"[(١)] .

وهناك من قال: "إن الإيمان قول واعتقاد وعمل لكن لا يزيد ولا ينقص"[(٢)] .

وهناك من قال: "إن الإيمان هو المعرفة"[(٣)] .

وهناك من قال: "إن الإيمان قول اللسان"[(٤)] .

وهناك من قال: "إن الإيمان هو التصديق"[(٥)] .

وهناك من قال: "إن الإيمان هو التصديق والقول"[(٦)].

هذه جملة أقوال، والمسألة تحتاج إلى شيءٍ من البيان والتوضيح والبسط.

ثانيًا: الأقوال المخالفة لقول أهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

القول الأول: قول من قال الإيمان يزيد وتوقف في النقصان.

جاء عن الإمام مالك-رحمه الله-«**ت: ١٧٩ هـ**» في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه روايتان، قال في إحداهما: إن الإيمان يزيد أما النقصان فتوقف فيه وطلب من السائل أن يكف عن السؤال عنه، لأنه لم يجد عليه دليلاً من كتاب الله.

---

(١) انظر كتاب الإيمان للقاسم بن سلام صفحة «١٠» و «٤٤».

(٢) انظر كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع صفحة «٤٣»، وكتاب الملل والنحل، الجزء الأول، صفحة «١٤١».

(٣) انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد الجزء الأول صفحة «٣٠٥».

(٤) انظر كتاب الإيمان لابن تيمية صفحة «٣٠٣»، وكتاب الرَّوضُ البَاسمْ في الذِّبِّ عَنْ سُنَّةِ أبي القَاسِم الجزء الأول، صفحة «٢٤٠».

(٥) انظر كتاب رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت صفحة «٢٧٣».

(٦) انظر كتاب الفقه الأكبر صفحة «٥٥»، وكتاب لوامع الأنوار البهية الجزء الأول، صفحة «٤١٦».

أما الرواية الأخرى: فقد جاءت عنه من طرق متعددة صـــحيحة، قال فيها: إن الإيمان يزيد وينقص، كقول أهل السنة والجماعة سواء[١].

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصـــان عليه. لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القران، ولم يجدوا ذكر النقص، وهذا إحدى الروايتين عن مالك"[٢]

القول الثاني: قول من قال الإيمان يزيد ولا ينقص.

وهذا قول طائفة من الأشـــاعرة، رواية عن أبي حنيفة–رحمه الله–«**ت: ١٥٠ هـ**»، والغسانية، النجارية، الإباضية.

أما قول الطائفة من الأشـاعرة: فقد أشـار إليه البغدادي في "أصـول الدين" فقال: "وأما من قال: إنه التصـديق [٣] بالقلب فقد منعوا من النقصـان فيه، واختلفوا في زيادته فمنهم من منعها ومنهم من أجازها"[٤]

وأما الرواية عن أبي حنيفة–رحمه الله–«**ت: ١٥٠ هـ**»: أن الإيمان يزيد ولا ينقص، فقد ذكرها غير واحد ممن كتب في المقالات، من طريق غسان وغيره عن أبي حنيفة–رحمه الله–.

قال الأشعري–رحمه الله–«**ت: ٣٢٤ هـ**»: "فأما غسان وأكثر أصحاب أبي حنيفة فإنهم يحكون عن أسلافهم أن الإيمان هو الإقرار والمحبة لله والتعظيم له والهيبة منه وترك الاستخفاف بحقه وأنه يزيد ولا ينقص"[٥].

وقال الزبيدي–رحمه الله–«**ت: ١٢٠٥ هـ**»: "وحكى غســان وجماعة من أصــحاب أبي

---

[١] انظر: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه «ص: ٢٧٧–٢٩٠» وقد ناقش هذا القول بالتفصيل.

[٢] الفتاوى «٧/ ٥٠٦».

[٣] القول بأن الإيمان هو التصديق هو قول الأشاعرة.

[٤] أصول الدين «ص: ٢٥٢».

[٥] مقالات الإسلاميين «ص: ١٣٩».

حنيفة أنه يزيد ولا ينقص"[١]

وأما الغسانية: فقد ذكر البغدادي-رحمه الله-«**ت: ٤٢٩ هـ**» عن الغسانية، وهم أتباع غسان المرجئ أن من أقوالهم إن الإيمان يزيد ولا ينقص، ثم قال: "وزعم غسان هذا في كتابه أن قوله في هذا الكتاب كقول أبي حنيفة"[٢]

وأما النجارية: فلهم أصول باطلة جانبوا فيها الحق وفارقوه منها: قولهم إن الإيمان يزيد ولا ينقص، وقد حكى ذلك عنهم غير واحد ممن كتب في مقالات الفرق كالأشعري والإسفرايني والبغدادي وغيرهم.[٣]

وأما الأباضيه: فقد ذكر أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي «**ت: ١٣٣٢ هـ**» من الأباضية في كتابه مشارق أنوار العقول: "الإيمان بالمعنى الشرعي الذي هو أداء الواجبات مطلقاً ليس ينقص نظراً إلى إيمان كل مؤمن، فإنه في ذاته غير متفاوت بالنسبة إلى إيمان غيره"[٤]

القول الثالث: قول من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

لقد قال بهذا القول طوائف كثيرة من أهل الكلام والإرجاء، والتجهم، وممن نسب له هذا القول:

أبو حنيفة وأصحابه:

لقد اشتهر عن الإمام أبي حنيفة-رحمه الله تعالى وغفر له-أنه يقول بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، واستفاض هذا عنه، بحيث لا يدع مجالاً للشك أو التردد في نسبته إليه، ويمكن أن

---

(١) إتحاف السادة المتقين «٢/ ٢٥٦».

(٢) الفرق بين الفرق «ص: ٢٠٣». وانظر: انظر مقالات الإسلاميين للأشعري «ص: ١٣٩»، والتبصير في الدين للإسفراييني «ص: ٩٨»، والفرق بين الفرق للبغدادي «ص: ٢٠٣».

(٣) انظر مقالات الإسلاميين «ص: ١٣٦» والتبصير في الدين «ص: ١٠١»، والفرق بين الفرق «ص: ٢٠٨» والفتاوى لابن تيمية «٧/ ٥٤٦».

(٤) مشارق الأنوار «ص: ٣٥-٣٦».

أبرز أهم الأسباب المؤكدة لصحة نسبة هذا القول إليه في النقاط التالية:

١-إن عامة كتب الفرق والمقالات تنســـب هذا القول إليه، كالمقالات لأبي الحســـن الأشعري، والفَرْق بين الفِرَق للبغدادي، والمِلَلْ والنِحَلْ للشهرستاني، وغيرها.(١)

٢-إن الكتب المؤلفة في العقيدة والمنسوبة إلى أبي حنيفة رحمه الله تذكر هذا القول، كالفقه الأكبر، وكتاب العالم والمتعلم، والوسيطين الصغير والكبير والوصية ورسالته إلى البتي.(٢)

وهذه الكتب إن لم يصح نسبتها جميعاً إليه، فلا بد أن يصح نسبة بعضها أو واحد منها على أقل تقدير إليه، وعلى كل إن لم يصح لا هذا ولا ذاك فإن هذه الكتب مطبوعة متداولة، وقد احتفى بها الأحناف شـرحاً ونشـراً ونقلاً، فهي عند عامتهم مسـلم بما فيها، وقد شـرح بعضها شروح مطولة عديدة، ونقل منها نقولٌ متكاثرة، واعتمد على ما فيها من عقائد.(٣)

وممن قال بهذا القول: الجهمية.

ومن مقولاتهم الفاسـدة وآرائهم المنحرفة زعمهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضـل أهله فيه.

قال الأشـــعري-رحمه الله-«**ت: ٣٢٤ هـ**»: "وزعمت الجهمية أن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه"(٤)

وقال الشـــهرســـتاني-رحمه الله-«**٥٤٨ هـ**»: "قال أي الجهم: والإيمان لا يتبعض أي لا ينقســـم إلى عقد وقول وعمل، قال: ولا يتفاضـــل أهله فيه، فإيمان الأنبياء وإيمان الأمة على نمط واحد، إذ المعارف لا تتفاضل"(٥)

---

(١) المقالات «ص: ١٣٩»، الفَرْق بين الفِرَق «ص: ٢٠٣»، ونقله عنه الزبيدي في الإتحاف «٢/ ٢٦٥»، الملل والنحل «١/ ١٤١».

(٢) انظر: فيض الباري للكشميري «١/ ٥٩».

(٣) انظر كتاب زيادة الإيمان ونقصانه «ص: ٣١٨-٣١٩».

(٤) المقالات «ص: ١٣٢».

(٥) الملل والنحل «١/ ٨٨».

وجهم وأتباعه إنما قالوا بهذا القول لأن الإيمان عندهم مجرد التصديق، فمن صدق بقلبه فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن تكلم بالكفر، وسب الله ورسوله ﷺ وسخر بالدين، وأحل المحرمات، وفعل غير ذلك من الأمور التي هي كفر بواح.

والتصديق عندهم يتساوى فيه العباد، ولا يقبل الزيادة والنقصان فهو إما أن يعدم وإما أن يوجد، ولا يقبل التبعض، فإذا ذهب بعضه ذهب كله، ولا يتفاضل الناس فيه، فإيمان الملائكة والأنبياء والصديقين وإيمان فساق الأمة وأهل الخنا والفجور سواء"(١)

وممن قال بهذا القول: الخوارج والمعتزلة:

ذهبت الخوارج والمعتزلة مذهب أهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان من حيث إنه شامل للأعمال والأقوال والاعتقادات، إلا أنهم فارقوا أهل السنة والجماعة بقولهم إن الإيمان كل واحد لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله، وأنه لا يقبل التبعض.

ومن هنا كان الإخلال بالأعمال وارتكاب الكبائر عندهم مخرجاً من الإيمان كلية، على خلاف بينهم في تسميته كافراً، فالخوارج قطعوا بكفره، ونازعهم المعتزلة في الاسم وقالوا نحن لا نسميه مؤمناً ولا كافراً، وإنما هو في منزلة بين المنزلتين أي: بين منزلة الإيمان والكفر، وإن كانوا قد اتفقوا جميعاً أنه يوم القيامة خالد مخلد في نار جهنم.(٢)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "قالت الخوارج والمعتزلة قد علمنا يقينًا أن الأعمال من الإيمان فمن تركها فقد ترك بعض الإيمان، وإذا زال بعضه زال جميعه؛ لأن الإيمان لا يتبعض ولا يكون في العبد إيمان ونفاق، فيكون أصحاب الذنوب مخلدين في النار إذ كان ليس معهم من الإيمان شيء"(٣)

وأصل غلط هؤلاء ومنشأ ضلالهم كما قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "أنهم

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى «٧/ ٥٨٢».

(٢) انظر الفتاوى «٧/ ٢٢٣، ٢٥٧» وشرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية «ص: ١٣٧».

(٣) الفتاوى «١٣/ ٤٨».

ظنوا أن الشـخص الواحد لا يكون مسـتحقًا للثواب والعقاب والوعد والوعيد والحمد والذم، بل إما لهذا وإما لهذا فأحبطوا جميع حســـناته بالكبيرة التي فعلها، وقالوا: "الإيمان هو الطاعة فيزول بزوال بعض الطاعة، ثم تنازعوا هل يخلفه الكفر على القولين ووافقتهم المرجئة والجهمية على أن الإيمان يزول كله بزوال شـيء منه، وأنه لا يتبعض ولا يتفاضـل فلا يزيد ولا ينقص وقالوا إن إيمان الفساق كإيمان الأنبياء والمؤمنين"[١]

فهذه الشبهة هي التي أفسدت على هؤلاء قولهم، بل وعلى جميع المرجئة، كما قال شيخ الإسـلام: "وإنما أوقع هؤلاء كلهم أي المرجئة بأقسـامهم-ما أوقع الخوارج والمعتزلة في ظنهم أن الإيمان لا يتبعض، بل إذا ذهب بعضـه ذهب كله، ومذهب أهل السـنة والجماعة أنه يتبعض وأنه ينقص ولا يزول جميعه"[٢]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وجماع شـــبهتهم في ذلك أن الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها كالعشـــرة فإنه إذا زال بعضـــها لم تبق عشـــرة، وكذلك الأجســـام كالســـكنجبين[٣] إذا زال أحد جزئيه خرج عن كونه ســـكنجبين، قالوا فإذا كان الإيمان مركبًا من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة لزم زواله بزوال بعضها"[٤]

ومن قال بهذا القول: الأشاعرة والماتريدية:

لقد ذهب جمهور الأشـاعرة وجميع الماتريدية إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لشبه عقلية وأدلة نظرية، وذهب بعض الأشاعرة إلى أن الإيمان يزيد وينقص"[٥]

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية «ص: ١٣٧، ١٣٨»، وانظر الفتاوى «٧/ ٤٠٤».

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية «ص: ١٤٣، ١٤٤».

(٣) السكنجبين: شراب مركب من حامض وحلوا-معرب-فارسيته: سركا انكبين انظر المعجم الوسيط «١/ ٤٤٠».

(٤) مجموع الفتاوى «٧/ ٥١١».

(٥) انظر شـــرح مســـلم للنووي «١/ ١٤٨»، وفتح الباري لابن حجر «١/ ٤٦»، وعمدة القاري للعيني «١/ ١٣٦» وتحفة القاري "للكاندهلوي" «ص: ٤٤» مجموع "شروح البخاري" «١/ ١١٢»، النبراس شرح العقائد «ص: ٤٠٢»، المسامرة شرح المسايرة «ص:
=

قال الزبيدي-رحمه الله-«**ت: ١٢٠٥ هـ**»: "وقال أبو حنيفة وأصحابه لا يزيد الإيمان ولا ينقص واختاره أبو منصور الماتريدي ومن الأشاعرة إمام الحرمين وجمع كثير"(١)

وقال ابن أبي شريف الحنفي-رحمه الله-«**ت: ٩٠٦ هـ**»: "وهذا القول-أي أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص-اختاره من الأشاعرة أمام الحرمين وجمع كثير، وذهب عامتهم أي أكثر الأشاعرة إلى زيادته ونقصانه"(٢)

وقال الفرهاري-رحمه الله-«**ت: ١٢٣٩ هـ**»: "مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله والمتكلمين من أهل السنة أنه لا يزيد ولا ينقص"(٣).

فالماتريدية لهم قول واحد في المسألة وهو أن الإيمان غير قابل للزيادة والنقصان، وأما الأشاعرة فلهم في المسألة قولان: فجمهورهم على أنه لا يقبل الزيادة والنقصان، وذهب بعضهم إلى أنه يقبلهما، والأشاعرة يعرفون الإيمان بأنه التصديق وحده، فلا يدخل فيه القول والعمل، فبحثهم هنا هو في التصديق هل يقبل الزيادة والنقصان أو لا؟

فالذين قالوا لا يزيد ولا ينقص فبناء على أن الإيمان هو التصديق اليقيني الغير قابل للتفاوت، فإن نقص فنقصه شك وكفر، ولشبه أخرى.

ومن قال منهم يزيد وينقص فللقطع بأن تصديق آحاد الأمة ليس كتصديق النبي ﷺ، واختاره النووي وعزاه التفتازاني في شرح العقائد لبعض المحققين وقال في المواقف إنه الحق(٤)

المسألة الخامسة: ثمرة الخلاف في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

٣٦٧»، أصول الدين للبغدادي «ص: ٢٥٢»، وأصول الدين للبزدوي «ص: ١٥٣»، والاقتصاد للغزالي «ص: ٢٠٨»، والمواقف للإيجي «ص: ٣٨٨»، والإنصاف للباقلاني «ص: ٨٦»، والإرشاد للجويني «ص: ٣٣٥» وغيرها.

(١) إتحاف السادة المتقين «٢/ ٢٥٦».

(٢) المسامرة «ص: ٣٦٧».

(٣) النبراس شرح العقائد «ص: ٤٠٢».

(٤) انظر شرح مسلم للنووي «١/ ١٤٢» وشرح العقائد النسفية للتفتازاني «ص: ١٢٦» والمواقف للأيجي «ص: ٣٨٨» وانظر إرشاد الساري للقسطلاني «١/ ١١٢» ضمن مجموع شروح البخاري.

فمســـائل الأسماء لها تناول معين لدى الفرق، ومســـائل الأحكام لها تناول معين لدى الفرق، وهذه مسائل يطول شرحها لكن لعل ما أشرنا إليه يُبين ما مدى صفاء عقيدة أهل الســـنة وأن والإيمان عندهم قولٌ واعتقادٌ وعمل يزيد وينقص، زيادته بالطاعات ونقصـــانه بالمعاصي.

وزيادة الإيمان ونقصـــانه أمر يراه الإنســـان من نفســـه، فقد يكون حاله اليوم من الإيمان أحســـن من حاله في الأمس، أو قد يكون حاله في الأمس أحســـن من حاله في هذا اليوم، فالإيمان فيه زيادة ونقص، فيزيد إلى ما شـــاء الله، وينقص أحياناً حتى يزول هذا الإيمان ولا يبقى منه شيء، ويُصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافرا.

والقول إن الإيمان يزيد وينقص في اعتقاد أهل الســـنة والجماعة، يترتب عليه أمور كثيرة في مسائل الأحكام، فهذه المسألة مرتبطة بمسألتين:

الأولى: حكم مرتكب الكبيرة.

فالقول بزيادة الإيمان ونقصانه له تعلق بمسألة حكم مرتكب الكبيرة، فأهل السنة لا يرون تكفير مرتكب الكبيرة دون الشـرك الأكبر، ويقولون إن صـاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسـق بمعصيته فلا يسلبون عنه اسم الإيمان بالكلية.

والمسألة الثانية: مسألة مراتب الدين.

أي ما يتعلق بدخول الإنســـان إلى هذا الدين متى ينتقل في مراتب الدين؛ لأن مراتب الدين ثلاثة: الإســـلام، الإيمان، الإحســـان، فهي عبارة عن ثلاث دوائر أول دائرة فيه هي الإســـلام، ثم هناك دائرة أضـــيق منها هي الإيمان، ويعني هذا الضـــيق أن من هو مؤمن هو مســـلم، ولكن ليس بالضـــرورة من كان مســـلماً أن يكون مؤمنا، ثم تأتي الدائرة الأضـــيق هي دائرة الإحسان؛ لأن الإحسان فحواه ومعناه أن تُتقن الظاهر والباطن.

فعندما أقول أحســـنت بمعنى أتقنت فالإحســـان إتقان الظاهر والباطن، فإذا أُتقن الظاهر والباطن فهذه مرتبة عليا، فكل مسـلم مؤمن مسـلم، ولكن ليس كل مؤمن محسـن، قد يكون محسن وقد لا يكون محسنا، فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

كما أنه مرتبط بتفاضـــل الناس في إيمانهم وتفاضـــل درجاتهم في الآخرة إلى غير ذلك من المسائل ذات الصلة.

وفيه مسائلتان:

المسألة الأولى: أقسام الذنوب.

المسألة الثانية: الفرق بين الصغائر والكبائر.

٦٨- أهل السُّنة لا يُكفِّرون أهل القبلة بمطلق المعاصي

[٦٨] - قال المصنف رحمه الله: وهُمْ مَعَ ذلك لا يُكَفِّرُونَ أهل القِبْلَةِ بمطلق المعاصي والكَبَائِرِ، كما يفعله الخَوَارِج. بل الأُخُوَّةُ الإيمانيَّةُ ثابتةٌ مع المعاصي، كما قال- سبحانه وتعالى- في آية القِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] ، وقال تَعَالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ «٩» إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩-١٠]

الشرح

المسألة الأولى: أقسام الذنوب. [١]

القول الأول: أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر وأدلته:

ذهب جمهور العلماء إلى تقسيم المعاصي إلى صغائر وكبائر، بل إن الصغائر والكبائر تتفاوت مراتبها في ذاتها، فهناك كبائر، وهناك أكبر الكبائر، وهناك صغيرة أدنى من صغيرة أخرى وهكذا بحسب تفاوت مفاسدها، قال ابن حجر -رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**»: "ثُمَّ إِنَّ مَرَاتِبَ كُلٍّ مِنَ الصَّغَائِرِ وَالْكَبَائِرِ مُخْتَلِفٌ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ مَفَاسِدِهَا"[٢]

وحكى الإمام ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» الإجماع على ذلك حيث قال: "والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنص القرآن والسنة وإجماع السلف وبالاعتبار"[٣]

وقال الإمام النووي-رحمه الله-«**ت: ٦٧٦ هـ**»: "... وذهب الجماهير من السلف،

(١) المصدر: إيقاظ الضمائر للتفريق بين الصغائر والكبائر، تأليف: علي ونيس.

(٢) فتح الباري «٥/ ٢٦٣»؛ لابن حجر.

(٣) مدارج السالكين «١/ ٣٤٢»، وانظر: الجواب الكافي «ص: ١٨٦».

والخلف من جميع الطوائف إلى انقســـام المعاصـــي إلى صـــغائر وكبائر، وهو مروي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، وقد تظاهر على ذلك دلائل من الكتاب والسنة واستعمال سلف الأمة وخلفها"[(١)]

أولًا: أدلة الكتاب.

١ - قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: الآية: ٣١]،

وجه الدلالة: تدل هذه الآية بمقتضى المقابلة أن من الذنوب صغائر وكبائر، وأن اجتناب الكبائر مكفر للصغائر التي سميت في الآية سيئات، ولا شك في أن تسميتها بذلك يعطيها وصف الذنب

وحقيقته، فتكفر السيئات المشروط باجتناب كبائر ما نُهُو عنه يقتضي أنها ليست من الكبائر، وقد سماها الله تعالى سيئات، فهي ذنوب وليست بكبائر قطعاً.

قال صاحب تهذيب الفروق عقب هذه الآية: "فيها صراحة في انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر"[(٢)]

وقد ورد هذا التفسير عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما ذكره السيوطي-رحمه الله- «**ت: ٩١١ هـ**» إذ يقول: "أخرج النسائي-رحمه الله-«**ت: ٣٠٣ هـ**»، وابن ماجه-رحمه الله-«**ت: ٢٧٣ هـ**»، وابن جرير-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**»، وابن خزيمة-رحمه الله-«**ت: ٣١١ هـ**»، وابن حبان-رحمه الله-«**ت: ٣٥٤ هـ**»، والحاكم-رحمه الله-«**ت: ٤٠٥ هـ**» وصححه، والبيهقي-رحمه الله-«**ت: ٤٥٨ هـ**» في سننه عن أبي هريرة «**ت: ٥٧ هـ**» وأبي سعيد «**ت: ٧٤ هـ**»-رضي الله عنهما-أن النبي -صلى الله عليه وسلم- جلس على المنبر ثم قال: «**والذي نفسي بيده ما من عبد يصلي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان،**

(١) شرح صحيح مسلم للنووي «٢/ ٨٥».

(٢) تهذيب الفروق «١/ ١٣٤»؛ لمحمد علي بن حسين المكي المالكي.

ويؤدي الزكاة، ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يوم القيامة حتى أنها لتصطفق» [(١)]، ثم تلا: ﴿إِن تجتنبوا كَبَائِرِ مَا تنهون عَنهُ﴾. [(٢)]

فهذا تفسير منه -صلى الله عليه وسلم- للآية الكريمة وتبيين للمراد منها من أن من الذنوب صغائر يكفرها الله تعالى باجتناب الكبائر وليس بعد تفسير رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تفسير، ولا بعد قوله قول لقائل".

وقال القرطبي-رحمه الله-«**ت: ٦٧١ هـ**»: "لما نهى تعالى في هذه السورة عن آثام هي كبائر وعد على اجتنابها التخفيف من الصغائر، دل هذا على أن في الذنوب كبائر وصغائر وعلى هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء"[(٣)]

وقال ابن كثير-رحمه الله-«**ت: ٧٧٤ هـ**»: "إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نُهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب، وأدخلناكم الجنة"[(٤)]

وقال الإمام الشوكاني-رحمه الله-«**ت: ١٢٥٠ هـ**» في الآية: "أي إن تجتبوا كبائر الذنوب التي نهاكم الله عنها نكفر عنكم سيئاتكم أي ذنوبكم التي هي صغائر، وحمل السيئات على الصغائر هنا متعين لذكر الكبائر قبلها وجعل اجتنابها شرطاً لتكفير السيئات"[(٥)]

٢-قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا

---

(١) . أي: تتحرك وتضطرب، كناية عن شدة التزاحم عليها. وصفق الْبَاب مصراعه وَهُوَ الْآن «الدرفة» يُقَال بَابه صفقٌ وَاحِد أَو صفقان مصراعان يضم أَحدهمَا إِلَى الآخر ليغلق. ينظر: المعجم الوسيط، مادة: صفق.

(٢) الدر المنثور «٢/ ٤٩٨»؛ للسيوطي، وقال الأعظمي في تحقيقه لصحيح ابن خزيمة في الحديث رقم: «٣١٥»: "إسناده ضعيف صهيب تفرد نعيم المجمر بالرواية عنه مقبول من الرابعة"، وضعفه الألباني في "صحيح ابن خزيمة" برقم: «١٧٤٨»، وصححه الحاكم في الحديث رقم «٧١٩»، «٢٩٤٣»، ووافقه الذهبي.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي «٥/ ١٥٨».

(٤) تفسير ابن كثير «٢/ ٢٧١».

(٥) فتح القدير «١/ ٤٥٧، ٤٥٨».

وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى «٣١» الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى «٣٢»﴾ [النجم: ٣١ - ٣٢].

وجه الدلالة: تدل هذه الآية بمقتضى بيان قوله: ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ في الآية قبلها على أن المحسنين بأعمالهم من المكلفين هم ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ فاستثناء اللمم من كبائر الإثم والفواحش يدل بمقتضى قاعدة الاستثناء -وهي أنه يخرج من سابقه ما لولاه لدخل فيه- على أن اللمم ليس من كبائر الإثم والفواحش، فهو من الصغائر، وقد جاء تفسيره بذلك عن ابن عباس فيما رواه البخاري.

وقد نبه الله تعالى في هذه الآية الكريمة بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ على أن إخراج اللمم واستثناءه من حكم المؤاخذة ليس لخلوه من الذنب في نفسه، بل لسعة المغفرة الربانية وفي عطف الفواحش هنا على كبائر الإثم ما في نظيره في آية الشورى.

على أن العلماء اختلفوا في المقصود باللمم على قولين مشهورين، قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "فأما اللمم فقد روي عن جماعة من السلف: أنه الإلمام بالذنب مرة، ثم لا يعود إليه، وإن كان كبيرًا: قال البغوي -رحمه الله- «**ت: ٣١٧ هـ**» [(١)]: هذا قول أبي هريرة -رضي الله عنه- «**ت: ٥٧ هـ**»، ومجاهد -رحمه الله- «**ت: ١٠٤ هـ**»، والحسن -رحمه الله- «**ت: ١١٠ هـ**»، ورواية عطاء -رحمه الله- «**ت: ١١٤ هـ**» عن ابن عباس -رضي الله عنهما- «**ت: ٦٨ هـ**». والجمهور على أن اللمم ما دون الكبائر، وهو أصح الروايتين عن ابن عباس -رضي الله عنهما- «**ت: ٦٨ هـ**»، كما في «**صحيح البخاري**». [(٢)]، من حديث طاووس -رحمه الله- «**ت: ١٠٦ هـ**» عنه قال: ما رأيت أشبه باللمم مما قاله أبو هريرة -رضي الله عنه- «**ت: ٥٧ هـ**» عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله كتب على ابن آدم حظه**

---

(١) تفسير البغوي «٤/ ٣١١».

(٢) رواه البخاري «٦٢٤٣».

من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه» "إلى أن قال رحمه الله: "والصحيح: قول الجمهور: أن اللمم صغائر الذنوب، كالنظرة، والغمزة، والقبلة، ونحو ذلك. هذا قول جمهور الصحابة ومن بعدهم، وهو قول أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت: ٥٧ هـ**»، وعبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-«**ت: ٣٢ هـ**»، وابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**»، ومسروق-رحمه الله-«**ت: ٦٢ أو ٦٣ هـ**»، والشعبي-رحمه الله-«**ت: ١٠٣ هـ**»، ولا ينافي هذا قول أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت: ٥٧ هـ**»، وابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**» في الرواية الأخرى: «**إنه يلم بالكبيرة ثم لا يعود إليها**» فإن «**اللمم**» إما أنه يتناول هذا وهذا ويكون على وجهين، كما قال الكلبي، أو أن أبا هريرة وابن عباس ألحقا من ارتكب الكبيرة مرة واحدة-ولم يصر عليها، بل حصلت منه فلتة في عمره-باللمم، ورأيا أنها إنما تتغلظ وتكبر وتعظم في حق من تكررت منه مراراً عديدة، وهذا من فقه الصحابة - رضي الله عنهم - وغور [(١)] علومهم، ولا ريب أن الله يسامح عبده المرة والمرتين والثلاث، وإنما يخاف العنت على من اتخذ الذنوب عادته، وتكرر منه مراراً عديدة "[(٢)]

٣ ـــ قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: الآية: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [القمر: الآية: ٥٣]. [(٣)]

٤ ـ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: الآية: ٧].

وجه الدلالة: "جَعَلَ الْفُسُوقَ وَهُوَ الْكَبَائِرُ تَلِي رُتْبَةَ الْكُفْرِ، وَجَعَلَ

---

(١) أي: عمق علمهم، فغور كل شيء: قعره. يقال: فلانٌ بعيد الغَوْرِ. ينظر "الصحاح" للجوهري مادة: غور. وهو كناية عن الفهم الذي يبعد عن أكثر الناس، ولا يصل إليه إلا من اجتهد فصار بينه وبين غيره من الكسالى بون شاسع في العلم، فكأن ما علمه المجتهد في العلم في عمق لا يمكن الوصول إليه بسهولة كالماء في قعر البئر العميق.

(٢) مدارج السالكين «١/ ٣٤٣-٣٤٥»، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير «٤/ ٢٥٥، ٢٥٦».

(٣) ذكر ابن تيمية في مجموع الفتاوى «١١/ ٦٥٩» هذه الآية والتي قبلها مستدلًا بهما على هذا التقسيم للذنوب.

الصَّغَائِرَ «**العصيان**» تَلِي رُتْبَةَ الْكَبِيرَةِ"[١]

قال الرازي-رحمه الله-«**ت: ٦٠٦ هـ**»: "وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْمَنْهِيَّاتِ أَقْسَامٌ ثَلَاثَةٌ: أَوَّلُهَا: الْكُفْرُ، وَثَانِيهَا: الْفُسُوقُ. وَثَالِثُهَا: الْعِصْيَانُ، فَلَا بُدَّ مِنْ فَرْقٍ بَيْنَ الْفُسُوقِ وَبَيْنَ الْعِصْيَانِ لِيَصِحَّ العطف، وما ذلك إِلَّا لِمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ الصَّغَائِرِ وَبَيْنَ الْكَبَائِرِ، فَالْكَبَائِرُ هِيَ الْفُسُوقُ، وَالصَّغَائِرُ هِيَ الْعِصْيَانُ"[٢]

ثانيا: الأدلة من السنة.

١ ـــــ ما جاء عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أن بعض أعمال البر والصلاة تكفر الذنوب ما اجتنبت الكبائر، ومنها قوله-صلى الله عليه وسلم-: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»[٣].

قال النووي-رحمه الله-«**ت: ٦٧٦ هـ**»: "وتنقسم -أي المعاصي- باعتبار ذلك إلى ما تكفره الصلوات الخمس، أو صوم رمضان، أو الحج، أو العمرة، أو الوضوء، أو صوم عرفة، أو صوم عاشوراء، أو فعل الحسنة، أو غير ذلك مما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وإلى ما لا يكفره ذلك كما ثبت في الصحيح ما لم يغش كبيرة فسمى الشرع ما تكفره الصلاة ونحوها صغائر ومالا تكفره كبائر"[٤]

ومما جاء عن النبي-صلى الله عليه وسلم-في معنى هذا الحديث قوله-صلى الله عليه وسلم-: «**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله**»[٥].

---

[١] البحر المحيط «٦/ ١٥٢، ١٥٣»؛ للزركشي.

[٢] مفاتيح الغيب للفخر الرازي «١٠/ ٦٠».

[٣] رواه مسلم برقم «٢٣٣». من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-.

[٤] شرح صحيح مسلم للنووي «٢/ ٨٥».

[٥] رواه مسلم «٢٢٨». من حديث عثمان-رضي الله عنه-.

وعن أبي هريرة –رضـــي الله عنه– «**ت: ٥٧ هـ**»، قال: قال رســـول الله –صـــلى الله عليه وسـلم–: «**الصـلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضـان إلى رمضـان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر**». [(١)].

٢ ـــــــ الأحاديث التي خص فيها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكبائر وأكبر الكبائر بالذكر. [(٢)] ومنها: قوله –صلى الله عليه وسلم–: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر** ...».

وعن أنس بن مالك –رضـــي الله عنه– «**ت: قيل ٩٠ أو ٩١ أو ٩٣ هـ**»، قال: "ذكر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الكبائر –أو سئل عن الكبائر– فقال: «**الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين**»، فقال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**»، قال: «**قول الزور –أو قال: شهادة الزور**»، قال شعبة –رحمه الله– «**ت: ١٦٠ هـ**»: وأكثر ظني أنه قال: «**شهادة الزور**». [(٣)]

وعن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما– «**ت: ٦٥ هـ**»، قال قال رسول الله –صلى الله عليه وســلم–: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل: يا رســول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه**». [(٤)]

وغير ذلك من الأحاديث.

قال ابن حجر الهيتمي –رحمه الله– «**ت: ٩٧٤ هـ**» بعد سرد مجموعة من هذه الأحاديث: "فخص الكبائر ببعض الذنوب، ولو كانت الذنوب كلها كبائر لم يسغ ذلك"[(٥)]

٣ ــ أن بعض الأحاديث ذكر فيها عدد من الذنوب سماها النبي –صلى الله عليه وسلم–

---

(١) رواه مسلم: «٢٣٣».

(٢) إرشاد الفحول «١/ ١٤٥»؛ للشوكاني.

(٣) صحيح البخاري «٥٩٧٧».

(٤) صحيح البخاري «٥٩٧٣».

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر «ص: ٥».

كبائر جوابًا عن سؤال سائل من أصحابه الكرام-رضي الله عنهم-.

ومنها ما رواه البخاري ومسلم -واللفظ للبخاري- عن أنس بن مالك-رضي الله عنه- «**ت: قيل ٩٠ أو ٩١ أو ٩٣ هـ**»، قال: "سئل النبي-صلى الله عليه وسلم-عن الكبائر فقال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس وشهادة الزور**».

ثالثًا: ما ورد في الآثار.

ورد عن الصحابة والتابعين آثار كثيرة تفوق الحصر، ومن أمثلة ما ورد عنهم في ذلك:

عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-«**ت: قيل ٩٠ أو ٩١ أو ٩٣ هـ**»: "لم أر مثل الّذي بلغنا عن ربّنا لم نخرج له، عن كلّ أهلٍ ومالٍ أن تجاوز لنا عمّا دون الكبائر فما لنا ولها، قول الله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾"[١]

وعن علي-رضي الله عنه-«**ت: ٤٠ هـ**»، قال: "الكبائر الإشراك بالله، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة، والسحر، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، وفراق الجماعة، ونكث الصفقة"

وعن ابن مسعود-رضي الله عنه-«**ت: ٣٢ هـ**»، قال: "الكبائر الإشراك بالله، والقنوط من رحمة الله، والإياس من روح الله، والأمن من مكر الله"[٢]

وعن ابن مسعود-رضي الله عنه-«**ت: ٣٢ هـ**»، قال: "أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله"[٣]

عن عبد الله بن طاوس-رحمه الله-«**ت: ١٣٢ هـ**» عن أبيه-رحمه الله-«**ت: ١٠٦ هـ**»، قال: قيل لابن عباس الكبائر سبع قال: "هي إلى السبعين أقرب"[٤].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة «١٩/ ٢٣٦». كشف الأستار عن زوائد البزار: «٣/ ٤٤».

(٢) تفسير الطبري «تفسير سورة النساء: الآية: ٣١».

(٣) تفسير عبد الرزاق: «١/ ١٥٥».

(٤) تفسير عبد الرزاق: «١/ ١٥٥».

عَبْدُ اللهِ بنُ وَهْبٍ المِصْرِيُّ-رحمه الله-«ت: ١٩٧ هـ»: "وقال عبد الله بن عياش-رحمه الله-«ت: ١٧٠ هـ»: وقال زيد بن أسلم-رحمه الله-«ت: ١٣٦ هـ»، في قول الله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾، فمن الكبائر: الشرك، والكفر بآيات الله ورسله، والسحر، وقتل الأولاد، ومن دعا لله ولدا أو صاحبة، ومثل ذلك من الأعمال، والقول الذي لا يصلح معه عملٌ"[(١)]

عن الحسن-رحمه الله-«ت: ١١٠ هـ» في قوله تعالى ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾: "الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وأكل الربا وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم واليمين الفاجرة والفرار من الزحف"[(٢)]

والذنوب تتفاوت مفاسدها، وإذا تفاوتت مفاسدها تفاوتت مراتبها؛ فيكون منها صغائر وكبائر، قال الطوفي: "وَإِنَّمَا انْقَسَمَتِ الْأَفْعَالُ إِلَى صَغَائِرَ وَكَبَائِرَ بِاعْتِبَارِ اشْتِمَالِهَا عَلَى مَفَاسِدَ صَغَائِرَ وَكَبَائِرَ"[(٣)]

القول الثاني: إنكار تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

أولًا: القائلين به:

ذهب بعض الأشاعرة إلى إنكار تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر، وقالوا: إن سائر المعاصي كبائر، ومنهم أبو إسحاق الإسفرائيني-رحمه الله-«ت: ٤١٨ هـ»، والباقلاني-رحمه الله-«ت: ٤٠٣ هـ»، وإمام الحرمين-رحمه الله-«ت: ٤١٩ هـ»، وأبي نصر عبد الرحيم القشيري-رحمه الله-«ت: ٥١٤ هـ»، والتقي السبكي-رحمه الله-«ت: ٧٥٦ هـ»، بل حكاه ابن فورك-رحمه الله-«ت: ٤٠٦ هـ» عن الأشاعرة واختاره في «**تفسيره**»[(٤)]، ونسبه

---

(١) الجامع في علوم القرآن: «١/ ٥٨».

(٢) تفسير عبد الرزاق: «١/ ١٥٤».

(٣) شرح مختصر الروضة، للطوفي «٣/ ٤٧٦»؛.

(٤) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر «ص: ٥».

ابن بطال-رحمه الله-«**ت**: **٤٤٩ هـ**» إلى الأشعرية، وحكاه القاضي عياض-رحمه الله-«**ت**: **٥٤٤ هـ**» عن المحققين [١] ونسب هذا القول إلى الخوارج القاضي عبد الجبار «**ت**: **٤١٥ هـ**» [٢].

قال ابن حجر-رحمه الله-«**ت**: **٨٥٢ هـ**»: "ذهب الجمهور إلى أن من الذنوب كبائر ومنها صغائر، وشذت طائفة منهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني-رحمه الله-«**ت**: **٤١٨ هـ**» فقال ليس في الذنوب صغيرة، بل على ما نهى الله عنه كبيرة.

ونقل ذلك عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت**: **٦٨ هـ**»، وحكاه القاضي عياض-رحمه الله-«**ت**: **٥٤٤ هـ**»، عن المحققين واحتجوا بأن كل مخالفة لله فهي بالنسبة إلى جلاله كبيرة. ونسبه ابن بطال-رحمه الله-«**ت**: **٤٤٩ هـ**» إلى الأشعرية فقال: انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر هو قول عامة الفقهاء وخالفهم من الأشعرية أبو بكر بن الطيب-رحمه الله-«**ت**: **٤٠٣ هـ**» وأصحابه فقالوا: المعاصي كلها كبائر وإنما يقال لبعضها صغيرة، بالإضافة إلى ما هو أكبر منها كما يقال القلة المحرمة صغيرة بإضافتها إلى الزنا وكلها كبائر. قالوا: ولا ذنب عندنا يغفر واجبا باجتناب ذنب آخر، بل كل ذلك كبيرة. ومرتكبه في المشيئة غير الكفر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨]، وأجابوا عن الأية التي احتج أهل القول الأول بها-وهي قوله تعالى ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: الآية: ٣١]، أن المراد الشرك، ثم قال: وقالوا وجواز العقاب على الصغيرة كجوازه على الكبيرة. قال النووي وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة إلى القول الأول، وقال الغزالي-رحمه الله-«**ت**: **٥٠٥ هـ**» في البسيط" إنكار الفرق بين الصغيرة والكبيرة لا يليق بالفقيه. ثم قال ابن حجر-رحمه الله-«**ت**: **٨٥٢ هـ**»: قد حقق إمام الحرمين-رحمه الله-«**ت**: **٤١٩ هـ**» المنقول عن الأشاعرة واختاره وبين أنه لا يخالف ما قاله

---

(١) انظر: فتح الباري «١٠/ ٤٠٩»، وشرح صحيح مسلم للنووي «٢/ ٨٥».

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة «ص: ٦٣٢».

الجمهور فقال في "الإرشاد": المرتضى عندنا أن كل ذنب يعصى الله به كبيرة، فرب شيء يعد صغيرة بالإضافة إلى الأقران، ولو كان في حق الملك لكان كبيرة والرب أعظم من عصي، فكل ذنب بالإضافة إلى مخالفته عظيم، ولكن الذنوب وإن عظمت فهي متفاوتة في رتبها، وظن بعض الناس أن الخلاف لفظي فقال: التحقيق أن للكبيرة اعتبارين: فبالنسبة إلى مقايسة بعضها لبعض فهي تختلف قطعًا، وبالنسبة إلى الأمر الناهي فكلها كبائر. والتحقيق أن الخلاف معنوي"(١)

أدلة هذا الرأي

ممن بين أدلة أصحاب هذا القول بأخصر ما يمكن وأوفاه ابن بطال-رحمه الله-«**ت: ٤٤٩ هـ**» حيث قال: "انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر هو قول عامة الفقهاء، وخالفهم من الأشعرية أبو بكر بن الطيب وأصحابه فقالوا: المعاصي كلها كبائر، وإنما يقال لبعضها صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها، كما يقال القبلة المحرمة صغيرة بإضافتها إلى الزنا وكلها كبائر."

قالوا: ولا ذنب عندنا يغفر واجباً باجتناب ذنب آخر بل كل ذلك كبيرة، ومرتكبه في المشيئة، غير الكفر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨] وأجابوا عن الآية التي احتج أهل القول الأول بها وهي قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النساء: الآية: ٣١]، أن المراد الشرك وقد قال الفراء: من قرأ كبائر فالمراد بها كبير، وكبير الإثم هو الشرك، وقد يأتي لفظ الجمع والمراد به الواحد كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: الآية: ١٠٥]، ولم يرسل إليهم غير نوح، قالوا: وجواز العقاب على الصغيرة لجوازه على الكبيرة. (٢) واستدلوا أيضاً بقول ابن عباس: "كل ما نهى الله عنه

---

(١) فتح الباري لابن حجر «١٠/ ٤٠٩، ٤١٠».

(٢) نقلاً عن فتح الباري «١٠/ ٤٠٩»، وانظر: تفسير القرطبي «٥/ ١٥٩».

كبيرة"[١]

وقد نظر أصحاب هذا القول إلى جلال الله وعظمته سبحانه فمنعهم ذلك من تسمية أي معصية لله تعالى باسم "صغيرة" فهي كلها بالنسبة إلى عظم المخالف كبيرة من الكبائر، وإن اتفقوا على أن منها ما يوجب العقوبة والذم أكثر من غيره، فالخلاف لفظي في جواز التسمية لا في المعنى، والجمهور على إطلاق الصغيرة والكبيرة اصطلاحياً كما سبق أن نقلنا عن العلماء.

يقول القرافي صاحب "تهذيب الفروق"–رحمه الله–«**ت: ٦٨٤ هـ**»: "اختلفوا أولاً في أن إطلاق لفظ صغيرة على معصية الله تعالى هل يمنع إجلالا له وتعظيماً لحدوده إلا في محل تبيين تفاوت الذم والعقاب إن نفذ الوعيد، أو يجوز مطلقا"[٢]

وقال الزركشي–رحمه الله–«**ت: ٧٩٤ هـ**»: "وَلَعَلَّ أَصْحَابَ هَذَا الْوَجْهِ كَرِهُوا تَسْمِيَةَ مَعْصِيَةِ اللَّهِ صَغِيرَةً؛ إجْلَالًا لِلَّهِ وَتَعْظِيمًا لِأَمْرِهِ، مَعَ أَنَّهُمْ وَافَقُوا فِي الْجَرْحِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ بِمُطْلَقِ الْمَعْصِيَةِ"[٣]

وحجتهم في هذا ما روي عن ابن عباس–رضي الله عنهما–«**ت: ٦٨ هـ**»، من أن جميع المعاصي كبائر بالنسبة إلى أنها معصية لله لوجهين: أَحَدُهُمَا: كَثْرَةُ نِعَمِ مَنْ عَصَى. وَالثَّانِي: إِجْلَالُ مَنْ عَصَى، فَإِنِ اعْتَبَرْنَا الْأَوَّلَ فَنِعَمُ اللَّهِ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوها﴾ [النحل: الآية: ١٨] وَإِنِ اعْتَبَرْنَا الثَّانِي فَهُوَ أَجَلُّ الْمَوْجُودَاتِ وَأَعْظَمُهَا، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ عِصْيَانُهُ فِي غَايَةِ الْكِبَرِ، فَثَبَتَ أَنَّ كُلَّ ذَنْبٍ فَهُوَ كَبِيرَةٌ. [٤]

---

(١) رواه الطبري في تفسيره «٨/ ٢١٤»، والبيهقي في شعب الإيمان» «١/ ٢٧٣»، قال ابن حجر في فتح الباري «١٠/ ٤١٠» أخرجه إسماعيل القاضي والطبري بسند صحيح على شرط الشيخين إلى ابن عباس.

(٢) تهذيب الفروق هامش "الفروق" للقرافي «١/ ١٣٤».

(٣) البحر المحيط للزركشي «٦/ ١٥٢–١٥٣»؛.

(٤) تفسير النيسابوري «٢/ ٤٠٣–٤٠٤»؛ للحسن بن محمد النيسابوري. وينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي «١٠/ ٦٠».

جواب الجمهور على هذه الاستدلالات.

١ – من قال: إنها سميت كبائر بالنسبة لما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة يقتضي أن الذنوب في نفسها لا تنقسم إلى صغائر وكبائر، وهذا فاسد، لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر. [(١)] وقد دلت النصوص الصريحة على التقسيم السابق.

وعورض ما روي عن ابن عباس–رضي الله عنهما–«**ت: ٦٨ هـ**»، في ذلك: بأنه ـ سبحانه وتعالى ـ أرحم الراحمين وأغنى الأغنياء عن طاعات المطيعين، وكل ذلك يوجب خفة الذنب وإن سلم أن الذنوب كلها كبائر من حيث إنها ذنوب، ولكن بعضها أكبر من بعض وذلك يوجب التفاوت. [(٢)]

٢ – أما قولهم: لا ذنب عندنا يغفر واجباً باجتناب ذنب آخر، بل كل ذلك كبير، غير الشرك، وتأويلهم قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النساء: الآية: ٣١] أن المراد الشرك لقراءة «**كبير**» فيقال لهم: وماذا عن قوله–صلى الله عليه وسلم-: «**ما اجتنبت الكبائر**»، [(٣)] «**ما لم تغش الكبائر**». [(٤)]

وماذا يجاب عن النصوص الصريحة في التفريق بين الصغائر والكبائر مثل قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: الآية: ٤٩].

٣ – أما استدلالهم بقول ابن عباس–رضي الله عنهما–«**ت: ٦٨ هـ**»: "كل ما نهى الله

---

(١) شرح الطحاوية «ص: ٤١٩»، وانظر: مجموع الفتاوى «١١/ ٦٥٧»، مفاتيح الغيب للفخر الرازي «١٠/ ٦٠».

(٢) تفسير النيسابوري «٢/ ٤٠٣–٤٠٤»؛ للحسن بن محمد النيسابوري. وينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي «١٠/ ٦٠».

(٣) رواه مسلم «٢٣٣».

(٤) رواه مسلم «٢٣٣»، من حديث أبي هريرة–رضي الله عنه–.

عنه كبيرة"، فيجاب عنه بأنه قد ورد أيضًا عن ابن عباس -رضي الله عنهما- «**ت**: **٦٨ هـ**» أنه قال: "كل ما توعد الله عليه بالنار كبيرة" [١]، فالأولى أن يكون المراد بقوله: "نهى الله عنه" محمولاً على نهي خاص وهو الذي قرن به وعيد، فيحمل مطلق كلامه ـ رضي الله عنه ـ على مقيده جمعاً بين قوليه. [٢]

وقال البيهقي -رحمه الله- «**ت**: **٤٥٨ هـ**» في تعليقه على رواية ابن عباس -رضي الله عنهما- «**ت**: **٦٨ هـ**»: "كل ما نهى الله عنه كبيرة": "فيحتمل أن يكون هذا في تعظيم حرمات الله والترهيب عن ارتكابها، فأما الفرق بين الصغائر والكبائر فلابد منه في أحكام الدنيا والآخرة"[٣]

وطعن القرطبي في الرواية من جهة المتن. فقال: "ما أظنه يصح عن ابن عباس -رضي الله عنهما- «**ت**: **٦٨ هـ**»: "أن كل ما نهى الله عز وجل عنه كبيرة"؛ لأنه مخالف لظاهر القرآن في الفرق بين الصغائر والكبائر" ثم ذكر الآيات الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر، إلى أن قال: "فكيف يخفى ذلك على حبر القرآن؟"[٤]

الراجح:

وبعد ذكر هذا الخلاف المشهور في تقسيم الذنوب والمعاصي، وذكر أدلة كل من الفريقين تبين لنا أن تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر هو الموافق لأدلة الكتاب والسنة، التي ذكرنا طرفا منها آنفا، كما أنه الأوفق لقواعد الشريعة وأصولها العقدية والفقهية العامة التي دلتنا على تفاوت أهل الجنة في الدرجات، وأهل النار في الدركات، كما أن المعاصي التي في حق الله وحق العباد عقوباتها الدنيوية متفاوته في شدتها وخفتها وانعدامها أحيانا، إذ ليس كل ذنب

---

(١) ذكر هذا الأثر ابن حجر في فتح الباري «١٠/ ٤١٠» وقال: وأخرج -ابن أبي حاتم- من وجه آخر متصل لا بأس برجاله.

(٢) انظر: فتح الباري «١٠/ ٤١٠».

(٣) شعب الإيمان «٢/ ٩٤».

(٤) ينظر: فتح الباري «١٠/ ٤١٠».

يترتب عليه حد أو تعزير، وليس كل ذنب يترتب عليه حد يساويه الذنب الآخر الذي يترتب عليه حد أيضا، فحد الزنى والسرقة وشرب الخمر والقذف وغيرها تختلف في قدرها ونوعها.

وهذا كله يدل على التفريق بين الذنوب من حيث كونها كبائر وصغائر، هذا فضلا عن النصوص المصرحة بسرد بعض الكبائر بأسمائها مما يدل على هذا التفريق، وقد مضى ذكر هذه النصوص.

فلا يمكننا العدول عن هذه النصوص الصريحة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأقوال السلف في التفرقة بين الذنوب بجعل بعضها صغائر وبعضها كبائر وتأويلها بالتعسف إلى ما يفيد أنه لا صغيرة من الذنوب؛ إذ الأخذ بصريح الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الصحيحة وآثار جمهور الصحابة والتابعين الدالة على انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر خير من تأويلها بما ينبو عنه ظاهرها وأسلم من ثنيها عن دلالتها.[١]

بل اعتبر ابن حجر–رحمه الله–«**ت: ٨٥٢ هـ**» القول الذي لم يفرق بين الصغائر والكبائر شاذًا حيث قال: "وقد اختلف السلف، فذهب الجمهور إلى أن من الذنوب كبائر وصغائر، وشذت طائفة منهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني–رحمه الله–«**ت: ٤١٨ هـ**» فقال: ليس في الذنوب صغيرة، بل كل ما نهى الله عنه كبيرة"[٢].

قال البيهقي: "فأما الفرق بين الصغائر والكبائر فلابد منه في أحكام الدنيا والآخرة على ما جاء به الكتاب والسنة"[٣]

وقال الإمام الغزالي–رحمه الله–«**ت: ٥٠٥ هـ**»: "إنكار الفرق بين الصغيرة والكبيرة لا

---

(١) "آيات عتاب المصطفى–صلى الله عليه وسلم–في ضوء العصمة والاجتهاد" «ص: ٦٢»؛ تأليف: د. عويد بن عيَّاد بن عايد المطرَفي.

(٢) فتح الباري «١/ ٤٠٩».

(٣) شعب الإيمان للبيهقي «١/ ٤٦٤».

يليق بالفقيه"[١]

ـ خطر القول بأن جميع الذنوب كبائر:

مهما بلغ المرء منا من التقى والذل لله تعالى والخشـــوع له والانقطاع لعبادته تعالى، فلن يســـتطع التنزه من لم الذنوب، وهناها فلو أجزنا القول بأن جميع معاصـــي الله تعالى كبائر لحكمنا على جميع المؤمنين باقتراف الكبائر، واســتباحة حمى الله تعالى، وانتهاك محارمه فضــلاً عن تركنا صريح النصوص سيراً مع تأويلات لا يعضدها دليل. [٢]

القول الثالث: أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر وفواحش.

ذَهَبَ الْحَلِيمي-رحمه الله-«**ت: ٤٠٣ هـ**» من الشــافعية إلى أنَّ الْمَعَاصِــي تَنْقَسِــمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

صَغِيرَةٌ، وَكَبِيرَةٌ، وَفَاحِشَةٌ؛ فَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ كَبِيرَةٌ، فَإِنْ قَتَلَ ذَا رَحِمٍ لَهُ فَفَاحِشَةٌ، فَأَمَّا الْخَدْشَةُ وَالضَّرْبَةُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ فَصَغِيرَةٌ وَجَعَلَ سَائِرَ الذُّنُوبِ هَكَذَا. [٣]

ويرى الحليمي أيضا أن الصغيرة قد تنقلب كبيرة أو فاحشة بحسب ما يقترن بها من حال، قال ابن حجر-رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**»: "وَقَالَ الْحَلِيمِيُّ-رحمه الله-«**ت: ٤٠٣ هـ**» فِي الْمِنْهَاجِ: مَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَفِيهِ صَــغِيرَةٌ وَكَبِيرَةٌ وَقَدْ تَنْقَلِبُ الصَّــغِيرَةُ كَبِيرَةً بِقَرِينَةٍ تُضَــمُّ إِلَيْهَا وَتَنْقَلِبُ الْكَبِيرَةُ فَاحِشَــةً كَذَلِكَ إِلَّا الْكُفْرَ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ أَفْحَشُ الْكَبَائِرِ، وَلَيْسَ مِنْ نَوْعِهِ صَـغِيرَةٌ، قُلْتُ: وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ يَنْقَسِمُ إِلَى فَاحِشٍ وَأَفْحَشَ"[٤]

ثُمَّ ذَكَرَ الْحَلِيمِيُّ أَمْثِلَةً لِمَا قَالَ: فَالثَّانِي كَقَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَإِنَّهُ كَبِيرَةٌ فَإِنْ قَتَلَ أَصْلًا أَوْ فَرْعًا أَوْ ذَا رَحِمٍ أَوْ بِالْحَرَمِ أَوْ بِالشَّـهْرِ الْحَرَامِ فَهُوَ فَاحِشَـةٌ، وَالزِّنَا كَبِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ بِحَلِيلَةِ الْجَارِ أَوْ

---

(١) شرح مسلم للنووي «٢/ ٨٥»؛ وفتح الباري «١٠/ ٤٠٩»؛ عن كتاب البسيط للغزالي.

(٢) آيات عتاب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في ضوء العصمة والاجتهاد، «ص: ٦٣».

(٣) إرشاد الفحول" للشوكاني «١/ ١٤٥».

(٤) فتح الباري لابن حجر «٢/ ١٨٤».

بِذَاتِ رَحِمٍ أَوْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَوْ فِي الْحَرَمِ فَهُوَ فَاحِشَةٌ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ كَبِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ نَهَارًا أَوْ فِي الْحَرَمِ أَوْ جَاهَرَ بِهِ فَهُوَ فَاحِشَةٌ، وَالْأَوَّلُ كَالْمُفَاخَذَةِ مَعَ الْأَجْنَبِيَّةِ صَغِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ مَعَ امْرَأَةِ الْأَبِ أَوْ حَلِيلَةِ الِابْنِ أَوْ ذَاتِ رَحِمٍ فَكَبِيرَةٌ، وَسَرِقَةُ مَا دُونَ النِّصَابِ صَغِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ الْمَسْرُوقُ مِنْهُ لَا يَمْلِكُ غَيْرَهُ وَأَفْضَى بِهِ عَدَمُهُ إلَى الضَّعْفِ فَهُوَ كَبِيرَةٌ.

وَأَطَالَ فِي أَمْثِلَةِ ذَلِكَ وَفِي الْكَثِيرِ مِنْهُ مَا يُتَعَقَّبُ لَكِنَّ هَذَا عُنْوَانُهُ وَهُوَ مَنْهَجٌ حَسَنٌ لَا بَأْسَ بِاعْتِبَارِهِ وَمَدَارُهُ عَلَى شِدَّةِ الْمَفْسَدَةِ وَخِفَّتِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ ".

وهذا الذي نقله ابن حجر عن الحليمي يوافق النصوص والقواعد والأصول؛ وذلك أن الذنوب الكبيرة تتفاوت في كبرها، كما أن الصغيرة تتفاوت فيما بينها، وقد ذكرنا النصوص التي تدل على وجود كبائر وأكبر الكبائر، وغير ذلك.

المسألة الثانية: الفرق بين الصغائر والكبائر.

أولًا: تعريف الصغائر

الذّنوب هي ترك ما أمر الله -تعالى- به من أوامر، وفعل ما حذّر منه -سبحانه- ممّا جاء الأمر بفعله أو النّهي عن تركه في الأحكام الشرعيّة، سواءً كان قولاً أو فعلاً، ظاهراً كان أو باطناً. (١)

وتُقسَم الذّنوب في الإسلام إلى قسمين؛ صغائر وكبائر، ولكلٍّ منهما مفهوم خاصّ كالآتي:

أ-التعريف اللغوي:

الصغيرة لغة: جمع صغيرة، من صغر الشيء فهو صغير وجمعه صغار، والصغيرة صفة وجمعها صغار أيضا، ولا تجمع على صغائر إلا في الذنوب والآثام. (٢).

ب-التعريف الشرعي:

(١) مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع لمحمد زينو، «٢/ ٢٦٣»، بتصرّف.

(٢) لسان العرب، المصباح المنير، المعجم الوسيط مادة «صغر».

اختلفت عبارات العلماء في تعريف الصـــغيرة وإن اتفق الأكثر على مضـــمونها، فقال بعضـهم: الصـغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة. [(١)]. بمقابلة تعريف البعض للكبيرة.

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "أقل الأقوال [(٢)]، في هذه المســـألة القول المأثور عن ابن عباس-رضـــي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**»، وذكره أبو عبيد-رحمه الله-«**ت: ٢٢٤ هـ**»، وأحمد بن حنبل-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»، وغيرهما وهو: أن الصـغيرة ما دون الحدين حد الدنيا وحد الآخرة، وهو معنى قول من قال: ما ليس فيها حد في الدنيا وهو معنى قول القائل: كل ذنب ختم بلعنة أو غضب أو نار فهو من الكبائر، ومعنى قول القائل: وليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة"[(٣)]

وقال ابن النجار-رحمه الله-«**ت: ٦٤٣ هـ**»: "والصـــغائر هي: كل قول أو فعل محرم لا حد فيه في الدنيا ولا وعيد في الآخرة"[(٤)]

صـــغائِرِ الذّنوب: كلّ ذنب عدا الكبائر؛ بمعنى أنّه لم يقترن بوعيد شـــديد، أو عذاب، أو دخول النار، وتُعرَّف صغائر الذنوب أيضاً بأنّها ما دون الحدّين: حدّ الدنيا، وحدّ الآخرة.

ثانيًا: تعريف الكبيرة

أ-التعريف اللغوي:

الكبائر: جمع كبيرة، والكبيرة في اللغة تعني: الشـــيء العظيم، وتقول: أَكْبَرْت الشـــيءَ أي

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٥٢٦».

(٢) هذه المسألة تسمى عند العلماء بمسألة "أقل ما قيل" ويذكرها العلماء غالبا في كتاب الإجماع؛ لأن موضع استعمالها هو إثبات أن أقل ما قيل يعتبر إجماعا، وأحيانا تدرج في باب الأدلة المختلف فيها؛ لأنها من مسائل الإجماع المختلف فيها، وهذا صنيع كثير من المصنفين. ينظر: "البحر المحيط" «٨/ ٢٦، وما بعدها»؛ للزركشي، "المهذب في أصول الفقه" «٢/ ٩٤١، وما بعدها»؛ للدكتور/ عبد الكريم النملة.

(٣) مجموع الفتاوى «١١/ ٦٥٠».

(٤) شرح الكوكب المنير «٢/ ٣٨٨».

استعظمته، والتكبير: التعظيم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ [يوسف: الآية: ٣١]، أي: أعظمنه، على قول أكثر المفسرين.[١]

قال الفيروزآبادي-رحمه الله-«**ت: ٨١٧ هـ**»: "الكبيرة في اللغة: مفرد كبيرات وكبائر، مؤنث الكبير، وهو: الإثم الكبير"[٢].

قال ابن منظور-رحمه الله-«**ت: ٧١١ هـ**»: "الكبيرة هي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا لعظيم أمرها كالقتل والزنا والفرار من الزحف"[٣].

فالمقصود بالكبائر إذًا: الذنوب العظام.

المسألة الثالثة: هل للكبائر عدد يحصرها أم لا.

وقد اتفق جمهور الناس على انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر، ثم اختلفوا في الكبائر بعد ذلك: هل لها عدد يحصرها أم لا، على قولين:[٤]

الأول: قول الذين ذهبوا إلى القول بحصرها في عدد محدد، وهؤلاء اختلفوا في عددها:

فقيل: هي أربعة.[٥]

وقيل: سبعة، وقيل: تسعة.

وقيل: هي إحدى عشرة.

وروي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**»، أنه قال: "هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع.[٦]

---

(١) انظر: لسان العرب «١٢/ ١٣»، وتفسير الطبري «١٢/ ٢٠٤»، وتفسير ابن كثير «٢/ ٤٧٧».

(٢) انظر: القاموس المحيط «٢/ ١٢٤»، ولسان العرب «٣/ ٢١٢».

(٣) انظر: لسان العرب «٣/ ٢١٢٩، وانظر القاموس المحيط «٢/ ١٢٤».

(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي «ص: ١٠٣٣-١٠٤٣»، والجواب الكافي لابن القيم «ص: ٨٧».

(٥) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «ص: ١٩٢٢».

(٦) أخرجه الطبري في التفسير «٥/٤١»، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «ص: ١٩١٧، ١٩١٨».

وقيل: هي سبعمائة.[١]

وقيل غير ذلك، والصحيح أنه لا دليل من الكتاب والسنة يفيد الحصر.

الثاني: قول الذين لم يحصروها بعدد معين،

ب-التعريف الشرعي:

اختلفوا في حدِّها، وفي الضابط الذي يفرقون به بين الكبيرة والصغيرة على أقوال منها:

أولاً: أن الكبائر هي كل ما اتفقت جميعُ الشـــرائع على تحريمه، وما كان تحريمه في شـــريعة دون شـــريعة فهو صـــغيرة[٢]، وهذا يَرِد عليه أن التزوج ببعض المحارم، أو المحرمات بالرضـــاعة ليس من الكبائر، إذ لم تتفق على تحريمه كل الشـــــرائع، كما أن "الفرق بين ما اتفقت عليه الشرائع واختلفت لا يُعلم إن لم يمكن وجودُ عالم بتلك الشرائع على وجهها، وهذا غير معلوم لنا"[٣]

ثانيًا: أن كل ما عصـــي الله به فهو من الكبائر، وهذا القول مروي عن ابن عباس-رضـــي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**».[٤]

قال البيهقي-رحمه الله-«**ت: ٤٥٨ هـ**»: "يحتمل أن يكون هذا في تعظيم حرمات الله، والترهيب عن ارتكابها، فأما الفرقُ بين الصـغائر والكبائر فلا بد منه في أحكام الدنيا والآخرة على ما جاء به الكتاب والسنة"[٥].

ثالثًا: أن الذنوب كلها بالنسـبة إلى الجراءة على الله والتوثّب على حقه والاسـتهانة به تعدّ

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «ص: ١٩١٩».

(٢) انظر: الجواب الكافي «ص: ٨٨».

(٣) مجموع الفتاوى «١١/ ٦٥٥».

(٤) شعب الإيمان للبيهقي «٢٩٢»، وانظر: مدارج السالكين «١/ ٣٢١».

(٥) شعب الإيمان «١/ ٢٧٣».

من الكبائر. [(١)]. وهذا يقتضـي أن الذنوب لا تنقسم في نفسها إلى صغائر وكبائر، وهو فاسد؛ لأنه خلاف النصوص، كما أن هذا الحدّ لا يمكن من خلاله التفريقُ بين الكبائر والصغائر.

رابعًا: أن الكبائر ذنوب العَمْد، والصغائر هي: الخطأ، والنسيان، وما أكره عليه، وحديث النفس؛

قال ابن القيم-رحمه اله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "هذا من أضعف الأقوال طردًا وعكسًا؛ فإن الخطأ والنسيان والإكراه لا يدخل تحت جنس المعاصي حتى يكون أحد قسميها، والعمد نوعان: نوع كبائر، ونوع صغائر. [(٢)]."

خامسًا: الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب إبليس، والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنب آدم، وهذا القول ضعيف أيضًا؛ لأن المستحل ذنبُه دائر بين الكفر والتأويل، فإنه إن كان عالمِا بالتحريم فكافر، وإن لم يكن عالمِا به فمتأول أو مقلد، وأما المستغفر فإن استغفاره الكامل يمحو كبائره وصغائره، فلا كبيرة مع استغفار"[(٣)]

سادسًا: أن الكبائر الشرك وما يؤدي إليه، والصغائر ما عدا الشرك من ذنوب أهل التوحيد، واحتج أصحاب هذه المقالة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وبقوله -صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه - عز وجل -: «**ومن لَقِيَني بقُراب الأرض خطيئةً لا يشرك بي شيئًا، لَقِيتُه بمثلها مغفرةً**» [(٤)]، ولا حجة لهم في الآية؛ لأن غايتها التفريق بين الشرك وغيره، إذ إن الشرك لا يغفر إلا بالتوبة منه، وأما ما دون الشرك فهو

---

(١) انظر: الجواب الكافي «ص: ٨٩».

(٢) مدارج السالكين «١/ ٣٢٣».

(٣) مدارج السالكين «١/ ٣٢٣».

(٤) أخرجه مسلم «٢٦٨٧» من حديث أبي ذر الغفاري-رضي الله عنه.-

موكول إلى المشيئة، ولكنها لا تدل على أن كل ما دون الشرك فهو صغيرة في نفسه.

ومن أوعبها وأبعدها عن الاعتراض ما عرفها به ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»؛ فقال: "الكبائر: هي ما فيها حد في الدنيا أو في الآخرة: كالزنا، والسرقة، والقذف، التي فيها حدود في الدنيا.

وكالذنوب التي فيها حدود في الآخرة وهو الوعيد الخاص: مثل الذنب الذي فيه غضب الله، ولعنته، أو جهنم، ومنع الجنة: كالسحر، واليمين الغموس، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وشرب الخمر ونحو ذلك.

هكذا روي عن ابن عباس–رضي الله عنهما–«**ت: ٦٨ هـ**»، وسفيان بن عيينة–رحمه الله–«**ت: ١٩٨ هـ**»، وأحمد بن حنبل–رحمه الله–«**ت: ٢٤١ هـ**»، وغيرهم من العلماء"[(١)]

ما روي عن ابن عباس–رضي الله عنهما–«**ت: ٦٨ هـ**»، أنه قال: الكبيرة: هي كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب"[(٢)]

وقال القرطبي–رحمه الله–«**ت: ٦٧١ هـ**»: "الكبيرة: هي كل ذنب عظم الشارع التوعد عليه بالعقاب وشدده أو عظم ضرره في الوجود"[(٣)].

وقال ابن أبي العز–رحمه الله–«**ت: ٧٩٢ هـ**» –في شرحه للطحاوية–: "واختلف العلماء في الكبائر على أقوال:

فقيل: سبع.

وقيل: سبع عشرة.

وقيل: ما اتفقت الشرائع على تحريمه.

وقيل: ما يسد باب المعرفة بالله.

(١) مجموع الفتاوى «١١/ ٦٥٨».

(٢) تفسير الطبري «٥/ ٢٧»، وتفسير القرطبي «٥/ ١٥٩»، شرح صحيح مسلم للنووي «٢/ ٥٨».

(٣) تفسير القرطبي »٣/ ١٦٠ – ١٦١«.

وقيل: ذهاب الأموال والأبدان.

وقيل: سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها.

وقيل: لا تعلم أصلا. أو: أنها أخفيت كليلة القدر.

وقيل: إنها إلى السبعين أقرب.

وقيل: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة.

وقيل: إنها ما يترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، وهذا أمثل الأقوال.

واختلفت عبارة قائليه:

منهم من قال: الصغيرة ما دون الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة.

ومنهم من قال: كل ذنب لم يختم بلعنة أو غضب أو نار.

ومنهم من قال: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة، والمراد بالوعيد: الوعيد الخاص بالنار أو اللعنة أو الغضب، فإن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا، أعني المقدرة، فالتعزير في الدنيا نظير الوعيد بغير النار أو اللعنة أو الغضب.

وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره، فإنه يدخل فيه كل ما ثبت بالنص أنه كبيرة، كالشرك، والقتل، والزنا، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، ونحو ذلك، كالفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وشهادة الزور، وأمثال ذلك.

وترجيح هذا القول من وجوه:

أحدها: أنه هو المأثور عن السلف، كابن عباس -رضي الله عنهما- «**ت: ٦٨ هـ**»، وابن عيينة «**ت: ١٩٨ هـ**»، وابن حنبل «**ت: ٢٤١ هـ**» -رضي الله عنهم-، وغيرهم.

الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾ [النساء: ٣١]. فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله ولعنته وناره، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر.

الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب، فهو حد متلقى من خطاب الشارع.

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر،

بخلاف تلك الأقوال، فإن من قال: سبع، أو سبع عشرة، أو إلى السبعين أقرب -: مجرد دعوى.

ومن قال: ما اتفقت الشـــرائع على تحريمه دون ما اختلفت فيه -: يقتضـــي أن شـــرب الخمر، والفرار من الزحف، والتزوج ببعض المحارم، والمحرم بالرضـاعة والصـهرية، ونحو ذلك - ليس من الكبائر! وأن الحبة من مال اليتيم، والسـرقة لها، والكذبة الواحدة الخفيفة، ونحو ذلك -: من الكبائر! وهذا فاسد.

ومن قال: ما سـد باب المعرفة بالله، أو ذهاب الأموال والأبدان -: يقتضـي أن شـرب الخمر، وأكل الخنزير والميتة والدم، وقذف المحصنات - ليس من الكبائر! وهذا فاسد.

ومن قال: إنها سميت كبائر بالنســبة إلى ما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة -: يقتضــي أن الذنوب في نفســها لا تنقســم إلى صــغائر وكبائر! وهذا فاســد، لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

ومن قال: إنها لا تعلم أصـلا، أو إنها مبهمة -: فإنما أخبر عن نفســه أنه لا يعلمها، فلا يمنع أن يكون قد علمها غيره. والله أعلم"[١]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز »ص: ٥٢٥-٥٢٨.«

٦٩- أهل السُّنة لا يُخلِّدون الفاسق الملي في النار

[٦٩] - قال المصنف رحمه الله: «**ولا يَسْلِبُونَ الفَاسِقَ المِلِّيَّ الإِسْلَامَ بالكُلِّيَّةِ، ولا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كما تَقُولُهُ المُعْتَزِلَةُ. بل الفاسقُ يَدخل في اسم الإيمانِ، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: الآية: ٩٢] وقد لا يدخل في اسمِ الإيمانِ المُطْلَق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: الآية: ٢] وقوله ﷺ: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ، ولا يسرقُ السَّارِقُ حين يَسْرِقُ وهو مؤمنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حين يَشْرَبُهَا وهو مؤمنٌ، ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذات شَرَفٍ يرفع النَّاسُ إليه فيها أبصارهم حين يَنْتَهِبُهَا وهو مؤمنٌ»**. ونقول: هو مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ، أو مؤمنٌ بإيمانِه، فاسقٌ بكبيرتِه، فلا يُعطى الاسمَ المطلقَ، ولا يُسلَب مطلقَ الاسْم».

الشرح

أهل السنة لا يَسلبون الإيمان من الفاسق من أهل ملة الإسلام، ولا يقولون بخلوده في النار، وإنما يُبقون عليه اسم الإيمان، وإن كان ليس كامل الإيمان، بل هو مؤمن بإيمانه، فاسق بمعصيته.

هذا؛ لأن الدِّين ثلاث دوائر: «**الإسلام والإيمان والإحسان**».

فأوسع الدوائر الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان، فليس كل مسلم مُحسن، ولكن كل مُحسن مسلم.

ولا نستطيع أن نُخرج الإنسان من الإسلام بعد أن نطق بالشهادتين إلا بموجب ذلك يقينًا، وهو ما يُسَمَّى بأحكام الرِّدة والمرتد، ولها ضوابط معلومة عند أهل العلم.

بعد أن بَيَّن المصنف رحمه الله ما يتعلق بأركان الإيمان- شرع هنا في بيان ما يتعلق بما يُسَمِّيه العلماءُ بابَ «**الأسماء والأحكام**».

وقد رتَّب العلماءُ مسائل الاعتقاد على حسب أولويتها عند أهل السنة؛ لذا ينبغي مراعاة هذا الترتيب؛ فمثلًا جعل شيخ الإسلام في هذه العقيدة بابَ «**الأسماء والأحكام**» متأخرًا

عما يتعلق ببيان أركان الإيمان، وهذا ما جرى عليه العلماءُ.

ولكنَّ بعض أهل الباطل يريدون أن يخالفوا هذا الترتيب؛ فيقدموا ما يتعلق بباب «**الأسماء والأحكام**» على ما يتعلق ببيان أركان الإيمان، بما في ذلك الإيمان بالله؛ وهذا يُؤدي إلى أن يسارع المبتدئون إلى الخوض في مسائل «**الأسماء والأحكام**» دون أن يدرسوا ابتداء مسائل الاعتقاد الأساسية، وهذا من تلاعب أصحاب المناهج المخالفة المتَّبعين لأهوائهم، وقد أدى بهم هذا إلى الانحراف في الفهم، وسوء التصور للمسائل، وإطلاق التكفير بدون ضوابط.

وأمر إنزال الأحكام على الأنام مِن أخطر ما يكون؛ إذ هما حق لله ولرســـوله ﷺ، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «**فإنَّ الإيجاب والتحريم والثواب والعقاب والتكفير والتفسيق هو إلى الله ورسوله؛ ليس لأحد في هذا حكم، وإنما على الناس إيجاب ما أوجبه اللهُ ورسولُه؛ وتحريم ما حَرَّمه الله ورسوله، وتصديق ما أخبر الله به ورسوله**»[(١)].

وفي عصرنا الحاضر غَرَّ هؤلاء- أيضًا- مَن غَرَّهم بهذا الفكر المنحرف الفاسد الذي ما قاله أهل السنة، وهم يريدون أن يصوروه للناس على أنه منهج السلف، وأنهم سلفية، وأهل السنة والسلفية من ذلك براء.

وكتب أهل الســـنة موجودة بحمد الله، وفيها أنهم لا يُكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصـــي والكبائر، كما تفعله الخوارج.

وفاعل الكبيرة وإن وقع فيما يسمى كفرًا إلا أنه كفر دون كفر، وهو كفر عملي أصغر لا يُخرج من الملة.

معنى الأسماء والأحكام:

الأسماء أي: ما يتعلق باسم الإيمان أو اسم الكفر، أو اسم الشرك أو اسم النفاق، ونحو ذلك.

وأمَّا الأحكام فهي المترتبة على دخول العبد في هذه الأسماء، وما يترتب على خروجه منها.

---

(١) «مجموع الفتاوى» «٥/ ٥٥٤، ٥٥٥».

ومسائل الأسماء والأحكام من أعظم المسائل وأخطرها على الإطلاق، لأنَّ أول فُرقة وفِتنة وقعت في هذه الأمة كانت بسبب سوء الفهم لهذه المسألة، فكفَّر الخوارجُ عليًّا ومعاوية رضي الله عنهما، ثم حَكموا بكفر الحَكَمَين بعد التحكيم في دُومة الجندل، حتى وصل الأمر بهم إلى تكفير جُلِّ الصحابة، ثم صار الروافض على هذا النهج؛ فكَفَّروا كلَّ الصحابة إلا نَذر يسير، لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، وقالوا بِرِدَّة الصحابة بعد الرسول ﷺ؛ لأنهم لم يقولوا بوصية عليٍّ، أي: أحقيته في الخلافة بعد رسول الله ﷺ.

وهكذا جاء القدرية والمعتزلة فسَلَبوا عن أصحاب الكبائر مُسَمَّى الإيمان، وقالوا: إنهم في منزلة بين المنزلتين، وحَكموا عليهم في الآخرة- كما حكم الخوارج- بالخلود في النار.

ولم تَزل هذه الأفكار تنتقل مِن قائل إلى قائل حتى وصلت إلى عصرنا الحاضر، وإن كانت تَحمل أسماء متعددة لكن تبقى هي بعينها؛ فترى وتسمع من يكفر المجتمعات المسلمة، ويقول: إنها مجتمعات جاهلية وكافرة، ويُرَتِّب على ذلك تكفير الحاكم والحكومات، بل وتكفير مَن يتبع الدولة مِن موظفين عَسكريين ومَدنيين، بل وكَفَّروا العلماء، حتى وصل الأمر بهم إلى تكفير عامَّة الناس، واستحلوا دماءهم وأعراضهم.

فأطلقوا تكفيرهم في المجتمعات المسلمة، واستعملوا ضدهم السلاح.

وهذا ليس من قول أهل السنة في شيء، وإنما هو ميراث أولئك الروافض والخوارج والمعتزلة.

وأمَّا أهل السنة فإن شيخ الإسلام- مثلًا- قال في هذه العقيدة: «**وهُمْ مَعَ ذلك لا يُكَفِّرُونَ أهل القِبْلَةِ بمطلق المعاصي والكَبَائِر**».

ولبيان خطورة التكفير بتسرُّع ودون بينة- قال ﷺ: «**أيُّما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدُهما، إن كان كما قال، وإلا رجعَت عليه**»(١)، وقال ﷺ: «... **ولعن المؤمن كقتلِه، ومَن رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري «٦١٠٤» ومسلم «٦٠» واللفظ له، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري «٦٠٤٧» ومسلم «١١٠» من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

ولذلك قال أبو بكرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» قلت: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنَّه كان حريصًا على قتل صاحبه**»[١]؛ فعاقبه على نِيَّته.

وقد تعددت مذاهب الناس في مرتكب الكبيرة، وأشهرها ثلاثة-طرفان ووسط:

أحدها: قول الخوارج والمعتزلة.

ذهبت الخوارج والمعتزلة إلى أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، واختلفوا في تسميته في الدنيا؛ فالخوارج تسميه كافرًا، والمعتزلة تجعله في منزلة بين المنزلتين وتسميه فاسقًا، والخلاف بينهما لفظي فقط.[٢]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وهذا قول باطل باتفاق الصحابة رضي الله عنه أجمعين وسائر أهل السنة"[٣]

الثاني: قول المرجئة.

ذهبت المرجئة من الشيعة والأشعرية إلى عدم الجزم بتعذيب أحد من أهل التوحيد، وإن ارتكب كبيرة.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وهذا أيضًا باطل، بل تواترت السنن بدخول أهل الكبائر النار، وخروجهم منها بشفاعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وسلف الأمة وأئمتها متفقون على ما جاءت به السنن"[٤]

الثالث: قول أهل السنة والجماعة.

وهو المذهب الحق الوسط، وبه قال أهل السنة والجماعة قاطبة، حتى صار شعارًا لهم،

---

(١) أخرجه البخاري «٦٨٧٥» ومسلم «٢٨٨٨».

(٢) شرح ابن أبي العز الحنفي على الطحاوية «ص: ٣٠٣».

(٣) مختصر الفتاوى المصرية «ص: ٥٧٦».

(٤) مختصر الفتاوى المصرية «ص: ٥٧٦».

فقالوا: إن صاحب الكبيرة يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب، كما وردت بذلك النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وهو بذلك [يعني: صاحب الكبيرة] لا يخرج من الإسلام، ولا يحكم عليه بالخلود في النار، ويقولون: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وهو في مشيئة الله تعالى، إن شاء الله تعالى عذبهم بقدر معصيتهم، وإن شاء سبحانه عفا عنهم وغفر لهم، فكانوا بهذا أسعد الخلق؛ حيث أعملوا النصوص في مواضعها"(١)

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فليس بين فقهاء الملة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين باطنا وظاهرا بما جاء به الرسول، وما تواتر عنه: أنهم من أهل الوعيد، وأنه يدخل الجنة منهم من أخبر الله ورسوله بدخوله إليها، ولا يخلد منهم فيها أحد، ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء"(٢)

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وأما أهل السنة والجماعة، والصحابة، والتابعون لهم بإحسان، وسائر طوائف المسلمين، من أهل الحديث، والفقهاء، وأهل الكلام، من مرجئة الفقهاء، والكرامية، والكلابية، والأشعرية، والشيعة مرجئهم وغير مرجئهم، فيقولون: إن الشخص الواحد قد يعذبه الله بالنار ثم يدخله الجنة، كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة.

وهذا الشخص الذي له سيئات عذب بها، وله حسنات دخل بها الجنة، وله معصية وطاعة، باتفاق هؤلاء الطوائف، لم يتنازعوا في حكمه، لكن تنازعوا في اسمه: فقالت المرجئة–جهميتهم، وغير جهميتهم–هو: مؤمن كامل الإيمان.

وأهل السنة والجماعة على: أنه ناقص الإيمان؛ ولولا ذلك لما عذب، كما أنه ناقص البر

---

(١) ينظر: شرح ابن أبي العز الحنفي على الطحاوية «ص: ٣٠٣»، ولوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية «٢/ ٢٧٥».

(٢) الإيمان «ص:٢٨١–٢٨٢» الفتاوى «٧/ ٢٩٨»؛ وانظر منه، «ص :٢٤٤», الفتاوى «٧/ ٢٥٨».

والتقوى باتفاق المسلمين"[١]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "والمرجئة تقول: هو-أي مرتكب الكبيرة-: مؤمن تام الإيمان، لا نقص في إيمانه، بل إيمانه كإيمان الأنبياء والأولياء، وهذا نزاع في الاسم.

ثم تقول فقهاؤهم ما تقوله الجماعة في أهل الكبائر: فيهم من يدخل النار، وفيهم من لا يدخل، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، واتفق عليه الصحابة، والتابعون لهم بإحسان.

فهؤلاء لا ينازعون أهل السنة والحديث في حكمه في الآخرة، وإنما ينازعونهم في الاسم"[٢]

فمذهب أهل السنة والجماعة هو الوسط بين غلو الخوارج والمعتزلة، وجفاء المرجئة وتفريطهم، حيث قال أهل السنة: إن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته؛ لأن ارتكابه للكبيرة انتقص من كمال إيمانه الواجب، وإن لم يقدح في أصل إيمانه.

وقالوا: إن مرتكب الكبيرة إن مات غير تائب عن كبيرته فهو في مشيئة الله، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة بغير عذاب، وإن شاء عذّبه إلى حين ثم أخرجه من النار وأدخله الجنة، [٣] واتفقوا على أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع في أهل الكبائر، وأنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد. [٤]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقالُ ذرة من إيمان، واتفقوا أيضًا على أن نبينا يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبائر من أمته"[٥]

---

(١) الإيمان «ص: ٣٣٧-٣٣٨»، الفتاوى «٧/ ٣٥٣-٣٥٤»؛ وانظر: شرح الأصبهانية «٢/ ٥٨٧ «١٣٨» ت مخلوف"؛ والفتاوى «١٦/ ٤٧٤-٤٧٥»؛ و«منهاج السنة» «٤/ ٥٧٠-٥٧١».

(٢) منهاج السنة «٥/ ٢٨٤».

(٣) انظر: مجموع الفتاوى «٦/ ١٧٥».

(٤) انظر: الرد على البكري «ص: ٤١٢».

(٥) مجموع الفتاوى «٧/ ٢٢٢».

فأما قولهم: إن مرتكب الكبيرة يسمى مؤمنًا لما عنده من أصل الإيمان، فيدل عليه قولُ الله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...﴾، إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]، فسمى الله هؤلاء مؤمنين مع ما وقع بينهم من القتال الذي يعد من أكبر الكبائر، وبين أنهم لم يخرجوا من الإيمان بالكلية [(١)]؛ ولذلك كان الإمام مالك يقول: "أهل الذنوب -أي الكبائر- مؤمنون مذنبون"[(٢)]

وأما أنه ليس مؤمنًا بإطلاق، فيدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**» [(٣)]

قال محمد بن علي: "قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ..."قال: يخرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام البتة، فإن تاب تاب الله عليه، ورجع إليه الإيمان**»"[(٤)]

وسئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال: من أتى هذه الأربعة أو مثلهن أو فوقهن فهو مسلم ولا أسميه مؤمنًا، ومن أتى دون ذلك -يريد دون الكبائر-أسميه مؤمنًا ناقص الإيمان"[(٥)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فأحمد بن حنبل لم يرد قط أنه سلب جميع الإيمان، فلم يبق معه منه شيء كما تقوله الخوارج والمعتزلة، فإنه قد صرح في غير موضع بأن أهل الكبائر معهم إيمان يخرجون به من النار، واحتج بقول النبي-صلى الله عليه وسلم-:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى «٧/ ٣٥٥».

(٢) الجامع لأبي زيد القيرواني «ص: ١٢٣».

(٣) أخرجه البخاري «٢٤٧٥»، ومسلم «٥٧»، من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-.

(٤) السنة للخلال «١٠٨٣»، والسنة لعبد الله بن أحمد «٧٥٧».

(٥) مجموع الفتاوى «٧/ ٢٥٤».

"أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان"[١] وليس هذا قوله، ولا قول أحد من أئمة أهل السنة؛ بل كلهم متفقون على أن الفساق الذين ليسوا منافقين معهم شيء من الإيمان يخرجون به من النار، هو الفارق بينهم وبين الكفار والمنافقين، لكن إذا كان معه بعضُ الإيمان لم يلزم أن يدخل في الاسم المطلق الممدوح"[٢]

ولكن ألا يجوز أن يقال مطلقًا: إن مرتكب الكبيرة مؤمن؟

"الصحيح التفصيل: فإذا سئل عن أحكام الدنيا كعتقه في الكفارة، قيل: هو مؤمن، وكذلك إذا سئل عن دخوله في خطاب المؤمنين، وأما إذا سئل عن حكمه في الآخرة، قيل: ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة؛ بل معه إيمان يمنعه الخلود في النار، ويدخل به الجنة بعد أن يعذب في النار إن لم يغفر الله له ذنوبه؛ ولهذا قال من قال: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان"[٣].

وأما قولهم: إنه في الآخرة في مشيئة الله، فيدل عليه قوله–صلى الله عليه وسلم–: «**ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه**»[٤].

وأما قولهم: إن النبي–صلى الله عليه وسلم–يشفع في أهل الكبائر، فيدل عليه قوله–صلى الله عليه وسلم–: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[٥]، وغيره من الأحاديث، وهي كثيرة مستفيضة في هذا المعنى.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "قد ثبت بالسنة المستفيضة المتواترة باتفاق

---

(١) أخرجه البخاري «٧٥١٠»، ومسلم «١٩٣»، من حديث أنس بن مالك–رضي الله عنه–.

(٢) مجموع الفتاوى «٧/ ٢٥٧».

(٣) مجموع الفتاوى «٧/٣٥٤،٣٥٥».

(٤) أخرجه البخاري «١٨»، ومسلم «١٧٠٩»، من حديث عبادة بن الصامت–رضي الله عنه,– وقد تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه أحمد «١٢٨١٠»، وأبو داود «٤٧٣٩»، والترمذي «٢٤٣٥»، من حديث أنس بن مالك–رضي الله عنه–، وقال العجلوني في كشف الخفا «٢/١٤»: صححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وقال البيهقي: إسناده صحيح. اه. وصححه الألباني في صحيح الجامع «٣٧١٤».

الأمة أن النبي-صلى الله عليه وسلم-الشافع المشفع، وأنه يشفع في الخلائق يوم القيامة، وأن الناس يستشفعون به، ويطلبون منه أن يشفع لهم، ثم اتفق أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر، وأنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد"(١)

قال الشيخ حافظ الحكمي-رحمه الله-«**ت: ١٣٧٧ هـ**»: عندما سئل عن الجمع بين قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: «**فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**» متفق عليه، وبين ما تقدم من أن من رجحت سيئاته بحسناته دخل النار؟

فأجاب: لا منافاة بينهما، فإن من يشأ الله أن يعفو عنه، يحاسبه الحساب اليسير الذي فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالعرض، وقال في صفته: «**يدنو أحدكم من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقول: عملت كذا وكذا، فيقول: نعم، ويقول: عملت كذا وكذا، فيقول: نعم. فيقرره ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم**». (٢)

وأما الذين يدخلون النار بذنوبهم فهم ممن يناقش الحساب، وقد قال-صلى الله عليه وسلم-: «**من نوقش الحساب عذب**». (٣) (٤)

ثانيًا: تفصيل الأقوال في المسألة.

القول الأول: قول أهل السنة في مسألة مرتكب الكبيرة:

يتمثل موقف السلف من مرتكب الكبيرة في تنزيل آيات الكتاب منازلها، وإعمال سنة النبي-صلى الله عليه وسلم-في مواضعها؛ وجماع ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية: ٤٨].

(١) الرد على البكري »ص: ٤١٢.«

(٢) رواه البخاري «٧٥١٤»، ومسلم «٢٧٦٨».

(٣) أعلام السنة المنشورة «ص: ١٧١».

(٤) المصدر: الكبائر وحكم مرتكبها، موقع الألوكة، وموقف السلف من مرتكب الكبيرة على موقع سلف للبحوث والدراسات على الشبكة العنكبوتية.

والمراد من الآية: في قوله: ﴿لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، أي أن الله تعالى لا يغفر لمشرك مات على شركه.

وفي قوله تعالى: ﴿لِمَنْ يَشاءُ﴾ نعمة عظيمة من وجهين:

أحدهما: أنها تقتضي أن كل ميّت على ذنب دون الشرك لا يقطع عليه بالعذاب، وإن مات مُصرًّا.

والثاني: أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين، وهو أن يكونوا على خوف وطمع"[١]

فمن لقي الله بالكبائر دون توبة: فهو في مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له؛ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨].

قال ابن جرير الطبري–رحمه الله–«**ت: ٣١٠ هـ**»: "وقد أبانت هذه الآية أنّ كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرته شركًا بالله"[٢]

وظواهر الأدلة الشرعية تقرر أن الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب هم السابقون بالخيرات، وليسوا المقتصدين، فضلا عن الظالمين لأنفسهم.

ومن ذلك: ما روى أحمد–رحمه الله–«**تك ٢٤١ هـ**» عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ–رضي الله عنه–«**ت: مابين ٣١ إلى ٣٩ هـ**» قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يَقُولُ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [فاطر: الآية:٣٢]، فَأَمَّا الَّذِينَ سَبَقُوا بِالْخَيْرَاتِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا الَّذِينَ اقْتَصَدُوا فَأُولَئِكَ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا، وَأَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يُحَاسَبُونَ فِي طُولِ الْمَحْشَرِ، ثُمَّ هُمُ الَّذِينَ تَلَافَاهُمُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ، فَهُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿فاطر:

---

(١) زاد المسير «١/ ٤١٨».

(٢) "تفسير الطبري" «٨/ ٤٥٠».

الآية:٣٤]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لُغُوبٌ﴾ [فاطر: الآية:٣٥].

وعن علي بن أبي طلحة-رحمه الله-«**ت: ١٤٣ هـ**» عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**» قال في تفسير الآية: "هم أمة محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، ورثهم الله كل كتاب أنزله؛ فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب"[(١)]

وعن أَبي وائل-رحمه الله-«**ت: ٨٢ هـ**» عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-«**ت: ٣٢ هـ**» قال: "هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة؛ ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا، وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول: ما هؤلاء؟ وهو أعلم تبارك وتعالى، فتقول الملائكة: هؤلاء جاءوا بذنوب عظام، إلا أنهم لم يشركوا بك، فيقول الرب: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي، وتلا عبد الله هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: الآية:٣٢]"[(٢)]

وفي الحديث عن عبادة بن الصامت-رضي الله تعالى عنه-«**ت: ٣٤ هـ**» أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال وحوله عصابة من أصحابه: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفي منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه قال فبايعناه على ذلك**»· [(٣)]

وفي الصحيحين من حديث أبي ذر-رضي الله عنه-«**ت: ٣١رأو ٣٢ هـ**»، عن النبي-

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره «٢٠/ ٤٦٥».

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره «٢٠/ ٤٦٥».

(٣) صحيح البخاري المناقب «٣٦٧٩»، صحيح مسلم الحدود «١٧٠٩»، سنن الترمذي الحدود «١٤٣٩»، سنن النسائي البيعة «٤١٦١»، سنن الدارمي السير «٢٤٥٣».

صلى الله عليه وسلم-، أنه قال: «**ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**». قلت وإن زنى وإن سرق قال: «**وإن زنى وإن سرق**». قلت وإن زنى وإن سرق قال: «**وإن زنى وإن سرق**». قلت وإن زنى وإن سرق قال: «**وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر**». وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال وإن رغم أنف أبي ذر. [(١)]

فدلت هذه الأحاديث على أن مرتكب الكبيرة تحت المشيئة إن شاء الله عز وجل عفا عنه، وإن شاء عذبه، لكن آخر أمره إلى الجنة، ولو كان يكفر بكبيرته لكان من أهل النار خالداً فيها مخلداً.

فصاحب الكبيرة إذا لقي الله بها من غير توبة، فهو ظالم لنفسه، وهذا يحاسب، ويوازن بين حسناته وسيئاته، فإن رجحت سيئاته، كان من أهل النار، إلا أن يعفو الله عنه.

وقد يحاسب حسابا يسيرا، فيقرره الله بذنوبه، ثم يعفو عنه.

أولا: حكم مرتكب الكبيرة-عند أهل السنة-في الدنيا:

لبيان رأيهم نشير إلى شيء من أقوالهم:

يقول الإمام أحمد-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»: "ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها"[(٢)]

ويقول ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وقد صرح أحمد في غير موضع أن أهل الكبائر معهم إيمان"[(٣)]

ويقول ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: ومن أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول وعمل.. إلى أن قال: وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر.. ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية.. ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه

---

(١) صحيح البخاري «٥٤٨٩»، ومسلم «٩٤».

(٢) السنة للإمام أحمد «ص: ٧٠-٧١».

(٣) الفتاوى «٧/ ٢٥٧».

فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم"[١]

وسئل –ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»، عن العبد المؤمن هل يكفر بالمعصية أم لا؟ فأجاب بقوله: "لا يكفر بمجرد الذنب؛ فإنه ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف أن الزاني غير المحصن يجلد ولا يقتل، والشارب يجلد، والقاذف يجلد، والسارق يقطع، ولو كانوا كفارا: لكانوا مرتدين، ووجب قتلهم، وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف"[٢]

وقال الطحاوي–رحمه الله–«**ت: ٣٢١ هـ**»: "ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله"[٣]

وقال ابن أبي العز–رحمه الله–«**ت: ٧٩٢ هـ**»–في شرحه هذه العبارة –: "أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج . . ."[٤]

وقال أبو الحسن الأشعري–رحمه الله–«**ت: ٣٢٤ هـ**»: وأجمعوا–يعني السلف–على أن المؤمن بالله وسائر ما دعاه النبي–صلى الله عليه وسلم–إلى الإيمان به لا يخرجه عنه شيء من المعاصي ولا يحبط إيمانه إلا الكفر، وأن العصاة من أهل القبلة مأمورون بسائر الشرائع غير خارجين عن الإيمان بمعاصيهم"[٥]

من هذه النصوص يتضح أن أهل السنة يرون أن مرتكب الكبيرة من أهل القبلة مؤمن ناقص الإيمان – مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته – وهو المذهب الوسط، فلم يعطوه الاسم المطلق كما قالت المرجئة، ولم يسلبوه مطلق الاسم كما قالت الخوارج.

---

(١) الفتاوى «٣/ ١٥١».

(٢) الفتاوى «٤/ ٣٠٧».

(٣) شرح الطحاوية «ص: ٣٥٥» «المتن»..

(٤) شرح الطحاوية «ص:٣٦٠–٣٦١».

(٥) انظر: رسالة أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري «ص: ٣٧٤».

أدلتهم: وقد أيدوا قولهم بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

فمن الكتاب

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: الآية: ١٧٨].

قال ابن سعدي-رحمه الله-«**ت: ١٣٧٦ هـ**»: "في قوله ﴿أَخِيهِ﴾ دليل على أن القاتل لا يكفر، لأن المراد بالأخوة هنا: أخوة الإيمان، فلم يخرج بالقتل منها، ومن باب أولى أن سائر المعاصي التي هي دون الكفر لا يكفر بها فاعلها، وإنما ينقص بذلك إيمانه"(١)

ومن الكتاب-أيضا-قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: الآية: ٩].

يقول ابن كثير-رحمه الله-«**ت: ٧٧٤ هـ**»: "يقول تعالى آمرا بالإصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: الآية: ٩]، فسماهم مؤمنين مع الاقتتال؛ وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم"(٢)

ومن السنة ما يلي:

١ - عن عبادة بن الصامت-رضي الله عنه-«**ت: ٣٤ هـ**» أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال-وحوله عصابة من أصحابه-: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في**

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي «ص: ٢١٦».

(٢) تفسير ابن كثير «٤/ ٢١١».

الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»، فبايعناه على ذلك"[(١)]

وجه الدلالة: هو أن النبي–صلى الله عليه وسلم–لم يحكم على مرتكبي هذه الكبائر بالكفر. وهذا يتناول جميع الكبائر–عدا الشرك–للأدلة التي جاء فيها أن الله لا يغفر أن يشرك به أبدًا.

ويقول النووي–رحمه الله–«**ت: ٦٧٦ هـ**»: وقوله–صلى الله عليه وسلم–: «**ومن أصاب شيئًا من ذلك**» إلى آخره. [(٢)]، المراد به ما سوى الشرك، وإلا فالمشرك لا يغفر له.. إلى أن قال: وفي هذا الحديث فوائد منها: تحريم هذه المذكورات. ومنها: الدلالة لمذهب أهل الحق أن المعاصي غير الكفر لا يقطع لصاحبها بالنار إذا مات ولم يتب منها، بل هو في مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه، خلافًا للخوارج والمعتزلة؛ فإن الخوارج يكفرون بالمعاصي"[(٣)]

٢ – كذلك من السنة ما روى البخاري عن عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–«**ت: ٢٣ هـ**»: أن رجلا كان على عهد رسول الله–صلى الله عليه وسلم–كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا، وكان يضحك رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – قد جلده في الشراب، فأتي به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به. فقال–صلى الله عليه وسلم–: «**لا تلعنوه فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله**»، يقول ابن حجر–في شرحه–: ". . وفيه الرد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر، لثبوت النهي عن لعنه، والأمر بالدعاء له، وفيه أنه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب؛ لأنه–صلى الله عليه وسلم–أخبر بأن المذكور يحب الله ورسوله، ويؤخذ منه تأكيد ما تقدم: أن نفي الإيمان عن شارب الخمر لا يراد به زوآله بالكلية، بل نفي كماله –

---

(١) رواه البخاري «١٨»، ومسلم «١٧٠٩».

(٢) رواه البخاري «١٨»، ومسلم «١٧٠٩».

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للإمام النووي «١١/ ٢٢٣–٢٢٤».

كما تقدم"[١]. وغيرها من الأدلة الكثيرة.

ثانيًا: حكم مرتكب الكبيرة–عند أهل السنة–في الآخرة:

بعد أن بينا رأى أهل السنة في مرتكب الكبيرة في الدنيا نشير إلى رأيهم فيه في الآخرة – والمراد بيان حكمهم في مرتكب الكبيرة الذي مات من غير توبة؛ إذ من المعلوم أن التوبة تجب ما قبلها، وأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. ولمعرفة رأيهم نذكر شيئا من أقواله م في ذلك.

يقول الإمام أحمد–رحمه الله–«**ت: ٢٤١ هـ**»: "والشفاعة يوم القيامة حق، يشفع قوم في قوم فلا يصيرون إلى النار، ويخرج قوم من النار بشفاعة الشافعين، ويخرج قوم من النار بعدما دخلوها ولبثوا فيها ما شاء الله ثم يخرجهم من النار، وقوم يخلدون فيها أبدا، وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله عز وجل"[٢]

ويقول ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: وهم – أي أهل السنة – في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويكذبون بشفاعة النبي–صلى الله عليه وسلم–. وبين المرجئة الذين يقولون: إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء.. ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية، فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله، وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة، وأنهم لا يخلدون في النار، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان أو مثقال خردلة من إيمان، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته"[٣]

ويقول الطحاوي–رحمه الله–«**ت: ٣٢١ هـ**»: "وأهل الكبائر من أمة محمد–صلى الله عليه

---

[١] انظر: فتح الباري لابن حجر «١٢/ ٧٨».

[٢] السنة للإمام أحمد «ص: ٧٢ –٧٣».

[٣] الفتاوى «٣/ ٣٧٤».

وسلم-في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨]. وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته، وبشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته"(١)

ومن هذه النصوص يتضح: أن أهل السنة وسط في حكم مرتكب الكبيرة الذي مات من غير توبة: فلم يقولوا: بعدم دخوله النار كما قالت المرجئة.

ولم يقولوا بتخليده فيها-كما قالت الخوارج-وإنما قالوا: هو تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أخرجه من النار وأدخله الجنة، فلا يخلد في النار.

أدلتهم: وقد أيدوا قولهم بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة، وإيثارا للإيجاز نذكر شيئا منها.

أدلتهم من الكتاب:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨].

يقول ابن جرير-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**»: ". . وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة في مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركا بالله"(٢).

وقال ابن الجوزي-رحمه الله-«**ت: ٥٩٧ هـ**»: والمراد من الآية أن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه، وفي قوله: سورة النساء الآية ٤٨ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ نعمة عظيمة من وجهين، أحدهما: أنها تقتضي أن كل ميت على ذنب دون الشرك لا يقطع عليه بالعذاب وإن مات مصرا. الثاني: أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين وهو أن يكونوا على خوف وطمع"(٣)

---

(١) الطحاوية «مع الشرح» «ص: ٤١٦-٤١٧».

(٢) تفسير الطبري «٥/ ٨٠».

(٣) تفسير ابن الجوزي «٢/ ١٠٣-١٠٤».

٢ - ومن الكتاب أيضا: قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية: ١٠٢].

يقول ابن كثير-رحمه الله-«**ت: ٧٧٤ هـ**»-في تفسير هذه الآية-: "لما بين تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغزاة رغبة عنها.. شرع في بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلا وميلا إلى الراحة مع إيمانهم وتصديقهم بالحق. فقال: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة: الآية: ١٠٢]. أي أقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم ولهم أعمال أخرى صالحة خلطوا هذه بتلك، فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه"(١)

وقال ابن سعدي-رحمه الله-«**ت: ١٣٧٦ هـ**»: ".. فهذه الآية دالة على أن المخلط المعترف النادم الذي لم يتب نصوحا أنه تحت الخوف والرجاء وهو إلى السلامة أقرب"(٢).

وقال أبو بكر الجزائري-رحمة الله-«**ت: ١٤٣٩ هـ**»: "إن من هداية هذه الآية: الرجاء لأهل التوحيد الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا بأن يغفر الله لهم ويرحمهم"(٣)

«**ب**»: أدلتهم من السنة: وهي كثيرة منها:

١ - حديث عبادة بن الصامت-رضي الله عنه-«**ت: ٣٤ هـ**» السابق ذكره آنفا. فإن فيه: «**ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**». (٤)

يقول النووي-رحمه الله-«**ت: ٦٧٦ هـ**»: وفي هذا الحديث فوائد منها: ". . الدلالة لمذهب أهل الحق أن المعاصي غير الكفر لا يقطع لصاحبها بالنار إذا مات ولم يتب منها، بل

(١) تفسير ابن كثير «٣/ ١٤٤-١٤٥».

(٢) تفسير ابن سعدي «٣/ ١٣٨».

(٣) تفسير الجزائري «٣/ ٢٣٤».

(٤) صحيح البخاري الإيمان «١٨»، صحيح مسلم الحدود «١٧٠٩»، سنن الترمذي الحدود «١٤٣٩»، سنن النسائي البيعة «٤١٦٢»، سنن الدارمي السير «٢٤٥٣».

هو في مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه.."[١]

٢ - حديث أبي ذر-رضي الله عنه-«**ت: ٣١ أو ٣٢ هـ**»، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال: بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة. فقلت: وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق**». [٢]. الحديث.

يقول النووي-رحمه الله-«**ت: ٦٧٦ هـ**»: "وأما حكمه-صلى الله عليه وسلم -على من مات مشركا بدخول النار، ومن مات غير مشرك بدخوله الجنة: فقد أجمع عليه المسلمون، فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه.

وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخل الجنة أولا، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرا عليها فهو تحت المشيئة، فإن عفي عنه دخل أولا، وإلا عذب ثم أخرج من النار وخلد في الجنة، والله أعلم.

وأما قوله-صلى الله عليه وسلم-: «**وإن زنى وإن سرق**» فهو حجة لمذهب أهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار، وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة"[٣]

٣ - ما رواه عبادة-رضي الله عنه-«**ت: ٣٤ هـ**»، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**». [٤]

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي «١١/ ٢٢٣-٢٢٤».

(٢) صحيح البخاري الجنائز «١١٨٠»، صحيح مسلم الزكاة «٩٤»، سنن الترمذي الإيمان «٢٦٤٤»، مسند أحمد بن حنبل «٥/ ١٥٩».

(٣) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم جـ ٢ صـ ٩٧.

(٤) متفق عليه. أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ «٤٧» «٤/ ١٣٩»، ومسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا: «١/ ٢٢٦». أورده ابن القيم في كتاب الصلاة «ص: ٣٠».

قال النووي-رحمه الله-«**ت: ٦٧٦ هـ**»: "قوله: «**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»، هذا محمول على إدخاله الجنة في الجملة، فإن كانت له معاص من الكبائر فهو في المشيئة، فإن عذب ختم له بالجنة"[١]

٤ - كذلك من أدلتهم تحقق الشفاعة الثابتة بالقرآن والسنة التي تدل على أن مرتكبي الكبائر لا يخلدون في النار إن دخلوها.

قال تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: الآية: ٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: الآية: ١٠٩].

فهاتان الآيتان وأمثالهما: فيها إثبات للشفاعة بالشروط التي أشارت إليها الآيتان. وهي: الإذن من الله للشافع ورضا الله عن المشفوع له، والإذن من الله للشافع يعطيه الصلاحية للشفاعة، ورضاه سبحانه عن المشفوع له يقتضي أن يكون مسلما موحدا.

وصاحب الكبيرة مسلم موحد"[٢]

وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت: ٥٧ هـ**»، قال: قال-صلى الله عليه وسلم-: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتجعل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة-إن شاء الله-من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**». [٣]

يقول النووي-رحمه الله-«**ت: ٦٧٦ هـ**»: "وأما قوله-صلى الله عليه وسلم-: «**فهي نائلة - إن شاء الله تعالى - من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا**». [٤]. ففيه دلالة لمذهب أهل

---

(١) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم «١/ ٢١٧».

(٢) انظر: براءة أهل السنة من تكفير عصاة الأمة «ص: ٢٦».

(٣) صحيح البخاري الدعوات «٥٩٤٥»، صحيح مسلم الإيمان «١٩٩»، سنن الترمذي الدعوات «٣٦٠٢»، سنن ابن ماجه الزهد «٤٣٠٧»، مسند أحمد بن حنبل «٢/٤٢٦»، موطأ مالك كتاب النداء للصلاة «٤٩٢»، سنن الدارمي الرقاق «٢٨٠٥».

(٤) صحيح البخاري الجنائز «١١٨٠»، سنن الترمذي الإيمان «٢٦٤٤»، مسند أحمد بن حنبل «٥/ ١٥٩».

الحق أن كل من مات غير مشرك بالله تعالى لم يخلد في النار وإن كان مصرا على الكبائر"[١]

وعن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-«**ت: ٧٤ هـ**»، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**». [٢]. الحديث.

وعن أنس بن مالك-رضي الله عنه-«**ت: ٩١ أو ٩٢ أو ٩٣ هـ**»، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

فهذه الأحاديث وأمثالها تدل على ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر، وأنه يخرج بها من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ومرتكب الكبيرة معه إيمان فهي نائلته – إن شاء الله – وإذا كان كذلك فإنه لا يخلد في النار.

وعليه فإن مرتكب الكبيرة يدخل النار إذا لم يشأ الله المغفرة له خلافا للمرجئة لكنه لا يخلد فيها خلافا للخوارج.

القول الثاني: رأي الخوارج والمعتزلة.

أولًا: رأي الخوارج في حكم مرتكب الكبيرة مع المناقشة

رأي الخوارج في حكم مرتكب الكبيرة.

اختلف في قول الخوارج والمعتزلة في هذه المسألة —

١-فقال بعض كتاب الفرق إن الخوارج يجمعون على تكفير مرتكب الكبيرة، وأنه مخلد في النار. [٣]

---

(١) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم «٣/ ٧٥».

(٢) صحيح البخاري الإيمان «٢٢».

(٣) كالكعبي انظر: الفرق بين الفرق «ص: ٧٢»، والشهرستاني الملل والنحل «١/ ٥٦»، والرازي اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي «ص: ٤٦».

٢-وقال بعضهم: كالأشعري-رحمه الله-«**ت: ٣٢٤ هـ**»، [١]، والبغدادي-رحمه الله- «**ت: ٤٢٩ هـ**»، [٢]: إن هذه المسألة لم يجمعوا عليها وهو الأظهر. [٣]

- فقد قالت الإباضية: إن مرتكبي الكبائر موحدون لا مؤمنون لذا مناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال، لأنهم إنما كفروا كفر نعمة لا كفر ملة. [٤]

كذلك النجدات أتباع نجدة بن عامر الحنفي «**ت: ٧٢ هـ**»، فرقة من فرق الخوارج [٥] قالوا: الفاسق من موافقيهم كافر كفر نعمة. [٦]

أما المحكمة أول فرقة من فرق الخوارج [٧] الأولى، والأزارقة أتباع نافع بن الأزرق «**ت: ٦٥ هـ**». [٨]، والعجاردة أتباع عبد الكريم بن عجرد. [٩]، ومن وافقهم، فقد قرروا: أن مرتكب الكبيرة من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - كافر مخلد في النار. [١٠]

وقد وافقهم المعتزلة في الحكم الأخروي حيث قالوا: إن مرتكب الكبيرة في الآخرة مخلد في النار. إلا أنهم قالوا بأن عذابه أخف من عذاب الكافر. [١١]

شبهاتهم والجواب عليها:

---

(١) المقالات للأشعري «ص: ١٥٦».

(٢) الفرق بين الفرق «ص: ٧٢».

(٣) انظر: الفرق بين الفرق «ص: ٧٢».

(٤) الفرق بين الفرق «ص: ٩٥»، ودراسات في الفرق «ص: ١٠٠».

(٥) . انظر: الفرق بين الفرق «ص: ٨١-٨٤».

(٦) الفرق بين الفرق «ص: ٧٢-٧٣».

(٧) انظر: الفرق بين الفرق «ص: ٧٣-٧٨».

(٨) انظر: الملل والنحل «١/ ١٦٣»، والفرق بين الفرق «ص: ٧٨-٨١».

(٩) انظر: الملل والنحل «١/ ١٧٢»، والفرق بين الفرق «ص: ٨٧».

(١٠) انظر الفرق بين الفرق صـ ٧٧، ودراسات في الفرق «ص: ١٠٠».

(١١) انظر: التبصير في الدين للإسفراييني «ص: ٤٢»، والملل والنحل «١/ ٤٨».

لقد تمسك الخوارج ومن وافقهم في قولهم بهذه البدعة بشبهات منها ما يلي:

الشبهة الأولى:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: الآية: ٢٧].

وجه الدلالة:

يقول ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وقد احتجت الخوارج والمعتزلة بهذه الآية وقالوا: صاحب الكبيرة ليس من المتقين فلا يتقبل الله منه عملا، فلا يكون له حسنة، وأعظم الحسنات الإيمان، فلا يكون معه إيمان فيستحق الخلود في النار"[١].

الجواب: قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»، بعد أن أورد بعض الأجوبة على هذه الشبهة قال: "والجواب الصحيح أن المراد من اتقى الله في ذلك العمل كما قال الفضيل بن عياض–رحمه الله–«**ت: ١٨٦ هـ**» في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: الآية: ٢] قال: أخلصه وأصوبه. قيل يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة فمن عمل لغير الله – كأهل الرياء – لم يقبل منه ذلك كما في الحديث الصحيح يقول الله عز وجل: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»، وقال–صلى الله عليه وسلم–في الحديث الصحيح: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**». [٢]. أي فهو مردود غير مقبول. فمن اتقى الكفر وعمل عملا ليس عليه أمر النبي–صلى الله عليه وسلم–لم يقبل منه كمن صلى بغير وضوء لم يقبل منه؛ لأنه ليس متقيا في ذلك العمل وإن كان متقيا للشرك.. إلى أن قال: لا يجوز أن يراد بالآية إن الله لا يقبل العمل إلا ممن يتقي الذنوب كلها؛ لأن الكافر والفاسق حين يريد أن يتوب ليس متقيا، فلو كان قبول العمل مشروطا بكون الفاعل

---

(١) الفتاوى «٧/ ٤٩٤–٤٩٥».

(٢) صحيح مسلم الأقضية «١٧١٨»، مسند أحمد بن حنبل «٦/ ١٨٠».

حين فعله لا ذنب له امتنع قبول التوبة. بخلاف ما إذا اشترط التقوى في العمل، فإن التائب حين يتوب يأتي بالتوبة الواجبة، وهو حين شروعه في التوبة منتقل من الشر إلى الخير لم يخلص من الذنب، بل هو متق في حال تخلصه منه.

وأيضا فلو أتى الإنسان بأعمال البر–وهو مصر على كبيرة ثم تاب لوجب أن تسقط سيئاته بالتوبة وتقبل منه تلك الحسنات–وهو حين أتى بها كان فاسقا وأيضا: الكافر إذا أسلم وعليه للناس مظالم.. وكذلك الذمي إذا أسلم – قبل إسلامه مع بقاء مظالم العباد عليه؛ فلو كان العمل لا يقبل إلا ممن لا كبيرة عليه لم يصح إسلام الذمي حتى يتوب من الفواحش.. بل يكون مع إسلامه مخلدا.

وقد كان الناس مسلمين في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولهم ذنوب وعليهم تبعات فيقبل إسلامهم.. ولا نعرف أحدا من المسلمين جاءه ذمي يسلم فقال له لا يصح إسلامك حتى لا يكون عليك ذنب وكذلك سائر أعمال البر من الصلاة والزكاة وغيرهما"(١)

فإذا كان المراد بالمتقين في ذلك العمل الذي وعد بقبوله لم يلزم عدم قبول العمل من صاحب الكبيرة وبذلك يبطل الاستدلال بالآية على تخليد صاحب الكبيرة في النار. والله أعلم.

الشبهة الثانية:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: الآية: ٤٩].

وجه الدلالة: قالوا: والفاسق تحيط به جهنم فوجب أن يكون كافرا. (٢)

الجواب: نقول: إن الآية تؤكد بأن جهنم محيطة بالكافرين وهو من أنواع عذاب الله لهم لكنها لم تقصر الإحاطة بهم؛ إذ أنه سبحانه لم يقل: وإن جهنم لا تحيط إلا بالكافرين وليس يلزم من كونها محيطة بقوم إلا تحيط بقوم سواهم، أي لا يلزم من كونها محيطة بالكافرين إلا

(١) انظر: الفتاوى «٧/ ٤٩٥-٤٩٨».

(٢) شرح نهج البلاغة «٨/ ١٥».

تحيط بالفاسقين وعليه فلا دلالة في الآية على ما يزعمونه. [(١)]

الشبهة الثالثة:

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: الآية: ٢].

وجه الدلالة: قالوا: إن هذا يقتضي أن من لا يكون مؤمنًا فهو كافر، والفاسق ليس بمؤمن فوجب أن يكون كافرًا. [(٢)]

الجواب: يقال لهم: أولا: أما قولكم الفاسق ليس بمؤمن، إن أردتم ليس بمؤمن كامل الإيمان فنحن نوافقكم على ذلك، وإن أردتم نفي الإيمان المطلق فهذا مردود، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، وكونه مؤمنا ناقص الإيمان لا ينافي نسبته إلى الفئة المؤمنة بدليل أن الله نسبه إلى المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ الآية [الحجرات: الآية: ٩]، وإذا كان كذلك فلا دلالة في الآية على ما تزعمونه.

ثانيا: على التسليم بأن الفاسق لا ينسب إلى الفئة المؤمنة فإن «**من**» هاهنا للتبعيض، وليس في ذكر التبعيض نفي الثالث، وهو الفاسق: المؤمن بإيمانه الفاسق بكبيرته، أو المؤمن ناقص الإيمان.

كما أن قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ الآية [النور: الآية: ٤٥]، لا ينبغي وجود دابة تمشي على أكثر من أربع كبعض الحشرات. [(٣)]. وبذلك يبطل استدلالكم بالآية على تكفير الفاسق. والله أعلم

الشبهة الرابعة:

استدلوا بعموم النصوص التي فيها الوعيد بالتخليد لأصحاب الكبائر

كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء:

---

(١) انظر: نهج البلاغة «٨/ ١٥».

(٢) انظر: نهج البلاغة «٨/ ١١٨».

(٣) انظر: نهج البلاغة «٨/ ١١٨».

الآية: ١٤]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية: ٩٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: الآية: ٦٨]. وغيرها كثير.[١]

وجه الاستدلال: قالوا هذه النصوص فيها الوعيد بالتخليد لأصحاب الكبائر في النار ولا يخلد في النار إلا الكفار.[٢].

الجواب: في الإجابة عن هذه النصوص أقوال منها.

الأول: أن المراد بالخلود لمستحل هذه الكبائر، والمستحل كافر إجماعا، والكافر مخلد.[٣].. لما روي عن ابن عباس في معنى قوله ﴿مُتَعَمِّدًا﴾ أنه قال متعمدا: أي مستحلا لقتله فهذا يئول إلى الكفر إجماعا والكافر مخلد.[٤].

وقال أبو السعود-رحمه الله-«**ت: ٩٨٢ هـ**»: "ولا دليل في الآية على القول بخلود عصاة المؤمنين في النار لما قيل إنها في حق المستحل، كما هو رأي عكرمة وأحزابه، بدليل أنها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني المرتد"[٥]

وقال الطبري-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**» في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ [النساء: الآية: ١٤]، قال: فإن قال قائل: أو مخلد في النار من عصى الله ورسوله في قسمة الميراث؟ قيل: نعم. إذا جمع إلى معصيتهما في ذلك شكا في أن الله فرض عليه ما

---

(١) انظر: الفصل «٤/ ٤٦»، ولوامع الأنوار البهية «١/ ٣٧٠».

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية «١/ ٣٦٨»، والفصل «٤/ ٤٦».

(٣) لوامع الأنوار البهية «١/ ٣٧٠».

(٤) انظر: تفسير القرطبي «٥/ ٣٣٤».

(٥) تفسير أبي السعود «٢/ ٢١٧».

فرض على عباده في هاتين الآيتين، أو علم ذلك فحاد الله ورسوله في أمرهما.[(١)]

وقال الشوكاني -رحمه الله- «ت: ١٢٥٠ هـ» في قوله: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: الآية: ٦٨]، "أي فيستحلون الزوجة المحرمة بغير نكاح"[(٢)]

وعلى هذا فالآيات لا تتناول صاحب الكبيرة؛ لأنها في الكافر.

الثاني: أن الجزاء في الآيات ليس المقصود وقوعه وإنما الإخبار به.[(٣)]

يقول الطبري -رحمه الله- «ت: ٣١٠ هـ»: وقوله تعالى: ﴿فَجَزَاؤُهُ﴾ [النساء: الآية: ٩٣]، أي يستحق ما ذكره الله من العقاب إن شاء أن يجازيه.[(٤)].. وقال أبو السعود -رحمه الله- «ت: ٩٨٢ هـ» بمثل ذلك.[(٥)]، وإذا كان كذلك فلا دلالة في الآيات على تخليد أهل الكبائر في النار.

الثالث: وهو الأظهر: أن هذه النصوص مخصوصة بالنصوص الدالة على العفو بمشيئة الله، والتوبة، وأحاديث الشفاعة الدالة على إخراج الموحدين من النار.

يقول القرطبي -رحمه الله- «ت: ٦٧١ هـ» بعد ذكر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ [النساء: الآية: ٩٣]، "الآية مخصوصة بآيات وأحاديث، فمن الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: الآية: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: الآية: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨].

وتوضيح ذلك أنه ليس الأخذ بظاهر هذه النصوص أولى من الأخذ بظاهر تلك النصوص،

---

(١) تفسير الطبري «٨/ ٧٢».

(٢) انظر: تفسير الشوكاني «٤/ ٨٨».

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية «١/ ٣٧٠».

(٤) مختصر تفسير الطبري «ص: ٧٤».

(٥) تفسير أبي السعود «٢/ ٢١٧».

والأخذ بالظاهرين متناقض فلا بد من التخصيص.

وأما الأخبار المخصصة لعموم الآية فكثيرة، منها: حديث عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–«**ت: ٣٤ هـ**» أنه –صلى الله عليه وسلم– قال: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا . . . إلى أن قال: فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**».[١]

وحديث أبي هريرة–رضي الله عنه–«**ت: ٥٧ هـ**» في الرجل الذي قتل مائة نفس.[٢].

ثم إنهم ــ الخوارج ومن وافقهم ــ قد أجمعوا معنا في الرجل يشهد عليه بالقتل أو الزنا ويقر بأنه قتل أو زنى ويأتي السلطان فيقيم عليه الحد، فهذا غير نافذ عليه الوعيد في الآخرة إجماعا على مقتضى حديث عبادة. فقد انكسر عليهم ما تعلقوا به من عموم هذه النصوص ودخلها التخصيص بما ذكر"[٣]

من كلام القرطبي–رحمه الله–«**ت: ٦٧١ هـ**»: يظهر أن هذه النصوص مخصصة بالنصوص الدالة على العفو والتوبة. وعلية فيبطل الاستدلال بعمومها على تخليد أصحاب الكبائر في النار، والله أعلم.

الشبهة الخامسة:

استدلوا بما روى أبو هريرة–رضي الله عنه–«**ت: ٥٧ هـ**»، أن النبي–صلى الله عليه وسلم– قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**».[٤]. الحديث.

---

(١) رواه البخاري «٣٦٧٩»، ومسلم الحدود «١٧٠٩».

(٢) رواه مسلم «٤٦».

(٣) انظر: تفسير القرطبي «٥/ ٣٣٤».

(٤) رواه البخاري «٥٢٥٦»، ومسلم «٥٧».

وجه الاستدلال: أن ظاهر الحديث يدل على نفي الإيمان عمن أتى شيئا من هذه الكبائر ومن نفى عنه الإيمان فهو كافر.

يقول السمائلي–أحد علمائهم–«**ت: ١٤١٤ هـ**»: "الإيمان في قلوب أهله أثبت من الجبال الرواسي على قرارها، فلا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن: أي لا يبقى إيمان مع الزنا، فإنه إذا أقدم على الزنا خلع ربقة الإيمان من عنقه، فيزني وهو خارج من حيطة الإيمان الصحيح، إذ صار منتهكا لحرم ربه–عز وجل–فهو لا يقف على حدود طاعة الله تعالى، ومن كان كذلك فلا فرق بينه وبين الحيوان كما لا فرق بينه وبين الكافر"[(١)]

الجواب: يقول ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "الجمهور من السلف والخلف يقولون الإسلام أوسع من الإيمان، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا، ويقولون في قول النبي–صلى الله عليه وسلم–: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**». [(٢)]. الحديث، أنه يخرج من الإيمان إلى الإسلام، ودوروا للإسلام دارة ودوروا للإيمان دارة أصغر منها في جوفها وقالوا: إذا زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرجه من الإسلام إلى الكفر، ودليل ذلك أن الله تبارك وتعالى قال: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ [الحجرات: الآية: ١٤]، فقد قال تعالى: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: الآية: ١٤]، وهذا الحرف–أي لما–ينفي به ما قرب وجوده وانتظر وجوده ولم يوجد بعد. . . فلما قالوا: ﴿آمَنَّا﴾ قيل ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ بعد، بل الإيمان مرجو منتظر منكم. فالخطاب لهؤلاء المخاطبين قد أخبر عنهم أنهم لما يدخل الإيمان في قلوبهم ومع ذلك قيل لهم: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ [الحجرات: الآية: ١٤].

فلو لم يكونوا في هذه الحال مثابين على طاعة الله ورسوله لكان خلاف مدلول الخطاب.

---

(١) أصدق المناهج للسمائلي «ص: ٣٤-٣٥».

(٢) رواه البخاري الأشربة «٥٢٥٦»، ومسلم الإيمان «٥٧».

والإثابة على الطاعة تدل على وجود إيمان تصح به الطاعة ثم بين سبحانه وصف المؤمنين الذين أخرج هؤلاء منهم فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: الآية: ١٥]، وهذا نعت محقق الإيمان لا نعت من معه مثقال ذرة من إيمان كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: الآية: ٢] ، ومنه قوله–صلى الله عليه وسلم–: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»، وأمثال ذلك ، فدل البيان على أن الإيمان المنفي عن هؤلاء الأعراب: هو هذا الإيمان الذي نفي عن فساق أهل القبلة الذين لا يخلدون في النار، بل قد يكون مع أحدهم مثقال ذرة من إيمان، ونفي هذا الإيمان لا يقتضي ثبوت الكفر الذي يخلد صاحبه في النار"[(١)]

وعلى ذلك فالإيمان المنفي عن الزاني إنما هو الإيمان الكامل. [(٢)] ونفي هذا الإيمان لا يقتضي ثبوت الكفر الذي يخلد في النار.

ومما يؤكد ذلك ما ورد في الصحيحين عن أبي ذر–رضي الله عنه–«**ت: ٣١ أو ٣٢ هـ**»أنه قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «**أتاني جبريل – عليه السلام – فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق**». الحديث. [(٣)]

فدل هذا على أن من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة بمشيئة الله، وإن ارتكب بعض الكبائر كالزنا والسرقة مما يدل على أن ارتكاب هذه الكبائر لا يخرج من الإيمان إلى الكفر وإنما ينقص الإيمان، وإذ كان كذلك فلا دلالة في الحديث على ما يزعمونه، والله أعلم.

الشبهة السادسة:

---

(١) الفتاوى «٧/ ٤٧٦، ٤٧٨». بتصرف.

(٢) انظر: قواعد العقائد للغزالي «ص: ٢٥٩». وشرح صحيح مسلم للنووي «٢/ ٤١».

(٣) صحيح البخاري الرقاق «٦٠٧٨»، صحيح مسلم الإيمان «٩٤»، سنن الترمذي الإيمان «٢٦٤٤»، مسند أحمد بن حنبل «٥/١٥٢».

قوله–صلى الله عليه وسلم–: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**». [١]

يقول ابن حزم–رحمه الله–«**ت: ٤٥٦ هـ**»: "واحتج أيضًا من كفر من ذكرنا بأحاديث منها قوله–صلى الله عليه وسلم–: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**».

ويقول ابن حجر–رحمه الله–«: **٨٥٢ هـ**»، –بعد سياقه هذا الحديث–: إن ظاهره يقوي مذهب الخوارج الذين يكفرون بالمعاصي"[٢]

الجواب: يقول ابن حجر–رحمه الله–«: **٨٥٢ هـ**»، –بعد أن أورد هذا الحديث–: "ولا مستمسك للخوارج فيه لأن ظاهره غير مراد، لكن لما كان القتال أشد من السباب؛ لأنه مفض إلى إزهاق الروح، عبر عنه بلفظ أشد من لفظ الفسق وهو الكفر، ولم يرد حقيقة الكفر المخرج من الملة، بل أطلق عليه الكفر مبالغة في التحذير معتمدا على ما تقرر من القواعد أن مثل ذلك لا يخرج عن الملة، مثل حديث الشفاعة، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ١١٦].

أو أطلق عليه الكفر لشبهه به؛ لأن قتال المؤمن من شأن الكافر"[٣]

وقال ابن حزم–رحمه الله–«**ت: ٤٥٦ هـ**»: إن قوله – عليه الصلاة والسلام – «**المسلم**» هاهنا عموم للجنس ولا خلاف في أن من نابذ جميع المسلمين وقاتلهم لإسلامهم فهو كافر. برهان هذا هو ما ذكرنا قبل من نص القرآن في أن القاتل عمدا والمقاتل مؤمنان، وكلامه–صلى الله عليه وسلم–لا يتعارض ولا يختلف"[٤]

من كلام ابن حجر وابن حزم يتضح أنه لا يراد بالحديث الحكم بالكفر المخرج من الملة على مرتكب كبيرة القتل، وإذا كان كذلك لم يبق للخوارج مستمسك في الحديث، والله أعلم.

---

(١) أخرجه النسائي «٤١١٢»، والبخاري في «التاريخ الكبير» «٧/ ٥٧» والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» «١٠٩٢».

(٢) فتح الباري لابن حجر «١/ ١١٢».

(٣) فتح الباري «١/ ١١٢».

(٤) الفصل لابن حزم «٣/ ٢٣٧».

فقتال المسلم وإن وصفه النبي ﷺ بالكفر في قوله: «**سِباب المُسلم فُسوق، وقِتاله كفرٌ**»[1]، إلا أن المراد به: الكفر الأصغر الذي لا يُخرج من الملة؛ لأن الله- عز وجل- قد أثبت أُخوَّة الإيمان للمؤمنين حال اقتتالهم ونزاعهم؛ فقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]، وكذلك أثبت أخوة الإيمان لمن قتل أخاه المسلم فقال جل وعلا: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

الشبهة السابعة:

يقول ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»، -بعد أن ذكر رأيهم في مرتكب الكبيرة- : "وجماع شبهتهم في ذلك أن الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها كالعشرة فإنه إذا زال بعضها لم تبق عشرة، وكذلك الأجسام المركبة كالسكنجبين إذا زال أحد جزئيه خرج عن كونه سكنجبينا. قالوا: فإذا كان الإيمان مركبا من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة، لزم زوآله بزوال بعضها. وهذا قول الخوارج والمعتزلة"[2]

الجواب: يقال لهم لا يلزم من زوال بعض الأمور المجتمعة زوال سائرها، سواء سميت مركبة أو مؤلفة أو غير ذلك، لا يلزم من زوال بعض الأجزاء زوال سائرها. وما مثلوا به من العشرة والسكنجبين مطابق لذلك، فإن الواحد من العشرة إذا زال لم يلزم زوال التسعة، بل قد تبقى التسعة، فإذا زوال أحد جزئي المركب لا يلزم منه زوال الجزء الآخر، لكن أكثر ما يقولون زالت الهيئة الاجتماعية وزال ذلك الاسم الذي استحقته الهيئة بذلك الاجتماع والتركيب كما يزول

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري «٤٨» ومسلم «٦٤» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) "الفتاوى «٧/ ٥١١». وانظر: الفصل «٤/ ٤٧».

اسم العشرة والسكنجبين.

فيقال: أما كون ذلك المجتمع المركب ما بقي على تركيبه فهذا لا ينازع فيه عاقل، ولا يدعي عاقل أن الإيمان، أو الصلاة، أو الحج، أو غير ذلك من العبادات المتناولة لأمور، إذا زال بعضها بقي ذلك المجتمع المركب كما كان قبل زوال بعضه، ولكن لا يلزم زوال بقية الأجزاء.

وأما زوال الاسم فيقال لهم هذا «**أولًا**» بحث لفظي، إذا قدر أن الإيمان له أبعاض وشعب، كما قال – صلى الله عليه وسلم–في الحديث المتفق عليه: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**». [١]، كما أن الصلاة والحج له أجزاء وشعب، ولا يلزم من زوال شعبة من شعبه زوال سائر الأجزاء والشعب، كما لا يلزم من زوال بعض أجزاء الحج والصلاة زوال سائر الأجزاء، فدعواهم أنه إذا زال بعض المركب زال البعض الآخر ليس بصواب، ونحن نسلم لهم أنه ما بقي إلا بعضه لا كله وأن الهيئة الاجتماعية ما بقيت كما كانت. بقي النزاع هل يلزم زوال الاسم بزوال بعض الأجزاء، فيقال لهم: المركبات في ذلك على وجهين، منها: ما يكون التركيب شرطا في إطلاق الاسم، ومنها: ما لا يكون كذلك، فالأول كاسم العشرة . . . ومنها ما يبقى الاسم بعد زوال بعض الأجزاء وجميع المركبات المتشابهة الأجزاء من هذا الباب وكذلك كثير من المختلفة الأجزاء، فإن المكيلات والموزونات كالحنطة تسمى حنطة وهي بعد النقص حنطة، وكذلك التراب والماء ونحو ذلك. وكذلك لفظ العبادة والطاعة ونحو ذلك مما يدخل فيه أمور كثيرة، يطلق الاسم عليها قليلها وكثيرها. وكذلك لفظ القرآن يقال على جميعه وعلى بعضه. وإذا كانت المركبات على نوعين، بل غالبها من هذا النوع لم يصح قولهم إنه إذا زال جزؤه لزم أن يزول الاسم إذا أمكن أن يبقى الاسم مع بقاء الجزء الباقي.

ومعلوم أن اسم «**الإيمان**» من هذا الباب فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء**

---

(١) رواه البخاري «٩»، ومسلم «٣٥».

شعبة من الإيمان» ثم من المعلوم أنه إذا زالت الإماطة ونحوها لم يزل اسم الإيمان. وقد ثبت عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان**». [(١)] . فأخبر أنه يتبعض ويبقى بعضه وأن ذلك من الإيمان، فعلم أن بعض الإيمان يزول ويبقى بعضه، وهذا ينقض مآخذهم الفاسدة ويبين أن اسم الإيمان مثل اسم القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه، وعليه فالإيمان يزول بعضه ولا يلزم زوال الباقي كما لا يلزم زوال اسمه وبذلك تبطل هذه الشبهة، والله أعلم. [(٢)] .

في ذكر بعض اللوازم والأدلة التي تؤكد بطلان هذه البدعة:

بعد عرض أمثلة من شبهاتهم والجواب عنها نشير إلى بعض اللوازم والأدلة التي تؤكد بطلان هذه البدعة. مما يؤكد بطلان هذه البدعة ما يلي:

أولًا: أنه يلزم من القول بأن مرتكب الكبيرة كافر أن يكون حكمه حكم غيره ممن كفر بعد إيمانه، وهو أن يكون مرتدا يجب قتله؛ لقوله–صلى الله عليه وسلم–: من بدل دينه فاقتلوه ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة والخمر. وهذا معلوم بطلانه بالضرورة من دين الإسلام، إذ أن نصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني ــ البكر ــ والسارق والقاذف لا يقتلون، بل يقام عليهم الحد.

كما قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: الآية: ٢]، وقال تعالى في حكم السارق: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: الآية: ٣٨]، وفي شراب الخمر روي عن عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–«**ت: ٢٣ هـ**»، أن رجلا كان على عهد رسول الله–صلى الله عليه وسلم–كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك النبي–صلى الله عليه وسلم–وكان–صلى الله عليه وسلم–قد جلده في الشراب، فأتي به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم

---

(١) سنن الترمذي «٢٥٩٨».

(٢) الفتاوى «٧/ ٥١٤-٥١٧». «بتصرف».

العنه ما أكثر ما يؤتى به ، فقال-صلى الله عليه وسلم-: «**لا تلعنوه فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله**»، فقد أمر-صلى الله عليه وسلم-بجلد شارب الخمر ولم يقتله بل نهى عن لعنه بعينه، وشهد لهذا الرجل بحب الله ورسوله مع أنه تكرر منه شرب الخمر ، ولم يحكم عليه ولا على غيره من أصحاب الكبائر كالسارق والزاني بالكفر، بل كان يستغفر لهم"[١]

كما أجمعت الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على ذلك. فدل ذلك على أنه ليس بمرتد.

كما يلزم أيضا من كونه كافرا التفريق بينه وبين أهله، وأن لا يرث ولا يورث إلى غير ذلك مما يشترط فيه الإسلام؛ لقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ﴾ [البقرة: الآية: ٢٢١]. ولقوله-صلى الله عليه وسلم-: «**لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم**».

لكن النبي-صلى الله عليه وسلم-لم يفرق بين من فعل الكبيرة مما دون الشرك وبين أهله ولم يحرمه من ميراث من له الإرث منه، وكذلك صحابته والتابعون لهم بإحسان مما يدل على أنه غير كافر.

ثانيًا: أن الله سمى أهل الكبائر مؤمنين مع ارتكابهم لها؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: الآية: ٩]. [٢].

قال ابن كثير-رحمه الله-«**ت: ٧٧٤ هـ**»: "فسماهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم"[٣]. ومثل هذه الآية أيضا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: الآية:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى «٧/ ٤٨٣، ٦٧١».

(٢) انظر: الفتاوى «٧/ ٤٨٣».

(٣) تفسير ابن كثير «٤/ ٢٢١».

.[١٧٨

قال ابن حزم-رحمه الله-«**ت: ٤٥٦ هـ**»: فابتدأ الله عز وجل بخطاب أهل الإيمان من كان فيهم من قاتل أو مقتول، ونص تعالى على أن القاتل عمدا وولي المقتول أخوان. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: الآية: ١٠]. فصح أن القاتل عمدا مؤمن بنص القران، وحكمه له بأخوة الإيمان، ولا تكون للكافر مع المؤمن تلك الأخوة"[(١)]

وإذا صح أن مرتكب الكبيرة لم يخرج من الإيمان بطل ما تزعمه الخوارج من القول بكفره وأنه مخلد في النار.

ثالثًا: ما ورد من الأدلة على الموازنة بين الحسنات والسيئات وأن الله لا يضيع عمل عامل، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ [الأنبياء: الآية: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: الآية: ٧]، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: الآية: ٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: الآية: ٤٠].

وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت: ٥٧ هـ**» أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: «**أتدرون من المفلس؟**»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**». [(٢)]

فصح بما ذكر أن للعصاة حسنات مقبولة وإذا كانوا كذلك لم يكونوا كافرين"[(٣)]

---

(١) الفصل «٣/ ٢٣٥-٢٣٦».

(٢) رواه مسلم «٢٥٨١».

(٣) انظر: الفصل «٣/ ٢٣٢-٢٣٣»، «٤/ ٤٨-٤٩».

رابعًا: ما ورد من الأدلة التي تدل على عفو الله عن عباده وسعة مغفرته لهم وأنه لا يضيع إيمانهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨].

فقد دلت هذه الآية على أن مغفرته سبحانه قد تنال كل صاحب معصية بمشيئتة غير الشرك، ومرتكب الكبيرة ليس بمشرك، وعليه فهو داخل تحت مشيئة الله.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: الآية: ١٤٣]، ومرتكب الكبيرة معه إيمان فالله لا يضيع إيمانه، وعليه فهو ليس بكافر.

وعن عبادة بن الصامت-رضي الله عنه-«**ت: ٣٤ هـ**»، قال: قال-صلى الله عليه وسلم-: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**». [١]. ومرتكب الكبيرة قد شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله – فهو موعود بدخول الجنة ومن وعد بدخولها فليس بكافر.

وإذا ثبت أن مرتكب الكبيرة مما دون الشرك تحت مشيئة الله. [٢]، وأن الله لا يضيع إيمانه، بل إن الله وعده بالجنة، إذا ثبت ذلك بطل القول بكفره وأنه مخلد في النار.

خامسًا: ما ورد من الأدلة الدالة على الشفاعة بأنواعها المختلفة التي أعظمها شفاعة نبينا-صلى الله عليه وسلم-لأهل الموقف وهي المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: الآية: ٧٩]، فهذا نوع من أنواع شفاعته-صلى الله عليه وسلم-ومن أنواعها ما روى البخاري عن أبي هريرة-رضي الله عنه-«**ت: ٥٧ هـ**»، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: «**لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**». ومرتكب الكبيرة ليس بمشرك فهي نائلته إن شاء

(١) صحيح البخاري أحاديث الأنبياء «٣٢٥٢»، سنن الترمذي الإيمان «٢٦٣٨».

(٢) انظر: الفتاوى جـ ٧ صـ ٤٨٤. ٤٨٧. وتأملات في التراث العقدي صـ ٢٤٢ . ٢٤٣.

الله.

وورد من أنواع الشفاعة شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض؛ لما روى أبو سعيد الخدري-رضي الله عنه-«**ت: ٧٤ هـ**»، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: «**يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا : يا رسول الله وما الجسر؟، قال : مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق ، وكالريح، وكأجاود الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبا فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار ، وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ، ويحرم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى إنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوهم ، فيخرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا**». الحديث.[١]

"وبعض أنواع الشفاعة إنما تكون للعصاة الذين استحقوا العذاب بسبب ارتكاب المعاصي أو التقصير في الطاعات، وإذا ثبتت الشفاعة للعصاة انتفى القول بخلودهم في النار"[٢].

وقد أنكرت الخوارج هذا النوع من الشفاعة محتجين بأن الشفاعة للعاصي رضا بعصيانه"[٣]

ويرد عليهم: بأن الشفاعة للعاصي ليست رضا بعصيانه؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لما احتاج إلى الشفاعة، ولكن عفو الله ومغفرته، وقبول الأعمال الصالحة جعلت لبعض العصاة حقا في

---

(١) رواه البخاري «٧٠٠٢»، ومسلم «١٨٢».

(٢) انظر: الاعتقاد للبيهقي «ص: ١٩١، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٣».

(٣) انظر: أصدق المناهج للسمائلي «ص: ٢٧».

الشفاعة"[(١)]. [(٢)].

ثانيًا: رأي المعتزلة في حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا مع المناقشة. [(٣)].

ذكرنا-آنفا-عند بيان رأي الخوارج في حكم مرتكب الكبيرة - أن المعتزلة يوافقونهم في حكمه في الآخرة، إلا أنهم يخالفونهم في حكمه في الدنيا.

فيرى المعتزلة: أن مرتكب الكبيرة - في الدنيا - ليس مؤمنًا ولا كافرًا لا في الاسم ولا في الحكم؛ بل هو في منزلة بين المنزلتين، فلا يسمى مؤمنا ولا كافرا وإنما يسمى فاسقا.

وحكمه كذلك بين الحكمين، فلا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن وإنما له حكم بينهما.

والمعتزلة اختلفوا في حكم كل من الصغائر والكبائر عندهم.

أما الصغائر فقد ذكر أبو الحسن الأشعري أنهم لم يتفقوا على قول واحد بشأنها، بل دار بينهم الخلاف في ذلك على أقوال ثلاثة:

١-أن الله سبحانه يغفر الصغائر إذا اجتنبت الكبائر تفضلا.

٢-أن الله يغفر الصغائر إذا اجتنبت الكبائر باستحقاق.

٣-أن الله لا يغفر الصغائر إلا بالتوبة .

فهذه أقوال ثلاثة عند المعتزلة، اثنان منها قالت بالغفران، والخلاف بينهما في الاستحقاق والتفضل، والاستحقاق كما هو واضح فيه تحكم على الله سبحانه، وذلك غير لائق بحال.

ولكن من مبادئ المعتزلة المشهورة عنهم قولهم بوجوب الصلاح والأصلح، ولا يخفى ما في هذا المبدأ من جسارة وعدم تأدب مع الله سبحانه وتعالى، أما القول الثالث فإنه يجعل الصغيرة بمنزلة الكبيرة في عدم الغفران إلا بالتوبة، وهذا لم يقل به أحد، ومخالف أيضا لما

---

(١) انظر: تأملات في التراث العقدي للفرق الكلامية «فرق الخوارج» «ص: ٢٤٥».

(٢) المصدر: وسطية أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة بين الخوارج والمرجئة.

(٣) المصدر: الموسوعة العقدية بموقع الدرر السنية.

عليه المعتزلة أنفسهم من الفرق بين الصغيرة والكبيرة من حيث المعنى والاعتبار.

قال القاضي عبد الجبار «**ت: ٤١٥ هـ**»: "الأصل في ذلك أن هذه العبارة إنما تستعمل في شيء بين شيئين ينجذب إلى كل واحد منهما بشبه، هذا في أصل اللغة، وأما في اصطلاح المتكلمين فهو العلم بأن لصاحب الكبيرة اسما بين الاسمين، وحكما بين الحكمين"[(١)].

وشرح القاضي هذا التعريف، فقال: "إن صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين، فلا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقا، وكذلك صاحب الكبيرة له حكم بين الحكمين، فلا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن، بل يفرد له حكم ثالث، وهذا الحكم الذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين؛ فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان، فليست منزلته منزلة الكافر ولا منزلة المؤمن، بل له منزلة بينهما"[(٢)]

وقال ابن المرتضى «**ت: ٤٨٠ هـ**»: "أما ما أجمعت عليه المعتزلة فقد أجمعت على المنزلة بين المنزلتين، وهو أن الفاسق لا يسمى مؤمنا ولا كافرا"[(٣)]

وقال الإسفراييني «**ت: ٤١٨ هـ**»: "مما اتفقت عليه المعتزلة من فضائحهم قولهم: إن حال الفاسق الملي يكون في منزلة بين المنزلتين؛ لا هو مؤمن، ولا كافر، وإن هو خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون مخلدًا في النار، ولا يجوز لله تعالى أن يغفر له أو يرحمه، أي: إن مرتكب الكبيرة بكونه يشبه المؤمن في عقده، ولا يشبهه في عمله، ويشبه الكافر في عمله، ولا يشبهه في عقده؛ أصبح وسطا بين الاثنين، وتبعا لهذا يكون عذابه أقل من عذاب الكافر"[(٤)]

شبههم:

١-الشبه السمعية التي استدل بها المعتزلة على خلود مرتكب الكبيرة في النار

---

(١) شرح الأصول الخمسة «ص: ١٣٧».

(٢) شرح الأصول الخمسة «ص: ٦٩٧».

(٣) المنية والأمل «ص: ٦».

(٤) التبصير في الدين «ص: ٤٢».

الشبهة الأولى:

استدلوا بعموم الآيات الواردة في الوعيد، ومن هذه الآيات التي هي مناط استدلالهم:

١- قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: الآية: ١٤] .

وجه الدلالة: أن الله تبارك وتعالى أخبر أن العصاة يعذبون بالنار ويخلدون فيها، والعاصي اسم يتناول الفاسق والكافر جميعا، فيجب حمله عليهما؛ لأنه تعالى لو أراد أحدهما دون الآخر لبينه، فلما لم يبينه دل على ما ذكرناه"[١]

٢- قول الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية: ٩٣].

وجه الدلالة: أن الله تعالى بين أن من يقتل مؤمنا عمدا جازاه وعاقبه، وغضب عليه ولعنه، وفي ذلك ما يؤكد كونه على سبيل الدوام، كما هو مصرح بذكر الخلود في الآية"[٢]

٣- قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٧٤] .

وجه الدلالة: أن المجرم اسم يتناول الكافر والفاسق جميعا، فيجب أن يكونا مرادين بالآية، معنيين بالنار؛ لأنه تعالى لو أراد أحدهما دون الآخر لبينه، فلما لم يبينه دل على أنه أرادهما جميعا. [٣]

هذه بعض أدلة المعتزلة من القرآن الكريم على قولهم بتخليد مرتكب الكبيرة في النار. وذكر القاضي عبد الجبار طريقة أخرى للاستدلال على هذا المعتقد، فقال: "هنا طريقة أخرى مركبة من السمع، وتحريرها: هو أن العاصي لا يخلو حاله من أحد أمرين: إما أن يعفى عنه،

(١) يُنظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار «ص: ٦٥٧».

(٢) يُنظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار «ص: ٦٦٠».

(٣) يُنظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار «ص: ٦٦٠».

أو لا يعفى عنه؛ فإن لم يعف عنه فقد بقي في النار خالدا، وهو الذي نقوله، وإن عفي عنه فلا يخلو إما أن يدخل الجنة أو لا؛ فإن لم يدخل الجنة لم يصح؛ لأنه لا دار بين الجنة والنار، فإذا لم يكن في النار وجب أن يكون في الجنة لا محالة، وإذا دخل الجنة فلا يخلو إما أن يدخلها مثابا أو متفضلا عليه، ولا يجوز أن يدخل الجنة متفضلا عليه؛ لأن الأمة اتفقت على أن المكلف إذا دخل الجنة فلا بد أن يكون حاله متميزا عن حال الولدان المخلدين، وعن حال الأطفال والمجانين، ولا يجوز أن يدخل الجنة مثابا؛ لأنه غير مستحق، وإثابة من لا يستحق الثواب قبيح، والله تعالى لا يفعل القبيح"(١)

وغرضه من هذا الكلام هو القول بأن الفاسق لا يجوز على الله تعالى أن يعفو عنه ويدخله الجنة؛ لأن دخوله الجنة لا يكون إلا عن ثواب لا عن تفضل من الله سبحانه؛ فالجنة عوض لازم للإنسان عن أعمال الخير إذا لم يشبها كبائر، والفاسق لا ثواب له، وإثابة من لا يستحق الثواب قبيح على الله تعالى، والحسن والقبح -كما هو معروف- أحد أصول المعتزلة التي يسيرون عليها في معتقداتهم، وإذا ثبت هذا فلا بد من دخول الفاسق النار خالدا، ولا يجوز على الله تعالى أن يعفو عنه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. (٢)

ذكر واصِلُ بنُ عطاءٍ «**ت: ١٣١ هـ**» أنه وجد أحكام الكفار المجمع عليها المنصوصة في القرآن كلها زائلة عن صاحب الكبيرة؛ فوجب زوال اسم الكفر عنه بزوال حكمه؛ لأن الحكم يتبع الاسم، كما أن الاسم يتبع الفعل.

وأحكام الكفر المجمع عليها على ضربين:

الأول: حكم أهل الكتاب: قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: الآية: ٢٩]؛ فهذا حكم الله في أهل الكتاب، وهو زائل عن

(١) شرح الأصول الخمسة «ص: ٦٦٦».

(٢) الروضة الندية شرح الواسطية «ص: ٣٩٢». بتصرف.

صاحب الكبيرة.

الثاني: حكم الله في مشركي العرب؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: الآية: ٤]؛ فهذا حكم الله في مشركي العرب، وفي كل كافر سوى أهل الكتاب، وهو زائل عن صاحب الكبيرة، ثم قد جاء في السنة المجمع عليها أن أهل الكفر لا يتوارثون، ولا يدفنون في مقابر أهل القبلة، وليس يفعل ذلك بصاحب الكبيرة.

وحكم الله في المنافق: أنه إن ستر نفاقه وكان ظاهره الإسلام، فهو مسلم، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وإن ظهر كفره استتيب؛ فإن تاب وإلا قتل، وهذا الحكم زائل عن صاحب الكبيرة، وحكم الله في المؤمن الولاية والمحبة والوعد بالجنة؛ قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٧] ، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٧] ، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: الآية: ٧٢] ، وحكم الله في صاحب الكبيرة أن لعنه وأعد له عذابا أليما؛ قال تعالى: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ [هود: الآية: ١٨] ، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: الآية: ١٤]، وما أشبه ذلك من القرآن؛ فوجب أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن؛ لزوال أحكام المؤمن عنه في كتاب الله، ووجب أنه ليس بكافر؛ لزوال أحكام الكفار عنه، ووجب أنه ليس بمنافق؛ لزوال أحكام المنافقين عنه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجب أنه فاسق فاجر؛ لتسمية الله له بذلك؛ لذا فهو فاسق مخلد في النار؛ لتوعد الله له بذلك، ولكنه في عذاب أخف من عذاب الكافر. (١)

وقال واصِلُ بنُ عطاءٍ «**ت: ١٣١ هـ**» أيضًا: "إن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمي المرء مؤمنًا وهو اسم مدح، والفاسق لم يستكمل خصال الخير، ولا استحق اسم

(١) ينظر: الانتصار للخياط «ص: ١١٨»، شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار «ص: ٧١٣-٧١٤»، «طبقات المعتزلة» لابن المرتضى «ص: ٨».

المدح؛ فلا يسمى مؤمنًا، وليس هو بكافر أيضًا؛ لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه لا وجه لإنكارها، لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالدًا فيها؛ إذ ليس في الآخرة إلا فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، ولكنه تخفف عنه النار"(١)

المناقشة:

يقال لهم: أما قولكم: إنه ليس بكافر، فهذا نوافقكم عليه، وأما قولكم: إنه ليس بمنافق، فكذلك هو ليس بمنافق؛ لأن كبيرته لا توجب استتابته، فإن تاب وإلا قتل، كما يفعل مع المنافق إذا ظهر نفاقه، أما إذا لم يظهر فلم يعلم: هل هو منافق أم لا، فإنه يعامل معاملة المسلمين.

وأما قولكم: إنه ليس بمؤمن، فهذا على إطلاقه لا نوافقكم عليه، بل نقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، قد نقص إيمانه بقدر ما ارتكب من معصية؛ فهو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته؛ فلا يكون له الاسم مطلقًا، ولا يسلب منه مطلق الإيمان.

ومما يدل على أن الفاسق لم تخرجه كبيرته من الإيمان ما يلي:

الآيات والأحاديث الناطقة بإطلاق لفظ الإيمان على العاصي، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: الآية: ١٧٨] ؛ فقد سمى الله القاتل أخا للمقتول، وهي الأخوة الإيمانية؛ مما يدل على أن كبيرة القتل لم تخرجه من الإيمان، وقبل ذلك فقد خاطبهم جميعا بلفظ الإيمان مع أن فيهم قتلة؛ مما يدل على أن الكبيرة لا تخرج من الإيمان.

وكقوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: الآية: ٩]؛ فقد أطلق اسم الإيمان على

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني «١/ ٤٨».

الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين؛ مما يدل على أن كبيرة القتل لم تخرجهما من الإيمان، وكذلك كبيرة البغي.[(١)]

ومن الأحاديث الدالة على أن الفاسق معه إيمان: ما رواه أبو ذر-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-؛ حيث قال: «**ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر**».[(٢)]

ففي هذا الحديث دلالة على أن من قال لا إله إلا الله، وإن ارتكب شيئا من الكبائر؛ فإنه يدخل الجنة؛ مما يدل على أن كبيرته لم تخرجه من الإيمان.

٢- إجماع الأمة من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا على الصلاة على من مات من أهل القبلة من غير توبة، والدعاء والاستغفار لهم، مع العلم بارتكابهم للكبائر، بعد الاتفاق على أن ذلك لا يجوز لغير المؤمن؛[(٣)] مما يدل على أنهم لم يخرجوا من الإيمان.

٣- قولكم: إن الفاسق قد أخرجه فسقه من الإيمان، ينبني على أن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله؛ لأنهم يقولون: إن من عمل كبيرة لم يبق معه من الإيمان شيء، وهو باطل.

قال ابن تيمية في معرض الرد على من قال بهذا القول: "وأما قول القائل: إن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله؛ فهذا ممنوع، وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان؛ فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله، ولم يبق منه شيء، ثم قالت الخوارج والمعتزلة: هو مجموع ما أمر الله به ورسوله، وهو الإيمان المطلق، كما قاله أهل الحديث، قالوا: فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء، فيخلد في النار. وقالت المرجئة على اختلاف

---

(١) ينظر: الروضة الندية شرح الواسطية للفياض «ص: ٣٩٢» بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري «٥٨٢٧» واللفظ له، ومسلم «٩٤».

(٣) شرح العقائد «ص: ١١٩» بتصرف.

فرقهم: لا تذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئا من الإيمان؛ إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء، فيكون شيئا واحدا يستوي فيه البر والفاجر، ونصوص الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه، كقوله صلى الله عليه وسلم: «**أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**»[(١)]؛ ولهذا كان أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل، وجمهورهم يقولون: يزيد وينقص، وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة، ولم يعرف فيهم مخالف؛ فمن ذلك ما روي من وجوه كثيرة عن حماد بن سلمة، عن أبي جعفر، عن جده عمير بن حبيب الخطمي، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الإيمان يزيد وينقص، قيل له: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا فذلك نقصانه"[(٢)]...، وأيضا: فإن الزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: الآية: ٢].

وهذه الزيادة وقت تلاوة الآية، وليس هو تصديقهم بها عند النزول، وكقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٧٣]؛ فهذه الزيادة عند تخويفهم العدو لم تكن عند آية نزلت، فازدادوا يقينا وتوكلا على الله، وثباتا على الجهاد"[(٣)]

ومثل هذه الآيات كثير؛ فإذا ثبت أن الإيمان يذهب بعضه، ويبقى بعضه، وأنه يزيد وينقص، بطل قولهم: إن الفسق يخرج من الإيمان، وعلى ذلك فالفاسق مؤمن ناقص الإيمان، وليس في منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان كما تدعون.

---

(١) أخرجه البخاري «٢٢» واللفظ له، ومسلم «١٨٤».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة «٣٠٩٦٣»، وعبد الله بن أحمد في السنة «٦٢٤»، والخلال في السنة «١٥٨٢» باختلاف يسير. قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى «٧/ ٢٢٤»: روي من وجوه كثيرة، مشهور. وقال السفاريني الحنبلي في «لوائح الأنوار السنية «٢/ ٣٠٧»: روي من وجوه كثيرة شهيرة.

(٣) الإيمان لابن تيمية «ص: ١٩٠-١٩٢» بتصرف، وينظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز «ص: ٢٧٦-٢٧٨».

ونقول أيضا: ما دام مرتكب الكبيرة معه من الإيمان شيء ولو إيمانا ناقصا، فإنه لا يخلد في النار، بل يعذب على قدر ذنبه، ثم يخرج من النار ويدخل الجنة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨]، ولقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: الآية: ٧]، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**».[١]

الشبهة الثالثة:

قال الخياط: "إن واصِلُ بنُ عطاءٍ «**ت: ١٣١ هـ**» لم يحدث قولا لم تكن الأمة تقول به؛ إذ إنه وجد الأمة مجمعة على تسمية أهل الكبائر بالفسق والفجور، مختلفة فيما سوى ذلك من أسمائهم؛ فأخذ بما أجمعوا عليه، وتفسير ذلك: أن الخوارج وأصحاب الحسن كلهم مجمعون والمرجئة على أن صاحب الكبيرة فاسق فاجر، ثم تفردت الخوارج، فقالت: هو مع فسقه وفجوره كافر، وقالت المرجئة هو مع فسقه وفجوره مؤمن، وقال الحسن ومن تابعه: هو مع فسقه وفجوره منافق.

فقال لهم واصِلُ بنُ عطاءٍ «**ت: ١٣١ هـ**»: "قد أجمعتم على أن سميتم صاحب الكبيرة بالفسق والفجور؛ فهو اسم له صحيح بإجماعكم، وقد نطق القرآن به في آية القاذف وغيرها من القرآن؛ فوجب تسميته بذلك، وما تفرد به كل فريق منكم من الأسماء فدعوى لا تقبل منه إلا ببينة من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٢]

المناقشة:

١- إن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان؛ فهو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، كما تبين عند الرد على الشبهة الأولى، ثم إن إيمانه متفق عليه بين السلف؛ فإذا قولهم: إن إيمانه مختلف فيه،

---

(١) أخرجه البخاري «٢٢» واللفظ له، ومسلم «١٨٤» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) الانتصار للخياط «ص: ١١٨».

باطل. [(١)].

٢- إن في قولهم بالمنزلة بين المنزلتين تركا للمتفق عليه بين السلف، ومنهم الحسن؛ لأن النفاق كفر إن أظهره صاحبه، وإن لم يظهره فيعامل معاملة المسلمين، إضافة إلى ذلك فقد نقل عنه الرجوع عن هذا القول إلى المذهب الحق والمتفق عليه، وهو أن المكلف إما مؤمن أو كافر، ولا واسطة بينهما، وأخذ بما لم يقل به أحد فضلا عن الاتفاق؛ فإذا قولهم بالمنزلة بين المنزلتين إحداث للقول المخالف لما أجمع عليه السلف [(٢)]؛ فيكون باطلًا، وبذلك تبطل هذه الشبهة. والله أعلم.

٢-الشبه العقلية التي استدل بها المعتزلة على خلود مرتكب الكبيرة في النار.

من الأدلة العقلية التي استدل بها المعتزلة على خلود مرتكب الكبيرة في النار: ما ذكره القاسم الرسي أن أحدًا لا يقدر أن يؤدي كل ما استحق الله تبارك وتعالى من عباده؛ من شكر نعمته وإحسانه بالكمال والتمام، حتى لا يبقى مما يحق لله جل ثناؤه شيئا إلا أداه، هيهات! فكيف وهو يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: الآية: ١٨]؟ فكيف يؤدي شكر ما لا يحصى؟! ولم يفترض على خلقه ذلك، ولا سأل كل ما له عليهم مما يستحق لديهم؛ لعلمه بضعفهم، وأن في بعض ذلك استفراغ جهدهم، وما تعجز عنه أنفسهم، وأنهم لا يقدرون على ذلك، ويقصرون عن بلوغ ذلك، وغفر لهم صغير ذنوبهم كله إذا اجتنبوا كبيرة؛ رحمة بهم ونظرا لهم، فأما من رجا الرحمة وهو مقيم على الكبيرة فقد وضع الرجاء في غير موضعه، واغتر بربه، واستهزأ بنفسه، وخدعه وغره من لا دين له، إلا أن يتوب فيغفر له بالتوبة، فأما الإقامة على الكبائر فلا.

(١) ينظر: المواقف في علم الكلام للإيجي «٨/ ٣٣٩» بتصرف.

(٢) ينظر: شرح المواقف للجرجاني «٨/ ٣٣٤».

وذلك أن للجنة والنار طريقين؛ فطريق الجنة طاعته المجردة عن الكبائر من معاصي الله، وطريق النار معصية الله، وإن لم تكن مجردة من بعض طاعات الله؛ لأننا قد نجد العبد يؤمن بكتاب الله كله، ويكفر ببعضه؛ فلا يكون مؤمنا، ولا بما آمن به من النار ناجيا، يصدق ذلك قول الله عز وجل: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٨٥] ، فلم يسموا بما آمنوا به مؤمنين، بل سموا بما كفروا به منه -لا كله- كافرين، وعلى هذه الطريق فيمن لم يكفر من الفاسقين أهل الكبائر العاصين؛ فمن كان على المعصية الكبيرة مقيما فهو على طريق النار، فكيف يرجو البلوغ إلى الجنة وهو يسلك ذلك الطريق؛ كرجل توجه إلى طريق خراسان، فسلكه وهو يقول: أنا أرجو أن أبلغ الشام! فهذا من وضع الرجاء في غير موضعه.[(١)]

وملخص الدليل العقلي السابق أن الله تبارك وتعالى له نعم على عباده لا تحصى، ومهما عمل الإنسان لا يستطيع الوفاء بشكرها؛ إذ إن ذلك يتطلب منه استيفاء كل حق لله عليه، وقد علم الله من عباده عجزهم وضعفهم عن الوفاء بجميع ذلك؛ لذلك اكتفى منهم بالقليل بعد أن أعطاهم الكثير، بل وعفا عن صغائر ذنوبهم، وهذه منة عظيمة أخرى منه تبارك وتعالى؛ فعلى الإنسان إذا الإتيان بهذا القليل الذي كلف به دون تفريط، وإذا قصر فيه بارتكاب الكبائر فعلا لمحرم، أو تركا لواجب؛ فهو من أهل النار لا محالة؛ لأن الله تجاوز له عن الكثير لم يكلفه به، فإذا قصر في ذلك القليل المطلوب منه فهو ممن سلك طريق النار، والطريق إلى الشيء المعين توصل إليه لا إلى ما يوجد في جهة معاكسة، وطريق النار المعصية، وهذه لا يمكن أن يصل عن طريقها إلى الجنة، كما أن طريق الجنة الطاعة، وهذه أيضا لا يمكن أن توصل بصاحبها إلى النار، وضرب مثلا بسالك طريق خراسان، وهو يقصد الوصول إلى الشام.

فهذا دليل عقلي على أن الفاسق مصيره إلى النار، وأنه يفعل به ما يستحقه، وهناك دليل

---

(١) ينظر: رسائل العدل والتوحيد لمجموعة مؤلفين «١/ ١٢٣».

عقلي آخر ذكره القاضي عبد الجبار، وهذا الدليل هو أن الله أمر ونهى، أي: كلف الإنسان، ووعده وتوعده، وكل خلف بالوعد أو الوعيد نوع من الكذب لا يجوز على الله، ولو ثبت أنه يخلف وعيده ولا يعاقب الفاسقين لكان في ذلك إغراء له على فعل القبيح؛ إذ إن للمكلف أن يعصي ويتجاوز حدود الله وهو مطمئن إلى أنه سيغفر له.[(١)] [(٢)]

المناقشة:

نقول لهم:

أولا: إن قولكم – مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين يتضمن نفي الإيمان بالكلية عن مرتكب الكبيرة. وهذا باطل. بل هو مؤمن ناقص الإيمان قد نقص إيمانه بقدر ما ارتكب من معصية فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته. فلا يكون له الاسم مطلقا، ولا يسلب منه مطلق الإيمان. ومما يدل على أن الفاسق لم تخرجه كبيرته من الإيمان ما يلي:

١-الآيات والأحاديث الناطقة بإطلاق لفظ الإيمان على العاصي كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: الآية: ٩].

فقد أطلق اسم الإيمان على الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين؛ مما يدل على أن كبيرة القتل لم تخرجهما من الإيمان، وكذلك كبيرة البغي"[(٣)]

ومن الأحاديث قوله–صلى الله عليه وسلم–في الحديث الذي أخرجه مسلم من رواية أبي ذر–رضي الله عنه–«**ت: ٣١ أو ٣٢ هـ**» أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: «**ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟، فقال–

---

(١) ينظر: شرح الأصول الخمسة «ص: ٦٥٠».

(٢) المصدر: الموسوعة العقدية.

(٣) الروضة الندية شرح الواسطية «ص: ٣٩٢». «بتصرف».

صلى الله عليه وسلم-: «**وإن زنى وإن سرق**»[(١)].

ففي هذا الحديث دلالة على أن من قال لا إله إلا الله وإن ارتكب شيئًا من الكبائر فإنه يدخل الجنة، مما يدل على أن كبيرته لم تخرجه من الإيمان.

٢-إجماع الأمة من عصر الرسول-صلى الله عليه وسلم-إلى يومنا هذا على الصلاة على من مات من أهل القبلة من غير توبة، والدعاء والاستغفار لهم مع العلم بارتكابهم للكبائر بعد الاتفاق على أن ذلك لا يجوز لغير المؤمن"[(٢)]؛ مما يدل على أنهم لم يخرجوا من الإيمان.

ثانيا: أن في قولكم-بالمنزلة بين المنزلتين-إحداث للقول المخالف لما أجمع عليه السلف من عدم المنزلة بين المنزلتين، فيكون باطلا"[(٣)]. والله أعلم.

القول الثالث: رأي المرجئة في حكم مرتكب الكبيرة.

أولًا: تعريف الإرجاء وأنواعه.

أ-تعريف الإرجاء.

١-المرجئة لغة:

اسم فاعل من "أرجأته" بالهمزة بمعنى أخرته، والرجاء من الأمل نقيض اليأس. ممدود، تقول رجاه يرجو رجوا ورجاء: أي أمل فيه.

والإرجاء: بمعنى التأخير. ومنه سميت المرجئة.

فأرجأ الشيء: أي أخره، ومنه قوله تعالى: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: الآية: ١١١]، وفي حديث توبة كعب بن مالك: وأرجأ رسول الله أمرنا أي أخره.

والطائفة المعروفة: المرجئة. بهمز ولا بهمز وكلاهما بمعنى التأخير، والهمز أجود.

٢-المرجئة في الاصطلاح:

---

(١) رواه البخاري «٦٠٧٨»، ومسلم «٩٤».

(٢) شرح العقائد المنفية «ص: ١١٨».

(٣) شرح العقائد المنفية «ص: ١١٨».

نظرا لتعدد أنواع الإرجاء فقد اختلف في تعريفهم. وإليك بعض التعاريف مع الإشارة للأشمل منها: قال بعضهم: المرجئة: هم الذين يقولون الإيمان قول بلا عمل.

وقال آخرون: المرجئة: هم فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أن الإيمان لا يضر معه ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

وقال الشهرستاني: الإرجاء على معنيين. أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: الآية: ١١١] أي أمهله وأخره.

والثاني: إعطاء الرجاء. أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول..، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد. وأما بالمعنى الثاني.. فلأنهم كانوا يقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهذا أمثل الأقوال لأنه أشملها لأنواع الإرجاء.

ب-أنواع الإرجاء.

الإرجاء ليس شيئا واحدا نشأ في لحظة، كما هو الحال في نشأة الخوارج، وإنما هو أنواع. وقد بدأ ضعيفًا في جانب واحد ثم ما لبث أن انتقل في جانب آخر بينهما فترة من الزمن. وإليك الإشارة إليها مع بيان نشأة كل منها.

أولًا: إرجاء أمر الصحابة.

والأظهر أن أول من تكلم فيه الحسن بن محمد بن الحنفية الذي اشتهر عنه بسبب كتاب كتبه ليقرأ على الناس. قال ابن سعد في ترجمة الحسن: "إنه أول من تكلم بالإرجاء"[(١)]

وهذا الإرجاء لا يعد مذموما؛ لأنه إرجاء أمر الصحابة إلى الله لما حصل بينهم من الاختلاف، ولم يتبرأ منهم.

ثانيًا: أقسام الإرجاء.

النوع الأول: إرجاء أمر مرتكب الكبيرة.

وقد نشأ هذا النوع بظهور الخوارج وحكمهم بالكفر على مرتكب الكبيرة واختلافهم فيه.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد «٥/ ٣٢٨». الملل والنحل «١/ ١٤٤».

وبيان ذلك: أنهم قالوا: بالكفر على مرتكب الكبيرة ثم افترقوا فرقا وأخذ حكمهم يتنازل في حكم مرتكب الكبيرة حتى تولدت المرجئة.

فقد ذكر الشهرستاني عن الحازمية – وهي من فرق الخوارج – أنهم يتوقفون في أمر علي بن أبي طالب ولا يصرحون بالبراءة منه"[١]. . .

ويروي ابن سعد عن بعض المحدثين كمحارب بن دثار السدوسي «**قاضي الكوفة**» أنهم يتوقفون في أمر علي بن أبي طالب وعثمان، ولا يشهدون لهما بإيمان ولا كفر. إذا ما هو موقفهم؟، إنه الإرجاء"[٢]

ومما ذكرته يتضح أن التوقف من قبل بعض الخوارج هو البذرة الأولى في ظهور المرجئة الأولى الذين لا يشهدون بإيمان ولا كفر على مرتكب الكبيرة. والأصل عندهم في قولهم: مرتكب الكبيرة هم الصحابة. قال ابن أبي العز–رحمه الله–«**ت: ٧٩٢ هـ**» في شرحه للطحاوية: "وكانت المرجئة الأولى يرجئون عثمان وعليا، ولا يشهدون بإيمان ولا كفر"[٣].

ومن هؤلاء: محارب بن دثار السدوسي، كما قال ابن سعد. [٤]، ومنهم أيضا خالد بن سلمة الكوفي الفأفاء. كما قال الذهبي"[٥].

وهذا النوع من الإرجاء يختلف عما سبقه. فالأول الذي تكلم فيه ابن الحنفية إرجاء تفويض أمر المختلفين من الصحابة إلى الله، مع اعتقاد أفضليتهم والشهادة لهم بالإيمان، وليس له أي صلة بالمرجئة فيما بعد.

أما النوع الثاني:

---

(١) الملل والنحل «١/ ١٣١».

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد «٦/ ٣٠٧».

(٣) شرح الطحاوية «ص: ٤٧٧».

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد «٦/ ٣٠٧».

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء «٥/ ٣٧٣ – ٣٧٤».

وهو الإرجاء الذي تولد من الخوارج فالقائلون به لا يشهدون للصحابة بإيمان ولا كفر وإنما يتوقفون، وهذا بدعة، وهو أصل قول المرجئة في الإيمان كما سيأتي بيانه، ثم إن هذا النوع من الإرجاء قد انقرض؛ إذ أن الإرجاء تحول إلى موضوع الإيمان. فقد سئل سفيان بن عيينة عن الإرجاء فقال: الإرجاء على وجهين: قوم أرجئوا أمر علي وعثمان فقد مضى أولئك، فأما المرجئة اليوم فهم قوم يقولون: الإيمان قول بلا عمل"(١).

النوع الثالث: الإرجاء في الإيمان.

وهذا النوع بدأ بإخراج العمل من مسمى الإيمان، وكان هذا زمن التابعين وهو على ثلاثة أنواع.

الأول: إرجاء العباد والفقهاء من أهل الكوفة.

ابتدأ بهم. وموضوعه: إخراج العمل من الإيمان. وهو امتداد للمرجئة الذين انفصلوا عن الخوارج؛ حيث إن مسالة تكفير المسلم هي السبب في ذلك وهي القضية التي كانت موضوع نقاش الناس وخاصة بين الخوارج ومن انفصل منهم من المرجئة أدى هذا النقاش فيما بعد إلى البحث في الإيمان عند هاتين الفرقتين. فرأت كل فرقة أن تجعل قولها في الإيمان مبنيًا على قولها في الكبيرة، فقالت الخوارج: إنه جميع الطاعات فمن ترك طاعة واحدة فقد كفر. فقولهم هذا بناء على تكفيرهم مرتكب الكبيرة.

فقابلتهم المرجئة بما يناقضهم؛ فقالوا: مرتكب الذنب مؤمن كامل الإيمان، لكن لا يسلم لهم هذا القول حتى يخرجوا العمل من الإيمان، لذا قالوا: الإيمان هو التصديق والإقرار فقط. وأول من عرف عنه هذا النوع ذر بن عبد الله الهمذاني، وحماد بن أبي سليمان من فقهاء الكوفة"(٢)

وكان ظهور هذا النوع من الإرجاء بعد الثمانين من الهجرة لما ورد في صحيح البخاري عن

(١) تهذيب الآثار للطبري «٢/ ٦٥٩».

(٢) انظر: الضعفاء الكبير للعقيلي «١/ ٣٠٤».

زبيد قال: "سألت أبا وائل عن المرجئة . . ."[١]. وكانت وفاة أبي وائل سنة ٨٢ هـ"[٢]

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "حدثت بدعة الإرجاء في أواخر عصر الصحابة في خلافة عبد الملك بن مروان"[٣]، وخلافته انتهت بوفاته سنة ٨٦ هـ.

وهؤلاء المرجئة الذين يخرجون العمل عن الإيمان لم يكونوا يقصرون في العمل، وإنما قالوا هذا القول كرد فعل لتكفير الخوارج لصاحب الكبيرة"[٤].

الثاني: إرجاء الغلاة من المتكلمين.

الذين جعلوا الإيمان في القلب فقط، كالجهمية والغيلانية وبعض المتكلمين.

وهؤلاء: جعلوا الإيمان شيئا واحدا في القلب فقط فزادوا على من سبقهم بأن أخرجوا القول من الإيمان. فصار الإيمان يتم – عندهم – بمجرد معرفة القلب. ومن أوائل من عرف عنهم هذا الغلو في الإرجاء غيلان بن مسلم الدمشقي أبو مروان، والجهم بن صفوان، ومقاتل بن سليمان المشبه.

وهؤلاء من مذهبهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم الطائفة الأولى من المرجئة الغلاة.

وهذا النوع من الإرجاء أثر من آثار الإرجاء السابق، وهو إرجاء الفقهاء حيث إن ذلك الخطأ اللفظي فتح الباب لهذا الخطأ العظيم.

الثالث: إرجاء الكرامية:

وهو نوع ثالث من أنواع الإرجاء في الإيمان حيث جعلوا الإيمان: قولا باللسان فقط، وإن

---

(١) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله «١/ ١٧».

(٢) انظر: تذكرة الحافظ «١/ ٦٠».

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية «٣/ ١٨٤»، ودرء تعارض العقل بالنقل «٥/ ٢٤٤».

(٤) انظر: الفتاوى «٧/ ٢٩٧، ٥١٠».

اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله ولي له، من أهل الجنة"[١]، وأول من ابتدع هذا النوع محمد بن كرام السجستاني المجسم «**ت: ٢٥٥ هـ**»، عاش في أوائل القرن الثالث. حيث قال: إن الإيمان هو القول باللسان فقط دون تصديق القلب وعمل الجوارح. ولم يكن هذا النوع معروفا قبله، وهذا القول هو أفسد الأقوال وآخرها حدوثا.

يقول ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: لم يكن حدث في زمن السلف من المرجئة من يقول: الإيمان بمجرد القول بلا تصديق ولا معرفة، فإن هذا: إنما أحدثه ابن كرام، وهذا هو الذي انفرد به ابن كرام"[٢].. وهذه هي الطائفة الثانية من المرجئة الغلاة"[٣].

رأي المرجئة في حكم مرتكب الكبيرة.

اختلف المرجئة في حكم مرتكب الكبيرة، فمنهم من وافق أهل السنة كمرجئة الفقهاء حيث كان إرجاؤهم في تأخير العمل عن الإيمان فقط. يقول ابن تيمية – وهو يتكلم عن العمل هل هو داخل في الإيمان أم لا؟ –: ومما ينبغي أن يعرف أن أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظي وإلا فالقائلون بأن الإيمان قول من الفقهاء كحماد بن أبي سليمان وهو أول من قال ذلك، ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم، متفقون مع جميع علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد، وإن قالوا إن إيمانهم كامل كإيمان جبريل، فهم يقولون: إن الإيمان بدون العمل المفروض، ومع فعل المحرمات، يكون صاحبه مستحقا للذم والعقاب كما تقول الجماعة، ويقولون أيضا بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقوله الجماعة"[٤].

ومنهم من خالف أهل السنة، كالمرجئة الغلاة حيث قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا

---

(١) المقالات «١/ ٢٠٥». والفصل «٣/ ١٨٨»، «٤/ ٢٠٤».

(٢) الفتاوى «٧/ ٣٨٦-٣٨٧».

(٣) الفصل «٤/ ٢٠٤».

(٤) الفتاوى «١/ ٢٩٧».

ينفع مع الكفر طاعة. فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، وحرم ما حرم الله، وأحل ما أحل الله دخل الجنة ابتداء ولو مات من غير توبة، وإن زنى وسرق وقتل وشرب الخمر وقذف المحصنات وترك الصلاة. إذا كان مقرا بها لا يضر وقوعه في الكبائر وركوبه الفواحش وتركه الفرائض، وإن فعل ذلك مستحلا كان كافرا بالله وخرج من إيمانه فصار من أهل النار"[(١)].

قال الإمام أبو حنيفة-رحمه الله-«**ت: ١٥٠ هـ**»: "ولا نقول إن المؤمن لا تضره الذنوب ولا نقول إنه لا يدخل النار. كما قالت المرجئة"[(٢)].

وقال الماتريدي-رحمه الله-«**ت: ٣٣٣ هـ**»: "قالت المرجئة لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة"[(٣)].

ويقول ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»-وهو يتكلم عن أصحاب الذنوب-: ". . ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار..، وقول غلاة المرجئة الذين يقولون: ما نعلم أحدا منهم يدخل النار، بل نقف في هذا كله. وحكي عن بعض غلاة المرجئة الجزم بالنفي . . . "[(٤)].

وهذا مبني على أصلهم الفاسد، وهو أنه لا يتصور أن الشخص يدخل الجنة والنار معا، بل إذا دخل أحدهما فلا يدخل الأخرى، وبناء على هذا قالوا: "إن أهل الذنوب يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أبدا"[(٥)].

شبهاتهم والجواب عليها.

لقد تمسك المرجئة في قولهم بهذه البدعة بشبهات منها: ما ورد في الكتاب والسنة من

(١) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي «ص: ٤٣».

(٢) شرح الفقه الأكبر للماتريدي «ص: ١٤١» «المتن».

(٣) شرح الفقه الأكبر للماتريدي «ص: ٦».

(٤) الفتاوى «٧/ ٢٩٧». وانظر «٧/ ٥٠١».

(٥) الإيمان لابن تيمية «ص: ٣٣٧-٣٣٨». الفصل «٣/ ٢٢٩-٢٣٠».

نصوص فيها الوعد لعباده المؤمنين، وإليك البعض منها مع الجواب.

الشبهة الأولى:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨].

وجه الاستدلال: قالوا: إن الآية تدل على أن الشرك وحده لا يغفر وما دون ذلك فهو مغفور، ومرتكب الكبيرة ليس بمشرك فهو مغفور له"[١].

الجواب: يقال لهم: استدلالكم باطل لما يلي:

أن المغفرة معلقة بالمشيئة ففيها دليل على التقسيم"[٢]، وهو أن من العصاة من يعذب، ومنهم من لا يعذب، وعليه فالآية حجة عليكم لا لكم.

لو كانت المغفرة لكل أحد - كما تزعمون - لبطل قوله تعالى: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨]، فلما أثبت أنه يغفر ما دون ذلك، وأن المغفرة هي لمن يشاء دل ذلك على وقوع المغفرة العامة لما دون الشرك لكنها لبعض الناس. [٣]، وبذلك يتضح بطلان استدلالكم بالآية على ما تزعمونه، والله أعلم.

الشبهة الثانية:

قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: الآية: ٥٣].

وجه الاستدلال: أن الله تعالى حكم بغفران الذنوب جميعا، ولم يشترط التوبة، وذلك يدل على أنه تعالى يغفر الذنوب قبل التوبة وبعدها. [٤]، وإذا غفرت ذنوب مرتكب الكبيرة لم

---

(١) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع «ص: ٤٣».

(٢) انظر: قواعد العقائد للغزالي «ص: ٢٥٥».

(٣) الفتاوى «١٦/ ١٩».

(٤) الأربعين للرازي «ص: ٢٠٩».

يدخل النار.

الجواب: نقول لهم المراد بأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعا مع التوبة.

وحمل الآية على هذا المعنى أولى لوجهين. الأول: أنا إذا حملناها على هذا الوجه فقد حملناها على جميع الذنوب–على ما هو ظاهر الآية–وإن حملناها على ما ذكرتم، لم يمكن حمله على ظاهر الآية؛ لأنه تعالى لا يغفر جميع الذنوب من غير توبة؛ إذ الكفر ذنب والله لا يغفره إلا مع التوبة.

الثاني: أنه تعالى ذكر عقيب هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ [الزمر: الآية: ٥٤]، والإنابة هي التوبة.[(١)]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وقد ذكرنا في غير موضع أن هذه الآية في حق التائبين". . ثم قال: "الآية فيها نهي عن القنوط من رحمة الله، وإن عظمت الذنوب فلا يحل لأحد أن يقنط من رحمة الله".. "ولا أن يقنط الناس من رحمة الله، والقنوط: يكون بأن يعتقد أن الله لا يغفر له؛ إما لكونه إذا تاب لا يقبل الله توبته ويغفر ذنبه، وإما أن يقول نفسه لا تطاوعه على التوبة".. "فهو ييأس من توبة نفسه"[(٢)].. وإذا كانت الآية في حق التائب لم يبق فيها دلالة على ما تزعمه المرجئة، والله أعلم.

الشبهة الثالثة:

قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الليل: الآية: ١٥]، ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل: الآية: ١٦].

وجه الاستدلال: قالوا: قد أخبرنا الله–عز وجل–في هذه الآية–أن النار لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى، فصح أن من لم يكذب ولا تولى لا يصلاها، قالوا: ووجدنا أن مرتكبي الكبائر–مما دون الشرك–كلهم لم يكذبوا ولا تولوا، بل هم مصدقون معترفون بالإيمان،

---

(١) انظر: الأربعين للرازي «ص: ٢٣٦».

(٢) الفتاوى «١٦/ ١٨–٢٠».

فصح أنهم لا يصلونها، وأن المراد بالوعيد المذكور في هذه الآية وأمثالها إنما هو فعل تلك الأفاعيل من الكفار خاصة"[١].

الجواب: من وجوه منها.

الأول: قيل إن المراد بهذه النار: نار مخصوصة-كما قاله الزجاج-وعدم دخوله هذه النار لا يمنع من دخوله غيرها.

وقيل: لا يصلاها صلي خلود، وهذا أقرب، وعليه فمن دخل النار وخرج منها فإنه نوع من الصلي، لكنه ليس الصلي المطلق وهو صلي الخلود، لا سيما إذا كان قد لبث فيها والنار لم تأكله؛ فإنه قد ثبت أنها لا تأكل مواضع السجود"[٢]

الثاني: على التسليم بأن الآية تدل على أن الكفار هم المخصوصون بالعذاب، فإن هذا لا يمنع ما يحصل لبعض المؤمنين من تمحيص في النار بسبب ذنوبهم - كما دلت عليه بعض النصوص، من مثل قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية: ١٤١].

وكما ورد في الحديث الصحيح: أن فيه من يدخل النار بذنوبه ثم يخرج منها وعليه فإنه لا دلالة في الآية على ما تزعمه المرجئة، والله أعلم.

الشبهة الرابعة:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٦].

وجه الاستدلال: قالوا الآية تدل على أن كل محسن رحمة الله قريبة منه، ومرتكب الكبيرة قد قال لا إله إلا الله فهو محسن، وإذا كان محسنا فرحمة الله قريبة منه، ومن رحمه الله فلا يعذب"[٣]

---

[١] الفصل لابن حزم «٣/ ٢٣٠».

[٢] الفتاوى «١٦/ ١٩٧». وانظر: الفصل «٤/ ٥٠».

[٣] انظر: الفصل «٤/ ٤٧».

الجواب: نقول استدلالكم باطل لما يلي:

أن الآية تدل على أن رحمة الله قريب من عباده المحسنين، لكنها لا تفسر بمنع العذاب في النار لمن أخطأ منهم؛ لأن عذاب الله للمخطئ عدل، والعدل لا يضاد الرحمة.

أنه لولا رحمة الله لهؤلاء المخطئين لطال عذابهم، ولكن رحمته كانت السبب في التجاوز عن كثير من خطاياهم وإدخالهم الجنة؛ لما روى أنس عن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «**ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، يقال لهم الجهنميون**». [(١)]. وبذلك اتضح أن الله عذب الفساق بعدله، وتجاوز عن كثير من خطاياهم برحمته. ولم يستلزم العدل انتفاء الرحمة، ولا الرحمة انتفاء العذاب بعدله سبحانه.

على التسليم بما تزعمونه فإن رحمة الله مقيدة بالمشيئة؛ لما روى أبو هريرة–رضي الله عنه–أن النبي– صلى الله عليه وسلم–قال: «**تحاجت الجنة والنار . . . إلى أن قال: فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء**». الحديث. [(٢)]. [(٣)]، وإذا كانت الرحمة مقيدة بالمشيئة لم يبق في الآية دلالة على ما تزعمونه، والله أعلم.

الشبهة الخامسة:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه: الآية: ٤٨].

وجه الاستدلال: قالوا: هذه الآية صريحة في أن ماهية العذاب مختصة بمن كذب بالله تعالى وكان موليا عن دينه. ومن لم يكن مكذبا بالله تعالى ولا متوليا عن دينه لم يكن للعذاب به تعلق"[(٤)]. ومرتكب الكبيرة ليس مكذبًا ولا متوليًا عن دين الله؛ إذا ليس للعذاب به تعلق.

الجواب: نقول: الآية تؤكد بأن الكافر المكذب المتولي هو المخصص بالعذاب الأبدي،

---

(١) صحيح البخاري التوحيد «٧٠١٢»، مسند أحمد بن حنبل «٣/ ١٤٧».

(٢) رواه البخاري «٤٥٦٩»، ومسلم «٢٨٤٧».

(٣) انظر: جامع الأصول «١٠/ ٨١٠٩».

(٤) الأربعين للرازي «ص: ٢٠٨».

وهذا لا يمنع من حصول بعض العذاب لمن ارتكب كبيرة أو ذنبا"[(١)]، ثم إن عذاب الله لمرتكب الكبيرة إنما هو تطهير ولبعض مرتكبي الكبائر حسب إرادة الله ومشيئته.

وعليه فكلمة العذاب بمعناها الحقيقي لا تشمل ما يحصل لبعض مرتكبي الكبائر من تطهير، وإذا لم تشمله لم يبق في هذه الآية دلالة على عدم دخول مرتكبي الكبائر في النار، والله أعلم.

الشبهة السادسة:

استدلوا بعموم النصوص التي فيها الوعد لمن ارتكب الكبيرة بأن لا يخلد في النار، كقوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: الآية: ١٧].

وجه الاستدلال: أن لفظ الكفور للمبالغة، فوجب أن يختص هذا الحكم بالكافر الأصلي"[(٢)]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: الآية: ٢٧].

وجه الاستدلال: قالوا: إن هذه الآية دلت على اختصاص الخزي بالكافرين، ثم إن كل من دخل النار فقد حصل له الخزي لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٩٢]، فلما لم يحصل الخزي إلا للكفار وجب ألا يحصل دخول النار إلا لهم"[(٣)]. وغيرهما من نصوص الوعيد.

الجواب: يقال لهم: أولًا: هذه الآيات إنما تدل على أن الكافر هو المخصص بالعذاب الأبدي.

يقول القرطبي–رحمه الله–«**ت: ٦٧١ هـ**»: "إن الكافر يجازى بكل سوء عمله، أما المؤمن فإنه يجزى ولا يجازى؛ لأنه يثاب. فقوله: ﴿وَهَلْ نُجَازِي﴾ [سبأ: الآية: ١٧]، أي نكافئ السيئة بمثلها. وقال طاوس: هو المناقشة في الحساب أما الموحد فلا يناقش الحساب"[(٤)]

---

(١) انظر: فتح القدير «٣/ ٣٦٨»، والتفسير الكبير «٢٢/ ٦٢». وتفسير القرطبي «١١/ ٢٠٤».

(٢) الأربعين للرازي «ص: ٢٠٩».

(٣) الأربعين للرازي «ص: ٢٠٩».

(٤) تفسير القرطبي «١٤/ ٢٨٩».

وعن قتادة-رحمه الله-«**ت: ١١٨ هـ**» عن أنس-رضي الله عنه-«**ت: ٩٣ هـ**»: في قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٩٢].

قال: من تخلد.

وعن ابن جريح قال: "هو من يخلد فيها"(١).

وإذا كانت هذه الآيات إنما تدل على اختصاص الكافر بالعذاب الأبدي فإنها لا تعتبر حجة في انتفاء العذاب عمن ارتكب كبيرة من الكبائر مما دون الشرك.

ثانيا: لو سلمنا بقولكم واستدلالكم بهذه الآيات وأمثالها، فما ترون أن نصنع بالآيات التي استدل بها الوعيدية على عذاب الله للعصاة «**نصوص الوعيد**»!

مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: الآية: ١٥]، ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: الآية: ١٦]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: الآية: ٢٩]. إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: الآية: ٣٠].

ماذا نصنع بهذه الآيات؟ هل نضرب عنها صفحا؟، هذا لا يمكن؛ لأنه إيمان ببعض الكتاب وكفر ببعضه، هل نخصصها بأدلتكم؟، فإن قالوا: نعم، قلنا: ولماذا لا تخصصون أنتم؟ وذلك بالموازنة؛ ليتم الإيمان بالجميع"(٢).

الشبهة السابعة:

حديث معاذ-رضي الله عنه-«**ت: ١٧ أو ١٨ هـ**» قال: كنت رديف رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فقال: «**هل تدري ما حق الله على العباد؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا.. ثم قال: «هل تدري ما حق العباد**

---

(١) تفسير الطبري «٧/ ٤٧٧-٤٧٨».

(٢) انظر: قواعد العقائد «ص: ٢٥٥».

على الله إذا فعلوه؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حق العباد على الله أن لا يعذبهم**».

(١) . (٢) .

وجه الاستدلال: الحديث يدل على أن الله وعد من عبده ولم يشرك به شيئا بعدم العذاب، ومرتكب الكبيرة قد عبد الله ولم يشرك به شيئا إذا سيشمله الوعد بعدم العذاب.

الجواب: من وجوه منها:

أن المراد بالعبادة فعل الطاعات واجتناب المعاصي.[٣] . والموحد الفاعل للطاعات المجتنب للمعاصي لا يعتبر من أهل الكبائر، وعليه فلا دلالة في الحديث.

المراد بقوله: أن لا يعذبهم قيل: المراد ترك دخول نار الشرك، وقيل: ترك تعذيب جميع بدن الموحدين، لأن النار لا تحرق مواضع السجود. وقيل: ليس ذلك لكل من وحد وعبد، بل يختص بمن أخلص، والإخلاص يقتضي تحقيق القلب بمعناه، ولا يتصور حصول التحقيق مع الإصرار على المعصية؛ لامتلاء القلب بمحبة الله تعالى وخشيته فتنبعث الجوارح إلى الطاعة وتنكف عن المعصية"[٤] . وعلى ذلك فإنه لا دلالة في الحديث على التسليم بما تزعمونه، فإن تطهير أهل الكبائر من خطاياهم لا يعتبر عذابا على حقيقته، ولذا فإنه لا منافاة بين تطهيرهم من الخطايا وبين قوله: أن لا يعذبهم، وبذلك يتضح خطأ استدلالكم بالحديث على عدم دخول أهل الكبائر النار، والله أعلم.

الشبهة الثامنة:

ما روي عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – أنه قال: مسند أحمد بن حنبل «**٣/ ٣٩٢**». أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟، قال:

---

(١) صحيح البخاري اللباس «٥٦٢٢»، صحيح مسلم الإيمان «٣٠»، سنن الترمذي الإيمان «٢٦٤٣»، سنن ابن ماجه الزهد «٤٢٩٦»، مسند أحمد بن حنبل «٥/ ٢٣٨».

(٢) انظر: حجج القرآن «ص: ٤٢–٤٣».

(٣) انظر: فتح الباري «١١/ ٣٣٩».

(٤) انظر فتح الباري «١١/ ٣٤٠».

«**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار**». [١].

وجه الاستدلال: في الحديث وعد لمن مات لا يشرك بالله شيئا بدخول الجنة، ومرتكب الكبيرة لا يشرك بالله شيئًا، فلو مات على ذلك فإن الوعد سيشمله بدخول الجنة.

الجواب: يقال لهم: المراد بقوله: دخل الجنة أن مصيره الجنة، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخل الجنة أولا، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرا عليها فهو تحت المشيئة، فإن عفي عنه دخل الجنة أولا، وإلا عذب ثم أخرج من النار وأدخل الجنة"[٢]. والله أعلم.

ما روي عن أبي ذر-رضي الله عنه-«**ت: ٣١ أو ٣٢ هـ**»، قال: أتيت النبي-صلى الله عليه وسلم-وعليه ثوب أبيض، وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: «**ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟، قال: «**وإن زنى وإن سرق**»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق**»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟، قال: «**وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر**». [٣]. [٤].

وجه الاستدلال: في الحديث وعد لمن قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك بدخول الجنة. وإن ارتكب بعض الكبائر كالزنا والسرقة. إذا مرتكب الكبيرة الذي قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك يشمله هذا الوعد بدخول الجنة.

الجواب - قال الإمام البخاري - بعد روايته هذا الحديث: هذا عند الموت أو قبله إذا تاب وندم وقال لا إله إلا الله غفر له"[٥]

وقيل: إن الحديث محمول على من وحد ربه ومات على ذلك تائبا من الذنوب التي أشير

---

(١) انظر: حجج القرآن «ص: ٤٣».

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي «١/ ٢١٩»، «٢/ ٩٧».

(٣) صحيح البخاري اللباس «٥٤٨٩»، صحيح مسلم الإيمان «٩٤»، سنن الترمذي الإيمان «٢٦٤٤»، مسند أحمد بن حنبل «٥/ ١٥٢».

(٤) انظر: حجج القرآن «ص: ٤٣»، والفصل «٤/ ٤٧».

(٥) انظر: البخاري «بشرح ابن حجر» «١٠/ ٢٨٣».

إليها في الحديث، فإنه موعود بهذا الحديث بدخول الجنة ابتداء. وأما من تلبس بالذنوب المذكورة أو غيرها مما دون الشرك ومات من غير توبة فهو تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه على قدر ذنبه ثم أخرجه من النار وأدخله الجنة. ويدل على ذلك حديث عبادة بن الصامت في كتاب الإيمان، فإن فيه: «**ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله تعالى، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه**»[(١)]. إذا المراد بالحديث: من قال لا إله إلا الله تائبا نادما على ما حصل منه من الذنوب ثم مات على ذلك فإنه يدخل الجنة؛ لأن التوبة تجب ما قبلها. أو المراد: أن مصيره الجنة ابتداء إن قالها تائبا ومات على ذلك أو النار ثم الجنة؛ إذ أنه لا يخلد في النار"[(٢)]. وبذلك يتضح خطأ استدلالهم بالحديث، والله أعلم.

«**ج**»: في ذكر بعض اللوازم التي تؤكد بطلان هذه البدعة «**بدعة المرجئة في مرتكب الكبيرة**».

بعد عرض أمثلة من شبهاتهم والجواب عنها، نشير إلى بعض اللوازم التي تؤكد بطلان هذه البدعة، فنقول وبالله التوفيق.

إن قول المرجئة: مرتكب الكبيرة لا يدخل النار–قول باطل لما تظافر من الأدلة التي تؤكد بطلانه ولما يستلزمه من اللوازم الباطلة والتي منها:

أولًا: إنكار عدل الله؛ لأنهم جعلوا الظالمين والمجرمين المنتهكين للحرمات سواء مع البررة الأتقياء الذين التزموا شرع الله وأقروا عدله في الأرض. فخالفوا بذلك النصوص الصريحة من كتاب الله، والتي تؤكد بأن الله تعالى لم يجعل الفساق كالمؤمنين. حيث يقول سبحانه:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: الآية: ٢١]، ويقول سبحانه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: الآية:

---

(١) راوه البخاري «١٨»، ومسلم الحدود «١٧٠٩».

(٢) انظر: فتح الباري «١٠/ ٢٨٣». وشرح مسلم «للنووي» «١/ ٢١٩»، «٢/ ٩٧».

٢٨].

بل إن الله لم يسو بين الطائفتين من المؤمنين حيث فضل بعضهم على بعض بحسب الإيمان والعمل الذي قدموه، حيث يقول سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: الآية: ١٠].

ويقول -سبحانه-: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [النساء: الآية: ٩٥].

فإذا كان سبحانه لم يسو بين المؤمنين، بل فضل بعضهم على بعض بحسب العمل الذي قدموه فكيف يسوي بين المؤمنين والفساق"[١].

وقد ناقشهم الملطي -رحمه الله- «**ت: ٣٧٧ هـ**»، وألزمهم الحجة حيث قال:

أخبرونا عن قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: الآية: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: الآية: ٤]. أهذا شيء قاله على حقيقة القول أم على المجاز؟ فإن قالوا: على المجاز، جعلوا إخبار الله عن وعده على المجاز وهذا كفر ممن قاله؛ لأن أحدا لا يتيقن حينئذ بخبره إذا لم يكن له حقيقة وصحة، وإن قالوا على الحقيقة، قيل لهم: أخبر الله عز وجل أنه لا يستوي عنده الولي والعدو. ويقال لهم: أخبرونا عمن زنى وأتى شيئا من الكبائر، أترون عليه توبة أم لا؟ فإن قالوا: لا، بان جهلهم، وإن قالوا: نعم، قيل لهم: لأي شيء يتوب؟ فإن قالوا: يقبل الله توبته ويغفر ذنبه، تركوا قولهم وجعلوا لأهل المعاصي توبة وغفرانا مما اجترموا، وإن قالوا: لا يحتاجون إلى غفران ولا توبة عليهم: خرجوا من دين الإسلام

---

(١) انظر: الشريعة للآجري «ص: ١٤٧».

وخالفوا الجماعة"[(١)].

ثانيا: كما يلزم من قولهم فتح الباب للمجرمين والفساق للتمادي في فسقهم وضلالهم؛ لأن المجرم أو الفاسق إذا علم بأن جريمته أو فسقه لن يضره فلن يتركه.

ثالثا: كما يلزم أيضا بطلان التكليف بالفروع جملة، وضياع آيات الوعيد هباء، وصيرورتها كذبا وخداعا، تعالى الله عن ذلك"[(٢)]

ولا شك أن هذا كله باطل. وإذا كان كذلك فما يستلزمه مثله. وعليه فالقول بأن مرتكب الكبيرة لا يدخل النار مطلقا باطل. والله أعلم. [(٣)]

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطى «ص: ٤٥».

(٢) انظر: المختار من كنوز السنة لعبد الله دراز «ص: ٦٢–٦٣».

(٣) المصدر: وسطية أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة بين الخوارج والمرجئة.

٧٠- سلامة قلوب أهل السُّنة لأصحاب رسول الله ﷺ

المسألة الأولى: تعريف الصحابة

المسألة الثانية: عدالة الصحابة.

المسألة الثالثة: الأدلة على عدالة الصحابة وفضلهم ومكانتهم.

المسألة الرابعة: وجوب اتباع سبيلهم.

المسألة الخامسة: وجوب محبتهم.

٧٠- قال المصنف رحمه الله: «ومن أُصُولِ أهل السُّنَّة والجَمَاعَة: سلامةُ قُلُوبِهِم وألسنتِهم لأصحابِ رسول الله ﷺ، كما وصفهم اللهُ بِهِ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] وطاعةً لِرَسُولِ الله ﷺ في قوله: «لا تَسُبُّوا أصحابِي، فوالَّذي نفسي بِيَدِه لو أنَّ أَحَدَكُم أنفقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم ولا نَصِيفَهُ». ويَقْبَلُونَ ما جاء به الكتابُ والسُّنَّةُ والإجماعُ من فضائِلِهِم ومَرَاتِبِهِم».

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الصحابة.

أ-الصحابة لغة:

قال ابن فارس-رحمه الله-«ت: ٣٩٥ هـ»: "الصاد والحاء والباء أصل واحد؛ يدل على مقارنة شيء ومقاربته من ذلك الصاحب، والجمع: الصحب، كما يقال: راكب وركب، ومن الباب: أصحب فلان؛ إذا انقاد، وأصحب الرجل؛ إذا بلغ ابنه، وكل شيء لاءم شيئًا فقد استصحبه". [(١)].

فمدلول كلمة صحب يبين أن لفظ الصحبة يدل على ملازمة شيء لشيء، وهذه الملازمة تحصل بأحد أمرين:

الأول: ملازمة بالبدن، وهو المعاشرة، فإذا عاشر شخص آخر قيل: صاحبه، وهذا هو الأشهر والأكثر.

الثاني: بغير البدن، وهو المتابعة والانقياد، فإذا تابع شخص آخر قيل: صاحبه، كما يقال: أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب الشافعي، وأصحاب أحمد، وأصحاب مالك؛ لملازمتهم مذهبهم، فالصحبة هنا تحققت بالمتابعة لا بالمعاشرة.

---

(١) مقاييس اللغة «٣/ ٣٣٥».

ودلالة لفظ الصحبة على هذا المعنى حقيقة، وليست مجازًا لا كما **قال الفيومي–رحمه الله–«ت: ٧٦٠ هـ»**: ويطلق مجازًا على من تمذهب بمذهب من مذاهب الأئمة فيقال: أصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة". (١).

ب–شرعًا:

الصحابي: "هو كل من رأى النبي صلّى الله عليه وسلّم مؤمنًا به، ومات على الإسلام ولو تخللت ردة على الأصح". (٢)

قَالَ ابْنُ حَجَر «ت: ٨٥٢هـ»: "وَأَصَحّ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِك أَنَّ الصَّحَابِيّ: مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ–مُؤْمِناً بِهِ، وَمَاتَ عَلَى الإِسْلامِ. فَيَدْخُل فِيمَنْ لَقِيَهُ: مَنْ طَالَتْ مُجَالَسَتُهُ لَهُ أَوْ قَصُرَتْ، وَمَنْ رَوَى عَنْهُ وَمَنْ لَمْ يَرْو، وَمَنْ غَزَا مَعَهُ أَوْ لَمْ يَغْز، وَمَنْ رَآهُ رُؤْيَةً وَلَوْ لَمْ يُجَالِسهُ، وَمَنْ لَمْ يَرَهُ لِعَارِضٍ كَالْعَمَى". (٣)

وصنف العلماء الصحابة في طبقات اختلفوا في عددها، **قال السيوطي–رحمه الله–«ت: ٩١١ هـ»** في شرح التقريب: "واختلف في عدد طبقاتهم–يعني الصحابة–باعتبار السبق إلى الإسلام أو الهجرة أو شهود المشاهد الفاضلة، فجعلهم ابن سعد خمس طبقات وجعلهم الحاكم اثنتي عشرة طبقة". (٤)

قال أحمد شاكر–رحمه الله–«ت: ١٣٧٧ هـ»: "وزاد بعضهم أكثر من ذلك، والمشهور ما ذهب إليه الحاكم(٥) والمراتب التي جعلها الحاكم للصحابة هي:

١–قوم أسلموا بمكة.

٢–أصحاب دار الندوة.

---

(١) المصباح المنير «ص: ١٢٧».

(٢) انظر: نزهة النظر «ص: ١١١»، والتقييد والإيضاح «ص: ٢٥١»، ومنهاج السُنَّة «٨/ ٣٨٨–٣٨٩».

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة «١/ ٤–دار الكتب العلمية».

(٤) تدريب الراوي «٢/ ٢٧٢».

(٥) الباعث الحثيث «ص: ١٥٦».

٣-المهاجرة إلى الحبشة.

٤-أصحاب بيعة العقبة الأولى.

٥-أصحاب بيعة العقبة.

٦-أول المهاجرين الذين وصلوا والنبي في قباء قبل أن يدخلوا المدينة ويبني المسجد.

٧-أهل بدر.

٨-المهاجرة الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

٩-أهل بيعة الرضوان.

١٠-المهاجرة بين الحديبية والفتح.

١١-الذين أسلموا يوم الفتح.

١٢-صبيان وأطفال رأوا النبي يوم الفتح وفي حجة الوداع وغيرها وعدادهم في الصحابة. [١]

ولعل المراتب السبع الأولى هي مراتب السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والله أعلم.

أما الطبقات الخمس التي جعلها ابن سعد في كتابه للصحابة فالأمر فيها ما قاله **أحمد شاكر**-رحمه الله-«**ت: ١٣٧٧ هـ**»: "لو كان المطبوع كاملًا لاستخرجناها منه وذكرناها" [٢]، وأظن أن الطبقات التي جعلها ابن سعد هي الطبقات التي صنف عليها **ابن الجوزي**-رحمه الله-«**ت: ٥٩٧ هـ**» في كتابه "صفة الصفوة" من ترجم له من الصحابة، فإنه قال: "بدأت بذكر العشرة ثم ذكرت من بعدهم على ترتيب طبقاتهم". [٣] والطبقات التي ذكرها خمس هي:

الطبقة الأولى: على السابقة في الإسلام ممن شهد بدراً من المهاجرين والأنصار، وحلفائهم

---

(١) الباعث الحثيث «ص: ١٥٦» .

(٢) الباعث الحثيث «ص: ١٥٦».

(٣) صفة الصفوة «١/ ٢٣٤».

ومواليهم. (١)

الطبقة الثانية: من لم يشهد بدرا من المهاجرين والأنصار وله إسلام قديم. (٢)

الطبقة الثالثة: من شهد الخندق وما بعدها. (٣)

الطبقة الرابعة: من أسلم عند الفتح وفيما بعد ذلك. (٤)

الطبقة الخامسة: الذين توفي رسول الله له وهم أحداث الأسنان. (٥)

وفي المطبوع من طبقات **ابن سعد**–رحمه الله–«**ت: ٢٣٠ هـ**» ذكر الطبقتين الأوليين على نفس الوصف الذي ذكره ابن الجوزي تماما. (٦)

والعلماء وإن أرادوا بهذا التقسيم معرفة الصحابة لا ذكر التفاضل إلا أنهم قد اعتبروا وجوه الفضل والتفاضل في التقسيم، والله أعلم. (٧)

المسألة الثانية: عدالة الصحابة.

أولًا: معنى العدالة في اللغة:

قال الجوهري–رحمه الله–«**ت: ٣٩٣ هـ**»: "العدل خلاف الجور، يقال: عدل عليه في القضية فهو عادل، وبسط الوالي عدله ومعدلته، وفلان من أهل المعدلة، أي: من أهل العدل، ورجل عدل، أي: رضا ومقنع في الشهادة، وهو في الأصل مصدر، وقوم عدل وعدول أيضًا: وهو جمع عدل وقد عدل الرجل بالضم عدالة.. إلى أن قال: وتعديل الشيء:

(١) صفة الصفوة «١/ ٣٧٠».
(٢) صفة الصفوة «١/ ٥٠٦».
(٣) صفة الصفوة «١/ ٦٥٠».
(٤) صفة الصفوة «١/ ٧٢٥».
(٥) صفة الصفوة «١/ ٧٤٦*.
(٦) انظر طبقات ابن سعد «٣/ ٤، ٥، ٦».
(٧) المصدر: مباحث المفاضلة في العقيدة «ص: ٢٧١–٢٧٣».

تقويمه، يقال: عدلته فاعتدل، أي: قومته فاستقام"[١]

وجاء في القاموس: "العدل ضـد الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم كالعدالة والعدولة والمعدلة والمعدلة"[٢]

"فمن هذه التعاريف اللغوية تبين أن معنى العدالة في اللغة الاســتقامة، وأن العدل هو الذي لم تظهر منه ريبة وهو الذي يرضى الناس عنه، ويقبلون شهادته ويقنعون بها"[٣]

ثانيًا: العدالة شرعًا:

عرفها ابن حجر-رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**»، بقوله: "المراد بالعدل من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة، والمراد بالتقوى: اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة"[٤].

فالله جل وعلا قد اختار هؤلاء الصفوة لصحبة نبيه ﷺ، واختارهم لإقامة دينه؛ فحفظوا لنا القرآن وحفظوا سنة النبي عليه الصلاة والسَّلام، وما انحسروا في المدينة، وإنما جاهدوا في سبيل نشر هذا الدِّين في ربوع الأرض، وانطلقوا يُبَلِّغون دين الله، وقد بلغ الإسلام في عهدهم مبلغًا عظيمًا، حتى إن بعضهم تُوفي عند أسوار القسطنطينية؛ كأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، مع أنها لم تفتح إلا في زمن العثمانيين.

فالصحابة فازوا بخيرية الصحبة، فكان لهم السبق في الإيمان والفضل وجلالة القَدْر، وحمل ميراث النبوة وتبليغه، والجهاد في سبيله؛ فكانوا فرسانًا بالنهار رهبانًا بالليل.

ولذلك أهل السنة- والحمد لله- قلوبهم سليمة دائمًا من الغل أو الحقد والحسد تِجاه الصَّحب والآل؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد زَكَّى المهاجرين والأنصار ومَن جاءوا بعدهم

---

(١) الصحاح للجوهري «ص: ١٧٦٠-١٧٦١»، مختار الصحاح «ص: ٤١٥-٤١٦».

(٢) القاموس «٤/ ١٣».

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام-رضي الله عنهم-، لناصر بن علي «٢/ ٧٩٦».

(٤) نزهة النظر شرح نخبة الفكر «ص: ٢٩».

مُستغفرين لهم؛ فقال جل وعلا: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وكذلك قلوب أهل السنة نقية تجاه حَمَلة ميراث النبوة من العلماء الصَّادقين والدُّعاة المخلصين والمقتفين للآثار النبي الأمين ﷺ؛ لأن النبي ﷺ قال: «**العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يُورثوا دينارًا ولا درهمًا، وَرَّثوا العلم؛ فمَن أَخَذَه أَخَذَ بحظٍّ وافرٍ**»[(١)].

المسألة الثالثة: الأدلة على عدالة الصحابة وفضلهم ومكانتهم.

لقد تضافرت الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعديل الصحابة الكرام-رضي الله عنهم-، مما لا يبقى معها شك لمرتاب في تحقيق عدالتهم، فكل حديث له سند متصل بين من رواه وبين المصطفى-صلى الله عليه وسلم-لم يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن ذلك:

أ-الأدلة من القرآن

١- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: الآية: ١٤٣].

ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة-رضي الله عنهم-أن وسطا بمعنى "عدولا

(١) أخرجه أبو داود «٣٦٤١» والترمذي «٢٦٨٢»، وحسنه الألباني في «المشكاة» «٢١٢».

خيارا"[١] ، ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن اللفظ وإن كان عامًا إلا أن المراد به الخصـوص، وقيل: "إنه وارد في الصحابة دون غيرهم"[٢]

٢-قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: الآية: ١١٠].

قال الشاطبي-رحمه الله-«**ت: ٧٩٠ هـ**»: "سنة الصحابة-رضي الله عنهم-سنة يعمل عليها ويرجع إليها، ومن الدليل على ذلك أمور:

أحدها: ثناء الله عليهم من غير مثنوية ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: الآية: ١١٠]، وقوله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: الآية: ١٤٣]، ففي الآية الأولى: إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقضي باستقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة.

وفي الثانية: إثبات العدالة مطلقًا، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى. ولا يقال إن هذا عام في الأمة، فلا يختص بالصحابة دون من بعدهم لأنا نقول:

أولا: ليس كذلك بناء على أنهم المخاطبون على الخصوص ولا يدخل معهم من بعدهم إلا بقياس وبدليل آخر.

ثانيا: على تسليم التعميم أنهم أول داخل في شمول الخطاب، فإنهم أول من تلقى ذلك من الرسول عليه الصلاة والسلام وهم المباشرون للوحي.

ثالثا: أنهم أولى بالدخول من غيرهم، إذ الأوصاف التي وصفوا بها لم يتصف بها على الكمال إلا هم فمطابقة الوصف للاتصاف شاهد على أنهم أحق من غيرهم

---

(١) انظر جامع البيان «٢/ ٧»، الجامع لأحكام القرآن «٢/ ١٥٣»، تفسير القرآن العظيم لابن كثير «١/ ٣٣٥».

(٢) انظر الكفاية للخطيب البغدادي «ص: ٦٤».

بالمدح، وأيضا: فإن من بعد الصحابة من أهل السنة عدلوا الصحابة على الإطلاق والعموم فأخذوا عنهم رواية ودراية من غير استثناء ولا محاشاة، بخلاف غيرهم فلم يعتبروا منهم إلا من صحت إمامته وثبتت عدالته وذلك مصدق لكونهم أحق بذلك المدح من غيرهم، فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط، أي: عدول بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر وعملهم مقتدى به"[١]

٣-قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: الآية: ٧٤].

ففي هذه الآية وصف الله تعالى عموم المهاجرين والأنصار بالإيمان الحق ومن شهد الله له بهذه الشهادة فقد بلغ أعلى مرتبة العدالة.

٤-قال تعالى:﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: الآية: ١٠٠].

ولا خلاف بين أهل العلم في أن الآية تتحدث عن الصحابة، إلا أن الخلاف في من هم هؤلاء الصحابة،

فقد قال ابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**»: "إنهم هم الذين صلوا إلى القبلتين وشهدوا بدرا،

وعن الشعبي-رحمه الله-«**ت: ١٠٤ هـ**»: "هم الذين بايعوا بيعة الرضوان"[٢]

وقال أبو موسى الأشعري-رضي الله عنه-«**ت: ٤٢ هـ**»، وسعيد بن المسيب-رحمه الله-«**ت: ٩٤ هـ**»، ومحمد بن سيرين-رحمه الله-«**ت: ١١٠ هـ**» والحسن-رحمه الله-«**ت: ١١٠ هـ**»، وقتادة-رحمه الله-«**ت: ١١٨ هـ**»، "هم الذين صلوا إلى القبلتين مع الرسول-

---

(١) الموافقات «٤/ ٤٠-٤١».

(٢) التفسير الكبير، الرازي، «١٦/ ١٣٤».

صلى الله عليه وسلم-"[١]

وذكر الله تعالى رضاه عنهم في قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ "ولما وصفهم بهذا الوصف أثبت لهم ما يوجب التعظيم"[٢]، "ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم"[٣].

وقال ابن خويز منداد-رحمه الله-«**ت: ٣٩٠ هـ**»: "تضمنت هذه الآية تفضيل السابقين إلى كل منقبة من مناقب الشريعة في علم، أو دين، أو شجاعة، أو غير ذلك"[٤]، فرضي الله -سبحانه وتعالى- عن هؤلاء فيه بيان لفضلهم وتميزهم عن غيرهم.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "فرَضِيَ عن السابقين عن غير اشتراط إحسان، ولم يرضَ عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان"[٥]

قال ابن كثير-رحمه الله-«**ت: ٧٧٤ هـ**»: "ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم رضي الله عنهم أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلا للرضا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلا في دينه.

ومن أثنى الله تعالى عليه بهذا الثناء كيف لا يكون عدلا وإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس فكيف لا تثبت عدالة صفوة الخلق وخيارهم بهذا الثناء الصادر من رب العالمين.

فقد أخبر الله-تعالى-في هذه الآية أنه رضي عن هؤلاء رضًا مطلقًا، ورَضي عمن بعدهم رضًا مقيدًا، وهو شرط اتباعهم بإحسان؛ قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "فقد أخبر اللهُ العظيم أنَّه قد رضي عن السَّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل

---

(١) تفسير ابن كثير، «٧/ ٢٧٠».

(٢) التفسير الكبير، الرازي، «١٦/ ١٣٥».

(٣) تفسير ابن كثير، ٧/ ٢٧٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثاني، المجلد الرابع، «ص: ٤١٣».

(٥) "الصارم المسلول" «ص: ٥٧٢».

مَن أبغضهم أو سَبَّهم أو أبغض-أو سَبَّ-بَعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخَيرهم وأفضلهم-أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم-أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يُعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويسبونهم؛ عياذًا بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون مَن قدم الله ذكرهم ورفع شأنهم.

وأمَّا أهل السنة فإنهم يَترضون عنهم، ويَسبون مَن سَبَّه اللهُ ورسولُه، ويُوالون مَن يُوالي الله، ويُعادون مَن يعادي الله، وهم مُتَّبعون لا مُبتدعون، ويَقتدون ولا يَبتدئون، ولهذا هم حزبُ الله المفلحون وعباده المؤمنون"(١).

قال محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-«**ت: ١٣٩٣ هـ**»: "ولا يخفى أنه تعالى صرح في هذه الآية الكريمة أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهو دليل قرآني صريح في أن من يسبهم ويبغضهم، أنه ضال مخالف لله جل وعلا، حيث أبغض من رضي الله عنه؛ ولا شك أن بغض من رضي الله عنه مضادة له جل وعلا، وتمرد وطغيان"(٢)

٥- قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: الآية: ١٨].

وهذه الآية فيها دلالة واضحة على تعديل الصحابة الذين كانوا مع النبي-صلى الله عليه وسلم-يوم الحديبية، وقد تقدم ذكر عدتهم وأنهم كانوا ألفًا وأربعمائة ووجه دلالة الآية على تعديلهم-رضي الله عنهم- أن-الباري جل وعلا-أخبر برضاه عنهم، وشهد لهم بالإيمان وزكاهم بما استقر في قلوبهم من الصدق والوفاء والسمع والطاعة ولا تصدر تلك التزكية العظيمة من ـ الرب-جل وعلا-ـ إلا لمن بلغ الذروة في تحقيق الاستقامة على وفق ما أمر الله

(١) تفسير ابن كثير» «٤/ ٢٠٣».

(٢) أضواء البيان «٢/ ٥٥٨».

به والصحابة–رضي الله عنهم–كانوا في مقدمة من استقاموا في جميع الأحوال.

فالآية فيها بيان أن طاعة الله والرســـول وجدت من أهل بيعة الرضـــوان أما طاعة الله فالإشـــارة إليها بقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِـيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وأما طاعة الرسـول–صـلى الله عليه وسـلم–فبقوله: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّـجَرَةِ﴾ بقي الموعود به وهو إدخال الجنة أشـار إليه بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِـيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأن الرضـا يكون معه إدخال الجنة، كما قال عز وجل. ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المجادلة: الآية: ٢٢].

٦– قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: الآية: ٢٩].

قال ابن الجوزي–رحمه الله–«**ت: ٥٩٧ هـ**»: "وهذا الوصـــف لجميع الصـــحابة عند الجمهور"[١]

قال القرطبي–رحمه الله–«**ت: ٦٧١ هـ**»، عند تفســيره لهذه الآية: "فالصـــحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصـــفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورســـله، هذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة، وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصـــحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم، ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر، فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلا بد من البحث وهذا مردود فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة

---

(١) زاد المسير: «١/ ٢٠٤».

بقوله تعالى: ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد"[(١)].

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: " ذكر سبحانه رسوله وحزبه الذين اختارهم له، ومدحهم بأحسن المدح، وذكر صفاتهم في التوراة والإنجيل، فكان في هذا أعظم البراهين على صدق من جاء بالتوراة والإنجيل والقرآن، وأن هؤلاء هم المذكورون في الكتب المتقدمة بهذه الصفات المشهورة فيهم، لا كما يقول الكفار عنهم: إنهم متغلبون طالبو ملك ودنيا.

ولهذا لما رآهم نصارى الشام وشاهدوا هديهم وسيرتهم وعدلهم وعلمهم ورحمتهم وزهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة قالوا: ما الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء، وكان هؤلاء النصارى أعرف بالصحابة وفضلهم من الرافضة أعدائهم، والرافضة تصفهم بضد ما وصفهم الله به في هذه الآية وغيرها و ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ [الكهف: ١٧]"[(٢)]

٧-قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: الآيات: ١٠-١٢].

فالصحابة-رضي الله عنهم-هم السابقون من أمة محمد-صلى الله عليه وسلم-إلى كل خير، وإلى تحصيل كل قربة فيها رضى الرب-جل وعلا-، ولا يصدر ذلك إلا ممن تحقق بوصف العدالة.

قال أبو محمد بن حزم-رحمه الله-«**ت: ٤٥٦ هـ**» بعد أن ذكر أفضلية جماعات الصحابة حسب سبقهم إلى الإسلام وحسب المشاهد، قال: "فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار-رضي الله عنهم-إلى تمام بيعة الرضوان فإنا نقطع على غيب قلوبهم وأنهم كلهم

(١) الجامع لأحكام القرآن «١٦/ ٢٩٩».

(٢) زاد المعاد «٣/ ٣٧٤-٣٧٥».

مؤمنون صـالحون، ماتوا على الإيمان والهدى والبر كلهم من أهل الجنة لا يلج أحد منهم النار البتة لقول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: الآيات: ١٠-١٢] وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: الآية: ١٨]، إلى أن قال: ـ فمن أخبر الله عنهم بذلك فلا يحل لأحد أن يتوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة"(١)

٨- قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: الآيات: ٨- ١٠].

فالصـادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصـار، بهذا فسـر أبو بكر الصـديق «**ت: ١٣ هـ**» هاتين الكلمتين من الآيتين حيث قال في خطبته يوم السقيفة مخاطبا الأنصار: "إن الله سمانا "الصـادقين" وسماكم "المفلحين"، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: الآية: ١١٩]"(٢)

ولذلك أهل السـنة-والحمد لله-قلوبهم سـليمة دائمًا من الغل أو الحقد والحسـد تجاه الصَّحب والآل؛ لأن الله سـبحانه وتعالى قد زكَّى المهاجرين والأنصـار ومَن جاءوا بعدهم مُستغفرين لهم.

٩-وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

---

(١) ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة «ص: ٢٦٥-٢٦٦».

(٢) العواصم من القواصم «ص: ٤٤-٤٥».

والمراد بـــ﴿المؤمنين﴾ في الآية: أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-؛ فتوعد الله مَن اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد مُتبعهم بإحسان بالرِّضوان في قوله-جل وعلا-: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

١٠-وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: الآية: ١٠].

وقال أبو محمد بن حزم-رحمه الله-«**ت: ٤٥٦ هـ**»: "وكلهم عدول فاضل من أهل الجنة قال الله تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: الآية: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: الآيات: ١٠١-١٠٣]، قال أبو محمد: هذه مواعيد الله تعالى ووعد الله مضمون تمامه وكلهم ممن مات مؤمنا قد آمن وعمل الصالحات"(١).

١١- قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [النمل: الآية: ٥٩].

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-»ت: ٦٨ هـ»، وسفيان الثوري-رحمه الله-«**ت: ١٦١**

(١) الإحكام في أصول الأحكام «٥/ ٩٠-٩١».

هـ»: "هم أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-اصطفاهم الله لنبيه-رضي الله عنهم-"[١].

قال ابن جرير الطبري-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**» في الذين اصطفاهم: "هم الذين اجتباهم لنبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-فجعلهم أصحابه ووزراءه"[٢]

قال ابن كثير-رحمه الله-«**ت: ٧٧٤ هـ**»: "يقول سفيان الثوري-رحمه الله-«**ت: ١٦١ هـ**»، والسدي-رحمه الله-«**ت: ١٢٧ هـ**» في هذه الآية: "هم أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-"[٣]

قال ابن عاشور-رحمه الله-«**ت: ١٣٩٣ هـ**»: "فلما أمر الله تعالى في هذه الآية رسوله أن يقول: ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ فقد عين له هذه الجملة ليقولها يسأل من الله أن يكرم عباده الذين اصطفى بالثناء عليهم في الملأ الأعلى وحسن الذكر؛ إذ قصارى ما يستطيعه الحاضر من جزاء الغائب على حسن صنيعه أن يبتهل إلى الله أن ينفعه بالكرامة"[٤]

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "وحقيقة الاصطفاء: "افتعال من التصفية، فيكون قد صفاهم من الأكدار، ولا ينقض هذا بما إذا اختلفوا؛ لأن الحق لم يعدهم بألا يختلفوا، وهذا لا يخرجهم من حقيقة الاصطفاء"[٥]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "إنه لا ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الأمة"[٦]

وهذا أمر لا غرابة فيه بأن يصطفي الله-عز وجل-أفضل الأصحاب لأفضل الأنبياء

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثالث، المجلد السابع، «ص: ١٤٧».

(٢) جامع البيان، الطبري، «٨/ ٧٠٢».

(٣) تفسير ابن كثير: «٣/ ٥٠٣».

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، المجلد الثامن، الجزء العشرون، «ص: ٨».

(٥) إعلام الموقعين، ابن القيم، «٥/ ٥٦٨».

(٦) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، «١/ ٣٦٦»..

وخاتمهم.

١٢-قال تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٢٣].

تعددت الروايات في سبب نزول هذه الآية وفيمن نزلت، إلا أنها اتفقت على أن المقصود بها هو أحد الصحابة أو جميعهم، فلم تخرج من دائرة الصحابة وفضلهم، ففي البخاري-رحمه الله-«**ت: ٢٥٦ هـ**»، عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-«**ت: ٩٣ هـ**» قال: "نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر «**ت: ٣ هـ**»"[(١)] وفي رواية: "وفي أشباهه"[(٢)]

وعند مسلم: "وفي أصحابه"[(٣)]

وفي حديث عائشة-رضي الله عنها-«**ت: ٥٧ هـ**»، قالت في قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الآية: منهم طلحة بن عبيد الله-رضي الله عنه-«**ت: ٣٦ هـ**»، ثبت مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-حتى أصيبت يده، فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «**أوجب طلحة الجنة**».[(٤)]

قال الشوكاني-رحمه الله-«**ت: ١٢٥٠ هـ**»: "إن معنى الآية: أن من المؤمنين رجالا أدركوا أمنيتهم وقضوا حاجتهم ووفوا بنذرهم، فقاتلوا حتى قتلوا، وذلك يوم، أحد كحمزة «**ت: ٣ هـ**»، ومصعب بن عمير «**ت: ٣ هـ**»، وأنس بن النضر «**ت: ٣ هـ**»، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ قضاء نحبه حتى يحضر أجله، كعثمان بن عفان«**ت: ٣٥ هـ**»، وطلحة «**ت: ٣٦ هـ**»، والزبير «**ت: ٣٦ هـ**»، وأمثالهم، فإنهم مستمرون على ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-والقتال لعدوه، ومنتظرون لقضاء حاجتهم

(١) صحيح البخاري، «٤٧٨٣».

(٢) صحيح البخاري، «٢٨٠٥».

(٣) صحيح مسلم، «٤٩١٨».

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، «٧/ ٣٤٤».

وحصــول أمنيتهم بالقتل وإدراك فضــل الشــهادة، وجملة ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ معطوفة على صدقوا، أي: ما غيروا عهدهم الذي عاهدوا الله ورسوله عليه"[١]

ب-الأدلة من السنة.

ولقد تواترت الأحاديث عن النبي-صلى الله عليه وسلم-فيما يدل على فضل الصحابة-رضوان الله عليهم-ووجوب تعظيمهم وإكرامهم وكونهم خير قرون هذه الأمة بعد النبي-صلى الله عليه وسـلم-. ولقد عقد البخاري «**ت: ٢٥٦ هـ**»، ومسـلم «**ت: ٢٦١ هـ**». في صحيحيهما وكذا أهل السنن وغيرهم، كل منهم كتابا لفضائل الصحابة أوردوا فيه الكثير من الأحاديث الواردة في فضل الصحابة-رضوان الله عليهم-.

وأما دلالة السنة على تعديلهم وفضلهم-رضي الله عنهم-:

فقد وصفهم النبي-صلى الله عليه وسلم-في أحاديث يطول تعدادها وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم بتعديلهم، ومن تلك الأحاديث:

١ـ عن عمران بن حصـين-رضـي الله عنهما-«**ت: ٥٢ هـ**»، قال: قال رسـول الله-صلّى الله عليه وسلّم-: «**خير أُمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ــ قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا ـــ ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**». [٢]

٢- وعن عبد الله بن مسعود-رضـي الله عنه-«**ت: ٣٢ هـ**»، أن النبي-صلى الله عليه وسـلم-قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسـبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**"[٣]

---

[١] فتح القدير، الشوكاني، «٣/ ٤٢١-٤٢٢».

[٢] أخرجه البخاري «٢٥٣٥».

[٣] صحيح البخاري ٢/٢٨٨، وانظر صحيح مسلم ٤/١٩٦٣.

٣- عن أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-«ت: ٤٢ هـ»، قال: صلينا المغرب مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا، فخرج علينا فقال: «**ما زلتم ههنا**»، قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: «**أحسنتم أو أصبتم**»، قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه، فقال: «**النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**"[(١)]

٤-وعن البراء-رضي الله عنه-«ت: ٧٢ هـ»، قال: سمعت النبي-صلّى الله عليه وسلّم-أو قال: قال صلّى الله عليه وسلّم: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله**"[(٢)]

٥-وفي الصحيحين "أنه كان بين عبد الرحمن بن عوف «ت: ٣٢ هـ»، وبين خالد بن الوليد «**ت: ٢١ هـ**»، كلام، فقال رسول الله: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**». [(٣)]

قال ذلك لخالد بالنسبة إلى السابقين الأولين، فالصحابة هم خير هذه الأمة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم.

٦-عن عبد الله بن مسعود-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-«**ت: ٣٢ هـ**»، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**إِذا ذُكِرَ أَصْحابي فأَمْسِكُوا**». [(٤)]

---

(١) صحيح مسلم ٤/١٩٦١، ومسند أحمد «١٩٥٦٦».

(٢) أخرجه البخاري «٣٧٨٣»، ومسلم «٧٥».

(٣) أخرجه البخاري «٣٦٧٣»، ومسلم «٢٥٤٠».

(٤) المعجم الكبير للطبراني «١٤٢٧»، أخرجه قوام السنة في الترغيب والترهيب «٦٢٩» باختلاف يسير، وقال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة: «صحيح» انظر حديث رقم: «٥٤٥». في صحيح الجامع.

٧-وقد ثبت في "صـحيح مسـلم" عن النبي-صـلى الله عليه وسـلم-أنه قال: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**"[١]

٨- عن أبي بكرة-رضـــي الله عنه-«ت: ٥١ هـ»، أن النبي صـــلى الله عليه وســـلم قال: «..**ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**». الحديث. [٢]

وجه دلالة الحديث على عدالتهم رضي الله عنهم أن هذا القول صدر من النبي صلى الله عليه وســـلم في أعظم جمع من الصـــحابة في حجة الوداع وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم حيث طلب منهم أن يبلغوا ما سمعوه منه من لم يحضـر ذلك الجمع دون أن يسـتثني منهم أحدا.

قال ابن حبان-رحمه الله-«**ت: ٣٥٤ هـ**»: "وفي قوله-صـــلى الله عليه وســـلم-: «**ألا ليبلغ الشـاهد منكم الغائب**»، أعظم دليل على أن الصـحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح ولا ضـعيف إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاسـتثنى في قوله صلى الله عليه وسلم وقال: ألا ليبلغ فلان منكم الغائب فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم دل ذلك على أنهم كلهم عدول وكفى بمن عدله رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفا"[٣]

٩-عن أبي سـعيد الخدري-رضـي الله عنه-«**ت: ٧٤ هـ**»، قال: قال رسـول الله-صـلى الله عليه وســـلم-: «**يَأْتِي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيَقولونَ: فِيكُمْ مَن صاحَبَ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتِي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وســـلم؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتِي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه**

---

(١) أخرجه مسلم برقم «٢٤٩٦».

(٢) صحيح البخاري «٣١/١»، صحيح مسلم «١٣٠٦/٣».

(٣) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان «١/ ٩١».

وسلم؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ». [(١)].

هذه الأحاديث فيها دلالة واضحة على أن الصحابة عدول على الإطلاق حيث شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية المطلقة كما أخبر بأنهم أمان للأمة من ظهور البدع والحوادث في الدين ولا يخبر صلى الله عليه وسلم بهذا إلا لمن كانوا عدولا مستقيمين على الصراط المستقيم.[(٢)]

ج-أقوال السلف ومن تبعهم في عدالة الصحابة وفضلهم.

فمن أصول أهل السُّنَّة والجماعة: سلامةَ قلوبهم تجاه أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-،

قال حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**»: "إن الله-جل ثناؤه وتقدست أسماؤه-خص نبيه محمدا-صلى الله عليه وسلم-بصحابة آثروه على الأنفس والأموال، وبذلوا النفوس دونه في كل حال، ووصفهم الله في كتابه فقال: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: الآية: ٢٩]. قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله، واستقر دينه ووضحت أعلامه، وأذل بهم الشرك، وأزال رؤوسه ومحا دعائمه، وصارت كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزكية، والأرواح الطاهرة العالية فقد كانوا في الحياة لله أولياء، وكانوا بعد الموت أحياء، وكانوا لعباد الله نصحاء، رحلوا إلى الآخرة

(١) أخرجه البخاري «٣٦٤٩».

(٢) المصدر: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام-رضي الله عنهم-، لناصر بن علي «٨٠٠-٨٠٨».

قبل أن يصلوا إليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها"[١]

قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- «**ت: ٣٢ هـ**»: "إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد -صلى الله عليه وسلم- خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ"[٢]

وذلك لأنهم حَمَلَة ميراث النبوة، فهم علماء هذه الأمة وخيرها وأبرُّها، كما قال عنهم ابن مسعود -رضي الله عنه- «**ت: ٣٢ هـ**»: "مَن كان منكم مستنًّا، فليستنَّ بمَن قد مات؛ فإنَّ الحيَّ لا يُؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد، أبرُّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلُّها تكلفًا؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيِّه، وإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم حقَّهم، وتمسَّكوا بهديهم؛ فإنَّهم كانوا على الهُدى المستقيم"[٣]

وقد عَلَّق ابن تيمية -رحمه الله- «**ت: ٧٢٨ هـ**» على هذا الأثر؛ فقال: "وقول عبد الله بن مسعود: " "كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا": كلامٌ جامع، بيَّن فيه حُسن قَصدهم، ونيَّاتهم ببر القلوب، وبيَّن فيه كمال المعرفة، ودقتها بعمق العلم، وبيَّن فيه تيسير ذلك عليهم، وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف... وهم أفضل الأمة الوسط الشهداء على الناس، الذين هداهم الله لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم؛ فليسوا مِن المغضوب عليهم الذين يتبعون أهواءهم، ولا من الضالين الجاهلين... بل لهم كمال العلم، وكمال القصد؛ إذ لو لم يكن كذلك للزم أن لا تكون هذه الأمةُ خيرَ الأمم، وأن لا يكونوا خيرَ الأمة، وكلاهما خلاف الكتاب والسُّنَّة.

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر «٣/ ٧٥».

(٢) رواه أحمد في المسند «١/ ٣٧٩»، والطبراني في الكبير «٨٥٨٢»، وقال المحققون: إسناده حسن.

(٣) أخرجه ابن عبد البرّ في جامع بيان العلم وفضله «٢/ ٩٤٧»، والبغوي في شرح السنة «١/ ٢١٤»، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

وأيضًا فالاعتبار العقليُّ يدلُّ على ذلك؛ فإنَّ مَن تأمَّل أمة محمد-صلى الله عليه وسلم-، وتأمل أحوال اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين-تبيَّن له مِن فضيلة هذه الأمة على سائر الأمم في العلم النافع والعمل الصالح ما يضيق هذا الموضع عن بسطه.

عن الحسن البصري-رحمه الله-«**ت: ١١٠ هـ**»، قال: "إن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كانوا أكياسًا، عملوا صالحًا، وأكلوا طيبًا، وقدموا فضلًا، ولم ينافسوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم ينافسوهم في عزها، ولم يجزعوا لذلها، أخذوا صفوها، وتركوا كدرها، والله ما تعاظم في أنفسهم حسنة عملوا، ولا تصغر في أنفسهم سيئة"[١]

قال قتادة بن دعامة السدوسي-رحمه الله-«**ت: ١١٨ هـ**»: "ولكن أحق من صدقتم أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه"[٢].

عن أبي صخر حميد بن زياد-رحمه الله-«**ت: ١٨٩ هـ**»، قال: قلت لمحمد بن كعب القرظي-رحمه الله-«**ت: ١٠٨ هـ**»: أخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أريد الفتن؟ فقال إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم قلت: له وفي أي موضع أوجب الله لهم الجنة في كتابه؟ قال ألا تقرأ ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: الآية: ١٠٠] أوجب لجميع أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم- الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطا لم يشترطه فيهم قلت: وما اشترط عليهم؟ قال: اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان يقول: يقتدون بهم في أعمالهم الحسنة، ولا يقتدون بهم في غير ذلك قال أبو صخر: لكأني لم أقرأها قبل ذلك وما عرفت تفسيرها حتى قرأها علي محمد بن كعب"[٣]

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا «٧١» رقم «١٧٤»، والبيهقي في شعب الإيمان «٧/ ٣٧٤» رقم «١٠٦٣٣».

(٢) أحمد المسند «١٠/ ٤٣٦»، رقم: «١٢٣١٦» وإسناده صحيح.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور «٤/ ٢٧٢»، وعزاه لأبي الشيخ وابن عساكر.

نقل الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي-رحمه الله-«**ت: ٣٢١ هـ**»: مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي-رحمه الله-«**ت: ١٥٠ هـ**»، وصاحبيه أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحميري الأنصاري-رحمه الله-«**ت: ١٨٢ هـ**»، ومحمد بن الحسن الشيباني-رحمه الله-«**ت: ١٨٩ هـ**» ما كانوا يعتقدونه من أصول الدين، ويدينون به لرب العالمين ومن ضمن ذلك ما كانوا يعتقدونه في الصحابة عموما فقال: في عقيدته المشهورة: "ونحب أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"[١]

وقال الإمام محمد بن إدريس الشافعي-رحمه الله-«**ت: ٢٠٤ هـ**»: "وقد أثنى الله ـ تبارك وتعالى ـــ على أصحاب-رسول الله صلى الله عليه وسلم-في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله-صلى الله عليه وسلم-من الفضل ما ليس لأحد بعدهم فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين أدوا إلينا سنن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-عاما وخاصا وعزما وإرشادا، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا، ومن أدركنا ممن يرضى أو حكى لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا، أو قول بعضهم إن تفرقوا، وهكذا نقول ولم نخرج من أقاويلهم، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله"[٢].

قال ابن عبد البر-رحمه الله-«**ت: ٤٦٣ هـ**»: "ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها، والمؤدية إلى حفظها، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم-صلى الله عليه وآله وسلم-إلى الناس

[١] العقيدة الطحاوية مع شرحها «ص: ٥٢٨».

[٢] مناقب الشافعي للبيهقي «١/ ٤٤٢- ٤٤٣»، أعلام الموقعين «١/ ٨٠».

كافة، وحفظوها عليه، وبلغوها عنه، وهم صحابته الحواريون الذين وعوها وأدوها ناصحين محسنين، حتى كمل بما نقلوه الدين، وثبتت بهم حجة الله تعالى على المسلمين، فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله عليه السلام، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه. قال الله تعالى ذكره: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: الآية: ٢٩]. فهذه صفة من بادر إلى تصديقه والإيمان به، وآزره ونصره، ولصق به وصحبه"(١)

يقول الخطيب البغدادي-رحمه الله-«**ت: ٤٦٣ هـ**»: "على أنه لو لم يرد من الله-عز وجل-ورسوله فيهم شيء، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطعَ على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيؤون من بعدهم أبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتد بقوله من الفقهاء"(٢)

وقال الإمام ابن قدامة-رحمه الله-«**ت: ٦٢٠ هـ**»: "أمته خير الأمم، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء"(٣)

قال ابنُ الصَّلاحِ-رحمه الله-«**ت: ٦٤٣ هـ**»: "للصَّحابةِ بأسْرِهم خَصيصةٌ، وهي أنَّه لا يُسأَلُ عن عدالةِ أحَدٍ منهم، بل ذلك أمرٌ مَفروغٌ منه؛ لكونِهم على الإطلاقِ مُعَدَّلين بنُصوصِ الكِتابِ والسُّنَّةِ، وإجماعِ من يُعتَدُّ به في الإجماعِ من الأُمَّةِ... ثم إنَّ الأُمَّةَ مجمِعةٌ على تعديلِ جميعِ الصَّحابةِ، ومن لابَسَ الفِتَنَ منهم فكذلك بإجماعِ العُلَماءِ الذين يُعتَدُّ بهم في

(١) الاستيعاب لابن عبد البر «١/ ١-٢».

(٢) "الكفاية" «٤٩».

(٣) لمعة الاعتقاد: مع شرحها الإرشاد «ص: ٣٠٦».

الإجماعِ؛ إحســانًا للظَّنِّ بهم، نظرًا إلى ما تمهَّد لهم من المآثِرِ، وكأنَّ اللهَ سُــبحانَه وتعالى أتاح الإجماعَ على ذلك؛ لكونِهم نَقَلةَ الشَّريعةِ، واللهُ أعلَمُ"(١)

وقال الإمام النَّووي–رحمه الله–«**ت: ٦٧٦ هـ**»: "وكُلُّهـــــــم عُدولٌ رَضِـــيَ اللهُ عنهم، ومتأوِّلون في حُروبِهم وغَيرِها، ولم يُخرِجْ شَـيءٌ من ذلك أحدًا منهم عن العدالةِ ... ولهذا اتَّفَق أهلُ الحَقِّ ومن يُعتَدُّ به في الإجماعِ على قَبولِ شَـهاداتِهم ورواياتِهم، وكَمالِ عَدالتِهم رَضِـيَ اللهُ عنهم أجمعين"(٢)

وقال الإمام النووي–رحمه الله–«**ت: ٦٧٦ هـ**»: "قال القاضـي، ويؤيد هذا ما قدمناه في أول باب فضـــائل الصـــحابة عن الجمهور من تفضـــيل الصـــحابة كلهم على جميع من بعدهم. وسبب تفضيل نفقتهم: أنها كانت وقت الضرورة وضيق الحال، بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصـرته عليه الصـلاة والسـلام وحمايته وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم، وسـائر طاعتهم، هذا كله مع ما كان في أنفسـهم من الشـفقة والتودد والخشـوع والتواضـع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده، وفضـــيلة الصـــحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"(٣).

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "والصـــحابة أكمل الأمة في ذلك بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار، ولهذا لا تجد أحدًا من أعيان الأمة إلا وهو معترف بفضل الصـــحابة عليه وعلى أمثاله، وتجد مَن ينازع في ذلك كالرافضـــة من أجهل الناس. ولهذا لا يُوجد في أئمة الفقه الذين يُرجع إليهم رافضـــي، ولا في أئمة الحديث، ولا في أئمة الزهد والعبادة، ولا في الجيوش المؤيدة المنصـورة جيش رافضـي، ولا في الملوك الذين نصـروا الإسـلام وأقاموه وجاهدوا عدوَّه مَن هو رافضـــي، ولا في الوزراء الذين لهم سِـــيرة محمودة مَن هو

(١) يُنظر: «مقدمة ابن الصلاح» «ص: ٣٩٧».

(٢) يُنظر: شرح مسلم «١٥/ ١٤٩».

(٣) شرح مسلم للنووي: «١٦/ ٣٢٧»، فتح الباري لابن حجر: «٧/ ٤٢».

رافضي..."[١]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "ومن نظر في سـيرة القوم بعلم وبصـيرة وما من الله به عليهم من الفضـائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى"[٢]

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "قال غير واحد من الأئمة: إن كل من صحب النبي–صلى الله عليه وسلم–أفضل ممن لم يصحبه مطلقا، وعينوا ذلك في مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز مع أنهم معترفون بأن سـيرة عمر بن عبد العزيز أعدل من سـيرة معاوية، قالوا: لكن ما حصـل لهم بالصـحبة من الدرجة أمر لا يسـاويه ما يحصـل لغيرهم بعلمه، واحتجوا بما في الصـحيحين من أنه قال: «**لا تسـبوا أصـحابي..**»[٣] قالوا: فإذا كان جبل أحد ذهبا لا يبلغ نصف مد أحدهم، كان في هذا من التفاضل ما يبين أنه لم يبلغ أحد مثل منازلهم التي أدركوها بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم"[٤]

قال الإمام ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: "إن من أصـول أهل السـنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، كما وصفهم الله بذلك في قوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: الآية: ١٠]، وأمر النبي–صـلى الله عليه وسـلم–بحسـن القول فيهم، فمن طعن فيهم أو سـبهم فقد خالف أمر النبي–صلى الله عليه وسلم–"[٥].

قال ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: "فالله سـبحانه أعلم حيث يجعل رسـالاته

---

(١) منهاج السنة النبوية «٢/ ٧٩-٨١».

(٢) مجموع الفتاوى «٣/ ١٥٦».

(٣) أخرجه البخاري «٢٥٤٠».

(٤) مجموع الفتاوى: «٤/ ٥٢٧».

(٥) "إعلام الموقعين"، «٢/ ١٦١».

أصــلا وميراثا؛ فهو أعلم بمن يصــلح لتحمل رســالته فيؤديها إلى عباده بالأمانة والنصــيحة، وتعظيم المرسل والقيام بحقه، والصبر على أوامره والشكر لنعمه، والتقرب إليه، ومن لا يصلح لذلك، وكذلك هو سبحانه أعلم بمن يصلح من الأمم لوراثة رسله والقيام بخلافتهم، وحمل ما بلغوه عن ربهم"(١)

وقال ابنُ كثيرٍ–رحمه الله–«ت: ٧٧٤ هـ»: "الصَّـــحابةُ كُلُّهم عدولٌ عند أهلِ السُّـــنَّةِ والجماعةِ؛ لِما أثنى اللهُ عليهم في كِتابه العزيزِ، وبما نطَقَت به السُّـــنَّةُ النبويَّةُ في المدحِ لهم في جميعِ أخلاقِهم وأفعالِهم، وما بَذَلوه من الأموالِ والأرواحِ بين يَدَيْ رَســولِ اللهِ–صــلى الله عليه وسلم–؛ رغبةً فيما عند الله من الثَّوابِ الجزيلِ، والجزاءِ الجميلِ"(٢)

فمن واجب الأمة نحو أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–محبتهم والترضي عنهم والدعاء لهم كما أمرنا الله تعالى بقوله: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين ســـبقونا بالأيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ [الحشر: الآية: ١٠].

فهم قوم اختارهم الله وشرفهم بصحبة نبيه–صلى الله عليه وسلم–وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إليه وسماع حديثه من فمه الشريف ونصرته والذب عنه والجهاد معه في سبيل الله ونشر دين الإسلام.

وبعد وفاته كانوا هم الواسـطة بين الرسـول–صـلى الله عليه وسـلم–وبين الأمة، فقد بلغوا عن رسول الله ما بعثه الله به من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها ونشروا هذا الدين في شـتى بقاع الأرض: وجاهدوا في سـبيل الله بأنفسـهم وأموالهم، وذبوا عن هذا الدين بسـنانهم ولسـانهم فكان لهم بذلك الأجر العظيم والمنزلة العالية عند ربهم وعند نبيهم وعند المسـلمين الموحدين جميعا.

---

(١) طريق الهجرتين، «ص: ١٧١».

(٢) يُنظر: اختصار علوم الحديث «ص: ١٨١».

وكيف لا يكونون كذلك وهم خير قرون هذه الأمة بشهادة النبي–صلى الله عليه وسلم–.

المسألة الرابعة: وجوب اتباع سبيلهم.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

قال الإمام ابن كثير–رحمه الله–«**ت: ٧٧٤ هـ**»: "فقد أخبر اللهُ العظيم أنَّه قد رضي عن السَّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.....

وأمَّا أهل السنة فإنهم يَترضون عنهم، ويَسبون مَن سَبَّه اللهُ ورسولُه، ويُوالون مَن يُوالي الله، ويُعادون مَن يعادي الله، وهم مُتَّبعون لا مُبتدعون، ويَقتدون ولا يَبتدئون، ولهذا هم حزبُ الله المفلحون وعباده المؤمنون"[١].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

والمراد بـ﴿المؤمنين﴾ في الآية: أصحاب النبي–صلى الله عليه وسلم–؛ فتوعد الله مَن اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد مُتبعهم بإحسان بالرِّضوان في قوله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وقد شهد الله لأصحاب نبيه الله ومن تبعهم بإحسان بالإيمان فعلم قطعا أنهم المراد بالآية الكريمة"[٢]

وعن العرباض بن سارية–رضي الله عنه–«**ت: ٧٥ هـ**»، قال: "وعظنا رسول الله–صلى الله عليه وسلم–موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون. فقلنا: يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**

---

(١) تفسير ابن كثير «٤/ ٢٠٣».

(٢) الانتصار لأهل الأثر «ص: ٣».

المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة"[(١)]

قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: الآية: ٦].

عن قتادة-رحمه الله-«ت: ١١٨ هـ» ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾ قال: "أصحاب محمد"[(٢)]

قال عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-«**ت: ٣٢ هـ**»: "لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-، وأكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم، فذلك حين هلكوا"[(٣)]

كتب عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-«**ت: ١٠١ هـ**» إلى عامل له فقال: "أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما جرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السُنَّة فإنها لك بإذن الله عصمة، واعلم أن الناس لم يحدثوا بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها، فإن السُنَّة إنما سنّها من علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم فإنهم السابقون، عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل فيه لو كان أحرى، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه فقد

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده «٤/ ١٢٦، ١٢٧». وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة: باب في لزوم السنة «٥/ ١٣، ١٥» ح: «٤٦٠٧»، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم: باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة «٥/ ٤٤» ح: «٢٦٧٦»، وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجة في سننه، في المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين «١/ ١٦». وابن حبان في صحيحه «١/ ١٣٩»، والحاكم في المستدرك «١/ ٩٦» وصححه ووافقه الذهبي، والآجري في الشريعة «ص: ٤٦، ٤٧»، والدارمي في سننه، باب اتباع السنة «١/ ٤٤، ٤٥» وقال الألباني: سنده صحيح، وصححه جماعة منهم الضياء المقدسي في اتباع السنن واجتناب البدع، انظر: مشكاة المصابيح «١/ ٥٨» ح: «١٦٥».

(٢) تفسير الطبري «تفسير سورة سبأ الآية: ٦».

(٣) أخرجه ابن عبد المبارك في الزهد «١/ ٢٨١» وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله «١/ ٦١٧» والطبراني في المعجم الكبير «٩/ ١١٤».

ســـبقتموهم إليه، ولئن قلت إنما أحدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير ســـبيلهم ورغب بنفسه عنهم، لقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محصـر، لقد قصـر دونهم أقوام فجفوا، وطمع عنهم آخرون فغلوا، إنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم"[(١)]

قال شقيق البلخي–رحمه الله–«**ت**: **١٩٤ هـ**»: قيل لابن المبارك–رحمه الله–«**ت**: **١٨١ هـ**»: إذا أنت صـليت لم لا تجلس معنا؟ قال: "أجلس مع الصـحابة والتابعين أنظر في كتبهم وآثارهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس"[(٢)]

قال الإمام أحمد: ثنا عبيد الله بن محمد «**هو العيشـي حافظ**» قال: سمعت شـيخًا يذكر عن محمد بن ســيرين وســئل مرة عن فتيا فأحســن الإجابة فيها، فقال له رجل: والله يا أبا بكر، لأحسـنت الفتيا فيها أو قال: القول فيها قال: وعرّض، كأنه يقول: ما كانت الصـحابة لتحســـن أكثر من هـذا؛ فقـال محمـد بن ســـيرين–يعني منكرا–لو أردنا فقههم لما أدركته عقولنا"[(٣)]

وقال الإمام أحمد–رحمه الله–«**ت**: **٢٤١ هـ**»: "أصـول السُـنَّة عندنا التمسـك بما كان عليه أصحاب رسول الله–صـلى الله عليه وسـلم–، والاقتداء وترك البدع، وكل بدعة ضـلالة، وترك الخصـــومات، والجلوس مع أصـــحاب الأهواء، وترك المراء والجدل والخصـــومات في الدين"[(٤)]

قال ابن قتيبة–رحمه الله–«**ت**: **٢٧٦ هـ**»: "وكان أصـحاب رسـول الله–صـلى الله عليه

(١) البدع لابن وضاح، «ص: ٣٠، ٣١»، الحلية لأبي نعيم «٥/ ٣٩»، الاعتصام للشاطبي «١/ ٤٩».

(٢) سير أعلام النبلاء «٨/ ٤٤٠»، وتاريخ الإسلام «١٢/ ٢٣٥».

(٣) الحلية «٢/ ١٥٧» من طريق كتاب الزهد لأحمد.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السُنَّة والجماعة للالكائي «١/ ١٥٦»، طبقات الحنابلة «١/ ٣١١».

وسلم-هم مصابيح الأرض وقادة الأنام ومنتهى العلم"[١]

وقال الإمام ابن أبي زيد القيرواني-رحمه الله-«**ت: ٣٨٦ هـ**»، في رســـالته: "واللجأ إلى كتاب الله عزوجل وسنة نبيه، واتباع سبيل المؤمنين، وخير القرون من خير أمة أخرجت للناس نجاة، ففي المفزع إلى ذلك العصمة، وفي اتباع السلف الصالح النجاة"[٢]

قال الإمام أبو القاســـم اللالكائي «**ت: ٤١٨ هـ**»: "أما بعد: فإن أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين، والتوصـــل إلى طرقها والاســـتدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول، وأوضـــح حجة ومعقول، كتاب الله الحق المبين، ثم قول رســـول الله-صـــلى الله عليه وســـلم-وصـحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون، ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون"[٣]

قال ابن قدامة-رحمه الله-«**ت: ٦٢٠ هـ**»: "ومتى اختلف الصـــحابة على قولين، لم يجز إحداث قول ثالث لأنه يفضي إلى تخطئتهم، وخروج الحق عن قول جميعهم ولا يجوز ذلك"[٤]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "الصـــحابة رضـــي الله عنهم منشـــأ كل علم وصلاح وهدى ورحمة في الإسلام"[٥]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "والواجب على كل مســـلم يشـــهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رســـول الله أن يكون أصـــل قصـــده توحيد الله بعبادته وحده لا شـــريك له، وطاعة رســـوله، يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضـــل الخلق بعد الأنبياء هم

---

(١) تأويل مشكل القرآن «ص: ١٤٨».

(٢) رسالة ابن أبي زيد القيرواني «ص: ١٦٩».

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «١/ ٧».

(٤) المغني «٨/ ١٠٧».

(٥) منهاج السنة «٦/ ٣٦٨».

الصحابة، فلا ينتصر لشخصٍ انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا لرسول الله–صلى الله وعليه وسلم–، ولا لطائفة انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا؛ فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم من العلماء فإنهم قد يجمعون على خطأ، بل كل قولٍ قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون إلا خطأ؛ فإن الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مُسَلَّمًا إلى عالِمٍ واحدٍ وأصحابه، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيرًا لرسول الله–صلى الله وعليه وسلم–وهو شبيه بقول الرافضة في الإمام المعصوم.

ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول، قبل وجود المتبوعين الذين تُنسب إليهم المذاهب في الأصول والفروع، ويمتنع أن يكون هؤلاء جاءوا بحق يخالف ما جاء به الرسول، فإن كل ما خالف الرسول فهو باطل، ويمتنع أن يكون أحدهم علم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فإن أولئك لم يجتمعوا على ضلالة، فلابد أن يكون قوله إن كان حقًّا مأخوذًا عمَّا جاء به الرسول، موجودًا فيمن قبله، وكل قول قِيلَ في دين الإسلام، مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون، لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه، فإنه قول باطل"[١]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليل جدا، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة؛ فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم. وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر"[٢]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بيّنا، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين،

---

(١) منهاج السنة «٥/ ٢٦١-٢٦٣».

(٢) مجموع الفتاوى، «١٣/ ٣٣٢».

ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق"[١]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "وقد كان العلماء من الصـــحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَـــيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُـــولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَـــنُ تَأْوِيلاً﴾ [النســـاء: الآية: ٥٩].

وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين"[٢]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "العالمون بالله وكتابه ودينه، عرفوا ســـبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس، وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة، فإنهم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك والسبل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها مفصلة، ثم جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فأخرجهم من الظلمة الشديدة إلى النور التام، ومن الظلم إلى العدل، فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به، ومقدار ما كانوا فيه، فإن الضد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها، فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه، ونفرة وبغضاً لما انتقلوا عنه ... "[٣]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "كل الخير في اجتهاد باقتصـــاد، وإخلاص مقرون بالاتباع قال بعض الصحابة اقتصاد في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة"[٤]

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم «١/ ٥٢٧».

(٢) مجموع الفتاوى «٢٤/ ٩٥».

(٣) الفوائد «ص: ١٠٨. ١٠٩».

(٤) مدارج السالكين «٢/ ١٠٧».

قال ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: "فلو طهرت منا القلوب، وصفت الأذهان، وزكت النفوس، وخلصت الأعمال، وتجردت الهمم للتلقي عن الله ورسوله لشاهدنا من معاني كلام الله وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم، وتتلاشى عنده معارف الخلق.

وبهذا تعرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم، وأن التفاوت الذي بين علومهم وعلوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم وبينهم في الفضل"[١]

قال ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: "فلا أحسن مما قضى به الصحابة–رضي الله عنهم–"[٢]

قال ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: عن الصحابة: "فإنهم أفقه الأمة وأعلمهم بمقاصد الشرع وحكمه"[٣]

قال ابن القيم–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**»: "أفهام الصحابة رضي الله عنهم فوق أفهام الجميع، وعلمهم بمقاصد نبيهم وقواعد دينه وشرعه أتم من علم كل من جاء بعدهم" إلى أن قال: "ولم يرتضوا لأنفسهم عبارات المتأخرين واصطلاحاتهم وتكلفاتهم فهم كانوا أعمق الأمة علما وأقلهم تكلفا والمتأخرون عكسهم في الأمرين"[٤]

وسنة الصحابة وهي ما جاء عنهم من قول أو فعل أو تقرير إذا كان مما لا يقال من قبل الرأى، ومما لا مجال للاجتهاد فيه، فله حكم المرفوع المسند تحسينا للظن بهم، وجزم بذلك الرازى في المحصول، وغير واحد من أئمة الأصول والحديث. [٥]

وإذا كانت سنتهم في غير ذلك، فقد اختلف العلماء في ذلك. والراجح من هذا

---

(١) التفسير القيم «ص: ٣٤٣».

(٢) الطرق الحكمية «١/ ٣٢٦».

(٣) الطرق الحكمية «٢/ ٥٣١».

(٤) الطرق الحكمية «١/ ٣٢٤».

(٥) انظر: المحصول «٢/ ٢٢١»، والإحكام للآمدى «٢/ ٨٧»، وأعلام الموقعين «٤/ ١٢٣»، وفتح المغيث للسخاوى «١/ ١٤٤»، وتدريب الراوى «١/ ١٩٠، ١٩١»، وتوضيح الأفكار «١/ ٢٨٠».

الخلاف [(١)] أن سنتهم كسنة الرسول يعمل بها، ويرجع إليها، وانتصر لهذا الرأى غير واحد من أئمة الأصول، منهم الشاطبي-رحمه الله-«**ت: ٧٩٠ هـ**» فبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة على عدالتهم قال: "فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أى عدول بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر، وعملهم مقتدى به.

... ثم استدل الشاطبي لما رجح بأدلة منها:

١- ما جاء فى الحديث من الأمر باتباعهم، وأن سنتهم فى طلب الاتباع كسنة النبى صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم: «**فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**». «**٢**»

٢- أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل، فقد جعل طائفة قول أبى بكر وعمر حجة ودليلا، وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلا، وبعضهم يعد قول الصحابى على الإطلاق حجة ودليلا، ولكل قول من هذه الأقوال متعلق من السنة وهذه الآراء-وإن ترجح عند العلماء خلافها-ففيها تقوية تضاف إلى أمر كلى هو المعتمد فى المسألة، وذلك أن السلف والخلف من التابعين ومن بعدهم، يهابون مخالفة الصحابة، ويتكثرون بموافقتهم، وأكثر ما تجد هذا المعنى فى علوم الخلاف الدائرة بين الأئمة المعتبرين، فتجدهم إذا عينوا مذاهبهم قووها بذكر من ذهب إليها من الصحابة، وما ذاك إلا لما اعتقدوا فى أنفسهم وفى مخالفيهم من تعظيمهم، وقوة مآخذهم دون غيرهم، وكبر شأنهم فى الشريعة، وأنهم مما يجب متابعتهم وتقليدهم فضلا عن النظر معهم فيما نظروا فيه.

... ويؤيد هذا ما جاء عن السلف الصالح، من تزكيتهم والحث على متابعتهم.

فعن ابن مسعود-رضي الله عنه-«**ت: ٣٢ هـ**»، قال: "من كان مستنا فليستن بأصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا،

---

(١) انظر: الأدلة المختلف فيها وأثرها فى الفقه الإسلامى للدكتور عبد الحميد أبو المكارم «ص: ٣٠٣»، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادى، «١/ ٤٣٧».

وأقومها هديا، وأحســـــنها حالا، قوما اختارهم الله لصـــــحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم فى آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"[١]

قال الشـــــاطبي-رحمه الله-«**ت: ٧٩٠ هـ**»: "ولقد زلّ بســـــبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين واتبعوا أهواءهم بغير علم، فضلّوا عن سواء السبيل"[٢]

وقال عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-«**ت: ١٠١ هـ**»: "ســن رســول الله صــلى الله عليه وســلم، وولاة الأمر بعده ســننا، الأخذ بها تصــديق لكتاب الله، واســتكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتد، ومن اســتنصــر بها منصــور، ومن خالفها اتبع غير ســبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم، وساءت مصيرا.

... وفى رواية بعد قوله -وقوة على دين الله - ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر فى رأى خالفها، من اهتدى بها مهتد ... الحديث"[٣]

فقال مالك فأعجبني عزم عمر على ذلك"[٤]

والآثار في هذا المعنى يكثر إيرادها، وقد استوعب كثيرا منها الإمام ابن قيم الجوزية فى كتابه

---

(١) أخرجه البغوى في شرح السنة كتاب الإيمان، باب رد البدع والأهواء «١/٢١٤»، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم «٢/ ٩٧»، وذكره ابن قيم الجوزية في أعلام الموقعين «٤/ ١٣٩».

(٢) الاعتصام «٢/ ٩٦».

(٣) ابن عبد الحكم سيرة عمر «ص: ٤٠»، وابن بطة في الإبانة «١/٣٥٢»، ورقم: «٢٣٠-٢٣١»، والآجري في الشريعة «١/ ١٧٤»، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله «٢/ ١١٧٦». كلهم عن مالك بن أنس وأعل بالانقطاع ورواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه «ص: ١٧٣»، واللالكائي «١/ ١٠٦»، من طريق يعقوب بن سفيان الفسوي عن سعيد بن أبي مريم عن رشدين بن سعد قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب، عن عمر بن عبد العزيز به، ورشدين ضعيف. انظر التقريب «٢٠٩»، وقد صحح هذا الأثر محقق كتاب الشريعة للآجري فقال: والأثر يصح بهذين الطريقين ويقوى بهما. انظر الشريعة «١/ ١٧٤». وقد أخرجه أيضا قوام السنة في الحجة في بيان المحجة «١/ ١٠٩-١١٠» وابن كثير في البداية والنهاية «٥/ ٢٤٢» وعزاه محقق كتاب المعرفة والتاريخ إلى الجزء المفقود منه.

(٤) الموافقات «٤/٤٥٢-٤٥٥»، وانظر: الاعتصام «٢/ ٥١٩».

"أعلام الموقعين عن رب العالمين"[١]

ويقول الإمام الشـاطبي-رحمه الله-«**ت: ٧٩٠ هـ**»، في موضـع آخر من كتابه مبينا أن بيان الصحابي حجة، قال: "وأما بيان الصحابة، فإن أجمعوا على ما بينوه، فلا إشكال فى صحته أيضا، كما أجمعوا على الغسل من التقاء الختانين المبين لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: الآية: ٦]، وهذا الإجماع حجة موجبة للعلم، ولا يعتد بخلاف من خالفهم، كما حكاه السرخسي-رحمه الله-«**ت: ٤٨٣ هـ**» [٢]، عن أبي حازم القاضي-رحمه الله-«**ت: ١٤٠ هـ**».

وإن لم يجمعوا عليه فهل يكون بيانهم حجة أم لا؟ هذا فيه نظر وتفصيل. ولكنهم يترجح الاعتماد عليهم في البيان، من وجهين:

أحدهما: معرفتهم باللسان العربى، فإنهم عرب فصحاء، لم تتغير ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف فى فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة.

ثانيهما: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة، فهم أقعد فى فهم القرائن الحالية، وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فمتى جاء عنهم تقييد بعض المطلقات، أو تخصيص بعض العمومات، فالعمل عليه صواب، وهذا إن لم ينقل عن أحد منهم خلاف فى المسألة، فإن خالف بعضهم فالمسالة اجتهادية"[٣]

المسألة الخامسة: وجوب محبتهم.

---

(١) أعلام الموقعين «٤/١١٨-١٥٦»، وانظر: الرسالة للشافعى «ص: ٥٩٦»، فقرات رقم: «١٦٨٢، ١٨٠٥ – ١٨١١».

(٢) أصول السرخسى «١/ ٣١٧»، وانظر: علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامى للشيخ أحمد إبراهيم «ص: ٢٤، ٢٥».

(٣) الموافقات «٣/ ٣٠٠، ٣٠١».

ذكر المصنف- رحمه الله- هنا أنَّ من أصول أهل السُّنَّة والجماعة: سلامةَ قلوبهم تجاه أصحاب النبي ﷺ، وذلك لأنهم حَمَلة ميراث النبوة، فهم علماء هذه الأمة وخيرها وأبرُّها، كما قال عنهم ابن مسعود رضي الله عنه: «**مَن كان منكم مستنًّا، فليستنَّ بمَن قد مات؛ فإنَّ الحيَّ لا يُؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد، أبرُّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلُّها تكلفًا؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيِّه، وإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم حقَّهم، وتمسَّكوا بهديهم؛ فإنَّهم كانوا على الهُدى المستقيم**»[١].

وقد عَلَّق شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على هذا الأثر؛ فقال: «**وقول عبد الله بن مسعود**: «**كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا**»: كلامٌ جامع، بيَّن فيه حُسن قَصدهم، ونيَّاتهم ببر القلوب، وبيَّن فيه كمال المعرفة، ودقتها بعمق العلم، وبيَّن فيه تيسير ذلك عليهم، وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف... وهم أفضل الأمة الوسط الشهداء على الناس، الذين هداهم الله لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم؛ فليسوا مِن المغضوب عليهم الذين يتبعون أهواءهم، ولا من الضالين الجاهلين... بل لهم كمال العلم، وكمال القصد؛ إذ لو لم يكن كذلك للزم أن لا تكون هذه الأمةُ خيرَ الأمم، وأن لا يكونوا خيرَ الأمة، وكلاهما خلاف الكتاب والسُّنَّة.

وأيضًا فالاعتبار العقليُّ يدلُّ على ذلك؛ فإنَّ مَن تأمَّل أمة محمد ﷺ، وتأمل أحوال اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين- تبيَّن له مِن فضيلة هذه الأمة على سائر الأمم في العلم النافع والعمل الصالح ما يضيق هذا الموضع عن بسطه.

والصحابة أكمل الأمة في ذلك بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار، ولهذا لا تجد أحدًا من أعيان الأمة إلا وهو معترف بفضل الصحابة عليه وعلى أمثاله، وتجد مَن ينازع في ذلك كالرافضة من أجهل الناس. ولهذا لا يُوجد في أئمة الفقه الذين يُرجع إليهم رافضي، ولا

---

(١) أخرجه ابن عبد البرَّ في «جامع بيان العلم وفضله» «٢/ ٩٤٧»، والبغوي في «شرح السنة» «١/ ٢١٤»، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

في أئمة الحديث، ولا في أئمة الزهد والعبادة، ولا في الجيوش المؤيدة المنصورة جيش رافضي، ولا في الملوك الذين نصروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوَّه مَن هو رافضي، ولا في الوزراء الذين لهم سِيرة محمودة مَن هو رافضي...»[(١)].

فالصحابة هم خير القرون، وصفوة هذه الأمة وأفضل هذه الأمة بعد نبيها–صلى الله عليه وسلم–، ويجب علينا أن نتولاهم ونحبهم ونترضى عنهم وننزلهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة على كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقربى إلى الرحمن.

قال أنس بن مالك–رضي الله عنه–«**ت: ٩٣ هـ**»: "ما فرحنا بشيء فرحنا بقوله–صلى الله عليه وسلم–: «**المرء مع من أحب**». قال: فأنا أحب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، وأبا بكر، وعمر، فأرجو أن أكون معهم"[(٢)]

عن أيوب السختياني–رحمه الله–«**ت: ١٣١ هـ**»، أنه قال: "من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فقد برئ من النفاق"[(٣)]

عن شقيق البلخي–رحمه الله–«**ت: ١٩٤ هـ**»، قال: "حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة"[(٤)]

وعن عبد العزيز بن جعفر اللؤلؤي قال: قلت للحسن–رحمه الله–«**ت: ١١٠ هـ**»: "حب أبي بكر وعمر سنة". قال: "لا فريضة"[(٥)]

[(١)] «منهاج السنة النبوية» «٢/ ٧٩– ٨١».

[(٢)] أخرجه: البخاري «٣٦٨٨»، ومسلم «٢٦٣٩».

[(٣)] البداية والنهاية لابن كثير «٨/ ١٣».

[(٤)] المناقب لابن الجوزي «ص: ٤٩»، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٤/ ١٢٣٨».

[(٥)]: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي «٤/ ١٢٣٩»، وابن الجوزي: مناقب «ص: ٣٩».

وعن طاووس-رحمه الله-«**ت: ١٠٦ هـ**»، قال: "حب أبي بكر ومعرفة فضـــلهما من السنة"(١)

عن أبي زرعة الرازي-رحمه الله-«**ت: ٢٨٩ هـ**»، قال: سمعت قبيصـــة بن عقبة «**ت: ٢١٥ هـ**» يقول: "حب أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-كلهم سنة"(٢)

وعن مالك بن أنس-رحمه الله-«**ت: ١٧٩ هـ**»: قال: "كان الســـلف يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر-رضي الله عنهما- كما يعلمون السورة من القرآن"(٣)

قال الإمام الطحاوي-رحمه الله-«**ت: ٣٢١ هـ**»: "وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ-، وَلا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُـهُمْ وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلا نَذْكُرُهُمْ إلا بِخَيْرٍ. وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ"(٤)

وقال أبو عبد الله ابن بطة-رحمه الله-«**ت: ٣٨٧ هـ**»: "ونحب جميع أصـحاب رسـول الله-صـــلى الله عليه وســـلم-على مراتبهم ومنازلهم أولًا فأولًا: من أهل بدر والحديبية وبيعة الرضوان وأحد فهؤلاء أهل الفضائل الشريفة والمنازل المنيفة الذين سبقت لهم السوابق رحمهم الله أجمعين"(٥)

قال ابن حزم-رحمه الله-«**ت: ٤٥٦ هـ**»: "وكلهم عدل إمام فاضــل رضـــي فرض علينا توقيرهم وتعظيمهم وأن نستغفر لهم ونحبهم وتمرة يتصدق بها أحدهم أفضل من صدقة أحدنا بما يملك وجلسـة من الواحد منهم مع النبي-صـلى الله عليه وسـلم-أفضـل من عبادة أحدنا

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي «٤/ ١٢٣٩»، والمناقب لابن الجوزي: «ص: ٣٩».

(٢) أصول الاعتقاد «٧/ ١٣١٣، ٢٣٢٧»

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: «٤/ ١٢٤٠»، والمناقب لابن الجوزي: «ص: ٣٩».

(٤) شرح الطحاوية «ص: ٤٦٧».

(٥) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة «ص: ٢٧١».

دهره كله وسواء كان من ذكرنا على عهده عليه السلام صغيرا أو بالغًا"(١)

قال البيهقي-رحمه الله-«**ت: ٤٥٨ هـ**»: "ويدخل في جملة حب النبي-صـــلى الله عليه وسـلم-حب أصـحابه؟ لأن الله-عز وجل-أثنى عليهم ومدحهم فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: الآية: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: الآية: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: الآية: ٧٤].

فإذا أنزلوا هذه المنزلة اسـتحقوا من جماعة المسـلمين أن يحبوهم ويتقربوا إلى الله عز وجل بمحبتهم لأن الله تعالى إذا رضـي عن أحد أحبه وواجب على العبد أن يحب من يحب مولاه"(٢)

قال ابن القيم-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**»: "واجب على كل مسلم جاء بعد الصحابة-رضـي الله عنهم-من عباد الله المؤمنين أن يدعو لهم، ويسـتغفر لهم، ويترحم عليهم لما لهم من القدر العظيم، ولما حازوه من المناقب الحميدة، والسـوابق القديمة، والمحاسـن المشـهورة، ولما لهم

(١) الإحكام في أصول الأحكام «٥/ ٨٩».

(٢) شعب الإيمان للبيهقي «١/ ٢٨٧».

من الفضل الكبير على كل من أتى بعدهم"[١]

قال السفاريني-رحمه الله-«**ت: ١١٨٨ هـ**»: "فمن أراد السلامة لدينه وأن يسلم له إيمانه فليحبهم جميعًا، وأن يحتم ذلك على نفسه، وعلى كل أبناء جنسه لأن ذلك واجب على جميع الأمة واتفق على ذلك الأئمة، فلا يزوغ عن حبهم إلا هالك، ولا يزوغ عن وجوب ذلك إلا آفك"[٢]

وأمَّا أهل الباطل فديدنهم بُغض أصحاب النبي ﷺ وبُغض حملة شريعته؛ لأنهم مخالفون لهم، وهم مُبغضون ناقمون على مخالفيهم حتى ولو كانوا في ذات فِرقتهم؛ فقد يحكمون بكفرهم وتبديعهم وتفسيقهم؛ إذا خالفوا نهجهم ولو يسيرًا.

أمَّا أهل السنة فقلوبهم تلهج- دائمًا- بالثناء والترضي على أصحاب النبي ﷺ، «**ويَقْبَلُونَ ما جاء به الكتابُ والسُّنَّةُ والإجماعُ من فضائلِهم ومَرَاتِبِهم**».

ومن ذلك ما جاء في قول الله عز وجل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله جل وعلا: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، فقد أخبر الله- تعالى- في هذه الآية أنه رضي عن هؤلاء رضًا مطلقًا، ورَضي عمن بعدهم رضًا مقيدًا، وهو شرط اتباعهم بإحسان؛ قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «**فقد أخبر الله العظيم أنَّه قد رضي عن السَّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان،**

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم «ص: ٥٣٧».

(٢) لوامع الأنوار البهية، للسفاريني «٢/ ٣٥٤».

فيا ويل مَن أبغضهم أو سَبَّهم أو أبغض- أو سَبَّ- بَعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخَيرهم وأفضلهم- أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم- أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يُعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويسبونهم؛ عياذًا بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون مَن رضي الله عنهم؟!

وأمَّا أهل السنة فإنهم يَترضون عمَّن رضي الله عنه، ويَسبون مَن سَبَّه اللهُ ورسولُه، ويُوالون مَن يُوالي الله، ويُعادون مَن يعادي الله، وهم مُتَّبعون لا مُبتدعون، ويَقتدون ولا يَبتدئون، ولهذا هم حزبُ الله المُفلحون وعباده المؤمنون»[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

والمراد بـ﴿المؤمنين﴾ في الآية: أصحاب النبي ﷺ؛ فتوعد الله مَن اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد مُتبعهم بإحسان بالرِّضوان في قوله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

وقد شهد لهم النبي ﷺ بأنهم في أعلى درجات الإيمان والفضل والمنزلة، فقال: «**لا تسبُّوا أصحابي، لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيدِه لو أنَّ أحدَكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا، ما أدرك مُدَّ أحدهم، ولا نصيفَه**»[2].

---

(١) «تفسير ابن كثير» «٤/ ٢٠٣».

(٢) أخرجه البخاري «٣٦٧٣» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومسلم «٤٦٥٨» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٧١- المفاضلة بين الصحابة

٧١- قال المصنف رحمه الله: «**وَيُفَضِّلُونَ مَن أَنْفَقَ مِن قبلِ الفَتْحِ** «**وهُوَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ**» وقاتلَ عَلَى مَن أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَل، ويُفَضِّلُونَ المهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ. ويُؤْمِنُونَ بأَنَّ اللهَ- سبحانه- قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عَشرَ: «**اعْمَلُوا ما شِئْتُم؛ فقد غَفَرْتُ لَكُم**». وبأنه «**لا يَدخلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»؛ كما أخبر به النَّبي ﷺ، بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثرَ مِن أَلْفٍ وأَرْبَعِمائَةٍ».

الشرح

المسألة الأولى: المفاضلة بين العباد أمر بيد الله

المسألة الثانية: المفاضلة بين الصحابة

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: المفاضلة بين العباد أمرٌ بيد الله-عز وجل-.

المفاضـــلة بين العباد أمرٌ بيد الله-عز وجل-وما كان بيد الله-عز وجل-فهو ملكه، والله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: الآية: ٦٨]، فالله اختار أن يفضل فلان على فلان من الناس وهذه المفاضلة قد تكون في المال، وقد تكون في العلم، وقد تكون في النسب، وقد تكون في أمورٍ متعددة فهذا فضل الله سبحانه وتعالى، وفضل الله يؤتيه من يشاء سبحانه وتعالى.

والله سـبحانه وتعالى قال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: الآية: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: الآية: ٧١].

وكتب عمر-رضي الله عنه-رسالة إلى أبي موسى الأشعري، يقول له فيها: واقنع برزقك من الدنيا، فإن الرحمن فضَّل بعض عباده على بعض في الرزق، بلاء يبتلي به كلًا، فيبتلي من بسط له، كيف شكره لله وأداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله، رواه ابن أبي حاتم(١)

فقد يُفاضل الله-سبحانه وتعالى-بين الذكر والأنثى، قد يفاضل الله-سبحانه وتعالى-بين الإخوة، وقد يفاضل الله-سبحانه وتعالى-بين بني الجنس الواحد، كل ذلك تحت قدرته، وتحت إرادته-سبحانه وتعالى-حتى في الأولاد، ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: الآيتان: ٤٩-٥٠]، فقد يكون الإنسان عقيمًا، وقد يكون ذا أولاد من الذكور أو الإناث أو من الذكور والإناث.

فالإنسان في هذا الكون يسير على قدر الله-سبحانه وتعالى-، والله-سبحانه وتعالى-هو المتصرف والمدبر لأمر هذا الكون كله، وكله ابتلاء، فالنعمة ابتلاء وضدها ابتلاء، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: الآية: ٢]، كل أمرٍ نحن فيه هو ابتلاء.

ليرى الله عز وجل منك ما أنت صانع وما أنت فاعل، فإذاً هذه المفاضلة موجودة، ولا شك أن أهل الإيمان أفضل من الكفار، وأكبر نعمة منها الله عز وجل على الإنسان أن هداه لهذا الدين، والله سبحانه وتعالى سماه نعمة، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية: ٣]، فسماها نعمة ولا شك أنها أعظم

(١) الدر المنثور: «٥/ ١٠٦» وعزاه لابن أبي حاتم.

النعم على العبد أن هداه الله-عز وجل-لنعمة الإسلام.

المسألة الثانية: المفاضلة بين الصحابة.

والصحابة في الفضل متفاوتون؛ فمن أنفق قبل الفتح «**صُلح الحديبية**» لا يستوي مع مَن أنفق بعده، وكذلك المهاجرون مُقَدَّمون على الأنصار، ويأتون في الفضل على مراتب؛ فأهل بدر، ثم أهل بيعة الرِّضوان، ثم من جاء بعدُ.

وقد جاء في فضل أهل بدر؛ قوله-صلى الله عليه وسلم-: «**لعلَّ اللهَ اطَّلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شِئتم، فقد وَجَبت لكم الجنة-أو-فقد غفرتُ لكم**».(١) فهؤلاء أهل بدر وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، وقال الله-جل وعلا-عن أهل بيعة الرضوان: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: الآية: ١٨]، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

(١) أخرجه البخاري «٣٩٨٣» ومسلم «٢٤٩٤» من حديث علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-.

٧٢- نشهد بالجنة لمن شهد له النبي ﷺ

[٧٢] - قال المصنف رحمه الله: «**وَيَشْهَدُونَ بالجنَّةِ لمن شَهِدَ له رسولُ الله ﷺ، كالعشرَةِ، وثابتِ بنِ قَيْسِ بْنِ شمَّاسٍ، وغيرهم من الصَّحابة**».

الشرح

من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يقولون: "نشهد بالجنة لمن شهد له النبي ﷺ منهم؛ فقد شهد ﷺ للعشرة؛ فقال: «**أبو بكر في الجنة، وعمرُ في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»[(١)].

وشهد ﷺ لثابت بن قيس بالجنة؛ فعن أنس بن مالك ڤ أنه قال: «**لما نزلت هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [الحجرات: ٢] إلى آخر الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته، وقال: أنا مِن أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ، فقال**: «**يا أبا عمرو، ما شأنُ ثابت؟ اشتكى؟**». قال سعد: إنه لجاري، وما علمتُ له بشكوى، قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أُنْزِلَت هذه الآية، ولقد علمتم أني مِن أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ، فأنا مِن أهل النار، فذكر ذلك سعدٌ للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو مِن أهلِ الجَنَّة**»[(٢)].

وشهد ﷺ لعُكَّاشة بن محصن رضي الله عنه أنه من السَّبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حسابٍ[(٣)].

وشهد ﷺ لبلالٍ بالجنة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» «١٦٧٥» والترمذي «٣٧٤٧»، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» «٢٩٤٦».

(٢) أخرجه مسلم «١١٩».

(٣) أخرجه البخاري «٥٧٥٢» ومسلم «٢٢٠» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الفجر: «**يا بلال، حَدِّثني بأرجى عمل عملتَه في الإسلام؛ فإني سمعتُ دَفَّ نَعليك**[١] **بين يدي في الجنَّة!**». قال: ما عملت عملًا أرجى عندي: أني لم أتطهر طهورًا-في ساعة ليل أو نهار-إلَّا صَلَّيت بذلك الطهور ما كُتِب لي أن أُصَلِّي»[٢].

وبشَّر ﷺ خديجة بنت خويلد ببيت في الجنة مِن قَصب؛ لا صخب، فيه ولا نصب[٣].

وقال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «**أَنتِ زوجتي في الدنيا والآخرة**»[٤].

وشهد ﷺ لغيرهم من الصحابة.

فكلُّ مَن ثبت أنَّ النبي ﷺ قد شهد لهم بالجنة-فإننا نشهد لهم كذلك.

قال ابن كثير: "وفي هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم كالعشرة، وابن سلام، والعميصاء، وبلال، وسراقة، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة، وزيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، وما أشبه هؤلاء رضي الله عنهم"[٥]. ومثله قال العيني في العمدة.

وقد بوب عليه البيهقي: "باب لا يشهد لأحد بجنة ولا نار إلاّ لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بها"[٦].

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: "لا أحد يشهد لأحد بالجنة أو النار إلا من ثبت له ذلك. وأهل السنة والجماعة لا يشهدون لِمُعَيَّنٍ بالجنة إلا لمن شهد له رسول الله صلى

---

(١) أي: حركة نعليه وصوتهما في الأرض.

(٢) أخرجه البخاري «١١٤٩».

(٣) أخرجه البخاري «٣٨١٩» ومسلم «٢٤٣٣» من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه. أخرجه البخاري «٣٨١٩» ومسلم «٢٤٣٣» من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» «٧٠٩٥»، من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» «٧٠٥٣».

(٥) تفسير ابن كثير:« ٤/ ١٥٦».

(٦) «الكبرى ٤/ ٧٦».

الله عليه وسلم بأنه من أهل الجنة، كالعشرة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، الذين ثبتت الأحاديث في تعيينهم أنهم من أهل الجنة".[١] .

جاء في تكملة المجموع شرح المهذب: "من ثبت عليه منهم أن يكفر من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة من العشرة وغيرهم فهو كافر"[٢]

نص الرسول–صلى الله عليه وسلم–نصاً صريحاً على أن عشرة من أصحابه من أهل الجنة، ففي «**مسند أحمد**»، و«**سنن الترمذي**» عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي –صلى الله عليه وسلم–قال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**».[٣] وإسناده صحيح

وروى الحديث الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والضياء في المختارة عن سعيد بن زيد بلفظ فيه شيء من الاختلاف عن سابقه، ولفظه: «**عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة**».[٤] وإسناده صحيح .

فأَهْلَ السُّنَّةِ يَشْهَدُونَ أَنَّ الْعَشَرَةَ فِي الْجَنَّةِ، قال ابن كثير: "لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم كالعشرة، وابن سلام، والعميصاء، وبلال، وسراقة، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة، وزيد بن حارثة، وجعفر،

---

(١) جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية «٢٠٦».

(٢) تكملة المجموع شرح المهذب: «٢/ ٢٦». وانظر: حاشية ابن عابدين «١/ ٢١٨».

(٣) رواه الترمذي «٣٧٤٧»، وأحمد «١/١٩٣» «١٦٧٥». وحسنه ابن حجر في «هداية الرواة» «٥/٤٣٦» –كما ذكر في مقدمته– . وقال أحمد شاكر في «مسند أحمد» «٣/١٣٦»: إسناده صحيح. وقال الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: صحيح.

(٤) رواه أبو داود «٤٦٤٩»، وابن ماجه «١٣٣»، وأحمد «١/١٨٨» «١٦٣١». والحديث سكت عنه أبو داود. وقال أحمد شاكر في «مسند أحمد» «١/١١٠»: إسناده صحيح. وقال الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»: صحيح.

وابن رواحة، وما أشبه هؤلاء رضي الله عنهم"[١].

[١] تفسير ابن كثير:« ٤/ ١٥٦».

٧٣- تقديم أبي بكر رضي الله عنه على سائر الصحابة

[٧٣] – قال المصنف رحمه الله: ويقرُّون بما تَوَاتَرَ به النَّقْلُ عن أميرِ المؤمنينَ عليّ بْنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه وغيرِه، مِن أَنَّ خَيْرَ هذه الأُمَّةِ بعد نَبِيِّهَا: أبو بكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ويثُلِّثُونَ بِعُثْمَان، ويُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رضي الله عنه، كما دلَّت عليه الآثارُ.

الشرح

أهل السنة يعتقدون بأن خير هذه الأمة بعد النبي–صلى الله عليه وسلم–أبو بكر وعمر وعثمان، ثم علي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، ثم بعد ذلك يأتي بقية العشرة، ثم يأتي بعد هذا أهل بدر، ثم يأتي بعد ذلك أهل بيعة شجرة الرضوان، ثم بعد ذلك يأتي أهل الفتح فتح مكة ثم بعد ذلك يتوالى الفضل بحسب أقدمية ذلك الذي أسلم من الصحابة.

وقد أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، وإن كان بعض السلف قد اختلفوا في التفضيل بين عثمان وعلي–فإنهم لم يختلفوا في الترتيب في البيعة للخلافة، وكل مَن خالف الترتيب في الخلافة فإنه من أهل البدع.

وترتيب أهل السنة: "أبو بكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ويثُلِّثُونَ بِعُثْمَان، ويُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ–رضي الله عنهم أجمعين–".

أجمع الصحابة–رضوان الله عليهم–على تفضيل أبي بكر وتقديمه على سائر الصحابة ثم تفضيل عمر بعده على عثمان ثم عثمان بعد عمر على من بعده–رضوان الله عليهم–، وكانوا يتحدثون بذلك في زمن النبي–صلى الله عليه وسلم–وهو يسمعهم فلا ينكره، ثم أجمعوا على تقديم علي بعد عثمان فقدموه وبايعوه بالخلافة.

فالصحابة مجمعون على تفضيل أبي بكر على عمر ثم عمر على عثمان ثم عثمان على علي–رضي الله عنهم أجمعين–، وتفضيل أبي بكر على عمر بلا خلاف.

وقد روى الخلال-رحمه الله-«**ت: ٣١١ هـ**» بسنده عن يحيى بن سعيد القطان-رحمه الله-«**ت: ١٩٨ هـ**» أنه قال: "كان رأي سفيان الثوري: أبو بكر وعمر ثم يقف"[١]

وروى ابن عبد البر-رحمه الله-«**ت: ٤٦٣ هـ**» بسنده أن مالكًا سُئل: من تقدم بعد رسول الله؟ قال أقدم أبا بكر وعمر ولم يزد على هذا. وروى أيضا قول مالك: "ليس من أمر الناس الذين مضوا عليه أن يفاضلوا بين الناس"[٢]

ومضى اعتقاد أهل السنة والجماعة على ذلك إلا ما كان من خلاف يسير في المفاضلة بين عثمان وعلي أيهما أفضل؟ بعد أن أجمعوا على تقديم أبي بكر وعمر عليهما في الفضل بلا خلاف وتفضيل أبي بكر على عمر بلا خلاف.

---

(١) السنة «٣/ ٣٧»، وقال المحقق: "إسناده صحيح".

(٢) الانتقاء «ص: ٣٠، ٣٩».

٧٤- المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما

[٧٤]- قال المصنف رحمه الله: وكما أجمع الصَّحابةُ رضي الله عنهم على تقديم عُثْمَانَ في البيعة، مع أنَّ بعضَ أهلِ السُّنَّة كانوا قد اختلفوا في عثمانَ وعليٍّ رضي الله عنهما بعد اتِّفاقهم على تقديم أبي بكر وعُمر أيهما أفضل، فقدَّم قومٌ عثمانَ، وسكتوا، وربَّعوا بعليٍّ، وقدَّم قومٌ عليًّا، وقومٌ توقَّفوا، لكن استقرَّ أمرُ أهلُ السُّنَّة على تقديم عُثْمَان ثم عليٍّ.

وإنْ كانتْ هذه المسْأَلَةُ «**مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وعليٍّ**» ليستْ من الأصولِ التي يُضَلَّلُ المخالفُ فيها عند جمهورِ أَهْلِ السُّنَّة، لكن التي يُضَلَّلُ فيها مسألةُ الخلافةِ؛ وذلك لأنهم يؤمنون أنَّ الخليفةَ بَعْدَ رسولِ الله ﷺ أبو بكرٍ، ثم عمرُ، ثم عثمانُ، ثم عليٌّ، ومَن طَعَنَ في خلافة أحدٍ مِن هؤلاء فهو أضلُّ مِن حِمَارِ أَهْلِهِ.

الشرح

لقد اتفق-الناس-الصحابة وغيرهم-بعد مقتل عمر-رضي الله عنه-على تفضيل عثمان، حكى هذا الاتفاق صاحب رسول الله-صلى عليه وسلم-، عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود-رضي الله عنهما-، أما عبد الرحمن فقد قال في قصة بيعة عثمان-رضي الله عنه- لما اختاره للخلافة بعد عمر: "أما بعد، يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان"[١] وكان قد قال-رضي الله عنه-قبل ذلك للشيخين عثمان وعلي-رضي الله عنهما- حين التشاور: "أفتجعلونه-« **يعني أمر الاختيار**»-إلي والله على أن لا آلو عن أفضلكم"[٢] وقال عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-لما استخلف عثمان: " أمرنا خير من بقي ولم

---

(١) أخرجه البخاري انظره مع الفتح «١٣/ ١٩٤»، وقد كان عبد الرحمن-رضي الله عنه-قد اجتهد غاية الاجتهاد قال ابن كثير في الباعث الحثيث «ص: ١٥٥»: "حتى سأل النساء في خدورهن والصبيان في المكاتب فلم يرهم يعدلون بعثمان أحدًا".

(٢) أخرجه البخاري انظره مع الفتح «٧/ ٦١».

نأل"[١] وقال-رضـــي الله عنه-: "إنا اجتمعنا أصـــحاب محمد فلم نأل عن خيرنا ذي فوق فبايعنا أمير المؤمنين عثمان".[٢]

وقال يحيى بن سعيد القطان-رحمه الله-«**ت: ١٩٨ هـ**»: "من أدركت من أصحاب النبي والتابعين لم يختلفوا في أبي بكر وعمر وفضلهما إنما كان الاختلاف في علي وعثمان[٣]

قال الشــافعي-رحمه الله-«**ت: ٢٠٤ هـ**»: "ما اختلف أحد من الصــحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة وإنما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان". قال البيهقي-رحمه الله-«**ت: ٤٥٨ هـ**»، -بعد ذكره قول الشافعي هذا بسنده-: "وروينا عن جماعة من التابعين وأتباعهم نحو هذا"[٤]

وقال الإمام أحمد: "لم يكن بين أصــحاب رســول الله اختلاف إن عثمان أفضــل من علي"[٥]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي-رضـي الله عنهما-بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر، أيهما أفضـل، فقدم قوم عثمان وســكتوا وربعوا بعلي، وقدم قوم عليا، وقوم توقفوا، قال: "لكن اســتقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان على علي، وإن كانت هذه المسألة-مسألة عثمان وعلي-ليست من

---

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة «١/ ٤٦١»، قال المحقق: "إسناده صحيح"، وابن سعد في الطبقات «٣/ ٦٣»، والفسوي في المعرفة والتاريخ «٢/ ٧٦٠»، والخلال في السنة «ص: ٣٨»، وقال الهيثمي في المجمع «٩/ ٨٨»: "رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح"، وأخرجه اللالكائي في الشرح «٧/ ١٣٤٢».

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة «١/ ٢٩٦، ٤٦٣»، قال المحقق في «ص: ٢٩٦»: "رجال الإسناد ثقات، وقال في «ص: ٤٦٧»: "إسناده حسن"، وأخرجه ابن سعد في الطبقات «٣/ ٦٣»، والفسوي في المعرفة والتاريخ «٢/ ٧٦١»، وأخرجه اللالكائي في الشرح. «٧/ ١٣٤٢».

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٧/ ١٣٦٧».

(٤) الاعتقاد «ص: ٣٦٩».

(٥) السنة للخلال «ص: ٣٩٢».

الأصـول التي يضـلل المخالف فيها عند جمهور أهل السـنة، لكن التي يضـلل فيها هي مسـألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله-صـلى الله عليه وسـلم-أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله"[١]

قال ابن حجر-رحمه الله-«**ت**: **٨٥٢ هـ**»: "الإجماع انعقد بأخره بين أهل الســـنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة"[٢]

والخلاف الذي وقع في ذلك خلاف يســـير، وما وقع إلا في المفاضـــلة بينهما، وتقديم أحدهما على الآخر في الفضـــل دون الخلافة، فإنهم مجمعون بلا خلاف على تقديم عثمان على علي في الخلافة، وعلى صحة الخلافتين، ثم إن ذاك الخلاف قد انقضى واستقر أمر أهل السنة على تفضيل عثمان على علي ورجع بعض من قال بتقديم علي إلى تقديم عثمان.

وحاصـل ما كان عليه أهل السـنة في المفاضـلة بين عثمان وعلي قبل انعقاد إجماعهم على تفضيل عثمان ثلاثة مذاهب:

الأول: تفضيل عثمان ثم علي-وكان مذهب الجمهور.

الثاني: تفضيل علي ثم عثمان-وكان قد ظهر في أهل الكوفة.

الثالث: التوقف عن المفاضلة بينهما، وكان قد ظهر في أهل المدينة.

فالمذهب الأول: هو الذي كان عليه عامة أهل الســـنة كما قال ابن عبد البر-رحمه الله-«**ت**: **٤٦٣ هـ**» [٣] والخطابي-رحمه الله-«**ت**: **٣٨٨ هـ**» [٤]، وابن حجر-رحمه الله-«**ت**: **٨٥٢ هـ**»[٥] وغيرهم، وفي هؤلاء من توقف في التفضـيل عند عثمان فقال بتفضـيل عثمان

---

[١] العقيدة الواسطية-ضمن المجموعة العلمية السعودية-«ص: ٨٦».

[٢] فتح الباري «٧/ ٣٤».

[٣] الاستيعاب «٣/ ٥٤».

[٤] معالم السنن -بهامش المختصر- «٧/ ١٨».

[٥] فتح الباري «٧/ ١١».

بعد عمر وســكت على ذلك، مع اعتقاده بالتربيع بعلي، وإنما قصــد بالتوقف عند عثمان الاقتداء بحديث ابن عمر المتقدم، وهم لا يقدمون على علي أحدًا بعد الثلاثة، ومن هؤلاء أحمد بن حنبل–رحمه الله–«**ت: ٢٤١ هـ**»، وصرح رحمه الله بأن التوقف عند عثمان إنما هو عمل بحديث ابن عمر فقال: نقول أبو بكر وعمر وعثمان ونســكت، على حديث ابن عمر"[(١)] وقال رحمه الله: "فإن قال قائل من بعد عثمان؟ قلت: علي"[(٢)]

وقال–رحمه الله–لمن ســأله عمن قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، قال: "أذهب إليه، ويعجبني أن أقول أبو بكر وعمر وعثمان وأســكت، وإن قال رجل: وعلي، لم أعنفه، ولا يعجبني هذا القول".

قال ابن عمر–رضي الله عنه–«**ت: ٧٣ هـ**»: "أبو بكر وعمر وعثمان، ونترك أصحاب رسول الله له لا نفضل بينهم"[(٣)]

وقال–رحمه الله–: "من وقف على عثمان ولم يربع بعلي فهو على غير السنة"[(٤)]

وهذا المســلك مروي عن جماعة من أئمة أهل الســنة كيحيى بن معين–رحمه الله–«**ت: ٢٣٣ هـ**»، وبشــر بن الحارث–رحمه الله–«**ت: ٢٢٧ هـ**»، ويزيد بن زريع–رحمه الله–«**ت: ١٨٢ هـ**»، ومحمد بن عبيد–رحمه الله–«**ت: ٢٠٤ هـ**»، وعبد الله بن المبارك–رحمه الله–«**ت: ١٨١ هـ**»، وغيرهم[(٥)]، وسبق بيان أن ما ورد في حديث ابن عمر من السكوت عن علي متأول بأمور منها أن الإجماع المنعقد على تقديم علي بعد عثمان إنما حدث بعد الزمن الذي قيده ابن عمر.

---

(١) السنة للخلال «ص: ٣٩٧».

(٢) السنة للخلال «ص: ٤. ٥».

(٣) السنة للخلال «ص: ٤–٥».

(٤) طبقات الحنابلة «١/ ٣١٣».

(٥) انظر السنة للخلال «٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٠»، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة «٧/ ١٣٨٩، ١٣٩٢، ١٣٦٩».

وأما المذهب الثاني: وهو تفضـــيل علي ثم عثمان بعد أبي بكر وعمر فهو كان مذهب عامة أهل الكوفة.

قال الخطابي-رحمه الله-«**ت: ٣٨٨ هـ**»: "ذهب أكثر أهل الكوفة إلى تقديمه-يعني عليا-على عثمان رضـــي الله عنهما قال: "وحدثني محمد بن هاشـــم حدثنا أبو يحي بن أبي ميسرة عن عبد الصمد قال: قلت لسفيان الثوري-رحمه الله-«**ت: ١٦١ هـ**»: "ما قولك في التفضـــيل؟ فقال: أهل الســـنة من أهل الكوفة يقولون: أبو بكر وعمر وعلي وعثمان، وأهل الســـنة من أهل البصـــرة يقولون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضـــي الله عنهم، قلت: فما تقول أنت؟ قال: أنا رجل كوفي.

قال الخطابي-رحمه الله-«**ت: ٣٨٨ هـ**»: "قلت: وقد ثبت عن ســـفيان أنه قال في آخر قوليه: "أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم"[(١)]، وكما رجع سفيان الثوري رجع غيره من أهل الكوفة. كما قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "إن سفيان الثوري وطائفة من الكوفة رجحوا علياً ثم عثمان، ثم رجع عن ذلك سفيان وغيره"[(٢)]

وقال ابن حجر-رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**»: "ذهب بعض الســـلف إلى تقديم علي على عثمان، وممن قال به ســـفيان الثوري-رحمه الله-«**ت: ١٦١ هـ**»، ويقال إنه رجع عنه، وقال به ابن خزيمة-رحمه الله-«**ت: ٣١١ هـ**»، وطائفة قبله وبعده[(٣)]

وأما المذهب الثالث: وهو التوقف عن المفاضـــلة بينهم، فهو رواية عن مالك، ففي المدونة قال ابن القاســـم-رحمه الله-«**ت: ١٩١ هـ**»: "وســـألت مالكًا عن خير الناس بعد نبيهم-صـــلوات الله وســـلامه عليه-، فقال: أبو بكر ثم قال: أو في ذلك شـــك؟ قال ابن القاســـم: فقلت لمالك: فعلي وعثمان أيهما أفضل فقال: ما أدركت أحدا ممن أقتدي به يفضل أحدهما

---

(١) معالم السنن-بهامش المختصر-«٧/ ١٨».

(٢) الفتاوى ٤/ ٤٢٦؛ وانظر منهاج السنة «٢/ ٧٣، ٧٤».

(٣) فتح الباري «٧/ ١٦» وانظر الباعث الحثيث «ص: ١٥٦».

على صاحبه-يعني عليا وعثمان-ويرى الكف عنهما"[١]

وروى ابن عبد البر-رحمه الله-«**ت: ٤٦٣ هـ**» بسنده أن مالكًا سئل: من تقدم بعد رسول الله؟ قال أقدم أبا بكر وعمر ولم يزد على هذا. وروى أيضا قول مالك: "ليس من أمر الناس الذين مضوا عليه أن يفاضلوا بين الناس"[٢]

وروى اللالكائي-رحمه الله-«**ت: ٤١٨ هـ**» بسنده أن مالكًا سئل عن علي وعثمان فقال: "ما أدركت أحدًا ممن يقتدى به إلا وهو يرى الكف عنهما، يريد التفضيل بينهما، فقيل له: فأبو بكر وعمر فقال: ليس في أبي بكر وعمر شك، يريد أنهما أفضل من غيرهما"[٣]

وقد ذكر ابن تيمية أن مالكًا رجع عن التوقف إلى تفضيل عثمان ثم علي فقال: "أما عثمان وعلي فكان طائفة من أهل المدينة يتوقفون فيهما وهي إحدى الروايتين عن مالك"[٤]

وقال في موضع آخر: "وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلي، وهي إحدى الروايتين عن مالك، لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على علي كما هو مذهب سائر الأئمة"[٥]

وقد اعتمد ابن رشد-رحمه الله-«**ت: ٥٩٥ هـ**» في كلام له تقديم عثمان ثم علي في مذهب مالك وقال: "وقيل: إنه الذي رجع إليه مالك بعد أن وقف في عثمان وعلي، فلم يفضل أحدهما على صاحبه على ظاهر ما وقع في كتاب الديات من المدونة" قال ابن رشد-رحمه الله-«**ت: ٥٩٥ هـ**»: "على أنه كلام محتمل للتأويل"[٦]

وذكر السيوطي-رحمه الله-«**ت: ٩١١ هـ**» أنه قد حكى القاضي عياض-رحمه الله-

---

(١) المدونة «٦/ ٤٥١».

(٢) الانتقاء «٣٠، ٣٩».

(٣) شرح أصول الاعتقاد «٧/ ٣٦٨».

(٤) منهاج السنة «٢/ ٧٣».

(٥) الفتاوى «٤/ ٤٢٦».

(٦) الجامع من المقدمات «١٧٤» وانظر حاشية المحقق رقم: «٣».

«ت: **٥٤٤ هـ**»، عن الإمام مالك-رحمه الله-«ت: **١٧٩ هـ**»، أنه رجع عن التوقف إلى تفضيل عثمان، قال القرطبي-رحمه الله-«ت: **٦٧١ هـ**»: "وهو الأصح إن شاء الله"[(١)]

ولعل من وافق مالكا على التوقف قبل الرجوع يكون قد رجع إلى تفضـــيل عثمان على علي كما رجع مالك موافقة له في الرجوع بعد موافقته في التوقف، ولقد روى الخلال بســـنده عن أيوب الســـختياني-رحمه الله-«ت: **١٣١ هـ**» أنه قال: "دخلت المدينة والناس متوافرون القاسم بن محمد-رحمه الله-«ت: **١٠٧ هـ**» وسليمان-رحمه الله-«ت: **١٠٧ هـ**» وغيرهما فما رأيت أحدًا يختلف في تقديم أبي بكر وعمر وعثمان"[(٢)]

وتوقف في المفاضـــلة بين عثمان وعلي من غير أهل المدينة يحي بن ســـعيد القطان-رحمه الله-«ت: **١٩٨ هـ**»، من أهل البصرة وقد استغرب عبد الرحمن بن مهدي-رحمه الله-«ت: **١٩٨ هـ**»، ذلك فقال ليحي: "بمن تقتدي في هذا وأهل البصرة ليس هذا قولهم؟!"[(٣)]

وذكر ابن حجر-رحمه الله-«ت: **٨٥٢ هـ**» أن يحي القطان-رحمه الله-«ت: **١٩٨ هـ**»، تبع مالكا في التوقف[(٤)]، ولكن قد ســـبق قبل قليل قول الإمام أحمد-رحمه الله-«ت: **٢٤١ هـ**» أن يحي أخذ التوقف عن ســـفيان الثوري-رحمه الله-«ت: **١٦١ هـ**»، ويحي قد حكى هذا القول عن سفيان فقد أخرج الخلال أن يحي بن معين قال: "قال يحي بن سعيد: كان رأي ســـفيان الثوري-رحمه الله-«ت: **١٦١ هـ**»: أبو بكر وعمر ثم يقف، قال يحي بن معين-رحمه الله-«ت: **٢٣٣ هـ**»: "وهو رأي يحي بن سعيد"[(٥)] كأنه يشير إلى أن ذلك منه موافقة سفيان فيما رواه عنه. والله أعلم.

---

(١) تدريب الراوي «٢/ ٢٢٣»، وانظر لوامع الأنوار «٢/ ٣٥٦».

(٢) السنة «ص: ٤٠٣».

(٣) السنة للخلال «ص: ٣٧٢، ٣٧٣».

(٤) فتح الباري «٧/ ١٦».

(٥) السنة «ص: ٣٧٣».

والحاصل أن ما روي عن أئمة السلف من تقديم علي على عثمان أو التوقف فيهما قد رجعوا عنه واستقر مذهب أهل السنة على تفضيل عثمان ثم علي.

وهذا هو المذهب الحق الذي لا يجوز العدول عنه لثبوته بالأدلة الشرعية من السنة والإجماع وسبق بيانهما من حديث ابن عمر وإجماع الصحابة على تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر وجميع ذلك ثابت صحيح كما تقدم، ولذلك قال الإمام أحمد-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»: "كل من قدم عليًا ثم عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار"[(١)] وكذلك قال حماد بن زيد-رحمه الله-«**ت: ١٧٩ هـ**» [(٢)] وروي نحو ذلك عن جماعة من الأئمة كسفيان الثوري-رحمه الله-«**ت: ١٦١ هـ**»، والدارقطني-رحمه الله-«**ت: ٣٨٥ هـ**» وغيرهم. [(٣)]

حتى إن الأئمة قد تكلموا في تبديع من يقدم علياً على عثمان على قولين. [(٤)]

وروي عن بعضهم أنه قال: من قدم عليًا على عثمان فعليه لعنة الله، وبعضهم قال: فهو أحمق. [(٥)]

وإن كان ثَمَّ خلاف في التفضيل بين عثمان وعليٍّ، ولكنه لا يترتب عليه أي أثر في الانتساب لأهل السنة؛ "فقدَّم قومٌ عثمانَ، وسكتوا، وربَّعوا بعليٍّ، وقدَّم قومٌ عليًّا، وقومٌ توقَّفوا، لكن استقرَّ أمرُ أهلُ السُّنَّة على تقديم عُثْمَان ثم عليٍّ".

وإن كانت المِسْأَلَةُ «**مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وعليٍّ**» ليستْ من الأصولِ التي يُضَلَّلُ المخالفُ فيها عند جمهورِ أَهْلِ السُّنَّة، لكن التي يُضَلَّلُ فيها مسألةُ الخلافةِ؛ وذلك لأنهم يؤمنون أنَّ الخليفةَ بَعْدَ رسولِ الله-صلى الله عليه وسلم-أبو بكرٍ، ثم عمرُ، ثم عثمانُ، ثم عليٌّ، ومَن طَعَنَ في

---

(١) السنة للخلال ص ٣٩٢.

(٢) شرح أصول الاعتقاد ٧/ ١٣٧٠.

(٣) انظر السنة للخلال ٣٧٠، و٣٩٢ والفتاوى ٤/ ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٢٨.

(٤) انظر السنة للخلال هي ٣٨٠-٨٣٢، والفتاوى ٤/ ٤٢٦.

(٥) انظر شرح أصول الاعتقاد ٧/ ١٣٧٠.

خلافة أحدٍ مِن هؤلاء فهو أضلُّ مِن حِمَارِ أَهْلِهِ».

فلهم مِن الفضل ومِن المكانة ما هو مُجمع عليه بين أهل السُّنَّة.

٧٥- فضل أهل بيت رسول الله ﷺ

[٧٥]- قال المصنف رحمه الله: «**وَيُحِبُّونَ أهلَ بَيْتِ رسولِ الله- صَلَّى الله عليه وآله وسلم- وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ.**

وَيَحْفَظُونَ فيهم وَصِيَّةَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال يوم غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

وقال- أيضًا- للعبَّاس عَمِّهِ- وقد اشتكى إليه- أنَّ بعض قريش يجفو بني هاشمٍ، فقال: «**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُم؛ للهِ، ولِقَرَابَتِي**». وقال: «**إن اللهَ اصْطَفَى بني إسماعيلَ، واصطفى مِن بني إسماعيلَ كِنَانَة، واصطفى مِن كِنَانَةَ قُرَيْشًا، واصطفى مِن قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، واصطفاني مِن بَنِي هَاشِمٍ**».

الشرح

من عقيدة أهل السنة: حُبُّ آل بيت النبي ﷺ، فنحن مأمورون بحبِّهم؛ لأنَّ حُبَّهم من حب النبي ﷺ، وقد جاءت الآثار ببيان فضلهم والحث على محبتهم.

لذا يجب علينا أن نتولاهم وأن نترضى عنهم، وألا نبغض أحدًا منهم، وهذا ما امتاز به منهج أهل السنة، وهو سلامة قلوبهم تجاه جميع الأصحاب بما فيهم آل بيته ﷺ.

فمن حبِّ النبي ﷺ حبُّ آل بيته، فلا يكون الإنسان محبًّا للنبي ﷺ على الوجه الأكمل حتى يكون محبًّا لآله ﷺ، كما أوصى ﷺ بذلك فقال: «**وأهل بيتي، أُذكركم اللهَ في أهل بيتي، أُذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**»[١].

«**وقال- أيضًا- للعبَّاس عَمِّهِ- وقد اشتكى إليه- أنَّ بعض قريش يجفو بني هاشمٍ، فقال: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُم؛ للهِ، ولِقَرَابَتِي»**»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم «٢٤٠٨» من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد بنحوه «١/ ٢٠٧» برقم «١٧٧٧» من حديث عبد المطلب بن ربيعة رضي الله عنه، وقال أحمد شاكر في تحقيقه «للمسند»: «٣/ ٢١٠»: «إسناده صحيح».

فمحبتهم من الإيمان؛ لأن حبهم من حبه ﷺ، فالله قد اختار نبيه ﷺ، واختار لنبيه ﷺ آله وأصحابه، كم قال ﷺ: «**إنَّ اللهَ اصْطَفَى بني إسماعيلَ، واصطفى مِن بني إسماعيلَ كِنَانَةَ، واصطفى مِن كِنَانَةَ قُرَيْشًا، واصطفى مِن قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، واصطفاني مِن بَنِي هَاشِمٍ**»[(١)].

فلأن النبي ﷺ من بني هاشم صار لهم من الفضل ومن المنزلة ما يجب أن يُحفظ في نفوس أهل السنة، كما يحفظ حقُّ سائر الأصحاب.

ومحبة أهل السنة والجماعة لأهلِ بيتِ رسولِ اللهِ–صلى الله عليه وسلم–محبةٌ شرعيَّة دونَ إفراطٍ أو تَفْريطٍ؛ فهم يَعْرِفُونَ لهم حَقَّهم، ويَحفظونَ وَصِـــيَّةَ رســـولِ اللهِ فيهم، ولا يُغالونَ في مَحَبَّتِهِم؛ ولا يَرفعونَهم فوق منزلتهم البشرية غلوًّا فيهم، وكذلك لا ينتقصونهم قدرهم جفاء لهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن معتقد أهل السنة: "ويتبرؤون مِن طريقة الرَّوَافِضِ الذين يُبْغِضُـــونَ الصَّـــحابة، ويَسُـــبُّونَهُم، ومن طريقة النَّواصـــب الذين يؤذون أهلَ البيت بقولٍ أو عملٍ"[(٢)]

فأهل الســـنة والجماعة يتميزون بالوســـطية والاعتدال بين الفرق الأخرى التي تقف على طرفي نقيض؛ والحق بين هذا وذاك، وتلكم هي الوسطية والطريقة السوية.

---

(١) أخرجه مسلم «٢٢٧٦» من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية «١/ ٤٠٨».

٧٦- تعظيم قدر أزواج النبي ﷺ

[٧٦] - قال المصنف رحمه الله: ويَتَوَلَّوْنَ أزواجَ النَّبي ﷺ أُمَّهَاتِ المؤْمِنِينَ، ويؤمنون بأنهنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَة، خصوصًا خديجةُ رضي الله عنها أمُّ أكثر أولاده، وأول من آمن بِهِ وعَاضَدَهُ على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية، والصِّدِّيقَة بنت الصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، التي قال فيها النَّبي ﷺ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**».

الشرح

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تولي أزواج النبي ﷺ وحفظ مكانتهن.

المسألة الثانية: تسمية أزواج النبي ﷺ

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تولي أزواج النبي وحفظ مكانتهن.

أصـول أهل السـنة أنهم يتولون أزواج رسـول الله-صـلى الله عليه وسـلم-. ويحفظون لهن فضلهن، وحقوقهن. فقد أبانهن الله من نساء العالمين في الفضيلة فقال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْــتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَــاءِ﴾ [الأحزاب: الآية: ٣٢]. وجعلهن أمهات المؤمنين فقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: الآية: ٦]"[١]

وجعل حرمة الزوجية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم باقية ما بقين فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُــولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً﴾ [الأحزاب: الآية: ٣

---

(١) مجموع الفتاوى «٣/ ١٥٤» وتفسير القرطبي «١/ ١٢٣، ١٧٧».

فعلينا من حفظ حقوقهن بعد ذهابهن بالصلاة عليهن مع الصلاة على النبي–صلى الله عليه وسلم–.

فعن أبي حميد الساعدي–رضي الله عنه–، أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلى عليك؟ فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: "قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد"[(١)].

فالصلاة على أزواجه تابعة لاحترامهن[(٢)]. وكذلك الاستغفار لهن، وذكر مدائحهن، وفضائلهن وحسن الثناء عليهن، وما على الأولاد في أمهاتهم اللاتي ولدنهم وأكثر، وذلك لمكانتهن من رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، وزيادة فضلهن على غيرهن من نساء هذه الأمة[(٣)].

فمحبتهن والترضي عنهن هو من محبة النبي ﷺ، وفضائلهن مذكورة مبثوتة في كتب أهل السنة، فقَلَّما نجد كتابًا من كتب أهل الحديث إلا وفيه مِن ذِكر فضائلهن؛ فمثلًا كتب السنة كـ«**صحيح البخاري**» و«**صحيح مسلم**» والكتب الستة وغيرها مليئة ومرصعة ومزينة بتلك المناقب التي تدل على سلامة قلوب أهل السنة تجاه هؤلاء النسوة اللائي اختارهن الله لأن يكن زوجات لنبيه ﷺ.

ولذلك نتبرأ من الروافض الذين أبغضوا وسَبُّوا أصحاب النبي ﷺ، وطعنوا في بعض أزواجه بمطاعن يَستحي الإنسان من التلفظ بها وذِكرها، فضلًا عن أن تكون مُستقرة في قلب أيِّ مُسلم. فأولئك ما حَفظوا عِرضَ النبي ﷺ في عائشة رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب هل يصلى على غير النبي–صلى الله عليه وسلم–. فتح الباري «١/ ١٦٩» ح: «٦٣٦٠»، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي–صلى الله عليه وسلم–بعد التشهد «٢/ ١٧».

(٢) جلاء الأفهام «ص: ٢٠٠»

(٣) شعب الإيمان للبيهقي «١/ ٢٨٢-٢٨٤».

المسألة الثانية: تسمية أزواج النبي–صلى الله عليه وسلم–.

وأزواج النبي–صلى الله عليه وسلم–هن من دخل بهن من النساء وهن إحدى عشرة:

١– خديجة بنت خويلد–رضي الله عنها–. [١]

٢– عائشة بنت أبي بكر الصديق–رضي الله عنها وعن أبيها–. [٢]

٣–سودة بنت زمعة–رضي الله عنها–. [٣]

٤–حفصة بنت عمر بن الخطاب–رضي الله عنها وعن أبيها–. [٤]

٥–أم حبيبة بنت أبي سفيان–رضي الله عنهما–. [٥]

---

(١) وهي أولهن، وقد تزوجها–صلى الله عليه وسلم–بمكة، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وبقيت معه إلى أن أكرمه الله برسالته فآمنت به ونصرته فكانت له وزير صدق وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين في الأصح ومن خصائصها رضي الله عنها:

١–أنه لم يتزوج عليها غيرها.

٢–أن أولاده كلهم منها إلا إبراهيم فإنه من سريته مارية.

٣–أنها خير نساء الأمة. جلاء الأفهام «ص: ١٨٠».

(٢)تزوجها وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بسنتين وقيل لثلاث وبنى بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الأولى، وهي بنت تسع سنين، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة. من خصائصها رضي الله عنها: ١–أنها كانت أحب أزواج رسول الله–صلى الله عليه وسلم–إليه فقد سئل النبي–صلى الله عليه وسلم–أي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة" قيل ومن الرجال؟ قال: "أبوها". أخرجه البخاري «٤٣٥٨»، ومسلم «٢٣٨٤». ٢–أنه لم يتزوج بكرًا غيرها. جلاء الأفهام «ص: ١٨٢–١٨٥».

(٣) سودة بنت زمعة بن قيس. تزوجها بعد خديجة، وكبرت عنده وأراد أن يطلقها فوهبت يومها لعائشة رضي الله عنها فأمسكها وهذا من خواصها: أنها آثرت حرمها لعائشة تقربًا إلى النبي–صلى الله عليه وسلم–وحبًا له. جلاء الأفهام «ص: ١٨٢».

(٤) حفصة بنت عمر بن الخطاب، تزوجها النبي–صلى الله عليه وسلم–بعد عائشة، وقيل إنها ولدت قبل المبعث بخمسة سنين، وكانت قبل أن يتزوجها النبي–صلى الله عليه وسلم–عند حصن بن حذافة وكان ممن شهد بدرًا ومات بالمدينة. وكانت–رضي الله عنها–صوامة قوامة. الإصابة «٤/ ٣٦٢، ٣٦٠» وجلاء الأفهام «ص: ١٨٥».

(٥) واسمها رملة بنت صخر بن حرب، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة، فتنصر بالحبشة، وأتم الله لها الإسلام، وتزوجها رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، وهي بأرض الحبشة، وأصدقها عنه النجاشي. وهي التي أكرمت فراش رسول الله–صلى الله عليه وسلم–أن يجلس عليه أبوها لما قدم المدينة، وقالت: إنك مشرك، ومنعته من الجلوس عليه. الإصابة «٤/ ٢٩٨–٣٠٠».

٦-أم سلمة-رضي الله عنها-. [١]

٧-زينب بنت جحش-رضي الله عنها-. [٢].

٨-زينب بنت خزيمة الهلالية-رضي الله عنها-. [٣]

٩-جويرية بنت الحارث-رضي الله عنها-. [٤]

١٠-صفية بنت حيي-رضي الله عنها-. [٥]

١١-ميمونة بنت الحارث الهلالية-رضي الله عنها-. [٦]

فهؤلاء جملة من دخل لهن من النساء وهن إحدى عشرة.

---

[١] واسمها هند بنت أبي أمية، وكانت قبله عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد، وتوفيت سنة اثنتين وستين ودفنت بالبقيع، وهي آخر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم موتا، وقيل: بل ميمونة. الإصابة «٤/ ٤٠٧-٤٠٨» وجلاء الأفهام «ص: ١٩٥-١٩٧».

[٢] زينب بنت جحش: وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطب، وكانت قبل عند مولاه زيد بن حارثة، فطلقها فزوجها الله إياه من فوق سبع سموات وكانت تفخر بذلك على سائر أزواج رسول الله-صلى الله عليه وسلم-. وتقول: "زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماواته" توفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع. الإصابة «٤/ ٣٠٧-٣٠٨».

[٣] زينب بنت خزيمة الهلالية، تزوجها سنة ثلاث من الهجرة، وكانت قبله عند عبد الله بن جحش فاستشهد بأحد، وكانت تسمى أم المساكين، لكثرة إطعامها المساكين، ولم تلبث عند رسول الله-صلى الله عليه وسلم-إلا يسيرا شهرين أو ثلاثة ثم توفيت-رضي الله عنها-. الإصابة «٤/ ٣٠٩-٣١٠» وجلاء الأفهام «ص: ١٩٨».

[٤] جويرية بنت الحارث المصطلقية، وكانت سبيت في غزوة بني المصطلق، فوقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها، فقضى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-كتابتها وتزوجها سنة ست من الهجرة وتوفيت سنة ست وخمسين، وهي التي أعتق المسلمون بسببها مائة أهل بيت من الرقيق، وقالوا: أصهار رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وكان ذلك من بركتها على قومها. الإصابة «٤/ ٢٥٧-٢٥٨» وجلاء الأفهام «ص: ١٩٨».

[٥] صفية بنت حيي من ذرية هارون بن عمران، أخي موسى، تزوجها النبي-صلى الله عليه وسلم-سنة سبع، فإنها سبيت من خيبر، وكانت قبله تحت كنانة بن أبي الحقيق، فقتله رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، توفيت سنة ست وثلاثين، وقيل سنة خمسين.
من خصائصها أن الرسول-صلى الله عليه وسلم-أعتقها وجعل عتقها صداقها، وقال لها النبي-صلى الله عليه وسلم-: «إنك لابنة نبي وإن عمك لنبي وإنك تحت نبي». الإصابة «٤/ ٣٣٧-٣٣٨» وجلاء الأفهام «ص: ١٩٨-١٩٩».

[٦] ميمونة بنت الحارث الهلالية تزوجها بسرف، وبنى بها بسرف، وماتت بسرف، وهي على سبعة أميال من مكة، وهي آخر من تزوج من أمهات المؤمنين، وتوفيت سنة ثلاث وستين، وهي خالة عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-، وهي خالة خالد بن الوليد أيضا. الإصابة «٤/ ٣٩٧-٣٩٩» وجلاء الأفهام «ص: ١٩٩».

أمهاتُ المؤمنين يكفيهنَّ هذا الفخر أنهنَّ أمهاتٌ لنا، ويا عجباً كيف يطعن الإنســـان في أمه، فهؤلاء أمهات المؤمنين فالله–عز وجل–قال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: الآية: ٦] فأعطاهنَّ هذا الشـــرف وهو أعلمُ–عز وجل–أنهم يســـتحقون لهذا الشرف.

فكيفَ يأتي مَن يطعن في شرفِ أمهات المؤمنين؟! فالطعنُ في شرفهنَّ طعنٌ في شرفِ النبي–صلى الله عليه وسلم– لأنهن أزواج النبي–صلى الله عليه وسلم–، بل طعن في الأمةِ كلها فيجب أن نحفظَ حق النبي–صلى الله عليه وسلم–في أمهاتِ المؤمنين.

٧٧- التبرؤ من طريقة الرافضة الذين يبغضون الصحابة

[٧٧]- قال المصنف رحمه الله: ويَتَبَرَّءُونَ مِن طريقة الرَّوَافِضِ الذين يُبْغِضُونَ الصَّحابة، ويَسُبُّونَهُم.

الشرح

حكم من سب الصحابة أو انتقصهم وما يترتب على الطعن في الصحابة.

عن جابر بن عبد الله-رضـي الله عنهما-«ت: ٧٨ هـ»، قال: قيل لعائشـة-رضـي الله عنها-«ت: ٥٧ هـ»: "إن ناسا يتناولون أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-، حتى أبا بكر وعمر، فقالت: وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا ينقطع عنهم الأجر"[١].

قَالَ محمد بن سـيرين-رحمه الله-«ت: ١١٠ هـ»: "مَا أَظُنُّ أَحَدًا يَنْتَقِصُ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَهُوَ يُحِبُّ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-"[٢].

قَالَ مالك بن أنس-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ»: "مَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ-صلى الله عليه وسلم- قُتِلَ، وَمَنْ شَتَمَ أَصْحَابَهُ أُدِّبَ".

وَقَالَ أَيْضًا: "مَنْ شَتَمَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أبا بكر، أَوْ عُمَرَ، أَوْ عُثْمَانَ، أَوْ مُعَاوِيَةَ، أَوْ عَمْرِو بْنَ الْعَاصِ فَإِنْ قَالَ: كَانُوا عَلَى ضَلَالٍ وَكُفْرٍ قُتِلَ، وَإِنْ شَتَمَهُمْ بِغَيْرِ هَذَا مِنْ مُشَاتَمَةِ النَّاسِ نُكِّلَ نَكَالًا شَدِيدًا"[٣].

وقال الإمام أحمد-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»: "ومن السنة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين والكف عن ذكر ما شجر بيهم، فمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحدا منهم أو تنقصه أو طعن عليهم،

(١) ذكره ابن الأثير في "جامع الأصول" «٨/٥٥٤».

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة «٢/٢٨٤».

(٣) فتح الباري «١٣/٣٤».

أو عرض بعيبهم أو عاب أحدا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة وخير هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان ووقف قوم على عثمان وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هؤلاء الأربعة خير الناس لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا ينقص فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفوا عنه بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يراجع"[(١)].

وقال النووي-رحمه الله-«**ت: ٦٧٦ هـ**»: "واعلم أن سبّ الصَّحابة-رضي الله عنهم-حرام... من فواحش المحرَّمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره"[(٢)].

يقول ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**» في تقرير وسطية أهل السنة: "هم وسط في أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بين الغالي في بعضهم الذي يقول بإلهية، أو نبوة، أو عصمة، والجافي فيهم: الذي يكفر بعضهم، أو يفسقه، وهم خيار الأمة"[(٣)].

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وأما من سبهم سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد ونحو ذلك، فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم.

وأما من لعن وقبح مطلقاً فهذا محل الخلاف فيهم، لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

(١) طبقات الحنابلة «١/٣٠»، كتاب السنة للإمام أحمد «ص/١٧».
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم١٦/٩٢، ط/دار إحياء التراث العربي.
(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح «١/٧٥».

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله-عليه الصلاة والسلام-إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضاً في كفره، لأنه كذب لما نصه القرآن في غير موضع: من الرضى عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفره مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الآية التي هي ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: الآية: ١١٠]، وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفاراً أو فساقاً، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام.

ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال، فإنه يتبين أنه زنديق، وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم، وقد ظهرت لله فيهم مثلات، وتواتر النقل بأن وجوههم تمسخ خنازير في المحيا والممات، وجمع العلماء ما بلغهم في ذلك، وممن صنف فيه الحافظ الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي كتابه في النهي عن سب الأصحاب، وما جاء فيه من الإثم والعقاب.

وبالجملة فمن أصناف السابة من لا ريب في كفره ومنهم من لا يحكم بكفره، ومنهم من تردد فيه"[(١)].

وقال الإمام الذهبي-رحمه الله-«**ت: ٧٤٨ هـ**»: "إنما يعرف فضائل الصحابة-رضي الله عنهم-من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وبعد موته؛ من المسابقة إلى الإيمان، والمجاهدة للكفار، ونشر الدين، وإظهار شعائر الإسلام، وإعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه وسننه، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنةً ولا فرضًا، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا.

فمن طعن فيهم أو سبهم، فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساوئهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من

---

(١) "الصارم المسلول على شاتم الرسول" «ص ٥٩٠-٥٩١».

ثنائه عليهم، وفضائلهم ومناقبهم وحبهم.

ولأنهم أرضى الوسائل المأثورة، والوسائط من المنقول، والطعن في الوسائط طعن في الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق والزندقة والإلحاد في عقيدته"[(١)].

قال ابن فرحون-رحمه الله-«**ت: ٧٩٩ هـ**»: "وأما من شتم أحدًا من أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم- أبا بكر، أو عمر، أو عثمان، أو عليًّا، أو معاوية، أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا على ضلال، فقد كفر، وقُتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس، نكل نكالًا شديدًا، ومن سب أحدًا من آل النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربًا وجيعًا، ويشهر، ويحبس طويلًا حتى تظهر توبته؛ لأنه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم؛ اهـ بتصرف"[(٢)].

وقال تقي الدين السبكي-رحمه الله-«**ت: ٧٥٦ هـ**»: "وينبني على هذا البحث سب بعض الصحابة فإن سب الجميع لا شك أنه كفر، وهكذا إذا سب واحدا من الصحابة حيث هو صحابي، لأن ذلك استخفاف بحق الصحبة ففيه تعرض إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-فلا شك في كفر الساب، وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول الطحاوي "وبغضهم كفر" فإن بغض الصحابة بجملتهم لا شك أنه كفر، وأما إذا سب صحابيا لا من حيث كونه صحابيا بل لأمر خاص به وكان ذلك الصحابي مثلا ممن أسلم من قبل الفتح ونحن نتحقق فضيلته كالروافض الذين يسبون الشيخين، فقد ذكر القاضي حسين في كفر من سب الشيخين وجهين.

ووجه التردد ما قدمناه فإن سب الشخص المعين قد يكون لأمر خاص به، وقد يبغض الشخص الشخص لأمر دنيوي وما أشبه ذلك فهذا لا يقتضي تكفيرا، ولا شك أنه لو

(١) "الكبائر" «ص٢٧٦».

(٢) "تبصرة الحكام"٢/٢١٣.

أبغض واحدا منهما لأجل صحبته فهو كفر، بل من دونهما في الصحبة إذا أبغضه لصحبته كان كافرا قطعا"[(١)].

ومما يترتب على الطعن في الصحابة:

أولًا: يترتب على القول بكفر وارتداد معظم الصحابة أو فسقهم إلا نفرا يسيرا.

فالروافض يزعمون أن الصـــحابة كفروا جميعا إلا نفر قليل منهم فروى الكشـــى عن أبي جعفر أنه قال: "كان الناس أهل ردة بعد النبي–صلى الله عليه وسلم–إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ قال: المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي.."[(٢)].

جاء في رجال الكشي ".. عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس أهل الردة بعد النبي–صلى الله عليه وسلم–إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ثم عرف الناس بعد يسير، وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا لأبي بكر حتى جاءوا بأمير المؤمنين مكرها فبايع"[(٣)].

ثانيًا: الشـــك في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وذلك لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول، إذ كيف نثق بكتاب نقله إلينا الفســقة والمرتدون–والعياذ بالله–ولذلك صــرح بعض أهل الضلال والبدع ممن يسب الصحابة بتحريف الصحابة للقرآن، والبعض أخفى ذلك.

وكذلك الأمر بالنسبة للأحاديث النبوية. فإذا اتهم الصحابة رضوان الله عليهم في عدالتهم، صـــارت الأســـانيد مرســـلة مقطوعة لا حجة فيها، ومع ذلك يزعم بعض هؤلاء الإيمان بالقرآن. فنقول لهم: يلزم من الإيمان به الإيمان بما فيه، وقد علمت أن الذي فيه أنهم خير الأمم، وأن الله لا يخزيهم، وأنه رضي عنهم. إلخ، فمن لم يصدق ذلك فيهم، فهو مكذب لما

(١) "الصارم المسلول على شاتم الرسول" «ص ٥٩٠-٥٩١».

(٢) رجال الكشي ص: ١٢ نقلا عن الشيعة الإمامية في ميزان الإسلام ص: ٨٩.

(٣) رجال الكشي: ص٦، الكافي، كتاب الروضة: «٣٢١/١٢-٣٢٢» «مع شرح جامع للمازندراني».

في القرآن ناقض لدعواه.

وقال مالك بن أنس-رحمه الله-«**ت: ١٧٩ هـ**»: "إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه؛ حتى يقال: رجل سوء، ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين"(١).

وقال أبو زرعة الرازي-رحمه الله-«**ت: ٢٨٩ هـ**»: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة "(٢).

قال الإمام الذهبي-رحمه الله-«**ت: ٧٤٨ هـ**»: "الطعن في الصحابة رضي الله عنهم زندقة؛ لأن القرآن حق، والسنة حق، وما نقل إلينا إلا من جهتهم، ومن طعن فيهم أراد إبطال الكتاب والسنة"(٣).

ثالثًا: هذا القول يقتضي أن هذه الأمة-والعياذ بالله-شر أمة أخرجت للناس، وسابقي هذه الأمة شرارها، وخيرها القرن الأول كان عامتهم كفارا أو فساقا وإنهم شر القرون. كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

قال الإمام الشعبي-رحمه الله-«**ت: ١٠٣ هـ**»: "ولليهود والنصارى فضيلةٌ على الرَّافضة في خصلتين: سئل اليهود: مَن خير أهل مِلَّتكم؟ فقالوا: أصحاب موسى. وسئلت النصارى، فقالوا: أصحاب عيسى. وسئلت الرافضة: مَن شَرُّ أهل مِلتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد.

(١) "الكفاية" للخطيب البغدادي «ص: ٩٧».
(٢) "الكفاية في علم الرواية" «ص ٤٩».
(٣) "فتاوى السبكي" «٢/٥٧٥».

أَمَرَهم بالاستغفار لهم فشَتَموهم"[(١)].

رابعًا: أن في ذلك محاولة تقويض أصول الدين والإساءة إلى نقلة الوحي:

قال الإمام أحمد-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»: "إذا رأيت الرجل يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بسوء، فاتهمه على الإسلام"[(٢)].

وعن الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**» أنه سئل عن رجل تنقص معاوية، وعمرو بن العاص أيقال له رافضى؟ فقال: إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما انتقص أحد أحدا من الصحابة إلا وله داخلة سوء". وفى رواية أخرى قال: "إذا رأيت رجلا يذكر أحدا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام"[(٣)].

وعن مصعب بن عبد الله قال: حدثني أبي عبد الله بن مصعب الزبيري-رحمه الله-«**ت: ٢٣٦ هـ**»، قال: قال لي أمير المؤمنين المهدي-رحمه الله-«**ت: ١٦٩ هـ**»: يا أبا بكر، ما تقول فيمن تنقص أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-؟.

قال: قلت: زنادقة، قال: ما سمعت أحدًا قال هذا قبلك! قال: قلت: هم قوم أرادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقص، فلم يجدوا أحدًا من الأمة يتابعهم على ذلك، فتنقصوا هؤلاء عند أبناء هؤلاء، وهؤلاء عند أبناء هؤلاء، فكأنهم قالوا: رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يصحبه صحابة السوء، وما أقبح بالرجل أن يصحبه صحابة السوء! فقال: ما أراه إلا كما قلت"[(٤)].

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وأما القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول -صلى الله عليه وسلم-فإنما هو طريقة الزنادقة والملحدين ومن انضم إليهم من

---

(١) «العقد الفريد» لابن عبد ربه «٢/٢٤٩، ٢٥٠»، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.

(٢) "السنة" للخلال، ج ١، ص ٢٩٣.

(٣) البداية والنهاية «٨/١٤٢».

(٤) «تاريخ بغداد: ١٠/١٧٤».

الرافضة وأشباههم"(١).

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "ولا يطعن على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - إلا أحد رجلين: إما رجل منافق زنديق ملحد عدو للإسلام، يتوصل بالطعن فيهما إلى الطعن في الرسول ودين الإسلام وهذا حال المعلم الأول للرافضة، أول من ابتدع الرفض، وحال أئمة الباطنية، وإما جاهل مفرط في الجهل والهوى، وهو الغالب على عامة الشيعة، إذا كانوا مسلمين في الباطن"(٢).

قال الإمام الذهبي-رحمه الله-«ت: ٧٤٨ هـ»: "فمن طعن فيهم أو سبهم، فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساوئهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم، وفضائلهم ومناقبهم وحبهم.

ولأنهم أرضى الوسائل المأثورة، والوسائط من المنقول، والطعن في الوسائط طعن في الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق والزندقة والإلحاد في عقيدته"(٣).

خامسًا: تفريق الأمة وإثارة الفتن:

قيل للإمام أحمد-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»: "ما تقول فيمن زعم أنه مباح له أن يتكلم في مساوي أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فقال أبو عبد الله: هذا كلام رديء يجانبون هؤلاء القوم ولا يجالسون ويبين أمرهم للناس"(٤).

ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ»: عن أبي المظفر السمعاني-رحمه الله-«ت: ٤٨٩ هـ»، أنه قال في كتابه "الاصطلام": "التعرض إلى جانب الصحابة علامة على

(١) "منهاج السنة النبوية"، ج ١، ص ١٨.
(٢) منهاج السنة النبوية «٦/١١٥».
(٣) "الكبائر" «ص٢٧٦».
(٤) «السنة» للخلال بسند صحيح «٥١٢».

خذلان فاعله، بل هو بدعة وضلالة"[١].

وسئل الإمام النسائي–رحمه الله–«**ت: ٣٠٣ هـ**» عن معاوية بن أبي سفيان–رضي الله عنهما – فقال: "إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب – أي نقبه – إنما يريد دخول الدار، قال: فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة"[٢].

وقال أبو نعيم–رحمه الله–«**ت: ٤٣٠ هـ**»: "فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، وزللهم، ويحفَظ عليهم ما يكون منهم في حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه"[٣].

قال الإمام النووي–رحمه الله–«**ت: ٦٧٦ هـ**»: "الطعن في الصحابة رضي الله عنهم بدعة منكرة، وهي مذهب بعض أهل البدع، ومروج الفتن، وأهل السنة لا يرون ذلك"[٤].

قال الإمام ابن كثير–رحمه الله–«**ت: ٧٧٤ هـ**»: "الصحابة كلهم عدول، أثنى الله عليهم ورسوله، ولا يطعن فيهم إلا مبتدع مبتغٍ للفتنة"[٥].

سادسًا: الطعن في الصحابة يدل على سوء طوية وقصور عقل وقلة مروءة.

وقال أبو نعيم–رحمه الله–«**ت: ٤٣٠ هـ**»: "لا يبسط لسانه فيهم إلا مِن سوء طَويته في النبي–صلى الله عليه وسلم–، وصحابته، والإسلام، والمسلمين"[٦].

وقال الزيلعي–رحمه الله–«**ت: ٧٦٢ هـ**»: "أو يظهر سب السلف يعني الصالحين منهم

---

(١) فتح الباري «٤/٣٦٥».

(٢) تهذيب الكمال للحافظ للمزى «١/٣٣٩» ترجمة الإمام النسائى.

(٣) "تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة" لأبي نعيم «ص: ٣٤٤».

(٤) "شرح صحيح مسلم"، ج ١٦، ص ٩٣.

(٥) "البداية والنهاية"، ج ٨، ص ٢٣٤.

(٦) "تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة" لأبي نعيم «ص: ٣٧٦».

وهم الصحابة والتابعون لأن هذه الأشياء تدل على قصور عقله وقلة مروءته، ومن لم يمتنع عن مثلها لا يمتنع عن الكذب عادة بخلاف ما لو كان يخفي السب"[١] .

نعوذ بالله من حال أولئك الضُّلَّال.

والطعن في أصحاب النبي ﷺ هو تجاسر على الله؛ لأن الله يُزكيهم وهم يطعنون فيهم، وكذلك هو اعتداء على حقِّ النبي ﷺ، بل هو اتهام منهم له ﷺ بأنه ما أحسن تربية أصحابه! وكذلك شككوا فيما قاله النبي ﷺ من بيان فضلهم ومكانتهم.

(١) حاشية ابن عابدين «٤/٢٣٦».

٧٨- التبرؤ من طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت

[٧٨] - قال المصنف رحمه الله: ومن طريقة النَّواصب الذين يؤذون أهلَ البيت بقولٍ أو عملٍ.

الشرح

المسألة الأولى: التعريف بهم:

النصب لغة: "إقامة الشيء ورَفعِهِ، ومنه ناصِبَةُ الشرِّ والحرب، ويقال: نَصَبَ فلان لفلان نَصْباً إذا قصد له، وعاداه، وتجرد له". [(١)]

قال الفيروزأبادي: "النواصب والناصبة وأهل النصب المتدينون بِبُغض علي؛ لأنهم نصبوا له، أي عادوه". [(٢)]

وقال المقريزي: "والنواصب جمع ناصبي، وهو الغالي في بغض علي -رضي الله عنه". [(٣)]

وبهذا نستطيع القول بأن النواصب: هم كل من عادى أهل بيت النبي ﷺ، وانتقصهم وآذاهم بأدنى قول أو فعل، سواء كان هذا الإيذاء لكل أهل البيت أو لبعضهم.

المسألة الثانية: الفرق بين النواصب والخوارج

أولًا: أقول أهل السنة:

يطلق العلماء مصطلح: «**النواصب**» على معنيين:

الأول: على الخوارج؛ فإن من ألقابهم التي أطلقها العلماء عليهم: النواصب.

يقول المقريزي: "الفرقة العاشرة: الخوارج، ويقال لهم: النواصب والحرورية". [(٤)]

الثاني: على الطائفة التي خرجت في بداية الأمر في الكوفة في مقابل الرافضة، فقابلوا غلو

(١) مختار الصحاح «١/ ٢٧٥».

(٢) القاموس المحيط «١/ ١٣٣».

(٣) خطط المقريزي «٢/ ٣٥٤».

(٤) خطط المقريزي «٢/ ٣٥٤».

الرافضة في أهل البيت بسبهم والقدح فيهم، وعامة هؤلاء النواصب من الجهال الذين قابلوا الباطل بالباطل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأهل الكوفة كان فيهم طائفتان: طائفة رافضة يظهرون موالاة أهل البيت ... ، وطائفة ناصبة تبغض عليا وأصحابه". [(١)]

ويمكن أن يعرف المقصود من هذا المصطلح عند الإطلاق من سياق الكلام؛ فإذا قيل مثلًا: النواصب الذين يكفرون عليا وعثمان والحكمين. علم أن المقصود هنا هم الخوارج؛ لأن هذه هي عقيدة الخوارج، وهكذا ...

والذي يظهر من كلام العلماء المتأخرين: أن هذا المصطلح –أعني: النواصب– أصبح غالبًا في كلامهم على النواصب الذين خرجوا في الكوفة، وكل من وافقهم على عداوة أهل البيت، ولم يبلغوا في ذلك مبلغ التكفير، الذين أصبح مصطلح الخوارج غالبا عليهم.

وقد اتفق أهل السنة والجماعة والشيعة الإثنا عشرية في أن النواصب تقول بفسق علي بن أبي طالب ولكنها لا تقول بكفر علي بن أبي طالب كالخوارج.

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "الخوارج الذين يكفرون عليا، والنواصب الذين يفسقونه". [(٢)]

فعند الشيعة الإثنا عشرية هناك تفريق بين الخوارج والنواصب حيث الخوارج قالوا بكفر علي بن أبي طالب أما النواصب فلا تكفره، حيث الخوارج: «**وهم المعتقدون بكفر علي بن أبي طالب والمتقربون إلى الله ببغضه ومخالفته ومحاربته فلا إشكال في كفرهم ونجاستهم، لأنّه مرتبة عالية من النصب الذي هو بمعنى نصب العداوة لعلي وأولاده فحكمهم حكم النصّاب، ويأتي أن الناصب محكوم بكفره ونجاسته**". [(٣)]

---

(١) مجموع الفتاوى «٢٥/ ٣٠١».

(٢) منهاج السنة «٢/ ٥٩».

(٣) التنقيح في شرح العروة الوثقى «٣/ ٦٩».

ويرى أهل السنة أن النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، وهم كانوا فرقة مستقلة اندثرت مع الزمن، ولكن بقية بعض الأعمال البدعية من التوسع في الطعام في يوم عاشوراء وإظهار الفرح والزينة في ذلك اليوم.

قال ابن تيمية: "لم يرد في شيء من ذلك حديثٌ صحيحٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه، ولا استحبَّ ذلك أحدٌ من أئمَّة المسلمين؛ لا الأئمَّة الأربعة ولا غيرهم، ولا روى أهل الكتب المعتمدة في ذلك شيئًا، لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصَّحابة ولا التابعين، لا صحيحًا ولا ضعيفًا، لا في كتب الصحيح، ولا في السُّنن ولا المسانيد، ولا يعرف شيءٌ من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة.

ولكن روى بعض المتأخرين في ذلك أحاديث مثل ما رووا أنَّ من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد من ذلك العام، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام، وأمثال ذلك. ورووا فضائل في صلاةِ يوم عاشُوراء، ورووا أنَّ في يوم عاشوراء توبة آدم، واستواء السفينة على الجودي، ورد يوسف على يعقوب، وإنجاء إبراهيم من النَّار، وفداء الذبيح بالكبش ونحو ذلك. ورووا في حديث موضوعٍ مكذوبٍ على النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة، [(١)] ورواية هذا كله عن النبي صلى الله عليه وسلم كذب". [(٢)]

بل يرى رحمه الله أنَّ بعضَ هذه الأحاديث التي روِيت في مظاهر الفرح في هذا اليوم قد وُضعت ممَّن يكره عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول رحمه الله: "وأمَّا سائر الأمور؛ مثل اتخاذ طعام خارج عن العادة، إما حبوب وإمَّا غير حبوب، أو تجديد لباس وتوسيع نفقة، أو اشتراء حوائج العام ذلك اليوم، أو فعل عبادة مختصة؛ كصلاةٍ مختصة به، أو قصد الذَّبح، أو ادِّخار لحوم الأضاحي ليطبخ بها الحبوب، أو الاكتحال والاختضاب، أو

(١) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات «٢/ ٢٠٣».

(٢) الفتاوى الكبرى «١/ ١٩٤»، وانظر: حقوق آل البيت «ص: ٤٧».

الاغتسال أو التصافح، أو التزاور أو زيارة المساجد والمشاهد، ونحو ذلك، فهذا من البِدع المنكرة التي لم يسنَّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤُه الرَّاشدون، ولا استحبَّها أحدٌ من أئمَّة المسلمين، لا مالك، ولا الثوري، ولا الليث بن سعد، ولا أبو حنيفة، ولا الأوزاعي، ولا الشَّافعي، ولا أحمد بن حنبل، ولا إسحاق بن راهويه، ولا أمثال هؤلاء من أئمَّة المسلمين وعلماء المسلمين، وإن كان بعض المتأخرين من أتباع الأئمَّة قد كانوا يأمرون ببعض ذلك، ويروون في ذلك أحاديث وآثارًا، ويقولون: إنَّ بعضَ ذلك صحيح، فهم مخطئون غالطون بلا ريبٍ عند أهل المعرفة بحقائق الأمور.

وقد قال حرب الكرماني في مسائله: سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث: «من وسع على أهله يوم عاشوراء» فلم يره شيئًا. وأعلى ما عندهم أثر يروى عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه أنه قال: بلغنا أنه من وسَّع على أهله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر سنته. قال سفيان بن عيينة: جربناه منذ ستين عاما فوجدناه صحيحًا. وإبراهيم بن محمد كان من أهل الكوفة، ولم يَذكُر ممَّن سمع هذا ولا عمَّن بلغه، **فلعلَّ الذي قال هذا من أهل البدع الذين يبغضون عليًّا وأصحابَه، ويريدون أن يقابلوا الرافضة بالكذب مقابلة الفاسد بالفاسد والبدعة بالبدعة"**.[(١)]

ثانيًا: أقوال الرافضة

أما الشيعة فلهم في تفسير الناصب الذي أجروا عليه أحكام التكفير وعدم جواز الصلاة عليه ونجاسته وجواز إغتيابه، وإستباحة ماله ودمه..إلخ خمسة أوجه، وهي:

١. أنه الخارجي الذي يقول في علي عليه السلام ما قال.
٢. أنه الذي ينسب إلى أحد المعصومين عليهم السلام ما يثلم العدالة.
٣. من إذا سمع فضيلة لعلي عليه السلام أو لغيره من المعصومين أنكرها.
٤. من اعتقد أفضلية غير علي عليه السلام عليه.

(١) الفتاوى الكبرى «٢٥/ ٣١٢-٣١٣».

٥. من سمع النص على علي عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بلغه تواترا أو بطريق يعتقد صحته فأنكره. (١)

والخلاف مشهور بين علمائهم في ترجيح أحد هذه الوجوه على الأخرى، وهذه بعض صوره:

يقول المقداد السيوري: "أن الحق صِدق النصب على الجميع، أما من يعتقد إمامة غيره للإجماع أو لمصلحة ولم يكن من أحد الأقسام الخمسة فليس بناصب". (٢)

ويقول جعفر مرتضى العاملي: "وأما اعتبار كل من لم يعتقد بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، ويعتقد بإمامة غيره ناصبيًا -كما ورد في بعض الروايات- فهو وارد على سبيل التوسع في الإطلاق؛ لأجل اشتراكهما في خصوصية بعينها، من حيث إنه يكون باعتقاده ذاك مؤذياً له عليه السلام، فلا فرق بينه وبين الناصبي من هذه الجهة، وإن كانت أحكامه لا تترتب عليه". (٣)

ويقول محمد الآملي: "وأما النواصب فالكلام يقع تارة في المراد من الناصبي وأخرى في حكمه. أما الأول فالمتيقن من الناصبي هو المعلن لعداوة أهل البيت الذين أمرنا بمودتهم. وربما يقال بأن المراد منه مطلق أهل الخلاف الذين يقولون بتقدم الجبت والطاغوت. وذلك لقول الصادق عليه السلام في خبر معلى ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت لأنك لا تجد أحدا يقول أني أبغض محمدًا وآل محمد صلَّى اللَّه عليه وآله وسلَّم ولكن الناصب من نصب لكم

---

(١) التنقيح الرائع لمختصر الشرائع، للمقداد السيوري، «٢/ ٤٢١» ، غاية المرام في شرح شرائع الإسلام، للمفلح الصميري البحراني، «٢/ ٤٣٣»، «٤/ ١٨»، كشف الالتباس عن موجز أبي العباس، للمفلح الصميري البحراني، «١/ ١٠١»، رياض المسائل، لعلي الطباطبائي، «٩/ ٥٤٢»، نتائج الأفكار، للگلپايگاني، «ص: ١٩٤»، أوثق الوسائل في شرح الرسائل، لميرزا موسى تبريزي، «ص: ١٦٣»، التنقيح الرائع لمختصر الشرائع، للمقداد السيوري، «٢/ ٤٢١» «ش».

(٢) التنقيح الرائع لمختصر الشرائع، للمقداد السيوري، «٢/ ٤٢١».

(٣) مختصر مفيد، لجعفر مرتضى العاملي، «١١/ ١٨٧».

وهو يعلم إنكم تتولونا وتتبرؤون من أعدائنا". [(١)] وقول الهادي عليه السلام في جواب من سأله عن الناصب بأنه هل احتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت واعتقاده بإمامتهما قال عليه من كان على هذا فهو ناصب". [(٢)]وقول أبي الحسن عليه السلام في رواية عبد الله بن المغيرة في جواب من سئله عن رجلين أحدهما ناصب والأخر زيدي "بأن هذا يعنى الناصب نصب لك وهذا الزيدي نصب لنا. ولا يخفى إن الناصبي بهذا المعنى يعم جميع المخالفين". [(٣)]

ويرى مرتضى الأنصاري ضعف تعميم الناصب للمخالف "وأنّ العامّة: منهم ناصب ومنهم مستضعف ومنهم الواسطة بينهما، والمحكوم بنجاسته بالأخبار والإجماع هو الأوّل، دون الثانيين." [(٤)]

ويقول الهمداني: "إنّ المراد بالناصب في الروايات–على الظاهر–مطلق المخالفين، لا خصوص من أظهر عداوة أهل البيت وتديّن بنصبهم. كما يشهد لذلك: خبر المعلَّى بن خنيس، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: "ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت، لأنّك لا تجد أحدا يقول: أنا أبغض محمّدا وآل محمّد، ولكنّ الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنّكم تتولَّوننا وتتبرّؤون من أعدائنا. وهذه الرواية–مع ما فيها من تفسير النصب بما لا ينفكّ عنه عامّة المخالفين–تشهد بندرة وجود الناصب بالمعنى الأخصّ في عصر الصادق عليه

(١) مصادر هذه الرواية: ثواب الأعمال، للصدوق، «ص: ٢٠٧»، صفات الشيعة، للصدوق، «ص: ٩»، علل الشرائع، للصدوق، «٢/ ٦٠١»، معاني الأخبار، للصدوق، «ص: ٣٦٥»، وسائل الشيعة، للحر العاملي، «٩/ ٤٨٦، ٢٤ ٢٧٤»، بحار الأنوار، للمجلسي، «٨/ ٣٦٩»، «٢٧/ ٢٣٣»، «٣١/ ٦»، «٦٩/ ١٣١»، الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب، ليوسف البحراني، «ص: ١٠٠».

(٢) مصادر هذه الرواية: مستطرفات السرائر، لابن إدريس الحلي، ٥٨٣، وسائل الشيعة، للحر العاملي، «٩/ ٤٩١»، الوافي، للفيض الكاشاني، «٢/ ٢٣٠»، الحدائق الناضرة، ليوسف البحراني، «٥/ ١٨٦»، «١٠/ ٣٦١»، «١٨/ ١٥٧»، بحار الأنوار، للمجلسي، «٣١/ ٦٢٥»، «٦٩/ ١٣٥»، الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب، ليوسف البحراني، «ص: ١٠٠».

(٣) مصباح الهدى في شرح عروة الوثقى، لمحمد تقي الآملي، «١/ ٤٠٨».

(٤) كتاب الطهارة، لمرتضى الأنصاري، «٥/ ١٤٧».

السّلام، فيبعد حمل الأخبار المستفيضة المتقدّمة على إرادته بالخصوص. ويدلّ أيضا على تحقّق النصب بمجرّد إزالة الأئمّة عليهم السّلام عن مراتبهم ومعاداة من يعرف حقّهم من شيعتهم: ما رواه ابن إدريس في مستطرفات السرائر عن محمّد بن عليّ بن عيسى، قال: كتبت إليه – يعني الهادي عليه السّلام – أسأله عن الناصب هل احتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت واعتقاده بإمامتهما ؟ فرجع الجواب: من كان على هذا فهو ناصب". [(١)]

وقد بين ذلك يوسف البحراني في حدائقة ورجح إطلاق مصطلح الناصب على جل المخالفين، وإليك تمام ما ذكره:

يقول: "فإن قيل: إن أكثر هذه الأخبار، إنما تضمن الناصب، وهو–على المشهور–: أخص من مطلق المخالف، فلا تقوم الأخبار حجة على ما ذكرتم! قلنا إن هذا التخصيص قد وقع اصطلاحا من هؤلاء المتأخرين، فرارا من الوقوع في مضيق الالزام، كما في هذا الموضع وأمثاله، وإلا فالناصب حيثما أطلق في الأخبار وكلام القدماء، فإنما يراد به المخالف، عدا المستضعف. وايثار هذه العبارة للدلالة على بعض المخالفين للأئمة الطاهرين. ويدلك على ذلك ما رواه في مستطرفات السرائر من كتاب "مسائل الرجال ومكاتباتهم لمولانا علي بن محمد الهادي عليه السلام" في جملة مسائل محمد بن علي بن عيسى، قال: كتبت إليه: أسأله عن الناصب، هل احتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت، واعتقاد إمامتهما ؟ فرجع الجواب: من كان على هذا فهو ناصب. وهو صريح في أن مظهر النصب والعداوة، هو القول بإمامة الأولين". [(٢)]

وقال في موضع آخر: "وأما ما يدل على نصبهم فمنه ما تقدم نقله في كلام شيخنا الشهيد الثاني من حديث عبد الله بن سنان ونحوه أيضا ما رواه الصدوق في معاني الأخبار بسند معتبر عن معلى بن خنيس قال: " سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ليس الناصب من نصب لنا

(١) مصباح الفقيه، لآقا رضا الهمداني، «٧/ ٢٨٨».

(٢) الحدائق الناضرة، ليوسف البحراني، «١٨/ ١٥٧».

أهل البيت لأنك لا تجد أحدا يقول أنا أبغض آل محمد ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تتولونا وتتبرأون من أعدائنا " وروى ابن إدريس في مستطرفات السرائر مما استطرفه من كتاب مسائل الرجال ومكاتباتهم لمولانا أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام في جملة مسائل محمد بن علي بن عيسى قال: "كتبت إليه أسأله عن الناصب هل احتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت واعتقاده بإمامتهما؟ فرجع الجواب: من كان على هذا فهو ناصب ". والمستفاد من هذه الأخبار أن مظهر النصب المترتب عليه الأحكام والدليل عليه إما تقديم الجبت والطاغوت أو بغض الشيعة من حيث التشيع فكل من اتصف بذلك فهو ناصب تجري عليه أحكام النصب، نعم يجب أن يستثنى من خبر تقديم الجبت والطاغوت المستضعف كما عرفت من الأخبار المتقدمة وغيرها أيضا فيختص الحكم بما عداه، وعموم ذلك لجميع المخالفين بعد اخراج هذا الفرد مما لا يعتريه الريب والشك بالنظر إلى الأخبار المذكورة كما عليه أكثر أصحابنا المتقدمين الحاكمين بالكفر وكثير من متأخري المتأخرين كما قدمنا نقل كلام بعضهم. وأما ما أجاب به الشيخ المحدث الصالح المتقدم ذكره من أن الناصب يطلق على معان: «**أحدها**» من نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام وعلى هذا يحمل ما ورد من حل مال الناصب ونحوه، و «**ثانيها**» من قدم الجبت والطاغوت كما تضمنه خبر السرائر. و «**ثالثها**» من نصب للشيعة فهو ناشئ من ضيق الخناق وإنا لم نجد لهذا المعنى الأول دليلا ولم نجد لهم دليلا على هذا التقسيم سوى دعواهم اسلام المخالفين فأرادوا الجمع بين الحكم باسلامهم وبين هذه الأخبار بحمل النصب على ما ذكروه في المعنى الأول وهو أول البحث في المسألة فإن الخصم يمنع اسلامهم ويقول بكفرهم. وبالجملة فإنه لا خلاف بيننا وبينهم في أن الناصب هو العدو لأهل البيت والنصب لغة هو العداوة وشرعا بل لغة أيضا على ما يفهم من القاموس هو العداوة لأهل البيت عليهم السلام إنما الخلاف في أن هؤلاء هل يدخلون تحت هذا العنوان أم لا ؟ فنحن ندعي دخولهم تحته وصدقه عليهم وهم يمنعون ذلك، ودليلنا على ما ذكرنا الأخبار المذكورة الدالة على أن الأمر الذي يعرف به النصب ويوجب الحكم به على من اتصف به هو تقديم الجبت والطاغوت أو بغض الشيعة ولا ريب

في صدق ذلك على هؤلاء المخالفين، وليس هنا خبر يدل على تفسير الناصب بأنه المبغض لأهل البيت « **عليهم السلام** » كما يدعونه بل الخبران المتقدمان صريحان في أنك لا تجد أحدا يقول ذلك. وبالجملة فإنه لا دليل لهم ولا مستند أزيد من وقوعهم في ورطة القول باسلامهم فتكلفوا هذه التكلفات الشاردة والتأويلات الباردة، على أنا قد حققنا في الشهاب الثاقب بالأخبار الكثيرة بغض المخالفين المقدمين للجبت والطاغوت غير المستضعفين لأهل البيت عليهم السلام وإليه يشير كلام شيخنا الشهيد الثاني المتقدم نقله من الروض. ومن أظهر ما يدل على ما ذكرناه ما رواه جملة من المشايخ عن الصادق عليه السلام قال: " الناصبي شر من اليهودي. فقيل له وكيف ذلك يا ابن رسول الله ؟ قال إن الناصبي يمنع لطف الإمامة وهو عام واليهودي لطف النبوة وهو خاص " فإنه لا ريب أن المراد بالناصبي هنا مطلق من أنكر الإمامة كما ينادي به قوله " يمنع لطف الإمامة " وقد جعله عليه السلام شرا من اليهودي الذي هو من جملة فرق الكفر الحقيقي بلا خلاف. ومن أراد الإحاطة بأطراف الكلام والوقوف على صحة ما ادعيناه من أخبار أهل البيت عليهم السلام فليرجع إلى كتابنا المشار إليه آنفا فإنه قد أحاط بأطراف المقال ونقل الأقوال والأدلة الواردة في هذا المجال. وأما ما يدل على نجاسة الناصب الذي قد عرفت أنه عبارة عن المخالف مطلقا إلا المستضعف. [١]

وهناك من ذهب صراحة إلى أن المقصود بالناصب هو السني.

يقول حسين آل عصفور الدرازي البحراني: "بل أخبارهم عليهم السلام تنادي بأن الناصب هو ما يقال عندهم سُنيا. وقال في موضع آخر: ولا كلام في أن المراد بالناصبة فيه هم أهل التسنن الذين قالوا: إن الأذان رآه أبي من كعب في النوم. [٢]وقال: على أنك قد عرفت سابقاً أنه ليس الناصب إلا عبارة عن التقديم على عليٍّ عليه السلام". [٣]

---

(١) الحدائق الناضرة، ليوسف البحراني، «٥/ ١٨٥».

(٢) المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية، لحسين بن محمد آل عصفور البحراني، «ص: ١٤٧».

(٣) المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية، لحسين بن محمد آل عصفور البحراني، «ص: ١٥٧».

ويقول التيجاني: "وغني عن التعريف بأن مذهب النواصب هو مذهب "أهل السنة والجماعة" فناصر مذهب النواصب المتوكل هو نفسه "محيي السنة"، فافهم." [(١)]

والذي يُرجِّح هذا القول فيما يظهر هو إطلاق هذه التسمية على أهل السنة وعلمائهم، ومن أمثلة ذلك:

عن محمد بن مسلم قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة فقلت له: جعلت فداك رأيت رؤيا عجيبة فقال لي: يا ابن مسلم هاتها فإن العالم بها جالس وأومأ بيده إلى أبي حنيفة قال: فقلت: رأيت كأني دخلت داري وإذا أهلي قد خرجت علي فكسرت جوزا كثيرا ونثرته علي فتعجبت من هذه الرؤيا فقال: أبو حنيفة أنت رجل تخاصم وتجادل لئاما في مواريث أهلك فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله فقال: أبو عبد الله عليه السلام: أصبت والله يا أبا حنيفة قال: ثم خرج أبو حنيفة عن عنده فقلت: جعلت فداك إني كرهت تعبير هذا الناصب فقال: يا ابن مسلم لا يسؤك الله فما يواطىء تعبيرهم تعبيرنا ولا تعبيرنا تعبيرهم وليس التعبير كما عبره قال: فقلت له: جعلت فداك فقولك: أصبت وتحلف عليه وهو مخطئ؟ قال: نعم حلفت عليه أنه أصاب الخطأ. [(٢)]

وأكد هذا نعمة الله الجزائري بقوله: أنَّ الأئمة عليهم السلام وخواصهم أطلقوا لفظ الناصبي على أبي حنيفة وأمثاله. [(٣)]

وكذلك ترى كتب الشيعة ملئية بعبارات من أمثال:

- شيطان الناصبة، المكنى بأبي حنيفة. [(٤)]

---

(١) الشيعة هم أهل السنة، لمحمد التيجاني السماوي، «ص: ٢٦٦».

(٢) الكافي-الشيخ الكليني-«٨/ ٢٩٢»، بحار الأنوار-العلامة المجلسي-«٤٧/ ٢٢٣»، «٥٨/ ١٦٢».

(٣) الأنوار النعمانية، لنعمة الله الجزائري، «٢/ ٣٠٧».

(٤) المقنعة، للمفيد، «ص: ٧٧٨»، الينابيع الفقهية، لعلي أصغر مرواريد، «٢٣/ ٢٦».

- المتوكل الناصبي.[(١)]
- الناصبيّ ابن تيمية.[(٢)]
- الناصبي المحب للأمويين والعباسيين ابن كثير.[(٣)]
- الذهبي الناصبي ذهب الله بنوره.[(٤)]
- الناصبي المتعصب الفخر الرازي.[(٥)]
- ابن حجر الناصبي.[(٦)]
- يحيى بن سعيد الناصبي.[(٧)]
- ابن حِبّان الناصبي.[(٨)]

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم، لجعفر مرتضى العاملي، «٤/ ٣٣٩»، صراع قريش مع النبي، لعلي الكوراني العاملي، «ص: ٧٤»، المجالس العاشورية في المآتم الحسينية، لعبد الله آل درويش، ٦٨٨، الشيعة هم أهل السنة، لمحمد التيجاني، «ص: ١٥٨».

(٢) الشيعة الفرقة الناجية، للحاج سعيد أبو معاش، «١/ ٢٩٤، ٣٤٩، ٤٤٠»، «٢/ ١٢٤، ٣٦٠، ٦٤٣»، «٢/ ١٠٠، ١٢٤، ١٤٣، ٣٦٠، ٤٩٦»، مكتبة الطالب ٤ - تفسير آيات الغدير الثلاث، لعلي الكوراني العاملي، «ص: ٩٢»، أزواج النبي وبناته، لنجاح الطائي، «ص: ٤٧»، نظريات الخليفتين، لنجاح الطائي، «١/ ٢١».

(٣) الإمام الكاظم سيد بغداد، لعلي الكوراني العاملي، «ص: ١٥٦»، أنظر أيضاً: جواهر التاريخ، لعلي الكوراني، «٢/ ٤٢١»، «٤/ ١١».

(٤) الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة، لنور الله التستري، «ص: ١٩٨»، أنظر أيضاً: أعيان الشيعة، لمحسن الأمين، «٣/ ١٥٧، ٢٩٤»، جواهر التاريخ، «٤/ ١١١»، «٥/ ٤٢»، في فضائل الإمام علي « ع » برواية أهل السنة والجماعة، لجمع من طلبة مدرسة أهل الذكر بإشراف أحمد الماحوزي، «ص: ٢٥٤»، معرفة الله، لعلي الكوراني العاملي، «ص: ٣٠».

(٥) بحار الأنوار، للمجلسي، «٤/ ١٢٣»، «٣٥/ ٣٨٤»، مرآة العقول، للمجلسي، «٢/ ١٢٣»، نور البراهين، لنعمة الله الجزائري، «٢/ ٢٢٨».

(٦) نور البراهين، لنعمة الله الجزائري، ٢/ ١٥٨، قاموس الرجال، لمحمد تقي التستري، «٩/ ٢٨٦»، «١٠/ ٢٨٢»، الأربعين في حب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب « ع »، لعلي أبو معاش، «٤/ ٦٦»، الشيعة الفرقة الناجية، لسعيد أبو معاش، «١/ ١٦٨، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨».

(٧) القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع، لشيخ الشريعة الإصبهاني، مقدمة الكتاب صفحة ح.

(٨) قاموس الرجال، لمحمد تقي التستري، «٩/ ٢٨٣»، أعيان الشيعة، لمحسن الأمين، «٣/ ٤٦٦».

- الخطيب الناصبي. [(١)]
- الناصبي محب الدين الخطيب. [(٢)]
- ابن العربي الناصبي. [(٣)]
- ابن الجوزي الناصبي. [(٤)]
- الشعبي الناصبي. [(٥)]

ومئات غيرهم. حتى مصنف هذا الكتاب الذي لا شأن له لم يسلم من هذا القول، كقول أحدهم: هذا الكلام مأخوذ من صفحة الناصبي فيصل نور.فهل أنت ناصبي مثله؟. [(٦)]

وقد صنف محسن المعلم كتاباً سماه "النصب والنواصب" ذكر فيه أسماء مئات الشخصيات من الصحابة رضي الله عنهم وعلماء أهل السنة رحمهم الله.

بقيت مسألة وهي القول أن المقصود بالنواصب عند الشيعة هم الخوارج وليس سائر المخالفين أو أهل السنة كما مر.

والجواب على ذلك هو ما ورد في كتب الشيعة أنفسهم من نصوص تدل على التفريق بينهما، من ذلك:

- إن كفر النواصب والخوارج ليس كفر ارتداد ولا يقبل منهم التوبة. [(٧)]

---

(١) قاموس الرجال، لمحمد تقي التستري، «٩/ ٣٩٠، ٥٥٥»، «١٠/ ١١٨».

(٢) شيخ المضيرة أبو هريرة، لمحمود أبو رية، «ص: ٢٠٠»، الشيعة الفرقة الناجية، للحاج سعيد أبو معاش، «٢/ ٢٧١».

(٣) النجم الثاقب، للنوري الطبرسي، «١/ ١٠١».

(٤) في فضائل الإمام علي « ع » برواية أهل السنة والجماعة، لجمع من طلبة مدرسة أهل الذكر، «ص: ٤٥٩».

(٥) موسوعة عبد الله بن عباس، لمحمد مهدي الخرسان، «٤/ ٢٠٠»، الهجوم على بيت فاطمة « ع »، لعبد الزهراء مهدي، «ص: ١٧٤».

(٦) الانتصار، للعاملي، «٩/ ٢٠٢».

(٧) الوافي، للفيض الكاشاني، «٢١/ ٩٥» «هـ».

- من المتّفق عليه عدم إجراء شيء من هذه الأحكام على النواصب والخوارج، والأخبار مستفيضة بكفر هؤلاء.[(١)]
- لا إشكال في نجاسة الغلاة والخوارج والنواصب.[(٢)]
- وكذا لا تجوز الصلاة على النواصب، والخوارج، والغلاة.[(٣)]
- ومنها: تسالمهم على كفر النواصب والخوارج متمسّكين لذلك بإنكارهم الضروريّ.[(٤)]
- وأمّا الأئمّة عليهم السّلام فلم يعلم معاشرتهم مع النواصب والخوارج في غير مقام التقيّة.[(٥)]
- إنّ المتيقّن من الإجماع هو كفر النواصب والخوارج.[(٦)]
- أن الكفار قسمان: أحدهما أهل الكتاب ثانيهما غيره، مثل النواصب والخوارج والغلاة والمشركين وغيرهم.[(٧)]
- أما النواصب والخوارج لعنهم الله تعالى فهما نجسان من غير توقف ذلك.[(٨)]
- رسالة في كفر النواصب والخوارج للوحيد البهبهاني، المولى محمد باقر، المتوفى ١٢٠٥ هـ.[(٩)]

---

(١) مفتاح الكرامة، لمحمد جواد العاملي، «١٢/ ٥٦٤» «ش».

(٢) مصباح الهدى في شرح عروة الوثقى، لمحمد تقي الآملي، «١/ ٤٠٧».

(٣) مستند الشيعة، للنراقي، «٦/ ٢٧٠».

(٤) مصباح الفقيه، لآقا رضا الهمداني، «٧/ ٢٨٢».

(٥) مصباح الفقيه، لآقا رضا الهمداني، «٧/ ٢٩٠».

(٦) كتاب الطهارة، للخميني، «٣/ ٤٥٧».

(٧) نتائج الأفكار، للگلپايگاني، «ص: ٣٣».

(٨) تحرير الوسيلة، للخميني، «١/ ١١٨»، زبدة الأحكام، للخميني، «ص: ٥٢».

(٩) الذريعة، لآقا بزرگ الطهراني، «١٨/ ١٠٣».

- أنّهم قد صرّحوا في الكتب الفروعيّة بكفر النواصب والخوارج.[(١)]
- أنكر النواصب والخوارج ضرورة دينية، وهي مودة الآل التي ثبت وجوبها بصريح القرآن، والسنة المتواترة فخرجوا بذلك عن الإسلام عند الإمامية.[(٢)]

وغيرها كثير.[(٣)]

المسألة الثالثة: عقيدة النواصب

عقيدة النواصب الذين خرجوا في الكوفة ومن شاركهم في عقيدتهم الفاسدة في أهل البيت: هي بغضهم لأهل البيت وانتقاصهم وسبهم وشتمهم، وإن كانوا لا يصلون في كل ذلك إلى عقيدة الخوارج الذين يكفرون عليا-رضي الله عنه-، وبعض أهل بيته.

ولهؤلاء النواصب في إظهار بغض أهل البيت شعائر في بعض الأيام، كإظهارهم الفرح والسرور في يوم مقتل الحسين «**يوم عاشوراء**» في مقابل حزن الرافضة في ذلك اليوم، ووضعهم الأحاديث على لسان النبي ﷺ في فضل الفرح والزينة في ذلك اليوم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وصار الشيطان بسبب قتل الحسين-رضي الله عنه-يحدث للناس بدعتين: بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي وما يفضي إليه ذلك، من سب السلف ولعنهم ... ، وكذلك بدعة السرور والفرح، وكانت الكوفة بها قوم من الشيعة المنتصرين للحسين، وكان رأسهم المختار بن أبي عبيد الكذاب، وقوم من الناصبة المبغضين لعلي-رضي الله عنه-وأولاده، ومنهم: الحجاج بن يوسف الثقفي.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**سيكون في ثقيف كذاب ومبير**»[(٤)]؛ فكان

---

(١) الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب، ليوسف البحراني، «ص: ٢٢٩».

(٢) الشيعة في الميزان، لمحمد جواد مغنية، «ص: ١١٦».

(٣) المصدر مقال بعنوان النواصب على موقع فيصل نور.

(٤) أخرجه مسلم «٢٥٤٥».

ذلك الشخص هو الكذاب، وهذا الناصبي هو المبير؛ فأحدث أولئك الحزن، وأحدث هؤلاء السرور ورووا أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته". [١]

"وهذه بدعة أصلها من المتعصِّبين بالباطل على الحسين رضي الله عنه، وتلك بدعة أصلها من المتعصِّبين بالباطل له، وكل بدعةٍ ضلالة، ولم يستحبَّ أحدٌ من أئمَّة المسلمين الأربعة وغيرهم لا هذا ولا هذا، ولا في شيءٍ من استحباب ذلك حجَّة شرعيَّة، بل المستحب يوم عاشوراء الصِّيام عند جمهور العلماء، ويستحب أن يصام معه التَّاسع، ومنهم من يكره إفراده بالصيام، كما قد بسط في موضعه". [٢]

وقال في موضع آخر: " ... وأهل الكوفة كان فيهم طائفتان: طائفة رافضة يظهرون موالاة أهل البيت، وهم في الباطن إما ملاحدة زنادقة، وإما جهال وأصحاب هوى.

وطائفة ناصبة تبغض عليا وأصحابه، لما جرى من القتال في الفتنة ما جرى ...

إلى أن قال بعد الحديث عن الرافضة: فعارض هؤلاء قوم إما من النواصب المتعصبين على الحسين وأهل بيته، وإما من الجهال الذين قابلوا الفاسد بالفاسد، والكذب بالكذب، والشر بالشر، والبدعة بالبدعة، فوضعوا الآثار في شعائر الفرح والسرور يوم عاشوراء كالاكتحال والاختضاب، وتوسيع النفقات على العيال، وطبخ الأطعمة الخارجة عن العادة، ونحو ذلك مما يفعل في الأعياد والأفراح؛ فصار هؤلاء يتخذون يوم عاشوراء موسما كمواسم الأعياد والأفراح، وأولئك يتخذونه مأتما يقيمون فيه الأحزان والأتراح، وكلا الطائفتين خارجة عن السنة". [٣]. [٤]

فالطَّرفان مبتدعان، الطَّرف الذي يجعل يوم عاشوراء يوم حزنٍ ومأتمٍ وتفريق بين الأمَّة وسبٍّ

---

(١) منهاج السنة «٤/ ٥٥٤ - ٥٥٥».

(٢) منهاج السنة النبوية «٤/ ٥٥٤-٥٥٦»، وانظر أيضًا: «٨/ ١٤٨».

(٣) الفتاوى الكبرى «٥/ ٤٧٩».

(٤) المصدر: كتاب محض الإصابة في تحرير عقيدة أهل السنة ومخالفيهم في الصحابة «ص: ٥١-٥٦».

للصحابة الكرام، والطرف الذي يقابل هذا فيجعله يوم فرح وسرورٍ، ويخصه بالاغتسال والاكتحال والتوسيع على الأهل وغير ذلك، يقول رحمه الله في بيان ذلك: "وأمّا ما يروَى في الكحل يوم عاشوراء أو الخضاب أو الاغتسال أو المصافحة أو مسح رأس اليتيم أو أكل الحبوب أو الذبح ونحو ذلك، فكل ذلك كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، **ومثل ذلك بدعة لا يستحب منه شيء عند أئمة الدين**، وما يفعله أهل البدع فيه من النياحة والندب والمأتم وسب الصحابة رضي الله عنهم هو أيضا من أعظم البدع والمنكرات، وكل بدعة ضلالة". (١)

وقال ابن تيمية: "وكذلك قد يروج على كثيرٍ ممَّن ينتسب إلى السنة أحاديثُ يظنُّونها من السنة وهي كذب، كالأحاديث المروية في فضائل عاشوراء غير الصوم، وفضل الكحل فيه، والاغتسال، والحديث، والخضاب، والمصافحة، وتوسعة النفقة على العيال فيه، ونحو ذلك، وليس في عاشوراء حديثٌ صحيح غير الصوم. **وكذلك ما يروى في فضل صلواتٍ معينة فيه**، فهذا كلُّه كذبٌ موضوعٌ باتِّفاق أهل المعرفة، ولم ينقل هذه الأحاديث أحدٌ من أئمَّة أهل العلم في كتبهم". (٢)

أما أهل السنة والجماعة فهداهم الله تعالى للحق والصواب، فلم يغلوا في علي وأهل البيت، ولم ينصبوا العداوة للصحابة-رضي الله عنهم-ولم يكفّروهم، ولم يفعلوا كما فعل النواصب من عداوة أهل البيت. بل يعترفون بحق الجميع وفضلهم، ويوالونهم، ويكفون عن الخوض فيما جرى بينهم، ويترحَّمون على جميع الصحابة، فكانوا وسطًا بين غلو الرافضة وجفاء الخوارج(٣)

قال العلامة أبو جعفر الطحاوي: "هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة، أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري،

---

(١) مجموع الفتاوى «٢٥/ ٣٠١، ٣٠٩ - ٣١٠».

(٢) منهاج السنة النبوية «٧/ ٤٣٣».

(٣) انظر الكواشف الجلية عن معاني الواسطية» لعبد العزيز السلمان «ص: ٥٠٥-٥٠٨».

وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني الوائلي"، ثم قال: "ونثبت الخلافة بعد رسول الله–صلى الله عليه وسلم–أولا لأبي بكر الصديق، تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب، ثم لعثمان بن عفان، ثم لعلي بن أبي طالب، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون". [١]

فأهل السنة والجماعة يتميزون بالوسطية والاعتدال بين الفرق الأخرى التي تقف على طرفي نقيض؛ والحق بين هذا وذاك، وتلكم هي الوسطية والطريقة السوية.

---

(١) العقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي.



٧٩- الكف عما شجر بين الصحابة

[٧٩]- قال المصنف رحمه الله: «**وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ المَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ**».

الشرح

ثم قال المصنف رحمه لله: «**وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ المَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ**».

إذ حاول الرَّوافض دسَّ شيءٍ كثير من المرويات المغلوطة التي كذبوا فيها على أصحاب النبي ﷺ، وشحنوا بها كتب التاريخ، ومن يَكذب على الله وعلى رسوله ﷺ فليست بغريب أن يكذب على أصحاب النبي ﷺ.

وقال المصنف: «**وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ**».

فإن صح شيء من الأحداث المروية عنهم فهم معذورون فيها، فهم بين مجتهد مصيب، فله أجران، أو مجتهد مخطئ فله أجرٌ واحدٌ.

عن عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-«**ت: ١٠١ هـ**»، أنه سئل عما جرى بين الصحابة، فقال لهم: "هذه دماء طهر الله سيوفنا منها؛ فنحن نطهر ألسنتنا منها"(١)

قال القرطبي-رحمه الله-«**ت: ٦٧١ هـ**»: "لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة ولنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم"(٢)

---

(١) فتح المغيث للسخاوى «٣/ ٩٦».

(٢) "تفسير القرطبي" «١٦/ ٣٢١».

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "الآثار المروية فيما وقع بين الصحابة-رضي الله عنهم-تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- منها ما هو كذب.

٢- ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهته.

٣- والصحيح منها هم فيه معذورون أما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون"[١]

ولهم-رضي الله عنهم-من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم.

قال الذهبي-رحمه الله-«**ت: ٧٤٨ هـ**»: "كما تقرر الكف عن كثير مما تشجر بينهم وقتالهم-رضي الله عنهم-أجمعين وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب... فينبغي طيه وإخفاءه، بل إعدامه لتصفوا القلوب وتتوفر على حب الصحابة والترضي عنهم وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء". إلى أن قال: "فأما ما نقله أهل البدع في كتبهم من ذلك فلا نعرج عليه ولا كرامة فأكثره باطل وكذب وافتراء"[٢]

قال الذهبي-رحمه الله-«**ت: ٧٤٨ هـ**»: "فبالله كيف يكون حال من نشأ في إقليم لا يكاد يشاهد فيه إلا غاليًا في الحب مفرطًا في البغض ومن أين يقع له الإنصاف والاعتدال؟! فنحمد الله على العافية الذين أوجدنا في زمان قد أنمحص فيه الحق وأتضح من الطرفين وعرفنا مآخذ كل واحد من الطائفتين وتبصرنا فعذرنا واستغفرنا وأحببنا باقتصاد وترحمنا على البغاة بتأويل سائغ في الجملة أو بخطأ إن شاء الله مغفور وقلنا كما علمنا الله ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا وترضينا أيضا عمن اعتزل الفريقين كسعد بن أبي وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة وسعيد بن زيد وخلق وتبرأنا من الخوارج

---

(١) انظر الواسطية لابن تيمية «ص: ١٢٠».

(٢) السير «١٠/ ٩٢-٩٣».

الذين حاربوا علياً وكفروا الفريقين"[١]

عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**»، قال: "لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون"[٢]

روى الخطابي من طريق حمزة بن الحارث الدهان قال: حدثنا عبد الله بن روح المدائني قال: حدثنا يحي بن الصامت قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن الأعمش عن أبي راشد قال: جاء رجل من أهل البصرة إلى عبيد الله بن عمر، فقال: إن رسول إخوانك من أهل البصرة إليك فإنهم يقرءونك السلام ويسألونك عن أمر هذين الرجلين علي وعثمان وما قولك فيهما. فقال: هل غير. قال: لا. قال: جهزوا الرجل فلما فرغ من جهازه قال: أقرأ – عليهم السلام – وأخبرهم أن قولي فيهم: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: الآية: ١٤١]. [٣]

عن شهاب بن خراش بن حوشب-رحمه الله-«**ت: قبل: ١٨٠ هـ**» ابن أخي العوام بن حوشب قال: "أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة وهم يقولون: اذكروا محاسن أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ما تأتلف عليه القلوب، ولا تذكروا الذي شجر بينهم فتحرشوا الناس عليهم"[٤]

وقيل للإمام أحمد-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية – رحمهما الله –؟ قال: ما أقول فيها إلا الحسنى-رحمهم الله-أجمعين"[٥]

---

(١) السير «٣/ ١٢٨».

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد «١/ ٦٩»، «٢/ ١١٥٢». والإبانة لابن بطة «٢٩٤». وانظر: الصارم المسلول «٣/ ١٠٧١».

(٣) كتاب العزلة «٤٤».

(٤) رواه ابن عدي في الكامل «٤/ ٣٤» ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق «٢٢/ ٢١٥»، وله طريق آخر. فرواه الخلال في السنة «ص: ٥١٣» عن العوام بن حوشب قال: اذكروا محاسن أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-تأتلف عليه قلوبكم، ولا تذكروا غيره فتحرشوا الناس عليهم.

(٥) رواه الخلال في السنة «٢/ ٤٦٠»، وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد «١٦٤». وسنده صحيح.

وفي ترجمة الحسن بن إسماعيل الربعي: قال. قال لي أحمد بن حنبل-رحمه الله-«**ت**: **٢٤١ هـ**»، إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة: - "أجمع تسعون رجلًا من التابعين وأئمة المسلمين، وأئمة السلف، وفقهاء الأمصار على: .... والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأفضل الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم-أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عم رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، والترحم على جميع أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وأزواجه، وأصهاره-رضوان الله عليهم أجمعين- فهذه السنة الزموها، تلموا أخذها هدى، وتركها ضلالة"(١)

عن أبي القاسم إسحاق بن إبراهيم بن آزر الفقيه «**ت**: **٢٧٥ هـ**» حدثني أبي قال: حضرت أحمد بن حنبل-رحمه الله-«**ت**: **٢٤١ هـ**»، وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية فأعرض عنه. فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه. فقال: أقرأ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: الآية: ١٤١]"(٢)

قال اللالكائي-رحمه الله-«**ت**: **٤١٨ هـ**»: "أخبرنا محمد بن المظفر المقري قال: حدثنا الحسين بن محمد بن حبش المقري قال: حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: سألت أبي «**ت**: **٢٧٧ هـ**»، وأبا زرعة-رحمه الله-«**ت**: **٢٦٤ هـ**» عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك. فقالا: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً فكان من مذهبهم الإيمان قول وعمل يزيد وينقص والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته والقدر خيره وشره من الله-عز وجل- وخير هذه الأمة بعد نبيها-عليه الصلاة والسلام-أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم

(١) طبقات الحنابلة «١/ ٣٤٩».

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد «٦/ ٤٤»، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق «٥٩/ ١٤١»، وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة «١/ ٢٥١».

عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب-عليهم السلام-، وهم الخلفاء الراشدون المهديون وأن العشرة الذين سماهم رسول الله وشهد لهم بالجنة على ما شهد به رسول الله وقوله الحق والترحم على جميع أصحاب محمد والكف عما شجر بينهم..."(١)

وقال البربهاري-رحمه الله-«**ت: ٣٢٩ هـ**»: "والكف عن حرب علي ومعاوية وعائشـــة وطلحة والزبير-رحمهم الله-أجمعين ومن كان معهم ولا تخاصـم فيهم وكل أمرهم إلى الله-تبارك وتعالى-"(٢)

قال ابن بطة-رحمه الله-«**ت: ٣٨٧ هـ**»: "ومن بعد ذلك نكف عما شـــجر بين أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سـيكون منهم وأنهم سـيقتتلون وإنما فضـلوا على سـائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وضـع عنهم وكل ما شـجر بينهم مغفور لهم ولا تنظر في كتاب صـفين والجمل ووقعة الدار وسـائر المنازعات التي جرت بينهم ولا تكتبه لنفســك ولا لغيرك ولا تروه عن أحد ولا تقرأه على غيرك ولا تسـمعه ممن يرويه فعلى ذلك اتفق سـادات علماء هذه الأمة من النهي عما وصـفناه منهم: حماد بن زيد ويونس بن عبيد وسـفيان الثوري وسـفيان بن عيينة وعبدالله بن إدريس ومالك بن أنس وابن أبي ذئب وابن المنكدر وابن المبارك وشـعيب بن حرب وأبو إسـحاق الفزاري ويوسـف بن أسـباط وأحمد بن حنبل وبشـر بن الحارث وعبدالوهاب الوراق. كل هؤلاء قد رأوا: النهي عنها والنظر فيها والاسـتماع إليها وحذروا من طلبها والاهتمام بجمعها. وقد روى عنهم فيمن فعل ذلك أشـياء كثيرة بألفاظ مختلفة المعاني على كراهية ذلك والإنكار على من رواها واستمع إليها"(٣)

---

(١) أصول اعتقاد أهل السنة «ص: ٣٢١».

(٢) شرح السنة «ص: ١٠٢».

(٣) كتاب الإبانة «ص: ٢٩٤».

قال الإمام الصابوني-رحمه الله-«**ت: ٤٤٩ هـ**»: "ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبًا لهم ونقصًا فيهم"[(١)]

يقول الإمام الآمدى-رحمه الله-«**ت: ٦٣١ هـ**»: "فالواجب أن يحمل كل ما جرى بينهم من الفتن على أحسن حال، وإن كان ذلك إنما لما أدى إليه اجتهاد كل فريق من اعتقاده أن الواجب ما صار إليه، وأنه أوفق للدين وأصلح للمسلمين.

وإلا فجمهور الصحابة وسادتهم تأخروا عن تلك الفتن والخوض فيها كما قال محمد بن سيرين-رحمه الله-«**ت: ١١٠ هـ**»: "هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-عشرة آلاف فما حضر منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين". وإسناد هذه الرواية كما قال ابن تيمية أصح إسناد على وجه الأرض"[(٢)]

وعلى هذا فالذى خاض فى تلك الفتن من الصحابة إما أن يكون كل مجتهد مصيبًا، أو أن المصيب واحد، والآخر مخطئ في اجتهاده مأجور عليه.

وعلى كلا التقديرين، فالشهادة والرواية من الفريقين لا تكون مردودة، إما بتقدير الإصابة فظاهر، وإما بتقدير الخطأ مع الاجتهاد فبالإجماع"[(٣)]

يقول الإمام الجويني-رحمه الله-«**ت: ٤١٩ هـ**»: "أما التوقف في تعديل كل نفر من الذين لابسوا الفتن، وخاضوا المحن، ومتضمن هذا، الانكفاف عن الرواية عنهم، فهذا باطل من دين الأمة، وإجماع العلماء على تحسين الظن بهم، وردهم إلى ما تمهد لهم من المآثر

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث «ص: ٢٩٤».

(٢) منهاج السنة «٣/ ١٨٦».

(٣) الإحكام للآمدى «٢/ ٨٢» بتصرف وانظر: فواتح الرحموت «٢/ ١٥٥-١٥٦»، والبحر المحيط «٤/ ٢٩٩»، وإرشاد الفحول «١/ ٢٧٥»، والباعث الحثيث «ص: ١٥٤»، وعقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام للدكتور ناصر الشيخ مبحث "الحرب التى دارت بين على بن أبي طالب، وبعض الصحابة-رضى الله عنهم-وموقف أهل السنة منها" «٢/ ٧٠٠ – ٧٤٨»، وانظر: الرد القويم على المجرم الأثيم للشيخ التويجرى «ص: ١٨٢-١٨٤».

بالسبيل السابقة، وهذا من نفائس الكلام"[١]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "ولهذا كان من مذاهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم، وما وقع: منه ما يكون لهم فيه عذر يخفى على الإنســان، ومنه ما تاب صــاحبه منه، ومنه ما يكون مغفورا، فالخوض فيما شــجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضــا وذما، ويكون هو في ذلك مخطئا، بل عاصــيا، فيضــر نفســه، ومن خاض معه في ذلك.. ولهذا كان الإمســاك طريقة أفاضــل السلف"[٢]

قال ابن حجر العســقلاني-رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**»: "واتفق أهل الســنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا الله – تعالى –عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً وأن المصيب يؤجر أجرين"[٣]

---

(١) البرهان فى أصول الفقه «١/ ٢٤١، ٢٤٢».

(٢) منهاج السنة النبوية «٤/ ٤٤٨-٤٤٩».

(٣) الفتح «١٣/ ٣٧».

٨٠- القول بعدالة الصحابة لا يعني عصمتهم

[٨٠] - قال المصنف رحمه الله: وَهُم مَّعَ ذَلِكَ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الجُمْلَةِ، وَلَهُم مِنَ السَّوَابِقِ وَالفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ- إِنْ صَدَرَ-، حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُم مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لاَ يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِنَ الحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

الشرح

أهل السنة لا يعتقدون أنَّ كل واحد من الصحابة معصوم، فالعصمة لرسول الله ﷺ في تبليغ ما بَلَّغه عن ربه، أمَّا أصحابه فشأنهم كشأن سائر الأمة ليسوا بمعصومين، بل إن الذنوب قد تقع منهم كبائرها وصغائرها، ولكن لهم من السوابق ومن الفضائل ما يوجب مغفرة ما قد يَصدر عنهم- إن صدر- حتى إنَّه يُغفر لهم من السيئات ما لا يُغفر لِمَن بعدهم؛ لأن الله مَنَّ عليهم بفضل من الحسنات عظيم.

وإليك بعض النقولات من العلماء التي تؤكد أن عدالة الصحابة لا تعني عصمتهم:

قال ابن حزم-رحمه الله-«**ت: ٤٥٦ هـ**»: "الصحابة كلهم عدول، ولكنهم غير معصومين من الخطأ، فقد يقع منهم ما يُخالف الصواب، ويجب التفريق بين العدالة والعصمة"(١)

قال البيهقي-رحمه الله-«**ت: ٤٥٨ هـ**»: "الصحابة كلهم عدول، ولكنهم غير معصومين من الخطأ، فقد يقع منهم الخطأ والزلل، ولكن يُغفر لهم باجتهادهم"(٢)

قال ابن عبد البر-رحمه الله-«**ت: ٤٦٣ هـ**»: "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، ولكنهم عدول في روايتهم، وما شجر بينهم مغفور لهم، لأنهم مجتهدون"(٣)

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، «١/ ٨٩».

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى، «١/ ١٨٧».

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، «١/ ١١».

وقال الخطيب البغدادي-رحمه الله-«**ت: ٤٦٣ هـ**»: "عدالة الصـــحابة ثابتة ومعلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: الآية: ١١٠]،

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُـهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُـولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: الآية: ١٤٣].

وهذا اللفظ وإن كان عاما فالمراد به الخاص وقيل: هو وارد في الصحابة دون غيرهم.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِـيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّـجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: الآية: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّـــابِقُونَ السَّـــابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّات النَّعِيم﴾ [الواقعة: الآيات: ١٠-١٢].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْـــبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: الآية: ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: الآيات: ٨- ٩].

في آيات يكثر إيرادها، ويطول تعدادها.

ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة مثل ذلك، وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم....

وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم

مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له ...

على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين.

وهذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء"(١)

قال القاضي عياض-رحمه الله-«**ت: ٥٤٤ هـ**»: "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، ولكنهم عدول، وما وقع منهم يُغفر لهم باجتهادهم وإخلاصهم"(٢)

قال ابن عساكر-رحمه الله-«**ت: ٥٧١ هـ**»: "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، ولكن عدالتهم ثابتة، وما وقع منهم يُغفر لهم باجتهادهم"(٣)

قال الإمام النووي-رحمه الله-«**ت: ٦٧٦ هـ**»: "اتفق أهل السنة على أن الصحابة كلهم عدول، ولكن ليس معنى ذلك أنهم معصومون من الخطأ والذنوب، بل يُحتمل منهم الذنوب والخطايا، ولكنهم لا يتعمدون الكذب في الرواية"(٤)

قال الإمام النووي-رحمه الله-«**ت: ٦٧٦ هـ**»: شرحًا للحديث: "وما شجر بينهم مغفور لهم، لأنهم عدول في نقل الدين، والاجتهاد مغفور خطؤه"(٥)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "الصحابة ليسوا معصومين من الذنوب، بل يُغفر لهم ما اجتهدوا فيه وأخطأوا، فإن الله يغفر لهم باجتهادهم، وعدالتهم لا تعني

---

(١) الكفاية في علم الرواية «ص: ٩٣-٩٦».

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، «٢/ ٨٣».

(٣) تاريخ دمشق، «٢/ ٣٢٤».

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، «١٥/ ١٤٩».

(٥) الأربعين النووية، شرح الحديث رقم: «٨».

العصمة"[١]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، بل يُحتمل منهم ما يُحتمل من غيرهم من البشر، ولكن عدالتهم ثابتة بالإجماع"[٢]

قال الذهبي–رحمه الله–«ت: ٧٤٨ هـ»: "الصحابة ليسوا معصومين، بل يُحتمل منهم الخطأ، ولكنهم عدول في روايتهم، وعدالتهم لا تعني العصمة من الزلل"[٣]

قال الذهبي–رحمه الله–«ت: ٧٤٨ هـ»: "كل من يُثبت للصحابة العصمة فقد غلط، فإنهم بشر يُصيبون ويُخطئون، وعدالتهم لا تعني العصمة من الذنوب"[٤]

قال الذهبي–رحمه الله–«ت: ٧٤٨ هـ»: "الصحابة ليسوا بمعصومين، بل يُحتمل منهم الخطأ والزلل، ولكنهم عدول في نقل الدين ورواية الحديث"[٥]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، بل لهم من الحسنات ما يُكفر سيئاتهم، وهم عدول فيما نقلوه، ولكن هذا لا يعني العصمة"[٦]

قال ابن كثير–رحمه الله–«ت: ٧٧٤ هـ»: "الصحابة كلهم عدول، وليسوا بمعصومين من الخطأ والزلل، ولكن اجتهادهم مغفور لهم، وذنوبهم مغمورة في بحار حسناتهم"[٧]

قال الشاطبي–رحمه الله–«ت: ٧٩٠ هـ»: "ليس معنى عدالة الصحابة أنهم معصومون من الخطأ والذنوب، بل هم بشر، يُحتمل منهم ما يُحتمل من غيرهم، ولكن يُغفر لهم

---

(١) منهاج السنة النبوية، «٤/ ٥٤٨».

(٢) مجموع الفتاوى، «٢٨/ ٣١١».

(٣) ميزان الاعتدال، «١/ ٤».

(٤) تذكرة الحفاظ، «١/ ٣».

(٥) سير أعلام النبلاء، «١/ ١٢».

(٦) إعلام الموقعين، «١/ ٧٨».

(٧) البداية والنهاية، «٨/ ٢٢١».

باجتهادهم، وما شجر بينهم مغفور لهم"[١]

قال ابن حجر العسقلاني-رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**»: "الصحابة كلهم عدول، وما شجر بينهم مغفور لهم، لأنهم مجتهدون، ولكن لا يعني ذلك أنهم معصومون من الخطأ، بل قد يقع منهم الخطأ والزلل"[٢]

قال ابن حجر العسقلاني-رحمه الله-«**ت: ٨٥٢ هـ**»: "الصحابة ليسوا معصومين، بل يُحتمل منهم الخطأ والزلل، ولكنهم عدول في نقل الحديث وما وقع منهم يُغفر باجتهادهم"[٣]

قال السيوطي-رحمه الله-«**ت: ٩١١ هـ**»: "اتفق أهل السنة والجماعة على عدالة الصحابة، ولكن ذلك لا يعني العصمة من الخطأ والمعاصي، فإن العصمة خاصة بالأنبياء"[٤]

قال الشوكاني-رحمه الله-«**ت: ١٢٥٠ هـ**»: "عدالة الصحابة ثابتة بالإجماع، ولكنها لا تعني العصمة من الخطأ، فقد يقع منهم الخطأ والزلل، ولكن يُغفر لهم باجتهادهم"[٥]

هذه النقولات تؤكد أن عدالة الصحابة لا تعني العصمة، وأنهم قد يخطئون ويزلّون كغيرهم من البشر، ولكن يُغفر لهم ذلك بسبب اجتهادهم وعدالتهم في نقل الحديث والدين.

---

(١) الاعتصام، «٢/ ١٨٩».

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، «١/ ١٠».

(٣) فتح الباري «٧/ ٨٢».

(٤) تدريب الراوي، «٢/ ٢١٤».

(٥) نيل الأوطار، «١/ ٣٨».

٨١- السلف الصالح خير القرون

[٨١]- قال المصنف رحمه الله: وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ المدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ إذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ ذلك الذنب.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ المحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالخَطَأُ مغْفُورٌ.

ثُمَّ إنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإيمان بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالعِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَن نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِهِ مِنَ الفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لاَ كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ.

الشرح

قول المصنف رحمه الله: «**ثم إن كان قد صدر من أحدهم ذنبٌ؛ فإمَّا أن يكون قد تاب منه، أو أنَّ له من الحسنات ما يمحو هذا الذنب، أو يَغفر الله له بفضل سابقته، أو بشفاعة النبي ﷺ؛ لأنهم أحق الناس بشفاعته، أو يُبتلى ببلاء في الدنيا يُكَفر به عنه**» ذلك الذَّنب.

وهذا يُقال في موتى المسلمين من غير أصحاب النبي ﷺ، فمن مات على الإسلام نرجو له النجاة من النار والفوز بالجنة وإن كان عنده سيئات؛ فلعل له حسنة تمحو جميع سيئاته، وربما قد عمل عملًا خفية يغفر الله له به؛ ألم يغفر الله لبغي؛ لأنها سقت كلبًا(١)، فما بالنا

(١) أخرجه البخاري «٣٤٦٧» ومسلم «٢٢٤٥» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «بينما كلب يطيف بركية، كاد يقتلُه العطش، إذ رأته بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل، فنزعت مُوقها فَسَقته؛ فغفر لها به». والركية: البئر. والموق: ما يلبس فوق الخُفّ.

بأصحاب الفضل الذين قال الله فيهم: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال عن أهل بيعة الرضوان: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

فأخبر الله بأنه رضي عنهم، وهؤلاء الروافض يقولون بردَّتِهم! وما هذا إلا أضل الضلال.

وهكذا طريقة النَّواصب الذين آذوا آلَ البيت بقولٍ أو فِعل؛ فكل مَن آذى آلَ البيت بقول أو فعل فنحن نتبرأ منهم ومن معتقدهم وقولهم وفِعلهم.

وما شجر بين أصحاب النبي ﷺ فنحن نُمسك عن الخوض فيه، ونعلم أن ما صَحَّ وثبت منه فهو لا يُعد شيئًا في بحار حسناتهم، فحسناتهم وفضائلهم جليلة قد توافرت النصوص على إثباتها، وأنَّ ما وقع من القتال بينهم ما أرادوه.

إذ هم أصحاب المواقف الناصعة التي نصروا بها النبي ﷺ، ودافعوا عن الدين بأنفسهم وأموالهم وأهليهم، وأبلوا بلاءً حسنًا في نشره.

ثم ذكر المصنف أنَّ لهم من السيرة مَن نَظَرَ فِيها بِعِلم وبصيرة، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِهِ مِن الفضائِل؛ علم يقينًا أنهم خَيْرُ الخلق بعد الأَنْبِيَاءِ؛ وأنه لا كان وَلا يكون مثلُهم، لما قَدَّموه للإسلام، فما جاء ولن يجيء بعدهم مثلهم، ولن يستطيع أحد أن يفعل فعلهم، فهم صفوَةُ الصَّفوة مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ.

فإذا كانت الأمة خير الأمم والصحابة خير هذه الأمة، فكيف يكون قَدْرُهم؟! وكيف تكون منزلتهم؟! رضي الله عنهم أجمعين.

وقد بَيَّن شيخُ الإسلام رحمه الله الفارق بين أهل السنة وبين أهل الأهواء فقال: «**الخوارج تُكَفِّر أهل الجماعة، وكذلك أكثر المعتزلة يُكَفِّرون مَن خالفهم، وكذلك أكثر الرافضة، ومَن لم يُكَفِّر فَسَّق. وكذلك أكثر أهل الأهواء يَبتدعون رأيًا، ويُكَفِّرون مَن خالفهم فيه، وأهل السنة يَتَّبعون الحقَّ مِن ربهم الذي جاء به الرسول، ولا يُكَفِّرون مَن خالفهم فيه، بل**

هم أعلم بالحقِّ وأرحم بالخلق، كما وصف الله به المسلمين بقوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران ١١٠] . قال أبو هريرة: كنتم خير الناس للناس.

وأهل السنة نقاوة المسلمين، فهم خير الناس للناس».

ثم قصَّ شيخُ الإسلام بعضًا من مواقف الروافض المخزية أيام التتار، فقال: «**وقد علم أنه كان بساحل الشام جبل كبير، فيه أُلوف من الرافضة يسفكون دماء الناس، ويأخذون أموالهم، وقتلوا خلقًا عظيمًا وأخذوا أموالهم، ولما انكسر المسلمون سنة غازان**[١]، **أخذوا الخيل والسلاح والأسرى وباعوهم للكفار النصارى بقبرص، وأخذوا مَن مَرَّ بهم من الجند، وكانوا أضرَّ على المسلمين من جميع الأعداء، وحمل بعض أمرائهم راية النصارى، وقالوا له: أيما خير: المسلمون أو النصارى؟ فقال: بل النصارى. فقالوا له: مَع مَن تُحشر يوم القيامة؟ فقال: مع النصارى. وسَلَّموا إليهم بعض بلاد المسلمين»**[٢].

فنسأل الله العفو والعافية من هذه الآراء والضلالات، ونسأله الثبات على الحقِّ حتى المِمات.

وهم كذلك خير القرون، كما قال ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»**[٣].

فهذه «**الخيرية**» التي شهد النبي ﷺ بها لهذه القرون الثلاثة- تدلُّ على تفضيلهم وسبقهم وجَلَالة قدرهم وسَعَة علمهم بشرع الله، وشدة تمسكهم بسنة رسوله ﷺ.

وكذلك تقدم في الحديث قوله ﷺ: «**لا تسبُّوا أصحابي، لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيدِه لو أنَّ أحدَكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا، ما أدرك مُدَّ أحدهم، ولا نصيفَه»**[٤]، قال الحافظُ ابن حجر: «**قال البيضاوي: معنى الحديث: لا ينال أحدُكم بإنفاق مثل أُحُدٍ ذهبًا**

---

(١) هي سنة ٦٩٩. وغازان: هو خان التتار السابع للإمبراطورية المنغولية.

(٢) «منهاج أهل السنة» «٥/ ١٥٨، ١٥٩».

(٣) أخرجه البخاري «٢٦٥٢» ومسلم «٢٥٣٣».

(٤) أخرجه البخاري «٣٦٧٣» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومسلم «٤٦٥٨» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من الفضل والأجر ما يَنال أحدُهم بإنفاق مُدِّ طعام أو نصيفه. وسبب التفاوت: ما يقارن الأفضل مِن مَزيد الإخلاص وصدق النية. قلت-: أي- ابن حجر-: وأعظم من ذلك في سبب الأفضلية: عِظم موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه، وأشار بالأفضلية بسبب الإنفاق إلى الأفضلية بسبب القتال، كما وقع في الآية: ﴿مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]، فإنَّ فيها إشارة إلى موقع السبب الذي ذكرتُه، وذلك أن الإنفاق والقتال كان قبل فتح مكة عظيمًا؛ لشدة الحاجة إليه وقِلَّة المُعتني به، بخلاف ما وقع بعد ذلك؛ لأن المسلمين كثروا بعد الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجًا، فإنه لا يقع ذلك المَوقع المتقدم»[١].

والقول الصَّحيح المشهور الذي عليه جمهور أهل السنة: هو أن المقصود بالسلف الصالح هم القرون الثلاثة المفضلة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية، حيث قال: «**خيرُ القرون القرن الذي بُعثت فيهم، ثم الذين يَلونهم، ثم الذين يَلونهم**»[٢]، فالسَّلف الصَّالح هم الصحابة والتَّابعون وتابعو التَّابعين، وكلُّ مَن سلك سبيلهم وسار على نَهجهم فهو سلفيٌّ نسبة إليهم.

والسَّلفية: هي المنهج الذي سار عليه النبي ﷺ والقرون المفَضَّلة من بعده والذي أخبر النبي ﷺ بأنه باق إلى أن يأتي أمر الله، لحديث: «**لا تَزال طائفةٌ مِن أُمَّتي ظاهرين على الحقِّ لا يَضرهم مَن خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»[٣].

فيَصح الانتساب إلى هذا المنهج متى التزم الإنسان بشروطه وقواعده، فكل مَن حافظ على سلامة العقيدة طبقًا لفهم القرون الثلاثة المفضلة فهو ذو نهج سلفي.

ويمكن حصرُ ركائز وقواعد المنهج السلفي على سبيل الاختصار في النقاط التالية:

أولًا: ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها.

ثانيًا: التقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث،

---

(١) «فتح الباري» «٧/ ٣٤، ٣٥».

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري «٥/ ١٩٩»، «١١/ ٤٦٠»، ومسلم «٧/ ١٨٤، ١٨٥».

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» «٣/ ١٥٢٣».

وذلك يتم بـ:

أ- الاجتهاد في تمييز صحيحِه مِن سَقِيمه.

ب- الاجتهاد في الوقوف على معانيه وتفَهُّمِه[(١)] .

ثالثًا: العمل بذلك والاستقامة عليه اعتقادًا وتفكيرًا وسلوكًا وقولًا، والبعد عن كل ما يخالفه ويناقضه.

رابعًا: الدعوة إلى ذلك باللِّسان والبَنان.

فمن التزم هذه القواعد في الاعتقاد والعمل فهو على النَّهج السلفي بإذن الله.

د- الأدلة على وجوب اتباع السلف الصالح ولزوم منهجهم:

أولاً: من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

فرضي عز وجل عن السَّابقين الأولين رضاءً مطلقًا، ورضي عن التابعين لهم بإحسان، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾.

فتَوَعَّد الله مَن اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد في الآية السابقة متبعهم بالرضوان.

ثانيًا: الأدلة من السنة:

١- قوله ﷺ: «**خيرُ النَّاس قَرْني، ثم الذين يَلُونهم، ثم الذين يلونهم**»[(٢)] .

فهذه «**الخيرية**» التي شهد النبي ﷺ بها لهذه القرون الثلاثة تدل على تفضيلهم وسبقهم وجلالة قدرهم وسَعة عِلمهم بشرع الله، وشدة تمسكهم بسنة رسوله ﷺ، وهذا ما تؤكده الأحاديث التالية.

---

(١) «بيان فضل السلف على الخلف» لابن رجب «ص ١٥٠- ١٥٢»، و«أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي «١/ ٩، ١٠».

(٢) أخرجه البخاري ١٩٩/٥، ٦/٧، ٤٦٠/١١، وأخرجه مسلم ١٨٤/٧، ١٨٥.

٢- قوله ﷺ: «**افترقت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النَّصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه ا لأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النَّار إلا واحدة**». قيل: مَن هي يا رسول الله؟ قال: «**مَن كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»، حديث صحيح مشهور[(١)].

٣- قوله ﷺ: «... **فإنَّه مَن يَعِش بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المَهديين مِن بعدي؛ فتمسكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[(٢)].

فحَثَّ ﷺ بأن يتَّبعوا سنته وسنة من بعده من الخلفاء الراشدين، عند وقوع التفرق والاختلاف.

ثالثًا: من أقوال السلف الصالح وأتباعهم:

عن عبد الله بن مسعود ﭬ قال: «**إنَّا نَقتدي ولا نَبتدي، ونَتَّبع ولا نبتدع، ولن نَضل ما تمسكنا بالأثر**»[(٣)].

وعنه ﭬ قال: «**اتَّبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفِيتم**»[(٤)].

وقال الأوزاعي: «**اصبر نفسك على السُّنَّة، وقِفْ حيث وَقَفَ القومُ، وقل بما قالوا، وكُفَّ عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنَّه يَسعك ما وسعهم**»[(٥)].

وقيل لأبي حنيفة رحمه الله: «**ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض**

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٥٩٦، ٤٥٩٧، والترمذي ٢٦٤٠، ٢٦٤١، والإمام أحمد ٢/٣٣٢، ٣/١٢٠، ١٤٥، ٤/١٢٠، وابن ماجه ٣٩٩١- ٣٩٩٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٤/١٢٦، ١٢٧، وأبو داود ٤٦٠٧، والترمذي ٢٦٧٦، والدارمي ١/٤٤، وغيرهم.

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي «ح١١٥».

(٤) «البدع والنهي عنها» لابن وضَّاح ص١٣.

(٥) «الشريعة» للآجري ص ٥٨.

والأجسام؟

قال: مقالات الفلاسفة، عليكَ بالأثرِ وطريقة السَّلَف، وإيَّاك وكلَّ محدثة؛ فإنها بدعة»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله: أن يكون أصلُ قصده توحيد الله بعبادته وحدة لا شريك له وطاعة رسوله، يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخص انتصارًا مطلقًا عامًّا إلا لرسول الله ﷺ، ولا لطائفة انتصارًا مطلقًا عامًّا إلا للصحابة ۞ أجمعين. فإن الهدي يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا، فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم من العلماء، فإنهم قد يُجمعون على خطأ، بل كل ما قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون إلا خطأ، فإن الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مُسَلَّمًا إلى عالم واحد وأصحابه، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيرًا لرسول الله ﷺ، وهو شبيه بقول الرافضة في الإمام المعصوم.

ولابد أن يكون الصحابة والتابعون يَعرفون ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول، قبل وجود المتبوعين الذين تُنسب إليهم المذاهب في الأصول والفروع، ويمتنع أن يكون هؤلاء جاءوا بحقٍّ يخالف ما جاء به الرسول، فإن كل ما خالف الرسول فهو باطل، ويمتنع أن يكون أحدهم عَلِم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فإن أولئك لم يجتمعوا على ضلالة، فلابد أن يكون قوله- إن كان حقًّا- مأخوذًا عما جاء به الرسول، موجودًا فيمن قبله، وكل قول قيل في دين الإسلام، مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون- لم يَقله أحدٌ منهم بل قالوا خلافه- فإنَّه قول باطل»[٢].

---

(١) «صون المنطق» للسيوطي ٣٢٢.

(٢) منهاج السنة ٥/٢٦٢-٢٦٣



٨٢- منهج أهل السنة والجماعة في كرامات الأولياء

[٨٢]- قال المصنف رحمه الله: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِم مِنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ العُلُومِ وَالمكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ القُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ.

كَالمأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

الشرح

من أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجَمَاعَة التي خالفوا بها أهلَ البِدع: التَّصديق بكرامات الأولياء، وما يُجريه اللهُ على أيديهم من خوارق العادات.

وأما أهل البدع فكعادتهم بين الإفراط والتفريط والغُلو والجفاء؛ فمنهم مَن أنكر كرامات الأولياء، ومِنهم مَن عدَّ فِعل السَّحرة والفَسَقة والملاحدة مِن الكرامات.

وأولياء الله: هم كلُّ مَن جمع بين الإيمان والتقوى؛ فكل مؤمن تقي فهو لله وليٌّ؛ قال الله تَعَالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ «٦٢» الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ «٦٣»﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: «**وإذا كان أولياءُ الله هم المؤمنون المُتَّقون، فبحسبِ إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى؛ فَمَن كان أكمل إيمانًا وتقوى كان أكملَ ولاية لله، فالناس مُتَفاضلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى**»[1].

وكراماتُ الأولياء ما حَصَلَت إلَّا باتِّباع النبي ﷺ؛ قال شيخُ الإسلام: «**وكراماتُ أولياء الله إنَّما حَصَلَت ببركة اتِّباع رسولِه ﷺ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ**»[2]، وقال أيضًا رحمه الله: «**فمن اعتقد أنَّ لأحدٍ من الأولياء طريقًا إلى الله غير متابعة محمَّد ﷺ،**

(١) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» «ص٢٤».

(٢) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» «ص١٢٠».

فهو كافرٌ من أولياء الشيطان»[١].

وقد ذكر العلَّامة ابن عُثَيمين رحمه الله أنَّ للكراماتِ دلالاتٍ، فقال: «**وهذه الكَرَاماتُ لها أربع دلالات:**

أَوَّلًا: بيان كمال قُدرة الله عز وجل حيث حَصَل هذا الخارق للعادة بأمر الله.

ثانيًا: تكذيب القائلين بأنَّ الطبيعة هي التي تفعل؛ لأنَّه لو كانت الطبيعة هي التي تفعل لكانت الطبيعة على نَسَقٍ واحدٍ لا يتغير، فإذا تغيرت العادات والطبيعة دلَّ على أنَّ للكون مدبرًا وخالقًا.

ثالثًا: أنَّها آيةٌ للنبيِّ المَتبوع.

رابعًا: أنَّ فيها تثبيتًا وكرامة لهذا الوليّ»[٢].

وأمَّا قول المصَنِّف رحمه الله: «**فِي أَنْوَاعِ العُلُومِ وَالمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ القُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ**»- فقد قال الشيخ الفوزان حفظه الله: إنه «**إشارة إلى أنَّ الكرامة منها ما يكون من باب العِلم والكَشف بأن يَسمع العبدُ ما لا يَسمعه غيرُه، أو يرى ما لا يراه غيره يَقظة أو منامًا، أو يَعلم ما لا يعلمه غيره، ومنها ما هو من بابِ القدرة والتأثير.**

مثال النوع الأول:

قول عُمر: يا ساريةُ، الجبلَ! وهو بالمدينة، وساريةُ في المَشرق[٣].

---

(١) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» «ص٢٠».

(٢) «شرح الواسِطيَّة» «ص٦٣١».

(٣) قال الشيخ ابن عثيمين: «يُستفاد منها- أي: قصة سارية- ظهور كرامة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنَّ عمر بن الخطاب- على ما ذُكر في الرواية- كان يخطب الناس يوم الجمعة على المنبر، فكُشِف له عن سارية وهو في العراق يقود سريةً معه: أنَّ العدو حاصرهم، فقال في أثناء الخطبة: يا ساريةُ، الجبلَ! يعني: اصعد الجبل؛ لينجو به عن عدوه، فاستغرب الناس هذا القول من أمير المؤمنين عمر في أثناء الخُطبة يقول: يا ساريةُ، الجبلَ! فأخبرهم أن القضية كذا وكذا، فيُستفاد من ذلك ثبوت كرامات الأولياء». «فتاوى نور على الدرب»، الشريط رقم «٣٥٣».

وإخبار أبي بكر بأنَّ ببطن زوجته أُنثى[(١)].

وإخبار عُمر بِمَن يخرج مِن ولده فيكون عادلًا[(٢)].

وقصة صاحب مُوسى وعِلْمه بحالِ الغلام[(٣)].

ومثال النوع الثاني:

قِصَّة الذي عنده عِلْمٌ من الكتاب، وإتيانه بِعَرش بَلقيس إلى سُليمان عليه السلام[(٤)].

وقِصَّة أهل الكهف[(٥)].

وقِصَّة مريم[(٦)].

وقِصة خالد بن الوليد لما شَرِب السُّمَّ، ولم يَحصل له منه ضررٌ[(٧)]»[(٨)].

---

(١) قال اللالكائي في «كرامات الأولياء» «٩/ ١٢٣»: «هذه كانت زوجة أبي بكر، وهي حبيبة بنت خارجة بن زيد من بني زهير من بني الحارث بن الخزرج، وكانت حاملًا حين تُوفي أبو بكر رضـي الله عنه، فولدت بعده أم كلثوم، فتزوجها طلحة بن عبيد الله رضـي الله عنهم، فصَـدَّق اللهُ ظنَّ أبي بكر الصِّـديق رضـي الله عنه بما قاله، وجعل ذلك كرامة له فيما أَخبر به قَبل ولادتها، وأنها أنثى وليسـت بذكر».

(٢) وهو الخليفة الزَّاهد: عمر بن عبد العزيز رحمه الله. انظر كتاب «ســـيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد» لابن الجوزي، و«أخبار أبي حفص» للآجري. وهذا الخبر رواه ابن سعد في «الطبقات» «٥/ ٣٣٠».

(٣)وقد وردت هذه القصة في سورة الكهف الآيات ٧٤، ٧٥ و٨٠، ٨١، من قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ...﴾.

(٤) وردت هذه القصـــة في ســـورة النمل في الآيات «٣٨- ٤٠» من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِـــهَا...﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.

(٥) وردت في الآيات «٩- ٢٦» من ســـورة الكهف، من قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِـــبْتَ أَنَّ أَصْـــحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا...﴾ إلى قوله : ﴿... وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾.

(٦) وردت هذه القصـة في سورة مريم الآيات «١٦- ٣٤» من قوله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ...﴾ إلى قوله: ﴿... ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾.

(٧)وذلك عندما شرب السم فلم يَضره، وقد روى هذا الخبرَ أحمدُ في «فضائل الصحابة» «٢/ ٨١٥» عن أبي السفر قال: «نزل خالد بن الوليد الحِيرة على بني أم المرازبة، فقالوا له: احذر السُّـــمَّ لا يَســـقيكه الأعاجم! فقال: ايتوني به. فأتي منه بشـــيء، فأخذه بيده، ثم اقتحمه وقال: بسم الله. فلم يضره شيئًا». وانظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية «١١/ ٢٧٧، ٢٧٨».

(٨) «شرح الواسِطيَّة» للفوزان «ص١٥٧».

ثم قال المصنف: «**كَالمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**».

أي: أنَّ كرامات الأولياء قد حَدَثت في الأمم قبلنا وحدثت في صَدْر هذه الأمة، ولن تَنقطع إلى يوم القيامة؛ فَمَن الكَرامات في الأمم السابقة ما ذكره الله جل وعلا- في سورة الكهف عن أصحاب الكهف ولبثهم في كهفهم ثلاثمائة سنة وتسع سنوات- وهم نيام- بلا آفة.

وهكذا قِصة مريم، ومن ذلك: أنَّها حَمَلت ووَلَدت من غير زوجٍ مع كَمال عفافها وطهرها، ومن ذلك ما قاله الله عنها: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ «**٣٧**»﴾ [آل عمران : ٣٧]، وغير ذلك كثير.

ومن كرامات الصَّحابة رضي الله عنهم: ما رواه البخاري في «**صحيحه**» عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**أنَّ رجلين خَرَجَا من عند النَّبي ﷺ في ليلة مُظلمة، وإذا نورٌ بين أيديهما حتى تَفَرَّقَا، فتفرق النورُ معهما**.

وقال معمر: عن ثابت، عن أنسٍ: «**إنَّه أُسيد بن حُضَير ورجل من الأنصار**».

وقال حَمَّاد: أخبرنا ثابتٌ، عن أنسٍ كان أُسيد بن حُضَير وعَبَّاد بن بِشْر عند النَّبيّ ﷺ»(١).

ومن ذلك ما رواه مُسلم عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل: «**أنَّ أَرْوى خَاصَمَتْه في بعضِ دارِه، فقال**: «**دَعُوها وإيَّاها، فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول**: «**مَن أَخَذَ شِبْرًا من الأرضِ بغيرِ حَقِّه طُوِّقه في سَبع أَرَضين يومَ القيامة**»، اللَّهُمَّ إن كانت كاذبةً فَأَعْمِ بصرَها، واجعل قبرَها في دارِها.

قال: فرأيتُها عَمياء تَلتمس الجُدُر تقول: أَصَابتني دعوةُ سَعيد بن زيد، فبينما هي تَمشي في الدَّار مَرَّت على بئرٍ في الدار، فوقعت فيها، فكانت قبرَها»(٢).

(١) أخرجه البخاري «٣٨٠٥».

(٢) أخرجه مسلم «١٦١٠».

وممَّا جاء في كَرامات التَّابعين فَمَن بعدهم: ما رواه مسلم في «**صحيحه**» أنَّ أهلَ الكوفة وَفَدوا إلى عُمَرَ، وفيهم رجلٌ مِمَّن كان يَسخر بأويسٍ، فقال عمر: هل هنا أحدٌ من القَرنيِّين؟ فجاء ذلك الرجل، فقال عمر: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد قال: «**إنَّ رجلًا يأتيكم من اليَمن يُقال له: أُوَيْس، لا يَدَعْ باليَمن غيرَ أُمٍّ له، وقد كان به بياضٌ فَدَعا اللهَ فَأَذْهَبَه عنه إلا مَوضع الدِّينار أو الدِّرهم؛ فَمَن لَقِيَه مِنكم فَلْيَسْتَغْفِر لكم**»[1].

(١) أخرجه مسلم «٢٥٤٢».

٨٣- اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا واتباع سبيل السابقين

[٦٢]- قال المصنف رحمه الله: ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا. وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ الله ﷺ، حيثُ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ. وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسَلَّم. وَيُؤْثِرُونَ كَلامَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ. وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ القَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ. وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي العِلْمِ وَالدين. وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِه الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ. وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الخِلَافُ، وانْتَشَرَ فِي الأُمَّةِ**».

الشرح

منهج أهل السنة والجماعة: اتباع آثار رسول الله ﷺ واتباع ما كان عليه أصحابه رضوان الله عليهم، وما كان عليه القرون المفَضَّلة.

فأهل السنة علمهم مستمد من هذه الأصول: من كلام الله ومن كلام رسوله ﷺ، وفهم سلف هذه الأمة، وعلى رأسهم أصحاب النبي ﷺ، وهذا ما أوجبه النبي ﷺ بقوله: «**فإنَّه مَن يَعش بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المَهديين مِن بعدي؛ فتَمسكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإنَّ كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[١].

فأوصى ﷺ بالتمسك وبأشد الحرص على هذا المنهج، ولذلك كتب ودروس مَن اتَّبع هذا

(١) أخرجه أحمد «٤/ ١٢٦» «١٢٧»، وأبو داود «٤٦٠٧»، والترمذي «٢٦٧٦»، والدارمي «١/ ٤٤»، وغيرهم.

المنهج مليئة بـ«**قال الله، وقال رسوله ﷺ، وقال السلف الصالح**»، وكما قال الأوزاعي: «**العلمُ: ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، فما كان غير ذلك فليس بعلم**»، وكذا قال الإمام أحمد رحمه الله[(١)].

وقال أيضًا: «**اصبر نفسك على السُّنَّة، وقِف حيث وَقَف القوم، وقل بما قالوا، وكُفَّ عما كفوا عنه، واسلك سبيلَ سلفك الصالح، فإنَّه يَسعك ما وَسِعهم**»[(٢)].

وقيل لأبي حنيفة رحمه الله: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ قال: «**مقالات الفلاسفة، عليكَ بالأثر وطريقة السلف، وإيَّاك وكلَّ محدثة؛ فإنَّها بِدعة**»[(٣)].

وكما قال الناظم:

وكلُّ خير في اتباع مَن سلف ... وكل شَرٍّ في ابتداع مَن خلف

وقال الشافعي رحمه الله:

كلُّ العلوم سِوى القرآن مَشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه فِي الدِّين

العلم ما كان فيه قَالَ: حدثنا ... وما سِوى ذاك وسواس الشياطين[(٤)]

وقد أمرنا الله باتباع هؤلاء السابقين فقال عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وحذَّرَ من مخالفتهم فقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾؛ وقال عن الفرقة الناجية من الأمة بعد الاختلاف أنها: «**مَن كان**

---

(١) «جامع بيان العلم» «٢/ ٢٩».

(٢) «الشريعة» للآجري «ص ٥٨».

(٣) «صون المنطق» للسيوطي «ص ٣٢٢».

(٤) «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي «١/ ٢٩٧».

على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[١].

فطريقة أهل السنة اتِّباع كلام الله وكلام رسوله ﷺ، ولا يصدرون في الاعتقاد والقول والعمل إلا عن فهم السلف.

وهذا- بحمد الله- تعالى ما تواصوا به جيلًا بعد جيلٍ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «**إنا نقتدي ولا نَبتدي، ونتَّبع ولا نَبتدع، ولن نضلَّ ما تَمسكنا بالأثر**»[٢]، أي: لا نبتدأ شيئًا من عندنا، فنحن نقتدي برسول الله ﷺ وأصحابه من بعده، ونتبعهم ولا نبتدع.

ومن صفات أهل السنة والجماعة أنهم يقدمون هدي النبي ﷺ على هدي كلِّ أحد، وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ الاِجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الفُرْقَةُ، وهم بهذه الأصول «**الكتاب والسنة والإجماع**» يَزنون جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة وظاهرة مما له تعلق بالدين.

وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ «**أي القرون الثلاثة المفضلة**»؛ لأن الاختلاف قد كثر وانتشر في هذه الأمة بعدهم.

وهذا الميزان مِن نعم الله على أهل السنة، ولذلك تجد هذا المنهج يتسم بالثبات، من أصحاب النبي ﷺ إلى وقت الناس هذا، ويتواصى به أهل السنة، ويوصون به من بعدهم، فهو منهج ثابت مهما مرت السنون، وصاحب السُّنَّة في المشرق شأنه كصاحب السنة في المغرب، فأنت تقرأ لابن تيمية كما تقرأ لابن عبد البر، وكما تقرأ للبخاري ومسلم، فالقول واحد لم يختلف ولم يتغير؛ لأن الأصل واحد، والمنهج واحد، مع اختلاف الأزمان، ومع اختلاف الأماكن، مع أنه في ذلك الزمان لم يكن بين هؤلاء وسيلة اتصال، ومع ذلك مَن هو في المشرق كمَن هو في المغرب.

---

(١) أخرجه أبو داود «٤٥٩٦»، «٤٥٩٧»، والترمذي «٢٦٤٠»، «٢٦٤١»، وأحمد «٢/ ٣٣٢»، «٣/ ١٢٠، ١٤٥»، «٤/ ١٢٠»، وابن ماجه «٣٩٩١»، «٣٩٩٣».

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي «ح١١٥».

وكذلك أهل السنة في المشرق مثل أهل السنة في المغرب ومثل أهل السنة في الهند، فقولهم واحد مهما اختلف المكان والزمان؛ لاتصاف منهجهم بالثبات.

وكذلك اتصف منهجهم باتصال سنده إلى رسول الله ﷺ، فليس قولًا منبتًّا أو منقطعًا، وما لم يكن في كلام الله ولا في كلام رسوله ﷺ ولا في كلام السلف- فأهل السنة منه بَرَاء.

وأمَّا الآخرون فهم يتخبطون، فأسانيدهم منقطعة، ويقرون أن ما كان عليه السلف ليس ما هم عليه، وأن أقوالهم منحصرة في فلان وفلان من الناس، فشتان بين الفريقين!

٨٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

[٨٤]- قال المصنف رحمه الله: ثُمَّ هُم مَّعَ هَذِهِ الْأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالمعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ المنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ،

الشرح

الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة من شعائر الإسلام، والله عز وجل أثنى على هذه الأمة بأن من خصائصها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله قد مدح هذه الأمة بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: الآية: ١١٠]، فهذه الأمة لا تنال الخيرية إلا بهذه الشروط: أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله عز وجل، والله عز وجل قد قال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: الآية: ١٠٤]، وقال جل وعلا قال: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: الآية: ١]؛ فعَظَّم الله عز وجل هذا الأمر، وهو ما أوجب النبي-صلى الله عليه وسلم-تغييره؛ فقال: «**مَن رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يَستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[(١)].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب من واجبات الدين، وأمر عظيم من شعائره، لكن بعض المتصوفة أسقطوه، حتى إنهم لا يرون استحسانًا لحسنة، ولا استقباحًا لسيئة، بل إنهم يتبجحون ويتفاخرون بما يرتكبونه من منكرات وقبائح، وكتبهم شاهدة بذلك، ويكفي مثالًا على ذلك «**طبقات الشعراني**»؛ حيث تجد فيه الكثير من مخازي هؤلاء، وكل ذلك لأنهم أسقطوا شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولذلك نبَّه المصنف على أهمية هذا الباب، ونحن نعلم أن العلماء والأمراء هم مِن أعظم مَن يجب عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) أخرجه مسلم «٤٩».

فالعلماء لأن الله قد أعطاهم الله الفقه في الدين، ولذلك اشـــترط العلماء في الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر أمورًا منها: أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عالمًا بما يأمر به وبما ينهى عنه، ثم أن يكون حكيمًا في أمره ونهيه، ثم بعد ذلك يصـبر على ما يلقاه في سـبيل القيام بهذا الواجب، فلابد أن تجتمع فيه هذه الأمور الثلاثة «**العلم والحكمة والصـــبر**»؛ قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: .

وكذلك يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الولاة والأمراء؛ لأن بيدهم السلطة وقوة التنفيذ؛ قال الله عز وجل: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصـــلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾.

فالولاة قد أعطاهم الله التمكين في الأرض، وبالتالي إذا قام هذا المجتمع على هذه الأســـس صلح حاله.

فعلى العبد أولًا: أن يصلح نفسه؛ بأن يأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكر؛ لأن النفس أمَّارة بالســـوء، وبالتالي لا بد من قَسْـــرها وحملها على فعل الطاعات واجتناب المحرمات، ثم ينتقل الإنســـان من نفســـه إلى أهله؛ لقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفســكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة﴾، ولقول النبي ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مســـئول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده؛ فكلكم راع وكلكم مســـئول عن رعيته**»[(١)]؛ فيجب على الإنســـان أن يكون آمرًا لأهله بالمعروف وناهيًا لهم عن المنكر، ثم بعد ذلك الأقربين إليه، ثم جيرانه، ثم من حوله من المجتمع؛ لأن هذا المجتمع هو كيان واحد، فإذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر كان ذلك سبب نجاتنا.

وقد قص الله علينا أن سبب هلاك بني إسرائيل أنهم: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: الآية: ٧٩].

---

(١) أخرجه البخاري «٥٢٠٠» ومسلم «١٨٢٩» من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

أمَّا غلاة المتصوفة فتجدهم على الضد من ذلك، بل إنهم يَستهينون بالأوامر، ومن ذلك أن أحد شيوخهم سأل مُريدًا عنده؛ فقال له: إذا أرسلتك في حاجة ومررت بمسجد وقد أُقيمت الصلاة؛ فماذا تفعل؟ هل تمضي في حاجتي أو تصلي مع الناس؟ فقال: لا، بل أمضي في حاجتك.

فانظر كيف عطَّلوا أمر الصلاة، وإقامة الصلاة من أوجب الأمر بالمعروف؛ ومع ذلك يثني الشيخ على هذا المريد؛ لأنه قَدَّم أمره على أمر الله عز وجل، وهكذا يُربون أتباعهم على مثل هذه الأحوال، ويرون أنها من أحسن الأحوال وأعظم المقامات.

ومن الشواهد على تعطيلهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعض اجتماعات الصوفية في موالدهم؛ فتجد- والله- من الفضائح والمخازي ما الله به عليم؛ ومن ذلك: أنهم لا يصلون مع الجماعة، وقد لا يصلون بالمرَّة؛ ولا يتناهون عن المنكر؛ فيجتمع الرجال مع النساء، ويتعاطون الخمر والحشيش ونحو ذلك، ويقع ما يقع من المفاسد العظيمة؛ حتى اشتهر أنه كلما وجدت فوضى وزحام؛ فالغالب أنه مولد، فيُعبرون عن الفوضى بكلمة «**مولد**»؛ لأن بعض هذه الموالد التي يجتمع لها أتباع هؤلاء المتصوفة تُرتكب فيها شتى أنواع الفواحش والمنكرات، وكل ذلك على مرأى ومَسمع منهم.

فبدل أن يُعظموا أوامر الله عز وجل؛ فيأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، عَطَّلوا هذه الشعيرة من شعائر الإسلام.

فعلينا أن ننتبه إلى موطن الخلل الذي يدخل على هذه الأمة، فنحن نرى الأمة وفيها كتاب الله، وفيها سنة نبيه-صلى الله عليه وسلم-، وفيها أحكام الدِّين، ولكن مع ذلك نرى من أحوالها العجب العجاب، فهذا الدَّاء جاء إليها من أمثال هؤلاء الذين عطَّلُوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وجاء في الحديث: «**من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم**

يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان». [١]

ولا شَـكَّ أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضـة من فرائض الإسـلام، وشـريعة من شـرائعه، لكن لا بد أن تؤدى بالوسـائل الشـرعية، فيجب على المسـلم أن يأمر بالمعروف وأن ينهي عن المنكر، لكن لا يخرج على جماعة المسلمين بحجة أنه يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر؛ لأنه إذا خرج عليهم بالسلاح كان إفساده أكثر من إصلاحه؛ ويترتب على خروجه من المنكر أعظم مما هم موجود وقائم.

وهناك شواهد عبر التاريخ مما صنع الخوارج والمعتزلة الذين خرجوا بالقوة على جماعة المسلمين بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فأفسدوا أكثر مما أصلحوا، والقاعدة الأصولية العامة تقول: إن درء المفاسـد مُقَدَّم على جلب المصـالح؛ فإذا كان هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سـيجلب مَفسـدة، أو سـيترتب عليه مفسـدة أعظم من المفسـدة القائمة؛ فتركه أَوْلَى، وكذلك لا يُزال المنكر بمُنكر أشد منه

والمسلمون فيما يجب عليهم من إنكار المنكر درجات:

الدرجة الأولى: فمنهم من يجب عليه إنكار المنكر بيده، كولي الأمر ومن ينوب عنه ممن أُعطي صـلاحية لذلك، كالوالد مع ولده، والسـيد مع عبده، والزوج مع زوجته؛ إن لم يكف مرتكب المنكر إلا بذلك.

الدرجة الثانية: ومنهم من يجب عليه إنكاره بالنصح والإرشاد والنهي والزجر والدعوة بالتي هي أحسن دون اليد والتسلط بالقوة؛ خشية إثارة الفتن وانتشار الفوضى.

الدرجة الثالثة: ومنهم من يجب عليه الإنكار بالقلب فقط؛ لضـعفه نفوذاً ولسـاناً، وهذا أضعف الإيمان.

قال الإمامُ ابن القيم رحمه الله: "فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يَزول ويخلفه ضده.

(١) رواه مسلم برقم «٤٩».

الثانية: أن يَقِلَّ وإن لم يَزل بجُملته.

الثالثة: أن يَخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يَخلفه ما هو شَرٌّ منه.

فالدرجتان الأُولَيَان مَشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة.

فإذا رأيت أهلَ الفجور والفسوق يَلعبون بالشِّطْرَنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحبُّ إلى الله ورسوله؛ كرمي النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك.

وإذا رأيت الفُسَّاق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مُكاء وتصدية، فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلَّا كان تركهم على ذلك خيرًا من أن تُفَرِّغَهم لما هو أعظم من ذلك، فكان ما هم فيه شاغلًا لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلًا بكتب المجون ونحوها وخِفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسِّحْر؛ فَدَعْهُ وكتبه الأولى، وهذا بابٌ واسعٌ.

وسمعت شيخَ الإسلام ابن تيمية -قَدَّس الله روحه ونور ضريحه- يقول: مَررت أنا وبعض أصحابي في زمن التَّتار بقومٍ منهم يشربون الخمر؛ فأنكر عليهم مَن كان معي، فأنكرتُ عليه، وقلتُ له: إنَّما حَرَّم الله الخمر؛ لأنَّها تَصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يَصدهم الخمر عن قتل النفوس وسَبْي الذرية وأخذ الأموال؛ فَدَعْهُم". [(١)]

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين «٣/ ١٢-١٣».

٨٥- إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء

[٨٥]- قال المصنف رحمه الله: وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الحَجِّ وَالجِهَادِ وَالجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا،

الشرح

عُرِف مجتمع أهل السنة بأنه مجتمع صدق وبِر واستقامة، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقيم الحج والجهاد والجمع والأعياد، ويرون أنَّ ذلك يُقام مع الأمراء؛ سواء كانوا أبرارًا أو فُجَّارًا.

قال محمد بن أبي زمنين-رحمه الله-: "ومن قول أهل السنة أن الحج والجهاد مع كل بر أو فاجر من السنة والحق، وقد فرض الله الحج فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: الآية: ٩٧]، وأعلمنا بفضل الجهاد في غير موضع من كتابه، وقد علم أحوال الولاة الذين لا يقوم الحج والجهاد إلا بهم، فلم يشترط ولم يبين وما كان ربك نسيا"[١].

وقال قوام السنة الأصفهاني: "والجهاد ماض منذ بعث الله نبيه إلى آخر عصابة تقاتل الدجال".[٢]

كما قرر ذلك علي بن المديني[٣]، والطحاوية[٤]، وابن بطة[٥]، والصابوني[٦]، وابن قدامة[٧]،

(١) أصول الدين لابن أبي زمنين «ص: ٢٨٨».

(٢) الحجة «٢/ ٢٩١».

(٣) انظر: أصول السنة للالكائي «١/ ١٩٧».

(٤) انظر شرح الطحاوية «٢/ ٥٥٥».

(٥) انظر الإبانة الصغرى «ص: ٢٧٨».

(٦) انظر: عقيدة السلف الصابوني «ص: ٢٩٤».

(٧) انظر لمعة الاعتقاد «ص: ٣٧».

وابن تيمية [(١)]، وغيرهم.

وقد حكى محمد بن حبيب مفاسد ترك الغزو مع أئمة الجور فقال: "سمعت أهل العلم يقولون: لا بأس بالجهاد مع الولاة، وإن لم يضعوا الخمس موضعه، وإن لم يوفوا بعهد إن عاهدوا، ولو عملوا ما عملوا، ولو جاز للناس ترك الغزو معهم بسوء حالهم لاستذل الإسلام، وتخيفت أطرافه، واستبيح حريمه، ولعلى الشرك وأهله". [(٢)]

وشيوخ الشيعة يقولون: "إن الجهاد قبل خروج المهدي المنتظر حرام كحرمة الميتة والدم ولحم الخنزير". [(٣)]

والرافضة كانوا يقولون لا جهاد حتى يخرج الرضا من آل محمد، فقد جاء في فروع الكافي عن أبي عبد الله جعفر الصادق قال: "القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير" [(٤)]

وقد أحدث الخميني تغييرًا في المذهب الرافضي، فقرر أن للولي الفقيه جميع ما للإمام من الوظائف والأعمال إلا البداءة بالجهاد فهو من وظائف المهدي، ثم تناقض الخميني فجعل الجهاد منوطًا بجيش جمهوريته. [(٥)]

أما الخوارج فيجمعون على وجوب الخروج على الإمام الجائر [(٦)] فكيف يجاهدون معه؟ بل كانوا يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان. [(٧)]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى «٢٨/ ٢٩٠»، «٣٠/ ٣٨».

(٢) أخرجه ابن أبي زمنين في أصول السنة «ص: ٢٨٩».

(٣) انظر كتاب فروع الكافي «٥/ ٧٨٧».

(٤) الكافي «١/ ٣٣٤»، وانظر مختصر التحفة الاثنى عشرية «ص: ٢٢١».

(٥) انظر: أصول الشيعة للقفاري: «٣/ ١١٧٢»؛ المصدر: مسائل الفروع الواردة في مصنفات العقيدة: «ص: ٣٤».

(٦) الفرق بين الفرق، «ص: ٧٣».

(٧) مسائل الفروع الواردة في مصنفات العقيدة: «ص: ٣٤».

قال ابن حزم: "جميع فرق الضلالة لم يجر الله على أيديهم خيرًا، ولا فتح الله بهم من بلاد الكفر قرية، ولا رفعوا للإسلام راية، وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين، ويفرقون كلمة المؤمنين، ويسلون السيف على أهل الدين، ويسعون في الأرض مفسدين، أما الخوارج والشيعة فأمرهم في هذا أشهر من أن يتكلف ذكره"[1]

(١) الفصل: «٥/ ٩٨».

٨٦- المحافظة على الجمع والجماعات

[٨٦]- قال المصنف رحمه الله: وَيُحَافِظُونَ عَلَى الجمع والجَمَاعَاتِ.

الشرح

يريد المصنف هنا أن يميز بين مذهب أهل السنة وبين قول الرافضة الذين عطلوا الجهاد، وعطلوا صلاة الجمعة بدعوى أنها لا تصح إلا بعد خروج المهدي المنتظر على حد زعمهم.

فشيوخ الشيعة يقولون: "إن صلاة الجمعة لا تجب عليهم حتى يخرج مهديهم المزعوم من سردابه لكي يصلي بهم". [(١)]

قال ابن تيمية رحمه الله: "ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون الجمع والأعياد والجماعات-لا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم-فإن كان الإمام مستوراً لم يظهر منه بدعة ولا فجور صُلّي خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين"[(٢)].

وقال: "وَمَنْ أَنْكَرَ مَذْهَبَ الرَّوَافِضِ وَهُوَ لَا يُصَلِّي الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ بَلْ يُكَفِّرُ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ وَقَعَ فِي مِثْلِ مَذْهَبِ الرَّوَافِضِ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا أَنْكَرَهُ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَيْهِمْ تَرْكُهُمْ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ وَتَكْفِيرَ الْجُمْهُورِ"[(٣)]

---

(١) انظر مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة لمحمد جواد العاملي «٢/ ٦٩» كتاب الصلاة.

(٢) مجموع الفتاوى «٣/ ٢٨٠»

(٣) مجموع الفتاوى: «٢٣/ ٣٥٤».

٨٧- من خصال أهل السُّنة والجماعة

[٨٧]- قال المصنف رحمه الله: وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ للأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَقَوْلِهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ**» وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ وَالرِّضَا بِمُرِّ القَضَاءِ. وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**». وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ. وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسانِ إِلَى اليَتَامَى وَالمسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالمَمْلُوكِ. وَيَنْهَوْنَ عَنِ الفَخْرِ، وَالخُيَلاءِ، وَالبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاَقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا. وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسلام الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ.لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عليه وآله وسَلَّم- أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ. وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَومَ وَأَصْحَابِي**»، صَارَ المتَمَسِّكُونَ بِالإِسلام المحْضِ الخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ. وهُم الطَّائفةُ المنصورةُ الَّذِين قال فيهم النَّبِيُّ ﷺ: «**لا تَزَالُ طائفةٌ مِن أُمَّتِي على الحَقِّ ظاهرين، لا يَضُرُّهم مَن خَذَلَهم، ولا مَن خَالَفهم حتى تقومَ السَّاعةُ**».فَنَسْأَلُ اللهَ العَظيمَ أن يَجعلنا منهم، وألَّا يُزيغ قُلُوبنا بعد إذ هَدَانا، وأن يَهب لنا من لُدنه رَحمة؛ إنَّه هو الوَهَّاب، واللهُ أَعْلَم.والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ على مُحمَّدٍ وآلِه وصَحْبه وسَلَّم تسليمًا كثيرًا.

الشرح

قال ابن تيمية-رحمه الله-في بيان حقيقة العلم الشرعي: "إن الأحكام الشرعية ليست مقصورة على كتب الفقهاء فروعًا وأصولًا، بل ذلك فرع يسير من الأحكام الشرعية بل

العلم الأصلي هو العلم الذي بُعِث به الرسل وأُنزل به الكتب؛ وهو:

-علم الإيمان، وعلم أحوال القلوب وما تزكوا به من الخشية والإنابة والتوكل والرضى والصبر واليقين والمحبة والزهد في الدنيا وطلب الآخرة والحب في الله والبغض في الله ومحبة الله وكتابه ورسوله والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله وللمؤمنين والإخلاص والصدق والشكر لله دائمًا.

-وعلم شروط الأعمال وما يصححها ويفسدها مما يتعلق بالقلوب: من الرياء والعجب والغفلة عن معانيها، وغير ذلك مما هو مبسوط في غير هذا الموضع؛ ومن ذلك: معرفة النفس وشرورها ودسائسها: من الشِّرَة والحرص والحسد والغضب والكبر والبخل وحب الدنيا وحب التعظيم وحب الرياسة؛ ومعرفة الشيطان وكيده ومداخل غروره؛ ومعرفة موازين الأعمال وما الذي ينبغي أن يبدأ به وأيها الذي يرجح على صاحبه عند الله محبة ومنزلة ومراعات موقع نظر الرب وإهمال موقع نظر الخلق؛ ومعرفة حقوق الخلق مثل الوالدين وذوي الأرحام والأئمة من أهل العدل والإنصاف والعلماء العاملين والصلحاء المقتدين والمشايخ المهتدين والجيران وعامة المؤمنين وما الذي يجب لكل منهم من الحق؛ ومعرفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيفيته وصفته.

فهذا هو العلم المطلوب من الخلق معرفته:

وهو أصل التوحيد الذي ما أنزل الله كتابًا ولا أرسل رسولًا إلا به، ودعوة الرسل كلهم إليه، وسائر العلوم وسيلة إليه. وبعد ذلك معرفة أحكام الشريعة وأمور الدين. وبعد هذا كله علم الفروع المعروف عن الرسول وعن أصحابه، الأهم منه فالأهم " . انتهى (١)

قال ابن رجب الحنبلي في معرض كلامه عن حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-: أن رجلا سأل رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: أي الاسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام،**

(١) انظر: رسالة فضائل الأئمة الأربعة، فصل في اشتراط حفظ القرآن للمجتهد «ص: ١٧ / ١٨».

وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف». [(١)] قال: "وجمع في الحديث بين إطعام الطعام، وإفشاء السلام؛ لأنه به يجتمع الإحسان بالقول والفعل، وهو أكمل الإحسان، وإنما كان هذا خير الإسلام بعد الإتيان بفرائض الإسلام وواجباته، فمن أتى بفرائض الإسلام ثم ارتقى إلى درجة الإحسان إلى الناس كان خيرا ممن لم يرتق إلى هذه الدرجة وأفضل -أيضا-، وليس المراد أن من اقتصر على هذه الدرجة فهو خير من غيره مطلقًا، ولا أن إطعام الطعام ولين الكلام خير من أركان الإسلام ومبانيه الخمس، فإن إطعام الطعام والسلام لا يكونان من الإسلام إلا بالنسبة إلى من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر". [(٢)]

قول المصنف رحمه الله: «**وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ للأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا»**، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَقَوْلِهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّى وَالسَّهَرِ**» وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ وَالرِّضَا بِمُرِّ القَضَاءِ.

قال -تعالى-: ﴿وَالْعَصْرِ «١» إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ «٢» إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ «٣»﴾[العصر: الآيات: ١-٣].

قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾

قال ابن جرير رحمه الله في معنى الآية: "أوصى بعضهم بعضاً بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه من أمره، واجتناب ما نهى عنه فيه". [(٣)]

وقال ابن كثير: "أي: وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات". [(٤)]

قال الشوكاني: "وتواصوا بالحق أي: وصى بعضهم بعضا بالحق الذي يحق القيام به، وهو

---

(١) رواه البخاري «٢٨»، ومسلم «٣٩».

(٢) فتح الباري لابن رجب الحنبلي «١/ ٤٣».

(٣) تفسير الطبري «٣٠/ ٢٩٠»

(٤) تفسير ابن كثير «تفسير سورة العصر».

الإيمان بالله والتوحيد، والقيام بما شرعه الله، واجتناب ما نهى عنه. قال قتادة: ﴿بالحق﴾ أي: بالقرآن، وقيل: بالتوحيد، والحمل على العموم أولى". [(١)]

"والتواصي بالحق يشمل أن يوصي الإنسان نفسه بالحق، ويأمرها بالمعروف، وينهاها عن المنكر، وكذلك يشمل أن يكون ذلك مع غيره ممن يعايشهم، سواء أكانت له ولاية عليهم، أم لم تكن له ولاية عليهم، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حق أهل الإيمان بعضهم على بعض". [(٢)]

وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

الصبر من أعظم خصال الخير التي حث الله عليها في كتابه العظيم، وأمر بها رسوله الكريم–صلى الله عليه وسلم–في سنته المطهرة، وقد وردت مادة «**صبر**» في القرآن الكريم في مائة وأربعة مواضع، على تنوع في مواردها وأسباب ذكرها.

فقد أمر الله نبيه بخلق الصبر فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقال تعالى :﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وأمر الله به المؤمنين، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وأثنى على أهله، فقال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: الآية: ١٧٧].

وأخبر بمحبته للصابرين، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية: ١٤٦].

ومعيَّته لهم، فقال تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: الآية: ٤٦].

وأخبر أن الصبرَ خير لأصحابه، فقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل:

---

(١) تفسير فتح القدير «٥/ ٦٠١».

(٢) شرح ثلاثة الأصول لخالد المصلح «١/ ١١».

الآية: ١٢٦].

ووعدهم أن يجزيهم أعلى وأوفى وأحسن مما عملوه، فقال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: الآية: ٩٦]، وقال تعالى :﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: الآية: ١٠].

وبشرهم؛ فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: الآية: ١٥٥].

وأخبر أن جزاءهم الجنة فقال تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ [الإنسان: الآية: ١٢].

وقد قرن الله الصبر بالقيم العليا في الإسلام.

فقرنه باليقين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: الآية: ٢٤].

وقرنه بالتوكل، قال تعالى: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: الآيتان: ٥٨- ٥٩] .

وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة: الآية: ١٥٣].

وقرنه بالتقوى في عدة آيات منها: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨٦]، وفي قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ [آل عمران: الآية: ١٢٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: الآية: ٩٠].

وقرن الله-تبارك وتعالى-الصبر بالعمل، فقال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: الآية: ١١].

وقرنه بالجهاد، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: الآية: ١١٠]، وفي قوله تعالى :﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: الآية: ٣١].

وقرنه بالاستغفار: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ

وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: الآية: ٥٥].

وقرنه بالتسبيح، في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: الآية: ٤٨]، وفي قوله تعالى في سورة طه: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: الآية: ١٣٠].

وقرن الصبر في القرآن الكريم بالحق، في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: الآيات: ١-٣].

وقرنه بالرحمة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: الآية: ١٧].

وقرنه بالشكر في عدة آيات، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: الآية: ٥].

وحديث القرآن عن الصبر متنوع وممتع، مما يدل على أهميته ومكانته العظيمة، وكذا الشأن في السنة النبوية، فقد حث النبي-صلى الله عليه وسلم-أمته على هذا الخلق الكريم، وكانت سيرته-صلى الله عليه وسلم-أنموذجًا يحتذى في التخلق بخلق الصبر بشتى أنواعه وأعلى درجاته، ومن قرأ في سيرته العملية وسنته القولية سيجد أن للصبر شأنًا عظيمًا.

قال-صلى الله عليه وسلم-: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[١]

(١) صحيح مسلم «٢٩٩٩»

وقال بعض السلف: "الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر"[١]

المسألة الثانية: أنواع الصبر.

الصبر ثلاثة أقسام:

القسم الأول: صبر على الطاعة حتى يفعلها، فإن العبد لا يكاد يفعل المأمور به إلا بعد صبرٍ ومصابرة ومجاهدة لعدوه الباطن والظاهر، فبحسب هذا الصبر يكون أداؤه للمأمورات وفعله للمستحبات.

القسم الثاني: صبر عن المنهي عنه حتى لا يفعله، فإن النفس ودواعيها، وتزيين الشيطان، وقرناء السوء، تأمره بالمعصية وتجرئه عليها، فبحسب قوة صبره يكون تركه لها.

قال بعض السلف: "أعمال البر يفعلها البر والفاجر، ولا يقدر على ترك المعاصي إلا صديق". [٢]

وعن سهل بن عبد الله التستري: "ليس من عمل بطاعة الله صار حبيب الله، ولكن من اجتنب ما نهى الله عنه صار حبيب الله، ولا يجتنب الآثام إلا صِدّيق مقرب، وأما أعمال البر يعملها البر والفاجر"[٣].

القسم الثالث: الصبر على ما يصيبه بغير اختياره من المصائب،

والمصائب نوعان:

النوع الأول: نوع لا اختيار للخلق فيه، كالأمراض وغيرها من المصائب السماوية، فهذه يسهل الصبر فيها؛ لأن العبد يشهد فيها قضاء الله وقدره، وإنه لا مدخل للناس فيها، فيصبر

---

(١) أخرجه وكيع بن الجراح في الزهد «٢/ ٤٥٦» برقم «٢٠٣»، والطبراني في الكبير «٩/ ١٠٧»، والمنذري في الترغيب والترهيب «٤/ ١٧١ ح٤٩٧٦»، موقوفاً على ابن مسعود بلفظ: "الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله"

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء «١٠/ ١٩٧» بإسناده عن سهل بن عبد الله التستري ضمن كلام له طويل بلفظ: "ليس من عمل بطاعة الله صار حبيب الله، ولكن من اجتنب ما نهى الله عنه صار حبيب الله، ولا يجتنب الآثام إلا صِدّيق مقرب، وأما أعمال البر يعملها البر والفاجر".

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء «١٠/ ١٩٧».

إما اضطرارا، وإما اختيارا، فإن فتح الله على قلبه باب الفكرة في فوائدها، وما في حشوها[١] من النعم، والألطاف[٢] انتقل من الصبر عليها إلى الشكر لها والرضا بها، فانقلبت حينئذ في حقه نعمة، فلا يزال يجري قلبه ولسانه-أي دأبه وشأنه-فيها: "رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"[٣]، وهذا يقوى ويضعِف بحسب قوة محبة العبد لله وضعفها، بل هذا يجده أحدنا في الشاهد كما قال الشاعر يخاطب محبوبا له ناله ببعض ما يكره:

لئن ساءني أن نِلتِني بمساءة = لقد سرني أني خطرت ببالِكِ.

النوع الثاني: أن يحصل له بفعل الناس في ماله أو عرضه أو نفسه.

فهذا النوع يصعب الصبر عليه جداً، لأن النفس تستشعر المؤذي لها، وهي تكره الغلبة، فتطلب الانتقام، فلا يصبر على هذا النوع إلا الأنبياء والصديقون، وكان نبينا-صلى الله عليه وسلم-إذا أوذي يقول: "يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر". [٤]

وأخبر عن نبي من الأنبياء أنه ضربه قومه فجعل يقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" [٥].

وقد روي عنه-صلى الله عليه وسلم-أنه جرى له هذا مع قومه فجعل يقول مثل ذلك، فجمع في هذا ثلاثة أمور: العفو عنهم، والاستغفار لهم، والاعتذار عنهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النوع من الصبر عاقبته النصر والعز والسرور، والأمن والقوة في ذات الله، وزيادة

---

(١) معنى الحشى: الناحية، والمقصود نواحيها أو داخلها. انظر: لسان العرب مادة «حشا» «١٤/١٨٠-١٨١».

(٢) اللطيف من الكلام: ما غمض معناه وخفي، واللطف في العمل: الرفق فيه. انظر: لسان العرب مادة«لطف» «٩/٣١٦».

(٣) يشير إلى حديث معاذ-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أخذ بيده وقال: «يا معاذ والله إني لأحبك، فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»، أخرجه أبو داود في سننه «٢/ ١٨١» كتاب الوتر باب في الاستغفار برقم: «١٥٢٢» والإمام أحمد في المسند «٥/ ٢٤٥،٢٤٧». والنسائي في سننه «٣/ ٥٣» كتاب السهو باب نوع آخر من الدعاء. والإمام أحمد في المسند«٥/ ٢٤٥،٢٤٧».

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب «٢٨»، رقم «٣٤٠٥». ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم «٣/ ١٠٩».

(٥) أخرجه البخاري «٣٤٧٧». ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد «٥/ ١٧٩».

محبة الله ومحبة الناس له وزيادة العلم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: الآية: ٢٤]"[(١)].

ويعين العبد على هذا الصبر عدةُ أشياء:

أحدها: أن يشهد أن الله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد حركاتهم وسكناتهم وإراداتهم، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يتحرك في العالم العلوي والسفلي ذرة إلا بإذنه، ومشيئته والعباد آلة، فانظر إلى الذي سلطهم عليك، ولا تنظر إلى فعلهم بك، تستريح من الهم والغم والحزن.

الثاني: أن يشهد ذنوبه، وأن الله إنما سلطهم عليه بذنبه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: الآية: ٣٠]. فإذا شهد العبد أن جميع ما يناله من المكروه فسببه ذنوبه، اشتغل بالتوبة والاستغفار من الذنوب التي سلطها عليه، عن ذمهم ولومهم والوقيعة فيهم.

وإذا رأيت العبد يقع في الناس إذا آذوه ولا يرجع إلى نفسه باللوم والاستغفار فاعلم أن مصيبته مصيبة حقيقية.

وإذا تاب واستغفر، وقال: هذا بذنوبي، صارت في حقه نعمة.

قال علي بن أبي طالب–رضي الله عنه–، كلمة من جواهر الكلام: "لا يرجونَّ عبدٌ إلا ربَّه، ولا يخافنّ عبدٌ إلا ذنبه". [(٢)]

وروي عنه وعن غيره: "ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة". [(٣)]

---

(١) المصدر: قاعدة في الصبر لشيخ الإسلام ابن تيمية «ص: ٩، ١٠».

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان «٧/ ١٢٢» رقم «٩٧١٨»، والأصبهاني في الترغيب والترهيب «٢/ ٦٦٢» رقم «١٥٨٦»، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله «١/ ٣٨٣» رقم: «٥٤٧، ٥٤٨».

(٣) رواه الزبير بن بكار في الأنساب "كما عزاه إليه الحافظ ابن حجر في الفتح «٢/ ٤٩٧»، ولم أجده في القسم المطبوع من كتاب الأنساب"، أن العباس لما استسقى به عمر قال: "اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة"، ضمن دعاء طويل.

=

الثالث: أن يشهد العبد حسن الثواب الذي وعده الله لمن عفى وصبر، كما قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: الآية: ٤٠].

ولما كان الناس عند مقابلة الأذى ثلاثة أقسام :ظالم يأخذ فوق حقه، ومقتصد يأخذ بقدر حقه، ومحسن يعفو ويترك حقه.

ذكر الأقسام الثلاثة في هذه الآية فأولها للمقتصدين، ووسطها للسابقين، وآخرها للظالمين.

ويشهد نداء المنادي يوم القيامة: "ألا ليقم من وجب أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفى وأصلح"[١].

وإذا شهد مع ذلك؛ فوت الأجر بالانتقام والاستيفاء سهل عليه الصبر والعفو.

الرابع: أن يشهد أنه إذا عفى وأحسن أورثه ذلك من سلامة القلب لإخوانه، ونقائه من الغش، والغل، وطلب الانتقام، وإرادة الشر، وحصل له من حلاوة العفو ما يزيد لذته ومنفعته عاجلا وآجلا على المنفعة الحاصلة له بالانتقام أضعافا مضاعفة، ويدخل في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية: ١٣٤، ١٤٨].

وأخرجه أبوبكر أحمد بن مروان الدينوري «ت: ٣٣٣» في المجالسة وجواهر العلم «٣/ ١٠٢-١٠٣» موقوفًا على العباس في دعائه عندما استسقى به عمر، فكان من دعائه: "اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب، ولا يكشف إلا بتوبة". كما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق «٢٦/ ٣٥٨ -٣٥٩»، «ص: ١٨٤» تراجم عبادة بن أوفى -عبد الله بن ثوب. من طريق أبي صالح باذام مولى ابن هانيء عن العباس بن عبد المطلب في حديث طويل. وقد ثبت في صحيح البخاري استسقاء عمر بدعاء العباس «٢/ ٤٩٤ مع الفتح» كتاب الاستسقاء -باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا- «ح: ١٠١٠»، دون بيان صفة دعائه على وجه التفصيل، فلم يرد ذكر هذا اللفظ. وانظر الكلام على هذا الحديث في اقتضاء الصراط المستقيم «ص: ٣٣٧، ٣٣٨».

[١] أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: »إذا كان يوم القيامة أمر الله منادياً ينادي ألا ليقم من كان له على الله أجره فلا يقوم إلا من عفى في الدنيا وذلك قوله :﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾». أورده السيوطي في الدر المنثور «٦/ ١١». والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد «١١/ ١٩٨». وأخرجه ابن حبان في روضة العقلاء «ص: ٢٧٦، ٢٧٧» عن الحسن البصري مرسلًا، ووصله البيهقي في شعب الإيمان «١٣/ ١٣٦» برقم: «٧٠٥٠». ورواه هناد ابن السري في الزهد «٢/ ٩٠٤»، وأبو نعيم في الحلية «٩/ ٢٠٤» عن الحسن البصري موقوفًا.

فيصــير محبوبا لله، ويصــير حاله حال من أُخِذَ منه دراهم فَعُوِّضَ عنها ألوفاً من الدنانير، فحينئذ يفرح بما مَنَّ الله عليه أعظم فرحٍ ما يكون.

الخامس: أن يعلم أنه ما انتقم أحد قط لنفســه إلا أورثه ذلك ذلاً يجده في نفســه، فإذا عفى أعزه الله.

وهذا مما أخبر به الصادق المصدوق حيث يقول: «**ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً**»[(١)] فالعز الحاصل له بالعفو أحب إليه وأنفع له من العز الحاصل له بالانتقام، فإن هذا عِزٌّ في الظاهر وهو يورث في الباطن ذُلاً، والعفو ذل في الباطن وهو يورث العز باطناً وظاهراً.

السادس-وهي من أعظم الفوائد-: أن يشهد أن الجزاء من جنس العمل، وأنه نفسه ظالم مذنب، وأن من عفى عن الناس عفى الله عنه، ومن غفر غفر الله له، فإذا شـــهد أن عفوه عنهم وصفحه وإحسانه مع إساءتهم إليه، سبب لأن يجزيه الله كذلك من جنس عمله فيعفو عنه ويصفح ويحسن إليه على ذنوبه، ويسهل عليه عفوه وصبره ويكفي العاقل هذه الفائدة.

السابع: أن يعلم أنه إذا اشتغلت نفسه بالانتقام وطلب المقابلة ضاع عليه زمانه، وتفرق عليه قلبه، وفاته من مصالحه، ما لا يمكن استدراكه، ولعل هذا يكون أعظم عليه من المصيبة التي نالته من جهتهم، فإذا عفى وصــفح فرغ قلبه وجســمه لمصــالحه التي هي أهم عنده من الانتقام.

الثامن: أن انتقامه واستيفاءه وانتصاره لنفسه وانتقامه، لها، فإن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ما انتقم لنفسه قط.[(٢)]

فإذا كان هذا خير خلق الله وأكرمهم على الله لم يكن ينتقم لنفســه مع أن أذاه أذًى لله ويتعلق به حقوق الدين، ونفســه أشـــرف الأنفس، وأزكاها، وأبرها وأبعدها من كل خُلقٍ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأدب والبر والصلة باب استحباب العفو «٨/ ٢٠».

(٢) انظر: صحيح البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي-صلى الله عليه وسلم-. «٦/ ٥٦٦ مع الفتح» رقم: «٣٥٦٠». وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب مباعدته-صلى الله عليه وسلم-للآثام، رقم: «٢٣٢٧-٢٣٢٨».

مذموم، وأحقها بكل خُلقٍ جميل، ومع هذا فلم يكن ينتقم لها.

فكيف ينتقم أحدنا لنفسـه التي هو أعلم بها وبما فيها من العيوب والشـرور بل الرجل العارف لا تساوي نفسه عنده أن ينتقم لها، ولا قدر لها عنده يوجب عليه انتصاره لها.

التاسـع: إن أوذي على ما فعله لله أو على ما أمره به من طاعته ونهى عنه من معصـيته وجب عليه الصـبر ولم يكن له الانتقام، فإنه قد أوذي في الله، فأجره على الله، ولهذا لما كان المجاهدون في سبيل الله ذهبت دماؤهم وأموالهم في الله لم تكن مضمونة، فإن الله تعالى اشترى منهم أنفسـهم وأموالهم، فالثمن على الله لا على الخلق، فمن طلب الثمن منهم لم يكن له على الله ثمن، فإنه من كان في الله تلفه كان على الله خلفه[١].

وإن كان قد أوذي على معصية، فليرجع باللوم على نفسه، ويكون في لومه لها شغل عن لومه لمن آذاه.

وإن كان قد أوذي على حضٍ، فليوطن نفسه على الصبر، فإن نيل الحظوظ دونه أَمْرٌ أَمَرُّ من الصبر، فمن لم يصبر على حرِّ الهواجر[٢]، والأمطار، والثلوج، ومشقة الأسفار، ولصوص الطريق، وإلا فلا حاجة له في المتاجر، وهذا أمر معلوم عند الناس أن من صـدق في طلب شيء من الأشياء بذل من الصبر في تحصيله بقدر صدقه في طلبه.

العاشر: أن يشهد معية الله معه إذا صبر، ومحبة الله له ورضاه، ومن كان الله معه دفع عنه من أنواع الأذى والمضـرات ما لا يدفع عنه أحد من خلقه، قال الله تعالى: ﴿وَاصْـبِرُوا إِنَّ اللَّهَ

---

(١) روى أبو يعلى في مسنده «٤/ ٣٦ ح ٢٠٤٠ تحقيق حسين سليم أسد»، عن بشر بن الوليد الكندي عن المسور بن الصلت عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: "كل معروف صدقة، وما أنفق الرجل على أهله وماله كتب له صدقة، وما وقى به عرضه فهو صدقة. قال: وكل نفقة مؤمن في غير معصية فعلى الله خلفه ضامناً إلا نفقة في بنيان". قال الهيثمي في مجمع الزوائد «٣/ ١٣٦»: "وفي إسناد أبي يعلى مسور بن الصلت وهو ضعيف" ورواه أيضا الدار قطني في سننه «٣/ ٢٨» برقم: «١٠١»، والحاكم في مستدركه «٢/ ٥٠» كلاهما من طريق عبد الحميد بن الحسن الهلالي عن محمد بن المنكدر بنحوه.

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، وشاهده ليس من شرط هذا الكتاب "وتعقبه الذهبي بقوله :"بل ضعفوه".

(٢) جمع هاجرة: وهي نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر، أو نصف النهار عند اشتدادا الحر. انظر: لسان العرب مادة «هجر» «٥/ ٢٥٤».

مَعَ الصَّــابِرِينَ﴾ [الأنفال الآية: ٤٦]. وقال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّــابِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية: ١٤٦].

الحادي عشـر: أن يشـهد أن الصـبر نصـف الإيمان، فلا يبذل من إيمانه جزءاً في نصـرة نفسه، فإن صبر فقد أحرز إيمانه وصانه من النقص والله تعالى يدفع عن الذين آمنوا.

الثاني عشـر: أن يشـهد أن صـبره حكم منه على نفسـه، وقهر لها، وغلبة لها، فمتى كانت النفس مقهورة معه مغلوبة، لم تطمع في استرقاقه، وأسره، وإلقائه في المهالك، ومتى كان مطيعاً لها سامعاً منها مقهوراً معها لم تزل به حتى تهلكه، أو تتداركه رحمة من ربه.

فلو لم يكن في الصـبر إلا قهره لنفسـه ولشـيطانه، فحينئذ يظهر سـلطان القلب وتثبت جنوده، فيفرح ويقوى ويطرد العدو عنه.

الثالث عشر: أن يعلم أنه إن صبر فالله ناصره ولابد، فإن الله وكيل من صبر وأحال ظالمه عليه، ومن انتصر بنفسه لنفسه وكله الله إلى نفسه، فكان هو الناصر لها، فأين من ناصره الله خير الناصرين، إلى من ناصره نفسه أعجز الناصرين وأضعفه.

الرابع عشـر: أن صـبره على من آذاه واحتماله له يوجب رجوع خصـمه عن ظلمه وندامته واعتذاره، ولوم الناس له فيعود بعد إيذائه له مسـتحييا منه، نادماً على ما فعله، بل يصـير موالياً له وهذا معنى قوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَــنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَــبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصــلت: الآيتان: ٣٥،٣٤].

الخامس عشـر: ربما كان انتقامه ومقابلته سـببًا لزيادة شـر خصـمه وقوة نفسـه وفكرته في أنواع الأذى التي يوصلها إليه كما هو المشاهد، فإذا صبر وعفى أمن من هذا الضرر.

والعاقل لا يختار أعظم الضـــررين بدفع أدناهما، وكم قد جلب الانتقام والمقابلة من شـــر عجز صــاحبه عن دفعه، وكم قد ذهبت به نفوس ورئاســات وأموال وممالك لو عفى المظلوم لبقيت عليه.

الســادس عشــر: أن من اعتاد الانتقام ولم يصــبر، لابد أن يقع في الظلم، فإن النفس لا

تقتصر على قدر العدل الواجب لها، لا علما، ولا إرادة، وربما عجزت عن الاقتصار على قدر الحق، فإن الغضب يخرج بصاحبه إلى حد لا يعقل ما يقول وما يفعل، فبين هو مظلوم ينتظر النصر والعز، إذ انقلب ظالمًا ينتظر المقت والعقوبة.

السابع عشر: أن هذه المظلمة التي قد ظُلمها هي سبب، إما لتكفير سيئة، أو رفع درجة، فإذا انتقم ولم يصبر لم تكن مكفرة لسيئته ولا رافعة لدرجته.

الثامن عشر: أن عفوه وصبره من أكبر الجند له على خصمه، فإن من صبر وعفا كان صبره وعفوه موجباً لذل عدوه، وخوفه وخشيته منه، ومن الناس، فإن الناس لا يسكتون عن خصمه وإن سكت هو، فإذا انتقم زال ذلك كله، ولهذا تجد كثيرًا من الناس إذا شتم غيره أو آذاه يحب أن يستوفي منه، فإذا قابله استراح وألقى عنه ثقلًا كان يجده.

التاسع عشر :أنه إذا عفى عن خصمه، استشعرت نفس خصمه أنه فوقه، وأنه قد ربح عليه، فلا يزال يرى نفسه دونه وكفى بهذا فضلاً وشرفاً للعفو.

العشرون :أنه إذا عفا وصفح كانت هذه حسنة، فتولد له حسنة أخرى، وتلك الأخرى تولد أخرى، وهلم جرًّا، فلا تزال حسناته في مزيد، فإن من ثواب الحسنة الحسنة، كما أن من عقاب السيئة السيئة بعدها، وربما كان هذا سبباً لنجاته وسعادته الأبدية، فإذا انتقم وانتصر زال ذلك.[١]

قول المصنف رحمه الله: «**وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ**: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**».

أولًا: الأدلة من القرآن.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: الآية: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ

---

(١) المصدر: قاعدة في الصبر لشيخ الإسلام ابن تيمية

وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِوَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: الآيتان: ٨٩-٩٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: الآيات: ٥٧-٦١].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: الآية: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: الآية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: الآيات: ٢٢ -٢٦].

ثانيًا: الأدلة من السنة.

حث النبي-صلى الله عليه وسلم-على المبادرة والمسارعة في عمل الخير، قبل أن تتغير النفوس وتتقلب القلوب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِى كَافِرًا وَيُمْسِى مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ-صلى الله عليه وسلم-قَالَ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْظُرُونَ إِلاَّ فَقْرًا مُنْسِيًا أَوْ غِنًى مُطْغِيًا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا**

(١) أخرجه "مسلم" «١/ ٧٦».

أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ». (١)

ولقد ضرب النبي –صلى الله عليه وسلم– أروع الأمثلة في المسارعة والمبادرة إلى الخير، وعدم تسويف المسابقة إليه، فعَنْ عُقْبَةَ، قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–، بِالْمَدِينَةِ، الْعَصْرَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: «**ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ**». (٢)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ**». (٣)

قال الحسن –رحمه الله–: "إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة". (٤)

وقال وهيب بن الورد –رحمه الله–: "إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل". (٥)

والمسابقة إلى الخيرات خلق لا يتصف به إلا المؤمن الصادق، والمسارعة إلى أعمال البر طبع لا يتخلق عليه إلا من وهبه الله تعالى رجاحة في العقل وانشراحا في الصدر وسلامة في القلب.

قول المصنف: «**وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ**

---

(١) أخرجه الترمذي «٢٣٠٦» قال هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. الألباني : ضعيف الجامع الصغير « ٢٣١٥ »..

(٢) أخرجه "البُخَارِي" «٨٥١».

(٣) أخرجه "البُخَارِي" «٦» و «٣٥٥٤» و"مسلم" «٧/ ٧٣».

(٤) أخرجه الإمام أحمد في الزهد «ص: ٢١٨» «١٥٢٥»، وابن أبي الدنيا ذم الدنيا «ص: ١٨٤»، وابن أبي شيبة في المصنف «٧/ ١٨٨» «٣٥٢٠٣».

(٥) الإحياء »١/ ٤٢٣«.

ظَلَمَكَ. وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسانِ إِلَى اليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالمَمْلُوكِ»

صلة الأرحام من أعظم الواجبات، وأفضل الطاعات، وقطيعتها من أعظم الذنوب وأخطر الآفات؛ للأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة الصريحة على النحو الآتي:

أولًا: الأدلة من القرآن:

١ - قال الله -عز وجل-: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: الآية: ٣٦]. (١)

٢-وقال الله-عز وجل-: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: الآية: ٢٦].

٣-وقال-سبحانه-: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: الآية: ٣٨].

٤-وقال-عز وجل-: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية: ٢١٥].

٥-وقال-تبارك وتعالى-: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: الآية: ٧٥].

وبين الإمام ابن كثير-رحمه الله تعالى-: أن المعنى لقوله تعالى: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي في حكم الله، وأنها ليست خاصة بالأرحام الذين يذكرهم علماء الفرائض الذين ليس لهم فرض، وليسوا من العصبة، بل الحق أن الآية عامة تشمل جميع القرابات، كما نص عليه ابن عباس-

(١) انظر: أحكام القرآن لعماد الدين الطبري الهراس «٢/ ٣٧١».

رضي الله عنهما–وغيره. [(١)]

٦–وقال تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ [الأحزاب: الآية: ٦]. أي القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار، وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التي كانت بينهم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره. [(٢)]

٧–وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: الآية: ١].

والمعنى: اتقوا الله بطاعتكم إياه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ولكن برّوها وصلوها، قاله ابن عباس–رضي الله عنهما–وغيره. [(٣)]

قال الشيخ السعدي–رحمه الله–: "وقرن الأمر بتقواه بالأمر ببرَّ الأرحام والنهي عن قطيعتها؛ ليؤكد هذا الحقَّ، وأنه كما يلزم القيام بحقِّ الله كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصاً الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حقِّ الله الذي أمر الله به". [(٤)]

ثانيًا: الأدلة من السنة:

١–عن أنس بن مالك–رضي الله عنه–، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: «**من**

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير «ص: ٥٩٥».

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير «ص: ١٠٥٢»..

(٣) تفسير القرآن العظيم، «ص: ٢٩٣».

(٤) تيسير الكريم الرحمن «ص: ١٦٢».

أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره [(١)] **فليصل رحمه»**. [(٢)]

٢-عن أبي هريرة-رضـــي الله عنه-، قال: سمعت رســـول الله-صـــلى الله عليه وســـلم- يقول: «**من سره أن يُبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه**». [(٣)]

٣-عن عائشـــة-رضـــي الله عنها-، أن النبي-صـــلى الله عليه وســـلم-قال لها: «**إنه من أُعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصـــلة الرحم، وحســـن الخلق وحسن الجوار، يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار**». [(٤)]

٤-عن أبي هريرة-رضـــي الله عنه-، عن النبي-صـــلى الله عليه وســـلم-قال: «**تعلموا من أنســـابكم ما تصـــلون به أرحامكم؛ فإن صـــلة الرحم محبة في الأهل، مثراةٌ في المال، مَنْسَاةٌ** [(٥)] **في الأثر**». [(٦)]

٥-عن جبير بن مطعم-رضـــي الله عنه-، أنه سمع عمر بن الخطاب-رضـــي الله عنه-،

---

(١) ينسأ له في أثره: أي يؤخر له في أجله، وبسط الرزق: توسيعه وكثرته، وقيل: البركة فيه. وأما التأخير في الأجل، فقيل: هذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك، ورجحه النووي. وقيل: إن التأجيل في العمر بالنسبة لما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ, ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة، إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علم الله عز وجل ما سيقع من ذلك وهو من معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره، ولا زيادة بل هي مستحيلة، وبالنسبة لما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة، وهو مراد الحديث. وقيل: إن المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت، حكاه القاضي، وهو ضعيف أو باطل والله أعلم. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم «١٦/ ٣٥٠».

(٢) رواه البخاري، «٥٩٨٦»، ومسلم، «٢٥٥٧».

(٣) رواه البخاري، «٥٩٨٥».

(٤) مسند الإمام أحمد «٦/ ١٥٩». قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري «١٠/ ٤١٥»: "رجاله ثقات". وصحح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم: «٥١٩».

(٥) قال الترمذي في سننه: منسأة في الأثر، يعني زيادة في العمر «٤/ ٣٥١».

(٦) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعليم النسب «٤/ ٣٥١»، برقم ١٩٧٩، وأحمد في المسند «٢/ ٣٧٤»، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي «٤/ ١٦١»، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: «٢٧٦»: "إسناده جيد، ورجاله ثقات".

يقول على المنبر: «**تعلموا أنسابكم، ثم صلوا أرحامكم، والله إنه ليكون بين الرجل وبين أخيه الشيء، ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخلة الرحم**[(١)]؛ **لأوزعه ذلك عن انتهاكه**». [(٢)]

٦-عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم؛ فإنه لا قرب لرحم إذا قطعت وإن كانت قريبة، ولا بعد لها إذا وصلت وإن كانت بعيدة**». [(٣)]

وزاد البخاري في الأدب المفرد موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما: « ... **وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلة إن كان وصلها، وعليه بقطيعة إن كان قطعها**». [(٤)]

ووجه ذكر المصنف-رحمه الله-لصلة الأرحام في هذا المقام هو الاقتداء بالنبي-صلى الله عليه وسلم-في دعوته فإن صلة الأرحام من أول الأمور المهمة التي دعا إليها النبي-صلى الله عليه وسلم-في أول بعثته، ففي حديث سفيان ابن حرب: أن هرقل عظيم الروم قال له حينما سأله عن رسالة النبي-صلى الله عليه وسلم- ماذا يأمركم؟ قال: أبو سفيان: قلت: يقول: «**اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق،**

---

(١) داخلة الرحم: علامة القرابة. فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، لفضل الله الجيلاني «١/ ١٥٥».

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد في باب: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم «ص: ٣٩»، برقم: «٧٢»، وحسن إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد «ص: ٥٥».

(٣) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي «٤/ ١٦١»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٧٧.

(٤) الأدب المفرد «ص: ٣٩»، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد «ص: ٥٦»، وقال في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: «٢٧٧» في هذه الزيادة: "وهذا سند على شرط البخاري في صحيحه، ولكنه موقوف بيد أن من رفعه ثقة حجة وهو الإمام الطيالسي وزيادة الثقة مقبولة".

والعفاف، والصلة».[(١)] [(٢)]

فشعائر الإسلام- بحمد الله- قائمة ظاهرة في مجتمع أهل السنة، وهذا من فضل الله عليهم، ثم باتباعهم سنة النبي ﷺ؛ فالمساجد ليست مهجورة، وحِلق الذِّكر عامرة، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر أمر قائم بفضل الله، وهكذا كل من يعيش في كَنَفهم أو يكون قريبًا منهم يجد هذا الفارق العظيم بينهم وبين أهل البدع؛ فتراهم- بحمد الله- مِن خيرة الناس خُلُقًا، ومِن خيرة الناس سيرة، ومن خيرة الناس فضلًا وكرمًا وإحسانًا إلى الجار وإحسانًا إلى الفقير والمحتاج، ونحو ذلك.

وكذلك تراهم متواضعين مبتعدين عن الفخر والخيلاء، ويتواصون بهذا، ومن حاد من أفرادهم عن هذا الحقِ قُوبل بالنصح والتوجيه.

وترى الواحد من علمائهم لا تعرف أنه عالم؛ لأنه ليس عليه مِن مَظهر أو حب الشهرة ما تراه على أهل البدع من تَعَمُّمٍ معين، ولبس مُعَيَّن يتميزون به عن الناس.

وكذلك تراهم متشابهين لا تعرف غنيهم من فقيرهم، فما تجد أحدًا منهم متباهيًا مختالًا يكسر نفس الفقير.

ومجتمعاتهم مجتمعات الخير والأمن، وحسن الخلق قائم، وحفظ القرآن والسنة بحمد الله قائم، والمساجد عامرة بالصلوات الخمس، وبالدروس العلمية والجمع والأعياد.

وكمثال يفرق بين أهل السنة والمبتدعة: تجد في مواسم الحج والعمرة أنَّ أهل السنة يتجهون وقت الصلاة إلى المسجد الحرام وإلى مسجد النبي ﷺ، وأمَّا أهل البدع فتراهم يتسكعون في الشوارع ويقضون هذه الأوقات في الأسواق، فالناس مقبلة على الصلاة وهم باتجاه معاكس أدبروا عن هذا النداء؛ فشتان بين حال أهل السنة وحال غيرهم!

وأهل السنة يحافظون على الجماعات، ويدينون بالنصيحة للأمة، فهم أعرف الناس بالحق

---

(١) البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-؟ برقم: «٧».

(٢) المصدر: كتاب صلة الأرحام لسعيد بن وهف القحطاني، «ص: ٧-١٥»، بتصرف.

وأرحم الناس بالخلق، فإذا عاش بعض أهل البدع في مجتمعات أهل السنة لا يجدون عند أهل السنة شططًا ولا إجحافًا معهم، بل يبتعدون عن أذاهم أو ظلمهم؛ لأن الله حرم الظلم على نفسه، وجعله بين عباده محرمًا.

وإن تصرف بعض أفراد أهل السنة تصرفًا خاطئًا فذلك يعود إلى فعله، وليس الأمر دينًا أو عقيدة يدين بها أهل هذه المجتمعات.

وعلى العكس انظر كيف يتعامل أهل البدع في بلادهم مع أهل السنة؟! كيف يؤذونهم ويضطهدونهم بل ويقتلونهم؟!

وأهل السنة يحققون ما أمر به النبي ﷺ حيث أمر بالتراحم، ولذلك تجد أن أعمالهم في الخير عمَّت بلاد المسلمين جميعًا؛ فبنوا المساجد وحفروا الآبار؛ فتجد صاحب السنة «**رجلًا كان أو امرأة**» له مسجد في الصين وله مسجد في أقصى أفريقيا، وله مسجد في كل مكان، وله بئر هنا وبئر هناك، وله دار أيتام هنا، وله دار أيتام هناك، ويَكفلون آلاف الناس الذين لا يعرفونهم، وينفقون عليهم الأموال الطائلة؛ نشرًا للدين بينهم، ورحمةً بهم، وتأليفًا لقلوبهم، ومساعدة وعونًا لهم في الابتلاءات المختلفة.

وليس بين هذا المسلم المنفق وبين غيره من إخوانه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلا وشيجة هذا الدين التي تجعله يكفل أيتام المسلمين، ويقوم برعايتهم وتعليمهم، وهناك رجال نذروا أنفسهم لهذا العمل؛ فنشروا هذا الخير شرقًا وغربًا، وهذا تحقيق لقول النبي ﷺ: «**مَثَلُ المُؤمنين في توادِّهم، وتَرَاحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عُضو تَدَاعى له سائر الجسد بالسَّهر والحُمَّى**»[١]، ولقوله ﷺ: «**المُؤمن للمؤمن كالبُنيان يشدُّ بعضه بعضًا**»[٢].

فيحققون هذا ويقومون به- بحمد الله- خير قيام.

وصاحب السنة في السراء شاكر لربه نعمه، وفي حال المصيبة صابر محتسب؛ فلا سخط

---

(١) أخرجه البخاري «٦٠١١» ومسلم «٢٥٨٦»، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري «٦٠٢٦» ومسلم «٢٥٨٥» من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ولا لطم للخدود ولا شق للجيوب، ولا دعاء بدعوى الجاهلية.

وليس هناك- بحمد الله- من نائحة تنوح عند جنائز أهل السنة، ولا يصحبها شيء من البدع، وإنما يُغَسِّلون موتاهم ويكفنونهم ويصلون عليهم كما جاءت بذلك السنة.

وكذلك ليس عندهم قبور تُشَيَّدُ، ولا سرادقات لعزاء تُقام، ولا اجتماع لأربعين، ولا لسنوية، ولا غير ذلك، وإنما يكتفى بما جاءت به السُّنَّة المشرفة.

فانظر إلى حال أهل السنة وحال أهل البدع؛ لتعرف نعمة الله على أهل السنة؛ فهم في السراء شاكرون، وفي الضرَّاء صابرون، ويتواصون ويتناصحون بأن لله يبتلي بالسراء والضراء؛ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥- ١٧]، أي: ليس النعمة إكرامًا، وليس التقدير إهانة، وإنما الكلُّ ابتلاء، قال جل جلاله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

فصاحب السنة يعلم أنَّ ما هو فيه إنما هو ابتلاء؛ سواء كان رخاء أم شدة، وسواء كان غنى أم فقرًا، فنحن نشكر الله على نعمه، ومن شكر النعم أداء ما افترض الله على العبد في هذا الحق؛ سواء كان مالًا أو صحة أو ولدًا.

فمن شكر نعمة الأولاد: أن يحسن الوالدن تربيتهم، وأن يحرصوا على تعليمهم أمور الصلاة، وتعليمهم فرائض الإسلام؛ لكي ينشأوا مستقيمين على شرع الله، فينتشر الخير في المجتمع.

وكذلك أهل السنة يقومون بالدعوة إلى الله، والحث على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، والنبي ﷺ قال: «**إنَّما بُعِثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[(١)]، وقال ﷺ: «**أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا**»[(٢)]، وقد أمر الله نبيه ﷺ باللين والعفو فقال جل وعلا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم «٢٧٣»، وأحمد في «المسند» «٢ / ٣١٨»، وصححه الألباني في «الصحيحة» «٤٥».

(٢) أخرجه البخاري أحمد في «المسند» «١٦/ ٤٧٨» «١٠٨١٦»، وأبو داود «٤٦٨٢» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «المشكاة» «٥١٠١».

لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وأمر ﷺ بصلة الرِّحم، والصدق في المعاملة وحُسن الجوار حتى مع الكافر.

وكان من أخلاقه ﷺ الرفق بالخدم وبكل مَن تحت يدك، يقول أنس رضي الله عنه: «**خدمتُ النبيَّ ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أُف، ولا: لِمَ صنعتَ؟ ولا: أَلَا صنعتَ؟**»[(١)].

وأهل السنة في وعظهم وإرشادهم يأمرون بالاقتداء بالنبي ﷺ والإحسان إلى الخلق، والرفق بالخَدَم والضعفاء، والنهي عن الفخر والخيلاء والاستطالة على الناس، ويسعون في قضاء مصالحهم.

وأهل السنة فيهم الصديقون والشهداء والصالحون، والعلماء العاملون، وكم تركوا من آثار علمية تتزود منها الأمة، وتغترف منها.

فأهل السنة هم خير الأمة، وهم الطائفة المنصورة الباقية والظاهرة إلى يوم القيامة.

نسأل الله أن يجعلنا من هذه الفرقة الناجية والطائفة المنصورة.

اللهم يا مقلب القلوب ثَبِّت قلوبنا على هذه العقيدة الصحيحة، واجعلنا من الملتزمين بها علمًا وعملًا، وأَحْيِنا على ذلك غير مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين، ولا تَقبضنا إلا وأنت راض عنا.. آمين.

---

(١) أخرجه البخاري «٦٠٣٨».

الفهرس